

نفس البغوي

«معالم التنزيل»

للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي
(المتوفى - ٥١٦هـ)

المجلد الأول

حقيقته وخبر أحاديثه

محمد عبد الله النمر عثمان بن محمد بن زبير سليمان بن مسعود الحرشي

دار طيبة للنشر والتوزيع

الرياض - شارع عسير - ص. ب : ٧١١٢

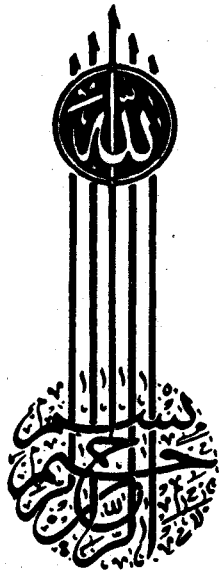
تليفون : ٤٣٥٩٣٧ / ٤٣٥٩٤٠

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٩ هـ

تفسير البغوي

«معالم التنزيل»



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« مقدمة التحقيق »

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد :

فإن العيش مع كتاب الله نعمة يدركها من أنعم الله بها عليه، وما أسعد الإنسان إذا جعل هذا الكتاب إمامه — وهذا شأن المسلم — فاهتدى بهديه بعد أن تدبر آياته! وما أسعد المجتمع الذي يجمع مثل هذا الفرد! وما أشد يؤس الذين حرموا أنفسهم من هدايته فخطبوا في حياتهم يمنة ويسرة، وانتهوا إلى ضياع أعمارهم وضياع دنياهم وآخرتهم: (قل هل نبئكم بالأخسرين أعمالاً * الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا * أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً * ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً) .

وإن أكثر الأوقات بركة تلك التي تقضى مع هذا الكتاب الكريم، إذ يعيش الإنسان مع كلام ربه عز وجل، فيحس أنه يناجيه فيرتقي مقامه، ويشعر بالعناية الإلهية تحيط به وترعاه وتأخذ بيده إلى حيث سعادته وفلاحه، سيما وهو يدرك ما فعل منزل هذا الكتاب به في الجيل الأول الذي تلقاه وفي كل جيل أحسنَ التلقي والتزم التنفيذ. يحس عندئذ هذا الأثر العميق للقرآن في حياة الفرد والأمة متى أدركت عمن تتلقى وماذا عليها بعد التلقي. يقف على أسرار هذا الكتاب الكريم وهو يصوغ تلك النفوس صياغة جديدة جعلت منهم — أفراداً ومجموعة — نماذج فريدة متميزة في تاريخ البشرية الطويل.

ثم يدرك من يعيش مع كتاب الله عمق الخطر في دعاوى الذين يطالبون بنشر العامية تكلاماً وكتابة، ولو حاولوا التستر وراء ما يطرحونه من صعوبة النحو العربي وإملائه، تلك الدعاوى التي تريد أن تقطع صلة الأمة بكتاب ربها عز وجل فتتسلخ عن مصدر الهداية لتغرق في التيه والضياع.

ولكن الله عز وجل الذي تكفل بحفظ كتابه فقال : (إنا لنحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه). أحببنا ويحبط كل محاولة لتضييع هذا الكتاب، فحفظته الصدور وحفظته السطور، وقبض الله من يأخذ بيانه عن رسول الله ﷺ لتجد الأمة ما يعينها على فهم كتاب ربها وحسن الأخذ به.

ولعل إمامنا — البغوي — من خير من قدم خدمة لكتاب الله عز وجل في تفسيره هذا (معالم التنزيل) حيث اعتمد على المأثور في بيان معنى الآية التي يفسرها كما سنفصل ذلك عند الكلام عن (منهجه في التفسير).

ولقد اتجهت هممنا لإخراج هذا الكتاب محققاً مستقلاً، بعد أن كان مطبوعاً طبعة حجرية قديمة، وعلى حاشية تفسير ابن كثير، وعلى حاشية تفسير الخازن، ليمتد الانتفاع به على خير وجه، فعثرنا خلال البحث على مخطوطة بمكتبة الحرم المكي فعلمنا على تصويرها، ثم طلبنا من الشيخ الفاضل عبد القادر الأرناؤوط أن يعثب إلينا بمخطوطة في المكتبة الظاهرية فاستجاب لذلك وشجع على الإقدام فجزاه الله عنا خيراً، فبدأنا ونحن ندرك أهمية هذا العمل من خلال اطلاعنا على ما في الكتاب من علم يحتاجه المسلم، ومن خلال ثناء أهل العلم على الكتاب وعلى مؤلفه، وبعد أن قطعنا مرحلة إذبحر يقول : إن أخوين فاضلين قاما بتحقيق هذا الكتاب، وهو في طريقه إلى المكتبات، فتوقفنا وقلنا لا حاجة إلى تضييع الجهد والوقت، ولنعمل في كتاب آخر، إلى أن وصل الكتاب بمجلداته الأربعة، فتناولناه لدراسته ومعرفة مدى تحقيق الفائدة منه بإخراجه على هذه الصورة ففوجئنا — وللحقيقة نقول ذلك — بأن الكتاب لم يخدم على الوجه الذي ينبغي وقد وجدنا فيه:

- ١ — اعتماد المطبوع وفيه ما فيه من الأخطاء .
- ٢ — ترك أكثر الأحاديث بدون تخريج إلا القليل مما لم يذكره البغوي بإسناده.
- ٣ — كثرة الأخطاء والتصحيحات والزيادة والنقص عن المخطوط.

وبعد مداولة بعض صفحات الكتاب مع بعض أهل العلم واطلاعهم على عملنا أشاروا بمتابعة ما بدأناه ليمتد الانتفاع من الكتاب الذي نال ثناء العلماء، فاستأنفنا العمل مستمدين من الله تعالى العون والتوفيق والأجر على خدمة كتابه العزيز، شاكرين لأستاذنا الفاضل الدكتور محمد أديب الصالح، الذي أفادنا بتوجيهاته، فجزاه الله خير الجزاء وتمتع الأمة بأمثاله، كما نشكر كلاً من الأساتذة الأفاضل:

الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، الذي تفضل وأفادنا بالحصول على صورة من مخطوطة المكتبة الظاهرية. والأخ الدكتور مسفر غرم الله الدميني على ما أبداه من ملاحظات وإشارات جيدة، فبارك الله به وأثابه. والأخ المهندس محمد ياسر صفر الحلبي الذي شاركنا وقتاً طويلاً في المقابلة والمراجعة.

وأخيراً نتوجه بالشكر إلى الأخ الفاضل عبد العزيز ناصر الجليل، صاحب مكتبة دار طيبة بالرياض ،
التي تولت طباعة هذا الكتاب وإخراجه بهذه الحلة القشبية.
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

منهج البغوي في التفسير

إن معالم التنزيل كتاب متوسط، نقل فيه مصنفه عن مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهو من أجل الكتب وأنبها وأسناها، حاوٍ للصحيح من الأقوال، عارٍ عن الغموض والتكلف في توضيح النص القرآني، محلي بالأحاديث النبوية والآثار الغالب عليها الصحة.

قال العلامة ابن تيمية: (والبغوي تفسيره مختصر من الثعالبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعية، والآراء المبتدعة) وقد سئل عن أي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة؟ الزمخشري أم القرطبي، أم البغوي؟ أو غير هؤلاء؟ فأجاب: «وأما التفاسير الثلاثة المسؤول عنها فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة — البغوي»^(١).

وقد بين البغوي شيئاً من ذلك في مقدمته إذ يقول:

«فسألني جماعة من أصحابي المخلصين، وعلى اقتباس العلم مقبلين: كتاباً في معالم التنزيل وتفسيره فأجبتهم إليه، معتمداً على فضل الله وتيسيره، ممتثلاً وصية رسول الله ﷺ فيهم فيما يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً»^(٢)، واقتداءً بالماضين من السلف في تدوين العلم، إبقاء على الخلف».

استجاب أجزل الله مثوبته لرغبة طلابه وأصحابه آخذاً بوصية رسول الله ﷺ، مقتدياً بالسلف الصالح في كتابه العلم حيث يقول: «فجمعت — بعون الله تعالى وحسن توفيقه — فيما سألوه كتاباً متوسطاً، بين الطويل الممل، والقصير المخل، أرجو أن يكون مفيداً لمن أقبل على تحصيله مريداً»^(٣).

ومن خلال البحث يمكننا أن نقف على منهج الإمام البغوي فنوجزه بما يلي :

١ — يتعرض لتفسير الآية الكريمة بلفظ سهل موجز، لا تكلف في لغته ولا تطويل، فهو يكتفي

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣ / ٣٨٦

(٢) انظر ترجمته فيما سيأتي، ص (٣٤).

(٣) انظر مقدمة المفسر ص (٣٤).

بالوقوف على الكلمة الغريبة ليكشف عن معناها بالرجوع إلى أصلها ومصدرها، مستدلاً
بالآيات والأحاديث وما أثر عن الصحابة والتابعين وأقوال أهل اللغة.

٢ — يسلك السبيل القويم في بيان المعاني فيفسر القرآن بالقرآن أو بالحديث أو بأقوال الصحابة،
ويستأنس بأقوال التابعين والمجتهدين، وذلك أن القرآن يفسر بعضه بعضاً فما أجمل في موضع
فُصِّل في موضع آخر، وقد تخصص آية عموم آية أخرى.

ونجده يعتمد الجمع بين الآيات ذات المعنى الواحد، ليوضح معنى كلمة في الآية، كما فعل — على
سبيل المثال — عند تفسير قوله تعالى: (ويمدهم في طغيانهم يعمهون)^(١) إذ بيّن معنى المدّ ثم أورد قوله
تعالى: (ونمّد له من العذاب مدّاً)^(٢) ثم بين معنى الإمداد فأورد قول الله تعالى: (وأمددناكم بأموال
وبنين)^(٣).

وعند قوله تعالى: (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً)^(٤) يقول: لأن الآيات كانت تنزل تترى آية
بعد آية، كلما كفروا بآية ازدادوا كفراً ونفاقاً، وذلك معنى قوله تعالى: (وأما الذين في قلوبهم مرض
فزادتهم رجساً إلى رجسهم)^(٥).

وأما اعتماد الإمام البغوي على السنة في تفسير القرآن الكريم فهو سمة واضحة في تفسيره. كيف لا
وهو محي السنة! ولذا فقد جاء تفسيره حافلاً بالأحاديث التي انتخبها فذكرها بأسانيدها، وقُل أن يذكر
حديثاً بغير إسناد، أو يورد حديثاً ضعيفاً، وقد نجده يسوق عدة أحاديث عند الآية الواحدة كما فعل عند
تفسيره لقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم
تتقون)^(٦) أو عند قوله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاؤون)^(٧)

٣ — يتعرض للقراءات من غير إسراف وذلك حين يجد أن القراءة يترتب عليها تغيّر المعنى، كما في قوله
تعالى: (وقرن في بيوتكن)^(٨) إذ يقول رحمه الله: «قرأ أهل المدينة وعاصم وقرن بفتح القاف، وقرأ
الآخرون بكسرها، فمتى فتح القاف فمعناه: أقررن أي الزمن بيوتكن من قولهم قررت بالمكان أقر
قراراً..... ومن كسر القاف فقد قيل: هو من قررت أقر معناه أقررن بكسر الراء، فحذفت

(١) سورة البقرة، الآية (١٥).

(٢) سورة مريم، الآية (٧٩).

(٣) سورة الاسراء، الآية (٦).

(٤) سورة البقرة، الآية (١٠).

(٥) سورة التوبة، الآية (١٢٥).

(٦) سورة البقرة، الآية (١٧٨).

(٧) سورة الشعراء، الآية (٢٢٤).

(٨) سورة الأحزاب، الآية (٣٣).

الأولى ونقلت حركتها إلى القاف كما ذكرنا، وقيل — وهو الأصح — إنه أمرٌ من الوقار، كقولهم من الوجد: عدن، ومن الوصل: صلن، أي كُنَّ أهل وقار وسكون، من قولهم: وقر فلان يقر وقوراً إذا سكن واطمأن.

٤ — يعرض لرأي أهل السنة والآراء مخالفهم مع الانتصار لرأي أهل السنة مدلاً عليه بالمنقول والمعقول كما ذكر عند قوله تعالى: (لا تدركه الأبصار) ^(١) مثبتاً الرؤية عياناً، مستدلاً بقوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ^(٢) وقوله تعالى: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ^(٣) وقوله تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ^(٤)، ثم بين أن النبي ﷺ فسر الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى، ثم أورد حديثاً في إثبات الرؤية، وفرق بين الإدراك والرؤية.

٥ — ويظهر بوضوح اهتمامه بالآراء الفقهية فكثيراً ما نجده ييسط آراء الفقهاء ويرجح رأي الشافعية وهو من أبرز فقهاءهم، وأحياناً يورد الآراء بدون ترجيح والقارىء الكريم سيجد هذا المنهج من خلال قراءته لهذا التفسير.

٦ — يذكر أحياناً بعض الإسرائيليات، ونراه يمر على بعضها — وهي قليلة مقارنة بالتفسير الموجودة بين أيدينا — دون التعقيب عليها، كما فعل عند ذكره لقصة هاروت وماروت في مسخ المرأة الجميلة إلى كوكب الزهرة؟ (الآية: ١١٢ من سورة البقرة) أو ما رواه عن الضحاك عند تفسير قوله تعالى: (وقتل داود جالوت) (الآية: ٢٥١ من سورة البقرة)، وفي مواضع أخرى ستأتي الإشارة إليها في التفسير إن شاء الله.

ويجدر بنا أن نشير إلى أن الاسرائيليات تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ — ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

ب — قسم يخالف شرعنا ويناقضه، وهو مردود ولا تصح روايته.

ت — قسم نتوقف فيه، فلا هو من القسم الأول، ولا من الثاني وهذا لا حرج من روايته

إن كان موضوعه بعيداً عن العقيدة والأحكام.

فقد روى البخاري في تفسير سورة البقرة: باب قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، وفي الاعتصام: باب قول النبي ﷺ: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون

(١) سورة الأنعام، الآية (١٠٣).

(٢) سورة القيامة، الآية (٢٢).

(٣) سورة المطففين، الآية (١٥).

(٤) سورة يونس، الآية (٢٦).

التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا (آمنا بالله وما أنزل....) الآية.

والخير للمفسر أن يقلع عن هذه الإسرائيليات — أي القسمين الأخيرين — وأن يعرض عما لا طائل منه ويعد صارفاً وشاغلاً عن الأصول المعتمدة في شرعنا وهذا أحكم وأسلم.

٧ — ويلاحظ أنه رحمه الله أكثر الرواية عن الكلبي: وهو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث الكلبي، الكوفي، مات بالكوفة سنة ست وأربعين ومائة. قال معتمر بن سليمان عن أبيه: كان بالكوفة كذابان، أحدهما الكلبي^(١).

والحق أن البغوي، وهو من أهل الحديث وتحرير الروايات، لم يجعل ما ينقله عن الكلبي مناط الجزم في معنى الآية ولكن التوسع في النقل أحياناً ليعلم الناس ما قيل في مفهوم الآية جعله يستشهد بأقوال الكلبي، علماً أنه قد يقول كلاماً جيداً في التفسير موافقاً لما ورد في المأثور. والكلبي معروفة رواياته، وموقف العلماء منها.

(١) قال البخاري: تركه ابن معين وابن مهدي.

وقال: حدثنا علي، حدثنا يحيى، عن سفيان، قال: قال الكلبي: قال لي أبو صالح: كل شيء حدثك فهو كذب. قال ابن عدي: وقد حدث عن الكلبي سفيان وشعبة وجماعة، ورضوه في التفسير، وأما في الحديث فعنده مناكير، وخاصة إذا روى عن أبي صالح عن ابن عباس.

وقال ابن حبان: كان الكلبي سنياً، من أولئك الذين يقولون: إن علياً لم يميت، وإنه راجع إلى الدنيا، ويملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها.

وقال أحمد بن زهير: قلت لأحمد بن حنبل: يحل النظر في التفسير الكلبي؟ قال: لا.

قال ابن حبان: يروي عن أبي صالح عن ابن عباس — التفسير، وأبو صالح لم ير ابن عباس، ولا سمع الكلبي من أبي صالح إلا الحرف بعد الحرف، فلما احتيج إليه أخرجت له الأرض أفلاذ كبدها. لا يحل ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به!

انظر: الضعفاء الصغير للإمام البخاري، ومعه كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي، ص(١٥٨، ٢٠٣) طبقات ابن سعد:

٦/ ٣٥٨ — ٣٥٩. تهذيب التهذيب: ١٥٧/ ٩ — ١٥٩ — تقريب التهذيب ١٦٣/ ٢. ميزان الاعتدال: ٥٥٦/ ٣ — ٥٥٩.

المغني في الضعفاء للذهبي ٢/ ٢٠٠.

منهجنا في العمل

يتلخص منهجنا في إخراج هذا التفسير الجليل في الخطوات التالية:

- ١ — إخراج نص التفسير على ما يغلب على الظن أنه نص المؤلف، وذلك باعتماد إحدى النسخ أصلاً في التحقيق، لاعتبارات تذكر في حينها، ومقارنتها مع نسخة (ب) بحيث يعتمد نص الأصل، وإذا تيقنا من أن الصواب في غير الأصل لعبارة أو كلمة أثبتنا الصواب، وأشرنا في الحاشية عند الحاجة إلى ذلك، إذ كثيراً ما نجد فروقاً طفيفة في بعض الكلمات أو الحروف مما لا يؤثر على المعنى، فقد نجد في نسخة العطف بالفاء وفي بعضها بالواو مثلاً، فلم نجد حاجة للإشارة إلى ذلك لثلاث نثقل الكتاب بكثرة الهوامش التي لا ضرورة لها، ولثلاث يتضخم حجم الكتاب.
- ٢ — عزو الآيات القرآنية الكريمة التي يستشهد بها المؤلف في التفسير، وتمييزها عن الآيات المفسرة بأقواس مختلفة.
- ٣ — تخريج الأحاديث النبوية بكاملها تخريجاً تفصيلياً بالعزو إلى الكتاب والباب والجزء والصفحة والرقم في بعض الكتب، تسهياً للفائدة وتسهياً للرجوع إلى كل الطباعات عند اختلافها.
فإن كان الحديث في الصحيحين، أو في أحدهما، اقتصرنا في العزو إليهما، لأن العزو إليهما مُعْلَمٌ بالصحة لأن الأمة قد تلقتهما بالقبول، وأما إن لم يُخَرَّج الحديث فيهما فنخرجه من سائر الكتب الأخرى. كالسنن، والمسانيد، والمصنفات، ونقل حكم العلماء والنقاد والمحدثين على الحديث، كالحافظ ابن حجر، والمنذري والهيثمي، والبوصيري، وغيرهم، والأحاديث الضعيفة أو الموضوعية — وهي قليلة — نقل الحكم عليها وسبب علتها بالتفصيل.
- وسواء أكان الحديث في الصحيحين أم في غيرهما، وقد أخرجه المصنف في كتابه «شرح السنة» فإننا نشير إلى موضعه، وقد أفدنا من ذلك في تصحيح كثير من التصحيفات في رجال السند بخاصة، كما أن العزو إليه يسهل معرفة رأي البغوي في الحديث ومعناه.
- ٤ — عزو أسباب النزول وأروايات المختلفة في نزول الآيات إلى مظانها من كتب الحديث وكتب أسباب النزول، أو كتب التفسير الأخرى، كالدر المنثور، والطبري، وابن كثير.
- ٥ — قد تدعو الحاجة إلى تعليق أو تعقيب على بعض المواضع في التفسير لبيان رأي مرجوح، أو

الإشارة إلى بعض الإسرائيليات ونقدها، أو غير ذلك عند الحاجة، كما سيأتي في مواضعه من الكتاب إن شاء الله تعالى.

- ٦ — إعادة توزيع النص وإخراجه بشكل يعين القارئ، ويسهل عليه المراجعة والقراءة، مع العناية بعلامات الترقيم، لما لذلك من أهمية في فهم المعنى بيسر وسهولة.
- ٧ — وتيسيراً للاستفادة من الكتاب بصورة أفضل، وتوفيراً للوقت على القارئ عند البحث عن تفسير آية معينة، فقد أثبتنا في أعلى كل صفحة اسم السورة ورقم الجزء.

هذا ولا ندعي أن عملنا هذا قد أوفى على الغاية، فلعلنا نعيد النظر فيه مرة ومرات، إن هياً الله تعالى لنا الأسباب، ولنا — بعد عون الله تعالى — من ملاحظات الإخوة الباحثين والقراء خير ما يسعف في تصويب وتجويد عملنا هذا، في طبعات قادمة، أو في الأجزاء التي تلي الجزء الأول من هذا الكتاب إن شاء الله.

«فنسأل الله المبتدئ لنا بنعمه قَبْلَ استحقاقها، المديمها عَلَيْنَا مع تقصيرنا في الإتيان على ما أوجب به من شكره بها، الجَاعِلُنَا في خير أمة أخرجت للناس: أن يرزقنا فهماً في كتابه، ثم سنّة نبيه، وقولاً وعملاً يؤدي به عنا حقه ويوجب لنا نافلة مزیده»^(١).

وأن يقبل منا عملنا هذا ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويشينا عليه بما يثيب به عباده المخلصين .
والحمد لله رب العالمين،

«المحققون»

الطائف في ١ / ٤ / ١٤٠٨

(١) اقتباس من افتتاحية الإمام الشافعي رحمه الله لكتابه «الرسالة» ص ١٩.

«ترجمة الإمام البغوي»*

هو الإمام الحافظ، الفقيه المجتهد : محي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي ويلقب بركن الدين.

أحد العلماء الذين خدموا الكتاب العزيز، والسنة النبوية، بالعكوف على دراستهما، وتدريسهما، وكشف كنوزهما، وأسرارهما، والتأليف فيهما.

والفراء: نسبة إلى عمل الفراء وبيعها.

(١) بعض المراجع التي ترجمت للبغوي من أهمها:

(*) سير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٩ - ٤٤٣.

(*) العبر للذهبي: ٤٠٦/٢.

(*) تذكرة الحفاظ: ١٢٥٧/٤ - ١٢٥٩.

(*) البداية والنهاية: ١٩٣/١٢.

(*) شذرات الذهب : ٤٨/٤ - ٤٩.

(*) مرآة الجنان: ٢١٣/٣.

(*) طبقات الشافعية للسبكي : ٧٥/٧ - ٨٠.

(*) وفيات الأعيان: ١٣٦/٢.

(*) طبقات الحفاظ ص ٤٥٧.

(*) طبقات المفسرين ص ٣٨ - ٣٩.

(*) معجم البلدان: ٤٦٨/١.

(*) كشف الظنون ١٩٥ - ٥١٧ - ١٦٩٨.

(*) الأعلام للزركلي ٢٥٩/٢.

(*) التفسير والمفسرون للذهبي ٢٣٤/١.

(*) معجم المؤلفين ٦١/٤.

(*) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي.

(*) مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده.

(*) الاستدراك لابن نقطه مخطوط الظاهرية.

(*) الإعلام بوفيات الأعلام للذهبي مخطوط الظاهرية.

(*) مناقب الشافعي وأصحابه لابن قاضي شهبة مخطوط الظاهرية.

(*) أسماء الرجال الناقلين عن الشافعي والمنسويين له لابن هدايه مخطوط الظاهرية.

(*) طبقات المفسرين للداودي مخطوط عارف حكمت.

والبغوي: بفتح الباء الموحدة، والغين المعجمة وبعدها واو، هذه النسبة إلى بلدة بخراسان بين مرو وهراة يقال لها «بغ» و«بَعْثُور» بفتح الباء الموحدة، وسكون الغين المعجمة، وضم الشين، وبعدها واو ساكنة، ثم راء. وهذه النسبة شاذة على خلاف الأصل، هكذا قال السمعاني في كتاب «الأنساب».

مولده:

إن معظم المصادر التي ترجمت له لم تشر إلى السنة التي ولد فيها، غير أن ياقوت الحموي قال في معجم البلدان: إنه ولد سنة (٤٣٣هـ) أما الزركلي فأشار في الأعلام إلى أنه ولد سنة (٤٣٦هـ).

شيخه:

سمع الإمام البغوي من عدد كثير من العلماء في التفسير، والحديث، والفقهاء نذكر بعضاً منهم:

- ١ — فقيه الشافعية وشيخهم القاضي حسين بن محمد المروزي، فقيه خراسان، وصاحب «التعليقة» المتوفى سنة (٤٦٢هـ) ^(١).
- ٢ — عبد الواحد بن أحمد بن أبي القاسم المليحي، الهروي، راوي الصحيح عن النعمي، وكان صالحاً، أكثر عنه الرواية، توفي سنة (٤٦٣هـ) ^(٢).
- ٣ — الفقيه أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، المعروف: بشيخ الحجاز صنف كتاب «السلوة في علوم الصوفية» وكان فقيهاً فاضلاً، توفي سنة (٤٦٣هـ) ^(٣).
- ٤ — أبو علي حسان بن سعيد المنيعي — نسبة إلى منيع جد — وكان حسان هذا رئيس مرو الروذ، الذي عمّ فضله خراسان، بیره، وأفضاله، وأنشأ الجامع المنيعي، وكان يكسو في العام نحو ألف نفس، توفي سنة (٤٦٣هـ) ^(٤).
- ٥ — أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي المروزي، الشيخ الجليل، المعمر، مُسند خراسان، تفرد عن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الرازي، مات في رمضان سنة (٤٦٣هـ) وله ست وتسعون سنة ^(٥).
- ٦ — أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن، بن عبد المالك بن طلحة النيسابوري القشيري الخراساني،

(١) شذرات الذهب ٣/٣١٠، العبر ٢/٣٤١٢، سير النبلاء ١٨/٢٦١، وفيات الأعيان ٢/١٣٤، كشف الظنون ١/٤٢٤-٥١٧.

(٢) سير النبلاء ١٨/٢٥٥، شذرات الذهب ٣/٣١٤، العبر ٢/٣١٥.

(٣) اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري ١/٣١٥.

(٤) شذرات الذهب: ٣/٣١٣ - ٣١٤. العبر ٢/٣١٥.

(٥) سير أعلام النبلاء: ١٨/٢٥١. اللباب: ١/٢١٠.

الإمام الزاهد، القدوة، الشافعي المذهب، صاحب الرسالة المسماة «الرسالة القشيرية» صنف كتاب «نحو القلوب» و«كتاب لطائف الإشارات» و«كتاب الجواهر» و«كتاب أحكام السماع» و«كتاب عيون الأجوبة في فنون الأسئلة» و«كتاب المناجاة» و«المنتهى في نكت أولى النهى» وصنف التفسير الكبير وهو من أجود التفاسير توفي سنة (٤٦٥هـ) (١).

٧ - أبو بكر يعقوب بن أحمد الصيرفي النيسابوري الشيخ الرئيس، الثقة المُسند توفي سنة (٤٦٦هـ) (٢).

٨ - أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد بن عبد الصمد بن بكر النيسابوري الصوفي المؤذن، الإمام، الحافظ، الزاهد، المُسند، محدث خراسان، صنف «تاريخ مرو» و«خرَج ألف حديث عن ألف شيخ له، مات سنة (٤٧٠هـ) (٣).

٩ - أبو تراب عبد الباقي بن يوسف بن علي بن صالح بن عبد الملك بن هارون المراغي التريزي، الشافعي، مفتي نيسابور، الإمام الفقيه العلامة توفي سنة (٤٩٢هـ) (٤).

١٠ - أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داوود بن أحمد بن معاذ الداوودي البوشنجي، الإمام، العلامة، الورع، القدوة جمال الإسلام، شيخ خراسان علماً، وفضلاً، وجمالة، وسنداً، راوي الصحيح، توفي سنة (٤٦٧هـ) (٥).

١١ - ومنهم: عمر بن عبد العزيز الفاشاني الإمام الفاضل الفقيه . وأبو الحسن محمد بن محمد الشيرزي، نسبة إلى شيرز قرية بسرخس، وأبو جعفر محمد بن عبد الله بن محمد المعلم الطوسي، وأبو محمد عبد الله بن عبد الصمد بن أحمد بن موسى الجوزجاني . وأبو عبد الله محمد بن الفضل بن جعفر الحُرقي نسبة إلى «حرق» من قرى مرو، وعدة .

تلاميذه:

لقد أقبل عليه طلاب العلم لكثرة علمه، وفضله، وسعة معرفته بعلوم كثيرة، ومنهم:

١ - الشيخ أبو منصور محمد بن أسعد بن محمد حفده العطارى - تصحفت في شذرات الذهب

(١) سير أعلام النبلاء: ٢٢٧/١٨ - ١٣٢. تاريخ بغداد: ٨٣/١١، طبقات المفسرين ص ٦١. شذرات الذهب: ٣١٩/٣، العبر: ٣١٩/٢. البداية والنهاية: ١٠٧/١٢.

(٢) تذكرة الحفاظ: ١١٦٠/٣، العبر: ٣٢١/٢، شذرات الذهب: ٣٢٥/٣، سير أعلام النبلاء: ٢٤٥/١٨.

(٣) تاريخ بغداد: ٢٦٧/٤، سير أعلام النبلاء: ٤١٩/١٨، تذكرة الحفاظ: ١١٦٢/٣، العبر: ٣٢٧/٢، شذرات الذهب: ٣٣٥/٣، البداية والنهاية: ١١٨/٢، طبقات الحفاظ ص ٤٣٧.

(٤) سير أعلام النبلاء: ١٧٠/١٩، البداية والنهاية: ١٥٧/١٢، العبر: ٣٦٦، شذرات الذهب: ٣٩٨/٣.

(٥) سير أعلام النبلاء: ٢٢٢/١٨، شذرات الذهب: ٣٢٧/٣، البداية والنهاية: ١١٢/١٢، العبر: ٣٢٢/٢.

- إلى العطاردي والصحيح ما أثبتناه — وهو الذي روى كتابي «شرح السنة» «ومعالم التنزيل» توفي سنة (٥٧١هـ) ^(١).
- ٢ — الواعظ المحدث أبو الفتوح محمد بن أبي جعفر محمد بن علي بن محمد الطائي الهمداني، صاحب «الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل اليقين» توفي سنة (٥٥٥هـ) ^(٢).
- ٣ — أبو المكارم فضل الله بن المحدث العالم أبي سعيد محمد بن أحمد النوقاني الشافعي، وهو آخر من روى عنه بالإجازة، توفي سنة (٦٠٠هـ) ^(٣).
- ٤ — الحسن بن مسعود البغوي أبو علي أخو الإمام الحسين البغوي تفقه على أخيه ^(٤).
- ٥ — عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحسين بن محمد الليثي وهو إمام ورع، حافظ لمذهب الشافعي.
- ٦ — مشاور بن فزكوه أبو مقاتل الديلمي اليزدي، يلقب بعماد الدين، وهو من كبار تلامذته، توفي سنة (٥٤٦هـ) ^(٥).
- ٧ — ومنهم محمد بن الحسين الزاغولي توفي سنة (٥٥٩هـ).
- ٨ — وعبد الرحمن بن علي بن أبي العباس النعيمي توفي سنة ٥٤٢هـ وغيرهم.

عقيدته:

والإمام البغوي من أئمة السلف الصالح، الذين تقيدوا بالكتاب والسنة، في مفهوم الاعتقاد وبخاصة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، ولنا على ذلك بعض الأدلة منها: تعليقه على الحديث الذي رواه مسلم في القدر: باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (٢٦٥٤/٤) وذلك في الجزء الأول من كتابه العظيم شرح السنة ص (١٦٨) «قال الشيخ الإمام: والإصبع المذكورة في الحديث صفة من صفات الله عز وجل، وكذلك كل ما جاء به الكتاب أو السنة من هذا القبيل في صفات الله تعالى، كالنفس، والوجه، والعين، واليد، والرجل، والإتيان، والحجي، والنزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك والفرح — إلى أن يقول في صفحة (١٧٠) فهذه ونظائرها صفات الله تعالى، ورد بها السمع يجب الايمان بها، وإمرارها على ظاهرها معرضاً فيها عن التأويل، مجتنباً عن التشبيه، معتقداً أن الباري سبحانه

(١) شذرات الذهب: ٢٤٠/٤، وفيات الأعيان: ٢٣٨/٤، العبر: ٦١/٣.

البداية والنهاية: ٢٩٩/١٢، سير أعلام النبلاء: ٥٣٩/٢٠، تذكرة الحفاظ: ١٣٣٣/٤.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٣٦٠/٢٠، شذرات الذهب: ١٧٥/٤، العبر: ٢٥/٣، كشف الظنون: ٥٦/١.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٤١٣/٢١. وطبقات السبكي: ٣٤٨/٨.

(٤) طبقات الشافعية للاستبوي: ٢٠٧/١. وطبقات الشافعية للسبكي: ٢١٢/٤.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى: ٣٠٠/٤.

وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق، قال الله سبحانه وتعالى:
(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) «الشورى» .

وعلى هذا مضى سلف الأمة، وعلماء السنة، تلقوها جميعاً بالإيمان والقبول، وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل، ووكلوا العلم فيها إلى الله عز وجل، « اهـ ثم يذكر مدلولاً على ذلك أقوال السلف^(١) وقد جاءت شهادات العلماء الذين ترجموا له تؤكد ذلك:

قال ابن شهبة في طبقات الشافعية (٣١٠/١): (وكان ديناً، عالماً، عاملاً على طريقة السلف) .

وقال طاش كبرى زاده في مفتاح السعادة (١٠٢/٢): (كان ثبناً حجة، صحيح العقيدة في الدين) .

صفاته وثناء العلماء عليه:

لقد تحلّى الإمام البغوي، رحمه الله، بصفات ومزايا كان لها أكبر الأثر في تسميته بلقب « محي السنة، وإمام» . وغير ذلك من الصفات التي أثبتتها له كل من ترجم له. فهو إمام في كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله ﷺ، إمام في مذهبه الذي نشأ عليه، المذهب الشافعي، وذلك بحكم البيئة التي نشأ فيها، والعلماء الذين أخذ عنهم، إلا أنه لم يتعصب لإمامه، بل كان يتتبع الدليل، وينظر في أقوال العلماء وأدلتهم، وأخذ يدعو إلى الاعتصام بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ اللذين هما أصل الدين وملاكه، ومنهما يصدر كل أمر شرعي. وهذا هو حال العلماء، الذين نهضوا بهذا الدين على بصيرة من أمرهم.

قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء: (كان البغوي يلقب بمحي السنة، وبركن الدين، وكان سيداً، إماماً، عالماً علامة، زاهداً، قانعاً باليسير) .

وقال السيوطي في طبقات الحفاظ: (وبورك له في تصانيفه، لقصد الصالح، فإنه كان من العلماء الربانيين، ذا تعبد ونسك، وقناعة باليسير) .

وقال أيضاً في طبقات المفسرين: (كان إماماً في التفسير، إماماً في الحديث، إماماً في الفقه) .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: (وكان علامة زمانه، وكان ديناً ورعاً، زاهداً، عابداً، صالحاً) .

وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان: (الفقيه، الشافعي، المحدث، المفسر، كان بجزاً في العلوم) .

(١) انظر شرح السنة للمصنف ١٦٦/١ - ١٧١

آثاره:

لقد ترك الإمام البغوي علوماً مفيدة وكثيرة في التفسير والحديث، والفقهاء، كان لها الأثر النافع، والعظيم فيمن جاء بعده، وكانت مؤلفاته تتصف بموضوعاتها القيمة، وبكلماتها السهلة، وبطريقتها المفيدة يتحرى فيها الحق، والانقياد وراء الأدلة الصحيحة، فقد وقف وقفات مع كتاب الله مبتعداً فيها عن حشو الكلام، وآراء المتكلمين، مع تقيده بالمأثور عن رسول الله ﷺ في فهم النص القرآني، وبمنهج الصحابة الكرام في ذلك، كما أنه روى الحديث واعتنى بدراسته، وشرحه ومعرفة صحيحه من سقيمه، وقد صنف كتباً كثيرة نذكر منها:

١ - التهذيب: في فقه الإمام الشافعي، وهو كتاب مشهور متداول عند الشافعية، كما أنه تأليف مهذب مجرد من الأدلة غالباً، لخصه من تعليقه شيخه القاضي حسين وعدّل فيه زيادة وحذفاً، وكثيراً ما ينقل عنه الإمام النووي رحمه الله في كتابه «روضة الطالبين». وكتاب التهذيب يقع في أربعة مجلدات ضخمة يوجد منه المجلد الرابع في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم (٢٩٢) فقه شافعي يرجع تاريخ نسخه إلى سنة ٥٩٩هـ هذا ما أشار إليه محقق سير أعلام النبلاء ٤٤٠/١٩ .

٢ - معالم التنزيل: والمعروف بتفسير البغوي وقد تقدم الكلام عنه في مبحث منهج البغوي في التفسير إلا أننا نشير إلى أن هذا التفسير قد طبع عدة طبعات كانت الأولى عام (١٢٨٥)هـ طبعة حجرية أثبت على حاشيتها بعض التعليقات والتراجم وهي في أربعة أجزاء مجموعة في مجلد واحد. والثانية: المطبوعة على هامش تفسير ابن كثير في تسعة مجلدات طبعت بمطبعة المنار بمصر سنة (١٣٤٣)هـ.

والثالثة: النسخة المطبوعة على هامش (تفسير الخازن) في أربعة مجلدات. والرابعة: التي صدرت قريباً في أربعة مجلدات بتحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار. وجميع هذه الطبعات قد حوت من الأخطاء والتصحيقات، التي ظهرت خلال المقابلة مع النصوص المخطوطة، الشيء الكثير، مما حملنا على خدمة هذا التفسير العظيم.

٣ - شرح السنة: قال فيه مؤلفه في الجزء الأول ص ٢ - ٤: «فهذا كتاب في شرح السنة، يتضمن إن شاء الله سبحانه وتعالى كثيراً من علوم الأحاديث، وفوائد الأخبار المروية عن رسول الله ﷺ من حلّ مشكلها، وتفسير غريبها، وبيان أحكامها، يترتب عليها من الفقه واختلاف العلماء جُمَل لا يستغني عن معرفتها المرجوع إليه في الأحكام، المعول عليه في دين الإسلام.

ولم أودع هذا الكتاب من الأحاديث إلا ما اعتمده أئمة السلف الذين هم أهل الصنعة، المسلم لهم الأمر من أهل عصرهم، وما أودعوه كتبهم. فأما ما أعرضوا عنه من المقلوب، والموضوع، والمجهول وانفقوا

على تركه فقد صنت الكتاب عنه، وما لم أذكر أسانيدها من الأحاديث فأكثرها مسموعة، وعامتها في كتب الأئمة، غير أني تركت أسانيدها حذراً من الإطالة واعتماداً على نقل الأئمة» اهـ .

لقد جمع محي السنة في كتابه هذا بين الرواية والدراية، مما جعله من الكتب القيمة، بالإضافة إلى معرفته بأقوال الصحابة والتابعين والأئمة، والمجتهدين وقد قام بخدمة هذا الكتاب كل من الأستاذين شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش وقد صدر عن المكتب الإسلامي ببيروت في ١٦ مجلداً مع الفهارس .

٤ - مصابيح السنة: جمع فيه مؤلفه طائفة من الأحاديث، محذوفة الأسانيد، اعتمد على نقل الأئمة لها، وقسم أحاديث كل باب إلى صحاح وحسان وعنى بالصحاح ما أخرجه الشيخان، وبالْحسان ما أخرجه أصحاب السنن وما كان فيها من ضعيف أو غريب أشار إليه، وأعرض عن ذكر ما كان منكراً أو موضوعاً، وهو كتاب مشهور طبع أكثر من طبعة، واعتنى بشأنه العلماء بالقراءة والتعليق وعملوا عليه الكثير من الشروحات، من أهمها ما قام به الشيخ ولي الله أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب، حيث كمل المصاييح، وذيل أبوابه فذكر الصحابي الذي روى الحديث عنه، وذكر الكتاب الذي أخرجه منه، وزاد على كل باب من صحاحه وحسانه - إلا نادراً - فصلاً ثالثاً وسماه «مشكاة المصاييح» فصار كتاباً كاملاً^(١) .

وقد طبع هذا الأخير عدة طبعات، وكان آخرها التي قام بنشرها المكتب الإسلامي بتحقيق الأستاذ/ ناصر الدين الألباني في ثلاثة مجلدات وطبع أيضاً مصابيح السنة في أربعة مجلدات .

٥ - الأنوار في شمائل النبي المختار: أشار إلى ذلك صاحب كشف الظنون^(٢) والشيخ محمد بن جعفر الكتاني في كتاب الرسالة المستطرفة . رتبه على واحد ومائة باب على طريقة المحدثين بالأسانيد^(٣) .

٦ - الجمع بين الصحيحين: ذكره صاحب معجم المؤلفين^(٤) وبعض من ترجم له .

٧ - الأربعين حديثاً: ذكره ابن قاضي شعبة عن الذهبي .

٨ - مجموعة من الفتاوى: حوت فتاوى شيخه من المسائل الفقهية التي سئل عنها الإمام أبو علي الحسين بن محمد المروزي «صاحب التعليقة» فتبعتها البغوي وجمعها . توجد نسخة منها في دار الكتب الظاهرية بدمشق^(٥) .

(١) كشف الظنون ١٦٩٨/٢ .

(٢) كشف الظنون ١٩٥/١ .

(٣) الرسالة المستطرفة ص ١٠٥ .

(٤) ٦١/٤ .

(٥) انظر شرح السنة ٢٩/١ .

وفاته:

توفي رحمه الله بمرور الرّوذ . مدينة من حدائق خراسان في شوال سنة ستّ عشرة وخمس مائة للهجرة. ودفن بجانب شيخه القاضي حسين، وعاش بضعا وسبعين رحمه الله.

وصف النسخ

لقد حوت المكتبة الإسلامية الكثير من النسخ الخطية لهذا الكتاب القيم، وإن كانت تختلف في جودتها، ووضوحها، واستكمالها، وبعدها أو قربها من مؤلفها، وإليك بياناً ببعض تلك النسخ:

- ١ — نسخة «المكتبة الظاهرية» بدمشق حرسها الله وأعاد مجدها حصلنا عليها بواسطة الاستاذ الشيخ عبد القادر أرناؤوط، فجزاه الله خيراً، ورمزنا لها بالحرف (أ) وجعلناها أصلاً وهي نسخة كاملة، وواضحة الخط، وعليها بعض الحواشي، والتعليقات وافق الفراغ منها بالقدس الشريف في المدرسة الصلاحية يوم الثالث عشر من شوال، من شهور سنة خمس وعشرين وثمانمائة هجرية، وهي بخط سليمان بن أحمد بن سليمان الحدادي القرشي، الجزء الأول منها برقم خاص (٤٠) ورقم عام (٤١٣) تفسير، وعدد صفحاته (٢٢٣) ورقة من الفاتحة إلى آخر سورة الكهف، والجزء الثاني برقم خاص (٤١) ورقم عام (٤١٤) تفسير، وعدد صفحاتها (٢٠٥) ورقة من سورة مريم إلى الناس .
 - ٢ — نسخة «مكتبة الحرم المكي الشريف» برقم عام (٢٨٣) ورقم خاص (٢٥٧)، وهي نسخة واضحة ومتكاملة، ومتأخرة في النسخ عن نسخة الظاهرية ورمزنا لها بالحرف (ب) وتقع في مجلدين، وتنتهي بنهاية النصف الأول من القرآن الكريم، ولذا أكملنا النقص من نسخة أخرى في مكتبة الحرم أيضاً برقم (٧١٣) تفسير في مجلدين، والثاني منهما يقع في (٢٥٨) ورقة .
 - ٣ — وقد حوت المكتبة المركزية لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في مدينة الرياض العديد من النسخ الخطية بعضها مرمم والبعض الآخر ناقص.
- فالنسخة الأولى: برقم (١٦٩٦) أولها (بسم الله الرحمن الرحيم، قال الشيخ الإمام الأجل السيد ناصر الحديث ركن الدين أبو محمد الحسين).
- وجاء في نهايتها: (وقع الفراغ في تميم هذه النسخة في غرة شهر رمضان سنة ثمان واربعين ومائة بعد ألف) .
- عدد أوراقها ٥٠٤ .
- والثانية: برقم (٣٦٢٩) جاء في أولها: (بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن يا كريم، أخبرنا الشيخ الإمام عفيف الدين أبو علي الحسن بن ملجد بن إبراهيم المريدي رحمه الله قال:—

وآخرها: تفسير سورة التوبة عدد أوراقها: (٢٣٦) وهي مرممة ترميماً نتج عنه ضياع بعض الكلمات في بداية سورة الفاتحة ص ٩ - ١٠ - ١١ - ١٣ - ١٤ .
ويوجد عليها حواش وتعليقات .

والثالثة: رقمها (٣٧٨٢) عدد أوراقها (٢٠٨) تبدأ بسورة البقرة وسورة آل عمران وسورة النساء وآخر المخطوطة كتبت هذه العبارة (آخر الجزء الأول من معالم التنزيل، وكان الفراغ من نسخه يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى عفو ربه)

والرابعة: برقم (٣٦٢٧) الجزء الأول فقط عدد أوراقها (٢٩٨) وفي ورقة ٢٩٧ كتب عليها: (تم الربيع الأول بحمد الله وتوفيقه وكان الفراغ من كتاب (معالم التنزيل) بإذن الله الملك الجليل في يوم الجمعة قبل الظهر اثنين وعشرين يوماً خلا من شهر ربيع الأول سنة ألف ومائة وتسعة وعشرين سنة ١١٢٩ هـ .

هذا بالإضافة إلى العديد من النسخ الناقصة وقد اخترنا النسخة (أ) أصلاً، أي نسخة المكتبة الظاهرية وذلك لقربها من وفاة المؤلف وتتمامها ولوجود بعض الحواشي والتعليقات عليها واستعنا بعد عون الله تعالى وتوفيقه بالنسخة (ب) التي جعلناها في المرتبة الثانية وذلك لوضوحها وتتمامها وسبب اقتصارنا على النسختين (أ ، ب) وصرف النظر عن غيرهما هو التحرز من ضغط الهوامش بالاختلافات التي قد تؤدي إلى النفور والملل، لعدم فائدتها للقارئ والله الهادي إلى سواء السبيل .

بسم الله الرحمن الرحيم
والله اعلم
بما يخفى
والله اعلم
بما يخفى

بسم الله الرحمن الرحيم
والله اعلم
بما يخفى
والله اعلم
بما يخفى

بسم الله الرحمن الرحيم
والله اعلم
بما يخفى
والله اعلم
بما يخفى

الصحيحة الأولى مخطوطة الظاهرية والتي رمزنا لها بالحرف (أ)

قال ابن عباس علم الله عز وجل رسولاً
 صلى الله عليه وسلم لتؤتى على خلدته فامر به ان يفسر الي اذمي مثلكم الا اية حسنة
 بالوحي وان معنى الله به يوحى اليه انما الميكر له وهدى لشره
 في عبادته كصير اليه وقيل يا مل روية ربه وكرها يكون بمعنى الخوف والامل بيما قاله كساعده
 فلا قال ما ترجموا لخير كائن ولا فقه ما ترجموا لشر واقع

في جمع بين الكفيتين
 عبد كواحد بن واحد كليلي انا احد بن عبد الله التميمي انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
 حفيان بن سليمان بن كعب قال سمعت جندياً يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع
 الله به ومن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان اخوف ما اخاف
 عليكم شرك الاسد قالوا وما الشرك الاسد الا الرما واخبرنا احد بن عبد الله كصالح
 نا ابو جعفر محمد بن موسى بن عيسى بن ابي اسحاق محمد بن يعقوب الاصم نا ابن عبد الله
 بن عبد الحكم نا ابي شاذيب نا ابي عبد الله بن محمد بن يعقوب بن الحسين
 عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا افنا الشرك من شرك
 من علم ان لا شرك في غيري فانا بري هو بمنزلة عمله اخبرنا عبد بن عبد الله بن ابي بصير نا
 محمد بن محمد بن سمعان نا ابو جعفر محمد بن احمد بن عبد الله بن ابي اسحاق بن محمد بن محمد بن محمد نا
 حفص بن عمر نا هام بن قنانه عن سام بن ابي جعفر العظيمة عن سعد بن ابي
 طلحة عن ابي الدرداء يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل افنا
 من اورسورة الكهف اعصم من فتنة الدجال خبرنا عبد الواحد اللبكي نا
 ابو منصور رستم نا ابو جعفر الرمان نا احمد بن زنجويه نا ابراهيم
 نا ابن الهيثم نا عن زياد عن سهل بن وهب نا معاذ عن ابيه عن ابي
 سفيان نا عبد الله بن مسعود نا من قرء سورة الكهف واخذها كان
 له نور من قدمه وراسه ومن قرءها كان له نور
 من الارض الى السماء





سورة مريم عليها السلام نزلت بمكة وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل كف بعض قرا ابو عمرو بكسر الهمزة والياء صده ابن عامر وحمزة بكسر الهمزة والياء واو بكرة الباقون بعضهم اويظها للدال عند الدال من صاد ذكر ابن كثير ونافع وعاصم ويعقوب والباقرن بالادغام قال ابن عباس هو اسم من اسماء الله عز وجل وقال قتادة اسم من اسم القرآن وقيل اسم للشجرة وقيل هو اسم ابي عبد الله بن سويد بن جبير بن عبد بن عباس في قوله كف بعض قال الكاف من كرم وكبير واله من هاد والياء من رحيم والعين من علم وعظم والصاد من صادق وقال الكلبي معناه كاف لخلق هاد لعباده يده لفرق ايديهم عالم بربك صادق في وعده ذكر نافع بن ابي هريرة الذي سئل عنك ذكر رحمت ربك وفيه تقدم وتأخر معناه ذكر ربك عبده ذكر يا رحمته اذ نادى دعواته في محرابه نداء الخفياد عا سئل من فومه في خوف الليل قال بن ابي وهن العظم ضعف ورق العظم من الكبر قال قتادة اشكلى سقوط الاضراس واشتعلت الراس اشياء شتى ما وكم اكن يدعائك رب شفقتا بقولك عودتني الاجابة فيما مضى ولم تحببني وقيل معناه ما عودتني الى الايمان امنتك ولم اشفق بترك الايمان واخي خفت الموالج من وراي والوالي بنو العجم وقال

ابو ايمن بن ابي اسلم

بجاهد العمبة وقال ابو صالح الكلاله وقال الكلبي الورثة من وراي من بعد موبي نرا ابن

كثير من وراي بفتح اليا والآخرين باسكانها وكانت امر ابي عا قراي لائله فصب لي من لذنك وكذا اعطيت من عندك وليا ابنا برثني وبرت من ال يعقوب قد قرا ابو عمرو والكسائي مجزم النافهما على جواب الدعاء قرا الآخر بالرفع على الحال والصفة اي وليا وارثا واختلفوا في هذا البرث قال الحسن معناه برثني مالي وقوله وبرت من ال يعقوب البرث والمعجورة وقيل اراد اربث المعجورة لان زكريا كان راس الاحبار قال الزجاج والاولى ان يجعل على ميراث غيره المال لانه يبعد ان يشفق زكريا وهو نبي من الانبياء ان يرثه بنو عمه له والمعنى انه خاف تضيق بني عمه دين الله وتغيير احكامه على ما كان شاهده من بني اسرائيل من تبديل الدين وقتل الانبياء فسأل ربه ولذا صالحا يا منده على امته وبرت بنوته وعلمه لئلا يصيب الدين وهذا معنى قوله عطا عن ابن عباس واجعله رب رضيا اي بر الثقيام رضى قوله عز وجل يا زكريا انا نبشرك وفيه اختصار معناه فاستجاب الله دعاه فقال يا زكريا انا نبشرك بغلام بولد ذكر اسمك لم نجعل له من قبل سميا قال قتادة والكلبي لم يسم احد قبله يحيى وقال سعيد بن جبير عطا لم يجعل له شبيها او مثلا كما قال الله تعالى هل تعلم له سميا اي مثلا ومعنى انه لم يكن له مثل لانه لم يعص بوجهه عصية قط وقيل لانه لم يمتثل في امر النساء لانه كان سميا وخصورا قال علي بن ابي طالب من ابن عباس لم يمتثل

ولد ميراث البنين بالعموم

الحوافر مثله وقيل لم يرد الله به اجتماع الفضائل كلها يحيى انما اراد بعضها لان الخليل

وقال

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع اذنه فنفث فيها ذرات عود الله
 وقل عود برب الفلق وقل عود برب الناس ثم ينام استطاع من جنته من راسه
 وجهه وما قبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات انا ابو الحسن المبرق انا ابراهيم بن احمد انا
 ابواسحق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة ان النبي صلى الله
 عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على راسه بالمعوذات فلما اشتد وجعه كنت اقرء عليه وامسح عنده
 بيده رجاء بركتها اخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاسمي وابو حامد احمد بن عبد الله الصالح قال ابو
 احمد بن الحسن الخيري انا محمد بن احمد بن معقل المديني انا محمد بن يحيى انا عبد الرزاق انا معمر بن الزهري
 عن سالم بن ابن عمر بن عبد الله عن ابي ثاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا احسد الا اثنين رجل انا
 الله ملا فهو نيفقه انا ابي الليث وطارق الفار ورجل اتا الله القرآن فهو يقوم به انا الليث والنهار
 اخبرنا عبد الواحد بن احمد الملقب انا احمد بن عبد الله النعمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل ابراهيم بن حمزة
 حدثني بن ابي حازم عن يزيد بن عيسى بن الهادي عن محمد بن ابراهيم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة
 رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما اذن الله شي ما اذن الله لبي حسن الصوت
 يتغنى بالقران يحسن به والله عز وجل سبحانه اعلم

هذا هو كتاب
 كتاب الله تعالى
 والحمد لله رب العالمين

هذا هو كتاب
 كتاب الله تعالى
 والحمد لله رب العالمين
 كتاب الله تعالى
 والحمد لله رب العالمين
 كتاب الله تعالى
 والحمد لله رب العالمين



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام الأجل السيد محيي السنة، ناصر الدين، مفتي الشرق والغرب، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء رضي الله عنه وعن والديه:

الحمد لله ذي العظمة والكبرياء، والعزة والبقاء، والرفعة والعلاء، والمجد والثناء تعالى عن الأنداد والشركاء، وتقدس عن الأمثال والنظراء، والصلاة على نبيه وصفيه محمد خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء، عدد ذرات الثرى، ونجوم السماء، والحمد لله الملك السلام، المؤمن المهيمن العالم، شارح الأحكام، ذي الجلال والإكرام الذي أكرمنا بدين الإسلام ومنّ علينا بنبينا محمد عليه التحية والسلام، وأنعم علينا بكتابه المفرق بين الحلال والحرام، والصلاة [والسلام]^(٥) على حبيبه، وخيرته من خلقه محمد سيد الأنام، عدد ساعات الليالي والأيام، وعلى آله وأصحابه نجوم الظلام، وعلى جميع الأنبياء والملائكة البررة الكرام.

أما بعد:

فإن الله جل ذكره أرسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين، وبشيراً للمؤمنين، ونذيراً للمخالفين، أكمل به بنيان النبوة، وختم به ديوان الرسالة، وأتم به مكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، وأنزل عليه بفضل نورا هدى به من الضلالة، وأنقذ به من الجهالة، وحكم بالفلاح لمن تبعه، وبالخسارة لمن أعرض عنه بعد ما سمعه أعجز الخليفة عن معارضته وعن الإتيان بسورة من مثله في مقابله، وسهل على الخلق مع إعجازه تلاوته، ويسر على الألسن قراءته، أمر فيه وزجر، وبشر وأنذر وذكر المواعظ ليُتذكر، وقص عن أحوال الماضين ليُعتبر، وضرب فيه الأمثال ليُتدبر، ودل على آيات التوحيد ليُتفكر، ولا حصول لهذه المقاصد فيه إلا بدراية تفسيره وأعلامه، ومعرفة أسباب نزوله وأحكامه، والوقوف على ناسخه ومنسوخه، وخاصه وعامه، ثم هو كلام معجز وجر عميق، لا نهاية لأسرار علومه، ولا درك لحقائق معانيه، وقد ألف أئمة السلف في أنواع علومه كتباً، كل على قدر فهمه، ومبلغ علمه، (نظراً للخلف)^(١)، فشكر الله تعالى سعيهم ورحم كآفتهم.

(١) ساقطة من (ب).

(٥) ساقط من (أ).

فسألني جماعة من أصحابي المخلصين، وعلى اقتباس العلم مقبلين: كتاباً في معالم التنزيل وتفسيره، فأجبتهم إليه، معتمداً على فضل الله تعالى وتيسيره، ممثلاً وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فيما يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن رجلاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً»^(١).

واقْتداءً بالماضين من السلف في تدوين العلم إبقاءً على الخلف، وليس على ما فعلوه مزيد ولكن لا بد في كل زمان من تجديد ما طال به العهد، وقَصْرُ للطالبيين فيه الجد والجهد تنبيهاً للمتوقفين وتحريضاً للمتشبطين.

ب/١ فجمعت - بعون الله تعالى وحسن توفيقه - فيما سألوا كتاباً وسطاً بين الطويل الممل،/ والقصير المخل، أرجو أن يكون مفيداً لمن أقبل على تحصيله مريداً.

وما نقلت فيه من التفسير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، حبر هذه الأمة، ومن بعده من التابعين، وأئمة السلف، مثل: مجاهد، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وقتاده، وأبي العالية، ومحمد بن كعب القرظي، وزيد بن أسلم، والكلبي، والضحاك، ومقاتل بن حيان، ومقاتل بن سليمان، والسُّدِّي، وغيرهم فأكثرها مما أخبرنا به الشيخ أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي الخوارزمي، فيما قرأته عليه عن الأستاذ أبي اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي عن شيوخه رحمهم الله.

أما تفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ترجمان القرآن الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم علمه الكتاب»^(٢) وقال: «اللهم فقهه في الدين»^(٣) قال أبو اسحاق: أخبرنا أبو محمد ابن عبد الله بن حامد أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدوس الطرائفي ثنا عثمان بن سعيد الدارمي ثنا عبد الله بن صالح أن معاوية بن صالح حدثه عن علي بن أبي طلحة الوالبي عن عبد الله بن عباس. وقال: أنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب ثنا عبد الله بن محمد الثقفي أنا أبو جعفر محمد بن نصرويه المازني أنا محمد بن سعيد بن محمد بن الحسن بن عطيه بن سعد العوفي قال حدثني عمي الحسين بن

(١) أخرجه الترمذي: في العلم - باب ما جاء في الأيضاء بمن يطلب العلم: ٤٠٩/٧ - ٤١٠ وقال هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث أبي هارون العبيدي، وأبو هارون العبيدي اسمه (عمارة بن جُوَيْن) متروك ومتهم بالكذب، شيعي من الرابعة. الجرح والتعديل ٣٦٣/٦. الميزان ١٧٣/٣. تهذيب التهذيب ٢٦٢/٧ الضعفاء والمتروكين ص ١٩٢ تقريب التهذيب. لسان الميزان ٣٢١/٧ وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب الوصاة بطلب العلم: ٩١/١ - ٩٢، وأخرجه أيضاً عن أبي هريرة وفيه: المعلى بن هلال، كذبه أحمد وابن معين وغيرهما، ونسبه إلى الوضع غير واحد. انظر الجرح والتعديل ٣٣١/٨. المغني ٦٧١/٢. الميزان ١٥٢/٤. التقريب. تهذيب التهذيب ٢٤٠/١٠. لسان الميزان ٣٩٤/٧.

(٢) أخرجه البخاري: في العلم - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم علمه الكتاب) ١٦٩/١.

(٣) أخرجه البخاري: في الوضوء - باب: وضع الماء عند الخلاء ٢٤٤/١. ومسلم: في فضائل الصحابة - باب: فضل عبد الله بن عباس برقم (٢٤٧٧) ١٩٢٧/٤.

الحسن بن عطيه حدثني أبي عن جدي عطيه عن ابن عباس. وقال الثعلبي ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن النيسابوري أنا أحمد بن محمد إبراهيم الصرمي المروزي أنا أبو العباس أحمد بن الخضر الصيرفي، أنا أبو داود سليمان بن معبد السنجي^(١) أنا علي بن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس.

وأما تفسير مجاهد بن جبر المكي قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني قال أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بطة^(٢) ثنا عبد الله بن محمد بن زكريا ثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي^(٣) ثنا مسلم بن خالد الزنجي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وأما تفسير عطاء بن أبي رباح قال: ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حسن النيسابوري ثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن ياسين بن الجراح الطبري أنا أبو محمد بن بكر بن سهل الدمياطي ثنا عبد الغني ابن سعيد الثقفي عن أبي محمد موسى بن عبد الرحمن الصنعاني عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح.

وأما تفسير الحسن البصري قال: حدثني أبو القاسم الحسن بن محمد بن عبد الله بن المكتب حدثني أبو الحسن محمد بن أحمد بن الصلت المعروف بابن شنبوذ المقرئ/ثنا سعيد بن محمد ثنا المستهل بن واصل عن أبي صالح عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن أبي الحسن البصري.

وأما تفسير قتادة قال: أنا أبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني^(٤) أنا أبو علي حامد بن محمد بن الهروي ثنا أبو يعقوب إسحاق بن الحسن بن ميمون الحرابي ثنا أبو أحمد الحسين بن محمد المروزي ثنا شيبان بن عبد الرحمن النحوي عن قتادة وقال ثنا أبو القاسم الحسيني^(٥) أنا أبو زكريا العنبري ثنا جعفر ابن محمد بن سوار أنا محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بن دعامة السدوسي.

وأما تفسير أبي العالية واسمه رُفيع بن مهران قال: ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر أنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن منصور العمركي بَسْرَحْس^(٦) ثنا أبو الحسن أحمد بن اسحاق بن إبراهيم بن [يزيد]^(٧) [البصري]^(٨) أنا أبو علي الحسن بن موسى الأزدي عن عمار بن الحسن بن بشير الهمداني

(١) في نسخه (أ) سليمان بن سعيد.

(٢) في نسخه (أ) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر.

(٣) في نسخه (ب) الأزوي.

(٤) في (ب) الأصبهاني.

(٥) في (أ) الحسيني.

(٦) بَسْرَحْس: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح الحاء المعجمة، وآخره سين مهملة، ويقال بَسْرَحْس، بالتحريك، والأول أكثر: مدينة قديمة من

نواحي خراسان كبيرة واسعة، وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق.

(٧) في ب: مزيد.

(٨) زيادة من (ب).

عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي.

وأما تفسير القرظي: قال: ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب ثنا أبو العباس محمد بن الحسن الهروي ثنا رجاء بن عبد الله أنا مالك بن سليمان الهروي عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي.

وأما تفسير زيد بن أسلم قال: أنا الحسن بن محمد بن الحسن قال كتب إلي أحمد بن كامل ابن خلف أن محمد بن جزيير الطبري حدثهم قال: ثنا يونس بن عبد الأعلى الصديقي أنا عبد الله بن وهب أخبرني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه.

وأما تفسير الكلبي: فقد قرأت بمرور على الشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسن المروزي في شهر رمضان سنة أربع وستين وأربعمائة قال: أنا أبو مسعود محمد بن أحمد بن محمد بن يونس الخطيب الكشميهني في محرم سنة خمسين وأربعمائة قال أنا أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن معروف [الهَرْمُزِيُّ قَرَاهِي] ^(١) ثنا محمد بن علي الأنصاري المفسر ثنا علي بن اسحاق وصالح بن محمد السمرقندي قالوا: ثنا محمد بن مروان السدي عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح ^(٢) أنا باذان مولى أم هانئ عن ابن عباس.

وأما تفسير الضحاك بن مزاحم الهذلي ^(٣) قال: أنا الأستاذ إسحاق الثعلبي ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد السدوسي ثنا أبو عمر أحمد بن محمد العمركي بسرخس ثنا جعفر بن محمد بن سوار ثنا أحمد بن محمد بن جميل المروزي ثنا أبو معاذ عن عبيد الله ^(٤) بن سليمان الباهلي عن الضحاك.

وأما تفسير مقاتل بن حيان قال: أنا عبد الله بن حامد الوزائي ثنا أحمد بن محمد بن عبدوس ثنا إسماعيل بن قتيبة ثنا أبو خالد يزيد بن صالح الفراء النيسابوري حدثنا [بكير بن معروف البلخي الأسدي] ^(٥) أبو معاذ / عن مقاتل بن حيان. ب/٢

وأما تفسير مقاتل بن سليمان قال: أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن محمد المهرجاني أنا أبو محمد عبد الخالق بن الحسين بن محمد السقطي المعروف بابن أبي روبة ثنا عبد الله بن ثابت بن يعقوب المَقْرِي أبو محمد قال: حدثني أبي حدثني الهذيل بن حبيب أبو صالح [الدندان] ^(٦) عن مقاتل بن سليمان.

(١) في الأصل الأهرمزوري، وفي (ب) الهرمزي. والتصويب من اللباب ٣/٣٨٥.

(٢) في ب: عن أبي نصر عن أبي صالح.

(٣) في ب: الهلالي.

(٤) في ب: عبيد بن سليمان.

(٥) في الأصل: بكر ... الأزدي. والتصويب من التهذيب.

(٦) في الأصل، الديداني، وفي المطبوع (حاشية ابن كثير) الزيداني والتصويب من اللباب ١/٥١٠.

وأما تفسير السدي قال: ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن أنا أبو الطيب محمد بن عبد الله ابن مبارك الشعيري ثنا أحمد بن محمد بن نصر اللباد ثنا عمرو بن طلحة القناد عن اسباط عن اسماعيل السدي. وما نقلته عن المبتدأ لوهب بن منبه وعن المغازي لمحمد بن اسحاق أبو شعيب فأخبرني أبو سعيد الشريحي قال: أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي قال: أنبأني أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن اسحاق بن الأزهر أنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن البراء العبدي قال: قرأت على أبي عبد الله عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب بن منبه. وأنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف المعقلي ثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي أنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق بن يسار المدني وأنا أبو سعيد الشريحي قال: أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن عقيل الأنصاري أنا أبو الحسن علي بن الفضل الخزاعي أنا أبو شعيب بن عبد الله بن الحسين الحراني أنا النفيلي أنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق.

فهذه أسانيد أكثر ما نقلته عن هؤلاء الأئمة وهي مسموعة من طرق سواها تركت ذكرها حذراً من الإطالة وربما حكيت عنهم وعن غيرهم من الصحابة أو التابعين قولاً سمعته بغير هذه الأسانيد بل أذكر أسانيد بعضها في موضعه من الكتاب إن شاء الله تعالى.

ثم إن الناس كما أنهم متعبدون باتباع أحكام القرآن وحفظ حدوده. فهم متعبدون بتلاوته، وحفظ حروفه على سنن خط المصحف الإمام الذي اتفقت عليه الصحابة، وأن لا يجاوزوا فيما يوافق الخط عما قرأ به القراء المعروفون الذين خلفوا الصحابة والتابعين، واتفقت الأئمة على اختيارهم.

وقد ذكرت في الكتاب قراءات من اشتهر منهم بالقراءة، واختياراتهم على ما قرأته على الإمام أبي نصر محمد بن أحمد بن علي المروزي رحمه الله تلاوة ورواية قال: قرأت على أبي القاسم طاهر بن علي الصيرفي قال: قرأت على أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران بإسناده المذكور في كتابه المعروف بكتاب الغاية^(١) وهم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، وأبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن المدنيان، وأبو معبد عبد الله بن كثير الداري المكي، وأبو عمران عبد الله بن عامر الشامي، وأبو عمرو زيان بن العلاء المازني، وأبو محمد يعقوب بن اسحاق الحضرمي البصريان، وأبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي، وأبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات، وأبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفيون فأما أبو جعفر فإنه أخذ القراءة عن عبد الله بن عباس وأبي هريرة وغيرهما وهم قرأوا على أبي بن كعب، وأما نافع فإنه قرأ على أبي جعفر القاريء وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وشيبه بن نصاح وغيرهم من التابعين الذين قرأوا

(١) الغاية في القراءات العشر مخطوط في جامعة الرياض مصور عن عارف حكمت ٢٠ ورقة (الأعلام ١/١١٥).

على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقال الأعرج قرأت على أبي هريرة، وقرأ أبو هريرة على أبي بن كعب.

وأما عبد الله بن كثير فإنه قرأ على مجاهد بن جبر وقرأ مجاهد على ابن عباس، وقرأ ابن عباس على أبي كعب، وقرأ أبي بن كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[وأما أبو عمرو فإنه قرأ على مجاهد وسعيد بن جبير، وهما قرآ على ابن عباس وقرأ ابن عباس على أبي كعب وقرأ أبي بن كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم]^(١) وأما عبد الله بن عامر فإنه قرأ على المغيرة بن شهاب المخزومي، وقرأ المغيرة على عثمان بن عفان.

• وأما عاصم فإنه قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وقرأ أبو عبد الرحمن على علي بن أبي طالب قال عاصم: وكنت أرجع من عند أبي عبد الرحمن فأقرأ على زر بن حبيش، وكان زر قد قرأ على عبد الله بن مسعود.

وأما حمزة فإنه قرأ على عبد الرحمن بن أبي ليلى، وسليمان الأعمش، وحرمان بن أعين وغيرهم. وقرأ عبد الرحمن بن أبي ليلى على جماعة من أصحاب علي، وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب، وقرأ يحيى على جماعة من أصحاب عبد الله، وقرأ حرمان على أبي الأسود الدؤلي وقرأ أبو الأسود الدؤلي على عثمان وعلي. وأما الكسائي فإنه قرأ على حمزة، وأما يعقوب فإنه قرأ على أبي المنذر سلام بن سليمان الخراساني، وقرأ سلام على عاصم.

فذكرت قراءات هؤلاء للاتفاق على جواز القراءة بها، وما ذكرت من أحاديث رسول الله ﷺ في أثناء الكتاب على وفاق آية، أو بيان حكم فإن الكتاب يطلب بيانه من السنة، وعليهما مدار الشرع وأمور الدين فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث، وأعرضت عن ذكر المناكير، ومالا يليق بحال التفسير، فأرجو أن يكون مباركاً على من أراده وبالله التوفيق.

(فصل في فضائل القرآن وتعليمه)

أنا عبد الواحد المليحي، أنا [أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح]^(٢) أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجعد أنا شعبة عن علقمة بن مرثد قال: سمعت سعد بن

(١) ساقط من المطبوع حاشية ابن كثير.
(٢) في الأصل (أ): أبو عبد الرحمن بن أبي شريح.

(عبيدة)^(١) يحدث عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان قال شعبة: قلت: عن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» هذا حديث صحيح أخرجه البخاري عن الحجاج بن منهل عن شعبة^(٢).

أنا أبو بكر بن محمد بن عبد الصمد الترابي/ أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حموية السرخسي ٣/أ
أنا أبو اسحاق إبراهيم بن خزيم الشاشي، أنا أبو محمد عبد الله بن حميد الشاشي ثنا حسين بن علي الجعفي قال: سمعت حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الأعور عن الحارث الأعور قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم قال: أما إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ألا إنها ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ولا تشيع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمننا به، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم» خذها إليك يا أعور^(٣). قال أبو عيسى: هذا (الحديث) لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول، والحارث فيه مقال.

أنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان السمعاني أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا إسحاق بن عيسى قال: سمعت ابن لهيعة يقول: ثنا مشرَح بن (هاغان)^(٤) قال: سمعت عقبة بن عامر يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم

(١) في الأصل (أ): عبيدة.

(٢) أخرجه البخاري: في فضائل القرآن — باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه: ٧٤/٩ وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٢٧/٤ — ٤٢٨.

(٣) أخرجه الترمذي: في فضائل القرآن — باب ما جاء في فضل القرآن (٢١٨/٨ — ٢٢١) وقال هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال إذ كذبه الشعبي في رأيه، ورمي بالرفض وفي حديثه ضعف (التقريب)، وأخرجه الطبراني مختصراً، قال الهيثمي: وفيه عمرو بن واقد وهو متروك. مجمع الزوائد ١٦٥/٧. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٣٨/٤.

(٤) في الأصل: هامان، والتصويب من التهذيب وشرح السنة، وفي سنن الدارمي: عاهان.

يقول: «لو كان هذا القرآن في إهاب ما مسته النار»^(١) قيل معناه من حمل القرآن وقراه لم تمسه النار يوم القيامة.

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا جعفر ابن عون أنا إبراهيم بن مسلم عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال: «إن هذا القرآن مآدبة الله فتعلموا من مآدبته ما استطعتم إن»^(٢) هذا القرآن جبل الله والنور المبين والشفاء النافع وعصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يزيغ فيستعجب ولا يعوج فيقوم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد فأتلوه فإن الله عز وجل يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات أما إنني لا أقول ألم ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف»^(٣) ورواه بعضهم عن ابن مسعود مرفوعاً.

أنا أبو جعفر أحمد بن أبي أحمد بن متويه أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد بن علي الحسيني الحراني فيما كتب إليّ أنا أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري ثنا أبو الفضل جعفر بن محمد ابن الصندلي ثنا الحسن بن محمد الزعفراني ثنا علي بن عاصم عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بمعناه.

أنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ثنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن بأموية الأصبهاني أنا أبو محمد عبد الرحمن بن يحيى القاضي الزهري بمكة أنا محمد بن اسماعيل بن سالم الصائغ أنا سليمان بن داود الهاشمي ثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب الزهري عن عامر بن وأئمة أبي الطفيل أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعُسْفَانَ — وكان عمر استعمله على مكة — فقال له عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أزي قال: ومن ابن أزي؟ قال: مولى من مواليها قال عمر: فاستخلفت عليهم مولى؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنه رجل قارىء للقرآن عالم بالفرائض قاض فقال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى يرفع بالقرآن

(١) رواه أحمد: ١٥١/٤، ١٥٥ عن عقبة بن عامر والدارمي: ٤٣٠/٢ وفي سننه عبد الله بن لهيعة صدوق خلط بعد احتراق كتبه (التقريب) وله شاهد عند الطبراني من حديث عصمة بن مالك وفيه الفضل بن المختار وهو ضعيف. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٣٦/٤.

قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني وأبو يعلى، وفيه ابن لهيعة، وفيه خلاف: ١٥٨/٧ وعن سهل بن سعد: لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار» قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه عبد الوهاب بن الضحاك وهو متروك. وفسر بعض رواة أبي يعلى الحديث بأن من جمع القرآن ثم دخل النار فهو شر من الخنزير.

(٢) زيادة في نسخة (ب).

(٣) أخرجه الحاكم: ٥٥٥/١ وقال: تفرد به صالح بن عمر عن عبد الله بن مسعود، وهو صحيح، وتعقبه الذهبي بأن صالحاً ثقة خرج له مسلم، لكن إبراهيم بن مسلم ضعيف. انظر: فيض القدير: ٥٤٦/١. الجرح والتعديل ١٣١/٢. تهذيب الكمال ٢٠٣/٢. الميزان ٦٥/١. التقريب. تهذيب التهذيب ١٦٤/١. الضعفاء والمتروكين ص ٤٠.

أقواماً ويضع به آخرين»^(١) صحيح أخرجه مسلم عن زهير بن حرب.

أنا أبو بكر بن محمد عبد الصمد الترابي المعروف بابن أبي الهيثم أنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا اسحاق بن إبراهيم الحنظلي أنا جرير يعني ابن عبد الحميد عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الحרב»^(٢) قال أبو عيسى هذا حديث صحيح.

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه أنا أبو أيوب الدمشقي ثنا سعدان بن يحيى ثنا عبد الله بن أبي حميد عن أبي الحكم المليح الهذلي عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الانجيل المثين، وأعطيت مكان الزبور المثاني، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي، وأعطاني ربي المفصل نافلة»^(٣) غريب.

فصل في فضائل تلاوة القرآن

أنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شرح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجعد أنا شعبة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل الماهر بالقرآن مثل السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران»^(٤) صحيح. وقال هشام الدستوائي عن قتادة بهذا الإسناد: «الذي يقرأ القرآن

(١) رواه مسلم: في صلاة المسافرين — باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه برقم (٨١٧) ٥٥٩/١.

والمصنف في شرح السنة: ٤٤٢/٤.

(٢) رواه الترمذي: في فضائل القرآن — باب (رقم ١٨) ٢٣١/٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح وأحمد: ٢٢٣/١ عن ابن عباس والدارمي: في فضائل القرآن — باب: فضل من قرأ القرآن ٤٢٩/٢ وأخرجه الحاكم: وقال: صحيح الاسناد: ٥٥٤/١ وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان فيه لين (التقريب) والمصنف في شرح السنة: ٤٤٣/٤.

(٣) قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني عن واثلة بن الأسقع بنحوه (مجمع الزوائد: ١٥٨/٧) وقال ابن كثير: هذا حديث غريب وسعيد بن بشر فيه لين.

وعن أبي أمامة: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعطاني ربي السبع الطوال مكان التوراة» رواه الطبراني وفيه ليث بن أبي سليم ضعفه أحمد والنسائي ويحيى وقال ابن حبان: اختلط في آخر عمره (الميزان والتقريب). وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) رواه البخاري: في التفسير — تفسير سورة عيس: ٦٩١/٨.

ومسلم: في صلاة المسافرين — باب: فضل الماهر بالقرآن ... برقم (٧٩٨) ٥٥٠/١.

والمصنف في شرح السنة: ٤٢٩/٤.

وهو ماهر مع السفارة الكرام البررة»

أنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة ثنا أبو علي الحسين بن الفضل البجلي ثنا عفان ثنا أبان بن يزيد ثنا قتادة عن أنس عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأثرجة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ریح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ریحها طيب ولا طعم لها، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ریح لها»^(١) صحيح أخرجه البخاري عن قتيبة عن أبي عوانة عن قتادة.

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عاصم، يعنى ابن بهدلة، عن زر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن اقرأ: وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها»^(٢) قال أبو عيسى هذا حديث صحيح حسن.

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه، ثنا النضر بن شميل ثنا هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام عن أبي أمامة أنه حدثه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شافعاً لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف تُحاجَّان عن صاحبهما اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة»^(٣) صحيح.

أنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا بشير بن مهاجر الغنوي/ثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعته يقول: «اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة، ثم سكت

ب/٣

(١) رواه البخاري: في فضائل القرآن — باب: فضل القرآن على سائر الكلام: ٦٥/٩ — ٦٦.

ومسلم: في صلاة المسافرين — باب: فضل الماهر بالقرآن برقم (٧٩٧) ٥٤٩/١.

والمصنف في شرح السنة: ٤٣١/٤ — ٤٣٢.

(٢) رواه أبو داود: في الصلاة — باب: كيف يستحب الترتيل في القراءة ١٣٦/٢. والترمذي: في ثواب القرآن — باب: الذي ليس في

جوفه قرآن: ٢٣٢/٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح وأحمد: ١٩٢/٢ عن عبد الله بن عمر.

وابن حبان: في موارد الظمان برقم (١٧٩٠) ص ٤٤٢/٤٤٣.

والحاكم: ٥٥٢/١ — ٥٥٣ وقال: صحيح ووافقه الذهبي، والمصنف في شرح السنة: ٤٣٥/٤.

(٣) رواه مسلم: في صلاة المسافرين — باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة برقم (٨٠٤) ٥٥٣/١.

والمصنف في شرح السنة: ٤٥٦/٤ — ٤٥٧.

ساعة ثم قال: تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، وإنهما تُظَلَّان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يأتي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني فيقول: ما أعرفك فيقول: أنا صاحبك القرآن أظمأتك بالهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء كل تجارة فيعطى الملك يمينه، والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حُلَّتَيْن لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال لهما: بأخذ ولدك القرآن ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعودها مادام يقرأ، هذا كان أو ترتيباً»^(١) غريب.

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو أيوب الدمشقي ثنا إسماعيل بن عياش ثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كتبت له حسنة مضاعفة ومن قرأ آية من كتاب الله كانت له نوراً يوم القيامة»^(٢).

أخبرنا الإمام أبو علي حسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر (محمد)^(٣) بن محمد بن محمش الزياتي أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر ثنا إبراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي أنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خَلَفَاتٍ^(٤) عِظَامِ سَمَانٍ؟ قلنا نعم قال: فثلاث آيات يقرؤهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خَلَفَاتِ سَمَانٍ»^(٥) صحيح.

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو الأسود ثنا ابن لهيعة عن زيان هو ابن فايد عن سهل، هو ابن معاذ الجهني، عن أبيه رضي الله عنه عن

(١) رواه أحمد: ٣٤٨/٥ عن عبد الله بن بريدة عن أبيه.

والمصنف في شرح السنة ٤٥٤/٤ وقال: هذا حديث حسن غريب. وأورده ابن كثير في التفسير ٣٤/١ وقال: وروى ابن حبان بعضه، وهذا إسناد حسن على شرط مسلم، فإن بشيراً أخرج له مسلم ووثقه ابن معين وقال النسائي: ما به بأس، إلا أن الإمام أحمد قال: هو منكر الحديث.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: روى ابن حبان منه طرفاً، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ١٥٩/١.

(٢) رواه أحمد: ٣٤١/٢ عن أبي هريرة، قال الحافظ العراقي: وفيه ضعف وانقطاع، وقال تلميذه الهيثمي: فيه عباد بن مسرة، ضعفه أحمد وغيره، ووثقه ابن معين مرة وضعفه أخرى، ووثقه ابن حبان، انظر: فيض القدير: ٥٩/٦، مجمع الزوائد: ١٦٢/٧ الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ١٧٣.

(٣) في ب: أحمد وهو خطأ، انظر: اللباب: ٨٤/٢.

(٤) الخوامل من الإبل إلى أن يمضي عليها نصف أمدها. ثم هي عشار، والواحدة خَلْفَةٌ وعشراء.

(٥) رواه مسلم: صلاة المسافرين — باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه برقم (٨٠٢) ٥٥٢/١.

والمصنف في شرح السنة: ٤٣٤/٤.

النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ القرآن فأحكمه وعمل بما فيه ألبس والداه يوم القيامة تاجاً ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيت من بيوت الدنيا لو كانت فيه، فما ظنكم بالذي عمل به»^(١).

أنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا محمد بن عبد الله الصفار ثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي ثنا أبو حذيفة ثنا سفیان الثوري عن الأعمش عن خيثمة عن رجل أن عمران بن حصين مر على رجل يقرأ على قوم فلما قرأ سأله فقال عمران: إنا لله وإنا إليه راجعون، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ القرآن فليسأل الله عز وجل به فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون الناس به»^(٢) رواه أبو عيسى عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد عن سفیان عن الأعمش عن خيثمة عن الحسن بن عمران بن حصين رضي الله عنه قال. وقال محمد بن اسماعيل هو خيثمة البصري الذي روى عنه جابر الجعفي وليس هو خيثمة بن عبد الرحمن.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤٤٠/٣ عن معاذ بن أنس الجهني وأبو داود في الوتر، باب في ثواب قراءة القرآن: ١٣٣/٢. والحاكم: ٥٦٧/١، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، فاعترض الذهبي بقوله: «قلت: زبآن ليس بالقوى». وقال المنذري في مختصر السنن: سهل بن معاذ ضعيف، ورواه عنه زبآن بن فايد وهو ضعيف أيضاً ورواه الآجري في أخلاق أهل القرآن برقم (٢٢) ص ٨١. وانظر تعليق المحقق عليه.

(٢) رواه الترمذي في ثواب القرآن — باب رقم (٢٠) ٢٣٥/٨، وقال: هذا حديث حسن، وخيثمة شيخ بصري يكنى: أبو نصر، قد روى عن أنس بن مالك أحاديث.

وأحمد: ٤٣٢/٤، عن عمران بن حصين.

والمصنف في شرح السنة: ٤٤٢/٤، ونقل تحسين الترمذي له.

(فصل في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم)

أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي أنا أبو اسحاق إبراهيم بن خزيمة الشاشي ثنا أبو محمد عبد بن حميد ثنا عبد الرزاق أنا الثوري عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»^(١).

أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه أنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن البصري ثنا أبو الفضل العباس بن محمد الدوري أخبرنا يحيى بن حماد ثنا أبو عوانه عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»^(٢).

أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي حدثنا عبد الله بن أحمد بن حمويه أنا إبراهيم بن خزيمة أنا عبد بن حميد ثنا حبان بن هلال ثنا سهيل أخو حزم القطيعي، ثنا أبو عمران (الجوني)^(٣) عن جندب ابن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»^(٤) غريب.

(١) رواه الترمذي في أبواب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه؛ ٢٧٧/٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وعزاه المناوي لأبي داود والنسائي في الفضائل، ولعله في الكبرى، ورواه ابن جرير عن ابن عباس موقوفاً؛ ٧٨/١، تحقيق شاكر. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٥٨/١.

وفيه عبد الأعلى بن عامر الثعلبي، الكوفي، صدوق بهم، من السادسة. ضعفه أحمد وأبو زرعة وقال النسائي: ليس بذاك القوي. انظر الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ١٦٥، وميزان الاعتدال ٥٣٠/٢، الجرح والتعديل ٢٥/٦، تقريب التهذيب، مهذب التهذيب ٩٤/٦ وغيرها. (٢) أخرجه أحمد: ٢٦٩/١ عن ابن عباس.

والترمذي في التفسير — باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه؛ ٢٧٧/٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح. والطبري برقم (٧٣ — ٧٧) وقال الشيخ شاكر: تدور هذه الأحاديث كلها على عبد الأعلى بن عامر الثعلبي، وقد تكلموا فيه كما سبق.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٥٧/١، وقال: هذا حديث حسن.

(٣) في الأصل الجوفي.

(٤) رواه أبو داود في العلم، باب: الكلام في كتاب الله بغير علم؛ ٢٤٩/٥، والترمذي في التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه؛ ٢٧٩/٨، وقال: هذا حديث غريب.

وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى «وفاكهة وأباً» (٣١ - عبس) فقال: وأي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة قال حماد: قلت لأيوب: ما معنى قول أبي الدرداء رضي الله عنه؟ فجعل يتفكر فقلت: هو أن ترى له وجوهاً فتهاب الإقدام عليه فقال: هو ذاك، هو ذاك.

قال شيخنا الإمام رحمه الله: قد جاء الوعيد في حق من قال في القرآن برأيه وذلك فيمن قال من قبل نفسه شيئاً من غير علم. فأما التأويل - وهو صرف الآية إلى معنى محتمل موافق لما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط - فقد رخص فيه لأهل العلم.

أما التفسير: وهو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها، فلا يجوز إلا بالسمع بعد ثبوته من طريق النقل.

وأصل التفسير من التفسرة وهي: الدليل من الماء الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض، كذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها.

واشتقاق التأويل من الأول وهو الرجوع يقال: أولته قال أي: صرفته فانصرف.

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترابي أنا الحاكم أبو الفضل الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى أنا اسحاق بن ابراهيم الحنظلي ثنا جرير بن عبد الحميد عن المغيرة عن واصل بن حيان عن أبي هذيل عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حدّ مطلع ويروى لكل حرف حدّ ولكل حدّ مطلع»^(١) واختلفوا في تأويله، قيل: الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله. وقيل: الظهر ما حدث عن أقوام أنهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وباطنه عظة وتحذير أن يفعل أحد مثل ما فعلوا فيحل به ما حل بهم وقيل معنى الظهر

= وعزه المنذري للنسائي وقال: سهيل بن أبي حزم: بصري، واسم أبي حزم مهران، وقد تكلم فيه الإمام أحمد والبخاري والنسائي وغيرهم، ورمز السيوطي في الجامع الصغير لحسنه، قال المناوي: لعله لاعتضاده، وإلا ففيه سهيل بن عبد الله... فيض القدير: ١٩١/٦. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٥٩/١.

(١) رواه الطبري: ٢٢/١ - ٢٣ برقم (١٠، ١١) بإسنادين ضعيفين، أما أحدهما: فلانقطاعه بجهالة راويه وأما الآخر: فمن أجل ابراهيم الهجري. فهو ضعيف، ضعفه ابن معين والنسائي وقال أبو حاتم: ليس بالقوي الجرح والتعديل ١٣١/٢، تهذيب الكمال ٢٠٣/٢، الضعفاء والمتروكين ص ٤٠ ميزان الاعتدال ٦٥/١ تهذيب التهذيب ١٦٤/١، تقريب التهذيب. والفقرة الأولى منه عند البخاري في فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف: ٢٣/٩. ومسلم في صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف برقم (٨١٨): ٥٦٠/١. ورواه أيضاً: ابن حبان برقم (٧٤)، قال الهيثمي: رواه البزار وأبو يعلى والطبراني في الأوسط باختصار آخره، ورجال أحدهما ثقات، مجمع الزوائد: ١٥٢/٧.

والبطن: التلاوة والتفهم، يقول: لكل آية ظاهر وهو أن يقرأها كما أنزلت قال الله تعالى: «ورتل القرآن ترتيلاً» (٤ - المزمل) وباطن وهو التدبر والتفكير قال الله تعالى: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته» (٢٩ - ص) ثم التلاوة تكون بالتعلم والحفظ بالدرس، / والتفهم يكون بصدق النية وتعظيم الحرمه وطيب الطعمه، وقوله لكل حرف حدّ أراد له حدّ في التلاوة والتفسير لا يجاوز، ففي التلاوة لا يجاوز المصحف، وفي التفسير لا يجاوز المسموع، وقوله لكل حد مطلع أي مصعد يصعد إليه من معرفة علمه ويقال: المطلع الفهم. وقد يفتح الله على المدبر والمتفكر في التأويل والمعاني مالا يفتح على غيره، وفوق كل ذي علم عليم.

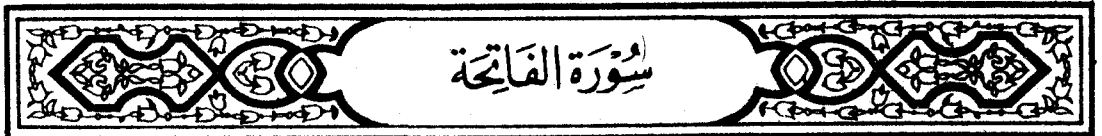


سورة فاتحة الكتاب

ولها ثلاثة أسماء معروفة: فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني.

سميت فاتحة الكتاب: لأن الله بها افتتح القرآن. وسميت أم القرآن وأم الكتاب: لأنها أصل القرآن منها بدىء القرآن، وأم الشيء: أصله، ويقال لمكة: أم القرى لأنها أصل البلاد دحيت الأرض من تحتها، وقيل: لأنها مقدمة وإمام لما يتلوها من السور يبدأ بكتابتها في المصحف وبقراءتها في الصلاة، والسبع المثاني لأنها سبع آيات باتفاق العلماء. وسميت مثاني لأنها تثنى في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة، وقال مجاهد سميت مثاني لأن الله تعالى استثناها لهذه الأمة فذخرها لهم.

وهي مكية على قول الأئمة. وقال مجاهد: مدنية وقيل: نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة ولذلك سميت مثاني والأول أصح، أنها مكية، لأن الله تعالى منَّ على الرسول ﷺ بقوله: «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني» (٨٧ - الحجر) والمراد منها فاتحة الكتاب وسورة الحجر مكية فلم يكن من عليه بها قبل نزولها.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٦﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله: بسم الله الباء أداة تخفض ما بعدها مثل: من وعن، والمتعلق به الباء محذوف للدلالة الكلام عليه، تقديره: أبدأ بسم الله، أو قل: بسم الله. وأسقطت الألف من الاسم طلباً للخفة وكثرة استعمالها وطولت الباء قال القتيبي ليكون افتتاح كلام كتاب الله بحرف معظم، كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول لكتابه: طولوا الباء وأظهروا السين وفرجوا بينهما، ودوروا الميم. تعظيماً

لكتاب الله تعالى وقيل لما أسقطوا الألف ردوا طول الألف على الباء ليكون دالاً على سقوط الألف، ألا ترى أنه لما كتبت الألف في «اقرأ باسم ربك» (١ - العلق) ردت الباء إلى صيغتها ولا تحذف الألف إذا أضيف الاسم إلى غير الله ولا مع غير الباء.

والاسم هو المسمى وعينه وذاته قال الله تعالى: «إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى» (٧ - مريم) أخبر أن اسمه يحيى ثم نادى الأسم فقال: «يا يحيى» وقال: «ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها» (٤٠ - يوسف) وأراد الأشخاص المعبودة لأنهم كانوا يعبدون المسميات وقال: «سبح اسم ربك» (١ - الأعلى)، [وتبارك اسم ربك] (١) (٧٨ - الرحمن) ثم يقال للتسمية أيضاً اسم فاستعماله في التسمية أكثر من المسمى [فإن قيل ما معنى التسمية من الله لنفسه؟ قيل هو تعليم للعباد كيف يفتتحون القراءة] (٢).

واختلفوا في اشتقاقه قال المبرد في البصريين: هو مشتق من السمو وهو العلو، فكأنه علا على معناه وظهر عليه، وصار معناه تحته، وقال ثعلب في الكوفيين: هو من الوسم والسمة وهي العلامة وكأنه علامة لمعناه والأول أصح لأنه يُصَغَّرُ على السُمَّى ولو كان من السمة لكان يُصَغَّرُ على الوسيم كما يقال في الوعد وعيد ويقال في تصريفه سميت ولو كان في الوسم لقيل: وَسَمْتُ. قوله تعالى: «الله» قال الخليل وجماعة: هو اسم علم خاص لله عز وجل لا اشتقاق له كأسماء الأعلام للعباد مثل زيد وعمرو. وقال جماعة هو مشتق ثم اختلفوا في اشتقاقه فقيل: من أله الإلهة أي عبد عبادة وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما «ويدرك والإهتك» (١٢٧ - الأعراف) أي عبادتك - معناه أنه مستحق للعبادة دون غيره وقيل أصله إله قال الله عز وجل: «وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق» (٩١ - المؤمنون) قال المبرد: هو من قول العرب ألهت إلى فلان أي سكنت إليه قال الشاعر:

* ألهت إليها والحوادث جمّة

فكأن الخلق يسكنون إليه ويطمئنون بذكره، ويقال: ألهتُ إليه، أي فرغت إليه قال الشاعر:

* ألهت إليها والركائب وُقْف

وقيل أصل الإله ولاء فأبدلت الواو بالهمزة مثل وشاح واشاح، اشتقاقه من الوله لأن العباد يَوْلَهُونَ إليه أي يفزعون إليه في الشدائد، ويلجؤون إليه في الحوائج كما يوله كل طفل إلى أمه، وقيل هو من الوله وهو ذهاب العقل لفقد من يعز عليك.

(١) من نسخة (ب).

(٢) ساقط من (أ).

قوله ﴿الرحمن الرحيم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر. واختلفوا فيهما منهم من قال: هما بمعنى واحد مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة، وذكر أحدهما بعد الآخر (تظليماً) (١) لقلوب الراغبين. وقال المبرد: هو إنعام بعد إنعام، وتفضل بعد تفضل، ومنهم من فرق بينهما فقال: الرحمن بمعنى العموم والرحيم بمعنى الخصوص. فالرحمن بمعنى الرزاق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق. والرحيم بمعنى المعافي في الآخرة والعفو في الآخرة للمؤمنين على الخصوص ولذلك قيل في الدعاء: يارحمن الدنيا ورحيم الآخرة، فالرحمن من تصل رحمته إلى الخلق على العموم، والرحيم من تصل رحمته إليهم على الخصوص، ولذلك يدعى غير الله رحيماً ولا يدعى غير الله رحمن. فالرحمن عام المعنى خاص اللفظ، والرحيم عام اللفظ خاص المعنى، والرحمة إرادة الله تعالى الخير لأهله. وقيل هي ترك عقوبة من يستحقها وإسداء الخير إلى من لا يستحق، فهي على الأول صفة ذات، وعلى الثاني صفة (فعل) (٢).

واختلفوا في آية التسمية فذهب قراء المدينة والبصرة وفقهاء الكوفة إلى أنها ليست من فاتحة الكتاب، ولا من غيرها من السور والافتتاح بها للتيمن والتبرك. وذهب قراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز إلى أنها من الفاتحة وليست من سائر السور وأنها كتبت للفصل وذهب جماعة إلى أنها من الفاتحة ومن كل سورة إلا سورة التوبة وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي لأنها كتبت في المصحف بخط سائر القرآن.

واتفقوا على أن الفاتحة سبع آيات فالآية الأولى عند من يعدها من الفاتحة (بسم الله الرحمن الرحيم) وابتداء الآية الأخيرة (صراط الذين) ومن لم يعدها من الفاتحة قال ابتداؤها (الحمد لله رب العالمين) وابتداء الآية الأخيرة (غير المغضوب عليهم) واحتج من جعلها من الفاتحة ومن السور بأنها كتبت في المصحف بخط القرآن، وبما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي أنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم أنا الربيع بن سليمان أنا الشافعي أنا عبد المجيد عن ابن جريج قال: أخبرني أبي عن سعيد بن جبير (قال) (٣) «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم» (٨٧ — الحجر) هي أم القرآن قال أبي وقرأها عليّ سعيد بن جبير حتى ختمها ثم قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» الآية السابعة قال سعيد: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها عليك ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة، قال ابن عباس: فذخرها لكم فما أخرجها لأحد قبلكم (٤).

ومن لم يجعلها من الفاتحة احتج بما ثنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرازي أنا زاهر بن أحمد ثنا أبو عيسى اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «قامت وراء أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم فكلهم كان لا يقرأ «بسم

(١) في الأصل: تعظيماً.

(٢) في الأصل: الفعل.

(٣) ساقط من (أ).

(٤) أخرجه الشافعي في المسند: ١/٧٩-٨٠ (ترتيب المسند للسندي) والمصنف في شرح السنة: ٣/٥٠. وانظر: تلخيص الحبير لابن حجر:

ع/ب ٤ الله الرحمن الرحيم إذا افتتح الصلاة»^(١) قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ / لا يعرف ختم سورة حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم^(٢).

وعن ابن مسعود قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم^(٣) وقال الشعبي: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب في بدء الأمر على رسم قريش باسمك اللهم حتى نزلت «وقال اركبوا فيها بسم الله مجربها» (٤١ - هود) فكتب بسم الله حتى نزلت «قل ادعوا الله. أو ادعوا الرحمن» (١١٠ - الاسراء) فكتب بسم الله الرحمن حتى نزلت «إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم» (٣٠ - التمل) فكتب مثلها.

قوله ﴿الحمد لله﴾ لفظه خبر كأنه يخبر أن المستحق للحمد هو الله عز وجل وفيه تعليم الخلق تقديره قولوا الحمد لله والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة، ويكون بمعنى الثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة. يقال حمدت فلاناً على ما أسدى إلي من النعمة وحمدته على علمه وشجاعته، والشكر لا يكون إلا على النعمة، فالحمد أعم من الشكر إذ لا يقال شكرت فلاناً على علمه فكل حامد شاكِر وليس كل شاكِر حامداً. وقيل: الحمد باللسان قولاً: والشكر بالأركان فعلاً قال الله تعالى «وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً» (١١١ - الإسراء) وقال «اعملوا آل داود شكراً» (١٣ - سبأ).

قوله ﴿الله﴾ اللام فيه للاستحقاق كما يقال الدار لزيد.

قوله ﴿رب العالمين الرحمن الرحيم﴾ فالرب يكون بمعنى المالك كما يقال لملك الدار: رب الدار: ويقال: رب الشيء إذا ملكه، ويكون بمعنى التربية والإصلاح، يقال: رب فلان الضيعة يربُّها إذا أتمها وأصلحها فهو ربٌّ مثل طب، وبر. فالله تعالى مالك العالمين ومربهم، ولا يقال للمخلوق هو الرب معرِّفاً إنما يقال رب كذا مضافاً، لأن الألف واللام للتعميم وهو لا يملك الكل.

والعالمين جمع عالم، لا واحد له في لفظه واختلفوا في العالمين قال ابن عباس: هم الجن والإنس لأنهم المكلفون بالخطاب قال الله تعالى: «ليكون للعالمين نذيراً» (١ - الفرقان) وقال قتادة ومجاهد والحسن: هم جميع المخلوقات. قال الله تعالى: «وقال فرعون وما رب العالمين، قال رب السموات والأرض وما بينهما» (٢٣ - الشعراء) واشتقاقه من العلم والعلامة سموا به لظهور أثر الصنعة فيهم قال أبو عبيدة: هم أربع أمم: الملائكة، والإنس، والجن، والشياطين، مشتق من العلم، ولا يقال للبهائم عالم لأنها لا تعقل، واختلفوا في مبلغهم قال سعيد بن المسيب لله ألف عالم ستائة في البحر وأربعمائة في البر وقال مقاتل بن حيان: لله ثمانون ألف عالم أربعون ألفاً في البحر وأربعون ألفاً في البر. وقال وهب: لله ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها، وما

(١) أخرجه مالك في الموطأ، باب العمل في القراءة: ٨١/١، والمصنف في شرح السنة ٥٣/٣-٥٤، وهو عند مسلم في الصلاة برقم (٣٩٩).

(٢) أخرجه أبو داود في المراسيل ص (١٢٣)، وصححه الحاكم على شرطهما: ٢٣١/١. وانظر: تلخيص الجبير: ٢٣٣/١، الدر المنثور: ٢٠/١.

(٣) أخرجه الواحدي في الوسيط: ١٣/١، وفي أسباب النزول ص (٥٤) وعزاه السيوطي أيضاً للبيهقي في الشعب، انظر: الدر المنثور: ٢٠/١.

العمران في الخراب إلا كفسطاط في صحراء. وقال كعب الأحبار: لا يحصي عدد العالمين أحد إلا الله قال الله تعالى: «وما يعلم جنود ربك إلا هو» (٣١ - المدثر).

قوله: ﴿مالك يوم الدين﴾ قرأ عاصم والكسائي ويعقوب: ﴿مالك﴾ وقرأ الآخرون ﴿ملك﴾ قال قوم: معناهما واحد مثل فرهين وفارهين، وحذرين وحاذرين ومعناهما الرب يقال رب الدار ومالكها. وقيل المالك والمملك هو القادر على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود ولا يقدر عليه أحد غير الله. قال أبو عبيدة: مالك أجمع وأوسع لأنه يقال مالك العبد والطير والدواب ولا يقال ملك هذه الأشياء. ولأنه لا يكون مالكا لشيء إلا وهو يملكه، وقد يكون ملك الشيء ولا يملكه. وقال قوم: ملك أولى لأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملكاً ولأنه أوفق لسائر القرآن مثل قوله تعالى: «فتعالى الله الملك الحق» (١١٤ - طه) «الملك القدوس» (٢٣ - الحشر) قال مجاهد: الدين الحساب، قال الله تعالى: «ذلك الدين القيم» (٣٦ - التوبة) أي الحساب المستقيم و«ملك الناس» (سورة الناس) قال ابن عباس ومقاتل والسدي: ملك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقال قتادة: الدين الجزاء. ويقع على الجزاء في الخير والشر جميعاً يقال: كما تدين تدان.

قال محمد بن كعب القرظي: ملك يوم لا ينفع فيه إلا الدين، وقال يمان بن (رباب)^(١): الدين القهر. يقال دنته فدان أي قهرته فذل، وقيل: الدين الطاعة أي يوم الطاعة. وإنما خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للأيام كلها لأن الأملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا أمر إلا له، قال الله تعالى: «الملك يومئذ الحق للرحمن» (٢٦ - الفرقان) وقال: «لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار» (١٦ - غافر) وقال: «والأمر يومئذ لله» (١٩ - الانفطار) وقرأ أبو عمرو: «الرحيم ملك» بادغام الميم في الميم وكذلك يدغم كل حرفين من جنس واحد أو مخرج واحد أو قريبي المخرج سواء كان الحرف ساكناً أو متحركاً إلا أن يكون الحرف الأول مشدداً أو منوناً أو منقوصاً أو مفتوحاً أو تاء الخطاب قبله ساكن من غير المثلين فإنه لا يدغمهما، وإدغام المتحرك يكون في الإدغام الكبير وافقه حمزة في إدغام المتحرك في قوله «بيت طائفة» (٨١ - النساء)، «والصافات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً» (١-٣ الصافات) «والذاريات ذرواً» (١ - الذاريات) أدغم التاء فيما بعدها من الحروف، وافقه الكسائي وحمزة في إدغام الصغير، وهو إدغام الساكن في المتحرك إلا في الراء عند اللام والدال عند الجيم وكذلك لا يدغم حمزة - وبرواية خلاد وخلف - الدال عند السين والصاد والزاي، ولا إدغام لسائر القراء إلا في أحرف معدودة.

قوله: ﴿إياك نعبد﴾ إيا كلمة ضمير تُخصت بالإضافة إلى المضمر ويستعمل مقدماً على الفعل فيقال: إياك أعني، وإياك أسأل ولا يستعمل مؤخراً إلا منفصلاً. فيقال: ما أعنت إلا إياك. قوله: ﴿نعبد﴾ أي نوحك ونطيعك خاضعين، والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع وسمي العبد عبداً لذلته وانقياده يقال: طريق معبد أي مذل.

(١) في ب: ريان.

﴿وإياك نستعين﴾ نطلب منك المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا فإن قيل لم قدم ذكر العبادة على الاستعانة والاستعانة تكون قبل العبادة؟ فهذا يلزم من يجعل الاستعانة قبل الفعل، ونحن بحمد الله نجعل التوفيق (والاستعانة)^(١) مع الفعل، فلا فرق بين التقديم والتأخير ويقال: الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة أولاً ثم ذكر ما هو من تفاصيلها.

قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ اهدنا أرشدنا وقال علي وأبي بن كعب: ثبتنا كما يقال للقائم قم حتى أعود إليك أي دم على ما أنت عليه. وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية لأن الألفاظ والهدايات من الله تعالى لا تنتهي على مذهب أهل السنة — الصراط — وسراط بالسین رواه أوس عن يعقوب وهو الأصل سمي سراطاً لأنه يسطر السابلة ويقرأ بالزاي وقرأ حمزة باثمام الزاي وكلها لغات صحيحة والاختيار الصاد عند أكثر القراء لموافقة المصحف.

والصراط المستقيم قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهما: هو الإسلام وهو قول مقاتل. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: هو القرآن / وروي عن علي رضي الله عنه مرفوعاً «الصراط المستقيم كتاب الله»^(٢) وقال سعيد بن جبیر رضي الله عنه: طريق الجنة. وقال سهل بن عبد الله: طريق السنة والجماعة. وقال بكر بن عبد الله المزني: طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم. [وقال أبو العالية والحسن: رسول الله وآله وصحابه]^(٣) وأصله في اللغة الطريق الواضح.

أ / ٥

قوله ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ أي مننت عليهم بالهداية والتوفيق قال عكرمة: مننت عليهم بالثبات على الإيمان والاستقامة وهم الأنبياء عليهم السلام، وقيل: هم كل من ثبته الله على الإيمان من النبيين والمؤمنين الذين ذكرهم الله تعالى في قوله «فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين» (٦٩ - النساء) وقال ابن عباس: هم قوم موسى وعيسى عليهما السلام قبل أن غيروا دينهم. وقال عبد الرحمن ابن زيد: هم النبي ﷺ ومن معه. وقال أبو العالية: هم آل الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأهل بيته وقال شهر ابن حوشب: هم أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته.

قرأ حمزة: عليهم ولديهم وإيهم بضم هاءاتها، ويضم يعقوب كل هاء قبلها ياء ساكنة تثنية وجمعاً إلا قوله (بين أيديهم وأرجلهم) (١٢ - المتحنة) وقرأ الآخرون بكسرهما، فمن ضم الهاء ردها إلى الأصل لأنها مضمومة عند الانفراد، ومن (كسرهما)^(٤) فلاجل الياء الساكنة والكسرة أخت الياء وضم ابن كثير وأبو جعفر كل ميم جمع مشبعا في الوصل إذا لم يلقها ساكن فإن لقيها ساكن فلا يشبع، ونافع يحجر، ويضم ورش عند ألف

(١) في أ و ب (الاستعانة).

(٢) أخرجه الطبري في التفسير: ١٧١/١ - ١٧٢، وضعفه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الطبري.

(٣) ساقط من ب.

(٤) في ب: كسر.

القطع، فإذا تلقته ألف وصل — وقبل الهاء كسر أو ياء ساكنة — ضم الهاء والميم حمزة والكسائي وكسرها أبو عمرو وكذلك يعقوب إذا انكسر ما قبله والآخرون يقرؤون بضم الميم وكسر الهاء في الكل لأجل الياء أو لكسر ما قبلها وضم الميم على الأصل.

قوله تعالى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ يعني غير صراط الذين غضبت عليهم، والغضب هو إرادة الانتقام من العصاة، وغضب الله تعالى لا يلحق عصاة المؤمنين إنما يلحق الكافرين.

﴿وَالضَّالِّينَ﴾ أي وغير الضالين عن الهدى. وأصل الضلال الهلاك والغيوبة، يقال: ضل الماء في اللبن إذا هلك وغاب. وغير هاهنا بمعنى لا، ولا بمعنى غير ولذلك جاز العطف كما يقال: فلان غير محسن ولا مجمل. فإذا كان غير بمعنى سوى فلا يجوز العطف عليها بلا، ولا يجوز في الكلام: عندي سوى عبد الله ولازيد.

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين. وقيل: المغضوب عليهم هم اليهود والضالون: هم النصارى لأن الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال: «من لعنه الله وغضب عليه» (٦٠ — المائدة) وحكم على النصارى بالضلال فقال: «ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل» (٧٧ — المائدة) وقال سهل بن عبد الله: غير المغضوب (عليهم) ^(١) بالبدعة، ولا الضالين عن السنة.

والسنة للقارىء أن يقول بعد فراغه من قراءة الفاتحة «آمين» بسكتة مفصولة عن الفاتحة وهو مخفف ويجوز (عند النحويين) ^(٢) ممدوداً ومقصوراً ومعناه: اللهم اسمع واستجب. وقال ابن عباس وقتادة: معناه كذلك يكون. وقال مجاهد هو اسم من أسماء الله تعالى. وقيل: هو طابع الدعاء. وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به الآفات عنهم كخاتم الكتاب يمنعه من الفساد وظهور ما فيه.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي وأبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحى قالاً: أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو علي محمد بن أحمد بن محمد بن معقل الميداني ثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا قال الإمام — غير المغضوب عليهم ولا الضالين — فقولوا آمين فإن الملائكة تقول آمين وإن الإمام يقول آمين فمن وافق تأمينة تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» ^(٣) صحيح.

(١) زيادة من ب.

(٢) ساقط من ب.

(٣) أخرجه البخاري في الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين: ٢٦٢/٢ ورواه أحمد: ٢٣٣/٢ عن أبي هريرة، والنسائي في الافتتاح باب جهر الإمام

(فصل في فضل الفاتحة)^(١)

أنا أبو الحسين أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الكيالي أنا أبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي أنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري ثنا محمد بن عبد الوهاب ثنا خالد مخلد القطواني حدثني محمد ابن جعفر بن أبي كثير هو أخو اسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال: «مر رسول الله ﷺ على أبي بن كعب وهو قائم يصلي فصاح به فقال: تعال يا أبا كعب فاجعل أبي في صلاته، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: ما منعك يا أبي أن تحبني إذ دعوتك؟ أليس الله يقول: «يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم» (٢٤ - الأنفال) قال أبي: لا جرم يا رسول الله لا تدعوني إلا أجبتك وإن كنت مصلياً. قال: أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور (ولا في القرآن)^(٢) مثلها؟ فقال أبي: نعم يا رسول الله فقال: لا تخرج في باب المسجد حتى تعلمها والنبي ﷺ يمشي يريد أن يخرج من المسجد فلما بلغ الباب ليخرج قال له أبي: السورة يا رسول الله. فوقف فقال: نعم كيف تقرأ في صلاتك؟ فقرأ أبي أم القرآن فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها وإنما هي السبع المثاني (التي)^(٣) آتاني الله عز وجل»^(٤) هذا حديث حسن صحيح.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ثنا يحيى بن آدم ثنا أبو الأحوص عن عمار ابن رزيق عن عبد الله بن عيسى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بينما رسول الله ﷺ عنده جبريل إذ سمع نقيضاً من فوقه فرفع جبريل عليه السلام بصره إلى السماء فقال: هذا باب

= بآمين: ١٤٤/٢. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٦١/٣.

وفي نسخة (أ) زيادة: (وما تأخر).

(١) في ب: فاتحة الكتاب.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) ساقط من (أ) وفي ب: الذي.

(٤) رواه الترمذي في فضائل القرآن باب: ما جاء في فضل فاتحة الكتاب ١٧٨/٨ - ١٨٠.

وأحمد في المسند: ٤١٢/٢ - ٤١٣ عن أبي بن كعب.

ورواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم باختصار عن أبي هريرة عن أبي، وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم (انظر الترغيب والترهيب للمنذري ٣٦٧/٢) وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٤٦-٤٤٧ وأخرج نحوه عن أبي سعيد بن المعلى: البخاري في التفسير:

١٥٦/٨

فتح من السماء ما فتح قط، قال: فنزل منه ملك فأتى النبي ﷺ فقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك. فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ولن تقرأ حرفاً منهما إلا أعطيته»^(١) صحيح [أخرجه مسلم عن الحسن بن ربيع عن أبي الأحوص]^(٢).

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرازي ثنا زاهر بن أحمد السرخسي أنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن أنه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول. قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج^(٣) غير تمام». قال: قلت: يا أبا هريرة إني أحياناً أكون وراء الإمام فغمز ذراعي وقال: إقرأ بها يا فارسي في نفسك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل» قال رسول الله ﷺ «أقرؤوا يقول العبد ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ / يقول الله حمدني عبدي، ما سأل يقول العبد ﴿الرحمن الرحيم﴾ يقول الله أثني علي عبدي، يقول العبد ﴿مالك يوم الدين﴾ يقول الله تعالى حمدني عبدي، يقول العبد: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ يقول الله تعالى: هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، يقول العبد ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ يقول الله فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل»^(٤) صحيح [أخرجه مسلم عن قتيبة عن مالك]^(٥).

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين برقم (٨٠٦) باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة: ٥٥٤/١.

والنسائي في افتتاح الصلاة: ١٣٨/٢.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٦٦/٤. وقوله: «سمع نقيضاً» أي: صوتاً.

(٢) ساقط من ب.

(٣) في ب: فهي خداج ثلاثاً. وقوله: «خداج» أي: ناقصة.

(٤) رواه مسلم في الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة برقم (٣٩٥): ٢٩٦/١.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٧/٣.

(٥) ساقط من (ب).

سورة البقرة مدنية (١)
وهي مائتان وثمانون وسبع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ
مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُم
الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَمْ﴾ قال الشعبي وجماعة: أَلَمْ وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه وهي سرُّ القرآن. فنحن نؤمن بظواهرها ونكل العلم فيها إلى الله تعالى. وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها. قال أبو بكر الصديق: في كل كتاب سر وسر الله تعالى في القرآن أوائل السور، وقال علي: لكل كتاب صفة وصفوة هذا الكتاب حروف (التهجي) (٢) وقال داود بن أبي هند: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور فقال: يا داود إن لكل كتاب سرّاً وإن سر القرآن فواتح السور فدعها وسل عما سوى ذلك. وقال جماعة هي معلومة المعاني فقيل: كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه كما قال ابن عباس في كهيعص: الكاف من كافي والهاء من هادي والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق. وقيل في المص أنا الله الملك الصادق، وقال الربيع بين أنس في أَلَمْ: الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه اللطيف، والميم مفتاح اسمه المجيد، وقال محمد بن كعب الألف آلاء الله واللام لطفه، والميم ملكه، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال معنى أَلَمْ: أنا الله أعلم: ومعنى (٣) أَلَمْص: أنا الله أعلم وأفضل ومعنى أَلَمْ: أنا الله أرى، ومعنى أَلَمْ: أنا الله أعلم وأرى. قال الزجاج: وهذا حسن فإن العرب تذكر حرفاً من كلمة تريد كقولهم:

(١) البقرة: مائتان وثمانون وخمس وقيل ست وقيل سبع - الاتقان - المجلد الأول - ٢٣٥.

(٢) في ب: الهجاء.

(٣) في أ: المعنى.

قلت لها: قفى لنا قالت: قاف^(١).

أي وقفت وعن سعيد بن جبير قال هي أسماء الله تعالى (مقطعة)^(٢) لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم. ألا ترى أنك تقول آزر، وحم، ون، فتكون الرحمن، وكذلك سائرهما إلا أننا لا نقدر على وصلها، وقال قتادة: هذه الحروف أسماء القرآن. وقال مجاهد وابن زيد: هي أسماء (السور)^(٣)، وبيانه: أن القائل إذا قال: قرأت المصّ عرف السامع أنه قرأ السورة التي افتتحت بالمصّ. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها أقسام، وقال الأخفش: إنما أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لأنها (مبادئ)^(٤) كتبه المنزلة، ومباني أسمائه الحسنی^(٥).

قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب﴾ أي هذا الكتاب وهو القرآن، وقيل: هذا فيه مضمّر أي هذا ذلك الكتاب. قال الفراء: كان الله قد وعد نبيه ﷺ أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، فلما أنزل القرآن قال هذا (ذلك)^(٦) الكتاب الذي وعدتك أن أنزله عليك في التوراة والإنجيل وعلى لسان النبيين من قبلك، وهذا للتقريب وذلك للتبديد، وقال ابن كيسان: إن الله تعالى أنزل قبل سورة البقرة سوراً كذب بها المشركون ثم أنزل سورة البقرة فقال (ذلك الكتاب) يعنى ما تقدم البقرة من السور لا شك فيه.

والكتاب مصدر وهو بمعنى المكتوب كما يقال للمخلوق خُلِقَ وهذا الدرهم ضرب فلان أي مضروبه. وأصل الكتّاب: الضم والجمع ويقال للجد كتيبة لاجتماعها، وسمي الكتاب كتاباً لأنه جمع حرف إلى حرف.

قوله تعالى: ﴿لا ريب فيه﴾ أي لاشك فيه أنه من عند الله عز وجل وأنه الحق والصدق، وقيل هو خبر بمعنى النبي أي لا ترتابوا فيه كقوله تعالى «فلا رث ولا فسوق» (١٩٧ — البقرة) أي لا ترفثوا ولا تفسقوا، قرأ ابن كثير: فيه بالإشباع في الوصل وكذلك كل هاء كناية قبلها ساكن يشبعها وصلها ما لم يلحقها ساكن ثم إن كان الساكن قبل الهاء ياء يشبعها بالكسرة ياء وإن كان غير ياء يشبعها بالضم وأوياً ووافق حفص في قوله «فيه مهانا» (٦٩ — الفرقان) (فيشبعه)^(٧).

قوله تعالى: ﴿هدى للمتقين﴾ يدغم الغنة عند اللام والراء أبو جعفر وابن كثير وحزمة والكسائي، زاد

(١) هذا الرجز للوليد بن عقبة، وقامه: «لا نحسي أنا نسينا الإيجاف». انظر: تفسير الطبري: ٢١٢/١، تفسير الواحدي: ٢٦/١.

(٢) في هامش (أ): مقطعة غير مؤلفة.

(٣) في الأصل: السورة.

(٤) في المطبوع: مباني.

(٥) انظر في هذه الأقوال: تفسير الطبري: ٢٠٥/١ — ٢٢٤، تفسير الواحدي: ٢٥/١ — ٢٦.

(٦) ساقط من (ب).

(٧) في ب: فأشبعه.

حمزة والكسائي عند الياء وزاد حمزة عند الواو والآخرون لا يدغمونها ويخفي أبو جعفر النون والتنوين عند الحاء والغين (هدى للمتقين) أي هو هدى أي رشد وبيان لأهل التقوى، وقيل هو نصب على الحال أي هادياً تقديره لا ريب في هدايته للمتقين والهدى ما يهتدي به الإنسان، للمتقين أي للمؤمنين. قال ابن عباس رضي الله عنهما: المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الاتقاء. وأصله الحجز بين الشئيين ومنه يقال اتقى بترسه أي جعله حاجزاً بين نفسه وبين ما يقصده.

وفي الحديث: «كنا إذا أحمر البأس اتقينا برسول الله ﷺ»^(١) أي إذا اشتد الحرب جعلناه حاجزاً بيننا وبين العدو، فكأن المتقي يجعل امثال أمر الله والاجتناب عما نهاه حاجزاً بينه وبين العذاب. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكعب الأحمري^(٢): حدثني عن التقوى فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك قال: نعم. قال فما عملت فيه قال: حذرت وشمرت: قال كعب: ذلك التقوى. وقال شهر بن حوشب: المتقي الذي يترك ما لا بأس به حذراً لما به بأس وقال عمر بن عبد العزيز: التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير. وقيل هو الاقتداء بالنبي ﷺ وفي الحديث: «جماع التقوى في قوله تعالى «إن الله يأمر بالعدل والإحسان» (٩٠ - النحل الآية)» وقال ابن عمر: التقوى أن لا ترى نفسك خيراً من أحد. وتخصيص المتقين بالذكر تشریف لهم أو لأنهم هم المتقون بالهدى.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ موضع الذين خُفِضَ نعتاً للمتقين. يؤمنون: يصدقون [ويترك الهمة أبو عمرو وورش، والآخرون يهمزونه وكذلك يتركان كل همزة ساكنة هي فاء الفعل نحو يؤمن ومؤمن إلا أحرفاً معدودة]^(٣).

وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب، قال الله تعالى «وما أنت بمؤمن لنا» (١٧ - يوسف) [أي بمصدق لنا]^(٤) وهو في الشريعة: الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان، فسمي الإقرار والعمل إيماناً؛ لوجه من المناسبة، لأنه من شرائعه.

والإسلام: هو الخضوع والانقياد، فكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً، إذا لم يكن معه تصديق، قال الله تعالى: «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا» (١٤ - الحجرات) وذلك لأن

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير باب في غزوة حنين (١٧٧٦) عن البراء: ١٤٠١/٣.

وأخرجه المصنف في شرح السنة ٣٣/٤.

(٢) انفرد ابن كثير بأن المسؤول هو أبي بن كعب - حاشية ابن كثير.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) زيادة من (ب).

الرجل قد يكون مستسماً في الظاهر غير مصدق في الباطن. وقد يكون مصدقاً في الباطن غير منقاد في الظاهر.

وقد اختلف جواب النبي ﷺ عنهما حين سأله جبريل عليه السلام وهو ما أخبرنا أبو طاهر محمد ابن علي بن محمد بن علي بن محمد بن بويه الزراد البخاري: أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي ثنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي ثنا أبو أحمد عيسى / بن أحمد العسقلاني أنا يزيد بن هارون أنا كههمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من تكلم في القدر، يعني بالبصرة، معبد الجهنني فخرجت أنا وحמיד بن عبد الرحمن نريد مكة فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقوله هؤلاء فلقينا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فعلمت أنه سيكل الكلام إلي فقلت: يا أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبَلنا ناس يتقفرون هذا العلم ويطلبونه يزعمون أن لا قدر إنما الأمر أنف قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم إني منهم بريء وإنهم مني برءاء والذي نفسي بيده لو أن (لأحدهم) (١) مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبل الله منه شيئاً حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ثم قال:

حدثنا عمر بن الخطاب قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ما يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فأقبل حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ [وركبته تمس (٢) ركبته] فقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً فقال: صدقت فتعجبنا من سؤاله وتصديقه. ثم قال: فما الإيمان قال: أن تؤمن بالله وحده وملائكته وكتبه ورسوله وبالبعث بعد الموت والجنة والنار والقدر خيره وشره فقال: صدقت. ثم قال: فما الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لم تكن تراه فإنه يراك قال: صدقت ثم قال: فأخبرني عن الساعة فقال ما المسؤول عنها بأعلم بها من السائل قال: صدقت قال: فأخبرني عن أماراتها قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في بنيان المدر قال: صدقت ثم انطلق فلما كان بعد ثالثة قال لي رسول الله ﷺ: يا عمر هل تدري من الرجل؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ذلك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم وما أتاني في صورة إلا عرفته فيها إلا في صورته هذه» (٣)

(١) في الأصل: لأحد.

(٢) في الأصل: يمس ركبته.

(٣) أخرجه البخاري في الإيمان، باب سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام: ١١٤/١.

ومسلم في الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان برقم ٨ و ٩: ٣٦/١ - ٣٧.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٨/١ - ٩.

فالنبي ﷺ جعل الإسلام في هذا الحديث إسمًا لما ظهر من الأعمال، والإيمان إسمًا لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان أو التصديق بالقلب ليس من الإسلام بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين، ولذلك قال ذاك جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم. والدليل على أن الأعمال من الإيمان ما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو القاسم ابراهيم بن محمد بن علي بن الشاه ثنا أبو أحمد بن محمد بن قريش بن سليمان ثنا بشر بن موسى ثنا خلف بن الوليد عن جرير الرازي عن سهل بن أبي صالح عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»^(١).

وقيل: الإيمان مأخوذ من الأمان، فسمي المؤمن مؤمنًا لأنه يؤمن نفسه من عذاب الله، والله تعالى مؤمن لأنه يؤمن العباد من عذابه^(٢).

قوله تعالى ﴿بِالْغَيْبِ﴾: والغيب مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغائب غيب [كما قيل للعادل عدل وللزائر زور. والغيب ما كان مغيباً عن العيون قال ابن عباس: الغيب هاهنا كل ما أمرت بالإيمان به فيما غاب عن بصرك مثل الملائكة والبعث والجنة والنار والصراف والميزان. وقيل الغيب هاهنا: هو الله تعالى، وقيل: القرآن، وقال الحسن: بالآخرة وقال زر بن حبيش وابن جريج: بالوحي. نظيره: (أعنده علم الغيب) (٣٥ - النجم) وقال ابن كيسان: بالقدر وقال عبد الرحمن بن يزيد: كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد ﷺ [وما سبقونا به]^(٣) فقال عبد الله: إن أمر محمد كان بيناً لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيماناً أفضل من إيمان بغير ثم قرأ ﴿ألم ذلك الكتاب﴾ إلى قوله ﴿المفلحون﴾. قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وورش يومنون بترك الهمزة وكذلك أبو جعفر بترك كل همزة ساكنة إلا في أنبئهم ونبئهم ونبئنا ويترك أبو عمرو كلها إلا أن تكون علامة للجزم نحو نبئهم وأنبئهم وتسوهم وإن نشأ ونسأها ونحوها أو يكون خروجاً من لغة إلى أخرى نحو مؤصدة ورثياً. ويترك ورش كل همزة ساكنة كانت فاء الفعل إلا تؤولي وتوويه ولا يترك من عين الفعل: إلا الرؤيا وبابه، إلا ما كان على وزن فعل. مثل: ذئب^(٤).

قوله تعالى: ﴿ويقيمون الصلاة﴾ أي يديمونها ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها، وأركانها وهيئاتها

(١) أخرجه البخاري في الإيمان، باب أمور الإيمان: ٥٠/١.

ومسلم في الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها برقم (٥٧): ٦٣/١ وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٤/١.

(٢) راجع بالتفصيل فيما يتعلق بمباحث الإيمان كتاب «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٣) زيادة من «ب».

(٤) ساقط من حاشية ابن كثير ومثبت على حاشية الخازن ص(٢٥).

يقال: قام بالأمر، وأقام الأمر إذا أتى به معطى حقوقه، والمراد بها الصلوات الخمس ذكر بلفظ (الوحدان)^(١) كقوله تعالى: «فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق» (٢١٣) — البقرة) يعني الكتب.

والصلاة في اللغة الدعاء، قال الله تعالى: «وصل عليهم» (١٠٣ — التوبة) أي ادع لهم، وفي الشريعة اسم لأفعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء وثناء. وقيل في قوله تعالى «إن الله وملائكته يصلون على النبي» (٥٦ — الأحزاب) الآية إن الصلاة من الله في هذه الآية الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن المؤمنين الدعاء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ﴾ (أي)^(٢) أعطيناهم والرزق اسم لكل ما ينتفع به حتى الولد والعبد وأصله في اللغة الحظ والنصيب ﴿ينفقون﴾ يتصدقون. قال قتادة: ينفقون في سبيل الله وطاعته وأصل الإنفاق: الإخراج عن اليد والملك، ومنه نفاق السوق؛ لأنه تخرج فيه السلعة عن اليد، ومنه نفقت الدابة إذا خرجت روحها، فهذه الآية في المؤمنين من مشركي العرب.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من التوراة والإنجيل وسائر الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ويترك أبو جعفر وابن كثير وقالون (وأبو عمرو)^(٣) وأهل البصرة ويعقوب كل مدة تقع بين كل كلمتين. والآخرون يمدونها. وهذه الآية في المؤمنين من أهل الكتاب.

قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾ أي بالدار الآخرة سميت الدنيا دنيا لدونها من الآخرة وسميت الآخرة آخرة لتأخرها وكونها بعد الدنيا ﴿هم يوقنون﴾ أي يستيقنون أنها كائنة، من الإيقان: وهو العلم. وقيل: الإيقان واليقين: علم عن استدلال. ولذلك لا يسمى الله موقناً ولا علمه يقيناً إذ ليس علمه عن استدلال.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾ أي أهل هذه الصفة وأولاء كلمة معناها الكناية عن جماعة نحو: هم، والكاف للخطاب كما في حرف ذلك ﴿على هدى﴾ أي رشد وبيان وبصيرة ﴿من ربهم، وأولئك هم المفلحون﴾ أي الناجون / والفائزون فازوا بالجنة ونجوا من النار، ويكون الفلاح بمعنى البقاء أي باقون في النعيم المقيم وأصل الفلاح القطع والشق ومنه سمي الزراع فلاحاً لأنه يشق الأرض وفي المثل: الحديد بالحديد يفلح أي يشق فهم (مقطوع)^(٤) لهم بالخير في الدنيا والآخرة.

(١) في (ب): الواحد.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) في ب: المقطوع.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ
 اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ
 النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْيَوْمَ الْآخِرُ وَمَاهُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ
 مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني مشركي العرب قال الكلبي: يعني اليهود. والكفر هو الجحود وأصله من الكفر وهو الستر ومنه سمي الليل كافراً لأنه يستر الأشياء بظلمته وسمي الزراع كافراً لأنه يستر الحب بالتراب والكافر يستر الحق بجحوده.

والكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق. فكفر الإنكار: أن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به، وكفر الجحود هو: أن يعرف الله تعالى بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس (وكفر) ^(١) اليهود. قال الله تعالى: «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به» (٨٩ - البقرة) وكفر العناد هو: أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ* مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
 لَوْلَا الْمَلَأَةُ أَوْ جِدَارٌ مَسْبِيَةٌ* لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَلِكَ مُبِينًا

وأما كفر النفاق: فهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد بالقلب، وجميع هذه الأنواع سواء في أن من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له.

قوله ﴿سواء عليهم﴾ أي: متساوٍ لديهم ﴿أنذرتهم﴾ خوفتهم وحثرتهم والإنذار إعلام مع تخويف وتحذير وكل منذر معلم وليس كل معلم منذراً وحقق ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي المهمزتين في أنذرتهم وكذلك كل همزتين تقعان في أول الكلمة والآخرين يلبنون الثانية ﴿أم﴾ حرف عطف على الاستفهام ﴿لم﴾ حرف جزم لا تلي إلا الفعل لأن الجزم يختص بالأفعال ﴿تندروهم لا يؤمنون﴾ وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال ﴿ختم الله﴾ طبع الله ﴿على قلوبهم﴾ فلا تعي خيراً ولا تفهمه.

(١) من ب.

وحقيقة الختم الاستيثاق من الشيء كيلا يدخله ما خرج منه ولا يخرج عنه مافيه، ومنه الختم على الباب. قال أهل السنة: أي حكم على قلوبهم بالكفر، لما سبق من علمه الأزلي فيهم، وقال المعتزلة: جعل على قلوبهم علامة تعرفهم الملائكة بها. ﴿وعلى سمعهم﴾: أي: على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به، وأراد على أسماعهم كما قال: على قلوبهم وإنما وحده لأنه مصدر، والمصدر لا يُثنى ولا يُجمع. ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ هذا ابتداء كلام. غشاوة أي: غطاء، فلا يرون الحق. وقرأ أبو عمرو والكسائي أبصارهم بالامالة وكذا كل ألف بعدها راء مجرورة في الأسماء كانت لام الفعل يميلانها ويميل حمزة منها ما يتكرر فيه الراء كالقرار ونحوه. زاد الكسائي إمالة جبارين والجوار والجوار وبارئكم ومن أنصاري ونسارع وبابه. وكذلك يُميل هؤلاء كل ألف بمنزلة لام الفعل، أو كان علماً للتأنيث، إذا كان قبلها راء، فعلم التأنيث مثل: الكبرى والأخرى. ولام الفعل: مثل ترى وافتري، يكسرون الراء فيها.

﴿ولهم عذاب عظيم﴾ أي: في الآخرة، وقيل: القتل والأسر في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى. والعذاب كل ما يعنى الإنسان ويشق عليه. قال الخليل: العذاب ما يمنع الإنسان عن مراده، ومنه: الماء العذب، لأنه يمنع العطش.

قوله: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ نزلت في المنافقين^(١) عبد الله بن أبي بن سلول، ومعتب بن قشير، وجد بن قيس وأصحابهم حيث أظهروا كلمة الإسلام ليسلموا من النبي ﷺ وأصحابه واعتقدوا خلافها وأكثرهم من اليهود، والناس جمع انسان سمي به لأنه عهد إليه فنسي كما قال الله تعالى «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي» (١١٥ - طه) وقيل: لظهوره من قولهم آنتس أي أبصرت، وقيل: لأنه يستأنس به ﴿وباليوم الآخر﴾ أي يوم القيامة. قال الله تعالى: ﴿وما هم بمؤمنين يخادعون الله﴾ أي يخالفون الله وأصل الخدع في اللغة الإخفاء ومنه الخدع للبيت الذي يخفى فيه المتاع فالخادع يظهر خلاف ما يضمّر والخدع من الله في قوله (وهو خادعهم) (١٨٢ - النساء) أي يظهر لهم ويعجل لهم من النعيم في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة. وقيل: أصل الخدع: الفساد، معناه يفسدون ما أظهروا من الإيمان بما أضمرنا من الكفر.

وقوله: (وهو خادعهم) أي: يفسد عليهم نعيمهم في الدنيا بما يصيرهم إليه من عذاب الآخرة فإن قيل ما معنى قوله ﴿يخادعون الله﴾ والمفاعلة للمشاركة وقد جلّ الله تعالى عن المشاركة في الخداعة؟ قيل: قد ترد المفاعلة لا على معنى المشاركة كقولك عافاك الله وعاقبت فلاناً، وطارقت النعل. وقال الحسن: معناه يخادعون رسول الله ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿إن الذين يؤذون الله﴾ (٥٧ - الأحزاب) أي أولياء الله، وقيل: ذكّر الله هاهنا تحسین والقصد بالخادعة الذين آمنوا كقوله تعالى «فأن لله خمسه وللرسول» (٤١ - الأنفال) وقيل معناه يفعلون في دين الله ما هو خداع في دينهم ﴿والذين آمنوا﴾ أي ويخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم آمننا

(١) انظر: الطبري: ٢٦٩/١، تفسير ابن كثير: ٤٨/١.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

وهم غير مؤمنين. ﴿وما يخدعون﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وما يخادعون كالحرف الأول وجعلوه من المفاعلة التي تختص بالواحد. وقرأ الباقون: وما يخدعون على الأصل.

﴿إلا أنفسهم﴾ لأن وبال خداعهم راجع إليهم لأن الله تعالى يطلع نبيه ﷺ على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى ﴿وما يشعرون﴾ أي لا يعلمون أنهم يخدعون أنفسهم وأن وبال خداعهم يعود عليهم ﴿في قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق وأصل المرض الضعف. وسمي الشك في الدين مرضاً لأنه يضعف الدين كالمريض يضعف البدن.

﴿فزادهم الله مرضاً﴾ لأن الآيات كانت تنزل تترى، آية بعد آية، كلما كفروا بآية ازدادوا كفراً ونفاقاً وذلك معنى قوله تعالى «وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم» (١٢٥ - التوبة) وقرأ ابن عامر وحمزة فزادهم بالإمالة وزاد حمزة إمالة زاد حيث وقع وزاغ وخاب وطاب وحاق وضاق، والآخرون لا يميلونها ﴿ولهم عذاب أليم﴾ مؤلم يخلص وجعه إلى قلوبهم ﴿بما كانوا يكذبون﴾ ما للمصدر أي بتكذيبهم الله ورسوله في السر. قرأ الكوفيون يكذبون بالتخفيف أي بكذبهم (إذ)^(١) قالوا آمنا وهم غير مؤمنين.

﴿وإذا قيل﴾ قرأ الكسائي: «قيل» و«غيض» و«جبيء» و«حيل» و«سيق» و«سيئت» بروم أوائلهن الضم - ووافق ابن عامر في «سيق» و«حيل» و«سبيء» و«سيئت» - ووافق أهل المدينة في: سبيء وسيئت لأن أصلها قول بضم القاف وكسر الواو، مثل قتل وكذل في أخواته فأشير إلى الضمة لتكون دالة على الواو المنقلبة وقرأ الباقون بكسر أوائلهن، استثقلوا الحركة على الواو فنقلوا كسرتها إلى فاء الفعل وانقلبت الواو ياءً لكسرة ما قبلها / ﴿وإذا قيل لهم﴾ يعني للمنافقين، وقيل لليهود أي قال لهم المؤمنون ﴿لا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن. وقيل معناه لا تكفروا، والكفر أشد فساداً في الدين ﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾ يقولون هذا القول كذباً كقولهم آمنا وهم كاذبون ﴿ألا﴾ كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب ﴿إنهم هم المفسدون﴾ أنفسهم بالكفر والناس بالتعويق عن الإيمان ﴿ولكن لا يشعرون﴾ أي لا يعلمون أنهم مفسدون لأنهم يظنون أن الذي هم عليه من إبطان الكفر صلاح. وقيل: لا يعلمون ما أعد الله لهم من العذاب.

(١) في الأصل: إذا.

وَإِذَا قَالُوا آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

﴿وإذا قيل لهم﴾ أي للمنافقين وقيل لليهود ﴿آمنوا كما آمن الناس﴾ عبد الله بن سلام وغيره من مؤمني أهل الكتاب وقيل كما آمن المهاجرون والأنصار ﴿قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ أي الجهال فإن قيل كيف يصح النفاق مع (المجاهرة) ^(١) بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء قيل أنهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين. فأخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين بذلك فرد الله عليهم فقال ﴿ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ أنهم كذلك فالسفيه خفيف العقل رقيق الحلم من قولهم: ثوب سفیه أي رقيق وقيل السفيه الكذاب الذي يتعمد (الكذب) ^(٢) بخلاف ما يعلم.

قرأ أهل الكوفة والشام (السفهاء ألا) بتحقيق الهمزتين وكذلك كل همزتين وقعتا في كلمتين اتفقتا أو اختلفتا والآخرون يحققون الأولى ويلينون الثانية في المختلفتين طلباً للخفة فإن كانتا متفقتين مثل: هؤلاء، وأولياء، وأولئك، وجاء أمر ربك — قرأها أبو عمرو والبيزي عن ابن كثير بهمزة واحدة وقرأ أبو جعفر وورش والقواش ويعقوب بتحقيق الأولى وتلين الثانية وقرأ قالون بتخفيف الأولى وتحقيق الثانية لأن ما يستأنف أولى بالهمزة مما يسكت عليه.

﴿وإذا لقوا الذين آمنوا﴾ يعني هؤلاء المنافقين إذا لقوا المهاجرين والأنصار ﴿قالوا آمنا﴾ كما يمانكم ﴿وإذا خلوا﴾ رجعوا. ويجوز أن يكون من الخلوة ﴿إلى﴾ بمعنى الباء أي بشياطينهم وقيل: إلى بمعنى مع كما قال (الله تعالى) ^(٣) «ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم» (٢ — النساء) أي مع أموالكم ﴿شياطينهم﴾ أي رؤسائهم وكهنتهم قال ابن عباس رضي الله عنهما: وهم خمسة نفر من اليهود كعب بن الأشرف بالمدينة، وأبو بردة في بني أسلم وعبد الدار في جهينة، وعوف بن عامر في بني أسد، وعبد الله بن السوداء بالشام. ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان تابع له.

(١) في الأصل: المهاجرة.

(٢) زيادة من ب.

(٣) زيادة من ب.

والشيطان: المتمرد العاتي من الجن والإنس ومن كل شيء وأصله البعد، يقال بثر شطون أي: بعيدة العمق. سمي الشيطان شيطاناً لامتداده في الشر وبعده من الخير. وقال مجاهد: إلى أصحابهم من المنافقين والمشركين ﴿قَالُوا إنا معكم﴾ أي: على دينكم ﴿إِنَّمَا نحن مستهزؤن﴾ بحمد ﷺ وأصحابه بما نظهر من الإسلام

قرأ أبو جعفر مستهزون ويستهزون وقل استهزوا وليطفوا وليواطوا ويستنبونك وخاطين وخاطون ومتكن ومتكون فمالون والمنشون بترك الهمزة فيهن ﴿الله يستهزى بهم﴾ أي يجازيهم جزاء استهزائهم سمي الجزاء باسمه لأنه في مقابلته كما قال الله تعالى «وجزاء سيئة سيئة مثلها» (٤٠ - الشورى) قال ابن عباس: هو أن يفتح لهم باب من الجنة فإذا انتهوا إليه سد عنهم، وردوا إلى النار وقيل هو أن يضرب للمؤمنين نور يمشون به على الصراط فإذا وصل المنافقون إليه حيل بينهم وبين المؤمنين كما قال الله تعالى: «وحيل بينهم وبين ما يشتهون» (٥٤ - سبأ) قال الله تعالى: «فضرب بينهم بسور له باب» الآية (١٣ - الحديد) وقال الحسن معناه الله يُظهر المؤمنين على نفاقهم (ويهدمهم) يتركهم ويمهلهم المد والإمداد واحد، وأصله الزيادة إلا أن المد أكثر ما يأتي في الشر والإمداد في الخير قال الله تعالى في المد «وعند له من العذاب مداً» (٧٩ - مريم) وقال في الإمداد «وأمددناكم بأموال وبنين» (٦ - الاسراء) «وأمددناهم بفأكهة» (٢٢ - الطور) ﴿في طغيانهم﴾ أي في ضلالتهم وأصله مجاوزة الحد. ومنه طغى الماء ﴿يعمّهون﴾ أي يترددون في الضلالة متحيرين ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ أي استبدلوا الكفر بالإيمان ﴿فما رحمت تجارتهم﴾ أي ما رحوا في تجارتهم أضاف الربح إلى التجارة لأن الربح يكون فيها كما تقول العرب: ربح يبعك وخسرت صفقتك ﴿وما كانوا مهتدين﴾ من الضلالة، وقيل مصيبين في تجارتهم ﴿مثلهم﴾ شبههم، وقيل: صفتهم. والمثل: قول سائر في عرف الناس يعرف به معنى الشيء وهو أحد أقسام القرآن السبعة ﴿كمثل الذي﴾ يعني الذين بدليل سياق الآية. ونظيره «والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون» (٣٣ - الزمر) ﴿استوقد﴾ أوقد ﴿ناراً فلما أضاءت﴾ النار ﴿ما حوله﴾ أي حول المستوقد. وأضاء: لازم ومتعد يقال أضاء الشيء بنفسه وأضاءه غيره وهو هاهنا متعد ﴿ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾ قال ابن عباس وقتاده ومقاتل والضحاك والسدي نزلت في المنافقين.

يقول: مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفاً ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف فبينما هو كذلك إذا طفيت ناره فبقي في ظلمة طائفاً متحيراً فكذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أمنوا على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم فذلك نورهم فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف. وقيل: ذهب نورهم في القبر. وقيل: في القيامة حيث يقولون للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم. وقيل: ذهب نورهم بإظهار عقيدتهم على لسان النبي ﷺ فضرِب النار مثلاً ثم لم يقل

أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيءِ إِذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ
حَذَرًا لِّلْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١١﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ
مَشْوَافِهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢﴾

أطفأ الله نارهم لكن عبر بإذهاب النور عنه لأن النار نور وحرارة فيذهب نورهم وتبقى الحرارة عليهم. وقال مجاهد: إضاءة النار إقبالهم إلى المسلمين والهدى وذهاب نورهم إقبالهم إلى المشركين والضلالة وقال عطاء ومحمد بن كعب: نزلت في اليهود. وانتظارهم خروج النبي ﷺ واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به ثم وصفهم الله فقال: ﴿صم﴾ أي هم صم عن الحق لا يقبلونه وإذا لم يقبلوا فكأنهم لم يسمعوا ﴿بكم﴾ خرس عن الحق لا يقولونه أو أنهم لما أبطنوا خلاف ما أظهروا فكأنهم لم ينطقوا بالحق ﴿عمي﴾ أي لا بصائر لهم ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له ﴿فهم لا يرجعون﴾ عن الضلالة إلى الحق.

﴿أو كصيب﴾ أي كأصحاب صيب وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمناققين بمعنى آخر إن شئت مثلهم بالمستوقد وإن شئت بأهل الصيب وقيل / أو بمعنى الواو يريد وكصيب كقوله تعالى: (أو يزيدون) بمعنى ويزيدون والصيب المطر وكل ما نزل من الأعلى إلى الأسفل فهو صيب فيعمل من صاب يصبوب أي نزل من السماء أي من السحاب قيل هي السماء بعينها والسماء كل ما علاك فأظلك وهي من أسماء الأجناس يكون واحداً وجمعاً ﴿فيه﴾ أي في الصيب وقيل في السماء أي من السحاب ولذلك ذكره وقيل السماء يذكر ويؤنث قال الله تعالى: «السماء منفطر به» (١٨ - المزمل) وقال «إذا السماء انفطرت» (١ - الانفطار) ﴿ظلمات﴾ جمع ظلمة ﴿ورعد﴾ هو الصوت الذي يسمع من السحاب ﴿وبرق﴾ وهو النار التي تخرج منه.

قال علي وابن عباس وأكثر المفسرين رضي الله عنهم: الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزرع به الملك السحاب. وقيل الصوت زجر السحاب وقيل تسبيح الملك. وقيل الرعد نطق الملك والبرق ضحكه. وقال مجاهد الرعد اسم الملك ويقال لصوته أيضاً رعد^(١) والبرق

(١) الأخبار التي ذكرت لم يذكرها ابن كثير ولا السيوطي في الدر المنثور وإنما ذكر بعضها القرطبي وأكثرها لا يخلو من مقال كما في تعليق الأستاذ محمود شاكر على الطبري عند تفسير قوله تعالى ﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق﴾ الآية تفسير الطبري:

مصع^(١) ملك يسوق السحاب وقال شهر بن حوشب: الرعد ملك يزجي السحاب فإذا تبددت ضمها فإذا اشتد غضبه طارت من فيه النار فهي الصواعق، وقيل الرعد صوت انحراف الريح بين السحاب والأول أصح.

﴿يَجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت من يسمعها أو يغشى عليه. ويقال لكل عذاب مهلك: صاعقة، وقيل الصاعقة قطعة عذاب ينزلها الله تعالى على من يشاء.

روي عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال: «اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك»^(٢).

قوله ﴿حذر الموت﴾ أي مخافة الهلاك ﴿والله محيط بالكافرين﴾ أي عالم بهم وقيل جامعهم. وقال مجاهد: يجمعهم فيعذبهم. وقيل: مهلكهم، دليله قوله تعالى: «إلا أن يحاط بكم» (٦٦-يوسف) أي تهلكوا جميعاً. ويُميل أبو عمرو والكسائي الكافرين في محل النصب والخفض ولا يميلان: (أول كافر به) (٤١-البقرة).

﴿يكاد البرق﴾ أي يقرب، يقال: كاد يفعل إذا قرب ولم يفعل ﴿يخطف أبصارهم﴾ يختلسها والخطف استلاب بسرعة ﴿كلما﴾ كل حرف جملة ضم إلى ما الجزاء فصار أداة للتكرار ومعناها متى ما ﴿أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ أي وقفوا متحيرين، فالله تعالى شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة أصابهم مطر فيه ظلمات من صفتها أن الساري (لا يمكنه)^(٣) المشي فيها، ورعد من صفتته أن يضم السامعون أصابعهم إلى آذانهم من هولته، وبرق من صفتته أن يقرب من أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدة توقده، فهذا مثل ضربه الله للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه، فالمرط القرآن لأنه حياة الجنان كما أن المطر حياة الأبدان، والظلمات ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك، والرعد ما خوفوا به من الوعيد، وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة.

= وما دام لم يرد دليل على ما ذكر فيتوقف في ذلك لأن هذه الظواهر الكونية وما بعدها مرتبطة بنواميس وسنن صار بعضها مفسراً عند علماء هذا المجال. وانظر: الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للشيخ محمد بن محمد أبو شهبة ص ٤١٤ - ٤١٧.

(١) في النهاية لابن الأثير - وقد نقل كلام مجاهد، أي يضرب السحاب ضربة قَبْرَى البرق يلمع. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٣٧/٤.

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات باب ما يقول إذا سمع الرعد، برقم (٣٥١٤): ٤١٢/٩ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأحمد: ١٠٠/٢، والبخاري في الأدب المفرد ص ٢١٢، وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٢٩٨) والدولابي في الكنى: ١١٧/٢. كلهم من حديث الحجاج بن أرطاة عن أبي مطر عن سالم... وأبو مطر: لم يوثقه غير ابن حبان، ومع ذلك فقد صححه الحاكم: ٢٨٦/٢ ووافقه الذهبي. وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة. (ص ٥١٨) وانظر: شرح السنة: ٣٩٣/٤ تعليق الأستاذ الأناؤوط، والكلم الطيب بتخرج الألباني ص (٨٨).

(٣) في الأصل: لا يمكنها.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ
الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي
رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾

والكافرون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب إليه لأن الإيمان عندهم كفر والكفر موت ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ أي القرآن يبرر قلوبهم. وقيل هذا مثل ضربه الله للإسلام فالمطر الإسلام والظلمات ما فيه من البلاء والحن، والرعد: ما فيه من الوعيد والمخاوف في الآخرة، والبرق ما فيه من الوعد والوعيد ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾ يعني أن المنافقين إذا رأوا في الإسلام بلاء وشدة هربوا حذراً من الهلاك ﴿والله محيط بالكافرين﴾ جامعهم يعني لا ينفعهم هربهم لأن الله تعالى من ورائهم يجمعهم فيعذبهم. يكاد البرق يعني دلائل الإسلام ترعجهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة.

﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه﴾ يعني أن المنافقين إذا أظهروا كلمة الإيمان آمنوا فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة. وقيل معناه كلما نالوا غنيمة وراحة في الإسلام ثبتوا وقالوا إنا معكم ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ يعني: رأوا شدة وبلاء تأخروا وقاموا أي وقفوا كما قال الله تعالى «ومن الناس من يعبد الله على حرف» (١١ - الحج) ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم﴾ أي بأسماعهم ﴿وأبصارهم﴾ الظاهرة كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة، وقيل لذهب بما استفادوا من العز والأمان الذي لهم بمنزلة السمع والبصر. ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾: قادر. قرأ عامر وحمة شاء وجاء حيث كان بالإمالة.

قوله تعالى ﴿يا أيها الناس﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يا أيها الناس خطاب أهل مكة، ويا أيها الذين آمنوا خطاب أهل المدينة^(١) وهو هاهنا عام إلا من حيث أنه لا يدخله الصغار والمجانين .

﴿اعبدوا﴾ وخذوا. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد ﴿ربكم الذي خلقكم﴾ الخلق: اختراع الشيء على غير مثال سبق ﴿والذين من قبلكم﴾ أي وخلق الذين من قبلكم ﴿لعلكم تتقون﴾ لكي تتجوا من العذاب وقيل معناه كونوا على رجاء التقوى بأن

(١) انظر: الكافي الشاف: لابن حجر (ص ٥).

تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله، وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء كما قال: «فقولوا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى» (٤٤ - طه) أي ادعوا إلى الحق وكونوا على رجاء التذكر، وحكم الله من ورائه يفعل ما يشاء، قال سيبويه: لعل وعسى حرفا ترج وهما من الله واجب. ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً﴾ أي بساطاً وقيل مناماً وقيل وطاء أي ذلها ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها قال البخاري: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي ذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت: إن ذلك عظيم. ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»^(١) والجعل هاهنا بمعنى الخلق ﴿والسمااء بناء﴾ وسقفاً مرفوعاً. ﴿وأنزل من السمااء﴾ أي من السحاب ﴿ماء﴾ وهو المطر ﴿فأخرج به من الثمرات﴾ من ألوان الثمرات وأنواع النبات ﴿رزقاً لكم﴾ طعاماً لكم وعلفاً لدوابكم ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ أي أمثلاً تعبدونهم كعبادة الله. قال أبو عبيدة: الندُّ الضد وهو من الأضداد والله تعالى بريء من المثل وال ضد. ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنه واحد خالق هذه الأشياء.

﴿وإن كنتم في ريب﴾ أي (وإن)^(٢) كنتم في شك، لأن الله تعالى علم أنهم شاكون ﴿مما نزلنا﴾ يعني القرآن ﴿على عبدنا﴾ محمد ﴿فأتوا﴾ أمر تعجيز ﴿بسورة﴾ والسورة قطعة من القرآن معلومة الأول والآخر من أسارت أي أفضلت، حذفت الهمزة، وقيل: السورة اسم للمنزلة الرفيعة / ومنه سور البناء لارتفاعه سميت سورة لأن القارئ ينال بقراءتها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن ﴿من مثله﴾ أي مثل القرآن «ومن» صلة، كقوله تعالى: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم» (٣٠) - (النور) وقيل: الهاء في مثله راجعة إلى محمد ﷺ يعني: من مثل محمد ﷺ أمي لا يحسن الخط والكتابة [قال محمود هاهنا من مثله دون سائر السور، لأن من للتبعيض وهذه السورة أول القرآن بعد الفاتحة فأدخل من ليعلم أن التحدي واقع على جميع سور القرآن، ولو أدخل من في سائر السور كان التحدي واقعاً على جميع سور القرآن، ولو أدخل في سائر السور كان التحدي واقعاً على بعض السور]^(٣).

﴿وادعوا شهداءكم﴾ أي واستعينوا بأهتكم التي تعبدونها ﴿من دون الله﴾ وقال مجاهد: ناساً يشهدون لكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن محمداً ﷺ يقول من تلقاء نفسه فلما تحداهم عجزوا فقال ﴿فإن لم تفعلوا﴾ فيما مضى ﴿ولن تفعلوا﴾ أبداً فيما بقي. وإنما قال ذلك لبيان الإعجاز وأن القرآن

(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى «فلا تجعلوا لله أنداداً» ٤٩١/١٣.

ومسلم في الإيمان باب كون الشرك أقبح الذنوب... برقم (٨٦) ٩٠/١.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٨٢/١.

(٢) زيادة من «ب».

(٣) ساقط من المطبوع على هامش ابن كثير وغيره.

وَيَبِّشِرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ
مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾

كان معجزة للنبي ﷺ حيث عجزوا عن الإتيان بمثله. ﴿فاتقوا النار﴾ أي فآمنوا واتقوا بالإيمان النار. ﴿التي وقودها الناس والحجارة﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين يعني حجارة الكبريت لأنها أكثر التهاباً، وقيل: جميع الحجارة وهو دليل على عظمة تلك النار وقيل: أراد بها الأصنام لأن أكثر أصنامهم كانت منحوتة من الحجارة كما قال «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» (٩٨ - الأنبياء) ﴿أعدت﴾ هيئت ﴿للكافرين﴾.

قوله تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا﴾ أي أخبر والبشارة كل خير صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي الفعلات الصالحات يعني المؤمنين الذين من أهل الطاعات قال عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي أخلصوا الأعمال كما قال «فليعمل عملاً صالحاً» (١١٠ - الكهف) أي خالياً عن الرياء. قال معاذ: العمل الصالح الذي فيه أربعة أشياء. العلم، والنية، والصبر، والاخلاص. ﴿أن لهم جنات﴾ جمع الجنة، والجنة البستان الذي فيه أشجار مثمرة، سميت بها لاجتنانها وتسترها بالأشجار. وقال الفراء: الجنة ما فيه النخيل، والفردوس ما فيه الكرم.

﴿تجري من تحتها﴾ أي من تحت أشجارها ومسكنها ﴿الأنهار﴾ أي المياه في الأنهار لأن النهر لا يجري وقيل (من تحتها) أي بأمرهم لقوله تعالى حكاية عن فرعون «وهذه الأنهار تجري من تحتي» (٥١ - الزخرف) أي بأمرى والأنهار جمع نهر سمي به لسعته وضيائه. ومنه النهار. وفي الحديث «أنهار الجنة في غير محدود»^(١) ﴿كلما﴾ متى ما ﴿رزقوا﴾ أطمعوا ﴿منها﴾ أي من الجنة من ثمرة أي ثمرة و ﴿من﴾ صلة ﴿رزقاً﴾ طعاماً ﴿قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾ وقبل رفع على الغاية. قال الله تعالى: «لله الأمر من قبل ومن بعد» (٤ - الروم) قيل: من قبل في الدنيا وقيل: الثار في الجنة متشابهة في اللون، مختلفة في الطعم، فإذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الأولى ﴿وأتوا به﴾ بالرزق ﴿متشابهاً﴾ قال ابن عباس ومجاهد والربيع: متشابهاً في الألوان، مختلفاً في الطعوم. وقال الحسن

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ٩٦/١٣، وهناد في الزهد: ١٧١/١، والطبري في التفسير: ٣٨٤/١. والمروزي في زوائد الزهد ص

(٥٢٤) وعزاه السيوطي أيضاً لابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في البعث وصححه عن ابن مسعود انظر: الدر المنثور: ٩٤/١،

تفسير ابن كثير: ١٧٧/٤.

وقتادة: متشابهاً. أي يشبه بعضها بعضاً في الجودة، أي كلها خيار لا رذالة فيها. وقال محمد بن كعب: يشبه ثمر الدنيا غير أنها أطيب. وقيل متشابهاً في الاسم مختلفاً في الطعم. قال: ابن عباس رضي الله عنهما: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسمي.

أنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الصفار أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي أنا محمد بن كثير أنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا ييزقون، يلهمون الحمد والتسبيح، كما تلهمون النفس، طعامهم الجشاء، ورشحهم المسك»^(١).

قوله تعالى ﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ في الجنان ﴿أزواج﴾ نساء وجواري يعني من الحور العين ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ من الغائط، والبول، والحيض، والنفاس، والبصاق، والخطاط والمني، والولد، وكل قدر. قال ابراهيم النخعي: في الجنة جماع ما شئت ولا ولد. وقال الحسن: هن عجائزكم الغمص العمش طهرن من قدرات الدنيا. وقيل: مطهرة عن مساوىء الأخلاق ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها.

أنا أبو عمرو عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو حامد أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف الفريرى، أنا محمد بن إسماعيل البخاري أنا قتيبة بن سعيد، أنا جرير عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة»^(٢) وأزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء»^(٣).

أنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا فضيل هو ابن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة يوم القيامة صورة وجوههم مثل صورة القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على لون أحسن الكواكب في السماء لكل رجل منهم زوجتان، على كل زوجة سبعون حلة، يرى نوح سوقهن دون لحومها ودمائها وحللها»^(٤).

(١) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها برقم (٢٨٣٥) ٢١٨٠/٤.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢١٢/١٥.

(٢) أي بخورهم العود غير مطراة / النهاية ٦٣/١.

(٣) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة: ٣١٨/٦، ومسلم في الجنة وصفة أهلها، باب أول زمرة تدخل

الجنة، برقم (٢٨٣٤): ٢١٧٨/٤ وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢١١/١٥.

(٤) أخرجه الترمذي في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة نساء أهل الجنة: ٢٣٩/٧ — ٢٤١، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وعطية =

أنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى المروزي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا اسماعيل بن جعفر بن أبي كثير المدني عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على الأرض لأضاءت ما بينهما وملأت ما بينهما ريحاً، ولتاجها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»^(١) [صحيح أخرجه محمد بن عبد الله بن محمد عن معاوية بن عمر عن أبي إسحاق عن حميد]^(٢).

أنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا عبد الله بن محمد بن مسلم أنا أبو بكر الجوريزي أنا أحمد بن الفرغ الحمصي أنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار أنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل من مشمر للجنة، وإن الجنة لا خطر لها وهي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتر، وقصر مشيد ونهر مطرد، وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام أريد في دار / سليمة وفاكهة خضرة، وحبيرة، ونعمة في محلة عالية بهية» قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها قال: «قولوا إن شاء الله» قال القوم: إن شاء الله^(٣).

وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة جرد مرد كحل لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم»^(٤).

أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا الحاكم أبو الفضل الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى ابن خالد أنا إسحاق الحنظلي أنا أبو معاوية أنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعيد عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لسوقاً ليس فيه بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء، فإذا

= العوفي ضعيف، وبقية رجاله ثقات. انظر ميزان الاعتدال ٧٩/٣ وذكره الهيثمي عن ابن مسعود وأبي سعيد وقال: رواه الترمذي باختصار، ورواه الطبراني في الأوسط وإسناده ابن مسعود صحيح، وفي إسناده أبي سعيد: عطية، والأكثر على تضعيفه، وروى البزار حديث ابن مسعود فقط. مجمع الزوائد: ٤١١/١٠ - ٤١٢.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢١٢/١٥.

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده جيد. مجمع الزوائد: ٤١٨/١٠.

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه ابن ماجه في الزهد، باب صفة الجنة برقم (٤٣٣٢) ١٤٤٨/٢، وصححه ابن حبان في صفة الجنة (ص ٦٥١) من موارد الضمان.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٢٣/١٥ وقال محققه: الضحاك المعافري: لم يوثقه غير ابن حبان، وشيخه سليمان بن موسى الأموي الدمشقي مختلف فيه.

(٤) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وإسناده حسن. ورواه أحمد عن أبي هريرة والطبراني في الأوسط عن أنس، وإسناده جيد. وفي الصحيح بعضه.

مجمع الزوائد: ٣٩٨/١٠ - ٣٩٩.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ
ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا
أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا
الْفَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾

اشتبهى الرجل صورة دخل فيها، إن فيها لاجتماع الحور العين ينادين، بصوت لم يسمع الخلائق مثله: نحن الخالدات فلا نبئد أبداً، ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، فطوبى لمن كان لنا وكنا له أو نحن له»^(١) ورواه أبو عيسى عن هناد وأحمد بن منيع عن أبي معاوية مرفوعاً وقال: هذا حديث غريب.

أنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو عثمان سعيد بن عبد الجبار البصري أنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهم أهلهم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً فيقولون وأنتم والله لقد زدتم بعدنا حسناً وجمالاً»^(٢).

قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت فقال: «إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له» (٧٣ - الحج) وقال: «مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً» (٤١ - العنكبوت) قالت اليهود: ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسية^(٣)؟ وقيل: قال المشركون: إنا لا نعبد إلهاً يذكر مثل هذه الأشياء فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾^(٤) أي لا يترك ولا يمنعه الحياء ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ يذكر شيئاً، ﴿مَّا بَعُوضَةً﴾ ما: صلة، أي مثلاً بالبعوضة، وبعوضة نصب بدل عن المثل.

(١) أخرجه أحمد مرفوعاً: ١٥٦/١ عن علي، والترمذي مختصراً في صفة الجنة باب ما جاء في سوق الجنة: ٢٦٤/٧ وقال: هذا حديث حسن غريب. وهناد في الزهد: ٩٢/١ وابن أبي شيبة: ١٠٠/١٣.

وفيه عبد الرحمن بن اسحاق الواسطي: قال أحمد: ليس بشيء، منكر الحديث، وقال يحيى: متروك، وقال ابن حجر: ضعيف من السابعة. (تقريب).

وضعه المنذري، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (فيض القدير للمناوي: ٤٦٨/٢) وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٢٦/١٥. (٢) رواه مسلم في الجنة، باب في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم، برقم (٢٨٣٣) ٢١٧٨/٤ وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٢٧/١٥ وقال هذا حديث صحيح.

(٣) انظر: الطبري: ٤٠٠/١، أسباب النزول للواحدى ص (٥٩)، الوسيط للواحدى: ٦٤/١.

(٤) المرجع السابق.

الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

والبعوض صغار البق سميت بعوضة كأنها بعض البق ﴿فما فوقها﴾ يعني الذباب والعنكبوت وقال أبو عبيدة أي فما دونها كما يقال فلان جاهل فيقال وفوق ذلك أي وأجهل ﴿فأما الذين آمنوا﴾ بمحمد والقرآن ﴿فيعلمون أنه﴾ يعني: المثل هو ﴿الحق﴾ الصدق ﴿من ربهم﴾ وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً؟ أي بهذا المثل فلما حذف الألف واللام نصبه على الحال والقطع ثم أجابهم فقال ﴿يضل به﴾ أي بهذا المثل ﴿كثيراً﴾ من الكفار وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون ضلالاً ﴿ويهدي به﴾ أي بهذا المثل ﴿كثيراً﴾ من المؤمنين فيصدقونه، والإضلال: هو الصرف عن الحق إلى الباطل. وقيل: هو الهلاك يقال ضل الماء في اللبن إذا هلك ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ الكافرين وأصل الفسق الخروج يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها قال الله تعالى: «فسق عن أمر ربه» (٥٠) — الكهف) أي خرج ثم وصفهم فقال:

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ﴾ يخالفون ويتركون وأصل النقض الكسر ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾ أمر الله الذي عهد إليهم يوم الميثاق بقوله: «ألست بربكم؟ قالوا بلى» (١٧٣ — الأعراف) وقيل: أراد به العهد الذي أخذه على النبيين وسائر الأمم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ في قوله: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين» (٨١ — آل عمران) الآية وقيل: أراد به العهد الذي عهد إليهم في التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وبينوا نعته ﴿من بعد ميثاقه﴾ توكيده. والميثاق: العهد المؤكد ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ يعني الإيمان بمحمد ﷺ وبجميع الرسل عليهم السلام لأنهم قالوا: تؤمن ببعض ونكفر ببعض وقال المؤمنون «لا نفرق بين أحد من رسله» (٢٨٥ — البقرة) وقيل: أراد به الأرحام ﴿ويفسدون في الأرض﴾ بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ المغبونون، ثم قال لمشركي العرب على وجه التعجب ﴿كيف تكفرون بالله﴾ بعد نصب الدلائل ووضوح البراهين ثم ذكر الدلائل فقال: ﴿وكنتم أمواتاً﴾ نطفاً في أصلاب آبائكم ﴿فأحياكم﴾ في الأرحام والدنيا ﴿ثم يميتكم﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ للبعث ﴿ثم إليه ترجعون﴾ أي تردون في الآخرة فيجزئكم بأعمالكم.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن
يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

قرأ يعقوب «تُرَجَعُونَ» في كل القرآن بفتح الياء والتاء على تسمية الفاعل.

قوله تعالى ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ لكي تعتبروا وتستدلوا وقيل لكي تنتفعوا ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: أي ارتفع إلى السماء. وقال ابن كيسان والفراء وجماعة من النحويين: أي أقبل على خلق السماء. وقيل: قصد لأنه خلق الأرض أولاً ثم عمد إلى خلق السماء ﴿فسواهن سبع سموات﴾ خلقهن مستويات لا فطور فيها ولا صدع ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ قرأ أبو جعفر وأبو عمرو والكسائي وقالون وهو بسكون الهاء إذا كان قبل الهاء واو أو فاء أو لام، زاد الكسائي وقالون: ثم هو وقالون «أن يمل هو» (٢٨٢ — البقرة).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ أَيُّ قَالَ رَبُّكَ﴾ أي وقال ربك وإذ زائدة وقيل معناه واذكر إذ قال ربك وكذلك كل ماورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله وإذ وإذا حرفا توقيت إلا أن إذ للماضي وإذا للمستقبل وقد يوضع أحدهما موضع الآخر قال المبرد: إذا جاء (إذ) مع المستقبل كان معناه ماضياً كقوله تعالى «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ» (٣٠ — الأنفال) يريد وإذ مكروا وإذا جاء (إذا) مع الماضي كان معناه مستقبلاً كقوله: «فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ» (٣٤ — النازعات) «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ» (١ — النصر) أي يجيء ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ جمع ملك وأصله مَأَلَك من المَأَلَكَة والألُوَكَة والألُوَك، وهي: الرسالة فقلبت فقيل مَأَلَك ثم حذفت الهمزة طلباً للخفة لكثرة استعماله ونقلت حركتها إلى اللام فقيل مَلَك. وأراد بهم الملائكة الذين كانوا في الأرض وذلك أن الله تعالى خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض فغيروا فعبدوا دهرًا طويلاً في الأرض، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا وقتلوا فبعث الله إليهم جنداً من الملائكة يقال لهم: الجن، وهم خزان الجنان اشتق لهم من الجنة رأسهم إبليس وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علماً فهبطوا إلى الأرض فطردوا الجن إلى شعوب الجبال (ويطون الأودية)^(١) وجزائر البحور وسكنوا الأرض وخفف الله عنهم العبادة فأعطى الله إبليس ملك الأرض، وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب فقال في نفسه: ما أعطاني الله هذا الملك إلا لأني أكرم الملائكة عليه^(٢) فقال الله تعالى / له ولجنده ﴿إِنِّي

أ / ٩

(١) زيادة من ب.

(٢) ذكر ذلك أيضاً الواحدي في التفسير: ٧٤/١، وانظر تفسير ابن كثير: ١٣١/١ — ١٣٣ و ١٣٨ — ١٤١، ففيه بعض الروايات، =

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾

جاعل ﴿﴾ خالق. ﴿﴾ في الأرض خليفة ﴿﴾ أي بدلاً منكم ورافعكم إلي، فكروها ذلك لأنهم كانوا أهون الملائكة عبادة.

والمراد بالخليفة هاهنا آدم سماه خليفه لأنه خلف الجن أي جاء بعدهم وقيل لأنه يخلفه غيره والصحيح أنه خليفة الله في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ وصاياه^(١) ﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ بالمعاصي. ﴿ويسفك الدماء﴾ بغير حق أي كما فعل بنو الجان فقاوسوا الشاهد على الغائب وإلا فهم ما كانوا يعلمون الغيب ﴿ونحن نسبح بحمده﴾ قال الحسن: نقول سبحان الله ومحمد وهو صلاة الخلق «وصلاة البهائم وغيرها»^(٢) سوى الآدميين، وعليها يرزقون.

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا زهير بن حرب أنا حبان بن هلال أنا وهيب أنا سعيد الجريري عن أبي عبد الله الجسري عن عبادة بن الصامت عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ سئل أي الكلام أفضل قال: «ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله ومحمد»^(٣) وقيل: ونحن نصلي بأمرك، قال ابن عباس: كل ما في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة ﴿ونقدس لك﴾ أي نثني عليك بالقدس والطهارة وقيل: ونظهر أنفسنا لطاعتك وقيل: وننزهك. واللام صلة وقيل: لم يكن هذا في الملائكة على طريق الاعتراض والعجب بالعمل بل على سبيل التعجب وطلب وجه الحكمة فيه ﴿قال﴾ الله ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ من المصلحة فيه، وقيل: إني أعلم أن في ذرته من يطيعني ويعبدي من الأنبياء والأولياء والعلماء وقيل: إني أعلم أن فيكم من يعصيني، وهو إبليس، وقيل إني أعلم أنهم يذنبون وأنا أغفر لهم. قرأ أهل الحجاز والبصرة إني أعلم بفتح الياء وكذلك كل ياء إضافة استقبالها ألف مفتوحة إلا في مواضع معدودة ويفتحون في بعض المواضع عند الألف المضمومة والمكسورة (وعند غير الألف)^(٤) وبين القراء في تفصيله اختلاف.

قوله: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض، وقيل: لأنه كان آدم اللون

= وقد ضعفها ابن كثير رحمه الله ونقل ذلك عنه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الطبري: ٥٠٥/١.

(١) ولابن القيم في كتابه «مفتاح دار السعادة» ١٥١/١ كلام مفيد وتفصيل رشيد حول خلافة الله في أرضه فليراجع لفائدته.

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء باب فضل سبحان الله ومحمده برقم (٢٧٣١): ٢٠٩٣/٤ والترمذي في الدعوات، باب أي الكلام أحب إلى الله. ٥٢/١٠ وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٤) في ب لأجل ألف.

قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَّبِعُ
 أَنْبِيئَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْني أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

وكنيته أبو محمد وأبو البشر فلما خلقه الله تعالى علمه أسماء الأشياء وذلك أن الملائكة قالوا: لما قال الله تعالى: «إني جاعل في الأرض خليفة»: ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منّا وإن كان فنحن أعلم منه لأننا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره. فأظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم وفيه دليل على أن الأنبياء أفضل من الملائكة وإن كانوا رسلاً كما ذهب إليه أهل السنة والجماعة قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة وقيل اسم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة. وقال الربيع بن أنس: أسماء الملائكة وقيل: أسماء ذريته، وقيل: صنعة كل شيء قال أهل التأويل: إن الله عز وجل علم آدم جميع اللغات ثم تكلم كل واحد من أولاده بلغة ففترقوا في البلاد واختص كل فرقة منهم بلغة^(١). ﴿ثم عرضهم على الملائكة﴾ إنما قال عرضهم ولم يقل عرضها لأن المسميات إذا جمعت من يعقل ومالا يعقل يكتفى عنها بلفظ من يعقل كما يكتفى عن الذكور والإناث بلفظ الذكور وقال مقاتل: خلق الله كل شيء الحيوان والجماد ثم عرض تلك الشخوص على الملائكة فالكناية راجعة إلى الشخوص فلذلك قال عرضهم ﴿فقال أنبؤني﴾ أخبروني ﴿بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ في أي لا أخلق خلقاً إلا وكنتم أفضل وأعلم منه فقالت الملائكة إقراراً بالعجز: ﴿قالوا سبحانك﴾ تنزيهاً لك ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ معناه فإنك أجل من أن نحيط بشيء من علمك إلا ما علمتنا ﴿إنك أنت العليم﴾ بخلقك ﴿الحكيم﴾ في أمرك والحكيم له معنيان: أحدهما الحاكم وهو القاضي العدل والثاني المحكم للأمر كي لا يتطرق إليه الفساد وأصل الحكمة في اللغة: المنع فهي تمنع صاحبها من الباطل ومنه حكمة الدابة لأنها تمنعها من الاعوجاج فلما ظهر عجزهم ﴿قال﴾ الله تعالى:

﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾ أخبرهم بأسمائهم فسمى آدم كل شيء باسمه وذكر الحكمة التي لأجلها خلق ﴿فلما أنبأهم بأسمائهم قال﴾ الله تعالى ﴿ألم أقل لكم﴾ يا ملائكتي ﴿إني أعلم غيب السماوات والأرض﴾ ما كان منهما وما يكون لأنه قد قال لهم «إني أعلم ما لا تعلمون» (٣٠) — البقرة ﴿وأعلم ما تبدون﴾ قال الحسن وقتادة: يعني قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ﴿وما كنتم تكتمون﴾ قولكم لن يخلق الله خلقاً أكرم عليه منّا، قال ابن عباس رضي الله عنهما هو أن إبليس مر على

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٥/١، الوسيط للواحدى: ٧٧/١.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾
 وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ
 الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا
 بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَلَقِيَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَنَابَ
 عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطائف لا روح فيه فقال: لأمر ما خلق هذا ثم دخل في فيه وخرج من دبره وقال: إنه خلق لا يتاسك لأنه أجوف ثم قال للملائكة الذين معه أرايم إن فضل هذا عليكم وأمرتم بطاعته ماذا تصنعون؟ قالوا: نطيع أمر ربنا، فقال إبليس في نفسه: والله لئن سلطت عليه لأهلكته ولئن سلط علي لأعصينه فقال الله تعالى: ﴿وأعلم ما تبدون﴾ يعني ما تبديه الملائكة من الطاعة ﴿وما كنتم تكفون﴾ يعني إبليس من المعصية.

وقوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ قرأ أبو جعفر «للملائكة اسجدوا» بضم التاء على جوار ألف اسجدوا وكذلك قرأ «قال رب أحكم بالحق» (١١٢ — الأنبياء) بضم الباء وضعفه النحاة جداً ونسبوه إلى الغلط فيه واختلفوا في أن هذا الخطاب مع أي الملائكة فقال بعضهم: مع الذين كانوا سكان الأرض. والأصح: أنه مع جميع الملائكة لقوله تعالى: «فسجد الملائكة كلهم أجمعون» (٣٠ — الحجر) وقوله: (اسجدوا) فيه قولان: الأصح أن السجود كان لآدم على الحقيقة، وتضمن معنى الطاعة لله عز وجل بامثال أمره، وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة، كسجود إخوة يوسف له في قوله عز وجل «وخرُّوا له سُجَّدًا» (١٠٠ — يوسف) ولم يكن فيه وضع الوجه على الأرض، إنما كان الانحناء، فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام.

وقيل: معنى قوله ﴿اسجدوا لآدم﴾ أي إلى آدم فكان آدم قبله، والسجود لله تعالى، كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله عز وجل.

﴿فسجدوا﴾ يعني: الملائكة ﴿إلا إبليس﴾ وكان اسمه عزرايل بالسريانية، وبالعربية: الحارث، فلما عصى غير اسمه وصورته فقبل إبليس، لأنه أبلس من رحمة الله تعالى أي يؤس.

واختلفوا فيه فقال ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين: كان إبليس من الملائكة، وقال الحسن: كان من الجن ولم يكن من الملائكة لقوله تعالى «إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه»

(٥٠ - الكهف) فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس، ولأنه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور، ولأن له ذرية ولا ذرية للملائكة، والأول أصح^(١) لأن خطاب السجود كان مع الملائكة، وقوله ﴿كان من الجن﴾ أي من الملائكة الذين هم خزنة الجنة. وقال سعيد بن جبير: من الذين يعملون في الجنة، وقال: قوم من الملائكة الذين يصوغون حلّي أهل الجنة، وقيل: إن فرقة من الملائكة خلقوا من النار سمو جنّاً لاستئثارهم عن الأعين، وإبليس كان منهم. والدليل عليه قوله تعالى «وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً» (١٥٨- الصافات) وهو قولهم الملائكة / بنات الله، ولما أخرجه الله من الملائكة جعل له ذرية.

ب/٩

قوله: ﴿أبي﴾ أي امتنع فلم يسجد ﴿واستكبر﴾ أي تكبر عن السجود (لآدم)^(٢) ﴿وكان﴾ أي: صار ﴿من الكافرين﴾ وقال أكثر المفسرين: وكان في سابق علم الله من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة.

أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا ابن الحاکم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا اسحاق بن ابراهيم الحنظلي أنا جرير ووكيع وأبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول: ياويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت في النار»^(٣)

قوله تعالى ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ وذلك أن آدم لم يكن له في الجنة من يجانسه فنام نومة فخلق الله زوجته حواء من قصيراء من شقه الأيسر، وسميت حواء لأنها خلقت من حي، خلقها الله عز وجل من غير أن أحس به آدم ولا وجد له المأ، ولو وجد المأ لما عطف رجل على امرأة قط فلما هب من نومه رآها جالسة عند رأسه (كأحسن ما في)^(٤) خلق الله فقال لها: من أنت؟ قالت زوجتك خلقتني الله لك تسكن إلي وأسكن إليك^(٥) ﴿وكلأ منها رغداً﴾ واسعاً كثيراً ﴿حيث شئتما﴾ كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ يعني للأكل، وقال بعض العلماء: وقع

(١) انظر الطبري: ٥٠٢/١ - ٥٠٨ والوسيط في تفسير القرآن للواحدي ٨٢/١.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، برقم (١٣٣) ٨٧/١ وأخرجه المصنف في شرح السنة:

١٤٧/٣.

(٤) في ب: كأحسن ما خلقها الله.

(٥) تذكر معظم كتب التفسير هذه القصة عند تفسير هذه الآية، ويقول أبو حيان في البحر المحيط: ١٥٦/١ «وفي هذه القصة زنادات ذكرها المفسرون، لا تطول بذكرها، لأنها ليست مما يتوقف عليها مدلول الآية ولا تفسيرها». ونلاحظ أن هذه الأمور الغيبية التي استأثر الله تعالى بعلمها وحجبها عنا، ليس بين أيدينا ما يدل عليها من النصوص الصحيحة.. فأين كان هذا الذي كان؟ وما الجنة التي عاش فيها آدم وزوجه حيناً من الزمان؟ ومن هم الملائكة؟ ومن هو إبليس؟ كيف قال الله تعالى لهم ذلك؟ وكيف أجابوه؟ وكيف تم خلق حواء؟ .. إلخ .. إلخ هذا كله يحتاج إلى نص ثابت. وغالب ما يروى من آثار حوفا لا يخلو من مقال أو هو من الاسرائيليات، فحسبنا ما جاءت به النصوص، ونكل علم ما وراعا إلى الله سبحانه. وانظر: في ظلال القرآن: ٥٩/١.

النهي على جنس من الشجر. وقال آخرون: على شجرة مخصوصة، واختلفوا في تلك الشجرة، قال ابن عباس ومحمد بن كعب ومقاتل: هي السنبله وقال ابن مسعود: هي شجرة العنب. وقال ابن جريج: شجرة التين، وقال قتادة: شجرة العلم وفيها من كل شيء، وقال علي رضي الله عنه: شجرة الكافور^(١) ﴿فتكونا﴾ فتصيرا ﴿من الظالمين﴾ أي الضارين بأنفسكما بالمعصية، وأصل الظلم، وضع الشيء في غير موضعه.

﴿فأزلهما﴾ استزل ﴿الشيطان﴾ آدم وحواء أي دعاهما إلى الزلة. وقرأ حمزة: فأزلهما، أي نحاهما «الشيطان» فيعال من شطن، أي: بعد، سُمي به لبعده عن الخير وعن الرحمة، ﴿عنها﴾ عن الجنة ﴿فأخرجهما مما كانا فيه﴾ من النعيم، وذلك أن إبليس أراد أن يدخل ليوسوس (إلى)^(٢) آدم وحواء فمنعته الخزنة فأتى الحية وكانت صديقة لإبليس وكانت من أحسن الدواب، لها أربع قوائم كقوائم البعير، وكانت من خزان الجنة فسألها إبليس أن تُدخله فمها فأدخلته ومررت به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة، وقال الحسن: إنما رأهما على باب الجنة لأنهما كانا يخرجان منها وقد كان آدم حين دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال: لو أن خلداً، فاغتنم ذلك منه الشيطان فأتاه من قِبَل الخلد فلما دخل الجنة وقف بين يدي آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه إبليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما، وهو أول من ناح فقالا له: ما يبكيك؟ قال: أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة. فوقع ذلك في أنفسهما فاغتماً ومضى إبليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد؟ فأنى أن يقبل منه، وقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين، فاغترأ وما ظنا أن أحداً يحلف بالله كاذباً، فبادرت حواء إلى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها.

وكان سعيد بن المسيب يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر قادتة إليها فأكل^(٣).

(١) قال ابن جرير الطبري في التفسير: «الصواب في ذلك أن يقال: إن الله جل ثناؤه نهي آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها، فخالفاً إلى ما نهاهما الله عنه، فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به، ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين، لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن، ولا في السنة الصحيحة. فأنى يأتي ذلك؟ وقد قيل: كانت شجرة البر، وقيل: كانت شجرة العنب، وقيل: كانت شجرة التين، وجائز أن تكون واحدة منها، وذلك علم، إذا علم لم يتفجع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضروه جهله به»، وكذلك رجح الإجماع الرازي في تفسيره وغيره من المفسرين وهو الصواب. انظر: تفسير الطبري بتحقيق محمود شاکر: ٥٢٠/١ - ٥٢١، تفسير ابن كثير: ١٤٦/١.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) هذا الخلاف في كيفية وسبب أكل آدم من الشجرة المنهي عنها، والذي أكثر المفسرون من القصص حوله، لم يثبت فيه خير صحيح، وهو من علم الغيب الذي يحتاج إلى نقل ثابت بشأنه، ولعل هذه القصص مأخوذة من الإسرائيليات، وكون آدم شرب الخمر فكان في غير عقله، غير صحيح، لأن خمر الجنة لا غول فيها، والصحيح أنه نسي وأكل كما أخبر الله تعالى عنه، انظر: أحكام القرآن لابن العربي: ١٩/١ والحرر الوجيز لابن عطية: ٢٥٤/١ - ٤٥٦، والبحر المحيط لأبي حبان: ١٦١/١، وقد فند الشيخ محمد أبو شهبة الروايات الاسرائيلية في تفسير هذه الآية «فأزلهما الشيطان» انظر كتابه: «الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: ٢٥١-٢٥٠/١».

قال ابراهيم بن ادهم أورثتنا تلك الأكلة حزناً طويلاً. قال ابن عباس وقتادة: قال الله عز وجل لأدم: ألم يكن فيما أجتك من الجنة مندوحة عن الشجرة؟ قال: بلى يا رب وعزتك، ولكن ما ظننت أن أحداً يحلف بك كاذباً، قال: فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض، ثم لا تنال العيش إلا كدأ فأهبطا من الجنة وكانا يأكلان فيها رغداً فعلم صنعة الحديد، وأمر بالحرث فحرث فيها وزرع ثم سقى حتى إذا بلغ حصد ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء. قال سعيد بن جبير: عن ابن عباس: إن آدم لما أكل من الشجرة التي نهي عنها قال الله عز وجل: ما حملك على ما صنعت قال يارب زينتني لي حواء قال: فإني أعقبتها أن لا تحمل إلا كرهاً ولا تضع إلا كرهاً ودميتها^(١) في الشهر مرتين، فرنت^(٢) حواء عند ذلك فقيل: عليك الرنة وعلى بناتك^(٣)، فلما أكلا (تفاقت)^(٤) عنهما ثيابهما وبدت سوائهما وأخرجا من الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهبطوا﴾ أي انزلوا إلى الأرض يعني آدم وحواء وإبليس والحية، فهبط آدم بسرديب من أرض الهند على جبل يقال له نود، وحواء بمجدة وإبليس بالأيلة والحية بأصفهان^(٥) ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ أراد العداوة التي بين ذرية آدم والحية وبين المؤمنين من ذرية آدم وبين إبليس؛ قال الله تعالى: «إن الشيطان لكما عدو مبين». (٢٢ - الأعراف).

أنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسن بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن محمد الصفار حدثنا منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال عكرمة: لا أعلمه إلا رفع الحديث، أنه كان يأمر بقتل الحيات وقال: من تركهن خشية أو مخافة نأثر فليس منا^(٦) وزاد موسى بن مسلم عن عكرمة في الحديث: ما سلمناهن منذ حاربتناهن [وروي أنه نهي عن ذوات البيوت، روى عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «إن بالمدينة جناً قد أسلموا فإن رأيتم منهم شيئاً فأذنوه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان»^(٧)].^(٨)

(١) في ب: أدميتها.

(٢) صوّتت .

(٣) أخرجه عن ابن عباس: الحاكم في المستدرک ٣٨١/٢ وذكره الواحدي في الوسيط بسنده عن ابن عباس: ٨٥/١ - ٨٦، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٣٢/١ لابن منيع وابن أبي الدنيا في كتاب البكاء وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة والبيهقي في الشعب وابن عساكر عن ابن عباس.

(٤) في ب سقطت.

(٥) في ذلك آثار عن السدي والحسن بأسانيد لا تثبت.

انظر: تفسير ابن كثير: ١٤٧/١ بتخرج الوادعي.

(٦) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب قول الله تعالى: «ويث فيهما من كل دابة»: ٣٤٧/٦ ومسلم في الحج، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب... برقم (١١٩٨) عن ابن عمرو بروايات مختلفة: ٨٥٦/٢.

(٧) أخرجه مسلم في السلام - باب قتل الحيات وغيرها، برقم (٢٢٣٦): ١٧٥٦/٤ عن أبي سعيد بلفظ: «إن بالمدينة نقرأ من الجن قد أسلموا، فمن رأى شيئاً من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثاً، فإن بدا له بعد فليقتله فإنه شيطان».

(٨) زيادة من ب.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مَسْقَرٌ﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَاعٌ﴾ بُلْغَةٌ وَمَسْتَمْتَعٌ ﴿إِلَى حِينٍ﴾ إلى انقضاء آجالكم ﴿فَتَلَقَى﴾ تلقى والتلقى: هو قبول عن فطنة وفهم، وقيل: هو التعلم ﴿آدم من ربه كلمات﴾ قراءة العامة: آدمُ برفع الميم وكلماتٍ بخفض التاء. قرأ ابن كثير: آدمَ بالنصب، كلمات برفع التاء يعني جاءت الكلمات آدمَ من ربه، وكانت سبب توبته. واختلفوا في تلك الكلمات قال سعيد بن جبير ومجاهد والحسن: هي قوله «ربنا ظلمنا أنفسنا» الآية. وقال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي: هي قوله لا إله إلا أنت سبحانك ومحمدك ربُّ عملتُ سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت (التواب الرحيم) (١).

لا إله إلا أنت سبحانك ومحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت أرحم الراحمين (٢) وقال عبيد بن عمير: هي أن آدم قال يارب أرأيت ما أتيت أشيء ابتدعته من تلقاء نفسي أم شيء قدّرت عليّ قبل أن تخلقني؟ قال الله تعالى: بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك. قال يارب فكما قدرته قبل أن تخلقني فاغفر لي (٣).

وقيل: هي ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء، قال ابن عباس بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً، ولم يقرب آدم / حواء مائة سنة، وروى المسعودي عن يونس بن خباب وعلقمة بن مرثد قالوا: لو أن دموع جميع أهل الأرض جمعت (لكانت) (٤) دموع داود أكثر حيث أصاب الخطيئة ولو أن دموع داود ودموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة قال. شهر بن حوشب: بلغني أن آدم لما (هبط) (٥) إلى الأرض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى (٦).

(١) في ب الغفور.

(٢) قال ابن جرير الطبري، رحمه الله، بعد أن ساق الأقوال ونسبها لقائلها: «وهذه الأقوال التي حكيناها عن حكيناها عنه، وإن كانت مختلفة الألفاظ، فإن معانيها متفقة في أن الله جل ثناؤه لقي آدم كلمات، فتلقاهن آدم من ربه فقبلهن وعمل بهن، وتاب، بقيله إياهن وعمله بهن، إلى الله من خطيئته، معترفاً بذنبه متصلاً إلى ربه من خطيئته، نادماً على ما سلف منه من خلاف أمره، فتاب الله عليه بقبوله الكلمات التي تلقاهن منه، وندمه على سالف الذنب منه.

والذي يدل عليه كتاب الله: أن الكلمات التي تلقاهن آدم من ربه، هنّ الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متصلاً بقبلها إلى ربه، معترفاً بذنبه، وهو قوله «ربنا ظلمنا أنفسنا» وليس ما قاله من خالف قولنا هذا — من الأقوال التي حكيناها — بمدفوع قوله، ولكنه قول لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها، فيجوز لنا إضافته إلى آدم، وأنه مما تلقاه من ربه عند إنايته إليه من ذنبه». تفسير الطبري: ٥٤٦/١، وانظر: التفسير الوسيط للواحدى ٨٧/١، ابن كثير: ١٤٩/١. الاسرائيليات والموضوعات للشيخ محمد أبو شهبة ص ٢٥٤.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١٤٩/١، الطبري: ٥٤٥/١، الوسيط للواحدى: ٨٧/١.

(٤) في (أ) لكان.

(٥) في (ب) أهبط.

(٦) انظر: الدر المنثور: ١٤١/١-١٤٢.

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
﴿٢٩﴾ يٰٓبَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ
فَارْهَبُونِ ﴿٣٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۗ وَلَا
تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴿٣١﴾ وَلَا تَلْسِسُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ
وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٣٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾

قوله: ﴿فتاب عليه﴾ فتجاوز عنه ﴿إنه هو التواب﴾ يقبل توبة عباده ﴿الرحيم﴾ بخلقه.

وقوله تعالى: ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً﴾ يعني هؤلاء الأربعة. وقيل: الهبوط الأول من الجنة إلى السماء الدنيا والهبوط (الآخر) ^(١) من السماء الدنيا إلى الأرض ﴿فإما يأتينكم﴾ أي فإن يأتكم ياذرية آدم ﴿مني هدى﴾ أي رشد وبيان شريعة، وقيل: كتاب ورسول ﴿فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ قرأ يعقوب: فلا خوف بالفتح في كل القرآن والآخرون بالضم والتنوين فلا خوف عليهم فيما [يستقبلونهم] ^(٢) ﴿ولا هم يحزنون﴾ على ما خلفوا. وقيل: لا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة ﴿والذين كفروا﴾ (يعني جحدوا) ^(٣) ﴿وكذبوا بآياتنا﴾ بالقرآن ﴿أولئك أصحاب النار﴾ يوم القيامة ﴿هم فيها خالدون﴾ لا يخرجون منها ولا يموتون فيها.

قوله تعالى: ﴿يا بني إسرائيل﴾ يا أولاد يعقوب. ومعنى إسرائيل: عبد الله، وإيل هو الله تعالى، وقيل صفوة الله، وقرأ أبو جعفر: إسرائيل بغير همز ﴿اذكروا﴾ احفظوا، والذكر: يكون بالقلب ويكون باللسان وقيل: أراد به الشكر، وذكر بلفظ الذكر لأن في الشكر ذكراً وفي الكفران نسياناً، قال الحسن: ذكر النعمة شكرها ﴿نعمتي﴾ أي: نعمي، لفظها واحد ومعناها جمع ^(٤) كقوله تعالى «إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها» (٣٤ - إبراهيم) ﴿التي أنعمت عليكم﴾ أي على أجدادكم وأسلافكم. قال قتادة: هي النعم التي خصت بها بنو إسرائيل: من فلق البحر وإنجائهم من فرعون بإغراقه وتظليل الغمام عليهم في التيه، وإنزال المن والسلوى وإنزال التوراة، في نعم كثيرة لا تحصى، وقال غيره: هي جميع النعم التي لله عز وجل

(١) في ب: الثاني.

(٢) في ب فيما يستقبلهم.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) انظر: تفسير الواحدي ٩٠/١، القرطبي: ٣٣١/١.

على عباده ﴿وَأَوْفُوا بعهدي﴾ أي بامتثال أمري ﴿وَأوفِ بعهدي﴾ بالقبول والثواب.

قال قتادة ومجاهد: أراد بهذا العهد ما ذكر في سورة المائدة «ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً إلى أن قال — لأكفرنَّ عنكم سيئاتكم» (١٢ — المائدة) فهذا قوله أوفِ بعهدي. وقال الحسن هو قوله «وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة» (٦٣ — البقرة) فهو شريعة التوراة، وقال مقاتل هو قوله «وإذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلا الله» (٨٣ — البقرة) وقال الكلبي عهد الله إلى بني اسرائيل على لسان موسى: إني باعث من بني اسماعيل نبياً أميناً فمن اتبعه وصدق بالنور الذي يأتي به غفرْتُ له ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له أجرين اثنين: وهو قوله: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس» (١٨٧ — آل عمران) يعني أمر محمد ﷺ.

﴿وإياي فارهبون﴾ فخافوني في نقض العهد. وأثبت يعقوب الياءات المحذوفة في الخط مثل فارهبوني، فاتقوني، واخشوني، والآخرون يحذفونها على الخط ﴿وآمنوا بما أنزلت﴾ يعني القرآن ﴿مصدقاً لما معكم﴾ أي موافقاً لما معكم يعني: التوراة، في التوحيد والنبوة والأخبار ونعت النبي ﷺ، نزلت في كعب بن الأشرف وأصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم^(١) ﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾ أي بالقرآن يريد من أهل الكتاب، لأن قريشاً كفرت قبل اليهود بمكة، معناه: ولا تكونوا أول من كفر بالقرآن فيتابعكم اليهود على ذلك فتبوءوا بآثامكم وآثامهم ﴿ولا تشتروا﴾ أي: ولا تستبدلوا ﴿بآياتي﴾ بيان صفة محمد ﷺ ﴿ثمناً قليلاً﴾ أي عرضاً يسيراً من الدنيا وذلك أن رؤساء اليهود وعلماءهم كانت لهم مآكل يصيبونها من سفلتهم وجهاهم يأخذون منهم كل عام شيئاً معلوماً من زروعهم وضروعهم ونقودهم فخافوا إن هم بينوا صفة محمد ﷺ وتابعوه أن تفوتهم تلك المآكل فغيروا نعتهم وكتبوا اسمه فاختاروا الدنيا على الآخرة ﴿وإياي فاتقون﴾ فاحشوني ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾ أي لا تخلطوا، يقال لبس الثوب يلبس لُبساً، ولبسَ عليه الأمر يلبسُ لُبساً أي خلط. يقول: لا تخلطوا الحق الذي، أنزلت عليكم من صفة محمد ﷺ بالباطل الذي تكتبونه بأيديكم من تغيير صفة محمد ﷺ.

والأكثر على أنه أراد: لا تلبسوا الإسلام باليهودية والنصرانية^(٢).

وقال مقاتل: إن اليهود أقروا ببعض صفة محمد ﷺ وكتبوا بعضاً ليصدقوا في ذلك فقال: ولا تلبسوا الحق الذي تقرون به بالباطل يعني بما تكتبونه، فالحق: بيأنهم، والباطل: كتبائهم وكتبتموا الحق أي لا تكتبتموه، يعني: نعت محمد ﷺ.

(١) انظر: تفسير الواحدي: ٩٢/١.

(٢) عن قتادة قال: لا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام وأنتم تعلمون أن دين الله الإسلام، وأن اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله. انظر: الدر المنثور: ١/١٥٥، وأقرأ بحثاً بعنوان «إن الدين عند الله الإسلام» في العدد (١٦) من مجلة البحوث الإسلامية. الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
 وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا
 رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يٰبَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ
 عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ
 مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه نبي مرسل ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ يعني الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها
 ﴿وَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ أدوا زكاة أموالكم المفروضة والزكاة مأخوذة من زكا الزرع إذا نما وكثر. وقيل: من تزكى
 أي تطهر، وكلا المعنيين موجود في الزكاة، لأن فيها تطهيراً وتنمية للمال ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أي
 صلوا مع المصلين: محمد ﷺ وأصحابه، وذكر بلفظ الركوع لأنه ركن من أركان الصلاة، ولأن صلاة
 اليهود لم يكن فيها ركوع، فكانه قال: صلوا صلاة ذات ركوع، قيل: إعادته بعد قوله ﴿وَأَقِيمُوا
 الصَّلَاةَ﴾ لهذا، أي صلوا مع الذين في صلاتهم ركوع، فالأول مطلق في حق الكل، وهذا في حق أقوام
 مخصوصين. وقيل: هذا حث على إقامة الصلاة جماعة كأنه قال لهم: صلوا مع المصلين الذين سبقوكم
 بالإيمان.

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ أي بالطاعة، نزلت في علماء اليهود، وذلك أن الرجل منهم كان يقول
 لقريبه وحليفه من المسلمين إذا سأله عن أمر محمد ﷺ: اثبت علي دينه فإن أمره حق وقوله صدق.
 وقيل: هو خطاب لأخبارهم حيث أمروا أتباعهم بالتمسك بالتوراة، ثم خالفوا وغيروا نعت محمد ﷺ
 ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي تتركون أنفسكم فلا تتبعونه ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ تقرأون التوراة فيها نعته
 وصفته ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنه حق فتبعونه؟.

والعقل مأخوذ من عقال الدابة، وهو ما يشدُّ به ركة البعير فيمنعه من الشroud، فكذلك العقل يمنع
 صاحبه من الكفر والجحود.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو عمرو بكر بن محمد المزني أنا أبو بكر محمد بن عبد الله
 حفيد العباس بن حمزة أنا الحسين بن الفضل البجلي أنا عفان أنا حماد بن سلمة أنا علي بن زيد عن أنس
 ابن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت:
 من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون

الكتاب»^(١).

أخبرنا عبد الواحد / المليحي / أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل / أنا علي بن عبد الله أنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل قال: قال أسامة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه (أي تنقطع أمعاؤه) في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه»^(٢) فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمرم بالمعروف ولا آتية، وأنهم عن المنكر وآتية» وقال شعبة عن الأعمش «فيطحن فيها كما يطحن الحمار برحاه»^(٣).

﴿واستعينوا﴾ على ما يستقبلكم من أنواع البلاء وقيل: على طلب الآخرة ﴿بالصبر والصلاة﴾ أراد حبس النفس عن المعاصي. وقيل: أراد: الصبر على أداء الفرائض، وقال مجاهد: الصبر الصوم، ومنه سمي شهر رمضان شهر الصبر، وذلك لأن الصوم يزهده في الدنيا، والصلاة ترغبه في الآخرة، وقيل: الواو بمعنى على، أي: واستعينوا بالصبر على الصلاة، كما قال الله تعالى: «وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها» (١٣٢ - طه) ﴿وإنها﴾ ولم يقل وانها رداً للكناية إلى كل واحد منهما أي وإن كل خصلة منهما. كما قال: «كلتا الجنتين آتت أكلها» (٣٣ - الكهف) أي كل واحدة منهما. وقيل: معناه ﴿واستعينوا بالصبر﴾ وإنه لكبير وبالصلاة وإنها لكبيرة، فحذف أحدهما اختصاراً، وقال المورج^(٤): رد الكناية إلى الصلاة لأنها أعم كقوله تعالى: «والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها» (٣٤ - التوبة) رد الكناية إلى الفضة لأنها أعم. وقيل: رد الكناية إلى الصلاة لأن الصبر داخل فيها. كما قال الله تعالى: «والله ورسوله أحق أن يرضوه» (٦٢ - التوبة) ولم يقل يرضوها لأن رضا الرسول داخل في رضا الله تعالى. وقال الحسين بن الفضل: «رد الكناية إلى الاستعانة ﴿لكبيرة﴾ أي: لثقلية ﴿إلا على الخاشعين﴾

(١) أخرجه أحمد عن أنس بن مالك: ١٢٠/٣ و ٢٣١ و ٢٣٩.

وابن حبان برقم (٣٥) من موارد الظمان والمصنف في شرح السنة: ٣٥٣/١٤ وقال: هذا حديث حسن. وفي سننه علي بن زيد بن جدعان: ضعيف (التقريب: ٣٧/٢ ميزان الاعتدال: ١٢٨/٣) وباقى رجاله ثقات.

وأخرجه ابن حبان من طريق أخرى لا بأس بها فيتقوى بها الحديث.

وأخرجه الواحدي في التفسير الوسيط: ٩٦/١ باختلاف يسير عن أنس أيضاً.

(٢) الرحي: الطاحون.

(٣) رواه البخاري: في بدء الخلق - باب صفة النار وأنها مخلوقة: ٣٣١/٦.

ومسلم: في الزهد - باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله برقم (٢٩٨٩) ٢٢٩٠/٤ - ٢٢٩١. والمصنف في شرح السنة: ٣٥٢/١٤.

(٤) مؤرّج السدوسي: مؤرّج بن عمرو بن الحارث من بني سدوس بن شيان أبو فيد عالم بالعربية والانساب من أعيان أصحاب الخليل بن أحمد من أهل البصرة كان له اتصال بالمأمون العباسي ورحل معه إلى خراسان فسكن مدة بمرو وانتقل إلى نيسابور من كنبه: جواهر القبائل وحذف نسب قريش، وغريب القرآن، وكتاب الامثال، والمعاني (الأعلام: ٣١٨/٧).

وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ
فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾

يعني: المؤمنين، وقال الحسن: الخائفين وقيل: المطيعين وقال مقاتل بن حيان: المتواضعين، وأصل الخشوع السكون قال الله تعالى: «وخشعت الأصوات للرحمن» (١٠٨ - طه) فالخاشع ساكن إلى طاعة الله تعالى.

﴿الذين يظنون﴾ يستيقنون [أنهم مبعوثون وأنهم محاسبون وأنهم راجعون إلى الله تعالى، أي: يصدقون بالبعث، وجعل رجوعهم بعد الموت إلى المحشر رجوعاً إليه] (١).

والظن من الأضداد يكون شكاً و يقيناً وأملاً، كالرجاء يكون خوفاً وأملاً وأمناً ﴿أنهم ملاقوا﴾ معانيرو ﴿ربهم﴾ في الآخرة وهو رؤية الله تعالى وقيل: المراد من اللقاء الصيرورة إليه ﴿وأنهم إليه راجعون﴾ فيجزئهم بأعمالهم.

﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾ أي عالمي زمانكم، وذلك التفضيل وإن كان في حق الآباء، لكن يحصل به الشرف للأبناء ﴿واتقوا يوماً﴾ واخشوا عقاب يوم ﴿لا تجزي نفس﴾ لا تقضي نفس ﴿عن نفس شيئاً﴾ أي حقاً لزمها وقيل: لا تغني، وقيل: لا تكفي شيئاً من الشدائد ﴿ولا يقبل منها شفاعة﴾ قرأ ابن كثير ويعقوب بالتاء لتأنيث الشفاعة، وقرأ الباقون بالياء لأن الشفع والشفاعة بمعنى واحد كالوعظ والموعظة، فالتذكير على المعنى، والتأنيث على اللفظ، كقوله تعالى: «قد جاءتكم موعظة من ربكم» (٥٧ - يونس) وقال في موضع آخر «فمن جاءه موعظة من ربه» (٢٧٥ - البقرة) أي لا تقبل منها شفاعة إذا كانت كافرة ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ أي فداء وسمي به لأنه مثل المبدئي والعدل: المثل ﴿ولا هم ينصرون﴾ يمنعون من عذاب الله.

﴿وإذ نجيناكم﴾ يعني: أسلافكم وأجدادكم فاعتدها منة عليهم لأنهم نجوا بنجاتهم ﴿من آل فرعون﴾: أتباعه وأهل دينه، وفرعون هو الوليد مصعب بن الريان وكان من القبط العماليق وعمراً أكثر من اربعمائة سنة ﴿يسومونكم﴾ يكلفونكم ويذيقونكم، ﴿سوء العذاب﴾ أشد العذاب وأسوأه وقيل: يصرفونكم في العذاب مرة هكذا ومرة هكذا كالإبل السائمة في البرية، وذلك أن فرعون جعل بني

(١) ساقط من ب.

إسرائيل خدماً وخولاً^(١) وصنفهم في الأعمال فصنف بينون، وصنف يخرثون ويزرعون، وصنف يخدمونه، ومن لم يكن منهم في عمل وضع عليه الجزية.

وقال وهب: كانوا أصنافاً في أعمال فرعون، فذوو القوة ينحتون السواري^(٢) من الجبال حتى قرحت^(٣) أعناقهم وأيديهم ودبرت^(٤) ظهورهم من قطعها ونقلها، وطائفة ينقلون الحجارة، وطائفة بينون له القصور، وطائفة منهم يضربون اللين ويطبخون الآجر، وطائفة نجارون وحدادون، والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج ضريبة يؤديونها كل يوم، فمن غربت عليه الشمس قبل أن يؤدي ضربيته غلَّت يمينه إلى عنقه شهراً، والنساء يغزلن الكتان وينسجن، وقيل: تفسيره ذكر ما بعده، ﴿يذبحون أبناءكم﴾ فهو مذكور على وجه البديل من قوله — يسومونكم سوء العذاب ﴿ويستحيون نساءكم﴾ يتركونهن أحياء، وذلك أن فرعون رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطني بها ولم تتعرض لبني إسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه؟ فقالوا: يولد في بني إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك، فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل وجمع القوابل فقال لمن: لا يسقطن على أيديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتل ولا جارية إلا تركت، ووكل بالقوابل، فكن يفعلن ذلك حتى قيل: إنه قتل في بني إسرائيل اثني عشر ألف صبي في طلب موسى، وقال وهب: بلغني أنه ذبح في طلب موسى عليه السلام تسعين ألف وليد. قالوا: وأسرع الموت في مشيخه بني إسرائيل فدخل رؤوس القبط على فرعون وقالوا: إن الموت قد وقع في بني إسرائيل أفتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا؟ فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة، فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها، وموسى في السنة التي يذبحون فيها.

﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ قيل: البلاء المحنة، أي في سومهم إياكم سوء العذاب محنة عظيمة، وقيل: البلاء النعمة أي في إنجائي إياكم منهم نعمة عظيمة، فالبلاء يكون بمعنى النعمة وبمعنى الشدة، فالله تعالى قد يختبر على النعمة بالشكر، وعلى الشدة بالصبر وقال: الله تعالى: «ونبلوكم بالشر والخير فتنة» (٣٥ — الأنبياء).

﴿وإذ فرقنا بكم البحر﴾ قيل: معناه فرقنا لكم وقيل: فرقنا البحر بدخولكم إياه وسمي البحر بحراً لاتساعه، ومنه قيل للفرس: بحر إذا اتسع في جريه، وذلك أنه لما دنا هلاك فرعون أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يسري ببني إسرائيل من مصر ليلاً فأمر موسى قومه أن يسرجوا في بيوتهم إلى الصبح،

(١) هم حشمُ الرجل وأتباعه، واحدهم خاتل: وهو مأخوذ من التخويل: التمليك، وقيل من الرعاية.

(٢) الاسطوانات.

(٣) جرحت.

(٤) دبرت ظهورهم، مأخوذ من دبرت الدابة: قرحت ظهرها.

وأخرج الله تعالى كل ولد زنا في القبط من بني إسرائيل إليهم، وكل ولد زنا في بني إسرائيل / من القبط إلى القبط حتى رجع كل إلى أبيه، وألقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم واشتغلوا بدفنهم حتى أصبحوا وطلعت الشمس، وخرج موسى عليه السلام في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل، لا يعدون ابن العشرين لصغره، ولا ابن الستين لكبره، وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين إنساناً ما بين رجل وامرأة.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان أصحاب موسى ستمائة ألف وسبعين ألفاً^(١).

وعن عمرو بن ميمون قال: كانوا ستمائة ألف فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى مشيخه بني إسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا: إن يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ على إخوته عهداً أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق، فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموا فقام موسى ينادي: أنشد الله كل من يعلم أين موضع قبر يوسف عليه السلام إلا أخبرني به؟ ومن لم يُعلم به فُصِّمَتْ أذناه عن قولي! وكان يمر بين الرجلين ينادي فلا يسمعان صوته حتى سمعته عجوز لهم فقالت: أرأيتك إن دلتك على قبره أتعطيني كل ما سألتك؟ فأبى عليها وقال: حتى أسأل ربي (فأمره)^(٢) الله تعالى بإيتائها سؤلها فقالت: إني عجوز كبيرة لا أستطيع المشي فاحملي وأخرجني من مصر، هذا في الدنيا وأما في الآخرة فأسألك أن لا تنزل غرفة من الجنة إلا نزلتها معك قال: نعم قالت: إنه في جوف الماء في النيل فادع الله حتى يحسر عنه الماء، فدعا الله تعالى فحسر عنه الماء، ودعا أن يؤخر طلوع الفجر إلى أن يفرغ من أمر يوسف عليه السلام، فحفر موسى عليه السلام ذلك الموضع واستخرجه في صندوق من مرمر، وحمله حتى دفنه بالشام، ففتح لهم الطريق فساروا وموسى عليه السلام على ساقاتهم^(٣) وهارون على مقدمتهم، ونذر^(٤) بهم فرعون فجمع قومه وأمرهم

(١) نقل ابن خلدون في مقدمة تاريخه أن المسعودي وكثيراً من المؤرخين ذكروا أن موسى عليه السلام أحصى بني إسرائيل في التيه، بعد أن أجاز من يطبق حمل السلاح خاصة، من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة ألف ويزيدون. ثم فُتد ذلك لجملة أسباب: أ — إن في ذلك ذهولاً عن تقدير مصر والشام واتساعهما مثل هذا العدد من الجيوش، لكل مملكة من الممالك حصّة من الحماية تتسع لها وتقوم بوظائفها وتضيق عما فوقها، تشهد بذلك العوائد المعروفة والأحوال المألوفة.

ب — ثم إن هل هذه الجيوش البالغة إلى مثل هذا العدد يبعد أن يقع بينها زحف أو قتال لضيق ساحة الأرض عنها، وُبغدها، إذا اصطفت، عن مدى البصر مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً، فكيف يقتتل هذان الفريقان أو تكون غلبة أحد الصفتين؟ وشيء من جوانبه لا يشعر بالجانب الآخر؟

ح — وأيضاً: فلو بلغ بنو إسرائيل مثل هذا العدد لا تسع نطاق ملكهم وانفسح مدى دولتهم.

د — وأيضاً فالذي بين موسى وإسرائيل إنما هو أربعة آباء على ما ذكره المحققون، والمدة بينهما على ما نقله المسعودي مائتان وعشرين سنة، ويبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال مثل هذا العدد. انظر: مقدمة ابن خلدون، ١٣/١ — ١٦، طبعة دار الكتاب العربي.

(٢) في الأصل: فأمر.

(٣) على مؤخرتهم: أي يقدمهم أمامه ويمشي خلفهم تواضعاً.

(٤) أي: علم.

أن لا يخرجوا في طلب بني إسرائيل حتى يصيح الديك، فوالله ما صاح ديك تلك الليلة، فخرج فرعون في طلب بني إسرائيل وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف، وكان فيهم سبعون ألفاً من دهم الخيل سوى سائر الشيات^(١) [وقال محمد بن كعب رضي الله عنه: كان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر الشيات^(٢)] وكان فرعون يكون في الدهم^(٤) وقيل: كان فرعون في سبعة آلاف ألف، وكان بين يديه مائة ألف ناشب، ومائة ألف أصحاب حراب، ومائة ألف أصحاب الأعمدة، فسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر والماء في غاية الزيادة فنظروا فإذا هم بفرعون حين أشرقت الشمس فبقوا متحيرين فقالوا: يا موسى كيف نصنع؟ وأين ما وعدتنا؟ هذا فرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا! والبحر أماننا إن دخلناه غرقنا؟ قال الله تعالى: «فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون * قال موسى كلا إن معي ربي سيهدين» (٦١ - ٦٢ الشعراء).

فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يقطع فأوحى الله إليه أن كنه فضربه وقال: انفلق يا أبا خالد بإذن الله تعالى، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وظهر فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار ييساً فخاضت بنو إسرائيل البحر، كل سبط في طريق، وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضاً، فخافوا وقال كل سبط: قد قتل إخواننا فأوحى الله تعالى إلى جبال الماء: أن تشبكي، فصار الماء شبكات كالطبقات يرى بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى «وإذ فرقنا بكم البحر».

﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾ من آل فرعون والغرق ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ وذلك أن فرعون لما وصل إلى البحر فرآه منغلغلاً قال لقومه: انظروا إلى البحر انفلق من هيبتي حتى أدرك عبيدي الذين أبقوا ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه وقيل: قالوا له إن كنت رياً فادخل البحر كما دخل موسى، وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون فرس أنثى فجاء جبريل على فرس أنثى وديق^(٥) فتقدمهم وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ربحها اقتحم البحر في أثرها وهم لا يرونه ولم يملك فرعون من أمره شيئاً وهو لا يرى فرس جبريل واقتحمت الخيول جملة خلفه في البحر، وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يشحذهم ويسوقهم حتى لا يشذ رجل منهم ويقول لهم: الحقوا بأصحابكم حتى خاضوا كلهم البحر، وخرج جبريل من

(١) جمع الشية: وهي كل لون يخالف معظم لون الفرس.

(٢) هذه الأخبار من الاسرائيليات، لا يعتمد عليها في تفسير كتاب الله تعالى، ولا يتوقف فهمه عليها، والأولى أن نضرب عنها صفحاً.

(٣) ساقطة من (أ).

(٤) هو العدد الكثير، وهو أيضاً: الخيل السوداء.

(٥) فرس وديق: مريدة للفحل، تشبیهه. وقد أورد الطبري في تفسيره هذه الرواية وفي تاريخه أيضاً.

وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾
 ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ
 وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ
 بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ
 عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾

البحر، وهم أولهم بالخروج فأمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وغرقهم أجمعين، وكان بين طرفي البحر أربعة فراسخ وهو بحر قلزم، طرف من بحر فارس، قال قتاده: بحر من وراء مصر يقال له إساف، وذلك بمرأى من بني إسرائيل فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى مصارعهم وقيل: إلى هلاكهم.

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا﴾ هو من المفاعلة التي تكون من الواحد كقولهم: عافاك الله، وعاقبت اللص، وطارت النعل. وقال الزجاج: كان من الله الأمر ومن موسى القبول، فلذلك ذكر بلفظ المواعدة، وقرأ أهل البصرة (وَإِذْ وَعَدْنَا) من الوعد ﴿مُوسَى﴾ اسم عبري عَرَّبَ وهو بالعبرانية (مو) الماء (وش) الشجر، سمي به لأنه أخذ من بين الماء والشجر، ثم قلبت الشين المعجمة سيناً في العربية ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ أي انقضاءها: ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة، وقرن التاريخ بالليل دون النهار لأن شهور العرب وضعت على سير القمر، والهلل إنما يهل بالليل وقيل: لأن الظلمة أقدم من الضوء، وخلق الليل قبل النهار، قال الله تعالى: «وَأَيُّ لَيْلٍ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ» (٣٧ - يس) وذلك أن بني إسرائيل لما أمنوا من عدوهم ودخلوا مصر (١) لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليها، فوعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه: إني ذاهب لميقات ربكم آتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وماتدرون، وواعدكم أربعين ليلة، ثلاثين من ذي القعدة وعشراً من ذي الحجة، واستخلف عليهم أخاه هارون فلما أتى الوعد جاء جبريل على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيئاً إلا حُيى ليذهب بموسى إلى ربه، فلما رآه السامري وكان رجلاً صائغاً من أهل باجرمي واسمه ميخا، وقال سعيد بن جبير: كان من أهل كرمان، وقال ابن عباس: اسمه موسى بن مظفر (٢)، وقال قتادة: كان من بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة، وكان منافقاً أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر، فلما رأى جبرائيل على ذلك الفرس ورأى

(١) والوجه أن يقال: ودخلوا الأرض المقدسة.

(٢) في ب: ظفر.

مواضع قدم الفرس تخضّر في الحال قال: إن لهذا شأنًا فأخذ قبضة من تربة حافر فرس جبرائيل عليه السلام. قال عكرمة: ألقى في روعه أنه إذا ألقى في شيء غيرِه، وكانت بنو إسرائيل قد استعاروا حلياً كثيرة من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلّة عرس لهم، فأهلك الله فرعون وبقيت تلك الحلي في أيدي بني إسرائيل، فلما فصل موسى قال السامري لبني إسرائيل: إن الحلي التي استعتموها من قوم فرعون غنيمة لا تحمل لكم، فاحفروا حفرة فادفونها فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه.

وقال السدي: إن هارون عليه السلام أمرهم أن يُلقوها في حفيرة، حتى يرجع موسى ففعلوا، / فلما اجتمعت الحلي صاغها السامري عجلاً في ثلاثة أيام ثم ألقى فيها القبضة التي أخذها من تراب فرس جبرائيل عليه السلام، فخرج عجلاً من ذهب مرصعاً بالجواهر كأحسن ما يكون، وخار خورة، وقال السدي: كان يخور ويمشي فقال السامري «هذا إلهكم وإله موسى فنسي» (٨٨ - طه) أي فتركه هاهنا وخرج يطلبه.

وكانت بنو إسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضت عشرون يوماً ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة.

وقيل: كان موسى قد وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فنتهم في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا أنه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامري عكف ثمانية آلاف رجل منهم على العجل يعبدونه وقيل: كلهم عبده إلا هارون وحده فذلك قوله تعالى ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ أي إلهاً ﴿مَنْ بَعْدَهُ﴾ أظهر ابن كثير وحفص الذال من أخذت واتخذت والآخرين يدغمونها ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ضارون لأنفسكم بالمعصية واضعون العبادة في غير موضعها ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ محونا ذنوبكم ﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ من بعد عبادتكم العجل ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لكي تشكروا عفوي عنكم وصنيعي إليكم، قيل: الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية قال الحسن: شكر النعمة ذكرها قال الله تعالى «وأما بنعمة ربك فحدث» (١١ - الضحى) قال الفضيل: شكر كل نعمة أن لا يعصي الله بعد تلك النعمة وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر.

حكى أن موسى عليه السلام قال: إلهي أنعمت علي النعم السوابغ، وأمرتني بالشكر وإنما شكري إياك نعمة منك، قال الله تعالى: يا موسى تعلمت العلم الذي لا يفوقه شيء من علم، حسبي من عبدي أن يعلم أن ما به من نعمة فهو مني، وقال داود عليه السلام: سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكراً، كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ قال مجاهد: هو التوراة أيضاً

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ
 تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا
 عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا
 وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

ذكرها باسمين، وقال الكسائي: الفرقان نعت الكتاب والواو زائدة، يعني: الكتاب الفرق بين الحلال والحرام، وقال يمان بن رباب: أراد بالفرقان انفراق البحر كما قال «وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم» ﴿لعلكم تهتدون﴾ بالتوراة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ الذين عبدوا العجل ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ ضررتم بأنفسكم ﴿بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلِ﴾ إلهاً قالوا: فأبي شيء نصنع؟ قال: ﴿فَتَوَبُّوا﴾ فارجعوا ﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ خالقكم قالوا: كيف نتوب؟ قال ﴿فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يعني ليقتل البريء منكم المجرم ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي القتل ﴿خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا: نصبر لأمر الله فجلسوا بالأفنية^(١) محتبين^(٢) وقيل لهم: من مدَّ حبوته أو مد طرفه إلى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته، وأصلت القوم عليهم الخناجر، فكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقربيه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضي لأمر الله تعالى، قالوا: يا موسى كيف نفعل؟ فأرسل الله تعالى عليهم ضباباً وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضاً فكانوا يقتلونهم إلى المساء، فلما كثر القتل دعا موسى وهارون عليهما السلام وبكيا وتضرعا وقالوا: يارب هلكت بنو إسرائيل، البقية البقية، فكشف الله تعالى السحابة وأمرهم أن يكفوا عن القتل فتكشفت عن ألوف من القتلى.

روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: كان عدد القتلى سبعين ألفاً فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى إليه: أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول في الجنة، فكان من قتل منهم شهيداً، ومن بقي مكفراً عنه ذنوبه، فذلك قوله تعالى ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم فتجاوز عنكم ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ القابل التوبة ﴿الرَّحِيمُ﴾ بخلقه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ وذلك أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختر موسى سبعين رجلاً

(١) جمع فناء: وهو سعة أمام البيت، وقيل ما امتد من جوانبه.

(٢) الاحتباء: أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بثوب أو غيره.

من قومه من خيارهم، فقال لهم: صوموا وتطهروا واطهروا ثيابكم، ففعلوا، فخرج بهم موسى إلى طور سيناء لميقات ربه، فقالوا لموسى: اطلب لنا نسمع كلام ربنا، فقال لهم: أفعّل، فلما دنا موسى إلى طور سيناء من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله، فدخل في الغمام وقال للقوم: ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام وخرّوا سجداً، وكان موسى إذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه، فضرب دونهم الحجاب وسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه وأسمعهم الله: أي أنا الله لا إله إلا أنا ذو بكة^(١) أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري، فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل إليهم فقالوا: له «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة» معاينة وذلك أن العرب تجعل العلم بالقلب رؤية، فقال جهرة ليعلم أن المراد منه العيان ﴿فأخذتكم الصاعقة﴾ أي الموت، وقيل: نار جاءت من السماء فأحرقتهم ﴿وأنتم تنظرون﴾ أي ينظر بعضكم إلى بعض حين أخذكم الموت. وقيل: تعلمون، والنظر يكون بمعنى العلم، فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول: ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم؟ «لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا» (١٥٥ - الأعراف) فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله تعالى رجلاً بعد رجل بعدما ماتوا يوماً وليلة، ينظر بعضهم إلى بعض، كيف يحيون فذلك قوله تعالى: ﴿ثم بعثناكم﴾ أي حينئذ، والبعث: إثارة الشيء عن محله يقال بعثت البعير وبعثت النائم فانبعث ﴿من بعد موتكم﴾ قال قتادة: أحياهم ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم ولو ماتوا بآجالهم لم يبعثوا إلى يوم القيامة.

﴿لعلكم تشكرون * وظللنا عليكم الغمام﴾ في التيه يقيكم حر الشمس، والغمام من الغم وأصله التغطية والستر سمي السحاب غماماً لأنه يغطي وجه الشمس وذلك أنه لم يكن لهم في التيه كَنّ يستترهم فشكوا إلى موسى فأرسل الله تعالى غماماً أبيض رقيقاً أطيب من غمام المطر، وجعل لهم عموداً من نور يضيء لهم الليل إذا لم يكن لهم قمر ﴿وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾ أي في التيه، الأكثرون على أن المن هو الترنجيبين، وقال مجاهد: هو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار طعمه كالشهد، وقال وهب: هو الخبز الرقاق، قال الزجاج: جملة المن ما يمن الله به من غير تعب.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف / أنا محمد بن اسماعيل ١٢ / أ
أنا أبو نعيم أنا سفيان عن عبد الملك هو ابن عمير عن عمرو بن حريث عن سعيد بن زيد رضي الله عنه
قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين»^(٢).

(١) ذو بكة: أي ذو قوة.

(٢) رواه البخاري: في تفسير سورة البقرة باب: وظللنا عليكم الغمام: ١٦٣/٨ وفي تفسير سورة الأعراف وفي الطب.

ومسلم: في الأشربة - باب: فضل الكمأة ومداواة العين بها برقم (٢٠٤٩) ١٦١٩/٣.

والمصنف في شرح السنة: ١١/٣٣٢ - ٣٣٣.

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا
وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا
قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

قالوا فكان هذا المن كل ليلة يقع على أشجارهم مثل الثلج، لكل إنسان منهم صاع، فقالوا: يا موسى قتلنا هذا المنُّ بحلواته فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم فأنزل الله تعالى عليهم السلوى وهو طائر يشبه السمانى، وقيل: هو السمانى بعينه، بعث الله سحابة فمطرت السمانى في عرض ميل وطول رح في السماء، بعضه على بعض والسلوى: العسل، فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى كل صباح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فيأخذ كل واحد منهم ما يكفيه يوماً وليلة وإذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد منهم ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل يوم السبت.

﴿كلوا﴾ أي: وقلنا لهم: كلوا ﴿من طيبات﴾ حلالات ﴿ما رزقناكم﴾ ولا تَدَّخِرُوا لِعْدٍ، ففعلوا، فقطع الله ذلك عنهم، ودوّد وفسد ما ادخروا، فقال الله تعالى: ﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ أي وما يخسوا بحقنا، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستيحابهم عذابي، وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة في الدنيا ولا حساب في العقبى.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزياتي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخبز اللحم»^(١)، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر»^(٢).

﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ سميت القرية قرية لأنها تجمع أهلها، ومنه المقررة: للحوض، لأنها تجمع الماء، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي أريحا وهي قرية الجبارين كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق، وقيل: بلقاء، وقال مجاهد: بيت المقدس، وقال الضحاك: هي الرملة

(١) بيتن.

(٢) رواه البخاري: في الأنبياء - باب: قول الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر: ٤٣٠/٦.

مسلم: في الرضاع - باب لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر بقرم (١٤٧٠) ١٠٩٢/٢.

والمصنف في شرح السنة: ١٦٤/٩.

وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ
 اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُفُورًا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا
 فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٢٠﴾

والأردن وفلسطين وتدمر، وقال مقاتل: إيليا، وقال ابن كيسان: الشام ﴿فكفروا منها حيث شئتم رغدا﴾
 موسعاً عليكم ﴿وادخلوا الباب﴾ يعني باباً من أبواب القرية وكان لها سبعة أبواب ﴿سجداً﴾ أي ركعاً
 خضعاً منحنين، وقال وهب: فإذا دخلتموه فاسجدوا شكراً لله تعالى ﴿وقولوا حطة﴾ قال قتادة: حط
 عنا خطايانا، أمروا بالاستغفار، قال ابن عباس: لا إله إلا الله، لأنها تحط الذنوب، ورفعها على تقدير:
 قولوا مسألتنا حطة ﴿نغفر لكم خطاياكم﴾ من الغفر وهو الستر، فالمغفرة تستر الذنوب، وقرأ أهل المدينة
 و(نافع)^(١) بالياء وضمها وفتح الفاء، وقرأها ابن عامر بالتاء وضمها وفتح الفاء، وفي الأعراف قرأ جميعاً
 ويعقوب بالتاء وضمها، وقرأ الآخرون فيهما بنصب النون وكسر الفاء ﴿وسنزيد المحسنين﴾ ثواباً من
 فضلنا ﴿فبدل﴾ فغير ﴿الذين ظلموا﴾ أنفسهم وقالوا ﴿قولاً غير الذي قيل لهم﴾ وذلك أنهم بدلوا قول
 الحطة بالحنطة، فقالوا بلسانهم: حطانا سمقانا أي حنطة حمراء، استخفافاً بأمر الله تعالى، وقال مجاهد:
 طوطيء لهم الباب ليخفصوا رؤوسهم فأبوا أن يدخلوها سجداً فدخلوا على أستاذهم مخالفة في الفعل كما
 بدلوا القول وقالوا قولاً غير الذي قيل لهم.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل
 أنا اسحاق بن نصر أنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله
 ﷺ: «قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاذهم وقالوا
 حبة في شعرة»^(٢).

﴿فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء﴾ قيل: أرسل الله عليهم طاعوناً فهلك منهم في ساعة
 واحدة سبعون ألفاً ﴿بما كانوا يفسقون﴾ يعصون ويخرجون من أمر الله تعالى.

﴿وإذ استسقى موسى﴾ طلب السقيا ﴿لقومه﴾ وذلك أنهم عطشوا في التيه فسألوا موسى أن
 يستسقي لهم ففعل فأوحى الله إليه كما قال: ﴿فقلنا اضرب بعصاك﴾ وكانت من آس الجنة طولها عشرة
 أذرع على طول موسى عليه السلام ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نوراً واسمها عليق حملها آدم عليه

(١) زيادة من ب.

(٢) رواه البخاري: في أحاديث الأنبياء ٤٣٦/٦ مسلم: في التفسير برقم (٣٠١٥) ٢٣١٢/٤.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ
الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّيْهَا وَفُومَهَا وَعَدْسَهَا وَيَبْصِلَهَا قَالُوا مَا أَتَيْتَنَا بِسِحْرِ
الْحَدِيدِ

السلام من الجنة فتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى شعيب عليه السلام فأعطاها موسى عليه السلام.
قال مقاتل: اسم العصا بنعته قوله تعالى ﴿الحجر﴾ اختلفوا فيه قال وهب: لم يكن حجراً معيناً بل
كان موسى يضرب أي حجر كان من عرض الحجارة فينفجر عيوناً لكل سبط عين، وكانوا اثني عشر
سبطاً ثم تسيل كل عين في جدول إلى السبط الذي أمر أن يسقيهم، وقال الآخرون: كان حجراً معيناً
بدليل أنه عُرف بالألف واللام، قال ابن عباس: كان حجراً خفيفاً مربعاً على قدر رأس الرجل كان
يضعه في مخلاته فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه، وقال عطاء: كان للحجر أربعة وجوه لكل
وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين وقيل: كان الحجر رخاماً، وقيل: كان من الكدّان^(١) فيه اثنتا عشرة
حفرة، ينبع من كل حفرة عين ماء عذب، فإذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء، وكان
يسقي كل يوم ستائة ألف، وقال سعيد بن جبير: هو الحجر الذي وضع موسى ثوبه عليه ليغتسل ففرّ
بثوبه ومرّ به على ملاء من بني إسرائيل حين رموه بالأذرة^(٢) فلما وقف أتاه جبريل فقال: إن الله تعالى
يقول: ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة، ولك فيه معجزة، فرفعه ووضعها في مخلاته، قال عطاء: كان يضربه
موسى اثنتي عشرة ضربة فيظهر على موضع كل ضربة مثل ثدي المرأة فيعرق ثم يتفجر الأنهار، ثم تسيل.
وأكثر أهل التفسير يقولون: انبجست وانفجرت واحد، وقال أبو عمرو بن العلاء: انبجست عرقت
وانفجرت، أي: سالت، فذلك قوله تعالى:

﴿فانفجرت﴾ أي فضرب فانفجرت أي سالت منه ﴿اثنتا عشرة عيناً﴾ على عدد الأسباط ﴿قد
علم كل أناس مشربهم﴾ موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره في شربه ﴿كلوا واشربوا من رزق الله﴾
أي وقلنا لهم كلوا من المن والسلوى، واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذي يأتيكم بلا مشقة
﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ والعيث: أشدُّ الفساد يقال عثى يعثى عيثاً، وعثا يعثو عثواً وعاث
يعيث عيثاً.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ وذلك أنهم أجمعوا وسموا من أكل
المن والسلوى، وإنما قال ﴿على طعام واحد﴾ وهما اثنان لأن العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد كما تعبر
عن الواحد بلفظ الاثنين، كقوله تعالى / «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» (٢٢- الرحمن) وإنما يخرج من

ب/١٢

(١) الحجر الرخو كأنه مدر وربما كان نجراً.

(٢) انتفاخ الحصية.

هُوَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَمْ يَطُؤُا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ
الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُ وَبَغَضِبِ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١﴾

المالح دون العذب وقيل: كانوا يأكلون أحدهما بالآخر فكانا كطعام واحد وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم: كانوا يعجنون المن بالسلوى فيصيران واحداً ﴿فادع لنا﴾ فاسأل لأجلنا ﴿وبك يخرج لنا﴾ مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها ﴿قال ابن عباس: والفوم الخبز: وقال عطاء، الخنطة وقال القتيبي رحمه الله تعالى: الحبوب التي تؤكل كلها وقال الكلبي: ﴿وعدسها وبصلها قال﴾ لهم موسى عليه السلام ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى﴾ أحسن وأردى ﴿بالذي هو خير﴾ أشرف وأفضل وجعل الخنطة أدنى في القيمة وإن كان هو خيراً من المن والسلوى، أو أراد أنها أسهل وجوداً على العادة، ويجوز أن يكون الخير راجعاً إلى اختيار الله لهم واختيارهم لأنفسهم ﴿اهبطوا مصراً﴾ يعني فإن أبيت إلا ذلك فانزلوا مصراً من الأمصار، وقال الضحاك: هو مصر موسى وفرعون، والأول أصح، لأنه لو أراد لم يعرفه ﴿فإن لكم ما سألتهم﴾ من نبات الأرض ﴿وضربت عليهم﴾ جعلت عليهم وألزموا ﴿الذلة﴾ الذل والهوان قيل: بالجزية، وقال عطاء بن السائب: هو الكستيح والزنار وزى اليهودية ﴿والمسكنة﴾ الفقر، سمي الفقير مسكيناً لأن الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة، فترى اليهود وإن كانوا مياسير كأنهم فقراء، وقيل: الذلة هي فقر القلب فلا ترى في أهل الملل أذل وأحرص على المال من اليهود.

﴿وباءوا بغضب من الله﴾ رجعوا ولا يقال باؤوا إلا بشر وقال أبو عبيدة: احتملوا وأقروا به، ومنه الدعاء: أبوء (لك) ^(١) بنعمتك علي وأبوء بذنبي، أي أقر ذلك ﴿أي الغضب﴾ بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ﴿بصفة محمد ﷺ وآية الرجم في التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن﴾ ويقتلون النبيين ﴿تفرد نافع بهمز النبي وبابه، فيكون معناه الخبر من أنبأ نبيء ونبا نبيء، والقراءة المعروفة ترك الهزمة، وله وجهان: أحدهما هو أيضاً من الإنباء، تركت الهزمة فيه تخفيفاً لكثرة الاستعمال، والثاني هو بمعنى الرفيع مأخوذة من النبوة وهي المكان المرتفع، فعلى هذا يكون النبيين على الأصل ﴿بغير الحق﴾ أي بلا جرم فإن قيل: فلم قال: بغير الحق وقتل النبيين لا يكون إلا بغير الحق؟ قيل ذكره وصفاً للقتل، والقتل تارة يوصف بغير الحق وهو مثل قوله تعالى: «قال رب احكم بالحق» (١١٢ - الانبياء) ذكر الحق وصفاً للحكم لا أن حكمه ينقسم إلى الجور والحق، ويروى أن اليهود قتلت سبعين نبياً في أول النهار وقامت سوق بقتلهم في آخر النهار ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي.

(١) ليست في الأصل.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّارِئَ وَالصَّبِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
 ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا
 فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
 لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ يعني اليهود سموا به لقولهم: إنا هدنا إليك أي ملنا إليك، وقيل: لأنهم هادوا أي تابوا عن عبادة العجل، وقيل: لأنهم مالوا عن دين الإسلام، وعن دين موسى عليه السلام، وقال أبو عمرو بن العلاء: لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة ويقولون: إن السموات والأرض تحركت حين أتى الله موسى التوراة ﴿والنصارى﴾ سموا به لقول الحواريين: نحن أنصار الله، وقال مقاتل: لأنهم نزلوا قرية يقال لها ناصرة، وقيل: لاعتزازهم إلى نصرة وهي قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام.

﴿والصابئين﴾ قرأ أهل المدينة: والصابين والصابون بترك الهمزة والباقون بالهمزة، وأصله: الخروج، يقال: صبا فلان أي خرج من دين إلى دين آخر، وصبأت النجوم إذا خرجت من مطالعها، وصبأ ناب البعير إذا خرج، فهؤلاء سموا به لخروجهم من دين إلى دين، قال عمر وابن عباس: هم قوم من أهل الكتاب، قال عمر رضي الله عنه: ذبائحهم ذبائح أهل الكتاب، وقال ابن عباس: لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم، وقال مجاهد: هم قبيلة نحو الشام بين اليهود والمجوس، وقال الكلبي: هم قوم بين اليهود والنصارى يخلقون أوساط رؤوسهم ويجبئون^(١) مذاكيرهم، وقال قتادة: قوم يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة، ويصلون إلى الكعبة ويقرون بالله تعالى، أخذوا من كل دين شيئا، قال عبد العزيز بن يحيى: انقرضوا^(٢).

(١) يقطعونها.

(٢) وفي العراق في الوقت الحاضر أقلية من الصابئة وهم يعتقدون بالخالق عز وجل ويؤمنون باليوم الآخر ويدعون أنهم يتبعون تعاليم آدم عليه السلام وأن نبيهم يحيى جاء ينقي دين آدم مما علق به وعندهم كتاب يسمونه (الكانزابرا) أي صحف آدم ومن عباداتهم الصلاة وتقتصر على الوقوف والركوع والجلوس على الأرض دون سجود ويؤدونها في اليوم ثلاث مرات قبل طلوع الشمس وعند زوالها وقيل غروبها ويتوجهون في صلاتهم إلى النجم القطبي.

أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام د/ عبد الكريم زيدان ص ١٤ - ١٥ وانظر أقوال الفقهاء في حكم الصابئة في ابن كثير ١٨٩/١ - ١٩٠ أحكام القرآن للخصاص ٩١/٣.

﴿من آمن بالله واليوم الآخر﴾ فإن قيل: كيف يستقيم قوله ﴿من آمن بالله﴾ وقد ذكر في ابتداء الآية (إن الذين آمنوا)؟ قيل: اختلفوا في حكم الآية فقال بعضهم: أراد بقوله ﴿إن الذين آمنوا﴾ على التحقيق ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين فقال قوم: هم الذين آمنوا قبل المبعث وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار، وقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، والبراء السني، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، ومجيرا الراهب، ووفد النجاشي، فمنهم من أدرك النبي ﷺ (وبإيعه)^(١)، ومنهم من لم يدركه، وقيل: هم المؤمنون من الأمم الماضية، وقيل: هم المؤمنون من هذه الأمة ﴿والذين هادوا﴾ الذين كانوا على دين موسى عليه السلام، ولم يدلوا، والنصارى، الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام ولم يغيروا وماتوا على ذلك، قالوا: وهذان الاسمان لزمانهم زمن موسى وعيسى عليهما السلام حيث كانوا على الحق، كالإسلام لأمة محمد ﷺ، والصابئون زمن استقامة أمرهم ﴿من آمن﴾ أي من مات منهم وهو مؤمن لأن حقيقة الإيمان بالموافاة، ويجوز أن يكون الواو مضمراً أي: ومن آمن بعدك يا محمد إلى يوم القيامة، وقال بعضهم: إن المذكورين بالآيمان في أول الآية على طريق المجاز دون الحقيقة، ثم اختلفوا فيهم فقال بعضهم: الذين آمنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل: أراد بهم المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم، واليهود والنصارى الذين اعتقدوا اليهودية والنصرانية بعد التبديل والصابئون بعض أصناف الكفار ﴿من آمن بالله واليوم الآخر﴾ من هذه الأصناف بالقلب واللسان ﴿وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم﴾ وإنما ذكر بلفظ الجمع لأن (من) يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ﴿ولا خوف عليهم﴾ في الدنيا ﴿ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة.

قوله تعالى ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ عهدكم يا معشر اليهود ﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾ وهو الجبل بالسريانية في قول بعضهم، وهو قول مجاهد، وقيل: ما من لغة في الدنيا إلا وهي في القرآن، وقال الأكثرون: ليس في القرآن لغة غير لغة العرب لقوله تعالى: (قرآناً عربياً) وإنما هذا وأشباهه وقع وفاقاً بين اللغتين^(٢)، وقال ابن عباس: أمر الله تعالى جبلاً من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم، وذلك لأن الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام فأمر موسى قومه أن يقبلوها ويعملوا بأحكامها فأبوا أن يقبلوها للأصار^(٣) والأثقال التي هي فيها، وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع جبلاً على قدر عسكرهم، وكان فرسخاً في فرسخ، فرفعه فوق رؤوسهم مقدار قامة الرجل كالظلة، وقال لهم: إن لم تقبلوا التوراة أرسلت هذا الجبل عليكم، وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: رفع الله فوق رؤوسهم الطور، وبعث ناراً من قبل وجوههم، وأتاهم البحر المالح من خلفهم

أ/١٣

(١) في ب: تابعه.

(٢) انظر أقوال العلماء فيما وقع في القرآن غير لغة العرب، الاتقان للسيوطي ١٢٥/٢ .. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٣) جمع إصر: وهو هنا بمعنى العهد والميثاق، وقد يأتي بمعنى الإثم والعقوبة.

وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ أَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾
فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَنَّىٰ نَذْبَحُهَا هُزُوًّا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾

﴿خذوا﴾ أي قلنا لهم خذوا ﴿ما آتيناكم﴾ أعطيناكم ﴿بقوة﴾ بجد واجتهاد ومواظبة ﴿واذكروا﴾
وادرسوا ﴿ما فيه﴾ وقيل: احفظوه واعملوا به ﴿لعلكم تتقون﴾ لكي تتجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب
في العقبى، فإن قبلتم وإلا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار، فلما رأوا
أن لا مهرب لهم عنها قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم ساجدون، فصار سنة لليهود، ولا
يسجدون إلا على أنصاف وجوههم، ويقولون: بهذا السجود رفع العذاب عنا.

﴿ثم توليتم﴾ أعرضتم ﴿من بعد ذلك﴾ من بعد ما قبلتم التوراة ﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾
يعني بالإمهال والإدراج وتأخير العذاب عنكم ﴿لكنتم﴾ لصرتم ﴿من الخاسرين﴾ من المغبونين بالعقوبة
وذهاب الدنيا والآخرة وقيل: من المعذنين في الحال لأنه رحمهم بالإمهال.

قوله تعالى ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت﴾ أي جاوزوا الحد، وأصل السبت:
القطع، قيل: سمي يوم السبت بذلك لأن الله تعالى قطع فيه الخلق، وقيل: لأن اليهود أمروا فيه بقطع
الأعمال، والقصة فيه: أنهم كانوا زمن داود عليه السلام بأرض يقال لها أيلة حرم الله عليهم صيد السمك
يوم السبت، فكان إذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك حتى يخرج خراطيمهم من
الماء لأمنها، حتى لا يرى الماء من كثرتها، فإذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقل^(١) البحر، فلا يرى شيء
منها فذلك قوله تعالى «إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يستطيعون لا تأتيهم» (١٦٣) -
الأعراف).

ثم ان الشيطان وسوس إليهم وقال: إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت، فعمد رجال فحفروا الحياض
حول البحر، وشرعوا منه إليها الأنهار، فإذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار، فأقبل الموج بالحيتان
إلى الحياض، فلا يقدرن على الخروج لبعدها وعمقها وقلتها مائتها، فإذا كان يوم الأحد أخذوها، وقيل: كانوا
يسوقون الحيتان إلى (الحياض)^(٢) يوم السبت ولا يأخذونها ثم يأخذونها يوم الأحد، وقيل: كانوا ينصبون

(١) مقر البحر واسفله.

(٢) زيادة من (ب).

الجبائل والشخوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الأحد ففعلوا ذلك زماناً ولم تنزل عليهم عقوبة فتنجروا على الذنب وقالوا: ما نرى السبت إلا وقد أحل لنا فأخذوا وأكلوا وملحوا وباعوا واشتروا وكثر ما لهم، فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية، وكانوا نحواً من سبعين ألفاً، ثلاثة أصناف: صنّف أمسك ونهى، وصنّف أمسك ولم ينه، وصنّف انتهك الحرمة، وكان الناهون اثني عشر ألفاً، فلما أبى المجرمون قبول نصحهم قالوا: والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بمجدار وعبروا بذلك سنتين، فلعنهم داود عليه السلام، وغضب الله عليهم لإصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا بابهم، فلما أبطؤوا تسوروا عليهم الحائط فإذا هم جميعاً قردة لها أذنان يتعاونون، قال قتادة: صار الشبان قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام ولم يتوالدوا.

قال الله تعالى: ﴿فقلنا لهم كونوا قردة﴾ أمر تحويل وتكوين ﴿خاسئين﴾ مبعدين مطرودين، وقيل: فيه تقديم وتأخير أي كونوا خاسئين قردة ولذلك لم يقل خاسئات، والخسأ الطرد والإبعاد، وهو لازم ومتعد يقال: خسأته خسأً فخسأً فحسأً فحسوءاً مثل: رجعت رجعاً فرجع رجوعاً ﴿فجعلناها﴾ أي جعلنا عقوبتهم بالمسخ ﴿نكالاً﴾ أي عقوبة وعبرة، والنكال اسم لكل عقوبة ينكل الناظر من فعل ما جعلت العقوبة جزاء عليه، ومنه النكول عن اليمين وهو الامتناع، وأصله من النكل وهو القيد ويكون جمعه: أنكالاً ﴿لما بين يديها﴾ قال قتادة: أراد بما بين يديها يعني ما سبقت من الذنوب، أي جعلنا تلك العقوبة جزاء لما تقدم من ذنوبهم قبل نهيهم عن أخذ الصيد ﴿وما خلفها﴾ ما حضر من الذنوب التي أخذوا بها، وهي العصيان بأخذ الحيتان، وقال أبو العالية والربيع: عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم أن يستنوا بسنتهم، و(ما) الثانية بمعنى من، وقيل: (جعلناها) أي جعلنا قرية أصحاب السبت عبرة لما بين يديها أي القرى التي كانت مبنية في الحال ﴿وما خلفها﴾ وما يحدث من القرى من بعد ليتعضوا، وقيل: فيه تقديم وتأخير، وتقديره: فجعلناها وما خلفها، أي ما أعد لهم من العذاب في الآخرة، نكالاً وجزاء لما بين يديها أي لما تقدم من ذنوبهم باعتبارهم في السبت ﴿وموعظة للمتقين﴾: للمؤمنين من أمة محمد ﷺ فلا يفعلون مثل فعلهم.

قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تدبحوا بقرة﴾ البقرة هي الأنثى من البقر يقال: هي مأخوذة من البقر وهو الشق، سميت به لأنها تشق الأرض للحرارة .

والقصة^(١) فيه أنه كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه، فلما طال عليه

(١) القصة من الاسرائيليات، كما يظهر، ولا يقبل في تفسير كتاب الله إلا ما جاء برواية ثابتة. وقال ابن كثير رحمه الله بعد أن قص قصة البقرة: وهذه السياقات عن عبدة وأبي العالية والسدي وغيرهم فيها اختلاف والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني اسرائيل، وهي مما يجوز نقلها، ولكن لا تصدق ولا تكذب. فهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا، والله أعلم». تفسير ابن كثير ١٩٧/١ وانظر: الاسرائيليات في التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبي.

موته قتله ليرثه، وحمله إلى قرية أخرى وألقاه بفنائهم، ثم أصبح يطلب ثأره وجاء بناس إلى موسى يدعي عليهم القتل، فسألهم موسى فجحدوا، واشتبه أمر القتل على موسى، قال الكلبى: وذلك قبل نزول القسامة^(١) في التوراة، فسألوا موسى أن يدعو الله لبيِّن لهم بدعائه، فأمرهم الله بذبح بقرة فقال لهم موسى: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴿قَالُوا أَتُخَذْنَا هُزُؤًا﴾ أي: تستهزئ بنا، نحن نسألك عن أمر القتل وتأمرنا بذبح البقرة!! وإنما قالوا ذلك لبعد ما بين الأمرين في الظاهر، ولم يدروا ما الحكمة فيه، قرأ حمزة هُزُوا وكفوا بالتخفيف وقرأ الآخرون بالثقل، وبترك الهمزة حفص ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾ أمتنع بالله ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل: من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال لأن الجواب لا على وفق السؤال جهل، فلما علم (القوم)^(٢) أن ذبح البقرة عَزْمٌ من الله عز وجل استوصفوها، ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم وكانت تحته حكمة، وذلك أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح له (ابن)^(٣) طفل وله عَجَلَةٌ أتى بها إلى غيضة^(٤) وقال: اللهم إني أستودعك هذه العجلة لابني حتى تكبر، ومات الرجل فصارت العجلة في الغيضة عواناً^(٤)، وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن وكان باراً بوالدته، وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلي ثلثاً وينام ثلثاً، ويجلس عند رأس أمه ثلثاً، فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به إلى السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه، ويأكل ثلثه، ويعطي والدته ثلثه، فقالت له أمه يوماً: إن أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع إله إبراهيم وإسماعيل واسحاق أن يردها عليك / وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يخيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها، فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال: أعزم بإله إبراهيم وإسماعيل واسحاق يعقوب أن تأتي إلي فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها، فتكلمت البقرة بإذن الله تعالى فقالت: أيها الفتى البار بوالدتك اركبني فإن ذلك أهون عليك، فقال الفتى: إن أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت: خذ بعنقها، فقالت البقرة: بإله بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي أبداً، فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل ليرك بأملك، فسار الفتى بها إلى أمه فقالت له: إنك فقير لا مال لك فيشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة، قال: بكم أبيعها؟ قالت: بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة يومئذ ثلاثة دنانير، فانطلق بها إلى السوق، فبعث الله ملكاً ليرى خلقه قُدرته وليختبر الفتى كيف برَّ بوالدته، وكان الله به

ب/١٣

(١) الأيمان تقسم على أولياء القتل الذين ادعوا الدم.

(٢) في الأصل: الناس.

(٣) من ب.

(٤) الشجر الملتف.

(٥) متوسط في السن بين الصغر والكبر.

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانُ
بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْ نُهَا قَالَ
إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقْعُ لَوْ نُهَا تَسْرُ النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾

خبيراً فقال له الملك: بكم تباع هذه البقرة؟ قال: بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضى والدتي فقال الملك:
لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك فقال الفتى: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضى أمي فردها إلى
أمه فأخبرها بالثمن فقالت: ارجع فبعها بستة دنانير على رضى مني، فانطلق بها إلى السوق وأتى الملك
فقال: استأمرت أمك فقال الفتى: إنها أمرتني أن لا أنقصها عن ستة على أن أستأمرها فقال الملك: فإني
أعطيك اثني عشر على أن لا تستأمرها، فأبى الفتى، فرجع إلى أمه فأخبرها، فقالت إن الذي يأتيك
ملك في صورة آدمي ليختبرك فإذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ (ففعل) (١) فقال له
الملك: اذهب إلى أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فإن موسى بن عمران عليه السلام يشتريها منك لقتيل
يقتل في بني إسرائيل فلا تبعوها إلا بجمء مسكها دنانير، فأمسكوها، وقدّر الله تعالى على بني إسرائيل
ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون موسى حتى وصف لهم تلك البقرة، مكافأة له على بره بوالدته
فضلاً منه ورحمة (فذلك) (٢):

قوله تعالى ﴿قَالُوا: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ أي (ماصفتها) (٣) ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿إِنَّهُ يَقُولُ﴾
يعني فسأل الله تعالى فقال: إنه، يعني أن الله تعالى يقول ﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ﴾ أي لا كبيرة
ولا صغيرة، والفاض المسنة التي لا تلد، يقال منه: فرضت تفرض فروضاً، والبكر الفتاة الصغيرة التي لم
تلد قط، وحذفت (الهاء) (٤) منهما للاختصاص بالإناث كالحائض ﴿عَوَانُ﴾ وسط نَصَفَ ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾
أي بين السنين يقال عَوْنَتِ المرأة تعويناً: إذا زادت على الثلاثين، قال الأخفش (العوان: التي لم تلد قط،
وقيل: (٥) العوان التي نتجت مراراً وجمعها عَوْنٌ ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال
﴿قَالُوا: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْ نُهَا قَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقْعُ لَوْ نُهَا﴾ قال ابن عباس:
شديد الصفرة، وقال قتادة: صافٍ، وقال الحسن: الصفراء السوداء، والأول أصح لأنه لا يقال أسود فاقع
إنما يقال: أصفر فاقع، وأسود (حالك) (٦) وأحمر قانيء، وأخضر ناضر، وأبيض بقق للمبالغة، ﴿تَسْرُ﴾

(١) من ب.

(٢) من ب.

(٣) في ب: سنها.

(٤) من ب.

(٥) ساقط من (ب) ومن المطبوع.

(٦) في الأصل كالج.

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْإِنْسَانُ جَثَّ بِالْحَقِّ فذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

الناظرين ﴿٧٠﴾ : إليها يعجبهم حُسنها وسفاه لونها.

﴿قالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ أسائمة أم عاملة ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ ولم يقل تشابهت لتذكير لفظ البقر كقوله تعالى: «أعجاز نخل منقعر» (٢٠ - القمر) وقال الزجاج: أي جنس البقر تشابه، أي التبس واشتبه أمره علينا فلا نهتدي إليه ﴿وإننا إن شاء الله لمهتدون﴾ إلى وصفها، قال رسول الله ﷺ: «(والله) لو لم يستثنوا لما بينت لهم إلى آخر الأبد» (٢) ﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول﴾ مذلة بالعمل يقال: رجل ذلول بين الذل، ودابة ذلول بينة الذل ﴿تثير الأرض﴾ تقلبها للزراعة ﴿ولا تسقي الحرت﴾ أي ليست بساقية ﴿مسلمة﴾ بريئة من العيوب ﴿لا شية فيها﴾ لا لون لها سوى لون جميع جلدها قال عطاء: لا عيب فيها، وقال مجاهد: لا بياض فيها ولا سواد ﴿قالوا: الآن جثت بالحق﴾ أي بالبيان التام الشافي الذي لا إشكال فيه، وطلبوها فلم يجدوا بكمال وصفها إلا مع الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهباً، ﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ من غلاء ثمنها وقال محمد بن كعب: وما كادوا يجدونها باجتماع أوصافها، وقيل ﴿وما كادوا يفعلون﴾ من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها.

قوله عز وجل: ﴿وإذ قتلتم نفساً﴾ هذا أول القصة وإن كانت مؤخرة في التلاوة، واسم القتييل (عاميل) (٣) ﴿فآذرتم فيها﴾ أصله تدارأتم فأدغمت التاء في الدال وأدخلت الألف، مثل قوله: «أثاقتم»، قال ابن عباس ومجاهد: معناه فاختلقتم، وقال الربيع بن أنس: تدافعتم، أي يحيل بعضكم على بعض من الدرء وهو الدفع، فكان كل واحد يدفع عن نفسه ﴿والله مخرج﴾ أي مظهر ﴿ما كنتم تكتمون﴾ فإن القاتل كان يكتم القتل ﴿فقلنا اضربوه﴾ يعني القتييل ﴿ببعضها﴾ أي ببعض البقرة،

(١) في ب وإيم الله.

(٢) الطبري: ٢٠٥/٢، ابن كثير: ١٩٩/١، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة.

وقال ابن حجر في الكافي الشاف ص(٨): أخرجه ابن جرير من طريق ابن جريج مرفوعاً، وهو معضل.

(٣) معرفة الاسم ليس عليه دليل، والعلم به لا ينفع، والجهل به لا يضُرُّ.

واختلفوا في ذلك البعض، قال ابن عباس رضي الله عنه وأكثر المفسرين: ضربه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المقتل، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: بعَجِبِ الذنب لأنه أول ما يخلق وآخر ما يبلى، ويُركَّب عليه الخَلْق، وقال الضحّاك: بلسانها، وقال الحسين بن الفضل: هذا أدلُّ بها لأنه آلة الكلام، وقال الكلبي وعكرمة: بفخذها الأيمن، وقيل: بعضو منها لا بعينه، ففعلوا ذلك فقام القتل حياً بإذن الله تعالى وأوداجه، أي عروق العنق، تشخب دمًا وقال: قتلني فلان، ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث، وفي الخبر: «ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة»^(١) وفيه إضمار تقديره: فضرب فحسي ﴿كذلك يحيى الله الموتى﴾ كما أحيا عامل، ﴿ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ قيل تمنعون أنفسكم من المعاصي.

أما حكم هذه المسألة في الإسلام: إذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف قاتله فإن كان ثمَّ (لوث)^(٢) على إنسان — واللوث: أن يغلب على القلب صدق المدعي، بأن اجتمع جماعة في بيت أو صحراء فتفرقوا عن قتيل يغلب على القلب أن القاتل فيهم، أو وجد قتيل في محلة أو قرية كلهم أعداء للقتيل لا يخالطهم غيرهم، فيغلب على القلب أنهم قتلوه — فادعى الولي على بعضهم، يخلف المدعي خمسين يمينا على من يدعي عليه، وإن كان الأولياء جماعة تُوزَّع الأيمان عليهم، ثم بعدما حلفوا أخذوا الدية من عاقلة المدعي عليه إن ادعوا قتلًا خطياً، وإن ادعوا قتل عمد فمن ماله، ولا قود على قول الأكثرين وذهب بعضهم إلى وجوب القود، وهو قول عمر بن العزيز وبه قال مالك وأحمد، وإن لم يكن على المدعي عليه لوث فالقول قول المدعي عليه مع يمينه ثم هل يخلف يمينا واحدة أم خمسين يمينا؟ فيه قولان: (أحدهما) يمينا واحدة كما في سائر الدعاوي (والثاني) يخلف خمسين يمينا تغليظاً لأمر الدم، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه: لا حكم للوث [ولا يزيد يمين المدعي]^(٣) وقال: إذا وجد قتيل في محلة يختار الإمام خمسين رجلاً من صلحاء أهلها فيحلفهم أنهم ما قتلوه ولا عرفوا له قاتلاً، ثم يأخذ الدية من سكانها، والدليل على أن البداية يمين المدعي عند وجود اللوث:

[ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عن يحيى بن سعيد عن بشير ابن يسار]^(٤) عن سهل بن أبي حنمة أن عبد الله بن سهل ومخبيصة بن مسعود خرجا إلى خيبر فتفرقا لحاجتهما فقتل عبد الله بن سهل فانطلق هو وعبد الرحمن / أخو المقتول وحوبيصة بن مسعود إلى رسول الله

أ/١٤

(١) أخرجه الطبري: ١٨٤/٢، وذكره ابن كثير: ١٩٤/١ بتحقيق الوادعي.

(٢) في الأصل: اللوث.

(٣) في ب: لا يبدأ يمين المدعي.

(٤) ساقط من الأصل، وهو في (ب).

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِن مِّنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِن مِّنْهَا لَمَا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِن مِّنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

صلى الله عليه وسلم فذكروا له قتل عبد الله بن سهل فقال رسول الله ﷺ: «تحلفون خمسين يمينا وتستحقون دم صاحبكم أوقاتكم» فقالوا يارسول الله لم نشهد ولم نحضر، فقال رسول الله ﷺ: «فتبرئكم يهود بخمسين يمينا» فقالوا يارسول الله كيف نقبل أيمان قوم كفار؟ فعزم النبي ﷺ عقله من عنده^(١) [وفي لفظ آخر فزعم أن النبي ﷺ عقله من عنده]^(٢) قال بشير بن يسار: قال سهل لقد ركضتني فريضة من تلك الفرائض في مربرد لنا، وفي رواية: لقد ركضتني ناقة حمراء من تلك الفرائض في مربرد لنا» أخرجه مسلم عن محمد بن المثني عن عبد الوهاب^(٣).

وجه الدليل من الخبر: أن النبي ﷺ بدأ بأيمان المدعين لتقوي جانبهم باللوث، وهو أن عبد الله بن سهل وجد قتيلاً في خير، وكانت العداوة ظاهرة بين الأنصار وأهل خير، وكان يغلب على القلب أنهم قتلوه، واليمين أبدأ تكون حجة لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث يقوى جانب المدعى عليه من حيث أن الأصل براءة ذمته وكان القول قوله مع يمينه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ يست وجفت، جفاف القلب: خروج الرحمة واللين عنه، وقيل: غلظت، وقيل: اسودت، ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ من بعد ظهور الدلالات. قال الكلبي: قالوا بعد ذلك: نحن لم نقله، فلم يكونوا قط أعمى قلباً ولا أشد تكديماً لنبيهم منهم عند ذلك ﴿فَهِيَ﴾ أي في الغلظة والشدة ﴿كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ قيل: أو بمعنى بل وقيل: بمعنى الواو كقوله تعالى: «مائة ألف أو يزيدون» (١٤٧ - الصفات) أي: بل يزيدون أو ويزيدون، وإنما لم يشبهها بالحديد مع أنه أصلب من الحجارة، لأن الحديد قابل لللين فإنه يلين بالنار، وقد لان لداود عليه السلام، والحجارة لا تلين قط، ثم فضل الحجارة على القلب القاسي فقال: ﴿وَإِن مِّنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ قيل: أراد به (جميع)^(٤) الحجارة، وقيل: أراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى للأسباط ﴿وَإِن مِّنْهَا لَمَا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ

(١) رواه البخاري: في الجزية والموادعة - باب: الموادعة والمصالحة مع المشركين بالمال وغيره: ٢٧٥/٦.

ومسلم: في القسامة والمخاريب والقصاص والديات - باب القسامة برقم (١٦٦٩) ١٢٩١/٣.

والمصنف في شرح السنة: ٢١١/١٠ وما بعدها دون زيادة فعزم النبي صلى الله عليه وسلم عقله من عنده.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) وأخرجه مسلم من طرق أخرى عن يحيى بن سعيد في القسامة والمخاريب ١٢٩٢/٣.

(٤) زيادة من (ب).

الماء ﴿أراد به عيوناً دون الأنهار﴾ ﴿وإن منها لما يهبط﴾ ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله ﴿من خشية الله﴾ وقلوبكم لا تلين ولا تخشع يا معشر اليهود. فإن قيل: الحجر جماد لا يفهم، فكيف (بخشى)^(١)؟ قيل: الله يفهمه ويلهمه فيخشى بإلهامه.

ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى خلق علماً في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقل، لا يقف عليه غيره، فلها صلاة وتسييح وخشية كما قال جل ذكره: «وإن من شيء إلا يسبح بحمده» (٤٤ — الاسراء) وقال «والطير صافات كل قد علم صلاته وتسيحه» (٤١ — النور) وقال: «ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر» (١٨ — الحج) الآية، فيجب على (المؤمن)^(٢) الإيمان به ويكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى، ويروى أن النبي ﷺ كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل: انزل عني فأني أخاف أن تؤخذ علي فيعاقبني الله بذلك فقال له جبل حراء: إليّ يارسول الله.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ثنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي أنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب النيسابوري أنا محمد بن اسماعيل الصائغ أنا يحيى بن أبي بكر أنا إبراهيم ابن طهمان عن سيماء بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث وإني لأعرفه الآن»^(٣) [هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن يحيى بن أبي بكر. وصح عن أنس أن رسول الله ﷺ طلع على أحد فقال: «هذا جبل يحبنا ونحبه»^(٤) وروي عن أبي هريرة يقول، صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ثم أقبل على الناس بوجهه وقال: «بينما رجل يسوق بقرة إذ عمي فركبها فضرها فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا لحراثة الأرض» فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم؟! فقال رسول الله ﷺ: «فإني أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم» وقال: «بينما رجل في غنم له إذ عدا الذئب على شاة منها فأدركها صاحبها فاستنقذها، فقال الذئب: فمن لها يوم السبع؟ أي يوم القيامة، يوم لا راعي لها غيري» فقال الناس: سبحان الله ذئب

(١) في الأصل: يخشع.

(٢) في ب: المرء.

(٣) رواه مسلم: في الفضائل: باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة برقم (٢٢٧٧) ١٧٨٢/٤. والمصنف في شرح السنة: ٢٨٧/١٣، وعنه أصلنا بعض الأغلاط في السند الذي سقط من الأصل.

(٤) رواه البخاري: في الجهاد — باب فضل الخدمة في الغزو ٨٣/٦ — ٨٤. وفي الأظعمة وفي الزكاة وفي الأنبياء.

ومسلم: في الفضائل — باب: في معجزات النبي ﷺ برقم (١٣٩٢) ١٧٨٥/٤.

والمصنف في شرح السنة: ٢٥/١١.

يتكلم؟ فقال «أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم»^(١)، وصح عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ على حراء وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال النبي ﷺ «اهدأ. أي: اسكن. فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»^(٢) صحيح أخرجه مسلم.

أنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد يحيى بن أحمد بن علي الصانع أنا أبو الحسن علي بن اسحاق بن هشام الرازي أنا محمد بن أيوب بن ضريس البجلي الرازي أنا محمد بن الصباح عن الوليد ابن أبي ثور عن السدي عن عباد بن أبي يزيد^(٣) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجنا في نواحيها خارجاً من مكة بين الجبال والشجر، فلم يمر بشجرة ولا جبل إلا قال السلام عليك يا رسول الله»^(٤).

أنا أبو الحسن عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد المجيد بن عبد العزيز عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: «كان النبي ﷺ إذا خطب استند إلى جذع نخلة من سواري المسجد، فلما صنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية وحتت كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد، حتى نزل رسول الله ﷺ فاعتنقها فسكنت»^(٥).

قال مجاهد: لا ينزل حجر من أعلى إلى الأسفل إلا من خشية الله، ويشهد لما قلنا قوله تعالى: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون» (٢١ - الحشر).

(١) رواه البخاري في الأنبياء: ٥١٢/٦، وفي الحرث والمزارة، وفي فضائل أصحاب النبي، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم (٢٣٨٨) ١٨٥٧/٤.

والمصنف في شرح السنة: ٩٦/١٤ - ٩٧.

(٢) رواه البخاري: في فضائل أصحاب النبي - باب: مناقب عثمان بن عفان: ٥٣/٧.

ومسلم: في فضائل الصحابة - باب: من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما برقم (٢٤١٧) ١٤٨٠/٤.

والمصنف في شرح السنة: ١٢٧/١٤ بلفظ: فتحركت الصخرة فقال النبي ﷺ: اهدئي فما عليك إلا

(٣) زيادة من نسخة (ب) والمطبوع - ساقطة من (أ).

(٤) رواه الترمذي: في المناقب باب: الشجر والحجر يسلمان على النبي ١٠٠-٩٩/١٠ وقال: حسن غريب، والدارمي في المقدمة: ١٢/١. والمصنف في شرح السنة: ٢٨٧/١٣ وقال هذا حديث غريب وفي سننه اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي وعباد بن أبي يزيد ضعيف ومجهول التقريب، ميزان الاعتدال ٣٧٨/٢.

(٥) رواه الترمذي: ١٠٠/١٠ - ١٠١ عن أنس، وقال حديث أنس هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

وابن ماجه: في اقامة الصلاة برقم (١٤١٤).

وأحمد: ٣٤٩/١ ومواضع أخرى، والدارمي في المقدمة - باب: ما أكرم الله النبي ﷺ بخين المنبر: ١٦/١ وعند البخاري والنسائي بمعناه.

أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ
يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذْ الْقَوَّالَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا
ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ
بِهِ ءَعِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

قوله عز وجل ﴿وما الله بغافل﴾ (بساؤه) (١) ﴿عما تعملون﴾ وعيد وتهديد، وقيل: بتارك عقوبة ما
تعملون؛ بل يجازيكم به، قرأ ابن كثير يعملون بالياء والآخرين بالتاء.

قوله تعالى ﴿أفظمعون﴾ أترجون؟ يريد: محمداً وأصحابه ﴿أن يؤمنوا لكم﴾ تصدقكم اليهود بما
تخبرونهم به ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله﴾ يعني التوراة ﴿ثم يحرفونه﴾ يغيرون ما فيها من
الأحكام ﴿من بعد ما عقلوه﴾ علموه كما غيروا صفة محمد ﷺ وآية الرجم ﴿وهم يعلمون﴾ أنهم
كاذبون، هذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة والسدي وجماعة (٢)، وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في السبعين
الذين اختارهم موسى لميقات ربه، وذلك أنهم لما رجعوا — بعد ما سمعوا كلام الله — إلى قومهم رجع
الناس إلى قوتهم، وأما الصادقون منهم فأدوا كما سمعوا، وقالت طائفة منهم: سمعنا الله يقول في آخر كلامه
إن استطعتم أن تفعلوا فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا، فهذا تحريفهم وهم يعلمون أنه الحق (٣).

﴿وإذا لقوا الذين آمنوا﴾ قال ابن عباس والحسن وقتاده: يعني منافقي اليهود الذين آمنوا بألستهم
إذا لقوا المؤمنين المخلصين ﴿قالوا: آمنا﴾ كما يمانكم ﴿وإذا خلا﴾ رجع ﴿بعضهم إلى بعض﴾ — كعب
ابن الأشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهودا وغيرهم من رؤساء اليهود — لأمرهم على ذلك ﴿قالوا:
أتحدثونهم بما فتح الله عليكم﴾ بما قص الله عليكم في كتابكم: أن محمداً حق وقوله صدق. والقاضي
القاضي.

وقال الكسائي: بما بينه الله لكم [من العلم بصفة النبي ﷺ ونعته، وقال: (٤) الواقدي: بما أنزل الله
عليكم، ونظيره: «لفتحنا عليهم بركات من السماء» (٤٤ — الأنعام) أي أنزلنا، وقال أبو عبيدة: بما منَّ
الله عليكم وأعطاكم ﴿ليحاجوكم به﴾ ليخاصموكم، يعني أصحاب محمد ﷺ ويحتجوا بقولكم

(١) زيادة من (ب).

(٢) أسباب النزول للواحد ص ٦٣.

(٣) أسباب النزول للواحد ص ٦٣.

(٤) ما بين القوسين جاء في نسخة ب تابعاً لكلام الكسائي.

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا
 يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ
 الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ
 مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

(عليكم) (١) فيقولوا: قد أقررت أنه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه!! وذلك أنهم قالوا لأهل المدينة حين
 شاوروه في اتباع محمد ﷺ: آمنوا به فإنه حق ثم قال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما أنزل الله عليكم
 لتكون لهم الحجة عليكم ﴿عند ربكم﴾ في الدنيا والآخرة، وقيل: إنهم أخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به
 على الجنايات فقال بعضهم لبعض: [أتحدثونهم بما أنزل الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به عند ربكم،
 ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله وقال مجاهد: هو قول يهود قريظة قال بعضهم لبعض] (٢) حين قال
 لهم النبي ﷺ: «يا إخوان القردة والخنازير» فقالوا: من أخبر محمداً بهذا؟ ما خرج هذا إلا منكم (٣)،
 ﴿أفلا تعقلون﴾

قال الله تعالى: ﴿أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون﴾ يخفون ﴿وما يعلنون﴾ يبدون يعني اليهود.
 وقوله تعالى: ﴿ومنهم أميون﴾ أي من اليهود أميون لا يحسنون القراءة والكتابة، جمع أمي منسوب إلى
 الأم كأنه باق على ما انفضل من الأم لم يتعلم كتابة ولا قراءة.

[وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» (٤) (٥) وقيل: هو منسوب
 إلى أم القرى وهي مكة ﴿لا يعلمون الكتاب إلا أمانى﴾ قرأ أبو جعفر: أمانى بتخفيف الياء كل القرآن
 حذف إحدى الياءين (تخفيفاً) (٦)، وقراءة العامة بالتشديد، وهي جمع الأمانة وهي التلاوة، قال الله تعالى:
 «إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته» (٥٢ - الحج) أي في قراءته، قال أبو عبيدة: [إلا تلاوته

(١) زيادة من (ب).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢ بتحقيق الشيخ شاکر، وذكره ابن كثير: ٢٠٧/١ بتحقيق الوداعي.

(٤) رواه البخاري: في الصوم - باب: قول النبي ﷺ لا نكتب ولا نحسب: ١٣٦/٤.

ومسلم: في الصيام - باب: وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال برقم (١٠٨٠) ٧٦١/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٢٢٨/٦.

(٥) زيادة من نسخة ب، وفيها تقديم وتأخير في بعض العبارات تغير المعنى، فأصلحناها.

(٦) في المخطوطتين: استخفافاً.

وقراءته^(١) عن ظهر القلب لا يقرؤونه من كتاب، وقيل: يعلمونه حفظاً وقراءة لا يعرفون معناه. وقال ابن عباس: يعني غير عارفين بمعاني الكتاب، وقال مجاهد وقتادة: إلا كذباً وباطلاً، قال الفراء: الأماشي: الأحاديث المفتعلة، قال عثمان رضي الله عنه: ما تمنيت منذ أسلمت (أي ما كذبت)^(٢)، وأراد بها الأشياء التي كتبها علماءهم من عند أنفسهم ثم / أضافوها إلى الله عز وجل من تغيير نعت النبي ﷺ وغيره، وقال الحسن وأبو العالية: هي من التمني، وهي أمانيتهم الباطلة التي تمنوها على الله عز وجل مثل قولهم: «لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى» (١١١ - البقرة) وقولهم: «لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة» (٨٠ - البقرة) وقولهم «نحن أبناء الله وأحباؤه» (١٨ - المائدة) فعلى هذا تكون (إلا) بمعنى (لكن) أي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أشياء لا تحصل لهم ﴿وإن هم﴾ وما هم ﴿إلا يظنون﴾ وما هم إلا يظنون ظناً وتوهماً لا يقيناً، قاله قتادة والربيع، قال مجاهد: يكذبون.

قوله تعالى: ﴿فويل﴾ قال الزجاج: ويل كلمة يقولها كل واقع في هلكة، وقيل: هو دعاء الكفار على أنفسهم بالويل والثبور، وقال ابن عباس: شدة العذاب، وقال سعيد بن المسيب: ويل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لانماعت من شدة حره .

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد [عن عمرو بن الحارث أنه حدث عن أبي السمح عن أبي الهيثم]^(٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره، والصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي فهو كذلك»^(٤).

﴿للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾ وذلك أن أحبار اليهود خافوا ذهاب ما كلتهم وزوال رياستهم حين قدم النبي ﷺ المدينة، فاحتالوا في تعويق اليهود عن الايمان به فعمدوا إلى صفته في التوراة، وكانت صفته فيها: حسن الوجه، حسن الشعر، أكحل العينين، ربة، فغيروها وكتبوا مكانها طوال أزرق سبط الشعر فإذا سألهم سفلتهم عن صفته قرؤوا ما كتبوا فيجدونه مخالفاً لصفته فيكذبونه وينكرونه، قال الله تعالى: ﴿فويل لهم مما كتبت بأيديهم﴾ يعني ما كتبوا

(١) في ب: إلا قراءة وتلاوة.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) ساقط من «أ» وهو في «ب» وشرح السنة.

(٤) أخرجه الترمذي: في التفسير - سورة الأنبياء: ٥/٩ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة وأحمد: ٣

٧٥/ وفي شرح السنة: ٢٤٧/١٥. (وفي سنده: رشدين بن سعد ودراج بن سمعان وكلاهما ضعيف).

انظر الضعفاء والمتروكين ص ١٠٢، ١٠٧.

ميزان الاعتدال ٤٩٢/٢، الجرح والتعديل ٤٤١/٣ - ٥١٣ تهذيب التهذيب ٢٠٨/٣ - ٢٧٧ التقريب ٢٣٥/١ - ٢٥١.

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخِذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ
يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُمْ أَمْ يُقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحْطَتْ بِهِ، خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَاُولَئِكَ إِحْسَانًا وَذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

بأنفسهم اختراعاً من تغيير نعت محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وويل لهم مما يكسبون﴾ من المآكل
ويقال: من المعاصي.

﴿وقالوا﴾ يعني اليهود ﴿لن تمسنا النار﴾ [لن تصيبنا النار] ^(١) ﴿إلا أياماً معدودة﴾ قدراً مقدراً ثم
يزول عنا العذاب ويعقبه النعيم واختلفوا في هذه الآية، قال ابن عباس ومجاهد: كانت اليهود يقولون: هذه
الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما تُعَذَّبُ بكل ألف سنة يوماً واحداً ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام. وقال
قنادة وعطاء: يعنون أربعين يوماً التي عبد فيها آباؤهم العجل، وقال الحسن وأبو العالية: قالت اليهود: إن
ربنا عتب علينا في أمر، فأقسم ليعذبنا أربعين يوماً فلن تمسنا النار إلا أربعين يوماً تحلة القسم، فقال الله
عز وجل تكذبياً لهم: ﴿قل﴾ يا محمد ﴿أتخذتم عند الله﴾ أَلْفُ استفهام دخلت على ألف الوصل، عند
الله ﴿عهداً﴾؟ مؤثراً أن لا يعذبكم إلا هذه المدة ﴿فلن يخلف الله عهده﴾ ووعدته قال ابن مسعود:
عهداً بالتوحيد، يدل عليه قوله تعالى: ﴿إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ (٨٧ - مريم) يعني: قوله لا إله
إلا الله ﴿أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ ثم قال ﴿بلى﴾ وبل ويلي: حرفاً استدراكاً ومعناها نفى الخبر
الماضي وإثبات الخبر المستقبل ﴿من كسب سيئة﴾ يعني الشرك ﴿وأحاطت به خطيئة﴾ قرأ أهل المدينة
خطيئته بالجمع، والإحاطة الإحداق بالشيء من جميع نواحيه، قال ابن عباس وعطاء والضحاك وأبو
العالية والربيع وجماعة: هي الشرك يموت عليه، وقيل: السيئة الكبيرة. والاحاطة به أن يصر عليها فيموت
غير تائب، قاله عكرمة والربيع بن خيثم وقال مجاهد: هي الذنوب تحيط بالقلب، كلما أذنب ذنباً ارتفعت

(١) ساقط من أ.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ
ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هُنَّالَاءَ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ
فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِلْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ

(حتى تغشى) (١) القلب وهي الرين. قال الكلبي: أَوْفَيْتُهُ ذَنْبِهِ، دليله قوله تعالى «إلا أن يحاط بكم»
(٦٦ - يوسف) أي تهلوكوا ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ والذين آمنوا وعملوا
الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في التوراة، والميثاق العهد الشديد ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا
اللَّهَ﴾ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (لا يعبدون) بالياء وقرأ الآخرون بالتاء لقوله تعالى «وقولوا للناس
حسناً» معناه ألا تعبدوا فلما حذف أن صار الفعل مرفوعاً، وقرأ أبي بن كعب: لا تعبدوا إلا الله على
النبي ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي ووصيتناهم بالوالدين إحساناً، برأ بهما وعطفاً عليهما ونزولاً عند أمرهما،
فيما لا يخالف أمر الله تعالى ﴿وذوي القرى﴾ أي وبذي القرابة والقرى مصدر كالحسنى ﴿واليتامى﴾
جمع يتيم وهو الطفل الذي لا أب له ﴿والمساكين﴾ يعني الفقراء ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ صدقاً وحقاً
في شأن محمد ﷺ فمن سألكم عنه فاصدقوه وبتوا صفتة ولا تكتنوا أمره، هذا قول ابن عباس وسعيد
ابن جبير وابن جريج ومقاتل، وقال سفيان الثوري: مروهم بالمعروف وانهموم عن المنكر، وقيل: هو اللين
في القول والمعاشرة بحسن الخلق. وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب: حسناً بفتح الحاء والسين أي قولاً حسناً
﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليم﴾ أعرضتم عن العهد والميثاق ﴿إلا قليلاً منكم﴾ وذلك أن قوماً
منهم آمنوا ﴿وأنتم معرضون﴾ كإعراض آبائكم.

قوله عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ أي لا تريقون دماءكم أي: لا يسفك
بعضكم دم بعض، وقيل: لا تسفكوا دماء غيركم فتسفك دماؤكم، فكأنكم سفكتم دماء أنفسكم، ﴿ولا
تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ أي لا يُخْرِجُ بعضكم بعضاً من داره، وقيل: لا تسيئوا جوار من جواركم
فتلجؤوهم إلى الخروج بسوء جواركم ﴿ثم أقررتهم﴾ بهذا العهد أنه حق وقبئتم ﴿وأنتم تشهدون﴾ اليوم على
ذلك يا معشر اليهود وتقرن بالقبول.

قوله عز وجل ﴿ثم أنتم هؤلاء﴾ يعني: يا هؤلاء، وهؤلاء للتنبية ﴿تقتلون أنفسكم﴾ أي (يقتل) (٢)
بعضكم بعضاً ﴿وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم﴾ بتشديد الظاء أي تظاهرون

(١) في الأصل حتى يفسو وفي ب حتى تغشى.

(٢) ساقط من الأصل.

تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ
وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

أدغمت التاء في الظاء، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف الظاء فحذفوا تاء التفاعل وأبقوا تاء الخطاب كقوله تعالى: «ولا تعاونوا» معناهما جميعاً: تتعاونون، والظهير: العون ﴿بالاتم والعدوان﴾ المعصية والظلم ﴿وإن يأتوكم أسارى﴾ وقرأ حمزة: أسرى، وهما جمع أسير، ومعناها واحد ﴿تفدوهم﴾ بالمال وتنقذوهم وقرأ أهل المدينة وعاصم والكسائي ويعقوب (تفادوهم) أي تبادلوهم، أراد: مفاداة الأسير بالأسير، وقيل: معنى القراءتين واحد.

ومعنى الآية قال السدي: إن الله تعالى أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضاً، ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، وأبما عبد أو أمة وجدتموه من بني إسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه وأعتقوه، فكانت قريظة حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج، وكانوا يقتتلون في حرب سنين؟ فيقاتل بنو قريظة وحلفاؤهم وبنو النضير وحلفاؤهم وإذا غلبوا أخربوا ديارهم وأخرجوهم منها، وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وإن كان الأسير من عدوهم، فتعيرهم العرب وتقول: كيف تقاتلونهم وتفدونهم قالوا: إنا أمرنا أن نفديهم فيقولون: فلم تقاتلونهم؟ قالوا: إنا نستحي أن يستذل حلفاؤنا، فعيرهم الله تعالى بذلك فقال:

﴿ثم أنتم / هؤلاء تقتلون أنفسكم﴾ وفي الآية تقديم وتأخير ونظمها (وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاتم والعدوان) ﴿وهو محرم عليكم إخراجهم﴾ وإن يأتوكم أسارى تفادوهم، فكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود: ترك القتال، وترك الإخراج، وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم، وفداء أسراهم، فأعرضوا عن الكل إلا الفداء.

قال الله تعالى ﴿أفتمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ قال مجاهد: يقول إن وجدته في يد غيرك فديته وأنت تقتله بيدك ﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم﴾ يا معشر اليهود ﴿إلا خزي﴾ عذاب وهوان ﴿في الحياة الدنيا﴾ فكان خزي قريظة القتل والسبي وخزي النضير الجلاء والنفي من منازلهم إلى أذرعات وأريحاء من الشام ﴿ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب﴾ وهو عذاب النار ﴿وما الله بغافل

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
 الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ
 فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ
 فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ
 قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ
 اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِسْمَا أَسْتَرُوبَاهِ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ
 وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾

عما تعملون ﴿قرأ ابن كثير ونافع (وأبو بكر) (١) بالياء، والباقون بالتاء قوله عز وجل: ﴿أولئك الذين
 اشتروا ﴿استبدلوا ﴿الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف﴾ يهون ﴿عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾ يمنعون
 من عذاب الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا﴾ أعطينا ﴿موسى الكتاب﴾ التوراة، جملة واحدة ﴿وقفينا﴾ وأتبعنا ﴿من
 بعده بالرسول﴾ رسولاً بعد رسول ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البيئات﴾ الدلالات الواضحات وهي ما ذكر
 الله في سورة آل عمران والمائدة وقيل: أراد الإنجيل ﴿وأيدناه﴾ قويناه ﴿بروح القدس﴾ قرأ ابن كثير
 القدس بسكون الدال والآخرين بضمها وهما لغتان مثل الرُّعْب والرُّعْب، واختلفوا في روح القدس، قال
 الربيع وغيره: أراد بالروح الروح الذي نفخ فيه، والقدس هو الله أضافه إلى نفسه تكريماً وتخصيصاً نحو
 بيت الله، وناقاة الله، كما قال: «ففنخنا فيه من روحنا» (١٢ - التحريم) [وروح منه] (٢) (١٧١ -
 النساء) وقيل: أراد بالقدس الطهارة، يعني الروح الطاهرة سُمِّي روحه قدساً، لأنه لم تتضمنه أصلاب
 الفحولة ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث، إنما كان أمراً من الله تعالى، قال قتادة والسدي والضحاك: روح
 القدس جبريل عليه السلام قيل: وصف جبريل بالقدس أي بالطهارة لأنه لم يقترف ذنباً، قال الحسن:
 القدس هو الله وروحه جبريل قال الله تعالى: «قل نزله روح القدس من ربك بالحق» (١٠٢ - النحل)

(١) ساقط من الأصل.

(٢) زيادة من ب.

وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام أنه أمر أن يسير معه حيث سار حتى صعد به الله (إلى السماء) (١) وقيل: سمي جبريل عليه السلام روحاً للطافته ولكانته من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: روح القدس هو اسم الله تعالى الأعظم به كان يحيي الموتى ويرى الناس به العجائب، وقيل: هو الانجيل جعل له روحاً كما جعل القرآن روحاً لمحمد صلى الله عليه وسلم لأنه سبب حياة القلوب (٢) قال تعالى: «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا» (٥٢ - الشورى) فلما سمع اليهود ذكر عيسى عليه السلام قالوا: يا محمد لا مثل عيسى - كما تزعم - عملت، ولا كما تقص علينا من الأنبياء فعلت، فأتنا بما أتى به عيسى إن كنت صادقاً.

قال الله تعالى: ﴿أفكلما جاءكم﴾ يا معشر اليهود ﴿رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم﴾ تكبرتم وتعظمتم عن الإيمان ﴿ففريقاً﴾ طائفة ﴿كذبتهم﴾ مثل عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ﴿وفريقاً تقفلون﴾ أي قتلتم مثل زكريا ويحيى وشعيا وسائر من قتلوه من الأنبياء عليهم السلام ﴿وقالوا﴾ يعني اليهود ﴿قلوبنا غلف﴾ جمع الأغلف وهو الذي عليه غشاء، معناه عليها غشاوة فلا تعي ولا تفقه ما تقول، قاله مجاهد وقتادة، نظيره قوله تعالى: «وقالوا قلوبنا في أكنة» (٥ - فصلت) وقرأ ابن عباس غُلف بضم اللام وهي قراءة الأعرج وهو جمع غلاف أي قلوبنا أوعية لكل علم فلا تحتاج إلى علمك قاله ابن عباس وعطاء وقال الكلبي: معناه أوعية لكل علم فلا تسمع حديثاً إلا تعيه إلا حديثك لا تعقله ولا تعيه ولو كان فيه (خير) (٣) لوعته وفهمته .

قال الله عز وجل ﴿بل لعنهم الله﴾ طردهم الله وأبعدهم عن كل خير ﴿بكفرهم قليلاً ما يؤمنون﴾ قال قتادة: معناه لن يؤمن منهم إلا قليل لأن من آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود، أي قليلاً يؤمنون، ونصب قليلاً [على الحال وقال معمر: لا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم ويكفرون بأكثره، أي قليلاً ولا كثيراً كقول الرجل للآخر: ما أقل ما تفعل كذا أي لا تفعله أصلاً] ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله﴾ يعني القرآن ﴿مصدق﴾ موافق ﴿لما معهم﴾ يعني التوراة ﴿وكانوا﴾ يعني اليهود ﴿من قبل من قبل مبعث محمد ﷺ﴾ يستفتحون ﴿يستنصرون﴾ على الذين كفروا ﴿على مشركي العرب، وذلك أنهم كانوا يقولون إذا حزبتهم أمر ودمهم عدو: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان، الذي نجد صفته في التوراة، فكانوا يُنصرون، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج

(١) في الأصل: إن موسى وفي (ب) إلى السماء.

(٢) في الأصل: كما جعل له القرآن روحاً مع نقص الآية: (وكذلك.....)

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) ساقط من الأصل أ.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ
بِمَا وَرَاءَهُ. وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾

بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وثمود وإرم ﴿فلما جاءهم ما عرفوا﴾ يعني محمداً صلى الله عليه
وسلم من غير بني اسرائيل وعرفوا نعته وصفته ﴿كفروا به﴾ بغياً وحسداً.

﴿فلعنة الله على الكافرين﴾ بئسما اشتروا به أنفسهم ﴿بئس ونعم﴾: فعلان ماضيان ووضعا للمدح
والذم، لا يتصرفان تصرف الأفعال، معناه: بئس الذي اختاروا لأنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق.
وقيل: الاشتراء هاهنا بمعنى البيع والمعنى بئس ما باعوا به حظ أنفسهم أي حين اختاروا الكفر (وبدلوا
أنفسهم للنار) ^(١) ﴿أن يكفروا بما أنزل الله﴾ يعني القرآن ﴿بغياً﴾ أي حسداً وأصل البغي: الفساد
ويقال بغي الجرح إذا فسد والبغي: الظلم، وأصله الطلب، والباغي طالب الظلم، والحاسد يظلم المحسود
جهده، طلباً لإزالة نعمة الله تعالى عنه ﴿أن ينزل الله من فضله﴾ أي النبوة والكتاب ﴿على من يشاء
من عباده﴾ محمد ﷺ، قرأ أهل مكة والبصرة ينزل بالتخفيف إلا (في سبحان الذي) في موضعين
«ونزل من القرآن» (٨٢ - الإسراء) و «حتى تنزل» (٩٣ - الإسراء) فإن ابن كثير يشددهما،
وشدّد البصريون في الأنعام «على أن ينزل آية» (٣٧ - الأنعام) زاد يعقوب تشديد (بما ينزل) في
النحل ووافق حمزة والكسائي في تخفيف (وينزل الغيث) في سورة لقمان وحم عسق، والآخرون يشددون
الكل، ولم يختلفوا في تشديد «وما ننزله إلا بقدر» في الحجر (٢١) ﴿فباؤوا بغضب﴾ أي رجعوا
بغضب ﴿على غضب﴾ قال ابن عباس ومجاهد: الغضب الأول بتضييعهم التوراة وتبديلهم، والثاني بكفرهم
بمحمد ﷺ والقرآن، وقال قتادة: الأول بكفرهم بعميس والإنجيل، والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن،
وقال السدي: الأول بعبادة العجل والثاني بالكفر بمحمد ﷺ ﴿وللكافرين﴾: الجاحدين بنبوة محمد
ﷺ من الناس كلهم ﴿عذاب مهين﴾ مخز يهانون فيه.

قوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله﴾ يعني القرآن ﴿قالوا نؤمن بما أنزل علينا﴾ يعني
التوراة، يكفيننا ذلك ﴿ويكفرون بما وراءه﴾ أي بما سواه من الكتب كقوله عز وجل «فمن ابتغى وراء
ذلك» (٧ - المؤمنون) أي سواه، وقال أبو عبيدة: [بما وراءه] ^(٢) أي: بما سواه من الكتب ﴿وهو
الحق﴾ يعني القرآن ﴿مصدقاً﴾ نصب على الحال ﴿لما معهم﴾ من التوراة ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿فلم

(١) في الأصل بذله.

(٢) وفي ب بما بعده.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ
ظَالِمُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا
مَاءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ
الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَايَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
﴿١٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا
الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾

تقتلون ﴿١٢﴾ أي قتلتم ﴿١٣﴾ أنبياء الله من قبل ﴿١٤﴾ ولم: أصله لِمَا فحذفت الألف فرقا بين الجر والاستفهام كقولهم فيم وبم؟ ﴿١٥﴾ إن كنتم مؤمنين ﴿١٦﴾ بالتوراة، وقد نهيتم فيها عن قتل الأنبياء عليهم السلام.

قوله عز وجل ﴿١٢﴾ ولقد جاءكم موسى بالبينات ﴿١٣﴾ بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة/ ﴿١٤﴾ ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون * وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ﴿١٥﴾ أي استجبوا وأطيعوا سميت الطاعة والإجابة سمعاً على المجاورة لأنه سبب للطاعة والإجابة ﴿١٦﴾ قالوا سمعنا ﴿١٧﴾ قولك ﴿١٨﴾ وعصينا ﴿١٩﴾ أمرك، وقيل: سمعنا بالأذن وعصينا بالقلوب، قال أهل المعاني: إنهم لم يقولوا هذا بالسنتهم ولكن لما سمعوا وتلقوه بالعصيان فنسب ذلك إلى القول اتساعاً ﴿٢٠﴾ وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴿٢١﴾ أي حب العجل، أي معناه: أدخل في قلوبهم حب العجل وخالطها، كإشرب اللون لشدة الملازمة يقال: فلان مشرب اللون إذا اختلط بياضه بالحمرة، وفي القصص: أن موسى أمر أن يُبَرَّد العجل بالمبرد ثم يذره في النهر وأمرهم (بالشرب) ^(١) منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحالة ^(٢) الذهب على شاربه.

ب/١٥

قوله عز وجل ﴿١٣﴾ قل بسمايأمركم به إيمانكم ﴿١٤﴾ أن تعبدوا العجل من دون الله أي بئس إيمان يأمركم بعبادة العجل ﴿١٥﴾ إن كنتم مؤمنين ﴿١٦﴾ بزعمكم، وذلك أنهم قالوا: (نؤمن بما أنزل علينا) فكذبهم الله عز وجل.

[قوله تعالى ﴿١٣﴾ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله ﴿١٤﴾ وذلك أن اليهود ادعوا دعوى باطلة مثل قولهم «لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة» (٨٠ - البقرة) «ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو

(١) في (ب) بالشرب.

(٢) السحالة: بالضم: ما سقط من الذهب والفضة إذا بُرِّد.

وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾ وَلَسَجِدَتِهِمْ
أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ أَوْ مَا
هُوَ بِمِزْحَجِهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

نصارى» (١١١ - البقرة) وقولهم: «نحن أبناء الله وأحباؤه»^(١) (١٨ - المائدة) فكذبهم الله عز وجل
وألزمهم الحجة فقال: قل لهم يا محمد (إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله) يعني الجنة عند الله
﴿خالصة﴾ أي خاصة ﴿من دون الناس فتمنوا الموت﴾ أي فأريدوه وأسألوه لأن من علم أن الجنة مأواه
حنَّ إليها ولا سبيل إلى دخولها إلا بعد الموت فاستعجلوه بالتمنى ﴿إن كنتم صادقين﴾ في قولكم، وقيل:
فتمنوا الموت أي ادعوا بالموت على الفرقة الكاذبة. وروي عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «لو تمنوا
الموت لغصَّ كل انسان منهم بريقه وما بقي على وجه الأرض يهودي إلا مات»^(٢).

قال الله تعالى: ﴿ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم﴾ لعلمهم أنهم في دعواهم كاذبون وأراد (بما
قدمت أيديهم) أي ما قدموه من الأعمال وأضافها إلى اليد [دون سائر الأعضاء]^(٣) لأن أكثر جنایات
الانسان تكون باليد فأضيف إلى اليد أعماله وإن لم يكن لليد فيها عمل ﴿والله عليم بالظالمين *
ولتجدنهم﴾ اللام لام القسم والنون تأكيد للقسم، تقديره: والله لتجدنهم يا محمد يعني اليهود ﴿أحرص
الناس على حياة ومن الذين أشركوا﴾ قيل: هو متصل بالأول، وأحرص من الذين أشركوا، وقيل: تم
الكلام بقوله (على حياة) ثم ابتداء (من الذين أشركوا) وأراد بالذين أشركوا المجوس قاله أبو العالية والربيع
سما مشركين لأنهم يقولون بالنور والظلمة.

﴿يؤذ﴾ يريد ويتمنى ﴿أحدهم لو يعمر ألف سنة﴾ يعني تعمر ألف سنة وهي تحية المجوس فيما
بينهم يقولون عش ألف سنة وكل ألف نيروز ومهرجان، يقول الله تعالى: اليهود أحرص على الحياة من
المجوس الذين يقولون ذلك ﴿وما هو بمزحزج﴾ مباعده ﴿من العذاب﴾ من النار ﴿أن يعمر﴾ أي
طول عمره لا ينقذه. [زحزحه وتزحزح]^(٤) من العذاب أو وزحزح: لازم ومتعد، ويقال زحزحته فتزحزح
﴿والله بصير بما يعلمون﴾ .

(١) ساقط من (أ).

(٢) أخرجه الطبري موقوفاً على ابن عباس: ٣٦٣/٢، وقال الشيخ شاكراً: ولكنه مرفوع بالروايات الأخرى. وقال ابن حجر في الكافي الشاف
ص (٩): «وأخرج البيهقي في الدلائل من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال لليهود: إن
كنتم صادقين في مقاتلتكم فقولوا: اللهم أمتنا. فوالذي نفسي بيده لا يقوها رجل منكم إلا غصَّ بريقه ومات مكانه».

(٣) ساقط من ب.

(٤) ساقط من ب.

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن حبراً من أحبار اليهود يقال له عبد الله بن سوريا قال للنبي ﷺ: أي مَلَك (نزل) (١) من السماء؟ قال (جبريل) قال: ذلك عدونا من الملائكة ولو كان ميكائيل لآمنا بك، إن جبريل ينزل بالعذاب والقتال والشدة وإنه عادانا مراراً وكان من أشد ذلك علينا، [أن الله تعالى أنزل على نبينا] (٢) أن بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بختنصر، وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه، فلما كان وقته بعثنا رجلاً من أقوياء بني إسرائيل في طلبه لقتله فانطلق حتى لقيه ببابل غلاماً مسكيناً فأخذه ليقته فدفن عنه جبريل وكبر بختنصر وقوي وغزانا وخرب بيت المقدس فهذا نتخذه عدواً فأنزل الله تعالى هذه الآية (٣).

وقال مقاتل: قالت اليهود: إن جبريل عدونا لأنه أمر بجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا، وقال قتادة وعكرمة والسدي: كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة وممرها على مدارس اليهود فكان إذا أتى أرضه يأتيهم ويسمع منهم (كلاماً) (٤) فقالوا له: ما في أصحاب محمد أحب إلينا منك، إنهم يمرون علينا فيؤذوننا وأنت لا تؤذينا وإنا لنطمع فيك فقال عمر: والله ما آتيكم لحبكم ولا أسألكم لأني شاك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد ﷺ وأرى آثاره في كتابكم [وأنتم تكتمونها] (٥) فقالوا: من صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة؟ قال: جبريل فقالوا: ذلك عدونا يطلع محمداً على أسرارنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وسنة وشدة، وإن ميكائيل إذا جاء جاء بالخصب والمغنم (٦) فقال لهم عمر: تعرفون جبريل وتذكرون محمداً؟ قالوا: نعم قال: فأخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من

(١) في ب يأتيك.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) قال ابن حجر في الكافي الشاف ص (٩): هكذا ذكره الثعلبي والواحدي والبقوي، فقالوا: «روى ابن عباس: أن حبراً...» وم أقف له على سند، ولعله من تفسير الكلبي عن أبي صالح عنه.

وانظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدى: ١٥٨/١، وأسباب النزول للواحدى أيضاً ص (٢٦).

(٤) ساقط من ب.

(٥) ساقطة من ب.

(٦) في ب والسلم.

الله عز وجل؟ قالوا: جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره قال عمر: فإني أشهد أن من كان عدواً لجبريل فهو عدو لميكائيل، ومن كان عدواً لميكائيل فإنه عدو لجبريل، ومن كان عدواً لهما كان الله عدواً له، ثم رجع عمر إلى رسول الله ﷺ فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فقال «لقد وافقك ربك يا عمر» فقال عمر: لقد رأيتني بعد ذلك، في دين الله أصلب من الحجر^(١).

قال الله تعالى ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ﴾، يعني: جبريل ﴿نَزَّلَهُ﴾، يعني: القرآن، كناية عن غير مذكور ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ يا محمد ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمر الله ﴿مُصَدِّقًا﴾ موافقاً ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما قبله من الكتب، ﴿وَهَدَىٰ وَيُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ خصهما بالذكر من جملة الملائكة مع دخولهما في قوله ﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾ تفضيلاً وتخصيصاً، كقوله تعالى: «فيهما فاكهة ونخل ورمان» (٦٨ - الرحمن) خص النخل والرمان بالذكر مع دخولهما في ذكر الفاكهة، والواو فيهما بمعنى: أو، يعني من كان عدواً لأحد هؤلاء فإنه عدو للكل، لأن الكافر بالواحد كافر بالكل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ قال عكرمة: جبر و ميك واسراف هي العبد بالسريانية، وايل هو الله تعالى ومعناها عبد الله وعبد الرحمن. وقرأ ابن كثير جبريل بفتح الجيم غير مهموز بوزن فعليل قال حسان:

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء

وقرأ حمزة والكسائي بالهمز والاشباع بوزن سلسبيل، وقرأ أبو بكر بالاختلاس، وقرأ الآخرون بكسر الجيم غير مهموز، وميكائيل قرأ أبو عمرو ويعقوب وحفص ميكال بغير همز قال جرير:

عَبْدُوا الصَّلِيبَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ وَبِجِبْرِئِيلَ وَكَذَّبُوا مِيكَالًا^(٢)

وقال آخر:

وَيَوْمَ بَدْرٍ لَقَيْتَاكُمْ لَنَا مَدَدٌ فِيهِ مَعَ النَّصْرِ جِبْرِيلُ وَمِيكَالُ^(٣)

وقرأ نافع: بالهمزة والاختلاس، بوزن ميفاعل، وقرأ الآخرون: بالهمز والاشباع بوزن ميكائيل، وقال ابن سوريا: ما جئتنا بشيء نعرفه، فأنزل الله تعالى^(٤) ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات

(١) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢ - ٣٨٥. وعزاه ابن حجر للواحد في أسباب النزول من رواية داود بن أبي هند عن الشعبي، وهو عنده في ص ٢٧ - ٢٨، وذكره أيضاً، في التفسير: ١٦٠/١ وانظر: الكافي الشاف ص (٩).

(٢) البيت لجرير، وهو في ديوانه ص ٤٥٠، ونقائض جرير والأحطل ص (٨٧)، وانظر: تفسير الطبري: ٣٨٨/٢، تفسير الواحدي: ١٥٩/١.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٣٨/٢، تفسير الواحدي: ١٥٩/١.

(٤) الأثر أخرجه الطبري: ٣٩٨/٢ من طريق ابن اسحاق: وهو في السيرة النبوية لابن هشام: ١٩٦/٢ مع شرحها الروض الأنف. وانظر: الكافي الشاف ص (٩).

أَوْ كَلِمَا عَهْدُوا وَعَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٦﴾ وَلَمَّا
جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٧﴾ - وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ
عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ
النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أَنزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بَابِلَ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ ۗ وَمَا يَعْلَمَانِ مِن أَحَدٍ

مفصلات بالحلال والحرام والحدود والأحكام ﴿وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ الخارجون عن أمر الله عز وجل.

قوله تعالى ﴿أَوْ كَلِمَا﴾ واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام ﴿عاهدوا عهداً﴾ يعني اليهود عاهدوا لكن خرج محمد ليؤمننَّ به، فلما خرج كفروا به.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما ذكرهم رسول الله ﷺ ما أخذ الله عليهم (من الميثاق) (١) وعهد إليهم في محمد أن يؤمنوا، به قال مالك بن الصيف: والله ما عهدَ إلينا في محمد عهدٌ، فأنزل الله تعالى هذه الآية (٢)، يدل عليه قراءة أبي رجاء العطاردي «أَوْ كَلِمَا عَاهَدُوا» فجعلهم مفعولين، وقال عطاء: هي العهود التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود / أن لا يعاونوا المشركين على قتاله فنقضوها كفعل بني قريظة والنضير (٣)، دليله قوله تعالى «الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم» (٥٦) — الأنفال)، ﴿نَبَذَهُ﴾ طرحه ونقضه ﴿فَرِيقٌ﴾ طوائف ﴿مِنْهُمْ﴾ من اليهود ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ولما جاءهم رسول من عند الله ﴿يَعْنِي مُحَمَّدًا﴾ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ كتاب الله وراء ظهورهم ﴿يَعْنِي التَّوْرَةَ وَقِيلَ: الْقُرْآنَ﴾ ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال الشعبي: كانوا يقرؤون التوراة ولا يعملون بها، وقال سفيان بن عيينة: أدرجوها في الحرير والديباج وحلواها بالذهب والفضة ولم يعملوا بها فذلك نبذهم لها (٤).

أ/١٦

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ يعني اليهود ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ أي: ما تلت، والعرب تضع المستقبل موضع الماضي، والماضي موضع المستقبل، وقيل: ما كنت تتلو أي تقرأ، قال ابن عباس رضي الله عنه:

(١) ساقط من ب.

(٢) الأثر أخرجه الطبري: ٤٠١/٢، وهو في سيرة ابن هشام: ١٩٦/٢.

(٣) العبارة بصها في الواحدي: ١/١٦٢ مع زيادة. وانظر: القرطبي: ٤٠/٢، البحر المحيط: ٣٢٣/١.

(٤) تفسير الواحدي ١/١٦٣، القرطبي: ١/١٦١، القرطبي: ٤١/٢، البحر المتوسط: ٣٢٥/١.

حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا خُنُّنَا فَتَنَّا فَتَنَا فَلَآتَكْفُرٌ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ
 وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَنْتَعِمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا
 يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ
 مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا
 لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

تتبع وتعمل به، وقال عطاء تحدث وتكلم به ﴿على ملك سليمان﴾ أي: ملكه وعهده.

وقصة الآية^(١): أن الشياطين كتبوا السحر والنيروحيات^(٢) على لسان آصف بن برخيا هذا ما علم
 آصف بن برخيا سليمان الملك، ثم دفنوها تحت مصلاه حتى نزع الله الملك عنه ولم يشعر بذلك
 سليمان فلما مات استخرجوها وقالوا للناس: إنما ملكهم سليمان بها فتعلموه فأما علماء بني اسرائيل
 وصلحاحوهم فقالوا: معاذ الله أن يكون هذا من علم الله^(٣)، وأما السُّفلة، فقالوا: هذا علم سليمان،
 وأقبلوا على تعلمه، ورفضوا كتب أنبيائهم، وفشت الملامة على سليمان فلم يزل هذا حالهم وفعلهم حتى

(١) ساق ابن كثير رحمه الله جملة من الروايات في تفسير الآية ثم قال: «وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين:
 كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة، وأبي العالية والزهري، والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم، وقصها خلق من المفسرين،
 من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني اسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى
 الصادق المصدوق المعصوم، الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا اطناب، فنحن نؤمن بما ورد
 في القرآن، على ما أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى، والله أعلم بحقيقة الحال». تفسير ابن كثير: ٢٤٩/١ - ٢٥٠.

وقال القاضي عياض رحمه الله عن هاروت وماروت.. «وما ذكر فيها أهل الأخبار وثقله المفسرين، وما روى عن علي وابن عباس في
 خبرهما وابتلائهما - بحجة المرأة وعقابهما على مافعلا، وما وقع من السحر: فاعلم - أكرمك الله - أن هذه الأخبار لم يرو منها شيء
 لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ وليس هو شيئاً يؤخذ بقياس.

والذي منه في القرآن: اختلف المفسرون في معناه، وأتكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف، وهذه الأخبار من كتب اليهود واقترائهم،
 كما نصه الله أول الآيات منها واقترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم إياه.

وقد انطوت القصة على شئ عظمة، وما نحن نجبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات، إن شاء الله» ثم ذكر ما يزيّف القصة
 ويطلها من عدة وجوه انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض: ٨٥٣/٢ - ٨٥٩.

وبعد أن ذكر ابن عطية في تفسيره الروايات عن القصة قال: «وهذا كله ضعيف ويعيد على ابن عمر رضي الله عنهما» انظر: المهر
 الوجيز لابن عطية: ٤٢٠/١. وانظر أيضاً ما ذكره الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه في تفسيره: وابن العربي في أحكام القرآن: ٢٧/١ -
 ٣٠، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٥٢/٢. ومع ورود بعض الروايات في المسند للإمام أحمد أو غيره، فإنها روايات ضعيفة، لا
 تعارض الأخبار الصحيحة والقواعد المقررة عن عصمة الملائكة عليهم السلام وإن سكت عنها الإمام الطبري والثعلبي والبقوي. وانظر:
 لباب التفسير محمود بن حمزة الكرماني ٣٦٩/١. تحقيق د. ناصر بن سليمان العمر.

(٢) وهو أخذ كالسحر، وليس به، وإنما هو تشبيه وتليبس. القاموس.

(٣) هكذا جاء في نسخة (أ) وفي ب (سليمان) وكذلك المطبوع، وهو الصحيح.

بعث الله محمداً ﷺ وأنزل عليه براءة سليمان، هذا قول الكلبي.

وقال السدي: كانت الشياطين تصعد إلى السماء، فيسمعون كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت وغيره، فيأتون الكهنة ويخلطون بما يسمعون في كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها [فكُتِبَ ذلك] ^(١) وفشا في بني إسرائيل أن الجن يعلمون الغيب، فبعث سليمان في الناس وجمع تلك الكتب وجعلها في صندوق ودفنه تحت كرسيه وقال: لا أسمع أحداً يقول إن الشيطان يعلم الغيب إلا ضربت عنقه، فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ودفنه الكتب، وخلف من بعدهم خلف، تمثل الشيطان على صورة إنسان فأتى نفرأ من بني إسرائيل فقال: أدلكم على كنز لا تأكلونه أبداً قالوا: نعم فذهب معهم فأراهم المكان الذي تحت كرسيه، فحفروا فأقام ناحية فقالوا له: أدن وقال: لا أحضر، فإن لم تجدوه فاقتلوني، وذلك أنه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسي إلا احترق، فحفروا وأخرجوا تلك الكتب، فقال الشيطان لعنه الله: إن سليمان كان يضبط الجن والإنس والشياطين والطير بهذا، ثم طار الشيطان عنهم، وفشا في الناس أن سليمان كان ساحراً، وأخذوا تلك الكتب (واستعملوها) ^(٢) فلذلك أكثر ما يوجد السحري اليهود، فلما جاء محمد ﷺ برأ الله تعالى سليمان من ذلك، وأنزل في عذر سليمان: ﴿وما كفر سليمان﴾ بالسحر، وقيل: لم يكن سليمان كافراً بالسحر ويعمل به ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ قرأ ابن عباس رضي الله عنه والكسائي وحمزة، «لكن» خفيفة النون، «والشياطين» رفع، وقرأ الآخرون ولكن مشددة النون «والشياطين» نصب وكذلك «ولكن الله قتلهم» (١٧ - الأنفال) «ولكن الله رمى» (١٧ - الأنفال) ومعنى لكن: نفي الخبر الماضي وإثبات المستقبل.

﴿يعلمون الناس﴾ قيل: معنى السحر العلم والحذق بالشيء قال الله تعالى «وقالوا يأبها الساحر ادع لنا ربك» (٤٩ - الزخرف) أي العالم، والصحيح: أن السحر عبارة عن التمويه والتخييل، والسحر وجوده حقيقة عند أهل السنة، وعليه أكثر الأمم، ولكن العمل به كفر، حكى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: السحر يخيل ويمرض وقد يقتل، حتى أوجب القصاص على من قتل به فهو من عمل الشيطان، يتلقاه الساحر منه بتعليمه إياه، فإذا تلقاه منه استعمله في غيره، وقيل: إنه يؤثر في قلب الأعيان فيجعل الآدمي على صورة الحمار ويجعل الحمار على صورة الكلب، والأصح أن ذلك تخييل قال الله تعالى: «يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى» (٦٦ - طه) لكنه يؤثر في الأبدان بالأمراض والموت والجنون، وللكلام تأثير في الطباع والنفوس وقد يسمع الإنسان ما يكره فيحتمى ويغضب وربما يحتم منه،

(١) وفي (ب) فاكتب الناس ذلك.

(٢) ساقطة من (ب).

وقد مات قوم بكلام سمعوه فهو بمنزلة العوارض والعلل التي تؤثر في الأبدان^(١).

قوله عز وجل ﴿وما أنزل على الملكين ببابل﴾ أي ويعلمون الذي أنزل على الملكين [أي إلهاماً وعلماً، فالإنزال بمعنى الإلهام والتعليم، وقيل: واتبعوا ما أنزل على الملكين]^(٢) وقرأ ابن عباس والحسن الملكين بكسر اللام، وقال ابن عباس: هما رجلان ساحران كانا ببابل، وقال الحسن: عِلجان^(٣) لأن الملائكة لا يعلمون السحر.

وبابل هي بابل العراق سميت بابل لتبليد الأسنة بها عند سقوط صرح نمrod أي تفرقتها، قال ابن مسعود: بابل أرض الكوفة، وقيل جبل دماوند، والقراءة المعروفة على الملكين بالفتح. فإن قيل كيف يجوز تعليم السحر من الملائكة؟ قيل: له تأويلان: أحدهما، أنهما لا يتعمدان التعليم لكن يصفان السحر ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه، والتعليم بمعنى الإعلام، فالشقي يترك نصيحتهما ويتعلم السحر من صنعتهما.

والتأويل الثاني: وهو الأصح: أن الله تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت فمن شقى يتعلم السحر منهما [ويأخذه عنهما ويعمل به]^(٤) فيكفر به، ومن سعد يتركه فيبقى على الإيمان، ويزداد المعلمان بالتعليم عذاباً، ففيه ابتلاء للمعلم [والتعلم]^(٥) والله أن يمتحن عباده بما شاء، فله الأمر والحكم.

قوله عز وجل ﴿هاروت وماروت﴾ اسمان سريانيان وهما في محل الخفض على تفسير الملكين إلا أنهما نصبا لعجمتهما ومعرفتهما، وكانت قصتهما على ما ذكر ابن عباس والمفسرون^(٦): أن الملائكة رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة في زمن إدريس عليه السلام فعبروهم وقالوا: هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض خليفة واخترتهم فهم يعصونك فقال الله تعالى: لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتهم مثل ما ركبوا فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك قال لهم الله تعالى: فاخترتوا ملكين من خياركم أهبطهما إلى الأرض، فاخترتوا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدتهم، وقال الكلبي: قال الله تعالى لهم: اخترتوا ثلاثة فاخترتوا عزا وهو هاروت وعزايا وهو ماروت — غير إسمهما لما قارفا الذنب — وعزائيل، فركب الله فيهم الشهوة وأهبطهم إلى الأرض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق

(١) انظر تفصيل ذلك فيما بسطه ابن كثير من مسائل حول حقيقة السحر وحكم تعاطيه وتعلمه... في التفسير: ٢٥٢/١ - ٢٦١، أحكام القرآن للجصاص: ٥٠/١ - ٧٢.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) العِلج: الرجل الضخم من كفار العجم.

(٤) ساقط من (ب).

(٥) ساقطة من (ب).

(٦) راجع فيما سبق هامش (١) ص (١٢٧). وما قاله المحققون من المفسرين في رد هذا الروايات الاسرائيلية.

ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر، فأما عزائيل فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه استقبل ربه وسأله أن يرفعه إلى السماء، فأقاله فسجد أربعين سنة لم يرفع رأسه، ولم يزل بعد ذلك مطأطأاً رأسه حياءً من الله تعالى.

وأما الآخرون: فإنهما ثبتا على ذلك وكانا يقضيان بين الناس يومهما، فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء، قال قتادة: فما مر عليهما شهر حتى افتتينا. قالوا جميعاً إنه اختصمت إليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: وكانت من أهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما رآها أخذت بقلوبهما فراودها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلت مثل ذلك فأبت وقالت: لا إلا أن تعيدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا: لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله تعالى قد نهانا عنها، فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها / قذح من خمر، وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها فراودها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالا: الصلاة لغير الله عظيم، وقتل النفس عظيم، وأهون الثلاثة شرب الخمر، فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة، فزنيا فلما فرغا رأهما إنسان فقتلاه، قال الربيع بن أنس وسجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكباً — وقال بعضهم: جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجها فقال أحدهما للأخر: هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي (من حب هذه)؟^(١) قال: نعم فقال: وهل لك أن تقضي لها على زوجها بما تقول؟ فقال له صاحبه: أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب؟ فقال له صاحبه: أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألاها نفسها، فقالت: لا إلا أن تقتلاه فقال أحدهما: أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب؟ فقال صاحبه: أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سألاها نفسها، فقالت: لا، إن لي صنماً أعبد، إن انتما صليتما معي له: فَعَلْتُ، فقال: أحدهما لصاحبه مثل القول الأول فقال صاحبه مثله، فصليا معها له فمسخت شهاباً.

ب/١٦

قال ابن أبي طالب رضي الله عنه والكليبي والسدي: إنها قالت لهما حين سألاها نفسها: لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء فقالا: باسم الله الأكبر، قالت: فما أنتم تدركاني حتى تعلمانيه، فقال أحدهما لصاحبه: علمها فقال: إني أخاف الله رب العالمين، قال الآخر: فأين رحمة الله تعالى؟ فعلمها ذلك فتكلمت، فصعدت إلى السماء فمسخها الله كوكباً، فذهب بعضهم إلى أنها الزهرة بعينها وأنكر الآخرون هذا وقالوا: إن الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي أقسم الله بها فقال «فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس» (١٥ — التكوير) والتي فتننت هاروت وماروت امرأة كانت تسمى الزهرة لجمالها فلما بغت مسخها الله تعالى شهاباً، قالوا: فلما أمسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب

(١) ساقطة من ب.

هَمًّا بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما، فعلما ما حل بهما (من الغضب)^(١) فقصد إدريس النبي عليه السلام، فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عز وجل وقال له: إنا رأيناك يصعد لك من العبادات مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاستشفع لنا، إلى ربك ففعل ذلك إدريس عليه السلام فخبرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا إذ علما أنه ينقطع فهما يبابل يعذبان.

واختلفوا في كيفية عذابهما فقال عبد الله بن مسعود: هما معلقان بشعورهما إلى قيام الساعة، وقال عطاء بن أبي رباح: رؤوسهما مصوبة تحت أجنحتهما، وقال قتادة (كَبَلًا)^(٢) من أقدامهما إلى أصول أفضأهما، وقال مجاهد: جعلوا في جب مُلِئت ناراً، وقال عمر بن سعد: منكوسان يُضربان بسياط من الحديد.

وروي أن رجلاً قصد هاروت وماروت لتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهم، مزرقه أعينهما، مسودة جلودهما، ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا أربع أصابع وهما يعذبان بالعطش، فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال: لا إله إلا الله، فلما سمعا كلامه قال له: من أنت؟ قال: رجل من الناس، قال: من أي أمة أنت؟ قال: من أمة محمد ﷺ قال: أو قد بعث محمد ﷺ؟ قال: نعم قال: الحمد لله، وأظهرها الاستبشار فقال الرجل: ومِمَّ استبشارك؟ قال: إنه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا.

قوله تعالى: ﴿وما يعلمان من أحد﴾ أي أحداً، و «من» صلة ﴿حتى﴾ ينصحاها أولاً و ﴿يقولا﴾ إنما نحن فتنة﴾ ابتلاء ومحنة ﴿فلا تكفر﴾ أي لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر، وأصل الفتنة: الاختبار والامتحان، من قوهم: فتنَّ الذهب والفضة إذا أذبتهما بالنار، ليميز الجيد من الرديء، وإنما وحَّد الفتنة وهما اثنان، لأن الفتنة مصدر، والمصادر لا تثني ولا تجمع، وقيل: إنهما يقولان «إنما نحن فتنة فلا تكفر» سبع مرات.

قال عطاء والسدي: فإن أبي إلا التعلّم قال له: إئت هذا الرماد (وأقبل عليه)^(٣) فيخرج منه نور ساطع في السماء فذلك نور المعرفة، وينزل شيء أسود شبه الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى، قال مجاهد: إن هاروت وماروت لا يصل إليهما أحد ويختلف فيما بينهما شيطان في كل مسألة اختلافه واحدة، ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ وهو أن (يؤخذ)^(٤) كل واحد عن

(١) ساقطة من ب.

(٢) في ب كتلا.

(٣) في ب قبّل عليه.

(٤) في أ يأخذ، ويقال: أخذه تأخيداً، والتأخيد: حبس السواحر أزواج النساء عن غيرهن من النساء، ويقال لهذه الحيلة: الأخذة — بضم

[انظر: لسان العرب مادة: أخذ].

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ
يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٥﴾

صاحبه، وَيُغَضُّ كل واحد إلى صاحبه قال الله تعالى: ﴿وما هم﴾ قيل أي: السحرة وقيل: الشياطين
﴿بضارين به﴾ أي بالسحر ﴿من أحد﴾ أي أحداً، ﴿إلا بإذن الله﴾ أي: بعلمه وتكوينه، فالساحر
يسحر والله يُكُون.

قال سفيان الثوري: معناه إلا بقضائه وقدرته ومشيتته، ﴿ويتعلمون ما يضرهم﴾ يعني: أن السحر
يضرهم ﴿ولا ينفعهم، ولقد علموا﴾ يعني اليهود ﴿لمن اشتراه﴾ أي اختار السحر ﴿ما له في الآخرة
من خلاق﴾ أي في الجنة من نصيب ﴿ولبس ما شروا به﴾ باعوا به ﴿أنفسهم﴾ حظ أنفسهم، حيث
اختاروا السحر والكفر على الدين والحق ﴿لو كانوا يعلمون﴾ فإن قيل: أليس قد قال «ولقد علموا لمن
اشتراه» فما معنى قوله تعالى «لو كانوا يعلمون» بعدما أخبر أنهم علموا؟ قيل: أراد بقوله «ولقد علموا»
يعني الشياطين وقوله «لو كانوا يعلمون» يعني اليهود، وقيل: كلاهما في اليهود يعني: لكنهم لما لم يعملوا بما
علموا فكأنهم لم يعلموا ﴿ولو أنهم آمنوا﴾ بمحمد ﷺ والقرآن ﴿واتقوا﴾ اليهودية والسحر ﴿المشوية من
عند الله خير﴾ لكان ثواب الله إياهم خيراً لهم ﴿لو كانوا يعلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ وذلك أن المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول
الله، من المراعاة أي أرعنا سمعك، أي قرغ سمعك لكلامنا، يقال: أرعى إلى الشيء، ورعاه، وراعاه، أي
أصغى إليه واستمعته، وكانت هذه اللفظة (شيئاً) (١) قبيحاً بلغة اليهود، وقيل: كان معناها عندهم اسمع لا
سمعت.

وقيل: هي من الرعونة إذا أرادوا ان يحمقوا إنساناً قالوا له: راعنا بمعنى يأحمق! فلما سمع اليهود هذه
اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم: كنا نسبُ محمداً سراً، فأعلنوا به الآن، فكانوا يأتونه ويقولون: راعنا
يا محمد، ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ (٢) فظن لها، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود:
لئن سمعتها من أحدكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه، فقالوا: أو لستم تقولونها؟ فأنزل الله تعالى ﴿لا

(١) وفي ب سبأ.

(٢) في اسباب النزول: سعد بن عبادة.

مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِيهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ - أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾

تقولوا واعنا ﴿﴾ كيلا يجد اليهود بذلك سبيلا إلى شتم رسول الله ﷺ (١) ﴿وقولوا انظرونا﴾ أي انظر إلينا وقيل: انتظرونا وتأن بنا، يقال: نظرت فلاناً وانتظرت، ومنه قوله تعالى «انظرونا نقتبس من نوركم» (١٣) - الحديد) قال مجاهد: معناها (فَهَمَّتَاهُ) (٢) ﴿واسمعوا﴾ ما تؤمرون به وأطيعوا ﴿وللكافرين﴾ يعني اليهود عذاب أليم ﴿﴾.

قوله تعالى: ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ وذلك أن المسلمين كانوا إذا قالوا لحلفائهم من اليهود: آمنوا بمحمد ﷺ قالوا: ما هذا الذي تدعوننا إليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان خيراً، فأنزل الله تكديماً لهم ﴿ما يود الذين﴾ أي ما يحب ويتمنى الذين كفروا من أهل الكتاب يعني اليهود ﴿ولا المشركين﴾ جره بالنسق على من ﴿أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ أي خير ونبوة، ومن صلة ﴿والله يخصص برحمته﴾ بنبوته ﴿من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ والفضل ابتداء إحسان بلا علة.

وقيل: المراد بالرحمة الإسلام والهداية وقيل: معنى الآية إن الله تعالى بعث الأنبياء من ولد إسحاق فلما بعث النبي ﷺ من ولد إسماعيل لم يقع ذلك بود اليهود ومحبتهم، (فنزلت الآية) (٣) وأما المشركون فإنما لم تقع بودهم لأنه جاء بتضليلهم وعيب آلتهم.

قوله عز وجل ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾ وذلك أن المشركين قالوا: إن محمداً ما يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلاف ما يقوله إلا من تلقاء نفسه يقول [اليوم قولاً ويرجع عنه غداً كما أخبر الله «وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم»] (٤) بما ينزل قالوا: إنما أنت مفتري» (١٠١ - النحل) وأنزل ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾ فبين وجه الحكمة من النسخ بهذه الآية.

والنسخ في اللغة شيان (٥):

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٢/٧٥، أسباب النزول للواحي ص (٣١).

(٢) وفي ب فهبتا.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) ساقط من أ.

(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٥/٤٢٤، مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص (٤٩٠).

أحدهما: بمعنى التحويل والنقل ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحول من كتاب إلى كتاب فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ لأنه نسخ من اللوح المحفوظ.

والثاني: يكون بمعنى الرفع يقال: نسخت الشمس الظل أي ذهبت به وأبطلته. فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخاً وبعضه منسوخاً وهو المراد من الآية / وهذا على وجوه، أحدها: أن يثبت الخط وينسخ الحكم مثل آية الوصية للأقارب. وآية عدة الوفاة بالحوال وآية التخفيف في القتال وآية الممتحنة ونحوها^(١)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ما ننسخ من آية﴾ ما ثبت خطها وبندل حكمها، ومنها أن ترفع تلاوتها ويبقى حكمها مثل آية الرجم، ومنها أن ترفع تلاوته أصلاً عن المصحف وعن القلوب كما روي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف: أن قوماً من الصحابة رضي الله عنهم قاموا ليلة ليقرؤوا سورة فلم يذكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا إلى النبي ﷺ فأخبروه فقال رسول الله ﷺ «تلك سورة رفعت تلاوتها وأحكامها»^(٢)، وقيل: كانت سورة الأحزاب مثل سورة البقرة، فرفع أكثرها تلاوة وحكماً، ثم من نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه، كما أن القبلة نسخت من بيت المقدس إلى الكعبة، والوصية للأقارب نسخت بالميراث وعدة الوفاة نسخت من الحول إلى أربعة أشهر وعشر، ومصابرة الواحد العشر في القتال نسخت بمصابرة الاثني عشر، ومنها ما يرفع ولا يُقام غيره مقامه، كامتحان النساء. والنسخ إنما يعترض على الأوامر والنواهي دون الأخبار.

أ / ١٧

أما معنى الآية فقوله ﴿ما ننسخ من آية﴾ قراءة العامة بفتح النون وكسر السين من النسخ، أي: نرفعها، وقرأ ابن عامر بضم النون وكسر السين من الإنساح وله وجهان:

أحدهما: أن نجعله كالمسوخ.

والثاني: أن نجعله نسخة له [يقال: نسخت الكتاب أي كتبته، وأنسخته غيري إذا جعلته نسخة له]^(٣) ﴿أو ننسها﴾ أي ننسها على قلبك.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما، نتركها لا ننسخها، قال الله تعالى «نسوا الله فأنسيهم» (٦٧) —

(١) انظر تفصيل أحكام النسخ وما يتعلق به في: الرسالة للإمام الشافعي ص ١٣٧ وما بعدها، والايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه. لباب التفسير: ٣٨٢/١ — ٣٨٦ وعامة كتب أصول الفقه.

(٢) عزاه ابن كثير للطبراني بسنده عن سالم عن أبيه وقال: سليمان بن الأرقم ضعيف. وقال: وقد روى أبو بكر الأنباري عن أبي أمامة مثله مرفوعاً: التفسير ١٥١/١ طبع بيروت، وحديث أبي أمامة فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، وهو ضعيف. وعن عمر قال: قرأ رجلان من الأنصار سورة أقرأهما رسول الله ﷺ وكانا يقرآن بها، فقاما يقرآن ذات ليلة يصليان فلم يقدرتا منها على حرف فأصبحا غاديين على رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له فقال رسول الله ﷺ: إنها مما نسخ أو نسي فألها عنها فكان الزهري يقرؤها (ما ننسخ من آية أو ننسها) بضم النون خفيفة. رواه الطبراني وفيه سليمان بن أرقم وهو متروك (المجمع: ٣١٥/٦). وأخرج حديث أبي أمامة بن سهل الواحد أيضاً في التفسير: ١٧٢/١، وانظر: أسباب النزول للواحد ص ٣٢ وتفسير القرطبي: ٦٣/٢، الدر المنثور: ٢٥٦/١.

(٣) زيادة في ب.

وَدَكْثِيرٍ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ
بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾

التوبة) أي تركوه فتركهم وقيل ﴿ننسها﴾ أي: نأمر بتركها، يقال: أنسيت الشيء إذا أمرت بتركه، فيكون النسخ الأول من رفع الحكم واقامة غيره مقامه، والإنساء يكون ناسخاً من غير اقامة غيره مقامه.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو أو ننسأها بفتح النون الأول والسين مهموزاً أي تؤخرها فلا نبدها يقال: نسأ الله في أجله وأنسأ الله أجله، وفي معناه قولان: أحدهما: نرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كما فعل في آية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الأول بمعنى رفع التلاوة والحكم، والقول الثاني: قال سعيد بن المسيب وعطاء: أما ما نسخ من آية فهو ما قد نزل من القرآن جعلاه من النسخة أو ننسأها أي تؤخرها ونتركها في اللوح المحفوظ ولا تنزل.

﴿نأت بغير منها﴾ أي بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لأجركم، لا أن آية خير من آية، لأن كلام الله واحد وكله خير ﴿أو مثلها﴾ في المنفعة والثواب فكل ما نسخ إلى الأيسر فهو أسهل في العمل وما نسخ إلى الأشق فهو في الثواب أكثر ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾؟ من النسخ والتبديل، لفظه استفهام، ومعناه تقرير، أي: إنك تعلم.

﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم﴾ يا معشر الكفار عند نزول العذاب ﴿من دون الله﴾ مما سوى الله ﴿من ولي﴾ قريب وصديق وقيل: من وال وهو القيم بالأمور ﴿ولا نصير﴾ ناصر يمنعكم من العذاب.

قوله: ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم﴾ نزلت في اليهود حين قالوا: يا محمد اتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة فقال تعالى ﴿أم تريدون﴾ يعني أتريدون فالميم صلة وقيل: بل تريدون أن تسألوا رسولكم محمداً ﷺ ﴿كما سئل موسى من قبل﴾ سأله قومه: أرنا الله جهرة وقيل: إنهم سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً^(١)، كما أن موسى سأله قومه فقالوا: أرنا الله جهرة، فيه منعهم عن السؤالات المقبوحة بعد ظهور الدلائل والبراهين ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان﴾ يستبدل الكفر بالإيمان ﴿فقد ضلّ سواء السبيل﴾ أخطأ وسط الطريق وقيل: قصد السبيل.

قوله تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتاب﴾ الآية نزلت في نفر من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان

(١) قال الله تعالى: «وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً»،

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾

وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد: لو كنتم على الحق ما هزمتم، فارجعوا إلى ديننا فنحن أهدي سبيلا منكم فقال لهم عمار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد، قال فإني قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد ﷺ ما عشت. فقالت اليهود: أما هذا فقد صبا وقال حذيفة: أما أنا فقد رضيت بالله رباً، وبمحمد نبياً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن إماماً، وبالكعبة قبله، وبالمؤمنين إخواناً، ثم أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بذلك فقال رسول الله ﷺ «قد أصبتما الخير وأفلحتما» فأنزل الله تعالى «ود كثير من أهل الكتاب»^(١) أي تمنى وأراد كثير من أهل الكتاب من اليهود ﴿لو يردونكم﴾ يا معشر المؤمنين ﴿من بعد إيمانكم كفاراً حسداً﴾ نصب على المصدر، أي يحسدونكم حسداً ﴿من عند أنفسهم﴾ أي من تلقاء أنفسهم ولم يأمرهم الله بذلك، ﴿من بعد ما تبين لهم الحق﴾ في التوراة أن قول محمد ﷺ صدق ودينه حق ﴿فاعفوا﴾ فاتركوا ﴿واصفحوا﴾ وتجاوزوا، فالعفو: المحو، والصفح: الاعراض، وكان هذا قبل آية القتال ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ بعذابه: القتل والسبي لبني قريظة، والجلاء والنفي لبني النضير^(٢)، قاله ابن عباس رضي الله عنهما. وقال قتادة^(٣): هو أمره بقتلهم في قوله «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر — إلى قوله — وهم صاغرون» (٢٩ — التوبة) وقال ابن كيسان: بعلمه وحكمه فيهم حكم بعضهم بالإسلام ولبعضهم بالقتل والسبي والجزية ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾.

﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا﴾ (تسلفوا)^(٤) ﴿لأنفسكم من خير﴾ طاعة وعمل صالح ﴿تجدوه عند الله﴾ وقيل: أراد بالخير المال كقوله تعالى «إن ترك خيراً» (١٨٠ — البقرة) وأراد من زكاة وصدقه ﴿تجدوه عند الله﴾ حتى الثمرة واللقمة مثل أحد ﴿إن الله بما تعملون بصير﴾.

= أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً — أو يكون لك بيت من زخرف أو ترق في السماء ولن يؤمن لربك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه. قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً» سورة الاسراء، الآيات (٩٠ — ٩٣). وانظر لباب التفسير محمود بن حمزة: ٣٩٠/١ — ٣٩١.

(١) قال الحافظ ابن حجر، رحمه الله: لم أجده مستنداً، وهو في تفسير الثعلبي كذلك بلا سند ولا راو. انظر الكافي الشاف ص ١٠ وذكره مختصراً الواحدي في التفسير عن ابن عباس: ١٧٤/١.

(٢) انظر: البحر المحيط: ٣٤٨/١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٣/٢ — ٥٠٤ والدر المنثور: ٢٦٢/١، وتفسير الواحدي: ١٧٥/١.

(٤) زيادة من ب.

— وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٣﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٤﴾ — وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرِيَّةُ عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرِيَّةُ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

قوله: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً﴾ أي يهودياً، قال الفراء: حذف الياء الزائدة ورجع إلى الفعل من اليهودية، وقال الأخفش: اليهود: جمع هائد، مثل عائد وعود، وحائل وحول^(١) ﴿أو نصارى﴾ وذلك أن اليهود قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً ولا دين إلا دين اليهودية، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ولا دين إلا دين النصرانية.

وقيل: نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا في مجلس رسول الله ﷺ مع اليهود فكذب بعضهم بعضاً، قال الله تعالى ﴿تلك أمانيتهم﴾ أي شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير الحق ﴿قل﴾ يا محمد ﴿هاتوا﴾ أصله آتوا ﴿برهانكم﴾ حججتكم على ما زعمتم ﴿إن كنتم صادقين﴾ ثم قال رداً عليهم ﴿بلى من أسلم وجهه﴾ أي ليس الأمر كما قالوا، بل الحكم للإسلام وإنما يدخل الجنة من أسلم وجهه ﴿لله﴾ أي أخلص دينه لله وقيل: أخلص عبادته لله وقيل: خضع وتواضع لله، وأصل الإسلام: الاستسلام والخضوع، وخص الوجه لأنه إذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه ﴿وهو محسن﴾ في عمله، وقيل: مؤمن وقيل: مخلص ﴿فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

قوله ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء﴾ نزلت في يهود المدينة ونصارى أهل نجران^(٢) وذلك أن وفد نجران لما قدموا على النبي ﷺ أتاهم أحبار اليهود: فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت

(١) الحائل: الناقة الحائل: التي حمل عليها الفحل فلم تلقح .

(٢) أخرج الطبري عن ابن عباس قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رافع بن خزيمة: ما أنتم على شيء! وكفر بعيسى بن مريم وبالإنجيل . فقال رجل من أهل نجران من النصارى: ما أنتم على شيء! وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهما: « وقالت اليهود: ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » إلى قوله « فيما كانوا فيه يختلفون » . تفسير الطبري: ٥١٣/٢ — ٥١٤، وانظر: تفسير الواحدي: ١٧٦/١، أسباب النزول للواحدي ص ٣٣، تفسير ابن كثير: ٢٧٣/١، وفيه: رافع بن حرملة .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ
مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾

لهم اليهود، ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعبسى والإنجيل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بموسى والتوراة فأنزل الله تعالى ﴿وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب﴾ [وكلا الفريقين يقرؤون الكتاب، قيل: معناه ليس في كتبهم هذا الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب] (١) ومخالفتهم ما فيه على كونهم على الباطل ﴿كذلك قال الذين لا يعلمون﴾ يعني: آباءهم الذين مضوا ﴿مثل قولهم﴾ قال مجاهد: يعني: عوام النصارى، وقال مقاتل: يعني مشركي العرب، كذلك قالوا في نبيهم محمد ﷺ وأصحابه: إنهم ليسوا على شيء من الدين.

وقال عطاء: أم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام قالوا لنبيهم: إنه ليس على شيء (٢) ﴿فإن الله يحكم بينهم يوم القيامة﴾ يقضي بين الحق والمبطل ﴿فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من الدين.

قوله ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر﴾ الآية نزلت في طيطوس بن اسبيسانوس الرومي وأصحابه، وذلك أنهم غزوا بني إسرائيل فقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم، وحرقوا التوراة وخرّبوا بيت المقدس، وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير، فكان خراباً إلى أن بناه المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقال قتادة والسدي: هو بختنصر وأصحابه غزوا اليهود وخرّبوا بيت المقدس وأعانهم على ذلك النصارى، طيطوس الرومي وأصحابه من أهل الروم (٣)، قال السدي: من أجل أنهم قتلوا يحيى بن زكريا، وقال قتاده: حملهم بعض اليهود على معاونة بختنصر البابلي (المجوسي) (٤) فأنزل الله تعالى ﴿ومن أظلم﴾ أي أكفر وأعتى ﴿ممن منع مساجد الله﴾ يعني بيت المقدس ومحاربه (٥). ﴿أن يذكر فيها اسمه وسعى﴾

(١) زيادة من (ب).

(٢) انظر: تفسير الطبري ٥١٧/٢، ابن كثير: ٢٧٣/١، الواحدي: ١٧٦/١ واختار الطبري أن الآية عامة تصلح للجميع، وليس ثم دليل قاطع يعين واحداً من هذه الأقوال، والحمل على الجميع أولى.

(٣) انظر الدر المنثور: ٢٦٤/١ - ٢٦٥، وتفسير ابن كثير: ٢٧٤/١، والطبري: ٥٢٠/٢ - ٥٢١.

(٤) زيادة من ب.

(٥) وأخرج ابن أبي حاتم أن قريشاً منعوا النبي ﷺ الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام، فأنزل الله تعالى: ﴿ومن أظلم...﴾ انظر: لباب النقول للسيوطي: ص ٤٣٨ بهامش الجلالين. =

عمل ﴿في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى ومحل زيارتهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يدخلها يعني بيت المقدس بعد عمارتها رومي إلا خائفاً / لو عَلِمَ به لقتل. وقال قتادة ومقاتل: لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا متكره لو قدر عليه لعوقب، قال السدي: أخيفوا بالجزية. وقيل: هذا خير بمعنى الأمر، أي أجهضوهم بالجهاد حتى لا يدخلها أحد (منهم)^(١) إلا خائفاً من القتل والسبي أي ما ينبغي ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ عذاب وهوان، قال قتادة: هو القتل للحربي والجزية للذمي، قال مقاتل (والكلبي)^(٢) تفتح مدائنهم الثلاثة قسطنطينية، ورومية، وعمورية^(٣) ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ وهو النار، وقال عطاء وعبد الرحمن بن زيد: نزلت في مشركي مكة، وأراد بالمساجد المسجد الحرام منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من حجه والصلاة فيه عام الحديبية، وإذا منعوا من أن يعمره بذكر فقد سعوا في خرابه ﴿وأولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ يعني أهل مكة يقول أفتحها عليكم حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم، ففتحها عليهم وأمر النبي ﷺ منادياً ينادي: «ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك»^(٤) فهذا خوفهم، وثبت في الشرع أن لا يمكّن مشرك من دخول الحرم، ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ الذل والهوان والقتل والسبي والنفي.

= ورجحه ابن كثير، وأخرج ابن جرير عن أبي زيد قال: هؤلاء المشركون — حين حالوا بين رسول الله ﷺ وبين أن يدخل مكة، قال: وأولى التأويلات قول من قال: عنى الله عز وجل بقوله «ومن أظلم...» النصارى، انظر: تفسير الطبري ٥٢١/٢.

(١) زيادة في ب.

(٢) والكلبي زيادة في ب.

(٣) أخرج الإمام أحمد في المسند: ١٧٦/٢ عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له خلق، قال: فأخرج منه كتاباً، قال: فقال عبد الله: بينا نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً: قسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: مدينة هرقل تفتح أولاً، يعني قسطنطينية. وصححه الحاكم في المستدرک: ٥٠٨/٤، ٥٥٥، ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢١٩/٦: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة.

و (رومية): مخففة الياء المنقوطة من تحت — هي مدينة رياسة الروم وعلمهم، من عجائب الدنيا بناء وسعة وكثرة خلق، وقد حكى فيها حكايات تأباها العقول وتستبعدها، انظر: مرصد الاطلاع للبغدادي: ٦٤٢/٢.

و (عمورية)، بفتح أوله وتشديد ثانيه: بلد ببلاد الروم، غزاه المعتصم ففتحها، كان من أعظم فتوح الإسلام، مرصد الاطلاع: ٩٦٣/٢.

و (قسطنطينية) ويقال: قسطنطينية باسقاط ياء النسبة؛ كان اسمها بزنطية، فنزلها قسطنطين الأكبر، وبنى عليها سوراً وصارت دار ملك الروم وعاصمتهم، مرصد الاطلاع: ١٠٩٢/٣، وكتب الله تعالى فتحها للمسلمين على يد السلطان العثماني محمد الفاتح، الذي لقب بذلك لفتحها القسطنطينية، في سنة (٨٥٧) هـ (١٤٥٣) م.

(٤) أخرجه البخاري: في الصلاة — باب: ما يستر من العورة: ١/٤٧٧ وفي الحج والمغازي والجهاد والتفسير.

ومسلم: في الحج — باب: لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، برقم (١٣٤٧) ٢/٩٨٢.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٢١/٧.

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^{١١٥}
 ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَلْبُونٌ﴾^{١١٦}

قوله عز وجل ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: خرج نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في سفر قبل تحويل القبلة إلى الكعبة، فأصابهم الضباب وحضرت الصلاة، فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يصيبوا وأنهم مخطئون في تحريم فلما قدموا سألو رسول الله عن ذلك فنزلت هذه الآية^(١).

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: نزلت في المسافر يصلي التطوع حيث ما توجهت به راحلته.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد الفقيه السرخسي أنا أبو اسحاق إبراهيم ابن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي على راحلته في السفر حيث ما توجهت به»^(٢).

قال عكرمة: نزلت في تحويل القبلة، قال أبو العالية: لما صرفت القبلة إلى الكعبة عبرت اليهود المؤمنين وقالوا: ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة هكذا، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٣)، وقال مجاهد والحسن: لما نزلت «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم» (٦٠ - غافر) قالوا: أين ندعوه فأنزل الله عز وجل^(٤) ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ ملكاً وخلقاً ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ يعني أينما تحولوا وجوهكم فثم أي: هناك (رحمة)^(٥) الله، قال الكلبي: فثم الله يعلم ويرى والوجه صلة كقوله تعالى: «كل شيء هالك إلا وجهه» (٨٨ - القصص) أي إلا هو، وقال الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حبان: فثم قبلة الله، والوجه والوجهة والجهة القبلة، وقيل: رضا الله تعالى.

﴿إن الله واسع﴾ أي غني يعطي في السعة، قال الفراء: الواسع الجواد الذي يسع عطاؤه كل شيء،

(١) أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بمعناه.

انظر: لباب النقول للسيوطي بهامش الجلالين ص (٤٥)، وقال ابن كثير بعد أن ساق عدداً من الروايات في التفسير: ٢٧٩/١، وهذه الأسانيد فيها ضعف، ولعله يشد بعضها بعضاً، وانظر: نصب الراية للزيلعي: ٣٠٥/١.

(٢) أخرجه البخاري: في الصلاة - باب: التوجه نحو القبلة حيث كان: ٥٠٣/١ عن جابر.

ومسلم: في صلاة السفر - باب: جواز صلاة النافلة على الدابة: برقم (٧٠٠) ٤٨٧/١ عن ابن عمر.

والمصنف في شرح السنة: ١٨٨/٤ عن نافع عن ابن عمر، وانظر: تفسير الطبري: ٥٣٠/٢.

(٣) انظر تفسير الواحدي: ١٧٧/١.

(٤) انظر تفسير الطبري: ٥٣٤/٢.

(٥) وجه الله في ب، وهو الأصح وذلك لعدم التأويل وهذا منج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته. والبعوي رحمه الله منهجه عدم التأويل ويظهر أن هذا من الناسخ حيث أثبت الوجه في نسخه (ب) والله أعلم.

قال الكلبي: واسع المغفرة ﴿عليم﴾ بنياتهم حيثما صلوا ودعوا.

قوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً﴾ قرأ ابن عامر قالوا اتخذ الله بغير واو، وقرأ الآخرون بالواو [وقالوا اتخذ الله ولداً^(١)] نزلت في يهود المدينة حيث قالوا: «عزير ابن الله» وفي نصارى نجران حيث قالوا: «المسيح ابن الله»، وفي مشركي العرب حيث قالوا: الملائكة بنات الله^(٢) ﴿سبحانه﴾ نزه وعظم نفسه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن عبد الرحمن بن أبي حسن عن نافع بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً»^(٣).

قوله تعالى ﴿بل له ما في السموات والأرض﴾ عبداً وملكاً ﴿كل له قانتون﴾ قال مجاهد وعطاء والسدي: مطيعون وقال عكرمة ومقاتل: مُقرون له بالعبودية، وقال ابن كيسان: قائمون بالشهادة، وأصل القنوت القيام قال النبي ﷺ: «أفضل الصلاة طول القنوت»^(٤)، واختلفوا في حكم الآية فذهب جماعة إلى أن حكم الآية خاص، وقال مقاتل: هو راجع إلى عزير والمسيح والملائكة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هو راجع إلى أهل طاعته دون سائر الناس، وذهب جماعة إلى أن حكم الآية عام في جميع الخلق لأن «كل» تقتضي الإحاطة بالشيء بحيث لا يشذ منه شيء^(٥)، ثم سلكوا في الكفار طريقين: فقال مجاهد: يسجد ظلالم لله على كره منهم قال الله تعالى: «وظلالمم بالغدو والآصال» (١٥ — الرعد) وقال السدي: هذا يوم القيامة دليله [«وعنت الوجوه للحي القيوم» (١١١ — طه) وقيل (قانتون) مذلولون مسخرون لما خلقوا له]^(٦).

(١) ساقط من أ.

(٢) انظر: الوسيط للواحدى ١٧٨/١، ١٧٩.

(٣) أخرجه البخاري، في التفسير — باب: وقالوا: اتخذ الله ولداً — ١٦٨/٨ وفي بدء الخلق.

والمصنف في شرح السنة: ٨١/١ من طريق همام بن منبه عن أبي هريرة، بنحوه، وانظر: ابن كثير: ٢٨٢/١.

(٤) أخرجه مسلم: في صلاة المسافرين — باب: أفضل الصلاة طول القنوت: برقم (٧٥٦، ٧٥٧) ٥٢٠/١.

(٥) قال الإمام الطبري في التفسير: «وقد زعم بعض من قصرت معرفته عن توجيه الكلام وجهته، أن قوله: «كل له قانتون»، خاصة لأهل الطاعة، وليست بعامّة، وغير جائز ادعاء خصوص في آية عامّ ظاهراً، إلا بحجة يجب التسليم لها، لما قد بينّا في كتابنا «كتاب البيان عن أصول الأحكام».

وهذا خير من الله جلّ وعزّ عن أن المسيح — الذي زعمت النصارى أنه ابن الله — مكذبهم هو والسموات والأرض وما فيها، إما باللسان، وإما بالدلالة، وذلك أن الله، جل ثناؤه، أخبر عن جميعهم، بطاعتهم إياه، وإقرارهم له بالعبودية، عقب قوله: «وقالوا اتخذ الله ولداً»، فدل ذلك على صحة ما قلنا»، تفسير الطبري: ٥٣٩/٢ — ٥٤٠.

(٦) نهادة من ب.

بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

قوله تعالى: ﴿بديع السموات والأرض﴾ أي مبدعها ومنشئها من غير مثال سبق ﴿وإذا قضى أمراً﴾ أي قدره، وقيل: أحكمه وقدره [وأنتقنه، وأصل القضاء: الفراغ، ومنه قيل لمن مات: قضى عليه لفراغه من الدنيا، ومنه قضاء الله وقدره] (١) لأنه فرغ منه تقديراً وتدبيراً.

﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ قرأ ابن عامر كن فيكون بنصب النون في جميع المواضع إلا في آل عمران «كن فيكون، الحق من ربك» وفي سورة الأنعام «كن فيكون، قوله الحق» وإنما نصبها لأن جواب الأمر بالفاء يكون منصوباً [وافقه الكسائي في النحل ويس] (٢)، وقرأ الآخرون بالرفع على معنى فهو يكون، فإن قيل كيف قال (فإنما يقول له كن فيكون) والمعدوم لا يخاطب، قال ابن الأنباري: معناه فإنما يقول له أي لأجل تكوينه، فعلى هذا ذهب معنى الخطاب، وقيل: هو وإن كان معدوماً ولكنه لما قدر وجوده وهو كائن لا محالة كان كالموجود فصح الخطاب.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين لا يعلمون﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: اليهود، وقال مجاهد: النصارى، وقال قتادة: مشركو العرب ﴿لولا﴾ هلاً ﴿يكلّمنا الله﴾ عياناً بأنك رسوله وكل ما في القرآن ﴿لولا﴾ فهو بمعنى هلاً، إلا واحداً، وهو قوله «فلولا أنه كان من المسبحين» (١٤٣ - الصافات) معناه فلو لم يكن ﴿أو تأتينا آية﴾ دلالة وعلامة على صدقك في ادعائك النبوة.

قال الله تعالى: ﴿كذلك قال الذين من قبلهم﴾ أي كفار الأمم الخالية ﴿مثل قولهم، تشابهت قلوبهم﴾ أي أشبه بعضها بعضاً في الكفر والقسوة وطلب المحال ﴿قد بينا الآيات لقوم يوقنون، إنا أرسلناك بالحق﴾ أي بالصدق كقوله «ويستنبئونك أحق هو؟» (٥٣ - يونس) أي صدق، قال ابن عباس رضي الله عنهما: بالقرآن دليلاً «بل كذبوا بالحق لما جاءهم» (٥ - ق) وقال ابن كيسان: بالإسلام وشرائعه، دليلاً قوله عز وجل: «وقل جاء الحق» (٨١ - الإسراء) وقال مقاتل: معناه لم

(١) زيادة من ب.

(٢) زيادة من ب.

وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَادِي وَلَنْ أَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٣٠﴾

نرسلك عبثاً، إنما أرسلناك بالحق كما قال: «وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق» (٨٥) — الحجر).

قوله عز وجل ﴿بشيراً﴾ أي مبشراً لأوليائي وأهل طاعتي بالثواب الكريم ﴿ونذيراً﴾ أي منذراً مخوفاً لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الأليم، قرأ نافع ويعقوب ﴿ولا تسأل﴾ على النهي قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم: «ليت شعري ما فعل أبواي» فنزلت هذه الآية^(١)، وقيل: هو على معنى قولهم ولا تسأل عن شر فلان فإنه فوق ما تحسب وليس على النهي، وقرأ الآخرون «ولا تسأل» بالرفع على النفي بمعنى ولست بمسؤول عنهم^(٢) كما قال الله تعالى: «فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب» (٢٠ — آل عمران)، ﴿عن أصحاب الجحيم﴾ والجحيم معظم النار.

قوله عز وجل ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى﴾ وذلك أنهم كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنة ويطمعونه في أنه إن أمهلهم اتبعوه فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٣)، معناه وإنك إن هادنتهم فلا يرضون بها وإنما يطلبون ذلك تعلقاً ولا يرضون منك إلا باتباع ملتهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في القبلة وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي ﷺ حين كان يصلي إلى قبلتهم فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة أيسوا في أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله تعالى ﴿ولن ترضى عنك اليهود﴾ إلا باليهودية ﴿ولا النصارى﴾ إلا بالنصرانية^(٤) والملة الطريقة ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ قيل الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الأمة كقوله «لئن أشركت

(١) نقله ابن كثير عن عبد الرزاق بسنده عن محمد بن كعب القرظي، وقال: رواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن موسى بن عبيدة، وقد تكلموا فيه — ابن كثير: ٢٨٥/١ دار الأرقم.

قال ابن حجر في التقریب موسى بن عبيدة بن نسيط الرندي ضعيف.

وقال الشيخ أحمد شاكر تعقياً على روايتي الطبري: «هما حديثان مرسلان، فإن محمد بن كعب بن سليم القرظي: تابعي، والمرسل لا تقوم به حجة، ثم هما إسنادان ضعيفان أيضاً لضعف راويهما: موسى بن عبيدة بن نسيط الرندي: ضعيف جداً، مترجم في التهذيب، والكبير للبخاري: ٢٩١/٤، والصغير: ١٧٢ — ١٧٣، وابن أبي حاتم: ١٥١/٤ — ١٥٢ فقال البخاري: «منكر الحديث، قاله أحمد بن حنبل، وقال علي بن المديني عن القطان: كنا نتقيه تلك الأيام... انظر تفسير الطبري: ٥٥٨/٢ — ٥٥٩ بتعليق الشيخ شاكر، وعزاه السيوطي لعبد بن حميد أيضاً وابن المنذر، وقال: هذا مرسل ضعيف الإسناد» الدر المنثور: ٢٧١/١. (٢) وهذا ما رجحه الإمام الطبري، ووجهه توجيهاً دقيقاً وجاء بحجة قوية انظر: التفسير: ٥٥٩/٢ — ٥٦١، مع تعليق الشيخ شاكر، وقارن تفسير ابن كثير: ٢٨٥/١، طبعة دار الأرقم.

(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان: ٣٦٨/١.

(٤) انظر: لباب النقول للسيوطي بهامش الجلالين ص ٤٨ — ٤٩، وقد عزاه في الدر المنثور للثعلبي.

الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ
 هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى
 الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا
 شَفَاعَةٌ ۗ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ
 إِمَامًا قَالِ وَمِن دُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾

ليحبطن عملك» (٦٥ - الزمر) ﴿بعد الذي جاءك من العلم﴾ البيان بأن دين الله هو الإسلام والقبلة قبلة إبراهيم عليه السلام وهي الكعبة ﴿ما لك من الله من ولي ولا نصير، الذين آتيناهم الكتاب﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وكانوا أربعين رجلاً اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا^(١)، وقال الضحاك: هم من آمن من اليهود عبد الله بن سلام وسعية بن عمرو وتام بن يهودا وأسد وأسيد ابنا كعب وابن يامين وعبد الله بن سوريا^(٢)، وقال قتادة وعكرمة: هم أصحاب محمد ﷺ وقيل: هم المؤمنون عامة^(٣) ﴿يتلونه حق تلاوته﴾ قال الكلبي: يصفونه في كتبهم حق صفته لمن سألهم من الناس، والهاء راجعة إلى محمد ﷺ، وقال الآخرون: هي عائدة إلى الكتاب، واختلفوا في معناه فقال ابن مسعود رضي الله عنه: يقرؤونه كما أنزل ولا يحرفونه، ويحلون حلاله ويحرمون حرامه، وقال الحسن: يعملون بحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون علم ما أشكل عليهم إلى عالمه، وقال مجاهد: يتبعونه حق اتباعه.

قوله ﴿أولئك يؤمنون به، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون﴾ يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وأي فضلتكم على العالمين * واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾ / .

١٨ / أ

قوله تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن﴾ قرأ ابن عامر إبراهيم بالالف في أكثر المواضع وهو اسم أعجمي ولذلك لا يُجر وهو إبراهيم بن تارخ بن ناخور وكان مولده بالسوس من أرض الأهواز وقيل بابل وقيل: كوفي، وقيل: [لشكر]^(٤)، وقيل حران، وكان أبوه نقله إلى أرض بابل أرض نمرود ابن

(١) انظر: البحر المحيط: ٣٦٩/١، أسباب النزول للواحيدي: ص (٣٧)، الوسيط: ١٨٤/١.

(٢) البحر المحيط: ٣٦٩/١، الطبري: ٥٦٤/٢ وهو ما رجحه، رحمه الله.

(٣) البحر المحيط: ٣٦٩/١، الطبري: ٥٦٤/٢.

(٤) في ب كسكر.

كنعان، ومعنى الابتلاء الاختبار والامتحان والأمر، وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم بالابتلاء، لأنه عالم بهم، ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضاً.

واختلفوا في الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم عليه السلام، فقال عكرمة وابن عباس رضي الله عنهما: هي ثلاثون سماهن شرائع الإسلام، ولم يُتَبَلَّ بها أحد فأقامها كلها إلا إبراهيم فكتب له البراءة، فقال تعالى: «وإبراهيم الذي وفى» (٣٧ - النجم) عشر في براءة «التائبون العابدون» إلى آخرها، وعشر في الأحزاب «إنَّ المسلمين والمسلمات»، وعشر في سورة المؤمنين في قوله: «قد أفلح المؤمنون» الآيات، وقوله (إلا المصلين) في سأل سائل^(١).

وقال طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما: ابتلاه الله بعشرة أشياء وهي: الفطرة خمس في الرأس: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس، وخمس في الجسد: تقليم الأظفار، وتنف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء بالماء^(٢).

وفي الخبر: «أن إبراهيم عليه السلام أول من قص الشارب، وأول من اختتن، وأول من قلم الأظفار، وأول من رأى الشيب، فلما رآه قال: يارب ما هذا؟ قال [سمة]^(٣): الوقار، قال: يارب زدني وقاراً»^(٤) قال مجاهد: هي الآيات التي بعدها في قوله عز وجل «إني جاعلك للناس إماماً» (١٢٤ - البقرة) إلى آخر القصة، وقال الربيع وقتادة: مناسك الحج، وقال الحسن: ابتلاه الله بسبعة أشياء: بالكواكب والقمر والشمس، فأحسن فيها النظر وعلم أن ربه دائم لا يزول، وبالنار فصبر عليها، وبالهجرة وبذبح ابنه وبالختان فصبر عليها، قال سعيد بن جبير: هو قول إبراهيم وإسماعيل إذ يرفعان البيت «ربنا تقبل منا» (١٢٧ - البقرة) الآية فرفعها بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله [والله أكبر]^(٥)، قال يمان بن رباب: هن محاجة قومه قال الله تعالى: «وحاجه قومه» إلى قوله تعالى - «وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم» (٨٣ - الأنعام) وقيل هي قوله: «الذي خلقتني فهو يهدين» (٧٨ - الشعراء) إلى آخر الآيات.

﴿فَأْتَمَّهُنَّ﴾ قال قتادة: أداهن، قال الضحاك: قام بهن وقال: [نعمان]^(٦) عمل بهن.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ: إني جاعلك للناس إماماً﴾ يقتدى بك في الخير ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿وَمِنْ﴾

(١) انظر: البحر المحيط: ٣٧٥/١.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٢٨٩/١، والبحر المحيط: ٣٧٥/١.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) قال القرطبي في التفسير: ٩٨/٢ وفي الموطأ وغيره عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: إبراهيم عليه السلام أول من

اختتن... إلخ. وانظر: الدر المنثور: ٢٨١/١.

(٥) وفي ب يمان.

(٦) ساقطة في ب.

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾

ذريتي ﴿﴾ أي ومن أولادي أيضاً فاجعل منهم أئمة يقتدى بهم في الخير ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿لا ينال﴾ لا يصيب ﴿عهدي الظالمين﴾ قرأ حمزة وحفص بإسكان الياء والباقون بفتحها أي من كان منهم ظالماً لا يصيبه، قال عطاء بن أبي رباح: عهدي رحمتي، وقال السدي: نبوتي، وقيل: الإمامة، قال مجاهد: ليس لظالم أن يطاع في ظلمه. ومعنى الآية لا ينال ما عهدت إليك من النبوة والإمامة من كان ظالماً من ولدك، وقيل: أراد بالعهد الأمان من النار، وبالظالم المشرك كقوله تعالى: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن» (٨٢ - الأنعام).

قال الله تعالى ﴿وإذ جعلنا البيت﴾ يعني الكعبة ﴿مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾ مرجعاً لهم، قال مجاهد وسعيد ابن جبير: يأتون إليه من كل جانب ويحجون، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معاذاً وملجأً وقال قتادة وعكرمة: مجعاً ﴿وَأَمْنًا﴾ أي مأمناً يأمنون فيه من إيذاء المشركين، فإنهم ما كانوا يتعرضون لأهل مكة ويقولون: هم أهل الله ويتعرضون لمن حوله كما قال الله تعالى: «أو لم يروا أننا جعلنا حراماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم» (٦٧ - العنكبوت).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا علي بن عبد الله أنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة، لا يُعُضد شوكة ولا يُنفر صيده، ولا يُلْتَقَط لِقْطُهُ إِلَّا مِنْ عَرْفِهَا، وَلَا يُخْتَلَى خِلَاهُ» فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم وليوتهم: فقال رسول الله ﷺ: «إلا الإذخر»^(١).

قوله تعالى ﴿واتخذوا﴾ قرأ نافع وابن عامر بفتح الحاء على الخبر، وقرأ الباقون بكسر الحاء على الأمر ﴿من مقام إبراهيم مصلى﴾ قال ابن يمان^(٢): المسجد كله مقام إبراهيم، وقال إبراهيم النخعي: الحرم كله مقام إبراهيم، وقيل: أراد بمقام إبراهيم جميع مشاهد الحج، مثل عرفة ومزدلفة وسائر المشاهد.

والصحيح أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي في المسجد يُصلى إليه الأئمة، وذلك الحجر الذي قام

(١) أخرجه البخاري: في الجنائز - باب: الإذخر والحشيش: ٢١٣/٣.

ومسلم: في الحج - باب: تحريم مكة وصيدها وخلوها بقرم: (٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥) ٩٨٦/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٢٤٩/٧.

(٢) وفي ب (يمان).

عليه إبراهيم عليه السلام عند بناء البيت، وقيل: كان أثر أصابع رجله بيناً فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي، قال قتادة ومقاتل والسدي: أمروا بالصلاة عند مقام إبراهيم ولم يؤمروا بمسحه وتقيله.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد عن يحيى بن حميد عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «وافقت الله في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث - قلت يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى؟ فأنزل الله تعالى ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقلت يا رسول الله: يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله عز وجل آية الحجاب، قال وبلغني معاتبه النبي ﷺ بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت لهن: إن انتهين، أو ليلدنه الله خيراً منكن، فأنزل الله تعالى: «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن»^(١) الآية (٥ - التحريم).

ورواه محمد بن إسماعيل أيضاً عن عمرو بن عوف أنا هشيم عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾^(٢).

وأما بدء قصة المقام فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أتى إبراهيم عليه السلام بإسماعيل وهاجر ووضعهما بمكة، وأتت على ذلك مدة، ونزها الجرهميون وتزوج إسماعيل منهم امرأة وماتت هاجر، واستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر، فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم إبراهيم مكة، وقد ماتت هاجر، فذهب إلى بيت إسماعيل فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت ذهب للصيد وكان إسماعيل عليه السلام يخرج من الحرم فيصيد، فقال لها إبراهيم: هل عندك ضيافة؟ قالت ليس عندي ضيافة، وسألها عن عيشهم؟ فقالت: نحن في ضيق وشدة، فشكيت إليه فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئني السلام وقولي له فليغير عتبة بابه، فذهب إبراهيم فجاء إسماعيل فوجد ربح أبيه فقال [لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال]^(٣) فما قال لك؟ قالت: قال: أقرئني زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه، قال ذلك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك، فطلقها وتزوج منهم أخرى، فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل، فجاء إبراهيم عليه السلام حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال

(١) أخرجه البخاري: في التفسير - باب قوله: واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى: ١٦٨/٨.

ومسلم: في فضائل الصحابة - باب: من فضائل عمر برقم: (٢٣٩٩) ١٨٦٥/٤ مختصراً.

والمصنف في شرح السنة: ٩٣/١٤، وانظر: قطف الثمر في موافقات عمر للسيوطي في الحاوي للفتاوى ٣٧٧/١.

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة، باب ما جاء في القبلة، ومن لا يرى الإعادة على من سها... ٥٠٤/١.

(٣) ساقط من أ.

لامراته: أين صاحبك؟ قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله فانزل يرحمك الله، قال: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم فجاءت باللبن واللحم، وسألها عن عيشهم؟ فقالت: نحن بخير وسعة، فدعا لهما بالبركة ولو جاءت يومئذ بجذب بر أو شعير وتمر لكانت أكثر أرض الله براً أو شعيراً أو تمرأ، فقالت له: انزل حتى أغسل رأسك، فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعت عن شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولت إلى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر فبقي أثر قدميه عليه، فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك، فلما جاء لإسماعيل، وجد ريح أبيه فقال لامراته: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم شيخ أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً، وقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا، وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه فقال: ذاك إبراهيم النبي أبي، وأنت العتبة أمرني أن أمسك^(١).

ب/ ٨١

وروي عن سعيد بن جبیر / عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يري نبلاً تحت دومة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد ثم قال: يا إسماعيل إن الله تعالى أمرني بأمر تُعيني عليه؟ قال: أعينك قال: إن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً، فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام إبراهيم على حجر المقام وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) وفي الخبر: «الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا مامسته أيدي المشركين لأضاء ما بين المشرق والمغرب»^(٢).

قوله عز وجل ﴿ووعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل﴾ أي أمرناهما وأوحينا إليهما، قيل: سمي إسماعيل لأن إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولداً ويقول: إسمع يا إيل وإيل هو الله فلما رزق سماه الله به ﴿أن طهراً بيتي﴾ يعني الكعبة أضافه إليه تخصيصاً وتفضيلاً أي ابنيه على الطهارة والتوحيد، وقال سعيد بن جبیر وعطاء: طهراه من الأوثان والريب وقول الزور، وقيل: بَحْرَاهُ وَخَلْقَاهُ، قرأ أهل المدينة وحفص (بيتي) بفتح الياء هاهنا وفي سورة الحج، وزاد حفص في سورة نوح ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ الدائرين حوله ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ المقيمين المجاورين ﴿وَالرَّكْعَ﴾ جمع راعٍ ﴿السَّجُودَ﴾ جمع ساجد وهم المصلون قال الكلبي ومقاتل:

(١) أخرجه البخاري: مطولاً في الأنبياء - باب: يَزْفُونَ: التَّسْلَانُ في المشي: ٣٩٦/٦ وفي مواضع أخرى.

(٢) أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بلفظ «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا...» ٦١٨/٣ وقال هو حديث غريب.

ورواه الحاكم في الحج عن داود الزبيرقان عن أيوب السخيتاني عن قتادة بن دعامة عن أنس وقال: صحيح فرده الذهبي بأن فيه داود، قال أبو داود: متروك، (فيض القدير: ٥٩/٤).

ورواه أيضاً عن عبد الله بن عمرو، انظر: المستدرک: ٤٥٦/١.

وأخرجه الواحددي في الوسيط: ١٩٠/١، وانظر: تحفة الأحوذى: ٦١٨/١ - ٦١٩.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾
وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾

الطائفين هم الغرباء والبعاكفين أهل مكة، قال عطاء ومجاهد وعكرمة: الطواف للغرباء أفضل، والصلاة
لأهل مكة أفضل.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾ يعني مكة وقيل: الحرم ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾ أي ذا أمن
يأمن فيه أهله ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ إنما دعا بذلك لأنه كان بوادٍ غير ذي زرع، وفي القصص
أن الطائف كانت من مداين الشام بأردن فلما دعا إبراهيم عليه السلام هذا الدعاء أمر الله تعالى جبريل
عليه السلام حتى قلعها من أصلها وأدارها حول البيت سبعمائة ثم وضعها موضعها الذي هي الآن فيه،
فمنها أكثر ثمرات مكة ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ دعاء للمؤمنين خاصة ﴿قَالَ﴾ الله تعالى
﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ قرأ ابن عامر فأمتهه خفيفاً بضم الهمزة والباقون مشدداً ومعناها واحد قليلاً
أي سأرزق الكافر أيضاً قليلاً إلى منتهى أجله وذلك أن الله تعالى وعد الرزق للخلق كافة مؤمنهم
وكافرهم، وإنما قيده بالقلّة لأن متاع الدنيا قليل ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ أي ألجئه في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ،
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي المرجع يصير إليه قال مجاهد: وجد عند المقام كتاب فيه: أن الله ذو بكة صنعتها يوم
خلقت الشمس والقمر، وحرمتها يوم خلقت السموات والأرض، وحففتها بسبعة أملاك خنفاء، يأتها
رزقها من ثلاثة سُبُل، مبارك لها في اللحم والماء.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ قال الرواة^(١): إن الله تعالى خلق
موضع البيت قبل الأرض بألفي عام، وكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحتها فلما أهبط
الله آدم عليه السلام إلى الأرض استوحش، فشكا إلى الله تعالى فأنزل الله البيت المعمور من ياقوته من
يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر، باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت وقال: يا آدم
إني أهبط لك بيتاً تطوف به كما يطاف حول عرشي، تصلي عنده كما يصلي عند عرشي وأنزل الحجر وكان

(١) ذكر الرواة هذه القصص والأخبار عن بناء البيت، ومعظمها من الأسرئيليات التي لا تثبت بها حجة، وحسبنا ما جاء من الروايات
الثابتة، كالذي ذكره البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: «واتخذ الله إبراهيم خليلاً».

راجع: تفسير ابن كثير: ٣٠٢/١ وما بعدها، البداية والنهاية: ١٦٣/١ - ١٦٦، الأسرئيليات والموضوعات للشيخ محمد أبو شهبة
ص ٢٣٥ - ٢٣٧.

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ

أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾

أبيض فاسودَّ من لمس الحَيْض في الجاهلية فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشياً وقبض الله له ملكاً يدلّه على البيت فحج البيت وأقام المناسك، فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا: بُرَّ حَجَّكَ يَا آدَمَ لَقَدْ حَجَّجْنَا هَذَا الْبَيْتَ قَبْلَكَ بِالْفِي عام، قال ابن عباس رضي الله عنهما: حج آدم أربعين حجة من الهند إلى مكة على رجله فكان على ذلك إلى أيام الطوفان، فرفعه الله تعالى إلى السماء الرابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، وبعث جبريل عليه السلام حتى خبأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق، فكان موضع البيت خالياً إلى زمن إبراهيم، ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم بعدما ولد له إسماعيل وإسحاق ببناء بيت يذكر فيه، فسأل الله عز وجل أن يبين له موضعه، فبعث الله السكينة لتدلّه على موضع البيت، وهي ريح خجوج لها رأسان شبه الحية فأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فتبعها إبراهيم حتى أتيا مكة فتطوت السكينة على موضع البيت كتطوي الحجفة هذا قول علي والحسن.

وقال ابن عباس: بعث الله تعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم يمشي في ظلها إلى أن وافق مكة ووقفت على موضع البيت فنودي منها إبراهيم أن ابن علي ظلها لا ترد ولا تنقص، وقيل: أرسل الله جبريل ليدلّه على موضع البيت كقوله تعالى (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت فكان إبراهيم بينيه وإسماعيل يناوله الحجر، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ يعني أسسه وأحدثها قاعدة.

وقال الكسائي: جدر البيت، قال ابن عباس: إنما بني البيت من خمسة أجبل، طور سيناء وطور زيتا ولبنان وهو جبل بالشام، والجودي وهو جبل بالجزيرة وبنيا قواعده من حراء وهو جبل بمكة فلما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود قال لإسماعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس علماً فأتاه بحجر فقال: ائتني بأحسن من هذا فمضى إسماعيل يطلبه فصاح أبو قبيس: يا إبراهيم إن لك عندي وديعة فخذها، فأخذ الحجر الأسود فوضعه مكانه وقيل: إن الله تعالى بنى في السماء بيتاً وهو البيت المعمور ويسمى الضراح وأمر الملائكة أن يبنوا الكعبة في الأرض بجياله على قدره ومثاله، وقيل: أول من بنى الكعبة آدم واندرس في زمن الطوفان ثم أظهره الله لإبراهيم حتى بناه^(١).

قوله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ فيه إضمار أي ويقولان: ربنا تقبل منا ببناءنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنياتنا ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ موحدين مطيعين مخلصين خاضعين لك.

(١) قال ابن كثير رحمه الله: ولم يجيء في خبر صحيح عن معصوم: أن البيت كان مبنياً قبل الخليل عليه السلام، ومن تمسك في هذا بقوله =

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣٦﴾

﴿ومن ذريتنا﴾ أي أولادنا ﴿أمة﴾ جماعة والأمة أتباع الأنبياء ﴿مسلمة لك﴾ خاضعة لك.

﴿وأرنا﴾ علمنا وعرفنا، قرأ ابن كثير ساكنة الراء وأبو عمرو بالاختلاس والباقون بكسرها ووافق ابن عامر وأبو بكر في الاسكان في حم السجدة، وأصله أرئنا فحذفت الهمزة طلباً للخفة ونقلت حركتها إلى الراء ومن سكنها قال: ذهب الهمزة فذهبت حركتها، ﴿مناسكنا﴾ شرائع ديننا وأعلام حجنا.

وقيل: مواضع حجنا، وقال مجاهد: مذابحنا والنسك الذبيحة، وقيل: متعبداتنا، وأصل النسك العبادة، والناسك العابد فأجاب الله تعالى دعاءهما فبعث جبريل فأراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال: عرفت يا إبراهيم؟ قال: نعم فسمى الوقت عرفة والموضع عرفات.

﴿وتب علينا﴾ تجاوز عنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ربنا وابعث فيهم ﴿أي في الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل وقيل: من أهل مكة﴾ ﴿رسولاً منهم﴾ أي مرسلأ أراد به محمداً صلى الله عليه وسلم.

حدثنا السيد أبو القاسم علي بن موسى الموسوي حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن عباس / ١٩ / أ
البلخي أنا الإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي أنا محمد بن المكي أنا إسحاق بن إبراهيم
أنا ابن أخي ابن وهب أنا عمي أنا معاوية عن صالح عن سعيد بن سويد عن عبد الأعلى بن هلال
السلمي عن العرياض بن سارية عن رسول الله ﷺ قال: «إني عند الله مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم
لمنجدل في طينته وسأخبركم بأول أمري، أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأيت حين
وضعتني وقد خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام»^(١).

وأراد بدعوة إبراهيم هذا فإنه دعا أن يبعث في بني إسماعيل رسولاً منهم، قال ابن عباس: كل الأنبياء

= تعالى: «مكان البيت» فليس بناهض ولا ظاهر، لأن مراده: مكانه المقدر في علم الله تعالى، المقرر في قدرته، المعظم عند الأنبياء
موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم عليه السلام»، انظر: البداية والنهاية: ١/١٦٣، ١٦٥.
(١) رواه أحمد: ٤/١٢٧ - ١٢٨ عن العرياض بن سارية؛ والحاكم في المستدرک: ٢/٤١٨، ٦٠٠.
وابن حبان: في موارد الظمان: ص ٥١٢.
والبيهقي: في دلائل النبوة: ١/٣٨٩ - ٣٩٠.
والبزار والطبراني.

وقال الهيثمي: أحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد ولم يوثقه غير ابن حبان، (مجمع الزوائد: ٣/٢٢٣).
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٣/٢٠٧ وانظر: الكافي الشاف لابن حجر ص(١٠).

وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ
 فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾

من بني إسرائيل إلا عشرة: نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين.

﴿يتلو﴾ يقرأ ﴿عليهم آياتك﴾ كتابك يعني القرآن والآية من القرآن كلام متصل إلى انقطاعه وقيل هي جماعة حروف يقال خرج القوم بأيتم أي بجماعتهم ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ يعني القرآن ﴿والحكمة﴾ قال مجاهد: فهم القرآن، وقال مقاتل: مواظب القرآن وما فيه من الأحكام، قال ابن قتيبة: هي العلم والعمل، ولا يكون الرجل حكيماً حتى يجمعهما، وقيل: هي السنة، وقيل: هي الأحكام والقضاء، وقيل: الحكمة الفقه.

قال أبو بكر بن دريد: كل كلمة وعظمتك أو دَعْنُكَ إلى مكرمة أو نَهْتِكَ عن قبيح فهي حكمة .
 ﴿ويزكيم﴾ أي يطهرهم من الشرك والذنوب، وقيل: يأخذ الزكاة من أموالهم، وقال ابن كيسان: يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ من التزكية، وهي التعديل ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ قال ابن عباس: العزيز الذي لا يوجد مثله، وقال الكلبي: المنتقم بيانه قوله تعالى «والله عزيز ذو انتقام» (٤ — آل عمران) وقيل: المنيع الذي لا تناله الأيدي ولا يصل إليه شيء وقيل: القوي، والعزة القوة قال الله تعالى «فغزونا بثالث» (١٤ — يس) أي قويتنا وقيل: الغالب قال الله تعالى إخباراً «وعزني في الخطاب» (٢٣ — ص) أي غلبني، ويقال في المثل: «من عزّ برّ» أي من غلب سلب.

قوله تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾ وذلك أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام فقال لهما: قد علمتا أن الله عز وجل قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فأنزله الله عز وجل ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾^(١) أي يترك دينه وشريعته يقال يرغب في الشيء إذا أَرَادَهُ، ورغب عنه إذا تركه.

وقوله ﴿من﴾ لفظه استفهام معناه التقرير والتوبيخ يعني: ما يرغب عن ملة إبراهيم ﴿إلا من سفه نفسه﴾ قال ابن عباس: من خسر نفسه، وقال الكلبي: ضلّ من قبل نفسه، وقال أبو عبيدة: أهلك نفسه، وقال ابن كيسان والزجاج: معناه جهل نفسه والسفاهة: الجهل وضعف الرأي: وكلّ سفهيه

(١) انظر: لباب النقول للسيوطي ص ٥١، بهامش الجلالين.

وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

جاهل، وذلك أن من عبد غير الله فقد جهل نفسه. لأنه لم يعرف أن الله خلقها، وقد جاء: «من عرف نفسه عرف ربه»^(١)، وفي الأخبار: «إن الله تعالى أوحى إلى داود اعرف نفسك واعرفني، فقال: يارب كيف أعرف نفسي؟ وكيف أعرفك؟ فأوحى الله تعالى اعرف نفسك بالضعف والعجز والفاء، واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء».

وقال الأخفش: معناه سفه في نفسه، ونفسه على هذا القول نصب بنزع حرف الصفة وقال الفراء: نصب على التفسير، وكان الأصل سفهت نفسه فلما أضاف الفعل إلى صاحبها خرجت النفس المفسرة ليعلم موضع السفه، كما يقال: ضقت به ذرعاً، أي ضاق ذرعي به.

﴿ولقد اصطفيناه في الدنيا﴾ اخترناه في الدنيا ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ يعني مع الأنبياء في الجنة، وقال الحسين بن الفضل: فيه تقديم وتأخير، تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وإنه لمن الصالحين ﴿إذ قال له ربه أسلم﴾ أي استقم على الإسلام، واثبت عليه لأنه كان مسلماً . قال ابن عباس: قال له حين خرج من السرب^(٢)، وقال الكلبي: أخلص دينك وعبادتك لله، وقال عطاء أسلم إلى الله عز وجل وفوض أمورك إليه.

﴿قال أسلمت لرب العالمين﴾ أي فوضت، قال ابن عباس: وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقى في النار.

﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب﴾ قرأ أهل المدينة والشام: «وأوصى» بالالف، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الباقون: «ووصى» مشدداً، وهما لغتان مثل أنزل وتزل، معناه ووصى بها إبراهيم بنيه ووصى يعقوب بنيه، قال الكلبي ومقاتل: يعني بكلمة الإخلاص لا إله إلا الله، قال أبو عبيدة: إن شئت رددت الكناية إلى الملة لأنه ذكر ملة إبراهيم، وإن شئت رددتها إلى الوصية: أي وصى إبراهيم بنيه الثانية إسماعيل وأمه هاجر القبطية، وإسحاق وأمه سارة، وستة أمهم قنطورة بنت يقطن الكنعانية تزوجها إبراهيم بعد وفاة سارة ويعقوب، سمي بذلك لأنه والعيص كانا توأمين فتقدم عيص في الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على أثره آخذاً بعقبه قاله ابن عباس، وقيل: سمي يعقوب لكثرة عقبه يعني: ووصى أيضاً يعقوب بنيه الاثنى عشر ﴿يا بني﴾ معناه أن يا بني ﴿إن الله اصطفى﴾ اختار ﴿لكم الدين﴾ أي دين

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: حديث موضوع. انظر: الأسرار المرفوعة للقاري ص (٣٣٧) وكشف الحفاء للعجلوني: ١/ ٢٦٢.

(٢) السرب: بفتح الراء، حفير تحت الأرض، وقيل: بيت تحت الأرض.

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي
 قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَايَكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ
 مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

الإسلام ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ مؤمنون وقيل: مخلصون وقيل: مفوضون والنهي في ظاهر الكلام
 وقع على الموت، وإنما نهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام، معناه: داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم
 الموت إلا وأنتم مسلمون، وعن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه قال: (إلا وأنتم مسلمون) أي محسنون
 بربكم الظن.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله
 ابن محمد بن عبد العزيز البغدوي أنا علي بن الجعد أنا أبو جعفر الرازي عن الأعمش عن أبي سفيان عن
 جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن
 الظن بالله عز وجل» (١).

﴿أم كنتم شهداء﴾ يعني أكنتم شهداء، يريد ما كنتم شهداء حضوراً ﴿إذ حضر يعقوب الموت﴾
 أي حين قرب يعقوب من الموت، قيل: نزلت في اليهود حين قالوا للنبي ﷺ ألسنت تعلم أن يعقوب يوم
 مات أوصى بنيه باليهودية فعلى هذا القول يكون الخطاب لليهود، وقال الكلبي: لما دخل يعقوب مصر
 رآهم يعبدون الأوثان والنيران، فجمع ولده وخاف عليهم ذلك فقال عز وجل ﴿إذ قال لبيته ما تعبدون
 من بعدي﴾ قال عطاء إن الله تعالى لم يقبض نبياً حتى يخيره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب قال:
 أنظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم، ففعل الله ذلك به فجمع ولده وولد ولده، وقال لهم قد حضر أجلي
 فما تعبدون من بعدي ﴿قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾ وكان إسماعيل عمّاً
 لهم والعرب تسمى العم أبا كما تسمى الخالة أما قال النبي ﷺ: «عم الرجل صنو أبيه» (٢) وقال في
 عمه / العباس: «ردوا علي أبي فإني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن

ب/١٩

(١) أخرجه مسلم: في الجنة — باب: الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت برقم (٢٨٧٧) ٤/٢٢٠٥.

والمصنف في شرح السنة: ٥/٣٧٢.

(٢) أخرجه مسلم: في الزكاة — باب: في تقديم الزكاة ومنعها برقم (٩٨٣) ٢/٦٧٦ — ٦٧٧.

انظر شرح السنة ٦/٣٣.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
 وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ
 بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾

مسعود» (٢). وذلك انهم قتلوه.

﴿إِلهاً واحداً﴾ نصب على البدل في قوله إلهك وقيل نعرفه إلهاً واحداً ﴿ونحن له مسلمون تلك
 أمة﴾ جماعة ﴿قد خلت﴾ مضت ﴿لها ما كسبت﴾ من العمل ﴿ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما
 كانوا يعملون﴾ يعني: يسأل كل عن عمله لا عن عمل غيره.

قوله تعالى: ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا﴾ قال ابن عباس: نزلت في رؤساء يهود المدينة
 كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وهب بن يهودا وأبي ياسر بن أخطب، وفي نصارى أهل نجران
 السيد والعاقب وأصحابهما، وذلك أنهم خصموا المسلمين في الدين كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله،
 فقالت اليهود: نبينا موسى أفضل الأنبياء، وكتابتنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت
 بعمسى عليه السلام والإنجيل وبمحمد ﷺ والقرآن، وقالت النصارى: نبينا أفضل الأنبياء وكتابتنا الإنجيل
 أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان وكفرت بمحمد ﷺ والقرآن، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين
 كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك (٢) فقال تعالى ﴿قل﴾ يا محمد ﴿بل ملة إبراهيم﴾ بل تتبع ملة إبراهيم،
 وقال الكسائي: هو نصب على الإغراء، كأنه يقول: اتبعوا ملة إبراهيم، وقيل معناه بل نكون على ملة
 إبراهيم فحذف «على» فصار منصوباً ﴿حنيفاً﴾ نصب على الحال عند نحاة البصرة، وعند نحاة الكوفة
 نصب على القطع أراد بل ملة إبراهيم الحنيف فلما سقطت الألف واللام لم يتبع المعرفة النكرة فانقطع منه
 فنصب.

قال مجاهد: الحنيفية اتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماماً للناس قال ابن عباس:
 الحنيف المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، وأصله من الحنف، وهو ميل وعوج يكون في القدم،

(١) قال ابن شيبه في المغازي من مصنفه: حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: «لما وادع رسول الله
 ﷺ أهل مكة... إلى أن قال: «فانطلق العباس فركب بغلة النبي ﷺ الشهباء وانطلق إلى قريش ليدعوهم إلى الله، فأبطأ عليه فقال
 رسول الله ﷺ «ردوا عليّ أبي فإن عم الرجل صنو أبيه إني أخاف أن تفعل به...».

انظر الكافي الشاف لابن حجر، ص ١١، ١٢.

(٢) انظر: الوسيط للواحد ص ٢٠٢، وقد جاء عنده مفصلاً في أسباب النزول: ٣٨/١.

فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ
فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾

وقال سعيد بن جبير: الخفيف هو الحاج المختن.

وقال الضحاك: إذا كان مع الخفيف المسلم فهو الحاج، وإذا لم يكن مع المسلم فهو المسلم، قال قتادة: الخفيفة: الختان وتحريم الأمهات والبنات والأخوات والعمات والحالات وإقامة المناسك.

﴿وما كان من المشركين﴾ ثم علم المؤمنين طريق الإيمان فقال جل ذكره ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾ يعني القرآن ﴿وما أنزل إلى إبراهيم﴾ وهو عشر صحف ﴿وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ يعني أولاد يعقوب وهم اثنا عشر سبطاً واحدهم سبط سمو بذلك لأنه ولد لكل واحد منهم جماعة وسبط الرجل حافده، ومنه قبيل للحسن والحسين رضي الله عنهما سبطا رسول الله ﷺ والأسباط من بني إسرائيل كلقبائل من العرب من بني إسماعيل والشعوب من العجم، وكان في الأسباط أنبياء ولذلك قال: وما أنزل إليهم وقيل هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء ﴿وما أوتي موسى﴾ يعني التوراة ﴿وعيسى﴾ يعني الإنجيل ﴿وما أوتي﴾ أعطي ﴿النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم﴾ أي نؤمن بالكل لا نفرق بين أحد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى ﴿ونحن له مسلمون﴾.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشار أنا عثمان بن عمر أنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله الآية»^(١).

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ أي بما آمنتم به، وكذلك كان يقرؤها ابن عباس، والمثل صلة كقوله تعالى: «ليس كمثل شيء» أي ليس هو كشيء، وقيل: معناه فإن آمنوا بجميع ما آمنتم به أي أتوا بإيمانكم وتوحيدكم كتوحيدكم، وقيل: معناه فإن آمنوا مثل ما آمنتم به والباء زائدة كقوله تعالى: «وهزي إليك مجذع النخلة» (٢٥ - مريم) وقال أبو معاذ النحوي: معناه فإن آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم، ﴿فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق﴾ أي في خلاف ومنازعة قاله: ابن عباس

(١) رواه البخاري: في الاعتصام - باب: قول النبي ﷺ: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء: ٣٣٣/١٣.

والمصنف في شرح السنة: ٢٦٩/١.

صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً^ط وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٢٨﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٢٩﴾ أَمْ نَقُولُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا

وعطاء ويقال: شاق مشاقة إذا خالف كأن كل واحد آخذ في شق غير شق صاحبه، قال الله تعالى: «لا يجرمنكم شقاقى» (٨٩ - هود) أي خلافي، وقيل: في عداوة، دليله: قوله تعالى: «ذلك بأنهم شاقوا الله» (١٣ - الأنفال) أي عادوا الله ﴿فسيكفيهم الله﴾ يا محمد أي يكفيك شر اليهود والنصارى وقد كفى بإجلاء بني النضير، وقتل بني قريظة وضرب الجزية على اليهود والنصارى ﴿وهو السميع﴾ لأقوالهم ﴿العليم﴾ بأحوالهم.

قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾: قال ابن عباس في رواية الكلبي وقيادة والحسن: دين الله، وإنما سماه صبغة لأنه يظهر أثر الدين على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب، وقيل لأن المتدين يلزمه ولا يفارقه، كالصبغ يلزم الثوب، وقال مجاهد: فطرة الله، وهو قريب من الأول، وقيل: سنة الله، وقيل: أراد به الختان لأنه يصبغ صاحبه بالدم، قال ابن عباس^(١): هي أن النصارى إذا ولد لأحدهم ولد فأتى عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم أصفر يقال له المعمودي وصبغوه به ليظهره بذلك الماء مكان الختان، فإذا فعلوا به ذلك قالوا: الآن صار نصرانياً حقاً فأخبر الله أن دينه الإسلام لا ما يفعله النصارى، وهو نصب على الإغراء يعني الزموا دين الله، قال الأخفش هي بدل من قوله ملة إبراهيم ﴿ومن أحسن من الله صبغة﴾ ديناً وقيل: تطهيراً ﴿ونحن له عابدون﴾ مطيعون ﴿قل﴾ يا محمد لليهود والنصارى ﴿أتحاجونا في الله﴾ أي في دين الله والمحاجة: المجادلة في الله لإظهار الحجة، وذلك بأنهم قالوا إن الأنبياء كانوا منا وعلى ديننا، وديننا أقوم فنحن أولى بالله منكم فقال الله تعالى: قل أتحاجونا في الله ﴿وهو ربنا وربكم﴾ أي نحن وأنتم سواء في الله فإنه ربنا وربكم ﴿ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ أي لكل واحد جزاء عمله، فكيف تدعون أنكم أولى بالله ﴿ونحن له مخلصون﴾ وأنتم به مشركون.

قال سعيد بن جبير: الإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله لله فلا يشرك به في دينه ولا يرأى بعمله. قال الفضيل: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

قوله تعالى: ﴿أم تقولون﴾ يعني: أتقولون، صيغة استفهام ومعناه التوبيخ، وقرأ ابن عامر وحمزة

(١) انظر: الوسيط للواحدى: ٢٠٦/١.

أَوْ نَصْرِي قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا
 اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ
 وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ * سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ
 قِبَلِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾
 وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

والكسائي وحفص بالتاء لقوله تعالى : (قل أتجاجوننا في الله) وقال بعده (قل أنتم أعلم أم الله) وقرأ
 الآخرون بالياء يعني يقول اليهود والنصارى.

﴿إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل﴾ يا محمد ﴿أنتم
 أعلم﴾ بدنيهم ﴿أم الله﴾ وقد أخبر الله تعالى أن إبراهيم لم يكن / يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان
 حنيفاً مسلماً ﴿ومن أظلم ممن كتم﴾ أخفى ﴿شهادة عنده من الله﴾ وهي علمهم بأن إبراهيم وبنيه
 كانوا مسلمين وأن محمداً ﷺ حق ورسول أشهدهم الله عليه في كتبهم ﴿وما الله بغافل عما تعملون
 تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ ككرر^(١) تأكيداً.

قوله تعالى : ﴿سيقول السفهاء﴾ الجهال ﴿من الناس ما ولاهم﴾ صرفهم وحوهم ﴿عن قبلتهم التي
 كانوا عليها﴾ يعني بيت المقدس والقبلة فعلة من المقابلة نزلت في اليهود ومشركي مكة طعنوا في تحويل
 القبلة من بيت المقدس إلى مكة، فقالوا لمشركي مكة: قد تردد على محمد أمره فاشتاق إلى مولده وقد
 توجه نحو بلدكم وهو راجع إلى دينكم فقال الله تعالى: ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ ملك له والخلق عبيده.
 ﴿يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم * وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ نزلت في رؤساء اليهود، قالوا لمعاذ
 ابن جبل: ما ترك محمد قبلتنا إلا حسداً، وإن قبلتنا قبلة الأنبياء، ولقد علم محمد أننا عدل بين الناس،
 فقال معاذ: إنا على حق وعدل فأنزل الله تعالى: ﴿وكذلك﴾ أي وهكذا، وقيل: الكاف للتشبيه أي كما
 اخترنا إبراهيم وذريته واصطفيناهم ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ مردودة على قوله: «ولقد اصطفينا في
 الدنيا» (١٣٠ - البقرة) أي عدلاً خياراً قال الله تعالى: «قال أوسطهم» (٢٨ - القلم) أي خيرهم
 وأعد لهم وخير الأشياء أوسطها، وقال الكلبي يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مذمومان
 في الدين.

(١) في ب كروه.

شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ
عَقْبِيهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ
اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو معشر إبراهيم بن محمد بن الحسين الوراق أنا أبو عبد الله محمد بن زكريا بن يحيى أنا أبو الصلت أنا حماد بن زيد أنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوماً بعد العصر فما ترك شيئاً إلى يوم القيامة إلا ذكره في مقامه ذلك حتى إذا كانت الشمس على رؤوس النخل وأطراف الحيطان، قال: «أما أنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا، ألا وإن هذه الأمة توفي سبعين أمة هي آخرها وأخيرها وأكرمها على الله تعالى»^(١).

قوله تعالى: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم، قال ابن جرير: قلت لعطاء، ما معنى قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس؟ قال: أمة محمد ﷺ شهداء على من يترك الحق من الناس أجمعين ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ معدلاً مذكياً لكم، وذلك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم يقول لكفار الأمم الماضية: «ألم يأتكم نذير» (٨ - الملك) فينكرون ويقولون ما جاءنا من بشير ولا نذير، فيسأل الله تعالى الأنبياء عليهم السلام عن ذلك فيقولون: كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة - وهو أعلم بهم - إقامة للحجة، فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا، فتقول الأمم الماضية: من أين علموا وإنما أتوا بعدنا؟ فيسأل هذه الأمة فيقولون أرسلت إلينا رسولاً، وأنزلت عليه كتاباً، أخبرتنا فيه تبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت، ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيزكهم ويشهد بصدقهم.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا إسحاق بن منصور أخبرنا أبو أسامة قال الأعمش أخبرنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم يارب، فيسأل أمته هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيقال: من شهودك فيقول محمد وأمته فقال رسول الله ﷺ «فيجاء بكم فتشهدون» ثم قرأ رسول الله ﷺ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا

(١) رواه أحمد: ١٩/٣ وهو جزء من حديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ابن ماجه: في الزهد - باب: صفة أمة محمد ﷺ ١٤٣٣/٢ ولفظه عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنكم وفيتم سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله).

شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً»^(١).

قوله تعالى: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾ أي تحويلها يعني بيت المقدس، فيكون من باب حذف المضاف، ويحتمل أن يكون المفعول الثاني للجعل محذوفاً، على تقدير وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة، وقيل معناه التي أنت عليها، وهي الكعبة كقوله تعالى: «كنتم خير أمة» أي أنتم.

﴿إلا لنعلم من يتبع الرسول﴾ فإن قيل ما معنى قوله: «إلا لنعلم» وهو عالم بالأشياء كلها قبل كونها قيل: أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب، فإنه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب، إنما يتعلق بما يوجد معناه ليعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب، وقيل: إلا لنعلم أي: لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة ﴿من ينقلب على عقبيه﴾ فيرتد وفي الحديث إن القبلة لما حولت ارتد قوم من المسلمين إلى اليهودية، وقالوا: رجع محمد إلى دين آبائه، وقال أهل المعاني: معناه إلا لعلمنا من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه كأنه سبق في علمه أن تحويل القبلة سبب هداية قوم وضلالة قوم، وقد يأتي لفظ الاستقبال بمعنى الماضي كما قال الله تعالى «فَلَم تَقْتُلُوا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ» (٩١ - البقرة) أي فلم تقتلوهم ﴿وإن كانت﴾ أي قد كانت أي تولية الكعبة وقيل: الكناية راجعة إلى القبلة، وقيل: إلى الكعبة قال الزجاج: وإن كانت التحويلة ﴿لكبيرة﴾ ثقيلة شديدة ﴿إلا على الذين هدى الله﴾ أي هداهم الله، قال سيبويه: «وإن» تأكيد يشبه اليمين ولذلك دخلت اللام في جوابها ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ وذلك أن حبي بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس، إن كانت هدى فقد تحولتم عنها وإن كانت ضلالة فقد دنتم الله بها، ومن مات منكم عليها فقد مات على الضلالة، فقال المسلمون إنما الهدى ما أمر الله به، والضلالة ما نهى الله عنه.

قالوا: فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا؟ وكان قد مات قبل أن تحول القبلة من المسلمين أسعد بن زرارة من بني النجار، والبراء بن معرور من بني سلمة، وكانوا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشائرتهم إلى النبي ﷺ وقالوا: يا رسول الله قد صرفك الله إلى قبلة إبراهيم فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى^(٢) ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ يعني صلاتكم إلى بيت المقدس ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ قرأ أهل الحجاز وابن عامر وحفص لرؤوف مشبع على وزن فعول، لأن أكثر أسماء الله تعالى على فعول وفعيل، كالففور والشكور والرحيم والكريم وغيرها، وأبو جعفر

(١) أخرجه البخاري: في الاعتصام - باب: وكذلك جعلناكم أمة وسطاً: ٣١٦/١٣ وفي التفسير والأنبياء.

والمصنف في شرح السنة: ١٤١/١٥.

(٢) انظر فتح الباري كتاب التفسير باب «سيقول السفهاء من الناس...» ١٧١/٨.

تفسير الطبري: ١٦٧/٣ - ١٦٩.

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ
شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾

يلين الهمزة وقرأ الآخرون بالاختلاس على وزن فعل قال جرير:

ترى للمسلمين عليك حقاً كفعل الواحد الرؤف الرحيم

والرأفة أشد الرحمة.

قوله تعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾ هذه الآية وإن كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى فإنها رأس القصة، وأمر القبلة أول ما نسخ من أمور الشرع، وذلك أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة، فلما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يصلي نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم مع ما يجدون / من نعتة في التوراة ٢٠/ب فصلي بعد الهجرة ستة عشر أو سبعة عشر شهراً إلى بيت المقدس وكان يجب أن يوجه إلى الكعبة لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام، وقال مجاهد: كان يجب ذلك لأجل اليهود لأنهم كانوا يقولون يخالفنا محمد ﷺ في ديننا ويتبع قبلتنا، فقال جبريل عليه السلام: وددت لو حولني الله إلى الكعبة فإنها قبلة أبي إبراهيم عليه السلام، فقال جبريل: إنما أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربك، فسل أنت ربك فإنك عند الله عز وجل بمكان [فرجع] (١) جبريل عليه السلام وجعل رسول الله ﷺ يديم النظر إلى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يجب من أمر القبلة (٢) فأنزل الله تعالى ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة﴾ فلنحولنك إلى قبلة ﴿ترضاها﴾ أي تحبها وتوهاها ﴿فول﴾ أي حول ﴿وجهك شطر المسجد الحرام﴾ أي نحوه وأراد به الكعبة والحرام المحرم ﴿وحيثما كنتم﴾ من بر أو بحر أو شرق أو غرب ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾ عند الصلاة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا إسحاق بن نصر أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما دخل النبي ﷺ البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى

(١) فرج من ب.

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور: أخرجه أبو داود في ناسخه عن أبي العالية ٣٤٣/١.

خرج منه، فلما خرج ركع ركعتين في قُبَلِ الكعبة (وقال هذه القبلة)^(١).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا عمرو بن خالد أخبرنا زهير أخبرنا أبو إسحاق عن البراء أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد قباء وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَلِ مكة فداروا كما هم قِبَلِ البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل المقدس لأنه قبله أهل الكتاب، فلما ولي وجهه قبل البيت أنكروا ذلك، وقال: البراء في حديثه هذا: أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم)^(٢).

وكان تحويل القبلة في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين، قال مجاهد وغيره: نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر، فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء، والنساء مكان الرجال، فسمي ذلك المسجد مسجد القبليتين، وقيل كان التحويل خارج الصلاة بين الصلاتين، وأهل قباء وصل إليهم الخبر في صلاة الصبح.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه السرخسي أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي السامري أخبرنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري عن مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار أن عبد الله بن عمر قال: بينا الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت وقال لهم: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة^(٣).

(١) أخرجه البخاري: في القبلة — باب: قول الله تعالى ﴿واخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾: ٥٠١/١.

ومسلم: في الحج — باب: استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره برقم (١٣٣٠) ٩٦٨/٢ عن أسامة بن زيد. والمصنف في شرح السنة: ٣٣٤/٢.

(٢) رواه البخاري: في التفسير — باب: سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم: ١٧١/٨.

ومسلم: في المساجد ومواضع الصلاة — باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة: برقم (٥٢٥) ٣٧٤/١. والمصنف في شرح السنة: ٣٢٢/٢ — ٣٢٣.

(٣) رواه البخاري: في التفسير — باب: ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية: ١٧٤/٨.

ومسلم: في المساجد ومواضع الصلاة — باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة: برقم (٥٢٦) ٣٧٥/١. والمصنف في شرح السنة: ٣٢٣/٢ — ٣٢٤.

وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ
وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ
مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

فلما تحولت القبلة قالت اليهود: يا محمد ما هو إلا شيء تبتدعه من تلقاء نفسك فتارة تصلي إلى بيت المقدس وتارة إلى الكعبة ولو ثبتت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره؟ فأنزل الله ﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه﴾ يعني أمر الكعبة ﴿الحق من ربهم﴾ ثم هددهم فقال ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وحزمة والكسائي بالتاء قال ابن عباس يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم وقرأ الباقون بالياء يعني ما أنا بغافل عما يفعل اليهود فأجازهم في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿ولئن آتيت الذين أوتوا الكتاب﴾ يعني اليهود والنصارى قالوا: اثنتا بآية على ما تقول، فقال الله تعالى: ﴿ولئن آتيت الذين أوتوا الكتاب﴾ ﴿بكل آية﴾ معجزة ﴿ما تبعوا قبلتك﴾ يعني الكعبة ﴿وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾ لأن اليهود تستقبل بيت المقدس وهو المغرب والنصارى تستقبل المشرق وقبلة المسلمين الكعبة.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أخبرنا الحسن بن بكر المروزي أخبرنا المعلی بن منصور أخبرنا عبد الله بن جعفر الخزومي عن عثمان الأحنسي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «القبلة ما بين المشرق والمغرب»^(١).

وأراد به في حق^(٢) أهل المشرق، وأراد بالمشرق: مشرق الشتاء في أقصر يوم في السنة، وبالمغرب: مغرب الصيف في أطول يوم من السنة، فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت على يمينه ومشرق الشتاء على يساره كان وجهه إلى القبلة ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾: مرادهم الخطاب مع النبي ﷺ، والمراد به

(١) أخرجه الترمذي في الصلاة: باب ما جاء أن ما بين المشرق والمغرب قبلة: ٣١٧/٢ - ٣١٩ وقال حديث حسن صحيح.

وابن ماجه: في إقامة الصلاة باب: القبلة برقم (١٠١١) بلفظ (ما بين المشرق والمغرب قبلة).

والحاكم في المستدرک: ٢٠٥/١، ٢٠٦ عن ابن عمر.

والبيهقي: ٩/٢.

وانظر: تفسير ابن كثير: ٢٧٧/١ - ٢٨١.

(٢) ساقطة من أ.

الَّذِينَ اتَّيْنَهُمُ الْكُتُبَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ
 الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ
 هُومَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الْحَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ
 رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾

الأمة، ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ من الحق في القبلة، ﴿إنك إذا لمن الظالمين﴾.

قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه
 ﴿يعرفونه﴾ يعني يعرفون محمداً ﷺ ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ من بين الصبيان، قال عمر بن الخطاب
 لعبد الله بن سلام إن الله قد أنزل على نبيه ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾
 فكيف هذه المعرفة؟ قال عبد الله: يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما عرفت ابني ومعرفتي بمحمد ﷺ
 أشد من معرفتي بابني، فقال عمر: كيف ذلك؟ فقال أشهد إنه رسول الله حق من الله تعالى وقد نعته
 الله في كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء، فقال عمر وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت^(١) ﴿وإن فريقاً
 منهم ليكتمون الحق﴾ يعني صفة محمد ﷺ وأمر الكعبة ﴿وهم يعلمون﴾ ثم قال ﴿الحق من ربك﴾
 أي هذا الحق خير مبتدأ مضمرة وقيل رفع بإضمار فعل أي جاءك الحق من ربك ﴿فلا تكونن من
 الممترين﴾ الشاكين.

قوله تعالى: ﴿ولكل وجهة﴾ أي لأهل كل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه إليه ﴿هو موليا﴾ أي
 مستقبلها ومقبل إليها يقال: وليته ووليت إليه: إذا أقبلت إليه^(٢)، ووليت عنه إذا أدبرت عنه. قال مجاهد:
 هو موليا وجهه، وقال الأنخفش، هو كناية عن الله عز وجل يعني الله مولي الأمم إلى قبلتهم وقرأ ابن
 عامر: مؤلأها، أي: المستقبل مصروف إليها ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ أي إلى الخيرات، يريد: بادروا
 بالطاعات، والمراد المبادرة إلى القبول ﴿أيما تكونوا﴾ أنتم وأهل الكتاب ﴿يأت بكم الله جميعاً﴾ يوم
 القيامة فيجزيكم بأعمالكم ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾.

قوله تعالى ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله

(١) انظر: الوسيط للواحدي: ١/ ٢١٥، أسباب النزول له أيضاً ص ٤٠.

(٢) وفي «أ» عليه.

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
 وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا
 تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَنَّمْ عَلَيْكُمْ وَاغْلَبَكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

١/٢١

بغافل عما تعملون ﴿١﴾ قرأ أبو عمرو بالياء والباقون بالتاء/

﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ وإنما
 كرر لتأكيد النسخ ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا﴾ اختلفوا في تأويل هذه الآية
 ووجه قوله ﴿إلا﴾ فقال بعضهم: معناه حولت القبلة إلى الكعبة ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ إذا
 توجهتم إلى غيرها فيقولون ليست لكم قبلة ﴿إلا الذين ظلموا﴾ وهم قريش واليهود فأما قريش فتقول
 رجع محمد إلى الكعبة، لأنه علم أنها الحق وأنها قبلة آباءه، فكذلك يرجع إلى ديننا، وأما اليهود فتقول لم
 ينصرف عن بيت المقدس مع علمه بأنه حق إلا أنه يعمل برأيه وقال قوم ﴿لئلا يكون للناس عليكم
 حجة﴾ يعني اليهود وكانت حججهم على طريق المخاصمة على المؤمنين في صلاتهم إلى بيت المقدس أنهم
 كانوا يقولون ما درى محمد ﷺ وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن.

وقوله ﴿إلا الذين ظلموا﴾ وهم مشركو مكة، وحججهم: أنهم قالوا — لما صرفت قبلتهم إلى الكعبة إن
 محمداً قد تحير في دينه وسيعود إلى ملتنا كما عاد إلى قبلتنا، وهذا معنى قول مجاهد وعطاء وقتادة، وعلى
 هذين التأويلين يكون الاستثناء صحيحاً، وقوله ﴿إلا الذين ظلموا﴾ يعني لا حجة لأحد عليكم إلا
 لمشركي قريش فإنهم يجادلونكم فيجادلونكم وبخاصمونكم بالباطل والظلم والاحتجاج بالباطل يسمى
 حجة كما قال الله تعالى «حججهم داخضة عند ربهم» (١٦ — الشورى) وموضع ﴿الذين﴾ خفض كأنه
 قال سوى الذين ظلموا قاله الكسائي وقال الفراء نصب بالاستثناء.

قوله تعالى: ﴿منهم﴾ يعني من الناس وقيل هذا استثناء منقطع عن الكلام الأول، معناه ولكن الذين
 ظلموا يجادلونكم بالباطل، كما قال الله تعالى «ما لهم به من علم إلا اتباع الظن» (١٥٧ — النساء) يعني
 لكن يتبعون الظن فهو كقول الرجل مالك عندي حق إلا أن تظلم.

قال أبو روق ﴿لئلا يكون للناس﴾ يعني لليهود ﴿عليكم حجة﴾ وذلك أنهم عرفوا أن الكعبة قبلة
 إبراهيم ووجدوا في التوراة أن محمداً سيحول إليها فحول الله تعالى إليها لئلا يكون لهم حجة فيقولون: إن
 النبي الذي نجده في كتابنا سيحول إليها ولم تحول أنت، فلما حول إليها ذهبت حججهم ﴿إلا الذين
 ظلموا﴾ يعني إلا أن يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق.

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ
وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾

وقال أبو عبيدة^(١) قوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ليس باستثناء ولكن «إلا» في موضع واو العطف
يعني: والذين ظلموا أيضاً لا يكون لهم حجة كما قال الشاعر:

وَكُلُّ أَخٍ مُّفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ

معناه والفرقدان أيضاً يتفرقان، فمعنى الآية فتوجهوا إلى الكعبة ﴿لثلاث يكون للناس﴾ يعني اليهود
﴿عليكم حجة﴾ فيقولوا لم تركتم الكعبة وهي قبلة إبراهيم وأنتم على دينه ولا الذين ظلموا وهم مشركو مكة
فيقولون لم ترك محمد قبلة جده وتحول عنها إلى قبلة اليهود ﴿فلا تخشوهم﴾ في انصرفكم إلى الكعبة وفي
تظاهرهم عليكم بالمجادلة فإني وليكم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة ﴿واخشوني ولأنتم نعمتي عليكم﴾
عطف على قوله ﴿لثلاث يكون للناس عليكم حجة﴾ ولكي أتم نعمتي عليكم بهدائي إياكم إلى قبلة إبراهيم
فتم لكم الملة الخفيفة، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الإسلام.

قال: سعيد بن جبیر لا يتم نعمة على المسلم إلا أن يدخله الله الجنة ﴿ولعلكم تهتدون﴾ لكي
تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب.

قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ هذه الكاف للتشبيه وتحتاج إلى شيء يرجع إليه فقال بعضهم:
ترجع إلى ما قبلها معناه ولأنتم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم رسولاً قال محمد بن جرير: دعا إبراهيم عليه
السلام بدعوتين — إحداهما — قال: «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك» (١٢٨ —
البقرة) والثانية قوله: «ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم» (١٢٩ — البقرة) فبعث الله الرسول وهو محمد
ﷺ، ووعد إجابة الدعوة الثانية بأن يجعل من ذريته أمة مسلمة، يعني كما أجبت دعوته بأن أهدىكم
لدينه وأجعلكم مسلمين وأنتم نعمتي عليكم ببيان شرائع الملة الخفيفة^(٢) وقال مجاهد وعطاء والكلمي: هي
ذريتهما.

(١) انظر: البحر المحيط: ٤٤٢/١.

(٢) قال الطبري في التفسير: ٢٠٨/٣ — ٢٠٩: «يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا﴾، ولأنتم نعمتي عليكم ببيان شرائع
ملتكم الخفيفة، وأهدىكم لدين خليلي إبراهيم عليه السلام، فأجعل لكم دعوته التي دعاني بها ومسألته التي سألتها فقال: «ربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم» (سورة البقرة: ١٢٨)، كما جعلت لكم
دعوته التي دعاني بها، ومسألته التي سألتها فقال: «ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم
إنك أنت العزيز الحكيم» (سورة البقرة: ١٢٩)، فابتعثت منكم رسولي الذي سألتني إبراهيم خليلي وابنه إسماعيل، أن أبعثه من
ذريتهما».

فَاذْكُرُونِي أَذْكَرْتُكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

متعلقة بما بعدها وهو قوله «فاذكروني أذكركم» معناه كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني^(١) وهذه الآية خطاب لأهل مكة والعرب يعني كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب.

﴿رسولا منكم﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿يتلو عليكم آياتنا﴾ يعني القرآن ﴿ويزيكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة﴾ قيل: الحكمة السنة، وقيل: مواظب القرآن ﴿ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ من الأحكام وشرائع الإسلام ﴿فاذكروني أذكركم﴾ قال ابن عباس: اذكروني بطاعتي، أذكركم بمغفرتي، وقال سعيد بن جبير اذكروني في النعمة والرخاء، أذكركم في الشدة والبلاء، بيانه «فلولا أنه كان من المسبحين للبت في بطنه إلى يوم يبعثون» (١٤٤ - الصافات).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا عمر بن حفص أخبرنا أبي أخبرنا الأعمش قال سمعت أبا صالح عن أبي هريرة قال قال: النبي ﷺ: يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»^(٢).

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي وثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميني قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أخبرنا أبو عبد الملك الدمشقي أخبرنا سليمان بن عبد الرحمن أخبرنا منذر بن زياد عن صخر ابن جويرية عن الحسن بن أنس قال: إني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ عدد أنامل هذه العشر، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتني في نفسي، وإن ذكرتني في ملأ خير منهم، وإن دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعاً، وإن دنوت مني ذراعاً دنوت منك باعاً، وإن مشيت إلي هرولت إليك، وإن هرولت إلي سعت إليك، وإن سألتني أعطيتك، وإن لم تسألني غضبت عليك»^(٣).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢١٠/٣.

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد - باب: قول الله تعالى: ويحذركم الله نفسه: ٣٨٤/١٣.

ومسلم: في الذكر والدعاء والتوبة - باب الحث على ذكر الله تعالى برقم (٢٦٧٥) ٤/٦١. والمصنف في شرح السنة: ٢٧٣/٥.

(٣) أخرجه البخاري في التوحيد - باب قول الله تعالى: ويحذركم الله نفسه: ٣٨٤/١٣.

ومسلم: في الذكر والدعاء والتوبة - باب: فضل الذكر والدعاء برقم (٢٦٧٥) ٤/٢٠٦٧ من طريق أنس وجاء كذلك من طريق أبي ذر وهذه الرواية يختلف لفظها عند البخاري.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا
لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَامُوتٌ بَلْ ءَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يحيى بن عبد الله أخبرنا الأوزاعي أخبرنا إسماعيل بن عبيد الله عن أبي الدرداء عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: يقول الله عز وجل: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفثاه»^(١).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا إسماعيل بن عياش أخبرنا عمرو بن قيس السكوني عن عبد الله بن بسر قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله تعالى»^(٢).

قوله تعالى: ﴿واشكروا لي ولا تفكروا﴾ يعني واشكروا لي بالطاعة ولا تكفروني بالمعصية فإن من أطاع الله فقد شكره ومن عصاه / فقد كفره. ب/٢١

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ بالعمون والنصرة ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله ءاموات﴾ نزلت في قتلى بدر من المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله ءاموات﴾ ﴿بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾ كما قال في شهداء أحد «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله ءامواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون» (١٦٩ — آل عمران) قال الحسن إن الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشية فيصل إليهم الوجع.

(١) رواه البخاري: تعليقا في التوحيد — باب: قول الله تعالى: لا تحرك به لسانك: ٤٩٩/١٣.

وابن حبان في الأذكار ص (٥٧٦) من موارد الظمان قال ابن حجر هذا طرف من حديث: أخرجه أحمد والبخاري في خلق افعال العباد. والطبراني من رواية عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن إسماعيل بن عبد الله. بن أبي المهاجر عن كريمة بنت الحسحاس عن أبي هريرة، وأخرجه عنه أيضاً البيهقي في الدلائل وابن ماجه والحاكم وابن حبان من طرق انظر: فتح الباري ٥٠٠/١٣ والمصنف في شرح السنة: ١٣/٥ وانظر التعليق عليه للشيخ الأرنؤوط.

(٢) أخرجه الترمذي: في الدعوات — باب: فضل الذكر ٣١٤/٩ — ٣١٥ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وأحمد: ١٨٨/٤، ١٩٠ عن عبد الله بن بسر بلفظ آخر.

ابن حبان: في الأذكار — باب: فضل الذكر والذاكرين (موارد الظمان) برقم (٢٣١٨) ص ٥٧٦.

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ
 الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ
 عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿ولنبلونكم﴾ أي ولنختبرنكم يا أمة محمد، واللام لجواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء من الله لإظهار المطيع من العاصي لا ليعلم شيئاً لم يكن عالماً به ﴿بشيء من الخوف﴾ قال ابن عباس يعني خوف العدو ﴿والجوع﴾ يعني القحط ﴿ونقص من الأموال﴾ بالخسران والهلاك ﴿والأنفس﴾ يعني بالقتل والموت وقيل بالمرض والشيب ﴿والثمرات﴾ يعني الجوائح في الثمار وحكي عن الشافعي أنه قال الخوف خوف الله تعالى، والجوع صيام رمضان، ونقص من الأموال أداء الزكاة والصدقات، والأنفس الأمراض، والثمرات موت الأولاد لأن ولد الرجل ثمرة قلبه.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا الحسن بن موسى أخبرنا حماد بن سلمة عن أبي سنان قال دفنت ابني سناناً وأبو طلحة الخولاني على شفير القبر فلما أردت الخروج أخذ بيدي فأخرجني فقال: ألا أبشرك؟ حدثني الضحاک بن عرزب عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي؟ قالوا نعم، قال أقبضتم ثمرة فؤاده؟ قالوا نعم، قال فماذا قال عبدي؟ قالوا استرجع وحمدك قال: ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد»^(١).

﴿وبشر الصابرين﴾ على البلايا والرزايا، ثم وصفهم فقال: ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله﴾ عبيداً وملكاً ﴿وإنا إليه راجعون﴾ في الآخرة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا محاضر بن المورع أخبرنا سعد بن سعيد عن عمر بن كثير بن أفلح

(١) أخرجه الترمذي: في الجنائز — باب: فضل المصيبة إذا احتسب: ١٠١/٤ وقال: هذا حديث حسن غريب. والمصنف في شرح السنة: ٤٥٦/٥ قال المحقق: فيه أبو سنان واسمه عيسى بن سنان القسمللي ليثه الحافظ في التقريب. قال ابن معين: لين الحديث وقال أبو زرعة مخلط (تهذيب التهذيب) وذكره ابن حبان في الثقات. وصححه ابن حبان في موارد الظمان برقم (٧٢٦) ص ١٨٥، قال ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٢ — ١٣: «أخرجه أحمد وغيره من حديث، وصححه ابن حبان ورواه البيهقي في الشعب مرفوعاً وموقوفاً. وقد ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٤٠٨ وقال: الحديث بمجموع طرقه حسن على أقل الأحوال.

أخبرنا مولى أم سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مصيبة تصيب عبداً فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيراً منها، إلا أجره الله في مصيبيته وأخلف له خيراً منها»، قالت أم سلمة لما توفي أبو سلمة عزم الله لي فقلت: اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيراً منها. فأخلف الله لي رسول الله ﷺ^(١).

وقال سعيد بن جبير: ما أعطي أحد في المصيبة ما أعطي هذه الأمة يعني الاسترجاع ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب عليه السلام ألا تسمع لقوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام «ياأسفى على يوسف» (٨٤ - يوسف) ﴿أولئك﴾ أهل هذه الصفة ﴿عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ صلوات أي رحمة فإن الصلاة من الله الرحمة ورحمة ذكرها الله تأكيداً وجميع الصلوات، أي: رحمة بعد رحمة ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ إلى الاسترجاع وقيل إلى الحق والصواب وقيل إلى الجنة والثواب، قال عمر رضي الله عنه: نعم العبدان ونعمت العلاوة^(٢)، فالعبدان الصلاة والرحمة، والعلامة الهداية.

وقد وردت أخبار في ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين منها ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه قال: سمعت أبا الجباب سعيد بن يسار يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ «من يرد الله به خيراً يصب منه»^(٣).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن محمد أخبرنا عبد الملك بن عمرو أخبرنا زهير بن محمد عن محمد بن عمرو بن حنبل عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها»^(٤).

(١) أخرجه مسلم: في الجنائز - باب: ما يقال عند المصيبة: برقم (٩١٨) ٦٣٢/٢ - ٦٣٣.

والمصنف في شرح السنة: ٢٩٣/٥ - ٢٩٤.

(٢) أخرجه الواحد في الوسيط بسنده عن عمر رضي الله عنه: ٢٢٦/١. وقال القرطبي في التفسير: ١٧٧/٢: «أراد بالعبدان: الصلاة والرحمة؛ وبالعلامة: الاهتداء».

(٣) رواه البخاري: في المرض - باب: ما جاء في كفارة المرض: ١٠٣/١٠.

والمصنف في شرح السنة: ٢٣٢/٥.

(٤) رواه البخاري: في المرض - باب: ما جاء في كفارة المرض: ١٠٣/١٠.

مسلم: في البر والصلة - باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه برقم (٢٥٧٣) ١٩٩٣/٤.

والمصنف في شرح السنة: ٢٣٣/٥.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أنا محمد بن عبيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: جاءت امرأة بها لم إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله: ادع الله لي أن يشفيني قال «إن شئت دعوت الله أن يشفيك وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك» قالت: بل أصبر ولا حساب علي^(١).

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو سعيد خلف بن عبد الرحمن بن أبي نزار أخبرنا أبو منصور العباس بن الفضل النضروي أخبرنا أحمد بن نجدة أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحماني أخبرنا حماد بن زيد عن عاصم هو ابن أبي النجود عن مصعب بن سعد عن سعد قال: سئل رسول الله ﷺ عن أشد الناس بلاءً قال: «الأنبياء والأئمة فالأئمة يبتلي الله الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلماً ابتلي على قدر ذلك وإن كان في دينه رقة هُوْنٌ عليه فما يزال كذلك حتى يمشي على الأرض وماله من ذنب»^(٢).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله بن صالح قال: حدثني الليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن سنان عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «إن عظم الجزاء عند الله مع عظم البلاء فإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط»^(٣).

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالح أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أخبرنا حاجب ابن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقي الله وما عليه من خطيئة»^(٤).

(١) ابن حبان: في الجنايز — باب الصبر على اللمم ص ١٨٢.

والمصنف في شرح السنة: ٢٣٦/٥. واسناده قوي: وأخرجه الزوار.

(٢) أخرجه الترمذي: في الزهد — باب: في الصبر على البلاء: ٧٨/٧ — ٧٩ وقال هذا حديث حسن صحيح.

وابن ماجه: في الفتن — باب، الصبر على البلاء برقم (٤٠٢٣) ٢/١٣٣٤.

والدارمي: في الرقاق — باب: في أشد الناس بلاء: ٢/٣٢٠.

وأحمد: ١/١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥ عن مصعب بن سعد عن أبيه.

والمصنف في شرح السنة: ٥/٢٤٤. واسناده حسن وصححه الحاكم وابن حبان.

(٣) رواه الترمذي: في الزهد — باب الصبر على البلاء: ٧٧/٧ — ٧٨ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

ابن ماجه: في الفتن — باب الصبر على البلاء برقم (٤٠٣١) ٢/١٣٣٨.

والمصنف في شرح السنة: ٥/٢٤٥. انظر حاشية شرح السنة.

(٤) رواه الترمذي: في الزهد — باب الصبر على البلاء: ٨٠/٧ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

والحاكم: ١/٣٤٦ وصححه ووافقه الذهبي.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران أخبرنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل المنافق / كمثل شجرة الأرزة^(١) لا تهتز حتى تستحصد»^(٢).

أ/٢٢

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبي إسحق عن العيزار بن حريث عن عمر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبٌ للمؤمن إن أصابه خير حمد الله وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد الله وصبر. فالمؤمن يؤجر في كل أمره حتى يؤجر في اللقمة يرفعها إلى في امرأته»^(٣).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة للمساء، يقال: صفاة وصفاء، مثل: حصاة وحصى ونواة ونوى، والمروة: الحجر الرخو، وجمعها مروات، وجمع الكثير مرو، مثل تمره وتمرته وتمر. وإنما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى، ولذلك أدخل فيهما الألف واللام، وشعائر الله أعلام دينه، أصلها من الإشعار وهو الإعلام واحدها شعيرة وكل ما كان معلماً لقربان يتقرب به إلى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة فالمطاف والموقف والنحر كلها شعائر الله ومثلها المشاعر، والمراد بالشعائر هاهنا: المناسك التي جعلها الله أعلاماً لطاعته، فالصفا والمروة

= وأحمد: ٢٨٧/٢، ٤٥٠ عن أبي هريرة.

والمصنف في شرح السنة: ٢٤٦/٥.

(١) الأرزة: بسكون الراء وفتحها شجرة الأرزة وهو خشب معروف وقيل: هو الصنوبر وقال بعضهم: هي الأرزة بوزن فاعلة وأنكرها أبو عبيدة. النهاية ٣٨/١.

(٢) رواه البخاري: في التوحيد — باب: في المشيئة والارادة: ٤٤٦/١٣.

ومسلم: في المنافقين — باب: مثل المؤمن كالزرع برقم (٢٨٠٩) ٢١٦٣/٤ واللفظ له.

والمصنف في شرح السنة: ٢٤٧/٥.

(٣) رواه مسلم: في الزهد — باب: المؤمن أمره كله خير عن صهيب برقم (٢٩٩٩) ٢٢٩٥/٤، بلفظ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له»

والمصنف في شرح السنة: ٤٤٨/٥.

منها حتى يطاف بهما جميعاً ﴿فمن حج البيت أو اعتمر﴾ فالحج في اللغة: القصد، والعمرة: الزيارة، وفي الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة ﴿فلا جناح عليه﴾ أي لا إثم عليه، وأصله من جنح أي مال عن القصد ﴿أن يطوف بهما﴾ أي يدور بهما، وأصله يتطوف أدغمت التاء في الطاء.

وسبب نزول هذه الآية أنه كان على الصفا والمروة صنمان أساف ونائلة، وكان أساف على الصفا ونائلة على المروة، وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيماً للصنمين ويتمسحون بهما، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كان المسلمون يتخرجون عن السعي بين الصفا والمروة لأجل الصنمين فأذن الله فيه وأخبر أنه من شعائر الله^(١).

واختلف أهل العلم في حكم هذه الآية ووجوب السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة إلى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن وإليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم إلى أنه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين ومجاهد وإليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي. وقال الثوري وأصحاب الرأي على من تركه دم^(٢).

واحتج من أوجبه بما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الله بن مؤمل العائذي عن عمرو بن عبد الرحمن بن محيصن عن عطاء بن أبي رباح عن صفية بنت شيبة قالت: أخبرتني بنت أبي ثجراة — اسمها حبيبة إحدى نساء بني عبد الدار — قالت: دخلت مع نسوة

(١) أخرج البخاري عن عروة قال: سألت عائشة رضي الله عنها، فقلت لها: رأيت قول الله تعالى: «إن الصفا والمروة من شعائر الله، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما» فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة؟ قالت: بئس ما قلت يا بن أخي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المثلل، فكان من أهل يتخرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك قالوا: يا رسول الله إنا كنا نتخرج أن تطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: «إن الصفا والمروة من شعائر الله» الآية.

قالت عائشة رضي الله عنها: وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١٨٣/٢، أحكام القرآن لابن العربي: ٤٨/١، أحكام القرآن للجصاص: ١١٨/١ — ١٢٢. ابن كثير: ٣٤٧/١.

من قريش دار آل أبي حسين ننظر إلى رسول الله ﷺ وهو يسعى بين الصفا والمروة فرأيته يسعى وإن مئزره ليدور من شدة السعي حتى لأقول إني لأرى ركبتيه، وسمعته يقول «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي»^(١).

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: قلت لعائشة زوج النبي ﷺ رأيت قول الله تعالى ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ فما أرى على أحد شيئاً ألا يطوف بهما، قالت عائشة: كلا لو كانت كما تقول كانت «فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما» إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قُدَيْدٍ وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة. فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الآية.^(٢)

قال عاصم: قلت لأنس بن مالك أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة؟ قال نعم لأنها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ حين خرج من المسجد وهو يريد الصفا يقول «نبدأ بما بدأ الله تعالى به» فبدأ بالصفا. وقال كان إذا وقف على الصفا يكبر ثلاثاً ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. يصنع ذلك ثلاث مرات ويدعو ويصنع على المروة مثل ذلك. وقال كان إذا نزل من الصفا مشى حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي يسعى حتى يخرج منه.^(٣)

(١) رواه الدارقطني: عن ابن المبارك بقوله: أخبرني معروف بن مشكان أخبرني منصور بن عبد الرحمن عن أم صفية قالت: أخبرتني نسوة من بني عبد الدار اللاتي أدركن رسول الله ﷺ.... قال صاحب التنقيح: إسناده صحيح ومعروف بن مشكان صدوق لا تعلم من تكلم فيه ومنصور هذا ثقة مخرج له في الصحيحين — عن التعليق المعني ٢٥٥/٢.

الطبراني: في الكبير وفيه عبد الله بن المؤمل وثقة ابن حبان وقال بخطيء وضعفه غيره (المجمع: ٢٤٧/٣) أحمد: ٤٢٢/٦ عن حبيبة بنت أبي تمرثة والصحيح بنت أبي تجرأة انظر أسد الغابة ٥٩/٧.

والمصنف في شرح السنة: ١٤١/٧.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير: ١٧٥/٨، ومسلم في الحج: ٩٢٨/٢، والمصنف في شرح السنة: ١٣٩/٧.

(٣) رواه مسلم: في الحج — باب: حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨) ٨٨٦/٢ مطولاً من حديث جابر المشهور.

والمصنف في شرح السنة: ١٣٦/٧.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي
الْكِتَابِ ۗ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ
فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

قال مجاهد: - رحمه الله - حج موسى عليه السلام على جبل أحمري وعليه عباءتان قَطَوَانِيَّتَانِ^(١)، فطاف البيت ثم صعد الصفا ودعا ثم هبط إلى السعي وهو يليي فيقول لبيك اللهم لبيك. فقال الله تعالى لبيك عبدي وأنا معك فخر موسى عليه السلام ساجداً.

قوله تعالى: ﴿ومن تطوع خيراً﴾ قرأ حمزة والكسائي بالياء وتشديد الطاء وجزم العين وكذلك الثانية «فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا» (١٨٤ - البقرة) بمعنى يتطوع ووافق يعقوب في الأولى وقرأ الباقر بالتاء وفتح العين على الماضي وقال مجاهد: معناه فمن تطوع بالطواف بالصفاء والمروة. وقال مقاتل والكلبي: فمن تطوع: أي زاد في الطواف بعد الواجب. وقيل من تطوع بالحج والعمرة بعد أداء الحج الواجبة عليه وقال الحسن وغيره: أراد سائر الأعمال يعني فعل غير المفترض عليه من زكاة وصلاة وطواف وغيرها من أنواع الطاعات ﴿فإن الله شاکر﴾ مجاز لعبدته بعمله ﴿عليم﴾ بنيته. والشكر من الله تعالى أن يعطي لعبدته فوق ما يستحق. يشكر اليسير ويعطي الكثير.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب﴾ نزلت في علماء اليهود كتّموا صفة محمد ﷺ وآية الرجم وغيرهما من الأحكام التي كانت في التوراة^(٢) ﴿أولئك يلعنهم الله﴾ وأصل اللعن الطرد والبعد ﴿ويلعنهم اللاعنون﴾ أي يسألون الله أن يلعنهم ويقولون: اللهم لعنهم. واختلفوا في هؤلاء اللاعنين، قال ابن عباس: جميع الخلائق إلا الجن والإنس. وقال قتادة: هم الملائكة وقال عطاء: الجن والإنس وقال الحسن: جميع عباد الله. قال ابن مسعود: ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين كتّموا أمر محمد ﷺ وصفته وقال مجاهد: اللاعنون البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر وقالت هذا من شؤم ذنوب بني آدم ثم استثنى فقال: ﴿إلا الذين تابوا﴾ من الكفر ﴿وأصلحوا﴾ أسلموا وأصلحوا الأعمال فيما بينهم وبين ربهم ﴿ويبنوا﴾ ما كتّموا ﴿فأولئك أتوب عليهم﴾ أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم ﴿وأنا التواب﴾

(١) القَطَوَانِيَّة: عباءة بيضاء قصيرة الخُمْل، والنون زائدة، النهاية: ٨٥/٤.

(٢) أخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: سأل معاذ بن جبل أخو بني سلمة، وسعد بن معاذ أخو بني الأشهل، وخارجة بن زيد أخو الحرث بن الخزرج نفراً من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة فكتموهم إياه وأبوا أن يخبروهم فأُنزل الله فيهم ﴿إن الذين يكتُمون...﴾ انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٣٩٠/١.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١١﴾
 خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَاللَّهُكَرِيمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴿١١٣﴾
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١١٤﴾

الرجاع بقلوب عبادي المنصرفة عني إلي ﴿الرحيم﴾ بهم بعد إقبالهم علي.

ب/٢٢

﴿إن الذين كفروا / وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة﴾ أي لعنة الملائكة ﴿والناس أجمعين﴾ قال أبو العالية: هذا يوم القيامة يوقف الكافر فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس فإن قيل فقد قال ﴿والناس أجمعين﴾ والمعنون هو من جملة الناس فكيف يلعن نفسه؟ قيل يلعن نفسه في القيامة قال الله تعالى: «ويلعن بعضكم بعضاً» (٢٥ — العنكبوت) وقيل إنهم يلعنون الظالمين والكافرين ومن يلعن الظالمين والكافرين وهو منهم فقد لعن نفسه ﴿خالدين فيها﴾ مقيمين في اللعنة وقيل في النار ﴿لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ لا يمهلون ولا يؤجلون وقال أبو العالية: لا ينظرون فيعتدروا كقوله تعالى «ولا يؤذن لهم فيعتدرون» (٣٦ — الرسائل).

قوله تعالى: ﴿والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فأنزل الله تعالى هذه الآية وسورة الإخلاص^(١) والواحد الذي لا نظير له ولا شريك له.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا بكر بن إبراهيم وأبو عاصم عن عبيد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في هاتين الآيتين اسم الله الأعظم» ﴿والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ و﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾^(٢).

(١) انظر: أسباب النزول للواحد ص (٥٤٨—٥٤٩) ومراجع التحقيق فيه.

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة باب الدعاء ١٤٥/٢.

والترمذي: في الدعوات — باب: ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله ﷺ ٤٤٧/٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح وابن

ماجه: في الدعاء — باب: اسم الله الأعظم (٣٨٥٥) ١٢٦٧/٢.

والدارمي: في فضائل القرآن — باب: فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي: ٤٥٠/٢.

وأحمد: ٤٦١/٦ عن أسماء بنت يزيد.

والمصنف في شرح السنة ٣٩/٥ وقال حديث غريب كلهم من حديث عبيد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب وعبيد الله بن أبي

زياد ليس بالقوي قال أبو داود أحاديثه مناكير.

ميزان الاعتدال ٨/٣ تقريب التهذيب، الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ١٥٦.

وشهر بن حوشب ليس بالقوي وكثير الأوهام والارسل، ميزان الاعتدال ٢٨٣/٢ تقريب التهذيب والضعفاء والمتروكين للنسائي ص ١٣٤.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي
الْبَحْرِ يَمَافِعُ النَّاسِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ
فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

قال أبو الضحى^(١): لما نزلت هذه الآية قال المشركون: إن محمداً يقول إن إلهكم إله واحد فليأتنا بآية إن كان من الصادقين فأنزل الله عز وجل ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ذكر السماوات بلفظ الجمع والأرض بلفظ الواحد لأن كل سماء ليست من جنس واحد بل من جنس آخر، والأرضون كلها من جنس واحد وهو التراب، فالآية في السماوات سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة وماترى فيها من الشمس والقمر والنجوم، والآية في الأرض مداها وبسطها وسعتها وما ترى فيها من الأشجار والأنهار والجبال والبحار والجواهر والنبات.

قوله تعالى: ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ أي تعاقبهما في الذهاب والحجاء يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أي بعده نظيره قوله تعالى: «وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه» (٦٢ - الفرقان) قال عطاء: أراد اختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان. والليل جمع ليلة، والليالي جمع الجمع. والنهار جُمعُ نُهْرٌ وقدم الليل على النهار في الذكر لأنه أقدم منه قال الله تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) (٣٧ - يس).

﴿والفلك التي تجري في البحر﴾ يعنى السفن واحده وجمعه سواء فإذا أريد به الجمع يؤنث وفي الواحد يذكر قال الله تعالى: في الواحد والتذكير «إذ أبق إلى الفلك المشحون» (١٤٠ - الصافات) وقال في الجمع والتأنيث «حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة» (٢٢ - يونس).

﴿والفلك التي تجري في البحر﴾ الآية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة لا ترسب تحت الماء ﴿بما ينفع الناس﴾ يعنى ركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب وأنواع المطالب ﴿وما أنزل الله من السماء من ماء﴾ يعنى المطر قيل: أراد بالسماء السحاب، يخلق الله الماء في السحاب ثم من السحاب ينزل وقيل أراد به السماء المعروفة يخلق الله تعالى الماء في السماء ثم ينزل من السماء إلى السحاب ثم من السحاب ينزل إلى الأرض ﴿فأحيا به﴾ أي بالماء ﴿الأرض بعد موتها﴾ أي

(١) انظر في الدر المنثور في التفسير بالماثور للسيوطي ٣٩٥/١ وقد عزاه لوكيع والفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وأبي الشيخ في العظة والبيهقي في شعب الإيمان.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾

بعد بيوستها وجدويتها ﴿ويث فيها﴾ أي فرق فيها ﴿من كل دابة وتصريف الرياح﴾ .

قرأ حمزة والكسائي الريح بغير ألف وقرأ الباقون بالألف وكل ربح في القرآن ليس فيها ألف ولا لام اختلفوا في جمعها وتوحيدها إلا في الذاريات «الريح العقيم» (٤١ - الذاريات) اتفقوا على توحيدها وفي الحرف الأول من سورة الروم «الرياح مبشرات» (٤٦ - الروم) اتفقوا على جمعها، وقرأ أبو جعفر سائرهما على الجمع، والقراء مختلفون فيها، والريح يذكر ويؤنث، وتصريفها أنها تتصرف إلى الجنوب والشمال والقبول والدبور والنكباء^(١).

وقيل: تصريفها أنها تارة تكون لينا وتارة تكون عاصفاً وتارة تكون حارة وتارة تكون باردة قال ابن عباس: أعظم جنود الله الريح والماء وسميت الريح ريحاً لأنها تريح النفوس قال شرح القاضي: ما هبت ربح إلا لشفاء سقيم أو لسقم صحيح والبشارة في ثلاث من الرياح في الصبا والشمال والجنوب أما الدبور فهي الريح العقيم لا بشارة فيها وقيل الرياح ثمانية: أربعة للرحمة وأربعة للعذاب. فأما التي للرحمة المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات وأما التي للعذاب فالعقيم والصرصر في البر والعاصف والقاصف في البحر ﴿والسحاب المسخر﴾ أي الغيم المذلل سمي سحاباً لأنه ينسحب أي يسير في سرعة كأنه يسحب أي يجر ﴿بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقاً وصانعاً قال وهب بن منبه: ثلاثة لا يدري من أين تجيء الرعد والبرق والسحاب.

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً﴾ أي أصناماً يعبدونها ﴿يحبونهم كحب الله﴾ أي يحبون آلهتهم كحب المؤمنين الله، وقال الزجاج: يحبون الأصنام كما يحبون الله لأنهم أشركوها مع الله فسووا بين الله وبين أوثانهم في المحبة ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ أي أثبت وأدوم على حبه لأنهم لا يختارون على الله ما سواه والمشركون إذا اتخذوا صنماً ثم رأوا أحسن منه طرحوا الأول واختاروا الثاني قال قتادة: إن الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء ويقبل على الله تعالى كما أخبر الله عز وجل عنهم فقال: ﴿إِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٦٥ - العنكبوت) والمؤمن لا يعرض عن الله في السراء

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٥/٣ - ٢٧٦، الدر المنثور: ٣٩٦/١ - ٣٩٧.

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَتَيْنَا لَنُنَادِيَنَّكُمْ فَمَا تَدْعِيكُمْ إِلَيْهِمْ فَاسْتَجِيبُوا لَهُمْ نَحْنُ أَهْلُهُمْ أَتَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أَمْ الْحَدِيثُ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا أَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا تَدْعُونَ ﴿١٦٧﴾

والضراء والشدة والرخاء^(١).

قال سعيد بن جبیر: إن الله عز وجل يأمر يوم القيامة من أحرقت نفسه في الدنيا على رؤية الأصنام^(٢) أن يدخلوا جهنم مع أصنامهم فلا يدخلون لعلمهم أن عذاب جهنم على الدوام، ثم يقول للمؤمنين وهم بين أيدي الكفار: «إن كنتم أحبائي فادخلوا جهنم» فيقتحمون فيها فينادي مناد من تحت العرش ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ وقيل إنما قال ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ لأن الله تعالى أحبهم أولاً ثم أحبوه ومن شهد له المعبود بالحببة كانت محبته أتم قال الله تعالى: «يحبهم ويحبونه» (٥٤ — المائة).

قوله تعالى: ﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ قرأ نافع وابن عامر ويعقوب ولو ترى بالياء وقرأ الآخرون بالياء وجواب لو هاهنا محذوف ومثله كثير في القرآن كقوله تعالى «ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به» (الرعد — ٣١) يعني لكان هذا القرآن فمن قرأ بالياء معناه ولو ترى يا محمد الذين ظلموا أنفسهم من شدة العذاب لرأيت أمراً عظيماً، قيل: معناه قل يا محمد: أيها الظالم لو ترى الذين ظلموا أو أشركوا في شدة العقاب لرأيت أمراً فظيماً، ومن قرأ بالياء معناه ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب أو لو رأوا شدة عذاب الله وعقوبته حين يرون العذاب لعرفوا مضرة الكفر وأن ما اتخذوا من الأصنام لا ينفعهم.

قوله تعالى: ﴿إذ يرون﴾ قرأ ابن عامر بضم الياء والباقون بفتحها ﴿العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب﴾ أي بأن القوة لله جميعاً معناه لرأوا وأيقنوا أن القوة لله جميعاً.

وقرأ أبو جعفر ويعقوب إن القوة وإن الله بكسر الألف على الاستئناف والكلام تام عند قوله ﴿إذ يرون العذاب﴾ مع إضمار الجواب ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب﴾ هذا في يوم القيامة / حين يجمع الله القادة والأتباع فيتبرأ بعضهم من بعض، هذا قول أكثر المفسرين، وقال السدي: هم الشياطين يتبرأون من الإنس ﴿وتقطعت بهم﴾ أي عنهم ﴿الأسباب﴾ أي الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا من القرابات والصدقات وصارت مخالفتهم عداوة، وقال ابن جريج: الأرحام كما قال الله تعالى: «فلا أنساب بينهم يومئذ» (١٠١ — المؤمنون) وقال السدي: يعني الأعمال التي كانوا

(١) انظر: الوسيط للواحدى: ٢٣٦/١.

(٢) في هامش (أ): لأن من الكفار من يعبد النار إلى آخر العمر، ثم يحرق نفسه فداءً للصنم.

يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ
لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

يعملونها في الدنيا كما قال الله تعالى «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً» (٢٣) -
الفرقان).

وأصل السبب ما يوصل به إلى الشيء من ذريعة أو قرابة أو مودة ومنه يقال للحبل سبب وللطريق
سبب ﴿وقال الذين اتبعوا﴾ يعني الأتباع ﴿لو أن لنا كرة﴾ أي رجعة إلى الدنيا ﴿فتتبرأ منهم﴾ أي
من المتبوعين ﴿كما تبرؤا منا﴾ اليوم ﴿كذلك﴾ أي كما أراهم العذاب كذلك ﴿يربهم الله﴾ وقيل كبرىء
بعضهم من بعض يربهم الله ﴿أعمالهم حسرات﴾ ندامات ﴿عليهم﴾ جمع حسرة قيل يربهم الله ما
ارتكبوا من السيئات فيتحسرون لِمَ عملوا، وقيل يربهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها وقال
ابن كيسان: إنهم أشركوا بالله الأوثان رجاء أن تقرهم إلى الله عز وجل، فلما عذبوا على ما كانوا يرجون
ثوابه تحسروا وندموا. قال السدي: ترفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها لو أطاعوا الله فيقال لهم
تلك مساكنكم لو أطعتم الله، ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يندمون^(١) ويتحسرون ﴿وما هم
بخارجين من النار﴾ .

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن
صعصعة وبنو مدلج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام،
فالحلال ما أحله الشرع طيباً، قيل: ما يستطاب ويستلذ، والمسلم يستطيب الحلال ويعاف الحرام، وقيل
الطيب الطاهر ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر والكسائي وحفص ويعقوب
بضم الطاء والباقون بسكونها وخطوات الشيطان آثاره وزلاته، وقيل هي النذر في المعاصي. وقال أبو
عبيدة: هي المحقرات من الذنوب. وقال الزجاج: طرقة ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ بين العداوة وقيل مظهر
العداوة، وقد أظهر عداوته بإيائه السجود لآدم وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة.

وأبان يكون لازماً ومتعدياً ثم ذكر عداوته فقال: ﴿إنما يأمركم بالسوء﴾ أي بالإثم وأصل السوء ما
يسوء صاحبه وهو مصدر ساء يسوء سواً ومساءة أي أحزنه، وسوأته فساء أي حزنه فحزن
﴿والفحشاء﴾ المعاصي وما قبح من القول والفعل وهو مصدر كالسراء والضراء. روى باذان عن ابن

(١) انظر الطبري ٢٩٦/٣.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانُوا
 ءِآبَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ
 الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمِي فِهِمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾

عباس قال: الفحشاء من المعاصي ما يجب فيه الحد والسوء من الذنوب ما لاحد فيه. وقال السدي: هي الزنا وقيل هي البخل ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم الحرث والأنعام.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ قيل هذه قصة مستأنفة والهاء والميم في لهم كناية عن غير مذكور. روي عن ابن عباس قال: دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام، فقال رافع بن خارجه ومالك بن عوف قالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أي ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا خيراً وأعلم منا، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١)، وقيل الآية متصلة بما قبلها وهي نازلة في مشركي العرب وكفار قريش والهاء والميم عائدة إلى قوله «ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً» (١٦٥ - البقرة) ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾ أي ما وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءُنَا﴾ من عبادة الأصنام، وقيل معناه: وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله في تحليل ما حرموه على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة. والهاء والميم عائدة إلى الناس في قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كَلْوًا﴾ ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ﴾ قرأ الكسائي: بل نتبع بإدغام اللام في النون. وكذلك يدغم لام هل وبل في التاء والتاء والزاي والسين والصاد والطاء والظاء ووافق حمزة في التاء والتاء والسين ﴿مَا أَلْفَيْنَا﴾ ما وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءُنَا﴾ من التحريم والتحليل.

قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَانُوا ءِآبَاءَهُمْ﴾ أي كيف يتبعون آباءهم وآباؤهم ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ والواو في «أُولَٰئِكَ» واو العطف، ويقال لها واو التعجب دخلت عليها ألف الاستفهام للتوبيخ والمعنى أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالاً لا يعقلون شيئاً، لفظه عام ومعناه الخصوص. أي لا يعقلون شيئاً من أمور الدين لأنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ ثم ضرب الله مثلاً فقال جل ذكره:

﴿وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ والنعيق والنق صوت الراعي بالغنم معناه مثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم إلى الله عز وجل كمثل الراعي الذي ينق بالغنم، وقيل مثل واعظ الكفار وداعيتهم معهم كمثل الراعي ينق بالغنم وهي لا تسمع ﴿إِلَّا دُعَاءً﴾ صوتاً ﴿وَنِدَاءً﴾ فأضاف المثل إلى الذين كفروا للدلالة الكلام عليه كما في قوله تعالى «وأسأل القرية» (٨٢) - يوسف) معناه كما أن البهائم تسمع صوت الراعي ولا تفهم ولا تعقل ما يقال لها، كذلك الكافر لا ينتفع

(١) انظر تفسير الطبري ٣/٣٠٥.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِتْيَاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ
لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

بوعظك إنما يسمع صوتك. وقيل: معناه: ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله وعن رسوله
كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الأمر والنهي إلا الصوت فيكون المعنى للمنعوق به والكلام
خارج عن الناقع وهو فاش في كلام العرب يفعلون ذلك ويقلبون الكلام لإيضاح المعنى عندهم، يقولون
فلان يخالفك كخوف الأسد، أي كخوفه الأسد. وقال تعالى «ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة» (٧٦) —
القصص) وإنما العصبة تنوء بالمفاتيح وقيل معناه مثل الذين كفروا في دعاء الأصنام التي لا تفقه ولا تعقل
كمثل الناقع بالغنم فلا ينتفع من نعيقه بشيء غير أنه في عناء من الدعاء والنداء، كذلك الكافر ليس له
من دعاء الآلهة وعبادتها إلا العناء والبلاء كما قال تعالى «إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما
استجابوا لكم» (١٤) — فاطر).

وقيل معنى الآية ومثل الذين كفروا في دعاء الأوثان كمثل الذي يصيح في جوف الجبال فيسمع
صوتاً يقال له: الصدى لا يفهم منه شيئاً، فمعنى الآية كمثل الذي ينفق بما لا يسمع منه الناقع إلا
دعاء ونداء ﴿صم﴾ يقول العرب لمن يسمع ولا يعقل: كأنه أصم ﴿بكم﴾ عن الخير لا يقولونه
﴿عمي﴾ عن الهدى لا يصرونه ﴿فهم لا يعقلون﴾.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتٍ﴾ من حلالات ﴿ما رزقناكم﴾.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن
محمد بن عبد العزيز البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا فضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي
حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ اللَّهُ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ وَإِنْ اللَّهُ
أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: «يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَعَمَلُوا صَالِحاً» (٥١) —
المؤمنون) وقال ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتٍ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر
يمد يده إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب
لذلك»^(١).

(١) أخرجه مسلم: في الزكاة — باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب برقم (١٠١٥) ٧٠٣/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٧/٨ — ٨.

﴿واشكروا لله﴾ على نعمه ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ ثم بين المحرمات فقال: ﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾ قرأ أبو جعفر الميتة في كل القرآن بالتشديد والباقون يشددون البعض. والميتة كل ما لم تدرك ذكاته مما يذبح ﴿والدم﴾ أراد بالدم الجاري يدل عليه قوله تعالى «أو دماً مسفوحاً» (١٤٥) — الأنعام) واستثنى الشرع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال فأحلها.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «أُحِلَّتْ لَنَا مِيتَتَانِ وَدَمَانِ، الْمِيتَتَانِ الْحَوْتُ وَالْجَرَادُ، وَالدَّمَانِ، أَحْسَبُهُ قَالَ: الْكَبِدُ وَالطَّحَالُ»^(١) ﴿ولحم الخنزير﴾ أراد به جميع أجزائه فعبّر عن ذلك باللحم لأنه معظمه ﴿وما أهل به لغير الله﴾ أي ما ذبح للأصنام والطواغيت، وأصل الإهلال رفع الصوت. وكانوا إذا ذبحوا لأهلهم يرفعون أصواتهم بذكرها فجرى ذلك من أمرهم حتى قيل لكل ذابح وإن لم يجهر بالتسمية مهل. وقال الربيع بن أنس وغيره ﴿وما أهل به لغير الله﴾ قال ما ذكر عليه اسم غير الله.

﴿فمن اضطر﴾ بكسر النون وأخواته قرأ عاصم وحمزة، ووافق أبو عمرو إلا في اللام والواو مثل «قل ادعوا لله أو ادعوا الرحمن» (١١٠ — الإسراء) ويعقوب إلا في الواو، ووافق ابن عامر في التنوين، والباقون كلهم بالضم، فمن كسر قال: لأن الجزم يحرك إلى الكسر، ومن ضم فلضمة أول الفعل نقل حركتها إلى ما قبلها، وأبو جعفر بكسر الطاء ومعناه فمن اضطر إلى أكل ميتة أي أحوج وألجئ إليه ﴿غير﴾ نصب على الحال، وقيل على الاستثناء وإذا رأيت (غير) يصلح في موضعها (لا) فهي حال، وإذا صلح في موضعها (إلا) فهي استثناء ﴿باغ ولا عاد﴾ أصل البغي قصد الفساد، يقال بغى الجرح يعني بغياً إذا ترامى إلى الفساد، وأصل العدوان الظلم ومجاوزة الحد يقال عدا عليه عدواً وعدواناً إذا ظلم واختلفوا في معنى قوله ﴿غير باغ ولا عاد﴾ فقال بعضهم ﴿غير باغ﴾ أي: خارج على السلطان، ولا عاد: متعدٍ عاصٍ بسفره، بأن خرج لقطع الطريق أو لفساد في الأرض. وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير. وقالوا لا يجوز للعاصي بسفره أن يأكل الميتة إذا اضطر إليها ولا أن يترخص المسافر حتى يتوب، وبه قال الشافعي رحمه الله: لأن إباحته له إعانة له على فساده، وذهب جماعة إلى أن البغي والعدوان راجعان

(١) رواه ابن ماجه: في الأطعمة — باب الكبد والطحال برقم (٣٣١٤) ١١٠٢/٢ من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف (التقريب — ميزان الاعتدال)، والإمام أحمد في المسند ٩٧/٢ عن ابن عمر، والشافعي في المسند: ١٧٣/٢ واللفظ له. والبيهقي: ٢٥٤/١ موقوفاً ثم قال: وهذا إسناد صحيح. والدارقطني: ٢٧٢/٤، وعزاه الزيلعي في نصب الراية: ٢٠٢/٤ للشافعي وعبد بن حميد وابن حبان في الضعفاء وابن عدي، وقال: له طريق آخر.

والحديث أخرجه البغوي أيضاً في شرح السنة: ٢٤٤/١١.

والحديث والله أعلم موقوف على ابن عمر، وهو في حكم المرفوع انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم الحديث (١١١٨).

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا
يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾

إلى الأكل واختلفوا في تفصيله. فقال الحسن وقتادة ﴿غير باغ﴾ لا تأكله من غير اضطرار ﴿ولا عاد﴾ أي لا يعدو لشبعه. وقيل ﴿غير باغ﴾ أي غير طالها وهو يجد غيرها ﴿ولا عاد﴾ أي غير متعد ما حد له فما يأكل حتى يشبع ولكن يأكل منها قوتاً مقدار ما يمسك رمقه. وقال مقاتل بن حيان ﴿غير باغ﴾ أي مستحل لها ﴿ولا عاد﴾ أي متزود منها. وقيل ﴿غير باغ﴾ أي غير مجاوز للقدر الذي أحل له ﴿ولا عاد﴾ أي لا يقصر فيما أبيح له فيدعه قال مسروق: من اضطر إلى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل ولم يشرب حتى مات دخل النار.

واختلف العلماء في مقدار ما يحل للمضطر أكله من الميتة، فقال بعضهم مقدار ما يسد رمقه. وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه وأحد قولي الشافعي رضي الله عنه^(١). والقول الآخر يجوز أن يأكل حتى يشبع وبه قال مالك رحمه الله تعالى. وقال سهل بن عبد الله ﴿غير باغ﴾ مفارق للجماعة ﴿ولا عاد﴾ مبتدع مخالف للسنة ولم يرخص للمبتدع في تناول المحرم عند الضرورة ﴿فلا إثم عليه﴾ أي فلا حرج عليه في أكلها ﴿إن الله غفور﴾ لمن أكل في حال الاضطرار ﴿رحيم﴾ حيث رخص للعباد في ذلك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ «نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم، فلما بعث محمد ﷺ من غيرهم خافوا ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة رسول الله ﷺ فغيروها ثم أخرجوها إليهم، فلما نظرت السفلة إلى النعت المغير وجدوه مخالفاً لصفة محمد ﷺ فلم يتبعوه» فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾^(٢) يعني صفة محمد ﷺ ونبوته ﴿ويشترون به﴾ أي بالمتكتم ﴿ثمناً قليلاً﴾ أي عوضاً يسيراً يعني المآكل التي يصيبونها من سفلتهم ﴿أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾ يعني إلا ما يؤديهم إلى النار وهو الرشوة والحرام وثمن الدين، فلما كان يفضي ذلك بهم إلى النار فكأنهم أكلوا النار وقيل معناه أنه يصير ناراً في بطونهم ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾ أي لا يكلمهم بالرحمة وبما يسرهم إنما يكلمهم بالتوبيخ. وقيل: أراد به أنه يكون عليهم غضبان، كما يقال: فلان

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص: ١٥٦/١ - ١٦١، أحكام القرآن لابن العربي: ٥٥/١ - ٥٧.

(٢) أخرجه الثعلبي بسند ضعيف عن ابن عباس انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٤٠٩/١.

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ
 عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ
 لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ
 ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي
 الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ
 وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ
 الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

لا يكلم فلاناً إذا كان عليه غضبان ﴿ولا يذكهم﴾ أي لا يطهرهم من دنس الذنوب ﴿ولهم عذاب
 أليم﴾ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ﴿قال عطاء
 والسدي: هو ما: استفهام معناه ما الذي صبرهم على النار وأي شيء يصبرهم على النار حتى تركوا الحق
 واتبعوا الباطل وقال الحسن وقتادة: والله ما لهم عليها من صبر ولكن ما أجرأهم على العمل الذي يقربهم
 إلى النار قال الكسائي: فما أصبرهم على عمل أهل النار أي ما أدومهم عليه ﴿ذلك بأن الله نزل
 الكتاب بالحق﴾ يعني ذلك العذاب بأن الله نزل الكتاب بالحق فأنكروه وكفروا به وحينئذ يكون ذلك في
 محل الرفع وقال بعضهم محله نصب معناه فعلنا ذلك بهم بأن الله أي لأن الله نزل الكتاب بالحق فاختلفوا
 فيه وقيل معناه ذلك أي فعلهم الذي يفعلون من الكفر والاختلاف والاجترار على الله من أجل أن الله
 نزل الكتاب بالحق وهو قوله تعالى «إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون. ختم الله
 على قلوبهم» (٧ - البقرة) ﴿وإن الذين اختلفوا في الكتاب﴾ فآمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿لفي
 شقاق بعيد﴾ أي في خلاف وضلال بعيد.

قوله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ قرأ حمزة وحفص: ليس البر بنصب
 الرءاء، والباقون برفعها، فمن رفعها جعل ﴿البر﴾ اسم ليس، وخبره قوله: أن تولوا، تقديره: ليس البر
 توليتكم وجوهكم. ومن نصب جعل ﴿أن تولوا﴾ في موضع الرفع على اسم ليس تقديره: ليس توليتكم
 وجوهكم البر كله، كقوله تعالى «ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا» (٢٥ - الجاثية).
 والبر كل عمل خير يفضي بصاحبه إلى الجنة واختلفوا في المخاطبين بهذه الآية، فقال قوم: عنى بها اليهود
 والنصارى، وذلك أن اليهود كانت تصلي قبل المغرب إلى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق، وزعم كل

فريق منهم: أن البر في ذلك، فأخبر الله تعالى أن البر غير دينهم وعملهم ولكنه ما بينه في هذه الآية وعلى هذا القول قتادة ومقاتل بن حيان. وقال الآخرون: المراد بها المؤمنون وذلك أن الرجل كان في ابتداء الإسلام قبل نزول الفرائض إذا أتى بالشهادتين وصلى الصلاة إلى أي جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة. ١/٢٤

ولما هاجر رسول الله ﷺ ونزلت الفرائض وحددت الحدود وصرفت القبلة إلى الكعبة أنزل الله هذه الآية فقال: ﴿ليس البر﴾^(١) أي كله أن تصلوا قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا على غير ذلك ﴿ولكن البر﴾ ما ذكر في هذه الآية وعلى هذا القول ابن عباس ومجاهد وعطاء والضحاك. ﴿ولكن البر﴾ قرأ نافع وابن عامر ولكن خفيفة النون البر رفع وقرأ الباقر بتشديد النون ونصب البر.

قوله تعالى: ﴿من آمن بالله﴾ جعل من وهي اسم خبر للبر وهو فعل ولا يقال البر زيد واختلفوا في وجهه قيل لما وقع من في موضع المصدر جعله خبراً للبر كأنه قال ولكن البر الإيمان بالله والعرب تجعل الاسم خبراً للفعل وأنشد الفراء:

لعمرك ما الفتیان أن تثبت اللحي ولكنما الفتیان كل فتى ندى

فجعل نبات اللحي خبراً للفتى وقيل فيه إضمار معناه ولكن البر بر من آمن بالله فاستغنى بذكر الأول عن الثاني كقولهم الجود حاتم أي الجود جود حاتم وقيل معناه ولكن ذا البر من آمن بالله كقوله تعالى: «هم درجات عند الله» (١٦٣ — آل عمران) أي ذو درجات وقيل معناه ولكن البار من آمن بالله كقوله تعالى «والعاقبة للمتقوى» (١٣٢ — طه) أي للمتقي والمراد من البر هاهنا الإيمان والتقوى.

﴿واليوم الآخر والملائكة﴾ كلهم ﴿والكتاب﴾ يعني الكتب المنزلة ﴿والنبيين﴾ أجمع ﴿وآتي المال﴾ أعطى المال ﴿على حبه﴾ اختلفوا في هذه الكناية فقال أكثر أهل التفسير: إنها راجعة إلى المال أي أعطى المال في حال صحته ومحبهته المال قال ابن مسعود: أن تؤتيه وأنت صحيح صحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا موسى بن إسماعيل أخبرنا عبد الواحد ثنا عمارة بن القعقاع أنا أبو زرعة أخبرنا أبو هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان

(١) انظر: الطبري: ٣/٢٣٧ — ٣٣٨، الواحدي: ١/٢٥٠.

كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان»^(١).
وقيل هي عائدة على الله عز وجل أي على حب الله تعالى.

﴿ذوي القرى﴾ أهل القرابة.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أخبرنا أبو العباس المحبوبي أخبرنا أبو عيسى الترمذي أخبرنا قتيبة أخبرنا سفيان بن عيينة عن عاصم الأحول عن حفصة بنت سيرين عن الرباب عن عمها سلمان بن عامر يبلغ به النبي ﷺ قال: «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصله»^(٢).

قوله تعالى: ﴿واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ قال مجاهد: يعني المسافر المنقطع عن أهله يمر عليك ويقال للمسافر ابن السبيل لملازمته الطريق، وقيل: هو الضيف ينزل بالرجل قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»^(٣) ﴿والسائلين﴾ يعني الطالبين.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبي مجيد الأنصاري وهو عبد الرحمن بن مجيد عن جدته وهي أم مجيد أن رسول الله ﷺ قال: «رُدُّوا السائل ولو بظلف مُحَرَّقٍ» وفي رواية قالها رسول الله ﷺ: «إن لم تجدي شيئاً إلا ظلماً محرّقاً فادفعيه إليه»^(٤) قوله تعالى ﴿وفي الرقاب﴾ يعني المكاتبين قاله أكثر المفسرين،

(١) رواه البخاري: في الزكاة — باب: فضل صدقة الصحيح الشحيح: ٢٨٤/٣ — ٥٨٥ وفي الوصايا.

ومسلم: في الزكاة — باب: بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح برقم (١٠٣٢) ٧١٦/٢. والمصنف في شرح السنة: ١٧٢/٦ — ١٧٣.

(٢) رواه الترمذي: في الزكاة: باب ما جاء في الصدقة على القرابة: ٣٢٤/٣ وقال: حديث حسن.

والنسائي: في الزكاة: باب: الصدقة على الأثارب: ٩٢/٥.

وابن ماجه: في الزكاة: باب: فضل الصدقة: (١٨٤٤) ٥٩١/١.

والدارمي: في الزكاة باب: الصدقة على القرابة: ٣٩٧/١.

وأحمد: ٤/ ٢١٤، ١٨ عن سلمان بن عامر.

وابن حبان: في موارد الظمان ص ١١٢

والحاكم: ٤٠٧/١ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي (انظر مجمع الزوائد: ١١٧/٣).

والمصنف في شرح السنة: ١٩٢/٦.

(ورجاله ثقات إلا الرباب أم الرائح قال الحافظ في التقريب مقبولة وفي الميزان (الرباب بنت صليح عن عمها سلمان بن عامر لا تعرف إلا برواية حفصة بنت سيرين عنها).

(٣) رواه البخاري: في الرقاق — باب: حفظ اللسان: ٣٠٨/١١ وفي النكاح والأدب.

مسلم: في الإيمان: باب الحث على إكرام الجار برقم (٤٧) ٦٨/١.

والمصنف في شرح السنة: ٢١٢/١٤.

(٤) رواه أبو داود: في الزكاة — باب: حق السائل: ٢٥١/٢.

والترمذي: في الزكاة — باب: ما جاء في حق السائل: ٣٣٢/٣ وقال حسن صحيح.

وقيل: عتق النسمة وفك الرقبة وقيل: فداء الأسارى ﴿وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾ وأعطى الزكاة ﴿والموفون بعهدهم﴾ فيما بينهم وبين الله عز وجل وفيما بينهم وبين الناس ﴿إذا عاهدوا﴾ يعني إذا وعدوا أنجزوا، وإذا حلفوا ونذروا أوفوا، وإذا عاهدوا أوفوا، وإذا قالوا صدقوا، وإذا ائتمنوا أدوا، واختلفوا في رفع قوله والموفون قيل هو عطف على خير معناه ولكن ذا البر المؤمنون والموفون بعهدهم وقيل تقديره: وهم الموفون كأنه عد أصنافاً ثم قال: هم والموفون كذا، وقيل رفع على الابتداء والخبر يعني وهم الموفون ثم قال ﴿والصابرين﴾ وفي نصيبها أربعة أوجه:

قال أبو عبيدة: نصيبها على تطاول الكلام ومن شأن العرب أن تغير الإعراب إذا طال الكلام والنسق ومثله في سورة النساء «والمقيم الصلاة» (سورة المائدة - ١٦٢) (والصابون والنصارى)، وقيل معناه أعني الصابرين، وقيل نصبه نسقاً على قوله ذوي القرى أي وآتى الصابرين.

وقال الخليل: نصب على المدح والعرب تنصب الكلام على المدح والذم [كأنهم يريدون إفراد الممدوح والمذموم فلا يتبعونه أول الكلام وينصبونه فالمدح كقوله تعالى «والمقيم الصلاة»] ^(١) (١٦٢ - النساء).

والذم كقوله تعالى «ملعونين أينما ثقفوا» (٦١ - الأحزاب).

قوله تعالى ﴿في البأساء﴾ أي الشدة والفقير ﴿والضراء﴾ المرض والزمانة ﴿وحين البأس﴾ أي القتال والحرب.

أخبرنا المطهر بن علي بن عبد الله الفارسي أخبرنا أبو ذر محمد بن إبراهيم الصالحاني أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا زهير عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا إذا احمر البأس ولقي

= والنسائي في الزكاة باب تفسير المسكين ٨٦/٥.

وصححه الحاكم ٤١٧/١ ووافقه الذهبي.

وابن حبان ٣٨٣/٦ بلفظ ردوا السائل ولو بظلف.

وأحمد: ٣٨٢/٦ بسند قوي.

والمصنف في شرح السنة ١٧٥/٦.

(١) ساقط من «أ».

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ
بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْيَعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾

القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه^(١). يعني إذا اشتد الحرب
﴿أولئك الذين صدقوا﴾ في إيمانهم ﴿وأولئك هم المتقون﴾ .

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ قال الشعبي والكلبي وقادة: نزلت هذه
الآية في حين من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل وكانت بينهما قتلى وجراحات لم
يأخذها بعضهم من بعض حتى جاء الإسلام، قال مقاتل بن حيان: كانت بين بني قريظة والنضير،
وقال سعيد بن جبير: كانت بين الأوس والخزرج، وقالوا جميعاً كان لأحد الحيين على الآخر طول في
الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهور فأقسموا: لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل
منهم وبالرجل منا الرجلين منهم، وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات أولئك فرفعوا أمرهم إلى النبي ﷺ،
فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمر بالمساواة فرضوا وأسلموا^(٢).

قوله ﴿كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ أي فرض عليكم القصاص ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ والقصاص المساواة
والمماثلة في الجراحات والديات، وأصله من قص الأثر إذا تبعه فالمفعول به يتبع ما فعل به فيفعل مثله.
ثم بين المماثلة فقال: ﴿الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾ وجملة الحكم فيه أنه إذا تكافأ
الدمان في الأحرار المسلمين أو العبيد من المسلمين أو الأحرار من المعاهدين أو العبيد منهم قتل من كل
صنف منهم الذكر إذا قتل بالذكر والأنثى، وتقتل الأنثى إذا قتلت بالأنثى وبالذكر، ولا يقتل مؤمن بكافر
ولا حر بعبد، ولا والد بولد، ولا مسلم بذمي، ويقتل الذمي بالمسلم، والعبد بالحر، والولد بالوالد. هذا قول
أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم
أخبرنا الربيع بن سليمان أنا الشافعي أخبرنا سفيان بن عيينة عن مطرف عن الشعبي عن أبي جحيفة
قال: «سألت علياً رضي الله عنه هل عندك عن النبي ﷺ شيء سوى القرآن؟ / فقال لا: /

ب/٢٤

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير باب: في غزوة حنين عن البراء عن ١٧٧٦/٣.

والحاكم في المستدرک: ١٤٣/٢ بلفظ: كنا إذا حمي.

(٢) انظر: الطبري: ٣٥٩/٣، الوسيط للواحدي: ٢٥٤/١.

والذي خلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن وما في هذه الصحيفة، قلت وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مؤمن بكافر»^(١).

وروي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقام الحدود في المساجد، ولا يقاد بالولد الوالد»^(٢). وذهب الشعبي والنخعي وأصحاب الرأي إلى أن المسلم يقتل بالذمي، وإلى أن الحر يقتل بالعبد، والحديث حجة لمن لم يوجب القصاص على المسلم بقتل الذمي، وتقتل الجماعة بالواحد. «روي عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قتل سبعة أو خمسة برجل قتلوه غيلة، وقال لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به جميعاً»^(٣) ويجري القصاص في الأطراف كما يجري في النفوس إلا في شيء واحد وهو أن الصحيح السوي يقتل بالمريض الزّمن، وفي الأطراف لو قطع يداً شلاءً أو ناقصة بأصبع لا تقطع بها الصحيحة الكاملة، وذهب أصحاب الرأي إلى أن القصاص في الأطراف لا يجري إلا بين حرين أو حرتين ولا يجري بين الذكر والأنثى ولا بين العبيد ولا بين الحر والعبد، وعند الآخرين الطرف في القصاص مقيس على النفس^(٤).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن منير أنه سمع عبد الله بن بكر السهمي أخبرنا حميد عن أنس ابن النضر أن الرّبّع عمته كسرت ثنيّةً جارية، فطلبوا إليها العفو، فأبوا فعرضوا الأرش^(٥) فأبوا فأتوا رسول الله ﷺ فأبوا إلا القصاص، فأمر رسول الله ﷺ بالقصاص، فقال أنس بن النضر: يا رسول الله أتكسر ثنية الربيع لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيته، فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس كتاب الله القصاص» فرضي القوم فغفوا، فقال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»^(٦).

(١) البخاري: في الديات — باب: لا يقتل مسلم بالكافر: ٢٦٠/١٢.

والمصنف في شرح السنة: ١٧١/١٠.

(٢) أخرجه أبو داود: في الحدود — باب: في إقامة الحد في المسجد: ٢٩٢/٦ عن حكيم بن حزام بلفظ: (نهى رسول الله ﷺ أن يستقاد في المسجد، وأن تنشد فيه الأشعار وأن تقام فيه الحدود) قال المنذري: في إسناده محمد بن عبد الله بن المهاجر الشعبي النصري الدمشقي: وثقه غير واحد وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه ولا يحتج به.

الترمذي: في الديات — باب: ما جاء في الرجل يقتل ابنه يقاد منه أم لا ٦٥٦/٤ وقال: هذا حديث لا نعرفه بهذا الإسناد مرفوعاً إلا من حديث إسماعيل بن مسلم المكي وإسماعيل تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه.

وابن ماجه في الديات: ٨٨٨/٢، والدارمي في الديات: ١٩٠/٢، وصححه الحاكم: ٣٦٩/٤، والبيهقي في السنن: ٣٩/٨.

(٣) رواه البخاري: في الديات — باب: إذا أصاب قوم من رجل ٢٢٦/١٢ — ٢٢٧.

والمصنف في شرح السنة: ١٨٢/١٠ — ١٨٣.

(٤) انظر: احكام القرآن للجصاص ١٧١/١ وما بعدها.

(٥) الأرش: دية الجراحة.

(٦) رواه البخاري في الصلح — باب الصلح في الدية ٣٠٦/٥.

والمصنف في شرح السنة ١٦٦/١٠.

وَأَكْمٌ فِي الْقِصَاصِ حَيَوَةٌ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾

قوله تعالى ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ أي ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضي بالدية هذا قول أكثر المفسرين، قالوا: العفو أن تقبل الدية في قتل العمد وقوله (من أخيه) أي من دم أخيه وأراد بالأخ المقتول والكنائتان في قوله ﴿له﴾ و ﴿من أخيه﴾ ترجعان إلى من وهو القاتل، وقوله شيء دليل على أن بعض الأولياء إذا عفا يسقط القود لأن شيئاً من الدم قد بطل. قوله تعالى: ﴿فاتباع بالمعروف﴾ أي على الطالب للدية أن يتبع بالمعروف فلا يطالب بأكثر من حقه.

﴿وأداء إليه بإحسان﴾ أي على المطلوب منه أداء الدية بالإحسان من غير مماطلة، أمر كل واحد منهما بالإحسان فيما له وعليه ومذهب أكثر العلماء من الصحابة والتابعين أن ولي الدم إذا عفا عن القصاص على الدية فله أخذ الدية وإن لم يرض به القاتل، وقال قوم: لا دية له إلا برضاء القاتل، وهو قول الحسن والنخعي وأصحاب الرأي، وحجة المذهب الأول ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا محمد ابن إسماعيل بن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله ﷺ قال: «ثم أنتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القتل من هذيل وأنا والله عاقله فمن قتل بعده قتيلاً فأهله بين خيرتين إن أحبوا قتلوا وإن أحبوا أخذوا العقل»^(١).

قوله تعالى: ﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾ أي ذلك الذي ذكرت من العفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف من ربكم ورحمة، وذلك أن القصاص في النفس والجراح كان حتماً في التوراة على اليهود ولم يكن لهم أخذ الدية، وكان في شرع النصارى الدية ولم يكن لهم القصاص، فخير الله تعالى هذه الأمة بين القصاص وبين العفو على الدية تخفيفاً منه ورحمة.

﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ فقتل الجاني بعد العفو وقبول الدية ﴿فله عذاب أليم﴾ وهو أن يقتل قصاصاً، قال ابن جريج: يتحتم قتله حتى لا يقبل العفو، وفي الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافراً بالقتل، لأن الله تعالى خاطبه بعد القتل بخطاب الإيمان فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص﴾ وقال في آخر الآية ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ وأراد به أخوة الإيمان، فلم يقطع الأخوة بينهما بالقتل.

قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ أي بقاء، وذلك أن القاصد للقتل إذا علم أنه إذا قتل

(١) رواه البخاري: مطولاً عن أبي هريرة في الديات - باب من قتل له قتيلاً فهو بخير النظرين ١٢/٢٠٥، والشافعي في المسند: ٩٩/٢.

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨﴾

يقتل يمتنع عن القتل، فيكون فيه بقاؤه وبقاء من همم بقتله، وقيل في المثل: «القتل قتل القتل» وقيل في المثل: «القتل أنفى للقتل»، وقيل معنى الحياة سلامته من قصاص الآخرة، فإنه إذا اقتص منه حيي في الآخرة وإذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة ﴿يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾ أي تنتهون عن القتل مخافة القود.

قوله تعالى: ﴿كتب عليكم﴾ أي فرض عليكم ﴿إذا حضر أحدكم الموت﴾ أي جاءه أسباب الموت وآثاره من العلل والأمراض ﴿إن ترك خيراً﴾ أي مالا نظيره قوله تعالى «وما تنفقوا من خير» (٢٧٢) — البقرة ﴿الوصية للوالدين والأقربين﴾ كانت الوصية فريضة في ابتداء الإسلام للوالدين والأقربين على من مات وله مال ثم نسخت بأية الميراث^(١).

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزياتي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر أخبرنا محمد بن أحمد بن الوليد أخبرنا الهيثم بن جميل أخبرنا حماد بن سلمة عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن عمرو بن خارجة قال: كنت آخذاً بزمام ناقة النبي ﷺ فقال: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه ولا وصية لوارث»^(٢) فذهب جماعة إلى أن وجوبها صار منسوخاً في حق الأقارب الذين يرثون وبقي وجوبها في حق الذين لا يرثون من الوالدين والأقارب، وهو قول ابن عباس وطاووس وقتادة والحسن قال طاووس: من أوصى لقوم سماهم وترك ذوي قرابته محتاجين انتزعت منهم وردت إلى ذوي قرابته، وذهب الأكثرون إلى أن الوجوب صار منسوخاً في حق الكافة وهي حتمية في حق الذين لا يرثون.

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم بن سلامة ص (١٦)، أحكام القرآن للحصاص: ٢٠٣/١ — ٢٠٧.

(٢) حديث صحيح رواه أبو داود: في الوصايا: باب — في الوصية للوارث: ١٥٠/٤.

والترمذي: في الوصايا — باب: ما جاء لا وصية لوارث: ٣٠٩/٦. وقال حديث حسن صحيح.

والنسائي: في الوصايا: ٢٤٧/٦.

وابن ماجه: في الوصايا: ٢٧١٢ و ٢٧١٤ — ٩٠٥/٢ — ٩٠٦.

وأحمد: ١٨٦/٤ — ٢٦٧/٥ عن عمرو بن خارجة. وجزء من حديث عن أبي أمامة الباهلي.

والمصنف في شرح السنة: ٢٨٨/٥ — ٢٨٩.

وفي الباب عن ابن عباس، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص وعن جابر، وعن زيد بن أرقم وعن علي، وعن خارجة بن عمرو الجمحي وعن البراء.

انظر نصب الراية ٤/ ٤٠٣، ٤٠٥.

فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا طاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه بيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه»^(١).

قوله تعالى: ﴿بِالمعروف﴾ يريد يوصي بالمعروف ولا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير، قال ابن مسعود: الوصية للأخْلَ فالأخْلَ أي الأحوج فالأحوج.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى أخبرنا أبو جعفر محمد ابن علي بن رحيم الشيباني أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة^(٢) أخبرنا عبيد الله بن موسى وأبو نعيم عن سفيان الثوري عن سعيد بن إبراهيم عن عامر بن سعيد عن سعد بن مالك قال جاءني النبي ﷺ يعودني فقلت يا رسول الله ﷺ أوصي بمالي كله؟ قال لا قلت: فالشطر؟ قال لا، قلت: فالثلث؟ قال: «الثلث والثلث كثير إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكفون الناس بأيديهم»^(٣) أ / ٢٥

وعن ابن أبي مليكة أن رجلاً قال لعائشة رضي الله عنها: إني أريد أن أوصي، قالت كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف. قالت كم عيالك؟ قال: أربعة، قالت: إنما قال الله ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ وإن هذا شيء يسير فاترك لعيالك^(٤).

وقال علي رضي الله عنه: لأن أوصي بالخمسة أحب إلي من أن أوصي بالربع ولأن أوصي بالربع أحب إلي من أن أوصي بالثلث فمن أوصى بالثلث فلم يترك. وقال الحسن البصري رضي الله عنه يوصي بالسدس أو الخمس أو الربع، وقال الشعبي إنما كانوا يوصون بالخمسة أو الربع.

قوله تعالى: ﴿حَقًّا﴾ نصب على المصدر وقيل على المفعول أي جعل الوصية حقاً ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾

(١) رواه البخاري: في الوصايا — باب: الوصايا وقول النبي ﷺ وصية الرجل مكتوبة عنده ٣٥٥/٥.

ومسلم: في الوصية: برقم (١٦٢٧) ١٢٤٩/٣.

والمصنف في شرح السنة: ٢٧٧/٥.

(٢) في أ: ابن أبي عوزة والتصحيح من شرح السنة.

(٣) رواه البخاري: في الوصايا — باب أن يترك ورثته أغنياء خير... ٣٦٣/٥.

ومسلم: في الوصية — باب الوصية بالثلث برقم (١٦٢٨) ١٢٥٠/٣.

والمصنف في شرح السنة: ٢٨٢/٥ — ٢٨٣.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي (الدر المنثور للسيوطي) ٤٢٣/١.

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَتَّيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾

المؤمنين قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ أي غير الوصية في الأوصياء أو الأولياء أو الشهود ﴿بعد ما سمعه﴾ أي بعد ما سمع قول الموصي، ولذلك ذكر الكناية مع كون الوصية مؤنثة، وقيل الكناية راجعة إلى الإيصاء كقوله تعالى: «فمن جاءه موعظة من ربه» (٢٧٥ - البقرة) رد الكناية إلى الوعظ ﴿فإنما إثمهم على الذين يبدلون﴾ والميت بريء منه ﴿إن الله سميع﴾ لما أوصى به الموصي ﴿عليم﴾ بتبديل المبدل، أو سمع لوصيته علم بنيته.

قوله تعالى ﴿فمن خاف﴾ أي علم، كقوله تعالى: «فإن خفتم ألا يقيما حدود الله» (٢٢٩ - البقرة) أي علمتم ﴿من موص﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب بفتح الواو وتشديد الصاد، كقوله تعالى: «ما وصى به نوحاً» (١٣ - الشورى) «ووصينا الإنسان» (٨ - العنكبوت) وقرأ الآخرون بسكون الواو وتخفيف الصاد، كقوله تعالى: «يوصيكم الله في أولادكم» (١١ - النساء) «من بعد وصية يوصي بها أو دين» (١٢ - النساء) ﴿جنفاً﴾ أي جوراً وعدولاً عن الحق، والجنف: الميل ﴿أو إثماً﴾ أي ظلماً، قال السدي وعكرمة والربيع: الجنف الخطأ والإثم العمد ﴿فأصلح بينهم فلا إثم عليه﴾ واختلفوا في معنى الآية، قال مجاهد: معناها أن الرجل إذا حضر مريضاً وهو يوصي فرآه يميل إما بتقصير أو إسراف، أو وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج على من حضره أن يأمره بالعدل وينهاه عن الجنف فينظر للموصي وللورثة، وقال آخرون: إنه أراد به أنه إذا أخطأ الميت في وصيته أو جار متعمداً فلا حرج على وليه أو وصيه أو ولي أمور المسلمين أن يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصي لهم، ويرد الوصية إلى العدل والحق، فلا إثم عليه أي: فلا حرج عليه ﴿إن الله غفور رحيم﴾ وقال طاووس: جنفة توليعة، وهو أن يوصي لبي بنيه يريد ابنه ولولد ابنته ولزوج ابنته يريد بذلك ابنته.

قال الكلبي: كان الأولياء والأوصياء يمضون وصية الميت بعد نزول قوله تعالى: «فمن بدله بعد ما سمعه» الآية وإن استغرق المال كله ولم يبق للورثة شيء، ثم نسخها قوله تعالى: «فمن خاف من موصي جنفاً» الآية، قال ابن زيد: فعجز الموصي أن يوصي للوالدين والاقربين كما أمر الله تعالى، وعجز الموصي أن يصلح فانتزع الله تعالى ذلك منهم ففرض الفرائض.

روي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة، ثم

أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ
وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. وَأَنْ
تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

يخضرها الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار» ثم قرأ أبو هريرة: (من بعد وصية يوصي بها أو دين) إلى قوله (غير مضار) (١).

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أي فرض وأوجب، والصوم والصيام في اللغة الإمساك يقال: صام النهار إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة، لأن الشمس إذا بلغت كبد السماء وقفت وأمسكت عن السير سوية ومنه قوله تعالى: «فقولي إني نذرت للرحمن صوماً» (٢٦ — مريم) أي صمتاً لأنه إمساك عن الكلام، وفي الشريعة الصوم هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع مع النية في وقت مخصوص ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأنبياء والأمم، واختلفوا في هذا التشبيه (٢) فقال سعيد ابن جبير: كان صوم من قبلنا من العتمة إلى الليلة القابلة كما كان في ابتداء الإسلام.

وقال جماعة من أهل العلم: أراد أن صيام رمضان كان واجباً على النصارى كما فرض علينا، فرمما كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد، وكان يشق عليهم في أسفارهم ويضرهم في معاشهم، فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف، فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين، ثم إن ملكهم اشتكى فمه فجعل الله عليه إن هو برىء من وجعه أن يزيد في صومهم. أسبوعاً فبريء فزاد فيه أسبوعاً ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر فقال: أتموه خمسين يوماً، وقال مجاهد: أصابهم موتان، فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشرة قبل وعشراً بعد، قال الشعبي: لو صمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذي يشك فيه، فيقال من شعبان ويقال من رمضان، وذلك أن النصارى فرض عليهم شهر رمضان فصاموا قبل الثلاثين يوماً وبعدها يوماً، ثم لم يزل القرن الآخر يستن بسنة القرن الذي قبله حتى صاروا إلى خمسين يوماً، فذلك قوله تعالى:

(١) أخرجه أبو داود في الوصايا، باب: الحيف في الوصية: ٩٠٢/٢.

والترمذي: في الوصايا — باب ما جاء في الوصية بالثلث: ٣٠٤/٦ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه قال المنذري بعد نقل تحسين الترمذي: وشهر بن حوشب قد تكلم فيه غير واحد من الأئمة ووثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين. والمصنف في شرح السنة: ٢٨٦/٥.

وأخرجه ابن ماجه في الوصايا، باب: الحيف في الوصية: ٩٠٢/٢.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٦٣/١٤ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر وقال: إسناده صحيح، ورواية ابن ماجه كرواية المسند.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤١٠/٣ وما بعدها.

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ
 مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا
 أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
 الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

﴿ كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ يعني بالصوم لأن الصوم وصلة إلى التقوى لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات، وقيل: لعلكم تحذرون عن الشهوات من الأكل والشرب والجماع ﴿أياماً معدودات﴾ قيل: كان في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجباً، وصوم يوم عاشوراء فصاموا كذلك من الربيع إلى شهر رمضان سبعة عشر شهراً، ثم نسخ بصوم رمضان قال ابن عباس: أول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبلة والصوم، ويقال: نزل صوم شهر رمضان قبل بدر بشهر وأيام، قال محمد ابن إسحاق كانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشر ليلة خلت من شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة.

حدثنا أبو الحسن الشيرازي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: « كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة صامه وأمر الناس بصيامه، فلما فرض رمضان كان هو الفريضة وترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه»^(١).

وقيل المراد من قوله ﴿أياماً معدودات﴾ شهر رمضان وهي غير منسوخة ونصب أياماً على الظرف، أي في أيام معدودات، وقيل: على التفسير، وقيل: على هو خير ما لم يسم فاعله ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة﴾ أي فأفطر فعدة ﴿من أيام آخر﴾ أي فعليه عدة، والعدد والعدة واحد ﴿من أيام آخر﴾ أي غير أيام مرضه وسفره، وآخر في موضع خفض لكنها لا تنصرف فلذلك نصبت.

قوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ اختلف العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها فذهب أكثرهم إلى أن الآية منسوخة، وهو قول ابن عمر وسلمة بن الأكوع وغيرهما، وذلك أنهم كانوا في ابتداء الإسلام

(١) أخرجه البخاري في الصيام — باب: صوم يوم عاشوراء ٤/ ١٠٢. وفي الحج. وفي فضائل الصحابة، وفي التفسير.

ومسلم: في الصيام — باب صوم يوم عاشوراء برقم (١١٢٥) ٢/ ٧٩٢.

والمصنف في شرح السنة: ٦/ ٢١٢.

مخيرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا ويفدوا، خيرهم الله تعالى لثلاث يشق عليهم لأنهم كانوا لم يتعدوا الصوم، ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ وقال قتادة: هي خاصة في حق الشيخ / الكبير الذي يطيق الصوم، ولكن يشق عليه رخص له في أن يفطر ويفدي ثم نسخ. وقال الحسن: هذا في المريض الذي به ما يقع عليه اسم المرض وهو مستطيع للصوم خير بين أن يصوم وبين أن يفطر ويفدي، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾. وثبتت الرخصة للذين لا يطيقون، وذهب جماعة إلى أن الآية محكمة غير منسوخة، ومعناه: وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب فعجزوا عنه بعد الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم، وقرأ ابن عباس: ﴿وعلى الذين يُطَوَّقُونَهُ﴾ بضم الياء وفتح الطاء وتخفيفها وفتح الواو وتشديدها، أي يكلفون الصوم وتأويله على الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان الصوم، والمريض الذي لا يرجى زوال مرضه فهم يكلفون الصوم ولا يطيقونه، فلهم أن يفطروا ويطعموا مكان كل يوم مسكيناً وهو قول سعيد بن جبير، وجعل الآية محكمة.

قوله تعالى: ﴿فدية طعام مسكين﴾ قرأ أهل المدينة والشام مضافاً، وكذلك في المائدة: «كفارة طعام» أضاف الفدية إلى الطعام، وإن كان واحداً لاختلاف اللفظين، كقوله تعالى «وحب الحصيد» (٩) — (ق) وقولهم مسجد الجامع وربيع الأول، وقرأ الآخرون: فدية وكفارة منونة، طعام رفع وقرأ مساكين بالجمع هنا أهل المدينة والشام، والآخرون على التوحيد، فمن جمع نصب النون ومن وحّد خفض النون ونونها، والفدية: الجزاء، ويجب أن يطعم مكان كل يوم مسكيناً مَدّاً من الطعام بمدّ النبي ﷺ، وهو رطل وثلاث من غالب قوت البلد، هذا قول فقهاء الحجاز، وقال بعض فقهاء أهل العراق: عليه لكل مسكين نصف صاع لكل يوم يفطر، وقال بعضهم: نصف صاع من القمح أو صاع من غيره، وقال بعض الفقهاء ما كان المفطر يتقوته يومه الذي أفطره، وقال ابن عباس: يعطي كل مسكين عشائه وسحوره.

﴿فمن تطوع خيراً فهو خير له﴾ أي زاد على مسكين واحد فأطعم مكان كل يوم مسكينين فأكثر، قاله مجاهد وعطاء وطاوس، وقيل: من زاد على القدر الواجب عليه فأعطى صاعاً وعليه مدّ فهو خير له.

﴿وأن تصوموا خيراً لكم﴾ فمن ذهب إلى النسخ قال معناه الصوم خير له من الفدية، وقيل: هذا في الشيخ الكبير لو تكلف الصوم وإن شق عليه خير له من أن يفطر ويفدي ﴿إن كنتم تعلمون﴾ واعلم أنه لا رخصة لمؤمن مكلف في إفطار رمضان إلا لثلاثة: أحدهم يجب عليه القضاء والكفارة، والثاني عليه القضاء دون الكفارة، والثالث عليه الكفارة دون القضاء^(١) أما الذي عليه القضاء والكفارة فالحامل

(١) استعمل الكفارة هنا بمعنى الفدية كما جاء في السياق، وإلا فإن الكفارة تجب على من أفسد صومه في رمضان بجماع أثم به بسبب الصوم.

والمرضع إذا خافتا على ولديهما فإنهما تظفطان وتقضيان وعليهما مع القضاء الفدية، وهذا قول ابن عمر وابن عباس، وبه قال مجاهد وإليه ذهب الشافعي رحمه الله، وقال قوم لا فدية عليهما، وبه قال الحسن وعطاء وإبراهيم النخعي والزهري وإليه ذهب الأوزاعي والثوري وأصحاب الرأي، وأما الذي عليه القضاء دون الكفارة فالمرضى والمسافر والحائض والنفساء.

وأما الذي عليه الكفارة دون القضاء فالشيخ الكبير والمرضى الذي لا يرجى زوال مرضه^(١) ثم بين الله تعالى أيام الصيام فقال: ﴿شهر رمضان﴾ رفعه على معنى هو شهر رمضان، وقال الكسائي: كتب عليكم شهر رمضان وسمي الشهر شهراً لشهرته، وأما رمضان فقد قال مجاهد: هو اسم من أسماء الله تعالى، يقال شهر رمضان كما يقال شهر الله، والصحيح أنه اسم للشهر سمي به من الرمضاء وهي الحجارة المحماة وهم كانوا يصومونه في الحر الشديد فكانت ترمض فيه الحجارة في الحرارة.

قوله تعالى: ﴿الذي أنزل فيه القرآن﴾ سمي القرآن قرآناً لأنه يجمع السور والآي والحروف وجمع فيه القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد.

وأصل القرء الجمع وقد يحذف الهمز منه فيقال، قرئت الماء في الحوض إذا جمعته، وقرأ ابن كثير: القرآن بفتح الراء غير مهموز، وكذلك كان يقرأ الشافعي ويقول ليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والإنجيل، وروي عن مقسم عن ابن عباس: أنه سئل عن قوله عز وجل ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ وقوله: «إنا أنزلناه في ليلة القدر» (١ - القدر)، وقوله: «إنا أنزلناه في ليلة مباركة» (٣ - الدخان) وقد نزل في سائر الشهور، وقال عز وجل: «وقرآناً فرقناه» (١٠٦ - الإسراء) فقال أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ نجوماً في ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله تعالى «فلا أقسم بمواقع النجوم» (٧٥ - الواقعة) قال داود بن أبي هند: قلت للشعبي: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ أما كان ينزل في سائر الشهور؟ قال: بلى، ولكن جبرائيل كان يعارض محمداً ﷺ في رمضان ما نزل إليه فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء، وينسيه ما يشاء.

وروي عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في ثلاث ليال مضين من رمضان، ويروى في أول ليلة من رمضان، وأنزلت توراة موسى عليه السلام في ست ليال مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان، وأنزل زبور داود في ثمان عشرة مضت من رمضان وأنزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين من

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٢/٢٨٨ - ٢٨٩، أحكام القرآن للجصاص: ١/٢١٨ - ٢٢٨.

شهر رمضان لست بقين بعدها^(١).

قوله تعالى: ﴿هَدَى لِلنَّاسِ﴾ من الضلالة، وهدى في محل نصب على القطع لأن القرآن معرفة وهدى نكرة ﴿وَيُنَاتِ مِنَ الْهَدَى﴾ أي دلالات ووضحات من الحلال والحرام والحدود والأحكام ﴿وَالْفَرْقَانِ﴾ أي الفارق بين الحق والباطل.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ أي فمن كان مقيماً في الحضر فأدركه الشهر واختلف أهل العلم فيمن أدركه الشهر وهو مقيم ثم سافر، روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: لا يجوز له الفطر، وبه قال عبيدة السلماني لقوله تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ أي الشهر كله وذهب أكثر الصحابة والفقهاء إلى أنه إذا أنشأ السفر في شهر رمضان جاز له أن يفطر، ومعنى الآية: فمن شهد منكم الشهر كله فليصمه أي الشهر كله، ومن لم يشهد منكم الشهر كله فليصم ما شهد منه والدليل عليه ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر وأفطر الناس معه، فكانوا يأخذون بالأحدث فلاحدث من أمر رسول الله ﷺ^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أباح الفطر لعذر المرض والسفر وأعاد هذا الكلام ليعلم أن هذا الحكم ثابت في الناسخ ثبوته في المنسوخ، واختلفوا في المرض الذي يبيح الفطر، فذهب أهل الظاهر إلى أن ما يطلق عليه اسم المرض يبيح الفطر وهو قول ابن سيرين. قال طريف بن تمام العطاردي دخلت على محمد بن سيرين. في رمضان، وهو يأكل فقال: إنه وجعت أصبعي هذه، وقال الحسن وإبراهيم النخعي هو المرض الذي تجوز معه الصلاة قاعداً. وذهب الأكثرون إلى أنه مرض يخاف معه من الصوم زيادة علة غير محتملة، وفي الجملة أنه إذا أجهده الصوم أفطر وإن لم يجهده فهو كالصحيح. وأما السفر، فالفطر فيه مباح والصوم جائز عند عامة أهل العلم إلا ما روي عن ابن عباس وأبي هريرة وعروة بن الزبير وعلي بن الحسين أنهم قالوا لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضاء، واحتجوا بقول النبي ﷺ: «ليس من البر الصوم في السفر»^(٣) وذلك عند الآخرين في حق من

(١) رواد أحمد: ١٠٧/٤ عن واثلة بن الأسقع. انظر مسند الشاميين من مسند الإمام أحمد تحقيق علي محمد جماز ٢٠١/١ وفيه عمران بن داود - بفتح، الواو وبعدها راء - أبو العوام، القطان البصري صدوق بهم، وروى برأي الخوارج من السابعة (التقريب). ورواه الطبراني والبيهقي في الشعب (انظر فيض القدير: ٥٧/٣)، وذكره ابن حجر في المطالب العالية: ٢٨٦/٣ من رواية أبي يعلى عن جابر، وقال: هذا مقلوب، وإنما هو عن واثلة، فيحزر.

(٢) رواد البخاري: في الصوم - باب إذا صام أياماً من رمضان ثم سافر ١٨٠/٤ وفي الجهاد والمغازي. ومسلم: في الصيام - باب: جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر برقم (١١١٣) ٧٨٤/٢. والمصنف في شرح السنة: ٣١٠/٦.

(٣) سيأتي ص ٢٠٠

يجهده الصوم فالأولى له أن يفطر، والدليل عليه ما أخبرنا به عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا آدم أخبرنا شعبة أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الأنصاري قال سمعت محمد بن عمرو بن الحسن بن علي عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ في سفر فرأى زحاماً ورجلاً قد ظلل عليه فقال ما هذا؟ قالوا هذا صائم، فقال «ليس من البر الصوم في السفر»^(١).

والدليل على جواز الصوم ما حدثنا الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أخبرنا أبو نعيم الاسفراييني أخبرنا أبو عوانه أخبرنا أبو أمية أخبرنا عبد الله القواريري أخبرنا حماد بن زيد أخبرنا الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: «كنا نسافر مع رسول الله ﷺ في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم»^(٢).

واختلفوا في أفضل الأمرين، فقالت طائفة: الفطر في السفر أفضل من الصوم، روي ذلك عن ابن عمر وإليه ذهب سعيد بن المسيب والشعبي، وذهب قوم إلى أن الصوم أفضل وروي ذلك عن معاذ بن جبل وأنس وبه قال إبراهيم النخعي وسعيد بن جبيرة، وقالت طائفة: أفضل الأمرين أيسرها عليه لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بَكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بَكُمُ الْعُسْرَ﴾ وهو قول مجاهد وقتادة وعمر بن عبد العزيز، ومن أصبح مقيماً صائماً ثم سافر في أثناء النهار لا يجوز له أن يفطر ذلك اليوم عند أكثر أهل العلم، وقالت طائفة: له أن يفطر، وهو قول الشعبي وبه قال أحمد، أما المسافر إذا أصبح صائماً فيجوز له أن يفطر بالاتفاق، والدليل عليه ما أخبر عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصبغ أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد العزيز بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح في رمضان، فصام حتى بلغ كراع القميم، فصام الناس معه، فقيل له يا رسول الله إن الناس قد شق عليهم الصيام فدعا بقدر من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون فأفطر بعض الناس وصام بعضهم فبلغه أن ناساً صاموا، فقال «أولئك العصاة»^(٣).

واختلفوا في السفر الذي يبيح الفطر، فقال قوم: مسيرة يوم، وذهب جماعة إلى مسيرة يومين، وهو قول الشافعي رحمه الله، وذهب جماعة إلى مسيرة ثلاثة أيام، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي.

(١) رواه البخاري: في الصوم — باب قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه واشتد الحر ١٨٣/٤.

ومسلم: في الصيام — باب جواز الصوم والفطر في رمضان للمسافر برقم (١١١٥) ٧٨٦/٢. والمصنف في شرح السنة: ٣٠٨/٦.

(٢) رواه البخاري: في الصوم — باب لم يعب أصحاب النبي ﷺ بعضهم بعضاً ١٨٦/٤.

ومسلم: في الصيام — باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر برقم (١١١٦، ١١١٨) ٧٨٦/٢ — ٧٨٧. والمصنف في شرح السنة: ٣٠٦/٦ — ٣٠٧.

(٣) رواه مسلم: في الصيام — باب جواز الصيام والفطر في شهر رمضان للمسافر برقم (١١١٤) ٧٨٥/٢. والمصنف في شرح السنة: ٣١١/٦، والشافعي في المسند: ٢٦٨/١ — ٢٦٩.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ بإباحة الفطر في المرض والسفر ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ قرأ أبو جعفر: العسر واليسر ونحوهما بضم السين، وقرأ الآخرون بالسكون. وقال الشعبي: ما خيّر رجل بين أمرين فاختر أيسرهما إلا كان ذلك أحبهما إلى الله عز وجل ﴿وَلِتَكْمَلُوا الْعِدَّةَ﴾ قرأ أبو بكر بتشديد الميم وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهو الاختيار لقوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم» (٣ - المائدة) والواو في قوله تعالى: ولتكمّلوا العدة واو النسق، واللام لام كي، تقديره: ويريد لكي تكملوا العدة، أي لتكمّلوا عدة أيام الشهر بقضاء ما أفطرتم في مرضكم وسفركم، وقال عطاء: ﴿وَلِتَكْمَلُوا الْعِدَّةَ﴾ أي عدد أيام الشهر.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه فإن غمّ عليكم فأكمّلوا العدة ثلاثين»^(١).

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقدّموا الشهر بصوم يوم ولا يومين إلا أن يوافق ذلك صوماً كان يصومه أحدكم، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غمّ عليكم فعدوا ثلاثين ثم أفطروا»^(٢).
﴿وَلِتَكْبِرُوا لِلَّهِ﴾ ولتعظّموا الله ﴿عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ أرشدكم إلى ما رضي به من صوم شهر رمضان ونخصمكم به دون سائر أهل الملل.

قال ابن عباس: هو تكبيرات ليلة الفطر. وروي عن الشافعي وعن ابن المسيب وعروة وأبي سلمة أنهم كانوا يكبرون ليلة الفطر بجمهور بالتكبير، وشبه ليلة النحر بها إلا من كان حاجاً فدكّره التلبية.
﴿وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على نعمه، وقد وردت أخبار في فضل شهر رمضان وثواب الصائمين.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أخبرنا أبو أحمد بن قريش بن سليمان أخبرنا علي بن عبد العزيز المكي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام حدثني إسماعيل بن جعفر عن أبي سهل نافع بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا

(١) رواه البخاري: في الصوم - باب قول النبي ﷺ إذا رأيتم الهلال فصوموا... ١١٩/٤. وفي الطلاق.

ومسلم: في الصيام - باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال بقرن (١٠٨٠) ٧٥٩/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٢٢٨/٦، والشافعي في المسند: ٢٧٢/١.

(٢) المصنف في شرح السنة: ٢٣٧/٦ وهو ملفق من حديثين عند البخاري ومسلم (انظر: البخاري في الصوم) ١٢٨، ١٢٧، ١١٩/٤.

ومسلم: في الصيام: بقرن (١٠٨٢، ١٠٨٨) - ٧٦٥، ٧٦٢/٢.

دخل رمضان صفدت الشياطين، وفتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار»^(١).

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن الجراح أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أخبرنا أبو كريب محمد بن العلاء أخبرنا أبو بكر محمد بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة في شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، والله عتقاء من النار وذلك كل ليلة»^(٢).

أخبرنا أبو بكر أحمد بن أبي نصر بن أحمد الكوفاني الهروي بها أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر ابن محمد التجيبي المصري بها المعروف بابن النحاس^(٣) قيل له أخبركم أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد العنزي البصري بمكة المعروف بابن الأعرابي؟ أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني أخبرنا سفيان ابن عيينة عن الزهري أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٤).

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو سعيد خلف بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي نزار حدثنا الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الصفار أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي إسحاق العنزي أخبرنا علي بن حجر بن إياس السعدي أخبرنا يوسف بن زياد عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب / عن سلمان قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم

ب/٢٦

(١) رواه البخاري: في الصوم: باب هل يقال رمضان... ١١٢/٤ وفي بدء الخلق.

ومسلم: في الصيام: باب فضل شهر رمضان برقم (١٠٧٩) ٧٥٨/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٢١٥/٦.

(٢) رواه الترمذي: في الصوم — باب ما جاء في فضل شهر رمضان ٣٥٩/٣ — ٣٦٠.

وابن ماجه: في الصيام — باب ما جاء في فضل شهر رمضان برقم (١٦٤٢) ٥٢٦/١.

والحاكم: ٤٢١/١ ورجاله ثقات إلا أن أبا بكر بن عياش لما كبر ساء حفظه وله شاهد يتقوى به من حديث عطاء بن السائب عن عرفجه.

وأحمد: ٣١١/٤ — ٣١٢ و ٤١١/٥ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

والنسائي: ١٣٠/٤ وابن خزيمة: ١٨٨/٣.

والمصنف في شرح السنة: ٢١٥/٦.

(٣) يوجد بعض الأخطاء في السند تم تصحيحها من شرح السنة.

(٤) رواه البخاري: في التراويح — باب: من صام رمضان إيماناً واحتساباً ١١٥/٤ وفي التعبير.

مسلم: في صلاة المسافرين — باب: الترغيب في قيام رمضان برقم (٧٦٠) ٥٢٤/١.

والمصنف في شرح السنة: ٢١٧/٦.

من شعبان فقال: «يأيتها الناس إنه قد أظلكم شهر عظيم — وفي رواية قد أظلكم بالطاء — أطل: أشرف، شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة — أي المساهمة — وشهر يزداد فيه الرزق ومن فطر فيه صائماً كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبتة من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء» قالوا يارسول الله ليس كلنا نجد ما نفطر به الصائم قال رسول الله ﷺ: «يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو تمر أو شربة من ماء، ومن أشبع صائماً سقاه الله عز وجل من حوضي شربة لا يظماً بعدها حتى يدخل الجنة، ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار حتى يدخل الجنة، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال، خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما، أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار»^(١).

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمش الزياتي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر أخبرنا إبراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي أخبرنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع الصائم طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، للصائم فرحتان، فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولخلاف فيه أطيب عند الله من ريح المسك، الصوم جنة»^(٢).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا محمد بن مطرف حدثني أبو حازم عن سهل ابن سعد عن النبي ﷺ قال: «في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون»^(٣).

(١) أخرجه ابن خزيمة: ١٩١/٣-١٩٢ في الصوم — باب فضل شهر رمضان وقال فيه: إن صح الخبر، وفيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف (التقريب — ميزان الاعتدال) وذكره المنذري في الترغيب: ٩٤/٢-٩٥ وقال: رواه ابن خزيمة في صحيحه.. ورواه من طريقه البيهقي، ورواه أبو الشيخ وابن حبان في الثواب باختصار عنهما.

(٢) رواه البخاري: في الصوم — باب: فضل الصوم: ١٠٣/٤ وفي اللباس وفي التوحيد.

ومسلم: في الصيام — باب: فضل الصوم برقم (١١٥١) ٨٠٦/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٢٢١/٦.

(٣) رواه البخاري: في الصوم — باب: الريان للصائمين ١١١/٤.

ومسلم: في الصيام — باب فضل الصوم برقم (١١٥٢) ٨٠٨/٢. والمصنف في شرح السنة: ٢١٩/٦ — ٢٢٠.

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمود أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أخبرنا عبد الله بن المبارك عن راشد بن سعد عن يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحلي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام: أي رب إني منعتك الطعام والشراب والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن رب إني منعتك النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان» (١).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال يهود أهل المدينة: يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام وإن غلظ كل سماء مثل ذلك، فنزلت هذه الآية، وقال الضحاك: سأل بعض الصحابة النبي ﷺ، فقالوا أقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (٢) وفيه إضمار كأنه قال: فقل لهم إني قريب منهم بالعلم لا يخفى على شيء كما قال «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» (١٦ - ق).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا عبد الواحد عن عاصم عن أبي عثمان عن أبي موسى الأشعري قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر أو قال: لما توجه رسول الله ﷺ إلى خيبر، أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم» (٣).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٥٥٤/١.

قال المنذري رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجاله محتج بهم في الصحيح، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع وغيره بإسناد حسن والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

انظر الترغيب والترهيب للمنذري ٨٤/٢.

(٢) لم نقف على الرواية الأولى ولكن في سندها الكلبي وهو كذاب (التقريب).

وأما الرواية الثانية فقد أخرجها ابن جرير والبعوي في معجمه وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه من طريق الصلت بن حكيم عن رجل من الأنصار عن أبيه عن جده قال: جاء رجل... فأنزل الله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ الدر المنثور: ٤٦٩/١.

(٣) رواه البخاري: في التوحيد - باب: وكان الله سميعاً بصيراً ٣٧٢/١٣.

ومسلم: في الذكر والدعاء والتوبة - باب استحباب خفض الصوت بالذكر برقم (٤٧٠٤) ٤/٢٠٧٦.

والمصنف في شرح السنة: ٦٦/٥.

رَأَيْتُمْ لِبَاسٍ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ
 عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْتَنَ بِشُرُوهُنَّ (أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ
 هُنَّ لِبَاسٌ أَوْ بَاتِعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ
 الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْاَيْلِ وَلَا تَبْشُرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي
 الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
 يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ قرأ أهل المدينة غير قائلون وأبو عمرو بإثبات الياء
 فيهما في الوصل، والباقون بحذفها وصللاً ووقفاً، وكذلك اختلف القراء في إثبات الياءات المحذوفة من
 الخط وحذفها في التلاوة، ويثبت يعقوب جميعها وصللاً ووقفاً، وانفقوا على إثبات ما هو مثبت في الخط
 وصللاً ووقفاً ﴿فليستجيبوا لي﴾ قيل: الاستجابة بمعنى الإجابة، أي: فليجيبوا لي بالطاعة، والإجابة في
 اللغة: الطاعة وإعطاء ما سئل فالإجابة من الله تعالى العطاء، ومن العبد الطاعة، وقيل: فليستجيبوا لي أي
 ليستدعوا مني الإجابة، وحقيقته فليطيعوني ﴿وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ لكي يهتدوا، فإن قيل فما
 وجه قوله تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ وقوله (أدعوني أستجب لكم) وقد يدعى كثيراً فلا يجيب؟
 قلنا: اختلفوا في معنى الآيتين قيل معنى الدعاء ههنا الطاعة، ومعنى الإجابة الثواب، وقيل معنى الآيتين
 خاص وإن كان لفظهما عاماً، تقديرهما: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ إن شئت، كما قال: «فيكشف ما
 تدعون إليه إن شاء» (٤١ - الأنعام) أو أجيب دعوة الداعي إن وافق القضاء أو: أجيبه إن كانت
 الإجابة خيراً له أو أجيبه إن لم يسأل محالاً.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمان أخبرنا أبو جعفر
 محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرِّيَّاني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن
 صالح أن ربيعة بن زيد حدثه عن أبي إدريس عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يستجيب الله لأحدكم ما
 لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل» قالوا وما الاستعجال يا رسول الله؟ قال: «يقول قد دعوتك
 يارب، قد دعوتك يارب، قد دعوتك يارب، فلا أراك تستجيب لي، فيستحسر عند ذلك فيدع

الدعاء»^(١).

وقيل هو عام، ومعنى قوله ﴿أَجِيب﴾ أي اسمع، ويقال ليس في الآية أكثر من إجابة الدعوة، فأما إعطاء المنية فليس بذكر فيها، وقد يجيب السيد عبده، والوالد ولده ثم لا يعطيه سؤله فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة، وقيل معنى الآية أنه لا يجيب دعاءه، فإن قدر له ما سأل أعطاه، وإن لم يقدره له ادخر له الثواب في الآخرة، أو كف عنه به سوءاً والدليل عليه ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا بن ثوبان وهو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه حدثهم أن النبي ﷺ قال: «ما على الأرض رجل مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه، الله إياها أو كف عنه من سوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم»^(٢) وقيل: إن الله تعالى يجيب دعاء المؤمن في الوقت ويؤخر / إعطاء مراده ليدعوه فيسمع صوته ويعجل إعطاءه من لا يجبه لأنه يبغض صوته، وقيل: إن للدعاء آداباً وشرائط وهي أسباب الإجابة فمن استكملها كان من أهل الإجابة، ومن أخل بها فهو من أهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الإجابة.

٢٧ / أ

قوله تعالى: ﴿أَحِلُّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ فالرفث كناية عن الجماع، قال ابن عباس: إن الله تعالى حيي كريم يكتفي كل ما ذكر في القرآن من المباشرة والملازمة والإفضاء والدخول والرفث فإنما عنى به الجماع وقال الزجاج: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من النساء، قال أهل التفسير: كان في ابتداء الأمر إذا أفطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع إلى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد قبلها، فإذا صلى العشاء أو رقد قبلها حرم عليه الطعام والنساء إلى الليلة القابلة، ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ ييكى ويلوم نفسه، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة، إني رجعت إلى أهلي بعدما صنيت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسوّلت لي نفسي فجامعت أهلي فهل تجد لي من رخصة؟ فقال النبي ﷺ: «ما كنت جديراً بذلك يا عمر» فقام رجال فاعترفوا بمثله فنزل في عمر وأصحابه:^(٣)

(١) رواه البخاري مختصراً في الدعوات — باب: يستجاب للعبد ما لم يستعجل: ١١/١٤٠.

ومسلم: في الذكر والدعاء والتوبة — باب: بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل برقم (٢٧٣٥) ٤/٢٠٩٥ واللفظ له والمصنف في شرح السنة: ١٩٠/٥.

(٢) رواه الترمذي: في الدعوات — باب: في انتظار الفرج عن جابر: ١٠/٢٤ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه. والحاكم: ٤٩٣/١ وصححه ووافقه الذهبي.

وأحمد: ١٨/٣ عن أبي سعيد الخدري.

والمصنف في شرح السنة: ١٨٦/٥.

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير: ٣/٤٩٨، وقال الشيخ شاکر: هذا الحديث بالإسناد مسلسل بالضعفاء، وعزاه السيوطي في الدر المنثور

لابن جرير وابن أبي حاتم: ١/٤٧٦.

﴿أحل لكم﴾ أي أبيض لكم ﴿ليلة الصيام﴾ أي في ليلة الصيام ﴿الرفث إلى نسائكم من لباس لكم﴾ أي سكن لكم ﴿وأنتم لباس لهن﴾ أي سكن لهن دليله. قوله تعالى: «وجعل منها زوجها ليسكن إليها» (١٨٩ - الأعراف) وقيل لا يسكن شيء كسكون أحد الزوجين إلى الآخر، وقيل: سمي كل واحد من الزوجين لباساً لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه، وقال الربيع بن أنس: هن فراش لكم وأنتم لحاف لهن، قال أبو عبيدة وغيره: يقال للمرأة هي لباسك وفراشك وإزارك، وقيل: اللباس اسم لما يوارى الشيء فيجوز أن يكون كل واحد منهما سترًا لصاحبه عما لا يحل كما جاء في الحديث: «من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه»^(١).

﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾ أي تخونونها وتظلمونها بالجماعة بعد العشاء، قال البراء: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله تعالى «علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم» ﴿فتاب عليكم﴾ تجاوز عنكم ﴿وعفا عنكم﴾ محاذونكم ﴿فالآن باشروهن﴾ جامعوهن حلالاً، سميت الجماعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد منهم لصاحبه، ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ أي فاطلبوا ما قضى الله لكم، وقيل ما كتب الله لكم في اللوح المحفوظ يعني الولد، قاله أكثر المفسرين، قال مجاهد: ابتغوا الولد إن لم تلد هذه فهذه وقال قتادة: وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم بإباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ، وقال معاذ بن جبل: وابتغوا ما كتب الله لكم يعني ليلة القدر.

قوله: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض﴾ نزلت في رجل من الأنصار اسمه أبو صيرمة ابن قيس بن صيرمة، وقال عكرمة: أبو قيس بن صيرمة، وقال الكلبي: أبو قيس صيرمة بن أنس بن أبي صيرمة، وذلك أنه ظل نهاره يعمل في أرض له وهو صائم، فلما أمسى رجع إلى أهله بتمر، وقال لأهله قدمي الطعام فأرادت المرأة أن تطعمه شيئاً سخيناً فأخذت تعمل له سخينة، وكان في الابتداء من صلي العشاء ونام حرم عليه الطعام والشراب، فلما فرغت من طعامه إذ هي به قد نام وكان قد أعيا وكل فأيقظته فكره أن يعصي الله ورسوله، فأبى أن يأكل فأصبح صائماً مجهوداً، فلم ينتصف النهار حتى

(١) ورد بلفظ (من تزوج فقد أحرز نصف دينه، فليتب الله في النصف الباقي).

رواه ابن الجوزي في العلل عن أنس رفعه وقال: لا يصح عن رسول الله ﷺ، وفيه آفات منها يزيد الرقاشي قال أحمد: لا يكتب عنه شيء كان منكر الحديث. وقال النسائي: منكر الحديث وفيه هياج، قال أحمد: متروك الحديث. وقال يحيى ليس بشيء وفيه مالك بن سليمان وقد قدحوا فيه. العلل المنتهية ٢/ ١٢٢.

انظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس ٢/ ٣١٣.

ورواه الحاكم بلفظ (من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه شطر دينه فليتب الله في الشطر الثاني). قال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي

غشي عليه، فلما أفاق أتى رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال له: يا أبا قيس مالك أمسيت طليحاً^(١) فذكر له ماله فاغتم لذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل ﴿وكلوا واشربوا﴾^(٢) يعني في ليالي الصوم ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ يعني بياض النهار من سواد الليل، سمياً خيطين لأن كل واحد منهما يبدو في الابتداء ممتداً كالخيط.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا سعيد بن أبي مرزوق أخبرنا أبو غسان محمد بن مطرف ثنا أبو حازم عن سهل بن سعد قال: أنزلت ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ ولم ينزل قوله: ﴿من الفجر﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ولا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله تعالى بعده ﴿من الفجر﴾ فعملوا أنما يعني بهما الليل والنهار^(٣).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا الحجاج بن منهال أخبرنا هشيم أخبرنا حصين بن عبد الرحمن عن الشعبي عن عدي ابن حاتم قال: لما نزلت ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر إليهما وإلى الليل فلا يستبين لي فغدوت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار»^(٤).

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «إن بلائاً ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم» قال «كان ابن أم مكتوم رجلاً أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت»^(٥) واعلم أن الفجر فجران كاذب وصادق، فالكاذب يطلع أولاً مستطيلاً كذب السرحان يصعد إلى السماء فبطلوعه لا يخرج الليل ولا يحرم الطعام والشراب على الصائم، ثم يغيب فيطلع بعده الفجر الصادق مستطيلاً ينتشر سريعاً في الأفق، فبطلوعه يدخل النهار ويحرم الطعام والشراب على الصائم.

(١) الطليح: الساقط من الإعياء والجهد والهزال.

(٢) رواه البخاري: في الصوم باب قول الله جل ذكره: (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائك) ٤/ ١٢٩.

(٣) رواه البخاري: في الصوم — باب: قول الله تعالى: وكلوا واشربوا حتى... ٤/ ١٣٢.

(٤) رواه البخاري: في الصوم — باب: قول الله تعالى: وكلوا واشربوا حتى... ٤/ ١٣٢.

(٥) رواه البخاري: في الأذان — باب: أذان الأعمى إذا كان له من يخبره ٢/ ٩٩.

ومسلم: في الصيام — باب: بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر برقم (١٠٩٢) ٢/ ٧٦٨.

والمصنف في شرح السنة: ٢/ ٢٩٨.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أخبرنا أبو العباس المحبوبي أخبرنا أبو عيسى الترمذي أخبرنا هناد ويوسف بن عيسى قالا: أخبرنا وكيع عن أبي هلال عن سودة بن حنظلة عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الأفق»^(١).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَقْمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ فالصائم يحرم عليه الطعام والشراب بطلوع الفجر الصادق ويمتد إلى غروب الشمس فإذا غربت حصل الفطر.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا الحميدي أخبرنا سفيان أخبرنا هشام بن عروة قال: سمعت أبي يقول: سمعت عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [وقد نويتم الاعتكاف في المساجد وليس المراد عن مباشرتهم في المساجد لأن ذلك ممنوع منه في غير الاعتكاف]^(٣) والعكوف هو الإقامة على الشيء والاعتكاف في الشرع هو الإقامة في المسجد على عبادة الله، وهو سنة ولا يجوز في غير المسجد ويجوز في جميع المساجد.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي/ أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن يوسف أخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة ابن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ «أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده»^(٤) والآية نزلت في نفر من أصحاب النبي ﷺ كانوا يعتكفون في المسجد، فإذا عرضت للرجل منهم الحاجة إلى أهله خرج إليها فجامعها ثم اغتسل، فرجع إلى المسجد فنها عن ذلك ليلاً ونهاراً حتى يفرغوا من اعتكافهم، فالجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسد

(١) رواه مسلم: في الصيام — باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر برقم (١٠٩٤) ٧٧٠/٢. والمصنف في شرح السنة: ٣٠٠/٢.

(٢) رواه البخاري: في الصوم عن عبد الله بن أبي أوفى — باب: الصوم في السفر والإفطار ١٧٩/٤. رواه مسلم: في الصيام عن عبد الله بن أبي أوفى — باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار برقم (١١٠١) ٧٧٢/٢. والمصنف في شرح السنة: ٢٥٩/٦.

(٣) ساقط من (ب) ومن المطبوع.

(٤) رواه البخاري: في الاعتكاف — باب الاعتكاف في العشر الأواخر ٢٧١/٤. ورواه مسلم: في الاعتكاف — باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان برقم (١١٧٢) ٨٣١/٢. والمصنف في شرح السنة: ٣٩١/٦.

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

به الاعتكاف، أما ما دون الجماع من المباشرات كالقبلة واللمس بالشهوة، فمكروه ولا يفسد به الاعتكاف عند أكثر أهل العلم وهو أظهر قولي الشافعي، كما لا يبطل به الحج، وقالت طائفة يبطل بها اعتكافه وهو قول مالك، وقيل إن أنزل بطل اعتكافه وإن لم ينزل فلا كالصوم، وأما اللمس الذي لا يقصد به التلذذ فلا يفسد به الاعتكاف لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا اعتكف أدنى إلي رأسه فأرجله وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان»^(١).

قوله تعالى: ﴿تلك حدود الله﴾ يعني تلك الأحكام التي ذكرها في الصيام والاعتكاف، حدود الله أي: ما منع الله عنها، قال السدي: شروط الله، وقال شهر بن حوشب: فرائض الله، وأصل الحد في اللغة المنع، ومنه يقال للبوأب حداد، لأنه يمنع الناس من الدخول، وحدود الله ما منع الله من مخالفتها ﴿فلا تقربوها﴾ فلا تأتوها ﴿كذلك﴾ هكذا ﴿يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ لكي يتقوها فينجوا من العذاب.

قوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ قيل نزلت هذه الآية في امرئ القيس بن عايش لكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله ﷺ أرضاً أنه غلبني عليها، فقال النبي ﷺ للحضرمي (ألك بينة)؟ قال لا قال: (فلك يمينه) فانطلق ليحلف فقال رسول الله ﷺ: «أما إن حلف على ماله ليأكله ظلماً ليلقين الله وهو عنه معرض»^(٢) فأنزل الله هذه الآية ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أي من غير الوجه الذي أباحه الله، وأصل الباطل الشيء الذاهب، والأكل بالباطل أنواع، قد يكون بطريق الغصب والنهب وقد يكون بطريق اللهو كالقمار وأجرة المغني ونحوهما، وقد يكون بطريق الرشوة والخيانة ﴿وتدلوها إلى الحكام﴾ أي تلقوا أمور تلك الأموال بينكم وبين أربابها إلى الحكام، وأصل الإدلاء: إرسال الدلو وإلقاؤه في البئر يقال: أدلى دلوه إذا أرسله، ودلّاه يدلّوه إذا أخرجه قال ابن عباس: هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد المال ويخاصم فيه إلى الحاكم، وهو يعرف أن الحق عليه وأنه آثم بمنعه، قال مجاهد في هذه الآية: لا

(١) رواه البخاري: في الاعتكاف — باب المعتكف يدخل رأسه البيت للفصل ٤/٢٨٦.

والمصنف في شرح السنة: ٤٠٠/٦.

(٢) رواه مسلم: في الإيمان — باب: وعيد من اقتطع حق مسلم يمين فاجرة بالنار برقم (١٣٩) ١/١٢٣.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا
الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨١﴾

تخاصم وأنت ظالم، قال الكلبي: هو أن يقيم شهادة الزور وقوله: ﴿وتدلوا﴾ في محل الجزم بتكرير حرف
النهي، معناه ولا تدلوا بها إلى الحكام، وقيل معناه: ولا تأكلوا بالباطل وتنسبونه إلى الحكام، قال قتادة:
لا تذل بمال أخيك إلى الحاكم وأنت تعلم أنك ظالم فإن قضاءه لا يحل حراماً، وكان شرح القاضي يقول:
إني لأقضي لك وإني لأظنك ظالماً ولكن لا يسعني إلا أن أقضي بما يحضرنى من البينة وإن قضائي لا يحل
لك حراماً.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم
أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة
عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل
بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق
أخيه فلا يأخذنه فإنما أقطع له قطعة من النار»^(١).

قوله تعالى: ﴿لتأكلوا فريقاً﴾ طائفة ﴿من أموال الناس بالإثم﴾ بالظلم وقال ابن عباس: باليمين
الكاذبة يقطع بها مال أخيه ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنكم مبطلون.

قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة﴾ نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاريين قالوا: يا
رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد حتى يمتلئ نوراً ثم يعود دقيقاً كما بدأ ولا يكون على حالة
واحدة^(٢)؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة﴾ وهي جمع هلال مثل رداء وأردية سمي هلالاً لأن
الناس يرفعون أصواتهم بالذكر عند رؤيته من قولهم استهل الصبي إذا صرخ حين يولد وأهل القوم بالحج إذا
رفعوا أصواتهم بالتلبية ﴿قل هي مواقيت للناس والحج﴾ جمع ميقات أي فعلنا ذلك ليعلم الناس أوقات
الحج والعمرة والصوم والإفطار وآجال الديون وعِدَّة النساء وغيرها، فلذلك خالف بينه وبين الشمس التي
هي دائمة على حالة واحدة ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾.

(١) رواه البخاري: في الأحكام — باب: موعظة الإمام للخصم ١٥٧/١٣ وفي الشهادات.
ورواه مسلم: في الأفضية — باب الحكم بالظاهر واللعن بالحجة برقم (١٧١٣) ١٣٣٧/٣.
والمصنف في شرح السنة: ١١٠/١٠.

(٢) أخرجه ابن عساکر بسند ضعيف عن ابن عباس انظر الدر المنثور للسيوطي ٤٩٠/١.

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِيَّاهُ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩﴾

قال أهل التفسير: كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل حائطاً ولا بيتاً ولا داراً من بابه فإن كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته ليدخل منه ويخرج أو يتخذ سلماً فيصعد منه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يحل من إحرامه ويرون ذلك براً إلا أن يكون من الحمس وهم قريش وكنانة [وخزاعة وثقيف وخثعم وبنو عامر بن صعصعة وبنو مضر بن معاوية سموا حمساً لتشدهم في دينهم والحماسة الشدة والصلابة] (١) فدخل رسول الله ﷺ ذات يوم بيتاً لبعض الأنصار، فدخل رجل من الأنصار يقال له رفاعة بن التابوت على أثره من الباب وهو محرم فأنكروا عليه، فقال له رسول الله ﷺ: «لم دخلت من الباب وأنت محرم؟ قال رأيتك دخلت فدخلت على أترك فقال رسول الله ﷺ: «إني أحس» فقال الرجل إن كنت أحسياً فإني أحسني رضييت بهديك وسمتك ودينك فأنزل الله تعالى هذه الآية (٢) وقال الزهري: كان ناس من الأنصار إذا أهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شيء، وكان الرجل يخرج مهلاً بالعمرة فتبدو له الحاجة بعد ما يخرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجر من أجل سقف البيت أن يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ورائه، ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته حتى بلغنا أن رسول الله ﷺ أهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجره فدخل رجل على أثره من الأنصار من بني سلمة فقال النبي ﷺ: «لم فعلت ذلك؟ قال لأني رأيتك دخلت فقال رسول الله ﷺ: «إني أحس» فقال الأنصاري وأنا أحسني يقول وأنا على دينك فأنزل الله تعالى (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) (٣).

قرأ ابن كثير وابن عامر/ وحمزة والكسائي وأبو بكر: والغيوب والجيوب والعيون وشيوخاً بكسر أوائلهن لمكان الباء وقرأ الباقون بالضم على الأصل وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي «جيوهين» بكسر الجيم، وقرأ أبو بكر وحمزة «الغيوب» بكسر الغين ﴿ولكن البر من اتقى﴾ أي: البر: بر من اتقى .

﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ في حال الإحرام ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾.

﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ أي في طاعة الله ﴿الذين يقاتلونكم﴾ كان في ابتداء الإسلام أمر الله تعالى

(١) ساقط من نسخة (ب).

(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قيس بن جبير النهشلي

انظر الدر المنثور للسيوطي ٤٩٢/١.

وانظر تفسير الطبري ٥٥٦/٣.

(٣) أخرجه ابن جرير عن الزهري انظر تفسير الطبري ٥٥٨/٣.

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ
عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ﴿١١١﴾ فَإِن
أَنَّهُوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ أَنَّهُوْا فَلَا
عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١١٣﴾

رسوله ﷺ بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر إلى المدينة أمره بقتال من قاتله منهم بهذه الآية، وقال
الربيع بن أنس: هذه أول آية نزلت في القتال ثم أمره بقتال المشركين كافة قاتلوا أو لم يقاتلوا بقوله
(فاقتلوا المشركين) فصارت هذه الآية منسوخة بها، وقيل: نسخ بقوله (فاقتلوا المشركين) قريب من
سبعين آية وقوله ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي لا تبدؤهم بالقتال وقيل: هذه الآية محكمة غير منسوخة أمر النبي
ﷺ بقتال المقاتلين ومعنى قوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير والرهبان
ولا من ألقى إليكم السلام هذا قول ابن عباس ومجاهد:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو بكر بن سهل القهستاني المعروف بأبي
تراب أخبرنا محمد بن عيسى الطرسوسي أنا يحيى بن بكير أنا الليث بن سعد عن جرير بن حازم عن
شعبة عن علقمة بن يزيد عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال كان النبي ﷺ إذا بعث جيشاً قال:
«اغزوا بسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، لا تغلوا ولا تقتلوا امرأة ولا وليداً ولا شيخاً
كبيراً»^(١) وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نزلت هذه الآية في صلح الحديبية، وذلك أن
رسول الله ﷺ خرج مع أصحابه للعمرة وكانوا ألفاً وأربعمائة فساروا حتى نزلوا الحديبية فصدهم
المشركون عن البيت الحرام فصالحهم على أن يرجع عامه ذلك على أن يخلوا له مكة عام قابل ثلاثة أيام
فيطوف بالبيت فلما كان العام القابل تجهز رسول الله ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي
قريش بما قالوا وأن يصدوهم عن البيت الحرام وكره أصحاب رسول الله ﷺ قتالهم في الشهر الحرام وفي
الحرم فأنزل الله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني محرمين ﴿الَّذِينَ يقاتلونكم﴾ يعني قريشاً ﴿وَلَا
تَعْتَدُوا﴾ فتبدؤوا بالقتال في الحرم محرمين ﴿إِنِ اللَّهُ لَا يَجِبُ الْمُعْتَدِينَ﴾ .

قوله تعالى ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ قيل نسخت الآية الأولى بهذه الآية، وأصل الثقافة الحدق
والبصر بالأمر، ومعناه واقتلوهم حيث بصرتهم مقاتلتهم وتمكنتم من قتلهم ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ
أَخْرَجُوكُمْ﴾ وذلك أنهم أخرجوا المسلمين من مكة، فقال: أخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم

(١) رواه مسلم: في الجهاد - باب: تأمير الإمام الأئمة على البعث ... برقم (١٧٣١) ١٣٥٧/٣.

والمصنف في شرح السنة: ١١/١١.

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا
أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾

﴿والفتنة أشد من القتل﴾ يعني شركهم بالله عز وجل أشد وأعظم من قتلهم إياهم في الحرم والإحرام
﴿ولا تقتلوه عند المسجد الحرام حتى يقتلوه﴾ فيه فإن قاتلوهم فقتلوهم ﴿قرأ حمزة والكسائي: (ولا
تقتلوه حتى يقتلوه﴾ فإن قتلوهم﴾ بغير ألف فهين من القتل على معنى ولا تقتلوا بعضهم، تقول العرب:
قتلنا بني فلان وإنما قتلوا بعضهم، وقرأ الباقون بالألف من القتال وكان هذا في ابتداء الإسلام كان لا يحل
بدايتهم بالقتال في البلد الحرام، ثم صار منسوخاً بقوله تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ هذا قول
قتادة، وقال مقاتل بن حيان قوله ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ أي حيث أدركتموهم في الحل والحرم،
ضارت هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ولا تقتلوه عند المسجد الحرام﴾ ثم نسختها آية السيف في
براءة فهي ناسخة منسوخة.

وقال مجاهد وجماعة: هذه الآية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم ﴿كذلك جزاء الكافرين
فإن انتهوا﴾ عن القتال والكفر ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ أي غفور لما سلف رحيم بالعباد ﴿واقتلوهم﴾
يعني المشركين ﴿حتى لا تكون فتنة﴾ أي شرك يعني قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثني إلا
الإسلام فإن أبق قتل ﴿ويكون الدين﴾ أي الطاعة والعبادة (لله) وحده فلا يعبد شيء دونه .

قال نافع: جاء رجل إلى ابن عمر في فتنة ابن الزبير فقال ما يمنعك أن تخرج؟ قال: يمنعني أن الله
تعالى قد حرم دم أخي، قال: ألا تسمع ما ذكره الله عز وجل «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا» (٩) —
الحجرات) قال يا بن أخي: لأن أعير بهذه الآية ولا أقاتل أحب إلي من أن أعير بالآية التي يقول الله عز
وجل فيها «ومن يقتل مؤمناً متعمداً» (٩٣ — النساء) قال ألم يقل الله ﴿واقتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾
قال قد فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلاً وكان الرجل يفتن في دينه إما يقتلونه أو
يعذبونه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة وكان الدين كله لله، وأنتم تريدون أن تقتلوا حتى تكون فتنة
ويكون الدين لغير الله، وعن سعيد بن جبيرة قال: قال رجل لابن عمر: كيف ترى في قتال الفتنة؟ فقال:
هل تدري ما الفتنة؟ كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة وليس بقتالكم على الملك
﴿فإن انتهوا﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿فلا عدوان﴾ فلا سبيل ﴿إلا على الظالمين﴾ قاله ابن عباس. يدل
عليه قوله تعالى «أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي» (٢٨) — القصص) وقال أهل المعاني: العدوان
الظلم، أي فإن أسلموا فلا نهب ولا أسر ولا قتل ﴿إلا على الظالمين﴾ الذين بقوا على الشرك وما يفعل
بأهل الشرك من هذه الأشياء لا يكون ظلماً، وسماه عدواناً على طريق المجازة والمقابلة، كما قال ﴿فمن
اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾ وكقوله تعالى «وجزاء سيئة سيئة مثلها» (٤٠) — الشورى) وسمي الكافر

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمُ إِلَى الْتَهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٥﴾

ظالماً لأنه يضع العبادة في غير موضعها.

قوله تعالى: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾ نزلت في عمرة القضاء وذلك أن النبي ﷺ خرج معتمراً في ذي القعدة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح أهل مكة على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع العام القابل فيقضي عمرته، فانصرف رسول الله ﷺ عامه ذلك ورجع في العام القابل في ذي القعدة وقضى عمرته سنة سبع من الهجرة فذلك معنى قوله تعالى ﴿الشهر الحرام﴾ يعني: ذا القعدة الذي دخلتم فيه مكة وقضيت فيه عمرتكم سنة سبع ﴿بالشهر الحرام﴾ يعني ذا القعدة الذي صدتم فيه عن البيت سنة ست ﴿والحرمات قصاص﴾ جمع حرمة، وإنما جمعها لأنه أراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الإحرام، والقصاص المساواة والمماثلة وهو أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل، وقيل هذا في أمر القتال معناه: إن بدؤكم بالقتال في الشهر الحرام فقاتلوهم فيه فإنه قصاص بما فعلوا فيه ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾ وقاتلوهم ﴿بمثل ما اعتدى عليكم﴾ سمي الجزاء باسم الابتداء على ازدواج الكلام كقوله تعالى «وجزاء سيئة سيئة مثلها» (٤٠ - الشورى) ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾.

٢٨ ب

قوله تعالى: ﴿وانفقوا في سبيل الله﴾ أراد به الجهاد وكل خير هو في سبيل الله، ولكن إطلاقه ينصرف إلى الجهاد ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ قيل: الباء في قوله تعالى ﴿بأيديكم﴾ زائدة، يريد: ولا تلقوا بأيديكم، أي أنفسكم. ﴿إلى التهلكة﴾ عبر عن النفس بالأيدي كقوله تعالى «بما كسبت أيديكم» (٣٠ - الشورى) أي بما كسبتم، وقيل الباء في موضعها، وفيه حذف، أي لا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة أي الهلاك، وقيل: التهلكة كل شيء يصير عاقبته إلى الهلاك، أي ولا تأخذوا في ذلك، وقيل: التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه، والهلاك مالا يمكن الاحتراز عنه، والعرب لا تقول للانسان أتقى بيده إلا في الشرك، واختلفوا في تأويل هذه الآية فقال بعضهم: هذا في البخل وترك الإنفاق. يقول ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ بترك الإنفاق في سبيل الله وهو قول حذيفة والحسن وقادة وعكرمة وعطاء. وقال ابن عباس: في هذه الآية: أنفق في سبيل الله وإن لم يكن لك إلا سهم أو مشقص، ولا يقولن أحدكم إني لا أجد شيئاً، وقال: السدي بها: أنفق في سبيل الله ولو عقلاً ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ ولا تقل: ليس عندي شيء، وقال: سعيد بن المسيب ومقاتل بن حيان: لما أمر الله تعالى بالإنفاق قال رجل: أمرنا بالنفقة في سبيل الله، ولو أنفقنا أموالنا بقينا فقراء، فأنزل الله هذه الآية، وقال مجاهد فيها: لا يمنعكم من نفقة في حق خيفة العيلة.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أحمد بن الحسن الحيرى أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمِن تَمَنُّعٍ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۚ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

ابن دحيم الشيباني أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة أخبرنا أبو غسان أخبرنا خالد بن عبد الله الواسطي أخبرنا واصل مولى أبي عيينة عن بشار بن أبي سيف عن الوليد بن عبد الرحمن عن عياض بن غضيف قال: أتينا أبا عبيدة نعوذ به قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبعمائة، ومن أنفق نفقة على أهله فالحسنة بعشر أمثالها»^(١).

وقال زيد بن أسلم: كان رجال يخرجون في البعث بغير نفقة فإما أن يقطع بهم، وإما أن كانوا عيالاً فأمرهم الله تعالى بالإنفاق على أنفسهم في سبيل الله، ومن لم يكن عنده شيء ينفقه فلا يخرج بغير نفقة ولا قوت فيلقي بيده إلى التهلكة، فالتهلكة: أن يهلك من الجوع والعطش أو بالمشي، وقيل: أنزلت الآية في ترك الجهاد، قال أبو أيوب الأنصاري: نزلت فينا معشر الأنصار وذلك أن الله تعالى لما أعز دينه ونصر رسوله قلنا فيما بيننا: إنا قد تركنا أهلنا وأموالنا حتى فشا الإسلام ونصر الله نبيه فلو رجعنا إلى أهلينا وأموالنا فأقمنا فيها فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ فالتهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد، فما زال أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى كان آخر غزوة غزاها بقسطنطينية في زمن معاوية فتوفي هناك ودفن في أصل سور القسطنطينية وهم يستسقون به.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق»^(٢).

(١) رواه الترمذي: في فضائل الجهاد — باب: ما جاء في فضل النفقة في سبيل الله ٢٥٤/٥ وقال: هذا حديث حسن إنما نعرفه من

حديث الزكيين من ربيع. في الترمذي والنسائي عن حريم بن فاتك بدون زيادة (ومن أنفق نفقة على أهله...).

أخرجه النسائي: في الجهاد — باب: فضل النفقة في سبيل الله: ٤٩/٦.

والمصنف في شرح السنة: ٣٥٩/١٠ عن حريم وإسناده صحيح.

(٢) رواه مسلم: في الإمارة — باب: ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو برقمه (١٩١٠) ١٥١٧/٣.

والمصنف في شرح السنة: ٣٧٥/١٠.

وقال محمد بن سيرين وعبيدة السلماني: الإلقاء إلى التهلكة هو القنوط من رحمة الله تعالى، قال أبو قلابة: هو الرجل يصيب الذنب فيقول: قد هلكت ليس لي توبة فيأس من رحمة الله، وينهمك في المعاصي، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، قال الله تعالى: «إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون» (٨٧ - يوسف).

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ [أي أحسنوا أعمالكم وأخلاقكم وتفضلوا على الفقراء] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) قوله عز وجل ﴿وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ قرأ علقمة وإبراهيم النخعي (وأقيموا الحج والعمرة لله) واختلفوا في إتمامها فقال بعضهم: هو أن يتمها بمناسكهما وحدودهما وسننهما، وهو قول ابن عباس وعلقمة وإبراهيم النخعي ومجاهد، وأركان الحج خمسة .. الإحرام والوقوف بعرفة، وطواف الزيارة، والسعي بين الصفا والمروة، وحلق الرأس أو التقصير. وللحج تحللان، وأسباب التحلل ثلاثة: رمي جمرة العقبة يوم النحر وطواف الزيارة والحلق، فإذا وجد شيئاً من هذه الأشياء الثلاثة حصل التحلل الأول، وبالثلاث حصل التحلل الثاني، وبعد التحلل الأول يستبيح جميع محظورات الإحرام إلا النساء، وبعد الثاني يستبيح الكل، وأركان العمرة أربعة: الإحرام، والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والحلق، وقال سعيد بن جبيرة وطاووس: تمام الحج والعمرة أن تحرم بهما مفردين مستأنفين من دويرة أهلك، وسئل علي بن أبي طالب عن قوله تعالى: ﴿وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ قال أن تحرم بهما من دويرة أهلك ومثله عن ابن مسعود، وقال قتادة: تمام العمرة أن تُعْمَلَ في غير أشهر الحج، [فإن كانت في أشهر الحج]^(٢) ثم أقام حتى حج فهي متعة، وعليه فيها الهدى إن وجدته، أو الصيام إن لم يجد الهدى، وتمام الحج أن يؤتى بمناسكه كلها حتى لا يلزم عامله دم بسبب قران ولا متعة وقال الضحاك: إتمامها أن تكون النفقة حلالاً وينتهي عما نهى الله عنه، وقال سفيان الثوري: إتمامها أن تخرج من أهلك لهما، ولا تخرج لتجارة ولا حاجة.

قال عمر بن الخطاب: الوفد كثير والحاج قليل، واتفقت الأمة على وجوب الحج على من استطاع إليه سبيلاً، واختلفوا في وجوب العمرة فذهب أكثر أهل العلم إلى وجوبها وهو قول عمر وعلي وابن عمر وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: والله إن العمرة لقرينة الحج في كتاب الله، قال الله تعالى: «وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ» وبه قال عطاء ومجاهد وطاووس وقتادة وسعيد بن جبيرة، وإليه ذهب الثوري والشافعي في أصح قوليه، وذهب قوم إلى أنها سنة وهو قول جابر وبه قال (الشافعي)^(٣) وإليه ذهب مالك وأهل العراق وتأولوا قوله تعالى ﴿وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ على معنى أتموها إذا دخلتم فيهما، أما ابتداء الشروع فيها

(١) ساقط من (ب).

(٢) ساقط من «أ».

(٣) في ب: الشامي.

فقطوع، واحتج من لم يوجبهما بما روي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه سئل عن العمرة أواجبة هي؟ فقال: (لا وأن تعتمروا خير لكم) ^(١) والقول الأول أصح ومعنى قوله «وأتموا الحج والعمرة لله» أي ابتدؤوهما، فإذا دخلتم فيهما فأتموهما فهو أمر بالإبتداء والإتمام أي أقيموهما كقوله تعالى: «ثم أتموا الصيام إلى الليل» (البقرة - ١٨٧) أي ابتدؤوه وأتموه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا ابن أبي شيبة أخبرنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس عن عاصم عن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور جزاء إلا الجنة» ^(٢) وقال ابن عمر: ليس من خلق الله أحد إلا وعليه حجة وعمرة واجبتان إن استطاع إلى ذلك سبيلاً كما قال الله تعالى «وأتموا الحج والعمرة لله» فمن زاد بعد ذلك فهو خير وتطوع، واتفقت الأمة على أنه يجوز أداء الحج والعمرة على ثلاثة أوجه:

الإفراد والتمتع والقران، فصورة الإفراد أن يفرد الحج، ثم بعد الفراغ منه يعتمر / وصورة التمتع أن يعتمر في أشهر الحج، ثم بعد الفراغ من أعمال العمرة، يحرم بالحج من مكة فيحج في هذا العام، وصورة القران: أن يحرم بالحج والعمرة معاً أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل أن يفتتح الطواف فيصير قارناً، واختلفوا في الأفضل من هذه الوجوه: فذهب جماعة إلى أن الإفراد أفضل ثم التمتع ثم القران وهو قول مالك والشافعي لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجة الوداع فمنا من أهل بغمرة، ومنا من أهل بحج وعمرة، ومنا من أهل بحج، وأهل رسول الله ﷺ بالحج، فأما من أهل بالعمرة

٢٩ / أ

(١) رواه الترمذي: في الحج - باب: ما جاء في العمرة أواجبة هي أم لا؟ ٦٧٩/٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وفي تصحيحه له نظر: فإن في سنده الحجاج بن أرطاة وهو ضعيف ولعل تصحيح الترمذي لهذه الرواية نجيبها من طرق أخرى.

رواه أحمد: ٣١٦/٣ عن جابر بن عبد الله.

ورواه البيهقي: في السنن وقال: اخفوض عن جابر موقوف كذا رواه ابن جريج وروى عن جابر بخلاف ذلك مرفوعاً من حديث ابن هبيرة وكلاهما ضعيف (انظر التلخيص الحبير: ٢٢٦/٢).

(٢) رواه الترمذي: في الحج - باب: ما جاء في ثواب الحج والعمرة ٥٣٨/٣، ٥٣٩ وقال: حسن صحيح غريب.

ورواه النسائي: في الحج - باب: فضل المتابعة بين الحج والعمرة ١١٥/٥ - ١١٦.

ورواه ابن ماجه: في المناسك - باب: فضل الحج والعمرة: ٩٦٤/٢ برقم (٢٨٨٧).

ورواه ابن خزيمة: في المناسك - باب: الأمر بالمتابعة بين الحج والعمرة ١٣٠/٤.

وأخرجه أحمد: ٣٨٧/١، ٤٤٦/٣ - ٤٤٧ عن عبد الله بن مسعود، وعن عامر بن ربيعة.

والمصنف في شرح السنة: ٧/٧ عن عبد الله بن مسعود.

وهو صحيح بشواهده.

فحلّ، وأما من أهلّ بالحج أو جمع بين الحج والعمرة فلم يخلوا حتى كان يوم النحر^(١).

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مسلم عن ابن جريج عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر رضي الله عنه وهو يحدث عن حجة النبي ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ لا ننوي إلا الحج، ولا نعرف غيره ولا نعرف العمرة^(٢)، وروي عن ابن عمر أن النبي ﷺ أفرد الحج^(٣) وذهب قوم إلى أن القرآن أفضل وهو قول الثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم أخبرنا محمد بن هشام بن ملاس الثميري أخبرنا مروان بن معاوية الفزاري أخبرنا حميد قال: قال أنس بن مالك رضي الله عنه: أهلّ رسول الله ﷺ فقال «لبيك بحج وعمرة»^(٤).

وذهب قوم إلى أن التمتع أفضل، وهو قول أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية واحتجوا بما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا يحيى بن بكير أخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تمتع رسول الله ﷺ في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج وأهدى فساق معه الهدي من ذي الخليفة وبدأ رسول الله ﷺ فأهلّ بالعمرة ثم أهلّ بالحج فتمتع الناس مع النبي ﷺ بالعمرة إلى الحج فكان من الناس من أهدى فساق الهدي ومنهم من لم يهد، فلما قدم النبي ﷺ مكة قال للناس «من كان منكم أهدى فإنه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضي حجه، ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت، ويسعى بين الصفا والمروة، وليقصر ولينحلق، ثم ليهلّ بالحج فمن لم يجد هدياً فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله، فطاف حين قدم مكة، واستلم الركن أول شيء ثم خبّ ثلاثة أطواف ومشى أربعاً، فركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين، ثم سلم فانصرف، فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة أطواف، ثم لم يتحلل من شيء حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه

(١) رواه البخاري: في الحج - باب التمتع والقران والإفراد بالحج ٤٢١/٣ واللفظ له.

ورواه مسلم: في الحج - باب: بيان وجوه الإحرام برقم (١٢١١) ٨٧٠/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٦٣/٧.

(٢) جزء من حديث حجة النبي ﷺ رواه مسلم في الحج - باب: حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨) ٨٨٦/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٦٥/٧.

(٣) رواه الترمذي: في الحج باب ما جاء في إفراد الحج ٥٥٢/٢ - ٥٥٣.

والدارقطني ٢٣٩/٢، وفي سننه عبد الله بن نافع الصائغ ضعيف جداً، انظر سنن الدارقطني مع التعليق ٣٨/٢.

وأخرج مسلم في صحيحه في الحج باب في الأفراد في الحج عن نافع عن ابن عمر قال: أهللنا مع رسول الله ﷺ بالجمع مفرداً، وفي

رواية ابن عون أن رسول الله ﷺ أهلّ بالحج مفرداً ٩٠٥/٢.

(٤) رواه مسلم: في الحج - باب في الأفراد والقران بالحج والعمرة برقم (١٢٣٢) ٩٠٥/٢.

يوم النحر وأفاض فطاف بالبيت، ثم حل من كل شيء حرم منه، وفعل مثل ما فعل رسول الله ﷺ من أهدي وساق الهدى من الناس .

وعن عروة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته عن النبي ﷺ في تمتعه بالعمرة إلى الحج فتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالم عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ. (١)

قال شيخنا الإمام رضي الله عنه، قد اختلفت الرواية في إحرام النبي ﷺ كما ذكرنا وذكر الشافعي في كتاب اختلاف الأحاديث كلاماً موجزاً أن أصحاب رسول الله ﷺ كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه أمر نسكه ويصدر عن تعليمه، فأضيف الكل إليه على معنى أنه أمر بها وأذن فيها ويجوز في لغة العرب إضافة (الشيء) (٢) إلى الأمر به، كما يجوز إضافته إلى الفاعل له كما يقال بنى فلان داراً، وأريد أنه أمر ببنائها، وكما روي أن النبي ﷺ رجم ماعزاً، وإنما أمر برجمه واختار الشافعي الأفراد لرواية جابر وعائشة وابن عمر، وقدمها على رواية غيرهم لتقدم صحبة جابر النبي ﷺ وحسن سياقه لابتداء قصة حجة الوداع وآخرها، ولفضل حفظ عائشة رضي الله عنها، وقرب ابن عمر من النبي ﷺ.

ومال الشافعي في «اختلاف الأحاديث» إلى التمتع، وقال ليس شيء من الاختلاف أيسر من هذا وإن كان الغلط فيه قبيحاً من جهة أنه مباح لأن الكتاب ثم السنة ثم ما لا أعلم فيه خلافاً على أن التمتع بالعمرة إلى الحج وإفراد الحج والقران، واسع كله وقال: من قال إنه أفرد الحج يشبهه أن يكون قاله على ما لا يعرف من أهل العلم الذين أدرك دون رسول الله ﷺ أن أحداً لا يكون مقيماً على الحج إلا وقد ابتداء إحرامه بالحج (٣) قال الشيخ الإمام رحمه الله: وما يدل على أنه كان متمتعاً أن الرواية عن ابن عمر وعائشة متعارضة، وقد روينا عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «تمتع رسول الله ﷺ في [حجة الوداع بالعمرة إلى الحج] (٤) وقال ابن شهاب عن عروة أن عائشة أخبرته عن النبي ﷺ (٥) في تمتعه بالعمرة إلى الحج، فتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالم عن ابن عمر وقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ «هذه عمرة استمتعنا بها».

وقال سعد بن أبي وقاص في المتعة: صنعها رسول الله ﷺ وصنعناها معه.

قال الشيخ الإمام: وما روي عن جابر أنه قال: خرجنا لا ننوي إلا الحج — لاينافي التمتع لأن

(١) جزء من حديث رواه البخاري في الحج — باب: من ساق البدن معه ٥٣٩/٣.

ومسلم: في الحج — باب: وجوب الدم على المتمتع برقم (١٢٢٧) ٩٠١/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٦٦/٧ — ٦٨.

(٢) وفي «ب» الفعل.

(٣) انظر: اختلاف الحديث للشافعي، بهامش الأم: ٤٠٤/٧ — ٤٠٩.

(٤) جزء من حديث ابن عمر السابق عند الشيخين.

(٥) ساقط من (أ).

خروجهم كان لقصد الحج، ثم منهم من قدم العمرة، ومنهم من أهل بالحج إلى أن أمره النبي ﷺ أن يجعله متعة قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾ اختلف العلماء في الإحصار الذي يبيح للمحرم التحلل من إحرامه فذهب جماعة إلى أن كل مانع يمنعه عن الوصول إلى البيت الحرام والمعنى في إحرامه من عدو أو مرض أو جرح أو ذهاب نفقة أو ضلال راحلة، يبيح له التحلل، وبه قال ابن مسعود وهو قول إبراهيم النخعي والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة وعروة بن الزبير، وإليه ذهب سفيان الثوري وأهل العراق وقالوا: لأن الإحصار في كلام العرب هو حبس العلة أو المرض، وقال الكسائي وأبو عبيدة ما كان من مرض أو ذهاب نفقة يقال: منه أحصر فهو مُحَصَّرٌ وما كان من حبس عدو أو سجن يقال: منه حصر فهو محصور، وإنما جعل هاهنا حبس العدو إحصاراً قياساً على المرض إذ كان في معناه، واحتجوا بما روي عن عكرمة عن الحجاج بن عمرو الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل»^(١).

قال عكرمة: فسألت ابن عباس وأبا هريرة فقالا صدق. وذهب جماعة إلى أنه لا يباح له التحلل إلا بحبس العدو وهو قول ابن عباس وقال لا حصر إلا حصر العدو، وروي معناه / عن ابن عمر وعبد الله بن الزبير وهو قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وإليه ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق، وقالوا الحصر والإحصار بمعنى واحد.

وقال ثعلب: تقول العرب حصرت الرجل عن حاجته فهو محصور، وأحصره العدو إذا منعه عن السير فهو محصر، واحتجوا بأن نزول هذه الآية في قصة الحديدية وكان ذلك حبساً من جهة العدو ويدل عليه قوله تعالى في سياق الآية ﴿فَإِذَا أَمْنْتُمْ﴾ والأمن يكون من الخوف، وضعفوا حديث الحجاج بن عمرو بما ثبت عن ابن عباس أنه قال: لا حصر إلا حصر العدو، وتأوله بعضهم على أنه إنما يحل بالكسر والعرج إذا كان قد شرط ذلك في عقد الإحرام كما روي أن ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي ﷺ: «حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني»^(٢).

ثم المحصر يتحلل بذبح الهدي وحلق الرأس، والهدي شاة وهو المراد من قوله تعالى ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ

(١) رواه أبو داود: في المناسك باب الإحصار ٣٦٨/٢ ونقل المنذري تحسينه عن الترمذي وأقره وعزاه للنسائي.

والترمذي: في الحج - باب: ما جاء في الذي يهل بالحج فيكسر أو يعرج ٨/٤ وقال: هذا حديث حسن.

وابن ماجه: في المناسك - باب المحصر برقم (٣٠٧٧) ١٠٢٨/٢

وأحمد: ٤٥٠/٣ عن الحجاج بن عمرو الأنصاري، وعزاه ابن حجر في الفتح ٧/٤ لابن السكن في كتاب الصحابة وقال: ليس بعيداً من الصحة.

والدارمي: في المناسك - باب: في المحصر بعدو ٦١/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٢٨٨/٧.

(٢) رواه مسلم: في الحج - باب: جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض ونحوه برقم (١٢٠٨) ٨٦٩/٢.

الهدى ﴿﴾، ومحل ذبحه حيث أحصر عند أكثر أهل العلم، لأن النبي ﷺ ذبح الهدى عام الحديبية بها، وذهب قوم إلى أن المحصر يقيم على إحرامه ويبعث بهديه إلى الحرم، ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل، وهو قول أهل العراق.

واختلف القول في المحصر إذا لم يجد هدياً ففي قول لا بُدَّ له^(٥) فيتحلل والهدى في ذمته إلى أن يجد، والقول الثاني: له بدل، فعلى هذا اختلف القول فيه، ففي قول عليه صوم التمتع، وفي قول يُقَوِّمُ الشاة بدرهم ويجعل الدرهم طعاماً فيتصدق، به فإن عجز عن الإطعام صام عن كل مد من الطعام يوماً كما في فدية الطيب واللبس فإن الحرم إذا احتاج إلى ستر رأسه لحرّ أو برد أو إلى لبس قميص، أو مرض فاحتاج إلى مداواته بدواء فيه طيب فعل، وعليه الفدية، وفديته على الترتيب والتعديل فعليه ذبح شاة فإن لم يجد يُقَوِّمُ الشاة بدرهم والدرهم يشتري بها طعاماً فيتصدق به، فإن عجز صام عن كل مد يوماً. ثم المحصر إن كان إحرامه بغرض قد استقر عليه فذلك الغرض في ذمته وإن كان بحج تطوع فهل عليه القضاء؟ اختلفوا فيه فذهب جماعة إلى أنه لا قضاء عليه وهو قول مالك والشافعي، وذهب قوم إلى أن عليه القضاء، وهو قول مجاهد والشعبي والنخعي وأصحاب الرأي.

قوله تعالى ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [أي فعليه ما تيسر من الهدى]^(١) ومحل رفع وقيل: ما في محل النصب أي فاهدي ما استيسر والهدى جمع هدية وهي اسم لكل ما يهدى إلى بيت الله تقريباً إليه، وما استيسر من الهدى شاة، قاله علي بن أبي طالب وابن عباس، لأنه أقرب إلى اليسر، وقال الحسن وقتادة: أعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ اختلفوا في المحل الذي يحل المحصر ببلوغ هديه إليه فقال بعضهم: هو ذبحه بالموضع الذي أحصر فيه سواء كان في الحل أو في الحرم، ومعنى محله: حيث يحل ذبحه فيه وأكله.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن محمد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة في قصة الحديبية قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا، فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يبق منهم أحد، دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أنتحب ذلك فانحرج، ثم لا تكلم أحداً منهم بكلمة حتى تنحر بُدْنُكَ وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج ولم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم

(٥) في «ب»: لا بدل له.

(١) ساقط من «أ».

يخلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً»^(١) وقال بعضهم: محل هدي المحصر الحرم، فإن كان حاجباً فمحلّه يوم النحر، وإن كان معتمراً فمحلّه يوم يبلغ هديه الحرم قوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾ معناه لا تحلقوا رؤوسكم في حال الإحرام إلا أن تضطروا إلى حلقه لمرض أو لأذى في الرأس من هوام أو صداع ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ فيه إضمار، أي: فحلق فعليه فدية نزلت في كعب بن عُجرة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا الحسن بن خلف أخبرنا إسحاق بن يوسف عن أبي بشر ورفاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة أن رسول الله ﷺ رآه وقمله يسقط على وجهه فقال: أيؤذيك هوامك؟ قال نعم فأمره رسول الله ﷺ أن يخلق وهو بالحدبية ولم يبين لهم أنهم يحلون بها وهم على طمع أن يدخلوا مكة، فأنزل الله الفدية فأمره رسول الله ﷺ أن يطعم فرقاً بين ستة مساكين أو يهدي شاة أو يصوم ثلاثة أيام^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ﴾ أي ثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٌ﴾ أي ثلاثة أصع على ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع ﴿أَوْ نَسْكَ﴾ واحداً نسيكة أي ذبيحة، أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة، أيها شاء ذبح، فهذه الفدية على التخيير والتقدير، ويتخير بين أن يذبح أو يصوم أو يتصدق، وكل هدي أو طعام يلزم الحرم يكون بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم إلا هدياً يلزم المحصر فإنه يذبحه حيث أحصر، وأما الصوم فله أن يصوم حيث شاء، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ أي من خوفكم وبرأتم من مرضكم ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ اختلفوا في هذه المتعة فذهب عبد الله ابن الزبير إلى أن معناه: فمن أحصر حتى فاتته الحج ولم يتحلل فقدم مكة يخرج من إحرامه بعمل عمرة واستمتع بإحلاله ذلك بتلك العمرة إلى السنة المستقبلية ثم حج فيكون متمتعاً بذلك الإحلال إلى إحرامه الثاني في العام القابل، وقال بعضهم معناه ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ وقد حللت من إحرامكم بعد الإحصار ولم تقضوا عمرة، وأخرتم العمرة إلى السنة القابلة، فاعتمرت في أشهر الحج ثم حللت فاستمتمت بإحلالكم إلى الحج ثم أحرمت بالحج، فعليكم ما استيسر من الهدي، وهو قول علقمة وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير، وقال ابن عباس وعطاء وجماعة: هو الرجل يقدم معتمراً من أفق من الآفاق في أشهر الحج فقضى عمرته وأقام حلالاً بمكة حتى أنشأ منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعاً بالإحلال من العمرة إلى إحرامه بالحج، فمعنى التمتع هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة بما كان محظوراً عليه في الإحرام إلى إحرامه بالحج.

(١) رواه البخاري: في الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٣٢٩/٥ - ٣٣٣

(٢) رواه البخاري في المحصر باب قوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً﴾ ١٢/٤.

ومسلم في الحج باب جواز حلق الرأس للمحرم برقم (١٢٠١) ١٦٠/٢.

ولوجوب دم التمتع أربع شرائط: أحدهما أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج، والثاني أن يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة، والثالث أن يحرم بالحج في مكة ولا يعود إلى الميقات لإحرامه، الرابع أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام، فمتى وجدت هذه الشرائط فعليه ما استيسر من الهدى، وهو دم شاة يذبحه يوم النحر فلو ذبحها قبله بعد ما أحرم بالحج يجوز عند بعض أهل العلم كدماء الجنائيات، وذهب بعضهم إلى أنه لا يجوز قبل يوم النحر / كدم الأضحية. ١/٣.

قوله تعالى: ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج﴾ أي صوموا ثلاثة أيام، يصوم يوماً قبل التروية ويوم التروية، ولو صام قبله بعدما أحرم بالحج يجوز، ولا يجوز يوم النحر ولا أيام التشريق عند أكثر أهل العلم، وذهب بعضهم إلى جواز صوم الثلاث أيام التشريق.

يروى ذلك عن عائشة وابن عمر وابن الزبير وهو قول مالك والأوزاعي وأحمد وإسحاق.

قوله تعالى: ﴿وسبعة إذا رجعت﴾ أي صوموا سبعة أيام إذا رجعت إلى أهليكم وبلدكم، فلو صام السبعة قبل الرجوع إلى أهله لا يجوز، وهو قول أكثر أهل العلم، روي ذلك عن ابن عمر وابن عباس وقيل يجوز أن يصومها بعد الفراغ من أعمال الحج، وهو المراد من الرجوع المذكور في الآية.

قوله تعالى ﴿تلك عشرة كاملة﴾ ذكرها على وجه التأكيد وهذا لأن العرب ما كانوا يهتمون إلى الحساب فكانوا يحتاجون إلى فضل شرح وزيادة بيان، وقيل: فيه تقديم وتأخير يعني فصيام عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجعت فهي عشرة كاملة وقيل: كاملة في الثواب والأجر، وقيل: كاملة فيما أريد به من إقامة الصوم بدل الهدى وقيل: كاملة بشروطها وحدودها، وقيل لفظه خبر ومعناه أمر أي فأكملوها ولا تنقصوها ﴿ذلك﴾ أي هذا الحكم ﴿لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ واختلفوا في حاضري المسجد الحرام، فذهب قوم إلى أنهم أهل مكة وهو قول مالك، وقيل: هم أهل الحرم وبه قال طاووس من التابعين وقال ابن جريج: أهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلتان، وقال الشافعي رحمه الله: كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر فهو من حاضري المسجد الحرام، وقال عكرمة: هم من دون الميقات، وقيل هم أهل الميقات فما دونه، وهو قول أصحاب الرأي، ودم القران كدم التمتع والمكي إذا قرن أو تمتع فلا هدي عليه، قال عكرمة: سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال: أهل المهاجرون والأنصار وأزواج النبي ﷺ في حجة الوداع وأهلنا فلما قدمنا مكة، قال رسول الله: «اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلد الهدى». فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة، وأتينا النساء ولبسنا الثياب ثم أمرنا عشية التروية أن نهل بالحج، فإذا فرغنا فقد تم حجنا وعلينا الهدى، فجمعوا نسكين في عام بين الحج والعمرة فإن الله أنزله في كتابه وسنة نبيه وأباحه للناس من غير أهل مكة قال الله تعالى: ﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ (١).

(١) رواه البخاري: في الحج باب قوله تعالى ﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ ٤٣٣/٣.

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ
 فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرُؤُا فَايَاتٍ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى وَأَتَقُونَ
 يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ
 فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ
 وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١١٨﴾

ومن فاته الحج، وفواته يكون بفوات الوقوف بعرفة حتى يطلع الفجر يوم النحر، فإنه يتحلل بعمل
 العمرة، وعليه القضاء من قابل والفدية وهي على الترتيب والتقدير كفدية التمتع والقران.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك
 عن نافع عن سليمان بن يسار أن هناد بن الأسود جاء يوم النحر وعمر بن الخطاب ينحر هديه فقال: يا أمير
 المؤمنين أخطأنا العدد، كنا نظن أن هذا اليوم يوم عرفة، فقال له عمر: اذهب إلى مكة فطف أنت ومن معك
 بالبيت واسعوا بين الصفا والمروة وانحروا هدياً إن كان معكم، ثم احلقوا أو قصروا ثم ارجعوا، فإذا كان عام قابل
 فحجوا واهدوا فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعت^(١).

﴿واتقوا الله﴾ في أداء الأوامر ﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ على ارتكاب المناهي.

قوله تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات﴾ أي وقت الحج أشهر معلومات وهي: شوال وذو القعدة وتسع من
 ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر، ويروى عن ابن عمر شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وكل
 واحد من اللفظين صحيح غير مختلف، فمن قال عشر عبر به عن الليالي ومن قال تسع عبر به عن الأيام، فإن
 آخر أيامها يوم عرفة، وهو يوم التاسع وإنما قال أشهر بلفظ الجمع وهي شهران وبعض الثالث لأنها وقت
 والعرب تسمى الوقت تاماً بقليله وكثيره فتقول العرب أتيتك يوم الخميس وإنما أتاه في ساعة منه، ويقول زرتك
 العام، وإنما زاره في بعضه، وقيل الاثنان فما فوقهما جماعة لأن معنى الجمع ضم الشيء إلى الشيء، فإذا جاز
 أن يسمى الاثنان جماعة جاز أن يسمى الاثنان وبعض الثالث بجماعة وقد ذكر الله تعالى الاثنان بلفظ الجمع
 فقال «فقد صغت قلوبكما» (٤ - التحريم) أي قلبكما، وقال عروة بن الزبير وغيره: أراد بالأشهر شوالاً وذا
 القعدة وذا الحجة كماً لأنه يبقى على الحاج أمور بعد عرفة يجب عليه فعلها، مثل الرمي والذبح والحلق
 وطواف الزيارة والبيتوتة بمنى فكانت في حكم الحج ﴿فمن فرض فيهن الحج﴾ أي فمن أوجب على نفسه

(١) انظر: الموطأ: ٣٨٣/١ ووصله البيهقي: ١٧٥/٥ وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٩٢/٧.

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
 رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ
 أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّكَاحِ، مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي
 الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٤٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
 الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ﴿٤٢﴾

الحج بالإحرام والتلبية وفيه دليل على أن من أحرم بالحج في غير أشهر الحج لا ينعقد إحرامه بالحج، وهو قول ابن عباس وجابر وبه قال عطاء وطاوس ومجاهد وإليه ذهب الأوزاعي والشافعي وقال ينعقد إحرامه بالعمرة لأن الله تعالى خص هذه الأشهر بغرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص فائدة، كما أنه علق الصلوات بالمواقيت ثم من أحرم بفرض الصلاة قبل دخول وقته لا ينعقد إحرامه عن الفرض وذهب جماعة إلى أنه ينعقد إحرامه بالحج وهو قول مالك والثوري وأبي حنيفة رضي الله عنهم، وأما العمرة: فجميع أيام السنة لها إلا أن يكون متلبساً بالحج، وروي عن أنس أنه كان بمكة فكان إذا حم رأسه خرج فاعتمر.

قوله تعالى: ﴿فَلَا رِفْثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة ﴿فَلَا رِفْثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ بالرفع والتنوين فيهما، وقرأ الآخرون بالنصب من غير تنوين كقوله تعالى ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ وقرأ أبو جعفر كلها بالرفع والتنوين، واختلفوا في الرِفْثَ: قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر هو الجماع وهو قول الحسن ومجاهد وعمرو بن دينار وقتادة وعكرمة والربيع وإبراهيم النخعي، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الرِفْثَ غشيان النساء والتقبيل والغمز، وأن يعرض لها بالفحش من الكلام قال حصين بن قيس أخذ ابن عباس رضي الله عنه بذنب بعيره فجعل يلويه وهو يحدو ويقول:

وَهَنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيْسًا إِنْ تَصَدَّقِ الطَّيْرُ نَيْكَ لَمِيْسًا

فقلت له أترِفْ وأنت محرم، فقال إنما الرِفْثَ ما قيل عند النساء، قال طاووس: (١) الرِفْثَ التعريض للنساء بالجماع وذكره بين أيديهن، وقال عطاء: الرِفْثَ قول الرجل للمرأة في حال الإحرام إذا حلت أصبتك، وقيل: الرِفْثَ الفحش والقول القبيح، أما الفُسُوقُ: قال ابن عباس: هو المعاصي كلها وهو قول طاووس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي، وقال ابن عمر: هو ما نهى عنه المحرم في حال

(١) رواه ابن جرير بسند صحيح: ١٢٧/٤.

وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٣﴾

الإحرام من قتل الصيد وتقليم الأظافر، وأخذ الأشعار، وما أشبههما وقال إبراهيم وعطاء ومجاهد؛ هو السبب بدليل قول النبي ﷺ «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»^(١) وقال الضحاك هو التنازير بالألقاب بدليل قوله تعالى: «ولا تنازروا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان» (١١ - الحجرات).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا آدم أخبرنا سيار أبو الحكم / قال سمعت أبا حازم يقول: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»^(٢).

قوله تعالى ﴿ولا جدال في الحج﴾ قال ابن مسعود وابن عباس: الجدال أي يماري صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه، وهو قول عمرو بن دينار وسعيد بن جبير وعكرمة والزهري وعطاء وقتادة، وقال القاسم بن محمد: هو أن يقول بعضهم الحج اليوم ويقول بعضهم الحج غداً، وقال القرظي: كانت قريش إذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء: حجنا أتم من حجكم، وقالوا هؤلاء: حجنا أتم من حجكم وقال مقاتل: هو أن النبي ﷺ قال لهم في حجة الوداع وقد أحرموا بالحج: «اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلد الهدى»^(٣) قالوا كيف نجعله عمرة وقد سمينا الحج؟ فهذا جدالهم، وقال ابن زيد: كانوا يقفون مواقف مختلفة كلهم يزعم أن موقفه موقف إبراهيم يتجادلون فيه، وقيل: هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالزدلفة، وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وكان بعضهم يحج في ذي الحجة فكل يقول ما فعلته فهو الصواب، فقال جل ذكره ﴿ولا جدال في الحج﴾ أي استقر أمر الحج على ما فعله رسول الله ﷺ فلا اختلاف فيه من بعد، وذلك معنى قول النبي ﷺ: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»^(٤) قال مجاهد: معناه ولا شك في الحج أنه في ذي الحجة فأبطل النسبي قال أهل المعاني: ظاهر الآية نفي، ومعناها نهى، أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا، كقوله

(١) رواه البخاري في الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله ١١٠/١.

ومسلم في الإيمان باب قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» برقم (١١٦) ٨١/١، والمصنف في شرح السنة: ٧٦/١.

(٢) رواه البخاري في الحج باب فضل الحج المبرور ٣٨٢/٣.

ومسلم: في الحج باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة برقم (١٣٥٠) ٩٨٣/٢، والمصنف في شرح السنة: ٤/٧.

(٣) سبق تخريجه انظر فيما سبق ص (٢٢٥).

(٤) قطعة من حديث رواه البخاري في الأضاحي باب من قال الأضحى يوم النحر ٧/١٠.

ومسلم: في القسامة باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال برقم (١٦٧٩) ١٣٠٥/٣.

والمصنف في شرح السنة ٢١٦/٧.

تعالى «لا ريب فيه» أي لا ترتابوا ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ أي لا يخفى عليه فيجازيكم به.
 قوله تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ نزلت في ناس من أهل اليمن كانوا يخرجون إلى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون، ويقولون: نحن نحج بيت الله فلا يطعمنا؟ فإذا قدموا مكة سألوها الناس، وربما يفضي بهم الحال إلى النهب والغصب، فقال الله عز وجل ﴿وتزودوا﴾ أي ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم، قال أهل التفسير: الكعك والزبيب والسويق والتمر ونحوها ﴿فإن خير الزاد التقوى﴾ من السؤال والنهب ﴿واتقون يا أولى الأبواب﴾ يا ذوي العقول.

قوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا علي بن عبد الله أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية فلما كان الإسلام تأثمتوا من التجارة فيها فأنزل الله تعالى ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ في مواسم الحج، قرأ ابن عباس كذا،^(١) وروى عن أبي أمامة التيمي قال: قلت لابن عمر: إنا قوم نكري في هذا الوجه، يعني إلى مكة، فيزعمون أن لا حج لنا، فقال: ألسنتم تحرمون كما يحرمون وتطوفون كما يطوفون وترمون كما يرمون؟ قلت بلى، قال: أنت حاج: جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله عن الذي سألتني عنه فلم يجبه بشيء حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿ليس عليكم جناح﴾ أي حرج ﴿أن تبتغوا فضلاً﴾ أي رزقاً ﴿من ربكم﴾ يعني بالتجارة في مواسم الحج ﴿فإذا أفضتم﴾ دفعتم، والإفاضة: دفع بكثرة وأصله من قول العرب: أفاض الرجل ماء أي صبّه ﴿من عرفات﴾ هي جمع عرفة، جُمع بما حولها وإن كانت بقعة واحدة كقولهم ثوب أخلاق.

واختلفوا في المعنى الذي لأجله سمي الموقف عرفات واليوم عرفة فقال عطاء: كان جبريل عليه السلام يري إبراهيم عليه السلام المناسك ويقول عرفت؟ فيقول عرفت فسمي ذلك المكان عرفات واليوم عرفة، وقال الضحاك: إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض وقع بالهند وحواء بمجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا فسمي اليوم عرفة والموضع عرفات، وقال السدي لما أذن إبراهيم في الناس بالحج وأجابوه بالتلبية وأتاه من أتاه أمره الله أن يخرج إلى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الجمرة^(٢) عند العقبة استقبله الشيطان ليرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية، فرماه وكبر فطار، فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فلما رأى الشيطان أنه لا يطيعه ذهب فانطلق إبراهيم حتى أتى ذا الحجاز، فلما نظر إليه لم يعرفه فجاز فسمي ذا الحجاز، ثم انطلق حتى وقف بعرفات فعرّفها بالنعته فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات حتى إذا أمسى ازدلف إلى جمع،

(١) أخرجه البخاري في البيوع: ٣٢١/٤ وفي الحج ٣٩٥/٣ والمصنف في شرح السنة: ٣/٨.

(٢) في المخطوطتين الشجرة والصحيح الجمرة كما جاء في أكثر التفاسير كابن كثير.

أي قرب إلى جمع، فسمي المزدلفة.

وروي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه أن إبراهيم عليه السلام رأى ليلة التروية في منامه أنه يؤمر بذبح ابنه فلما أصبح روى يومه أجمع أي فكّر، أمن الله تعالى هذه الرؤيا أم من الشيطان؟ فسمي اليوم يوم التروية، ثم رأى ذلك ليلة عرفة ثانياً فلما أصبح عرف أن ذلك من الله تعالى فسمي اليوم يوم عرفة، وقيل سمي بذلك لأن الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم، وقيل سمي بذلك من العرف وهو الطيب، وسمي منى لأنه منى فيه الدم أي يصب فيكون فيه الفروث والدماء ولا يكون الموضع طيباً وعرفات طاهرة عنها فتكون طيبة.

قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالدعاء والتلبية ﴿عند المشعر الحرام﴾ وهو ما بين جبلي المزدلفة من مأزمتي عرفة إلى المحسر، وليس المأزمان ولا المحسر من المشعر، وسمي مشعراً من الشعار وهي العلامة لأنه من معالم الحج، وأصل الحرام: من المنع فهو، ممنوع أن يفعل فيه ما لم يؤذن فيه، وسمي المزدلفة جمعاً: لأنه يُجمع فيه بين صلاتي العشاء، والإفاضة من عرفات تكون بعد غروب الشمس، ومن جمع قبل طلوعها من يوم النحر.

قال طاووس كان أهل الجاهلية يدفعون من عرفة قبل أن تغيب الشمس ومن مزدلفة بعد أن تطلع الشمس ويقولون: أشرق ثبير^(١) كيما نغير فأخر الله هذه وقدم هذه.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن موسى بن عقبة عن كريب مولى عبد الله بن عباس عن أسامة بن زيد أنه سمعه يقول: «دفع رسول الله ﷺ من عرفة حتى إذا كان بالشعب نزل فبال، ثم توضأ فلم يسبغ الوضوء، فقلت له: الصلاة يا رسول الله قال: فقال الصلاة أملك، فركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم أتاخ كل إنسان بعيره في منزله، ثم أقيمت العشاء فصلاها ولم يصل بينهما شيئاً»^(٢).

وقال جابر: «دفع رسول الله ﷺ حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبغ بينهما شيئاً، ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة، فدعاه وكبره وهلله ووحده، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً فدفع قبل أن تطلع الشمس»^(٣).

(١) جبل بين مكة ومنى وهو على يمين الداخل منها إلى مكة.

(٢) رواه البخاري: في الحج باب النزول بين عرفة وجمع ٥١٩/٣ ومسلم في الحج — باب الإفاضة في عرفات إلى مزدلفة برقم (١٢٨٠). ٩٣٤/٢.

(٣) رواه مسلم في الحج باب حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨) ٨٨٦/٢. والمصنف في شرح السنة: ٦٥/٧.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا زهير / بن حرب أخبرنا وهب بن جرير أخبرنا أبي عن يونس الأيلي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أسامة بن زيد كان ردف النبي ﷺ من عرفة إلى مزدلفة ثم أردف الفضل من مزدلفة إلى منى، قال: فكلاهما قال لم يزل النبي ﷺ يلبي حتى رمى جمرة العقبة»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ أي واذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكرتم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ أي وقد كنتم، وقيل: وما كنتم من قبله إلا من الضالين. كقوله تعالى: «وإن نظنك لمن الكاذبين» (١٨٦ — الشعراء) أي: وما نظنك إلا من الكاذبين، والهاء في قوله «من قبله» راجعة إلى الهدى، وقيل: إلى الرسول ﷺ، كناية عن غير مذكور.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ قال أهل التفسير، كانت قريش وحلفاؤها ومن دان بدينها، وهم الحُمس، يقفون بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل الله، وقطان حرمه، فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه، ويتعظمون أن يقفوا مع سائر العرب بعرفات، وسائر الناس كانوا يقفون بعرفات، فإذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحُمس من المزدلفة، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منها إلى جَمْع مع سائر الناس، وأخبرهم أنه سنة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وقال بعضهم خاطب به جميع المسلمين. وقوله تعالى ﴿مَنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ من جَمْع أي ثم أفيضوا من جَمْع إلى منى، وقالوا لأن الإفاضة من عرفات قبل الإفاضة من جمع، فيكف يسوغ أن يقول فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ثم أفيضوا من عرفات؟ والأول قول أكثر أهل التفسير.

وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره: فمن فرض فيهن الحج فلا رفت ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام.

وقيل: ثم بمعنى الواو أي وأفيضوا، كقوله تعالى: «ثم كان من الذين آمنوا» (١٧ — البلد) وأما الناس فهم العرب كلهم غير الحمس.

وقال الكلبي: هم أهل اليمن وربيعة، وقال الضحاك: الناس هاهنا إبراهيم عليه السلام وحده كقوله تعالى «أم يحسدون الناس» (٥٤ — النساء) وأراد محمداً ﷺ وحده ويقال هذا الذي يقتدى به ويكون

(١) رواه البخاري: في الحج باب النزول بين عرفة وجمع ٥١٩/٣.

ومسّم في الحج باب استحباب إذا دفع الحاج التلبية حتى يشرع في رمي جمرة العقبة برقم (١٢٨١) ٣٩١/٢ واللفظ له.

وانصنف في شرح السنة ١٨٥٧.

لسان قومه وقال الزهري: الناس هاهنا آدم عليه السلام وحده دليله قراءة سعيد بن جبير ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس بالبلاء ويقال: هو آدم نسي عهد الله حين أكل من الشجرة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: سئل أسامة وأنا جالس كيف كان يسير رسول الله ﷺ في حجة الوداع حين دفع؟ قال: كان يسير العنق فإذا وجد فجوة نص^(١)، قال هشام: والنص فوق العنق.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا إبراهيم بن سويد حدثني عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب قال أخبرني سعيد بن جبير مولى والبة الكوفي حدثني ابن عباس أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة فسمع النبي ﷺ وراءه زجراً شديداً وضرباً للابل فأشار بسوطة إليهم وقال: «أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع»^(٢)، ﴿واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾^(٣)

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ﴾ أي فرغتم من حجكم وذبحتم نساككم، أي ذبائحكم، يقال: نسك الرجل ينسك نسكا إذا ذبح نسكته، وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى. ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتكبير والتحميد والثناء عليه ﴿كَذَكَرْتُمْ آبَاءَكُمْ﴾ وذلك أن العرب كانت إذا فرغت من الحج وقفت عند البيت فذكرت مفاخر آبائها، فأمرهم الله تعالى بذكره وقال: فاذكروني فأنا الذي فعلت ذلك بكم وبآبائكم وأحسنتم إليكم وإليهم .

قال ابن عباس وعطاء: معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء، وذلك أن الصبي أول ما يتكلم يلهج^(٤) بذكر أبيه لا بذكر غيره فيقول الله فاذكروا الله لا غير كذكر الصبي أباه أو أشد، وسئل ابن عباس عن قوله ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذَكَرْتُمْ آبَاءَكُمْ﴾ فقيل قد يأتي على الرجل اليوم ولا يذكر فيه أباه، قال ابن عباس: ليس كذلك ولكن أن تغضب لله إذا عصى أشد من غضبك لوالديك إذا شتمنا، وقوله تعالى ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ يعني: وأشد ذكرًا، وبل أشد، أي وأكثر ذكرًا ﴿فَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ أراد به المشركين كانوا لا يسألون الله تعالى في الحج إلا الدنيا يقولون اللهم أعطنا غنماً وإبلاً وبقراً وعبيداً، وكان الرجل يقوم فيقول يارب: إن أبي كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال فأعطني مثل ما

(١) رواه البخاري: في الحج - باب: السير إذا دفع من عرفة ١١٨/٣ .

(٢) السير السريع فيبين صلى الله عليه وسلم في هذا أن تكلف الاسراع في السير ليس مما يتقرب به .

(٣) رواه البخاري: في الحج. باب: أمر النبي ﷺ بالسكينة عند الإفاضة ٥٢٢/٣ .

ومسلم في الحج. باب: استحباب إقامة الحاج التلبية حتى يشرع في رمي جمرة العقبة برقم (١٢٨٢) ٩٣٢/٢ .

(٤) في: أ: يُلهجُ.

أعطيته، قال قتادة هذا عبد نيتة الدنيا لها أنفق ولها عمل ونصب ﴿وماله في الآخرة من خلاق﴾ من حظ ونصيب ﴿وممنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ يعني المؤمنين، واختلفوا في معنى الحسنتين قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الدنيا حسنة: امرأة صالحة، وفي الآخرة حسنة: الجنة.

أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الطوسي أخبرنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد أنا الحارث بن أبي أسامة أنا أبو عبد الرحمن المقرئ أخبرنا حيوة وابن لهيعة قالوا أخبرنا شرحبيل بن شريك أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»^(١) وقال الحسن: في الدنيا حسنة: العلم والعبادة، وفي الآخرة حسنة، الجنة، وقال السدي وابن حيان: ﴿في الدنيا حسنة﴾ رزقاً حلالاً وعملاً صالحاً، ﴿وفي الآخرة حسنة﴾ المغفرة والثواب.

أخبرنا أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن أبي توبة أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمود أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب حدثني عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «أعبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ»^(٢) ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه، فأطاعه في السر، وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافاً، فصبر على ذلك، ثم (نفض بيده)^(٣) فقال: عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه»^(٤).

وقال قتادة: في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية. وقال عوف في هذه الآية: من آتاه الله الإسلام والقرآن وأهلاً ومالاً فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة.

أخبرنا الشيخ أبو القاسم عبد الله بن علي الكركاني الطوسي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمش

(١) رواه مسلم: في الرضاع باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة برقم (١٤٦٧) ١٠٩٠/٢.

والمصنف في شرح السنة ١١/٩.

(٢) «خفيف الحاذ»، أي: خفيف الحال، قليل المال، وأصله: قلة اللحم، والحال والحاذ واحد، وهو ما وقع عليه اللبد من متن الفرس،

انظر: شرح السنة: ٢٤٦/١٤.

(٣) وفي (ب) نقد بيده.

(٤) رواه الترمذي: في الزهد باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه ١٢/٧ وقال هذا حديث حسن.

وابن ماجه: في الزهد باب من لا يؤبه له ١٣٧٩/٢ وقال في الزوائد: إسناده ضعيف لضعف أيوب بن سليمان، قال فيه أبو حاتم:

مجهول وتبعه على ذلك الذهبي في الطبقات وغيرها، وصدقة بن عبد الله متفق على تضعيفه.

ورواه أحمد: ٢٥٢/٥ - ٢٥٥ عن أبي أمامة.

ورواه المصنف في شرح السنة ٢٤٦/١٤.

وفي إسناده على بن يزيد بن أبي زياد الألهاني أبو عبد الملك الدمشقي ضعيف من السادسة (التقريب).

الريادي أخبرنا أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور السمسار أخبرنا أبو حاتم محمد بن ادريس الحنظلي الرازي أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري أخبرنا حميد الطويل عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: رأى رسول الله ﷺ رجلاً قد صار مثل الفرخ فقال: «هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه؟ فقال يارسول الله كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال: سبحان الله إذن لا تستطيعه ولا تطيقه فهلا قلت «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»^(١).

أخبرنا [أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا]^(٢) أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي اسحاق الحجاجي أخبرنا أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الدعولي أخبرنا محمد بن مشكان أخبرنا أبو داود أخبرنا شعبة عن ثابت عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»^(٣).

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا سعيد بن سالم القداح عن ابن جريج عن يحيى بن عبيد مولى السائب عن أبيه عن عبد الله بن السائب أنه سمع النبي ﷺ يقول: فيما بين ركن بني جمح والركن الأسود «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»^(٤).

قوله تعالى ﴿أولئك لهم نصيب﴾ حظ ﴿مما كسبوا﴾ من الخير والدعاء بالثواب والجزاء ﴿والله سريع الحساب﴾ يعني إذا حاسب فحسابه سريع لا يحتاج إلى عقد يد ولا وعي صدر ولا إلى روية ولا فكر.

قال الحسن: أسرع من لمح البصر وقيل: معناه إتيان القيامة قريب لأن ما هو كائن لا محالة فهو قريب، قال الله تعالى: «وما يدريك لعل الساعة قريب» (١٧ - الشورى).

قوله تعالى ﴿واذكروا الله﴾ يعني التكبيرات أذبار الصلاة وعند الجمرات يكبر مع كل حصاة وغيرها من الأوقات ﴿في أيام معدودات﴾ الأيام المعدودات: هي أيام التشريق، وهي أيام منى ورمي

(١) رواه مسلم: في الذكر باب كراهية الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا برقم (٢٦٨٨) ٤/٢٠٦٨.

(٢) ساقط من «أ».

(٣) رواه البخاري: في الدعوات باب قول النبي ﷺ (ربنا آتنا...) ١١/١٩١.

ومسلم: في الذكر باب فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة .. برقم (٢٦٩٠) ٤/٢٠٧٠.

(٤) رواه أبو داود في المناسك باب الدعاء في الطواف ٢/٣٨١.

وأحمد: ٤١١/٣ عن عبد الله بن السائب.

وصححه ابن حبان برقم (١٠٠١) في الحج، والحاكم: ٤٥٥/١ ووافقه الذهبي وعزاه المنذري في مختصر أبي داود للنسائي.

والمصنف في شرح السنة ٧/١٢٨.

الجمار، سميت معدودات لقلتهن كقوله: «دراهم معدودة» (٢٠ - يوسف) والأيام المعلومات: عشر ذي الحجة آخرهن يوم النحر. هذا قول أكثر أهل العلم وروى عن ابن عباس المعلومات: يوم النحر ويومان بعده والمعدودات أيام التشريق، وعن علي قال: المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده، وقال عطاء عن ابن عباس المعلومات يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق. وقال محمد بن كعب: هما شيء واحد وهي أيام التشريق، وروى عن نبيشة الهذلي قال: قال رسول الله ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله»^(١).

ومن الذكر في أيام التشريق: التكبير، واختلفوا فيه فروى عن عمر وعبد الله بن عمر أنهما كانا يكرران بمنى تلك الأيام خلف الصلاة وفي المجلس وعلى الفراش والفسطاط وفي الطريق ويكبر الناس بتكبيرهما ويتأولان هذه الآية. والتكبير أدبار الصلاة مشروع في هذه الأيام في حق الحاج وغير الحاج عند عامة العلماء واختلفوا في قدره فذهب قوم إلى أنه يُبتدأ التكبير عقيب صلاة الصبح من يوم عرفة ويختتم بعد العصر من آخر أيام التشريق، يروى ذلك عن علي رضي الله عنه، وبه قال مكحول، وإليه ذهب أبو يوسف رضي الله عنه، وذهب قوم إلى أنه يُبتدأ التكبير عقيب صلاة الصبح من يوم عرفة ويختتم بعد العصر من يوم النحر، يروى ذلك عن بن مسعود رضي الله عنه وبه قال أبو حنيفة، وقال قوم يبتدأ عقيب صلاة الظهر من يوم النحر ويختتم بعد الصبح من آخر أيام التشريق، يروى ذلك عن ابن عباس وبه قال مالك والشافعي، قال الشافعي: لأن الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت التلبية ويأخذون في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر، ولفظ التكبير: كان سعيد بن جبير والحسن يقولان: الله أكبر الله أكبر الله أكبر ثلاثاً نسقاً - وهو قول أهل المدينة، وإليه ذهب الشافعي، وقال: وما زاد من ذكر الله فهو حسن، وعند أهل العراق يكبر اثنتين يروى ذلك عن ابن مسعود.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أراد أن من نفر من الحاج في اليوم الثاني من أيام التشريق ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ وذلك أن على الحاج أن يبيت بمنى الليلة الأولى والثانية من أيام التشريق ويرمي كل يوم بعد الزوال إحدى وعشرين حصاة، عند كل جمرة سبع حصيات، ورخص في ترك البيوتة لرعاء الإبل وأهل سقاية الحاج^(٢)، ثم كل من رمى اليوم الثاني من أيام التشريق وأراد أن ينفر فيدع البيوتة الليلة الثالثة ورمى يومها فذلك له واسع لقوله تعالى ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه أن يبيت حتى يرمي اليوم الثالث ثم ينفر، قوله تعالى ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾

(١) رواه مسلم: في الصيام باب تحريم صوم أيام التشريق برقم (١١٤١) ٢/٨٠٠.

والمصنف في شرح السنة ٣٥١/٦.

(٢) عن ابن عباس قال: استأذن العباس رسول الله ﷺ أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته فأذن له (متفق عليه).

وعن عاصم بن عدي أن رسول الله ﷺ (رخص لرعاء الإبل في البيوتة عن منى يرمون يوم النحر ثم يرمون الغداة ومن بعد الغد ليومين ثم يرمون يوم النفر) رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن ومالك والشافعي وابن حبان والحاكم وانظر: نيل الأوطار للشوكاني ١٨٧/٦ و

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ
 أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ
 وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ لَهُمْ جَهَنَّمُ
 وَلَبِئْسَ الْإِمْقَادَ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
 رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

يعني لا إثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله ومن تأخر حتى ينفر في اليوم الثالث ﴿فلا إثم عليه﴾ في تأخره. وقيل: معناه ﴿فمن تعجل﴾ فقد ترخص ﴿فلا إثم عليه﴾ بالترخص ﴿ومن تأخر فلا إثم عليه﴾ بترك الترخص وقيل معناه رجع مغفوراً له، لا ذنب عليه تعجل أو تأخر، كما روينا من «حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»^(١) وهو قول علي وابن مسعود.

قوله تعالى: ﴿لمن اتقى﴾ أي لمن اتقى أن يصيب في حجه شيئاً نهاه الله عنه كما قال: «من حج فلم يرفث ولم يفسق» قال ابن مسعود: إنما جعلت مغفرة الذنوب لمن اتقى الله تعالى في حجه، وفي رواية الكلبي عن ابن عباس معناه ﴿لمن اتقى﴾ الصيد لا يحل له أن يقتل صيداً حتى تخلو^(٢) أيام التشريق، وقال أبو العالية ذهب إثمه إن اتقى فيما بقي من عمره [﴿واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تمحرون﴾ تجمعون في الآخرة فيجزئكم بأعمالكم]^(٣).

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ قال الكلبي ومقاتل وعطاء: نزلت في الأحنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه أبي وسمي الأحنس لأنه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله ﷺ: وكان رجلاً حلو الكلام، حلو المنظر، وكان يأتي رسول الله ﷺ فيجالسه ويظهر الإسلام، ويقول إني لأحبك، ويحلف بالله على ذلك، وكان منافقاً، فكان رسول الله ﷺ يديني مجلسه فنزل قوله تعالى ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾^(٤) أي تستحسنه ويعظم في قلبك، ويقال في الاستحسان أعجبتني كذا وفي الكراهية والإنكار عجبت من كذا ﴿ويشهد الله على ما في قلبه﴾ يعني قول المنافق: والله إني بك مؤمن ولك محب ﴿وهو ألد الخصام﴾ أي شديد الخصومة، يقال لددت يا هذا وأنت تلد لداً ولدادة، فإذا أردت أنه غلب على خصمه قلت: لده يلده لداً، يقال: رجل ألد وامرأة لداء وقوم لُد، قال الله تعالى: «وتنذر به قوماً لداً» (٩٧ — مريم). قال الزجاج: اشتقاقه من لذيدي العنق وهما صفحتاه، وتأويله: أنه في أي وجه أخذ من يمين أو شمال في أبواب الخصومة غلب،

(١) سبق تحريجه — انظر: ص ٢٢٧

(٢) ساقط من: ب.

(٣) انظر: الطبري: ٢٢٩/٤، أسباب النزول للواحدي ص (٩٦).

(٤) يعني: تنقضي.

والخصام مصدر خصمه خصاماً ومخاصمة قاله أبو عبيدة. وقال الزجاج: هو جمع خصم يقال: خصم وخصام وخصوم مثل بحر ومحور قال الحسن: ألد الخصام أي كاذب القول، قال قتادة: شديد القسوة في المعصية، جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أبو عاصم عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إن أبغض الرجال إلى الله تعالى الألدُّ الخَصِم»^(١) ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ أي أدبر وأعرض عنك ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ﴾ أي عمل فيها، وقيل: سار فيها ومشى ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ قال ابن جريج قطع الرحم وسفك دماء المسلمين ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ وذلك أن الأخصس^(٢) كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلاً فأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم^(٣).

قال مقاتل: خرج إلى الطائف مقتضياً مالاً له على غريم فأحرق له كُدساً وعقر له أتاناً، والنسل نسل كل دابة والناس منهم، وقال الضحاك: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ أي ملك الأمر وصار والياً ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ﴾ قال مجاهد: في قوله عز وجل ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ﴾ قال إذا ولي فعمل بالعدوان والظلم أمسك الله المطر وأهلك الحرث والنسل ﴿وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الْفُسَادَ﴾ أي لا يرضى بالفساد، قال سعيد بن المسيب: قطع الدرهم من الفساد في الأرض.

قوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ أي خف الله ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ أي حملته العزة وحمية الجاهلية على الفعل بالإثم أي بالظلم، والعزة: التكبر والمنعة، وقيل معناه ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾ للإثم الذي في قلبه، فأقام الباء مقام اللام.

قوله ﴿فَحَسِبْهُ جَهَنَّمَ﴾ أي كافيه ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ أي الفراش، قال عبد الله بن مسعود: إن من أكبر الذنوب عند الله أن يقال: للعبد اتق الله فيقول: عليك بنفسك.

وروي أنه قيل لعمر بن الخطاب: اتق الله، فوضع خده على الأرض تواضعاً لله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ أي لطلب رضا الله تعالى ﴿وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ روي عن ابن عباس والضحاك: إن هذه الآية نزلت في سرية الرجيع وذلك أن كفار قريش بعثوا إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة: إنا قد أسلمنا فابعث إلينا نفرأ من علماء أصحابك يعلموننا دينك، وكان ذلك مكرأ منهم، فبعث رسول الله ﷺ خبيب بن عدي الأنصاري ومُرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن بُكَيْر وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوي وزيد بن الدثنة وأمر عليهم عاصم ابن

(١) رواه البخاري: في التفسير باب الألد الخصم ١٣ / ١٨٠.

ومسلم: في العلم باب الألد الخصم برقم (٢٦٦٨) ٤ / ٢٠٥٤.

والمصنف في شرح السنة ٩٧ / ١٠.

(٢) الأخصس بن شريق — بشين مفتوحة وراء مكسورة وقاف في آخره — رجل من ثقيف.

(٣) انظر: تفسير الواحدي: ٣٠٢ / ١، أسباب النزول له أيضاً ص (٥٨).

ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري، قال أبو هريرة: بعث رسول الله ﷺ عشرة عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري فساروا فنزلوا ببطن الرجيع بين مكة والمدينة ومعهم تمر عجوة فأكلوا فمرت عجوز فأبصرت النوى فرجعت إلى قومها بمكة وقالت: قد سلك هذا الطريق أهل يثرب من أصحاب محمد ﷺ، فركب سبعون رجلاً، منهم معهم الرماح حتى أحاطوا بهم، قال أبو هريرة رضي الله عنه: ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام فاقتفوا آثارهم حتى وجدوا مآكلهم التمر في منزل نزلوه فقالوا: تمر يثرب، فاتبعوا آثارهم، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفة^(١) فأحاط بهم القوم فقتلوا مرثداً وخالداً وعبد الله بن طارق، ونثر عاصم بن ثابت كنانته وفيها سبعة أسهم فقتل بكل سهم رجلاً من عظماء المشركين ثم قال: اللهم إني حميت دينك صدر النهار فاحم لحمي آخر النهار، ثم أحاط به المشركون فقتلوه، فلما قتلوه أرادوا حز رأسه لبيعه من سُلَفة بنت سعد بن شُهَيْد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشرين في قحفه الخمر فأرسل الله رجلاً من الدُّبْرِ^(٢) — وهي الزنابير — فحمت عاصماً فلم يقدروا عليه فسمي حمي الدُّبْرِ فقالوا دعوه حتى تسمي فتذهب عنه فنأخذه فجاءت سحابة سوداء وأمطرت مطراً كالغزالي^(٣) فبعث الله الوادي غديراً فاحتمل عاصماً به فذهب به إلى الجنة وحمل خمسين من المشركين إلى النار وكان عاصم قد أعطى الله تعالى عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أن الدُّبْرِ منعه يقول: عجبا لحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع عاصم في حياته.

وأمر المشركون خبيب بن عدي الأنصاري، وزيد بن الدثنة فذهبوا بهما إلى مكة، فأما خبيب فابتاعه بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ليقتلوه بأيهم، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا على قتله فاستعار من بنات الحارث موسى ليستحدها فأعارته فدرج بُني لها وهي غافلة فما راع المرأة إلا خبيب قد أجلس الصبي على فخذه والموسى بيده، فصاحت المرأة فقال خبيب: أنتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن الغدر ليس من شأننا، فقالت المرأة بعد: والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل قطعاً من عنب في يده وإنه لموثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة، إن كان إلا رزقاً رزقه الله خبيباً، ثم إنهم خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل وأرادوا أن يصلبوه فقال لهم خبيب دعوني أصلي ركعتين، فتركوه فكان خبيب هو أول من سن لكل مسلم قتل صبراً^(٤) الصلاة، فركع ركعتين، ثم قال لولا أن يحسبوا أن ما بي جزع لزدت، اللهم أحصهم

(١) الفدفة: المكان الصلب الغليظ المرتفع وفي أ: قُدَيْر.

(٢) الكثير من الدُّبْرِ.

(٣) الغزالي: جمع الغزاة وهو فم الزادة الأسفل، شبه اتساع المطر واندفاعه بالذي يخرج من فم الزادة.

(٤) كل ذي روح يوثق حتى يقتل فقد قتل صبراً.

عدداً واقتلهم بديداً ولا تبق منهم أحداً ثم أنشأ يقول:

فَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً
على أي شق كان في الله مَصْرَعِي
وذلك في ذاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأْ
يُبَارِكُ على أَوْصَالِ شِلْوِ مُمَزَّعِ

فصلبوه حياً فقال اللهم: إنك تعلم أنه ليس أحد حولي يبلغ سلامي رسولك فأبلغه سلامي، ثم قام أبو سروعة عقبه بن الحرث فقتله.

ويقال: كان رجل من المشركين يقال له سلامان، أبو ميسرة، معه رح فوضعه بين ثديي خبيب فقال له خبيب: اتق الله فما زاده ذلك إلا عتواً فظعننه فأنفذه وذلك قوله عز جل ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ يعني سلامان. وأما زيد بن الدثنة فابنته صفوان بن أمية ليقته بأبيه أمية بن خلف فبعته مع مولى له يسمى نسطاس إلى التنعيم ليقته بأبيه واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قُدِّمَ لِيُقْتَلَ: أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً عندنا الآن بمكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك؟ فقال: والله ما أحب أن محمداً ﷺ الآن في مكانه الذي هو فيه يصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً، ثم قتله النسطاس. فلما بلغ النبي ﷺ هذا الخبر قال لأصحابه أيكم (ينزل) (١) خبيباً عن خشبته وله الجنة؟ فقال الزبير: أنا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الأسود، فخرجنا يميشان بالليل ويكمنان بالنهار حتى أتيا التنعيم ليلاً / وإذا حول الخشب أربعون رجلاً من المشركين نائمون نشاوى فأنزلناه فإذا هو رطب ينثي لم يتغير منه شيء بعد أربعين يوماً، ويده على جراحته وهي تبض دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك، فحملة الزبير على فرسه وسارا فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيباً فأخبروا قريشاً فركب منهم سبعون، فلما لحقهما قذف الزبير خبيباً فابتلعت الأرض فسمي بليع الأرض.

ب/٣١

فقال الزبير: ما جرأكم علينا يا معشر قريش، ثم رفع العمامة عن رأسه وقال: أنا الزبير بن العوام وأمي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الأسود أسدان رابضان يدفعان عن شبلهما فإن شئتم ناضلتكم وإن شئتم نازلتمكم وإن شئتم انصرفتم، فانصرفوا إلى مكة، وقدا على رسول الله ﷺ وجبريل عنده فقال يا محمد إن الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك فنزل في الزبير والمقداد بن الأسود ﴿وَمَنْ النَّاسِ مِنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ حين شريا أنفسهما لإنزال خبيب عن خشبته (٢).

وقال أكثر المفسرين: نزلت في صهيب بن سنان الرومي حين أخذه المشركون في رهط من المؤمنين

(١) في أغزل.

(٢) انظر فتح الباري: ٣٧٨/٧ - ٣٧٩ وعيون الأثر لابن سيد الناس: ٥٦/٢ - ٦٦.

فعدبوههم، فقال لهم صهيب إني شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنتُ أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني وديني؟ ففعلوا، وكان شرط عليهم راحلة ونفقة، فأقام بمكة ما شاء الله ثم خرج إلى المدينة فلتقاه أبو بكر وعمر في رجال، فقال له أبو بكر ربح بيعك يا أبا يحيى، فقال له صهيب: وبيعك فلا تتحسر، قال صهيب: ماذا؟ فقال قد أنزل الله فيك، وقرأ عليه هذه الآية.

وقال سعيد بن المسيب وعطاء: أقبل صهيب مهاجراً نحو النبي ﷺ فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونزل ما كان في كنانته، ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني لمن أرواكم رجلاً والله لا أضع سهماً مما في كنانتي إلا في قلب رجل منكم وإيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي ثم افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي قالوا: نعم. ففعل ذلك، فأنزل الله هذه الآية^(١).

وقال الحسن: أتدرون فيمن نزلت هذه الآية؟ نزلت في المسلم يلقي الكافر فيقول له قل لا إله إلا الله فيأبى أن يقوها، فقال المسلم والله لأشرين نفسي لله. فتقدم فقاتل وحده حتى قتل.

وقيل نزلت الآية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال ابن عباس: أرى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله، فإذا لم يقبل وأخذته العزة بالإثم، قال وأنا أشري نفسي لله فقاتله فاقتل الرجلان لذلك، وكان علي إذا قرأ هذه الآية يقول: اقتتلا ورب الكعبة، وسمع عمر بن الخطاب إنساناً يقرأ هذه ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ فقال عمر (إنا لله وإنا إليه راجعون) قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا عبد الرحمن بن شريح أخبرنا أبو القاسم البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرني حماد بن سلمة عن أبي غالب عن أبي أمامة أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ قال «أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر»^(٢).

(١) انظر: تفسير الواحدي ٣٠٤/١، ابن كثير: ٤٣٧/١، اسباب النزول للواحدي ص (٥٨) طبقات ابن سعد: ٢٢٧/٣ - ٢٢٨.
(٢) رواه أبو داود: في الملاحم باب الأمر والنهي عن أبي سعيد الخدري ١٩١/٦.
والترمذي: في الفتن باب أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر ٣٩٥/٦ عن أبي سعيد الخدري وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، (ويشهد له حديث أبي أمامة).
والنسائي: في البيعة باب فضل من تكلم بالحق عند سلطان جائر ١٦١/٧.
وابن ماجه: في الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٣٢٩/٢.
وأحمد: ١٩/٣ جزء من حديث عن أبي سعيد الخدري - ٣٢٤/٤ عن طارق بن شهاب ٢٥١/٥ - ٢٥٦ عن أبي أمامة.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ
الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ
مِّنَ اللَّيْلِ وَالْمَلَكِ كَةٌ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادخلوا في السلم كافة﴾ قرأ أهل الحجاز والكسائي السلم هاهنا بفتح السين وقرأ الباقون بكسرها، وفي سورة الأنفال «وإن جنحوا للسلم» بالكسر، وقرأ أبو بكر والباقون بالفتح، وفي سورة محمد ﷺ بالكسر حمزة وأبو بكر.

نزلت هذه الآية في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام النضيري وأصحابه، وذلك أنهم كانوا يعظمون السبت ويكرهون لحمان الإبل وألبانها بعدما أسلموا وقالوا: يا رسول الله إن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها في صلاتنا بالليل فأنزل الله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادخلوا في السلم كافة﴾^(١) أي في الإسلام، قال مجاهد في أحكام أهل الإسلام وأعمالهم ﴿كافة﴾ أي جميعاً، وقيل: ادخلوا في الإسلام إلى منتهى شرائعه كافين عن المجاوزة إلى غيره، وأصل السلم من الاستسلام والانقياد، ولذلك قيل للصلح سلم، قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية: الإسلام ثمانية أسهم فعُدَّ الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والعمرة، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال: قد خاب من لا سهم له.

﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أي آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الإبل وغيره ﴿إنه لكم عدو مبين﴾.

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو العباس الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش أخبرنا علي بن عبد العزيز المكي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام أخبرنا هشيم أخبرنا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ حين أتاه عمر فقال إنا نسمع أحاديث من يهود فتعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: «أمتهوكون»^(٢) أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي»^(٣).

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٩٧).

(٢) التهوك كالتهور، وهو الوقوع بالأمر بغير روية، والتهوك: الذي يقع في كل أمر، وقيل: هو التحير.

(٣) رواه أحمد ٣/٢٨٧ - عن جابر.

ورواه أبو يعلى والبخاري.

قال المهيتمي في المجمع ١/١٧٤ وفيه مجالد بن سعيد ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما.

والمصنف في شرح السنة ١/٢٧٠.

سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَلَكَمَ أَتَيْنَهُمْ مِّنْ آيَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ فَمِنْ بَدَلٍ نَّعِمَهُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ

اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾

﴿فإن زلتم﴾ أي ضللتهم، وقيل: ملتم، يقال زلت قدمه تزل زلا وزللاً إذا دحضت، قال ابن عباس: يعني الشرك، قال قتادة: قد علم الله أنه سيزل زالون من الناس فتقدم في ذلك وأوعد فيه ليكون له به الحجة عليهم ﴿من بعد ما جاءكم البينات﴾ أي الدلالات الواضحات ﴿فاعلموا أن الله عزيز﴾ في نعمته ﴿حكيم﴾ في أمره، فالعزيز: هو الغالب الذي لا يفوته شيء، والحكيم: ذو الإصابة في الأمر.

قوله تعالى: ﴿هل ينظرون﴾ أي هل ينظر التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان يقال: نظرت وانتظرت بمعنى واحد، فإذا كان النظر مقروناً بذكر الله أو بذكر الوجه أو إلى، لم يكن إلا بمعنى الرؤية ﴿إلا أن يأتيهم الله في ظلل﴾ جمع ظلة ﴿من الغمام﴾ وهو السحاب الأبيض الرقيق سمي غماماً لأنه يغم أي يستر، وقال مجاهد: هو غير السحاب، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم: قال مقاتل: كهيئة الضباب أبيض، قال الحسن: في سترة من الغمام فلا ينظر [إليه] (١) أهل الأرض ﴿والملائكة﴾ قرأ أبو جعفر بالخفض عطفاً على الغمام، تقديره: مع الملائكة، تقول العرب: أقبل الأمير في العسكر، أي مع العسكر، وقرأ الباقون بالرفع على معنى: إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام، والأولى في هذه الآية وما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهرها ويكل علمها إلى الله تعالى، ويعتقد أن الله عز اسمه منزه عن سمات الحدث، على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة.

قال الكلبي: هذا هو المكتوم الذي لا يفسر، وكان مكحول والزهري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وأحمد وإسحاق يقولون فيها وفي أمثالها: أمرؤها كما جاءت بلا كيف، قال سفيان بن عيينة: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته، والسكوت عنه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله تعالى ورسوله.

قوله تعالى: ﴿وقضي الأمر﴾ أي وجب العذاب، وفرغ من الحساب، وذلك فصل (الله) (٢) القضاء بالحق بين الخلق يوم القيامة ﴿والى الله ترجع الأمور﴾ قرأ ابن عامر وحمة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الجيم.

قوله تعالى: ﴿سل بني إسرائيل﴾ أي سل يا محمد يهود المدينة ﴿كم آتيناهم﴾ أعطينا آباءهم وأسلافهم ﴿من آية بينة﴾ دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام، مثل العصا واليد البيضاء، وخلق

(١) في ب: إليهم.

(٢) زيادة من (ب).

زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٢٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ
مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ
وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٣﴾

البحر وغيرها. وقيل: معناها الدلالات التي آتاهم في التوراة والإنجيل على نبوة محمد ﷺ.

﴿ومن يدل﴾ يعني ﴿نعمة الله﴾ كتاب الله، وقيل: عهد الله وقيل: من ينكر الدلالة على نبوة محمد ﷺ
﴿من بعد ما جاءته﴾ فإن الله شديد العقاب * زين للذين كفروا الحياة الدنيا ﴿الأكثرون﴾ على أن
المزين هو الله تعالى، والتزيين من الله تعالى هو أنه خلق الأشياء الحسنة والمناظر العجيبة، فنظر الخلق إليها
بأكثر من قدرها فأعجبهم ففتنوا بها، وقال الزجاج: زين لهم الشيطان، قيل نزلت هذه الآية في مشركي
العرب أبي جهل واصحابه كانوا يتنعمون بما بسط الله لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد
﴿ويسخرون من الذين آمنوا﴾ أي يستهزؤون بالفقراء من المؤمنين.

قال ابن عباس: أراد بالذين آمنوا عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيباً وبلالاً وخباباً وأمثالهم،
وقال مقاتل: نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه، كانوا يتنعمون في الدنيا ويسخرون من ضعفاء
المؤمنين وفقراء المهاجرين ويقولون انظروا إلى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه يغلب بهم، وقال عطاء: نزلت في
رؤساء اليهود من بني قريظة والنضير وبني قينقاع سخروا من فقراء المهاجرين فوعدهم الله أن يعطيهم أموال
بني قريظة والنضير بغير قتال^(١) ﴿ويسخرون من الذين آمنوا﴾ لفرهم ﴿والذين اتقوا﴾ يعني هؤلاء
الفقراء ﴿فوقهم يوم القيامة﴾ لأنهم في أعلى عليين وهم في أسفل السافلين.

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أخبرنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البيزاز أخبرنا
أبو بكر محمد بن زكريا العذافري أخبرنا اسحاق الدبري أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سليمان
التيمي عن أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «وقفت على باب الجنة
فرايت أكثر أهلها المساكين ووقفت على باب النار فرايت أكثر أهلها النساء وإذا أهل الجحْد^(٢) محبوسون
إلا من كان منهم من أهل النار فقد أمر به إلى النار»^(٣).

(١) انظر: الوسيط: ٣٠٨/١، الدر المنثور: ٥٨١/١.

(٢) الغني.

(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري عن أنس: في النكاح باب رقم (٨٧) ٢٩٨/٩، والمصنف في شرح السنة: ٢٦٦/١٤.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل ثنا اسحاق بن ابراهيم حدثني عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس ما رأيك في هذا؟ فقال: رجل من أشرف الناس: هذا والله حريّ إن خطب أن ينكح وإن شفّع أن يشفع، قال: فسكت رسول الله ﷺ، ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله ﷺ: ما رأيك في هذا؟ فقال: يا رسول الله إن هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حريّ إن خطب أن لا ينكح وإن شفّع أن لا يشفع وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»^(١).

﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ قال ابن عباس: يعني كثيراً بغير مقدار، لأن كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل، يريد: يوسع على من يشاء ويبسط لمن يشاء من عباده، وقال الضحاك: يعني من غير تبعة يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة، وقيل: هذا يرجع إلى الله تعالى، معناه: يقتر على من يشاء ويبسط لمن يشاء ولا يعطي كل أحد بقدر حاجته بل يعطي الكثير من لا يحتاج إليه ولا يعطي القليل من يحتاج إليه فلا يعترض عليه، ولا يحاسب فيما يرزق ولا يقال لِمَ أعطيت هذا وحرمت هذا؟ ولم أعطيت هذا أكثر مما أعطيت ذلك؟ وقيل معناه لا يخاف نفاذ خزائنه فيحتاج إلى حساب ما يخرج منها لأن الحساب من المعطي إنما يكون لمن يخاف من نفاذ خزائنه.

قوله تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ على دين واحد، قال مجاهد: أراد آدم وحده، كان أمة واحدة، قال: سمي الواحد بلفظ الجمع لأنه أصل النسل وأبو البشر، ثم خلق الله تعالى حواء ونشر منهما الناس فانتشروا وكانوا مسلمين إلى أن قتل قابيل هاويل فاختلفوا ﴿فبعث الله النبيين﴾ قال الحسن وعطاء: كان الناس من وقت وفاة آدم إلى مبعث نوح أمة واحدة على ملة الكفر أمثال البهائم، فبعث الله نوحاً وغيره من النبيين^(٢). وقال قتادة وعكرمة: كان الناس من وقت آدم إلى مبعث نوح وكان بينهما عشرة قرون كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى، ثم اختلفوا في زمن نوح فبعث الله إليهم نوحاً، فكان أول نبي بعث، ثم بعث بعده النبيين.

وقال الكلبي هم أهل سفينة نوح كانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاة نوح.

وروي عن ابن عباس قال: كان الناس على عهد ابراهيم عليه السلام أمة واحدة كفاراً كلهم فبعث الله ابراهيم وغيره من النبيين، وقيل: كان العرب على دين ابراهيم إلى أن غيره عمرو بن لحي. وروي عن

(١) رواه البخاري: في النكاح باب الأكفاء في الدين ١٣٢/٩.

(٢) يرد هذا قول قتادة وعكرمة وهو مروى عن ابن عباس موقوفاً وإسناده صحيح على شرط البخاري (انظر ابن كثير: ٤٤٣/١) تخرج الوادعي).

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُونَ
الْبِاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا
نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾

أبي العالية عن أبي بن كعب قال: كان الناس حين عرضوا على آدم، وأخرجوا من ظهره وأقروا بالعبودية أمة واحدة مسلمين كلهم، ولم يكونوا أمة واحدة قط غير ذلك اليوم، ثم اختلفوا بعد آدم نظيره في سورة يونس «وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلَفوا فبعث الله النبيين» (١٩ - يونس) وجملتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، والمذكورون في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون نبياً ﴿مبشرين﴾ بالثواب من آمن وأطاع ﴿ومندرين﴾ محذرين بالعقاب من كفر وعصى ﴿وأنزل معهم الكتاب﴾ أي الكتب، تقديره وأنزل مع كل واحد منهم الكتاب ﴿بالحق﴾ بالعدل والصدق ﴿ليحكم بين الناس﴾ قرأ أبو جعفر ﴿ليحكم﴾ بضم الياء وفتح الكاف هاهنا وفي أول آل عمران وفي النور موضعين لأن الكتاب لا يحكم في الحقيقة إنما (الحكم) ^(٢) به، وقراءة العامة بفتح الياء وضم الكاف، أي ليحكم الكتاب ذكره على سعة الكلام كقوله تعالى «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق» (٢٩ - الجاثية). وقيل معناه ليحكم كل نبي بكتابه ﴿فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه﴾ أي في الكتاب ﴿إلا الذين أوتوه﴾ أي أعطوا الكتاب ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾ يعني أحكام التوراة والإنجيل، قال الفراء: ولاختلافهم معنيان:

أحدهما كفر بعضهم بكتاب بعض قال الله تعالى: «ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض» (١٥٠ - النساء)/والآخر تحريفهم كتاب الله قال الله تعالى: «يحرفون الكلم عن مواضعه» (٤٦ - النساء) وقيل الآية راجعة إلى محمد ﷺ وكتابه اختلف فيه أهل الكتاب ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾ صفة محمد ﷺ في كتبهم ﴿بغياً﴾ ظلماً وحسداً ﴿بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه﴾ أي لما اختلفوا فيه ﴿من الحق بإذنه﴾ بعلمه وإرادته فيهم. قال ابن زيد في هذه الآية: اختلفوا في القبلة فمنهم من يصلي إلى المشرق ومنهم من يصلي إلى المغرب ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس، فهدانا الله إلى الكعبة، واختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان، واختلفوا في الأيام، فأخذت اليهود السبت والنصارى الأحد فهدانا الله للجمعة واختلفوا في إبراهيم عليه السلام، فقالت اليهود كان يهودياً، وقالت النصارى كان نصرانياً فهدانا الله للحق من ذلك، واختلفوا في عيسى فجعلته اليهود لِقْرِيَّةً وجعلته النصارى إلهاً وهدانا الله للحق فيه ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ قال قتادة والسدي: نزلت هذه الآية في غزوة الخندق

(١) في ب: يحكم.

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَاللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى
وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كَتَبَ عَلَيْكُمْ
الْقِتَالَ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا
وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى كما قال الله تعالى: «وبلغت القلوب الحناجر» (١٠ - الاحزاب) وقيل نزلت في حرب أحد.

وقال عطاء: لما دخل رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة اشتد عليهم الضر، لأنهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين وآثروا رضا الله ورسوله، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله ﷺ، وأسرَّ قوم النفاق فأنزل الله تعالى تطيباً لقلوبهم ﴿أم حسبكم﴾ أي: أحسبتم، والميم صلة، قاله الفراء، وقال الزجاج: بل حسبتم، ومعنى الآية: أظنتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة ﴿ولما يأتكم﴾ وما صلة ﴿مثل الذين خلوا﴾ شبه الذين مضوا ﴿من قبلكم﴾ من النبيين والمؤمنين ﴿مستهم البأساء﴾ الفقر والشدة والبلاء ﴿والضراء﴾ المرض والزمانة ﴿وزلزلوا﴾ أي حركوا بأنواع البلايا والرزايا وخوفوا ﴿حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله﴾ مازال البلاء بهم حتى استبطؤوا النصر.

قال الله تعالى: ﴿ألا إن نصر الله قريب﴾ قرأ نافع حتى يقول الرسول بالرفع معناه حتى قال الرسول، وإذا كان الفعل الذي يلي حتى في معنى الماضي ولفظه (لفظ) (١) المستقبل فلك فيه الوجهان الرفع والنصب، فالنصب على ظاهر الكلام، لأن حتى تنصب الفعل المستقبل، والرفع لأن معناه الماضي، وحتى لا تعمل في الماضي.

قوله تعالى: ﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾ نزلت في عمرو بن الجموح، وكان شيخاً كبيراً ذا مال فقال: يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق؟ فأنزل الله تعالى ﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾ وفي قوله ﴿ماذا﴾ وجهان من الإعراب أحدهما أن يكون محله نصباً بقوله ﴿ينفقون﴾ تقديره أي شيء ينفقون والآخر أن يكون رفعاً بما، ومعناه ما الذي ينفقون ﴿قل ما أنفقتم من خير﴾ أي من مال ﴿فليلوالدين والأقربين واليتامى والمسكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم﴾ يجازيكم به قال أهل التفسير: كان هذا قبل فرض الزكاة فنسخت بالزكاة.

قوله تعالى: ﴿كتب عليكم القتال﴾ أي فرض عليكم الجهاد، واختلف العلماء في حكم هذه الآية

(١) زيادة من «ب».

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ
الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ
مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾

فقال عطاء: الجهاد تطوع، والمراد من الآية أصحاب رسول الله ﷺ دون غيرهم، وإليه ذهب الثوري واحتج من ذهب إلى هذا بقوله تعالى: «فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى» (٩٥ - النساء) ولو كان القاعد تاركاً فرضاً لم يكن يعده الحسنى، وجرى بعضهم على ظاهر الآية، وقال: الجهاد فرض على كافة المسلمين إلى قيام الساعة.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي الخوارزمي أخبرنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبي الفراتي أخبرنا أبو الهيثم بن كليب أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة أخبرنا سعيد بن عثمان السعدي عن عمر بن محمد بن المنكدر عن سُمَيِّ عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق»^(١).

وقال قوم، وعليه الجمهور: إن الجهاد فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقيين مثل صلاة الجنازة ورد السلام، قال الزهري والأوزاعي: كتب الله الجهاد على الناس غزواً أو قعدوا، فمن غزا فيها ونعمت ومن قعد فهو عدة إن استعين به أعان وإن استنفر نفر وإن استغني عنه قعد.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كَرِهٌ لَكُمْ﴾ أي شاق عليكم قال بعض أهل المعاني: هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما فيه، من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح، لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى، وقال عكرمة، نسخها قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ يعني أنهم كرهوه ثم أحبوه فقالوا (سمعنا وأطعنا). قال الله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لأن في الغزو إحدى الحسنين إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً﴾ يعني القعود عن الغزو ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ لما فيه من فوات الغنيمة والأجر ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ

(١) رواه مسلم: في الإمارة باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو برقم (١٩١٠) ١٥١٧/٣.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

بعث عبد الله بن جحش، وهو ابن عمه النبي ﷺ أخت أبيه في جمادى الآخرة، قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمه إلى المدينة، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين: سعد ابن أبي وقاص الزهري وعكاشة بن محصن الأسدي وعتبة بن غزوان السلمي وأبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لأميرهم عبد الله بن جحش كتاباً وقال له: «سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فإذا نزلت فافتح الكتاب واقراه على أصحابك ثم امض لما أمرتك ولا تستكرهنَّ أحداً من أصحابك على السير معك» فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فسر على بركة الله بمن معك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك تأتينا منها بخبر، فلما نظر في الكتاب قال: سمعاً وطاعة، ثم قال لأصحابه ذلك، وقال إنه نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كره فليرجع، ثم مضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد حتى كان بمعدن فوق الفُرع بموضع من الحجاز يقال له بُحْران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيداً لهما يعتقبانه فتخلفا في طلبه ومضى ببقية أصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف.

فبينما هم كذلك إذ مرت عير لقريش تحمل زيباً وأدماً وتجارة / من تجارة الطائف، فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان فلما رأوا أصحاب رسول الله ﷺ هابوهم، فقال عبد الله بن جحش: إن القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم وليتعرض لهم فحلقوا رأس عكاشة ثم أشرف عليهم فقالوا: قوم عُمَار لا بأس عليكم، فأمنوهم، وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة، وكانوا يرون أنه من جمادى وهو من رجب فتشاور القوم وقالوا لئن تركتموهم الليلة ليدخلن الحرم ويمتنعن منكم، فأجمعوا أمرهم في مواجهة القوم، فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان أول قتيل من المشركين [وهو أول قتيل في الهجرة وأدى النبي ﷺ دية ابن الحضرمي إلى ورثته من قريش. قال مجاهد وغيره لأنه كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش عهد، وادع أهل مكة سنين أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه] (١).

واستأسر الحكم وعثمان فكانا أول أسيرين في الإسلام وأفلت نوفل فأعجزهم، واستاق المؤمنون العير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة، فقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام فسفك فيه الدماء وأخذ الحرائب وغير ذلك أهل مكة من كان فيها من المسلمين وقالوا: يا معشر الصباة

(١) ساقط من (ب).

استحللت الشهر الحرام وقتلتم فيه!

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: لابن جحش وأصحابه ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام، ووقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ شيئاً من ذلك، فعظم ذلك على أصحاب السرية، وظنوا أنهم قد هلكوا وسقط في أيديهم، وقالوا: يا رسول الله إننا قد قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى؟ وأكثر الناس في ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأخذ رسول الله ﷺ العير فعزل منها الخمس، فكان أول خمس في الإسلام، وقسم الباقي بين أصحاب السرية، وكان أول غنيمة في الإسلام وبعث أهل مكة في فداء أسيرهم فقال «بل نقفهم حتى يقدم سعد وعقبة وإن لم يقدما قتلناهما بهما» فلما قدما فاداها، فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله ﷺ بالمدينة، فقتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان بن عبد الله فرجع إلى مكة فمات بها كافراً وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعاً فقتله الله، فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله ﷺ خذوه فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية، فهذا سبب نزول هذه الآية (١).

قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام﴾ يعني رجباً سمي بذلك لتحريم القتال فيه.

﴿قتال فيه﴾ أي عن قتال فيه ﴿قل﴾ يا محمد ﴿قتال فيه كبير﴾ عظيم، تم الكلام هاهنا ثم ابتدأ فقال ﴿وصد عن سبيل الله﴾ أي فصلتكم المسلمين عن الإسلام ﴿وكفر به﴾ أي كفرتم بالله ﴿والمسجد الحرام﴾ أي المسجد الحرام وقيل وصدتكم عن المسجد الحرام ﴿واخراج أهله﴾ أي اخراج أهل المسجد ﴿منه أكبر﴾ وأعظم وزراً ﴿عند الله والفتنة﴾ أي الشرك الذي أنتم عليه ﴿أكبر من القتل﴾ أي من قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام، فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أنيس إلى مؤمني مكة إذا غيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم أنتم بالكفر واخراج رسول الله ﷺ من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت الحرام، ثم قال: ﴿ولا يزالون﴾ يعني مشركي مكة، وهو فعل لا مصدر له مثل عسى ﴿يقاتلونكم﴾ يا معشر المؤمنين ﴿حتى يردوكم﴾ يصرفوكم ﴿عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت﴾ جزم بالنسق ﴿وهو كافر فأولئك حبطت﴾ بطلت ﴿أعمالهم﴾ حسناتهم ﴿في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ فقال أصحاب السرية يا رسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا، وهل نطمع ان يكون سفرنا هذا غزواً؟ فأنزل الله تعالى ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا﴾ فارقوا عشائرهم ومنازلهم وأموالهم ﴿وجاهدوا﴾ المشركين ﴿في سبيل الله﴾ طاعة

(١) أوردته ابن هشام في السيرة عن ابن اسحاق ٢٥١/٢ وما بعدها ورواه البيهقي في سننه الكبرى: ١٢/٩ بسند صحيح عن الزهري عن عروة مرسلاً وقد وصله هو وابن أبي حاتم من طريق سليمان التميمي عن الحضرمي عن أبي السوار عن جندب أبي عبد الله.. وسنده صحيح إن كان الحضرمي هذا هو ابن لاحق، (انظر: تخرج الألباني لأحاديث فقه السيرة للقرظي ص ٢٣٠، ٢٣١) أسباب النزول ص (٩٩-١٠٢).

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا
 أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
 لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٣٦﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمْتَلِكُ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ
 خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا فِيهَا فَلَا خِيَارَ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
 لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٣٧﴾

لله، فجعلها جهاداً، ﴿أولئك يرجون رحمة الله﴾ أخبر أنهم على رجاء الرحمة ﴿والله غفور رحيم﴾ .
 قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ الآية، نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل رضي
 الله عنهما ونفر من الأنصار أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أفنتنا في الخمر والميسر فإنهما مذهب
 للعقل مسلبة للمال؟ فأنزل الله هذه الآية (٥).

وجملة القول في تحريم الخمر على ما قال المفسرون أن الله تعالى أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكة
 وهي: «ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا» (٦٧ - النحل) فكان المسلمون
 يشربونها وهي لهم حلال يومئذ، ثم نزلت في مسألة عمر ومعاذ بن جبل ﴿يسألونك عن الخمر والميسر
 قل فيهما إثم كبير﴾ فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «إن الله قد تقدم في تحريم الخمر فتركها
 قوم لقوله ﴿إثم كبير﴾ وشربها قوم لقوله ﴿ومنافع للناس﴾ إلى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعا
 ناساً من أصحاب النبي ﷺ وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا، وحضرت صلاة المغرب فقدموا بعضهم
 ليصلي بهم فقراً «قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون» هكذا إلى آخر السورة بحذف «لا» فأنزل الله
 تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون» (٤٣ - النساء) فحرم
 السكر في أوقات الصلاة، فلما نزلت هذه الآية تركها قوم، وقالوا لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة،
 وتركها قوم في أوقات الصلاة وشربوها في غير حين الصلاة، حتى كان الرجل يشرب بعد صلاة العشاء
 فيصبح وقد زال عنه السكر، ويشرب بعد صلاة الصبح فيصبحو إذا جاء وقت الظهر، واتخذ عتيان بن
 مالك صنيعاً ودعا رجالاً من المسلمين فيهم سعد بن أبي وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير، فأكلوا منه
 وشربوا الخمر حتى أخذت منهم، ثم إنهم افتخروا عند ذلك (واتنسبوا) (١) وتناشدوا الأشعار، فأنشد سعد
 قصيدة فيها هجاء للأنصار وفخر لقومه فأخذ رجل من الأنصار لحي البعير فضرب به رأس سعد فشججه
 شجة موضحة (٢) فانطلق سعد إلى رسول الله ﷺ وشكا إليه الأنصاري فقال عمر: اللهم بين لنا

(٥) انظر: الوسيط للواحدى: ٣١٦/١، أسباب النزول ص (١٠٢-١٠٣) المستدرک للحاکم: ٢٧٨/٢.

(١) الشجّة بالرأس تكشف العظم.

(٢) من (ب).

رأيك في الخمر بياناً شافياً، فأنزل الله تعالى تحريم الخمر في سورة المائدة: إلى قوله (فهل أنتم منتهون). وذلك بعد غزوة الأحزاب بأيام فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يارب، قال أنس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش أعجب منها وما حرم عليهم شيئاً أشد من الخمر^(٥).

[عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما نزلت الآية في / سورة المائدة حرمت الخمر فخرجنا بالحباب^(١) إلى الطريق فصببنا ما فيها فمنا كسر صبه ومنا من غسله بالماء والطين، ولقد غودرت^(٢) أزقة المدينة بعد ذلك حيناً فلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت منها ريحها^(٣)].

١/٣٤

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا يعقوب بن ابراهيم أخبرنا ابن علي أخبرنا عبد العزيز بن صهيب قال: قال لي أنس بن مالك ما كان لنا خمر غير فضيخكم^(٤) واني لقايم أسقي أبا طلحة وفلاناً وفلاناً إذ جاء رجل فقال: حرمت الخمر. فقالوا أهرق هذه القلال يا أنس قال فما سألوها عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل^(٥).

عن أنس: سميت خمراً لأنهم كانوا يدعونها في الدنان حتى تختمر وتتغير، وعن ابن المسيب: لأنها تركت حتى صفا صفوها، ورسب كدرها، واختلف الفقهاء في ماهية الخمر، فقال قوم: هي عصير العنب أو الرطب الذي اشتد وغلا من غير عمل النار فيه، واتفقت الأئمة على أن هذا الخمر نجس يحد شاربه ويفسق ويكفر مستحلها، وذهب سفيان الثوري وأبو حنيفة وجماعة إلى أن التحريم لا يتعدى هذا ولا يحرم ما يتخذ من غيرهما كالمخز من الخنطة والشعير والذرة والعسل والفانيد^(٦) إلا أن يسكر منه فيحرم، وقالوا إذا طبخ عصير العنب والرطب حتى ذهب نصفه فهو حلال ولكنه يكره، وإن طبخ حتى ذهب ثلثاه قالوا هو حلال مباح شره إلا أن السكر منه حرام، ويحتجون بما روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى بعض عماله أن أرزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه.

ورأى أبو عبيدة ومعاذ شرب الطلاء على الثلث.

وقال قوم: إذا طبخ العصير أدنى طبخ صار حلالاً، وهو قول اسماعيل بن عليّ.

وذهب أكثر أهل العلم إلى أن كل شراب أسكر كثيره فهو خمر فقليله حرام يحد شاربه.

(٥) انظر: الدر المنثور: ١/٦٠٥، ٦٠٦.

(١) الحابية فارسية معربة.

(٢) تركت.

(٣) ساقط من (ب).

(٤) شراب يتخذ من البُسْر.

(٥) رواه مسلم: في الأثرية — باب: تحريم الخمر.... برقم (١٩٨٠) ٣/١٥٧١.

(٦) نوع من الحلوى.

واحتجوا بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت سئل رسول الله ﷺ عن البتّع^(١) فقال: «كل شراب أسكر فهو حرام»^(٢).

أخبرنا أبو عبد الله بن محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشميني أنا علي ابن حجر أنا اسماعيل بن جعفر عن داود ابن بكر بن أبي الفرات عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»^(٣).

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغفار بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو الربيع العتكي أخبرنا حماد بن زيد حدثنا أيوب بن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو مدمنها ولم يتب لم يشربها في الآخرة»^(٤).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد ابن اسماعيل أنا أحمد بن أبي رجاء أنا يحيى، عن أبي حيان التيمي عن الشعبي عن ابن عمر قال: خطب عمر على منبر رسول الله ﷺ فقال انه قد نزل تحريم الخمر، وهي من خمسة أشياء: من العنب والتمر، والحنطة والشعير والعلس، والخمر ماخامر العقل»^(٥).

وروى الشعبي عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من العنب خمرًا، وإن من التمر

(١) نبيذ العسل.

(٢) رواه البخاري: في الأشربة باب الخمر من العسل ٤١/١٠.

ومسلم: في الأشربة باب بيان أن كل مسكر خمر (٢٠٠١) ١٥٨٥/٣.

والمصنف في شرح السنة ٣٥٠/١١.

(٣) رواه أبو داود: في الأشربة باب النهي عن المسكر ٢٦٦/٥.

والترمذي: في الأشربة — باب: ما أسكر كثيره فقليله حرام ٦٠٦/٥ وقال: حديث حسن غريب.

وابن حبان: في الأشربة — باب: في قليل ما أسكر كثيره رقم (١٣٨٥) ص ٣٣٦ موارد الظمان.

وابن ماجه: في الأشربة — باب: ما أسكر كثيره فقليله حرام رقم (٣٣٩٣ — ٣٣٩٤) ١١٢٥/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٣٥١/١١.

وانظر التلخيص الحبير: ٧٣/٤.

(٤) رواه البخاري: في الأشربة — باب: قوله تعالى: إنما الخمر والميسر.... ٣٠/١٠.

ومسلم: في الأشربة — باب: بيان أن كل مسكر خمر برقم (٢٠٠٣) ١٥٨٧/٣.

والمصنف في شرح السنة: ٣٥٥/١١ وشيخه فيه: (عبد الغافر بن محمد).

(٥) رواه البخاري: في الأشربة — باب: ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل... ٤٥/١٠.

والمصنف في شرح السنة: ٣٥١/١١.

خمرًا، وإن من العسل خمرًا، وإن من البر خمرًا وإن من الشعير خمرًا»^(١) فثبت أن الخمر لا يختص بما يتخذ من العنب أو الرطب.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد أنه أخبره أن عمر بن الخطاب خرج عليهم فقال اني وجدت من فلان ربح شراب، وزعم أنه شرب الطلاء، وأنا سائل عما شرب فإن كان يسكر جلده، فجلده عمر الحد تأمًا^(٢)، وما روى عن عُمَرَ وأبي عبيده ومعاذ في الطلاء فهو فيما طبخ حتى خرج عن أن يكون مسكرًا. وسئل ابن عباس عن الباذق^(٣) فقال: سبق محمد الباذق فما أسكر فهو حرام.

قوله تعالى: ﴿والميسر﴾ يعني القمار، قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله فأنزل الله تعالى هذه الآية، والميسر: مفعول من قوهم يسر لي الشيء إذا وجب يسر يسراً وميسراً، ثم قيل للقمار ميسر وللمقامر ياسر ويسر، وكان أصل الميسر في الجزور وذلك أن أهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزوراً فينحرونها ويجزؤونها عشرة أجزاء ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الألام والأقلام، لسبعة منها أنصباء وهي: الفدّ وله نصيب واحد، والتوأم وله نصيبان، والرقيب وله ثلاثة أسهم، والحلس وله أربعة، والنافس وله خمسة، والمسبل وله ستة، والمعلى وله سبعة، وثلاثة منها: لا أنصباء لها وهي المنيح والسفيح والوغد، ثم يجعلون القداح في خريطة تسمى الربابة ويضعونها على يدي رجل عدل عندهم يسمى الجميل والمفيض، ثم يجيئها ويخرج قدحاً منها باسم رجل منهم، فأيم خرج سهمه أخذ نصيبه على قدر ما يخرج، فإن خرج له واحد من الثلاثة التي لا أنصباء لها كان لا يأخذ شيئاً ويغرم ثمن الجزور كله.

وقال بعضهم كان لا يأخذ شيئاً ولا يغرم ويكون ذلك القدح لغواً ثم يدفعون ذلك الجزور إلى الفقراء ولا يأكلون منه شيئاً، وكانوا يفتخرون بذلك ويدمون من لم يفعل ذلك ويسمونه البُرم وهو أصل القمار الذي كانت تفعله العرب. والمراد من الآية أنواع القمار كلها، قال طاووس وعطاء ومجاهد: كل شيء فيه

(١) رواه أبو داود: في الأشربة — باب: الخمر ممّ هي؟ ٢٦٢/٥.

والترمذي: في الأشربة — باب: ما جاء في الحبوب التي تتخذ منها الخمر وفي سنده إبراهيم بن المهاجر البجلي الكوفي وهو صدوق فيه لين. وقال الترمذي: هذا حديث غريب وللحديث شواهد وذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن عمر كما تقدم. وأخرجه أحمد: ٢٦٧/٤ عن النعمان بن بشير.

(٢) رواه البخاري معلقاً في الأشربة باب الباذق ومن نهى عن كل مسكر في الأشربة، ٦٢/١٠.

ومالك في الموطأ باب الحد في من الخمر موصولاً عن الزهري عن السائب بن يزيد وأخرجه سعيد بن منصور عن ابن عيينه عن الزهري سمع السائب بن يزيد يقول: قام عمر على المنبر فقال: ذكر لي أن عبيد الله بن عمر وأصحابه شربوا شراباً — فساقه. والمصنف في شرح السنة ٣٥٣/١١، وسنده صحيح.

(٣) ما طبخ من عصير العنب أدى طبخ فصار شديداً وهو مسكر.

قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب، وروى عن علي رضي الله عنه في النرد والشطرنج أنهما من الميسر.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ وزر عظيم من المخاصمة والمشائمة وقول الفحش، قرأ حمزة والكسائي إثم كثير بالثاء المثناة وقرأ الباقون بالباء فالإثم في الخمر والميسر ما ذكره الله في سورة المائدة. «إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متبهون» (٩١ - المائدة) ﴿ومنافع للناس﴾ فمنفعة الخمر اللذة عند شربها والفرح واستمراء الطعام وما يصيبون من الربح بالتجارة فيها، ومنفعة الميسر إصابة المال من غير كد ولا تعب وارتفاق الفقراء به. والإثم فيه أنه إذا ذهب ماله من غير عوض ساءه ذلك فعادى صاحبه فقصدته بالسوء.

﴿وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ / قال الضحاك وغيره: إثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم، وقيل: إثمهما أكبر من نفعهما قبل التحريم وهو ما يحصل من العداوة والبغضاء.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ حثهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق؟ فقال ﴿قُلِ الْعَفْوُ﴾ قرأ أبو عمرو العفو بالرفع، معناه: الذي ينفقون هو العفو. وقرأ الآخرون بالنصب، على معنى قل: أنفقوا العفو.

واختلفوا في معنى العفو، فقال قتادة وعطاء والسدي: هو ما فضل عن الحاجة، وكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم هذه الآية، ثم نسخ بآية الزكاة. وقال مجاهد: معناه: التصدق عن ظهر غنى حتى لا يبقى كلاً على الناس.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزياتي أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر أنا إبراهيم بن عبد الله بن عمر الكوفي أنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى، وأبدأ بمن تعول»^(١) وقال عمرو بن دينار: الوسط من غير إسراف ولا إقتار قال الله تعالى «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا» (٦٧ - الفرقان) وقال طاووس: ما يسر، والعفو: اليسر من كل شيء (ومنه قوله تعالى) «خذ العفو» (١٩٩ - الأعراف) أي الميسور من أخلاق الناس.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا

(١) رواه البخاري: في الزكاة - باب: لا صدقة إلى عن ظهر غنى ٢٩٤/٣ وفي النفقات.

ومسلم: في الزكاة - باب: أن اليد العليا خير من اليد السفلى برقم (١٠٣٤) ٧١٧/٢.

والمصنف في شرح السنة: ١٨٧/٦.

الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أنا سفيان عن محمد بن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله عندي دينار قال ﷺ: «أنفقه على نفسك» قال: عندي آخر قال: «أنفقه على ولدك» قال: عندي آخر قال: «أنفقه على أهلِكَ» قال: عندي آخر قال: «أنفقه على خادمك» قال: عندي آخر قال: «أنت أعلم»^(١).

قوله تعالى: ﴿كذلك بين الله لكم الآيات﴾ قال الزجاج: إنما قال كذلك على الواحد وهو يخاطب جماعة، لأن الجماعة معناها القبيل كأنه قال: كذلك أيها القبيل، وقيل: هو خطاب للنبي ﷺ لأن خطابه يشتمل على خطاب الأمة كقوله تعالى: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء» (١ - الطلاق).

قوله تعالى: ﴿لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة﴾ قيل: معناه بين الله لكم الآيات في أمر النفقة لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة فتحبسون من أموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا وتنفقون الباقي فيما ينفعكم في العقبين، وقال أكثر المفسرين: معناها هكذا: بين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة، ﴿لعلكم تتفكرون﴾ في زوال الدنيا وفنائها فتزهدها فيها وفي إقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها.

قوله تعالى: ﴿ويسمألونك عن اليتامى﴾ قال ابن عباس وقتادة: لما نزل قوله تعالى: «ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن» (١٥٢ - الأنعام) وقوله تعالى «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً» الآية (١٠ - النساء) تخرج المسلمون من أموال اليتامى تخرجاً شديداً حتى عزلوا أموال اليتامى عن أموالهم حتى كان يُصنع لليتيم طعاماً فيفضل منه شيء فيتركونه ولا يأكلونه حتى يفسد، فاشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿قل إصلاح لهم خير﴾ أي (الإصلاح لأموالهم)^(٢) من غير أجر ولا أخذ عوض خمر لكم وأعظم أجراً، لما لكم في ذلك من الثواب، وخير لهم، لما في ذلك من توفر أموالهم عليهم، قال مجاهد: يوسع عليهم من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم ﴿وإن تخالطوهم﴾ هذه إباحة المخالطة أي وإن تشاركوهم في أموالهم وتخالطوها بأموالكم في نفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من أموالهم عوضاً من قيامكم بأموالهم وتكافؤوهم على ما تصيبون من أموالهم ﴿فإخوانكم﴾ أي فهم إخوانكم، وإخوان يعين بعضهم بعضاً ويصيب بعضهم من أموال بعض على وجه الإصلاح والرضا ﴿والله يعلم المنسذ﴾ لأموالهم ﴿من المصلح﴾ لها يعني الذي يقصد بالمخالطة

(١) أخرجه أبو داود في الزكاة، باب صلة الرحم: ٢٦٠/٢، وقال المنذري: في إسناده محمد بن عجلان والنسائي في الزكاة، باب اليد العليا: ٦٢/٥.

والإمام أحمد في المسند: ٢٥١/٢، ٤٧١ عن أبي هريرة وصححه الحاكم على شرط مسلم: ٤١٥/١.

وابن حبان في موارد الظمان برقم (٨٢٨)، والشافعي ٤١٨/٢، ٤١٩.

والغوي في شرح السنة: ١٩٣/٦، وانظر تعليق المحقق.

ومحمد بن عجلان، صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة، من الخامسة (التقريب) ١٩٠/٢ وميزان الاعتدال ٦٤٤/٣.

(٢) زيادة من (ب).

وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ
وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ
يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣١﴾

الحياة وإفساد أموال اليتيم وأكله بغير حق من الذي يقصد الإصلاح ﴿ولو شاء الله لأعتكم﴾ أي
لضيق عليكم وما أباح لكم مخالطتهم، وقال ابن عباس: ولو شاء الله لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى
موبقاً لكم، وأصل العنت الشدة والمشقة. ومعناه: كلفكم في كل شيء ما يشق عليكم ﴿إن الله عزيز﴾
والعزيز الذي يأمر بعزة — سهل على العباد أو شق عليهم ﴿حكيم﴾ فيما صنع من تدييره وترك
الإغنيات.

قوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ سبب نزول هذه الآية أن أبا مرثد الغنوي بعثه
رسول الله ﷺ إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين سراً، فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها
عناق، وكانت خليلته في الجاهلية، فأنته وقالت: يا أبا مرثد ألا تخلو؟ فقال لها ويحك يا عناق إن الإسلام
قد حال بيننا وبين ذلك، قالت: فهل لك أن تتزوج بي؟ قال نعم، ولكن أرجع إلى رسول الله ﷺ
فأستأمره، فقالت أبي تبرم؟ ثم استغاثت عليه فضربوه ضرباً شديداً، ثم خلوا سبيله، فلما قضى حاجته
بمكة وانصرف إلى رسول الله ﷺ أعلمه بالذي كان من أمره وأمر عناق وما لقي بسببها وقال: يارسول
الله أيجل لي أن أتزوجها؟ فأنزل الله تعالى ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾^(٥).

وقيل: الآية منسوخة في حق الكتابيات بقوله تعالى «والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم»
(٥ — المائة) فإن قيل: كيف أطلقتم اسم الشرك على من لا ينكر إلا نبوة محمد ﷺ؟ قال أبو الحسن
ابن فارس لأن من يقول القرآن كلام غير الله فقد أشرك مع الله غيره، وقال قتادة وسعيد بن جبير: أراد
بالمشركات الوثنيات، فإن عثمان رضي الله عنه تزوج نائلة بنت فرافصة، وكانت نصرانية فأسلمت تحته،
وتزوج طلحة بن عبيد الله نصرانية، وتزوج حذيفة يهودية [فكتب إليه عمر رضي الله عنه خلّ سبيلها.
فكتب إليه أتزعم أنها حرام؟ فقال: لا أزعم أنها حرام، ولكنني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن]^(١).

قوله تعالى: ﴿ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم﴾ بجمالها ومالها، نزلت في خنساء ووليدة
سوداء، كانت لحذيفة بن اليمان، قال حذيفة: ياخنساء قد ذكرت في الملأ الأعلى، على سوادك ودمايتك

(٥) انظر: الطبري: ٣٦٨/٤، الوسيط: ٣٢٠/١-٣٢١.

(١) ساقط من (ب).

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاءَكُمْ حَرِّثُ لَكُمْ فَأَتُوا حَرِّثَكُمْ أَنِّي شِئْتُمْ وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾

فأعتقها وتزوجها، وقال السدي نزلت في عبدالله بن رواحة كانت له أمة سوداء فغضب عليها ولطمها ثم فرغ فأتى النبي ﷺ وأخبره بذلك فقال له ﷺ وما هي يا عبدالله؟ قال: هي تشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلي فقال: «هذه مؤمنة» قال عبدالله: فولذي بعثك بالحق نبياً لأعتقها ولأتزوجنها ففعل ذلك فظعن عليه ناس من المسلمين وقالوا: أتتكح أمة؟ وعرضوا عليه حرة مشركة، فانزل الله تعالى هذه الآية (١)

قوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا﴾ هذا اجماع: لا يجوز للمسلمة أن تنكح المشرك ﴿ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾، أولئك يعني / المشركين ﴿يدعون إلى النار﴾ أي إلى الأعمال الموجبة للنار ﴿والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه﴾ أي بقضائه وإرادته ﴿ويبين آياته للناس﴾ أي أوامره ونواهيه ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون.

ب/٣٥

قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي أنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي أنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني أنا موسى بن اسماعيل أنا حماد بن سلمة أنا ثابت البناني عن انس بن مالك أن اليهود كانت إذا حاضت منهم المرأة أخرجوها من البيت ولم يأكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيت فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله تعالى ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ الآية فقال رسول الله ﷺ: «جامعوهن في البيوت واصنعوا كل شيء إلا النكاح» فقالت اليهود ما يريد هذا الرجل أن يدع شيئاً من أمرنا إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر إلى النبي ﷺ فقالوا: يارسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا أفلا ننكحهن في المحيض؟ فتمعّر وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ فبعث في آثارهما فسقاها فظننا أنه لم يجد عليهما (٢).

(١) رواه ابن جرير الطبري عن السدي مرسلأ ٤/ ٣٦٨ بتحقيق أحمد شاكر.

(٢) رواه مسلم: في الحيض - باب: جواز غسل الحائض رأس زوجها... برقم (٣٠٢) ١/ ٢٤٦. والمصنف في شرح السنة ١٢٥/٢.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحَيْضِ﴾ أي عن الحيض وهو مصدر حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً كالسير والمسير، وأصل الحيض الانفجار والسيلان وقوله ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾ أي قدر، والأذى كل ما يكره من كل شيء ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْحَيْضِ﴾ أراد بالاعتزال ترك الوطء ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ أي لا تجامعوهُنَّ، أما الملامسة والمضاجعة معها فجائزة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا قبيصة أنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت اغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد كلانا جنب وكان يأمرني أن أتزر فيباشرنى وأنا حائض وكان يخرج رأسه إليّ وهو معتكف فأغسله وأنا حائض»^(١).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا سعد بن حفص أنا شيبان عن يحيى عن أبي سلمة عن زينب بنت أبي سلمة حدثته عن أم سلمة قالت: «حضت وأنا مع رسول الله ﷺ في الخيملة فأنسلتُ فخرجت منها فأخذت ثياب حياضي فلبستها فقال لي رسول الله ﷺ: أنفست؟ قلت: نعم، فدعاني فأدخلني معه في الخيملة»^(٢).

أخبرنا أبو القاسم بن عبد الله بن محمد الحنفي أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الطاهري أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حكيم^(٣) أنا أبو الموجه محمد بن عمرو أنا صدقة أنا وكيع أنا مسعر وسفيان عن المقدم^(٤) بن شريح عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أشرب وأنا حائض فأناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيّ وأتعرّق العرق فيتناوله فيضع فاه على موضع فيّ»^(٥).

فوطء الحائض حرام، ومن فعله يعصي الله عز وجل ويعزره الإمام، إن علم منه ذلك، واختلف أهل العلم في وجوب الكفارة عليه، فذهب أكثرهم^(٦) إلى أنه لا كفارة عليه فيستغفر الله ويتوب إليه.

وذهب قوم إلى وجوب الكفارة عليه منهم: قتادة والأوزاعي وأحمد وإسحاق، لما أخبرنا عبد الواحد بن

(١) رواه البخاري في الحيض باب مباشرة الحائض ٤٠٣/١.

والمصنف في شرح السنة: ١٣١/٢.

(٢) رواه البخاري في الحيض - باب النوم مع الحائض وهي في ثيابها ٤٢٢/١.

ومسلم: في الحيض - باب: الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد برقم (٢٩٦) ٢٤٣/١.

والمصنف في شرح السنة: ١٢٩/٢.

(٣) في شرح السنة: محمد بن حليم - باللام.

(٤) في شرح السنة: المقدم بن شريح وهو خطأ.

(٥) رواه مسلم: في الحيض - باب: جواز غسل الحائض رأس زوجها برقم (٣٠٠) ٢٤٥/١ - ٢٤٦.

والمصنف في شرح السنة: ١٣٤/٢.

(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٨٧/٣.

أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا أبو جعفر الرازي عن عبد الكريم بن أبي المخارق عن مقسم عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال في رجل جامع امرأته وهي حائض قال: «إن كان الدم عبيطاً فليصدق بدينار، وإن كان صفرة فبنصف دينار»^(١).

ويروي هذا موقوفاً عن ابن عباس، ويمنع الحيض جواز الصلاة ووجوبها، ويمنع جواز الصوم، ولا يمنع وجوبه، حتى إذا ظهرت يجب عليها قضاء الصوم ولا يجب قضاء الصلاة، وكذلك النفساء.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا علي بن حجر أنا علي بن مسهر عن عبيده بن مَعْتَب الضبي عن ابراهيم النخعي عن الأسود عن عائشة قالت: «كنا نحيض عند رسول الله ﷺ ثم نطهر فيأمرنا بقضاء الصيام ولا يأمرنا بقضاء الصلاة»^(٢).

ولا يجوز للحائض الطواف بالبيت ولا الاعتكاف في المسجد، ولا مس المصحف، ولا قراءة القرآن، ولا يجوز للزوج غشيانها.

أخبرنا عمر بن عبد العزيز أنا القاسم بن جعفر أنا أبو علي اللؤلؤي أنا أبو داود أنا مسدد أنا عبد الواحد بن زياد أنا أفلت بن خليفة قال: حدثني جسر بنت دجاجة قالت: سمعت عائشة تقول جاء رسول الله ﷺ ووجوه بيوت اصحابه شارعة في المسجد فقال: «وجَّهوا هذه البيوت عن المسجد فإني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب»^(٣).

قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ قرأ عاصم برواية أبي بكر وحمزة والكسائي بتشديد الطاء والهاء يعني: حتى يغتسلن، وقرأ الآخرون بسكون الطاء وضم الهاء، فخفف، ومعناه حتى يطهرن من الحيض وينقطع

(١) رواه الدارمي: في الموضوع — باب: من قال عليه الكفارة: ٢٥٥/١ وانظر تحفة الأحوذى: ٤٢١/١ — ٤٢٢. والمصنف في شرح السنة: ١٢٧/٢ مع التعليق.

وإسناده ضعيف لضعف عبد الكريم بن أبي المخارق (التقريب — ميزان الاعتدال). ذكره النسائي في الضعفاء والمتروكين.

(٢) رواه البخاري: في الحيض — باب: لا تقضي الحائض الصلاة ٤٢١/١ وليس فيها تعرض لقضاء الصوم.

ومسلم: في الحيض — باب: وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة برقم (٣٣٥) ٢٦٥/١.

(٣) رواه أبو داود: كتاب الطهارة — باب: في الجنب يدخل المسجد: ١٥٧/١ قال المنذري: وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير وفيه زيادة، وذكر بعده حديث عائشة... سلوا هذه الأبواب إلا باب أبي بكر ثم قال: هذا أصح، وقال الخطابي: وضعفوا هذا الحديث وقالوا: أفلت: راويه مجهول، لا يصح الاحتجاج بحديثه (انظر مختصر المنذري: ١٥٨/١). والبيهقي: ٤٤٢/٢ — ٤٤٣.

وقد ضعفه الألباني وقال: وفيه جسر بنت دجاجة، قال البخاري: وعند جسر عجائب قال البيهقي وهذا إن صح فمحمول في الجنب على المكث فيه دون العبور بدليل الكتاب، (إرواء الغليل: ٢١٠/١ — ٢١٢).

دمهن ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ يعني اغتسلن ﴿فَأَتَوْهُنَّ﴾ أي فجامعوهنَّ ﴿مَنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي من حيث أمركم أن تعتزلوهن منه، وهو الفرج، قاله مجاهد وقتادة وعكرمة، وقال ابن عباس: طُوَّوهن في الفرج ولا تعدوه إلى غيره أي اتقوا الأدبار، وقيل (من) بمعنى (في) أي في حيث أمركم الله تعالى وهو الفرج، كقوله تعالى: «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ» (٩ - الجمعة) أي في يوم الجمعة وقيل ﴿فَأَتَوْهُنَّ﴾ من الوجه الذي أمركم الله أن تأتوهن وهو الطهر، وقال ابن الحنفية: من قبل الحلال دون الفجور، وقيل: لا تأتوهن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات: وَأَتَوْهُنَّ وَغَشِيَانَهُنَّ لَكُمْ حَلَالٌ، واعلم أنه لا يرتفع تحريم شيء مما منعه الحيض بانقطاع الدم ما لم تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء إلا بتحريم الصوم، فإن الحائض إذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فوق غسلها بالنهار صح صومها، والطلاق في حال الحيض يكون بدعيًا، وإذا طلقها بعد انقطاع الدم قبل الغسل لا يكون بدعيًا، وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إلى أنه إذا انقطع دمها لأكثر الحيض وهو عدة عشرة أيام يجوز للزوج غشيانها قبل الغسل، وقال مجاهد وطاووس: إذا غسلت فرجها جاز للزوج غشيانها قبل الغسل.

وأكثر أهل العلم على التحريم ما لم تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء، لأن الله تعالى علق جواز وطئها بشرطين: / بانقطاع الدم والغسل، فقال ﴿حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ يعني من الحيض ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ يعني اغتسلن ﴿فَأَتَوْهُنَّ﴾ ومن قرأ يطهرن بالتشديد فالمراد من ذلك: الغسل كقوله تعالى «وَأَنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا» (٦ - المائدة) أي فاغتسلوا فدل على أن قبل الغسل لا يحل الوطء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ قال عطاء ومقاتل بن سليمان والكلبي: يجب التوابين من الذنوب، ويجب المتطهرين بالماء من الأحداث والنجاسات، وقال مقاتل بن حيان: يجب التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك، وقال سعيد بن جبير: التوابين من الشرك والمتطهرين من الذنوب، وقال مجاهد التوابين من الذنوب لا يعودون فيها والمتطهرين منها لم يصيبوها، والتواب: الذي كلما أذنب تاب، نظيره قوله تعالى: «فَإِنَّه كَانَ لِلتَّوَّابِينَ غَفُورًا» (٢٥ - الاسراء).

قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرنا عبد الله بن حامد الأصبهاني أخبرنا محمد بن يعقوب أنا ابن المنادي أنا يونس أنا يعقوب القمي عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله هلكت، قال وما الذي أهلكك؟ قال: حولت رحلي البارحة، فلم يرد عليه شيئاً، فأوحى الله إليه ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ يقول أدبر وأقبل واتق الدبر والحيضة^(١).

(١) أخرجه الترمذي: في التفسير، وقال: هذا حديث حسن غريب ٣٢٤/٨ والإمام أحمد عن ابن عباس ٢٩٧/١ وعزاه المباركفوري لأبي داود وابن ماجه، انظر تحفة الأحوذى ٣٢٤/٨ وابن كثير ٤٦٣/١. وعزاه السيوطي أيضاً لعبد بن حميد والنسائي وأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والطبراني والبيهقي والضياء. انظر: الدر المنثور: ٦٢٩/١.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أحمد بن الحسين الحيرى أنا حاجب بن أحمد الطوسى أنا عبد الرحيم بن منيب أنا ابن عيينة عن ابن المنكدر أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: كانت اليهود تقول في الذي يأتي امرأته من دبرها في قبلها: إن الولد يكون أحول، فنزلت ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾^(١).

وروى مجاهد عن ابن عباس قال كان من شأن أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف وذلك أستر ما تكون المرأة، وكان هذا الحى من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحى من قريش يتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك فأنكرت عليه وقالت إنا كنا نؤتى على حرف فإن شئت فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني، حتى سرى أمرهما، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ الآية يعني موضع الولد ﴿فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ مقبلات ومدبرات ومستلقيات وأنى حرف استفهام يكون سؤالاً عن الحال والحل، معناه: كيف شئتم وحيث شئتم، بعد أن يكون في صمام واحد، وقال عكرمة ﴿أنى شئتم﴾ إنما هو الفرج، ومثله عن الحسن، وقيل ﴿حَرْثٌ لَكُمْ﴾ أي مزرع لكم ومنبت للولد، بمنزلة الأرض التي تزرع، وفيه دليل على تحريم الأدبار، لأن محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر.

وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل، يعني إن شئتم فاعزلوا، وإن شئتم فلا تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال: حركك إن شئت فأعطش، وإن شئت فأرو، وروى عنه أنه قال: تستأمر الحرة في العزل ولا تستأمر الجارية، وبه قال أحمد، وكره جماعة العزل وقالوا: هو الواد الخفي، وروى عن مالك عن نافع قال كنت أمسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه الآية ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ فقال أتدري فيم نزلت هذه الآية؟ قلت لا قال: نزلت في رجل أتى امرأته في دبرها، فشق ذلك عليه فنزلت هذه الآية^(٢).

ويحكى عن مالك إباحة ذلك، وانكر ذلك أصحابه، وروى عن عبد الله بن الحسن أنه لقي سالم بن عبد الله فقال له يا أبا عمر ما حديث يُحدِّث نافع عن عبد الله أنه لم يكن يرى بأساً بإتيان النساء في أدبارهن فقال: كذب العبد وأخطأ، إنما قال عبد الله: يؤتون في فروجهن من أدبارهن، والدليل على تحريم الأدبار ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد بن الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أخبرنا الشافعي أنا عمر محمد بن علي بن شافع أخبرني عبد الله بن علي بن السائب عن عمرو بن أحيحة بن الجلاح عن خزيمه بن ثابت أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن إتيان النساء في

(١) رواه البخاري: في التفسير: سورة البقرة - باب: نساؤكم حرت لكم ١٨٩/٨.

ومسلم: في النكاح - باب: جواز مجامعة امرأته في قبلها من قدامها..... برقم (١٤٣٥) ١٠٥٨/٢.

والمصنف في شرح السنة: ١٠٥/٦.

(٢) عزاه السيوطي للدارقطني في غرائب مالك. انظر: الدر المنثور: ٦٣٦/١.

أدبارهن فقال النبي ﷺ «في أي الحرمتين أو في أي الخرزتين أو في أي الخصفتين أمن دبرها في قبلها فنعم أو من دبرها في دبرها فلا، فإن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن»^(١).

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا عبد الله الحسين بن محمد الحافظ أنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي أنا عبد الله بن أبان أنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن مسلم بن خالد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعون من أتى امرأته في دبرها»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ قال عطاء: التسمية عند الجماع قال مجاهد ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ يعني إذا أتى أهله فليدع.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن اسماعيل أنا عثمان بن أبي شيبة أنا جرير عن منصور عن سالم عن كريب عن ابن عباس قال قال النبي ﷺ «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً»^(٣). وقيل قدموا لأنفسكم يعني: طلب الولد.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٤)، وقيل: هو التزوج بالعفاف ليكون الولد صالحاً.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا مسدد أنا يحيى بن عبيد الله حدثني سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع

(١) مسند الشافعي: ٣٦٠/٢.

وابن حبان: (١٢٩٩) وصححه.

وأحمد: ٢١٣/٥ عن خزيمه بلفظ «فإن الله لا يستحي من الحق...».

الطحاوي: ٢٥/٢ وسنده صحيح (انظر الفتح: ١٤٣/٨).

(٢) رواه أبو داود: في النكاح — باب جامع في النكاح: ٧٧/٣.

وابن ماجه: في النكاح — باب: النبي عن اتیان النساء في أدبارهن برقم (١٩٢٣) ٦١٩/٢.

بلفظ: لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته في دبرها، وقال في الروايد: إسناده صحيح.

والمصنف في شرح السنة: ١٠٦/٩.

(٣) رواه البخاري: في النكاح — باب: ما يقول الرجل إذا أتى أهله: ٢٢٨/٩.

ومسلم: في النكاح — باب: ما يستحب أن يقوله عند الجماع برقم (١٤٣٤) ١٠٥٨/٢.

(٤) رواه مسلم: في الوصية — باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته برقم (١٦٣١) ١٢٥٥/٣.

والمصنف في شرح السنة: ٣٠٠/١.

وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ
النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ
قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾

لما لها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»^(١) وقيل معنى الآية تقديم الأقران.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب / عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم»^(٢) وقال الكلبي والسدي: وقدموا لأنفسكم يعني الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ صائرون إليه فيجزئكم بأعمالكم ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ نزلت في عبدالله بن رواحة، كان بينه وبين ختنته على أخته بشير بن النعمان الأنصاري شيء، فحلف عبدالله أن لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصمه، وإذا قيل له فيه قال: قد حلفت بالله أن لا أفعل، فلا يحل لي إلا أن تبر يميني، فأنزل الله هذه الآية^(٣).

وقال ابن جريج: نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف أن لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الإفك^(٤)، والعرضة: أصلها الشدة والقوة ومنه قيل للدابة التي تتخذ للسفر عرضة، لقوتها عليه، ثم قيل لكل ما يصلح لشيء هو عرضة له حتى قالوا للمرأة هي عرضة النكاح إذا صلحت له والعرضة كل ما يعترض فيمنع عن الشيء ومعنى الآية ﴿لَا تَجْعَلُوا﴾ الحلف بالله سبباً مانعاً لكم من البر والتقوى يدعى أحدكم إلى صلة رحم أو بر فيقول حلفت بالله أن لا أفعله، فيعتل يمينه في ترك البر ﴿أَنْ تَبَرُّوا﴾ معناه أن لا تبروا كقوله تعالى «يبين الله لكم أن تضلوا» (١٧٦ - النساء) أي لثلاثا تضلوا ﴿وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

(١) رواه البخاري: في النكاح - باب الأكفاء في الدين: ١٣١/٩.

ومسلم: في النكاح - باب: استحباب نكاح ذات الدين برقم (١٤٦٦) ١٠٨٦/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٨/٩.

(٢) رواه البخاري: في الأيمان والنذور - باب: قول الله: وأقسموا بالله جهد أيمانهم: ٥٤١/١١.

ومسلم: في البر والصلة والآداب - باب: فضل من يموت له ولد فيحسبه برقم (٢٦٣٢) ٢٠٢٨/٤.

والمصنف في شرح السنة: ٤٥٠/٥.

(٣) انظر: أسباب النزول ص (١١٠)، الوسيط: ٣٢٤/١.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٤.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «من حلف يمين فرأى غيرها خيراً منها فليُكفِّر عن يمينه، وليفعل الذي هو خير»^(١).

قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ اللغو كل مطرّح من الكلام لا يعتد به، واختلف أهل العلم في اللغو في اليمين المذكورة في الآية فقال قوم هو ما يسبق إلى اللسان على عجلة لصلة الكلام، من غير عقد وقصد، كقول القائل: لا والله وبلى والله وكلا والله.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: لغو اليمين قول الانسان لا والله وبلى والله، ورفع بعضهم^(٢) وإلى هذا ذهب الشعبي وعكرمة وبه قال الشافعي.

ويروى عن عائشة: أيمان اللغو ما كانت في الهزل والمرء والخصومة والحديث الذي لا يعقد عليه القلب، وقال قوم: هو أن يخلف على شيء يرى أنه صادق فيه ثم يتبين له خلاف ذلك وهو قول الحسن والزهري وابراهيم النخعي وقتادة ومكحول، وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه، وقالوا لا كفارة فيه ولا إثم عليه، وقال علي: هو اليمين على الغضب، وبه قال طاووس وقال سعيد بن جبير هو اليمين في المعصية لا يؤاخذها الله بالحنث فيها، بل يحنث ويكفر، وقال مسروق ليس عليه كفارة أيكفر خطوات الشيطان؟ وقال الشعبي في الرجل يخلف على المعصية كفارته أن يتوب منها وكل يمين لا يحل لك أن تفي بها فليس فيها كفارة ولو أمرته بالكفارة لأمرته أن يتم على قوله وقال زيد بن أسلم: هو دعاء الرجل على نفسه تقول لإنسان أعمى الله بصري إن لم أفعل كذا وكذا [أخرجني الله من مالي إن لم آتك غداً، ويقول: هو كافر إن فعل كذا]^(٣) فهذا كله لغو لا يؤاخذها الله به ولو آخذهم به لعجل لهم العقوبة «ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم» (١١ - يونس)، وقال «ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير» (١١ - الإسراء).

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي عزمتم وقصدتم إلى اليمين، وكسب القلب العقد والنية ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ واعلم أن اليمين لا تتعدد إلا بالله أو بانسم من أسمائه، أو بصفة من صفاته: فاليمين بالله أن يقول: والذي أعبد، والذي أصلي له، والذي نفسي بيده، ونحو ذلك، واليمين بأسمائه كقوله والله والرحمن ونحوه، واليمين بصفاته كقوله: وعزة الله وعظمة الله وجلال الله وقدرة الله

(١) رواه مسلم: في الايمان - باب: ندب من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها برقم (١٦٤٩) ٢٢٧٢/٣.

(٢) رواه أبو داود: في الايمان - باب: لغو اليمين ٣٥٩/٤ وقال المنذري (وذكر أن غير واحد رواه عن عطاء عن عائشة موقوفاً).

انظر: الزيلعي في نصب الراية: ٢٩٣/٣.

(٣) ساقط من (أ).

لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَابِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٣٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعُولِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٣٨﴾

ونحوها، فإذا حلف بشيء منها على أمر في المستقبل فحنت يجب عليه الكفارة وإذا حلف على أمر ماض أنه كان ولم يكن أو على أنه لم يكن وقد كان، إن كان عالماً به حالة ما حلف فهو اليمين الغموس، وهو من الكبائر، وتجب فيه الكفارة عند بعض أهل العلم، عالماً كان أو جاهلاً، وبه قال الشافعي، ولا تجب عند بعضهم وهو قول أصحاب الرأي وقالوا إن كان عالماً فهو كبيرة ولا كفارة لها كما في سائر الكبائر وإن كان جاهلاً فهو يمين اللغو عندهم ومن حلف بغير الله مثل أن قال: والكعبة بيت الله ونبى الله، أو حلف بأبيه ونحو ذلك، فلا يكون يميناً، فلا تجب عليه الكفارة إذا حلف، وهي يمين مكروهة، قال الشافعي: وأخشى أن يكون معصية.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»^(١).

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَابِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ يؤلون أي يحلفون، والإلية: اليمين والمراد من الآية: اليمين على ترك وطء المرأة، قال قتادة: كان الإيلاء طلاقاً لأهل الجاهلية، وقال سعيد بن المسيب: كان ذلك من ضرار أهل الجاهلية، كان الرجل لا يحب امرأته ولا يريد أن يتزوجها غيره، فيحلف أن لا يقربها أبداً، فيتركها لا أيماً ولا ذات بعل، وكانوا عليه في ابتداء الإسلام، فضرب الله له أجلاً في الإسلام، واختلف أهل العلم فيه: فذهب أكثرهم إلى أنه إن حلف أن لا يقرب زوجته أبداً أو سمي مدة أكثر من أربعة أشهر، يكون مولياً، فلا يتعرض له قبل مضي أربعة أشهر، وبعد مضيها يوقف ويؤمر

(١) رواه البخاري: في الأيمان - باب: لا تحلفوا بأبائكم ٥٣٠/١١.

ومسلم: في الأيمان والنذور - باب: النهي عن الحلف بغير الله بقرم (١٦٤٦) ١٢٦٦/٣.

وزاد عمر قال: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عنها ذاكراً ولا أمة، انظر شرح السنة للمصنف حول الحلف واليمين

بالفء أو بالطلاق بعد مطالبة المرأة، والفء هو الرجوع عما قاله بالوطء، إن قدر عليه، وإن لم يقدر فبالقول، فإن لم يفء ولم يطلق طلق عليه السلطان واحدة، وذهب إلى الوقوف بعد مضي المدة عمر وعثمان وعلي وأبو الدرداء وابن عمر، قال سليمان بن يسار: أدركت بضعة عشر من أصحاب النبي ﷺ كلهم يقول بوقف المولي. وإليه ذهب سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد، وبه قال مالك والشافعي وأحمد وإسحق وقال بعض أهل العلم: إذا مضت أربعة أشهر تقع عليه طلقة بائنة، وهو قول ابن عباس وابن مسعود وبه قال سفيان الثوري وأصحاب الرأي.

وقال سعيد بن المسيب والزهرى: تقع طلقة رجعية، ولو حلف أن لا يطأها أقل من أربعة أشهر لا يكون مولىً، بل هو حالف، فإذا وطئها قبل مضي تلك المدة تجب عليه كفارة اليمين، ولو حلف أن لا يطأها أربعة أشهر لا يكون مولىً عند من يقول بالوقوف بعد مضي المدة، لأن بقاء المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالفء أو الطلاق، وقد مضت المدة. وعند من لا يقول بالوقوف يكون مولىً، ويقع الطلاق بمضي المدة.

ومدة الإيلاء أربعة أشهر في حق الحر والعبد جميعاً عند الشافعي رحمه الله، لأنها ضربت لمعنى يرجع إلى الطبع، وهو قلة صبر المرأة عن الزوج، فيستوي فيه الحر والعبد كمدة العنة.

وعند مالك رحمه الله وأبي حنيفة رحمه الله تنتصف مدة العنة بالزق، غير أن عند أبي حنيفة تنتصف برق المرأة، وعند مالك برق الزوج، كما قالوا في الطلاق.

قوله تعالى: ﴿تَرِيصَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ أي انتظار أربعة أشهر، والتريص: التثبت والتوقف. ﴿فَإِنْ فَأَوْا﴾ رجعوا عن اليمين بالوطء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وإذا وطئ خرج عن الإيلاء وتجب عليه كفارة اليمين عند أكثر أهل العلم، وقال الحسن وإبراهيم النخعي وقتادة: لا كفارة عليه لأن الله تعالى وعد بالمغفرة فقال ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وذلك عند الأكثرين في إسقاط العقوبة لا في الكفارة، ولو قال لزوجته: إن قربتك فعبدي حر أو صرت طالقاً، أو لله علي عتق رقبة أو صوم أو صلاة فهو مولى لأن المولى من يلزمه أمر بالوطء، ويوقف بعد مضي المدة فإن فاء يقع الطلاق أو العتق المعلق به، وإن التزم في الذمة تلزمه كفارة اليمين في قول، وفي قول يلزمه ما التزم في ذمته من الاعتاق والصلاة والصوم ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ أي حققوه بالإيقاع ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتهم، وفيه دليل على أنها لا تطلق بعد مضي المدة ما لم يطلقها زوجها، لأنه شرط فيه العزم، وقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فدل على أنه يقتضي مسموعاً والقول هو الذي يسمع.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ﴾ أي المخليات من حبال أزواجهن ﴿يَتَرِيصْنَ﴾ ينتظرن ﴿بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ فلا يتزوجن، والقروء: جمع قرء، مثل فرع، وجمعه القليل أقرؤ والجمع الكثير أقرء، واختلف أهل

العلم في القروء فذهب جماعة إلى أنها الحيض وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وإليه ذهب الأوزاعي والثوري وأصحاب الرأي / واحتجوا بأن النبي ﷺ قال للمستحاضة «دعي الصلاة أيام أقرائك»^(١) وإنما تدع الصلاة أيام حيضها. وذهب جماعة إلى أنها الأطهار وهو قول زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعائشة، وهو قول الفقهاء السبعة والزهري وبه قال ربيعة ومالك والشافعي، واحتجوا بأن ابن عمر رضي الله عنه لما طلق امرأته وهي حائض قال النبي ﷺ لعمر: «مره فليراجعها حتى تطهر ثم إن شاء أمسك وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء»^(٢).

فأخبر أن زمان العدة هو الطهر، ومن جهة اللغة قول الشاعر:

ففي كُلِّ عامٍ أنتِ جَاشِمٌ غَزْوَةٌ تَشُدُّ لِأَقْصَاهَا عَزِيمٌ عَزَائِكَا
مُورْتَبَةٌ مَالًا، وفي الحيِّ رِفْعَةٌ لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

وأراد به أنه كان يخرج إلى الغزو ولم يغش نساءه فتضيع أقرأهن وإنما تضيع بالسفر زمان الطهر لازمان الحيضة، وفائدة الخلاف تطهر في أن المعتدة إذا شرعت في الحيضة الثالثة تنقضي عدتها على قول من يجعلها أطهاراً وتحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرءاً، قالت عائشة رضي الله عنها: إذا طعنت المطلقة في الدم من الحيضة الثالثة فقد برئت منه وبريء منها. ومن ذهب إلى أن الأقرء هي الحيض يقول لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة، وهذا الاختلاف من حيث أن اسم القرء يقع على الطهر والحيض جميعاً، يقال أقرأت المرأة: إذا حاضت وأقرأت: إذا طهرت، فهي مقرء، واختلفوا في أصله فقال أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة: هو الوقت لمجيء الشيء وذهابه، يقال: رجع فلان لقرئه ولقارئه أي لوقته الذي يرجع فيه وهذا قارىء الرياح أي وقت هبوبها، قال مالك بن الحارث الهذلي:

كَرِهْتُ الْعَقْرَ عَقَرَ نَيْي سَلِيلٍ إِذَا هَبَّتْ لِقَارِيئِهَا الرِّيَّاحُ

أي لوقتها، والقرء يصلح للوجهين، لأن الحيض يأتي لوقت، والطهر مثله، وقيل: هو من القرأ وهو الحبس والجمع، تقول العرب: ما قرأت الناقة سلاً قط أي لم تضم رحمها على ولد ومنه قرئت الماء في المقرأة وهي الحوض أي جمعت، بترك همزها، فالقرء هاهنا احتباس الدم واجتماعه، فعلى هذا يكون الترجيح

(١) رواه أبو داود: في الطهارة — باب: من قال تغتسل من طهر إلى طهر ١/١٩١.
والترمذي: في الطهارة — باب: ما جاء أن المستحاضة تتوضأ لكل صلاة ١/٣٩٣.
وابن ماجه: في الطهارة — باب: ما جاء في المستحاضة ١/٢٠٤.
والدارقطني: في الحيض — ١/٢١٢ وانظر نصب الرأية: ١/٢٠٢ — ٢٠٤.
(٢) رواه البخاري في الطلاق — باب: قول الله تعالى: يأياها النبي إذا طلقتم النساء ٩/٣٤٥.
ومسلم: في الطلاق — باب: تحريم طلاق الحائض بغير رضاها برقم: (١٤٧١) ٢/١٠٩٣.
والمصنف في شرح السنة: ٩/٢٠٢ — ٢٠٣.

فيه للظهر لأنه يجبس الدم ويجمعه، والحيض يرخيه ويرسله، وجملة الحكم في العدد: أن المرأة إذا كانت حاملاً فعدتها بوضع الحمل، سواء وقعت الفرقة بينها وبين الزوج بالطلاق أو بالموت لقوله تعالى «وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن» (٤ - الطلاق) فإن لم تكن حاملاً نظرت: إن وقعت الفرقة بينهما بموت الزوج فعليها أن تعتد بأربعة أشهر وعشر، سواء مات الزوج قبل الدخول أو بعده، وسواء كانت المرأة ممن تحيض، أو لا تحيض لقول الله تعالى: «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً» (٢٣٤ - البقرة) وإن وقعت الفرقة بينهما في الحياة نظر بأن كان الطلاق قبل الدخول بها، فلا عدة عليها، لقول الله تعالى: «يأياها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها» (٤٩ - الأحزاب).

وإن كان بعد الدخول نظر: إن كانت المرأة ممن لم تحض قط أو بلغت في الكبر سن الآيسات فعدتها ثلاثة أشهر لقول الله تعالى: «واللأئي يتسن من الحيض من نسائكُم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللأئي لم يحضن» (٤ - الطلاق).

وإن كانت ممن تحيض فعدتها ثلاثة أقراء لقوله تعالى: «**والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء**» وقوله «**يتربصن بأنفسهن**» لفظه خبر ومعناه أمر، وعدة الأمة إن كانت حاملاً بوضع الحمل كالحرّة، وإن كانت حائلاً ففي الوفاة عدتها شهران وخمس ليال، وفي الطلاق، إن كانت ممن تحيض فعدتها قراءان، وإن كانت ممن لا تحيض فشهرا ونصف: وقيل شهران كالفرائين في حق من تحيض: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ينكح العبد امرأتين ويطلق طلقتين وتعتد الأمة بحيضتين، فإن لم تكن تحيض فشهريين أو شهراً ونصفاً.

وقوله عز وجل: «**ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن**» قال عكرمة: يعني الحيض وهو أن يريد الرجل مراجعتها فتقول: قد حضت الثالثة وقال ابن عباس وقتادة: يعني الحمل، ومعنى الآية لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض والحمل لتبطل حق الزوج من الرجعة والولد **«إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر»** معناه أن هذا من فعل المؤمنات وإن كانت المؤمنة والكافرة في هذا الحكم سواء كما تقول، أدّ حقي إن كنت مؤمناً، يعني أداء الحقوق من فعل المؤمنين.

«ويعولتن» يعني أزواجهن جمع بعل، كالفحولة جمع فحل، سمي الزوج بعلاً لقيامه بأمور زوجته وأصل البعل السيد والمالك **«أحق بردهن»** أولى برجعتهن إليهم **«في ذلك»** أي في حال العدة **«إن أرادوا إصلاحاً»** أي إن أرادوا بالرجعة الصلاح وحسن العشرة لا الإضرار كما كانوا يفعلونه في الجاهلية كان الرجل يطلق امرأته فإذا قرب انقضاء عدتها، راجعها ثم تركها مدة، ثم طلقها ثم إذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم بعد مدة طلقها يقصد بذلك تطويل العدة عليها **«وهن»** أي للنساء على الأزواج مثل

الذي عليهن للأزواج بالمعروف قال ابن عباس في معناه: اني أحب أن أتزين لامرأتي كما تحب امرأتي أن تتزين لي لأن الله تعالى قال: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو سهل محمد بن عمر بن طرفة السجزي أنا أبو سليمان الخطابي أخبرنا أبو بكر بن داسة أنا أبو داود السجستاني أنا موسى بن اسماعيل أنا حماد أنا أبو قزعة سويد بن حُجير الباهلي عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال: قلت يارسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وأن تكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت»^(١).

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا محمد بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا حاتم ابن اسماعيل المدني عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله ﷺ فسرد قصة حجة الوداع إلى أن ذكر خطبته يوم عرفة قال: «فاتقوا الله في النساء، فانهن عوان عندكم، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، وهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد»^(٢) ثلاث مرات.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أحمد بن الحسن الخيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا محمد ابن يحيى أنا يعلى بن عبيد أنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائكم»^(٣).

ب/ ٣٧

(١) رواه أبو داود في النكاح — باب: حق المرأة على زوجها ٦٧/٣ — ٦٨.

وابن ماجه: في النكاح — باب: في حق المرأة على الزوج برقم (١٨٥٠) ٥٩٣/١.

رواه أحمد: ٤٤٦/٤ — ٤٤٧ — ٣/٥ — ٥ جزء من حدث عن معاوية بن حيدة.

والمصنف في شرح السنة: ١٦٠/٩.

(٢) سبق تخريجه ص (٢١٩) هامش رقم (٢).

(٣) أبو داود: في السنة: بلفظ (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً): ٤٤/٧ وبهذا اللفظ أخرجه الدارمي في الرقاق باب: في حسن الخلق:

٣٢٣/٢.

والترمذي: في الرضاع — باب: ما جاء في حق المرأة على زوجها ٣٢٥/٤ وقال: حسن صحيح.

وابن حبان: (١٩٢٦) وصححه.

وأحمد: ٢٥٠/٢ و ٤٧٢ عن أبي هريرة.

والمصنف في شرح السنة: ١٨٠/٩.

الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَاِمْسَاكُ الْمَعْرُوفِ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنِ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا
 مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا
 جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
 الظَّالِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لِمَنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ
 عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿ولللرجال عليهن درجة﴾ قال ابن عباس: بما ساق إليها من المهر وأنفق عليها من المال،
 وقال قتادة: بالجهد، وقيل بالعقل، وقيل بالشهادة، وقيل بالميراث، وقيل بالدية وقيل بالطلاق، لأن
 الطلاق بيد الرجال، وقيل بالرجعة، وقال سفيان وزيد بن أسلم: بالإمارة وقال القتيبي وللرجال عليهن
 درجة معناه فضيلة في الحق ﴿والله عزيز حكيم﴾.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله محمد
 ابن عبد الله الصفار أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي أنا أبو حذيفة أنا سفيان عن الأعمش عن
 أبي ظبيان أن معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه النبي ﷺ فيها ثم رجع فرأى رجلاً يسجد بعضهم
 لبعض فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد
 لزوجها»^(١).

قوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان﴾ روي عن عروة بن الزبير قال: كان الناس في الابتداء يطلقون من غير
 حصر ولا عدد، وكان الرجل يطلق امرأته، فإذا قاربت انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها كذلك ثم راجعها
 يقصد مضاربتها فنزلت هذه الآية ﴿الطلاق مرتان﴾ يعني الطلاق الذي يملك الرجعة عقيبه مرتان، فإذا
 طلق ثلاثاً فلا تحل له إلا بعد نكاح زوج آخر.

قوله تعالى: ﴿فإمساك بمعروف﴾ قيل: أراد بالإمساك الرجعة بعد الثانية، والصحيح أن المراد منه:
 الإمساك بعد الرجعة، يعني إذا راجعها بعد الرجعة الثانية فعليه أن يمسكها بالمعروف، والمعروف كل ما

(١) رواه ابن ماجه: في النكاح: باب حق الزوج على المرأة برقم (١٨٥٣) ٥٩٥/١.

وأبو داود: في النكاح: باب في حق الزوج على المرأة ٦٧/٣.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (١٢٩٠) ص ٣١٤

وأحمد: ٣٨١/٤، عن عبد الله بن أبي أوفى ٢٢٨/٥ عن معاذ بن جبل ٧٦/٦ عن عائشة بلفظ آخر.

والمصنف في شرح السنة: ١٥٨/٩.

وذكره الهيثمي في المجمع ٣٠٩/٤ وقال: رواه بتامة البزار وأحمد باختصار ورجاله رجال الصحيح.

يعرف في الشرع، من أداء حقوق النكاح وحسن الصحبة ﴿أو تسريح بإحسان﴾ هو أن يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها وقيل المطلقة الثالثة.

قوله تعالى: ﴿أو تسريح بإحسان﴾ وصرح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاثة: الطلاق والفرق والسراح، وعند أبي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فحسب، وجملة الحكم فيه أن الحر إذا طلق زوجته طليقة أو طليقتين بعد الدخول بها يجوز له مراجعتها بغير رضاها مادامت في العدة، وإن لم يراجعها حتى انقضت عدتها، أو طلقها قبل الدخول بها أو خالها فلا تحل له إلا بنكاح جديد بإذنها، وإذن وليها فإن طلقها ثلاثاً فلا تحل له، ما لم تنكح زوجاً غيره، وأما العبد إذا كانت تحتة امرأة، فطلقها طليقتين، فإنها لا تحل له إلا بعد نكاح زوج آخر.

واختلف أهل العلم فيما إذا كان أحد الزوجين رقيقاً، فذهب أكثرهم إلى أنه يعتبر عدد الطلاق بالزوج، فالحر يملك على زوجته الأمة ثلاث طلاقات، والعبد لا يملك على زوجته الحرة إلا طليقتين، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الطلاق بالرجال والعدة بالنساء، يعني يعتبر في عدد الطلاق حال الرجل وفي قدر العدة حال المرأة، وهو قول عثمان وزيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم، وبه قال عطاء وسعيد بن المسيب وأليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق، وذهب قوم إلى أن الاعتبار بالمرأة في عدد الطلاق فيملك العبد على زوجته الحرة ثلاث طلاقات ولا يملك الحر على زوجته الأمة إلا طليقتين وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي.

قوله تعالى ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن﴾ أعطيتموهن ﴿شيئاً﴾ من المهور وغيرها ثم استثنى الخلع فقال ﴿إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله﴾ نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي أوفى ويقال: حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فكان بينهما كلام فأتت أباه فشكت إليه زوجها وقالت له: إنه يسبني إلى ويضربني فقال: ارجعي إلى زوجك فإنني أكره للمرأة أن لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها قال: فرجعت إليه الثانية وبها أثر الضرب فقال لها: ارجعي إلى زوجك، فلما رأت أن أباه لا يشكها أتت رسول الله ﷺ فشكت إليه زوجها وأرته آثاراً بها من ضربه وقالت يا رسول الله: لا أنا ولا هو، فأرسل رسول الله ﷺ إلى ثابت فقال: «مالك ولأهلك؟» فقال: والذي بعثك بالحق نبياً ما على وجه الأرض أحب إلى منها غيرك، فقال لها: ماتقولين؟ فكرهت أن تكذب رسول الله ﷺ حين سأها فقالت: صدق يا رسول الله ولكن قد خشيت أن يهلكني فأخرجني منه، وقالت: يا رسول الله ما كنت لأحدثك حديثاً ينزل الله عليك خلافه، هو من أكرم الناس محبة لزوجته، ولكني أبغضه فلا أنا ولا هو، قال ثابت: قد أعطيتها حديقة فتردها علي وأخلي سبيلها فقال لها: «تردين عليه حديقته وتملكين أمرك؟» قالت: نعم فقال رسول الله ﷺ «يا ثابت خذ

منها ما أعطيتها وخل سبيلها»^(١) ففعل.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا زاهر بن جميل أخبرنا عبد الوهاب الثقفي أنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ثابت ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكنني أكره الكفر بعد الإسلام، قال رسول الله ﷺ «أتردين عليه حديقته؟» قالت: نعم، قال رسول الله ﷺ «أقبل الحديقة وطلقها تطليقة»^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ أي يعلما ﴿أَنْ لَا يَقيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ قرأ أبو جعفر وحمة ويعقوب ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ بضم الياء أي يعلم ذلك منهما، يعني: يعلم القاضي والولي ذلك من الزوجين، بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ فجعل الخوف لغير الزوجين، ولم يقل فإن خافا، وقرأ الآخرون ﴿يَخَافَا﴾ بفتح الياء أي يعلم الزوجان من أنفسهما ﴿أَنْ لَا يَقيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ تخاف المرأة أن تعصي الله في أمر زوجها، ويخاف الزوج إذا لم تطعه امرأته أن يعتدي عليها، فنبى الله الرجل أن يأخذ من امرأته شيئاً مما آتاها، إلا أن يكون النشوز من قبلها، فقالت: لا أطيع لك أمراً ولا أطألك مضجعاً ونحو ذلك.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَقيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ أي فيما افتدت به المرأة نفسها منه، قال الفراء: أراد بقوله ﴿عليهما﴾ الزوج دون المرأة، فذكرهما جميعاً لاقترانهما كقوله تعالى «نسيأحوتهما» (٦١ - الكهف)، وإنما الناسي فتى موسى دون موسى وقيل: أراد أنه لا جناح / عليهما جميعاً، لا جناح على المرأة في النشوز إذا خشيت الهلاك والمعصية، ولا فيما افتدت به وأعطت من المال، لأنها ممنوعة من إتلاف المال بغير الحق، ولا على الزوج فيما أخذ منها من المال إذا أعطته طائعة، وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الخلع جائز على أكثر مما أعطها وقال الزهري: لا يجوز بأكثر مما أعطها من المهر.

وقال سعيد بن المسيب: لا يأخذ منها جميع ما أعطها بل يترك منه شيئاً، ويجوز الخلع على غير حال النشوز غير أنه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينوري أنا عبد الله بن

(١) رواه مختصراً أبو داود عن حبيبة بنت سهل الأنصارية في الطلاق - باب في الخلع ١٤٣/٣.

والنسائي من حديث الربيع بنت معوذ في الطلاق - باب عدة المختلة ١٨٦/٦.

وابن جرير في التفسير ٥٥٤/٤.

وانظر الكافي الشاف ص ١٩ - ٢٠.

(٢) رواه البخاري: في الطلاق - باب: الخلع وكيف الطلاق فيه ٣٩٥/٩.

والمصنف في شرح السنة - ١٩٤/٩.

محمد بن شيبه أنا أحمد بن جعفر المستملي أنا أبو محمد يحيى بن اسحق بن شاكر بن أحمد بن خباب أنا عيسى بن يونس أنا عبد الله بن الوليد الوصافي عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أبغض الحلال إلى الله الطلاق»^(١).

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه أنا ابن أبي أنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة أنا أبي أنا اسامة عن حماد بن زيد عن أبي أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «أما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة»^(٢).

وقال طاووس: الخلع يختص بحالة خوف النشوز لظاهر الآية، والآية خرجت على وفق العادة أن الخلع لا يكون إلا في حال خوف النشوز غالباً، وإذا طلق الرجل امرأته بلفظ الطلاق على مال فقبلت وقعت البينونة وانتقص به العدد.

واختلف أهل العلم في الخلع فذهب أكثرهم إلى أنه تطليقة بائنة ينتقص به عدد الطلاق، وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود، وبه قال سعيد بن المسيب وعطاء والحسن والشعبي والنخعي، وإليه ذهب مالك والثوري والأوزاعي وأصحاب الرأي وهو أظهر قول الشافعي، وذهب قوم إلى أنه فسخ لا ينتقص به عدد الطلاق وهو قول عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وبه قال عكرمة وطاووس وإليه ذهب أحمد واسحق، واحتجوا بأن الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع، ثم ذكر بعده الطلقة الثالثة فقال: «فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره» ولو كان الخلع طلاقاً لكان الطلاق أربعاً، ومن قال بالأول جعل الطلقة الثالثة: (أو تسريح بإحسان).

(١) حديث ضعيف رواه أبو داود في الطلاق — باب: في كراهية الطلاق: ٩٢/٣.

وابن ماجه: في الطلاق — باب رقم (١) برقم (٢٠١٨)، والدارقطني في الطلاق عن معاذ: ٣٥/٤. والحاكم: ١٩٦/٢ وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبي.

قال المنذري: والمشهور فيه هو المرسل وهو غريب، وقال البيهقي وفي رواية ابن أبي شيبة (يعني محمد بن عثمان) عن عبد الله بن عمر موصولاً ولا أراه يحفظه، والمصنف في شرح السنة ١٩٥/٩.

وإن ما قاله أبو حاتم والدارقطني والبيهقي هو الراجح أن الحديث مرسل وضعفه الألباني في إرواء الغليل ١٠٦/٧ فليُنظر (انظر مختصر المنذري ٩٣/٣ وانظر: التلخيص الحبير لابن حجر: ٢٠٥/٣).

(٢) رواه أبو داود: في الطلاق — باب: الخلع: ١٤٢/٣.

والترمذي: في الطلاق — باب: ما جاء في المختلعات ٣٦٧/٤ وقال: هذا حديث حسن.

وابن ماجه: في الطلاق — باب: كراهية الخلع للمرأة برقم (٢٠٥٥) ٦٦٢/١.

والدارمي: في الطلاق — باب: النهي عن أن تسأل المرأة زوجها طلاقها ١٦٢/٢.

وأحمد: ٢٧٧/٥، ٢٨٣ عن ثوبان.

والمصنف في شرح السنة ١٩٥/٩ وإسناده قوي.

قوله تعالى: ﴿تلك حدود الله﴾ أي هذه أوامر الله ونواهيه، وحدود الله: ما منع الشرع من المجاوزة عنه ﴿فلا تعتدوها﴾ فلا تجاوزوها ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾.

قوله تعالى: ﴿فإن طلقها﴾ يعني الطلقة الثالثة ﴿فلا تحل له من بعد﴾ أي من بعد الطلقة الثالثة ﴿حتى تنكح زوجاً غيره﴾ أي: غير المطلق فيجامعها، والنكاح يتناول الوطاء والعقد جميعاً، نزلت في تيممة وقيل في عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي كانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثاً.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أخبرنا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنه سمعها تقول: جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني كنت عند رفاعة فطلقني فبئت طلاقاً، وتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وإنما معه مثل هدية الثوب، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة» قالت نعم قال: «لا، حتى يذوق عسيلتك وتذوق عسيلته»^(١).

وروي أنها لبثت ما شاء الله ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن زوجي قد مسني فقال لها النبي ﷺ كذبت بقولك الأول فلن نصدقك في الآخر. فلبثت حتى قبض النبي ﷺ فأتت أبا بكر رضي الله عنه فقالت: يا خليفة رسول الله ﷺ أرجع إلى زوجي الأول فإن زوجي الآخر مسني وطلقني فقال لها أبو بكر: قد شهدت رسول الله ﷺ حين أتته وقال لك ما قال فلا ترجعي إليه، فلما قبض أبو بكر رضي الله عنه، أتت عمر رضي الله عنه وقالت له: مثل ذلك فقال لها عمر رضي الله عنه: لعن رجعت إليه لأرجمك»^(٢).

قوله تعالى: ﴿فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا﴾ يعني فإن طلقها الزوج الثاني بعد ما جامعها ﴿فلا جناح عليهما﴾ يعني على المرأة وعلى الزوج الأول ﴿أن يتراجعا﴾ يعني بنكاح جديد ﴿إن ظنا﴾ أي علماً وقيل رجواً، لأن أحداً لا يعلم ما هو كائن إلا الله عز وجل ﴿أن يقيما حدود الله﴾ أي يكون بينهما الصلاح وحسن الصحبة، وقال مجاهد: معناه إن علما أن نكاحهما على غير الدُّلْسَةِ، وأراد بالدُّلْسَةِ التحليل، وهو مذهب سفيان الثوري والأوزاعي ومالك وأحمد وإسحاق، قالوا: إذا تزوجت المطلقة ثلاثاً زوجاً آخر ليحللها للزوج الأول: فإن النكاح فاسد، وذهب جماعة إلى أنه إن لم يشترط في النكاح

(١) رواه البخاري: في الطلاق — باب: من قال لامرأته أنت علي حرام ٣٧١/٩.

ومسلم: في النكاح — باب: لا تحل المطلقة ثلاثة لطلقها حتى تنكح زوجاً غيره برقم (١٤٣٣) ١٠٥٥/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٢٣٢/٩.

(٢) انظر الكافي الشاف لابن حجر ص ٢٠ وقد عزاه لعبدالرزاق وهي عنده مختصرة، المصنف ٣٤٧/٦.

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ
هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣١١﴾

مع الثاني أنه يفارقها فالتحليل وبمصلح به التحليل ولها صداق مثلها، غير أنه يكره إذا كان في عزمها ذلك.

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسماعيل التميمي أخبرنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ أنا الحسن بن الفرج أخبرنا عمرو بن خالد الحراني عن عبيد الله بن عبد الكريم هو الجزري عن أبي واصل عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه «لعن المحلل والمحلل له»^(١) وقال نافع أتى رجل ابن عمر فقال له: إن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً، فانطلق أخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للأول فقال: لا، إلا نكاح رغبة، كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله ﷺ وقال رسول الله ﷺ، «لعن الله المحلل والمحلل له»^(٢) ﴿وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون﴾ يعني يعلمون ما أمرهم الله تعالى به.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ﴾ الآية، نزلت في رجل من الأنصار يدعى ثابت ابن يسار طلق امرأته حتى إذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها، يقصد بذلك مضارتها^(٣).

(١) حديث ابن مسعود وله طريقان الأول عن أبي قيس عن هزيل بن عبد الرحمن عنه بلفظ: (لعن رسول الله المحلل والمحلل له).

أخرجه الترمذي في النكاح — باب ما جاء في المحلل والمحلل له ٢٦٤/٤ وقال هذا حديث حسن صحيح.

والنسائي في الطلاق مطولاً — باب إحلال المطلقة ثلاثاً وما فيه من التغليب ١٤٩/٦.

والدارمي في النكاح — باب في النهي عن التحليل ١٥٨/٥.

والبيهقي ٢٠٨/٧.

وأحمد ٤٤٨/١، ٤٦٢.

وقال الحافظ في التلخيص ١٧٠/٣ (وصححه ابن القطان وابن دقيق العيد على شرط البخاري).

والطريق الآخر عن أبي الواصل.

أخرجها أحمد ٤٥٠/١، ٤٥١ وأبو الواصل مجهول كما قال الحسيني وذكر الحافظ طريقاً ثالثة أخرجه عبد الرزاق من طريق عبد الله

بن مرة عن الحارس عن ابن مسعود، والحارث هذا هو الأعور الكوفي وهو ضعيف وقالوا كذاب.

وله طرق أخرى عن أبي هريرة، وعلي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وعقبة بن عامر.

رواها أبو داود وابن ماجه والترمذي وأحمد وغيرهم.

فالحديث صحيح.

انظر لإرواء الغليل ٣٠٧/٦ — ٣١١.

(٢) صححه الحاكم على شرط الشيخين: ١٩٩/٢.

(٣) أخرجه الطبري: ١٠/٥.

قوله تعالى: ﴿فبليغن أجلهن﴾ أي أشرفن على أن يبين بانقضاء العدة، ولم يرد حقيقة انقضاء العدة، لأن العدة إذا انقضت لم يكن للزوج امساكها، فالبلوغ هاهنا بلوغ مقاربة، وفي قوله تعالى بعد هذا ﴿فبليغن أجلهن فلا تعضلوهن﴾ حقيقة انقضاء العدة، والبلوغ يتناول المعنيين، يقال: بلغ المدينة إذا قرب منها وإذا دخلها ﴿فأمسكوهن﴾ أي راجعوهن ﴿بمعروف﴾ قيل المراجعة بالمعروف أن يشهد على رجعتها وأن يراجعها بالقول لا بالوطء.

﴿أو سرحوهن بمعروف﴾ أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيمكن أملك بأنفسهن ﴿ولا تمسكوهن ضراراً لعتدوا﴾ أي لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس ﴿ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه﴾ أي أضر / بنفسه بمخالفة أمر الله تعالى ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزواً﴾ قال الكلبي يعني قوله تعالى: ٣٨/ب

«فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان» وكل من خالف أمر الشرع فهو متخذ آيات الله هزواً، قال أبو الدرداء هو أن الرجل كان يطلق امرأته ثم يقول: كنت لاعباً، ويعتق ويقول: مثل ذلك [وينكح ويقول مثل ذلك] (١).

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمرو الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني أخبرنا علي بن حجر أخبرنا اسماعيل بن جعفر عن أبي حبيب ابن أزدك عن عطاء بن أبي رباح عن ابن ماهد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «ثلاث جدهن جد، وهزهن جد: الطلاق والنكاح والرجعة» (٢).

﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ بالإيمان ﴿وما أنزل عليكم من الكتاب﴾ يعني: القرآن ﴿والحكمة﴾ يعني: السنة، وقيل: مواعظ القرآن ﴿يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء﴾

(١) ساقط من (أ).

(٢) رواه أبو داود: في الطلاق — باب: في الطلاق على الهزل ١١٨/٣ — ١١٩.

والترمذي: في الطلاق — باب: ما جاء في الجد والهزل في الطلاق ٣٦٢/٤ وقال: هذا حديث حسن غريب.

وابن ماجه: في الطلاق — باب: من طلق أو نكح أو رجع لاعباً برقم (٢٠٣٩) ٦٥٨/١.

والحاكم: ١٩٧/٢ وصححه والدارقطني في السنن ٢٥٦/٣ — ٢٥٧.

وفي إسناده عبد الرحمن بن حبيب بن أزدك وهو مختلف فيه: قال النسائي: منكر الحديث وثقه غيره، قال الحافظ فهو على هذا حسن (تحفة الأحوذى: ٣٦٢/٤).

والمصنف في شرح السنة ٢١٩/٩ وانظر التلخيص الحبير ٢٠٧/٣ وإرواء الغليل ٢٢٤/٦ — ٢٢٨.

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ
بِالمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ أَزْكى لَكُمْ وَأَطْهَرُ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٧﴾

عليم* وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ﴿﴾ نزلت في جميلة بنت يسار أخت معقل بن يسار المزني، كانت تحت أبي البداح عاصم بن عدي بن عجلان فطلقها.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أخبرنا أحمد بن أبي عمرو حدثني أبي حدثني إبراهيم عن يونس عن الحسن قال حدثني معقل ابن يسار قال زوجت أختاً لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها فقلت له: زوجتك وفرشتك وأكرمتك فطلقها ثم جئت تخطبها؟ لا والله لا تعود إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه فأنزل الله تعالى ﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾ فقلت: الآن أفعل يارسول الله، قال: فزوجتها إياه^(١).

قوله تعالى: ﴿فبلغن أجلهن﴾ أي انقضت عدتهن ﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾ أي لا تمنعهن عن النكاح، والعضل: المنع، وأصله الضيق والشدة، يقال: عضلت المرأة إذا نشب ولدها في بطنها فضاقت عليه الخروج، والداء العضال الذي لا يطاق، وفي الآية دليل على أن المرأة لا تلي عقد النكاح إذ لو كانت تملك ذلك لم يكن هناك عضل ولا لنهي الولي عن العضل معنى، وقيل الآية خطاب مع الأزواج لمنعهن من الإضرار لأن ابتداء الآية خطاب معهم، والأول أصح.

﴿إذا تراضوا بينهم بالمعروف﴾ يعقد حلال ومهر جائز ﴿ذلك﴾ أي ذلك الذي ذكر من النهي ﴿يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ وإنما قال ذلك موحداً، والخطاب للأولياء لأن الأصل في مخاطبة الجمع: ذلكم، ثم كثر حتى توهموا أن الكاف من نفس الحرف وليست بكاف خطاب فقالوا ذلك، فإذا قالوا هذا كانت الكاف موحدة منصوبة في الاثنين والجمع والمؤنث والمذكر قيل هو خطاب للنبي ﷺ فلذلك وحد ثم رجع إلى خطاب المؤمنين فقال ﴿ذلكم أزكى لكم﴾ أي خير لكم ﴿وأطهر﴾ لقلوبكم من الريبة وذلك أنه إذا كان في نفس كل واحد منهما علاقة حب لم يؤمن أن يتجاوز ذلك إلى غير ما أحل الله لهما، ولم يؤمن من الأولياء أن يسبق إلى قلوبهم منهما ما لعلهما أن يكونا برئتين من ذلك فيأتمون ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ أي يعلم من حب كل واحد منهما لصاحبه ما لا تعلمون أنتم.

(١) أخرجه البخاري في النكاح، باب من قال: لا نكاح إلا بولي: ١٨٣/٩، وفي التفسير: ١٩٢/٨.

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ الْوَلَدِ هَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَ فِصَالًا عَنِ تِرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا بِأَوْلَادِكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَانقُوا اللَّهَ وَعَالَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن﴾ يعني: المطلقات اللاتي هن أولاد من أزواجهن يرضعن، خبر بمعنى الأمر، وهو أمر استحباب لا أمر إيجاب، لأنه لا يجب عليهن الإرضاع إذا كان يوجد من ترضع الولد لقوله تعالى في سورة الطلاق: «فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن» (٦) — الطلاق) فإن رغبت الأم في الإرضاع فهي أولى من غيرها ﴿حولين كاملين﴾ أي سنتين، وذكر الكمال للتأكيد كقوله تعالى: «تلك عشرة كاملة» (١٩٦ — البقرة) وقيل إنما قال كاملين لأن العرب قد تسمي بعض الحول حولاً وبعض الشهر شهراً كما قال الله تعالى: «الحج أشهر معلومات» (١٩٧ — البقرة)، وإنما هو شهران وبعض الثالث وقال: «فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه» (٢٠٣ — البقرة)، وإنما يتعجل في يوم وبعض يوم، ويقال أقام فلان بموضع كذا حولين وإنما أقام به حولاً وبعض آخر، فبين الله تعالى أنهما حولان كاملان، أربعة وعشرون شهراً، واختلف أهل العلم في هذا الحد، فمنهم من قال هو حد لبعض المولودين، فروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها إذا وضعت لسته أشهر فإنها ترضعه حولين كاملين، وإن وضعت لسبعة أشهر فإنها ترضعه ثلاثة وعشرين شهراً، وإن وضعت لستة أشهر فإنها ترضعه أحدًا وعشرين شهراً، وإن وضعت لعشرة أشهر فإنها ترضعه عشرين شهراً، كل ذلك تمام ثلاثين شهراً لقوله تعالى: «وحمله وفضاله ثلاثون شهراً» (١٥ — الأحقاف).

وقال قوم: هو حدٌ لكل مولود بأي وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين إلا باتفاق الأبوين فأيهما أراد الفطام قبل تمام الحولين ليس له ذلك إلا أن يجتمعا عليه لقوله تعالى: «فإن أرادا فصالاً عن تراضٍ منهما وتشاورٍ» وهذا قول ابن جريج والثوري ورواية الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل: المراد من الآية: بيان أن الرضاع الذي تثبت به الحرمة ما يكون في الحولين، فلا يحرم ما يكون بعد الحولين، قال قتادة: فرض الله على الوالدات إرضاع حولين كاملين ثم أنزل التخفيف فقال: ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ أي هذا منتهى الرضاعة وليس فيما دون ذلك حد محدود وإنما هو على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به ﴿وعلى المولود له﴾ يعني الأب ﴿رزقهن﴾ طعامهن ﴿وكسوتهن﴾ لباسهن ﴿بالمعروف﴾ أي على قدر الميسرة ﴿لا تكلف نفس إلا وسعها﴾ أي طاقتها ﴿لا تضار والدة بولدها﴾ قرأ ابن كثير

وأهل البصرة برفع الرءاء نسقاً على قوله ﴿لا تكلف﴾ وأصله تضارر فأدغمت الرءاء في الرءاء، وقرأ الآخرون تضاراً بنصب الرءاء، قالوا: لما أدغمت الرءاء في الرءاء حركت إلى أخف الحركات وهو النصب ومعنى الآية ﴿لا تضار والدة بولدها﴾ فينزع الولد منها إلى غيرها بعد أن رضيت بإرضاعه ﴿ولا مولود له بولده﴾ أي لا تلقيه المرأة إلى أبيه بعدما ألفها، تضاره بذلك، وقيل معناه ﴿لا تضار والدة﴾ فتكره على إرضاعه إذا كرهت إرضاعه، وقبل الصبي من غيرها، لأن ذلك ليس بواجب عليها ﴿ولا مولود له بولده﴾ فيحتمل أن تعطى الأم أكثر مما يجب لها إذا لم يرتضع من غيرها.

فعلى هذين القولين أصل الكلمة لا تضارر بفتح الرءاء الأولى على الفعل المجهول، والوالدة والمولود له مفعولان، ويحتمل أن يكون الفعل لهما وتكون تضار بمعنى تضارر بكسر الرءاء الأولى على تسمية الفاعل والمعنى ﴿لا تضار والدة﴾ فتأبى أن ترضع ولدها ليشق على أبيه ﴿ولا مولود له﴾ أي لا يضار الأب أم الصبي، فينزعها منها ويمنعها من إرضاعه، وعلى هذه الأقوال يرجع الإضرار إلى / الوالدين يضار كل واحد منهما صاحبها بسبب الولد، ويجوز أن يكون الضرر راجعاً إلى الصبي، أي لا يضار كل واحد منهما الصبي، فلا ترضعه الأم حتى يموت أو لا ينفق الأب أو ينتزعه من الأم حتى يضر بالصبي، فعلى هذا تكون الباء زائدة ومعناه (لا تضار والدة بولدها) ولا أب بولده وكل هذه الأقاويل مروية عن المفسرين.

أ/٣٩

قوله تعالى: ﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ اختلفوا في هذا الوارث، فقال قوم: هو وارث الصبي، معناه: وعلى وارث الصبي الذي لو مات الصبي وله مال ورثه مثل الذي كان على أبيه في حال حياته، ثم اختلفوا في أي وارث هو من ورثته فقال بعضهم: هو عصبه الصبي من الرجال مثل: الجد والأخ وابن الأخ والعم وابن العم، وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وبه قال إبراهيم والحسن ومجاهد وعطاء وهو مذهب سفيان قالوا: إذا لم يكن للصبي ما ينفق عليه أجبرت عصبته الذين يرثونه على أن يسترضعوه، وقيل: هو وارث الصبي من كان من الرجال والنساء: وهو قول قتادة وابن أبي ليلي ومذهب أحمد وإسحاق وقالوا: يجبر على نفقته كل وارث على قدر ميراثه عصبه كانوا أو غيرهم.

وقال بعضهم هو من كان ذا رحم محرم من ورثة المولود، فمن ليس بمحرم مثل ابن العم والمولى فغير مراد بالآية، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله، وذهب جماعة إلى أن المراد بالوارث هو الصبي نفسه، الذي هو وارث أبيه المتوفى تكون أجرة رضاعه ونفقته في ماله، فإن لم يكن له مال فعلى الأم، ولا يجبر على نفقة الصبي إلا الوالدان، وهو قول مالك والشافعي رحمهما الله، وقيل هو الباقي من والدي المولود بعد وفاة الآخر عليه مثل ما كان على الأب من أجرة الرضاع والنفقة والكسوة.

وقيل: ليس المراد منه النفقة، بل معناه وعلى الوارث ترك المضارة، وبه قال الشعبي والزهري ﴿فإن أراد﴾ يعني الوالدين ﴿فصلاً﴾ فطاماً قبل الحولين ﴿عن تراض منهما﴾ أي اتفاق من الوالدين

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣٢٤﴾

﴿وتشاور﴾ أي يشاورون أهل العلم به حتى يجربوا أن الفطام في ذلك الوقت لا يضر بالولد، والمشاورة استخراج الرأي ﴿فلا جناح عليهما﴾ أي لا حرج عليهما في الفطام قبل الحولين ﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم﴾ أي لأولادكم مرضع غير أمهاتهم إذا أبت أمهاتهم أن يرضعنهم أو تعذر لعلة بين، أي: انقطاع لبن أو أردن النكاح ﴿فلا جناح عليكم إذا سلمتم﴾ إلى أمهاتهم ﴿ما آتيت﴾ ما سئمت لمن من أجره الرضاع بقدر ما أرضعن، وقيل إذا سلمتم أجور المرضع إليهن بالمعروف، قرأ ابن كثير ﴿ما آتيت﴾ وفي الروم «وما آتيت من ربا» (٣٩ - الروم) بقصر الألف ومعناه ما فعلتم يقال: آتيت جميلاً إذا فعلته، فعلى هذه القراءة يكون التسليم بمعنى الطاعة والانقياد لا بمعنى تسليم الأجرة يعني إذا سلمتم لأمره وانقدتم لحكمه، وقيل إذا سلمتم للاسترضاع عن تراض واتفاق دون الضرار ﴿واقفوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾.

قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم﴾ أي يموتون وتتوفى آجالهم، وتوفى واستوفى بمعنى واحد، ومعنى التوفى أخذ الشيء وافيًا ﴿ويذرون أزواجاً﴾ يتركون أزواجاً ﴿يتربصن﴾ ينتظرن ﴿بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ أي يعتددن بترك الزينة والطيب والنقطة على فراق أزواجهن هذه المدة إلا أن يكنَّ حوامل فعدتهن بوضع الحمل، وكانت عدة الوفاة في الابتداء حولاً كاملاً لقوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهن متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾ (٢٤٠ - البقرة) ثم نسخت بأربعة أشهر وعشر.

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: كانت هذه العدة يعني أربعة أشهر وعشراً واجبة عند أهل زوجها فأنزل الله تعالى: ﴿متاعاً إلى الحول﴾ فجعل لها تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية إن شاءت سكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت وهو قول الله عز وجل: «غير إخراج، فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن» (٢٤٠ - البقرة) فالعدة كما هي واجبة عليها.

وقال: عطاء قال: ابن عباس رضي الله عنهما: نسخت هذه الآية عدتها عند أهله وسكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت، قال عطاء: ثم جاء الميراث ففسخ السكنى فتعدت حيث شاءت ولا سكنى لها ويجب عليها الإحداد في عدة الوفاة، وهي أن تمتنع من الزينة والطيب فلا يجوز لها تدهين رأسها بأي دهن سواء كان فيه طيب أو لم يكن، ولها تدهين جسدها بدهن لا طيب فيه، فإن كان فيه طيب فلا يجوز، ولا يجوز لها أن تكتحل بكحل فيه طيب أو فيه زينة كالكحل الأسود ولا بأس بالكحل الفارسي

الذي لا زينة فيه فإن اضطرت إلى كحل فيه زينة فرخص فيه كثير من أهل العلم منهم سالم بن عبد الله وسليمان بن يسار وعطاء والنخعي وبه قال مالك وأصحاب الرأي، وقال الشافعي رحمه الله: تكتحل به ليلاً وتمسحه بالنهار.

قالت أم سلمة: دخل عليّ رسول الله ﷺ حين توفي أبو سلمة وقد جعلت عليّ صبراً فقال «إنه يشبُّ»^(١) الوجه فلا تجعله إلا بالليل وتنزعيه بالنهار»^(٢).

ولا يجوز لها الخضاب ولا لبس الوشي والديباج والحلي ويجوز لها لبس البيض من الثياب ولبس الصوف والوبر، ولا تلبس الثوب المصبوغ للزينة كالأحمر والأخضر الناضر والأصفر، ويجوز ما صبغ لغير زينة كالسواد والكحلي وقال سفيان: لا تلبس المصبوغ بحال.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن محمد بن عمر بن حزم عن حميد بن نافع عن زينب بنت أبي سلمة أنها أخبرته بهذه الأحاديث الثلاثة قالت زينب: دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان ابن حرب فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة، خلوق أو غيره، فدهنت به جارية ثم مست به بطنها ثم قالت: والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليالٍ إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً»^(٣).

وقالت زينب: ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها عبد الله فدعت بطيب فمست به ثم قالت: والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر «لا يحل لامرأة أن تحد على ميت فوق ثلاث ليالٍ إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً» قالت زينب: وسمعت أمي أم سلمة تقول:

جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله ان ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفتكحلها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا»، ثم قال: «إنما هي أربعة أشهر وعشر وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول»^(٤) قال حميد: فقلت لزينب: وما ترمي بالبعرة على رأس الحول؟

(١) يشبُّ: يلونه ويحسنه، النهاية لابن الأثير.

(٢) رواه أبو داود في الطلاق: باب: فيما تجنبه المعتدة في عدتها ٢٠١/٣ - ٢٠٢.

والنسائي: في الطلاق - باب: الرخصة للحادة أن تمتشط بالسدر ٢٠٤/٦.

(٣) رواه البخاري: في الطلاق - باب: تحد المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً ٤٨٤/٩ وفي الجناز.

ومسلم: في الطلاق - باب: وجوب الإحداد برقم (١٤٨٦) ١١٢٤/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٣٠٦/٩ - ٣٠٧.

(٤) قطعة من الحديث السابق.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ
 اللَّهُ أَنْتُمْ سَتَدْرُؤُنَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا
 وَلَا تَعْرِزُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ. وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي
 أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٦٣٥﴾

فقال زينب: كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت جحفشاً^(١) أي بيتاً صغيراً وليست شر ثيابها ولم
 تمس طيباً ولا شيئاً حتى تمر بها سنة، ثم توثق بدابة، حمار أو شاة أو طير فتفتض به، أي تمسح فقلما
 تفتض بشيء إلا مات، ثم تخرج فتعطي بعة فترمي بها، / ثم تراجع بعد ذلك ما شاءت من طيب أو
 غيره، وقال مالك: تفتض أي تمسح جلدها.

وقال سعيد بن المسيب: الحكمة في هذه المدة أن فيها ينفخ الروح في الولد، ويقال إن الولد يرتكض
 أي يتحرك في البطن لنصف مدة الحمل أربعة أشهر وعشراً قريباً من نصف مدة الحمل، وإنما قال عشراً
 بلفظ المؤنث لأنه أراد الليالي لأن العرب إذا أهدمت العدد بين الليالي والأيام غلبت عليها الليالي فيقولون
 صمنا عشراً والصوم لا يكون إلا بالنهار.

وقال المبرد: إنما أتت العشر لأنه أراد المدد أي عشر مدد كل مدة يوم وليلة، وإذا كانت المتوفى عنها
 زوجها حاملاً فعدتها بوضع الحمل عند أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم وروى عن علي وابن
 عباس رضي الله عنهما أنها تنتظر آخر الأجلين من وضع الحمل أو أربعة أشهر وعشراً، وقال عبد الله بن
 مسعود رضي الله عنه: أنزلت سورة النساء القصوى بعد الطول أراد بالقصرى سورة الطلاق «وأولات
 الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن» (٤ - الطلاق) نزلت بعد قوله تعالى: «يتربصن بأنفسهن أربعة
 أشهر وعشراً» في سورة البقرة فحمله على النسخ، وعامة الفقهاء خصوا الآية بحديث سبيعة وهو ما
 أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن
 هشام بن عروة عن أبيه عن المسور بن مخرمة أن سبيعة نفست بعد وفاة زوجها بليال فجاءت إلى رسول
 الله ﷺ فاستأذنته أن تنكح فأذن لها فنكحت^(٢).

قوله تعالى ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ خطاب للأولياء ﴿فِيمَا
 فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ أي من اختيار الأزواج دون العقد فإن العقد إلى الولي، وقيل فيما فعلن من التزين

(١) الجحفش بالكسر الذرج، وقيل: الجحفش البيت الصغير الذليل القريب السمك سمي به لضيقه. النهاية لابن الأثير.

(٢) رواه البخاري: في الطلاق باب: وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ٤٦٩/٩.

ومسلم: في الطلاق - باب: انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل برقم (١٤٨٥) ١١٢٣/٢.

للرجال زينة لا ينكرها الشرع ﴿بالمعروف والله بما تعملون خبير﴾ والإحداد واجب على المرأة في عدة الوفاة، أما المعتدة عن الطلاق تُظَرَّ فإن كانت رجعية فلا إحداد عليها في العدة لأن لها أن تصنع ما يشوق قلب الزوج إليها ليراجعها، وفي البائنة بالخلع والطلقات الثلاثة قولان: أحدهما: عليها الإحداد كالتوفى عنها زوجها، وهو قول سعيد بن المسيب، وبه قال أبو حنيفة، والثاني: لا إحداد عليها وهو قول عطاء، وبه قال مالك.

قوله تعالى: ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء﴾ أي النساء المعتدات وأصل التعريض هو التلويح بالشيء، والتعريض في الكلام ما يفهم به السامع مراده من غير تصريح والتعريض بالخطبة مباح في العدة وهو أن يقول: رُبُّ راعب فيك، من يجد مثلك، إنك لجميلة، وإنك لصالحة، وإنك علي لكريمة، وإني فيك لراعب، وإنَّ من غرضي أن أتزوج وإن جمع الله بيني وبينك بالحلل أعجبني ولكن تزوجتك لأحسننَّ إليك، ونحو ذلك من الكلام من غير أن يقول أنكحيني والمرأة تجيبه بمثله إن رغبت فيه، وقال إبراهيم: لا بأس أن يهدي لها ويقوم بشغلها في العدة إذا كانت من شأنه.

روي أن سكينه بنت حنظلة بانث من زوجها فدخل عليها أبو جعفر محمد بن علي الباقر في عدتها وقال: يا بنت حنظلة أنا من قد علمت قرابتي من رسول الله ﷺ وحق جدي علي وقدمي في الإسلام فقالت سكينه أنتخطبني وأنا في العدة وأنت يؤخذ العلم عنك؟ فقال: إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله ﷺ، قد دخل رسول الله ﷺ على أم سلمة وهي في عدة زوجها أبي سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى أثر الحصر في يده من شدة تحامله على يده^(١)..

والتعريض بالخطبة جائز في عدة الوفاة، أما المعتدة عن فرقة الحياة نظر: إن كانت ممن لا يحل لمن بانث منه نكاحها كالمطلقة ثلاثاً والمبانة باللعان والرضاع: يجوز خطبتها تعريضاً وإن كانت ممن يحل للزوج نكاحها كالمختلعة والمفسوخ نكاحها يجوز لزوجها خطبتها تعريضاً وتصريحاً.

وهل يجوز للغير تعريضاً؟ فيه قولان: أحدهما يجوز كالمطلقة ثلاثاً، والثاني لا يجوز لأن المعاودة ثابتة لصاحب العدة كالرجعية لا يجوز للغير تعريضها بالخطبة.

وقوله تعالى: ﴿من خطبة النساء﴾ الخطبة التماس النكاح وهي مصدر خطب الرجل المرأة يخطب خطبة، وقال الأحنف: الخطبة الذكر، والخطبة التشهد فيكون معناه: فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن، ﴿أو أكنتم﴾ أضمرتم ﴿في أنفسكم﴾ من نكاحهن يقال: أكننت الشيء وكننته لغتان، وقال ثعلب: أكننت الشيء أي أخفيت في نفسي وكننته سترته، وقال السدي: هو أن يدخل فيسلم ويهدي إن

(١) أخرجه ابن المبارك في كتاب النكاح، ورواه الدارقطني من رواية محمد بن الصلت عن عبد الرحمن بن سليمان، وهو ابن الغسيل..

انظر: الكافي الشافي لابن حجر ص ٢١.

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى
 الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ دُونَ عَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾

شاء ولا يتكلم بشيء ﴿علم الله أنكم ستذكروهن﴾ بقلوبكم ﴿ولكن لا تواعدوهن سرًا﴾ اختلفوا في السر المنهي عنه فقال قوم: هو الزنا كان الرجل يدخل على المرأة من أجل الزنية وهو يتعرض بالنكاح ويقول لها: دعيني فإذا أوفيت عدتك أظهرت نكاحك، هذا قول الحسن وقتادة وإبراهيم وعطاء ورواية عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال زيد بن أسلم: أي لا ينكحها سرًا فيمسكها فإذا حلت أظهر ذلك.

وقال مجاهد: هو قول الرجل لا تفوتيني بنفسك فإني ناكحك، وقال الشعبي والسدي لا يأخذ ميثاقها أن لا تنكح غيره، وقال عكرمة: لا ينكحها ولا يخطبها في العدة.
 قال الشافعي: السر هو الجماع، وقال الكلبي: أي لا تصفوا أنفسكم لها بكثره الجماع فيقول آتيك الأربعة والخمسة وأشبه ذلك، ويذكر السر ويراد به الجماع قال امرئ القيس:

أَلَا زَعَمْتَ بَسْبَاسَةَ الْقَوْمِ أَنَسِي كِبْرُتٌ وَأَلَّا يُحْسِنُ السِّرَّ أُمَّتَالِي

وإنما قيل للزنا والجماع سر لأنه يكون في خفاء بين الرجل والمرأة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ هو ما ذكرنا من التعريض بالخطبة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزَمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ﴾ أي لا تحققوا العزم على عقدة النكاح في العدة حتى يبلغ الكتاب أجله أي: حتى تنتضي العدة وسماها الله كتاباً لأنها فرض من الله كقوله تعالى: «كتب عليكم» أي فرض عليكم ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾ أي فحذروا الله ﴿واعلموا أن الله غفور حلِيم﴾ لا يعجل بالعقوبة.

قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي ولم تمسوهن ولم تفرضوا، نزلت في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسم لها مهراً ثم طلقها قبل أن يمسه فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله ﷺ: «متعها ولو بقلنسوتك»^(١).

أ/٤٠

قرأ حمزة والكسائي ﴿ما لم تمسوهن﴾ بالألف ههنا وفي الأحزاب على المفاعلة لأن بدن كل واحد منهما يلاقي بدن صاحبه كما قال الله تعالى: «من قبل أن يتاسا» (٣ — المجادلة) وقرأ الباقون ﴿تمسوهن﴾

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الكافي الشاف ص ٢١: «لم أجده».

وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ
إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ
وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

بلا ألف لأن الغشيان يكون من فعل الرجل دليله قوله تعالى: «ولم يمسنني بشر» (٤٧ — آل عمران).

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَفَرِّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي توجبوا لها صداقاً فإن قيل فما الوجه في نفي الجناح عن المطلق قيل: الطلاق قطع سبب الوصلة وجاء في الحديث «أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق»^(١).

فنفى الجناح عنه إذا كان الفراق أروح من الإمساك، وقيل معناه لا سبيل للنساء عليكم إن طلقتموهن من قبل المسيس والفرض بصداق ولا نفقة، وقيل: لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في أي وقت شتمت حائضاً كانت المرأة أو طاهراً لأنه لا سنة ولا بدعة في طلاقهن قبل الدخول بها بخلاف المدخول بها فإنه لا يجوز تطليقها في حال الحيض ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أي أعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتبلغ به من الزاد ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ﴾ أي على الغني ﴿قَدْرَهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ﴾ أي الفقير ﴿قَدْرَهُ﴾ أي إمكانه وطاقته قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص قدره بفتح الدال فيهما وقرأ الآخرون بسكونهما وهما لغتان وقيل: القدر بسكون الدال المصدر وبالفتح الاسم، متاعاً: نصب على المصدر أي متعهن ﴿مَتَّاعاً بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي بما أمركم الله به من غير ظلم ﴿حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾، وبيان حكم الآية أن من تزوج امرأة ولم يفرض لها مهراً ثم طلقها قبل المسيس تجب لها المتعة بالاتفاق وإن طلقها بعد الفرض قبل المسيس فلا متعة لها على قول الأكثرين ولها نصف المهر المفروض.

واختلفوا في المطلقة بعد الدخول بها فذهب جماعة إلى أنه لا متعة لها لأنها تستحق المهر وهو قول أصحاب الرأي وذهب جماعة إلى أنها تستحق المتعة لقوله تعالى «وللمطلقات متاع بالمعروف» (٢٤١) — البقرة) وهو قول عبد الله بن عمر وبنه قال عطاء ومجاهد والقاسم بن محمد وإليه ذهب الشافعي لأن استحقاتها المهر بمقابلة ما أثلف عليها من منفعة البضع فلها المتعة على وحشة الفراق، فعلى القول الأول لا متعة إلا لواحدة وهي المطلقة قبل الفرض والمسيس، وعلى القول الثاني لكل مطلقة متعة إلا لواحدة وهي المطلقة بعد الفرض قبل المسيس، وقال عبد الله بن عمر: لكل مطلقة متعة إلا التي فرض لها ولم يسسها زوجها فحسبها نصف المهر.

قال الزهري: متعتان يقضي بإحدهما السلطان ولا يقضي بالأخرى بل تلزمه فيما بينه وبين الله تعالى.

(١) سبق تخريجه، عند قوله تعالى «فإن خفتم ألا يقيما حدود الله».

فأما التي يقضي بها السلطان فهي المطلقة قبل الفرض والميسس وهو قوله تعالى ﴿حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾، والتي تلزمه فيما بينه وبين الله تعالى ولا يقضي بها السلطان فهي المطلقة بعد الميسس وهو قوله تعالى: ﴿حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾.

وذهب الحسن وسعيد بن جبير إلى أن لكل مطلقة متعة سواء كان قبل الفرض والميسس أو بعد الفرض قبل الميسس لقوله تعالى: «وللمطلقات متاع بالمعروف» (٢٤١ - البقرة) ولقوله تعالى في سورة الأحزاب: «فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً» (٤٩ - الأحزاب)، وقال: معنى قوله تعالى ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي أو لم تفرضوا لهن فريضة، وقال بعضهم: المتعة غير واجبة والأمر بها أمر ندب واستحباب.

وروي أن رجلاً طلق امرأته وقد دخل بها فخاصمته إلى شرح في المتعة فقال شرح: لا تأب أن تكون من المحسنين ولا تأب أن تكون من المتقين ولم يجبره على ذلك.

واختلفوا في قدر المتعة فروي عن ابن عباس: أعلاها خادم وأوسطها ثلاثة أثواب، درع وخمار وإزار، ودون ذلك وقاية أو شيء من الورق وبه قال الشعبي والزهري وهذا مذهب الشافعي، وقال: أعلاها على الموسع خادم وأوسطها ثوب وأقلها أقل ما له ثمن، وحسن ثلاثون درهماً، وطلق عبد الرحمن بن عوف امرأته وحمّمها جارية سوداء أي متعها ومتع الحسن بن علي رضي الله عنه امرأة له بعشرة آلاف درهم فقالت: «متاع قليل من حبيب مفارق».

وقال أبو حنيفة رحمه الله: مبلغها إذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز والآية تدل على أنه يعتبر حال الزوج في العسر واليسر، ومن حكم الآية: أن من تزوج امرأة بالغة برضاها على غير مهر يصح النكاح، وللمرأة مطالبته بأن يفرض لها صداقاً، فإن دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وإن طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة، وإن مات أحدهما قبل الفرض والدخول اختلف أهل العلم في أنها هل تستحق المهر أم لا؟ فذهب جماعة إلى أنه لا مهر لها وهو قول علي وزيد بن ثابت وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن عباس كما لو طلقها قبل الفرض والدخول وذهب قوم إلى أن لها المهر لأن الموت كالدخول في تقرير المسمى كذلك في إيجاب مهر المثل إذا لم يكن في العقد مسمى وهو قول الثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بما روي عن علقمة عن ابن مسعود أنه سئل عن رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقاً ولم يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعود: لها صداق نساؤها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث فقام معقل بن سنان الأشجعي فقال: قضى رسول الله ﷺ في برّوع بنت واشق امرأة منا مثل

ما قضيت ففرح بها ابن مسعود رضي الله عنه^(١).

وقال الشافعي رحمه الله: فإن ثبت حديث برّوع بنت واشق فلا حجة في قول أحد دون قول النبي ﷺ وإن لم يثبت فلا مهر لها ولها الميراث، وكان علي يقول: في حديث برّوع لا يقبل قول أعرابي من أشجع على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم﴾ هذا في المطلقة بعد الفرض قبل المسيس فلها نصف المفروض، وإن مات أحدهما قبل المسيس فلها كمال المهر المفروض، والمراد بالمس المذكور في الآية: الجماع، واختلف أهل العلم فيما لو خلا الرجل بامرأته ثم طلقها قيل أن يدخل بها فذهب قوم إلى أنه لا يجب لها إلا نصف الصداق، ولا عدة عليها لأن الله تعالى أوجب بالطلاق قبل المسيس نصف المهر، ولم يوجب العدة، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وابن مسعود وبه قال الشافعي رحمه الله.

وقال قوم: يجب لها كمال المهر، وعليها العدة، لما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إذا أرخيت الستور فقد وجب الصداق، ومثله عن زيد بن ثابت، وحمل بعضهم قول عمر على وجوب تسليم الصداق إليها إذا سلمت نفسها لا على تقدير الصداق، وقيل هذه الآية ناسخة للآية التي في سورة الأحزاب «فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فتمتعوهن» (٤٩ - الأحزاب) فقد كان للمطلقة قبل المسيس متاع فنسخت بهذه الآية، وأوجب للمطلقة المفروض لها قبل المسيس نصف المفروض ولا متاع لها.

ب/٤

/ وقوله تعالى ﴿وقد فرضتم لهن فريضة﴾ أي سميت لهن مهراً ﴿فنصف ما فرضتم﴾ أي لها نصف المهر المسمى ﴿إلا أن يعفون﴾ يعني النساء أي إلا أن تترك المرأة نصيبها فيعود جميع الصداق إلى الزوج.

وقوله تعالى: ﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ اختلفوا فيه: فذهب بعضهم إلى أن الذي بيده عقدة النكاح هو الولي، وبه قال ابن عباس رضي الله عنه، معناه: إلا أن تعفو المرأة بترك نصيبها إلى

(١) رواه أبو داود في النكاح - باب: فيمن تزوج ولم يسم صداقاً حتى مات ٥١/٣ - ٥٣.

والترمذي: في النكاح - باب: ما جاء في الرجل يتزوج المرأة فيموت عنها قبل أن يفرض لها، وقال حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح وقد روي عنه من غير وجه ٢٩٩/٤ - ٣٠١.

والنسائي: في النكاح - باب: إباحة التزوج بغير صداق: ١٢١/٦ - ١٢٢.

وابن ماجه: في النكاح - باب: الرجل يتزوج ولا يفرض لها فيموت على ذلك برقم (١٨٩١) ٦٠٩/١.

وابن حبان: برقم (١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥) ص ٣٠٨ من موارد الظمان.

والإمام أحمد في المسند: ٢٧٩/٤ - ٢٨٠ عن ابن مسعود.

وانظر: نصب الراية: ٢٠١/٣ - ٢٠٢ التلخيص الحبير ١٩١/٣ - ١٩٢.

إرواء الغليل ٣٥٧/٦ - ٣٦٠.

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ وُكُبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٢٩﴾

الزوج إن كانت ثيباً من أهل العفو، أو يعفو وليها فيترك نصيبها إن كانت المرأة بكرًا أو غير جائزة الأمر فيجوز عفو وليها وهو قول علقمة وعطاء والحسن والزهري وربيعه، وذهب بعضهم إلى أنه إنما يجوز عفو الولي إذا كانت المرأة بكرًا فإن كانت ثيباً فلا يجوز عفو وليها، وقال بعضهم: الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج، وهو قول علي، وبه قال سعيد بن المسيّب وسعيد بن جبير والشعبي وشرح ومجاهد وقتادة، وقالوا: لا يجوز لوليها ترك الشيء من الصداق، بكرًا كانت أو ثيباً كما لا يجوز له ذلك قبل الطلاق بالاتفاق وكما لا يجوز له أن يهب شيئاً من مالها، وقالوا: معنى الآية إلا أن تعفو المرأة بترك نصيبها فيعود جميع الصداق إلى الزوج أو يعفو الزوج بترك نصيبه فيكون لها جميع الصداق، فعلى هذا التأويل وجه الآية: الذي بيده عقدة النكاح نكاح نفسه في كل حال قبل الطلاق أو بعده ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَىٰ﴾ موضعه رفع بالابتداء أي فالفعل أقرب للتقوى، أي إلى التقوى، والخطاب للرجال والنساء جميعاً لأن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا كانت الغلبة للمذكر معناه: وعفو بعضكم عن بعض أقرب للتقوى ﴿وَلَا تَسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي افضال بعضكم على بعض باعطاء الرجل تمام الصداق أو ترك المرأة نصيبها، حثهما جميعاً على الإحسان ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ أي واطبوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدودها وإتمام أركانها، ثم خص من بينها الصلاة الوسطى بالمحافظة عليها دلالة على فضلها، والوسطى تأنيث الأوسط، ووسط الشيء: خيره وأعدله واختلف العلماء من الصحابة ومن بعدهم في الصلاة الوسطى فقال قوم: هي صلاة الفجر، وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر، وبه قال عطاء وعكرمة ومجاهد، وإليه مال مالك والشافعي، لأن الله تعالى قال: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ والقنوت طول القيام، وصلاة الصبح مخصوصة بطول القيام والقنوت لأن الله تعالى خصها في آية أخرى من بين الصلوات فقال الله: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨ — الإسراء)، يعني تشهدا ملائكة الليل وملائكة النهار، فهي مكتوبة في ديوان الليل وديوان النهار، ولأنها بين صلاتي جمع وهي لا تقصر ولا تجمع إلى غيرها.

وذهب قوم إلى أنها صلاة الظهر، وهو قول زيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وأسامة بن زيد، لأنها في وسط النهار وهي أوسط صلاة النهار في الطول.

أخبرنا عمر بن عبد العزيز أخبرنا أبو القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي اللؤلؤي أنا أبو داود أنا محمد بن المثنى أنا محمد بن جعفر أنا شعبة حدثني عمرو بن أبي حكيم قال: سمعت الزبير بن جرد يحدث عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهجرة ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب النبي ﷺ منها، فنزلت: ﴿حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى﴾^(١).

وذهب الأكثرون إلى أنها صلاة العصر رواه جماعة عن رسول الله ﷺ وهو قول علي وعبد الله بن مسعود وأبي أيوب وأبي هريرة وعائشة رضوان الله عليهم وبه قال إبراهيم النخعي وقتادة والحسن.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أسلم عن القعقاع بن حكيم عن أبي يونس مولى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما أنه قال: أمرتني عائشة أن اكتب لها مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فأذني ﴿حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى﴾ فلما بلغت أذنتها فأملت علي ﴿حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى﴾ «صلاة العصر» ﴿وقوموا لله قانتين﴾^(٢) قالت عائشة رضي الله عنها: سمعتها من رسول الله ﷺ وعن حفصة مثل ذلك.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمان أنا أبو جعفر الرّياني أنا حميد بن زنجويه أخبرنا أبو نعيم أنا سفيان عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال: قلنا لعبيدة سل علياً عن الصلاة الوسطى فسأله فقال: كنا نرى أنها صلاة الفجر حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الخندق: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً»^(٣) ولأنها صلاتي نهار وصلاتي ليل، وقد خصها النبي ﷺ بالتغليظ.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا مسلم بن إبراهيم أنا هشام أنا يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي المليح قال: كنا مع

(١) أخرجه الإمام أحمد: عن زيد بن ثابت ١٨٣/٥.

وأبو داود في الصلاة باب وقت العصر: ٢٤٠/١.

والطحاوي في شرح معاني الآثار: ١٦٧/١.

والطبري في التفسير: ٢٠٦/٥، والبيهقي: ٤٥٨/١، وعزه السيوطي أيضاً للبخاري في تاريخه الكبير وأبي يعلى والطبراني، انظر: الدر المنثور: ٧٢٠/١، تفسير الطبري بتعليق محمود شاکر ٢٠٧/٥.

(٢) رواه مسلم: في المساجد — باب: الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر برقم (٦٢٩) ٤٣٧/١. والمصنف في شرح السنة ٢٣٢/٢.

(٣) رواه البخاري: في تفسير سورة البقرة — باب: حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى: ١٩٥/٨.

ومسلم: في المساجد — باب: الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر برقم (٦٢٧) ٤٣٦/١.

والمصنف في شرح السنة: ٢٣٣/٢ — ٢٣٤.

بريدة في غزوة في يوم ذي غيم فقال: بكرؤا بصلاة العصر فإن النبي ﷺ قال: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»^(١).

وقال قبيصة بن ذؤيب: هي صلاة المغرب لأنها وسط ليس بأقلها ولا بأكثرها، ولم ينقل عن أحد من السلف أنها صلاة العشاء وإنما ذكرها بعض المتأخرين لأنها بين صلاتين لا تقصران، وقال بعضهم هي إحدى الصلوات الخمس لا بعينها، أهمها الله تعالى تحريضاً للعباد على المحافظة على أداء جميعها كما أخفى ليلة القدر في شهر رمضان وساعة إجابة الدعوة في يوم الجمعة وأخفى الاسم الأعظم في الأسماء ليحافظوا على جميعها.

قوله تعالى: ﴿وقوموا لله قانتين﴾ أي مطيعين، قال الشعبي وعطاء وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وطاووس والقنوت: الطاعة، قال الله تعالى «أمة قانتاً» (١٢٠ - النحل) أي مطيعاً.

وقال الكلبي ومقاتل: لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا أنتم لله في صلاتكم مطيعين، وقيل القنوت السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا أحمد بن منيع أنا هشيم أنا اسماعيل بن أبي خالد عن الحارث بن شبيب عن أبي عمرو الشيباني عن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة يكلم الرجل منا صاحبه إلى جنبه حتى نزلت ﴿وقوموا لله قانتين﴾ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام^(٢).

وقال مجاهد: خاشعين، وقال: من القنوت طول الركوع وغض البصر والركود وخفض الجناح، كان العلماء إذ قام أحدهم يصلي يهاب الرحمن أن يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشيء أو يحدث نفسه بشيء من أمر الدنيا إلا ناسياً، وقيل: المراد من القنوت طول القيام.

أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا ابن أبي عمر أنا سفيان بن عيينة عن أبي الزبير عن جابر قال: قيل للنبي ﷺ / أي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت»^(٣) وقيل ﴿قانتين﴾ أي داعين.

(١) رواه البخاري: في المواقيت: باب: من ترك العصر ٣١/٢ وباب التكبير في الصلاة في يوم غيم. والمصنف في شرح السنة: ٢١٣/٢ - ٢٣٧.

(٢) رواه البخاري: في العمل في الصلاة - باب: ما ينهى من الكلام في الصلاة ٧٣/٣ وفي التفسير.

ومسلم: في المساجد - باب: تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة برقم (٥٣٩) ٣٨٣/١.

(٣) رواه مسلم: في صلاة المسافرين - باب: أفضل الصلاة طول القنوت برقم (٧٥٦) ٥٢٠/١.

والمصنف في شرح السنة: ١٥٢/٣ - ١٥٣.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ
غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ
مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾

دليله ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قنت رسول الله ﷺ شهراً متتابعاً يدعو على
أحياء من سليم على رعل وذكوان وعصية،^(١) وقيل معناه مصلين لقوله تعالى «أمن هو قانت آناء الليل»
(٩ - الزمر) أي مصلين.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خَفَمَ فَرَجَالًا أَوْ رَكْبَانًا﴾ (فرجالاً) أي رجالة، يقال: راجل ورجال مثل صاحب
وصحاب وقائم وقيام ونائم ونيام ﴿أَوْ رَكْبَانًا﴾ على دوابهم وهو جمع راكب، معناه إن لم يمكنكم أن تصلوا
قانتين موفين للصلاة حقها لخوف فصلوا مشاة على أرجلكم أو ركبانا على ظهور دوابكم، وهذا في حال
المقاتلة والمسايفة يصلي حيث كان وجهه راجلاً أو راكباً مستقبلاً القبلة وغير مستقبلها ويومئ بالركوع
والسجود ويجعل السجود أخفض من الركوع، وكذلك إذا قصده سبع أو غشيه سيل يخاف منه على
نفسه فعدا أمامه مصلياً بالأيام يجوز.

والصلاة في حال الخوف على أقسام فهذه صلاة شدة الخوف وسائر الأقسام سيأتي بيانها في سورة
النساء إن شاء الله تعالى، ولا ينتقص عدد الركعات بالخوف عند أكثر أهل العلم، وروي عن مجاهد عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ﷺ في الحضر أربعاً وفي السفر
ركعتين وفي الخوف ركعة^(٢) وهو قول عطاء وطاووس والحسن ومجاهد وقتادة: أنه يصلي في حال شدة
الخوف ركعة، وقال سعيد بن جبير: إذا كنت في القتال وضرب الناس بعضهم بعضاً فقل «سبحان الله
والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر واذكر الله فتلك صلاتك» ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي فصلوا
الصلوات الخمس تامة بحقوقها ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ﴾ أي يتركون ﴿أَزْوَاجًا﴾ أي
زوجات ﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ قرأ أهل البصرة وابن عامر وحمزة وحفص وصية بالنصب على معنى

(١) رواه البخاري في الوتر - باب: القنوت قبل الركوع وبعده ٤٩٠/٢ ورواية البخاري عن أنس قال «قنت رسول الله ﷺ شهراً يدعو
على رعل وذكوان وقد روى الحديث أحمد وأبو داود في الصلاة باب القنوت في الصلوات.
والمصنف في شرح السنة: ١٢٢/٣.

(٢) رواه مسلم: في المسافرين - باب: صلاة المسافرين وقصرها برقم (٦٨٧) ٤٧٩/١.

وَالْمُطْلَقَاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾

فليوصوا وصية، وقرأ الباقرن بالرفع أي كتب عليكم الوصية ﴿متاعاً إلى الحول﴾ متاعاً نصب على المصدر أي متعهن متاعاً، وقيل: جعل الله ذلك لمن متاعاً، والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وسكنها وما تحتاج إليه ﴿غير إخراج﴾ نصب على الحال، وقيل بنزع حرف على الصفة أي من غير إخراج، نزلت هذه الآية في رجل من أهل الطائف يقال له حكيم بن الحارث هاجر إلى المدينة وله أولاد ومعه أبواه وامرأته فمات، فأنزل الله هذه الآية فأعطى النبي ﷺ والديه وأولاده من ميراثه ولم يعط امرأته شيئاً، وأمرهم أن ينفقوا عليها من تركه زوجها حولاً كاملاً، وكانت عدة الوفاة في ابتداء الإسلام حولاً وكان يحرم على الوارث إخراجها من البيت قبل تمام الحول، وكانت نفقتها وسكنها واجبة في مال زوجها تلك السنة ما لم تخرج، ولم يكن لها الميراث، فإن خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها، وكان على الرجل أن يوصي بها فكان كذلك حتى نزلت آية الميراث، فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع والثلث، ونسخ عدة الحول بأربعة أشهر وعشر.

قوله تعالى: ﴿فإن خرجن﴾ يعني من قبل أنفسهن قبل الحول من غير إخراج الورثة ﴿فلا جناح عليكم﴾ يا أولياء الميت ﴿فيما فعلن في أنفسهن من معروف﴾ يعني التزين للنكاح، ولرفع الجناح عن الرجال وجهان:

أحدهما: لا جناح عليكم في قطع النفقة إذا خرجن قبل انقضاء الحول.

والآخر: لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لأن مقامها في بيت زوجها حولاً غير واجب عليها خيرها الله تعالى بين أن تقيم حولاً ولها النفقة والسكنى، وبين أن تخرج فلا نفقة ولا سكنى إلى أن نسخه بأربعة أشهر وعشر.

﴿والله عزيز حكيم﴾ وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين ﴿إنما أعاد ذكر المتعة هاهنا لزيادة معنى، وذلك أن في غيرها بيان حكم غير المسوسة، وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة، وقيل: إنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ومتعهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾ إلى قوله ﴿حقاً على المحسنين﴾ (٢٣٦ - البقرة) قال رجل من المسلمين: أن أحسنت فعلت، وإن لم أرد ذلك لم أفعل، فقال الله تعالى: ﴿وللمطلقات متاع﴾ جعل المتعة لمن بلام التملك فقال: ﴿حقاً على المتقين﴾ يعني المؤمنين المتقين الشرك، ﴿كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تعقلون﴾ .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ
 اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
 لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٤﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٥﴾
 مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ
 وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم﴾ قال أكثر أهل التفسير: كانت قرية يقال لها: داوردان قبل واسط بها وقع الطاعون، فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة، فهلك أكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين، فقال الذين بقوا: أصحابنا كانوا أحزم منا، لو صنعنا كما صنعوا لبقينا، ولكن وقع الطاعون ثانية لنخرجن إلى أرض لا وباء بها، فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها، وخرجوا حتى نزلوا وادياً أفيح^(١) فلما نزلوا المكان الذي يتبعون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه: أن موتوا فماتوا جميعاً.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام فلما جاء سرغ^(٢) بلغه أن الوباء قد وقع بالشام فأخبره عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»^(٣) فرجع عمر من سرغ، قال الكلبي ومقاتل والضحاك: إنما فروا من الجهاد وذلك أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوهم، فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا للملكهم: إن الأرض التي تأتيها بها الوباء فلا تأتيها حتى ينقطع منها الوباء، فأرسل الله عليهم الموت فخرجوا من ديارهم فراراً من الموت فلما رأى الملك ذلك قال: اللهم رب يعقوب وإله موسى قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك، فلما خرجوا قال لهم الله تعالى: موتوا، عقوبة لهم، فماتوا جميعاً وماتت دوابهم كموت رجل واحد فأتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم فخرج إليهم الناس فعجزوا

(١) واسعاً.

(٢) بفتح أوله وسكون ثانيه ثم غين معجمة والمهمله لفة فيه: أول الحجاز وآخر الشام، وقيل: قرية بوادي تبوك انظر مرصد الإطلاع

٧٠٧/٢ - ٧٠٨.

(٣) رواه البخاري: في الطب باب: ما يذكر في الطاعون ١٧٩/١٠.

ومسلم: في السلام - باب: الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها برقم (٢٢١٩) ١٧٤٢/٤.

عن دنفهم، فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها^(١).

واختلفوا في مبلغ عددهم، قال عطاء الخراساني: كانوا ثلاثة آلاف، وقال وهب: أربعة آلاف وقال مقاتل والكلبي: ثمانية آلاف، وقال أبو روق: عشرة آلاف، وقال السدي: بضعة وثلاثون ألفاً، وقال ابن جريج: أربعون ألفاً، وقال عطاء ابن أبي رباح: سبعون ألفاً، وأولى الأقاويل: قول من قال كانوا زيادة على عشرة آلاف، لأن الله تعالى قال «وهم ألوف» والألوف جمع الكثير وجمعه القليل آلاف، ولا يقال لما دون عشرة آلاف ألوف، قالوا: فأتت على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم نبي يقال له حزقيل بن بودى ثالث خلفاء بني اسرائيل من بعد موسى عليه السلام، وذلك أن القيم بأمر بني اسرائيل كان بعد موسى يوشع بن نون^(٢) ثم كالب بن يوقنا ثم حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لأن أمه كانت عجوزاً فسألت الله الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه الله تعالى لها، قال / الحسن ٤١/ب ومقاتل: هو ذو الكفل وسمي حزقيل ذا الكفل لأنه تكفل بسبعين نبياً وأنجاهم من القتل، فلما مر حزقيل على أولئك الموتى وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم متعجباً فأوحى الله تعالى إليه تريد أن أريك آية؟ قال نعم: فأحياهم الله وقيل: دعا حزقيل ربه أن يحييهم فأحياهم.

وقال مقاتل والكلبي: هم كانوا قوم حزقيل أحياهم الله بعد ثمانية أيام، وذلك أنه لما أصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال: يارب كنت في قوم يمدونك ويسبحونك ويقدمونك ويكبرونك ويهللونك فبقيت وحيداً لا قوم لي، فأوحى الله تعالى إليه: أني جعلت حياتهم إليك، قال حزقيل: إحيوا بإذن الله فعاشوا.

قال مجاهد: إنهم قالوا حين أحيوا، سبحانك اللهم ربنا وحمدك لا إله إلا أنت فرجعوا إلى قومهم وعاشوا دهرًا طويلاً وسحنة الموت على وجوههم، لا يلبسون ثوباً إلا عاد دسماً مثل الكفن حتى ماتوا لأجلهم التي كتبت لهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وإنما لتوجد اليوم في ذلك السبط من اليهود تلك الرياح، قال قتادة:

(١) ذكر ابن عطية رحمه الله بعض الروايات في ذلك ثم قال: وهذا القصص كله لئِن الأسانيد، وإنما اللازم من الآية أن الله تعالى أخبر نبيه محمداً ﷺ أخباراً في عبارة التنبيه والتوقيف عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فراراً من الموت فأماهم الله تعالى ثم أحياهم ليروا هم وكل من خلف بعدهم: أن الإمامة إنما هي بيد الله لا بيد غيره، فلا معنى لخوف خائف، ولا اغترار مغتر.

وجعل الله تعالى هذه الآية مقدمة بين يدي أمره المؤمنين، من أمة محمد ﷺ، بالجهد، هذا قول الطبري، وهو ظاهر وصف الآية، ولوردي القصص في هذه القصة زيادات اختصرتها لضعفها»، المحرر الوجيز لابن عطية: ٣٤٥/٢.

(٢) ذكر ابن كثير — رحمه الله هذا القول عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة وقال: قال: ابن جرير يعني أفرام بن يوسف بن يعقوب وهذا القول بعيد لأن هذا كان بعد موسى بدهر طويل، وكان ذلك في زمان داود عليه السلام كما هو مصرح به في القصة، وقد كان بين داود وموسى ما ينيف على ألف سنة والله أعلم.

ابن كثير: ٥٣٣/١ بتخرجه الوداعي.

مقتهم الله على فرارهم من الموت فأماهم عقوبة لهم ثم بعثوا ليستوفوا مدة آجالهم [ولو جاءت آجالهم] (١) ما بعثوا فذلك قوله تعالى: ﴿ألم تر﴾ أي ألم تعلم بإعلامي إياك، وهو من رؤية القلب.

قال أهل المعاني: هو تعجيب يقول هل رأيت مثلهم كما تقول ألم تر إلى ما يصنع فلان؟ وكل ما في القرآن أم تر ولم يعاينه النبي ﷺ، فهذا وجهه ﴿ألم تر إلى الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف﴾ جمع ألف وقيل مؤتلفة قلوبهم جمع ألف مثل قاعد وقعود، والصحيح أن المراد منه العدد ﴿حذر الموت﴾ أي خوف الموت ﴿فقال لهم الله موتوا﴾ أمر تحويل كقوله «كونوا قردة خاسئين» (٦٥ - البقرة) ﴿ثم أحياهم﴾ بعد موتهم ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ قيل هو على العموم في حق الكافة في الدنيا، وقيل على الخصوص في حق المؤمنين ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ أما الكفار فلم يشكروا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية الشكر.

﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ أي في طاعة الله أعداء الله ﴿واعلموا أن الله سميع عليم﴾ قال أكثر أهل التفسير: هذا خطاب للذين أحيوا أمروا بالقتال في سبيل الله فخرجوا من ديارهم فراراً من الجهاد فأماهم الله ثم أحياهم وأمرهم أن يجاهدوا، وقيل: الخطاب لهذه الأمة، أمرهم بالجهاد.

قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ القرض اسم لكل ما يعطيه الإنسان ليجازى عليه، فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له على رجاء ما وعدهم من الثواب قرضاً، لأنهم يعملونه لطلب ثوابه، قال الكسائي: القرض ما أسلفت من عمل صالح أو سيء، وأصل القرض في اللغة القطع، سمي به القرض لأنه يقطع من ماله شيئاً يعطيه ليرجع إليه مثله، وقيل في الآية اختصار مجازة: من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه، كقوله تعالى: «إن الذين يؤذون الله ورسوله» (٥٧ - الأحزاب) أي يؤذون عباد الله، كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة يابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال: يارب كيف أطعمتك وأنت رب العالمين؟ قال: استطعمتك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي» (٢).

وقوله عز وجل: ﴿يقرض الله﴾ أي ينفق في طاعة الله ﴿قرضاً حسناً﴾ قال الحسين بن علي الواقدي: يعني محتسباً، طيبة بها نفسه، وقال ابن المبارك: من مال حلال وقيل لا يمين به ولا يؤدي ﴿فيضاعفه له﴾ قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر ويعقوب ﴿فيضاعفه﴾ وبابه بالتشديد، ووافق أبو عمرو في سورة الأحزاب وقرأ الآخرون ﴿فيضاعفه﴾ بالألف مخففاً وهما لغتان، ودليل التشديد قوله

(١) ساقط من «أ».

(٢) رواه مسلم: في البر - باب: فضل عيادة المريض برقم (٢٥٦٩) ٤/١٩٩٠.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ آتِنَا
 مِلْكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ
 أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا
 وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 بِالظَّالِمِينَ ﴿١٤٦﴾

﴿أضعافاً كثيرة﴾ لأن التشديد للتكثير، وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بنصب الفاء، وكذلك في سورة الحديد على جواب الاستفهام، وقيل بإضمار أن، وقرأ الآخرون برفع الفاء نسقاً على قوله: يقرض ﴿أضعافاً كثيرة﴾ قال السدي هذا التضعيف لا يعلمه إلا الله عز وجل، وقيل سبعمائة ضعف ﴿والله يقبض ويبسط﴾ قرأ أهل البصرة وحمزة يبسط، هاهنا وفي الأعراف، بسطة، بالسین كنظائرهما، وقرأهما الآخرون بالصاد قيل يقبض بإمساك الرزق والنفس والتقتير ويبسط بالتوسيع وقيل يقبض بقبول التوبة والصدقة ويبسط بالخلف والثواب، وقيل هو الإحياء والإماتة فمن أماتة فقد قبضه ومن مد له في عمره فقد بسط له، وقيل هذا في القلوب، لما أمرهم الله تعالى بالصدقة أخبر أنهم لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه، قال: يقبض بعض القلوب فلا ينشط بخير ويبسط بعضها فيقدم لنفسه خيراً كما جاء في الحديث «القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء» (١) الحديث.

﴿وإليه ترجعون﴾ أي إلى الله تعودون فيجزئكم بأعمالكم، قال قتادة: الهاء راجعة إلى التراب كناية عن غير مذكور، أي من التراب خلقهم وإليه يعودون.

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل﴾ والملأ من القوم: وجوههم وأشرفهم، وأصل الملأ الجماعة من الناس ولا واحد له من لفظه، كالقوم والرهط والإبل والخيول والجن وجمعه أملاء ﴿من بعد موسى﴾ أي من بعد موت موسى ﴿إذ قالوا لنبي لهم﴾ واختلفوا في ذلك النبي فقال قتادة هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام وقال السدي: اسمه شمعون، وإنما سمي شمعون، لأن أمه دعت الله أن يرزقها غلاماً فاستجاب الله دعائها فولدت غلاماً فسمته سمعون تقول سمع الله تعالى دعائي والسین تصير شيناً بالعبرانية، وهو شمعون بن صافية بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب، وقال سائر المفسرين: هو اشمويل وهو بالعبرانية اسماعيل بن يال بن علقمة، وقال مقاتل: هو من نسل هارون، وقال مجاهد: هو اشمويل وهو بالعبرانية اسماعيل بن يال بن علقمة.

(١) رواه مسلم: في القدر — باب: تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء برقم (٢٦٥٤) ٤/٢٠٤٥. والمصنف في شرح السنة ١٦٥/١.

وقال وهب وابن إسحاق والكلبي وغيرهم: كان سبب مسألتهم إياه ذلك لما مات موسى عليه السلام خلف بعده في بني إسرائيل يوشع بن نون، يقيم فيهم التوراة وأمر الله تعالى حتى قبضه الله تعالى، ثم خلف فيهم كالب كذلك حتى قبضه الله تعالى، ثم خلف حزقيل حتى قبضه الله، ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الأوثان، فبعث الله إليهم إيلياس نبياً فدعاهم إلى الله تعالى، وكانت الأنبياء من بني إسرائيل من بعد موسى يبعثون إليهم بتجديد ما نسوا من التوراة، ثم خلف من بعد إيلياس اليسع فكان فيهم ما شاء الله ثم قبضه الله، وخلف فيهم الخلوف وعظمت الخطايا فظهر لهم عدو يقال له البلشاثا، وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على / بني إسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيراً من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعين وأربعمائة غلاماً، فضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم، ولقي بنو إسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدير أمرهم، وكان سبط النبوة قد هلكوا، فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدها بغلام لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاماً فولدت غلاماً، فسماته اشمويل تقول: سمع الله تعالى دعائي، فكبر الغلام فأسلمته ليتعلم التوراة في بيت المقدس فكفله شيخ من علمائهم وتبناه، فلما بلغ الغلام أتاه جبريل وهو نائم إلى جنب الشيخ وكان لا يأتمن عليه أحداً فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل، فقام الغلام فزعاً إلى الشيخ فقال: له بأبتاه دعوتني؟ فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فم، فرجع الغلام فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام يا أبت دعوتني؟ فقال ارجع فم فإن دعوتك الثالثة فلا تجبني (فرجع الغلام فنام) (١) فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل فقال له: اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك، فإن الله عز وجل قد بعثك فيهم نبياً، فلما أتاهم كذبوه وقالوا: استعجلت بالنبوة ولم تتلک، وقالوا له: إن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، آية من نبوتك، وإنما كان قوام أمر بني إسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك لأنبيائهم، فكان الملك هو الذي يسير بالجموع، والنبي يقيم له أمره ويشير عليه برشده ويأتيه بالخبر من ربه، قال وهب بن منبه: بعث الله تعالى اشمويل نبياً فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال، ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فقالوا لاشمويل: ﴿ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله﴾ جزم على جواب الأمر فلما قالوا ذلك ﴿قال هل عسيتم﴾ استفهام شك.

قرأ نافع: عسيتم بكسر السين كل القرآن، وقرأ الباقون بالفتح وهي اللغة الفصيحة بدليل قوله تعالى: (عسى ربكم) ﴿إن كتب﴾ فرض ﴿عليكم القتال﴾ مع ذلك الملك ﴿أن لا تقاتلوا﴾ أن لا تفوا بما تقولوا معه ﴿قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله﴾ فإن قيل فما وجه دخول أن في هذا الموضع والعرب لا تقول مالك أن لا تفعل وإنما يقال مالك لا تفعل؟ قيل: دخول أن وحذفها لغتان صحيحتان

(١) ساقط من ب، ومن المطبوع.

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

فالإثبات كقوله تعالى: «مالك أن لا تكون مع الساجدين» (٣٢ - الحجر) والحذف كقوله تعالى: «ما لكم لا تؤمنون بالله» (٨ - الحديد) وقال الكسائي: معناه وما لنا في أن لا نقاتل فحذف «في» وقال الفراء: أي وما يمنعنا أن لا نقاتل في سبيل الله كقوله تعالى: «ما منعك أن لا تسجد» (١٢ - الأعراف) وقال الأخفش: «أن» هاهنا زائدة معناه: وما لنا لا نقاتل في سبيل الله ﴿وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ أي أخرج من غلب عليهم من ديارهم، ظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص، لأن الذين قالوا لنبيهم: ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله كانوا في ديارهم وأوطانهم وإنما أخرج من أسر منهم، ومعنى الآية أنهم قالوا مجيبين لنبيهم: إنما كنا نزهد في الجهاد إذ كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا، فأما إذا بلغ ذلك منا فنطبع ربنا في الجهاد ونمنع نساءنا وأولادنا.

قال الله تعالى: ﴿فلما كتب عليهم القتال تولوا﴾ أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله ﴿إلا قليلاً منهم﴾ وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على العرقة على ما سيأتي إن شاء الله تعالى، ﴿والله عليم بالظالمين﴾ .

﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً﴾ وذلك أن اشمویل سأل الله تعالى أن يعث لهم ملكاً فأتى بعضاً وقرن^(١) فيه دهن القدس وقيل: له إن صاحبكم الذي يكون ملكاً طوله طول هذه العصا وانظر هذا القرن الذي فيه الدهن فإذا دخل عليك رجل فنش^(٢) الدهن الذي في القرن فهو ملك بني إسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم، وكان طالوت اسمه بالعبرانية شاول بن قيس من أولاد بنيامين ابن يعقوب سمي طالوت لطوله وكان أطول من كل أحد برأسه ومنكبيه، وكان رجلاً دباغاً يعمل الأديم^(٣) قاله وهب، وقال السدي: كان رجلاً سقاء يسقي على حمار له من النيل فضبل حماره فخرج في طلبه، وقيل كان خربندجا، وقال وهب: بل ضلت حُمُرُ لأبي طالوت فأرسله وغلاماً له في طلبها فمر بيت اشمویل فقال الغلام لطالوت: لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن أمر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا، فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له شأن الحمر إذ نش الدهن الذي في القرن فقام اشمویل عليه السلام ففاس

(١) أراد القنينة التي يكون فيها الدهن والطيب، وكأنهم كانوا يتخذونها من قرون البقر وغيرها.

(٢) نش الماء ينش نشاً ونشيشاً: إذا صوت عند الغليان.

(٣) الجلد أول ما يدبغ فإذا رد في الدباغ مرة أخرى فهو اللدِيم.

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

طالوت بالعصا فكانت طوله، فقال لطالوت قرب رأسك فقربه فدهنه بدهن القدس، ثم قال له: انت ملك بني إسرائيل الذي أمرني الله تعالى أن أملكك عليهم فقال طالوت: أما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني إسرائيل وبيتي أدنى بيوت بني إسرائيل؟ (قال بلي) (١) قال فبأي آية قال: بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمرة فكان كذلك.

ثم قال لبني إسرائيل: إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ﴿قَالُوا أئِنَّا يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ أي من أين يكون له الملك علينا ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ﴾ أولى ﴿بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ وإنما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان: سبط نوبة وسبط مملكة، فكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه كان موسى وهارون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان ولم يكن طالوت من أحدهما وإنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنباً عظيماً، كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهاراً فغضب الله تعالى عليهم ونزع الملك والنبوة عنهم وكانوا يسمونه سبط الإثم، فلما قال لهم نبيهم ذلك أنكروا عليه لأنه لم يكن من سبط المملكة ومع ذلك قالوا هو فقير ﴿وَلَمْ يَأْتِ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ﴾ قال إن الله اصطفاه ﴿اخْتَارَهُ﴾ عليكم وزاده بسطة ﴿فَضِيلَةٌ وَسَعَةٌ﴾ في العلم والجسم ﴿وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَعْلَمَ بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ فِي وَقْتِهِ وَقِيلَ: إِنَّهُ أَتَاهُ الْوَحْيُ حِينَ أُوتِيَ الْمُلْكُ﴾ وقال الكلبي (وزاده بسطة في العلم) بالحرب وفي (الجسم) بالطول وقيل الجسم بالجمال وكان طالوت أجمل رجل في بني إسرائيل وأعلمهم ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ قيل الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى، والعليم العالم، وقيل العالم بما كان والعليم بما يكون فقالوا له: فما آية ملكه؟ فقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فقال قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ وكانت قصة التابوت أن الله تعالى أنزل تابوتاً على آدم فيه صورة الأنبياء عليهم السلام، وكان من عود الشمشاذ نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين، فكان عند آدم إلى أن مات ثم بعد ذلك عند شيث ثم توارثها أولاد آدم إلى أن بلغ إبراهيم، ثم كان عند إسماعيل لأنه كان أكبر ولده ثم عند يعقوب ثم كان في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى فكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعاً من متاعه، فكان عنده إلى أن مات موسى عليه السلام، ثم تداولته

(١) ساقط من (أ).

أنبياء بني إسرائيل إلى وقت إشمويل وكان فيه ما ذكر الله تعالى^(١): ﴿ففيه سكينه من ربكم﴾ اختلفوا في السكينه / ما هي قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ریح حَجُوجٍ هَفَافَةٍ لها رأسان ووجه ٤٢/ب كوجه الإنسان، وعن مجاهد: شيء يشبه الهرة له رأس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان، وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد فكانوا إذا سمعوا صوته تيقنوا بالنصر وكانوا إذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فإذا سار ساروا وإذا وقف وقفوا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هي طست من ذهب من الجنة كان يُغسل فيه قلوب الأنبياء، وعن وهب بن منبه قال: هي روح من الله يتكلم إذا اختلفوا في شيء تخبرهم ببيان ما يريدون^(٢)، وقال عطاء بن أبي رباح: هي ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها، وقال قتادة والكلبي: السكينه فعيلة من السكون أي طمأنينة من ربكم ففي أي مكان كان التابوت اطمأنوا إليه وسكنوا^(٣) ﴿وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون﴾ يعني موسى وهرون أنفسهما كان فيه لوحان من التوراة ورضاض الألواح التي تكسرت وكان فيه عصا موسى ونعلاه وعمامة هرون وعصاه وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل، فكان التابوت عند بني إسرائيل وكانوا إذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم وإذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم فيستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت.

وكان السبب في ذلك أنه كان لعيلي العالم الذي ربي إشمويل عليه السلام ابنان شابان وكان عيلي حبرهم وصاحب قربانهم فأحدث ابناه في القربان شيئاً لم يكن فيه وذلك أنه كان لعيلي منوط القربان الذي كانوا ينوطونه به كلايين، فما أخرجوا كان للكاهن الذي ينوطه، فجعل ابناه كلاليب وكان النساء يصلين في بيت المقدس فيتشبهن بهن فأوحى الله تعالى إلى إشمويل عليه السلام انطلق إلى عيلي فقل له منعك حب الولد من أن تزجر ابنيك عن أن يحدثا في قرباني وقدي وأني يعصيان فلا تزعن الكهانة منك ومن ولدك ولأهلكنك وإياهم، فأخبر إشمويل عيلي بذلك ففرغ فزعراً شديداً فسار إليهم عدو ممن حولهم

(١) هذا الكلام عن التابوت وهيئته وتواضعه... إلخ ليس فيه شيء ثابت عن النبي ﷺ، ولو ثبت ما جاء في التفسير له عن بعض الصحابة أو التابعين، فإنه يبقى محتملاً للصدق والكذب، لأن ثبوت القول ونسبته للصحابي في هذه الأمور لا يعني صحته في واقع الأمر، وعلى كل حال لا يتوقف فهم الآيات الكريمة على شيء مما ذكر، والله أعلم.

(٢) ليس في السنة الثابتة عن النبي ﷺ ما يدل على شيء من هذا التفسير للسكينه، وهي منقولة عن أهل الكتاب، ولسنا بحاجة إلى شيء من ذلك لتفسير الآية الكريمة، وانظر: الاسرائيليات والموضوعات للشيخ أبي شهبه ص (٢٤٠).

(٣) قال ابن عطية، رحمه الله، مرجحاً هذا المعنى: «والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك، وتأنس به وتقوى، فالعهد أن الله ينصر الحق والأمور الفاضلة عنده، والسكينه على هذا: فيئة مأخوذة من السكون، كما يقال: عزم عزيمة، وقطع قطيعة».

المهر الوجيز لابن عطية: ٣٦١/٢.

وانظر: تفسير الطبري: ٣٢٩/٥ - ٢٣٠.

فأمر ابنه أن يخرج بالناس فيقاتل ذلك العدو فخرجوا وأخرجوا معهم التابوت فلما تهيؤوا للقتال جعل عيلي يتوقع الخير ماذا صنعوا فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه وأخبره أن الناس قد انهزموا وأن ابنك قد قتل، قال فما فعل التابوت؟ قال ذهب به العدو، فشقق ووقع على قفاه من كرسيه ومات فمرج أمر بني اسرائيل وتفرقوا إلى أن بعث الله طالوت ملكاً فسأله البينة فقال لهم نبهم: إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت.

وكانت قصة التابوت، أن الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود وجعلوه في بيت صنم لهم، ووضعوه تحت الصنم الأعظم، فأصبحوا من الغد والصنم تحته فأخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فأصبحوا وقد قطعت يد الصنم ورجلاه وأصبح ملقى تحت التابوت وأصبحت أصنامهم منكسة فأخرجوه من بيت الصنم ووضعوه في ناحية من مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض: أليس قد علمتم أن إله بني اسرائيل لا يقوم له شيء، فأخرجوه إلى قرية كذا فبعث الله على أهل تلك القرية فأراً فكانت الفأرة تبيت مع الرجل فيصبح ميتاً قد أكلت ما في جوفه فأخرجوه إلى الصحراء فدفنوه في مخرأة لهم فكان كل من تبرز هناك أخذ الباسور والقولنج فتحيروا، فقالت لهم امرأة كانت عندهم من سبي بني اسرائيل من أولاد الأنبياء لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم، فأتوا بعجلة بإشارة تلك المرأة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يسيران ووكل الله تعالى بهما أربعة من الملائكة يسوقنهما فأقبلا حتى وقفا على أرض بني اسرائيل فكسرا نبيهما وقطعا جباهما ووضعوا التابوت في أرض فيها حصاد بني اسرائيل ورجعا إلى أرضهما فلم يرع بني اسرائيل إلا بالتابوت فكبروا وحمدوا الله^(١) فذلك قوله تعالى ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي تسوقه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعت عند طالوت، وقال الحسن: كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم، وقال قتادة بل كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقي هناك فحملته الملائكة حتى وضعت في دار طالوت فأقروا بملكه ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّعِبْرَةٍ لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن

(١) كل هذا من أخبار بني اسرائيل الذين غيروا وبدلوا، فالله أعلم بصحتها.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٦﴾

التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية وأنها يخرجان قبل يوم القيامة^(١).

﴿فلما فصل طالوت بالجنود﴾ أي خرج بهم، وأصل الفصل: القطع، يعني قطع مستقره شاخصاً إلى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود، وهم يومئذ سبعون ألف مقاتل، وقيل: ثمانون ألفاً لم يتخلف عنه إلا كبير لهرمه أو مريض لمرضه أو معذور لعذره، وذلك أنهم لما رأوا التابوت لم يشكوا في النصر، فتسارعوا إلى الجهاد، فقال طالوت: لا حاجة لي في كل ما أرى، لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة يشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج امرأة ولم يبين بها ولا أبتغي إلا الشباب النشيط الفارع فاجتمع له ثمانون ألفاً ممن شرطه وكان في حر شديد فشكوا قلة الماء بينهم وبين عدوهم فقالوا: إن المياه قليلة لا تحملنا فادع الله أن يجري لنا نهراً.

﴿قال﴾ طالوت ﴿إن الله مبتليكم﴾ مختبركم ليرى طاعتكم — وهو أعلم — ﴿بنهر﴾ قال ابن عباس والسدي: هو نهر فلسطين، وقال قتادة نهر بين الأردن وفلسطين عذب ﴿فمن شرب منه فليس مني﴾ أي ليس من أهل ديني وطاعتي ﴿ومن لم يطعمه﴾ لم يشربه ﴿فإنه مني﴾ إلا من اغترف غرفة بيده ﴿قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو﴾ بفتح الغين وقرأ الآخرون بضم الغين وهما لغتان، قال الكسائي: الغرفة بالضم الذي يحصل في الكف من الماء إذا غرف، والغرفة: بالفتح الاعتراف فالضم اسم والفتح مصدر ﴿فشربوا منه إلا قليلاً منهم﴾ نصب على الاستثناء واختلفوا في القليل الذين لم يشربوا، فقال

(١) يقول الشيخ أبو شهبة رحمه الله: «والذي قطع به، ويجب الإيمان به: أنه كان في بني إسرائيل تابوت — أي صندوق — من غير بحث في حقيقته، وهيئته، ومن أين جاء، إذ ليس في ذلك خير صحيح عن المعصوم، وأن هذا التابوت كان فيه مخلقات من مخلقات موسى وهارون — عليهما السلام — مع احتمال أن يكون تعيين ذلك في بعض ما ذكرنا آنفاً — مما سبق في البغوي وغيره من روايات — وأن هذا التابوت كان مصدر سكينه وطمانينة لبني إسرائيل، ولا سيما عند قتالهم عدوهم، وأنه عاد إلى بني إسرائيل، تحمله الملائكة، من غير بحث في الطريق التي حملته بها الملائكة، وبذلك: كان التابوت آية دالة على صدق طالوت في كونه ملكاً عليهم، وما وراء ذلك من الأخبار التي سمعتها: لم يبق عليها دليل»، انظر: الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٢٤٣.

وأما الأستاذ سيد قطب، رحمه الله، فقد أعرض عن كل هذه الروايات الاسرائيلية، ليعرض لنا ما توحى إليه الآيات الكريمة من دروس مستخلصة من تجارب تلك الأمم السابقة، مما جاء القرآن الكريم لتثبيتته في النفوس المؤمنة وتربيتها عليه، انظر: في ظلال القرآن: ٢٦٠/٢ وما بعدها، طبع دار الشروق.

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾

السدي: كانوا أربعة آلاف وقال غيره: ثلاثمائة وبضعة عشر وهو الصحيح.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن رجاء أنا إسرائيل عن أبي إسحق عن البراء قال: كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة^(١).

٤٣/أ

ويروى ثلاثمائة وثلاثة عشر / فلما وصلوا إلى النهر وقد ألقى عليهم العطش فشرب منه الكل إلا هذا العدد القليل فمن اغترف غرفة كما أمر الله قوي قلبه وصح إيمانه وعبر النهر سالماً وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه، والذين شربوا وخالفوا أمر الله أسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يروا وبقوا على شط النهر وجنبوا عن لقاء العدو فلم يجاوزوا ولم يشهدوا الفتح.

وقيل كلهم جاوزوا ولكن لم يحضر القتال إلا الذين لم يشربوا ﴿فلما جاوزوه﴾ يعني النهر ﴿هو﴾ يعني طالوت ﴿والذين آمنوا معه﴾ يعني القليل ﴿قالوا﴾ يعني الذين شربوا وخالفوا أمر الله، وكانوا أهل شك ونفاق ﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي: فانحرفوا ولم يجاوزوا ﴿قال الذين يظنون﴾ يستيقنون ﴿أنهم ملاقوا الله﴾ وهم الذين ثبتوا مع طالوت ﴿كم من فئة﴾ جماعة وهي جمع لا واحد له من لفظه وجمعه فئات وفئون في الرفع وفئان في الخفض والنصب ﴿قليلة﴾ غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴿بقضائه وإرادته﴾ والله مع الصابرين ﴿بالنصر والمعونة﴾.

﴿ولما برزوا﴾ يعني طالوت وجنوده يعني المؤمنين ﴿جبالوت وجنوده﴾ المشركين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الأرض وهو ما ظهر واستوى ﴿قالوا ربنا أفرغ علينا﴾ أنزل واصب ﴿صبراً وثبت أقدامنا﴾ قوّ قلوبنا ﴿وانصُرنا على القوم الكافرين﴾ فهزمهم بإذن الله ﴿أي يعلم الله تعالى﴾ وقتل داود جالوت ﴿وصفة قتله﴾ قال أهل التفسير^(٢):

(١) رواه البخاري في المغازي: باب: عدة أصحاب بدر. ٢٩٠/٧.

(٢) هذه الأقوال عن أهل التفسير مجملها من الاسرائيليات، ونحن في غنية عنه مما في أيدينا من الكتاب والسنة، وليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ما يدل على ما ذكره، ولسنا في حاجة إلى شيء من هذا في فهم القرآن وتدبره، فلا تُلَقَّ إليه بالآ... وقد ذكر ابن كثير رحمه الله أن ذلك مما ذكر في الاسرائيليات انظر تفسير ابن كثير ١/ ٥٣٧ طبع دار الأرقم. الاسرائيليات والموضوعات لشيخ أبي شهبة ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ
لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ
آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

عبر النهر مع طالوت فيمن عبر إيشا أبو داود في ثلاثة عشر ابناً له وكان داود أصغرهم وكان يرمي بالقذافة فقال لأبيه يوماً يا أبتاه ما أرمي بقذافتي شيئاً إلا صرعته فقال: أبشر يا بني فإن الله جعل رزقك في قذافتك، ثم أتاه مرة أخرى فقال: يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسداً رابضاً فركبته فأخذت بأذنيه فلم يهجنني، فقال: أبشر يا بني فإن هذا خير يريدك الله بك ثم أتاه يوماً آخر فقال: يا أبتاه إني لأمشي بين الجبال فأسبح فما يبقى جبل إلا سبح معي، فقال: أبشر يا بني فإن هذا خير أعطاكه الله تعالى فأرسل جالوت إلى طالوت أن ابرز إلي أو أبرز إلي من يقاتلني فإن قاتلني فلکم ملكي وإن قتلته في ملككم فشق ذلك على طالوت فنأدى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم أن يدعو الله تعالى فدعا الله في ذلك، فأتى بقرن فيه دهن القدس وتنور من حديد فقيل إن صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه ويكون على رأسه كهيئة الإكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه، فدعا طالوت بني إسرائيل فجرهم فلم يوافقهم منهم أحد فأوحى الله إلى نبيهم أن في ولد إيشا من يقتل الله به جالوت فدعا طالوت إيشا فقال: اعرض عليّ بنيك فأخرج له اثني عشر رجلاً أمثال السواري^(١) فجعل يعرضهم على القرن فلا يرى شيئاً فقال: لإيشا هل بقي لك ولد غيرهم فقال لا، فقال النبي: يارب إنه زعم أن لا ولد له غيرهم، فقال كذب، فقال النبي: إن ربي كذبك فقال: صدق الله يا نبي الله إن لي ابناً صغيراً يقال له داود استحيت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته (فخلفته)^(٢) في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكذا، وكان داود رجلاً قصيراً مسقماً^(٣)

(١) جمع سارية: وهي الأسطوانة، من حجارة أو آجر، وفي الحديث أنه نهي أن يصلي بين السواري، وذلك في صلاة الجماعة، من أجل انقطاع الصف.

(٢) في أفجملته.

(٣) رجل مسقام، وامرأة مسقام أيضاً: أي كثير السقم لا يكاد يبرأ.

مصفاً^(١) أزرق^(٢) أمعر^(٣)، فدعاه طالوت، ويقال: بل خرج طالوت إليه فوجد الوادي قد سال بينه وبين الزبية التي كان يريخ إليها، فوجده يحمل شاتين يميز بهما السيل ولا يخوض بهما الماء فلما رآه قال: هذا هو لاشك فيه، هذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم فدعاه ووضع القرن على رأسه ففاض فقال طالوت: هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجزي خاتمك في ملكي قال: نعم قال: وهل آنتست من نفسك شيئاً تتقوى به على قتله؟ قال: نعم، أنا أرمي فيجىء الأسد أو الثمر أو الذئب فيأخذ شاة فأقوم إليه فأفتح لحيه عنها وأضرقها إلى قفاه، فرده إلى عسكره، فمر داود عليه السلام في طريقه بحجر فناداه الحجر يادواد احملني فإني حجر هارون الذي قتل بي ملك كذا، فحمله في مخلاته، ثم مر بحجر آخر فقال: احملني فإني حجر موسى الذي قتل بي ملك كذا وكذا فحمله في مخلاته، ثم مر بحجر آخر فقال: احملني فإني حجرك الذي تقتل بي جالوت فوضعه في مخلاته، فلما تصافوا للقتال وبرز جالوت وسأل المبارزة انتدب له داود فأعطاه طالوت فرساً ودرعاً وسلاحاً فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريباً ثم انصرف إلى الملك فقال: من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على الملك فقال: ما شأنك؟ فقال: إن الله إن لم ينصرني لم يغن عني هذا السلاح شيئاً، فدعني أقاتل كما أريد، قال: فافعل ما شئت قال: نعم، فأخذ داود مخلاته فتقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الرجال وأقواهم، وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة^(٤) فيها ثلاثمائة رطل حديد فلما نظر إلى داود ألقى في قلبه الرعب فقال له: أنت تبرز إلي؟ قال: نعم.

وكان جالوت على فرس أبلق^(٥) عليه السلاح التام، قال: فأتيتني بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب؟ قال: نعم أنت شر من الكلب، قال لاجرم لأقسمن لحمك بين سباع الأرض وطيير السماء. قال داود: أو يقسم الله لحمك، فقال داود: باسم إله إبراهيم وأخرج حجراً ثم أخرج الآخر وقال: باسم إله إسحاق ووضعه في مقلاعه ثم أخرج الثالث وقال: باسم إله يعقوب ووضعه في مقلاعه فصارت كلها حجراً واحداً ودور داود المقلاع ورمى به فسخر الله له الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلاً، وهزم الله تعالى الجيش وخر جالوت قتيلاً فأخذه بجره حتى ألقاه بين يدي طالوت، ففرح المسلمون فرحاً شديداً، وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين والناس يذكرون داود فجاء داود طالوت وقال أنجز لي ما وعدتني، فقال: أتريد ابنة الملك بغير صداق؟ فقال داود: ما

(١) من قولهم اصفار لونه: غلبته الصفرة، وذلك من المرض والضعف.

(٢) يريد أزرق العينين، وكانت العرب تتشاعم من الزرق.

(٣) قليل الشعر.

(٤) لباس الرأس في الحرب.

(٥) سواد وبياض وارتفاع التحجيل إلى الفخذين.

شرطت على صداقاً وليس لي شيء فقال لا أكلفك إلا ما تطيق أنت رجل جريء وفي حيالنا أعداء لنا غُلِّفَ^(١) فإذا قتلت منهم مائتي رجل وجئتني بغلفهم زوجتك ابنتي فأتاهم فجعل كلما قتل واحداً منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم غلفهم فجاء بها إلى طالوت فألقى إليه وقال ادفع إلي امرأتي فزوجه ابنته وأجرى خاتمه في ملكه، فمال الناس إلى داود وأحبوه وأكثروا ذكره، فحسده طالوت وأراد قتله فأخبر بذلك ابنة طالوت رجلٌ يقال له ذو العينين فقالت لداود إنك مقتول في هذه الليلة قال: ومن يقتلني؟ قالت أبي / قال وهل أجرت جرماً قالت: حدثني من لا يكذب ولا عليك أن تغيب الليلة حتى ننظر مصداق ذلك، فقال: لكن كان أراد الله ذلك لا أستطيع خروجاً ولكن اثني بـزق^(٢) خمراً فأتت به فوضعه في مضجعه على السرير وسجاه^(٣) ودخل تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لها: أين بعلك؟ فقالت: هو نائم على السرير فضربه بالسيف ضربة فسال الخمر فلما وجد ريح الشراب قال: يرحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر، وخرج.

فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيئاً فقال: إن رجلاً طلبت منه ما طلبت لخليق أن لا يدعني حتى يدرك مني ثأره فاشتد حجابيه وحراسه وأغلق دونه أبوابه، ثم إن داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون فأعمى الله سبحانه الحجة وفتح له الأبواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه، فوضع سهماً عند رأسه وسهماً عند رجله وسهماً عن يمينه وسهماً عن شماله ثم خرج، فلما استيقظ طالوت بصُر بالسهم فعرفها فقال: يرحم الله تعالى داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه، فلما كانت القابلة أتاه ثانياً وأعمى الله الحجاب فدخل عليه وهو نائم فأخذ إبريق طالوت الذي كان يتوضأ منه وكوزه الذي كان يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئاً من هذب ثيابه، ثم خرج وهرب وتوارى، فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه، ثم إن طالوت ركب يوماً فوجد داود يمشي في البرية فقال: اليوم أقتله فركض على أثره، فاشتد داود وكان إذا فرغ لم يدرك، فدخل غاراً فأوحى الله تعالى إلى العنكبوت فنسج عليه بيتاً فلما انتهى طالوت إلى الغار ونظر إلى بناء العنكبوت قال: لو كان دخل هاهنا لخرق بناء العنكبوت فتركه ومضى، فانطلق داود وأتى الجبل مع المتعبدين فتعبَّد فيه فطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهأ أحد عن قتل داود إلا قتله، وأغرى بقتل العلماء فلم يكن يقدر على عالم في بني إسرائيل يطيق قتله إلا قتله، حتى أتى بامرأة تعلم اسم الله الأعظم فأمر خبازه بقتلها فرحمها

(١) جمع أغلف، وهو الذي لم يختن.

(٢) الزق: (بكسر الزاي) جلد شاة يسلم من رجل واحدة، ومن قبل رأسه وعنقه، ثم يعالج حتى يكون سقاء، وكانوا أكثر ما يتخذونه للخمر.

(٣) غطاه ومد عليه ثوباً.

الخباز وقال: لعلنا نحتاج إلى عالم فتركها فوقع في قلب طالوت التوبة وندم على ما فعل، وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس.

وكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي وينادي: أنشد الله عبداً يعلم أن لي توبة إلا أخبرني بها، فلما أكثر عليهم ناداه مناد من القبور ياطالوت أما ترضى أن قتلنا حتى تؤذينا أمواتاً فإزداد بكاءً وحرناً فرحمه الخباز فقال: مالك أيها الملك؟ قال: هل تعلم لي في الأرض عالماً أسأله هل لي من توبة فقال الخباز: إنما مثلك مثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال: لا تتركوا في القرية ديكاً إلا ذبحتموه، فلما أراد أن ينام قال لأصحابه: إذا صاح الديك فأيقظونا حتى ندلج فقالوا له: وهل تركت ديكاً نسمع صوته؟ ولكن هل تركت عالماً في الأرض؟ فإزداد حرناً وبكاءً فلما رأى الخباز ذلك قال له: أرأيتك إن دلتك على عالم لعلك أن تقتله قال: لا فتوثق عليه الخباز فأخبره أن المرأة العاملة عنده قال: انطلق بي إليها أسأله هل لي من توبة؟ وكانت من أهل بيت يعلم الاسم الأعظم فإذا فنيته رجالهم علمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال الخباز إنها إذا رأتك فرغت فخلفه خلفه ثم دخله عليها فقال لها: ألسنت أعظم الناس منةً عليك أم حيتك من القتل وأوتيتك، قالت: بلى، قال: فإن لي إليك حاجة هذا طالوت يسأل هل لي من توبة؟ فغشي عليها من الفرق فقال لها: إنه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل له من توبة؟ قالت: لا والله لا أعلم لطلالوت توبة، ولكن هل تعلمون مكان قبر نبي؟ فانطلق بهما إلى قبر إشمويل فصلت ودعت ثم نادى يا صاحب القبر فخرج إشمويل من القبر ينفض رأسه من التراب فلما نظر إليهم ثلاثهم قال: ما لكم أقامت القيامة؟ قالت: لا ولكن طالوت يسألك هل له من توبة؟ قال إشمويل: يا طالوت ما فعلت بعدي؟ قال: لم أدع من الشر شيئاً إلا فعلته وحيث أطلب التوبة قال: كم لك من الولد؟ قال عشرة رجال، قال: ما أعلم لك من توبة إلا أن تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك في سبيل الله، ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل أنت حتى تقتل آخرهم، ثم رجع إشمويل إلى القبر وسقط ميتاً، ورجع طالوت أحزن ما كان رهبة أن لا يتابعه ولده وقد بكى حتى سقطت أشفار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه أولاده فقال لهم: أرأيتم لو دفعت إلى النار هل كنتم تفدونني؟ قالوا: نعم نفديك بما قدرنا عليه قال: فإنها النار إن لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا: فاعرض علينا فذكر لهم القصة، قالوا: وإنك لمقتول قال: نعم، قالوا: فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت، فتجهز بماله وولده فتقدم ولده وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد هو بعدهم حتى قتل فجاء قاتله إلى داود ليبشره وقال: قتلت عدوك فقال داود: ما أنت بالذي تحيا بعده، فضرب عنقه، وكان ملك طالوت إلى أن قُتل أربعين سنة وأتى بنو إسرائيل إلى داود وأعطوه خزائن طالوت وملكوه على أنفسهم.

قال الكلبي والضحاك: ملك داود بعد قتل طالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني: النبوة؛ جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن من قبل، بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط، وقيل: الملك والحكمة هو العلم مع العمل.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ﴾ قال الكلبي وغيره يعني: صنعة الدروع وكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل إلا من عمل يده، وقيل منطلق الطير (وكلام الحكل)^(١) والنمل والكلام الحسن وقيل هو الزبور وقيل هو الصوت الطيب والألحان فلم يعط الله أحداً من خلقه مثل صوته، وكان إذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء (الجاري)^(٢) ويسكن الريح.

وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما هو أن الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالجمرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة بالجواهر مدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في الهواء حدث إلا صلصلت السلسلة، فعلم داود ذلك الحدث، ولا يمسه ذو عاهة إلا برىء، وكانوا يتحاكمون إليها بعد داود عليه السلام إلى أن رفعت، فمن تعدى على صاحبه وأنكر له حقاً أتى السلسلة فمن كان صادقاً مد يده إلى السلسلة فتناولها، ومن كان كاذباً لم ينلها فكانت كذلك إلى أن ظهر بهم المكر والخديعة فبلغنا أن بعض ملوكها أودع رجلاً / جوهرة ثمينة ٤٤/أ فلما استردها أنكر فتحاكماً إلى السلسلة، فعمد الذي عنده الجوهرة إلى عكازة فنقرها وضمها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر السلسلة فقال صاحب الجوهرة: رد علي الوديعه فقال صاحبه: ما أعرف لك عندي من وديعة فإن كنت صادقاً فتناول السلسلة، فتناولها بيده فقيل للمنكر قم أنت فتناولها فقال لصاحب الجوهرة: خذ عكازي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها عنده ثم قام المنكر نحو السلسلة فأخذها فقال الرجل: اللهم إن كنت تعلم أن هذه الوديعه التي يدعيها عليّ قد وصلت إليه فقرب مني السلسلة فمد يده فتناولها فتعجب القوم وشكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ قرأ أهل المدينة ويعقوب ﴿دَفَعَ اللَّهُ﴾ بالألف هاهنا وفي سورة الحج، وقرأ الآخرون بغير الألف لأن الله تعالى لا يغالبه أحد وهو الدافع وحده، ومن قرأ بالألف قال: قد يكون الدافع من واحد مثل قول العرب: أحسن الله عنك الدافع، قال ابن عباس ومجاهد: ولولا دفع الله مجنود المسلمين لغلب المشركون على الأرض، فقتلوا المؤمنين، وخرّبوا المساجد والبلاد، وقال سائر المفسرين: لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار لهلكت الأرض بمن فيها، ولكن الله

(١) من ب، والحكل: مالا يسمع له صوت.

(٢) ساقط من (أ).

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ^ط وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ^٤
 وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ^٥ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا
 الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ
 وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِي يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ
 وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾

يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أخبرنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو عبد الله بن فنجويه أنا أبو بكر بن
 خرجة أنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أنا أبو حميد الحمصي أنا يحيى بن سعيد العطار أنا حفص بن
 سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله
 ﷺ: «إن الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء» ثم قرأ «ولولا دفع
 الله الناس بعضهم ببعض»^(١) «لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله
 نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين».

﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله﴾ أي كلمه الله تعالى يعني موسى عليه
 السلام ﴿ورفع بعضهم درجات﴾ يعني محمداً ﷺ، قال الشيخ الإمام رحمه الله عليه: وما أوتي نبي آية
 إلا وقد أوتي نبينا مثل تلك الآية وفضل على غيره بآيات مثل: انشقاق القمر بإشارته، وحنين الجذع على
 مفارقتة، وتسليم الحجر والشجر عليه، وكلام البهائم والشهادة برسالته، ونبع الماء من بين أصابعه، وغير
 ذلك من المعجزات والآيات التي لا تحصى، وأظهرها القرآن الذي عجز أهل السماء وأهل الأرض عن
 الإتيان بمثله.

أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن علي الصيرفي، أنا أبو الحسن محمد بن أحمد المخلدي،
 أخبرنا أبو العباس بن محمد بن إسحاق الثقفي، أنا قتيبة بن سعيد، أنا الليث بن سعد عن سعيد بن أبي

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير: ٣٧٤/٥، وفيه يحيى بن سعيد العطار، ضعفه ابن معين وغيره، وقال أبو داود: «جائز الحديث»

وقال محمد بن مصفى الحمصي الحافظ: ثقة. وترجمه البخاري في الكبير، فلم يذكر فيه جرحاً.

وقال ابن كثير بعد عزو الحديث للطبري: هذا إسناد ضعيف فإن يحيى بن سعيد ضعيف جداً، التفسير ٥٣٧/١، دار الأرقم وعزاه

الميثمي للطبراني في الكبير والأوسط، وقال: فيه يحيى بن سعيد وهو ضعيف انظر: مجمع الزوائد: ١٦٣/٨ — ١٦٤، فيض القدير:

سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله تعالى إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة»^(١).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد ابن إسماعيل، أنا محمد بن سنان، أخبرنا^(٢) هشيم، أنا سيار، أنا يزيد الفقير، أنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»^(٣).

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقبيّ أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أنا عبد الله ابن عمر الجوهري، أنا أحمد بن علي الكشميهني، أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر، أنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أوتيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»^(٤).

قوله تعالى: ﴿وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتل الذين من بعدهم﴾ أي من بعد الرسل ﴿من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن﴾ ثبت على إيمانه بفضل الله ﴿وممنهم من كفر﴾ بخذلانه ﴿ولو شاء الله ما اقتلوا﴾ أعاده تأكيداً ﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾ يوفق من يشاء فضلاً، ويخذل من يشاء عدلاً.

سأل رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر؟ فقال: طريق مظلم لا تسلكه، فأعاد السؤال فقال: بحر عميق لا تلجه، فأعاد السؤال، فقال: سر الله في الأرض قد خفي عليك فلا تفتشه^(٥).

(١) أخرجه البخاري: في الإعتصام بالكتاب والسنة — باب: قول النبي ﷺ بعثت بجوامع الكلم ٢٤٧/١٣ وفي فضائل القرآن.

ومسلم: في الإيمان — باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ برقم (٢٣٩) ١٣٤/١.

والمصنف في شرح السنة ١٩٥/١٣ — ١٩٦.

(٢) ساقط من «أ» والتصحيح من شرح السنة للمصنف، وفي المخطوط يسار بدلاً من سيار.

(٣) أخرجه البخاري: في أول كتاب التيمم — الباب الأول ٤٣٦/١ وفي كتاب الصلاة وفي الجهاد وفي بدء الخلق والأنبياء ومسلم: في

المساجد برقم (٥٢١) ٣٧٠/١ — ٣٧١

والمصنف في شرح السنة ١٩٦/١٣.

(٤) أخرجه مسلم: في المساجد ومواضع الصلاة برقم (٥٢٣) ٣٧١/١ وفي رواية أخرى بعثت بجوامع الكلم.

والمصنف في شرح السنة ١٩٧/١٣.

(٥) رواه الآجري في الشريعة ص (٢٠٢) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد: ٦٢٩/٤.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ قال السدي: أراد به الزكاة المفروضة وقال غيره: أراد به صدقة التطوع والنفقة في الخير ﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه﴾ أي لا فداء فيه، سماه بيعاً لأن الفداء شراء نفسه ﴿ولا خلة﴾ لا صداقة ﴿ولا شفاعة﴾ إلا بإذن الله، قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة كلها بالنصب، وكذلك في سورة إبراهيم (الآية ٣١) «لا بيع فيه ولا خلال» وفي سورة الطور (الآية ٢٣) «لا لغو فيها ولا تأثيم» وقرأ الآخرون كلها بالرفع والتنوين ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها.

قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا ابن أبي شيبة أنا عبد الأعلى عن الجريري عن أبي السليل^(١) عن عبد الله بن رباح الأنصاري عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أبا المنذر أي آية من كتاب الله أعظم» قلت ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ قال فضرب في صدري ثم قال: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ» ثم قال: «والذي نفس محمد بيده إن لهذه الآية لساناً وشفعتين تقدس المَلِكُ عند ساق العرش»^(٢).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف عن محمد بن اسماعيل قال عثمان بن الهيثم أبو عمرو: أخبرنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قال: فخليت سبيله

(١) أبي السليل: هو ضريب بن ثقيف ويقال ثقييل أبو السليل القيسي الجريري البصري، قال إسحاق بن منصور: عن يحيى بن معين: ثقة

وذكره ابن حبان في الثقات: مهذب التهذيب ج ٤ - ص ٤٠١.

(٢) أخرجه مسلم: في صلاة المسافرين وقصرها برقم (٨١٠) ١٥٦/١ برواية مختلفة.

والمصنف في شرح السنة ٤/٥٥٩. وقوله: (لهنك العلم) أي: ليكن العلم هنيئاً لك.

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
أُولَئِكَ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

فأصبحت / فقال رسول الله ﷺ «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله ٤٤/ب
شكا حاجة شديدة وغيالاً فرحمته فخليت سبيله قال: «أما إنه قد كذبتك وسيعود» ففعلت أنه سيعود
لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته فجاء يحنو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله
ﷺ قال: دعني فأني محتاج وعليّ عيال ولا أعود، فرحمته فخليت سبيله فأصبحت فقال: لي رسول الله
ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك» قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وغيالاً فرحمته وخليت سبيله
قال: «أما إنه قد كذبتك وسيعود» فرصدته الثالثة فجاء يحنو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى
رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات إنك تزعم لا تعود ثم تعود قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك
الله بها قلت: ما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿اللَّهُ لا إله إلا هو الحي القيوم﴾
حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله،
فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة» قلت يا رسول الله زعم أنه يعلمني
كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال ما هي؟ قلت: قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي
من أولها حتى تختم الآية ﴿اللَّهُ لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ وقال: لن يزال عليك من الله حافظ ولا
يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص الناس على الخير، فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو
كذوب، تعلم من تخاطب من ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة» قلت: لا قال «ذاك شيطان»^(١).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن
زنجوية أخبرنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو معاوية عن عبد الرحمن بن أبي بكر هو المليكي عن زرارة بن
مصعب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ
حين يصبح آية الكرسي وآيتين من أول «حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم» (٢ - غافر) حفظ
في يومه ذلك حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ في ليلة تلك حتى يصبح»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً.. ٤٨٦/٤ - ٤٨٧، وفي بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده
٣٣٥/٦ - ٣٣٦ وفي فضائل القرآن.
والمصنف في شرح السنة ٤٦٠/٤.

(٢) أخرجه الترمذي: في فضائل القرآن - باب ما جاء في سورة البقرة وآية الكرسي ١٨٢/٨ وقال هذا حديث غريب.
وفي سننه عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبيد الله بن أبي مليكة (بالتصغير) كما في المغني وهو ضعيف من السابعة - التقريب. ميزان
الاعتدال ٥٥٠/٢.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ﴾ رفع بالإبتداء وخبره في ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ﴾ الباقي الدائم على الأبد وهو من له الحياة، والحياة صفة الله تعالى ﴿الْقِيَوْمُ﴾ قرأ عمر وابن مسعود «القيام» وقرأ علقمة «القيم» وكلها لغات بمعنى واحد، قال مجاهد ﴿الْقِيَوْمُ﴾ القائم على كل (شيء) (١) وقال الكلبي: القائم على كل نفس بما كسبت وقيل هو القائم بالأمور. وقال أبو عبيدة: الذي لا يزول ﴿لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ السَّنة: النعاس وهو النوم الخفيف، والوسنان بين النائم واليقظان يقال منه وسن يسن وسناً وسنة والنوم هو الثقل المزبل للقوة والعقل، قال المفضل الضبي: السَّنة في الرأس والنوم في القلب، فالسَّنة أول النوم وهو النعاس، وقيل السَّنة في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب فهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالأشياء، نفى الله تعالى عن نفسه النوم لأنه آفة وهو منزه عن الآفات ولأنه تغير ولا يجوز عليه التغير.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرنا عبد الله ابن حامد أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا علي بن حرب أخبرنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، ولكنه يخفض القسط، ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» (٢). ورواه المسعودي عن عمرو بن مرة وقال: حجاب النار.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مَلَكًا وَخَلْقًا ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ بأمره ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ قال مجاهد وعطاء والسدي: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة، وقال الكلبي: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني الآخرة لأنهم يقدمون عليها ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الدنيا لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم، وقال ابن جريج: ما بين أيديهم ما مضى أمامهم وما خلفهم ما يكون بعدهم، وقال مقاتل: ما بين أيديهم، ما كان قبل خلق الملائكة وما خلفهم أي ما كان بعد خلقهم، وقيل: ما بين أيديهم أي ما قدموه من خير أو شر وما خلفهم ما هم فاعلوه ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ أي من علم الله ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أن يطلعهم عليه يعني لا يحيطون بشيء من علم الغيب إلا بما شاء مما أخبر به الرسل كما قال الله تعالى: (فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول) (٣٦ - الجن) قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي ملاً وأحاط به، واختلفوا في الكرسي فقال الحسن: هو العرش نفسه

(١) ساقط من (ب).

(٢) أخرجه مسلم: في الإيمان - باب في قوله عليه السلام إن الله لا ينام وفي قوله حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه برقم (١٧٩) ١/١٦١ - ١٦٢.

والمصنف في شرح السنة: ١/١٧٣.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: الكرسي موضوع أمام العرش ومعنى قوله: «وسع كرسیه السموات والأرض» أي سعته مثل سعة السموات والأرض، وفي الأخبار أن السموات والأرض في جنب الكرسي كحلقة في فلاة، والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة. ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن السماوات السبع والأرضين السبع في الكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس^(١).

وقال علي ومقاتل: كل قائمة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والأرضين السبع، وهو بين يدي العرش، ويحمل الكرسي أربعة أملاك، لكل ملك أربعة وجوه، وأقدامهم في الصخرة التي تحت الأرض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام، ملك على صورة سيد البشر آدم عليه السلام، وهو يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة إلى السنة، وملك على صورة سيد الأنعام وهو الثور وهو يسأل للإنعام الرزق من السنة إلى السنة وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل، وملك على صورة سيد السباع وهو الأسد يسأل للسباع الرزق من السنة إلى السنة، [وملك على صورة سيد الطير وهو النسر يسأل الرزق للطير من السنة إلى السنة]^(٢) وفي بعض الأخبار أن ما بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجاباً من ظلمة وسبعين حجاباً من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحترق حملة الكرسي من نور حملة العرش.

وروى سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أراد بالكرسي علمه^(٣) وهو قول مجاهد، ومنه قيل لصحيفة العلم كراسه، وقيل: كرسيه ملكه وسلطانه، والعرب تسمى الملك القديم كرسياً، ﴿ولا يؤده﴾ أي لا يثقله ولا يشق عليه يقال: آدني الشيء أي أثقلني ﴿حفظهما﴾ أي حفظ السموات والأرض ﴿وهو العلي﴾ الرفيع فوق خلقه والمتعالى عن الأشياء والأنداد، وقيل العلي بالملك والسلطنة ﴿العظيم﴾ الكبير الذي لا شيء أعظم منه.

قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾ قال سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاة، (المقلاة من النساء)^(٤) لا يعيش لها ولد وكانت تنذر لمن عاش لها ولد لتهودته

(١) أورده الطبري في التفسير برواية أخرى قال: حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس» ٣٩٩/٥.

ورواه محمد بن أبي شيبة في كتاب العرش، وعزاه ابن كثير لابن مردويه، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات: ١٤٩/٢ وفيه إبراهيم ابن هشام بن يحيى الغساني: متروك كذبه أبو حاتم وأبو زرعة، وطرق الحديث كلها واهية، فلا تعتضد لضعفها، انظر: النهج السديد في تخریج أحاديث تيسير العزيز الحميد ص ٢٨٣.

(٢) ساقط من (ب).

(٣) نقل ذلك عنه الطبري في التفسير: ٣٩٧/٥ - ٣٩٨، والبيهقي في الأسماء والصفات، فقال: «وروينا عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «علمه».

ثم قال: وسائر الروايات عن ابن عباس وغيره تدل على أن المراد به الكرسي المشهور المذكور مع العرش، انظر: الأسماء والصفات للبيهقي: ١٣٤/٢ - ١٣٥.

فإذا عاش ولدها جعلته في اليهود، فجاء الإسلام وفيهم منهم / فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الانصار فأرادت الانصار استردادهم وقالوا: هم أبناءنا وإخواننا فنزلت هذه الآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فقال رسول الله ﷺ «خيروا أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم وإن اختاروهم فأجلوهم معهم»^(١).

وقال مجاهد: كان ناس مسترضعين في اليهود من الأوس فلما أمر النبي ﷺ بإجلاء بني النضير قال الذين كانوا مسترضعين فيهم: لنذهب معهم ولندين بدينهم، فمنعهم أهلهم، فنزلت ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٢).

وقال مسروق: كان لرجل من الأنصار من بن سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل مبعث النبي ﷺ ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الطعام فلزمهما أبوهما وقال: لا أدعكما حتى تسلما، فتخاصما إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا انظر فأنزل الله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فخلى سبيلهما^(٣).

وقال قتادة وعطاء: نزلت في أهل الكتاب إذا قبلوا الجزية، وذلك أن العرب كانت أمة أمية لم يكن لهم كتاب فلم يقبل منهم إلا الإسلام، فلما أسلموا طوعاً أو كرها أنزل الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فأمر بقتال أهل الكتاب إلى أن يسلموا أو يقرروا بالجزية فمن أعطى منهم الجزية لم يكره على الإسلام، وقيل كان هذا في الابتداء قبل أن يؤمر بالقتال فصارت منسوخة بآية السيف، وهو قول ابن مسعود رضي الله عنهما، ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾ أي الإيمان من الكفر والحق من الباطل ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ يعني الشيطان، وقيل: كل ما عبد من دون الله تعالى فهو طاغوت، وقيل كل ما يطغي الإنسان، فاعول من الطغيان، زيدت التاء فيه بدلاً من لام الفعل، كقوله حانوت وتابوت، فالتاء فيها مبدلة من هاء التأنيث ﴿ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ أي تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين، والوثقى تأنيث الأوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل إلى رضا الله تعالى: ﴿لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ لا انقطاع لها ﴿والله سميع﴾ قيل: لدعائك إياهم إلى الإسلام ﴿عليم﴾ بحرصك على إيمانهم.

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ٤٠٩/٥ - ٤١٠ عن سعيد بن جبير مرسلًا، والبيهقي في السنن: ١٨٦/٩، ونسبه السيوطي في الدر المنثور إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

وأخرج الواحدي بسنده قطعة منه دون قول النبي ﷺ «قد خير أصحابكم... أسباب النزول ص ٧٧.

(٢) أسباب النزول للواحدي ص ٧٨، تفسير الطبري ٤١١/٥، وفي أسباب النزول للواحدي ص ٧٧ قال مجاهد: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار كان له غلام أسود يقال له: صبيح، وكان يكرهه على الإسلام.

(٣) عزاه ابن حجر في الكافي الشاف ص (٢٣) للواحدي في أسباب النزول وكذلك البغوي، وهو عند الواحدي في ص ٧٨ دون سند.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي
الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ
الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ ولي الذين آمنوا﴾ ناصرهم ومعينهم، وقيل: محبهم، وقيل: متولي أمورهم لا يكلهم إلى غيره، وقال الحسن: ولِّي هدايتهم ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ أي من الكفر إلى الإيمان، قال الواقي: كل ما في القرآن من الظلمات والنور فالمراد منه الكفر والإيمان غير التي في سورة الأنعام، «وجعل الظلمات والنور» فالمراد منه الليل والنهار، سمي الكفر ظلمه لالتباس طريقه وسمي الإسلام نوراً لوضوح طريقه ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾ قال مقاتل: يعني كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وسائر رؤوس الضلالة ﴿يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ يدعونهم من النور إلى الظلمات، والطاغوت يكون مذكراً ومؤنثاً وواحداً وجمعاً، قال تعالى في المذكر والواحد: «يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به» (٦٠ - النساء) وقال في المؤنث: «والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها» (١٧ - الزمر) وقال في الجمع: ﴿يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ فإن قيل: قال: يخرجونهم من النور وهم كفار لم يكونوا في نور قط؟ قيل: هم اليهود كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ قبل أن يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته، فلما بعث كفروا به، وقيل: هو على العموم في حق جميع الكفار، قالوا: منعهم إياهم من الدخول فيه إخراج كما يقول الرجل لأبيه أخرجتني من مالك ولم يكن فيه، كما قال الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام: «إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله» (٣٧ - يوسف) ولم يكن قط في ملتهم ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه﴾ معناه هل اتى بك يا محمد خير الذي حاج إبراهيم أي خاصم وجادل، وهو نمrod وهو أول من وضع التاج على رأسه، وتجبر في الأرض وادعى الربوبية؟ ﴿أن آتاه الله الملك﴾ أي لأن آتاه الله الملك فطغى أي كانت تلك الحاجة من بطر الملك وطغيانه، قال مجاهد: ملك الأرض أربعة، مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسلیمان وذو القرنين، وأما الكافران فنمrod وختنصر.

واختلفوا في وقت هذه المناظرة، قال مقاتل: لما كسر إبراهيم الأصنام سجنه نمrod ثم أخرج له ليعرقه بالنار فقال له: من ربك الذي تدعوننا إليه؟ فقال: ربي الذي يحيي ويميت، وقال آخرون: كان هذا بعد إلقائه في النار، وذلك أن الناس قحطوا على عهد نمrod وكان الناس يمتارون^(١) من عنده الطعام، فكان إذا

(١) يجلبون الطعام.

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا
فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ
لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ
وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ
نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

أتاه الرجل في طلب الطعام سأله من ربك؟ فإن قال أنت، باع منه الطعام، فأناه إبراهيم فيمن أتاه فقال له نمرد: من ربك؟ قال: ربي الذي يحيى ويميت، فاشتغل بالحاجة ولم يعطه شيئاً فرجع إبراهيم فمر على كتيب من رمل أعفر فأخذ منه تطيباً لقلوب أهله إذا دخل عليهم، فلما أتى أهله ووضع متاعه نام، فقامت امرأته إلى متاعه ففتحتة فإذا هو أجود طعام ما رآه أحد، فأخذته فصنعت له منه فقرنته إليه فقال: من أين هذا؟ قالت من الطعام الذي جئت به فعرف أن الله رزقه، فحمد الله.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [وهذا جواب سؤال غير مذكور تقديره قال له: من ربك؟ فقال إبراهيم ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾] ﴿قُرْآنُ حَمْرَةَ﴾ ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ بإسكان الياء وكذلك «حرم ربي الفواحش» (٣٣ - الأعراف) و «عن آياتي الذين يتكبرون» (١٤٦ - الأعراف) و «قل لعبادي الذين» (٣١ - إبراهيم) و «آتاني الكتاب» (٣٠ - مريم) و «مسنى الضر» (٨٣ - الأنبياء) و «عبادي الصالحون» (١٠٥ - الأنبياء) و «عبادي الشكور» (١٣ - سبأ) و «مسنى الشيطان» (٤١ - ص) و «إن أُرَادَنِي اللَّهُ» (٣٨ - الزمر) و «إن أهلكني الله» (٢٨ - الملك) أسكن الياء فيهن حمزة، ووافق ابن عامر والكسائي في «لعبادي الذين آمنوا» وابن عامر «آياتي الذين» وفتحها الآخرون، ﴿قال﴾ نمرد ﴿أنا أحيي وأميت﴾.

قرأ أهل المدينة (أنا) بإثبات الألف والمد في الوصل إذا تلتها ألف مفتوحة أو مضمومة والباقون بحذف الألف، ووقفوا جميعاً بالألف، قال أكثر المفسرين: دعا نمرد برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل إحياء له، فانتقل إبراهيم إلى حجة أخرى، لا عجزاً، فإن حجته كانت لازمة لأنه أراد بالاحياء إحياء الميت فكان له أن يقول: فأحي من أمت إن كنت صادقاً فانتقل إلى حجة أخرى أوضح من الأولى.

﴿قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر﴾ أي تحير

(١) ساقط من (ب).

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمَّا تُوْمِنُ ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبِي ۗ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾

ودهش وانقطعت حجته. فإن قيل: كيف بهت وكان يمكنه أن يعارض إبراهيم فيقول له: سل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب قيل: إنما لم يقله لأنه خاف أن لو سأل ذلك دعا إبراهيم ربه فكان زيادة في فضيحته وانقطاعه، والصحيح أن الله صرفه عن تلك المعارضة إظهاراً للحجة عليه أو معجزة لإبراهيم عليه السلام ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

قوله تعالى: ﴿أو كالذي مر على قرية﴾ وهذه الآية منسوقة على الآية الأولى، تقديره ﴿ألم تر إلى الذي / حاج إبراهيم﴾ وإلى الذي مر على قرية، وقيل: تقديره هل رأيت الذي حاج إبراهيم في ٤٥/ب ربه، وهل رأيت الذي مر على قرية؟ واختلفوا في ذلك المار، فقال قتادة وعكرمة والضحاك: هو عزيز بن شرخيا، وقال وهب بن منبه: هو أرميا بن حلقيا، وكان من سبط هارون، وهو الخضر وقال مجاهد: هو كافر شك في البعث، واختلفوا في تلك القرية فقال وهب وعكرمة وقاتدة: هي بيت المقدس، وقال الضحاك: هي الأرض المقدسة، وقال الكلبي: هي دير سابور أباد، وقال السدي: سلما باذ، وقيل: ديرهرقل، وقيل: هي الأرض التي أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف، وقيل: هي قرية العنب، وهي على فرسخين من بيت المقدس ﴿وهي خاوية﴾ ساقطة يقال: خوي البيت بكسر الواو يخوي خوي، مقصوراً، إذا سقط وخوى البيت بالفتح خواءً ممدوداً إذا خلا ﴿على عروشها﴾ سقوفها، واحداها عرش وقيل: كل بناء عرش، ومعناه: أن السقوف سقطت ثم وقعت الحيطان عليها.

﴿قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها﴾ وكان السبب في ذلك على ما روى محمد بن إسحاق بن منبه^(١) أن الله تعالى بعث إرمياء إلى ناشية بن أموص ملك بني إسرائيل يسدده في ذلك ويأتيه بالخبر من الله عز وجل، فعظمت الأحداث في بني إسرائيل وركبوا المعاصي فأوحى الله تعالى إلى إرمياء: أن ذكر قومك نعمي وعرفهم أحداثهم وادعهم إليّ، فقال إرمياء إني ضعيف إن لم تقوّني، عاجز إن لم تبلغني، مخذول إن لم تنصرنني، فقال الله عز وجل: أنا ألهمك، فقام إرمياء فيهم ولم يدر ما يقول فألهمه الله في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية، وقال في آخرها عن الله تعالى: وإني

(١) القصة في الطبري: ٤٤٧/٥ - ٤٥٤، ووهب بن منبه رحمه الله ولد سنة أربع وثلاثين مشهور في الرواية عن الاسرائيليات، فعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير، فإنه صرف عنايته إلى ذلك وبالغ، وحديثه في الصحيحين عن أخيه همام ولهما عن أبي هريرة نسخة مشهورة أكثرها في الصحاح، رواها عنه معمر توفي سنة أربع عشرة ومائة، انظر تذكرة الحفاظ ١٠٠/١ سير أعلام النبلاء ٥٤٤/٤.

أحلف بعزتي لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم، ولأسلطن عليهم جباراً فارسياً ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم، ثم أوحى الله تعالى إلى إرمياء إني مهلك بني إسرائيل بيافث، ويافث من أهل بابل، وهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام، فلما سمع إرمياء ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فلما سمع الله تضرعه وبكائه ناداه: يا إرمياء أشق عليك ما أوحيت إليك قال: نعم يارب أهلكني قبل أن أرى في بني إسرائيل مالا أسر به فقال الله تعالى: وعزتي لا أهلك بني إسرائيل حتى يكون الأمر في ذلك من قبلك، ففرح إرمياء بذلك وطابت نفسه، فقال: لا والذي بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بني إسرائيل، ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكاً صالحاً فاستبشر وفرح فقال: إن يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وإن عفا عنا فبرحمته.

ثم إنهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وقمادياً في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقلَّ الوحي، ودعاهم الملك إلى التوبة، فلم يفعلوا، فسלט الله عليهم بختنصر، فخرج في ست مائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس، فلما فصل سائراً أتى الملك الخبر، فقال لإرمياء: أين مازعمت أن الله أوحى إليك؟ فقال إرمياء: إن الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الأجل بعث الله إلى إرمياء ملكاً قد تمثل له رجلاً من بني إسرائيل فقال له إرمياء: من أنت؟ قال: أنا رجل من بني إسرائيل أتيتك أستفتيك في أهل رحمي وصلت أرحامهم ولم آت اليهم إلا حسناً ولا يزيدهم إكراماً إلا إسقاطاً لي فأفتني فهم، قال: أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وأبشر بخير. فانصرف الملك فمكث أياماً ثم أقبل إليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال: أنا الذي أتيتك في شأن أهلي، فقال له إرمياء: ما طهرت أخلاقهم لك بعد؟ قال: يا نبي الله والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس إلى رحمة إلا قدمتها إليهم وأفضل، فقال له النبي إرمياء عليه السلام: ارجع فأحسن إليهم أسأل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم، فقام الملك، فمكث أياماً وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر من الجراد ففزع منهم بنو إسرائيل فقال ملكهم لإرمياء: يا نبي الله أين ما وعدك الله. قال: إني بربي واثق، ثم أقبل الملك إلى إرمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه عز وجل الذي وعده، فقعد بين يديه فقال: أنا الذي أتيتك في شأن أهلي مرتين، فقال النبي: ألم يأن لهم أن يفيقوا من الذي هم فيه؟ فقال الملك: يا نبي الله كل شي كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه، فاليوم رأيتهم في عمل لا يرضي الله: فقال النبي: على أي عمل رأيتمهم؟ قال: على عمل عظيم من سخط الله فغضب الله وأتيتك لأخبرك، وإني أسألك بالله الذي بعثك بالحق نبياً إلا ما دعوت الله عليهم ليهلكهم، فقال إرمياء: يا مالك السموات والأرض إن كانوا على حق وصاب فأبقهم وإن كانوا على عمل لا ترضاه فأهلكهم، فلما خرجت الكلمة من فم إرمياء، أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها، فلما رأى ذلك إرمياء صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على

رأسه وقال: يا مالك السموات أين ميعادك الذي وعدتني؟ فنودي أنه لم يصبهم ما أصابهم إلا بفتياك ودعائك، فاستيقن النبي عليه السلام أنها فتياه وأن ذلك السائل كان رسول الله ﷺ فطار إرمياء حتى خالط الوحوش.

ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطىء الشام وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم وخرّب بيت المقدس، ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترساً تراباً فيقذفه في بيت المقدس، ففعلوا حتى ملأوه، ثم أمرهم أن يجمعوا من كان في بلدان بيت المقدس فاجتمع عندهم صغيروهم وكبيرهم من بني إسرائيل، فاختر منهم سبعين ألف صبي فقسّمهم بين الملوك الذين كانوا معه، فأصاب كل رجل منهم أربعة غلّمة، وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا، وفرق من بقي من بني إسرائيل ثلاث فرق، فثلاثاً قتلهم، وثلاثاً سباهم، وثلاثاً أقرهم بالشام، وكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزلها الله في بني إسرائيل بظلمهم فلما وليّ عنهم بختنصر راجعاً إلى بابل ومعه سبايا بني إسرائيل أقبل إرمياء على حمار له معه عصير عنب في ركوة وسلّة تين حتى غشى إيلياء، فلما وقف عليها ورأى خرابها قال: ﴿ألى يحيى هذه الله بعد موتها؟﴾.

وقال الذي قال إن المارّ كان عزيزاً: إن بختنصر لما خرب بيت المقدس وقدم بسبي بني إسرائيل ببابل كان فيهم عزيز ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزيز من بابل ارتحل على حمار له حتى نزل دير هرقل على شط دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها أحداً، وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة، واعتصر من العنب فشرب منه، وجعل فضل الفاكهة في سلّة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال: ﴿ألى يحيى هذه الله بعد موتها؟﴾ قالها تعجباً لا شكاً / في البعث.

رجعنا إلى حديث وهب قال: ثم ربط إرمياء حماره بجبل جديد فألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام وأمات حماره، وعصيره وتبينه عنده فأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد، وذلك ضحى، ومنع الله السباع والطيور لحمه، فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ملكاً إلى ملك من ملوك فارس يقال له نوشك فقال: إن الله يأمرك أن تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وإيلياء حتى يعود أعمر ما كان، فانتدب الملك بألف قهرمان^(١) مع كل قهرمان ثلاثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونه، فأهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت دماغه، ونجى الله من بقي من بني إسرائيل، ولم يمّت ببابل وردهم جميعاً إلى بيت المقدس ونواحيه وعمرها ثلاثين سنة وكفروا حتى عادوا على أحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة أحيا الله منه عينيه، وسائر جسده ميت، ثم أحيا جسده وهو ينظر إليه، ثم نظر إلى حماره فإذا عظامه متفرقة بيض، تلوح فسمع صوتاً من السماء: أينها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمع، فاجتمع بعضها إلى بعض، واتصل بعضها ببعض ثم نودي: إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً وجلداً،

(١) فارسي معرب، وهو من أمناء الملك.

فكانت كذلك ثم نودي: إن الله يأمرك أن تحيا، فقام بإذن الله ونهق، وعمر الله إرمياء فهو الذي يرى في الفلوات فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ أي أحياه ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾ أي: كم مكثت؟ يقال: لما أحياه الله بعث إليه ملكاً فسأله كم لبثت؟ ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ وذلك أن الله تعالى أماته ضحى في أول النهار وأحياه بعد مائة عام في آخر النهار قبل غيبوبة الشمس، فقال: لبثت يوماً وهو يرى أن الشمس قد غربت، ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ بل بعض يوم ﴿قَالَ﴾ له الملك ﴿بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾ يعني التين ﴿وَشْرَابِكَ﴾ يعني العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي لم يتغير، فكان التين كأنه قطف من ساعته، والعصير كأنه عصر من ساعته.

قال الكسائي: كأنه لم تأت عليه السنون. وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب لم يتسنّ بحذف الهاء في الوصل وكذلك «فبهدهم اقتده» (٩٠ - الأنعام) وقرأ الآخرون بالهاء فيهما وصلًا ووقفًا، فمن أسقط الهاء في الوصل جعل الهاء صلة زائدة وقال: أصله يتسنى فحذف الياء بالجزم وابدل منه هاء في الوقف وقال ابو عمرو: هو من التسنن بنونين: وهو التغير كقوله تعالى: «من حمأ مسنون» (٢٦ - الحج) أي متغير فعوضت من إحدى النونين ياء كقوله تعالى: «ثم ذهب إلى أهله يتمطى» (٣٣ - القيامة) أي يتمطط، وكقوله «وقد خاب من دساها» (١٠ - الشمس) وأصله دسيتها، ومن أثبت الهاء في الحاليين جعل الهاء أصلية لام الفعل، وهذا على قول من جعل أصل السنة السنة وتصغيرها سنيهة والفعل من السانهة وإنما قال: لم يتسنه ولم يشنه مع أنه أخبر عن شيئين رد التغيير إلى أقرب اللفظين وهو الشراب واكتفى بذكر أحد المذكورين لأنه في معنى الآخر ﴿وانظر إلى حمارك﴾ فنظر فإذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض فكساه اللحم والجلد وأحياه وهو ينظر ﴿ولنجعلك آية للناس﴾ قيل الواو زائدة مقحمة . وقال الفراء أدخلت الواو فيه دلالة على أنها شرط لفعل بعدها معناه ولنجعلك آية أي : عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله أكثر المفسرين، وقال الضحاك وغيره : إنه عاد إلى قريته شاباً وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز وهو أسود الرأس واللحية.

قوله تعالى: ﴿وانظر إلى العظام كيف نشرتها﴾ قرأ أهل الحجاز والبصرة ننشرها بالراء معناه نحيبها يقال: أنشر الله الميت إنشأراً ونشراً نشوراً قال الله تعالى: «ثم إذا شاء أنشره» (٢٢ - عبس) وقال في اللام «وإليه النشور» (١٥ - الملك) وقرأ الآخرون بالزاي أي نرفعها من الأرض ونردها إلى مكانها من الجسد ونركب بعضها على بعض، وإنشاز الشيء رفعه وإزعاجه، يقال: أنشرته فنشز أي رفعته فارتفع.

واختلفوا في معنى الآية، فقال الأكثرون: أراد به عظام حماره، وقال السدي: إن الله تعالى أحيأ عزيراً ثم قال له: انظر إلى حمارك قد هلك وبليت عظامه فبعث الله تعالى رجلاً فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل وقد ذهبت بها الطير والسباع فاجتمعت فركب بعضها في بعض وهو ينظر، فصار حماراً من

عظام ليس فيه لحم ولا دم ﴿ثُمَّ نَكْسُوها لِحْمًا﴾ ثم كسا العظام لحماً ودماً فصار حماراً لا روح فيه، ثم أقبل ملك يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه فقام الحمار ونهق بإذن الله.

وقال قوم أراد به عظام هذا الرجل، وذلك أن الله تعالى لم يمت حماره بل أماته هو فأحيا الله عينيه ورأسه، وسائر جسده ميت، ثم قال: انظر إلى حمارك فنظر فرأى حماره قائماً واقفاً كهيئته يوم ربطه حياً لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر إلى الرمة^(١) في عنقه جديدة لم تتغير، وتقدير الآية: ﴿وانظر إلى حمارك﴾ وانظر إلى عظامك كيف ننشرها وفي الآية تقديم وتأخير، وتقديرهما: وانظر إلى حمارك، وانظر إلى العظام كيف ننشرها ولنجعلك آية للناس.

وقال قتادة عن كعب والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما أحيا الله تعالى عزيزاً بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى محلته فأنكره الناس وأنكر الناس ومنازله فانطلق على وهم حتى أتى منزله فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة كانت عرفته وعقلته فقال لها عزيز: يا هذه هذا منزل عزيز؟ قالت: نعم هذا منزل عزيز وبكت وقالت: ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيزاً قال: فإني أنا عزيز، قالت: سبحان الله فإن عزيزاً قد فقدناه من مائة سنة لم نسمع له بذكر قال: فإني أنا عزيز كان الله أماتني مائة سنة ثم بعثني، قالت: فإن عزيزاً كان رجلاً مستجاب الدعوة ويدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية، فادع الله أن يرد لي بصري حتى أراك فإن كنت عزيزاً عرفتك، فدعا ربه ومسح بيده على عينها فصحت وأخذ بيدها وقال: قومي بإذن الله تعالى، فأطلق الله رجلها فقامت صحيحة، فنظرت إليه فقالت: أشهد أنك عزيز، فانطلقت إلى بني إسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم وابن عزيز شيخ كبير ابن مائة سنة وثمانية عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ في المجلس، فنادت هذا عزيز قد جاءكم، فكذبوها، فقالت: أنا فلانة مولاتكم دعا لي ربه فرد علي بصري وأطلق رجلي وزعم أن الله كان أماته مائة سنة ثم بعثه، فهض الناس فأقبلوا إليه فقال ولده: كان لأبي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه، فكشف عن كتفيه فإذا هو عزيز.

وقال السدي والكلبي: لما رجع عزيز إلى قومه وقد أحرق بختنصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلق، فبكى عزيز على التوراة فاتاه ملك بإناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبياً، فقال: أنا عزيز فلم يصدقوه فقال: إني عزيز قد بعثني الله إليكم لأجدد / لكم توراتكم قالوا: أمليها علينا، فأملأها عليهم من ظهر قلبه، فقالوا: ما جعل الله التوراة في صدر رجل بعد ما ذهبت إلا أنه ابنه، فقالوا: عزيز ابن الله، وستأتي القصة في سورة براءة إن شاء الله تعالى^(٢).

(١) بالضم، القطعة من الحبل.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٢٧/٢-٢٨.

قوله تعالى: ﴿فلما تبين له﴾ ذلك عياناً ﴿قال: أعلم﴾ قرأ حمزة والكسائي مجزوماً موصولاً على الأمر على معنى قال الله تعالى له اعلم، وقرأ الآخرون أعلم بقطع الألف ورفع الميم على الخبر عن عزيز أنه قال لما رأى ذلك أعلم ﴿أن الله على كل شيء قدير﴾ .

قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموت﴾ قال الحسن وقتادة وعطاء الخراساني وابن جريج: كان سبب هذا السؤال من إبراهيم عليه السلام أنه مر على دابة ميتة، قال ابن جريج: كانت جيفة حمار بساحل البحر، قال عطاء: في بحيرة طبرية، قالوا: فراها وقد توزعتها دواب البحر والبر، فكان إذا مد البحر جاءت الحيتان ودواب البحر فأكلت منها فما وقع منها يصير في البحر، فإذا جزر البحر ورجع جاءت السباع فأكلن منها فما سقط منها يصير تراباً فإذا ذهب السباع، جاءت الطير فأكلت منها فما سقط منها قطعتها الريح في الهواء، فلما رأى ذلك إبراهيم عليه السلام تعجب منها وقال: يارب قد علمت لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير وأجواف دواب البحر فأرني كيف تحييها لأعائن فأزداد يقيناً، فعاتبه الله تعالى^(١): ﴿قال أو لم تؤمن؟ قال بلى﴾ يارب علمت وأمنت ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ أي ليسكن قلبي إلى المعاينة والمشاهدة، أراد أن يصير له علم اليقين عين اليقين، لأن الخبر ليس كالمعينة.

وقيل: كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنه لما احتج على نمrod فقال «ربي الذي يحيي ويميت» (٢٥٨ — البقرة) قال نمrod^(٢): أنا أحيي وأميت فقتل أحد الرجلين، وأطلق الآخر، فقال إبراهيم: إن الله تبارك وتعالى يقصد إلى جسد ميت فيحييه، فقال له نمrod: أنت عابته، فلم يقدر أن يقول نعم فانتقل إلى حجة أخرى، ثم سأل ربه أن يريه إحياء الموتى. ﴿قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ بقوة حجتي فإذا قيل أنت عابته فأقول نعم قد عابته.

وقال سعيد بن جبیر لما اتخذ الله تعالى إبراهيم خليلاً سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشر إبراهيم بذلك فأذن له فأتى إبراهيم ولم يكن في الدار، فدخل داره وكان إبراهيم عليه السلام أغير الناس إذا خرج أغلق بابه، فلما جاء وجد في داره رجلاً فثار عليه ليأخذه وقال له: من أذن لك أن تدخل داري؟ فقال: أذن لي رب هذه الدار، فقال إبراهيم: صدقت وعرف أنه ملك، فقال: من أنت؟ قالت: أنا ملك الموت جئت أبشرك بأن الله تعالى قد اتخذك خليلاً، فحمد الله عز وجل، وقال: فما علامة ذلك؟ قال: أن يجيب الله دعائك ويحيي الموتى بسؤالك، فحينئذ قال إبراهيم: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى؟ قال أو لم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ أنك اتخذتني خليلاً وتحييني إذا دعوتك^(٣).

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص ٧٩.

(٢) نسب الواحدى هذا القول لمحمد بن إسحاق بن يسار، أسباب النزول ص (٨٠).

(٣) أسباب النزول للواحدى ص ٨١.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل، أخبرنا أحمد بن صالح، أنا ابن وهب، أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، ورحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي»^(١).

وأخرج مسلم بن الحجاج هذا الحديث عن حرملة بن يحيى عن وهب بهذا الاسناد مثله وقال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى»^(٢).

حكى عن محمد بن إسحاق بن خزيمة عن أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني أنه قال على هذا الحديث، لم يشك النبي ﷺ ولا إبراهيم في أن الله قادر على أن يحيي الموتى وإنما شكاً في أنه هل يحييها إلى ما سألا، وقال أبو سليمان الخطابي: ليس في قوله نحن أحق بالشك من إبراهيم، اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم، لكن فيه نفي الشك عنهما، يقول: إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، فأبراهيم أولى بأن لا يشك، وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس، وكذلك قوله: «لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي» وفيه الإعلام أن المسألة من إبراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك، ولكن من قبل زيادة العلم بالعيان، فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيد الاستدلال، وقيل: لما نزلت هذه الآية قال قوم: شك إبراهيم ولم يشك نبينا، فقال رسول الله ﷺ هذا القول تواضعاً منه وتقديماً لإبراهيم على نفسه.

قوله ﴿أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ﴾ معناه قد آمنت فلم تسأل؟، شهد له بالإيمان كقول جرير:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٌ رَاحَ

يعني أنتم كذلك، ولكن ليطمئن قلبي بزيادة اليقين.

﴿قَالَ فَخَذَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾ قال مجاهد وعطاء وابن جريج: أخذ طاووساً وديكاً وحمامة وغراباً،

وحكي عن ابن عباس رضي الله عنه: ونسراً بدل الحمامة.

وقال عطاء الخراساني: أوحى إليه أن خذ بطة خضراء وغراباً أسود وحمامة بيضاء وديكاً أحمر

﴿فَصَرَهْنَ إِلَيْكَ﴾ قرأ أبو جعفر وحمة ﴿فَصَرَهْنَ إِلَيْكَ﴾ بكسر الصاد أي قطعهن ومزقهن، يقال صار

(١) أخرجه البخاري: في أحاديث الأنبياء — باب: قول الله عز وجل (ونبئهم عن ضيف إبراهيم) ٤١٠/٦ — ٤١١.

(٢) أخرجه مسلم: في الإيمان — باب: زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة برقم (١٥١) ١٣٣/١.

والمصنف في شرح السنة: ١١١/١.

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ
سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦١﴾

يصير صيراً إذا قطع، وانصار الشيء انصياراً إذا انقطع.

قال الفراء: هو مقلوب من صريت أصري صرياً إذا قطعت، وقرأ الآخرون ﴿فصرهن﴾ بضم الصاد ومعناه أملهن إليك ووجههن، يقال: صرت الشيء أصوره إذا أملت، ورجل أصور إذا كان مائل العنق، وقال عطاء: معناه اجمعهن واضمهن إليك يقال: صار يصور صوراً إذا اجتمع ومنه قيل لجماعة النحل صور، ومن فسره بالإمالة والضم قال فيه إضمار معناه فصرهن إليك ثم قطعهن فحذفه اكتفاءً بقوله: ﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً﴾ لأنه يدل عليه، وقال أبو عبيدة: فصرهن معناه قطعهن أيضاً، والصور القطع.

قوله تعالى: ﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً﴾ قرأ عاصم برواية أبي بكر ﴿جزءاً﴾ مثقلاً مهموزاً، والآخرون بالتخفيف والهمز، وقرأ أبو جعفر مشددة الزاي بلا همز وأراد به بعض الجبال.

قال بعض المفسرين: أمر الله إبراهيم أن يذبح تلك الطيور وينتف ريشها ويقطعها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض ففعل، ثم أمره أن يجعل أجزائها على الجبال.

واختلفوا في عدد الأجزاء والجبال فقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: أمر أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء ويجعلها على أربعة أجبل على كل جبل ربعاً من كل طائر وقيل: جبل على جانب الشرق، وجبل على جانب الغرب، وجبل على جانب الشمال، وجبل على جانب الجنوب.

وقال ابن جريج والسدي: جزأها سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رؤوسهن ثم دعاهن: / ٤٧ / تعالين ياذن الله تعالى، فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الأخرى، وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى، وكل عظم يصير إلى العظم الآخر، وكل بضعة تصير إلى الأخرى، وإبراهيم ينظر، حتى لقيت كل جثة بعضها بعضاً في السماء بغير رأس ثم أقبلن إلى رؤوسهن سعياً فكلما جاء طائر مال برأسه فإن كان رأسه دنا منه، وإن لم يكن تأخر، حتى التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى ﴿ثم ادعهم يأتينك سعياً﴾ قيل المراد بالسعي الإسراع والعدو، وقيل المراد به المشي دون الطيران كما قال الله تعالى «فاسعوا إلى ذكر الله» (٩ - الجمعة) أي فامضوا، والحكمة في المشي دون الطيران كونه أبعد من الشبهة لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطير وأن أرجلها غير سليمة والله أعلم. وقيل السعي بمعنى الطيران ﴿واعلم أن الله عزيز حكيم﴾.

قوله تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ فيه إضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم ﴿كمثل﴾ زارع ﴿حبة﴾ وأراد بسبيل الله الجهاد، وقيل جميع أبواب الخير ﴿أنبتت﴾

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ
 أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ
 خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿١٣٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا
 صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ
 عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٣٤﴾

أخرجت ﴿سبع سنابل﴾ جمع سنبله ﴿في كل سنبله مائة حبة﴾ فإن قيل فما رأينا سنبله فيها مائة حبة فكيف ضرب المثل به؟ قيل: ذلك متصور، غير مستحيل، ومالا يكون مستحيلاً جاز ضرب المثل به وإن لم يوجد، معناه: ﴿في كل سنبله مائة حبة﴾ أن جعل الله فيها، وقيل هو موجود في الدخن، وقيل معناه أنها إن بذرت أنبت مائة حبة، فما حدث من البذر الذي كان فيها كان مضافاً إليها وكذلك تأوله الضحاك فقال: كل سنبله أنبت مائة حبة ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾ قيل معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء، وقيل: معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء ما بين سبع إلى سبعين إلى سبعمائة إلى ما شاء الله من الأضعاف مما لا يعلمه إلا الله تعالى ﴿والله واسع﴾ غني يعطي عن سعة ﴿عليم﴾ بنية من ينفق ماله.

قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ قال الكلبي: نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما، جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف درهم صدقة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كانت عندي ثمانية آلاف فأمسكت منها لنفسي وعيالي أربعة آلاف درهم، وأربعة آلاف أقرضتها ربي، فقال له رسول الله ﷺ: بارك الله فيما أمسكت لك وفيما أعطيت، وأما عثمان فجهز جيش المسلمين في غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها^(١) وأحلاسها^(٢) فنزلت فيهما هذه الآية.

وقال عبد الرحمن بن سمرة: جاء عثمان رضي الله عنه بألف دينار في جيش العسرة فصحبها في حجر رسول الله ﷺ فرأيت النبي ﷺ يدخل فيها يده ويقبلها ويقول «ماض ابن عفان ما عمل بعد اليوم»^(٣) فأنزل الله تعالى ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ في طاعة الله ﴿ثم لا يتبعون ما أنفقوا

(١) جمع قتب وهو الإكاف على قدر سنام البعير ليركب أو يحمل عليه.

(٢) جمع جلس وهو كساء يجعل على ظهر البعير تحت رحله.

(٣) رواه الترمذي: في المناقب — باب: ٧٦ — ١٩٣/١٠ وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وأحمد: في مسنده: ٦٣/٥ عن عبد الرحمن بن سمرة، وإسناده حسن.

﴿مناً﴾ وهو أن يمن عليه بعبائه فيقول أعطيتك كذا، ويعدُّ نعمه عليه فيكدرها ﴿ولا أذى﴾ هو أن يعيره فيقول إلى كم تسأل وم تؤذيني؟ وقيل من الأذى هو أن يذكر إنفاقه عليه عند من لا يحب وقوفه عليه.

وقال سفيان: ﴿منأ ولا أذى﴾ هو أن يقول قد أعطيتك وأعطيت فما شكرت، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كان أبي يقول: إذا أعطيت رجلاً شيئاً ورأيت أن سلامك يثقل عليه فكف سلامك عنه، فحظر الله على عباده المن بالصنعة، واختص به صفة لنفسه، لأنه من العباد تعبير وتكدير ومن الله إفضال وتكدير ﴿لهم أجرهم﴾ أي ثوابهم ﴿عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ قول معروف ﴿أي كلام حسن ورد على السائل جميل، وقيل عِدَّة حسنة. وقال الكلبي: دعاء ضالح يدعو لأخيه بظهر الغيب، وقال الضحاك: نزلت في إصلاح ذات البين ﴿ومغفرة﴾ أي تستر عليه خلتها ولا تهتك عليه ستره، وقال الكلبي والضحاك: يتجاوز عن ظالمه، وقيل يتجاوز عن الفقير إذا استطال عليه عند رده ﴿خير من صدقة﴾ يدفعها إليه ﴿يتبعها أذى﴾ أي من وتعبير للسائل أو قول يؤذيه ﴿والله غني﴾ أي مستغن عن صدقة العباد ﴿حليم﴾ لا يعجل بالعقوبة على من يمن ويؤذي بالصدقة.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم﴾ أي أجور صدقاتكم ﴿بالمن﴾ على السائل، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بالمن على الله تعالى ﴿والأذى﴾ لصاحبها ثم ضرب لذلك مثلاً فقال ﴿كالذي ينفق ماله﴾ أي كإبطال الذي ينفق ماله ﴿ورثاء الناس﴾ أي مراعاة وسمعة ليروا نفقته ويقولوا إنه كريم سخي ﴿ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ يريد أن الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين وهذا للمنافقين لأن الكافر معلن بكفره غير مراء ﴿فمثله﴾ أي مثل هذا المرأى ﴿كمثل صفوان﴾ وهو الحجر الأملس، وهو واحد وجمع، فمن جعله جمعاً فواحد صفوانة ومن جعله واحداً فجمعه صفوي ﴿عليه﴾ أي على الصفوان ﴿تراب فأصابه وابل﴾ وهو المطر الشديد العظيم القطر ﴿فتركه صلداً﴾ أي أملس، والصلد الحجر الصلب الأملس الذي لا شيء عليه فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرأى والمؤمن الذي يمن بصدقته ويؤذي ويرى الناس في الظاهر أن لهؤلاء أعمالاً كما يرى التراب على هذا الصفوان فإذا كان يوم القيامة بطل كله واضمحل لأنه لم يكن لله عز وجل كما أذهب الوابل ما على الصفوان من التراب فتركه صلداً ﴿لا يقدرّون على شيء مما كسبوا﴾ أي على ثواب شيء مما كسبوا عملوا في الدنيا ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقى، أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني، أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني، أخبرنا علي بن حجر، أخبرنا اسماعيل بن جعفر، أخبرنا عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد أن النبي ﷺ قال «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال «الرياء يقول الله لهم يوم يجازي العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ
كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأْتَتْ أَكْطَاهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ
فَطُلٌّ ^{مُوقْتًا} وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٦٥﴾

جزاء»^(١).

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد الحارثي أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمد بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، أخبرنا عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح، أخبرني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان المدائني أن عقبه بن مسلم حدثه أن شُفِيًّا الأصبحي حدثه أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس فقال من هذا؟ قال: أبو هريرة، فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس فلما سكت وخلا قلت له: أشدك الله بحق، لما حدثتني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قُتِلَ في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقاريء: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ فقال: بلى يارب / قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آتاء الليل وأنا النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان قاريء فقد قيل ذلك، ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يارب، قال: فما عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق. فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة كذبت ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول له: فماذا قتلت؟ فيقول: يارب أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله: كذبت وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك، ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ أي طلب رضا الله تعالى ﴿وَتَثْبِيتًا

(١) أخرجه أحمد: ٤٢٨/٥ — ٤٢٩ عن محمود بن لبيد.

ورواه ابن حبان في موارد الظمان ٢٤٩٩ عن فضالة الأنصاري بمعناه. ص ٦١٨.

وأنظر: النهج السديد صفحة ٤٦.

وقال المنذري في الترغيب والترهيب إسناده جيد

والمصنف في شرح السنة: ٣٢٤/١٤.

(٢) رواه الترمذي: في الزهد باب ما جاء في الرياء والسمعة ٥٤/٧ وقال: هذا حديث حسن غريب وعزاه في تحفة الأحوزي لابن خزيمة في صحيحه، وفي سننه الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان المدائني لين الحديث (التقريب).

أَيُّودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ فَاصْبَاهَا إِنْصَارٌ فِيهِ
 نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٦٦﴾ يَتَأْتِيهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
 وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِتَاخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 غَفِيرٌ حَمِيدٌ ﴿٣٦٧﴾

من أنفسهم ﴿٣٦٦﴾ قال قتادة: احتساباً، وقال الشعبي والكلبي: تصديقاً من أنفسهم، أي يخرجون الزكاة طيبة
 بها أنفسهم على يقين بالثواب وتصديق بوعده الله، يعلمون أن ما أخرجوا خير لهم مما تركوا، وقيل على يقين
 بإخلاف الله عليهم.

وقال عطاء ومجاهد: يثبتون أي يضعون أموالهم، قال الحسن: كان الرجل إذا هم بصدقة تثبت فإن
 كان لله أمضى وإن كان يخالطه شك أمسك، وعلى هذا القول يكون التثبيت بمعنى التثبت، كقوله تعالى:
 «وتبتل إليه تبتلاً (٨ - المزمل) أي تبتلاً، ﴿كمثل جنة﴾ أي بستان قال (المبرد) ^(١) والقراء: إذا كان
 في البستان نخل فهو جنة وإن كان فيه كرم فهو فردوس ﴿بربوة﴾ قرأ ابن عامر وعاصم بربوة وإلى ربوة في
 سورة المؤمنون بفتح الراء وقرأ الآخرون بضمها وهي المكان المرتفع المستوي الذي تجري فيه الأنهار فلا
 يعلوه الماء ولا يعلو عن الماء، وإنما جعلها بربوة لأن النبات عليها أحسن وأزكى ﴿أصاها وابل﴾ مطر
 شديد كثير ﴿فآتت أكلها﴾ ثمرها، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف، وقرأ الباقون بالشقل، وزاد
 نافع وابن كثير تخفيف أكله والأكل، وخفف أبو عمرو ورسلنا ورسلكم ورسلمهم وسبلنا.

﴿ضعفين﴾ أي أضعفت في الحمل قال عطاء: حملت في السنة من الرِّيع ^(٢) ما يحمل غيرها في
 سنتين، وقال عكرمة: حملت في السنة مرتين ﴿فإن لم يصبها وابل فطل﴾ أي فطش، وهو المطر
 الضعيف الخفيف ويكون دائماً.

قال السدي: هو الندى، وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص فيقول: كما أن هذه الجنة
 تريع في كل حال ولا تخلف سواء قل المطر أو كثير، كذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص الذي لا
 يمن ولا يؤذي سواء قلت نفقته أو كثرت، وذلك أن الطل إذا كان يدوم يعمل عمل الوابل الشديد.

(١) ساقط من ب.

(٢) الغلة.

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ
وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ
فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٦٩﴾

﴿والله بما تعملون بصير﴾ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار﴾
هذه الآية متصلة بقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى» [قوله أيود يعني:
أحب أحدكم أن تكون له جنة أي بستان من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار] (١).

﴿له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء﴾ أولاد صغار ضعاف عجزة ﴿فأصابها
إعصار﴾ وهو الريح العاصف التي ترتفع إلى السماء كأنها عمود وجمعه أعاصير ﴿فيه نار فاحترقت﴾
هذا مثل ضربه الله لعمل المنافق والمرائي يقول: عمله في حسنه كحُسن الجنة ينتفع به كما ينتفع صاحب
الجنة بالجنة، فإذا كبر أو ضعف وصار له أولاد ضعاف وأصاب جنته إعصار فيه نار فاحترقت فصار
أحوج ما يكون إليها وضعف عن إصلاحها لكبره وضعف أولاده عن إصلاحها لصغرهم ولم يجد هو ما
يعود به على أولاده ولا أولاده ما يعودون به عليه فبقوا جميعاً متحيرين عجزة لا حيلة بأيديهم، كذلك
يبتل الله عمل هذا المنافق والمرائي حين لا مغيث (٢) لهما ولا توبة ولا إقالة.

قال عبيد بن عمير: قال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النبي ﷺ: فيمن ترون هذه الآية نزلت
﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب﴾؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر رضي الله عنه فقال:
قولوا نعلم أولاً نعلم، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، فقال عمر
رضي الله عنه: ابن أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ضربت مثلاً لعمل، فقال
عمر رضي الله عنه: أي عمل؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لعمل المرائي قال عمر رضي الله عنه
لرجل غني يعمل بطاعة الله بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله (٣).

﴿كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ﴿من
خيار، قال ابن مسعود رضي الله عنه ومجاهد: من حلالات﴾ ﴿ما كسبتم﴾ بالتجارة والصناعة وفيه دلالة
على إباحة الكسب وأنه ينقسم إلى طيب وخبيث.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو

(١) ساقط من ب.

(٢) في ب مستعجب بدل مغيث.

(٣) رواه البخاري في التفسير، تفسير سورة البقرة باب قوله (أيود أحدكم) — ٢٠١/٨ — ٢٠٢.

جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا يعلى بن عبيد، أخبرنا الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه»^(١).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا عبد الله بن صالح، أخبرنا أبو معاوية بن صالح عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدم بن معد يكرب أنه حدثه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وكان داود لا يأكل إلا من عمل يديه»^(٢).

أخبرنا أبو القاسم يحيى بن علي بن محمد الكشميهني، أخبرنا نجاح بن يزيد المحاربي بالكوفة، أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني، أخبرنا أحمد بن حازم، أخبرنا يحيى بن عبيد، أخبرنا أبان بن اسحق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يكتسب عبد مالا حراماً فيتصدق منه فيقبل الله منه، ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيء بالسيء، ولكن يمحو السيء بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث»^(٣).

والزكاة واجبة في مال التجارة عند أكثر أهل العلم، فبعد الحول يقوم العرض فيخرج من قيمتها ربع العشر إذا كان قيمتها عشرين ديناراً أو مائتي درهم، قال سمره بن جندب: كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعده للبيع»^(٤).

وعن أبي عمرو بن حمّاس أن أباه قال: مررت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى عنقني أدمة^(٥)

(١) رواه النسائي: في البيوع — باب الحث على الكسب: ٢٤٠/٧.

وابن ماجه: في التجارات — باب الحث على الكسب: ٧٢٣/٢.

والدارمي: بيوع — باب الكسب وعمل الرجل بيده: ٢٤٧/٢.

وأحمد: ٤٢، ٣١ / ٦ عن عائشة رضي الله عنها.

وابن حبان: في صحيحه، موارد الظمان (١٠٩١) ص ٢٦٨.

والمصنف في شرح السنة: ٣٢٩/٩ وإسناده صحيح.

(٢) رواه البخاري: في البيوع — باب كسب الرجل وعمله بيده: ٣٠٣/٤.

والمصنف في شرح السنة: ٦/٨.

(٣) رواه أحمد: ٣٨٧/١ جزء من حديث عبد الله بن مسعود.

وفي إسناده الصباح بن محمد بن أبي حازم البجلي الأحمسي الكوفي: ضعيف أفرط فيه ابن حبان — التقريب.

(٤) رواه أبو داود: في الزكاة — باب العروض إذا كانت للتجارة ١٧٥/٢ وسكت عنه المنذري والبيهقي: في السنن ١٤٦/٤ قال ابن حجر

في التلخيص الحبير: أخرجه الدارقطني والبراز من حديث سليمان بن سمره عن أبيه وفي إسناده جهالة.

(٥) جلد.

أحملها فقال عمر: ألا تؤدي زكاتك يا حماس؟ فقلت: ما لي غير هذا وأهب^(١) في القرظ^(٢)، فقال ذاك مال، فضَّع، فوضعتها فحسبها فأخذ منها الزكاة^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ قيل هذا بإخراج العشور من الثمار والحبوب واتفق أهل العلم على إيجاب العشر في النخيل والكروم وفيما يقتات من الحبوب إن كان مسقياً بماء السماء أو من نهر يجري الماء إليه من غير مؤنة، وإن كان مسقياً بساقية أو بنضح ففيه نصف العشر.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبي ﷺ «فيما سقت السماء والعيون أو كان عثراً^(٤) العشر، وفيما سقي بالنضح نصف العشر»^(٥).

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد الله بن نافع عن محمد بن صالح التمار عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن عتاب بن أسيد أن رسول الله ﷺ قال في زكاة الكرم «يخرص كما يخرص النخل ثم تؤدي زكاته زيباً كما يؤدي زكاة النخل تمرأً»^(٦).

(١) جمع إهاب وهو الجلد قبل أن يدبغ.

(٢) القرظ: حب معروف يخرج من شجر العضاة تدبغ به الجلود.

(٣) أخرجه الشافعي في مسنده: ٢٢٩/١ - ٢٣٠، والبيهقي في السنن: ١٤٧/٤.

وعزه الحافظ ابن حجر للإمام أحمد وابن أبي شيبة وعبد الرزاق وسعيد بن منصور عن سفيان عن يحيى بن سعيد، وبه رواه الدارقطني

من حديث حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن أبي عمرو بن حماس: ١٢٥/٢، انظر التلخيص الحبير: ١٨٠/٢.

وضعه الألباني في إرواء الغليل: ٣١١/٣ لأن أبا عمرو بن حماس «مجهول» كما قال الذهبي في الميزان.

(٤) الزرع لا يسقيه إلا ماء المطر.

(٥) رواه البخاري: في الزكاة - باب: العشر فيما يسقى من ماء السماء وبالماء الجاري ٣٤٧/٣.

ومسلم: في الزكاة - باب: ما فيه العشر أو نصف العشر برقم (٩٨١) ٦٧٥/٢ عن جابر بلفظ آخر.

والمصنف في شرح السنة: ٤٢/٦.

(٦) رواه النسائي: زكاة - باب شراء الصدقة ١٠٩/٥.

وابن ماجه: زكاة - باب خرص النخل والعب ٢١٠/٢ - ٢١١.

وأبو داود: في الزكاة - باب في خرص العنب ٢١٠/٢ - ٢١١.

والترمذي: زكاة - باب ما جاء في الخرص ٣٠٦/٣ وقال حديث حسن غريب.

والبيهقي: ١٢٢/٤، والشافعي: ٢٤٣/١.

والدارقطني: ١٣٢/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٣٧/٦.

وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ١٧١/٢ (ومداه على سعيد بن المسيب عن عتاب وقال أبو داود لم يسمع منه، وقال ابن

القانع: لم يدركه، وقال المنذري: انقطاعه ظاهر لأن مولد سعيد في خلافة عمر ومات عتاب يوم مات أبو بكر وسبقه إلى ذلك ابن عبد

البر وقال أبو حاتم الصحيح عن سعيد بن المسيب: أن النبي ﷺ أمر عتاباً: مرسل وهذه رواية عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري

قال النووي: هذا الحديث وإن كان مرسلًا لكنه اعتضد بقول الأئمة).

واختلف أهل العلم فيما سوى النخل والكروم، وفيما سوى ما يقتات به من الحبوب، فذهب قوم إلى أنه لا عشر في شيء منها، وهو قول ابن أبي ليلى والشافعي رضي الله عنه.

وقال الزهري والأوزاعي ومالك رضي الله عنهم: يجب في الزيتون، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: يجب العشر في جميع البقول والخضروات كالثمار إلا الحشيش والخطب، وكل ثمرة أوجبت فيها الزكاة فإنما يجب يبدو الصلاح، ووقت الإخراج بعد الاجتناء والجفاف، وكل حب أوجبت فيه العشر فوق وقت وجوبه اشتداد الحب ووقت الإخراج بعد الدياسة والتنقية، ولا يجب العشر في شيء منها حتى تبلغ خمسة أوسق^(١) عند أكثر أهل العلم، وعند أبي حنيفة رحمه الله يجب في كل قليل وكثير منها، واحتج من شرط النصاب بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة، وليس فيما دون خمسة أواق من الورق صدقة وليس فيما دون خمس ذؤود من الإبل صدقة»^(٢).

وروي يحيى بن عباد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس في حب ولا تمر صدقة حتى تبلغ خمسة أوسق»^(٣)، وقال قوم: الآية في صدقات التطوع.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ «ما من مؤمن يفرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة»^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيْمَمُوا﴾ قرأ ابن كثير برواية البيزي بتشديد التاء في الوصل فيها وفي أخواتها وهي واحد وثلاثون موضعاً في القرآن، لأنه في الأصل تاءان اسقطت احدهما فرداً هو الساقطة وأدغم وقرأ الآخرون بالتخفيف ومعناه لا تقصدوا ﴿الحثيث منه تنفقون﴾.

روي عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: كانت الأنصار تخرج إذا كان جذاذ النخل

(١) جمع وسق: وهو ستون صاعاً بصاع النبي ﷺ.

(٢) رواه مسلم: في الزكاة — برقم (٩٧٩) ٦٧٣/٢.

والمصنف: في شرح السنة: ٤٩٩/٥.

(٣) رواه مسلم: في الزكاة — برقم (٩٧٩) ٦٧٤/٢.

والمصنف: في شرح السنة: ٥٠٠/٥.

(٤) رواه البخاري: في الحث والمزارعة — باب فضل الزرع والفرس ٣/٥ بلفظ ما من مسلم — وفي الأدب أيضاً.

ومسلم: في المساقاة — باب فضل الفرس والزرع برقم (٣٥٥٣) ١١٨٩/٣.

والمصنف: في شرح السنة: ١٤٩/٦.

أقناء^(١) من التمر والبسر فيعلقونه على جبل بين الاسطواتين في مسجد رسول الله ﷺ فيأكل منه فقراء المهاجرين، فكان الرجل منهم يعمد فيدخل قنو الحشَف^(٢) وهو يظن أنه جائز عنه في كثرة ما يوضع من الأقناء، فنزل فيمن فعل ذلك ﴿ولا تيمموا الخبيث﴾ أي الحشف والرديء، وقال الحسن ومجاهد والضحاك: كانوا يتصدقون بشار ثمهم ورذالة أموالهم ويعزلون الجيد ناحية لأنفسهم، فأنزل الله تعالى ﴿ولا تيمموا الخبيث﴾ الرديء ﴿منه تنفقون﴾ ﴿ولستم بأخذيته﴾ يعني الخبيث ﴿إلا أن تغمضوا فيه﴾ الإغماض غض البصر، وأراد هاهنا التجوز والمساهلة، معناه لو كان لأحدكم على رجل حق فجاءه بهذا لم يأخذه إلا وهو يرى أنه قد أغمض له عن حقه وتركه. وقال الحسن وقتادة: لو وجدتموه يباع في السوق ما أخذتموه بسعر الجيد.

وروي عن البراء قال: لو أهدي ذلك لكم ما أخذتموه إلا على استحياء من صاحبه وغيظ، فكيف ترضون مالا ترضون لأنفسكم؟ هذا إذا كان المال كله جيداً فليس له إعطاء الرديء، لأن أهل السهمان شركاؤه فيما عنده، فإن كان كل ماله رديئاً فلا بأس بإعطاء الرديء، ﴿واعلموا أن الله غني﴾ عن صدقاتكم ﴿حميد﴾ محمود في أفعاله.

﴿الشیطان يعدكم الفقر﴾ أي يخوفكم بالفقر، يقال وعدته خيراً ووعدته شراً، قال الله تعالى في الخير ﴿وعدكم الله مغامم كثيرة﴾ (٢٠ - الفتح) وقال في الشر ﴿النار وعدّها الله الذين كفروا﴾ (٧٢ - الحج) فإذا لم يذكر الخير والشر قلت في الخير: وعدته وفي الشر، أوعدته، والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد، وأصله من كسر الفقار، ومعنى الآية: أن الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل أمسك عليك مالك فإنك إذا تصدقت به افتقرت ﴿ويامرکم بالفحشاء﴾ أي بالبخل ومنع الزكاة، وقال الكلبي: كل الفحشاء في القرآن فهو الزنا إلا هذا ﴿والله يعدكم مغفرة منه﴾ أي لذنوبكم ﴿فضلاً﴾ أي رزقاً وخلفاً^(٣) ﴿والله واسع﴾ غني ﴿عليم﴾.

أخبرنا حسان بن سعيد النيعي، أخبرنا أبو طاهر الزيادي أخبرنا محمد بن الحسين القطان أخبرنا أحمد بن يوسف السلمي، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال: حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله تعالى يقول: ابن آدم أنفق أنفق عليك» وقال: قال رسول الله ﷺ «يمين الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء^(٤) الليل والنهار، أرأيت ما أنفق منذ خلق السموات

(١) جمع قنو: وهو عذق النخل.

(٢) أردأ التمر.

(٣) ساقط من نسخة ب.

(٤) بمهملتين مثقلاً ممدوداً، أي دائمة.

والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه (قال) وعرشه على الماء ويده الأخرى القسطن يرفع ويخفض»^(١).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن اسماعيل، أخبرنا عبيد الله بن سعيد أخبرنا عبد الله بن نمير أخبرنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء أن رسول الله ﷺ قال لها «أنفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك ولا توعي^(٢) فيوعي الله عليك»^(٣).

قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ قال السدي: هي النبوة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله، وقال الضحاك: القرآن والفهم فيه، وقال: في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام، لا يسع المؤمنين تركهن حتى يتعلموهن، ولا تكونوا كأهل نهران تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة وإنما أنزلت في أهل الكتاب جهلوا / علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الأموال وشهدوا علينا بالضلالة، فعليكم بعلم القرآن فإنه من علم فيم أنزل الله لم يختلف في شيء منه.

٤٨ / ب

وقال مجاهد: هي القرآن والعلم والفقه، وروى ابن أبي نجيح عنه: الإصابة في القول والفعل، وقال إبراهيم النخعي: معرفة معاني الأشياء وفهمها.

﴿وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ﴾ مَنْ فِي مَجَلِّ الرَّفْعِ عَلَى مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ، وَالْحِكْمَةُ خَيْرُهُ^(٤)، وَقَرَأَ يَعْقُوبُ — يُؤْتِ الْحِكْمَةَ — بِكَسْرِ التَّاءِ أَيِ مَنْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ الْحِكْمَةَ، دَلِيلُهُ قِرَاءَةُ الْأَعْمَشِ، وَمَنْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ، حَكْمِي عَنِ الْحَسَنِ ﴿وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ﴾ قَالَ: الْوَرَعُ فِي دِينِ اللَّهِ ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذُكُرُ﴾ يَتَعَطَّ ﴿إِلَّا أَوْلُو الْأَلْبَابِ﴾ ذُوو الْعُقُولِ.

(١) رواه البخاري: في تفسير سورة هود — باب: وكان عرشه على الماء — ٣٥٢/٨ وفي التوحيد.

ومسلم: في الزكاة — باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف برقم (٩٩٣) ٦٩٠/٢.

والمصنف: في شرح السنة: ١٥٤/٦ — ١٥٥.

(٢) الإيحاء جعل الشيء في الوعاء، وأصله الحفظ.

(٣) رواه البخاري: في الهبة — باب: هبة المرأة لغير زوجها وعقبتها إذا كان لها زوج ٢١٧/٥.

ومسلم: في الزكاة: باب: الحث في الإنفاق وكراهية الإحصاء برقم (١٠٢٩) ٧١٣/٢.

والمصنف: في شرح السنة: ١٥٤/٦.

(٤) انظر: التبيان في إعراب القرآن للمكبري: ٢٢٠/١.

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ
 مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧﴾ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ
 فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
 ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
 فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا لِأَبْتِغَاءِ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ
 إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿وما أنفقتم من نفقة﴾ فيما فرض الله عليكم ﴿أو نذرتم من نذر﴾ أي: ما أوجبتموه [أنتم] (١) على أنفسكم في طاعة الله فوفيتم به ﴿فإن الله يعلمه﴾ يحفظه حتى يجازيكم به، وإنما قال: يعلمه، ولم يقل: يعلمها لأنه رده إلى الآخر منها كقوله تعالى: «ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً» (١١٢ - النساء)، وإن شئت حملته على «ما» كقوله: «وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به» (٢٣١ - البقرة) ولم يقل بهما ﴿وما للظالمين﴾ الواضعين الصدقة في غير موضعها بالرياء أو يتصدقون من الحرام ﴿من أنصار﴾ من أعوان يدفعون عذاب الله عنهم، وهي جمع نصير، مثل: شريف وأشراف.

قوله تعالى: ﴿إن تبدوا الصدقات﴾ أي تظهروها ﴿فنعما هي﴾ أي: نعمت الخصلة هي و «ما» في محل الرفع «وهي» في محل النصب كما تقول نعم الرجل رجلاً، فإذا عرفت رفعت، فقلت: نعم الرجل زيد، وأصله نعم ما فوصلت، قرأ أهل المدينة غير ورش وأبو عمرو وأبو بكر: فنعما بكسر النون وسكون العين، وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي: بفتح النون وكسر العين، وقرأ ابن كثير ونافع برواية ورش ويعقوب وحفص بكسرها، وكلها لغات صحيحة وكذلك في سورة النساء.

﴿وإن تخفوها﴾ تسروها ﴿وتؤتوها الفقراء﴾ أي تؤتوها الفقراء في السر ﴿فهو خير لكم﴾ وأفضل، وكل مقبول إذا كانت النية صادقة، ولكن صدقة السر أفضل، وفي الحديث «صدقة السر تطفيء غضب الرب» (٢).

(١) ساقطة من ب.

(٢) أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك في الزكاة - باب: فضل الصدقة (إن الصدقة لتطفيء غضب الرب وتدفع ميتة السوء) وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه عبد الله بن عيسى الخزاز ٣/٣٢٩ - ٣٣٠ وعبد الله بن عيسى الخزاز أبو خلف منكر الحديث. قال النسائي: ليس بثقة: انظر ميزان الاعتدال: ٢/٤٧٠.

وأخرجه الطبراني في الكبير والأوسط بأطول من هذا عن معاوية بن حيدة وفيه صدقة بن عبد الله وثقه دحيم وضعفه جماعة (تهذيب: التهذيب: ٤/٣٦٥) وأيضاً في الصغير والأوسط عن جعفر وفيه أصرم بن حوشب وهو ضعيف (مجمع الروايات ٣/١١٥). والمصنف في شرح السنة: ٦/١٣٣.

لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا
فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ
لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْئِيلِ وَالْتَهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٤﴾

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو اسحق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب
عن مالك عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد الخدري أو عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل،
وشاب نشأ في عبادة الله تعالى، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا
في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعت امرأته ذات
منصب وجمال فقالت: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق
يمينه» (١).

وقيل: الآية في صدقة التطوع، أما الزكاة المفروضة فالإظهار فيها أفضل حتى يقتدي به الناس،
كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل، والنافلة في البيت [أفضل] (٢) وقيل: الآية في الزكاة المفروضة كان
الإخفاء فيها خيراً على عهد رسول الله ﷺ، أما في زماننا فالإظهار أفضل حتى لا يساء به الظن.

قوله تعالى: ﴿وَنُكْفِرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر بالنون ورفع الراء أي
ونحن نكفر، وقرأ ابن عامر وحفص بالياء ورفع الراء، أي ويكفر الله، وقرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي
بالنون والجزم نسقاً على الفاء التي في قوله «فهو خير لكم» لأن موضعها جزم بالجزء، وقوله من سيئاتكم
قيل «من» صلة، تقديره نكفر عنكم سيئاتكم، وقيل: هو للتحقيق والتبعيض، يعني: نكفر الصغائر من
الذنوب، ﴿والله بما تعلمون خير﴾.

﴿ليس عليك هداهم﴾ قال الكلبي سبب نزول هذه الآية أن ناساً من المسلمين كانت لهم قرابة

(١) رواه البخاري، في الأذان — باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ١٤٣/٢.

ومسلم: في الزكاة — باب: فضل إخفاء الصدقة برقم (١٠٣١) ٧١٥/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٣٥٤/٢.

(٢) ساقطة من نسخة ب.

وأصهار في اليهود وكانوا ينفقون عليهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوا عليهم وأرادوهم على أن يسلموا، وقال سعيد بن جبير^(١): كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمة، فلما كثر فقراء المسلمين، نهي رسول الله ﷺ عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الإسلام فنزل قوله ﴿ليس عليك هداهم﴾ فتمنعهم الصدقة ليدخلوا في الإسلام حاجةً منهم إليها، ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ وأراد به هداية التوفيق، أما هدى البيان والدعوة فكان على رسول الله ﷺ، فأعطوهم بعد نزول الآية.

﴿وما تنفقوا من خير﴾ أي مال ﴿فلا أنفسكم﴾ أي تعملونه لأنفسكم ﴿وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله﴾ وما جحد، لفظه نفى ومعناه نهي، أي لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله ﴿وما تنفقوا من خير﴾ شرط كالأول ولذلك حذف التون منهما ﴿يؤف إليكم﴾ أي يوفر لكم جزاؤه، ومعناه: يؤدي إليكم، ولذلك أدخل فيه إلا ﴿وأنتم لا تظلمون﴾ لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئاً، وهذا في صدقة التطوع، أباح الله تعالى أن توضع في أهل الإسلام وأهل الذمة، فأما الصدقة المفروضة فلا يجوز وضعها إلا في المسلمين وهم أهل السهمان المذكورون في سورة التوبة.

قوله تعالى: ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله﴾ اختلفوا في موضع هذه اللام: قيل هي مردودة على موضع اللام من قوله «فلا أنفسكم» كأنه قال: وما تنفقوا من خير للفقراء، وإنما تنفقون لأنفسكم، وقيل: معناها الصدقات التي سبق ذكرها، وقيل: خبره محذوف تقديره: للفقراء الذين صفتهم كذا حق واجب، وهم فقراء المهاجرين، كانوا نحواً من أربعمائة رجل، لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر، وكانوا في المسجد يتعلمون القرآن ويرضخون^(٢) النوى بالنهار، وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ وهم أصحاب الصفة، فحث الله تعالى عليهم الناس فكان من عنده فضل أتاهم به إذا أمسى.

﴿الذين أحصروا في سبيل الله﴾ فيه أقاويل؛ قال قتادة — وهو أولها — حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله ﴿لا يستطيعون ضرباً في الأرض﴾ لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش وهم أهل الصفة الذين ذكرناهم، وقيل: حبسوا أنفسهم على طاعة الله، وقيل: معناه حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله، وقال سعيد بن جبير: قوم أصابهم جراحات مع رسول الله ﷺ في الجهاد في سبيل الله فصاروا زمنى، أحصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله للجهاد، وقال ابن زيد: معناه: من كثرة ما جاهدوا صارت الأرض كلها حرباً عليهم فلا يستطيعون ضرباً في الأرض من كثرة أعدائهم، ﴿يحسبهم﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمره: يحسبهم وبابه يفتح السين وقرأ الآخرون بالكسر

(١) أسباب النزول للواحد ص ٨٣ بسنده عن سعيد بن جبير.

(٢) يكسرون.

﴿الجاهل﴾ بحالهم ﴿أغنياء من التعفف﴾ أي من تعففهم عن السؤال / وقناعتهم يظن من لا يعرف حالهم أنهم أغنياء، والتعفف التَّفَعُّلُ من العفة وهي الترك يقال: عف عن الشيء إذا كف عنه وتعفف إذا تكلف في الإمساك.

﴿تعرفهم بسيماهم﴾ السيماء والسيماء والسمة: العلامة التي يعرف بها الشيء، واختلفوا في معناها هاهنا، فقال مجاهد: هو التخشع والتواضع، وقال السدي: أثر الجهد من الحاجة والفقر، وقال الضحاك: صفرة ألوانهم من الجوع والضر وقيل رثانة ثيابهم، ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾ قال عطاء: إذا كان عندهم غداء لا يسألون عشاء، وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداء، وقيل: معناه لا يسألون الناس إلحافاً أصلاً لأنه قال: من التعفف، والتعفف ترك السؤال، ولأنه قال: تعرفهم بسيماهم، ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت إلى معرفتهم بالعلامة من حاجة، فمعنى الآية، ليس لهم سؤال فيقع فيه إلحاف، والإلحاف: الإلحاح واللجاج.

أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، أخبرنا أبو سعيد محمد بن إبراهيم بن الإسماعيلي، أخبرنا محمد بن يعقوب، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرنا أنس بن عياض عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ «لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب فيأتي بحزمة حطب على ظهره فكيف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أشياءهم أعطوه أو منعوه»^(١).

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس، ترده اللقمة واللقمتان والتمر والتمرتان» قالوا: فمن المسكين يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يجد غنى فيغنيه، ولا يفتن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس»^(٢).

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافاً»^(٣).

(١) رواه البخاري في الزكاة. باب: الإستعفاف عن المسألة ٣/٣٣٥.

والمصنف في شرح السنة ١١٢/٦ — ١١٣.

(٢) رواه البخاري: في الزكاة — باب: قول الله تعالى (لا يسألون الناس إلحافاً) ٣/٣٤٠ وفي التفسير.

• ومسلم: في الزكاة — باب: المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفتن له فيتصدق عليه برقم (١٠٣٩) ٢/٧١٩.

والمصنف في شرح السنة: ٨٦/٦.

(٣) رواه أبو داود: في الزكاة — باب: من يعطى من الصدقة وحد الغنى ٢/٢٢٩ عن أبي سعيد الخدري بلفظ (من سأل وله أوقية فقد إلحاف) وسكت عنه المنذري.

والتسائي: في الزكاة — باب: إذا لم يكن له دراهم وكان له عدلها ٥/٩٨ — ٩٩.

وأحمد: ٤/٣٦ و ٥/٤٣٠ واللفظ له عن عطاء بن يسار عن رجل من بني أسد.

والمصنف في شرح السنة: ٨٤/٦ وإسناده صحيح.

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز، أخبرنا محمد بن زكريا بن عدافر، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدبري، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن هارون بن رباب عن كنانة العدوي عن قبيصة بن مخارق قال: إني تحملت بحمالة في قومي فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إني تحملت بحمالة في قومي وأتيتك لتعينني فيها قال: «بل نتحملها عنك يا قبيصة ونؤذيها إليهم من الصدقة» ثم قال «يا قبيصة إن المسألة حرمت إلا في إحدى ثلاث: في رجل أصابته جائحة^(١) فاجتاحت ماله فيسأل حتى يصيب قواماً من عيشه ثم يمسك، وفي رجل أصابته حاجة حتى يشهد له ثلاثة نفر من ذوي الحجج من قومه وأن المسألة قد حلت له فيسأل حتى يصيب القوام من العيش ثم يمسك، وفي رجل تحمل بحمالة فيسأل حتى إذا بلغ أمسك، وما كان غير ذلك فإنه سحت يأكله صاحبه سحتاً»^(٢).

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، أخبرنا قتيبة، أخبرنا شريك عن حكيم بن جبير عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسأله في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح»^(٣) قيل يا رسول الله وما يغنيه؟ قال «خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب»^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْفَقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ من مال ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ وعليه مُجَازٍ ﴿الَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ روي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية^(٥).

(١) آفة تهلك المال.

(٢) رواه مسلم: في الزكاة — باب: من تحمل له المسألة برقم (١٠٤٤) ٧٢٢/٢ بألفاظ مقاربة.

والمصنف في شرح السنة: ١٢٢/٦ بلفظ: (إن المسألة لا تحمل إلا لثلاثة: رجل تحمل بحمالة بين قوم، ورجل أصابته جائحة، فاجتاحت ماله، فيسأل حتى يصيب سداداً من عيش، أو قواماً من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يشهد له ثلاثة من ذوي الحجج من قومه أن قد أصابته حاجة، وأن قد حلت له المسألة وما سوى ذلك من المسائل سحت).

(٣) الخموش مثل الخدوش في المعنى، والكدوح: آثار الخدوش، وكل أثر من خدش أو عض أو نحوه، فهو كدوح.

(٤) رواه أبو داود: في الزكاة — باب: من يعطي من الصدقة وحد الغنى ٢٢٦/٢ وانظر ما قاله المنذري في مختصره والترمذي: في الزكاة — باب: من تحمل له الزكاة ٣١٣/٣، ٣١٤ عن ابن مسعود وقال: حديث ابن مسعود حديث حسن وقد تكلم شعبه في حكيم بن جبير من أجل هذا الحديث وقال ابن حجر: ضعيف روي بالتحسين من الخامسة (تقريب).

وابن ماجه: في الزكاة — باب من سأل عن ظهر غنى ٥٨٩/١ وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٤٩٩) وصحح ابن ماجه برقم (١٤٩٠).

والدارمي: في الزكاة — باب / ١٥ / من تحمل له الصدقة ٣٨٦/١.

والمصنف في شرح السنة: ٨٣/٦.

(٥) انظر: أسباب النزول للواحد ص ٨٦ فقد أخرجه بسنده عن ابن عباس.

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

وعن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهم قال لما نزلت ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله﴾ بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة إلى أصحاب الصفة، وبعث على بن أبي طالب رضي الله عنه في جوف الليل بوسق من تمر فأنزل الله تعالى فيما ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار﴾ الآية عنى بالنهار علانية: صدقة عبد الرحمن بن عوف، وبالليل سراً: صدقة على رضي الله عنه، وقال أبو أمامة وأبو الدرداء ومكحول والأوزاعي: نزلت في الذين يرتبطون الخيل للجهاد فإنها تُعَلَّفُ ليلاً ونهاراً سراً وعلانية^(١).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا علي بن حفص، أخبرنا ابن المبارك، أخبرنا طلحة بن أبي سعيد قال: سمعت سعيداً المقبري يحدث أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال النبي ﷺ: «من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة»^(٢).

قوله تعالى: ﴿فلهم أجرهم عند ربهم﴾ قال الأخفش: جعل الخير بالفاء، لأن «الذين» بمعنى «من» وجواب من بالفاء بالجزاء، أو معنى الآية: من أنفق كذا فله أجره عند ربه ﴿ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

قوله تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا﴾ أي يعاملون به، وإنما خص الأكل لأنه معظم المقصود من المال ﴿لا يقومون﴾ يعني يوم القيامة من قبورهم ﴿إلا كما يقوم الذي يتخبطه﴾ أي يصرعه ﴿الشيطان﴾ أصل الخبط الضرب والوطء، وهو ضرب على غير استواء يقال: ناقة خبطت للتي تطأ الناس وتضرب الأرض

(١) أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن يزيد بن عبد الله بن عريب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: نزلت هذه الآية في أصحاب الخيل، يزيد وأبوه مجهولان.

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب: كانت معه أربعة دراهم....، وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب قال: الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان في نفقتهما في جيش العسرة، (انظر: لباب النقول للسيوطي ص ١١٨ بهامش الجلائين، أسباب النزول للواحدي ص ٨٤ - ٨٥).

(٢) رواه البخاري في الجهاد باب من احتبس فرساً في سبيل الله ٥٧/٦ والمصنف في شرح السنة ٣٨٨/١٠.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَتْ ذُوْعُسْرَةً فَنَظْرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

بقوائمهها ﴿من المس﴾ أي الجنون يقال: مس الرجل فهو ممسوس إذا كان مجنوناً، ومعناه: أن آكل الربا يبعث يوم القيامة وهو كمثل المصروع.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، أخبرنا عبد الله بن يحيى، أخبرنا يعقوب بن سفيان أخبرنا إسماعيل بن سالم، أخبرنا عباد بن عباد عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ في قصة الإسراء قال: «فانطلق بي جبريل عليه السلام إلى رجال كثير كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون — وآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشيا — قال: فيقبلون مثل الإبل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون، فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا، فتميل بهم بطونهم فيصرعون، ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع، فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردوهم مقبلين ومدبرين، فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة (قال) / وآل فرعون يقولون: اللهم لا تقم الساعة أبداً (قال) ويوم القيامة يقال: «أَدْخِلُوا آلَ فرعون أشد العذاب» (٤٦ — غافر) قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس»^(١).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلَ الرِّبَا﴾ أي ذلك الذي نزل بهم لقولهم هذا واستحلهم إياه، وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا حلَّ ماله على غريمه فطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق: زدني في الأجل حتى أزيدك في المال، فيفعلان ذلك، ويقولون سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند المحل لأجل التأخير فكذبهم الله تعالى وقال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ واعلم

(١) رواه الأصبهاني من طريق أبي هارون العبدى، وهو واو. انظر: الترغيب والترهيب للمنذرى: ٩/٣.

أن الربا في اللغة الزيادة قال الله تعالى: «وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس» أي ليكثر «فلا يربو عند الله» (٣٩ - الروم) وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام في الجملة، إنما المحرم زيادة على صفة مخصوصة في مال مخصوص بيّنه رسول الله ﷺ فيما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد الوهاب عن أيوب بن أبي تيممة عن محمد بن سيرين عن مسلم بن يسار ورجل آخر عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا الذهب بالذهب، ولا الورق بالورق، ولا البر بالبر، ولا الشعير بالشعير ولا التمر بالتمر ولا الملح بالملح إلا سواء بسواء، عيناً بعين، يداً بيد، ولكن يبعوا الذهب بالورق، والورق بالذهب، والبر بالشعير، والشعير بالبر، والتمر بالملح، والملح بالتمر يداً بيد كيف شئتم - ونقص أحدهما الملح أو التمر وزاد أحدهما: من زاد وازداد فقد أربى»^(١).

روي هذا الحديث من طرق عن محمد بن سيرين عن مسلم بن يسار وعبد الله بن عتيق عن عبادة فالنبي ﷺ نص على ستة أشياء.

وذهب عامة أهل العلم إلى أن حكم الربا يثبت في هذه الأشياء الست بالأوصاف فيها فيتعدى إلى كل مال توجد فيه تلك الأوصاف، ثم اختلفوا في تلك الأوصاف، فذهب قوم: إلى أن المعنى في جميعها واحد وهو النفع وأثبتوا الربا في جميع الأموال، وذهب الأكثرون إلى أن الربا يثبت في الدراهم والدنانير بوصف وفي الأشياء المطعومة بوصف آخر، واختلفوا في ذلك الوصف فقال قوم: ثبت في الدراهم والدنانير بوصف، النقدية، وهو قول مالك والشافعي، وقال قوم: ثبت بعلقة الوزن وهو قول أصحاب الرأي وأثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحوها.

وأما الأشياء الأربعة فذهب قوم إلى أن الربا يثبت فيها بعلقة الكيل وهو قول أصحاب الرأي، وأثبتوا الربا في جميع المكيلات مطعوماً كان أو غير مطعوم كالجص والنورة ونحوها، وذهب جماعة إلى أن العلة فيها الطعام مع الكيل والوزن، فكل مطعوم وهو مكيل أو موزون يثبت فيه الربا، ولا يثبت فيما ليس بمكيل ولا موزون، وهو قول سعيد بن المسيب، وقاله الشافعي رحمه الله في القديم، وقال في الجديد: يثبت فيه الربا بوصف الطعام، وأثبت الربا في جميع الأشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والأدوية مكيلة كانت أو موزونة لما روي عن معمر بن عبد الله قال: كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «الطعام بالطعام مثلاً بمثل»^(٢).

(١) رواه مسلم: في المساقاة - باب: الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً برقم (١٥٨٧) ٣/١٢١٠.

والمصنف في شرح السنة: ٥٦/٨.

(٢) رواه مسلم: في المساقاة - باب: بيع الطعام مثلاً بمثل برقم (١٥٩٢) ٣/١٢١٤.

والمصنف في شرح السنة ٥٨/٨.

فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان ثمناً أو مطعوماً، والربا نوعان: ربا الفضل وربا النساء، فإذا باع مال الربا بجنسه مثلاً بمثل بأن باع أحد النقدين بجنسه أو باع مطعوماً بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحوها يثبت فيه كلا نوعي الربا حتى لا يجوز إلا متساويين في معيار الشرع، فإن كان موزوناً كالدرهم والدنانير فيشترط المساواة في الوزن، وإن كان مكياً كالحنطة والشعير يبيع بجنسه، فيشترط المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد، وإذا باع مال الربا بغير جنسه نظر: إن باع بما لا يوافق في وصف الربا مثل أن باع مطعوماً بأحد النقدين فلا ربا فيه، كما لو باعه بغير مال الربا، أو إن باعه بما يوافق مع الوصف مثل أن باع الدرهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو باع مطعوماً بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا الفضل حتى يجوز متفاضلاً أو جُزأفاً^(١) ويثبت فيه ربا النساء حتى يشترط التقابض في المجلس، وقول النبي ﷺ «لا تبيعوا الذهب بالذهب — إلى أن قال — إلا سواء بسواء» فيه إيجاب المماثلة وتحريم الفضل عند اتفاق الجنس، وقوله «عيناً بعين» فيه تحريم النساء، وقوله «بدأ بيد كيف شئتم» فيه إطلاق التفاضل عند اختلاف الجنس مع إيجاب التقابض في المجلس، هذا في ربا المبايع.

ومن أقرض شيئاً بشرط أن يرد عليه أفضل فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ تذكير وتخويف، وإنما ذُكر الفعل رداً إلى الوعظ ﴿فَاتَّبَعِي﴾ عن أكل الربا ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أي ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفور له ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ بعد النهي إن شاء عصمته حتى يثبت على الانتهاء، وإن شاء خذله حتى يعود، وقيل: ﴿أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس إليه من أمر نفسه شيء ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ بعد التحريم إلى أكل الربا مستحلاً له ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا محمد بن المثني حدثني غندر، أخبرنا شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه أنه قال: إن النبي ﷺ نهي عن ثمن الدم وثن الكلب وكسب البغي، ولعن أكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة والمصور^(٢).

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني، أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أخبرنا مسلم بن الحجاج، أخبرنا زهير بن حرب، أخبرنا هشيم أخبرنا أبو الزبير عن جابر رضي الله قال: لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكتابه

(١) بيع الشيء لا يعلم كيله ولا وزنه، فارسي معرب.

(٢) رواه البخاري: في البيوع — باب: موكل الربا ٣١٤/٤ وفي اللباس والطلاق.

والمصنف في شرح السنة: ٢٥/٨.

وشاهديه، وقال: «هم سواء»^(١).

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو محمد المخلدي، أنا أبو حامد بن الشرقي أخبرنا أحمد بن يوسف المسلمي، أخبرنا النضر بن محمد، أخبرنا عكرمة بن عمار، أخبرنا يحيى هو ابن أبي كثير قال: حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ / «الربا سبعون باباً أهونها عند الله عز وجل كالذي ينكح أمه»^(٢).

٥٠ / أ

قوله تعالى ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ أي ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ يعني لا يقبل منه صدقة ولا جهاداً ولا حجاً ولا صلة ﴿ويبري الصدقات﴾ أي يثمرها ويبارك فيها في الدنيا، ويضاعف بها الأجر والثواب في العقبى ﴿والله لا يحب كل كفار﴾ بتحریم الربا ﴿أثيم﴾ فاجر بأكله.

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ قال عطاء وعكرمة: نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما وكانا قد أسلفا في التمر فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر: إن أنتم أخذتما حقكما لا يبقى لي ما يكفي عيالي فهل لكما أن تأخذنا النصف وتؤخرنا النصف وأضعف لكما؟ ففعلا، فلما حل الأجل طلبا الزيادة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنهأهما فأنزل الله تعالى هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذنا رؤوس أموالهما^(٣).

وقال السدي: نزلت في العباس ونخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا إلى بني عمرو بن عمير، ناس من ثقيف، فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي ﷺ في حجة الوداع في خطبته يوم عرفة «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوعة كلها، وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فإنها

(١) رواه مسلم: في المساقاة — باب: لعن آكل الربا وموكله برقم (١٥٩٨) ١٢١٨/٣.

والمصنف في شرح السنة: ٥٤/٨.

(٢) رواه ابن ماجه في التجارات — باب التقليل في الربا ٧٦٤/١ قال في الزوائد: وفي إسناده نجيح بن عبد الرحمن أبو معشر متفق على تضعيفه وقال ابن حجر: نجيح بن عبد الرحمن السدي بكسر المهملة وسكون النون المدني، أبو معشر، وهو مولى بني هاشم مشهور بكنيته ضعيف من السادسة، أسن واختلط، مات سنة ١٧٠ ويقال: كان اسمه عبد الرحمن بن الوليد بن هلال (تقريب).

وانظر فيض القدير ٥١/٤ وكشف الخفاء ٥٠٨/١ فقد عزاه للحاكم والطبراني.

(٣) أسباب النزول للواحد ص ٨٧.

موضوعة كلها»^(١).

وقال مقاتل: نزلت في أربعة إخوة من ثقيف، مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم وكانوا يربون فلما ظهر النبي ﷺ على الطائف أسلم هؤلاء الإخوة فطلبوا رباهم من بني المغيرة، فقال بنو المغيرة: والله ما نعطي الربا في الإسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين، فاختصموا إلى عتاب بن أسيد وكان عامل رسول الله ﷺ على مكة فكتب عتاب بن أسيد إلى النبي ﷺ بقصة الفريقين وكان ذلك مالا عظيماً فأنزل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾^(٢).

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ أي إذا لم تذر ما بقي من الربا ﴿فَأَذْنُوا بْحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قرأ حمزة وعاصم برواية أبي بكر فأذنوا بالمد على وزن آمنوا، أي فأعلموا غيركم أنكم حرب لله ورسوله، وأصله من الأذن أي أوقعوا في الآذان، وقرأ الآخرون فأذنوا مقصوراً بفتح الذال أي فاعلموا أنتم وأيقنوا بحرب من الله ورسوله، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب، قال أهل المعاني: حرب الله: النار وحرب رسول الله: السيف.

﴿وإن تبتم﴾ إن تركتم استحلال الربا ورجعتم عنه ﴿فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون﴾ بطلب الزيادة ﴿ولا تظلمون﴾ بالنقصان عن رأس المال فلما نزلت الآية قال بنو عمرو الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم: بل نتوب إلى الله، فإنه لا يدان لنا بحرب الله ورسوله، فرضوا برأس المال، فشكا بنو المغيرة العسرة وقالوا: أخرونا إلى أن تدرك الغلات فأبوا أن يؤخروا فأنزل الله تعالى ﴿وإن كان ذو عسرة﴾ يعني وإن كان الذي عليه الدين معسراً، رفع الكلام باسم كان ولم يأت لها بخبر وذلك جائز في النكرة، تقول، إن كان رجل صالح فأكرمه، وقيل «كان» بمعنى وقع، وحينئذ لا يحتاج إلى خبر، قرأ أبو جعفر عسرة بضم السين ﴿فظنوا﴾ أمر في صيغة الخبر تقديره فعليه نظرة ﴿إلى ميسرة﴾ قرأ نافع ميسرة بضم السين وقرأ الآخرون بفتحها وقرأ مجاهد ميسرة بضم السين مضافاً ومعناها اليسار والسعة ﴿وأن تصدقوا﴾ أي تركوا رؤوس أموالكم إلى المعسر ﴿خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ قرأ عاصم تصدقوا بتخفيف الصاد والآخرون بتشديدها.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان، أخبرنا أبو العباس إسماعيل بن عبد الله الميكالي، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى بن عبدان الحافظ، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن عمرو بن السرح، أخبرنا ابن وهب عن جرير عن حازم عن أيوب عن يحيى

(١) انظر: أسباب النزول للواحد ص ٨٧، وسبق تخرج خطبة يوم عرفة في ص (٢١٩) هامش (٢) وص (٢٢٩).

(٢) انظر: لباب النقول للسيوطي ص ١١٩، ١٢١.

ابن أبي كثير عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه أنه كان يطلب رجلاً بحق فاختبأ منه فقال: ما حملك على ذلك قال: العسرة، فاستحلفه على ذلك فحلف فدعا بصكِّه فأعطاه إياه وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أنجاه الله من كرب يوم القيامة»^(١).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرِّيَّاني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا إسرائيل عن منصور عن ربي عن أبي مسعود رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ «إن الملائكة لتَلَقُّ رُوحَ رجل كان قبلكم فقالوا هل عملت خيراً قط؟ قال: لا، قالوا: تذكر، قال: لا، إلا أني رجل كنت أداين الناس فكنت أمر فتياي أن ينظروا الموسر ويتجاوزوا عن المعسر، قال الله تبارك وتعالى «تجاوزوا عنه»^(٢).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرِّيَّاني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا أحمد بن عبد الله، أخبرنا زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربي عن أبي اليسر قال سمعت النبي ﷺ يقول «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»^(٣).

* فصل في الدين وحسن قضائه وتشديد أمره *

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا أبو الوليد، أخبرنا شعبة، أخبرنا سلمة بن كهيل قال: سمعت أبا سلمة بنمي يحدث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً تقاضى رسول الله ﷺ فأغظ له فهم به أصحابه فقال: دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً، واشتروا له بعيراً فأعطوه إياه، قالوا: لا نجد إلا أفضل من سيئه قال: «اشتروه فأعطوه إياه فإن خياركم أحسنكم قضاء»^(٤).

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو

(١) رواه مسلم: في المساقاة — باب: فضل إنظار المعسر برقم (١٥٦٣) ١١٩٦/٣.

والمصنف في شرح السنة: ١٩٦/٨ باللفظ نفسه.

(٢) رواه البخاري: في البيوع، باب: من أنظر معسراً ٣٠٧/٤.

ومسلم: في المساقاة — باب: فضل إنظار المعسر عن حذيفة برقم (١٥٦٠) ١١٩٤/٣.

والمصنف في شرح السنة: ١٩٧/٨.

(٣) أخرجه مسلم: مطولاً في الزهد — باب: حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر برقم (٣٠٠٦) ٢٣٠١/٤ — ٢٣٠٢.

والمصنف في شرح السنة: ١٩٨/٨.

(٤) أخرجه البخاري في الوكالة — باب: الوكالة في قضاء الدين ٤٨٣/٤ وفي الاستقراض والهبة.

ومسلم: في المساقاة — باب: من استسلف شيئاً فقضى خيراً منه (وخيركم أحسنكم قضاء) برقم (١٦٠١) ١٢٢٥/٣.

والمصنف في شرح السنة: ١٩٤/٨.

مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظَلَمٌ وَإِذَا تُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلْءِ فُلَيْتَيْعٍ»^(١).

أخبرنا / عبد الوهاب بن محمد الخطيب ، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ، أخبرنا أبو . ٥/ب
العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا إبراهيم بن سعيد بن إبراهيم عن أبيه عن عمر بن
أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مَعْلُوقَةٌ بِدِينِهِ حَتَّى
يُقَضَى عَنْهُ»^(٢).

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي، أخبرنا أبو إسحق الهاشمي، أخبرنا أبو
مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن عبد الله بن أبي قتادة
الأنصاري عن أبيه أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل
الله صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، يكفر الله عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ «نعم» فلما أدير
ناداه رسول الله ﷺ، أو أمر به فنودي، فقال رسول الله ﷺ: «كيف قلت؟» فأعاد عليه قوله، فقال
رسول الله ﷺ «نعم إلا الدين» كذلك قال جبريل^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ قرأ أهل البصرة بفتح التاء أي تصيرون إلى الله، وقرأ
الآخرون بضم التاء وفتح الجيم، أي: تردون إلى الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ، فقال له جبريل
عليه السلام ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله ﷺ واحداً
وعشرين يوماً، وقال ابن جريج: تسع ليال، وقال سعيد بن جبيرة: سبع ليال، ومات يوم الاثنين لليلتين
خلتا من شهر ربيع الأول حين زاغت الشمس سنة إحدى عشرة من الهجرة، قال الشعبي عن ابن عباس

(١) أخرجه البخاري في الحوالات. باب الحوالة وهل يرجع في الحوالة ٤/ ٤٦٤ ومسلم في المساقاة. باب تحريم مظل الغني وصحة الحوالة
برقم (١٥٦٤) ٣/ ١١٩٧.

والمصنف في شرح السنة ٨/ ٢١٠.

(٢) أخرجه الترمذي: في الجنائز — باب: ما جاء أن نفس المؤمن معلقة بدنيه حتى يقضى عنه ٤/ ١٩٣ وقال هذا حديث حسن.

وابن ماجه: في الصدقات — باب: التشديد في الدين ٢/ ٨٠٦.

وأحمد: ٢/ ٤٤٠، ٤٧٥، ٥٠٨ عن أبي هريرة.

والدارمي: بيوع ٥٢ باب: ما جاء في التشديد في الدين ٢/ ٢٦٢.

والشافعي: ٢/ ٢٢٦ وقال الشوكاني: رجال إسناده ثقات إلا عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن، وهو صدوق يخطيء: نيل الأوطار

١٤/٥.

والمصنف في شرح السنة: ٨/ ٢٠٢ وقال هذا حديث حسن.

(٣) أخرجه مسلم: في الإمامة — باب: من قتل في سبيل الله كفرت خطاياها إلا الدين برقم (١٨٨٥) ٣/ ١٥٠١.

والمصنف في شرح السنة: ٨/ ٢٠٠.

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ
بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ
وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ
الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِكْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا
شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ
الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذْكَرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا
وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ
لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ
وَإِنْ تَفَعَلُوا فَإِنَّهُ سَوْفَ يُعْزَبُ بِكُمْ وَأَنْتُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

رضي الله عنهما آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ آية الربا (١).

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما لما حرم الله الربا أباح السَّلَمَ وقال: أشهد أن السلف المضمون إلى أجل مسمى قد أحله الله تعالى في كتابه وأذن فيه ثم قال «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ».

قوله: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ أي تعاملتم بالدين، يقال: دايته إذا عاملته بالدين وإنما قال ﴿بدين﴾ بعد قوله تداينتم لأن المداينة قد تكون مجازاة وتكون معاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ، وقيل: ذكره

(١) في معرفة آخر ما نزل اختلاف، فقد روى الشيخان عن البراء بن عازب قال: آخر آية نزلت «يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله» (النساء - ١٧٦).

وأخر سورة نزلت سورة براءة.

وأخرج البخاري عن ابن عباس، قال: آخر آية نزلت آية الربا.

وروى البيهقي عن عمر مثله، وعند أحمد وابن ماجه عن عمر: من آخر ما نزل آية الربا.

وأخرج النسائي عن ابن عباس قال: آخر شيء نزل من القرآن: «واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله» (سورة البقرة - ٢٨١) وأخرج مثله ابن جرير والفرطاني، وهو مروى عن سعيد بن جبير... إلخ وهناك أقوال أخرى، ويمكن التوفيق والجمع بين الأقوال بأن بعضها ينصب على آخر ما نزل من السور، وبعضها بالنسبة للآيات وبعضها بالنسبة لموضوع الآيات، فهي أواخر نسبية. انظر بالتفصيل: الإتيان في علوم القرآن للسيوطي: ١٠١/١ - ١٠٦، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم.

وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَنْ أَمِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمْنَتَهُ. وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ. وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ دَخَلَ فِي قَلْبِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

تأكيداً كقوله تعالى: «ولا طائر يطير بجناحيه» (٣٨ - الأنعام) ﴿إلى أجل مسمى﴾ الأجل مدة معلومة الأول والآخر، والأجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محله، وفي القرض لا يلزم الأجل عن أكثر أهل العلم ﴿فاكتبوه﴾ أي اكتبوا الذي تداينتم به، يبعاً كان أو سلماً أو قرضاً.

واختلفوا في هذه الكتابة: فقال بعضهم: هي واجبة، والأكثر على أنه أمر استحباب فإن ترك فلا بأس كقوله تعالى «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض» (١٠ - الجمعة) وقال بعضهم كانت كتابة الدين والإشهاد والرهن فرضاً ثم نسخ الكل بقوله «فإن أمن بعضهم بعضاً فليؤدِّ الذي اتّمن أمانته» وهو قول الشعبي ثم بين كيفية الكتابة فقال جل ذكره ﴿وليكتب بينكم﴾ أي ليكتب كتاب الدين بين الطالب والمطلوب ﴿كاتب بالعدل﴾ أي بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخير ﴿ولا يأب﴾ أي لا يمتنع ﴿كاتب أن يكتب﴾ واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد، فذهب قوم إلى وجوبها إذا طولب وهو قول مجاهد، وقال الحسن تجب إذا لم يكن كاتب غيره، وقال قوم هو على الندب والاستحباب، وقال الضحاک كانت عزيمة واجبة على الكاتب والشاهد فنسخها قوله تعالى «ولا يضار كاتب ولا شهيد» ﴿كما علمه الله﴾ أي كما شرعه الله وأمره ﴿فليكتب ولمل الذي عليه الحق﴾ يعني: المطلوب يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه، والإملاء والإملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد، جاء بهما القرآن، فالإملاء ها هنا، والإملاء قوله تعالى: «فهي تمل عليه بكرة وأصيلاً» (٥ - الفرقان) ﴿وليتق الله ربه﴾ يعني المملّ ﴿ولا يخس منه شيئاً﴾ أي ولا ينقص منه، أي من الحق الذي عليه شيئاً.

﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً﴾ أي جاهلاً بالإملاء، قاله مجاهد، وقال الضحاک والسدي: طفلاً صغيراً، وقال الشافعي رحمه الله، السفيه: المبذر المفسد ماله أو في دينه.

قوله ﴿أو ضعيفاً﴾ أي شيخاً كبيراً وقيل هو ضعيف العقل لِعَتِهِ أو جنون ﴿أو لا يستطيع أن يمل هو﴾ لخرس أو عي أو عجمة أو حبس أو غيبة لا يمكنه حضور الكاتب أو جهل بما لهُ وعليه ﴿فليمل وليه﴾ أي قيمه ﴿بالعدل﴾ أي بالصدق والحق، وقال ابن عباس رضي الله عنه ومقاتل: أراد بالولي صاحب الحق، يعني إن عجز من عليه الحق من الإملاء فليمل ولي الحق وصاحب الدين بالعدل لأنه

أعلم بحقه، ﴿واستشهدوا﴾ أي وأشهدوا ﴿شاهدين﴾ أي شاهدين ﴿من رجالكم﴾ يعني الأحرار المسلمين، دون العبيد والصبيان والكفار، وهو قول أكثر أهل العلم، وأجاز شرح وابن سيرين شهادة العبيد ﴿فإن لم يكونا رجلين﴾ أي لم يكن الشاهدان رجلين ﴿فرجل وامرأتان﴾ أي فليشهد رجل وامرأتان.

وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال في الأموال حتى تثبت برجل وامرأتين واختلفوا في غير الأموال فذهب جماعة إلى أنه تجوز شهادتهن مع الرجال في غير العقوبات، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي، وذهب جماعة إلى أن غير المال لا يثبت إلا برجلين عدلين وذهب الشافعي رحمه الله إلى أن ما يطَّلَع عليه النساء غالباً كالولادة والرضاع والثبوة والبركة ونحوها يثبت بشهادة رجل وامرأتين، وبشهادة أربع نسوة، واتفقوا على أن شهادة النساء غير جائزة في العقوبات.

قوله تعالى: ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ يعني من كان مرضياً في ديانته وأمانته، وشرائطه [قبول] ^(١) الشهادة سبعة: الإسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وانتفاء التهمة، فشهادة الكافر مردودة لأن المعروفين بالكذب عند الناس لا تجوز شهادتهم، فالذي يكذب على الله تعالى أولى أن يكون مردود الشهادة، وجوز أصحاب الرأي شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض، ولا تقبل شهادة العبيد، وأجازها شرح وابن سيرين وهو قول أنس بن مالك رضي الله عنه، ولا قول للمجنون حتى يكون له شهادة، ولا تجوز شهادة الصبيان سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذلك؟ فقال: لا تجوز، لأن الله تعالى يقول: ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ والعدالة شرط، وهي أن يكون الشاهد محتسباً للكبائر غير مصرّاً على الصغائر، والمروءة شرط، وهي ما يتصل بآداب النفس مما يعلم أن تاركه قليل الحياء، وهي حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة، فإن كان الرجل يظهر من نفسه في شيء منها ما يستحي أمثاله من إظهاره في الأغلب يعلم به قلة مروءته وترد شهادته، وانتفاء / التهمة شرط حتى لا تقبل شهادة العدو على العدو وإن كان مقبول الشهادة على غيره، لأنه متهم في حق عدوه، ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وإن كان مقبول الشهادة عليهما، ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته إلى نفسه نفعاً، كالوارث يشهد على رجل بقتل مورثه، أو يدفع عن نفسه بشهادته ضرراً كالمشهود عليه يشهد بجرح من يشهد عليه لتمكن التهمة في شهادته.

١/٥١

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسن المروزي، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان، أخبرنا علي بن عبد العزيز المكي، أخبرنا أبو عبيد القاسم ابن سلام أخبرنا مروان الفزاري عن شيخ من أهل الحيرة يقال له يزيد بن زياد عن الزهري عن عروة عن

(١) في نسخة ب (وجوب).

عائشة رضي الله عنها ترفعه «لا تجوز شهادة حائن ولا خائنة ولا ذي غمْر على أخيه ولا ظنين في ولاء ولا قرابة ولا القانع»^(١) مع أهل البيت»^(٢).

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ قرأ حمزة إن تضل بكسر الألف ﴿فتذكر﴾ برفع الراء، ومعناه الجزاء والابتداء، وموضع تضل جزم بالجزاء إلا أنه لا يتبين في التضعيف «فتذكر» رفع لأن ما بعد فاء الجزاء مبتدأ، وقراءة العامة بفتح الألف ونصب الراء على الاتصال بالكلام الأول، وتضل محله نصب بأن فتذكر منسوق عليه، ومعنى الآية: فرجل وامرأتان كي تذكر ﴿إحدهما الأخرى﴾ ومعنى تضل أي تنسى، يريد إذا نسيت إحدهما شهادتها، تذكرها الأخرى فتقول ألسنا حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا؟ قرأ ابن كثير وأهل البصرة: فتذكر مخففاً، وقرأ الباقون مشدداً، وذكر وأذكر بمعنى واحد، وهما متعديان من الذَّكَر الذي هو ضد النسيان، وحكي عن سفیان بن عيينة أنه قال: هو من الذَّكَر أي تجعل إحدهما الأخرى ذكراً أي تصير شهادتهما كشهادة ذكر، والأول أصح لأنه معطوف على النسيان.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ قيل أراد به إذا ما دعوا لتحمل الشهادة، سماهم شهداء على معنى أنهم يكونون شهداء وهو أمر إيجاب عند بعضهم، وقال قوم: تجب الإجابة إذا لم يكن غيره فإن وجد غيره (فهو مخير)^(٣) وهو قول الحسن، وقال قوم: هو أمر ندب وهو مخير في جميع الأحوال، وقال بعضهم، هذا في إقامة الشهادة وأدائها فمعنى الآية «ولا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا» لأداء الشهادة التي تحملوها، وهو قول مجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبیر، وقال الشعبي: الشاهد بالخيار ما لم يشهد، وقال الحسن: الآية في الأمرين جميعاً في التحمل والإقامة إذا كان فارغاً.

﴿وَلَا تَسَامُوا﴾ أي ولا تملوا ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ والهاء راجعة إلى الحق ﴿صغيراً﴾ كان الحق ﴿أو كبيراً﴾ قليلاً كان أو كثيراً ﴿إِلَى أَجَلِهِ﴾ إلى محل الحق ﴿ذَلِكَ﴾ أي الكتاب ﴿أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ لأنه أمر به، واتباع أمره أعدل من تركه ﴿وَأَقُومَ لِلشَّهَادَةِ﴾ لأن الكتابة تذكر الشهود ﴿وَأَدْنَى﴾ وأحرى وأقرب إلى ﴿أَلَا تَرْتَابُوا﴾ تشكروا في الشهادة ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ قرأهما

(١) السائل.

(٢) رواه الترمذي: في الشهادات — باب: فمن لا تجوز شهادته ٥٨٠/٦ — ٥٨٢ وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن زياد الدمشقي ويزيد يضعف في الحديث ولا يعرف هذا الحديث من حديث الزهري إلا من حديثه، وأخرجه الدارقطني والبيهقي وفيه (ولا ذي غمْر لأخيه) وفي سننه يزيد بن زياد الدمشقي، وهو متروك كما عرفت، وقال أبو زرعة في العلل: (هو حديث منكر) وضعفه عبد الحق وابن حزم وابن الجوزي.

وابن ماجه: في الأحكام — باب من لا تجوز شهادته: ٢٣٦٦/٢ وفي الزوائد: في إسناده حجاج بن أرطاة وكان يدللس وقد رواه بالنعنة، وهذه رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، (ذي غمْر: الغمْر: الحقد والعداوة).

وأحمد: ٢٠٤/٢، ٢٠٨، ٢٢٥، ٢٢٦ عن عبدالله بن عمرو.

والمصنف في شرح السنة: ١٢٣/١٠ وقال: هذا حديث غريب ويزيد بن زياد الدمشقي منكر الحديث.

(٣) ساقط من (ب) والكلام بصيغة الجمع.

عاصم بالنصب على خبر كان وأضمر الاسم، مجازه: إلا أن تكون التجارة تجارة (حاضرة)^(١) أو المبايعه تجارة، وقرأ الباقون بالرفع وله وجهان:

أحدهما: أن تجعل الكون بمعنى الوقوع معناه إلا أن تقع تجارة.

والثاني: أن تجعل الاسم في التجارة والخبر في الفعل وهو قوله ﴿تديرونها بينكم﴾ تقديره إلا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم، ومعنى الآية إلا أن تكون تجارة حاضرة يداً بيد تديرونها بينكم ليس فيها أجل ﴿فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها﴾ يعني التجارة ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ قال الضحّاك: هو عزم من الله تعالى، والإشهاد واجب في صغير الحق وكبيره نقداً أو نسيئاً، وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: الأمر فيه إلى الأمانة لقوله تعالى «فإن أمن بعضهم بعضاً» الآية، وقال الآخرون هو أمر ندب.

قوله تعالى: ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ هذا نهي للغائب، وأصله يضارر، فأدغمت إحدى الراءين في الأخرى ونصبت لحق التضعيف لاجتماع الساكنين، واختلفوا فيه فمنهم من قال: أصله يضارر بكسر الراء الأولى، وجعل الفعل للكاتب والشهيد، معناه لا يضار الكاتب فيأبى أن يكتب ولا الشهيد فيأبى أن يشهد، ولا يضار الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحرف ما أملي عليه ولا الشهيد فيشهد بما لم يستشهد عليه، وهذا قول طاووس والحسن وقتادة، وقال قوم: أصله يضارر بفتح الراء على الفعل المجهول وجعلوا الكاتب والشهيد مفعولين ومعناه أن يدعو الرجل الكاتب أو الشاهد وهما على شغل مهم، فيقولان: نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي إن الله أمركم أن تحببوا ويلح عليهما فيشغلها عن حاجتهما فنهى عن ذلك وأمر بطلب غيرها ﴿وإن تفعلوا﴾ ما نهيتكم عنه من الضرر ﴿فإنه فسوق بكم﴾: أي معصية وخروج عن الأمر ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم﴾ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة ﴿قرأ ابن كثير وأبو عمرو فرهن بضم الهاء والراء، وقرأ الباقون فرهان، وهو جمع رهن مثل بغل وبغال وجبل وجبال، والرهن جمع الرهان جمع الجمع، قاله الفراء والكسائي، وقال أبو عبيد^(٢) وغيره: هو جمع الرهن أيضاً مثل سقف وسقوف وقال أبو عمرو وإنما قرأنا فرهن ليكون فرقاً بينهما وبين رهان الخيل، وقرأ عكرمة فرهن بضم الراء وسكون الهاء، والتخفيف والتثقيل في الرهن لغتان مثل كُتِبَ وكتب ورُسِّلَ ورُسل ومعنى الآية: وإن كنتم على سفر ولم تجدوا آلات الكتابة فارتهنوا ممن تداينونه رهوناً لتكون وثيقة لكم بأموالكم، واتفقوا على أن الرهن لا يتم إلا بالقبض، وقوله «فرهان مقبوضة» أي ارتهنوا واقبضوا حتى لو رهن ولم يسلم فلا يجبر الراهن على التسليم فإذا سلم لزم من جهة الراهن حتى لا يجوز له أن يسترجعه ما دام شيء من الحق باقياً، ويجوز في الحضرة الرهن مع وجود الكاتب، وقال مجاهد: لا يجوز الرهن إلا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية، وعند الآخرين

(١) ساقط من نسخة (ب).

(٢) في نسخة ب أبو عبيدة.

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ
يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

خرج الكلام في الآية على الأعم الأغلب لا على سبيل الشرط.

والدليل عليه ما روي أن النبي ﷺ رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي ولم يكن ذلك في السفر ولا عند عدم كاتب (١) ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ وفي حرف أبي «فإن ائتمن» يعني فإن كان الذي عليه الحق أميناً عند صاحب الحق فلم يرتهن منه شيئاً لحسن ظنه به.

﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي ائْتَمَنَ أَمَانَتَهُ﴾ أي فليقضه على الأمانة ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في أداء الحق، ثم رجع إلى خطاب الشهود وقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ / إذا دعيتم إلى إقامتها نهى عن كتمان الشهادة وأوعد عليه فقال ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثَمُ قَلْبِهِ﴾ أي فاجر قلبه، قيل: ما أوعد الله على شيء كإيعاده على كتمان الشهادة، قال: «فإنه آثم قلبه» وأراد به مسخ القلب، نعوذ بالله من ذلك ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من بيان الشهادة وكتابتها ﴿عَلِيمٌ﴾ .

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً [وأهلها له عبيد وهو مالكمهم] (٢) ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ بِحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
اختلف العلماء في هذه الآية، فقال قوم: هي خاصة ثم اختلفوا في وجه [خصوصها] (٣) فقال بعضهم: هي متصلة بالآية الأولى نزلت في كتمان الشهادة (٤) أو تخفوا الكتمان بحاسبكم به الله وهو قول الشعبي وعكرمة، وقال بعضهم: نزلت فيمن يتولى الكافرين دون المؤمنين، يعني وإن تعلقنا ما في أنفسكم من ولاية الكفار أو تسبوا بحاسبكم به الله، وهو قول مقاتل كما ذكر في سورة آل عمران «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين» إلى أن قال «قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله» (٥) ٢٩ — آل عمران).

(١) رواه البخاري: في الجهاد — باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب ٩٩/٦ ونصه: (توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعر) عن عائشة.

ومسلم: في المساقاة — باب: الرهن وجوازه في الحضر والسفر برقم (١٦٠٣) ١٢٢٦/٣ عن عائشة بلفظ: (اشترى رسول الله ﷺ من يهودي طعاماً بنسيئة، فأعطاه درعاً له رهناً)، والمصنف في شرح السنة: ١٨٢/٨.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) في ب تخصيصها.

(٤) في ب معناه وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه أيها الشهود.

ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ ۚ
 وَرُسُلِهِ ۚ لَا فَرْقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا
 وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا
 اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا
 حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَائِفَةٍ لَنَا بِهِ ۚ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ
 لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

وذهب الأكثرون إلى أن الآية عامة ثم اختلفوا فيها فقال قوم: هي منسوخة بالآية التي بعدها^(١).

والدليل عليه ما أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى
 الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا مسلم بن الحجاج، حدثني محمد بن المنهال الضريير
 وأميه بن بسطام العيشي واللفظ له قال: أخبرنا يزيد بن زريع أنا روح وهو ابن القاسم عن العلاء عن أبيه
 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما أنزل الله على رسوله ﷺ «الله ما في السموات وما في الأرض وإن
 تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» الآية قال: اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ
 فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله ﷺ كُلفنا من الأعمال ما نطيع:
 الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها قال رسول الله ﷺ: «أتريدون
 أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك
 المصير﴾ فلما قرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه
 والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا
 غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً
 إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ قال نعم ﴿ربنا ولا
 تحمِلْ علينا إصراً كما حمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قال نعم ﴿ربنا ولا تحمِلْنَا مَا لَطَائِفُ لَنَا بِهِ﴾ قال نعم
 ﴿واعفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال نعم^(٢).

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما بمعناه^(٣)، وقال في كل ذلك: قد فعلت، بدل

(١) انظر: النسخ والنسخ لأبي القاسم بن سلامة ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) رواه مسلم في الإيمان، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق، برقم (١٩٩) ١/١١٥.

(٣) انظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق برقم (٢٠٠) ١/١١٦.

قوله نعم، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وإليه ذهب محمد بن سيرين ومحمد ابن كعب وقتادة والكلبي.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصفهاني، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه، أخبرنا يعقوب بن يوسف القزويني، أخبرنا القاسم بن الحكم العرني، أخبرنا مسعر بن كدام عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل تجاوز عن أمتي ما وسوست به أنفسها ما لم تتكلم ما أو تعمل به»^(١).

وقال بعضهم الآية غير منسوخة لأن النسخ لا يرد على الأخبار وإنما يرد على الأمر والنهي وقوله ﴿يَحْسَبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ خير لا يرد عليه النسخ، ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم: قد أثبت الله تعالى للقلب كسباً فقال «بما كسبت قلوبكم» (٢٢٥ — البقرة) فليس لله عبدٌ أسرَّ عملاً أو أعلنه من حركة من جوارحه أو همسة في قلبه إلا يخبره الله به ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء، وهذا معنى قول الحسن يدل عليه قوله تعالى «إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا» (٣٦ — الإسراء) وقال الآخرون: معنى الآية أن الله عز وجل يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم أو أخفوه ويعاقبهم عليه، غير أن معاقبته على ما أخفوه مما لم يعلموه بما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والأمور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال: «يا عائشة هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى الشوكة والبضاعة يضعها في كفه فيفقدتها فيروع لها حتى إن المؤمن يخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير»^(٢).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث، حدثني يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن سنان عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة»^(٣).

(١) رواه البخاري: في الإيمان — باب: إذا حثت ناسياً ٥٤٩/١١ وفي العتق والطلاق.

ومسلم: في الإيمان — باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر برقم (٢٠٢) ١١٦/١ — ١١٧. والمصنف في شرح السنة: ١٠٨/١.

(٢) رواه الترمذي في تفسير سورة البقرة ٣٣٨/٨ وقال: هذا حديث حسن غريب من حديث عائشة لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة، وأبو داود الطيالسي في مسنده ص (٢٢١). وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وأحمد ٢١٨/٦ عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه الترمذي: في الزهد — باب في الصبر على البلاء ٧٧/٧ وقال: هذا حديث حسن غريب.

والمصنف في شرح السنة: ٢٤٥/٥.

ورواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن عبيد الله العرزمي وهو ضعيف — مجمع الزوائد ١٠/١٩١ — ١٩٢. ميزان الاعتدال ٥٨٥/٢.

وقال بعضهم ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم﴾ يعني ما في قلوبكم مما عزمتم عليه ﴿أو تخفوه بحاسبكم به الله﴾ ولا تبدوه وأنتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فأما ما حدثت به أنفسكم مما لم تعزموا عليه فإن ذلك مما لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ولا يؤاخذكم به، دليله قوله تعالى «لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم» (٢٢٥ - البقرة).

وقال عبد الله بن المبارك: قلت لسفيان: أيؤاخذ العبد بالهمة قال: إذا كان عزمًا أخذ بها، وقيل معنى المحاسبة الإخبار والتعريف، ومعنى الآية: وإن تبدوا ما في أنفسكم فعملوا به أو تخفوه مما أضرتم ونويتم يحاسبكم به الله ويجزيكم به ويعرفكم إياه، ثم يغفر للمؤمنين إظهاراً لفضله، ويعذب الكافرين إظهاراً لعدله، وهذا معنى قول الضحاك، ويروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، يدل عليه أنه قال: يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به، والمحاسبة غير المؤاخذه والدليل عليه ما أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي الزراد، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب، أنا عيسى بن أحمد العسقلاني، أنا يزيد بن هارون، أنا همام بن يحيى/ عن قتادة عن صفوان بن محرز قال: كنت آخذاً بيد عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فأتاه رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في التجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى يدين المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه يستره من الناس فيقول: أي عبدي أتعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم أي رب ثم يقول أي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال فإني سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين»^(١) (١٨ - هود).

١/٥٢

قوله تعالى: ﴿فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ رفع الراء والياء أبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب وجزمهما الآخرون، فالرفع على الابتداء والجزم على النسق، روى طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما، فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير، «لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون والله على كل شيء قدير» (٢٣٠ - الانبياء).

قوله تعالى: ﴿آمن الرسول﴾ أي صدق ﴿بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله﴾ يعني كل واحد منهم، ولذلك وحّد الفعل ﴿وملائكته وكتبه ورسله﴾ قرأ حمزة والكسائي: كتابه، على الواحد يعني القرآن، وقيل معناه الجمع وإن ذكر بلفظ التوحيد كقوله تعالى: «فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب» (٢١٣ - البقرة) وقرأ الآخرون وكتبه بالجمع كقوله تعالى: «وملائكته وكتبه ورسله» (١٣٦ - النساء)، ﴿لانفرق بين أحد من رسله﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت

(١) رواه البخاري: في المظالم - باب: قوله تعالى (اللعنة الله على الظالمين) ٩٦/٥.

اليهود والنصارى، وفيه إضمار تقديره يقولون لا نفرق، وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء فيكون خبراً عن الرسول، أو معناه لا يفرق الكل وإنما قال «بين أحد» ولم يقل بين آحاد لأن الأحد يكون للواحد والجمع قال الله تعالى: «فما منكم من أحد عنه حاجزين» (٤٧ - الحاقة) ﴿وقالوا سمعنا﴾ قولك ﴿وأطعنا﴾ أمرك.

روى عن حكيم عن جابر رضي الله عنهما أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ حين نزلت هذه الآية: إن الله قد أثنى عليك وعلى أمتك فسل تعطه، فسأل بتلقين الله تعالى فقال ﴿غفرانك﴾^(١) وهو نصب على المصدر أي اغفر غفرانك، أو نسألك غفرانك ﴿وبنا وإليك المصير﴾ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ ظاهر الآية قضاء الحاجة، وفيها إضمار السؤال كأنه قال: وقالوا لا تكلفنا إلا وسعنا، وأجاب أي لا يكلف الله نفساً إلا وسعها أي طاقتها، والوسع: اسم لما يسع الإنسان ولا يضيق عليه، واختلفوا في تأويله فذهب ابن عباس رضي الله عنه وعطاء وأكثر المفسرين إلى أنه أراد به حديث النفس الذي ذكر في قوله تعالى ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ كما ذكرنا، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هم المؤمنون خاصة، وسع عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم فيه إلا ما يستطيعون كما قال الله تعالى: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» (١٨٥ - البقرة) وقال الله تعالى: «وما جعل عليكم في الدين من حرج» (٧٨ - الحج) وسئل سفيان بن عيينة عن قوله عز وجل ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ قال: إلا يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها، وهذا قول حسن لأن الوسع ما دون الطاقة.

قوله تعالى: ﴿ها ما كسبت﴾ أي للنفس ما عملت من الخير، لها أجره وثوابه ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ من الشر وعليها وزره ﴿وبنا لا تؤاخذنا﴾ أي لا تعاقبنا ﴿إن نسينا﴾ جعله بعضهم من النسيان الذي هو السهو، قال الكلبي كانت بنو إسرائيل إذا نسوا شيئاً مما أمروا به أو أخطؤوا عجلت لهم العقوبة، فحرم عليهم من شيء من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب، فأمر الله المؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك، وقيل هو من النسيان الذي هو الترك كقوله تعالى: «نسوا الله فسيهم» (٦٧ - التوبة).

قوله تعالى: ﴿أو أخطأنا﴾ قيل معناه القصد والعمد يقال: أخطأ فلان إذا تعمد، قال الله تعالى: «إن قتلهم كان خطأً كبيراً» (٣١ - الإسراء) قال عطاء: إن نسينا أو أخطأنا يعني: أن جهلنا أو تعمدنا، وجعله الأكثرون من الخطأ الذي هو الجهل والسهو، لأن ما كان عمداً من الذنب فغير معفو عنه بل هو في مشيئة الله، والخطأ معفو عنه قال النبي ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما

(١) أخرج الطبري وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم عن حكيم بن جابر قال: لما نزلت آمن الرسول، قال جبريل للنبي ﷺ: إن الله عز وجل قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك فسل تعطه، فسأل: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) حتى ختم السورة بمسألة محمد ﷺ انظر تفسير الطبري: ١٢٩/٦ والدر المنثور: ١٣٣/٢.

استكروها عليه»^(١).

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ أي عهداً ثقيلاً وميثاقاً لا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ يعني اليهود، فلم يقوموا به فعذبتهم، هذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والسدي والكلبي وجماعة يدل عليه قوله تعالى: «وأخذتم على ذلكم إصري» (٨١ — آل عمران) أي عهدي، وقيل: معناه لا تشدد ولا تغلظ الأمر علينا كما شددت على من قبلنا من اليهود، وذلك أن الله فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربع أموالهم في الزكاة ومن أصاب ثوبه نجاسة قطعها ومن أصاب ذنباً أصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحوها من الأثقال والأغلال، وهذا معنى قول عثمان وعطاء ومالك بن أنس وأبي عبيدة وجماعة يدل عليه قوله تعالى: «ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم» (١٥٧ — الأعراف) وقيل: الإصر ذنب لا توبة له، معناه اعصمنا من مثله، والأصل فيه العقل والإحكام.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَالًا طَاقَةً لَنَا بِهِ﴾ أي لاتلكننا من الأعمال مالا نطيعه وقيل هو حديث النفس والوسوسة حكى عن مكحول أنه قال: هو الغلظة، قيل الغلظة: شدة الشهوة، وعن إبراهيم قال: هو الحب، وعن محمد بن عبد الوهاب قال: العشق وقال ابن جريج: هو مسخ القردة والخنازير وقيل هو شماتة الأعداء، وقيل: هو الفرقة والقطيعة نعوذ بالله منها.

قوله تعالى: ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ أي تجاوز وآمخ عنا ذنوبنا ﴿وَاعْفُرْ لَنَا﴾ استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا ﴿وَارْحَمْنَا﴾ فإننا لانال العمل إلا بطاعتك، ولا نترك معصيتك إلا برحمتك ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ ناصرنا وحافظنا وولينا ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

روى سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل ﴿غَفْرَانِكَ رَبَّنَا﴾ قال الله تعالى «قد غفرت لكم» وفي قوله لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا قال: «لا أوأخذكم» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ قال: «لا أحمل عليكم إصراً» ﴿وَلَا تَحْمِلْنَا مَالًا طَاقَةً لَنَا بِهِ﴾ قال: «لا أحملكم» ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ إلى آخره قال «قد عفوت عنكم، وغفرت لكم، ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين»^(٢). وكان معاذ بن جبل إذا ختم سورة البقرة قال: آمين.

(١) لقد اشتهر بهذا اللفظ في كتب الفقه والأصول والمعروف ما أخرجه ابن ماجه في كتاب الطلاق باب طلاق المكره والناسي من طريق الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن عطاء عن ابن عباس بلفظ: (إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروها عليه» رجاله كلهم ثقات ولكن يوجد فيه انقطاع بين ابن عباس وعطاء وأشار إلى هذا البصري في الزوائد فقال إسناده صحيح إن سلم من الانقطاع وقد ورد بألفاظ أخرى يقوي بعضها بعضاً.

انظر إرواء الغليل بتحقيق الشيخ الألباني ١٢٣/١ والمعتبر في تخرج أحاديث المنهاج، والمختصر للزركشي ص ١٥٤.

(٢) ذكره الطبري عند تفسير الآية: ١٤٢/٦ — ١٤٣ وانظر تعليق محمود شاكر في الحاشية.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم ابن محمد بن سفيان ، أنا مسلم بن الحجاج ، أنا أبو بكر بن أبي شيبة / أنا أبو أسامة حدثني مالك بن معول عن الزبير بن عدي عن طلحة بن علي بن مصرف عن مرة عن عبد الله قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدره المنتهى وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يُعْرَجُ به من الأرض فيقبضُ منها، وإليها ينتهي ما يُهْبَطُ به فوقها فيقبضُ منها قال: «إذ يغشى السدره ما يغشى» (١٦ — النجم) قال: فراش من ذهب قال: وأعطني رسول الله ﷺ ثلاثاً: الصلوات الخمس وأعطيت خواتيم سورة البقرة، وغُفِرَ لمن لا يشرك بالله من أمته شيئاً من المُقَحَّمَاتِ»^(١) كباائر الذنوب.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين الإسفراييني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ، أنا يونس وأحمد بن شيبان قالوا: ثنا سفيان بن عيينة عن منصور عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبي مسعود رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كَفَتَاهُ»^(٢).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أنا العلاء بن عبد الجبار، أنا حماد بن سلمة، أخبرنا الأشعث بن عبد الرحمن الجرمي، عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا تقرأن في دار ثلاث ليال فيقرها شيطان»^(٣).

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب في ذكر سدره المنتهى، برقم (١٧٣): ١٥٧/١.

(٢) رواه البخاري: في المغازي — باب: رقم ١٢ — ٣١٧/٧ — ٣١٨ وفي فضائل القرآن.

ومسلم: في صلاة المسافرين — باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة برقم (٢٥٥) و (٢٥٦) ٥٥٤/١ — ٥٥٥.

والمصنف في شرح السنة: ٤/٤٦٤، واختلف في معناه فقيل: أجزاءه عن قيام الليل، وقيل: كفتاه أجراً وفضلاً، وقيل: كفتاه من كل شيطان أو من كل آفة.

(٣) رواه الترمذي. في ثواب القرآن — باب: ما جاء في آخر سورة البقرة: ١٩٠/٨ وقال: هذا حديث غريب.

وابن حبان: في التفسير — تفسير سورة البقرة برقم (١٧٢٦) ص ٤٢٧ من موارد الظمان.

وأحمد: ٤/٢٧٤ عن النعمان بن بشير.

والدارمي: في الفضائل — باب: فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي: ٤٤٩/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٤/٤٦٧ — وقال: هذا حديث غريب — انظر حاشية شرح السنة.

نفس البغوي

«معالم التنزيل»

للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي
(المتوفى - ٥١٦هـ)

المجلد الثاني

حقيقه وخج أحاديثه

محمد عبد الرحمن
عنهان محمد بن عبد الله
سليمان بن مسعود

دار طيف للنشر والتوزيع



الرياض - شارع عسير - ص. ب : ٧٦١٢

تليفون : ٤٣٥٩٣٧ / ٤٣٥٩٧٤٠

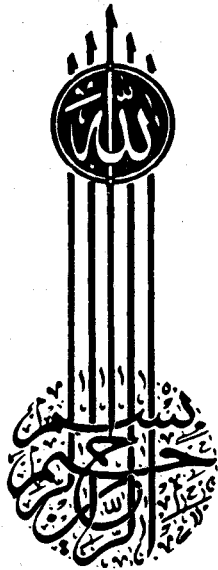
جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

نفس البغوي

«معالم التنزيل»



سورة آل عمران مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ

يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، قوله تعالى ﴿ألم الله﴾ قال الكلبي والربيع بن أنس وغيرهما: نزلت هذه الآيات في وفد نجران وكانوا ستين راكباً قدموا على رسول الله ﷺ وفيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم: العاقب: أمير القوم وصاحب مشورتهم، الذي لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح، والسيد: ثمالهم وصاحب رحلهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم وحبهم.

دخلوا مسجد رسول الله ﷺ حين صلى العصر، عليهم ثياب الجبرأت — جبب وأردية في [جمال] (١) رجال بلحارث بن كعب، يقول من رآهم: ما رأينا وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «دعوهم»، فوصلوا إلى المشرق، [فسلم] (٢) السيد والعاقب فقال لهما رسول الله ﷺ «أسلما» قالوا أسلمنا قبلك قال «كذبتما يمنعكما من الإسلام ادعوا كما لله ولداً وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير»، قالوا: إن لم يكن عيسى ولداً لله فمن يكن أبوه؟ وخاصموه جميعاً في عيسى، فقال لهم النبي ﷺ: «ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه؟» قالوا بلى قال: «ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه» قالوا: بلى، قال: «فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟» قالوا: لا، قال: «ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟» قالوا: بلى، قال: «فهل يعلم عيسى عن ذلك [شيئاً] إلا ما علم؟»، قالوا: لا، قال: «فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء [وربنا ليس بذي صورة وليس له مثل] (١) وربنا لا يأكل ولا يشرب»، قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يغذي الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث؟»، قالوا: بلى، قال: «فيكيف يكون هذا كما زعمتم؟»، فسكتوا، فأنزل الله تعالى صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها (٣).

(١) ساقط من «ب»

(٢) في «ب» فكلم.

(٣) أخرجه ابن اسحاق في السيرة: ٤٥/٢ — ٤٦ من سيرة ابن هشام، والطبري في التفسير: ١٥١/٦ — ١٥٣ وعزاه السيوطي أيضاً =

مِن قَبْلِ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ
عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي
يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَإِلَهِ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾

فقال عز من قائل: ﴿آلم الله﴾ مفتوح الميم، موصول عند العامة، وإنما فتح الميم لالتقاء الساكنين،
حرك إلى أخف الحركات، وقرأ أبو يوسف ويعقوب بن خليفة الأعشى عن أبي بكر: ﴿آلم الله﴾ مقطوعاً
سكن الميم على نية الوقف ثم قطع الهمزة للابتداء وأجراه على لغة من يقطع ألف الوصل.

قوله تعالى ﴿الله﴾ ابتداء وما بعده خبر، والحي القيوم نعت له ﴿نزل عليك الكتاب﴾ أي القرآن
﴿بالحق﴾ بالصدق ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوات والأخبار وبعض
الشرائع ﴿وأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ﴾ وإنما قال: وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، لأن التوراة والإنجيل أنزلا
جملة واحدة، وقال في القرآن «نزل» لأنه نزل مفصلاً، والتنزيل للتكثير، والتوراة قال البصريون: أصلها
وَوْرِيَّةٌ على وزن فوعلة، مثل: دوحلة وحوقلة، فحولت الواو الأولى تاءً وجعلت الياء المفتوحة ألفاً فصارت
توراة، ثم كتبت بالياء على أصل الكلمة، وقال الكوفيون: أصلها تفعلت مثل توصية وتوفية فقلبت الياء ألفاً
على لغة طيء فإنهم يقولون للجارية جارة، وللتوصية توصاة، وأصلها من قولهم: ورى الزند إذا خرجت
ناره، وأوربته أنا، قال الله تعالى: «أفأرأيتم النار التي تورون» (الواقعة — ٧١) فسمي التوراة لأنها نور
وضياء، قال الله تعالى: «وضياء وذكرى للمتقين» (الأنبياء — ٤٨) وقيل هي من التوراة وهي كتابان
[السر] (١) والتعريض بغيره، وكان أكثر التورية، معارض من غير تصريح.

والإنجيل: إفعال من النجل وهو الخروج ومنه سمي الولد نجلاً لخروجه، فسمي الإنجيل به لأن الله
تعالى أخرج به دارساً من الحق عافياً، ويقال: هو من أُنْجِلَ وهو سعة العين، سمي به لأنه أنزل سعة لهم
ونوراً، وقيل: التوراة بالعبرانية تور، وتور معناه الشريعة، والإنجيل بالسريانية أنقليون ومعناه الإكليل.

قوله تعالى: ﴿هدى للناس﴾ هادياً لمن تبعه ولم يثنه لأنه مصدر ﴿وأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ المفرق بين الحق
والباطل، وقال السدي: في الآية تقديم وتأخير تقديرها وأنزل التوراة والإنجيل والفرقان هدى للناس.

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام﴾ إن الله لا
يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء * هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء * ذكراً أو أنثى،

= لابن المنذر عن محمد بن جعفر بن الزبير. انظر الدر المنثور ١٤١/٢ — ١٤٢ .

(١) في «ب» اليقين .

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ
تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو
الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾

أبيض أو أسود، حسناً أو قبيحاً، تاماً أو ناقصاً، ﴿لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ وهذا في الرد على وفد
نجران من النصارى، حيث قالوا: عيسى ولد الله، فكأنه يقول: كيف يكون لله ولد وقد صوره الله تعالى في
الرحم.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الأنصاري، أنا
أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، أنا علي بن الجعد، أنا أبو خيثمة زهير بن معاوية،
عن الأعمش، عن زيد بن وهب، قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: حدثنا رسول الله ﷺ وهو
الصادق المصدوق «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، / ثم
يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه الملك» أو قال: «يبعث إليه الملك بأربع كلمات فيكتب رزقه
وعمله وأجله وشقي أو سعيد» قال: «وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينها وبينه غير
ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما
يكون بينها وبينه غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»^(١).

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني، أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أنا أبو أحمد بن عيسى
الجلودي، أنا أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا مسلم بن الحجاج، أنا محمد بن عبد الله بن
نمير، حدثنا سفيان بن عيينه، عن عمرو بن دينار، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد يبلغ به النبي
ﷺ قال: «يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول: يارب
أشقي أو سعيد؟ فيكتب ذلك، فيقول: يارب أذكر أم أنثى؟ فيكتبان، ويكتب عمله وأجله ووزقه ثم
تطوى الصحف فلا يزداد فيها ولا ينقص»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق — باب: ذكر الملائكة: ٣٠٣/٦ وفي الأنبياء وفي القدر ومسلم في القدر — باب: كيفية الخلق

الآدمي في بطن أمه ... برقم (٢٦٤٣) ٢٠٣٧ — ٢٠٣٦/٤

والمصنف في شرح السنة: ١٢٨/١ — ١٢٩

(٢) أخرجه مسلم في القدر — باب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ... برقم (٢٦٤٤) ٣٧/٤

قوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات﴾ مبینات مفصلات، سميت محكمات من الإحكام، كأنه أحكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها ﴿هن أم الكتاب﴾ أي أصله الذي يعمل عليه في الإحكام، وإنما قال: (هن أم الكتاب) ولم يقل أمهات الكتاب، لأن الآيات كلها في تكاملها واجتماعها كآلية الواحدة، وكلام الله واحد، وقيل: معناه كل آية منهن أم الكتاب كما قال: «وجعلنا ابن مريم وأمه آية» (٥٠ - المؤمنون) أي كل واحد منهما آية ﴿وأخر﴾ جمع أخرى ولم يصرفه لأنه معدول عن الآخر، مثل: عمر وزفر ﴿متشابهات﴾ فإن قيل كيف فرق هاهنا بين المحكم والمتشابه وقد جعل كل القرآن محكماً في موضع آخر؟ فقال: «الر، كتاب أحكمت آياته» (١ - هود) وجعله كله متشابهاً [في موضع آخر] (١) فقال: «الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً» (٢٣ - الزمر).

قيل: حيث جعل الكل محكماً، أراد أن الكل حق ليس فيه عبث ولا هزل، وحيث جعل الكل متشابهاً أراد أن بعضه يشبه بعضاً في الحق والصدق وفي الحسن، وجعل هاهنا بعضه محكماً وبعضه متشابهاً.

واختلف العلماء فيهما، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: المحكمات هن الآيات الثلاث في سورة الأنعام «قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم» (١٥١) ونظيرها في بني إسرائيل، «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه» (٢٣ - الإسراء) الآيات، وعنه أنه قال: المتشابهات حروف التهجي في أوائل السور.

وقال مجاهد وعكرمة: المحكم ما فيه الحلال والحرام وما سوى ذلك متشابه يشبه بعضه بعضاً في الحق ويصدق بعضه بعضاً، كقوله تعالى: «وما يضل به إلا الفاسقين» (٢٦ - البقرة) «ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون» (١٠٠ - يونس).

وقال قتادة والضحاك والسدي: المحكم الناسخ الذي يعمل به، والمتشابه المنسوخ الذي يؤمن به ولا يعمل به. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: محكمات القرآن ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به، والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به، وقيل: المحكمات ما أوقف الله الخلق على معناه والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه لا سبيل لأحد إلى علمه، نحو الخبر عن أشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام، وطلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة، وفناء الدنيا.

وقال محمد بن جعفر بن الزبير: المحكم مالا يحتتمل من التأويل غير وجه واحد، والمتشابه ما احتمل أوجهاً.

(١) ساقط من «ب»

وقيل: المحكم ما يعرف معناه وتكون حججها واضحة ودلائلها لائحة لا تشبهه، والمتشابه هو الذي يدرك علمه بالنظر، ولا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل. وقال بعضهم: المحكم ما يستقل بنفسه في المعنى، والمتشابه مالا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية [باذان]^(١): المتشابه حروف التهجي في أوائل السور، وذلك أن رهطاً من اليهود منهم حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ونظراؤهما، أتوا النبي ﷺ، فقال له حيي: بلغنا أنه أنزل عليك (الم) فنشذك الله أنزلت عليك؟ قال: «نعم» قال: فإن كان ذلك حقاً فإني أعلم مدة ملك أمتك، هي إحدى وسبعون سنة فهل أنزل غيرها؟ قال: «نعم (المص)» قال: فهذه أكثر هي إحدى وستون ومائة سنة، قال: فهل غيرها؟ قال: «نعم (الر)». قال: هذه أكثر هي مائتان وإحدى وسبعون سنة ولقد خلطت علينا فلا ندري أبكثيره نأخذ أم بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فأنزل الله تعالى: «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات»^(٢).

﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ أي ميل عن الحق وقيل شك ﴿فيتبعون ما تشابه منه﴾ واختلفوا في المعنى بهذه الآية. قال الربيع: هم وفد نجران خاصموا النبي ﷺ في عيسى عليه السلام، وقالوا له: ألسنت تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟ قال: «بلى»، قالوا: حسينا، فأنزل الله هذه الآية.

وقال الكلبي: هم اليهود طلبوا علم أجل هذه الأمة واستخراجها بحساب الجمل. وقال ابن جريج: هم المنافقون، وقال الحسن: هم الخوارج، وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ قال: إن لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا أدري من هم، وقيل: هم جميع المبتدعة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد ابن إسماعيل، أنا عبد الله بن مسلمة، أنا يزيد بن إبراهيم التستري، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضي الله عنهما قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات» — إلى قوله «أولو الألباب» قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم»^(٣).

(١) ساقط من «ب»

(٢) أخرجه الطبري في التفسير مطولاً: ٢١٦/١ — ٢١٨

وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرجه بن اسحاق والبخاري في تاريخه وابن جرير بسند ضعيف، الدر المنثور ٥٧/١ وذكره ابن كثير في التفسير: ٧٦/١، وقال: هذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن لا يصح بما انفرد به وانظر تعليق الشيخ محمود محمد شاكر على تفسير الطبري ٢١٨/١ — ٢٢٠

(٣) أخرجه البخاري في التفسير — في تفسير سورة آل عمران — باب: تنوع آيات محكمات: ٢٠٩/٨ ومسلم في العلم — باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه برقم: (٢٦٦٥) ٢٠٥٣/٤ والمصنف في شرح السنة: ٢٢٠/١ — ٢٢١

قوله تعالى: ﴿ابتغاء الفتنة﴾ طلب الشرك قاله الربيع والسدي، وقال مجاهد: ابتغاء الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالم ﴿وابتغاء تأويله﴾ تفسيره وعلمه، دليله قوله تعالى: «سَأْتِثُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا» (٧٨ — الكهف) وقيل: ابتغاؤه عاقبته، وهو طلب أجل هذه الأمة من حساب الجمل، دليله قوله تعالى «ذلك خير وأحسن تأويلاً» (٣٥ — الإسراء) أي عاقبة.

قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾ اختلف العلماء في نظم هذه الآية فقال قوم: الواو في قوله والراسخون واو العطف يعني: أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم ﴿يقولون آمنا به﴾ وهذا قول مجاهد والربيع، وعلى هذا يكون قوله «يقولون» حالاً معناه: والراسخون في العلم قائلين آمنا به، هذا كقوله تعالى: / «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى» (٧ — الحشر) ثم قال: «للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم» (٨ — الحشر) إلى أن قال: «والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم» (٩ — الحشر) ثم قال «والذين جاؤوا من بعدهم» (١٠ — الحشر) وهذا عطف على ماسبق، ثم قال: «يقولون ربنا اغفر لنا» (١٠ — الحشر) يعني هم مع استحقاقهم الفيء يقولون ربنا اغفر لنا، أي قائلين على الحال.

ب/٥٣

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول في هذه الآية: أنا من الراسخين في العلم، وروي عن مجاهد: أنا ممن يعلم تأويله.

وذهب الأكثرون إلى أن الواو في قوله «والراسخون» واو الاستئناف، وتم الكلام عند قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ وهو قول أبي بن كعب وعائشة وعروة بن الزبير رضي الله عنهم ورواية طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال الحسن وأكثر التابعين واختاره الكسائي والفراء والأخفش، وقالوا: لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله ويجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه لم يطلع عليه أحداً من خلقه، كما استأثر بعلم الساعة، ووقت طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال، ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام، ونحوها، والخلق متعبدون في المتشابه بالإيمان به، وفي الحكم بالإيمان به والعمل، وما يصدق ذلك قراءة عبد الله إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به، وفي حرف أبي: ويقول الراسخون في العلم آمنا به.

وقال عمر بن عبد العزيز: في هذه الآية انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا آمنا به كل من عند ربنا. وهذا قول أقيس في العربية وأشبهه بظاهر الآية.

قوله تعالى: ﴿والراسخون في العلم﴾ أي الداخلون في العلم، هم الذين أتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في معرفتهم شك، وأصله من رسوخ الشيء في الشيء وهو ثبوته يقال: رسخ الإيمان في قلب فلان يرسخ رسخاً ورسوخاً، وقيل: الراسخون في العلم علماء مؤمني أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾

وأصحابه، دليله قوله تعالى: «لكن الراسخون في العلم منهم» (١٦٢ - النساء) يعني [المدارسين] (١) علم التوراة وسئل مالك بن أنس رضي الله عنه عن الراسخين في العلم قال: العالم العامل بما علم المتبع له، وقيل: الراسخ في العلم من وجد في علمه أربعة أشياء: التقوى بينه وبين الله، والتواضع بينه وبين الخلق، والزهد بينه وبين الدنيا، والمجاهدة بينه وبين نفسه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والسدي: بقولهم آمنا به سماهم الله تعالى راسخين في العلم، فرسوخهم في العلم قولهم: آمنا به، أي بالمشابهة ﴿كل من عند ربنا﴾ المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا وما لم نعلم ﴿وما يذكر﴾ وما يتغبط بما في القرآن ﴿إلا أولوا الألباب﴾ ذوو العقول.

قوله تعالى: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ أي ويقول الراسخون: ربنا لا تزغ قلوبنا أي لا تملأها عن الحق والهدى كما أزغت قلوب الذين في قلوبهم زيف ﴿بعد إذ هديتنا﴾ وفقنا لدينك والإيمان بالمحكم والمتشابه من كتابك ﴿وهب لنا من لدنك﴾ أعطنا من عندك ﴿رحمة﴾ توفيقاً وتثبيتاً للذي نحن عليه من الإيمان والهدى، وقال الضحاك: تجاوزاً ومغفرة ﴿إنك أنت الوهاب﴾.

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي، أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد ابن عدي الحافظ، أنا أبو بكر بن عبد الرحمن بن القاسم القرشي يعرف بابن الرواس الكبير بدمشق، أنا أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني، أنا صدقة، أنا عبد الرحمن بن زيد بن جابر، حدثني بشر بن عبيد الله قال: سمعت أبا إدريس الخولاني يقول: حدثني النواس بن سميان الكلابي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن، إذا شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاعه، وكان رسول الله ﷺ يقول «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، والميزان بيد الرحمن يرفع قوماً ويضع آخرين إلى يوم القيامة» (٢).

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى، حدثنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا عبد الرحيم بن منيب، أنا يزيد بن هارون، أنا سعيد بن إياس الجريدي عن غنيم بن قيس عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل القلب كريحشة بأرض فلاة تقلبها

(١) في «ب» المدارسين

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند عن النواس: ١٨٢/٤

وابن ماجه في المقدمة - باب فيما أنكرت الجهمية: ٧٢/١ وقال في الزوائد: إسناد صحيح

والمصنف في شرح السنة: ١٦٦/١

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿١﴾
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُم
 وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ
 بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَابُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ
 جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾

الرياح ظهراً لبطن» (١).

قوله تعالى: ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم﴾ أي لقضاء يوم، وقيل: اللام بمعنى في، أي في يوم ﴿لا ريب فيه﴾ أي لا شك فيه، وهو يوم القيامة ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ وهو مفعول من الوعد.

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا لن تغني﴾ لن تغني ولن تدفع ﴿عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله﴾ قال الكلبي: من عذاب الله، وقال أبو عبيدة: من بمعنى عند، أي عند الله ﴿شيئاً وأولئك هم وقود النار، كذاب آل فرعون﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة ومجاهد: كفعال آل فرعون وصنيعهم في الكفر والتكذيب، وقال عطاء والكسائي وأبو عبيدة: كسنة آل فرعون، وقال الأخفش: كأمر آل فرعون وشأنهم، وقال النضر بن شميل: كعادة آل فرعون، يريد عادة هؤلاء الكفار في تكذيب الرسول وجحود الحق كعادة آل فرعون، ﴿والذين من قبلهم﴾ كفار الأمم الماضية، مثل عاد وثمود وغيرهم ﴿كذبوا بآياتنا فأخذهم الله﴾ فعاقبهم الله ﴿بذنوبهم﴾ وقيل نظم الآية: ﴿إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم﴾ عند حلول النعمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الأمم الحالية أخذناهم فلن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم ﴿والله شديد العقاب﴾.

قوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم﴾ قرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما، أي أنهم يغلبون ويحشرون، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما، على الخطاب، أي: قل لهم: أنكم ستغلبون وتحشرون. قال مقاتل: أراد مشركي مكة، معناه: قل لكفار مكة: ستغلبون يوم بدر وتحشرون إلى جهنم في الآخرة،

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة برقم (٨٨) ٣٤/١ والإمام أحمد في المسند: ٤٠٨/٤ عن أبي موسى الأشعري بإسناد صحيح والمصنف في شرح السنة: ١٦٤/١

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الثَّقَاتِ فَعَثُوا نَقْتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى
كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾

فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبي ﷺ يوم بدر «إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم»^(١).

وقال بعضهم: المراد بهذه الآية: اليهود، وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن يهود أهل المدينة قالوا لما هزم رسول الله ﷺ المشركين يوم بدر: هذا — والله — النبي الذي بشرنا به موسى لا ترد له راية، وأرادوا اتباعه، ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى تنظروا إلى وقعة له أخرى، فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله ﷺ شكوا فغلب عليهم الشقاء، فلم يسلموا، وقد كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد إلى مدة فنقضوا ذلك العهد، وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكباً إلى مكة ليستفزهم، فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية.

أ/٥٤

وقال محمد بن إسحاق عن رجاله ورواه سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً: أنه لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً ببدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع، وقال: «يامعشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم مثل ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم» فقالوا: يا محمد لا يفرنك أنك لقيت قوماً أعماراً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، وأنا والله لو قاتلناك لعرفت أنا نحن الناس، فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَابُونَ﴾^(١) تهزمون ﴿وتحشرون﴾ في الآخرة ﴿إلى جهنم﴾ ﴿ويئس المهاد﴾ الفرائس، أي يئس ما مهد لهم، يعني النار.

قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ ولم يقل قد كانت لكم، والآية مؤنثة لأنه ردها إلى البيان أي قد كان لكم بيان، فذهب إلى المعنى.

وقال الفراء: إنما ذُكِرَ لأنه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث، فذكر الفعل، وكل ما جاء من هذا النحو فهذا وجهه، فمعنى الآية: قد كان لكم آية أي عبرة ودلالة على صدق ما أقول أنكم ستغلبون. ﴿في فتنين﴾ فرقتين وأصلها فيء الحرب، لأن بعضهم يفيء إلى بعض ﴿الثقات﴾ يوم بدر ﴿فئة﴾ تقاتل في سبيل الله ﴿طاعة الله﴾ وهم رسول الله ﷺ وأصحابه، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، سبعة

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة عن ابن اسحاق: ١٢٠/٢

والطبري في التفسير: ٢٢٧/٦ وفي التاريخ: ٤٧٩/٢

زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ الْإِنْسَاءِ وَالْبَيْنِ وَالْقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ

وسبعون رجلاً من المهاجرين، ومائتان وستة وثلاثون من الأنصار، وصاحب راية المهاجرين على بن أبي طالب رضي الله عنه، وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة، وكان فيهم سبعون بعيراً وفرسان، فرس للمقداد بن عمرو، وفرس لمرثد بن أبي مرثد، وأكثرهم رجالة، وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف.

قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ أي فرقة أخرى كافرة، وهم مشركو مكة، وكانوا تسعمائة وخمسين رجلاً من المقاتلة، رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وفيهم مائة فرس، وكانت حرب بدر أول مشهد شهده رسول الله ﷺ ﴿يُرُونَهُمْ مِثْلِهِمْ﴾ قرأ أهل المدينة ويعقوب بالتاء، يعني ترون يا معشر اليهود أهل مكة مثلي المسلمين، وذلك أن جماعة من اليهود كانوا حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة فرأوا المشركين مثلي عدد المسلمين ورأوا النصره مع ذلك للمسلمين فكان ذلك معجزة وآية، وقرأ الآخرون بالياء، واختلفوا في وجهه: فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين، ثم له تأويلان، أحدهما يرى المسلمون المشركين مثلهم كما هم، فإن قيل: كيف قال: مثلهم وهم كانوا ثلاثة أمثالهم؟ قيل: هذا مثل قول الرجل وعنده درهم أنا أحتاج إلى مثلي هذا الدرهم يعني إلى مثليه سواء فيكون ثلاثة دراهم، والتأويل الثاني — وهو الأصح — كان المسلمون يرون المشركين مثلي عدد أنفسهم، قللهم الله تعالى في أعينهم حتى رأوهم ستمائة وستة وعشرين، ثم قللهم الله في أعينهم في حالة أخرى حتى رأوهم مثل عدد أنفسهم. قال ابن مسعود رضي الله عنه: نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً. ثم قللهم الله تعالى أيضاً في أعينهم حتى رأوهم عدداً يسيراً أقل من أنفسهم [قال ابن مسعود رضي الله عنه] ^(١): حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، قال بعضهم: الرؤية راجعة إلى المشركين يعني يرى المشركون المسلمين مثلهم، قللهم الله قبل القتال في أعين المشركين ليجترئ المشركون عليهم ولا ينصرفوا فلما أخذوا في القتال كثرتهم الله في أعين المشركين ليجبنوا وقللهم في أعين المؤمنين ليجترؤوا، فذلك قوله تعالى «وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم» (٤٤ — الأنفال).

قوله تعالى: ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ أي في رأي العين نصب بنزع حرف الصنعة ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مِنْ يَشَاءُ، إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لذوي العقول، وقيل لمن أبصر الجمعين. قوله تعالى: ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ جمع شهوة وهي ما تدعو النفس إليه ﴿مِنَ النَّسَاءِ﴾

(١) ساقط من (أ)

الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾

بدأ بهن لأنهن حباتل الشيطان ﴿والبنين والقناطير﴾ جمع قنطار واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس: القنطار المال الكثير بعضه على بعض، وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: القنطار ألف ومائتا أوقية، وقال ابن عباس رضي الله عنهما [والضحاك] (١): ألف ومائتا مثقال. وعنهما رواية أخرى اثنا عشر ألف درهم وألف [دنيار] (٢) دية أحدم، وعن الحسن القنطار دية أحدم، وقال سعيد بن جبير وعكرمة: هو مائة ألف ومائة من مائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم، ولقد جاء الإسلام يوم جاء بمكة مائة رجل قد قنطروا، وقال سعيد بن المسيب وقاتدة: ثمانون ألفاً، وقال مجاهد سبعون ألفاً، وعن السدي قال: أربعة آلاف مثقال، وقال الحكم: القنطار ما بين السماء والأرض من مال، وقال أبو نضرة: ملء مسك ثور ذهباً أو فضة.

وسمي قنطاراً من الإحكام، يقال: قنطرت الشيء إذا أحكمته، ومنه سميت القنطرة.

قوله تعالى: ﴿المقنطرة﴾ قال الضحاك: المحصنة المحكمة، وقال قتادة: هي الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض، وقال يمان: [المدفونة] (٣)، وقال السدي المضروبة المنقوشة حتى صارت دراهم ودنانير، وقال [الفراء] (٤): المضعفة، فالقناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة ﴿من الذهب والفضة﴾ وقيل سمي الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا يبقى، والفضة لأنها تنفض أي تتفرق ﴿والخيل المسومة﴾ الخيل جمع لا واحد له من لفظه، واحدها فرس، كالقوم والنساء ونحوهما المسومة، قال مجاهد: هي المطهمة الحسان، وقال عكرمة: تسويمها حسنهما، وقال سعيد بن جبير: هي الراعية، يقال: أسام الخيل وسومها، قال الحسن وأبو عبيدة: هي المعلمة من السيماء، والسيماء العلامة، ثم منهم من قال: سيماها الشبه واللون وهو قول قتادة وقيل: الكي.

﴿والأنعام﴾ جمع النعم، وهي الإبل والبقر والغنم جمع لا واحد له من لفظه ﴿والحرث﴾ يعني الزرع ﴿ذلك﴾ الذي ذكرنا ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ يشير إلى أنها متاع يفنى ﴿والله عنده حسن المآب﴾ أي المرجع، فيه تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة.

(١) ساقط من أ

(٢) في ب درهم

(٣) في ب المدقومة

(٤) في أ السدي

﴿ قُلْ أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِيْنَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنْ أَلَلِّهِ وَاللَّهُ بَصِيْرٌ
 بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِيْنَ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ
 النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِيْنَ وَالصَّٰدِقِيْنَ وَالْقَانِتِيْنَ وَالْمُنْفِقِيْنَ وَالْمُسْتَغْفِرِيْنَ
 بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾

قوله تعالى ﴿قل أونيكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار،
 خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله﴾ قرأه العامة / بكسر الراء، وروى أبو بكر عن عاصم
 بضم الراء، وهما لغتان كالعدوان والعدوان. ٥٤/ب

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد
 ابن إسماعيل، أنا يحيى بن سليمان، حدثني ابن وهب، حدثني مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن
 يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة:
 يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون وما لنا لا
 نرضى يارب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون:
 يارب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»^(١).

قوله تعالى: ﴿والله بصير بالعباد الذين يقولون﴾ إن شئت جعلت محل الذين خفضاً رداً على قوله
 ﴿للذين اتقوا﴾ وإن شئت جعلته رفعاً على الابتداء، ويحتمل أن يكون نصباً تقديره أعني الذين يقولون
 ﴿ربنا إنا آمنة﴾ صدقنا ﴿فاغفر لنا ذنوبنا﴾ استرها علينا وتجاوز عنا ﴿وقنا عذاب النار، الصابرين
 والصادقين﴾ إن شئت نصبتها على المدح، وإن شئت خفضتها على النعت، يعني الصابرين في أداء الأمر
 وعن ارتكاب النهي، وعلى البأساء والضراء وحين البأس، والصادقين في إيمانهم، قال قتادة: هم قوم
 صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وألستهم فصدقوا في السر والعلانية ﴿والقانتين﴾ المطيعين المصلين
 ﴿والمنفقين﴾ أموالهم في طاعة الله ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ قال مجاهد وقاتادة والكلبي: يعني المصلين
 بالأسحار وعن زيد بن أسلم أنه قال: هم الذين يصلون الصبح، في الجماعة، وقيل بالسحر لقربه من

(١) أخرجه البخاري في التوحيد. باب: كلام الرب مع أهل الجنة: ٤٨٧/٣

ومسلم في الجنة. باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً برقم (٢٨٢٩) ٤/٢١٧٦

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

الصُّبْح، وقال الحسن: مداوا الصلاة إلى السحر ثم استغفروا، وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنه يجيئ الليل ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فأقول لا: فيعاود الصلاة فإذا قلت: نعم فقد يستغفر الله ويدعو، حتى يصبح.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو محمد بن الحسن بن أحمد المخلدي، حدثنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، أنا قتيبة، [بن سعيد] (١) أنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول: أنا الملك أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفري فأغفر له» (٢).

وحكي عن الحسن أن لقمان قال لابنه: يا بني لا تكن أعجز من هذا الديك يصوت من الأسحار وأنت نائم على فراشك.

قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ قيل: نزلت هذه الآية في نصارى نجران. وقال الكلبي: قدم حبران من أحبار الشام على النبي ﷺ فلما أبصرا المدينة قال: أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي ﷺ الذي يخرج في آخر الزمان؟ فلما دخلا عليه عرفاه بالصفة، فقالا له: أنت محمد، قال: نعم، قالا له: وأنت أحمد؟ قال: «أنا محمد وأحمد» قالا له: فإننا نسألك عن شيء فإن أخبرتنا به آمنة بك وصدقناك، فقال، أسألا فقالا أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأسلم الرجلان (٣).

قوله ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ أي بين الله لأن الشهادة تبين، وقال مجاهد: حكم الله [وقيل: علم الله] (٤) وقيل: أعلم الله أنه لا إله إلا هو.

(١) ساقط من (ب)

(٢) أخرجه البخاري في التهجد. باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل: ٢٩/٣، ومسلم في صلاة المسافرين، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه برقم (٧٥٨) ٥٢١/١

والمصنف في شرح السنة: ٦٣/٤ - ٦٤

(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان: ٤٠١/٢ - ٤٠٢، والحديث من رواية الكلبي وهو متهم بالكذب. وانظر فيما سيأتي تفسير الآية (٢٣) ص (٢٢٠٢١) وأسباب النزول للواحد ص (١٣٠).

(٤) ساقط من (ب)

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِثَايِتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: خلق الله الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة، فشهد بنفسه لنفسه قبل أن خلق الخلق حين كان ولم تكن سماء ولا أرض ولا بحر (١) فقال: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾.

وقوله: ﴿والملائكة﴾ أي وشهدت الملائكة، قيل: معنى شهادة الله الإخبار والإعلام، ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الإقرار. قوله تعالى ﴿وأولوا العلم﴾ يعني الأنبياء عليهم السلام.

وقال ابن كيسان يعني: المهاجرين والأنصار، وقال مقاتل: علماء مؤمني أهل الكتاب، عبد الله بن سلام وأصحابه. قال السدي والكلبي: يعني جميع علماء المؤمنين. ﴿قائماً بالقسط﴾ أي بالعدل. ونظم هذه الآية شهد الله قائماً بالقسط، نصب على الحال، وقيل: نصب على القطع، ومعنى قوله ﴿قائماً بالقسط﴾ أي قائماً بتدبير الخلق كما يقال: فلان قائم بأمر فلان، أي مدبر له ومتعهد لأسبابه، وقائم بحق فلان أي مجاز له فالله جل جلاله مدبر رازق مجاز بالأعمال.

﴿لا إله إلا هو العزيز الحكيم * إن الدين عند الله الإسلام﴾ يعني الدين المرضي الصحيح، كما قال تعالى: «ورضيت لكم الإسلام ديناً» (٣ - المائدة) وقال «ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه» (٨٥ - آل عمران) وفتح الكسائي الألف من أن الدين رداً على أن الأولى تقديره شهد الله أنه لا إله إلا هو وشهد أن الدين عند الله الإسلام، أو شهد الله أن الدين عند الله الإسلام بأنه لا إله إلا هو، وكسر الباقون الألف على الابتداء والإسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة، يقال: أسلم أي دخل في السلم واستسلم، قال قتادة في قوله تعالى ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله تعالى وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسلاً ودل عليه أوليائه [ولا يقبل غيره ولا يجزي إلا به] (٢).

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحق الثعلبي، أنا أبو عمرو الفراتي، أنا أبو موسى عمران بن موسى، أنا الحسن بن سفيان، أنا عمار بن عمر بن المختار، حدثني أبي عن غالب القطان قال: أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريباً من الأعمش وكنيت أختلف إليه فلما كنت ذات ليلة أردت أن أنحدر إلى

(١) للعلماء في هذه المسألة قولان: فمنهم من قال بأن الله خلق الأرواح أولاً، ومنهم من قال بأن الله تعالى خلق الأجساد أولاً، ولكل من

الفريقين أدلة استدلت بها على قوله. انظر: الروح لابن القيم ص (١٥٦ - ١٧٥)

(٢) ساقط من «أ»

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ
ءَأَسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدِ اهْتَكَدُوا أَوَانًا تَوْلَوْا فَيَأْتِيكُمْ عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ

بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾

البصرة، فإذا الأعمش قائم من الليل يتعبد، فمر بهذه الآية ﴿شهد الله أن لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ ثم قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ قالها مراراً، قلت لقد سمع فيها شيئاً، فصليت معه وودعته، ثم قلت: إني سمعتك تقرأ آية ترددها فما بلغك فيها؟ [قال لي: أوما بلغك ما فيها؟ قلت: أنا عندك منذ سنتين لم تحدثني] ^(١) قال: والله لا أحدثك بها إلى سنة، فكتبت على بابي ذلك اليوم وأقمت سنة، فلما مضت السنة قلت: يا أبا محمد قد مضت السنة قال: حدثني أبو وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله: إن لعبي هذا عندي عهداً، وأنا أحق من وفي بالعهد، أدخلوا عبي الجنة» ^(٢).

قوله تعالى: ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب﴾ قال الكلبي: نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام، أي وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد ﷺ إلا من بعد ما جاءهم العلم، يعني بيان نعتهم في كتبهم، وقال الربيع: إن موسى عليه السلام لما حضره الموت، دعا سبعين رجلاً من أحبار بني إسرائيل فاستودعهم / التوراة واستخلف يوشع بن نون، فلما مضى القرن الأول والثاني والثالث وقعت / الفرقة بينهم وهم الذين أوتوا الكتاب من أبناء أولئك السبعين حتى أهرقوا بينهم الدماء، ووقع للشر والاختلاف، وذلك من بعد ما جاءهم العلم يعني بيان ما في التوراة ﴿بغياً بينهم﴾ أي طلباً للملك والرياسة، فسלט الله عليهم الجبارة وقال محمد بن جعفر بن الزبير: نزلت في نصارى نجران ومعناها ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب﴾ يعني الإنجيل في أمر عيسى عليه السلام، وفرقوا القول فيه إلا من بعد ما جاءهم العلم بأن الله واحد وأن عيسى عبده ورسوله ﴿بغياً بينهم﴾ أي للمعاداة والمخالفة ﴿ومن يكفر

(١) ساقط من المخطوط، وأثبتناه من مجمع الزوائد

(٢) قال السيوطي: أخرجه ابن عدي والطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه والخطيب في تاريخه وابن النجار عن غالب القطان

انظر: الدر المنثور للسيوطي ١٦٦/٢، وذكره الهيثمي في المجمع ٣٢٥/٦ - ٣٢٦ وقال: رواه الطبراني وفيه عمر بن المختار، وهو ضعيف وذكر ابن الجوزي له عدة روايات وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ تفرد به عمر بن المختار، وعمر يحدث بالأباطيل، قال العقيلي: لا يتابع عمار على حديثه ولا يعرف إلا به. انظر: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي:

١٠٢/١ - ١٠٣ ميزان الاعتدال للذهبي: ٢٢٣/٣

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّكَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦١﴾

بآيات الله فإن الله سريع الحساب ﴿٦١﴾.

قوله تعالى: ﴿فإن حاجوك﴾ أي خاصموك يا محمد في الدين، وذلك أن اليهود والنصارى قالوا لسنا على ما سميتنا به يا محمد إنما اليهودية والنصرانية نسب، والدين هو الإسلام ونحن عليه فقال الله تعالى ﴿فقل أسلمت وجهي لله﴾ أي انقدت لله وحده بقلبي ولساني وجميع جوارحي، وإنما خص الوجه لأنه أكرم الجوارح من الإنسان وفيه بهأوه، فإذا خضع وجهه للشيء خضع له جميع جوارحه، وقال الفراء: معناه أخلصت عملي لله ﴿ومن اتبعن﴾ أي ومن اتبعني أسلم كما أسلمت، وأثبت نافع وأبو عمرو الياء في قوله تعالى (اتبعتني) على الأصل وحذفها الآخرون على الخط لأنها في المصحف بغير ياء.

وقوله: ﴿وقل للذين أتوا الكتاب والأمين﴾ يعني العرب ﴿أسلمتم﴾ لفظه استفهام ومعناه أمر، أي أسلموا كما قال «فهل أنتم منتهون» (٩١ - المائة) أي انتهوا، ﴿فإن أسلموا فقد اهتدوا﴾ فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فقال أهل الكتاب: أسلمنا، فقال لليهود: أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا: معاذ الله، وقال للنصارى: أتشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله^(١)؟ قالوا: معاذ الله أن يكون عيسى عبداً فقال الله عز وجل ﴿وإن تولوا فإنما عليك البلاغ﴾ أي تبليغ الرسالة وليس عليك الهداية ﴿والله بصير بالعباد﴾ عالم بمن يؤمن ومن لا يؤمن.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله﴾ يجحدون بآيات الله يعني القرآن، وهم اليهود والنصارى ﴿ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس﴾ قرأ حمزة: ويقاتلون الذين يأمرون، قال ابن جريج: كان الوحي يأتي على [أنبياء]^(١) بني إسرائيل، ولم يكن يأتيهم كتاب، فيذكرون قومهم فيقتلون، فيقوم رجال ممن اتبعهم وصدقهم فيذكرون قومهم فيقتلون أيضاً، فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن فنجويه الدينوري، أنا أبو نصر منصور بن جعفر النهاوندي، أنا أحمد بن يحيى بن الجارود، أنا محمد بن عمرو بن حيان، أنا محمد بن (حمير)^(٢)، أنا أبو الحسن مولى بني أسد عن مكحول عن قبيصة بن ذؤيب الخزاعي

(١) ساقط من (أ)

(٢) في «أ» غير، وهو خطأ

أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنَ
 نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ
 بَيْنَهُمْ ثُمَّ يُتَوَلَّوْنَ فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَمَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ، أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟ قال: «رجل قتل نبياً أو رجلاً»^(١) أمر بالمعروف ونهى عن المنكر» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ إلى أن انتهى إلى قوله ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ نَّاصِرِينَ﴾ ثم قال رسول الله ﷺ: «يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عبّاد بني إسرائيل أمروا من قتلهم بالمعروف ونهوه عن المنكر، فقتلوه جميعاً في آخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وأنزل الآية فيهم»^(٢) ﴿فبشروهم﴾ أخبرهم ﴿بعذاب أليم﴾ وجيع، وإنما أدخل الفاء على خبر إن وتقديره الذين يكفرون ويقتلون فبشروهم، لأنه لا يقال: أن زيدا فقام ﴿أولئك الذين حبطت﴾ بطلت ﴿أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾ وبطلان العمل في الدنيا أن لا يقبل في الآخرة ألا يجازى عليه.

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ يعني اليهود ﴿يدعون إلى كتاب الله﴾ اختلفوا في هذا الكتاب، فقال قتادة: هم اليهود دُعا إلى حكم القرآن فأعرضوا عنه.

وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: إن الله تعالى جعل القرآن حكماً فيما بينهم وبين رسول الله ﷺ، فحكم القرآن على اليهود والنصارى أنهم على غير الهدى فأعرضوا عنه، وقال الآخرون: هو التوراة.

روى سعيد بن جبيرة وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل رسول الله ﷺ بيت المدارس على جماعة من اليهود، فدعاهم إلى الله عز وجل. فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا محمد؟ فقال: على ملة إبراهيم، قالوا: إن إبراهيم كان يهودياً، قال رسول الله ﷺ:

(١) عطف «رجلاً» على «نبياً»

وفي الطبري: «أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف» عطفاً على «رجل».

(٢) أخرجه الطبري في التفسير: ٢٨٥/٦ - ٢٨٦

وعزه السيوطي لابن أبي حاتم: الدر المنثور: ١٦٨/٢

وقال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف: رواه البزار والطبراني وابن أبي حاتم والثعلبي من حديثه، وفيه أبو الحسن مولى بني أسد

وهو مجهول. انظر: الكافي الشاف ص ٢٥.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّمُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا
كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

«فهلّموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم» فأيا عليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١).

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً وامرأة من أهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم، فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم، فرفعوا أمرهما إلى رسول الله ﷺ ورجوا أن يكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان بن أوفى ويحري بن عمرو: جُرّت عليهما يا محمد ليس عليهما الرجم، فقال رسول الله ﷺ «بيني وبينكم التوراة» قالوا: قد أنصفتنا، قال «فمن أعلمكم بالتوراة» قالوا رجل أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا، فأرسلوا إليه فقدم المدينة، وكان جبيل قد وصفه لرسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ «أنت ابن صوريا؟» قال: نعم، قال: «أنت أعلم اليهود؟» قال: كذلك يزعمون قال: فدعا رسول الله ﷺ بشيء من التوراة، فيها الرجم مكتوب، فقال له: «اقرأ» فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها على رسول الله ﷺ. فقال عبد الله ابن سلام، يا رسول الله قد جاوزها فقام فرفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله ﷺ وعلى اليهود بأن المحسن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البينة فرجما، وإن كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها، فأمر رسول الله ﷺ باليهوديين فرجما، فغضب اليهود لذلك وانصرفوا فأنزل الله عز وجل ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله﴾^(٢) ﴿ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون﴾ ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم في دينهم ﴿والغرور هو الإطماع فيما لا يحصل منه شيء﴾ ﴿ما كانوا يفترون﴾ والافتراء اختلاق الكذب.

/ قوله تعالى: ﴿فكيف إذا جمعناهم﴾ أي فكيف حالهم أو كيف يصنعون إذا جمعناهم ﴿ليوم لا ريب فيه﴾ [وهو يوم القيامة]^(٣) ﴿ووفيت﴾ [وفرت]^(٣) ﴿كل نفس ما كسبت﴾ أي جزاء ما كسبت

ب/٥٥

(١) أخرجه الطبري في التفسير، عن ابن عباس: ٢٢٨/٦ - ٢٨٩، وابن هشام في السيرة: ٢٠١/٢، وعزاه السيوطي أيضاً: لابن

المنذر وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور: ١٧٠/٢، أسباب النزول ص (١٣١).

(٢) القصة من رواية الكلبي عن ابن عباس، والكلبي هذا هو: أبو النصر، محمد بن السائب الكلبي، وهو متهم بالكذب، وقد مرض،

فقال لأصحابه في مرضه، كل ما حدثكم به عن أبي صالح: كذب

انظر: تهذيب التهذيب: ١٥٧/٩ - ١٥٩، الاسرائيليات والموضوعات في التفسير، للشيخ محمد أبو شعبة

وقد ثبت رجم اليهوديين، اللذين زنيا، في الكتب الستة انظر: نصب الراية للزيلعي: ٣٢٦/٣ - ٣٢٧.

(٣) ساقط من «ب»

قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾

من خير أو شر ﴿وهم لا يظلمون﴾ أي لا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم.

قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ﴾ قال قتادة ذكر أن النبي ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال ابن عباس رضي الله عنهما وأنس بن مالك رضي الله عنه لما افتتح رسول الله ﷺ مكة وعد أمته ملك فارس والروم قالت المنافقون واليهود: هيهات هيهات من أين لمحمد ﷺ ملك فارس والروم؟ وهم أعز وأمنع من ذلك ألم يكف محمداً مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم؟ فأنزل الله هذه الآية ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾^(١) قيل: معناه يا الله فلما حذف حرف النداء زيد الميم في آخره، وقال قوم: للميم فيه معنى، ومعناها يا الله أمنا بخير أي: اقصدنا، حذف منه حرف النداء كقولهم: هلم إلينا، كان أصله هل أم إلينا، ثم كثرت في الكلام فحذفت الهمزة استخفافاً وربما خففوا أيضاً فقالوا: لا هم، قوله ﴿مَالِكُ الْمَلِكِ﴾ [يعني يا مالك الملك]^(٢) أي مالك العباد وما ملكوا، وقيل يا مالك السموات والأرض، وقال الله تعالى في بعض الكتب: «أنا الله ملك الملوك، ومالك الملوك وقلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم»^(٣).

قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ﴾ قال مجاهد وسعيد بن جبير: يعني ملك النبوة، وقال الكلبي: تؤتي الملك من تشاء محمداً وأصحابه ﴿وتنزع الملك ممن تشاء﴾ أي جهل وصناديد قريش وقيل: تؤتي الملك من تشاء: العرب وتنزع الملك ممن تشاء: فارس والروم، وقال السدي، تؤتي الملك من تشاء، آتى الله الأنبياء عليهم السلام وأمر العباد بطاعتهم ﴿وتنزع الملك ممن تشاء﴾ نزعه من الجبارين وأمر العباد بخلافهم، وقيل تؤتي من تشاء: آدم وولده وتنزع الملك ممن تشاء إبليس وجنود.

وقوله تعالى: ﴿وتعز من تشاء وتذل من تشاء﴾ قال عطاء تعز من تشاء: المهاجرين والأنصار وتذل من تشاء: فارس والروم، وقيل تعز من تشاء محمداً ﷺ وأصحابه حتى دخلوا مكة في عشرة آلاف ظاهرين عليها، وتذل من تشاء: أبا جهل وأصحابه حتى حُزَّت رؤوسهم وألقوا في القليب، وقيل تعز من

(١) قال ابن حجر في الكافي الشاف ص (٢٥) ذكره الواحدي في أسبابه ص (١٣١) عن ابن عباس وأنس رضي الله عنهم ولم أجد له إسناداً

(٢) ساقط من «أ»

(٣) رواه الطبراني في الأوسط. قال الهيثمي فيه إبراهيم بن راشد وهو متروك مجمع الزوائد: ٢٤٩/٥

وقال الألباني: ضعيف جداً، سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٦٨/١

تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٧﴾

تشاء، بالإيمان والهداية، وتذل من تشاء بالكفر والضلالة، وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية، وقيل تعز من تشاء بالنصر وتذل من تشاء بالقهر، وقيل تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر، وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضى وتذل من تشاء بالحرص والطمع ﴿بيدك الخير﴾ أي بيدك الخير والشر فاكتفى بذكر أحدهما قال تعالى: «سراويل تقيمكم الحر» (٨١ - النحل) أي الحر والبرد فاكتفى بذكر أحدهما ﴿إنك على كل شيء قدير﴾.

قوله تعالى: ﴿تولج الليل في النهار﴾ أي تدخل الليل في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات ﴿وتولج النهار في الليل﴾ حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات، فما نقص من أحدهما زاد في الآخر ﴿وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي﴾ قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم «الميت» بتشديد الياء هاهنا وفي الأنعام ويونس والروم وفي الأعراف «لبلد ميت» وفي فاطر «إلى بلد ميت» زاد نافع «أو من كان ميتاً فأحييناه» (١٢٢ - الأنعام) و «لحم أخيه ميتاً» (١٢ - الحجرات) و «الأرض الميتة أحييناه» (٣٣ - يس) فشدها، والآخرون يخففونها، وشدد يعقوب ﴿يخرج الحي من الميت﴾ و «لحم أخيه ميتاً»، قال ابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة: معنى الآية: يخرج الحيوان من النطفة وهي ميتة، ويخرج النطفة من الحيوان.

وقال عكرمة والكلبي: يخرج الحي من الميت أي الفرخ من البيضة ويخرج البيضة من الطير، وقال الحسن وعطاء: يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن، فالمؤمن حي الفؤاد والكافر ميت الفؤاد، قال الله تعالى: «أو من كان ميتاً فأحييناه» (١٢٢ - الأنعام) وقال الزجاج: يخرج النبات الغضُّ الطري من الحب اليابس، ويخرج الحب اليابس من النبات الحي النامي ﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾ من غير تضيق [ولا تقتير] (١).

أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا أبو جعفر عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي، أنا محمد بن علي بن زيد الصائغ، أنا محمد بن أبي الأزهر أنا الحارث بن عمير، أنا جعفر بن محمد بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: قال

(١) في ب ولا تعسير.

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾

رسول الله ﷺ «إن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران (شهد الله — إلى قوله — إن الدين عند الله الإسلام — و — قل اللهم مالك الملك — إلى قوله — بغير حساب) معلقات، ما بينهن وبين الله عز وجل حجاب، قلن: يارب تهبطنا إلى أرضك وإلى من يعصيك؟ قال الله عز وجل: بي حلفت لا يقرؤكن أحد من عبادي دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه ولأسكنته في حظيرة القدس ولنظرت إليه بعيني المكنونة كل يوم سبعين مرة ولقضيت له كل يوم سبعين حاجة أذناها المغفرة ولأعدته من كل عدو وحاسد ونصرتهم منهم»^(١) رواه الحارث عن عمرو وهو ضعيف.

قوله عز وجل: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: كان الحجاج بن عمرو بن أبي الحقيق وقيس بن زيد (يظنون)^(٢) بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعد بن خيشمة لأولئك نفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود لا يفتنونكم عن دينكم، فأبى أولئك نفر إلا مباظنتهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مقاتل: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره وكانوا يظهرن المودة لكفار مكة.

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالأخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل هذه الآية، ونهى المؤمنين عن مثل [فعلهم]^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي موالاة الكفار في نقل الأخبار إليهم وإظهارهم على عورة المسلمين ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [أي ليس من دين الله في شيء]^(٤) ثم استثنى فقال ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا﴾ يعني: إلا أن تخافوا منهم مخافة، قرأ مجاهد ويعقوب «تَقِيَّةً» على وزن بقية لأنهم كتبوها بالياء ولم يكتبوها بالألف، مثل حصاة ونواة، وهي مصدر يقال تقيته / تقاة وتقى بقية وتقوى فإذا قلت اتقيت ٥٦/أ كان المصدر الاتقاء، وإنما قال تتقوا من الاتقاء ثم قال: تقاة ولم يقل اتقاء لأن معنى اللفظين إذا كان واحداً يجوز إخراج مصدر أحدهما على لفظ الآخر كقوله تعالى: «وتبتل إليه تبتيلاً» (٨ — المزل)

(١) لم نجد الحديث فيما بين أيدينا من كتب السنة، وقد عزاه المصنف للحارث في مسنده وضعفه.

(٢) في ب يظنون. وفي أسباب النزول للواحد: «يباطنون تقرأ».

(٣) في ب قولهم: وانظر: أسباب النزول ص (١٣٤).

(٤) ساقط من أ.

قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبْتَدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦١﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَاعَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا
وَمَاعَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ
رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٦٢﴾

ومعنى الآية: أن الله تعالى نهى المؤمنين عن موالة الكفار ومداهنتهم ومباطتهم إلا أن يكون الكفار
غالبين ظاهرين، أو يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم فيدايرهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان دفعا عن
نفسه من غير أن يستحل دماً حراماً أو مالاً حراماً، أو يظهر الكفار على عورة المسلمين، والتقية لا
تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية، قال الله تعالى: «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان» (١٠٦) —
النحل) ثم هذا رخصة، فلو صبر حتى قتل فله أجر عظيم، وأنكر قوم التقية [اليوم] (١) قال معاذ بن جبل
ومجاهد: كانت التقية في [بُدُو] (٢) الإسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين، وأما اليوم فقد أعز الله
الإسلام فليس ينبغي لأهل الإسلام أن يتقوا من عدوهم، وقال يحيى البكاء: قلت لسعيد بن جبير في أيام
الحجاج: إن الحسن كان يقول لكم التقية باللسان والقلب مطمئن بالإيمان؟ فقال سعيد: ليس في
الإسلام تقية إنما التقية في أهل الحرب ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ أي يخوفكم الله عقوبته على موالة الكفار
وارتكاب المنهي عنه ومخالفة المأمور ﴿وإلى الله المصير * قل إن تخفوا ما في صدوركم﴾ أي قلوبكم من
مودة الكفار ﴿أو تبتدوه﴾ من موالاتهم قولاً وفعلاً ﴿يعلمه الله﴾ وقال الكلبي: إن تسروا ما في قلوبكم
لرسول الله ﷺ من التكذيب أو تظهوره، بحربه وقتاله، يعلمه الله ويحفظه عليكم، حتى يجازيكم، به ثم
قال: ﴿ويعلم﴾ رفع على الاستئناف ﴿ما في السموات وما في الأرض﴾ يعني إذا كان لا يخفى عليه شيء
في السموات ولا في الأرض فكيف تخفى عليه موالاتكم الكفار وميلكم إليهم بالقلب؟ ﴿والله على كل
شيء قدير﴾.

قوله تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس﴾ نصب يوماً بنزع حرف الصفة أي في يوم، وقيل: بإضمار فعل
أي: اذكروا واتقوا يوم تجد كل نفس ﴿ما عملت من خير محضراً﴾ لم يخس منه شيء، كما قال الله
تعالى: «ووجدوا ما عملوا حاضراً» (٤٩ — الكهف) ﴿وما عملت من سوء﴾ جعله بعضهم خيراً في
موضع النصب، أي تجد محضراً ما عملت من الخير [والشر فتسر بما عملت من الخير] (٣) وجعله

(١) في أ إليهم.

(٢) في ب جدة.

(٣) ساقط من ب.

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾

بعضهم خبراً مستأنفاً، دليل هذا التأويل: قراءة ابن مسعود رضي الله عنهما «وما عملت من سوء ودت لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً».

قوله تعالى: ﴿تود لو أن بينها﴾ أي بين النفس ﴿وبينه﴾ يعني وبين السوء ﴿أمداً بعيداً﴾ قال السدي: مكاناً بعيداً، وقال مقاتل: كما بين المشرق والمغرب، والأمد الأجل والغاية التي ينتهي إليها، وقال الحسن: يسرّ أحدهم أن لا يلقي عمله أبداً، وقيل يود أنه لم يعمله ﴿ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾.

قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه^(١).

وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: وقف النبي ﷺ على قريش، وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في أذانها (الشنوف)^(٢) وهم يسجدون لها، فقال: يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل^(٣) فقالت له قريش إنما نعبد ما حباً لله ليقربونا إلى الله زلفى، فقال الله تعالى: قل يا محمد إن كنتم تحبون الله وتعبدون الأصنام ليقربكم إليه فاتبعوني يحببكم الله، فأنا رسوله إليكم وحجته عليكم، أي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله، فحب المؤمنين لله اتباعهم أمره وإيثار طاعته وابتغاء مرضاته، وحب الله المؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم فذلك قوله تعالى: ﴿ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾.

وقيل لما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن أبي لأصحابه إن محمداً يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحببت النصارى عيسى بن مريم فنزل قوله تعالى: ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا﴾ أعرضوا عن طاعتهما ﴿فإن الله لا يحب الكافرين﴾ لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن سنان، أنا فليح، أنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا ومن أبى؟ قال «من أطاعني دخل

(١) أسباب النزول للواحدي: ص (١٣٥).

(٢) القرط.

(٣) انظر: البحر المحيط: ٤٣١/٢، وفي رواية الضحاك عن ابن عباس مجاهيل وأسباب النزول ص (١٣٥).

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا
مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾

الجنة ومن عصاني فقد أوى»^(١).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن عبادة، أنا يزيد، نا سليم بن حيان [وأثنى عليه] ، أنا سعيد بن ميناء قال: حدثنا أو سمعت جابر بن عبد الله يقول: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم. فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مادبة وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المادبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المادبة، فقالوا: أولوها له يفقهها، فقالوا: أما الدار الجنة والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد ﷺ فرق بين الناس»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت اليهود نحن من أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ونحن على دينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية. يعني: إن الله اصطفى هؤلاء بالإسلام وأنتم على غير دين الإسلام ﴿اصطفى﴾ اختار، افعل من الصفوة وهي الخالص من كل شيء ﴿آدم﴾ أبو البشر ﴿ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران﴾ قيل: أراد بآل إبراهيم وآل عمران إبراهيم عليه السلام وعمران أنفسهما، كقوله تعالى «وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون» (٢٤٨ — البقرة) يعني موسى وهارون.

وقال آخرون: آل إبراهيم: إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وكان محمد ﷺ من آل إبراهيم عليه السلام، وأما آل عمران فقال مقاتل: هو عمران بن بصهر بن فاهت بن لاوي بن يعقوب عليه السلام (والد)^(٤) موسى وهارون. وقال الحسن ووهب: هو عمران بن أشهم بن أمون من ولد سليمان بن

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام — باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٢٤٩/١٣.
والمصنف في شرح السنة: ١٩٢/١ — ١٩٣.

(٢) ساقط من ب.

(٣) أخرجه البخاري في الاعتصام — باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٢٤٩/١٣.
والمصنف في شرح السنة: ١٩٢/١ — ١٩٣.

(٤) في ب وآل.

إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ ﴿٢٥﴾

داود عليهما السلام [والد] مريم وعيسى. وقيل: عمران بن ماثان، وإنما خص هؤلاء بالذكر لأن الأنبياء والرسل كلهم من نسلهم ﴿على العالمين ذرية﴾ اشتقاقها من ذراً بمعنى خلق، وقيل: من الذر لأنه استخرجهم من صلب آدم / كالذر، ويسمى الأولاد والآباء ذرية، فالأبناء ذرية لأنه ذرأهم، والآباء ذرية لأنه ذرأ الأبناء منهم، قال الله تعالى: «وآية لهم أنا حملنا ذريتهم» (٤١ - يس) أي آباءهم (ذرية) نصب على معنى واصطفى ذرية ﴿بعضها من بعض﴾ أي بعضها من ولد بعض، [وقيل بعضها من بعض في التناصر] (١) وقيل: بعضها على دين بعض ﴿والله سميع عليم﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ﴾ وهي حنة بنت قافوذا أم مريم، وعمران هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبي موسى عليه السلام، وبينهما ألف وثمانون سنة، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم، وقيل: عمران بن أشهم.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ أي جعلت الذي في بطني محرراً نذراً مني لك ﴿فتقبل مني إنك أنت السميع العليم﴾ والنذر: ما يوجب الإنسان على نفسه ﴿محرراً﴾ أي عتقاً خالصاً لله مفرغاً لعبادة الله ولخدمة الكنيسة، لا أشغله بشيء من الدنيا، وكل ما أخلص فهو محرر، يقال: حررت العبد إذا أعتقته وخلصته من الرق.

قال الكلبي ومحمد بن إسحاق وغيرهما: كان المحرر إذا حرر جعل في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرحها حتى يبلغ الحلم، ثم يخير إن أحب أقام، وإن أحب ذهب حيث شاء، وإن أراد أن يخرج بعد التخيير لم يكن له ذلك، ولم يكن أحد من الأنبياء والعلماء إلا ومن نسله محرراً لبيت المقدس، ولم يكن محرراً إلا الغلمان، ولا تصلح له الجارية لما يصيبها من الحيض والأذى، فحررت أم مريم ما في بطنها، وكانت القصة في ذلك، أن زكريا وعمران تزوجا أختين، وكانت أشياح بنت قافوذا أم يحيى عند زكريا، وكانت حنة بنت قافوذا أم مريم عند عمران، وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أسنت وكانوا أهل بيت من الله بمكان، فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخاً فتحركت بذلك نفسها للولد فدعت الله أن يهب لها ولداً وقالت: اللهم لك علي إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس

(١) ساقط من أ.

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ
وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنكِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا يُضَعَّفُونَ ﴿٣٦﴾

فيكون من سدنته وخدمته، فحملت بمرم فحررت ما في بطنها، ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها: ويحك ما صنعت، أرايت إن كان ما في بطنك أنثى لا تصلح لذلك؟ فوقعا جميعاً في هم من ذلك، فهلك عمران، وحنة حامل بمرم ﴿فلما وضعتها﴾ أي ولدتها إذا هي جارية، والهاء في قوله «وضعتها» راجعة إلى النذير لا إلى ما ولد لذلك أنثى ﴿قالت﴾ حنة وكانت ترجو أن يكون غلاماً ﴿رب إني وضعتها أنثى﴾ اعتذاراً إلى الله عز وجل ﴿والله أعلم بما وضعت﴾ يجزم التاء إخباراً عن الله عز وجل وهي قراءة العامة وقرأ ابن عامر وأبو بكر ويعقوب وضعت برفع التاء جعلوها من كلام أم مريم ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس ﴿وإني سميتها مريم﴾ ومريم بلغتهم العابدة والخادمة، وكانت مريم أجمل النساء في وقتها وأفضلهن ﴿وإني أعيدها﴾ أمنعها وأجيرها ﴿بك وذريتها﴾ أولادها ﴿من الشيطان الرجيم﴾ فالشيطان الطريد اللعين، والرجيم المرمي بالشهب.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن اسماعيل، أنا أبو اليمان، أنا شعيب عن الزهري، حدثني سعيد بن المسيب، قال: قال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل الصبي صارخاً من الشيطان، غير مريم وابنها»، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم»^(١).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن اسماعيل، أنا أبو اليمان، أنا شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بأصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في التفسير تفسير سورة آل عمران — باب: وإني أعيدها... ٢١٢/٨.

وأخرجه مسلم في الفضائل. باب فضائل عيسى برقم (٢٣٦٦) د/١٨٣٨.

والمصنف في شرح السنة: ٤٠٦/١٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند عن أبي هريرة ٥٢٣/٢.

والطبري في التفسير: ٣٤٢/٦.

وذكره ابن كثير في البداية والنهاية عن الإمام أحمد ٥٧/٢ وقال: وهذا على شرط الصحيحين ولم يخرجوه من هذا الوجه. وانظر تعليق

الشيخ محمود شاكر على تفسير الطبري ٣٤٢/٦.

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
 زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنْى لَكَ هَذَا قَالَتَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
 يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

قوله ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ أي تقبل الله مريم من حنة مكان المحرر، وتقبل بمعنى قبل ورضي، والقبول مصدر قبل يقبل قبولاً مثل الولوع والوزوع، ولم يأت غير هذه الثلاثة. وقيل: معنى التقبل التكفل في التربية والقيام بشأنها ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ معناه: وأنبتها فنبتت نباتاً حسناً، وقيل هذا مصدر على غير [اللفظ] (١) وكذلك قوله ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ [ومثله شائع كقولك تكلمت كلاماً، وقال جوير عن الضحاک عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾] (٢) أي سلك بها طريق السعداء ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في العام ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ قال أهل الأخبار: أخذت حنة مريم حين ولدتها فلفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد فوضعتها عند الأخبار، أبناء هارون، وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجة من الكعبة، فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة، فتنافس فيها الأخبار لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم، فقال لهم زكريا: أنا أحقكم بها، عندي خالتها، فقالت له الأخبار: لا نفعل ذلك، فإنها لو تركت لأحق الناس بها لتركت لأمها التي ولدتها، لكننا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه، فانطلقوا وكانوا [تسعة وعشرين] (٣) رجلاً إلى نهر جار، قال السدي: هو نهر الأردن فألقوا أقلامهم في الماء على أن من ثبت قلمه في الماء فصعد فهو أولى بها.

وقيل: كان على كل قلم اسم واحد منهم.

وقيل: كانوا يكتبون التوراة فألقوا أقلامهم التي كانت بأيديهم في الماء [فارتز] (٤) قلم زكريا فارتفع فوق الماء وانحدرت أقلامهم ورسبت في النهر، قاله محمد بن إسحاق وجماعة.

وقيل: جرى قلم زكريا مصعداً إلى أعلى الماء وجرت أقلامهم بجري الماء.

وقال السدي وجماعة: بل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كأنه في طين، وجرت أقلامهم مع جرية الماء

(١) في ب الصدر.

(٢) ساقط من أ.

(٣) في ب سبعة وعشرين.

(٤) في ب فارتز فيه رزأ.

فذهب بها الماء، فسهمهم وقرعهم زكريا، وكان زكريا رأس الأخبار ونبهم فذلك قوله تعالى ﴿وكفلها زكريا﴾ قرأ حمزة والكسائي وعاصم بتشديد الفاء فيكون زكريا في محل النصب أي ضمها الله زكريا وضمها إليه بالقرعة، وقرأ الآخرون بالتخفيف فيكون زكريا في محل الرفع أي ضمها زكريا إلى نفسه وقام بأمرها، وهو زكريا بن آذن بن مسلم بن صدوق، من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم: زكريا مقصوراً، والآخرون يمدونه.

فلما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها بيتاً واسترضع لها، وقال محمد بن إسحاق ضمها إلى خالتها أم يحيى حتى / إذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محراباً في المسجد، وجعل بابها في وسطها لا يرق إليها إلا بالسلم مثل باب الكعبة لا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب﴾ وأراد بالمحراب الغرفة، والمحراب أشرف المجالس ومقدمها، وكذلك هو من المسجد، ويقال للمسجد أيضاً محراب، قال المبرد: لا يكون المحراب إلا أن يرتقى إليه بدرجة، وقال الربيع بن أنس: كان زكريا إذا خرج يغلق عليها سبعة أبواب فإذا دخل عليها غرفتها ﴿وجد عندها رزقاً﴾ أي فاكهة في غير حينها، فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف ﴿قال يا مريم أنى لك هذا﴾ قال أبو عبيدة: معناه من أين لك هذا؟ وأنكر بعضهم عليه، وقال: معناه من أي جهة لك هذا؟ لأن «أنى» للسؤال عن الجهة وأين للسؤال عن المكان ﴿قالت هو من عند الله﴾ أي من قطف الجنة، قال الحسين: حين ولدت مريم لم تلقم ثدياً قط، كان يأتيها رزقها من الجنة، فيقول لها زكريا: أنى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة ﴿إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾.

وقال محمد بن إسحاق: ثم أصابت بني إسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها فخرج على بني إسرائيل فقال يا بني إسرائيل: تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل مريم بنت عمران فأيكم يكفلها بعدي؟ قالوا: والله لقد جهدنا وأصابنا من السنة ما ترى، فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدأ، فتقارعوا عليها بالأقلام فخرج السهم على رجل نجار من بني إسرائيل يقال له: يوسف بن يعقوب، وكان ابن عم مريم فحملها، فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه، فقالت له: يا يوسف أحسن بالله الظن فإن الله سيرزقنا، فجعل يوسف يرزق بمكانها منه، فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فإذا أدخله عليها في الكنيسة أتماه الله، فيدخل عليها زكريا فيرى عندها فضلاً من الرزق، ليس بقدر ما يأتيها به يوسف، فيقول: يا مريم أنى لك هذا قالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب^(١).

قال أهل الأخبار فلما رأى ذلك زكريا قال: إن الذي قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة في غير حينها

(١) انظر سيرة ابن هشام: ٤٩/٢ فقد ذكر القصة مختصرة عن ابن إسحاق دون إسناد وفيها أنه خرج السهم على جرجع الراهب.

هَذَاكَ دَعَاكَ رَبِّيَ قَالَتْ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٩﴾

من غير سبب لقادر على أن يصلح زوجتي وهب لي ولداً في غير حينه على الكبر فطمع في الولد، وذلك أن أهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد شاخ وأيس من الولد.

قال الله تعالى: ﴿هَذَاكَ﴾ أي عند ذلك ﴿دعاً زكريا ربه﴾ فدخل المحراب [وأغلق الباب] (١) وناجى ربه ﴿قال رب﴾ أي يا رب ﴿هب لي﴾ أعطني ﴿من لَدُنْكَ﴾ أي من عندك ﴿ذرية طيبة﴾ أي ولداً مباركاً تقياً صالحاً رضيعاً، والذرية تكون واحداً وجمعاً، ذكراً وأنثى، وهو ها هنا واحد، بدليل قوله عز وجل «فهب لي من لدنك ولياً» (٥ - مريم) وإنما قال: طيبة لتأنيث لفظ الذرية ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ أي سامعه، وقيل مجيبه، كقوله تعالى: «إني آمنت بربكم فاسمعون» (٢٥ - يس) أي فأجيبوني ﴿فنادته الملائكة﴾ قرأ حمزة والكسائي فناداه بالياء، والآخرون بالتاء، فمن قرأ بالتاء فلتأنيث لفظ الملائكة وللجمع مع أن الذكور إذا تقدم فعلهم وهم جماعة كان التأنيث فيها أحسن كقوله تعالى: «قالت الأعراب» (١٤ - الحجرات) وعن إبراهيم قال: كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما يذكر الملائكة في القرآن. قال أبو عبيدة: إنما نرى عبد الله اختار ذلك خلافاً للمشركين في قولهم الملائكة بنات الله تعالى، وروى الشعبي أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا اختلفتم في التاء والياء فاجعلوها ياءً وذكروا القرآن.

وأراد بالملائكة ها هنا: جبريل عليه السلام وحده، كقوله تعالى في سورة النحل «ينزل الملائكة» يعني جبريل (بالروح) بالوحي، ويجوز في العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ الجمع كقولهم: سمعت هذا الخبر من الناس، وإنما سمع من واحد، نظيره قوله تعالى: «الذين قال لهم الناس» (١٧٣ - آل عمران) يعني نعيم بن مسعود «إن الناس» يعني أبا سفيان بن حرب، وقال المفضل بن سلمة: إذا كان القائل رئيساً يجوز الإخبار عنه بالجمع لاجتماع أصحابه معه، وكان جبريل عليه السلام رئيس الملائكة وقيل ما يعث إلا ومعه جمع، فجرى على ذلك.

قوله تعالى: ﴿وهو قائم يصلي في المحراب﴾ أي في المسجد وذلك أن زكريا كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان، فيفتح باب المذبح فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول، فبينما هو قائم يصلي في المحراب، يعني في المسجد عند المذبح يصلي، والناس ينتظرون أن يأذن لهم في الدخول فإذا هو برجل

(١) في ب وغلقت الأبواب.

شاب عليه ثياب بيض ففزع منه فناداه، وهو جبريل عليه السلام، يا زكريا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَشْرِكُ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة (إن الله) بكسر الألف على إضمار القول تقديره: فنادته الملائكة فقالت ﴿إِنَّ اللَّهَ يَشْرِكُ﴾ وقرأ الآخرون بالفتح بإيقاع النداء عليه، كأنه قال: فنادته الملائكة بأن الله يشرك، قرأ حمزة يشرك وبابه بالتخفيف كل القرآن إلا قوله: «فيم تبشرون» (٥٤ - الحجر) فإنهم اتفقوا على تشديدها ووافقها الكسائي هاهنا في الموضعين وفي سبحان والكهف وعسق ووافق ابن كثير وأبو عمرو في «عسق» والباقون بالتشديد، فمن قرأ بالتشديد فهو من بشر ييشر تبشيراً، وهو أعرب اللغات وأفصحها. دليل التشديد قوله تعالى «فبشر عباد» (الزمر - ١٧) «وبشرناه بإسحاق» (١١٢ - الصافات) قالوا بشرناك بالحق» (٥٥ - الحجر) وغيرها من الآيات، ومن خفف فهو من بشر ييشر وهي لغة تهامة، وقرأه ابن مسعود رضي الله عنه ﴿ييحى﴾ هو اسم لا يُجر لمعرفة وللزائد في أوله مثل يزيد ويعمر، وجمعه يحيون، مثل موسون وعيسون، واختلفوا في أنه لم سُمي يحيى؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لأن الله أحيا به عقر أمه، قال قتادة: لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان وقيل: لأن الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يعص ولم يهيم بمعصية ﴿مصدقاً﴾ نصب على الحال ﴿بكلمة من الله﴾ يعني عيسى عليه السلام، سمي عيسى كلمة الله لأن الله تعالى قال له: كن من غير أب فكان، فوقع عليه اسم الكلمة لأنه بها كان، وقيل: سمي كلمة لأنه يهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى، وقيل: هي بشارة الله تعالى مريم بعيسى عليه السلام بكلامه على لسان جبريل عليه السلام. وقيل: لأن الله تعالى أخبر الأنبياء بكلامه في كتبه أنه يخلق نبياً بلا أب، فسماه كلمة لحصوله بذلك الوعد. وكان يحيى عليه السلام أول من آمن بعيسى عليه السلام وصدقه، وكان يحيى عليه السلام أكبر من عيسى بستة أشهر، وكانا ابني الخالة، ثم قتل يحيى قبل أن يرفع عيسى عليه السلام. وقال أبو عبيدة (بكلمة من الله) أي بكتاب من الله وآياته، تقول العرب: أنشدني كلمة فلان أي قصيدته.

قوله تعالى: ﴿وسيداً﴾ هو فعيل من ساد يسود وهو الرئيس الذي يتبع وينتهي إلى قوله، قال المفضل: أراد سيداً في الدين. قال الضحاك: السيد / الحسن الخلق. قال سعيد بن جبیر: السيد الذي يطيع ربه عز وجل. وقال سعيد بن المسيب: السيد الفقيه العالم، وقال قتادة: سيد في العلم والعبادة والورع، وقيل: الحلیم الذي لا يفضيه شيء. قال مجاهد: الكرم على الله تعالى، وقال الضحاك: السيد التقى، قال سفيان الثوري: الذي لا يحسد وقيل: الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير، وقيل: هو القانع بما قسم الله له. وقيل: السخي، قال رسول الله ﷺ «من سيدكم يا بني سلمة»؟ قالوا: جد بن قيس على أنا نبخله قال: «وأي داء أدوأ من البخل، لكن سيدكم عمرو بن الجموح»^(١).

٥٧/ب

(١) روي هذا الحديث من طرق عن جابر وأبي هريرة وأنس مرفوعاً، وروي مرسلًا عن حبيب بن أبي ثابت عن النبي ﷺ، فقد أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص (٩٠) طبعه مكتبة الآداب، وأبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال برقم (٨٩ - ٩٥) ص ٥٦ =

قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأَمْرًا قِي قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ

يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَحَصُورًا نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الحضور أصله من الحصر وهو الحبس. والحضور في قول ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة رضي الله عنهم وعطاء والحسن: الذي لا يأتي النساء ولا يقرهن، وهو على هذا القول فعول بمعنى فاعل يعني أنه يحصر نفسه عن الشهوات [وقيل: هو الفقير الذي لا مال] (١) له فيكون الحضور بمعنى المحصور يعني الممنوع من النساء. قال سعيد بن المسيب: كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليكون أغض لبصره. وفيه قول آخر: أن الحضور هو الممتنع من الوطاء مع القدرة عليه. واختار قوم هذا القول لوجهين (أحدهما): لأن الكلام خرج مخرج الثناء، وهذا أقرب إلى استحقاق الثناء، و (الثاني): أنه أبعد من إلحاق الآفة بالأنبياء.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ﴾ أي يا سيدي، قال الجبريل عليه السلام، هذا قول الكلبي وجماعة، وقيل: قاله الله عز وجل ﴿أَنِّي يَكُونُ﴾ من أين يكون ﴿لِي غُلَامٌ﴾ أي ابن ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ﴾ هذا من المقلوب أي وقد بلغت الكبر وشخت كما يقال بلغني الجهد أي أنا في الجهد، وقيل: معناه وقد نالني الكبر وأدركني وأضعفني. قال الكلبي: كان زكريا يوم بُشِّرَ بشر بالولد ابن ثنتين وتسعين سنة، وقيل: ابن تسع وتسعين سنة. وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان ابن عشرين ومائة سنة، وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا قِي قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ فإن قيل لم قال زكريا بعدما وعده الله تعالى: (أني يكون لي غلام) أكان شاكاً في وعد الله وفي قدرته؟ قيل: إن زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال: يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس هو من الله، إنما هو من الشيطان، ولو كان من الله لأوحاه إليك كما يوحي إليك في سائر الأمور، فقال ذلك دفعاً للوسوسة، قاله عكرمة والسدي، وجواب آخر: وهو أنه لم يشك في وعد الله إنما شك في كفيته، أي كيف ذلك؟

= ٥٩، وأبو نعيم في الحلية: ٣١٧/٧، والحاكم في المستدرک: ٣/ ٢١٩ عن أبي هريرة بلفظ « بل سيدكم البراء بن معرور » وقال: صحيح على شرط مسلم.

وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني مجمع الزوائد: ٣/ ٣١٥. وانظر: الإصابة لابن حجر: ٤/ ٦١٥ - ٦١٦، أسد الغابة لابن الأثير: ٤/ ٢٠٦ - ٢٠٧، مجمع الزوائد: ٤/ ٣١٤ - ٣١٥، ١٢٦/٩ - ١٢٧.

(١) في « ب » : « وقال سعيد بن المسيب: هو العين الذي لا ماء له... ».

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَادَّكُرَ
رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيمُ إِنَّ اللَّهَ
اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾

قوله تعالى ﴿ قال: رب اجعل لي آية ﴾ أي علامة أعلم بها وقت حمل امرأتي فأزيد في العبادة شكراً لك ﴿ قال: آيتك ألا تكلم الناس ﴾ تكف عن الكلام ﴿ ثلاثة أيام ﴾ وتقبل بكليتك على عبادتي، لأنه حبس لسانه عن الكلام، ولكنه نهى عن الكلام وهو صحيح سوي، كما قال في سورة مريم الآية (١٠) «ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً» يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وسبح بالعشي والإبكار ﴾ فأمره بالذكر ونهاه عن كلام الناس .

وقال أكثر المفسرين: عقل لسانه عن الكلام مع الناس ثلاثة أيام، وقال قتادة: أمسك لسانه عن الكلام عقوبة له لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة إياه فلم يقدر على الكلام ثلاثة أيام، وقوله ﴿ إلا رمزاً ﴾ أي إشارة، والإشارة قد تكون باللسان وبالعين وباليدين، وكانت إشارته بالإصبع المسبحة، وقال الفراء: قد يكون الرمز باللسان من غير أن يبين، وهو الصوت الخفي أشبه الهمس، وقال عطاء: أراد به صوم ثلاثة أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزاً ﴿ واذكر ربك واسبغ بالعشي والإبكار ﴾ قيل: المراد بالتسبيح الصلاة، والعشي ما بين زوال الشمس إلى غروب الشمس ومنه سمي صلاة الظهر والعصر. صلاتي العشي، والإبكار ما بين صلاة الفجر إلى الضحى.

قوله تعالى: ﴿ وإذ قالت الملائكة ﴾ يعني جبريل ﴿ يا مريم إن الله اصطفاك ﴾ اختارك ﴿ وطهرك ﴾ قيل من ميسس الرجال وقيل من الحيض والنفاس، قال السدي: كانت مريم لا تحيض، وقيل: من الذنوب ﴿ واصطفاك على نساء العالمين ﴾ قيل: على عالمي زمانها، وقيل: على جميع نساء العالمين في أنها ولدت بلا أب، ولم يكن ذلك لأحد من النساء، وقيل: بالتحريم في المسجد ولم تحرر أنثى.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أحمد بن رجا، أخبرنا النضر عن هشام، أخبرنا أبي قال: سمعت عبد الله بن جعفر، قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة رضي الله عنهما»^(١) ورواه وكيع وأبو معاوية عن هشام بن عروة وأشار وكيع

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء. باب: وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ٤٧٠/٦.

ومسلم في فضائل الصحابة. باب: فضائل خديجة أم المؤمنين برقم (٢٤٣٠) ٤/١٨٨٦.

والمصنف في شرح السنة: ١٥٦/١٤.

يَمْرِمُ أَقْتِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾

إلى السماء والأرض.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا آدم، أنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(١).

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدي عبد الرحمن بن عبد الصمد البزار، أخبرنا محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق الديري، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ، وآسية امرأة فرعون»^(٢).

قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قالت لها الملائكة شفها أي أطيعي ربك، وقال مجاهد أطيلي القيام في الصلاة لربك، [والقنوت الطاعة]^(٣) وقيل: القنوت طول القيام قال الأوزاعي: لما قالت لها الملائكة ذلك، قامت في الصلاة حتى ورمت قدميها وسالت دماً وقيحاً ﴿وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي﴾ قيل: إنما قدم السجود على الركوع لأنه كان كذلك في شريعتهم، وقيل: بل كان الركوع قبل السجود في الشرائع كلها، وليس الواو للترتيب بل للجمع، ويجوز أن يقول الرجل: رأيت زيدا وعمراً، وإن كان قد رأى عمراً قبل زيد ﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ ولم يقل / مع الراكعات ليكون أعم وأشمل فإنه يدخل فيه الرجال والنساء، وقيل: معناه مع المصلين في الجماعة.

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء باب قول الله تعالى (وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون:.. إلى قوله وكانت من القاتنين): ٤٤٦/ ٦ وفي باب قوله تعالى: (إذ قالت الملائكة يا مريم...) ٤٧٢/ ٦.

ومسلم في فضائل الصحابة. باب: فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها برقم (٢٤٣٠) ٤/ ١٨٨٦. والمصنف في شرح السنة: ١٤/ ١٦٣.

(٢) أخرجه الترمذي في المناقب: باب: فضل خديجة رضي الله عنها ١٠/ ٣٨٩ وقال: هذا حديث صحيح، وإمام أحمد في المسند عن أنس: ٣/ ١٣٥ وفي كتاب فضائل الصحابة ٢/ ٧٥٥.

وابن حبان: ص (٥٤٩) من موارد الظمان والحاكم: ١٥٧/٣ وصححه ووافقه الذهبي.

وأبو نعيم في الحلية. ٢/ ٣٤٤ وعزه الهيثمي للطبراني في الأوسط وقال: فيه سليمان الشاذكوني وهو ضعيف: انظر مجمع الزوائد: ٩/ ٢٢٣.

والمصنف في شرح السنة: ١٤/ ١٥٧ والحديث صحيح.

(٣) ساقط من ب.

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمْتَهُمْ أَيُّهُمْ
يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ
اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ
الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يقول محمد ﷺ (ذلك) الذي ذكرت من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى (من أنباء الغيب) أي من أخبار الغيب (نوحيه إليك) رد الكناية إلى ذلك فلذلك ذكره ﴿وما كنت﴾ يا محمد ﴿لديهم إذ يلقون أقلامهم﴾ سهامهم في الماء للاقتراع ﴿أيهم يكفل مريم﴾ يحضنها ويربها ﴿وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ في كفالتها.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ إنما قال: اسمه رد الكناية إلى عيسى، واختلفوا في أنه لم سمي مسيحاً، منهم من قال: هو فعيل بمعنى المفعول يعني أنه مسح من الأقدار وطهر من الذنوب، وقيل: لأنه مسح بالبركة، وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، وقيل مسحه جبريل بجناحه حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل، وقيل: لأنه كان مسيح القدم لا أحمص له، وسمى الدجال مسيحاً لأنه كان ممسوح إحدى العينين، وقال بعضهم هو فعيل بمعنى الفاعل، مثل عليم وعالم. قال ابن عباس رضي الله عنهما سمي مسيحاً لأنه ما مسح ذا عاهة إلا برأ، وقيل: سمي بذلك لأنه كان يسبح في الأرض ولا يقيم في مكان، وعلى هذا القول تكون الميم فيه زائدة. وقال إبراهيم النخعي: المسيح الضديق. ويكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال والحرف من الأضداد ﴿وجيهاً﴾ أي شريفاً رفيعاً ذا جاه وقدر ﴿في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾ عند الله ﴿ويكلم الناس في المهدي﴾ صغيراً قبل أوان الكلام كما ذكره في سورة مريم قال: «إني عبد الله أتاني الكتاب» (الآية — ٣٠) وحكي عن مجاهد قال: قالت مريم: كنت إذا خلوت أنا وعيسى حدثني وحدثته، فإذا شغلني عنه إنسان سبح في بطني وأنا أسمع^(١) قوله ﴿وكهلاً﴾ قال مقاتل: يعني إذا اجتمع قبل أن يرفع إلى السماء وقال الحسين بن الفضل: (وكهلاً) بعد نزوله من السماء. وقيل: أخبرها أنه يبقى حتى يكتهل، وكلامه بعد الكهولة إخباره عن الأشياء المعجزة، وقيل: ﴿وكهلاً﴾ نبياً بشرها بنبوته عيسى عليه السلام وكلامه في المهدي معجزة وفي الكهولة دعوة. وقال مجاهد: ﴿وكهلاً﴾ أي حليماً. والعرب تمدح الكهولة لأنها الحالة الوسطى في احتناك^(٢) السن واستحكام العقل وجودة الرأي والتجربة ﴿ومن الصالحين﴾

(١) لا يتناسب هذا القول مع نص الآية الكريمة ولم يذهب إليه غير مجاهد وقد أورده المؤلف بصيغة التضعيف...

(٢) في ب احتباك.

قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ
 أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
 ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ
 الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ
 وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْثِقُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنثِيكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾

أي: هو من العباد الصالحين.

﴿قالت: رب﴾ ياسيدي تقوله لجبريل. وقيل: تقول لله عز وجل ﴿أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر﴾ ولم يصبني رجل، قالت ذلك تعجباً إذ لم تكن جرت العادة بأن يولد ولد لا أب له ﴿قال كذلك الله يخلق ما يشاء، إذا قضى أمراً﴾ أي كون الشيء ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ كما يريد.

قوله تعالى: ﴿ويعلمه الكتاب﴾ قرأ أهل المدينة وعاصم ويعقوب بالياء لقوله تعالى: (كذلك الله يخلق ما يشاء)، وقيل: رده على قوله: (إن الله يشرك) ﴿ويعلمه﴾ وقرأ الآخرون بالنون على التعظيم كقوله تعالى: (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك) قوله: ﴿الكتاب﴾ أي الكتابة والخط ﴿والحكمة﴾ العلم والفقه ﴿والتوراة والإنجيل﴾ علمه الله التوراة والإنجيل ﴿ورسولاً﴾ أي ونجعله رسولاً ﴿إلى بني إسرائيل﴾ قيل: كان رسولاً في حال الصبا، وقيل: إنما كان رسولاً بعد البلوغ، وكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام فلما بعث قال: ﴿أنى﴾ قال الكسائي: إنما فتح لأنه أوقع الرسالة عليه، وقيل: معناه بأني ﴿قد جئتكم بآية﴾ علامة ﴿من ربكم﴾ تصدق قولي وإنما قال: بآية وقد أتى بآيات لأن الكل دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة، فلما قال ذلك عيسى عليه السلام لبني إسرائيل، قالوا: وما هي، قال: ﴿أنى﴾ قرأ نافع بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الباقون بالفتح على معنى بأني ﴿أخلق﴾ أي أصور وأقدر ﴿لكم من الطين كهية الطير﴾ قرأ أبو جعفر كهية الطائر ها هنا وفي المائة، والهية الصورة المهياة من قوهم: هيات الشيء إذا قدرته وأصلحته ﴿فأنفخ فيه﴾ أي في الطير ﴿فيكون طيراً بإذن الله﴾ قراءة الأكتيين بالجمع لأنه خلق طيراً كثيراً، وقرأ أهل المدينة ويعقوب فيكون طائراً على الواحد ها هنا. وفي سورة المائة ذهبوا إلى نوع واحد من الطير لأنه لم يخلق غير الخفاش، وإنما خص الخفاش لأنه أكمل الطير خلقاً لأن لها ثدياً وأسناناً وهي تحيض. قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً، ليطييز فعل الخلق من فعل الخالق،

وليعلم أن الكمال لله عز وجل ﴿وأبرئ الأكمه والأبرص﴾ أي أشفيهما وأصحهما، واختلفوا في الأكمه، قال ابن عباس وقتادة: هو الذي ولد أعمى، وقال الحسن والسدي: هو الأعمى. وقال عكرمة: هو الأعمش. وقال مجاهد: هو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل، ﴿والأبرص﴾ الذي به وضح، وإنما خص هذين لأنهما داءان عياءان، وكان الغالب في زمن عيسى عليه السلام الطب، فأراهم المعجزة من جنس ذلك. قال وهب: ربما اجتمع عند عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفاً من أطاق منهم أن يبلغه بلغه ومن لم يطق مشى إليه عيسى عليه السلام وكان يداويهم بالدعاء على شرط الإيمان.

قوله تعالى: ﴿وأحيي الموتي بإذن الله﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما^(١): قد أحيى أربعة أنفس، عازر وابن العجوز، وابنة العاشر، وسام بن نوح، فأما عازر فكان صديقاً له فأرسلت أخته إلى عيسى عليه السلام: أن أخاك عازر يموت وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام، فقال لأخته: انطلقيني بنا إلى قبره، فانطلقت معهم إلى قبره، فدعا الله تعالى فقام عازر وودكه يقطر فخرج من قبره وبقي وولد له.

وأما ابن العجوز مر به ميتاً على عيسى عليه السلام على سرير يحمل فدعا الله عيسى فجلس على سريره، ونزل عن أعناق الرجال، وليس ثيابه، وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبقي وولد له. وأما ابنة العاشر كان [أبوها]^(٢) رجلاً يأخذ العشور ماتت له بنت بالأمس، فدعا الله عز وجل [باسمه الأعظم]^(٣) فأحيها [الله تعالى]^(٤) وبقيت [بعد ذلك زمناً]^(٥) وولد لها. وأما سام بن نوح عليه السلام، فإن عيسى عليه السلام جاء إلى قبره فدعا باسم الله الأعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفاً من قيام الساعة، ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان فقال: قد قامت القيامة؟ قال: لا ولكن دعوتك باسم الله الأعظم، ثم قال له: مت قال: بشرط أن يعيدني الله من سكرات الموت فدعا الله ففعل.

قوله تعالى: ﴿وأنبيكم﴾ وأخبركم ﴿بما تأكلون﴾ مما لم أعاينه ﴿وما تدخرون﴾ ترفونه ﴿في بيوتكم﴾ حتى تأكلوه، وقيل: كان يخبر / الرجل بما أكل البارحة وما يأكل اليوم وما ادخره للعشاء.

ب/٥٨

وقال السدي: كان عيسى عليه السلام في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام: انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا، فينطلق الصبي إلى أهله ويكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون: من أخبرك بهذا؟ فيقول: عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا: لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا: ليسوا هاهنا، فقال: فما في هذا

(١) انظر: البحر المحيط: ٤٦٧/٢.

(٢) و (٣) و (٤) و (٥) ساقط من أ.

وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِجْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝٥٠ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝٥١ ﴿ فَمَا أَحْسَنَ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢

البيت؟ قالوا: خنازير، قال عيسى، كذلك يكونون، ففتحوا عليهم فإذا هم خنازير ففشى ذلك في بني إسرائيل، فهمت به بنو إسرائيل فلما خافت عليه أمه حملته على [حُمير] (١) لها، وخرجت (هارية منهم) (٢) إلى أهل مصر، وقال قتادة: إنما هذا في المائدة وكان خواناً ينزل عليهم أينما كانوا كالمن والسلوى، وأمروا أن لا يخونوا ولا يخشعوا لعدو فخانوا وخبوا فجعل عيسى يخبرهم بما اكلوا من المائدة وما أذخروا منها فمسخهم الله خنازير.

قوله تعالى: ﴿إِن فِي ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿آية لكم إن كنتم مؤمنين * ومصداقاً﴾ عطف على قوله ورسولاً ﴿لما بين يدي من التوراة ولأجل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾ من اللحوم والشحوم، وقال أبو عبيدة: أراد بالبعض الكل يعني: كل الذي حرم عليكم، وقد يذكر البعض ويراد به الكل كقول لبيد:
تُرَاكُ أُمُكِنَةٌ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا
أَوْ تَرْتَبِطُ بَعْضَ النَّفُوسِ جِمَامُهَا
يعني: كل النفوس (٣).

قوله تعالى: ﴿وجئْتُكُمْ بِآية من ربكم﴾ يعني ما ذكر من الآيات وإنما وحدها لأنها كلها جنس واحد في الدلالة على رسالته ﴿فاتقوا الله وأطيعوا * إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾.

قوله تعالى: ﴿فلما أحسن عيسى منهم الكفر﴾ أي وجد قاله الفراء، وقال أبو عبيدة: عرف، وقال مقاتل: رأى ﴿منهم الكفر﴾ وأرادوا قتله استنصر عليهم و ﴿قال من أنصاري إلى الله﴾ قال السدي: كان سبب ذلك أن عيسى عليه السلام لما بعثه الله عز وجل إلى بني إسرائيل وأمره بالدعوة، نفته بنو إسرائيل وأخرجوه، فخرج هو وأمه يسيحان في الأرض، فنزلا في قرية على رجل فأضافهما وأحسن إليهما،

(١) في «ب»: على أتان

(٢) ساقط من «ب»

(٣) ولم يرتضى هذا ابن سيده، فقال: وليس هذا عندي على ما ذهب إليه أهل اللغة من أن البعض في معنى الكل، هذا نقض ولا دليل في هذا البيت، لأنه إنما عني ببعض النفوس نفسه. انظر: لسان العرب: ١١٩/٧، شرح المعلقات السبع للأبباري ص (٥٧٣).

وكان لتلك المدينة جبار متعدد فجاء ذلك الرجل يوماً مهتماً حزيناً، فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم: ما شأن زوجك أراه كئيباً، قالت: لا تسأليني، قالت: أخبريني لعل الله يفرج كربته، قالت: إن لنا ملكاً يجعل على كل رجل منا يوماً أن يطعمه وجنوده ويسقيهم الخمر فإن لم يفعل عاقبه، واليوم نوبتنا وليس لذلك عندنا سعة، قالت: فقولي له لا يهتم فإنني أمر ابني فيدعو له فيكفي ذلك، فقالت مريم لعيسى عليه السلام في ذلك، فقال عيسى: إن فعلت ذلك وقع شر، قالت: فلا تبال فإنه قد أحسن إلينا وأكرمنا، قال عيسى عليه السلام، فقولي له إذا اقترب ذلك فاملاً قدورك وخوابيك ماءً ثم أعلمني ففعل ذلك، فدعا الله تعالى عيسى عليه السلام، فتحول ماء القدور مرقاً ولحماً، وماء الخواصي خمراً لم ير الناس مثله قط فلما جاء الملك أكل فلما شرب الخمر، قال: من أين هذا الخمر، قال: من أرض كذا، قال [الملك]^(١): فإن بخمري من تلك الأرض وليست مثل هذه، قال: هي من أرض أخرى، فلما خلط على الملك واشتد عليه قال: فأنا أخبرك عندي غلام لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، وإنه دعا الله فجعل الماء خمراً، وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام، وكان أحب الخلق إليه، فقال: إن رجلاً دعا الله حتى جعل الماء خمراً [ليستجاب له]^(٢) حتى يحيي ابني، فدعا عيسى فكلمه في ذلك فقال عيسى: لا تفعل فإنه إن عاش وقع شر، فقال الملك: لا أبالي أليس أراه، قال عيسى: إن أحبيته تتركوني وأمي نذهب حيث نشاء، قال: نعم، فدعا الله فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح، وقالوا: أكلنا هذا حتى إذا دنا موته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيأكل كما أكل أبوه فاقتلوا فذهب عيسى وأمه فمر بالحواريين وهم يصطادون السمك، فقال: ما تصنعون؟ فقالوا: نصطاد السمك قال: أفلا تمشون حتى نصطاد الناس، قالوا: ومن أنت، قال: أنا عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله من أنصاري إلى الله، فآمنوا وانطلقوا معه.

قوله تعالى: ﴿من أنصاري إلى الله﴾ قال السدي وابن جريج: مع الله تعالى تقول العرب: الذود إلى الذود إبل أي مع الذود، وكما قال الله تعالى: «ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم» (٢ - النساء) أي مع أموالكم. وقال الحسن وأبو عبيدة: إلى بمعنى في أي من أعواني في الله أي في ذات الله وسبيله، وقيل إلى في موضعه معناه من يضم نصرته إلى نصره الله لي، واختلفوا في الحواريين قال مجاهد والسدي: كانوا صيادين يصطادون السمك سموا حواريين لبياض ثيابهم، وقيل: كانوا ملاحين. وقال الحسن: كانوا قصارين سموا بذلك لأنهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها. وقال عطاء: سلمت مريم عيسى عليه السلام إلى أعمال شتى فكان آخر ما دفعته إلى الحواريين، وكانوا قصارين وصباغين فدفعته إلى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر، فقال لعيسى: إنك قد تعلمت هذه الحرفة وأنا خارج في سفر لا

(١) ساقط من « أ »

(٢) في « ب »: ليجاء به إلى

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾

أرجع إلى عشرة أيام وهذه ثياب الناس مختلفة الألوان، وقد أعلمت على كل واحد منها بخيط على اللون الذي يصبغ به، فيجب أن تكون فارغاً منها وقت قدومي، وخرج فطبخ عيسى جباً واحداً على لون واحد وأدخل جميع الثياب وقال: كوني بإذن الله على ما أريد منك، فقدم الحواري والثياب كلها في الجب، فقال: ما فعلت؟ فقال: فرغت منها، قال: أين هي؟ قال: في الجب، قال: كلها، قال: قال: لقد أفسدت تلك الثياب، فقال: قم فانظر، فأخرج عيسى ثوباً أحمر، وثوباً أصفر وثوباً أخضر إلى أن أخرجها على الألوان التي أرادها، فجعل الحواري يتعجب فعلم أن ذلك من الله، فقال للناس: تعالوا فانظروا فأمن به هو وأصحابه فهم الحواريون، وقال الضحاك: سموا حواريين لصفاء [قلوبهم] ^(١) وقال ابن المبارك: سموا به لما عليهم من أثر العبادة ونورها، وأصل الحور عند العرب شدة البياض، يقال: رجل أحور وامرأة حوراء أي شديدة بياض العين، وقال الكلبي وعكرمة: الحواريون هم الأصفياء وهم كانوا أصفياء عيسى عليه السلام، وكانوا اثني عشر رجلاً، قال روح بن القاسم: سألت قتادة عن الحواريين قال: هم الذين يصلح لهم الخلافة، وعنه أنه قال: الحواريون هم الوزراء، وقال الحسن: الحواريون الأنصار، والحواري الناصر، والحواري في كلام العرب خاصة الرجل الذي يستعين به / فما ينوبه.

/٥٩

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا الحميدي، أخبرنا سفيان، أخبرنا محمد بن المنكدر قال: سمعت جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما يقول: ندب رسول الله ﷺ الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال النبي ﷺ «إن لكل نبي حوارياً وحواريي الزبير» ^(٢).

قال سفيان: الحواري الناصر، قال معمر: قال قتادة: إن الحواريين كلهم من قريش أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظفون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهم أجمعين.

﴿قال الحواريون: نحن أنصار الله﴾ أعوان دين الله ورسوله ﴿آمنا بالله واشهد﴾ يا عيسى ﴿بأننا مسلمون﴾ * ربنا آمنا بما أنزلت ﴿من كتابك﴾ ﴿واتبعنا الرسول﴾ عيسى ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ الذين شهدوا لأنبيائك بالصدق. وقال عطاء: مع النبيين لأن كل نبي شاهد أمته.

(١) في ب: لحومهم.

(٢) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة: باب: مناقب الزبير بن العوام: ٧/٧٩ - ٨٠ وفي الجهاد والمغازي.

ومسلم: في فضائل الصحابة: باب: من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما برقم: (٢٤١٥) / ٤ / ١٨٧٩.

والمصنف في شرح السنة: ١٢٢/١٤.

وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما مع محمد ﷺ وأمه لأنها يشهدون للرسول بالبلاغ.

قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا﴾ يعني كفار بني إسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر وبروا في قتل عيسى عليه السلام، وذلك أن عيسى عليه السلام بعد إخراج قومه إياه وأمه عاد إليهم مع الحواريين، وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطفوا على الفتك به فذلك مكْرهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ وَخَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ فالمكر من المخلوقين: الخبث والحذيفة والحيلة، والمكر من الله: استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يعلم كما قال: «سنستدرجهم من حيث لا يعلمون» (١٨٢ - الأعراف) وقال الزجاج: مكر الله عز وجل مجازاتهم على مكْرهم فسمي الجزاء باسم الابتداء لأنه في مقابلته كقوله تعالى: «الله يستهزيء بهم» (١٥ - البقرة)، «وهو خادعهم» (١٤٢ - النساء) ومكر الله تعالى خاصة بهم في هذه الآية، وهو إلقاء الشبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى عليه السلام حتى قتل.

قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن عيسى استقبل رهطاً من اليهود فلما رأوه قالوا: قد جاء الساحر ابن الساحرة، والفاعل ابن الفاعلة، وقذفوه وأمه فلما سمع ذلك عيسى عليه السلام دعا عليهم ولعنهم فمسخهم الله خنازير. فلما رأى ذلك يهودا رأس اليهود وأميرهم فرزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى عليه السلام، وثاروا إليه ليقتلوه فبعث الله إليه جبريل فأدخله في خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله إلى السماء من تلك الروزنة، فأمر يهودا رأس اليهود رجلاً من أصحابه يقال له: ططيانوس أن يدخل الخوخة ويقتله، فلما دخل لم ير عيسى، فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها، فألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام، فلما خرج ظنوا أنه عيسى عليه السلام فقتلوه وصلبوه، قال وهب: طرقوا عيسى في بعض الليل، ونصبوا خشبة ليصلبوه، فأظلمت الأرض، فأرسل الله الملائكة فحالت بينهم وبينه، فجمع عيسى الحواريين تلك الليلة وأوصاهم ثم قال: ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ويبيعني بدرهم يسيرة، فخرجوا وتفرقوا، وكانت اليهود تطلبه، فأتى أحد الحواريين إلى اليهود فقال لهم: ماتجعلون لي إن دلتكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً فأخذها ودلهم عليه. ولما دخل البيت ألقى الله عليه شبه عيسى، فرفع عيسى وأخذ الذي دلهم عليه فقال: أنا الذي دلتكم عليه، فلم يلتفتوا إلى قوله وقتلوه وصلبوه، وهم يظنون أنه عيسى، فلما صلب شبه عيسى، جاءت مريم أم عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها فأبرأها الله من الجنون تبكيان عند المصلوب، فجاءها عيسى عليه السلام فقال لهما: علام تبكيان؟ إن الله تعالى قد رفعني ولم يصبني إلا خير، وإن هذا شيء شبه لهم، فلما كان بعد سبعة أيام قال الله عز وجل لعيسى عليه السلام: اهبط على مريم المجدلانية اسم موضع في جبلها، فإنه لم يبك عليك أحد بكاءها، ولم يحزن حزنها ثم ليجمع لك الحواريون فيثبهم في

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾

الأرض دعاة إلى الله عز وجل، فأهبطه الله عليها فاشتعل الجبل حين هبط نوراً، فجمعت له الحواريين فبشهم في الأرض دعاة ثم رفعه الله عز وجل إليه وتلك الليلة هي التي تدخن فيها النصارى، فلما أصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى إليهم فذلك قوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾.

وقال السدي: إن اليهود حبسوا عيسى في بيت وعشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل منهم فألقى الله عليه شبهه، وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله عيسى عليه السلام قال لأصحابه أيكم يقذف عليه شبيهي فإنه مقتول، فقال رجل من القوم: أنا يا نبي الله، فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى عليه السلام ورفعته إليه وكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة الطعام والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش، وكان إنسياً ملكياً سمائياً أرضياً، قال أهل التواريخ: حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة، وولدت عيسى ببيت لحم من أرض أوربي شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل فأوحى الله إليه على رأس ثلاثين سنة، ورفع الله من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين، وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ اختلفوا في معنى التوفي ها هنا، قال الحسن والكلبي، وابن جرير: إني قابضك ورافعك من الدنيا إلي من غير موت، يدل عليه قوله تعالى: «فلما توفيتني» (١١٧ - المائدة) أي قبضتني إلى السماء وأنا حي، لأن قومه إنما تنصروا بعد رفعه إلى السماء لا بعد موته، فعلى هذا للتوفي تأويلان، أحدهما: إني رافعك إلي وافياً لم ينالوا منك شيئاً، من قولهم توفيت كذا واستوفيته إذا أخذته تاماً، والآخر: أني [متسلمك] (١) من قولهم توفيت منه كذا أي تسلمته، وقال الربيع بن أنس: المراد بالتوفي النوم [وكل ذي عين نائم] (٢) وكان عيسى قد نام فرفعه الله نائماً إلى السماء، معناه: أني منومك ورافعك إلي كما قال الله تعالى: «وهو الذي يتوفاكم بالليل» (٦٠ - الأنعام) أي ينيمكم.

(١) في «أ» مستسلمك

(٢) ساقط من «ب»

وقال بعضهم: المراد بالتوفي الموت، روى [عن] (١) علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه: أني مميتك يدل عليه قوله تعالى: «قل يتوفاكم ملك الموت» (١١ - السجدة) فعلى هذا له ٥٩ ب/ تأويلان: أحدهما ما قاله وهب: توفي / الله عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم رفعه الله إليه، وقال محمد بن إسحاق: إن النصارى يزعمون أن الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعاه، والآخر ما قاله الضحاك وجماعة: إن في هذه الآية تقدماً وتأخيراً معناه أني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالك من السماء.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز البغوي، أخبرنا علي بن الجعد، أخبرنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عادلاً يكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» (٢).

ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في نزول عيسى عليه السلام قال: «وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون» (٣).

وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى في القرآن؟ قال نعم: (وكهلاً) ولم يكتهل في الدنيا وإنما معناه وكهلاً بعد نزوله من السماء.

قوله تعالى: ﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾ أي مخرجك من بينهم ومنجيتك منهم ﴿وجاعل الدين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي: هم أهل الإسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه في التوحيد من أمة محمد ﷺ فهم فوق الذين كفروا ظاهرين قاهرين بالعزة والمنعة والحجة، وقال الضحاك: يعني الحواريين فوق الذين كفروا، وقيل: هم أهل الروم، وقيل: أراد بهم النصارى فهم فوق اليهود إلى يوم القيامة، فإن اليهود قد ذهب ملكهم، وملك النصارى دائم إلى قريب من قيام الساعة، فعلى هذا يكون الاتباع بمعنى الادعاء والحجة لا اتباع الدين. ﴿ثم إلي مرجعكم﴾ في الآخرة

(١) ساقط من «ب»

(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء. باب: نزول عيسى بن مريم عليهما السلام: ٤٩٠/٦.

ومسلم في الإيمان. باب: نزول عيسى بن مريم حاكماً بشرية نبينا محمد ﷺ برقم (١٥٥) ١٣٥/١ - ١٣٦.

والمصنف في شرح السنة: ٨٠/١٥ - ٨١.

(٣) أخرجه أبو داود - في الملاحم: باب: خروج الدجال: ١٧٧/٦ وسكت عنه النذري.

وأحمد في المسند عن أبي هريرة: ٤٠٦/٢، ٤٣٧ مطولاً.

فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ بِهِمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ
 نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ
 لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ
 عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنَ
 رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾

﴿فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ من أمر الدين وأمر عيسى ﴿فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً
 شديداً في الدنيا﴾ بالقتل والسبي والجزية والذلة ﴿والآخرة﴾ أي وفي الآخرة بالنار ﴿وما لهم من
 ناصرين، وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفهم أجورهم﴾ قرأ الحسن وحفص بالياء، والباقون
 بالنون أي نوفي أجور أعمالهم ﴿والله لا يحب الظالمين﴾ أي لا يرحم الكافرين ولا ينشي عليهم بالجميل.
 قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ أي هذا الذي ذكرته لك من الخبر عن عيسى ومريم والحواريين ﴿نتلوه عليك﴾
 [نخبرك به بتلاوة جبريل عليك] (١) ﴿من الآيات والذكر الحكيم﴾ يعني القرآن والذكر ذي الحكمة،
 وقال مقاتل: الذكر الحكيم أي المحكم الممنوع من الباطل وقيل: الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ، وهو
 معلق بالعرش من درة بيضاء. وقيل من الآيات أي العلامات الدالة على نبوتك لأنها أخبار لا يعلمها إلا
 قارىء كتاب أو من يوحى إليه وأنت أمي لا تقرأ.

قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾ الآية نزلت في وفد نجران وذلك أنهم قالوا لرسول
 الله ﷺ: مالك تشتم صاحبنا؟ قال: وما أقول، قالوا: تقول إنه عبد الله قال: أجل هو عبد الله ورسوله
 وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ففضبوا وقالوا هل رأيت إنساناً قط من غير أب؟ فأنزل الله تعالى
 (إن مثل عيسى عند الله) (٢) في كونه خلقاً من غير أب وأم ﴿خلقه من تراب ثم قال له﴾ يعني لعيسى عليه
 السلام ﴿كن فيكون﴾ يعني فكان، فإن قيل ما معنى قوله (خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) ولا
 تكوين بعد الخلق؟ قيل معناه خلقه ثم أخبركم أنني قلت له: كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون
 في الولادة وهو مثل قول الرجل: أعطيتك اليوم درهماً ثم أعطيتك أمس درهماً، أي ثم أخبرك أنني أعطيتك
 أمس درهماً. وفيما سبق من التمثيل دليل على جواز القياس، لأن القياس هو رد فرع إلى أصل بنوع شبه،
 وقد رد الله تعالى خلق عيسى إلى آدم عليهم السلام بنوع شبه.

(١) ساقط من أ.

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (١٣٦).

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى
الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾

قوله تعالى: ﴿الحق من ربك﴾ أي هو الحق وقيل جاءك الحق من ربك ﴿فلا تكونن من الممتريين﴾
الشاكين، الخطاب مع النبي ﷺ والمراد أمته.

قوله عز وجل: ﴿فمن حاجك فيه﴾ أي جادلك في عيسى أو في الحق ﴿من بعد ما جاءك من
العلم﴾ بأن عيسى عبد الله ورسوله ﴿فقل تعالوا﴾ وأصله تعالوا تفاعلوا من العلو فاستثقلت الضمة
على الياء فحذفت، قال الفراء: بمعنى تعال كأنه يقول: ارتفع. قوله ﴿ندع﴾ جزم لجواب الأمر وعلامة
الجزم سقوط الواو ﴿أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾ قيل: أبناءنا أراد الحسن
والحسين، ونساءنا فاطمة. وأنفسنا عنى نفسه وعلياً رضي الله عنه والعرب تسمى ابن عم الرجل نفسه،
كما قال الله تعالى: «ولا تلمزوا أنفسكم» (١١ - الحجرات) يريد إخوانكم وقيل هو على العموم الجماعة
أهل الدين ﴿ثم نبتهل﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي نتضرع في الدعاء، وقال الكلبي: نجتهد
ونبالغ في الدعاء، وقال الكسائي وأبو عبيدة: نلتعن والابتهاال، الالتعان يقال: عليه بهلة الله أي لعنته:
﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ منا ومنكم في أمر عيسى، فلما قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية على
وقد نجران ودعاهم إلى المباهلة، قالوا: حتى نرجع وننظر في أمرنا ثم نأتيك غداً، فخلا بعضهم ببعض
فقالوا للعاقب وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح ما ترى؟ قال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً
نبي مرسل، والله مالا عن قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولكن فعلتم ذلك لنهلكن فإن أبيتهم
إلا الإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا رسول الله
ﷺ وقد غدا رسول الله ﷺ محتضناً للحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو
يقول لهم: «إذا أنا دعوت فأمّنوا» فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألو الله أن
يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبق على وجه الأرض منكم نصراني إلى يوم القيامة،
فقالوا يا أبا القاسم: قد رأينا أن لا نلاعنك وأن نتركك على دينك وثبت على ديننا، فقال رسول الله
ﷺ: / «فإن أبيتهم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم» فأبوا فقال: «فإني أنا بذكهم»
فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكننا نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن
نؤدي إليك كل عام ألفي حلة، ألفاً في صفر وألفاً في رجب، فصالحهم رسول الله ﷺ على ذلك وقال:
«والذي نفسي بيده إن العذاب قد تدلى على أهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم
الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٤﴾ فَإِنْ
 تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ
 اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٦﴾

حتى هلكوا»^(١).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ النبا الحق ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ و«مَنْ» صلة تقديره
 وما إله إلا الله ﴿وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴿أَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
 بِالْمُفْسِدِينَ ﴿الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ﴾ ويدعون الناس إلى عبادة غير الله.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الآية قال المفسرون: قدم وفد
 نجران المدينة فالتقوا مع اليهود فاختصموا في إبراهيم عليه السلام، فرعمت النصارى أنه كان نصرانياً وهم
 على دينه وأولى الناس به، وقالت اليهود: بل كان يهودياً وهم على دينه وأولى الناس به، فقال رسول الله
 ﷺ: كلا الفريقين بريء من إبراهيم ودينه بل كان إبراهيم حنيفاً مسلماً وأنا على دينه فاتبعوا دينه دين
 الإسلام، فقالت اليهود: يا محمد ما تريد إلا أن نتخذك رباً كما اتخذت النصارى عيسى رباً، وقالت
 النصارى: يا محمد ما تريد إلا أن نقول فيك ما قالت اليهود في عزيز، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ: يَا أَهْلَ
 الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ﴾^(٢) والعرب تسمي كل قصة لها شرح كلمة ومنه سميت القصيدة كلمة
 ﴿سَوَاءٍ﴾ عدل بيننا وبينكم مستوية، أي أمر مستو يقال: دعا فلان إلى السواء، أي إلى النصفة، وسواء
 كل شيء وسطه، ومنه قوله تعالى: «فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ» (٥٥ - الصافات) وإنما قيل للنصف سواء
 لأن أعدل الأمور وأفضلها أوسطها وسواء نعت لكلمة إلا أنه مصدر، والمصادر لا تثني ولا تجمع ولا
 تؤنث، فإذا فتحت السين مددت، وإذا كسرت أوضحت قصرت كقوله تعالى: «مَكَانًا سَوِيًّا»
 (٥٨ - ظه) ثم فسر الكلمة فقال: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ ومحل أن رفع على إضمار هي، وقال الزجاج:

(١) قال ابن حجر في الكافي الشاف أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة من طريق محمد بن مروان السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن
 عباس بطوله، وابن مروان متروك متهم بالكذب.

ثم أخرج أبو نعيم نحوه عن الشعبي مرسلًا ومنه: (فإن أبيتم المبالغة فأسلموا.....) انظر الكافي الشاف ص ٢٦.
 وأخرجه الطبري في التفسير ٦/ ٤٧٩ - ٤٨٠ من طريق ابن اسحاق عن محمد بن جعفر ابن الزبير في قوله تعالى: (إن هذا هو
 القصص الحق) فذكره مرسلًا.

وانظر: الدر المنثور للسيوطي: ٢/ ٢٢٩ - ٢٣٣، وابن كثير: ١/ ٣٧١ - ٣٧٢.

(٢) الدر المنثور: ٢/ ٢٣٥.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَتَأَنْتُمْ هَتَوَلَاءَ حَبَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾

رفع بالابتداء، وقيل: محله نصب بنزع حرف الصفة معناه بأن لا نعبد إلا الله وقيل: محله خفض بدلا من الكلمة أي تعالوا إلى أن لا نعبد إلا الله ﴿ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله﴾ كما فعلت اليهود والنصارى، قال الله تعالى: «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله» (٣١ - التوبة) وقال عكرمة: هو سجود بعضهم لبعض، أي لا تسجدوا لغير الله، وقيل: معناه لا نطيع أحدا في معصية الله ﴿فإن تولوا فقولوا اشهدوا﴾ فقولوا أنتم لهم اشهدوا ﴿بأننا مسلمون﴾ مخلصون بالتوحيد.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو اليمان الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب عن الزهري، أخبرنا عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ عاهد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهو بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ودعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية بن خليفة الكلبي إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا هو:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الإريسيين «يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون»^(١).

قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده﴾ تزعمون أنه كان على دينكم، وإنما دينكم اليهودية والنصرانية، وقد حدثت اليهودية بعد نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الإنجيل، وإنما أنزلت التوراة والإنجيل من بعد إبراهيم بزمان طويل، وكان بين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة ﴿أفلا تعقلون﴾ بطلان قولكم؟

قوله تعالى: ﴿ها أنتم﴾ بتلحين الهمزة حيث كان مدني، وأبو عمرو والباقون بالهمز، واختلفوا في أصله

(١) أخرجه البخاري: في التفسير تفسير سورة آل عمران باب: قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم... ٢١٤/٨.

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾
 إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾

فقال بعضهم: أصله: أنتم وما تنبيهه، وقال الأخفش: أصله أنتم، فقلبت الهمزة الأولى هاء، كقولهم هرت الماء وأرقت ﴿هؤلاء﴾ أصله أولاء دخلت عليه هاء التنبيه وهي في موضع النداء، يعني يا هؤلاء أنتم ﴿حاججتم﴾ جادلتم ﴿فيما لكم به علم﴾ يعني في أمر موسى وعيسى وادعيتهم أنكم على دينهما وقد أنزلت التوراة والإنجيل عليكم ﴿فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾ وليس في كتابكم أنه كان يهودياً أو نصرانياً، وقيل حاججتم فيما لكم به علم يعني في أمر محمد ﷺ لأنهم وجدوا نعته في كتابهم، فجادلوا فيه بالباطل، فلم تحاجون في إبراهيم، وليس في كتابكم، ولا علم لكم به؟ ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ ثم برأ الله تعالى إبراهيم مما قالوا: فقال: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾ والحنيف: المائل عن الأديان كلها إلى الدين المستقيم، وقيل: الحنيف: الذي يوحد ويحج ويضحى ويختن ويستقبل الكعبة. وهو أسهل الأديان وأحبها إلى الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ أي: من اتبعه في زمانه، ﴿وهذا النبي﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿والذين آمنوا﴾ معه، يعني من هذه الأمة ﴿والله ولي المؤمنين﴾.

روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ورواه محمد بن إسحاق عن ابن شهاب بإسناده، حديث هجرة الحبشة، لما هاجر جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة / وكان من أمر بدر ما كان فاجتمعت ٦٠/ب قريش في دار الندوة وقالوا: إن لنا في الذين عند النجاشي من أصحاب محمد ﷺ ثأراً ممن قتل منكم ببدر، فاجمعوا مالاً وأهدوه إلى النجاشي لعله يدفع إليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلاً من ذوي رأيكم، فبعثوا عمرو بن العاص وعمار بن الوليد مع الهدايا الأدم وغيره، فركبا البحر، وأتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالوا له: إن قومنا لك ناصحون شاكرون ولصالحك محبون وإنهم بعثونا إليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك، لأنهم قوم رجل كذاب خرج فينا، يزعم أنه رسول الله ولم يتابعه أحد منا إلا السفهاء، وإننا كنا قد ضيقنا عليهم الأمر وألجاناهم إلى شعب بأرضنا لا يدخل عليهم أحد ولا يخرج منهم أحد، قد قتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الأمر بعث إليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكتك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم إلينا لنكفيكهم، وقالوا: وآية ذلك أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يُحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وستك، قال: فدعاهم النجاشي فلما حضروا، صاح جعفر بالباب: يستأذن عليك حزب الله، فقال النجاشي: مروا هذا الصائح فليعد كلامه، ففعل جعفر، فقال النجاشي: نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته، فنظر عمرو بن

العاص إلى صاحبه فقال: ألا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما أجابهم به النجاشي، فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له، فقال عمرو بن العاص: ألا ترى أنهم يستكبرون أن يسجدوا لك، فقال لهم النجاشي: ما منعكم أن تسجدوا لي وتحبوني بالتحية التي يحييني بها من أتاني من الآفاق؟ قالوا: نسجد لله الذي خلقك وملّكك، وإنما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان، فبعث الله فينا نبياً صادقاً فأمرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام تحية أهل الجنة، فعرف النجاشي أن ذلك حق وأنه في التوراة والإنجيل، قال: أيكم الهاتف: يستأذن عليك حزب الله؟ قال جعفر: أنا، قال: فنكلم، قال: إنك ملك من ملوك أهل الأرض ومن أهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وأنا أحب أن أجيب عن أصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم أحدهما ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا. فقال عمرو لجعفر: تكلم، فقال جعفر للنجاشي: سل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار؟ فإن كنا عبيداً أبقتنا من أربابنا فارددنا إليهم، فقال النجاشي: أعبيد هم أم أحرار؟ فقال عمرو: بل أحرار كرام، فقال النجاشي: نجوا من العبودية. ثم قال جعفر: سلهما هل أهرقنا دماً بغير حق فيقتص منا؟، قال النجاشي: إن كان قنطاراً فعلي قضاؤه، فقال عمرو: لا ولا قيراطاً، قال النجاشي: فما تطلبون منهم؟ قال عمرو: كنا وهم على دين واحد وأمر واحد على دين آباءنا فتركوا ذلك وابتغوا غيره فبعثنا إليك قومهم لتدفعهم إلينا، فقال النجاشي: ما هذا الدين الذي كنتم عليه والذين الذي اتبعتموه، اصدقني، قال جعفر: أما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان، كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة، وأما الدين الذي تحوّلنا إليه فدين الله الإسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب عيسى بن مريم موافقاً له، فقال النجاشي: يا جعفر تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك، ثم أمر النجاشي فضرب بالناقوس فاجتمع إليه كل قسيس وزاهد، فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي: أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبياً مرسلًا، فقالوا: اللهم نعم، قد بشرنا به عيسى وقال: من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي، فقال النجاشي لجعفر: ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه؟ فقال: يقرأ علينا كتاب الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا بأن نعبد الله وحده لا شريك له، فقال: اقرأ علي مما يقرأ عليكم، فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي وأصحابه من الدمع وقالوا: زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فأراد عمرو أن يُغضب النجاشي، فقال: إنهم يشتمون عيسى وأمه، فقال النجاشي: ما تقولون في عيسى وأمه فقرأ عليهم سورة مريم فلما أتى جعفر على ذكر مريم وعيسى عليهما السلام رفع النجاشي نَفْثَهُ من سواكه قدر ما تُقَدَى العين فقال: والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا، ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال: اذهبوا فأنتم سُيُومٌ بأرضي [يقول:]^(١) آمنون، من سبكم أو آذاكم غرم، ثم قال: أبشروا ولا تخافوا فلا دَهْوَةٌ^(٢) اليوم

(١) ساقط من أ.

(٢) دهورة: جمعه وقذفه في مهواة.

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٠﴾
يَتَّأَهَّلُ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧١﴾ يَتَّأَهَّلُ الْكِتَابُ
لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٢﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٧٣﴾

على حزب إبراهيم، قال عمرو: يانجاشي ومن حزب إبراهيم؟ قال: هؤلاء الزهط وصاحبهم الذي جاؤوا من عنده ومن تبعهم. فأنكر ذلك المشركون وادعوا في دين إبراهيم، ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال: إنما هديتكم لي رشوة فاقبضوها فإن الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة، قال جعفر: فانصرفنا فكننا في خير دار وأكرم جوار، وأنزل الله تعالى ذلك اليوم على رسول الله ﷺ في خصوصتهم في إبراهيم وهو بالمدينة قوله عز وجل (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) (١).

قوله عز وجل: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار ابن ياسر حين دعاهم اليهود إلى دينهم، فنزلت (ودت طائفة) (٢) [تمت جماعة من أهل الكتاب] (٣) يعني اليهود ﴿لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ عن دينكم ويردونكم إلى الكفر ﴿وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني القرآن وبيان نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أن نعته في التوراة والإنجيل مذكور ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ تخلطون الإسلام باليهودية والنصرانية، وقيل: لم تخلطون الإيمان بعبسى عليه السلام وهو الحق بالكفر بمحمد ﷺ وهو الباطل؟ وقيل: التوراة التي أنزلت على موسى بالباطل الذي حرفتموه وكتبتموه بأيديكم ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن محمداً ﷺ ودينه حق.

قوله تعالى ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامَنُوا﴾ الآية. قال الحسن والسدي: تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر وقرى عيننة وقال / بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون

(١) أخرجه ابن اسحاق في السيرة عن أم سلمة: ٢١١/١ - ٢١٥ ومن طريقه الإمام أحمد في المسند: ٢٠١/١ - ٢٠٣ عن أم سلمة.

وقال الهيثمي في المجمع: ٢٧/٦: «رواه أحمد ورجال رجال الصحيح» وذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٣٨-١٤١).

(٢) أسباب النزول ص (١٤٢).

(٣) ساقط من ب.

وَلَا تَتَّبِعُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ
أَوْ يُحَاجَّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

الاعتقاد ثم اكفروا آخر النهار وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك، وظهر لنا كذبه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم واتهموه وقالوا: إنهم أهل الكتاب وهم أعلم منا به فيرجعون عن دينهم (١).

وقال مجاهد ومقاتل والكلبي (٢): هذا في شأن القبلة لما صرفت إلى الكعبة شق ذلك على اليهود، فقال كعب بن الأشرف لأصحابه: آمنوا بالذي أنزل على محمد من أمر الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم اكفروا وارجعوا إلى قبلتكم آخر النهار لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم فيرجعون إلى قبلتنا، فأطلع الله تعالى رسوله على سرهم وأنزل ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا﴾ ﴿بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار﴾ أوله سمي وجهاً لأنه أحسنه وأول ما يواجه الناظر فيه ﴿واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾ فيشكون ويرجعون عن دينهم.

قوله تعالى: ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ هذا متصل بالأول من قول اليهود بعضهم لبعض ﴿ولا تؤمنوا﴾ أي لا تصدقوا ﴿إلا لمن تبع دينكم﴾ وافق ملتكم، واللام في «لمن» صلة، أي لا تصدقوا إلا من تبع دينكم اليهودية كقوله تعالى: «قل عسى أن يكون ردف لكم» (٧٢ - النحل) أي: ردفكم. ﴿قل إن الهدى هدى الله﴾ هذا خبر من الله عز وجل أن البيان بيانه، ثم اختلفوا: فمنهم من قال: كلام معترض بين كلامين، وما بعده متصل بالكلام الأول، إخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض، ومعناه: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والكتاب والحكمة والآيات من المن والسلوى وفتق البحر، وغيرها من الكرامات. ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لأنكم أصح ديناً منهم. وهذا معنى قول مجاهد.

وقيل: إن اليهود قالت لسفلتهم «ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم» ﴿أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم﴾ من العلم، أي: لئلا يؤتى أحد، و«لا» فيه مضمرة، كقوله تعالى: «يبين الله لكم أن تضلوا» أي: لئلا تضلوا، يقول: لا تصدقوهم لئلا يعلموا مثل ما علمتم فيكون لكم الفضل عليهم في العلم، ولئلا يحاجوكم عند ربكم فيقولوا: عرفتم أن ديننا حق، وهذا معنى قول ابن جريج.

وقرأ الحسن والأعمش (إن يؤتى) بكسر الألف، فيكون قول اليهود تاماً عند قوله: (إلا لمن تبع دينكم) وما بعده من قوله الله تعالى يقول: قل يا محمد (إن الهدى هدى الله إن يؤتى) إن بمعنى الجحد،

(١) انظر: الطبري: ٥٠٧/٦، أسباب النزول ص (١٤٢).

(٢) أسباب النزول ص (١٤٢-١٤٣).

يَخْضُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
 مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ
 عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
 وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

أي ما يؤتي أحد مثل ما أوتيتم يأمة محمد ﷺ (أو يحاجوكم عند ربكم) يعني: إلا أن يجادلكم اليهود
 بالباطل فيقولوا: نحن أفضل منكم، فقلوه عز وجل (عند ربكم) أي عند فضل ربكم بكم ذلك، وهذا
 معنى قول سعيد بن جبير والحسن والكلبي ومقاتل. وقال الفراء: ويجوز أن يكون أو بمعنى حتى كما يقال:
 تعلق به أو يعطيك حقه أي حتى يعطيك حقه، ومعنى الآية: ما أعطي أحد مثل ما أعطيتم يأمة
 محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم.

وقرأ ابن كثير (آن يؤتي) بالمد على الاستفهام وحينئذ يكون فيه اختصار تقديره: أن يؤتي أحد مثل
 أوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه ولا تؤمنون به، هذا قول قتادة والربيع وقالوا: هذا من
 قول الله تعالى يقول: قل لهم يا محمد (إن الهدى هدى الله) بأن أنزل كتاباً مثل كتابكم وبعث نبياً
 حسدتموه وكفرتم به.

﴿قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾، قوله أو يحاجوكم على هذه القراءة
 رجوع إلى خطاب المؤمنين وتكون «أو» بمعنى أن لأنهما حرفا شرط وجزاء يوضح أحدهما موضع الآخر،
 أي وإن يحاجوكم يامعشر المؤمنين عند ربكم فقل يا محمد: إن الهدى هدى الله ونحن عليه، ويجوز أن يكون
 الجميع خطاباً للمؤمنين، ويكون نظم الآية: أن يؤتي أحد مثل ما أوتيتم يامعشر المؤمنين حسدوكم فقل (إن
 الفضل بيد الله) وإن حاجوكم (فقل إن الهدى هدى الله).

ويجوز أن يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله (لعلهم يرجعون)، وقوله تعالى: (ولا تؤمنوا) من
 كلام الله يثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبس اليهود وتزويرهم في دينهم، يقول لا تصدقوا
 يامعشر المؤمنين إلا من تبع دينكم، ولا تصدقوا أن يؤتي أحد مثل ما أوتيتم من الدين والفضل، ولا
 تصدقوا أن يحاجوكم في دينكم عند ربكم أو يقدروا على ذلك فإن الهدى هدى الله، و(إن الفضل بيد الله
 يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) فتكون الآية كلها خطاب الله للمؤمنين عند تلبس اليهود لئلا يرتابوا.

قوله تعالى: ﴿يَخْضُ بِرَحْمَتِهِ﴾ أي بنبوته ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.
 قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ الآية، نزلت في اليهود أخبر الله

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ ۖ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾

تعالى أن فيهم أمانة وخيانة، والقنطار عبارة عن المال الكثير، والدينار عبارة عن المال القليل، يقول: منهم من يؤدي الأمانة وإن كثرت، ومنهم من لا يؤديها وإن قلت، قال مقاتل: (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك) هم مؤمنو أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿ومنها من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك﴾ يعني: ككفار اليهود، ككعب بن الأشرف وأصحابه، وقال جوير عن الضحاك عن ابن عباس في قوله عز وجل (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك) يعني: عبد الله بن سلام، أودعه رجل ألفاً ومائتي أوقية من ذهب فأذاها إليه، (ومنها من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك) يعني: فنحاص بن عازوراء، استودعه رجل من قريش ديناراً فخانه، قوله ﴿يؤده إليك﴾ قرأ أبو عمرو وأبو بكر وحزمة (يؤده) و (لا يؤده) و (تُصله) و (تؤته) و (تؤله) ساكنة الهاء، وقرأ أبو جعفر وقالون ويعقوب بالاختلاس كسراً، والباقون بالإشباع كسراً، فمن سكن الهاء قال لأنها وضعت في موضع الجزم وهو الياء الذاهبة، ومن اختلس فاكثفى بالكسرة عن الياء، ومن أشبع فعلى الأصل، لأن الأصل في الهاء الإشباع، ﴿إلا ما دُمت عليه قائماً﴾، قال ابن عباس مُلحاً، يريد يقوم عليه يطالبه بالإلحاح، وقال الضحاك: مواظباً أي ثواب عليه بالاقضاء، وقيل: أراد أودعته ثم استرجعته وأنت قائم على رأسه ولم تفرقه رده إليك، فإن فارقه وأخرته أنكره ولم يؤده ﴿ذلك﴾ أي: ذلك الاستحلال والخيانة، ﴿بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل﴾ أي: في مال العرب إثم وحرَج، كقوله تعالى: (ما على المحسنين من سبيل) وذلك أن اليهود قالوا: أموال العرب حلال لنا، لأنهم ليسوا على ديننا ولا حرمة / لهم في كتابنا، وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم.

٦١/أ

وقال الكلبي: قالت اليهود إن الأموال كلها كانت لنا فما في يد العرب منها فهو لنا، وإنما ظلمونا وغصبونا فلا سبيل علينا في أخذنا إياهم منهم.

وقال الحسن وابن جريج ومقاتل: بايع اليهود رجالاً من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم بقية أموالهم فقالوا: ليس لكم علينا حق، ولا عندنا قضاء لأنكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم، وادّعوا أنهم وجدوا ذلك في كتبهم، فكذبهم الله عز وجل، وقال عز من قائل: ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾، ثم قال رداً عليهم:

﴿بلى﴾ أي: ليس كما قالوا بل عليهم سبيل، ثم ابتداء فقال ﴿من أوفى﴾ أي: ولكن من أوفى ﴿بعهده﴾ أي: بعهد الله الذي عهد إليه في التوراة من الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن وأداء الأمانة، وقيل: الهاء في عهده راجعة إلى الموفي ﴿واتقى﴾ الكفر والخيانة ونقض العهد، ﴿فإن الله يحب المتقين﴾.

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

﴿٧﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل
أنا قبيصة بن عقبة أنا سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن عمر أن
النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من
النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^(١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ قال عكرمة: نزلت في رؤوس اليهود،
كتموا ما عهد الله إليهم في التوراة في شأن محمد ﷺ وبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله
لئلا يفوتهم المآكل والرشا التي كانت لهم من أتباعهم.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن
إسماعيل أنا موسى بن إسماعيل أنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله
ﷺ: «من حلف علي يمين صبرٍ يقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان»،
فأنزل الله تعالى تصديق ذلك (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا) إلى آخر الآية، فدخل
الأشعث بن قيس، فقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن؟ فقالوا: كذا وكذا، فقال: في أنزلت كانت لي بئر
في أرض ابن عم لي فأتيت رسول الله ﷺ فحدثته، فقال: «هات بينتك أو يمينه»، قلت: إذا جلف
عليها يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «من حلف علي يمين صبرٍ وهو فيها فاجرٍ يقطع بها مال
امرئ مسلم لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان»^(٢).

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا
إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا قتيبة بن سعيد أنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب
عن علقمة بن وائل بن حجر، عن أبيه قال: جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة إلى النبي، فقال

(١) أخرجه البخاري في الإيمان، باب علامة المنافق: ٨٩/١، وفي المظالم، باب وإذا خاصم فجر: ١٠٧/٥، ومسلم في الإيمان، باب بيان
خصال المنافق برقم (١٠٦): ٧٨/١. والمصنف في شرح السنة: ٧٤/١.

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان والنور، باب قول الله: «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا»: ٥٥٨/١١، و ٥٤٤/١١ بلفظ
«من حلف علي يمين كاذبة»، وفي التفسير، في تفسير سورة البقرة، وفي الأحكام، ومسلم في الإيمان، باب وعيد من اقطع حق مسلم
يمين فاجرة بالنار، برقم (٢٢٠): ١١٢/١، والمصنف في شرح السنة: ٩٩/١٠.

الحضرمي: يا رسول الله إن هذا قد غلبني على أرضي لي كانت لأبي، فقال الكندي: هي أرض في يدي أزرعها، ليس له فيها حق، فقال النبي ﷺ للحضرمي: «ألك بينة؟» قال: لا، قال: «فلك يمينه» قال: يا رسول الله إن الرجل فاجرٌ لا يُبالي على ما يحلف عليه، قال: «ليس لك منه إلا ذلك»، فانطلق ليحلف له، فلما أدبر قال رسول الله ﷺ: «أما لئن حلفَ علي ماله ليأكله ظلماً ليلقنَّ الله وهو عنه مُغرَضٌ»^(١)، ورواه عبد الملك بن عمير عن علقمة، وقال هو امرؤ القيس بن عابس الكندي وخصمه ربيعة بن عبدان.

وروي لما هم أن يحلف نزلت هذه الآية فامتنع امرؤ القيس أن يحلف، وأقرَّ لخصمه بحقه ودفعه إليه. أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي، أنا أبو مصعب عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن سعيد بن كعب عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حقَّ امرئٍ مسلم بيمينه حرّم الله عليه الجنة وأوجب له النار» قالوا: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: «وإن كان قضيباً من أراك» قالها ثلاث مرات^(٢).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمرو بن محمد أنا هشيم بن محمد أنا العوام بن حوشب عن إبراهيم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبي أوفى أن رجلاً أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد أعطني بها ما لم يعط، ليوقع فيها رجلاً من المسلمين، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمناً قَلِيلاً﴾^(٣).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ أي: يستبدلون ﴿بعهد الله﴾ وأراد الأمانة، ﴿وأيمانهم﴾ الكاذبة ﴿ثمناً قليلاً﴾ أي: شيئاً قليلاً من حطام الدنيا، ﴿وأولئك لا خلاق لهم﴾، لا نصيب لهم ﴿في الآخرة﴾، ونعيمها، ﴿ولا يكلمهم الله﴾ كلاماً ينفعهم ويُسره، وقيل: هو بمعنى الغضب، كما يقول الرجل: إني لا أكلم فلاناً إذا كان غضب عليه، ﴿ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾ أي: لا يرحمهم ولا يُحسن إليهم ولا يُنيلهم خيراً، ﴿ولا يُزكّيم﴾ أي: لا يُثني عليهم بالجميل ولا يُطهرهم من الذنوب، ﴿ولهم عذاب أليم﴾.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغفار بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد أنا سفیان أنا مسلم بن الحجاج أنا محمد بن جعفر عن شعبة عن علي بن مُدرك عن أبي

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، برقم (٢٢٣): ١٢٣/١ - ١٢٤.

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، برقم (٢١٨): ١٢٢/١، والمصنف في شرح السنة: ١١٣/١٠.

(٣) أخرجه البخاري في التفسير، في تفسير سورة آل عمران، باب «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمناً قَلِيلاً أولئك لا خلاق لهم»: ٢١٣/٨.

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ
مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ

زرعة عن خرشة بن الحر عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم وهم عذاب أليم» قال: قرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «المسبل والمثان والمنفق سلعته بالحليف الكاذب»^(١)، في رواية: «المسبل إزاره».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أسيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي، أنا أبو نصر محمد بن حمدويه المروزي أنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم وهم عذاب أليم، رجل حلف يميناً على مال مسلم فاقطعه، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد صلاة العصر أنه أعطي بسلعته أكثر مما أعطي وهو كاذب، ورجل منع فضل ماله، فإن الله تعالى يقول: اليوم أمتعتك فضل ما لم تعمل يداك»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا﴾ يعني: من أهل الكتاب لفريقاً أي: طائفة، وهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وأبو ياسر وشعبة بن عمر الشاعر، ﴿يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ أي: يعطفون ألسنتهم بالتحريف والتغيير، وهو ما غيروا من صفة النبي ﷺ وآية الرجم وغير ذلك، يُقال: لوى لسانه على كذا أي: غيره، ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي: لتظنوا / ما حرفوا ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾، ٦٢ / أ الذي أنزله الله تعالى، ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ عمداً، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، أنهم كاذبون، وقال الضحاك عن ابن عباس: إن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعاً وذلك أنهم حرفوا التوراة والإنجيل وألحقوا بكتاب الله ما ليس منه.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾ الآية، قال مقاتل والضحاك: ما كان لبشر يعني: عيسى عليه السلام، وذلك أن نصارى نجران كانوا يقولون: إن عيسى أمرهم أن يتخذوه رباً فقال

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسهال الإزار والمن بالعطية... برقم (١٧١): ١٠٢/١.

(٢) أخرجه البخاري في المساقاة، باب من رأى أن صاحب الحوض والقرية أحق بمائه: ٤٣/٥، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة»: ٤٢٣/١٣ وفيه: «ورجل منع فضل ماء» بدل ماله. ومسلم في الإيمان، باب بيان غلظ تحريم الإزار والمن بالعطية... برقم

(١٠٨): ١٠٣/١ وفيه أيضاً: «على فضل ماء» بدل مال. والمصنف في شرح السنة: ١٧٠/٦، ١٤٢/١٠.

ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ
الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٦﴾

تعالى: (ما كان لبشر) يعني: عيسى (أن يُؤتيه الله الكتاب) الإنجيل (١).

وقال ابن عباس وعطاء: (ما كان لبشر) يعني محمداً (أن يُؤتيه الله الكتاب) أي القرآن، وذلك أن أبا رافع القرظي من اليهود، والرئيس (١) من نصارى أهل نجران قالوا: يا محمد تريد أن نعبدك ونتخذك رباً فقال: معاذ الله أن تأمر بعبادة غير الله، ما بذلك أمرني الله، ولا بذلك أمرني (٢)، فأنزل الله تعالى هذه الآية (٣): (ما كان لبشر) أي ما ينبغي لبشر، كقوله تعالى: «ما يكون لنا أن نتكلم بهذا» (سورة النور، الآية: ١٦) أي ما ينبغي لنا، والبشر: جميع بني آدم لا واحد له من لفظه، كالقوم والجيش، ويوضع موضع الواحد والجمع، ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾، الفهم والعلم، وقيل: إمضاء الحكم عن الله عز وجل، ﴿وَالنَّبِيَّةَ﴾، المنزلة الرفيعة بالأنبياء، ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا﴾ أي: ولكن يقول كُونُوا، ﴿رَبَّانِيِّينَ﴾.

واختلفوا فيه، قال علي وابن عباس والحسن: كونا فقهاء علماء، وقال قتادة: حكماء وعلماء، وقال سعيد بن جبیر: العالم الذي يعمل بعلمه، وعن سعيد بن جبیر عن ابن عباس: فقهاء مُعلِّمين.

وقيل: الرباني الذي يُربي الناس بصغار العلم قبل كباره، وقال عطاء: علماء حكماء نُصحاء لله في خلقه، قال أبو عبيدة: سمعت رجلاً عالماً يقول: الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي (٤)، العالم بأنباء الأمة (٥) ما كان وما يكون، وقيل: الربانيون فوق الأخبار، والأخبار: العلماء، والربانيون: الذين جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس.

قال المؤرّج: كونا ربانيين تدينون لربكم، من الربوية، كان في الأصل ربي فأدخلت الألف للتفخيم، ثم أدخلت النون لسكون الألف، كما قيل: صنعائي وبهراني.

وقال الميرد: هم أرباب العلم سُموا به لأنهم يربون العلم، ويقومون به ويربون المتعلمين بصغار العلوم

(١) أسباب النزول للواحد ص (١٤٦).

(٢) في ب «ليس» وهو خطأ. وفي الواحدي «الرئيس».

(٣) في ب: بعثني.

(٤) رواه ابن اسحاق في السيرة، وعنه أخرجه الطبري في التفسير: ٥٣٩/٦، وانظر: لباب النقول للسيوطي بهامش الجلالين ص ١٣١.

(٥) في أ: الأمر والناهي.

(٦) الأمة: ساقط من: أ.

وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾

قبل كبارها، وكل من قام بإصلاح شيء وإتمامه فقد ربه يريه، واحدها: «ريان» (كما قالوا: ريان)^(١) وعطشان وشبعان وعريان، ثم ضُمت إليه ياء النسبة^(٢)، كما قالوا: الحياتي ورقباني.

وحكي عن علي رضي الله عنه أنه قال: هو الذي يربُّ علمه بعمله، قال محمد بن الحنفية لما مات ابن عباس: اليوم مات رباني هذه الأمة.

﴿بما كنتم﴾، أي: بما أنتم، كقوله تعالى: «من كان في المهدي صبياً» (سورة مريم الآية ٢٩)، أي: من هو في المهدي ﴿تعلّمون الكتاب﴾ قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي (تعلّمون) بالتحديد من التعليم، وقرأ الآخرون (تعلّمون) بالتخفيف من العلم، كقوله: ﴿وبما كنتم تُدرسون﴾ أي: تقرؤون.

قوله: ﴿ولا يأمر﴾، قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بنصب الراء عطفاً على قوله: ثم يقول، فيكون مردوداً على البشر، أي: ولا يأمر ذلك البشر، وقيل: على إضمار «أن» أي: ولا أن يأمر ذلك البشر، وقرأ الباقون بالرفع على الاستئناف، معناه: ولا يأمركم الله، وقال ابن جريج وجماعة: ولا يأمركم محمد، ﴿أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً﴾، كفعل قريش والصابئين حيث قالوا: الملائكة بنات الله، واليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح وعزير ما قالوا، ﴿أياؤمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾، قاله على طريق التعجب والإنكار، يعني: لا يقول هذا.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ لِمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ قرأ حمزة ﴿لما﴾ بكسر اللام، وقرأ الآخرون بفتحها، فمن كسر اللام فهي لام الإضافة دخلت على ما، ومعناه الذي يريد للذي آتيتكم، أي: أخذ ميثاق النبيين لأجل الذي آتاهم من الكتاب والحكمة يعني، أنهم أصحاب الشرائع، ومن فتح اللام فمعناه: للذي آتيتكم، بمعنى الخبر، وقيل: بمعنى الجزاء، أي: لكن آتيتكم ومهما آتيتكم، وجواب الجزاء قوله ﴿لتؤمنن﴾.

(١) ساقط من أ.

(٢) في ب: التشبيه، وهو خطأ.

فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾

قوله: ﴿لما آتيتكم﴾ قرأ نافع وأهل المدينة (آتيناكم) على التعظيم كما قال: «وآتيننا داوود زبوراً» (النساء - ١٦٣) «وآتيناه الحكم صبيياً» (سورة مريم ١٢) وقرأ الآخرون بالتاء لموافقة الخط، ولقوله: ﴿وأنا معكم﴾.

واختلفوا في المعنى بهذه الآية: فذهب قوم إلى أن الله تعالى أخذ الميثاق على النبيين خاصة أن يُبلِّغوا كتاب الله ورسالاته إلى عباده، وأن يُصدّق بعضهم بعضاً وأخذ العهد على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده من الأنبياء، وينصره إن أدركه، وإن لم يدركه أن يأمر قومه بنصرته إن أدركوه، فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى، ومن عيسى أن يؤمن بمحمد ﷺ.

(وقال الآخرون: بما أخذ الله الميثاق منهم في أمر محمد ﷺ) (١)، فعلى هذا اختلفوا: منهم من قال: إنما أخذ الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل منهم النبيين، وهذا قول مجاهد والربيع، ألا ترى إلى قوله ﴿ثم جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾، وإنما كان محمد ﷺ مبعوثاً إلى أهل الكتاب دون النبيين، يدل عليه أن في قراءة عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب﴾، وأما القراءة المعروفة (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) فأراد: أن الله أخذ ميثاق النبيين أن يأخذوا الميثاق على أممهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصدقوه وينصروه، إن أدركوه.

وقال بعضهم: أراد أخذ الله الميثاق على النبيين، وأمهم جميعاً في أمر محمد ﷺ، فاكفى بذكر الأنبياء لأن العهد مع المتبوع عهد على الأتباع، وهذا معنى قول ابن عباس، وقال علي بن أبي طالب: لم يبعث الله نبياً، آدم ومن بعده، إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد، وأخذ العهد على قومه ليؤمنن به، ولئن بُعث وهم أحياء لينصرنه.

قوله: ﴿ثم جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم﴾، يعني: محمداً ﷺ، ﴿لتؤمنن به ولتنصرنه﴾، يقول الله تعالى للأنبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم عليه السلام والأنبياء فيهم كالمصاييح والسُّرج، وأخذ عليهم الميثاق في أمر محمد ﷺ، قال ﴿أأقرئتم وأخذتم على ذلكم إصري﴾، أي: قبلتم على ذلكم عهدي، والإصر: العهد الثقيل، ﴿قالوا أقرنا قال﴾، الله تعالى: ﴿فاشهدوا﴾ أي: فاشهدوا أنتم على أنفسكم وعلى أتباعكم، ﴿وأنا معكم من الشاهدين﴾، عليكم وعليهم، وقال ابن عباس: فاشهدوا، أي: فاعلموا، وقال سعيد بن المسيب / قال الله تعالى للملائكة فاشهدوا عليهم، كناية عن غير مذكور.

﴿فمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾، الإقرار، ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾، العاصون الخارجون عن الإيمان.

(١) ما بين القوسين ساقط من أ.

أَفْغَيْرِ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيَّ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى

قوله عز وجل: ﴿أَفْغَيْرِ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾، وذلك أن أهل الكتاب اختلفوا فادّعى كل واحد أنه على دين إبراهيم عليه السلام واختصموا إلى رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ: «كَيْلَا الْفَرِيقَيْنِ بَرِيءٌ مِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»، فغضبوا وقالوا: لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفْغَيْرِ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾^(١)، قرأ أبو جعفر وأهل البصرة وحفص عن عاصم ﴿يَبْغُونَ﴾ بالياء لقوله تعالى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، وقرأ الآخرون بالتاء لقوله تعالى ﴿لَمَّا آتَيْتَكُمْ﴾، ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾، خضع وانقاد، ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، فالطوع: الانقياد والاتباع بسهولة، والكره: ما كان بمشقة وإياء من النفس.

واختلفوا في قوله «طوعاً وكرهاً» قال الحسن: أسلم أهل السموات طوعاً وأسلم من في الأرض بعضهم طوعاً وبعضهم كرهاً، خوفاً من السيف والسيب، وقال مجاهد: طوعاً المؤمن، وكرهاً ذلك الكافر، بدليل: «وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالَهُمْ بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ»، (الرعد — ١٥) وقيل: هذا يوم الميثاق حين قال لهم: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى» (الاعراف — ١٧٢)، فقال بعضهم: طوعاً وبعضهم: كرهاً، وقال قتادة: المؤمن أسلم طوعاً فنفعه، والكافر أسلم كرهاً في وقت البأس فلم ينفعه، قال الله تعالى: «فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا» (غافر — ٨٥) وقال الشعبي: هو استعازتهم به عند اضطرارهم، كما قال الله تعالى: «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَا اللَّهُ مَخْلَصِينَ لَهُ الدِّينَ» (العنكبوت — ٦٥).

وقال الكلبي: طوعاً الذي (وُلِدَ)^(٢) في الإسلام، وكرهاً الذين أُجبروا على الإسلام ممن يُسبى منهم فيجاء بهم في السلاسل، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾، قرأ بالياء حفص عن عاصم ويعقوب كما قرأ ﴿يَبْغُونَ﴾ بالياء وقرأ الباقر بالتاء فيما إلا أبا عمرو فإنه قرأ ﴿يَبْغُونَ﴾ بالياء و ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بالتاء، وقال: لأن الأول خاص والثاني عام، لأن مرجع جميع الخلق إلى الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١٢٧/٤، البحر المحيط لأبي حيان: ٥١٤/٢، أسباب النزول للواحدى ص(١٤٦).

(٢) ساقط من: أ.

وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ
 غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي
 اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ
 لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أَوْلَيْكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
 وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾
 إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ
 إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأَوْلَيْكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾

والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴿٨٤﴾،
 ذكر الملل والأديان واضطراب الناس فيها، ثم أمر رسول الله ﷺ أن يقول: «أما بالله» الآية.

قوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، نزلت في اثني عشر رجلاً ارتدوا عن الإسلام
 وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفاراً، منهم الحارث بن سويد الأنصاري، فنزل فيهم ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ
 الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ لفظه استفهام ومعناه جحد، أي: لا يهدي الله، وقيل
 معناه: كيف يهديهم الله في الآخرة إلى الجنة والثواب ﴿وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله
 لا يهدي القوم الظالمين﴾.

﴿أَوْلَيْكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ وذلك: أن الحارث بن سويد لما لحق
 بالكفار ندم، فأرسل إلى قومه: أن سلوا رسول الله ﷺ: هل لي من توبة؟ ففعلوا ذلك، فأنزل الله تعالى:
 ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)، لما كان منه، فحملها إليه رجل من
 قومه وقرأها عليه فقال الحارث: إنك - والله - ما علمت لصدوق وإن رسول الله ﷺ لأصدق منك
 وإن الله عز وجل لأصدق الثلاثة، فرجع الحارث إلى المدينة وأسلم وحسن إسلامه.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ قال قتادة والحسن: نزلت في

(١) انظر: الطبري: ٥٧٣/٦، أسباب النزول ص (١٤٧).

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ
 أَفْتَدَى بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿١٨﴾

اليهود، كفروا ببعيسى عليه السلام والإنجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم، ثم ازدادوا كفراً بكفرهم (١) بمحمد ﷺ والقرآن.

وقال أبو العالية: نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد ﷺ لما رأوه بعد إيمانهم بنعته وصفته في كتبهم، ثم ازدادوا كفراً، يعني: ذنوباً في حال كفرهم.

قال مجاهد: نزلت في جميع الكفار أشركوا بعد إقرارهم بأن الله خالقهم، ثم ازدادوا كفراً أي: أقاموا على كفرهم حتى هلكوا عليه (٢).

قال الحسن: ازدادوا كفراً كلما نزلت آية كفروا بها، فازدادوا كفراً وقيل: ازدادوا كفراً بقولهم: نتربص بمحمد ربّ المنون.

قال الكلبي: نزلت في الأحد عشر من أصحاب الحارث بن سويد، لما رجع الحارث إلى الإسلام أقاموا هم على الكفر بمكة وقالوا: نقيم على الكفر ما بدأ لنا فمتى أردنا الرجعة ينزل فينا ما نزل في الحارث، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة فمن دخل منهم في الإسلام قبلت توبته، ونزل فيمن مات منهم كافراً ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ الآية.

فإن قيل: قد وعد الله قبول توبة من تاب، فما معنى قوله: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾؟ قيل: لن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ إِذَا رَجَعُوا فِي حَالِ الْمَعَانِيَةِ (٣)، كما قال: «وليسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ» سورة النساء الآية (١٨).

وقيل: هذا في أصحاب الحارث بن سويد حيث أمسكوا عن الإسلام، وقالوا: نتربص بمحمد فإن ساعده الزمان نرجع إلى دينه، فلن يقبل منهم ذلك لأنهم متربصون غير محققين، وأولئك هم الضالون.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ﴾، أي: قدر ما يملأ الأرض من شرقها إلى غربها، ﴿ذَهَبًا﴾، نصب على التفسير، كقولهم: عشرون درهماً. ﴿وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ﴾، قيل: معناه لو افتدى به، والواو زائدة مقحمة، ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾.

(١) ساقط من: ب، وأنظر: أسباب النزول للواحدى ص (١٤٨)، الطبري: ٥٧٨/٦-٥٧٩، الدر المنثور: ٢٥٨/٢.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٢٥٨/٢-٢٥٩، أسباب النزول ص (١٤٨).

(٣) في ب: إذا وقعوا في الحشرجة.

لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٤﴾

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد ابن إسماعيل أنا محمد بن بشار أخبرنا غندر أخبرنا شعبة عن أبي عمران قال: سمعت أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «يقول الله لأهل النار عذاباً يوم القيامة: لو أنّ لك ما في الأرض من شيء أكنّت تفدي به؟ فيقول: نعم، فيقول: أردت منك أهون من ذلك وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي»^(١).

قوله تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ﴾ يعني: الجنة، قاله ابن عباس وابن مسعود ومجاهد، وقال مقاتل بن حيان: التقوى، وقيل: الطاعة، وقيل: الخير، وقال الحسن: أن تكونوا أبراراً.

أخبرنا محمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى، أنا حاجب بن أحمد الطوسى أخبرنا محمد بن حماد قال: أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال / رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق، فإنّ الصدق يهدي إلى البرّ، وإنّ البرّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإنّ الكذب يهدي إلى الفجور وإنّ الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(٢).

١/٦٣

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أي: من أحبّ أموالكم إليكم، روى الضحاك عن ابن عباس: أن المراد منه أداء الزكاة.

وقال مجاهد والكلبي: هذه الآية نسختها آية الزكاة، وقال الحسن: كل إنفاق يتنغي به المسلم وجهه الله حتى الثمرة ينال به هذا البرّ، وقال عطاء: لن تنالوا البرّ أي: شرف الدين والتقوى حتى تتصدقوا وأنتم أصحاب أشحاء.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول «كان أبو طلحة الأنصاري أكثر أنصاري بالمدينة مالا وكان أحب أمواله إليه بيبرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من

(١) أخرجه البخاري في الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب: ١١ / ٤٠٠، وباب صفة الجنة والنار: ١١ / ٤١٦، وفي الأنبياء، باب خلق آدم وذريته. ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً، برقم (٢٨٠٥): ٤ / ٢١٦٠، والمصنف في شرح السنة: ٢٤٢/١٥.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب، باب قول الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»: ١٠ / ٥٠٧، ومسلم في البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق برقم (٢٦٠٧) ٤ / ٢٠١٣، والمصنف في شرح السنة: ١٥٢/١٣.

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١)

ماءٍ فيها طيبٌ، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية ﴿لن تناولوا البر حتى تُنفقوا مما تُحبون﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله تعالى يقول في كتابه: (لن تناولوا البر حتى تُنفقوا مما تُحبون) وإن أحب أموالي إليُّ يبرء، وإنما صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت، فقال رسول الله ﷺ: بئح بئح ذلك مالٌ رابح. أو قال: ذلك مال رابح وقد سمعتُ ما قلتَ فيها، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه»^(١).

وروي عن مجاهد قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أن يتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فُتحت فدعا بها فأعجبته، فقال: إن الله عز وجل يقول: ﴿لن تناولوا البر حتى تُنفقوا مما تُحبون﴾ فأعتقها عمر^(٢).

وعن حمزة بن عبد الله بن عمر قال: خطرت على قلب عبد الله بن عمر هذه الآية ﴿لن تناولوا البر حتى تُنفقوا مما تُحبون﴾ قال ابن عمر: فذكرتُ ما أعطاني الله عز وجل، فما كان شيء أعجب إلي من فلانة، هي حرّة لوجه الله تعالى، قال: لولا أنني لا أعود في شيء جعلته الله لنكحتها^(٣).

﴿وما تُنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾، أي: يعلمه ويجازي به.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ سبب نزول هذه الآية: أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: تزعم أنك على ملة إبراهيم؟ وكان إبراهيم لا يأكل لحوم الإبل وألبانها وأنت تأكلها، فلست على ملة! فقال رسول الله ﷺ: «كان ذلك حلالاً لإبراهيم عليه السلام»، فقالوا: كل ما نحرّمه اليوم كان ذلك حراماً على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٤) ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، يريد: سوى الميتة والدم، فإنه لم يكن حلالاً قط.

(١) أخرجه البخاري في الزكاة، باب الزكاة على الأتارب: ٣/٣٢٥، وفي الوكالة، باب إذا قال الرجل لوكيله: ضعه حيث أراك الله:

٤/٤٩٣، وفي التفسير، تفسير سورة آل عمران، باب: «لن تناولوا البر حتى تُنفقوا مما تُحبون» ٨/٢٢٣. وفي الوصايا والأشربة.

وأخرجه مسلم في الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقرين... برقم (٩٩٨): ٢/٦٩٣، والمصنف في شرح السنة: ٦/١٨٩-١٩٠.

(٢) الدر المنثور: ٢/٢٦٠، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري من رواية ابن أبي نجیح عن مجاهد: ٦/٥٨٨، وانظر: الكافي الشاف لابن حجر ص ٢٧، الدر المنثور: ٢/٢٦٠.

(٤) انظر: البحر المحيط: ٣/٢، أسباب النزول ص (١٤٨).

﴿إلا ما حرم إسرائيل على نفسه﴾ وهو يعقوب عليه السلام ﴿من قبل أن تنزل التوراة﴾، يعني: ليس الأمر على ما قالوا من حرمة لحوم الإبل وألبانها على إبراهيم، بل كان الكلّ حلالاً له ولبنى إسرائيل، وإنما حرّمها إسرائيل على نفسه قبل نزول التوراة، يعني: ليست في التوراة حرمتها.

واختلفوا في الطعام الذي حرّمه يعقوب على نفسه وفي سببه، قال أبو العالية وعطاء ومقاتل والكلبي: كان ذلك الطعام: لحمان الإبل وألبانها، ورُوي أن يعقوب مرض مرضاً شديداً فطال سقمه فنذر لمن عافاه الله من سقمه ليُحرّمَ أحبّ الطعام والشراب إليه، وكان أحبّ الطعام إليه لحمان الإبل وأحبّ الشراب إليه ألبانها، فحرّمهما.

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك: هي العروق.

وكان السبب في ذلك أنه اشتكى عرق النسا وكان أصل وجعه، فيما روى جوير ومقاتل عن الضحاك: أن يعقوب كان نذر إن وهبه الله اثني عشر ولداً وأتى بيت المقدس صحيحاً أن يذبح آخرهم، فتلقاه ملك [من الملائكة]^(١)، فقال: يا يعقوب إنك رجل قوي فهل لك في الصراع، فعالجه فلم يصرغ واحداً منهما صاحبه، فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك، ثم قال له: أما إنني لو شئت أن أصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لأنك كنت نذرت إن أتيت بيت المقدس صحيحاً ذبحت آخر ولدك، فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجاً، فلما قدمها يعقوب أراد ذبح ولده ونسي قول الملك، فاتاه الملك وقال: إنما غمزتك للمخرج وقد وُفي نذرك فلا سبيل لك إلى ولدك.

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: أقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه عيصو: وكان رجلاً بطيشاً قوياً فلقبه ملك فظن يعقوب أنه لص فعالجه أن يصرعه، فغمز الملك فخذ يعقوب، ثم صعد إلى السماء ويعقوب عليه السلام ينظر إليه، فهاج به عرق النسا ولقي من ذلك بلاءً وشدّة، وكان لا ينام بالليل من الوجع، وببيت وله زقاء، أي: صياح، فحلف يعقوب لمن شفاه الله أن لا يأكل عرقاً ولا طعاماً فيه عرق، فحرّمه على نفسه، فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق، يخرجونها من اللحم.

وروي جوير عن الضحاك عن ابن عباس: لما أصاب يعقوب عرق النسا وصف له الأطباء أن يجتنب لحمان الإبل فحرّمها يعقوب على نفسه.

وقال الحسن: حرّم إسرائيل على نفسه لحم الجزور تعبداً لله تعالى: فسأل ربّه أن يبيح له ذلك فحرّمه الله على ولده^(٢).

(١) ساقط من: أ.

(٢) انظر في هذه الأقوال: الدر المنثور: ٢/٢٦٣-٢٦٤.

فَمِنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ
فَاتَّبَعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةٍ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴿١٧﴾

ثم اختلفوا في حال هذا الطعام المحرم على بني إسرائيل بعد نزول التوراة، وقال السدي: حرم الله عليهم في التوراة ما كانوا يجرمون قبل نزولها، وقال عطية: إنما كان محرماً عليهم بتحريم إسرائيل فإنه كان قد قال: لئن عافاني الله لا يأكله لي ولد، ولم يكن محرماً عليهم في التوراة، وقال الكلبي: لم يحرمه الله (عليهم) (١) في التوراة وإنما حرم عليهم بعد التوراة بظلمهم، كما قال الله تعالى: «فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أُحِلَّتْ لَهُمْ» (سورة النساء الآية ١٦٠) وقال الله تعالى: «وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر»، إلى أن قال: «ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون» (سورة الأنعام، الآية ١٤٦)، وكانت بنو إسرائيل إذا أصابوا ذنباً عظيماً حرم الله عليهم طعاماً طيباً أو صب عليهم رجساً وهو الموت.

وقال الضحاك: لم يكن شيء من ذلك حراماً عليهم ولا حرمه الله في التوراة، وإنما حرمه على أنفسهم اتباعاً لأبيهم، ثم أضافوا تحريمه إلى الله، فكذبهم الله عز وجل، فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿فَاتَّبَعُوا بالتوراة فاتلوا﴾، حتى يتبين أنه كما قلتم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فلم يأتوا. / فقال الله عز وجل: ٦٣/ب
﴿فَمِنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وإنما دعاهم إلى اتباع ملة إبراهيم لأن في اتباع ملة إبراهيم اتباعه ﷺ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةٍ مُبَارَكًا﴾، سبب [نزول هذه الآية] (٢) أن اليهود قالوا للمسلمين: بيت المقدس قبلتنا، وهو أفضل من الكعبة، وأقدم وهو مهاجر الأنبياء، وقال المسلمون بل الكعبة أفضل، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةٍ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، وليس شيء من هذه الفضائل لبيت المقدس.

(١) ساقط من: أ.

(٢) في أ: سبب نزولها.

واختلف العلماء في قوله تعالى : ﴿إِن أُولَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾، فقال بعضهم: هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق [السماء]^(١) والأرض، خلقه الله قبل الأرض بألفي عام، وكانت زبدةً بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحته، هذا قول عبد الله بن عمر ومجاهد وقتادة والسدي.

وقال بعضهم: هو أول بيت بني في الأرض، روي عن علي بن الحسين: أن الله تعالى وضع تحت العرش بيتاً وهو البيت المعمور، وأمر الملائكة أن يطوفوا به، ثم أمر الملائكة الذين هم سكان الأرض أن يبنوا في الأرض بيتاً على مثاله وقدره، فبنوا واسمه الضحاح، وأمر من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور.

وروي أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفي عام، وكانوا يحجونه، فلما حججه آدم قالت الملائكة: يرُ حجك يا آدم، حججنا هذا البيت قبلك بألف عام، وروى عن ابن عباس أنه قال: أراد به أنه أول بيت بناه آدم في الأرض، وقيل: هو أول بيت مبارك وضع [في الأرض]^(٢) هدى للناس، يروي ذلك عن علي بن أبي طالب، قال الضحاح: أول بيت وضع فيه البركة، وقيل: أول بيت وضع للناس يُحجُّ إليه. وقيل: أول بيت جعل قبلة للناس. وقال الحسن والكلبي: معناه: أول مسجدٍ ومتعبّدٍ وضع للناس يعبد الله فيه كما قال الله تعالى: (في بيوت أذن الله أن ترفع) يعني المساجد^(٣).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا موسى بن إسماعيل أخبرنا عبد الواحد أنا الأعمش أخبرنا إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه قال سمعتُ أبا ذرٍ يقول: قلت يا رسول الله أيُّ مسجدٍ وُضع في الأرض أولاً؟ قال: «المسجد الحرام، قلت ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتكَ الصلاة بعدُ فصلِّ فإن الفضل فيه»^(٤).

قوله تعالى: ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ قال جماعة: هي مكة نفسها، وهو قول الضحاح، والعرب تعاقب بين الباء والميم، فتقول: سبَّد رأسه وسمَّده، وضربة لازِبٍ ولازم، وقال الآخرون: بكَّة موضع البيت ومكة اسم البلد كله.

وقيل: بكَّة موضع البيت والمطاف، سميت بكَّة: لأن الناس يتباكون فيها، أي يزدحمون إليك بعضهم بعضاً ويصلي بعضهم بين يدي بعض ويمر بعضهم بين يدي بعض.

(١) في أ: «السموات».

(٢) ساقط من أ.

(٣) انظر الطبري: ١٩/٧-٢٢ وقد رجح هذا القول الأخير.

(٤) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب حدثنا موسى بن إسماعيل: ٦/٤٠٧، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة برقم (٥٢٠): ١/٣٧٠.

وقال عبد الله بن الزبير: سُميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة، أي تدقها فلم يقصدها جبار بسوء إلا قصمه الله.

وأما مكة سميت بذلك لقلعة مائها، من قول العرب: مَكَّ الفصيل ضِرْعَ أمه وأمتكه إذا امتص كل ما فيه من اللبن، وتدعى أم رحم لأن الرحمة تنزل بها.

﴿مباركاً﴾ نصب على الحال، أي: ذا بركة ﴿وهدي للعالمين﴾ لأنه قبله المؤمنين ﴿فيه آيات بينات﴾ قرأ ابن عباس ﴿آية بينة﴾ على الوجدان، وأراد مقام إبراهيم وحده، وقرأ الآخرون ﴿آيات بينات﴾ بالجمع، فذكر منها مقام إبراهيم [وهو الحجر]^(١) الذي قام عليه إبراهيم، وكان أثر قدميه فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي، ومن تلك الآيات: الحجر الأسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها، وقيل: مقام إبراهيم جميع الحرم، ومن الآيات في البيت أن الطير تطير فلا تعلق فوقه، وأن الجارحة إذا قصدت صيداً فإذا دخل الصيد الحرم كفت عنه، وإنه بلد صدر إليه الأنبياء والمرسلون والأولياء والأبرار، وإن الطاعة والصدقة فيها تُضاعف بمائة ألف .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي، أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحق السراج، أخبرنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري أنا مالك بن أنس عن زيد بن رباح وعبيد الله بن أبي عبد الله عن أبي عبد الله الأعمش عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة، فيما سواه إلا المسجد الحرام»^(٢).

قوله عز وجل: ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ من أن يحاج فيه، وذلك بدعاء إبراهيم عليه السلام حيث قال: رب اجعل هذا بلداً آمناً، وكانت العرب في الجاهلية يقتل بعضهم بعضاً ويغير بعضهم على بعض ومن دخل الحرم أمن من القتل والغارة، وهو المراد من الآية على قول الحسن وقتادة وأكثر المفسرين قال الله تعالى: (أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويُخطف الناس من حَوْلِهِمْ) (سورة العنكبوت الآية ٦٧) ، وقيل: المراد به أن من دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله ﷺ كان آمناً، كما قال تعالى: (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) (سورة الفتح، الآية ٢٧) وقيل: هو خبر بمعنى الأمر تقديره: ومن دخله فأمّنوه، كقوله تعالى: (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) (البقرة — ١٩٧)، أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا، حتى ذهب بعض أهل العلم إلى أن من وجب عليه القتل قصاصاً أو حداً فالتجأ إلى الحرم فلا يُستوفى منه فيه، ولكنه [لا يُطعم]^(٣) ولا يُبايع ولا يُشارى حتى يخرج منه، فيقتل، قاله ابن عباس،

(١) ساقط من: أ.

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة: ٦٣/٣، ومسلم في الحج — باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة برقم (١٣٩٥): ١٠١٣/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٣٥/٢.

(٣) ساقط من: أ.

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾

وبه قال أبو حنيفة، وذهب قوم إلى أن القتل الواجب بالشرع يُستوفى فيه أما إذا ارتكب الجريمة في الحرم يستوفى فيه عقوبته بالاتفاق.

وقيل: معناه ومن دخله معظماً له متقرباً إلى الله عز وجل كان آمناً يوم القيامة من العذاب .
قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، أي: والله فرض واجب على الناس حج البيت، قرأ أبو جعفر وحمة والكسائي وحفص ﴿حج البيت﴾ بكسر الحاء في هذا الحرف خاصة، وقرأ الآخرون بفتح الحاء، وهي لغة أهل الحجاز، وهما لغتان فصيحتان ومعناها واحد .

والحج أحد أركان الإسلام، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن موسى أنا حنظلة بن أبي سفيان عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «بُني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، / والحج، وصوم رمضان»^(١).

قال أهل العلم: ولوجوب الحج خمس شرائط: الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والاستطاعة، فلا يجب على الكافر ولا على المجنون، ولو حجاً بأنفسهما لا يصح لأن الكافر ليس من أهل القرية ولا حكم [لفعل]^(٢) المجنون، ولا يجب على الصبي ولا على العبد، ولو حج صبي يعقل، أو عبد يصح حجهما تطوعاً لا يسقط به فرض الإسلام عنهما فلو بلغ الصبي، أو عُتق العبد بعدما حج واجتمع في حقه شرائط [وجوب]^(٣) الحج، وجب عليه أن يحج ثانياً، ولا يجب على غير المستطيع، لقوله تعالى: ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ غير أنه لو تكلف فحج يسقط عنه فرض الإسلام.

والاستطاعة نوعان، أحدهما: أن يكون مستطيعاً [بنفسه]^(٤)، والآخر: أن يكون مستطيعاً بغيره، أما الاستطاعة بنفسه أن يكون قادراً بنفسه على الذهاب ووجَد الزاد والراحلة، أخبرنا عبد الواحد بن محمد الكسائي الخطيب ثنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا سعيد بن سالم عن إبراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد بن جعفر قال: قعدنا إلى عبد الله

(١) أخرجه البخاري في الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم: ٤٩/١، ومسلم في الإيمان: باب أركان الإيمان برقم (١٩): ٤٥/١، والمصنف في شرح السنة: ١٧/١.

(٢) في أ: لقول.

(٣) ساقط من: أ.

(٤) في أ: «بيدنه».

بن عمر فسمعته يقول: سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: ما الحاج؟ قال: «الشعث الثفل»، فقام رجل آخر فقال: يا رسول الله: أي الحج أفضل؟ قال: «العج والثج»، فقام رجل آخر فقال: يا رسول الله ما السبيل؟ قال: «زادٌ وراحلة»^(١).

وتفصيله: أن يجد راحلةً تصلح لثله، ووجد زاداً للذهاب والرجوع، فاضلاً عن نفقة عياله ومن تلزمه نفقتهم وكسوتهم لذهابه ورجوعه، وعن دينٍ يكون عليه، ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت عادة أهل بلده بالخروج في ذلك الوقت، فإن خرجوا قبله أو أخرؤا الخروج إلى وقت لا يصلون إلا أن يقطعوا كل يوم أكثر من مرحلة لا يلزمهم الخروج [في ذلك الوقت]^(٢)، ويشترط أن يكون الطريق آمناً، فإن كان فيه خوف من عدوٍ مسلمٍ أو كافرٍ أو رصديٍّ يطلب شيئاً لا يلزمه، ويشترط أن تكون المنازل المأهولة معمورة يجد فيها الزاد والماء، فإن كان زمانٌ جدويةً تفرق أهلها أو غارت مياهاها، فلا يلزمه ولو لم يجد الراحلة لكنه قادر على المشي، أو لم يجد الزاد ولكن يمكنه أن يكتسب في الطريق لا يلزمه الحج، ويستحب لو فعل، وعند مالك يلزمه.

أما الاستطاعة بالغير هو: أن يكون الرجل عاجزاً بنفسه، بأن كان زَمناً أو به مرض غير مرجو الزوال، لكن له مال يمكنه أن يستأجر من يحج عنه، يجب عليه أن يستأجر، أو لم يكن له مال لكن بذل له ولده أو أجنبي الطاعة في أن يحج عنه، يلزمه أن يأمره إذا كان يعتمد صدقه، لأن وجوب الحج [يتعلق]^(٣) بالاستطاعة، ويقال في العرف: فلان مستطيع لبناء دار وإن كان لا يفعله بنفسه، إنما يفعله بماله أو بأعوانه.

وعند أبي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة، وعند مالك لا يجب على المعضوب في المال.

وَحُجَّةٌ من أوجه ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن عباس أنه قال: كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ، فجاءته امرأة من حُثَم تستفتيه، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله إن فريضة

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة آل عمران: ٨/ ٣٤٨ وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي، وقد تكلم بعض أهل العلم في إبراهيم بن يزيد من قبل حفظه. والشافعي في ترتيب المسند: ٢٨٤/١.
وأخرجه ابن ماجه في المناسك، باب ما يوجب الحج برقم (٢٨٩٦): ٢/ ٩٦٧، والدارقطني في السنن: ٢/ ٢١٧، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٧.

قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير: ٢/ ٢٢١: «وطرقه كلها ضعيفة، وقد قال عبد الحق: إن طرقه كلها ضعيفة، وقال أبو بكر بن المنذر: لا يثبت الحديث في ذلك مستنداً، والصحيح من الروايات رواية الحسن مرسله».

(٢) ساقط من: أ.

(٣) في أ: «معلق».

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مِن مَّا مَن تَبَعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ
وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾

الله على عباده في الحج، أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «نعم»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، قال ابن عباس والحسن وعطاء: جَحَدَ فَرَضَ الحج، وقال مجاهد: من كفر بالله واليوم الآخر.

وقال سعيد بن المسيب: نزلت في اليهود حيث قالوا: الحج إلى مكة غير واجب.

وقال السدي: هو من وجد ما يحج به ثم لم يحج حتى مات فهو كافر به، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحق الثعلبي، أخبرنا أبو الحسن الكلّماتي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر، أخبرنا سهيل بن عمار أخبرنا يزيد بن هرون أخبرنا شريك عن الليث عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر، ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً»^(٢).

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لم تصفون عن دين الله، ﴿مَنْ آمَنَ﴾

(١) أخرجه البخاري في الحج، باب وجوب الحج وفضله: ٣/ ٣٧٨، وفي باب حج عمن لا يستطيع الثبوت على الراحلة، وباب حج المرأة على الرجل. ومسلم في الحج، باب الحج عن العاجز لزمانة أو هو محرم ونحوه، برقم (١٣٣٤): ٢/ ٩٧٣. والمصنف في شرح السنة: ٢٥/٧.

(٢) روي هذا الحديث بألفاظ متقاربة عن عدد من الصحابة بطرق ضعيفة، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وقال العقيلي والدارقطني: لا يصح فيه شيء.

قال ابن حجر: وله طرق أحدها: أخرجه سعيد بن منصور في السنن وأحمد وأبو يعلى والبيهقي من طرق عن شريك عن ليث بن أبي سليم عن ابن سابط عن أبي أمامة... وليث: ضعيف، وشريك: سيء الحفظ، وقد خالفه سفيان فأرسله. ورواه أحمد في كتاب الإيمان له عن وكيع عن سفيان عن ليث عن ابن سابط... فذكره مرسلًا وذكره ابن أبي شيبة عن ليث مرسلًا، وأورد أبو يعلى من طريق أخرى عن شريك عن ليث مخالفة للإسناد الأول.

والثاني: عن علي، مرفوعاً: من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً...، ورواه الترمذي وقال: غريب وفي إسناده مقال، والحارث يضعف. كتاب الحج، باب ما جاء من التغليظ في ترك الحج: ٣/ ٥٤١.

والثالث: عن أبي هريرة مرفوعاً، رواه ابن عدي من حديث عبد الرحمن القطاني عن أبي المهزم، وهما متروكان. وله طرق صحيحة إلا أنها =

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

كُفْرِينَ ﴿١٠﴾

تُبَغِّوْنَهَا ﴿١٠﴾ تطلبونها، ﴿عَوْجًا﴾ زيقاً وميلاً، يعني: لم تصدون عن سبيل الله باغين لها عوجاً؟ قال أبو عبيدة: العوج — بالكسر — في الدين والقول والعمل، والعَوَجُ — بالفتح — في الجدار، وكل شخص قائم، ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، [أن في التوراة مكتوباً] ^(١) نعت محمد ﷺ وإن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾، قال زيد بن أسلم: إن شاسَ بن قيس اليهودي - وكان شيخاً عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين — مرَّ على نفر من الأوس والخزرج في مجلس جمعهم يتحدثون، فغاضه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، قال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار، فأمر شاباً من اليهود كان معه فقال: اعمد إليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بُعِثَ وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وكان بُعِثَ يوماً اقتتلت فيه الأوس مع الخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل وتكلم فتكلم القوم عند ذلك فتنازعا وتفاخروا حتى توثب رجلان من الحيين على الركب، أوسُ بن قيطي أحد بني حارثة من الأوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شتمت الله رددتها الآن جذعة، وغضب الفريقان جميعاً وقالوا: قد فعلنا السلاح السلاح موعدمك الظاهرة، وهي حرة فخرجوا إليها، وانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم، فقال ﷺ: يا معشر المسلمين أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر ^(٢) الجاهلية، وألَّفَ بينكم؟ ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً، الله الله!! فعرف القوم أنها نزعة من / الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، فأُنزل الله تعالى فيهم هذه

= موقوفة، رواها سعيد بن منصور والبيهقي عن عمر بن الخطاب.

ثم قال: «وإذا انضمت هذا الموقوف إلى مرسل ابن سابط عُلم أن لهذا الحديث أصلاً. ومحملة على من استحلَّ الترك، وتبين بذلك خطأ من ادعى أنه موضوع. والله أعلم.»

تلخيص الحبير: ٢/ ٢٢٢ — ٢٢٣، الكافي الشاف ص ٢٨. وانظر: نصب الراية للزليعي: ٤/ ٤١٠ — ٤١١.

(١) في أ: «أن التوراة فيها مكتوب.»

(٢) في أ: «إصر.»

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ
فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾

الآية (١)

﴿يُرِيدُكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ قال جابر: فما رأيت قط يوماً أقبح أولاً، وأحسن آخراً من ذلك اليوم، ثم قال الله تعالى على وجه التعجب:

﴿وكيف تكفرون﴾ يعني: ولم تكفرون؟ ﴿وأنتم تلى عليكم آيات الله﴾، القرآن، ﴿وفيكُم رسوله﴾، محمد ﷺ.

قال قتادة: في هذه الآية علمان بيّان: كتاب الله ونبي الله، أما نبي الله فقد مضى، وأما كتاب الله فأبقاه بين أظهركم رحمة من الله ونعمة.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو الفضل الحسن بن يعقوب بن يوسف العدل أخبرنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب العبدي أنا أبو جعفر بن عوف أخبرنا أبو حيان يحيى بن سعيد بن حيان [عن يزيد بن حيان] (٢) قال: سمعت زيد بن أرقم قال: «قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يُوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه، وإني تارك فيكم الثقلين أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به، فحث عليه ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» (٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ﴾ أي: يمتنع بالله ويتمسك بدينه وطاقته، ﴿فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، طريق واضح، وقال ابن جريج ومن يعتصم بالله أي: يؤمن بالله، وأصل العصمة: المنع، فكل مانع شيئاً فهو عاصم له.

(١) قال ابن حجر في الكافي الشاف ص ٢٩: «أخرجه الطبري عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه، وأخرجه ابن اسحاق في المغازي، وذكره ابن هشام فلم يذكر إسناد ابن اسحاق، وذكره الثعلبي والواحدي في أسبابه عن زيد بن أسلم بغير إسناد».

وعزاه السيوطي أيضاً لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ. انظر: الدر المنثور: ٤ / ٢٧٨ - ٢٧٩، أسباب النزول للواحدي ص (١٤٩ - ١٥٠). الطبري: ٧ / ٥٦ - ٥٥، وسيرة ابن هشام: ٢ / ٥٥٦ - ٥٥٧.

(٢) زيادة من: ب.

(٣) قطعة من حديث أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب برقم (٢٤٠٨): ٤ / ١٨٧٣ - ١٨٧٤، والمصنف في شرح السنة: ١١٧ / ١٤ - ١١٨.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾، قال مقاتل بن حيان: كان بين الأوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، فأصلح بينهم فافتخر بعده منهم رجلا: ثعلبة بن غنم من الأوس وأسعد بن زرارة من الخزرج، فقال الأوسي: منّا خزيمية بن ثابت ذو الشهادتين، ومنّا حنظلة غسيل الملائكة، ومنّا عاصم بن ثابت بن أفلح حمي الدبر، ومنّا سعد بن معاذ الذي اهتز [لموته] ^(١) عرش الرحمن ورضي الله بحكمه في بني قريظة.

وقال الخزرجي: منّا أربعة أحكموا القرآن: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، ومنّا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم، فجرى الحديث بينهما فغضباً وأنشدا الأشعار وتفاخرا، فجاء الأوس والخزرج ومعهم السلاح، فاتاهم النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ ^(٢).

وقال عبد الله بن مسعود وابن عباس: هو أن يُطاع فلا يُعصى، قال مجاهد: أن تُجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم، وتقوموا لله بالقسط ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم. وعن أنس أنه قال: لا يتقي الله عبداً حق تقاته حتى يخزن لسانه.

قال أهل التفسير: فلما نزلت هذه الآية شق ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول الله ومن يقوى على هذا؟ فأنزل الله تعالى: (فاتقوا الله ما استطعتم) (التغابن ١٦) فتسخت هذه الآية، وقال مقاتل: ليس في آل عمران من المنسوخ إلا هذا ^(٣).

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي: مؤمنون، وقيل مخلصون مفوضون أموركم إلى الله عز وجل، وقال الفضيل: مُحسنون الظن بالله.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو بكر العبدوسي أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد أخبرنا سليمان بن سيف أخبرنا وهب بن جرير أنا شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت على الأرض لأمرت على أهل الدنيا معيشتهم، فكيف بمن هو طعامه وليس لهم طعام غيره»؟ ^(٤).

(١) ساقط من: «أ».

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي، ص (١٥١).

(٣) انظر الطبري: ٦٨/٧-٦٩، فقد ذكر الرأيين ولم يرجح أحدهما، ونقل الشيخ محمود شاكر عن النحاس أنه رجح القول بعدم النسخ فراجع.

(٤) أخرجه الترمذي في صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار: ٧/٣٠٧ وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه في =

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً
فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ
مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

قوله عز وجل: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾، الحبل: السبب الذي [يتوصل] ^(١) به إلى البغية،
وسمي الإيمان حبلًا لأنه سبب يتوصل به إلى زوال الخوف.

واختلفوا في معناه هاهنا، قال ابن عباس: معناه تمسكوا بدين الله، وقال ابن مسعود: هو الجماعة،
وقال: عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر الله به، وإن ما تكروهون في الجماعة والطاعة خير مما
تُحبون في الفرقة. وقال مجاهد وعطاء: بعهد الله، وقال قتادة والسدي: هو القرآن، ورؤي عن ابن مسعود
عن النبي ﷺ قال: «إن هذا القرآن هو حبلُ الله، وهو النورُ المبين، والشفاءُ النافع، وعصمةُ لمن تمسك
به، ونجاةُ لمن تبعه» ^(٢) وقال مقاتل بن حيان: بحبل الله: أي بأمر الله وطاعته، ﴿ولا تفرقوا﴾ كما

= الزهد، باب صفة النار، برقم (٤٣٢٥) ٢ / ١٤٤٦، والحاكم في المستدرک: ٢ / ٢٩٤ وصححه على شرط الشيخين، وابن حبان، في
موارد الظمان للهشمي، ص ٦٤٩، والإمام أحمد في المسند: ١ / ٣٠١، ٣٣٨، والمصنف في شرح السنة: ١٥ / ٢٤٦.
وعزه السيوطي أيضاً: لابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في البعث والنشور... انظر: الدر المنثور: ٢ / ٢٨٤.
وانظر تفسير ابن كثير: ١ / ٣٨٩. وصححه الألباني في تعليقه على المشكاة: ٣ / ١٥٨٢.

(١) في أ: «يوصل».

(٢) أخرجه الترمذي عن علي رضي الله عنه في فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن: ٨ / ٢١٨ — ٢٢١، وقال: هذا حديث
غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف
٤٨٢/١٠.

وله شاهد من حديث معاذ بن جبل قال: ذكر رسول الله ﷺ الفتن فعظمها فقال علي بن أبي طالب يا رسول الله فما المخرج منها؟
قال: كتاب الله، فيه حديث ما قبلكم.... رواه الطبراني، وفيه عمرو بن واقد، وهو متروك انظر: مجمع الزوائد: ٧ / ١٦٥.
وأخرجه الدارمي عن عبد الله بن مسعود في فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن: ٢ / ٤٣١، والحاكم في المستدرک: ١ / ٥٥٥
وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بصالح بن عمر، وقال الحافظ الذهبي: صالح ثقة أخرج له مسلم، لكن لإبراهيم بن
مسلم الهجري ضعيف.

ورواه الطبراني أيضاً، قال الهيثمي: ٧ / ١٦٤: وفيه مسلم بن إبراهيم الهجري وهو متروك، وابن أبي شيبة في المصنف: ١٠ / ٤٨٢ —
٤٨٣، وعبد الرزاق في المصنف: ٢ / ٣٧٥ من طريق ابن عيينة عن إبراهيم الهجري، وأورده في كنز العمال من رواية ابن أبي شيبة،
وعزه ابن كثير أيضاً لأبي عبيد القاسم بن سلام. تفسير ابن كثير: ٤ / ٥٨٢.
وعزه ابن حجر للبخاري أيضاً وإسحاق، من طريق الحارث، قال البخاري: «لا نعلمه إلا من طريق علي، ولا نعلمه رواه عنه إلا الحارث.
انظر: الكافي الشاف لابن حجر: ص ٢٩.

وقال الحافظ ابن كثير بعد أن ساق رواية الترمذي: لم ينفرد بروايته حمزة الزيات، بل قد رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب
القرظي عن الحارث، فبره من عهده... وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد وهم
بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ، ثم ساق حديث أبي
عبيد عنه. انظر فضائل القرآن الملحق بالتفسير لابن كثير: ٤ / ٥٨٢.

[افتقرت] ^(١) اليهود والنصارى، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا، يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلىَّ اللَّهُ أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ: قَيْلٌ وَقَالَ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ» ^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ قال محمد بن إسحاق بن يسار وغيره من أهل الأخبار: كانت الأوس والخزرج أخوين لأب وأم فوقعت بينهما عداوة بسبب قتيل، فتطاوت تلك العداوة والحرب بينهم عشرين ومائة سنة إلى أن أطفأ الله عز وجل ذلك بالإسلام، وألَّفَ [بينهم] ^(٣) برسوله محمد ﷺ، وكان سبب ألفتهم أن سويد بن الصامت أخا بني عمرو بن عوف وكان شريفاً يسميه قومه الكامل لجلده ونسبه، قدم مكة حاجاً أو معتمراً، وكان رسول الله ﷺ قد بُعث وأمر بالدعوة، فتصدى له حين سمع به ودعاه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام، فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله ﷺ: [وما الذي معك قال: مجلّة لقمان، يعني: حكمته، فقال له رسول الله ﷺ] ^(٤). اعرضها عليّ فعرضها، فقال: إن هذا لكلام حسن، معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله عليّ نوراً وهدى، فتلا عليه القرآن ودعاه إلى الإسلام، فلم [يبيعد] ^(٥) منه وقال: إن هذا [لقول] ^(٦) حسن، ثم انصرف إلى المدينة فلم يلبث أن قتلته الخزرج قبل يوم بُعث، فإن قومه ليقولون: قد قتل وهو مسلم.

ثم قدم أبو الحيسر أنس بن رافع، ومعه / فئة من بني الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف ٦٥/أ من قريش على قوم من الخزرج، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ أتاهم فجلس إليهم، فقال: هل لكم إلى خيرٍ ممّا جئتم له؟ فقالوا: وما ذلك؟ قال: أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن لا يُشركوا بالله شيئاً، وأنزل عليّ الكتاب، ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، فقال إياس بن معاذ وكان غلاماً حدثاً: أي قوم هذا والله خيرٌ ممّا جئتم له، فأخذ أبو الحيسر حفنة من البطحاء فضرب بها وجه إياس

(١) في أ: «تفرقت».

(٢) أخرجه مسلم في الأفضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة... برقم (١٧١٥): ٣ / ١٣٤٠، وأخرج البخاري من حديث المغيرة أنه صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٠٢ / ١ - ٢٠٣.

(٣) في أ: «بين قلوبهم».

(٤) زيادة من «أ»

(٥) في أ: «يبيعد».

(٦) في أ: «القرآن».

وقال: دَعْنَا مِنْكَ فَلَعْمَرِي لَقَدْ جِئْنَا لَغَيْرِ هَذَا، فَصَمَتَ إِيَّاسُ وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُمْ، وَانصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ وَقْعَةُ بُعَاثَ بَيْنِ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِيَّاسُ بِنِ مَعَاذَ أَنْ هَلَكَ.

فلما أراد الله عزَّ وجلَّ إظهار دينه وإعزازَ نبيِّه خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فلقي عند العقبة رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً، وهم ستة نفر: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث وهو ابن عفرأ، ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبد الله، فقال لهم رسول الله ﷺ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قالوا: نفرٌ من الخزرج، قال: أَمِنْ مَوَالِي يَهُودٍ؟ قالوا: نعم: قال: أَفَلَا تَجْلِسُونَ حَتَّى أَكَلِمَكُمْ؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ وعرضَ عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن.

قالوا: وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام أن يهوداً كانوا معهم ببلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وهم كانوا أهل أوثان وشرك، وكانوا إذا كان منهم شيء قالوا: إن نبياً الآن مبعوثٌ قد أظلم زمانه، نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه وصدقوه وأسلموا، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى الله أن يجمعهم بك، وسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك.

ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم قد آمنوا به ﷺ، فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام، حتى فشا فيهم فلم يبقَ دأراً من دُور الأنصار إلا وفيها ذكرٌ من رسول الله ﷺ، حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً وهم: أسعد بن زرارة، وعوف ومعاذ ابنا عفرأ، ورافع بن مالك بن العجلان، وذكوان بن عبد القيس، وعبادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة، وعباس بن عبادة، وعقبة بن عامر، وقطبة بن عامر، وهؤلاء خزرجيون، وأبو الهيثم بن التيهان وعويمر بن ساعدة من الأوس، فلقوه بالعقبة وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، على أن لا يُشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا، إلى آخر الآية، فإن وفيتم فلکم الجنة، وإن غشيتم شيئاً من ذلك فأخذتم بحدّه في الدنيا فهو كفارة له، وإن ستر عليكم فأمرکم إلى الله إن شاء عذبکم وإن شاء غفر لكم، قال: وذلك قبل أن يُفرض عليهم الحرب.

قال: فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله ﷺ مُصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، وأمره أن يقرئهم القرآن ويُعلمهم الإسلام ويُفقههم في الدين، وكان مُصعب يُسمى بالمدينة المقرئ، وكان منزله على أسعد بن زرارة، ثم إن أسعد بن زرارة خرج بمصعب فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر،

فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، فقال سعد بن معاذ لأسيد بن حُضير: انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فاجرهما، فإن أسعد بن زرارة ابن خالتي ولولا ذلك لكفيتك، وكان سعد بن معاذ وأسيد بن حُضير سيدي قومه من بني عبد الأشهل وهما مشركان، فأخذ أسيد بن حُضير حربته ثم أقبل إلى مصعب وأسعد وهما جالسان في الحائط، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمهُ، قال: فوقف عليهما متشتماً، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع؟ فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كُف عنك ما تكره، قال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا والله لنعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم به، في إشرافه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالوا له: تغتسل وتطهرُ ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، [ثم تصلي ركعتين، فقام فاغتسل وطهرُ ثوبيه، وشهد شهادة الحق]^(١) ثم قام وركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته فانصرف إلى سعد وقومه، وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال احلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب من عندهم، فلما وقف على النادى قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلّمْتُ الرجلين فوالله ما رأيتُ بهما بأساً وقد نهيتُهما، فقالوا: فافعل ما أحببت، وقد حدثتُ أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحرقوك فقام سعد [مغضباً]^(٢) مبادراً للذي ذكر له من بني حارثة، فأخذ الحربة، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيداً إنما أراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتماً، ثم قال لأسعد بن زرارة: لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، تغشانا، في دارنا بما نكره وقد قال أسعد لمصعب: جاءك والله سيد قومه، إن يتبعك لم يخالفك منهم أحد، فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن، قالوا: / فعرّفنا والله في وجهه الإسلام: قبل أن يتكلم به في إشرافه وتسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالوا: تغتسل وتطهرُ ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق ثم [تصلي]^(٣) ركعتين، فقام واغتسل وطهرُ ثوبيه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حُضير، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع سعد إليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندهم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري

(١) زيادة من نسخة «أ».

(٢) في أ: «مغضباً» وهو خطأ.

(٣) في أ: «تركع».

فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأميننا نقييةً قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأةٌ إلا مسلم أو مسلمة، ورجع أسعد ابن زرارة ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت الشاعر، وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدرٌ وأحد والخندق.

قالوا: ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة وخرج معه من الأنصار من المسلمين سبعون رجلاً مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ العقبه من أوسط أيام التشريق وهي بيعة العقبه الثانية.

قال كعب بن مالك — وكان قد شهد ذلك — فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أو جابر أخيرناه وكنا نكتم عنمن معنا من المشركين من قومنا أمرنا فكلمناه، وقلنا له: يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً، ودعواناه إلى الإسلام فأسلم، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ فشهد معنا العقبه، وكان نقيياً، فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل مستخفين تسلل القطا، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبه، ونحن سبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نساتنا نسيية بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي أم منيع إحدى نساء بني سلمة، فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله ﷺ، حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له، فلما جلسنا كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج — وكانت العرب يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها — إن محمداً ﷺ منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو في عزٍّ من قومه ومنعة في بلده، وأنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مُسْلِمُوهُ وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عزٍّ ومنعة.

قال: فقلنا قد سمعنا ما قلت: فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت.

قال: فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله تعالى ورغب في الإسلام، ثم قال أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه [أنفسكم ونساءكم] ^(١) وأبناءكم، قال: فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: والذي

(١) ساقطة من: «أ» و «أنفسكم» ساقطة من «ب».

بعثك بالحق نبياً لئلا تمنعك مما تمنع منه أُرزنا فبايعنا يا رسول الله، فنحن أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناها كإبراً عن كابر.

قال: [فاعترض] (١) القول — والبراء يكلم رسول الله ﷺ — أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الناس حبلاً يعني اليهود، وإنا قاطعوها فهل عسيبٌ إن فعلنا نحن ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا، فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: الدم الدم والمدم المدم، أنتم مني وأنا منكم أحارب من حاربتكم وأسالم من سالمتم.

وقال رسول الله ﷺ: «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً كفلاءً على قومهم بما فيهم، ككفالة الخواريين لعيسى بن مريم»، فأخرجوا اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

قال عاصم بن عمرو بن قتادة: إن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري: يا معشر الخزرج هل تدرون علاماً تبايعون هذا الرجل؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وشرافكم قتلى أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي في الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على تهلكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة.

قالوا: فإننا نأخذ على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال: «الجنة»، قال: ابسط يدك فبسط يده فبايعوه، وأول من ضرب على يده البراء بن معرور، ثم تتابع (٢) القوم، فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت ما سمعته قط: يا أهل الجباحب هل لكم في مدممٍ والصباة قد اجتمعوا على حربكم، فقال رسول الله ﷺ: هذا عدو الله، هذا أرب العقبة، اسمع أي عدو الله أما والله لأفرغن لك، ثم قال رسول الله ﷺ: ارفضوا إلى رحالكم.

فقال العباس بن عباد بن نضلة: والذي بعثك بالحق لئن شئت [لتملين] (٣) غداً على أهل منى بأسيا، فقال رسول الله ﷺ: لم تؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم.

قال فرجعنا إلى مضاجعنا فمنا عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدث علينا جلة قريش حتى جاؤنا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا

(١) في أ: «فعرض».

(٢) في أ: (تابع).

(٣) في ب: (تملين).

وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٤﴾

وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم [منكم] (١). قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله: ما كان من هذا شيء وما علمناه. وصدقوا، ولم يعلموا، وبعضنا ينظر إلى بعض، وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة [الخزومي] (١) وعليه نعلان جديدان، قال فقلت له كلمة كأني أريد أن / أشرك القوم بها فيما قالوا ياجابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش، قال فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إلى وقال: والله لتنتعلنهما قال يقول أبو جابر رضي الله عنه: مة، والله أخفظت الفتى فاردد إليه نعليه، قال: لا أردهما فأل — والله — صالح، والله لمن صدق الفأل [لأسلبه] (٢).

قال: ثم انصرف الأنصار إلى المدينة وقد شدّوا العقد، فلما قدموها أظهرها الإسلام بها وبلغ ذلك قريشاً فأذوا أصحاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إن الله تعالى قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون فيها» فأمرهم بالهجرة إلى المدينة واللحوق بإخوانهم من الأنصار .

فأول من هاجر إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد الخزومي، ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع أصحاب رسول الله ﷺ أرسالاً إلى المدينة فجمع الله أهل المدينة أوسها وخزرجها بالإسلام، وأصلح ذات بينهم بنبيه محمد ﷺ (٣).

قال الله تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ يا معشر الأنصار ﴿إذ كنتم أعداء﴾ قبل الإسلام ﴿فألف بين قلوبكم﴾ بالإسلام، ﴿فأصبحتم﴾، أي فصرتم، ﴿بنعمة﴾، برحمته وبدينه الإسلام، ﴿إخواناً﴾ في الدين والولاية بينكم. ﴿وكنتم﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿على شفا حفرة من النار﴾، أي على طرف حفرة مثل شفا البئر، معناه: كنتم على طرف حفرة من النار ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا على كفركم، ﴿فأنقذكم﴾ الله ﴿منها﴾ بالإيمان، ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾.

﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾، أي: كونوا أمة، ﴿من﴾ صلة ليست للتبويض، كقوله تعالى: ﴿فاجتنبوا﴾

(١) ساقط من (أ).

(٢) في أ: (لأستغلبه).

(٣) أخرجه هذه القصة ابن اسحاق في المغازي، ٢٦٥/١ — ٢٦٦ من سيرة ابن هشام مع الروض الأنف، وعنه أخرجه الطبري في

التفسير: ٧٨/٧ — ٧٩.

الرَّجَسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) (الحج - ٣٠) لم يُرَدَّ اجتناب بعض الأوثان بل أراد فاجتنبوا الأوثان، واللام في قوله ﴿وَلْتَكُنْ﴾ لام الأمر، ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾، إلى الإسلام، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

أخبرنا إسماعيل عبد القاهر قال أنا عبد الغافر بن محمد قال أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أخبرنا إبراهيم^(١) بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثنا أبو بكر محمد بن أبي شيبة أخبرنا وكيع عن سفيان عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال قال أبو سعيد رضي الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أضعف الإيمان»^(٢).

أخبرنا أبو عبد الله بن الفضل الخرقى قال أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني أخبرنا علي بن حجر أخبرنا إسماعيل بن جعفر أنا عمرو بن أبي عمرو عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهلي عن حذيفة أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ثم لتدعته فلا يُستجاب لكم»^(٣).

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن حمش الزياتي أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا علي بن الحسين الدراوردي أخبرنا أبو النعمان أخبرنا عبد العزيز بن مسلم القسطلي أنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقول: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله تعالى بعذابه»^(٤).

(١) في أ: عيسى بن محمد.

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم (٧٨): ٦٩/١.

(٣) أخرجه الترمذي في الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٦/٣٩١ وقال: هذا حديث حسن، والإمام أحمد في المسند: ٥/٣٨٨، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٣٤٥.

قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والبراز عن أبي هريرة، وفيه حبان بن علي، وهو متروك، وقد وثقه ابن معين في رواية وضعفه في أخرى. مجمع الزوائد: ٧/٢٦٦.

(٤) أخرجه أبو داود في الملاحم، باب الأمر والنهي: ٦/١٨٧، وعزاه المنذري للنسائي، وأخرجه الترمذي في الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغيروا المنكر: ٦/٣٨٨ - ٣٨٩ وفي التفسير، سورة المائدة، ٨/٤٢٢ - ٤٢٣ وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (٤٠٠٥): ٢/١٣٢٧، وأحمد في المسند: ١/٧، وابن حبان ص(٤٥٥) من موارد الظمان، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٣٤٤، وأبو بكر المروزي في مسند أبي بكر الصديق برقم (٨٦) - =

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمرو بن حفص بن غياث أخبرنا أبي أنا الأعمش حدثني الشعبي أنه سمع النعمان بن بشير رضي الله عنه يقول: قال النبي ﷺ: «مثل المداهن في حدود الله تعالى والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذين في أسفلها يملأون بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به فأخذوا به فأخذوا فأسأ ففعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا: مالك؟ فقال تأذيتم بي ولا بد لي من الماء^(١)، فإن أخذوا على يديه أنجوه ونَجُوا أنفسهم وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ قال أكثر المفسرين: هم اليهود والنصارى، وقال بعضهم: المبتدعة من هذه الأمة، وقال أبو أمامة رضي الله عنه: هم الحرورية بالشام.

قال عبد الله بن شداد: وقف أبو أمامة وأنا معه على رأس^(٣) الحرورية بالشام فقال: هم كلاب النار، كانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم، ثم قرأ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ إلى قوله تعالى ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن الزبير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ سَرَّهَ بِجُوحَةِ الْجَنَّةِ فَعَلِيهِ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْفَدَى، وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أْبَعَدُ»^(٤).

= (٨٨) ص ١٣٠ - ١٣١ وقال الحافظ ابن كثير في التفسير: ١١٠/٢ «وقد روى هذا الحديث أصحاب السنة الأربعة وابن حبان في صحيحه وغيرهم من طرق كثيرة عن جماعة كثيرة عن إسماعيل بن أبي خالد به متصلاً مرفوعاً، ومنهم من رواه عنهم موقوفاً على الصديق. وقد رجح رفعه الدارقطني وغيره». وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: ٤/٨٨ - ٨٩.

(١) في أ: «ماء».

(٢) أخرجه البخاري في الشهادات، باب القرعة في المشكلات: ٥/٢٩٢، بلفظه، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٤/٣٤٢ بألفاظ مقاربة.

(٣) في أ: «رؤوس».

(٤) قطعة من حديث طويل في خطبة عمر بالجابية، أخرجه الترمذي: في الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة: ٦/٣٨٣ - ٣٨٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة، وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن = عمر عن النبي ﷺ.

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿وأولئك لهم عذاب عظيم﴾.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، ﴿يَوْمَ﴾ نصب على الظرف، أي: في يوم، وانتصاب الظرف على التشبيه بالمفعول، يريد: تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين، وقيل: تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين.

وعن سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ هذه الآية قال تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة.

قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس إذا كان يوم القيامة رُفِعَ لكل قوم ما كانوا يعبدونه، فيسعى كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، وهو قوله تعالى: «نولُّه ما تولَّى» (النساء - ١١٥) فإذا انتهوا إليه حزنوا فتسود وجوههم من الحزن، وبقي أهل القبلة واليهود والنصارى لم يعرفوا شيئاً مما رُفِعَ لهم، فيأتيهم الله فيسجد له من كان يسجد في الدنيا مطيعاً مؤمناً ويبقى أهل الكتاب والمنافقون لا يستطيعون السجود، ثم يؤذَن لهم فيرفعون رؤوسهم ووجوه المؤمنين مثل الثلج بياضاً والمنافقون وأهل الكتاب إذا نظروا إلى وجوه المؤمنين حزنوا حُزناً شديداً فاسودت وجوههم، فيقولون: ربنا ما لنا مسودة وجوهنا فوالله ما كنا مشركين؟ فيقول الله للملائكة: «أنظروا كيف كذبوا على أنفسهم» (الأنعام - ٢٤).

قال أهل المعاني: ابيضاض الوجوه: إشراقها واستبشارها وسرورها بعملها وبثواب الله، واسودادها: حُزنها وكآبتها وكسوفها بعملها وبعذاب الله، يدل عليه قوله تعالى: «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة» (يونس - ٢٦) وقال تعالى: «والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة» / (يونس - ٢٧) وقال: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة» (القيامة ٢٢-٢٤) وقال «وجوه يومئذ مُسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة» (عبس ٣٧-٤٠)

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، معناه: يقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم؟ ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

= وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة: برقم (٨٦ - ٨٨): ٤٢/١، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ١٠٦/١ - ١٠٧، والحاكم في المستدرک: ١١٤/١ وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وذكر له شاهدين. والإمام أحمد في المسند ١٨/١ عن عمر رضي الله عنه. وصححه الألباني في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم.

وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَبِمَا خَلَدُوا ﴿٧﴾

فإن قيل: كيف قال: أكفرتم بعد إيمانكم، وهم^(١) لم يكونوا مؤمنين؟ حُكي عن أبي بن كعب أنه أراد به: الإيمان يوم الميثاق، حين قال لهم: ألسن بربكم؟ قالوا: بلى، يقول: أكفرتم بعد إيمانكم يوم الميثاق؟ وقال الحسن: هم المنافقون تكلموا بالإيمان بألسنتهم، وأنكروا بقلوبهم.

وعن عكرمة: أنهم أهل الكتاب، آمنوا بأبيائهم وبمحمد ﷺ قبل أن يُبعث، فلما بُعث كفروا به. وقال قوم: هم من أهل قبلتنا، وقال أبو أمامة: هم الخوارج، وقال قتادة: هم أهل البدع.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا سعيد بن أبي مریم عن نافع بن عمر حدثني ابن أبي مُليكة عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني فرطكم على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم»^(٢)، وسيؤخذ ناسٌ ذوني، فأقول: يارب مني ومن أمتي، فيقال لي هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم»^(٣).

وقال الحارث الأعور: سمعت علياً رضي الله عنه على المنبر يقول: إن الرجل ليخرج من أهله فما يؤوب إليهم حتى يعمل عملاً يستوجب به الجنة، وإن الرجل ليخرج من أهله فما يعود إليهم حتى يعمل عملاً يستوجب به النار، ثم قرأ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ الآية، ثم نادى: هم الذين كفروا بعد الإيمان — ورب الكعبة.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشميني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بادرُوا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يُصبح الرجل مؤمناً ويُمسي كافراً ويُمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ﴾، هؤلاء أهل الطاعة، ﴿فَبِمَا خَلَدُوا﴾ جنة الله. ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

(١) زيادة من (ب).

(٢) في أ: «من أمتي».

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى: «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة»: ١٣/٣، ومسلم في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته برقم (٢٢٩٣): ٤/١٧٩٤، واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم في الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن برقم (١١٨): ١١٠/١ وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٥/١٥.

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَاللَّهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ
الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾

﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلماً للعالمين﴾.

﴿والله ما في السموات وما في الأرض، وإلى الله ترجع الأمور﴾.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال عكرمة ومقاتل: نزلت في ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ ابن جبل وسالم مولى أبي حذيفة، رضي الله عنهم، وذلك أن مالك بن الصيف ووهب بن يهودا^(١) اليهوديين قالوا لهم: نحن أفضل منكم وديننا خير مما تدعوننا إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وروى سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة، وقال جوبير عن الضحاك: هم أصحاب محمد ﷺ خاصة الرواة والدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم.

وروى عن عمر بن الخطاب قال: كنتم خير أمة أخرجت للناس تكون لأولنا ولا تكون لآخرنا.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أخبرنا شعبة عن أبي حمزة: سمعت زهدم بن مضرب عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً وقال: إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤمنون ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السم^(٢).

وهذا الإسناد عن علي بن الجعد أخبرنا شعبة وأبو معاوية عن الأعمش عن ذكوان عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد

(١) في ب: «يهود».

(٢) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ: ٣/٧، وفي الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور. ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة برقم (٢٥٣٥): ٤/١٩٦٤ - ١٩٦٥. والمصنف في شرح السنة: ٦٧/١٤.

أحدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(١).

وقال الآخرون: هم جميع المؤمنين من هذه الأمة.

وقوله ﴿كُنْتُمْ﴾ أي: أنتم، كقوله تعالى: «واذكروا إذ كنتم قليلاً» (الأعراف — ٨٦)، وقال في موضع آخر: «واذكروا إذ أنتم قليل» (الأنفال — ٢٦)، وقيل: معناه كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ، وقال قوم: قوله ﴿لِلنَّاسِ﴾ «من» صلة قوله «خير أمة»، أي: أنتم خير الناس للناس.

قال أبو هريرة معناه: كنتم خير الناس، تبيحون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الإسلام^(٢).

قال قتادة: هم أمة محمد ﷺ لم يؤمر نبي قبله بالقتال، فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في دينهم، فهم خير أمة للناس.

وقيل: «لِلنَّاسِ» صلة قوله «أُخْرِجَتْ» معناه: ما أخرج الله للناس أمةً خيراً من أمة محمد ﷺ.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن حبيش المقرئ أنا علي بن زنجويه أخبرنا سلمة بن شبيب أنا عبد الرزاق أنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: «إنكم تثنون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل»^(٣).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو معشر إبراهيم بن محمد الفيركي أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن زكريا بن يحيى أخبرنا أبو الصلت أخبرنا حماد بن زيد أخبرنا علي بن زيد عن أبي نصر عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «ألا وإن هذه الأمة تُوفِّي سبعين أمة هي أ خيرها وأكرمها على الله

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً: ٢١/٧.

ومسلم في فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم برقم (٢٥٤٠): ٤/١٩٦٧، والمصنف في شرح السنة: ٦٩/١٤.

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً في تفسير آل عمران، باب «كنتم خير أمة أخرجت للناس» ٨/٢٢٤، ومعناه مرفوعاً في الجهاد، باب الأسارى في السلاسل: ٦/١٤٥.

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير، سورة آل عمران: ٨/٣٥٢ وقال: هذا حديث حسن، وقد روى غير واحد هذا الحديث عن بهز بن حكيم نحو هذا ولم يذكر فيه: كنتم خير أمة أخرجت للناس، وابن ماجه في الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ برقم (٤٢٨٨): ٢/١٤٣٣، والدارمي في الرقاق، باب في قول النبي ﷺ: أنتم آخر الأمم: ٢/٣١٣، والحاكم في المستدرک: ٤/٨٤، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد تابع سعيد بن إبّاس الجريدي بهذا في رواية عن حكيم بن معاوية وأتى بزيادة في المتن. والطبري في التفسير: ٢/٢٥، ٧/١٠٤، وأحمد في المسند: ٤/٤٤٧، ٥/٥٠. قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/٣٢٥: «وهو حديث حسن صحيح».

وانظر تعليق الشيخ محمود شاكر على الطبري: ٢/٢٥ — ٢٦ و ٧/١٠٤.

عَزَّ وَجَلَّ»^(١).

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد أنا الفضل بن الفضل أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب قال عبد الرحمن يعني ابن المبارك أخبرنا حماد بن يحيى الأبيح أنا ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمي مثل المطر لا يُدرى أوله خيرٌ أم آخره»^(٢).

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو محمد المخلدي أخبرنا أبو نعيم، عبد الملك بن محمد بن عدي، أخبرنا أحمد بن عيسى التنيسي، أخبرنا عمرو بن أبي سلمة أخبرنا صدقة بن عبد الله عن زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ / قال: «إن الجنة حُرِّمَتْ على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحُرِّمَتْ على الأمم كلهم حتى تدخلها أمي»^(٣).

أخبرنا أبو سعيد الشريحي قال: أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله الحسين بن محمد أخبرنا أبو القاسم عمر بن محمد بن عبد الله بن حاتم الترمذي أخبرنا جدي لأمي محمد بن عبد الله بن مرزوق أنا عَفَّان بن مسلم أنا عبد العزيز بن مسلم أخبرنا أبو سنان يعني ضرار بن مرة عن محارب بن دثار عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون من هذه الأمة»^(٤).

(١) أخرجه ابن ماجه في الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ برقم (٤٢٨٨) ١٤٣٣/٢، وأحمد في المسند: ٤/٤٤٧، عن معاوية بن حيدة، ٥/٥.

قال الهيثمي: رواه أحمد ورجالته ثقات. مجمع الزوائد: ١٠/٣٩٧.

(٢) أخرجه الترمذي في الأدب، باب حدثنا قتيبة: ٨/١٧٠ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الدَّيْبِعِ وأحمد في المسند: ٣/١٣٠، ١٤٣ عن أنس، ٤/٣١٩ عن عمار. وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في الأمثال ص ٢٢٣. وقال ابن الربيع الشيباني في تمييز الطيب من الخبيث.. ص ١٦٨: «وقول النووي في فتاوة: إنه ضعيف، متعقب».

ورواه الطبراني والبخاري عن عمار، قال الهيثمي في الجمع: ١٠/٦٨: ورجال البزار رجال الصحيح غير الحسن بن قرعة وعبيد بن سلمان الأغر، وهما ثقتان.

وانظر: فيض القدير: ٥/٥١٧.

(٣) قال الحافظ ابن كثير في التفسير: ١/٣٩٧ «رواه الدارقطني في الأفراد من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري عن سعيد ابن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه... ثم قال الدارقطني: انفرد به ابن عقيل عن الزهري، ولم يروه عنه سواه، وتفرد به زهير بن محمد عن ابن عقيل، وتفرد به عمرو بن أبي سلمة عن زهير.

وقد رواه أبو أحمد بن عدي الحافظ... ورواه الثعلبي.

قلت: وفيه صدقة بن عبد الله ضعيف، (تقريب)، وعبد الله بن محمد: احتج به محمد بن إسماعيل وإسحاق، وقال أبو حاتم وغيره: لئن الحديث (المعنى للذهبي).

(٤) أخرجه الترمذي في الجنة، باب ما جاء في كم صف أهل الجنة: ٧/٢٥٤ وقال: هذا حديث حسن، وابن ماجه في الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ برقم (٤٢٩) ١٤٣٤/٢، والدارمي في الرقاق، باب في صفوف أهل الجنة: ٢/٣٣٧، وأحمد في المسند: ١/٤٥٣ =

لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ۖ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾
 ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَنْ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِعَضْبٍ مِنَ اللَّهِ
 وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
 الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴿١١٣﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ
 الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٤﴾

قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: الكافرون.

قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾، قال مقاتل: إن رؤوس اليهود عمدوا إلى مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ عبد الله بن سلام وأصحابه، فأذوهم فأنزل الله تعالى: «لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى» يعني لا يضرركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود إلا أذى باللسان: وعيداً وطعناً وقيل: كلمة كفر تتأذون بها ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾، منهزمين، ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾، بل يكون لكم النصر عليهم.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَا تُقِفُوا﴾، حيث ما وجدوا ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني: أينما وجدوا استضعفوا وقتلوا وسبوا فلا يأمنون إلا بحبل من الله: عهد من الله تعالى بأن يسلموا، ﴿وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾ من المؤمنين ببذل جزية أو أمان، يعني: إلا أن يعتصموا بحبل فيأمنوا.

قوله تعالى: ﴿وَبَاءُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾، رجعوا به، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل: لما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه، قالت أحبار اليهود: ما آمن بمحمد ﷺ إلا شرارنا ولولا ذلك ما تركوا دين آبائهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية (١).

واختلفوا في وجهها فقال قوم: فيه اختصار تقديره: ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة وأخرى غير قائمة، فترك الأخرى اكتفاءً بذكر أحد الفريقين، وقال الآخرون: تمام الكلام عند قوله ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾.

= عن ابن مسعود وفي: ٥ / ٣٤٧ عن بريدة. وأخرجه الحاكم في المستدرک: ١ / ٨٢. وعزه في تحفة الأحوذی: ٧ / ٢٥٤ للبيهقي في البعث والنشور ولابن حبان.

(١) انظر أسباب النزول للواحدی ص (١٥٢).

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

سواء ﴿ وهو وقف لأنه قد جرى ذكر الفريقين من أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ [ثم قال: ﴿ليسوا سواء﴾ يعني: المؤمنين والفاسقين] ^(١)، ثم وصف الفاسقين، فقال: ﴿لن يضروكم إلا أذى﴾ ووصف المؤمنين بقوله ﴿أمة قائمة﴾.

وقيل: قوله ﴿من أهل الكتاب﴾ ابتداء بكلام آخر، لأن ذكر الفريقين قد جرى، ثم قال: ليس هذان الفريقان سواء، ثم ابتداء فقال: من أهل الكتاب.

قال ابن مسعود رضي الله عنه معناه: لا يستوي اليهود وأمة محمد ﷺ القائمة بأمر الله الثابتة على الحق، المستقيمة، وقوله تعالى: ﴿أمة قائمة﴾ قال ابن عباس: أي مهتدية قائمة على أمر الله لم يضيّعوه ولم يتركوه.

وقال مجاهد: عادلة. وقال السدي: مطيعة قائمة على كتاب الله وحدوده، وقيل: قائمة في الصلاة. وقيل: الأمة الطريقة.

ومعنى الآية: أي ذو أمة، أي: ذو طريقة مستقيمة.

﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾، يقرؤون كتاب الله، وقال مجاهد: يتبعون ﴿آناء الليل﴾، ساعاته، واحدها: إنني مثل نحى وأنحاء، وإنني وآناء مثل: معى وأمعاء، وإنني مثل منا وأمناء. ﴿وهم يسجدون﴾ أي: يصلون، لأن التلاوة لا تكون في السجود.

واختلفوا في معناها، فقال بعضهم: هي في قيام الليل، وقال ابن مسعود هي صلاة العتمة يصلونها ولا يصلها من سواهم من أهل الكتاب.

وقال عطاء: «ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة» الآية يريد: أربعين رجلاً من أهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمداً ﷺ، وكان من الأنصار فيهم عدة قبل قدوم النبي ﷺ، منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة ومحمود ابن مسلمة وأبو قيس صرمة ^(٢) بن أنس، كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الخنيفية حتى جاءهم الله تعالى بالنبي ﷺ فصدقوه ونصروه.

قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي

(١) زيادة من «ب».

(٢) في ب: «صدقة».

وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

الخيرات وأولئك من الصالحين ﴿١١٤﴾.

﴿وما يفعلوا من خير فلن يكفروه﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء فيهما، إخبار عن الأمة القائمة، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما، لقوله ﴿كنتم خير أمة﴾، وأبو عمرو يرى القراءتين جميعاً، ومعنى الآية: وما تفعلوا من خير فلن تُعدموا ثوابه، بل يشكر لكم وتجاوزن عليه، ﴿والله عليم بالمتقين﴾، بالمؤمنين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ ، أي: لا تدفع أموالهم بالفدية ولا أولادهم بالنصرة شيئاً من عذاب الله، وخصهما بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد. ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾، وإنما جعلهم من أصحابها لأنهم أهلها لا يخرجون منها ولا يفارقونها، كصاحب الرجل لا يفارقه.

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، قيل: أراد نفقات أبي سفيان وأصحابه بيدرٍ وأحد على عداوة رسول الله ﷺ، وقال مقاتل: نفقة اليهود على علمائهم، قال مجاهد: يعني جميع نفقات الكفار [في الدنيا] ^(١) وصدقاتهم، وقيل: أراد إنفاق المرابي الذي لا يتغي به وجه الله تعالى، ﴿كمثل ريح فيها صرٌّ﴾، [حكى عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها السَّموم الحارة التي تقتل، وقيل: ^(٢) فيها صرٌّ أي: صوت، وأكثر المفسرين قالوا: فيها برد شديد، ﴿أصابت حَرْثَ قَوْمٍ﴾ زرع قوم، ﴿ظلموا أنفسهم﴾، بالكفر والمعصية ومنع حق الله تعالى، ﴿فأهلكته﴾.

فمعنى الآية: مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة إليها كمثل زرع أصابته ريح باردة فأهلكته أو نار فأحرقته فلم ينتفع أصحابه منه بشيء، ﴿وما ظلمهم الله﴾، بذلك، ﴿ولكن أنفسهم

(١) زيادة من «ب».

(٢) زيادة من «ب».

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ
 قَد بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن
 كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءٌ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا
 لِقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِعَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ
 عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾

يظلمون ﴿١١٨﴾، بالكفر والمعصية.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ الآية، قال ابن عباس رضي الله
 عنهما: كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع،
 فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهاهم عن مبايحتهم خوف الفتنة عليهم.

وقال مجاهد: نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يضافون المنافقين، فنهاهم الله تعالى عن ذلك^(١)، فقال:
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ أي: أولياء وأصفياء من غير أهل ملتكم، وبطانة
 الرجل: خاصته، تشبيهاً ببطانة الثوب التي تلي بطنه، لأنهم يستبطنون أمره ويطلعون منه على ما لا يطلع
 عليه غيرهم.

ثم بين العلة في النهي عن مبايحتهم فقال جل ذكره ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ /، أي: لا يقصرون ولا
 يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد، والخبال: الشر والفساد، ونصب ﴿خبالاً﴾ على المفعول
 الثاني، لأن ﴿يألو﴾ يتعدى^(٢) إلى مفعولين، وقيل: بنزع الحافض، أي بالخبال، كما يقال أوجعته ضرباً،

﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يودون ما يشق عليكم، من الضر والشر والهلاك. والعنت: المشقة ﴿قد بدت
 البغضاء﴾ أي: بغض، معناه ظهرت أماراة العداوة، ﴿من أفواههم﴾، بالشتيمة والوقية في المسلمين،
 وقيل: بإطلاع المشركين على أسرار المؤمنين ﴿وما تخفي صدورهم﴾، من العداوة والغيط، ﴿أكبر﴾
 أعظم، ﴿قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾.

﴿ها أنتم﴾ ها تنبيه وأنتم كناية للمخاطبين من الذكور، ﴿أولاء﴾ اسم للمشار إليهم، يريد أنتم أيها
 المؤمنون، ﴿تحبونهم﴾ أي: تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مبايحتهم للأسباب التي بينكم من

(١) انظر أسباب النزول للواحدى (١٥٣)، تفسير الطبري: ١٤١/٧، سيرة ابن هشام: ٢٠٧/٢.

(٢) في أ: «لأن الآلو تتعدى».

إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصَابَرُوا
وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ عَدُوَّتُ
مِنْ أَهْلِكَ تَبَوَّأُوا الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

القرابة والرضاع والمصاهرة، ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ هم، لما بينكم من مخالفة الدين، قال مقاتل: هم المناقون بحبهم المؤمنون لما أظهروا من الإيمان، ولا يعلمون ما في قلوبهم، ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾، يعني: بالكذب كلها وهم لا يؤمنون بكتابكم، ﴿وَإِذَا لَقُّوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا، وَإِذَا خَلَوْا﴾، وكان بعضهم مع بعض ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾، يعني: أطراف الأصابع واحداً تامة بضم الميم وفتحها، من الغيظ لما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم، وعض الأنامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الأمثال، وإن لم يكن ثم عض، ﴿قُلْ مُؤْتُوا بغيظكم﴾، أي: انقبوا إلى الممات بغيظكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، أي: بما في القلوب من خير وشر.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ﴾ أي: تُصِيبْكُمْ أيها المؤمنون بظهوركم على عدوكم وغنيمة تناولونها منهم، وتتابع الناس في الدخول في دينكم، وخصب في معاشكم ﴿تَسُوهُمْ﴾، تُحزنهم، ﴿وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾، مساءة بإخفاق سرية لكم أو إصابة عدو منكم، أو اختلاف يكون بينكم أو جديب أو نكبة تصيبكم ﴿يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصَابَرُوا﴾، على أذاهم ﴿وَتَتَّقُوا﴾، وتخافوا ربكم ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾، أي: لا ينقصكم، ﴿كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ بكسر الضاد خفيفة، يقال: ضار يضير ضيراً، وهو جزم على جواب الجزاء، وقرأ الباقر بضم الضاد وتشديد الراء من ضَرَّ يَضِرُّ ضَرًّا، مثل رَدَّ يَرُدُّ رَدًّا، وفي رفعه وجهان. أحدهما: أنه أراد الجزم، وأصله يضرركم فادغمت الراء في الراء، ونقلت ضمة الراء الأولى إلى الضاد وضمت الثانية اتباعاً، والثاني: أن يكون لا بمعنى ليس ويضم فيه الفاء، تقديره: وإن تصابروا وتتقوا فليس يضرركم كيدهم شيئاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: عالم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَدُوَّتُ مِنْ أَهْلِكَ تَبَوَّأُوا الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾، قال الحسن: هو يوم بدر، وقال مقاتل: يوم الأحزاب، وقال سائر المفسرين: هو يوم أحد، لأن ما بعده إلى قريب من آخر السورة في حرب أحد.

قال مجاهد والكلبي والواقدي: غدا رسول الله ﷺ من منزل عائشة رضي الله عنها فمشى على رجله إلى أحد فجعل يصف أصحابه للقتال كما يقوم القدح^(١).

(١) انظر: الدر المنثور للسيوطي: ٣٠٢/٢.

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾

قال محمد بن إسحاق والسدي عن رجالهما: إن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فلما سمع رسول الله ﷺ بنزولهم استشار أصحابه ودعا عبد الله بن أبي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره، فقال عبد الله بن أبي وأكثر الأنصار: يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فكيف وأنت فينا، فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين. فأعجب رسول الله ﷺ هذا الرأي.

وقال بعض أصحابه: يا رسول الله اخرج بنا إلى هذه الأكلب، لا يرون أنا جئنا عنهم وضعفنا، وقال رسول الله ﷺ: «إني رأيت في منامي بقرأ تذبح، فأولتها خيراً، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً فأولتها هزيمة، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة»، وكان يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة^(١) فيقاتلوا في الأزقة، فقال رجال^(٢) من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد: اخرج بنا إلى أعدائنا. فلم يزلوا برسول الله ﷺ، من جبههم للقاء القوم، حتى دخل رسول الله ﷺ فلبس لأمته، فلما رآه قد لبس السلاح ندموا، وقالوا: بئس ما صنعنا، نشير على رسول الله ﷺ والوحي يأتيه، فقاموا واعتذروا إليه وقالوا: اصنع ما رأيت، فقال النبي ﷺ: «لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل»^(٣).

وكان قد أقام المشركون بأحد يوم الأربعاء والخميس، فراح رسول الله ﷺ يوم الجمعة بعدما صلى بأصحابه الجمعة، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار، فصلى عليه رسول الله ﷺ، ثم خرج إليهم، فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة، فكان من حرب أحد ما كان، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي: واذكر إذا غدوت من أهلك ﴿تَبَوَّءَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: تنزل المؤمنين ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ أي: مواطن، ومواضع للقتال، يقال: بوأ القوم إذا وطنهم، وتبوؤا هم إذا تواطنوا، قال الله تعالى: «ولقد بوأنا بني إسرائيل موبأ صدق» (يونس — ٩٣)، وقال «أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتاً» (يونس — ٨٧) وقيل تتخذ معسكراً، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ أي: تَجُبْنَا وتضعفا وتتحلفا، والطائفتان بنو سلمة من

(١) زيادة من «ب».

(٢) في ب: «رجل».

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ١٢٦/٢ وما بعدها مع الروض الأنف، المسند للإمام أحمد: ٣٥١/٣، المستدرک للحاكم: ١٢٨/٢ —

١٢٩، وصححه ووافقه الذهبي.

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ
لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٢٤﴾

الخزرج وبنو حارثة من الأوس، ودنا جناحي العسكر، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد في ألف رجل، وقيل: في تسعمائة وخمسين رجلاً، فلما بلغوا الشوط^(١) انخذل عبد الله بن أبي بثلث الناس ورجع في ثلاث مائة، وقال: علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فتبعهم أبو جابر السلمي فقال: أنشدكم بالله في نبيكم وفي أنفسكم، فقال عبد الله بن أبي: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، وهمت بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف مع عبد الله بن أبي، فعصمهم الله فلم ينصرفوا فذكرهم الله عظيم نعمته^(٢)، فقال عز وجل ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾ ناصرهما وحافظهما.

﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل / أنا محمد بن يوسف عن ابن عيينة عن عمرو عن جابر قال: نزلت هذه الآية فينا ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾ بنو سلمة وبنو حارثة، وما أحب أنها لم تنزل، والله يقول: ﴿والله وليهما﴾^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾، وبدر موضع بين مكة والمدينة وهو اسم لموضع، وعليه الأكترون، وقيل: اسم لبئر هناك، وقيل: كانت بدر بئراً لرجل يقال له بدر، قاله الشعبي، وأنكر الآخرون عليه.

يذكر الله تعالى في هذه الآية منته عليهم بالنصرة يوم بدر، ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، جمع: ذليل، وأراد به قلة العدد فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فنصرهم الله مع قلة عددهم، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ﴾، اختلفوا في هذه الآية فقال قتادة: كان هذا يوم بدر، أمدهم الله تعالى بألف من الملائكة كما قال: ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْأَفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ (الأنفال - ٩) ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف كما ذكر هاهنا ﴿بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾.

(١) اسم موضع بين المدينة وأحد. (معجم البلدان).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ١٢٨/٢.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي، باب «إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا..» ٢٥٧/٧.

بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ

الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾

﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ فصبروا يوم بدر فاتقوا فأمدهم الله بخمسة آلاف كما وعد، قال الحسن: وهؤلاء الخمسة آلاف رذء المؤمنين إلى يوم القيامة.

وقال ابن عباس ومجاهد: لم تقاتل الملائكة في المعركة إلا يوم بدر، وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون، إنما يكونون عدداً ومدداً.

قال محمد بن إسحاق: لما كان يوم أحد انجلى القوم عن رسول الله ﷺ وبقي سعد بن مالك يرمي، وقتى شاب يتنبل له فلما فني النبل أتاه به فنثوه، فقال ارم أبا إسحاق مرتين، فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل، فلم يُعرف.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله أنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده عن سعد بن أبي وقاص قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد^(١) ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد^(٢).

ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، قال أخبرنا محمد بن بشر وأبو أسامة عن مسعر عن سعد ابن إبراهيم عن أبيه عن سعد يعني ابن أبي وقاص قال: «رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد» يعني: جبريل وميكائيل^(٣).

وقال الشعبي: بلغ رسول الله ﷺ والمسلمين يوم بدر: أن كرز بن جابر المخاربي يريد أن يمدّ المشركين فشق ذلك عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَكْفِيكُمْ أَنْ يُمَدِّكُمْ﴾ إلى قوله ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ فبلغ كرزاً الهزيمة فرجع فلم يأتهم ولم يمدهم، فلم يمدهم الله أيضاً بالخمسة آلاف، وكانوا قد أمدوا بألف.

وقال الآخرون: إنما وعد الله تعالى المسلمين يوم بدر إن صبروا على طاعته واتقوا محارمه: أن يمدهم أيضاً في حروبهم كلها، فلم يصبروا إلا في يوم الأحزاب، فأمدهم الله حتى حاصروا قريظة والنضير، قال

(١) في أ: «بدر»، وانظر: فتح الباري: ٣٤٩/٧.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب: «إذ همت طائفتان منكم أن تفتشلا» ٣٥٨/٧، وفي اللباس، باب الثياب البيض، ومسلم في الفضائل، باب قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد برقم (٢٣٠٦): ٤/١٨٠٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٩٢/١٣.

(٣) أخرجه مسلم في الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ... برقم (٢٣٠٦): ٤/١٨٠٢.

عبد الله بن أبي أوفى: كنا محاصري قريظة والنضير^(١) ما شاء الله فلم يُفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله ﷺ بِغَسِيلٍ فهو يغسل رأسه إذ جاءه جبريل عليه السلام، فقال: وضعت أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها؟ فدعا رسول الله ﷺ بخرقه فلف بها رأسه ولم يغسله، ثم نادى فينا فقمنا حتى أتينا قريظة والنضير. (٢) فيومئذ أمّنا الله تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة، ففتح لنا فتحاً يسيراً.

وقال الضحّاك وعكرمة: كان هذا يوم أحد وَعَدَّهم الله المَدَدَ إن صبرُوا فلم يصبروا فلم يُمدّوا به^(٣).

قوله تعالى: ﴿أَن يُمدِّمَ رَبِّكُمْ﴾ والإمداد: إعانة الجيش بالجيش، وقيل: ما كان على جهة القوة والإعانة، يقال فيه: أمده إمداداً، وما كان على جهة الزيادة، يقال: مده مدّاً، ومنه قوله تعالى: «وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ» (لقمان — ٢٧) وقيل: المدّ في الشر، والإمداد في الخير، يدل عليه قوله تعالى: «وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ» (البقرة — ١٥) «وَيَمُدُّهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً» (مريم — ٧٩) وقال في الخير: «أَتَى مُمدِّمٌ بِالْأَيْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُردفين» وقال: «وَأَمدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ» (الإسراء — ٢٦).

قوله تعالى: ﴿بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ قرأ ابن عامر بتشديد الزاي على التثنية لقوله تعالى: «ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة» (سورة الأنعام — ١١١)، وقرأ الآخرون بالتخفيف دليله قوله تعالى: «لولا أنزل علينا الملائكة» (الفرقان — ٢١) وقوله: «وأنزل جنوداً لم تروها» (التوبة — ٢٦).

ثم قال: ﴿بَلَى﴾ ثم مدّم^(٤) ﴿إِن تصبرُوا﴾ لعدوكم ﴿وتتقُوا﴾ أي: مخالفة نبيكم ﴿ويأتوكم﴾ يعني المشركين ﴿من فورهم هذا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والحسن وأكثر المفسرين: من وجههم^(٥) هذا، وقال مجاهد والضحاك: من غضبهم هذا، لأنهم إنما رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر، ﴿وَيَمُدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ لم يرد خمسة آلاف سوى ما ذكر^(٦) من ثلاثة آلاف، بل أراد معهم، وقوله ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ أي: معلمين، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو، وقرأ الآخرون بفتحها، فمن كسر الواو فأراد أنهم سَوَّموا خيلهم، ومن فتحها أراد به أنفسهم، والتسويم: الإعلام من السومة وهي العلامة.

(١) لم يرد في كتب السيرة أن قريظة والنضير حوصروا في زمن واحد كما توهمه الرواية هنا، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام: ١٩٤/٢ وما بعدها مع الروض الأنف، طبقات ابن سعد: ٥٧/٢ و ٧٤.

(٢) انظر: المصنف لابن أبي شيبة ٤٢٤/١٤، الاكتفاء في مغازي رسول الله... للكلاعي: ١٧٦/٢.

(٣) في ب «يمددهم».

(٤) في أ: يمدّم.

(٥) في أ: «وجوهم».

(٦) في أ: ذكرنا.

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنَطْمِئِنَ قُلُوبُكُمْ بِهِ. وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ
 الْحَكِيمِ ﴿١٢٧﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ
 مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾

واختلفوا في تلك العلامة، قال عروة بن الزبير: كانت الملائكة على خيل بلقي عليهم عمائم صفراء، وقال علي وابن عباس رضي الله عنهم: كانت عليهم عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم، (وقال هشام بن عروة والكلبي: عمائم صفراء مرخاة على أكتافهم) (١)، وقال الضحاك وقتادة: كانوا قد أعلموا بالمهين في نواصي الخيل وأذنانها، ورؤي أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: «تسوّموا فإن الملائكة قد تسوّمت بالصفوف الأبيض في قلائسهم ومغافرهم» (٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ يعني هذا الوعد والمدد، ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ أي: بشارة لتستبشروا به ﴿وَلِنَطْمِئِنَ﴾ ولتسكن ﴿قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ يعني: لا تحيلوا بالنصر على الملائكة والجنود، فإن النصر من الله تعالى فاستعينوا به وتوكلوا عليه، لأن العزّ والحكم له.

قوله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يقول: لقد نصركم الله بيدري ليقطع طرفاً أي: لكي يهلك طائفة من الذين كفروا، وقال السدي: معناه ليهدم ركناً من أركان الشرك بالقتل والأسر، فقتل من قادتهم وسادتهم يوم بدر سبعون وأسر سبعون، ومن حمل الآية على حرب أحد فقد قتل منهم يومئذ ستة عشر وكانت النصرة للمسلمين حتى خالفوا أمر الرسول ﷺ فانقلب عليهم، ﴿أَوْ يَكْتَسِبَهُمْ﴾ قال الكلبي: يهزمهم، وقال يمان: يصرعهم لوجوههم، قال السدي: يلعنهم، وقال أبو عبيدة: يهلكهم، وقيل: يحزنهم، والمكبوت: الحزين، وقيل أصله: يكبدهم أي: يصيب الحزن والغیظ / أكبادهم، والتاء والبدال ب/٦٨ يتعاقبان كما يقال سبّت رأسه وسبّده: إذا حلقه، وقيل: يكتبهم بالخيبة، ﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾، لم ينالوا شيئاً مما كانوا يرجون من الظفر بكم.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية، اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال قوم: نزلت

(١) زيادة من «أ».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الجهاد: ١٢ / ٢٦١ من طريق محمد بن أبي عدي عن ابن عون عن عمير بن إسحاق قال... وأخرجه أيضاً في المغازي: ١٤ / ٣٥٨ من طريق أبي أسامة عن ابن عون عن عمير بن إسحاق مرسلًا، ورواه الطبري في التفسير: ٧ / ١٨٦. وقال الواقدي: حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد... فذكره.. ورواه ابن سعد في الطبقات: ١٦ / ٢.

وانظر: الكافي الشاف لابن حجر ص (٣١).

في أهل بئر معونة، وهم سبعون رجلاً من القراء، بعثهم رسول الله ﷺ إلى بئر معونة في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد ليُعلموا الناس القرآن والعلم، أميرهم المنذر بن عمرو، فقتلهم عامر بن الطفيل، فوجد رسول الله ﷺ من ذلك وجداً شديداً، وقتت شهراً في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن والسنين، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾^(١).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله، يعني ابن المبارك، أخبرنا معمر عن الزهري حدثني سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً، بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد»، فأنزل الله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٢).

وقال قوم: نزلت يوم أحد، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر^(٣) بن محمد أخبرنا محمد ابن عيسى الجلودي أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أخبرنا مسلم بن الحجاج أخبرنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كُسرت رباعيته يوم أحد وشُجَّ في رأسه، فجعل يسلك الدم عنه ويقول: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُوا [رأس]»^(٤) نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى^(٥) [الله عز وجل]، فأنزل الله تعالى: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ»^(٦).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية»، فنزلت: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» فأسلموا وحسن إسلامهم^(٧).

وقال سعيد بن المسيب ومحمد بن إسحاق^(٨) لما رأى رسول الله ﷺ والمسلمون يوم أحد ما

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ليس لك من الأمر شيء: ٢٢٥/٨ - ٢٢٦.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم: ٣٦٥/٧.

(٣) في «أ»: عبد الغفار.

(٤) زيادة من «ب».

(٥) في «أ»: يدعوهم إلى الإسلام.

(٦) أخرجه البخاري في المغازي: باب ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم: ٣٦٥/٧، ومسلم في الجهاد باب غزوة أحد برقم

(١٧٩١): ٣/١٤١٧.

(٧) أخرجه البخاري عن ابن عمر بلفظ: «كان رسول الله ﷺ يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت:

ليس لك من الأمر شيء» في المغازي، باب ليس لك من الأمر شيء: ٣٦٥/٧.

وبلفظ المصنف أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة آل عمران: ٣٥٥/٨ - ٣٥٦ وقال: هذا حديث حسن محريب، يستغرب

من حديث عمر بن حمزة عن سالم، وكذا رواه الزهري عن سالم عن أبيه. وأحمد في المسند: ٩٣/٢.

(٨) انظر: السيرة النبوية لابن هشام: ١٤١/٢.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ
 رَّحِيمٌ ﴿١٣١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ
 لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٢﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣٣﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ
 لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٤﴾ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
 السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٥﴾

بأصحابهم من جدد الآذان والأنوف وقطع المذاكير، قالوا: لئن أداننا الله تعالى منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا، ويمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب بأحد، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقيل: أراد النبي ﷺ أن يدعو عليهم بالاستئصال، فنزلت هذه الآية^(١)، وذلك لعلمه فيهم بأن كثيراً منهم يسلمون. فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أي: ليس إليك، فاللام بمعنى «إلى» كقوله تعالى: «رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ» (سورة آل عمران - ١٩٣)، أي: إلى الإيمان: قوله تعالى: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، (قال بعضهم: معناه حتى يتوب عليهم)^(٢)، أو: إلى أن يتوب عليهم، وقيل: هو نسق على قوله «ليقطع طرفاً»، وقوله: «ليس لك من الأمر شيء» اعتراض بين نظم الكلام ونظم الآية^(٣): ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكتبهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون، ليس لك من الأمر شيء، بل الأمر أمري في ذلك كله.

ثم قال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾، أراد به ما كانوا يفعلونه عند حلول أجل الدّين من زيادة المال وتأخير الطلب، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمر الرّبا فلا تأكلوه، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

ثم خوفهم فقال: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، لكي ترحموا.

﴿وَسَارِعُوا﴾ قرأ أهل المدينة والشام سارعوا بلا واو، ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، أي بادروا وسابقوا

إلى الأعمال التي تُوجب المغفرة.

(١) انظر: الطبري: ١٩٨/٧.

(٢) زيادة من «ب».

(٣) في «ب» جاءت العبارة هكذا: اعتراض بين اللام ونظم الآية.

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إلى الإسلام، وروى عنه: إلى التوبة، وبه قال عكرمة، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إلى أداء الفرائض، وقال أبو العالية: إلى الهجرة، وقال الضحاك: إلى الجهاد، وقال مقاتل: إلى الأعمال الصالحة. روي عن أنس بن مالك أنها التكبيرة الأولى.

﴿وَجَنَّةٍ﴾ أي وإلى جنّة ﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، أي: عرضها كعرض السموات والأرض، كما قال في سورة الحديد: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (سورة الحديد — ٢١) أي: سَعَتْهَا، وإنما ذكر العرض على المبالغة لأن طول كل شيء في الأغلب أكثر من عرضه، يقول: هذه صفة عَرْضِهَا فكيف طولها؟ قال الزهري: إنما وصف عرضها فأما طولها فلا يعلمه إلا الله، وهذا على التمثيل لا أنها كالسموات والأرض لا غير، معناه: كعرض السموات السبع والأرضين السبع عند ظنكم، كقوله تعالى: «خالد بن سفيان في ما دامت السموات والأرض» (سورة هود — ١٠٧) يعني: عند ظنكم وإلا فهما زائلتان، وروي عن طارق بن شهاب أن ناساً من اليهود سألوا عمر بن الخطاب وعنده أصحابه رضي الله عنهم، وقالوا: أرايتم قوله ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ فأين النار؟ فقال عمر: أرايتم إذا جاء الليل أين يكون النهار، وإذا جاء النهار أين يكون الليل؟ فقالوا: إنه لمثلها في التوراة^(١)، ومعناه أنه حيث يشاء الله.

فإن قيل: قد قال الله تعالى: «وفي السماء رزقكم وما تُوعَدُونَ» (سورة الذاريات — ٢٢) وأراد بالذي وعدت: الجنة فإذا كانت الجنة في السماء فكيف يكون عرضها السموات والأرض؟ وقيل: إن باب الجنة في السماء وعرضها السموات والأرض، كما أخبر، وسئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن الجنة: أي السماء أم في الأرض؟ فقال: وأي أرض وسماء تسع الجنة؟ قيل: فأين هي؟ قال: فوق السموات السبع تحت العرش. وقال قتادة: كانوا يرون أن الجنة فوق السموات السبع، وأن جهنم تحت الأرضين السبع ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾، أي: في اليسر والعسر، فأول ما ذكر من أخلاقهم الموجبة للجنة ذكر السخاوة وقد جاء في الحديث. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرنا

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ١٣٣/٧، وأخرج ابن حبان عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد: أرايت جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال النبي ﷺ: أرايت هذا الليل، قد كان ثم ليس شيء، أين جعل؟ قال: الله أعلم. قال: فإن الله يفعل ما يشاء. «موارد الظمان، ص (٤٢٨)، ورواه الحاكم في المستدرک: ١/٣٦ وصححه على شرط الشيخين، وقال الهيثمي في المجمع: ٣٢٧/٦ «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح».

وانظر: تفسير الطبري بتعليق الشيخ شاکر: ٢١٢/٧.

رسول الله كانت بنو إسرائيل أكرم على الله منّا، كان أحدهم إذا أذنب أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبه بابه، اجدع أنفك وأذنك، افعل كذا، فسكت رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١).

وقال عطاء: نزلت في نهبان التمار، وكنيته أبو معبد، أخته امرأة حسناء، تبتاع منه تمرًا فقال لها إن هذا التمر ليس بجيد، وفي البيت أجود منه، فذهب بها إلى بيته فضمّها إلى نفسه وقبلها، فقالت له: اتق الله، فتركها وندم على ذلك، فأتى النبي ﷺ، وذكر ذلك له، فنزلت هذه الآية^(٢).

وقال مقاتل والكلبي: أخى رسول الله ﷺ بين رجلين أحدهما من الأنصار والآخر من ثقيف فخرج الثقيفي في غزاة واستخلف الأنصاري على أهله فاشترى لهم اللحم ذات يوم، فلما أرادت المرأة أن تأخذ منه دخل على أثرها وقبل يدها، ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه، فلما رجع الثقيفي لم يستقبله الأنصاري فسأل امرأته عن حاله، فقالت: لا أكثر الله في الإخوان مثله ووصفت له الحال، والأنصاري يسبح في الجبال تائبًا مستغفرًا، فطلبه الثقيفي حتى وجده فأتى به أبا بكر رجاء أن يجد عنده راحة وفرجًا. فقال الأنصاري: هلكك: وذكر له القصة، فقال أبو بكر: ويحك أما علمت أن الله تعالى يغار للغازي مالا يغار للمقيم، ثم أتيا عمر رضي الله عنه فقال مثل ذلك، فأتيا النبي ﷺ فقال له مثل مقالتهما، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾^(٣) يعني: قبيحة خارجة عما أذن الله تعالى له فيه، وأصل الفحش القبح والخروج عن الحدّ، قال جابر: الفاحشة الزنا.

﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، ما دون الزنا من القبلة والمعانقة والنظر واللمس.

وقال مقاتل والكلبي: الفاحشة ما دون الزنا من قبلة أو لمسة أو نظرة فيما لا يحل، أو ظلموا أنفسهم بالمعصية.

وقيل: فعلوا فاحشة الكبائر، أو ظلموا أنفسهم بالصغائر.

وقيل: فعلوا فاحشة فعلاً أو ظلموا أنفسهم قولاً.

(١) أخرجه الطبري: ٢١٩/٧، والواحدي في أسباب النزول ص(١١٩)، بسنده عن عطاء، وعزه السيوطي في الدر المنثور: ٣٢٦/٢، لابن المنذر عن ابن عباس.

(٢) أسباب النزول للواحدي ص(١١٨) وذكر القصة الحافظ ابن حجر في الإصابة: ٤١٨/٦ — ٤١٩ في ترجمة نهبان التمار. قال: ذكر مقاتل بن سليمان في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس... ثم قال: وهكذا أخرجه عبد الغني بن سعيد الثقيفي في تفسيره عن موسى ابن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس مطولاً.
ومقاتل: متروك، والضحاك: لم يسمع من ابن عباس. وعبد الغني وموسى: هالكان. وأورد هذه القصة: الثعلبي والمهدي ومكي والماوردي في تفاسيرهم بغير سند.

(٣) أسباب النزول للواحدي ص(١١٨)، بدون إسناد، والكلبي ضعيف.

أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾

﴿ذُكِرُوا اللَّهَ﴾ أي: ذكروا وعيد الله، وأن الله سائلهم، وقال مقاتل بن حيان: ذكروا الله باللسان عند الذنوب.

﴿فَاسْتَغْفِرُوا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ أي: وهل يغفر الذنوب إلا الله.

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ أي: لم يُقيموا ولم يثبتوا عليه، ولكن تابوا وأتابوا واستغفروا، وأصل الإصرار: الثبات على الشيء، وقال الحسن: إتيان العبد ذنباً عمداً إصراراً حتى يتوب.

وقال السدي: الإصرار: السكوت وترك الاستغفار. أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أنا يحيى بن يحيى أنا عبد الحميد بن عبد الرحمن عن عثمان بن واقد العمري عن أبي نصيرة قال: لقيت مولياً لأبي بكر رضي الله عنه فقلت له: أَسَمِعْتَ من أبي بكر شيئاً؟ قال: نعم سمعته يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما أصرَّ من استغفر، وإن عاد في اليوم سبعين مرة»^(١).

﴿وهم يعلمون﴾، قال ابن عباس والحسن ومقاتل والكلبي: وهم يعلمون أنها معصية، وقيل: وهم يعلمون أن الإصرار ضار، وقال الضحاك: وهم يعلمون أن الله يملك مغفرة الذنوب، وقال الحسين بن الفضل وهم يعلمون أن لهم رباً يغفر الذنوب، وقيل: وهم يعلمون أن الله لا يتعاضمه العفو عن الذنوب وإن كثرت، وقيل: وهم يعلمون أنهم إن استغفروا غفر لهم.

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ

(١) أخرجه أبو داود في الوتر، في الاستغفار: ١٥٠/٢، والترمذي في الدعوات، باب أحاديث شتى في الدعوات: ٤/١٠، وقال: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث أبي نصيرة، وليس إسناده بالقوى، وأخرجه المروزي في مسند أبي بكر الصديق برقم (١٢١) — ١٢٢ ص ١٥٥ — ١٥٦.

والحديث فيه أيضاً مجهول، وهو مولى أبي بكر، وأخرجه الطبري في التفسير: ٢٢٥/٧ — ٢٢٦. وأخرجه أبو يعلى والبخاري، وقال البزار: لا تحفظه إلا من حديث أبي بكر بهذا الطريق، وأبو نصيرة وشيخه لا يعرفان. قال ابن حجر: له شاهد أخرجه الطبراني في الدعاء من حديث ابن عباس، انظر: الكافي الشاف ص ٣٢.

وذكره ابن كثير في التفسير: ٤٠٩/١ وقال: «رواه أبو داود والترمذي والبزار في مسنده من حديث عثمان بن واقد — وقد وثقه يحيى ابن معين به — وشيخه أبو بكر المقاسطي، واسمه سالم بن عبيد: وثقه الإمام أحمد وابن حبان. وقول علي بن المديني والترمذي: ليس إسناده هذا الحديث بذلك. فالظاهر: أنه لأجل جهالة مولى أبي بكر. ولكن جهالة مثله لا تضر، لأنه تابعي كبير. ويكفيه نسبه إلى أبي بكر،

العاملين»، ثواب المطيعين. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا عفان بن مسلم أنا أبو عوانة أنا عثمان بن المغيرة عن علي بن ربيعة الأسدي عن أسماء بن الحكم الفزاري قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: إني كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً ينفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلقتة فإذا حلف لي صدقته، وإنه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله يقول: «مَا مِنْ عِدِّ مُؤْمِنٍ يُذْنِبُ ذَنْباً فَيُحْسِنُ الطَّهْوَرَ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ»، ورواه أبو عيسى عن قتيبة عن أبي عوانة وزاد: ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ الآية (١).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا هشام بن عبد الملك أخبرنا همام عن إسحاق عن عبد الله بن أبي طلحة قال: كان قاضي بالمدينة يقال له عبد الرحمن بن أبي عمرة فسمعتة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ عَبْدًا أَذْنِبَ ذَنْبًا فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ أَذْنِبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي، قَالَ: فَقَالَ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَلِمَ عَبْدِي أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، فَغَفَرَ لَهُ، فَمَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا آخَرَ فَقَالَ: رَبِّ أَذْنِبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَلِمَ عَبْدِي أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ» (٢).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أخبرنا النعمان السدوسي، أخبرنا المهدي بن ميمون أخبرنا غيلان بن جرير عن شهر بن حوشب عن معدي كرب عن أبي ذر / رضي الله عنه عن النبي ﷺ يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: «قَالَ يَا بَنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ، ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ إِنْ تَلَقَانِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ حَطَايَا لِقَيْتِكَ

ب/٦٩

(١) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في الصلاة عند التوبة: ٤٤٢/٢ — ٤٤٤، وقال: حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأخرجه أيضاً في التفسير، وابن حبان في التوبة ص (٦٠٨) من موارد الظمان، والإمام أحمد في المسند عن أبي بكر: ١/١٠، وأبو داود الطيالسي في المسند: (ص ٢)، وأبو بكر المروزي في مسند أبي بكر الصديق برقم (٩، ١٠) ص ٤٢ — ٤٣، وأخرجه الطبري في التفسير: ٢٢٠/٧.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤/١٥١ — ١٥٢ وقال: هذا حديث حسن لا يعرف إلا من حديث عثمان بن المغيرة ويروي عنه شعبة وسعر وغير واحد. وعزه السيوطي للنسائي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب. انظر: الدر المنثور: ٣٢٧/٢.

قال ابن حجر في التهذيب: ٢٣٥/١: «وهذا الحديث جيد الإسناد». وقال ابن كثير في التفسير: ٤٠٨/١، بعد أن ساق رواية الإمام أحمد: «وهكذا رواه علي بن المديني والحميدي وأبو بكر بن أبي شيبة وأهل السنن، وابن حبان في صحيحه، والبخاري والدارقطني من طرق، عن عثمان بن المغيرة به. وقد ذكرنا طرقه والكلام عليه مستقصى في مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وبالجملة: فهو حديث حسن» ثم ذكر شواهد لصحته في الصحيحين. وانظر أيضاً ٥٥٤/١ من ابن كثير.

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى «يريدون أن يدلوا كلام الله»: ١٣/٤٦٦، ومسلم في التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت، برقم (٢٧٥٨): ٤/٢١١٢، والمصنف في شرح السنة: ٧٢/٥.

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ

﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾

بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةٌ بَعْدَ أَنْ لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، ابْنُ آدَمَ إِنَّكَ إِنْ تَذَنَّبَ حَتَّى تَبْلُغَ ذُنُوبَكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ تَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرُ لَكَ»^(١).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين الحسن الشرفي أنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر أخبرنا إبراهيم بن الحكم بن أبان حدثني أبي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى: «مَنْ عَلَّمَ أُنَى ذُو قُدْرَةٍ عَلَى مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أَبَالِي مَا لَمْ يُشْرِكْ بِي شَيْئًا»^(٢) قال ثابت البناني: بلغني أن إبليس بكى حين نزلت هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ إِلَى آخِرِهَا.

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾، قال عطاء: شرائع، وقال الكلبي: مضت لكل أمة سنة ومنهاج إذا اتبعوها رضي الله عنهم، وقال مجاهد: قد خلت من قبلكم سنن بالهلاك فيمن كذب قبلكم، وقيل: سنن أي: أمة، والسنة: الأمة، قال الشاعر:

ما عاين الناس من فضل كفضلكم * ولا رأوا مثلكم في سالف السنن

وقيل معناه: أهل السنن، والسنة هي: الطريقة المتبعة في الخير والشر، يقال: سن فلان سنة حسنة، وسنة سيئة إذا عمل عملاً اقتدي به من خير وشر.

ومعنى الآية: قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الأمم الماضية الكافرة، بإمهالي واستدراجي إليهم حتى يبلغ الكتاب فيهم أجلي الذي أجلته لإهلاكهم، وإذالة أنبيائي عليهم. ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾، أي: آخر أمر المكذبين، وهذا في حرب أحد، يقول الله عز وجل: فأنا أمهلهم وأستدرجهم حتى يبلغ أجلي الذي أجلت في نصره النبي ﷺ وأوليائه وإهلاك أعدائه.

﴿هذا﴾ أي: هذا القرآن، ﴿بيان للناس﴾، عامة، ﴿وهدى﴾، من الضلالة، ﴿وموعظة﴾

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٥٤/٥، والدارمي في الرقاق، باب إذا تقرب العبد إلى الله: ٣٢٢/٢. وله شاهد عند الترمذي في

الدعوات، باب غفران الذنوب مهما عظمت: ٥٢٤/٩ - ٥٢٥. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٧٥/٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٢٦٢/٤. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي فقال: العدني وإه. وأخرجه المصنف في

شرح السنة: ٣٨٨/١٤.

قال ابن حجر في التقریب: ٣٤/١ «إبراهيم بن الحكم العدني: ضعيف، وصل مراسيل».

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ
فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١١٧﴾

للمتقين، خاصة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾، هذا حثٌ لأصحاب النبي ﷺ على الجهاد، زيادةً على ما أصابهم من القتل والجراح يوم أحد، يقول الله تعالى: وَلَا تَهِنُوا أَي: لَا تَضَعُفُوا وَلَا تَجْبُنُوا عَنْ جِهَادِ أَعْدَائِكُمْ بِمَا نَالَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجِرْحِ، وَكَانَ قَدْ قُتِلَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسَةٌ مِنْهُمْ: حِمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَمِصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَقُتِلَ مِنَ الْأَنْصَارِ سَبْعُونَ رَجُلًا.

﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ فَإِنَّكُمْ ﴿أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ أَي تَكُونُ لَكُمْ الْعَاقِبَةُ بِالنَّصْرَةِ وَالظَّفَرِ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يَعْنِي: إِذْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ: أَي: لِأَنَّكُمْ مُؤْمِنُونَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَمَّا انْهَزَمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الشَّعْبِ فَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بَخِيلَ الْمُشْرِكِينَ يَرِيدُ أَنْ يَعْلُو عَلَيْهِمُ الْجَبَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اللَّهُمَّ لَا يَعْلُونَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ لَا قُوَّةَ لَنَا إِلَّا بِكَ وَثَابَ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رِمَاةً فَصَعَدُوا الْجَبَلَ وَرَمَوْا خَيْلَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى هَزَمَهُمْ (١) فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةٌ بَعْدَ يَوْمِ أُحُدٍ حِينَ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ بِطَلْبِ الْقَوْمِ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْجِرَاحِ، فَاسْتَدَّتْ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ آيَةَ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ (النساء - ١٠٤).

﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ﴾ قَرَأَ حِمْرَةُ وَالْكَسَائِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ ﴿قَرْحٌ﴾ بِضَمِّ الْقَافِ حَيْثُ جَاءَ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْفَتْحِ وَهِيَ لَفْتَانٌ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ كَالْجُهْدِ وَالْجَهْدِ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ الْقَرْحُ بِالْفَتْحِ: الْجِرَاحَةُ، وَبِالضَّمِّ: أَلْمُ الْجِرَاحَةُ، هَذَا خُطَابٌ مَعَ الْمُسْلِمِينَ حَيْثُ انْصَرَفُوا مِنْ أُحُدٍ مَعَ الْكُتَّابَةِ وَالْحَزَنِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ﴾ يَوْمَ أُحُدٍ، ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾، يَوْمَ بَدْرٍ، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾، فَيَوْمٌ لَهُمْ وَيَوْمٌ عَلَيْهِمْ، أُدِيلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ حَتَّى قَتَلُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ وَأَسْرَوْا سَبْعِينَ، وَأُدِيلَ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى جَرَحُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ وَقَتَلُوا خَمْسًا وَسَبْعِينَ.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عمرو بن خالد أنا زهير أخبرنا أبو إسحق قال: سمعت البراء بن عازب قال: جعل النبي ﷺ على الرجال يوم أحد وكانوا خمسين رجلاً عبد الله بن جبير، فقال: «إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخَطَفْنَا الطَّيْرَ فَلَا

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ٢٣٦/٧، وفي التاريخ: ٥٢١/٢، ٥٢٢. وانظر سيرة ابن هشام ١٣٧/٢.

تبرحوا مكائلكم هذا حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا هزمتنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، فلهزمهم^(١)، قال: فإننا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة، أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنا تين الناس فلنصيب من الغنيمة، فلما أتوهم صرقت وجوههم فأقبلوا منهزمين. فذاك إذ يدعوهم الرسول في آخرهم، فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلاً فأصابوا منا سبعين.

وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر مائة وأربعين، سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، فقال أبو سفيان: أي القوم محمد ثلاث مرات، فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات، ثم قال: أي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع إلى أصحابه، فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه، فقال: كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عدت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوءك، قال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مثلاً لم أمر بها ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز: اعل هبل اعل هبل، فقال النبي ﷺ: ألا تُجيبوه؟ قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: قولوا الله أعلى وأجل، قال: إن لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ: «ألا تُجيبوه؟» قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم^(٢).

وروي هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي حديثه قال أبو سفيان: يوم بيوم وإن الأيام ذول والحرب سجال، فقال عمر رضي الله عنه: لا سوا، قتلتنا في الجنة وقتلناكم في النار^(٣).

قال الزجاج: الدولة تكون للمسلمين على الكفار، لقوله تعالى: (وإن جندنا لهم الغالبون)، وكانت / يوم أحد للكفار على المسلمين لمخالفتهم أمر رسول الله ﷺ.

١/٧.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني: إنما كانت هذه المداولة ليعلم الله (أي: ليرى الله)^(٤) الذين آمنوا فيميز^(٥) المؤمن من المنافق، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾، يكرم أقواماً بالشهادة، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

(١) في «أ»: «فلهزمهم».

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب...: ٦ / ١٦٣ - ١٦٤ بلفظه وفي المغازي، باب غزوة أحد: ٧ / ٣٤٩ - ٣٥٠ بمعناه مطولاً.

(٣) مسند الإمام أحمد: ١ / ٢٨٨.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) في «أ»: (فيميز).

وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا
الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ
الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ
قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى
عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: يُطهرهم من الذنوب، ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾، يُفنيهم ويهلكهم، معناه: أنهم إن قتلوكم فهو تطهيرٌ لكم، وإن قتلتموهم فهو محقهم واستئصالهم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أحسبتم؟ ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ [أي: ولم يعلم الله^(١)] ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾، وذلك أن قوماً من المسلمين تمنّوا يوماً كيوم بدر ليقاتلوا ويستشهدوا فأراهم الله يوم أحد، وقوله ﴿تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ أي: سبب الموت وهو الجهاد من قبل أن تلقوه، ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾؟ يعني: أسبابه.

فإن قيل: ما معنى قوله ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، بعد قوله: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾؟ قيل: ذكره تأكيداً، وقيل: الرؤية قد تكون بمعنى العلم، فقال: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ليعلم، أن المراد بالرؤية النظر، وقيل: وأنتم تنظرون إلى محمد ﷺ.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ قال أصحاب المغازي^(٢): خرج رسول الله ﷺ حتى نزل بالشعب من أحد في سبعمئة رجل، وجعل عبد الله بن جبير وهو أخو خوات بن جبير على الرّجالة، وكانوا خمسين رجلاً، وقال: أقيموا بأصل الجبل وانضحوا عتاً بالنبل لا يأتونا من خلفنا، فإن كانت لنا أو علينا فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم فإننا لن نزال غاليين ما نبيتم مكانكم فجاءت قريش وعلى ميمتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف ويقلن الأشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب فأخذ رسول الله ﷺ سيفاً فقال من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى يُثخن، فأخذه أبو دجانة سماك بن خرشة^(٣) الأنصاري، فلما

(١) زيادة من (ب).

(٢) انظر: سورة ابن هشام ١٢٧/٢ وما بعدها، مع الروف الأنف، طبقات ابن سعد: ٣٦/٢ وما بعدها.

(٣) في «أ»: حرب، وانظر: أسد الغابة: ٤٥١/٢.

أخذه اعتمَّ بعمامة حمراء وجعل يتبختر فقال رسول الله ﷺ: «إنها لمشيئة ييغضها الله تعالى إلا في هذا الموضع»، ففلق به هام المشركين، وحمل النبي ﷺ وأصحابه على المشركين فهزمهم.

وروينا عن البراء بن عازب قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت تحلخلهنَّ وأسوقهن رافعاتٍ ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة والله لنا تينَّ الناس فلنصينَّ من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم.

وقال الزبير بن العوام: فرأيت هنداً وصواحباتها هارباتٍ مصعداتٍ في الجبل، باديات خدامهن ما دون أخذهنَّ شيء فلما نظرت الرماة إلى القوم قد انكشفوا ورأوا أصحابهم ينتهبون الغنيمة أقبلوا يريدون النهب.

فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة، ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله من المشركين، ثم حمل على أصحاب النبي ﷺ من خلفهم فهزمهم وقتلهم، ورمى عبد الله بن قمعة رسول الله ﷺ بحجر^(١) فكسر أنفه ورباعيته وشجه في وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة يعلوها، وكان قد ظاهر بين درعين، فلم يستطع فجلس تحته طلحه فنهض حتى استوى عليها، فقال رسول الله ﷺ: «أوجب طلحة»^(٢) ووقعت هند والنسوة معها يثلن بالقتل من أصحاب رسول الله ﷺ يجعدن الآذان والأنوف حتى اتخذت هند من ذلك قلائد، وأعطتها وحشياً وبقرت عن كبدة حمزة ولاكتها فلم تستطع أن تُسيغها فلفظتها، وأقبل عبد الله بن قمعة يريد قتل النبي ﷺ، فذَبَّ مُصعب بن عمير — وهو صاحب راية رسول الله ﷺ — عن رسول الله ﷺ فقتله ابن قمعة، وهو يرى أنه قتل رسول الله ﷺ، فرجع إلى المشركين وقال: إني قتل محمدًا وصاح صارخًا ألا إنَّ محمدًا قد قُتل، ويقال: إن ذلك الصارخ كان إبليس، فانكفأ الناس، وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس: «إلَّيَّ عبادَ الله (إلَّيَّ عبادَ الله)^(٣)، فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً فحموه حتى كشفوا عنه المشركين، ورمى سعد بن أبي وقاص حتى اندقت سية قوسه، ونثل^(٤) له رسول الله ﷺ كنانته، وقال له: ارم فداك أبي وأمي، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديداً التزع كسر يومئذ^(٥) قوسين أو ثلاثاً، وكان الرجل يمر بجعبة من النبل فيقول: انثرها لأبي طلحة، وكان إذا رمى أشرف النبي ﷺ فينظر إلى موضع نبله، وأصيب يدُ طلحة بن عبيد الله فيبست حين وقى بها رسول الله ﷺ، وأصيب عينُ قتادة بن

(١) في «أ»: بالحجر.

(٢) أي عمل عملاً أوجب له الجنة.

(٣) زيادة من «ب».

(٤) في «أ»: (نثر).

(٥) في «أ»: يوم أحد.

النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته، فردّها رسول الله ﷺ مكانها، فعادت كأحسن ما كانت.

فلما انصرف رسول الله ﷺ أدركه أبي بن خلف الجمحي، وهو يقول: لا نجوث إن نجوت، فقال القوم: يا رسول الله ألا يعطف عليه رجل منا؟ فقال ﷺ: دعوه حتى إذا دنا منه، وكان أبي قبل ذلك يلقي رسول الله ﷺ فيقول: عندي رمكة أعلفها كل يوم فرق ذرة أقتلك عليها، فقال رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن شاء الله، فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه، فخدشه خدشة فتهدأ عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور، ويقول: قتلني محمد، فأخذه أصحابه وقالوا: ليس عليك بأس، قال: بلى لو كانت هذه الطعنة بريعة ومُضر لقتلتهم، أليس قال لي: أقتلك؟ فلو بزق عليّ بعد تلك المقالة لقتلني، فلم يلبث إلا يوماً حتى مات بموضع يقال له سرف.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمرو بن علي أنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اشتد غضبُ الله على من قتله نبي / واشتد غضبُ الله على من دَمَى وجه رسول الله ﷺ (١).

٧٠/ب

قالوا: وفشا في الناس أن محمداً قد قُتل فقال بعض المسلمين: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي فأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، وبعض الصحابة جلسوا وألقوا بأيديهم، وقال أناس من أهل النفاق: إن كان محمداً قد قتل فالحقوا بدينكم الأول، فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك: يا قوم إن كان قُتل محمد فإن ربَّ محمد لم يُقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله ﷺ وموتوا على ما مات عليه ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء يعني المسلمين، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المنافقين، ثم شدَّ بسيفه فقاتل حتى قُتل.

ثم إن رسول الله ﷺ انطلق إلى الصخرة وهو يدعو الناس، فأول من عرف رسول الله ﷺ كعب ابن مالك، قال عرفت عينيه تحت المغفر تزهرا، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ، فأشار إليّ أن اسكت، فأنحازت إليه طائفة من أصحابه، فلامهم النبي ﷺ على الفرار، فقالوا: يا نبي الله فدينك بآبائنا وأمهاتنا، أتانا الخبرُ بأنك قد قُتلت، فرُعبت قلوبنا فولينا مدبرين، فأنزل الله تعالى هذه الآية (٢) ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرُّسل﴾.

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد: ٣٧٢/٧.

(٢) أخرجه ابن اسحاق في السيرة من طريق جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الأنصار من بني سلمة.. سيرة ابن هشام: ١٢٧/٢ - ١٣٢، وانظر: الاكتفاء للكلاعي: ٩٠/٢ وما بعدها أسباب النزول للواحدي ص(١٥٨)، الكافي الشاف لابن حجر ص(٣٢ - ٣٣).

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا
نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

ومحمد هو المستغرق لجميع المحامد، لأن الحمد لا يستوجبه إلا الكامل، والتحميد فوق الحمد، فلا يستحقه إلا المستولي على الأمر في الكمال، وأكرم الله نبيه وصفيه باسمين مشتقين من اسمه جل جلاله (محمد وأحمد)، وفيه يقول حسان بن ثابت:

ألم تر أن الله أرسل عبده * ببهانـه والله أعلى وأمجـد
وشق له من اسمه ليُجلَّه * فذو العرش محمودٌ وهذا محمد

قوله تعالى: ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ رجعتكم إلى دينكم الأول، ﴿ومن ينقلب على عقبيه﴾، فيرتد عن دينه، ﴿فلن يضرب الله شتاء﴾، بارتداده وإنما يضرب نفسه، ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ ﴿وما كان لنفس أن تموت﴾، قال الأخفش: اللام في ﴿لنفس﴾ منقولة تقديره: وما كانت نفس تموت، ﴿إلا بإذن الله﴾، بقضاء الله وقدره، وقيل: بعلمه، وقيل: بأمره، ﴿كتاباً مؤجلاً﴾ أي: كتب لكل نفس أجلاً لا يقدر أحد على تغييره وتأخيرها، ونصب الكتاب على المصدر، أي: كتب كتاباً، ﴿ومن يرد ثواب الدنيا نُؤته منها﴾ يعني: من يرد بطاعته الدنيا ويعمل لها نُؤته منها ما يكون جزءاً لعمله، يريد نُؤته منها ما نشاء بما قدرناه له، كما قال: «من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد» (سورة الإسراء — ١٨)، نزلت في الذين تركوا المركز يوم أحد طلباً للغنيمة، ﴿ومن يرد ثواب الآخرة نُؤته منها﴾، أي أراد بعمله الآخرة، قيل: أراد الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا. ﴿وسنجزي الشاكرين﴾، أي: المؤمنين المطيعين.

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أخبرنا أبو الحسن أحمد بن موسى بن الصلت أنا أبو إسحاق إبراهيم عبد الصمد الهاشمي أنا أبو يحيى محمد بن عبد الله بن يزيد بن عبد الرحمن المقرئ أنا أبي أنا الربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره، ولا يأتيه منها إلا ما كتب له»^(١).

(١) أخرجه الترمذي في القيامة، باب رقم (١٤): ١٦٥/٧، وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف، وله شاهد عند ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت في الزهد، باب الهم في الدنيا، برقم (٤١٠٥): ١٣٧٥/٢، قال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات. وأخرجه ابن حبان برقم (٧٢) ص (٤٧) من موارد الظمان، وأحمد في المسند: ١٨٣/٥ مطولاً عن زيد بن ثابت. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٣١/١٤.

قال الهيثمي: رواه البزار، وفيه إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف. مجمع الزوائد: ١٠/٢٤٧.

وَكَايِنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيبِيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا
وَمَا أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن علي بن توبة الزرّاد أخبرنا أبو بكر محمد بن إدريس بن محمد الجرجاني وأبو أحمد محمد بن أحمد المعلم الهروي قالوا أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى الماليني أخبرنا أبو العباس الحسن بن سفيان النسوي أخبرنا حيان بن موسى وعبد الله بن أسماء ابن أخي جويرة ابن أسماء قال أخبرنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَكَايِنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيبِيُونَ كَثِيرٌ﴾، قرأ ابن كثير ﴿وَكَايِنٍ﴾، بالمد والهمزة على وزن فاعل، وتلين الهمزة أبو جعفر، وقرأ الآخرون ﴿وَكَايِنٍ﴾ بالهمز والتشديد على وزن كعين، ومعناه: وكم، وهي كاف التشبيه ضُمت إلى أي الاستفهامية، ولم يقع للتونين صورة في الخط إلا في هذا الحرف خاصة، ويقف بعض القراء على ﴿وَكَايِنٍ﴾ بلا نون، والآخرون على الوقوف بالنون، قوله ﴿قاتل﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة بضم القاف، وقرأ الآخرون ﴿قاتل﴾ فمن قرأ ﴿قاتل﴾ فلقوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ ويستحيل وصفهم بأنهم لم يهنوا بعدما قتلوا، لقول سعيد بن جبيرة: ما سمعنا أن نبياً قُتل في القتال، ولأن ﴿قاتل﴾ أعم.

قال أبو عبيد: إن الله تعالى إذا حمد من قاتل كان من قُتل داخلاً فيه، وإذا حمد من قُتل لم يدخل فيه غيرهم، فكان ﴿قاتل﴾ أعم.

ومن قرأ ﴿قتل﴾ فله ثلاثة أوجه: أحدها:

أن يكون القتل راجعاً إلى النبي وحده، فيكون تمام الكلام عند قوله ﴿قتل﴾، ويكون في الآية إضمار معناه: ومعه ريبون كثير، كما يقال: قتل فلان معه جيش كثير، أي: ومعه. والوجه الثاني: أن يكون القتل نال النبي ومن معه من الريبين، ويكون المراد: بعض من معه، تقول العرب قتلنا بني فلان، وإنما قتلوا بعضهم، ويكون قوله ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ راجعاً إلى الباقيين.

(١) أخرجه البخاري في سبعة مواضع من الصحيح، في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: ١/ ٩، وفي الإيمان، وفي العتق، وفي مناقب الأنصار، وفي النكاح، وفي الأيمان والنذور وفي الخيل وأخرجه مسلم في الإمارة، باب قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنية برقم (١٩٠٧): ٣/ ١٥١٥ - ١٥١٦.

وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا
يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ
خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾

والوجه الثالث: أن يكون القتل للريين لا غير.

وقوله ﴿رِيُونَ كَثِيرٌ﴾، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: جموع كثيرة، وقال ابن مسعود: الريون الألو، وقال الكلبي الرية الواحدة: عشرة آلاف، وقال الضحاك: الرية الواحدة: ألف، وقال الحسن: فقهاء علماء وقيل: هم الأتباع، والريانيون الولاة، والريون الرعية، وقيل: منسوب إلى الرب وهم الذين يعبدون الرب، ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ أي: فما جبنوا، ﴿لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا﴾، عن الجهاد بما نالهم من ألم الجراح^(١)، وقُتِلَ الأصحاب. ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ قال مقاتل: وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم، وقال السدي: وما ذلوا، / قال عطاء وما تضرعوا، وقال أبو العالية: وما جبنوا ولكنهم صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾، نصب على خبر كان، والاسم في أن قالوا، ومعناه: وما كان قولهم عند قتل نبيهم، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أي: الصغائر، ﴿وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾، أي: الكبائر، ﴿وَوَثِّبْتَ أَقْدَامَنَا﴾، كي لا تزول، ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، يقول فهلا فعلتم وقتلتم مثل ذلك بأصحاب محمد.

﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾، النصرة والغنيمة، ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾، الأجر والجنة، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني: اليهود والنصارى، وقال علي رضي الله عنه، يعني: المنافقين في قولهم للمؤمنين عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم. ﴿يُرَدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾، يُرَجِعُوكُمْ إِلَى أَوَّلِ أَمْرِكُمُ الشَّرْكَ بِاللَّهِ، ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾، مغبونين. ثم قال: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾، ناصركم وحافظكم على دينكم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾.

(١) في «أ»: (الجرح).

سُنِّلِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ
 بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ
 صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ
 فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرَبْتُمْ ۖ مَا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ
 اللَّهُ أَنْ يُؤَيِّدَ بِنُصْرَتِهِ الَّذِينَ اتَّخَذْتُمْ مِمَّنْ الْأَخْرَءَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۗ وَلَقَدْ
 عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾

﴿سُنِّلِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ وذلك أن أبا سفيان والمشركين لما ارتحلوا يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلقوا حتى إذا بلغوا بعض الطريق، ندموا وقالوا: بئس ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم، فلما عزموا على ذلك كذف الله في قلوبهم الرعب، حتى رجعوا عما هموا به.

سُنِّلِي أَي: سَنَدَفَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ، الخوف، وقرأ^(١) أبو جعفر وابن عامر والكسائي ويعقوب ﴿الرعب﴾ بضم العين، وقرأ الآخرون بسكونها، ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حُجَّةٌ وَبُرْهَانًا، ﴿وَمَا أَوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾، مقام الكافرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ قال محمد بن كعب القرظي: لما رجع رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة من أحد، وقد أصابهم ما أصابهم، قال ناس من أصحابه: من أين أصابنا هذا؟ وقد وعدنا الله النصر، فأنزل الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ بالنصر. والظفر، وذلك أن النصر والظفر كان للمسلمين في الابتداء، ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾، وذلك أن رسول الله ﷺ جعل أحداً خلف ظهره واستقبل المدينة وجعل عينين، وهو جبل، عن يساره وأقام عليه الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير، وقال لهم: احموا ظهورنا فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تُشركونا وإن رأيتمونا تُقتل فلا تُنصرونا، وأقبل المشركون فأخذوا في القتال فجعل الرماة يرشقون خيل المشركين بالنبل، والمسلمون يضرّبونهم بالسيوف، حتى ولّوا هاربين فذلك قوله تعالى ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ أي تقتلونهم قتلاً ذريعاً بقضاء الله.

(١) في «أ»: (وقال).

﴿ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتْبِكُمْ غَمًّا بَغْمٍ لِّكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ١٥٣

قال أبو عبيدة: الحسن: هو الاستئصال بالقتل.

﴿حتى إذا فشيئتم﴾ أي: إن جئتم، وقيل: معناه فلما فشلتم، ﴿وتنازعتم في الأمر وعصيتهم﴾، والواو زائدة في ﴿وتنازعتم﴾ يعني: حتى إذا فشلتم تنازعتم، وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: حتى إذا تنازعتم في الأمر وعصيتهم فشيئتم، ومعنى التنازع الاختلاف.

وكان اختلافهم أن الرماة اختلفوا حين انهزم المشركون، فقال بعضهم: انهزم القوم فما مقامنا؟ وأقبلوا على الغنيمة، وقال بعضهم: لا تجاوزوا أمر رسول الله ﷺ، وثبت عبد الله بن جبير في نفر يسير دون العشرة.

فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة فقتلوا عبد الله بن جبير وأصحابه، وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح فصارت دُبُوراً بعد ما كانت صَبَاً،^(١) وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضاً ما يشعرون من الدهش، ونادى إبليس أن محمداً قد قُتل، وكان ذلك سبب الهزيمة للمسلمين.

قوله تعالى: ﴿وعصيتهم﴾ يعني: الرسول ﷺ وخالفتم أمره، ﴿من بعد ما أَرَأَمُ﴾، الله ﴿ما تُحِبُّون﴾ يا معشر المسلمين من الظفر والغنيمة، ﴿منكم من يُريدُ الدنيا﴾، يعني: الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب، ﴿ومنكم من يُريدُ الآخرة﴾، يعني: الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير حتى قتلوا، قال عبد الله بن مسعود: ما شعرتُ أن أحداً من أصحاب النبي ﷺ يُريدُ الدنيا حتى كان يوم أحد، ونزلت هذه الآية ﴿ثم صرفكم عنهم﴾، أي: ردكم عنهم بالهزيمة، ﴿ليبتليكم﴾، ليمتحنكم، وقيل: لينزل البلاء عليكم ﴿ولقد عفا عنكم﴾، فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة، ﴿والله ذو فضل على المؤمنين﴾.

﴿إذ تصعدون﴾ يعني: ولقد عفا عنكم إذ تصعدون هارين، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي والحسن وقتادة ﴿تصعدون﴾ بفتح التاء والعين، والقراءة المعروفة بضم التاء وكسر العين.

والإصعاد: السيرُ في مستوى الأرض، والصُّعود: الارتفاع على الجبال والسطوح، قال أبو حاتم: يقال

(١) الدُّبُور: الريح التي تقابل الصَّبَا، والصَّبَا: ريح تهب من مطلع الشُّرْبَا.

أصعدت إذا مضيت حيال وجهك، وصعدت إذا ارتقيت في جبل أو غيره، وقال المبرد: أصعد إذا أبعده في الذهاب، وكلتا القراءتين صواب فقد كان يومئذ من المنهزمين مُصعد وصاعد، وقال المفضل: صعد وأصعد وصعد بمعنى واحد.

﴿وَلَا تُلُونَهُ عَلَى أَحَدٍ﴾ أي: لا تعرجون ولا تقيمون على أحد، ولا يلتفت بعضهم إلى بعض، ﴿وَالرَّسُولَ يَدْعُوكُمْ فِي أُحْرَامِكُمْ﴾ أي: في آحرکم ومن ورائکم إليّ عبادَ الله فأنا رسول الله من يكره فله الجنة^(١)، ﴿فَأَثَابِكُمْ﴾ فجازاكم، جعل الإثابة بمعنى العقاب، وأصلها في الحسنات لأنه وضعها موضع الثواب، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ جعل البشارة في العذاب^(٢)، ومعناه: جعل مكان الثواب الذي كنتم ترجون ﴿غَمًّا بِغَمِّ﴾، وقيل: الباء بمعنى على، أي: غمًا على غم، وقيل: غمًا متصلًا بغم، فالغم الأول: ما فاتهم من الظفر والغنيمة، والغم الثاني: ما نالهم من القتل والهزيمة.

وقيل: الغم الأول ما أصابهم من القتل والجراح، والغم الثاني: ما سمعوا أن محمداً ﷺ قد قتل فأنسأهم الغم الأول.

وقيل: الغم الأول: إشراف خالد بن الوليد عليهم بخيل المشركين، والغم الثاني: حين أشرف عليهم أبو سفيان، وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق يومئذ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة، فلما رأوه وضع رجل سهماً في قوسه وأراد أن يرميه، فقال أنا رسول الله، ففرحوا حين وجدوا / رسول الله ﷺ، وفرح النبي ﷺ حين رأى أن في أصحابه من يمتنع، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا فأقبل أبو سفيان وأصحابه، حتى وقفوا بباب الشعب، فلما نظر المسلمون إليهم أهتمهم ذلك وظنوا أنهم يميلون عليهم فيقتلونهم فأنسأهم هذا ما نالهم، فقال رسول الله ﷺ: ليس لهم أن يعلنوا اللهم إن تقتل هذه العصاة لا تُعبد في الأرض، ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم.

وقيل: إنهم غموا الرسول بمخالفة أمره، فجازاهم الله بذلك الغم غم القتل والهزيمة.

قوله تعالى: ﴿لَكَيْلًا تَحْزِنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾، من الفتح والغنيمة، ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ أي: ولا على ما أصابكم من القتل والهزيمة، ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

(١) أخرجه الطبري في التاريخ: ٥١٩/٢ - ٥٢٠، وانظر البداية والنهاية: ٤/٢٣.

(٢) في «أ»: «العقاب».

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ﴾، يامعشر المسلمين، ﴿مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا﴾ يعني: أمنًا، والأمن والأمنة بمعنى واحد، وقيل: الأمن يكون مع زوال سبب الخوف، والأمنة مع بقاء سبب الخوف، وكان سبب الخوف هنا قائمًا، ﴿نُّعَاسًا﴾، بدل من الأمنة ﴿يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي ﴿يَغْشَى﴾ بالياء ردًا إلى الأمنة، وقرأ الآخرون بالياء ردًا إلى النُّعَاس.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمنهم يومئذ بنُّعَاسٍ يغشاهم، وإِنَّمَا ينعس من يأمن، والخائف لا ينام.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن أنا حسين بن محمد أخبرنا شيبان عن قتادة أخبرنا أنس أن أبا طلحة قال: غَشَيْتَنَا النَّعَاسُ ونحن في مصافنا يوم أحد، قال: فجعل سيفي يسقط من يدي فأخذه ويسقط وآخذه»^(١).

وقال ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال: رفعت رأسي يوم أحد فجعلتُ ما أرى أحدًا من القوم إلا وهو يميل تحت جُحْفَتِهِ مِنَ النَّعَاسِ^(٢).

وقال عبد الله بن الزبير عن أبيه الزبير بن العوام لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد علينا الحرب، أرسل الله علينا النوم، والله إني لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما أسمع إلا كالحلم،

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة آل عمران، باب قوله تعالى: «أمنة نُّعَاسًا»: ٢٢٨/٨، وفي المغازي. وأخرجه المصنف في

شرح السنة: ٣٩٢/١٣

(٢) أخرجه الترمذي في تفسيره سورة آل عمران: ٣٥٨/٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم على شرط مسلم:

٢٩٧/٢ ووافقه الذهبي. وعزه في تحفة الأحوذى للنسائي.

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾

يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا^(١)، فذلك قوله تعالى: ﴿يَغْشَى طَائِفَةٌ مِنْكُمْ﴾ يعني: المؤمنين، ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾، يعني: المنافقين: قيل: أراد الله به تمييز المنافقين من المؤمنين، فأوقع التعاس على المؤمنين حتى آمنوا، ولم يُوقع على المنافقين، فبقوا في الخوف وقد أهمتهم أنفسهم، أي: حملتهم على الهمّ يقال: أمر مهمّ.

﴿يظنون بالله غير الحق﴾ أي: لا ينصر محمداً، وقيل: ظنوا أن محمداً ﷺ قد قُتل، ﴿الجاهلية﴾ أي: كظن أهل الجاهلية والشرك، ﴿يقولون هل لنا﴾: ما لنا، لفظه استفهام ومعناه: حَجْدٌ، ﴿من الأمر من شيء﴾ يعني: النصر، ﴿قل إن الأمر كله لله﴾ قرأ أهل البصرة برفع اللام على الابتداء وخبره في ﴿الله﴾ وقرأ الآخرون بالنصب على البدل، وقيل: على النعت.

﴿يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ههنا﴾، وذلك أن المنافقين، قال بعضهم لبعض: لو كان لنا عقول لم نخرج^(٢) مع محمد إلى قتال أهل مكة ولم يُقتل رؤسائنا، وقيل: لو كنا على الحق ما قُتلنا هاهنا.

قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، يعني: التكذيب بالقدر، وهو قولهم ﴿لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ههنا﴾، ﴿قل لو كنتم في يوتكم لبرز الذين كتب﴾، قضي، ﴿عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾، مصارعهم، ﴿وليبتلي الله﴾، ولتحنن الله، ﴿ما في صدوركم وليمحص﴾، يُخرج ويظهر ﴿ما في قلوبكم﴾، والله عليم بذات الصدور، بما في القلوب من خير وشر.

﴿إن الذين تولوا منكم﴾ أي انهزموا، ﴿منكم﴾، يا معشر المسلمين، ﴿يوم التقى الجمعان﴾، جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد، وكان قد انهزم أكثر المسلمين ولم يبق مع النبي ﷺ إلا ثلاثة عشر رجلاً ستة من المهاجرين: وهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم.

قوله تعالى: ﴿إنما استزلهم الشيطان﴾ أي: طلب زلتهم، كما يقال: استعجلت فلاناً إذا طلبت

(١) أخرجه ابن إسحاق في المغازي والبراز في مسنده والطبري وابن أبي حاتم وأبو نعيم والبيهقي، كلهم من طريق ابن إسحاق. انظر الكافي الشاف ص(٣٣).

(٢) في «أ»: ما خرجنا

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ
 أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ
 يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ
 لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ
 ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ
 فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

عجلته، وقيل: حملهم على الزلة وهي الخطيئة، وقيل: أزل واستزل بمعنى واحد، ﴿ببعض ما كسبوا﴾، أي: بُشئوا ذنوبهم، قال بعضهم: بتركهم المركز، وقال الحسن: ما كسبوا هو قبولهم من الشيطان ما وسوس إليهم من الهزيمة، ﴿ولقد عفا الله عنهم إن الله غفورٌ حلِيمٌ﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا﴾، يعني: المناقين عبد الله بن أبي وأصحابه، ﴿وقالوا لإخوانهم﴾، في النفاق والكفر، وقيل: في النسب، ﴿إذا ضربوا في الأرض﴾ أي: سافروا فيها لتجارة أو غيرها، ﴿أو كانوا غزًى﴾ أي: غزاة جمع غازٍ قُتلوا، ﴿لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتلوا ليجعل الله ذلك﴾ يعني: قولهم وظنهم، ﴿حسرة﴾ غمًّا ﴿في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصيرٌ﴾ قرأ ابن كثير وحمة والكسائي ﴿يعملون﴾ بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء.

﴿ولئن قُتلتم في سبيل الله أو مُتُّم﴾ قرأ نافع وحمة والكسائي ﴿مُتُّم﴾ بكسر الميم، وقرأ الآخرون بالضم، فمن ضمه فهو من مات يموت، كقولك: من قال يقول قلت، بضم القاف، ومن كسره فهو من مات يمات، كقولك من خاف يخاف: خفت، ﴿لمغفرة من الله﴾، في العاقبة، ﴿ورحمة خيرٌ مما يجمعون﴾، من الغنائم، قراءة العامة ﴿تجمعون﴾ بالتاء، لقوله ﴿ولئن قُتلتم﴾ وقرأ حفص عن عاصم ﴿يجمعون﴾ بالياء، يعني: خير^(١) مما يجمع الناس.

﴿ولئن مُتُّم أو قُتلتم لآلى الله تُحشرون﴾، في العاقبة.

قوله تعالى: ﴿فبما رحمة من الله﴾ أي: فبرحمة من الله، و ﴿وما﴾ صلة، كقوله ﴿فبما نُقضهم﴾،

(١) زيادة من: (ب).

﴿لَئِن لَّمْ يَكُن لَّهُم بَأْسٌ شَدِيدٌ لَّنَفْسِهِمْ فِي الْوَعْدِ لَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا وَمَا كَانَ وَعْدُ رَبِّكَ لَمَّ يَسْتَبِينَ﴾ أي: سَهَلَتْ لَهُمْ أَخْلَاقُكَ، وَكَثْرَةُ احْتِمَالِكَ، وَلَمْ تُسْرِعْ إِلَيْهِمْ فِيمَا كَانَ مِنْهُمْ يَوْمَ أَحَدٍ، ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ يَعْنِي: جَافِيًا سَيِّئَ الْخُلُقِ قَلِيلِ الْإِحْتِمَالِ، ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾، قَالَ الْكَلْبِيُّ: فَظًّا فِي الْقَوْلِ غَلِيظَ الْقَلْبِ فِي الْفِعْلِ، ﴿لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، أَي: لَنْفَرُوا وَتَفَرَّقُوا عَنْكَ، يُقَالُ: فَضَضْتُهُمْ فَانْفَضُوا، أَي فَرَقْتَهُمْ فَتَفَرَّقُوا ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾، تَجَاوَزْ عَنْهُمْ مَا أَتَوْا يَوْمَ أَحَدٍ، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ حَتَّى أَشْفَعَكَ فِيهِمْ، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أَي: اسْتَخْرِجْ آرَاءَهُمْ وَاعْلَمْ مَا عِنْدَهُمْ، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: شَرْتُ الدَّابَّةَ، وَشَوْرْتُهَا، إِذَا اسْتَخْرِجْتُ جَرِيهَا، وَشَرْتُ الْعَسَلَ وَأَشْرْتُهُ إِذَا أَخَذْتُهُ مِنْ مَوْضِعِهِ، وَاسْتَخْرِجْتُهُ.

واختلفوا في المعنى الذي لأجله أمر الله نبيه ﷺ بالمشاركة مع كمال عقله وجزالة^(١) رأيه ونزول الوحي عليه، ووجوب طاعته على الخلق فيما أحبوا وكرهوا.

فقال بعضهم: هو خاص في المعنى، أي: وشاورهم فيما ليس عندك فيه من الله تعالى عهد، قال الكلبي: يعني ناظرهم في لقاء العدو ومكايد الحرب عند الغزو.

وقال مقاتل وقتادة: أمر الله تعالى بمشاورتهم تطييباً لقلوبهم، فإن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغانهم، فإن سادات العرب كانوا إذا لم يشاوروا في الأمر شق ذلك عليهم.

وقال الحسن: قد علم الله عز وجل / أنه ما به إلى مشاورتهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده.

١/٧٢

أخبرنا أبو طاهر المطهر بن علي بن عبد الله الفارسي: أخبرنا أبو ذر محمد بن إبراهيم بن علي الصالحاني أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أخبرنا علي بن العباس المقانعي أخبرنا أحمد بن ما هان أخبرني أبي أخبرنا طلحة بن زيد عن عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رجلاً أكثر استشارة للرجال من رسول الله ﷺ»^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ لا على مشاورتهم، أي: بَمَّا بَأْمَرَ اللَّهُ وَتَوَكَّلْ بِهِ وَاسْتَعْنَهُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

(١) في «أ»: وجوه رأيه.

(٢) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة في الجهاد، باب ما جاء في المشورة: ٣٧٣/٥ — ٣٧٤ قال: ويروى عن أبي هريرة: ما رأيت أحداً... وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٣/١٨٨، وفيه طلحة بن زيد القرشي، أبو مسكين أو أبو محمد الرقي، أصله من دمشق؛ متروك. قال أحمد وعلي وأبو داود: كان يضع الحديث. انظر: التقريب: ١/٣٧٨.

قال ابن حجر في الكاف الشاف ص(٣٣): أخرجه الشافعي: ٢/١٧٧ (من ترتيب المسند) عن ابن عينة عن الزهري عن أبي هريرة، وهو منقطع، وهو مختصر من الحديث الطويل في قصة الحديدية وغزوة الفتح، وأخرجه ابن حبان من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن المسور ومروان...».

إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾

﴿إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾، يُعْنِكُمْ اللهُ وَيَمْنَعُكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾، مثل يوم بدر، ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ يَتْرُكُكُمْ فَلَمْ يَنْصُرْكُمْ كَمَا كَانَ بِأَحَدٍ، وَالْخِذْلَانُ: الْقَعُودُ عَنِ النَّصْرَةِ وَالْإِسْلَامُ لِلْهَلِكَةِ، ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد خذلانه، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، قيل: التوكل أن لا تعصي الله من أجل رزقك، وقيل: أن لا تطلب لنفسك ناصراً غير الله ولا لرزقك خازناً غيره ولا لعملك شاهداً غيره.

أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن شجاع البزاز ببغداد أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد الهيثم الأنباري أخبرنا محمد بن أبي العوام أخبرنا وهب ابن جرير أخبرنا هشام بن حسان عن الحسن بن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل سبعون ألفاً من أمتي الجنة بغير حساب» قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «هم الذين لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»، فقال عكاشة بن محصن: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت منهم» ثم قام آخر فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة»^(١).

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أخبرنا محمد بن أحمد بن الحارث أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمود أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن حياة بن شريح حدثني بكر بن عمرو عن عبد الله بن هبيرة أنه سمع أبا تميم الجيشاني يقول: سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»^(٢).

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب برقم (٣٧١): ١/١٩٨، وبلغ مقارب أخرجه البخاري في الطب، باب من آكوى أو كوى غيره: ١٠/١٥٥. وأخرجه عن ابن عباس في الرقاق.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٤/٣٠٠.

(٢) أخرجه الترمذي في الزهد — باب ما جاء في الزهادة في الدنيا: ٧/٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وابن ماجه في الزهد — باب التوكل واليقين، برقم (٤١٦٤): ٢/١٣٩٤، وابن حبان في الزهد، باب ما جاء في التوكل ص(٦٣٢) من

موارد الظمان. وأحمد في المسند: ١/٣٠، ٥٢، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٣٠١، وصححه الحاكم: ٤/٣١٨ وواقفه الذهبي.

وانظر: النهج السديد في تخرج أحاديث تيسر العزيز الحميد ص ١٩٠ — ١٩١.

وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلُجَ مَن يَعْلُجُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ
مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلُجَ﴾ الآية، روى عكرمة ومقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن هذه الآية نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر، فقال بعض الناس أخذها رسول الله ﷺ (١).

وقال الكلبي ومقاتل: نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز للغنيمة، وقالوا: نخشى أن يقول النبي ﷺ من أخذ شيئاً فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر، فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم، فقال لهم النبي ﷺ: «ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري؟» قالوا: تركنا بقية إخواننا وقوفاً، فقال النبي ﷺ: «بل ظننتم أننا نغل ولا نقسم لكم»، فأنزل الله تعالى هذه الآية (٢).

وقال قتادة: ذكر لنا أنها نزلت في طائفة غلّت من أصحابه (٣).

وقيل: إن الأقوياء ألحوا عليه يسألونه من المغنم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلُجَ﴾ فيُعطي قوماً ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بينهم بالسوية (٤).

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: هذا في الوحي، يقول: ما كان لنبي أن يكتم شيئاً من الوحي رغبة أو رهبة أو مدهانة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلُجَ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وعاصم ﴿يَعْلُجُ﴾ بفتح الياء وضم الغين، معناه: أن يخون، والمراد منه الأمة، وقيل: اللام فيه منقولة، معناه: ما كان النبي ليَعْلُجُ، وقيل: معناه ما كان يظن به ذلك ولا يليق به، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الغين، وله وجهان، أحدهما: أن يكون من الغلول أيضاً، أي: ما كان لنبي أن يُخَانَ، يعني: أن تخونه أمته، والوجه الآخر: أن يكون من الإغلال، معناه: ما كان لنبي أن يخون، أي يُنسب إلى الخيانة.

(١) أخرجه أبو داود في أول كتاب الحروف: ٣/٦ من مختصر المنذري، والترمذي في تفسير سورة آل عمران: ٣٥٩/٨ وقال: هذا حديث حسن غريب، وقد روى عبد السلام بن حرب عن حُصَيْفٍ نحو هذا، وروى بعضهم هذا الحديث عن حُصَيْفٍ عن مِقْسَمٍ.. ولم يذكر فيه ابن عباس، وأخرجه الطبري في التفسير: ٣٤٨/٧، ٣٤٩.

قال المنذري في مختصر سنن أبي داود: «وفي إسناده، حُصَيْفٍ: وهو ابن عبد الرحمن الحُرَّانِي، وقد تكلم فيه غير واحد».

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي، ص (١٦١) الطبعة الثانية.

(٣) انظر: أسباب النزول، ص (١٦١)، تفسير الطبري: ٣٥٣/٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٥١/٧، الدر المنثور: ٣٦٣/٢.

﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، قال الكلبي: يمثل له ذلك الشيء في النار ثم يقال له: انزل فخذهُ فينزل فيحمله على ظهره فإذا بلغ موضعه وقع في النار، ثم يُكلف أن ينزل إليه، فيخرجه ففعل ذلك به.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد الفقيه أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ثور بن زيد الديلي عن أبي الغيث مولى ابن مطيع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضة إلا الأموال والثياب والمتاع، قال فوجه رسول الله ﷺ نحو وادي القرى، وكان رفاعة بن زيد وهب لرسول الله ﷺ عبداً أسود يقال له مدغم، قال فخرجنا حتى إذا كنا بوادي القرى فبينما مدغم يحط رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر فأصابه فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من الغنائم لم تُصبها المقاسم، تشتعل عليه ناراً»، فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراكٍ أو شراكين إلى النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «شراك من نار أو شراكان من نار»^(١).

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حيان عن أبي عمرة الأنصاري عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: ثوفي رجل يوم خيبر فذكروه لرسول الله ﷺ قال: «صلوا على صاحبكم» فتغيرت وجوه الناس لذلك فزعم زيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن صاحبكم قد غلّ في سبيل الله» قال: ففتحنا متاعه فوجدنا خرزات من خرزات اليهود يساوين درهين^(٢).

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب المروزي أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا سفيان عن الزهري عن عروة بن الزبير عن أبي حميد الساعدي قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد يُقال له ابن اللبية على الصدقة فلما قَدِم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي، فقام النبي ﷺ على المنبر فقال: «ما بال العامل نبعثه على بعض أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي، فهلا جلسَ في بيتِ أمه أو في بيتِ أبيه فينظر أَيهدى إليه أم لا، فوالذي نفسي بيده لا يأخذ / أحد منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبتِه إن كان بغيراً له رُغاء أو

(١) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور، باب هل يدخل في الأيمان والنذور: الأرض والغنم... ٥٩٣/١١، ومسلم في الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون برقم (١١٥): ١٠٨/١. والمصنف في شرح السنة: ١١٦/١١.

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب في تعظيم الغلول: ٣٨/٤، والنسائي في الجنائز، باب الصلاة على من غل: ٤/٦٤، وابن ماجه في الجهاد، باب الغلول برقم (٢٨٤٨): ٢/٩٥٠، ومالك في الموطأ: ٢/٤٥٨، وأحمد: ٤/١١٤، ٥/١٩٢. والمصنف في شرح السنة:

أَفَمِنْ أَتْبَعِ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمَ وَيَسْتَسْمِعُ ۞
هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ۞

بقرة لها حُوار أو شاة تُععر»، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطينه، ثم قال: «اللهم هل بلغت»^(١).

وروي قيس بن أبي حازم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال: «لا تصيبن شيئاً بغير إذني فإنه غلول، ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة»^(٢).

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا وجدتم الرجل قد غلّ فاحرقوا متاعه واضربوه»^(٣).

وروي عن عمرو، بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر حرقوا متاع الغال وضربوه»^(٤). قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿أَفَمِنْ أَتْبَعِ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾، وترك الغلول، ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾، فعل، ﴿وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمَ وَيَسْتَسْمِعُ﴾.

- (١) أخرجه البخاري في الهبة، باب من لم يقبل الهدية لعله: ٢٢٠/٥، وفي الجمعة وفي الخيل وفي الزكاة والأيمان والتدوير... ومسلم في الإمارة، باب تحريم هدايا العمال برقم (١٨٣٢): ٤/٤٦٣ - ١٤٦٤. والمصنف في شرح السنة: ٥/٤٩٦ - ٤٩٧.
- (٢) أخرجه الترمذي في الأحكام، باب ما جاء في هدايا الأمراء: ٤/٥٦٤، وقال: حديث معاذ حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، من حديث أبي أسامة عن داود الأودي. وداود بن يزيد الأودي: ضعيف (التقريب: ١/٢٣٥).
- (٣) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب في عقوبة الغال: ٤/٣٩ - ٤٠، والترمذي في الحدود، باب ما جاء في الغال ما يصنع به: ٥/٢٩، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وسألت محمداً عن هذا الحديث فقال: إنما روى هذا صالح بن محمد بن زائدة، وهو أبو واقد الليثي، وهو منكر الحديث، قال محمد: وقد روي في غير حديث عن النبي ﷺ في الغال ولم يأمر فيه بحرق متاعه. وأخرجه الدارمي في السير، باب في عقوبة الغال: ٢/٢٣١ بلفظ: «من وجد تموه غلّ فاضربوه واحرقوا متاعه» وصححه الحاكم في المستدرک: ٢/١٢٨، ووافقه الذهبي فقال: صحيح. وأخرجه سعيد بن منصور في السنن: ٢/٢٦٩. قال المنذري في تهذيب السنن: ٤/٤٠ «وصالح بن محمد بن زائدة تكلم فيه غير واحد من الأئمة، وقد قيل: إنه انفرد به وقال البخاري: وعامة أصحابنا يحتجون بهذا في الغلول، وهذا باطل ليس بشيء». وقال الدارقطني: أنكروا هذا الحديث على صالح بن محمد، قال: وهذا حديث لم يتابع عليه، ولا أصل لهذا الحديث عن رسول الله ﷺ، والمحفوظ أن سالماً أمر بذلك، وصحح أبو داود وقفه.
- (٤) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب عقوبة الغال: ٤/٤١. وقال: وزاد فيه علي بن بحر عن الوليد ولم أسمع منه: «ومنعه سهمه» وقال ابن القيم رحمه الله: وعله هذا الحديث أنه من رواية زهير بن محمد عن عمرو بن شعيب، وزهير هذا ضعيف، قال البيهقي: وزهير هذا يقال: هو مجهول وليس بالمكي، وقد رواه أيضاً مرسلًا.
- وأخرجه الحاكم في المستدرک: ٢/١٣١ وقال: حديث غريب صحيح ولم يخرجاه. وكذا قال الذهبي. وقال الشوكاني: «أخرجه أيضاً: الحاكم والبيهقي، وفي إسناده: زهير بن محمد وهو الخراساني نزيل مكة. وقال البيهقي: يقال هو غيره وأنه مجهول، وقد رواه أيضاً أبو داود من وجه آخر عن زهير موقوفاً. قال في الفتح: وهو الراجح».
- انظر: نيل الأوطار: ٩/٢٢٦.

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ
أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

﴿هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾، يعني: ذو درجات عند الله، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني من أتبع رضوان الله ومن بآء بسخط من الله مُختلفو المنازل عند الله، فلمن أتبع رضوان الله الثواب العظيم، ولن بآء بسخط من الله العذاب الأليم. ﴿والله بصير بما يعملون﴾.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾، قيل: أراد به العرب لأنه ليس حي من أحياء العرب إلا وله فيهم نسب إلا بني ثعلبة، دليله قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ وقال الآخرون: أراد به جميع المؤمنين، ومعنى قوله تعالى: ﴿مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: بالإيمان والشفقة لا بالنسب، ودليله قوله تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم)، ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا﴾، وقد كانوا، ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل بعثه ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿أَوَلَمَّْا﴾ أي: حين ﴿أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ﴾، بأحد، ﴿قَدْ أَصَابَكُمْ مِثْلَهَا﴾، يوم بدر، وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون منهم بيد سبعين وأسروا سبعين، ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾، من أين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله ﷺ فينا؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ روى عبيدة السلماني عن علي رضي الله عنه، قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الأسارى، وقد أمرك أن تخبرهم بين أن يقدموا فتضرب أعناقهم، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله ﷺ للناس، فقالوا: يارسول الله عشائرتنا وإخواننا، لا بل نأخذ فداءهم فنقوم بها على قتال عدونا، ويستشهد منا عدتهم، [فقتل منهم يوم أحد] (١) سبعون من أسارى أهل بدر، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ (٢) أي: بأخذكم الفداء واختياركم القتل، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(١) زيادة من (ب).

(٢) أخرجه الطبري في التفسير: ٣٧٦/٧، وابن حبان، مختصراً، في موارد الظمان ص(٤١١) وذكره ابن كثير في التفسير وقال: وهكذا رواه النسائي والترمذي من حديث أبي داود الحفري عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، وروى أبو أسامة عن هشام نحوه، وروى عن ابن سيرين عن عبيدة عن النبي ﷺ.

انظر تفسير ابن كثير: ٤٢٦/١، تحفة الأحوذى: ١٨٨/٥.

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا
 وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَتَّبِعُنَاكُمْ هُمْ
 لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ
 أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١١٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرءُوا عَن
 أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١١٩﴾

﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان﴾، بأحد من القتل والجرح والهزيمة، ﴿فياذن الله﴾، أي: بقضائه وقدره، ﴿وليعلم المؤمنين﴾، أي: ليميز، وقيل ليرى.

﴿وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله﴾، أي: لأجل دين الله وطاعته، ﴿أو ادفعوا﴾، عن أهلكم وحريمكم، وقال السدي: أي كثروا سواد المسلمين وابططوا إن لم تُقاتلوا يكون ذلك دفعا وقمعا للعدو، ﴿قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم﴾، وهم عبد الله بن أبي وأصحابه الذين انصرفوا عن أحد وكانوا ثلاثمائة، قال الله تعالى: ﴿هم للكفر يومئذ أقرب﴾ أي: إلى الكفر يومئذ أقرب ﴿منهم للإيمان﴾ (أي: إلى الإيمان)^(١)، ﴿يقولون بأفواههم﴾، يعني: كلمة الإيمان ﴿ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون﴾.

﴿الذين قالوا لإخوانهم﴾، في التسبب لا في الدين وهم شهداء أحد ﴿وقعدوا﴾ يعني: قعد هؤلاء القائلون عن الجهاد ﴿لو أطاعونا﴾، وانصرفوا عن محمد ﷺ وقعدوا في بيوتهم ﴿ما قتلوا قتل﴾، لهم يا محمد، ﴿فادرءوا﴾، فادفعوا، ﴿عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾، إن الحذر لا يغني عن القدر. قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا﴾ الآية، قيل: نزلت في شهداء بدر^(٢) وكانوا أربعة عشر رجلاً ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين.

وقال الآخرون: نزلت في شهداء أحد وكانوا سبعين رجلاً أربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وسائرهم من الأنصار^(٣).

(١) زيادة من (ب).

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٧/ ٣٩٠ الدر المنثور للسيوطي: ٢/ ٣٧٢.

(٣) عزاه السيوطي لسعيد بن منصور وهو عنده في السنن في الجهاد، باب جامع الشهادة: ٢/ ٣١٩، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم. الدر المنثور: ٢/ ٣٧١، وانظر أسباب النزول ص (١٦٣).

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال: سألتنا عبد الله (هو ابن مسعود) رضي الله عنهما عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عند ربهم يُرزقون﴾ الآية، قال أما أنا قد سألتنا عن ذلك فقال: «أرواحهم كطير خضر» ويروى «في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة في أيها شاءت ثم تأتي إلى قناديل معلقة بالعرش فيبينا هم كذلك إذ اطلع عليهم ربك اطلاعةً فقال: سلوني ما شئتم فقالوا: يارب كيف نسألك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا؟، فلما رأوا أن لا يُتركو من أن يسألوا شيئاً قالوا: إنا نسألك أن ترد أرواحنا إلى أجسادنا نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تُركوا»^(١).

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن محمد بن شاذان أنا جيعوية أنا صالح بن محمد أنا سليمان بن عمرو عن إسماعيل بن أمية عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال: رسول الله ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح في الجنة حيث شاءت وتأتي إلى قناديل من ذهب تحت العرش، فلما رأوا طيب مقيلهم ومطعمهم ومشرهم ورأوا ما أعد الله لهم من الكرامة، قالوا: ياليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من التعميم وما صنع الله بنا كي يرغبوا في الجهاد، ولا يتكلموا عنه، فقال الله عز وجل أنا مخبر عنكم ومبلغ إخوانكم ففرحوا بذلك واستبشروا فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا﴾ إلى قوله ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾»^(٢).

سمعتُ عبد الواحد بن أحمد المليحي قال: سمعتُ الحسن بن أحمد القتيبي^(٣) قال: سمعتُ محمد^(٤) ابن عبد الله بن يوسف قال: سمعتُ محمد بن إسماعيل البكري قال: سمعتُ يحيى بن حبيب بن عربي

(١) أخرجه مسلم في الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة... برقم (١٨٨٧) ٣/ ١٥٠٢. والمصنف في شرح السنة: ٣٦٤/١٠.

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب فضل الشهادة: ٣/ ٣٧٣ - ٣٧٤، قال المنذري: وذكر الدارقطني أن عبد الله بن ادريس تفرد به عن محمد بن اسحاق وغيره برويه عن ابن اسحاق، لا يذكر فيه سعيد بن جبير. وأخرجه الحاكم في المستدرک: ٢/ ٨٨، ٢٩٧ وصححه على شرط مسلم، والإمام أحمد في المسند: ١/ ٢٦٦ عن ابن عباس. والطبري في التفسير: ٧/ ٢٨٥، وانظر ما كتبه الشيخ أحمد شاكر عن الحديث في الموضع نفسه. وعزاه ابن حجر في الكافي الشاف ص (٣٤) لابن أبي شيبة وأبي يعلى والبخاري، كلهم من حديث ابن عباس به، وأتم منه. وأصل الحديث عند مسلم من حديث ابن مسعود السابق.

وعزاه السيوطي أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الدلائل. انظر: الدر المنثور: ٢/ ٣٧١، وذكره ابن كثير في التفسير: ١/ ٤٢٨، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على مختصر سنن أبي داود: ٣/ ٣٧٤.

(٣) في أ: «الليثي».

(٤) في أ: «أحمد».

قال: سمعتُ موسى بن إبراهيم قال: سمعتُ طلحة بن خراش قال: سمعتُ جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: لقيني رسول الله ﷺ فقال لي: «يا جابر ما لي أراك منكسراً؟ قلتُ يا رسول الله استشهد أبي وترك عيلاً وديناً، قال: «أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: / «ما كلم الله تعالى أحداً قط إلا من وراء حجاب، وإنه أحيا أباك فكلمه كفاحاً، قال: يا عبدي تمنّ علي أعطك، قال: ياربّ أحييني فأقتل فيك الثانية، قال الرب تبارك وتعالى: إنه قد سبق منّي أنهم لا يرجعون، فأنزلت فيهم ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا﴾^(١).

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا حميد عن أنس رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عيد يموت، له عند الله خير، يحب أن يرجع إلى الدنيا، وأن له الدنيا وما فيها، إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة، فإنه يحب أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى»^(٢).

وقال قوم: نزلت هذه الآية في شهداء بئر معونة^(٣)، وكان سبب ذلك على ما روى محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم وعن حميد الطويل عن أنس بن مالك وغيرهم من أهل العلم قال: قدم أبو براء عامر ابن مالك بن جعفر، مُلاعِبُ الأسنّة، وكان سيد بني عامر بن صعصعة، على رسول الله ﷺ المدينة وأهدى إليه هدية، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبلها، وقال لا أقبل هدية مشرك، فأسلم إن أردت أن أقبل هديتك؟ ثم عرض عليه الإسلام، وأخبره بما له فيه وما أعد الله للمؤمنين، وقرأ عليه القرآن فلم يُسلم، ولم يبعد وقال: يا محمد إن الذي تدعو إليه حسنٌ جميل فلو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فيدعونهم إلى أمرك رجوتُ أن يستجيبوا لك.

فقال رسول الله ﷺ: «إني أخشى عليهم أهل نجد».

فقال أبو البراء: أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك.

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة في سبعين رجلاً من خيار المسلمين منهم

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة آل عمران: ٣٦٠/٨ - ٣٦١ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، ولا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية.. برقم (١٩٠): ٦٨/١، وفي الجهاد أيضاً، وابن أبي عاصم في السنة: ٢٦٧/١، وصححه الحاكم في المستدرک: ٢٠٣/٣ وتعقبه الذهبي فقال: فيض بن وثيق: كذاب، وزاد السيوطي نسبه للطبراني وابن خزيمة وابن مردويه والبيهقي في الدلائل «الدر المنثور: ٣٧١/٢» وأخرجه الواحدي بسنده في أسباب النزول ص(١٦٢).

وقال الألباني في تخریج السنة: إسناده حسن، رجاله صدوقون على ضعف في موسى بن إبراهيم بن كثير.

(٢) أخرجه مسلم في الإمامة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، برقم (١٨٧٧): ٣/٤٩٨، والمصنف في شرح السنة: ٣٦٨/١٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٢/٧، أسباب النزول للواحدي ص(١٦٣).

الحارث بن الصِّمَّة وحرَّام بن ملحان وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي ونافع بن يزيد بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه، وذلك في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي أرض بين أرض بني عامر وحرة بني سليم فلما نزلوها، قال بعضهم لبعض أيكم يبلغ رسالة رسول الله ﷺ أهل هذا الماء؟ فقال حرام بن ملحان: أنا. فخرج بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل، وكان على ذلك الماء فلما أتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله ﷺ، فقال حرام بن ملحان: يا أهل بئر معونة إني رسول رسول الله إليكم إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فأمثوا بالله ورسوله، فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر، فقال: الله أكبر فزئت ورب الكعبة.

ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا: لن نخفر أبا براء قد عقد لهم عقداً وجواراً ثم استصرخ عليهم قبائل من بني سليم — غصية ورغلاً وذكوان — فأجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحلهم، فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق فارتث من بين القتلى، فضلوه فيهم (١) فعاش حتى قتل يوم الخندق، وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار أحد بني عمرو بن عوف فلم ينههما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على المعسكر! فقالا: والله إن لهذا الطير لساناً فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دماثهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة، فقال الأنصاري لعمرو ابن أمية الضمري: ماذا ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره، فقال الأنصاري الله أكبر (٢) لكنني ما كنت لأرغب بنفسني عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو، ثم قاتل القوم حتى قتل، وأخذوا عمرو ابن أمية الضمري، أسيراً فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل، وجز ناصيته وأعتقه عن رقية زعم أنها كانت على أمه، فقَدِم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «هذا عمل أبي براء قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً»، فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إخفار عامر إياه، وما أصاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره.

وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة، فروى محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل كان يقول: من الرجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء من دونه؟ قالوا: هو عامر بن فهيرة، ثم بعد ذلك حمل ربيعة بن أبي براء على عامر بن الطفيل فطعنه على فرسه فقتله (٣).

(١) زيادة من (ب).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام مع الروض الأنف: ١٧٤/٢ - ١٧٦.

فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ وَاسْتَبْشِرُوا بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ
 الْأَخَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الأعلى بن حماد أنا يزيد بن زريع أنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك: «أن رجلاً وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو لهم فأمدّهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء في زمانهم، وكانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل، حتى كانوا يبئ معونة قتلوهم وغدروا بهم، فبلغ النبي ﷺ فقتت شهراً يدعو في الصبح على أحياء من أحياء العرب على رِغِلٍ وذكوان وعصية وبني لحيان.

قال أنس رضي الله عنه: فقرأنا فيهم قرآناً، ثم إن ذلك رُفِعَ: بلَغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِي عَنَّا وَأَرْضَانَا»^(١) ثم نُسَخَتْ (فرغ بعد ما قرأناه)^(٢) زماناً وأُنزِلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا﴾ الآية.

وقيل: إن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم نعمة تحسروا على الشهداء، وقالوا: نحن في النعمة وآباؤنا وأبناؤنا وإخواننا في القبور، فأنزل الله تعالى تنفيساً عنهم وإخباراً عن حال قتلهم^(٣) ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ ولا تظننَّ ﴿الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قرأ ابن عامر ﴿قُتِلُوا﴾ بالتشديد، والآخرون بالتخفيف ﴿أَمْواتًا﴾ كأَمْوات من لم يُقْتَلْ في سَبِيلِ اللَّهِ ﴿بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، قيل أحياء في الدُّنْيَا، وقيل: في الذِّكْرِ، وقيل: لأنهم يرزقون ويأكلون ويتمتعون كالأحياء، وقيل: لأن أرواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى يوم القيامة، وقيل: لأن الشهيد لا يبلى في القبر، ولا تأكله الأرض.

وقال عبيد بن عمير: مرَّ رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له / ثم قرأ ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عَاهَدُوا اللهُ عَلَيْهِ﴾، ثم قال رسول الله ﷺ: «أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، ألا فأتوهم وزورهم وسلّموا عليهم، فوالذي نفسي بيده لا يُسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه»^(٤). ﴿يُرزقون﴾، من ثمار الجنة وتُحَفِّها.

ب/٧٣

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، رزقه وثوابه، ﴿واسْتَبْشِرُوا﴾، ويفرحون، ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا﴾

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الرجيع ورغل وذكوان وبئر معونة: ٧ / ٣٨٥، ومسلم في المساجد، باب استحباب القنوت في جميع الصلوات إذا نزلت بالمسلمين نازلة، مختصراً، برقم (٦٧٧): ١ / ٤٦٨. والمصنف في شرح السنة: ١٣ / ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٢) في «أ» جاءت العبارة هكذا: (فرغت بعد ما قرأناها).

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدي، ص(١٦٣).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٢ / ٢٤٨، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: كذا قال، وأنا أحسبه موضوعاً، وقطن لم يرو له البخاري، وعبد الأعلى: لم يخرجاه له.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ
 اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا
 أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾

بهم من خلفهم ﴿﴾، من إخوانهم الذين تركوهم أحياء في الدنيا على مناهج الإيمان والجهاد لعلمهم أنهم إذا
 استشهدوا ولحقوا بهم ونالوا من الكرامة ما نالوا، فهم لذلك مستبشرون، ﴿أَنَّ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
 يَحْزَنُونَ﴾.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ﴾ أي: وبأن الله، وقرأ الكسائي بكسر الألف على
 الاستئناف.

﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد حدثنا أبو إسحاق الهاشمي
 أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ
 قال: «تَكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ، أَنْ يُدْخِلَهُ
 الْجَنَّةَ أَوْ يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرِ وَغَنِيمَةٍ»^(١).

وقال: «والذي نفسي بيده لا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ — وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ — إِلَّا جَاءَ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحَهُ يَثْعُبُ دَمًا لَوْنُ لَوْنِ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمَسْكَ»^(٢).

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا
 أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا علي بن الحسن الداراجردي أنا عبد الله بن يزيد المقرئ أنا سعيد
 حدثني محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال
 رسول الله ﷺ: «الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ أَلَمَ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ أَلَمَ الْقَرْصَةِ»^(٣).

= ورواه الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله. قال الهيثمي: وفيه عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة؛ وهو متروك. مجمع الزوائد:
 ١٢٣/٦.

(١) أخرجه البخاري في الخمس، باب قول النبي ﷺ «أحلت لكم الغنائم»: ٢٢٠/٦، وفي التوحيد، باب «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
 المرسلين»: ٤٤١/١٣. ومسلم في الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، برقم (١٨٧٦): ٣/١٤٩٦.

(٢) أخرجه مسلم في الإمارة في الموضوع السابق، والبخاري في الوضوء، باب ما يقع من النجاسات... ٣٤٤/١، وفي الجهاد، باب من
 يجرح في سبيل الله: ٢٠/٦، والمصنف في شرح السنة: ٣٦٥/١٠.

(٣) أخرجه النسائي في الجهاد، باب ما يجد الشهيد من الألم: ٣٦/٦، وابن ماجه في الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله برقم
 (٢٨٠٢): ٢/٩٣٧، والدارمي في الجهاد، باب فضل الشهيد: ٢/٢٠٥. وأحمد في المسند: ٢/٢٩٧، والمصنف في شرح السنة:

٣٦٥/١٠، وإسناده جيد.

قوله تعالى ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لَـهُ وَالرَّسُولَ﴾ الآية، وذلك أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا وقالوا: لا محمداً قتلتم ولا الكواعب أردفتم، قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم؟ ارجعوا فاستأصلوهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يهرب العدو، ويُرهبهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان، فانتدب عصابةً منهم مع ما بهم من الجرح والقرح الذي أصابهم يوم أحد ونادى منادي رسول الله ﷺ: أَلَا لَا يُخْرَجَنَّ معنا أحدٌ إلا من حضرَ يوماً بالأمس، فكلمه جابر بن عبد الله، فقال: يا رسول الله إن أبي كان قد خلفني على أخوات لي سبع، وقال لي يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجلَ فيهن، ولستُ بالذي أوثرك على نفسي في الجهاد مع رسول الله ﷺ، فتخلف على أخواتك، فتخلفتُ عليهن، فأذن له رسول الله ﷺ فخرج معه.

وإنما خرج رسول الله ﷺ مُرهباً للعدو، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم فينصرفوا.

فخرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن ابن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلاً رضي الله عنهم حتى بلغوا حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثمانية أميال^(١).

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعبد الله بن الزبير: يا بن أخي أما والله إن أباك وجدك — تعني أبا بكر والزبير — لَمِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لَـهُ وَالرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾^(٢)، فمرَّ برسول الله ﷺ معبد الخزاعي بحمراء الأسد وكانت خزاعة — مُسلمهم وكافرهم — عيبة نصح رسول الله ﷺ بتهامه، صفقتهم معه لا يُخفون عنه شيئاً كان بها، ومعبد يومئذٍ مشرك، فقال: يا محمد والله لقد عَزَّ علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددنا أن الله تعالى كان قد أعفك منهم، ثم خرج من عند رسول الله ﷺ، حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء قد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: لقد أصبنا جُلَّ أصحابه وقادتهم لنكرنَّ على بقيتهم، فلنفرغن منهم، فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم، وفيهم من الحنق عليكم شيءٌ لم أر مثله قط، قال: ويملك ما تقول؟ قال: والله ما أراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل،

(١) انظر: سيرة ابن هشام: ١٤٣/٢ — ١٤٤، تفسير الطبري: ٤٠٠/٧ — ٤٠١.

(٢) حديث صحيح أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي: ٢٩٨/٢ وهو في الصحيحين باختلاف في توجيه الخطاب لعروة بن الزبير، أخرجه البخاري في المغازي، باب (الذين استجابوا لله والرسول): ٣٧٣/٧، ومسلم.

قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم، لنستأصل بقيتهم، قال: فإني والله أنهاك عن ذلك، فوالله لقد حملني ما رأيتُ على أن قلت فيه آياتاً:

كَأَدَتْ تُهْدُ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي * إِذْ سَأَلْتُ الْأَرْضَ بِالْجُرْدِ الْأَبَائِيلِ

فذكر آياتاً فردّ ذلك أبا سفيان ومن معه.

(١) ومرّ به ركب من عبد القيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة، قال: (ولم؟ قالوا: نريد الميرة) قال: فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالةً وأحمل لكم إبلكم هذه زيبياً بعكاظ غداً إذا وافيتمونا؟ قالوا: نعم، قال: فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم، وانصرف أبو سفيان إلى مكة، ومرّ الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال رسول الله ﷺ وأصحابه: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد الثالثة (٢). هذا قول أكثر المفسرين.

وقال مجاهد وعكرمة: نزلت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى، وذلك أن أبا سفيان يوم أحد حين أراد أن ينصرف قال: يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل إن شئت، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك بيننا وبينك إن شاء الله» فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل بجنة من ناحية مَرَّ الظهران، ثم ألقى الله الرعب في قلبه فبدا له الرجوع فلقي نَعِيمَ بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمراً فقال له أبو سفيان: يا نعيم إني قد واعدتُ محمداً وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى، وإن هذا عام جدب ولا يُصلحنا إلا عام زرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن، وقد بدا لي أن لا أخرج إليها، وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جرأةً ولأن يكون الخلف من قبلهم أحب إلي من أن يكون من قبلي، فالحق بالمدينة فنبتهم وأعلمهم أنني في جمع كثير لا طاقة لهم بنا، ولك عندي عشرة من الإبل أضعها لك على يدي سهيل بن عمرو ويضمنها، قال: فجاء سهيل فقال له نعيم يا أبا يزيد: أتضمن لي هذه القلائص وأنطلق إلى محمد وأتبطه؟ قال: نعم، فخرج نعيم حتى أتى المدينة / فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبي سفيان فقال: أين تريدون؟ فقالوا: واعدنا أبو سفيان بموسم بدر الصغرى أن نقتل بها، فقال: بمس الرأي رأيتم، أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم إلا الشريد، فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم، والله لا يفلت منكم أحد، فكره أصحاب رسول الله ﷺ الخروج، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأخرجنّ ولو وحدي»، فأما الجبان فإنه رجع، وأما الشجاع فإنه تاهب للقتال، وقال: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ».

١/٧٤

(١) جاءت العبارة في المطبوعة محرّفة هكذا: (ولم يقولوا نريد الميرة)، والتصحيح من تفسير الطبري.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام: ١٤٤/٢، تفسير الطبري: ٤٠٦/٧ - ٤٠٩.

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا
 حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ
 وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾

فخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتى وافوا بدرًا الصغرى، فجعلوا يلقون المشركين ويسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون أن يُرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون: حسبنا الله ونعم الوكيل، حتى بلغوا بدرًا وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام، فأقام رسول الله ﷺ بيده ينتظر أبا سفيان وقد انصرف أبو سفيان من بجنة إلى مكة، فلم يلق رسول الله ﷺ وأصحابه أحدًا من المشركين، ووافقوا السوق وكانت معهم تجارات ونفقات فباعوا وأصابوا بالدرهم درهمين، وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين^(١)، فذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللَّهِ وَرِضْوَانَهُ﴾ أي أجابوا، وحل ﴿الَّذِينَ﴾ خفض على صفة المؤمنين تقديره: إن الله لا يضيع أجر المؤمنين المستجيبين لله والرسول، ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾، أي: (نالهم الجراح)^(٢)، تم الكلام هاهنا ثم ابتداء فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ بطاعة رسول الله ﷺ وإجابته إلى الغزو، ﴿وَاتَّقُوا﴾، معصيته ﴿أَجْرَ عَظِيمٍ﴾.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ وحل ﴿الَّذِينَ﴾ خفض أيضاً مردوداً على الذين الأول وأراد بالناس: نعيم ابن مسعود، في قول مجاهد وعكرمة فهو من العام الذي أريد به الخاص كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ يعني: محمداً ﷺ وحده، وقال محمد بن إسحاق وجماعة: أراد بالناس الركب من عبد القيس، ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾، يعني أبا سفيان وأصحابه، ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾، فخافوهم واحذروهم، فإنه لا طاقة لكم بهم، ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ تصديقاً وبقيناً وقوة ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ أي: كافينا الله، ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، أي: الموكول إليه الأمور، فعيل بمعنى مفعول.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أحمد بن يونس أخبرنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم حين ألقى في النار وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٣).

﴿فَأَنْقَلَبُوا﴾، فانصرفوا، ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ بعافية لم يلقوا عدواً ﴿وَفَضْلٍ﴾ تجارة وريح وهو ما أصابوا

(١) انظر تفسير الطبري: ٤١١/٧ - ٤١٢، وقد رجح القول الأول وهو قول أكثر المفسرين: ٤١٢/٧ - ٤١٣.

(٢) في ب (نالهم الجرح).

(٣) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة آل عمران، باب «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم»: ٢٢٩/٨.

إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۗ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾
 وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يَسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ
 لَهُمْ حِطّاً فِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن
 يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خِيراً
 لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾

في السوق ﴿لَمْ يَمْسَسْنَهُمْ سُوءٌ﴾ لم يصيبهم أذى ولا مكروه، ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ في طاعة الله وطاعة رسوله، وذلك أنهم قالوا: هل يكون هذا غزواً فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾، يعني: ذلك الذي قال لكم: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾، من فعل الشيطان ألقى في أفواههم ليرهبوهم ويحبنوا عنهم، ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾، أي يخوفكم بأوليائه، وكذلك هو في قراءة أبي بن كعب يعني: يخوف المؤمنين بالكافرين، قال السدي: يعظم أوليائه في صدورهم ليخافوهم، يدل عليه قراءة عبد الله بن مسعود ﴿يَخُوفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ﴾، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا﴾، في ترك أمري ﴿إِنَّ كُفْرَكُمْ أَوْلِيَاءَهُ﴾، مصدقين بوعدني فإني متكفل لكم بالنصرة والظفر.

قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ﴾، قرأ نافع ﴿يَحْزُنُكَ﴾ بضم الياء وكسر الزاي، وكذلك جميع القرآن إلا قوله (لا يحزنهم الفزع الأكبر)، ضده أبو جعفر، وهما لغتان: حزن يحزن وأحزن يحزن، إلا أن اللغة الغالبة حزن يحزن، ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾، قال الضحاك: هم كفار قريش، وقال غيره: هم المنافقون يسارعون في الكفر بمظاهرة الكفار. ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً﴾، بمسارعتهم في الكفر، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطّاً فِي الْآخِرَةِ﴾، نصيباً في ثواب الآخرة، فلذلك حذّهم حتى سارعوا في الكفر، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا﴾، استبدلوا ﴿الْكَفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً﴾ وإنما يضرّون أنفسهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قرأ حمزة هذا والذي بعده بالتاء فيهما، وقرأ الآخرون بالياء، فمن قرأ بالياء ﴿فَالَّذِينَ﴾ في محل الرفع على الفاعل تقديره^(١): ولا يحسبن الكفار إملأنا لهم خيراً، ومن قرأ بالتاء

(١) ساقط من (ب).

مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطَّلِعَ عَلَيْكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تَوَّابُونَ وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧١﴾

يعني: ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا، وإنما نصب على البدل من الذين، ﴿ألما نعلمي لهم خير لأنفسهم﴾، والإملاء الإمهال والتأخير، يقال: عشت طويلاً حميداً وتمليت حيناً، ومنه قوله تعالى: ﴿واهجرني ملياً﴾ (مريم - ٤٦) أي: حيناً طويلاً، ثم ابتداءً فقال: ﴿إنما نعلمي لهم﴾، ثم لهم ﴿ليزادوا إنمأ ولهم عذاب مهين﴾.

قال مقاتل: نزلت في مشركي مكة، وقال عطاء: في قريظة والنضير.

أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله القفال أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البرزنجردي أنا أبو أحمد بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي أنا محمد بن يونس أنا أبو داود الطيالسي أنا شعبة عن علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله»، قيل: فأبي الناس شر؟ قال: «من طال عمره وساء عمله»^(١).

قوله تعالى: ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾، اختلفوا فيها، فقال الكلبي: قالت قريش: يا محمد تزعم أن من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان، وأن من أتبعك على دينك فهو في الجنة، والله عنه راض، فأخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال السدي: قال رسول الله ﷺ: «عرضت علي أمتي في صورها في الطين كما عرضت على آدم، وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر بي»، فبلغ ذلك المنافقين، فقالوا استهزاءً: زعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد، ونحن معه وما يعرفنا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «ما بال أقوام طعنوا في علمي لا تسألوني / عن شيء فيما بينكم وبين

٧٤/ب

(١) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في طول العمر للمؤمن: ٦/ ٦٢٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح، والدارمي في الرقاق، باب أي المؤمنين خير؟: ٢/ ٣٠٨، والحاكم في المستدرک: ١/ ٣٣٩، وصححه على شرط مسلم، وأخرج أيضاً عن جابر: «ألا أنبئكم بخياركم من شراركم؟ قالوا: بلى، قال: خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم عملاً» وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وله شاهد صحيح على شرط مسلم، ثم ذكر حديث أبي بكرة. وأخرجه الإمام أحمد: ٤/ ١٨٨، ١٩٠، ٤٠٥، ٤٣، ٤٤ وفي مواضع أخرى، والمصنف في شرح السنة: ١٤/ ٢٨٧، ٢٨٨، والطيالسي في المسند ص (١١٦).

الساعة إلا أنبأتكم به»، فقام عبد الله بن حذافة السهمي: فقال: مَنْ أبي يا رسول الله؟ قال: حذافة، فقام عمر فقال: يا رسول الله رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبك نبياً فاعفُ عنا عفا الله عنك، فقال النبي ﷺ: «فهل أنتم منتهون»؟ ثم نزل عن المنبر، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١).

واختلفوا في حكم الآية ونظمها، فقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك ومقاتل والكلبي وأكثر المفسرين: الخطاب للكفار والمنافقين، يعني ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

وقال قوم: الخطاب للمؤمنين الذين أخبر عنهم، معناه: ما كان الله ليذرهم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق، فرجع من الخبر إلى الخطاب.

﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ قرأ حمزة والكسائي ويعقوب بضم الياء والتشديد وكذلك التي في الأنفال، وقرأ الباقون بالخفيف، يقال: ماز الشيء يميزه ميزاً وميزه تمييزاً إذا فرقه فامتاز، وإنما هو بنفسه، قال أبو معاذ إذا فرقت بين شيئين، قلت: مزت ميزاً فإذا كانت أشياء، قلت: ميزتها تمييزاً، وكذلك إذا جعلت الشيء الواحد شيئين قلت: فرقت بالتخفيف، ومنه فرق الشعر، فإن جعلته أشياء، قلت: فرقت تفريقاً، ومعنى الآية حتى يميز المنافق من المخلص، فميز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد حيث أظهروا النفاق وتخلفوا عن رسول الله ﷺ.

وقال قتادة: حتى يميز الكافر من المؤمن بالهجرة والجهاد.

وقال الضحاك: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ في أصلاب الرجال وأرحام النساء يا معشر المنافقين والمشركين حتى يفرق بينكم وبين من في أصلابكم وأرحام نسائكم من المؤمنين، وقيل: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ﴾ وهو المذنب ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ وهو المؤمن، يعني: حتى يحط الأوزار عن المؤمن بما يصيبه من نكبة وحنة ومصيبة، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾، لأنه لا يعلم الغيب^(٢) أحد غيره، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيُظْلِعُهُ عَلَىٰ بَعْضِ عِلْمِ الْغَيْبِ، نظيره قوله تعالى: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ» (سورة الجن الآيتان: ٢٦، ٢٧).

وقال السدي: معناه وما كان الله ليطلع محمداً ﷺ على الغيب ولكن الله اجتباها، ﴿فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ﴾

(١) ذكره الواحدي بدون سند عن السدي إلى قوله: فيبلغ ذلك رسول الله ﷺ قيام... انظر: أسباب النزول ص (١٦٥)، وأخرج الإمام أحمد في المسند: ١٦٢/٣ عن أنس أن رسول الله ﷺ خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر، فلما سلم قام على المنبر... دون أن يذكر أن نزول الآية كان عقب ذلك. وأخرجه ابن عبد البر بسنده عن أنس، في أسد الغابة: ٢١٢/٣. وانظر: الإصابة لابن حجر: ٥٧/٤.

(٢) ساقطة من (أ).

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنفُسِهِمْ أَنَّ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ
سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ
خَيْرٌ ۱۸۰

وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ.

﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم﴾، أي: ولا يحسبن الباخلون
البخل خيراً لهم، ﴿بل هو﴾، يعني: البخل، ﴿شر لهم سيطوقون﴾، أي: سوف يطوقون ﴿ما بخلوا به
يوم القيامة﴾، يعني: يجعل ما منعه من الزكاة حيةً تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من فوقه^(١) إلى
قدمه، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وأبي وائل والشعبي والسدي.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل
أنا علي بن عبد الله المدني أنا هاشم بن القاسم أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي
صالح السمان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤدي زكاته مثل له ماله يوم
القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه، يعني شذقيه، ثم يقول: أنا مالك أنا
كترك، ثم تلا: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون﴾ الآية»^(٢).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل
أنا عمرو بن حفص بن غياث أنا أبي أنا الأعمش عن المعمر بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال:
انتهيت إليه، يعني: النبي ﷺ قال^(٤). «والذي نفسي بيده أو والذي لا إله غيره أو كما حلف، ما من
رجل يكون له إبل أو بقر أو غنم لا يؤدي حقها إلا أتى بها يوم القيامة أعظم ما يكون وأسمنه، تطوه
بأخفافها وتنطحه بقرونها كلما جازت أхраها ردت عليه أولها حتى يقضى بين الناس»^(٤).

قال إبراهيم النخعي: معنى الآية يجعل يوم القيامة في أعناقهم طوقاً من النار، قال مجاهد: يكلفون
يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به في الدنيا من أموالهم.

وروى عطية عن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ

(١) في أ: (قرنه).

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة: ٣/ ٢٦٨، وفي التفسير وفي الحيل، والمصنف في شرح السنة: ٤٧٨/٥.

(٣) في ب: (فقال).

(٤) أخرجه البخاري في الزكاة، باب ليس دون خمس ذود صدقة: ٣/ ٣٢٣، ومسلم في الزكاة، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة، برقم

(٩٩٠): ٢/ ٦٨٦. والمصنف في شرح السنة: ٤٧٧/٥ - ٤٧٨.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا
وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾

ونبوته، وأراد بالبخل كتمان العلم^(١) كما قال في سورة النساء «الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله» (النساء — ٣٧).

ومعنى قوله «سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أي: يحملون وزره وإثمه، كقوله تعالى: «وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم» (الأنعام — ٣١).

﴿والله ميراث السموات والأرض﴾، يعني: أنه الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم فيموتون ويرثهم، نظيره قوله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا» (مريم — ٤٠) ﴿والله بما تعملون خبير﴾ قرأ أهل البصرة ومكة يعملون بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ قال الحسن ومجاهد: لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قالت اليهود: إن الله فقير استقرض منا ونحن أغنياء، وذكر الحسن: أن قائل هذه المقالة حيي بن أخطب^(٢).

وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن إسحاق: كتب النبي ﷺ مع أبي بكر رضي الله عنه إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً، فدخل أبو بكر رضي الله عنه ذات يوم بيت مدارسهم فوجد ناساً كثيراً من اليهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم، يقال له فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم، ومعه حبر آخر يقال له أشيع. فقال أبو بكر لفنحاص: اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة، فأمن وصدق وأقرض الله قرضاً حسناً يدخلك الجنة، ويضاعف لك الثواب.

فقال فنحاص: يا أبا بكر تزعم أن ربنا يستقرض أموالنا وما يستقرض إلا الفقير من الغني؟ فإن كان ما تقول حقاً فإن الله إذا لفقير ونحن أغنياء، وأنه ينهاكم عن الربا ويعطينا، ولو كان غنياً ما أعطانا الربا.

فغضب أبو بكر رضي الله عنه وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله، فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «ما حملك على ما صنعت؟»

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢/٧، الدر المنثور: ٣٩٤/٢، أسباب النزول للواحدي ص(١٦٥ — ١٦٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٤/٧، الدر المنثور: ٣٩٧/٢.

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٣﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ
 اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقْرَبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ
 رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾

فقال: يا رسول الله إن عدو الله قال قولاً عظيماً زعم أن الله فقيرٌ وأنهم أغنياء، فغضبتُ الله فضربت وجهه، فجدد ذلك فنحاص، فأنزل الله تعالى ردّاً على فنحاص وتصديقاً لأبي بكر رضي الله عنه: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء﴾^(١). / ١/٧٥

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾، من الإفك والفرية على الله (فنجازهم به)^(٢)، وقال مقاتل: سنحفظ عليهم، وقال الواقدي: سنأمر الحفظة بالكتابة، نظيره قوله تعالى: (وإنا له كاتبون)، ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍ﴾ ونقول ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، قرأ حمزة ﴿سَيَكْتَبُ﴾ بضم الياء، ﴿وَقَتْلَهُمْ﴾ برفع اللام ﴿وَيَقُولُ﴾ بالياء، و ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: النار، وهو بمعنى المحرق، كما يقال: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي: مؤلم.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، فيُعذب بغير ذنب.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ الآية، قال الكلبي: نزلت في كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وهب بن يهوذا وزيد بن التابوت^(٣) وفنحاص بن عازوراء وحبي بن أخطب أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا محمد تزعم أن الله تعالى بعثك إلينا رسولاً وأنزل عليك الكتاب وأن الله تعالى قد عهد إلينا في التوراة ﴿أَنْ لَا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾، يزعم أنه جاء من عند الله، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقْرَبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾، فإن جئتنا به صدقتك؛ قال فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾^(٤) أي: سمع الله قول الذين قالوا، وحمل ﴿الَّذِينَ﴾ خفض ردّاً على ﴿الَّذِينَ﴾ الأول، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ أي: أمرنا وأوصانا في كتبه أن لا نؤمن برسول، أي: لا نصدق رسولاً يزعم أنه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فيكون دليلاً على صدقه، والقربان: كل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من نسيكة وصدقة وعمل صالح، فُعْلان من القرية، وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبني إسرائيل، وكانوا إذا قربوا قرباناً أو غنموا غنيمة جاءت نارٌ

(١) أخرجه ابن اسحاق في السيرة: ٢٠٧/٢ - ٢٠٨ طبعة الحلبي، وابن جرير الطبري في التفسير: ٤٤١/٧ - ٤٤٤، وابن المنذر وابن أبي حاتم - انظر: الدر المنثور: ٣٩٦/٢، أسباب النزول للواحد ص(١٦٦).

(٢) ساقط من: (ب).

(٣) في أ: (الباقر).

(٤) انظر: أسباب النزول ص(١٦٧)، تفسير القرطبي: ٢٩٥/٤.

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيْنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ
 الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعٌ
 الْفُرُورِ ﴿١٨٥﴾

بيضاء من السماء لا دخان لها، ولها دوي وحفيف^(١)، فتأكله وتحرق ذلك القربان وتلك الغنيمة فيكون ذلك علامة القبول، وإذا لم يُقبل بقيت على حالها.

وقال السدي: إن الله تعالى أمر بني إسرائيل من جاءكم يزعم أنه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد، فإذا أتياكم فأمنوا بهما، فإنهما يأتيان بغير قربان، قال الله تعالى إقامة للحجة عليهم، ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿قَدْ جَاءَكُمْ﴾ يا معشر اليهود ﴿رَسُولٌ مِّن قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قَلِمٌ﴾، من القربان ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾؟ يعني: زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الأنبياء، وأراد بذلك أسلافهم فخطبهم بذلك لأنهم رضوا بفعل أسلافهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، معناه تكذيبهم مع علمهم بصدقك، كقتل آباءهم الأنبياء، مع الإتيان بالقربان والمعجزات، ثم قال معزياً لبيته عليه السلام:

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾، قرأ ابن عامر ﴿وبالزُّبُرِ﴾ أي: بالكتب المزبورة، يعني: التكوينية، واحدها زبور مثل: رسول ورسول، ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾، الواضح المضيء.

قوله عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾، منفوسة، ﴿ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، وفي الحديث: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ اشْتَكَّتِ الْأَرْضُ إِلَى رَبِّهَا لَمَّا أَخَذَ مِنْهَا، فَوَعَدَهَا أَنْ يَرِدَ فِيهَا مَا أَخَذَ مِنْهَا، فَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَدْفَنُ فِي التُّرْبَةِ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا»^(٢) ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ﴾، توفون جزاء أعمالكم، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ﴿فَمَن زُحِرَ﴾، نُجِّي وَأَنْزِلَ، ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ ظفر بالنجاة ونجا من الخوف، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾، يعني منفعة ومتعة كالفأس والقدر والقصعة، ثم تزول ولا تبقى.

وقال الحسن: كخضرة النبات ولعب البنات لا حاصل له.

(١) في ب: (وهفيف).

(٢) لم يثبت بهذا اللفظ والذي يظهر والله أعلم أنه ليس بمحدث وقد ذكره الخازن في تفسيره ولم يشر إلى أنه حديثه. انظر المطالب العالية ٣٣٣/٣ - ٣٣٤ فقد ورد قريباً منه.

﴿ تَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلْتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ آوَتْوَا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا
فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ ١٨٦

قال قتادة: هي متاع متروكة يُوشك أن تضيع بأهلها، فخذوا من هذا المتاع بطاعة الله ما استطعتم، والغرور: الباطل.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين مالا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر»، وقرؤوا إن شئتم «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» (السجدة - ١٧)، وإن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وقرؤوا إن شئتم: «وظل ممدود» (الواقعة - ٣٠) ولموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما عليها، وقرؤوا إن شئتم (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)^(١).

﴿تَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ الآية، قال عكرمة ومقاتل والكلبي وابن جرير: نزلت الآية في أبي بكر وفتحاص بن عازوراء، وذلك أن النبي ﷺ بعث أبا بكر إلى فتحاص بن عازوراء سيد بني قينقاع ليستمدّه، وكتب إليه كتاباً وقال لأبي بكر رضي الله عنه «لا تفتانن^(٢) عليّ بشيء حتى ترجع»، فجاء أبو بكر رضي الله عنه وهو متوشح بالسيف فأعطاه الكتاب، فلما قرأه قال: قد احتاج ربك إلى أن نمده، فهمّ أبو بكر رضي الله عنه أن يضربه بالسيف، ثم ذكر قول النبي ﷺ: «لا تفتانن عليّ بشيء حتى ترجع»، فكف فنزلت هذه الآية^(٣).

وقال الزهري: نزلت في كعب بن الأشرف فإنه كان يهجو رسول الله ﷺ ويسب المسلمين،

(١) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الواقعة: ٩/ ١٧٩ - ١٨٠ وقال حسن صحيح، وأحمد في المسند: ٢/ ٤٣٨ عن أبي هريرة، وأخرج بعضه البخاري في التفسير، باب «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين» ٩: ٥١٥/٨، وفي بدء الخلق، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها، برقم (٢٨٢٤): ٤/ ٢١٧٤. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٠٨/١٥ - ٢٠٩.

(٢) كل من أحدث دونك شيئاً، ومضى عليه ولم يستشرك، واستبدّ به دونك، فقد فاتك بالشيء وافات عليك له أو فيه. وهو «افتعال» من «الفوت»، وهذا سبق إلى الشيء دون الثبات أو مشورة. انظر: تعليق عمود شاكر على الطبري: ٧/ ٤٥٥ النهاية لابن الأثير: ٣/ ٤٧٧.

(٣) الطبري: ٧/ ٤٥٥، وعزاه السيوطي في لباب النقول ص(١٢٦) لابن أبي حاتم وابن المنذر، وقال: «إنه سند حسن»، وانظر: فتح الباري: ٨/ ٢٣١.

ويحرض المشركين على النبي ﷺ وأصحابه، في شعره ويشيب بنساء المسلمين، فقال النبي ﷺ: «مَنْ لي بآبن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله»؟.

فقال محمد بن مسلمة الأنصاري: أنا لك يا رسول الله، أنا أقتله، قال: «فافعل إن قدرت على ذلك».

فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما تعلق نفسه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه، وقال له: لِمَ تركتَ الطعامَ والشرابَ؟ قال: يا رسول الله قلت قولاً ولا أدري هل أفي به أم لا، فقال: إنما عليك الجهد.

فقال: يا رسول الله إنه لا بد لنا من أن نقول، قال: قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك، فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسُلْكَانُ بنُ سلام وأبو نائلة، وكان أخا كعب من الرضاعة، وعباد بن بشر والحارث بن أوس وأبو عيسى بن جبير، فمشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع العرقد ثم وجههم، وقال: «انطلقوا على اسم الله اللهم أعينهم»، ثم رجع رسول الله ﷺ، وذلك في ليلة مقمرة.

فأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه فقدموا أبا نائلة فجاءه فتحدث معه ساعة وتناشدا الشعر، وكان أبو نائلة يقول الشعر، ثم قال: ويحك يا بن الأشرف إني قد جئتكم لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم علي، قال: أفعل، قال: كان قدوم هذا الرجل بلادنا بلاءً، عادتنا العربُ ورمونا عن قوس واحدة، وانقطعت عنا السبل حتى ضاعت العيال وجهدت الأنفس، فقال كعب: أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرتك يا بن سلامة أن الأمر سيصير إلى هذا، فقال أبو نائلة: / إن معي أصحاباً أردنا أن تبيعنا طعامك ونُرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك، قال: أترهنوني أبناءكم، قال: إنا نستحي أن يُعيرَ أبناءنا فيقال هذا رهينةً وسقي، وهذا رهينة وسقين، قال: ترهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ولا نأمنك، وأية امرأة تمتنع منك لجمالك؟ ولكننا نرهنك الحلقة، يعني: السلاح، وقد علمت حاجتنا إلى السلاح، قال: نعم، وأراد أبو نائلة أن لا ينكر السلاح إذا رآه فوعده أن يأتيه فرجع أبو نائلة إلى أصحابه فأخبرهم خبره.

فأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ليلاً، فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس، فوثب من ملحفته، فقالت امرأته: أسمع صوتاً يقطر منه الدم، وإنك رجل محارب، وإن صاحب الحرب لا ينزل في مثل هذه الساعة فكلمهم من فوق الحصن، فقال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيحي أبو نائلة وإن هؤلاء لو وجدوني نائماً ما أيقظوني، وإن الكريم إذا دعي إلى طعنة بليل أجاب، فنزل إليهم فتحدث معهم ساعة ثم قالوا: يا بن الأشرف هل لك إلى أن نتأشى إلى شعب العجوز نتحدث فيه بقية ليلتنا هذه؟ قال: إن شئتم؟ فخرجوا يتأشون، وكان أبو نائلة قال: لأصحابه إني فاتل شعره فأشمه فإذا رأيتموني استمكنت

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ
وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فِيمَسَّ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾

من رأسه فدونكم فاضربوه، ثم إنه شام يده في فود رأسه ثم شم يده، فقال: ما رأيت كالليلة طيب عروس قط، قال: إنه طيب أم فلان يعني امرأته، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة فعاد لمثلها ثم أخذ بفودي رأسه حتى استمكن ثم قال: اضربوا عدو الله فاختلفت عليه أسياهم فلم تغن شيئاً، قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولاً في سيفي فأخذته، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصنٌ إلا أوقدت عليه نار، قال فوضعت في ثدوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته، ووقع عدو الله، وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رأسه أصابه بعض أسيافنا، فخرجنا وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث ونزفه الدم، فوقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه فجئنا به رسول الله آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل كعب وجئنا برأسه إليه، وتقل على جرح صاحبنا.

فرجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود وقعتنا بعدو الله، فقال رسول الله ﷺ: «من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه»، فوثب مُحَيِّصَةُ بن مسعود على سُنَيْتَةَ رجل من تجار اليهود كان يلبسهم ويبيعهم فقتله، وكان حُوَيْصَةَ بن مسعود إذ ذاك لم يُسَلِّمْ وكان أسن من محيصة فلما قتله، جعل حويصة يضربه ويقول: أي عدو الله قتله أما والله لربُّ شحيم في بطنك من ماله.

قال محيصة: والله لو أمرني بقتلك من أمرني بقتله لضربت عنقك، قال: لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني؟ قال: نعم، قال والله إن ديناً بلغ بك هذا لعجب؟! فأسلم حويصة^(١)، وأنزل الله تعالى في شأن كعب: ﴿لَتَبْلُؤُنَّ﴾ لتخبرن، اللام للتأكيد، وفيه معنى القسم، والنون لتأكيد القسم ﴿في أموالكم﴾ بالجوائح والعاهات والخسران ﴿وأنفسكم﴾ بالأمراض، وقيل: بمصائب الأقارب والعشائر، قال عطاء: هم المهاجرون أخذ المشركون أموالهم ورباعهم وعدبؤهم، وقال الحسن: هو ما فرض عليهم في أموالهم وأنفسهم من الحقوق، كالصلاة والصيام والحج والجهاد والزكاة، ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ يعني: اليهود والنصارى، ﴿ومن الذين أشركوا﴾، يعني: مشركي العرب، ﴿أذى كثيراً وإن تصبروا﴾ على أذاهم ﴿وتشفوا﴾، الله، ﴿فإن ذلك من عزم الأمور﴾، من حق الأمور وخيرها، وقال عطاء: من حقيقة الإيمان.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة

(١) أخرج القصة بطولها ابن اسحاق في السيرة: ١٢٣/٢ - ١٢٦، واختصرها البخاري في المغازي، باب قتل كعب: ٧/٢٣٧ - وانظر: تفسير الطبري: ٧/٤٥٦ - ٤٥٨، وعزاه السيوطي في اللباب ص(١٤٦) لعبد الرزاق، وكذلك ابن حجر في الفتح:

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾

وأبو بكر بالياء فيهما، لقوله تعالى: ﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾، وقرأ الآخرون بالتاء فيها على إضمار القول، ﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾، أي: طرحوه وضيعوه وتركوا العمل به، ﴿واشتروا به ثمناً قليلاً﴾، يعني: المآكل والرشاء، ﴿فبئس ما يشترتون﴾، قال قتادة: هذا ميثاق أخذ الله تعالى على أهل العلم فمن علم شيئاً فليعلمه، وإياكم وكتان العلم فإنه هلكة.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء، ثم تلا هذه الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ الآية.

حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي أخبرنا أبو معاذ الشاه بن عبد الرحمن أخبرنا أبو بكر عمر ابن سهل بن إسماعيل الدينوري أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي أخبرنا أبو حذيفة موسى بن مسعود أخبرنا إبراهيم بن طهمان عن سماك بن حرب عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»^(١).

وقال الحسن بن عمار: أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث فألفيته على بابه، فقلت: إن رأيت أن تحدثني؟ فقال: أما علمت أي قد تركت الحديث؟ فقلت: إنا أن تحدثني وإما أن أحدثك، فقال: حدثني، فقلت: حدثني الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا، قال: فحدثني أربعين حديثاً^(٢).

قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا﴾ الآية، قرأ عاصم وحزمة والكسائي ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ بالتاء،

(١) أخرجه أبو داود في العلم، باب كراهية منع العلم: ٢٥١/٥، والترمذي في العلم، باب ما جاء في كتان العلم: ٤٠٧/٧ - ٤٠٨، وقال: حديث حسن. ونقل المنذري تحسين الترمذي له ثم قال: وقد روي عن أبي هريرة من طرق فيها مقال، والطريق التي أخرجه بها أبو داود طريق حسن، فإنه رواه عن التبوذكي وقد احتج به البخاري ومسلم - عن حماد بن سلمة - وقد احتج به مسلم واستشهد به البخاري - عن علي بن الحكم، وهو أبو الحكم البنان، قال الإمام أحمد: ليس به بأس - عن عطاء بن أبي رباح، وقد اتفق الإمامان على الاحتجاج به.

وأخرجه أيضاً ابن ماجه في المقدمة، باب من سئل عن علمه فكتمه، بلفظ «ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه إلا أتى به يوم القيامة ملجماً بلجام من نار» برقم (٢٦١): ٩٦/١.

والحاكم في المستدرک: ١٠١/١، وصححه على شرط الشيخين، وأحمد في المسند: ١٦١/١، ٢٦٣/٢ ومواضع أخرى، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ص ٢٢، والمصنف في شرح السنة: ٣٠١/١.

(٢) أخرجه الحارث بن أبي أسامة، أخبرنا عبد الوهاب الحنفي حدثنا الحسن بن عمار، حدثني الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار، =

أي: لا تحسبن يا محمد الفارحين، وقرأ الآخرون الباء ﴿لا يحسبن﴾ الفارحون فرحهم مُنجياً لهم من العذاب (فلا يحسبنهم)، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: بالياء وضم الباء خيراً عن الفارحين، أي فلا يحسبن أنفسهم، وقرأ الآخرون بالتاء وفتح الباء، أي: فلا تحسبتهم يا محمد، وأعاد قوله ﴿فلا تحسبنهم﴾ تأكيداً، وفي حرف عبد الله بن مسعود ﴿ولا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا بمفازة من العذاب﴾ من غير تكرار.

واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا سعيد بن أبي مريم أنا محمد بن جعفر حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري / أن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يُحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا﴾ (١) الآية.

١/٧٦

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إبراهيم بن موسى أنا هشام أن ابن جريج أخبرهم: أخبرني ابن أبي مليكة أن علقمة بن وقاص أخبره أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقل له: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يُحمد بما لم يفعل معذباً لنعدين أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم ولهذا إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه فأخبروه بغيره فأروه أن قد استُحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أتوا من كتابهم، ثم قرأ ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب﴾ كذلك حتى قوله: ﴿يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا﴾ (٢).

قال عكرمة: نزلت في فنحاص وأشيح وغيرهما من الأخبار يفرحون بإضلالهم الناس وبنسبة الناس إليهم إلى العلم وليسوا بأهل العلم (٣).

وقال مجاهد: هم اليهود فرحوا بإعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم إليهم عليه (٤).

= قال سمعت علياً فذكره... والحسن متروك.

ومن طريق الحارث رواه الثعلبي، وذكره ابن عبد البر في العلم قال: ويروي عن علي... وذكره صاحب الفردوس عن علي. انظر: الكافي الشاف ص (٣٥).

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة آل عمران، باب «لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا» ٨ / ٢٣٣، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، برقم (٢٧٧٧): ٤ / ٢١٤٢.

(٢) أخرجه البخاري في الموضع السابق نفسه، ومسلم في الموضع نفسه برقم (٢٧٧٨).

(٣) تفسير الطبري: ٧ / ٤٦٦.

(٤) تفسير الطبري: ٧ / ٤٦٩.

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨١﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٨٢﴾

وقال سعيد بن جبیر: هم اليهود فرحوا بما أعطى الله آل إبراهيم وهم برآء من ذلك ^(١).

وقال قتادة ومقاتل: أتت يهود خيبر نبي الله ﷺ فقالوا: نحن نعرفك ونصدقك وإنا على رأيكم ونحن لكم ردة، وليس ذلك في قلوبهم، فلما خرجوا قال لهم المسلمون: ما صنعتم؟ قالوا: عرفناه وصدقناه، فقال لهم المسلمون: أحسنتم هكذا فافعلوا، فحمدوهم ودعوا لهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية ^(٢)، وقال: ﴿يفرحون بما أتوا﴾ قال الفراء بما فعلوا، كما قال الله تعالى: «لقد جئت شيئاً فريباً» (مریم — ٢٧) أي: فعلت، ﴿ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبتهم بمفازة﴾، بمنجاة، ﴿من العذاب لهم عذاب أليم﴾.

﴿والله مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يصرِّفها كيف يشاء، ﴿والله على كل شيء قدير﴾.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾، أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين الأسفرائيني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ أنا أحمد بن عبد الجبار أنا ابن فضيل عن حصين بن عبد الرحمن عن حبيب بن أبي ثابت عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه رَقَدَ عند رسول الله ﷺ فرآه استيقظ فتسوك ثم توضأ وهو يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حتى ختم السورة، ثم قام فصلى ركعتين فأطال فيهما القيام والركوع والسجود، ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات ست ركعات كل ذلك يستاك، ثم يتوضأ ثم يقرأ هؤلاء الآيات، ثم أوتر بثلاث ركعات ثم أتاه المؤذن فخرج إلى الصلاة وهو يقول: «اللهم اجعل في بصري نوراً وفي سمعي نوراً وفي لساني نوراً واجعل خلفي نوراً وأمامي نوراً واجعل من فوق نوراً ومن تحتي نوراً، اللهم أعطني نوراً» ^(٣).

ورواه كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما، وزاد: «اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً وعن يميني نوراً وعن يساري نوراً» ^(٤).

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) الطبري: ٤٧١/٧. وقد رجح الطبري أن المعنى بهم أهل الكتاب الذين أخبر الله عز وجل أنه أخذ ميثاقهم لبيِّن للناس: أمر محمد ﷺ ولا يكتمونه. انظر ص ٤٧١ — ٤٧٢ منه.

(٣) أخرجه البخاري في الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه من الليل: ١١/ ١١٦، بنحوه، ومسلم في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه برقم (٧٦٣): ١/ ٥٣٠، واللفظ له.

(٤) مسلم في الموضع نفسه: ١/ ٥٢٩.

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن
تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ مُوَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿١١٢﴾

قوله تعالى: ﴿لآيات لأولي الألباب﴾ ذوي العقول، ثم وصفهم فقال:

﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾، قال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله
عنهم والنخعي وقتادة: هذا في الصلاة يصلي قائماً فإن لم يستطع فقاعداً فإن لم يستطع فعلى جنب.
أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو
العباس محمد بن أحمد المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أنا هناد أنا وكيع عن إبراهيم بن
طهمان عن حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة عن عمران بن حصين قال سألت رسول الله ﷺ عن
صلاة المريض، فقال: «صلي قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب». (١)

وقال سائر المفسرين أراد به المداومة على الذكر في عموم الأحوال لأن الإنسان قل ما يخلو من إحدى
هذه الحالات الثلاث، نظيره في سورة النساء «فإذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى
جنوبكم» (النساء — ١٠٣)، ﴿ويَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وما أبدع فيهما ليُدلِّهم ذلك
على قدرة الله ويعرفوا أن لها صانعاً قادراً مدبراً حكيماً، قال ابن عون: الفكرة تذهب الغفلة وتحدث
للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات، وما جللت القلوب بمثل الأحزان، ولا استنارت بمثل الفكرة،
﴿رَبَّنَا﴾ أي: ويقولون ربنا ﴿ما خلقت هذا﴾ رده إلى الخلق فلذلك لم يقل هذه، ﴿باطلاً﴾، أي: عبثاً
وهزلاً بل خلقته لأمر عظيم، وانتصب الباطل بنزع الخافض، أي: بالباطل، ﴿سبحانك فقنا عذاب
النار﴾.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾، أي: أهنته، وقيل: أهلكته، وقيل: فضحتَه، لقوله تعالى:
(ولا تُخزَوْنَ فِي ضَيْفِي) (هود — ٧٨) فإن قيل: قد قال الله تعالى: «يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا
معه» (التحريم — ٨)، ومن أهل الإيمان من يدخل النار، وقد قال: ﴿إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ
أَخْرَجْتَهُ﴾، قيل: قال أنس وقتادة معناه: إنك من تخلد في النار فقد أخزيتَه (٢)، وقال سعيد بن المسيب
هذه خاصة لمن لا يخرج منها (٣)، فقد روى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أن الله يدخل قوماً النار

(١) أخرجه البخاري في تفسير الصلاة، باب إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب: ٥٨٧/٢، والمصنف في شرح السنة: ١٠٩/٤.

(٢) تفسير الطبري: ٤٧٧/٧.

(٣) المرجع السابق نفسه.

رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا
 ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى
 رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١١٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا
 أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلِذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا
 مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١١٥﴾

ثم يخرجون منها»^(١). ﴿وما للظالمين من أنصار﴾.

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ يعني: محمداً ﷺ، قاله ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما، وأكثر
 الناس، وقال القرطبي: يعني القرآن، فليس كل أحد يلقى النبي ﷺ، ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾، أي إلى
 الإيمان، ﴿أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾، أي: في جملة
 الأبرار.

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾، أي: على ألسنة رُسُلِكَ، ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾، ولا تُعذِّبنا ولا تهلكنا
 ولا تفضحنا ولا تُهِنَّا، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

فإن قيل: ما وجه قولهم: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾، وقد علموا أن الله لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ؟
 قيل: لفظه دعاء ومعناه خبر، أي: لتؤتينا ما وعدتنا على رُسُلِكَ، تقديره: ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
 سَيِّئَاتِنَا﴾ ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لتؤتينا ما وعدتنا على رُسُلِكَ من الفضل والرحمة، وقيل: معناه ربنا
 واجعلنا / ممن يستحقون ثوابك وتؤتيتهم ما وعدتهم على ألسنة رُسُلِكَ لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك
 الكرامة، فسألوه أن يجعلهم مستحقين لها، وقيل: إنما سألوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الأعداء،
 قالوا: قد عَلِمْنَا أَنَّكَ لَا تُخْلِفُ، ولكن لا صَبْرَ لَنَا عَلَى حِلْمِكَ فَعَجَّلْ خَزِيمَ وَانصَرْنَا عَلَيْهِمْ.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي﴾ أي: بآني، ﴿لَا أُضِيعُ﴾، لا أُحْبِطُ، ﴿عَمَلٍ عَامِلٍ
 مِنْكُمْ﴾، أيها المؤمنون ﴿مَنْ ذَكَرَ أَوْ أُنْثَىٰ﴾ قال مجاهد: قالت أم سلمة يا رسول الله إني أسمع الله يذكر

(١) أخرج البخاري عن أنس «يخرج قوم من النار بعد ما مسَّهم منها سفح فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة: الجهنميين» كتاب
 الرقاق، باب صفة الجنة والنار: ٤١٦/١١، وفي التوحيد: ١٣/٤٣٤.

لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ
وَيُبْسِ الْمَهَادُ ﴿١١٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١١٨﴾

الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فأنزل عنه تعالى هذه الآية، ﴿بعضكم من بعض﴾^(١)، قال الكلبي: في الدين والنصرة والمولاة، وقيل: كلكم من آدم وحواء، وقال الضحاك: رجالكم شكل نسائكم ونسائكم شكل رجالكم في الطاعة، كما قال: «المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» (التوبة — ٧١).

﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي﴾، أي: في طاعتي وديني، وهم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكة، ﴿وقاتلوا وقتلوا﴾، قرأ ابن عامر وابن كثير ﴿قتلوا﴾، بالتشديد، وقال الحسن: يعني أنهم قطعوا في المعركة، والآخرون بالتخفيف، وقرأ أكثر القراء: ﴿وقاتلوا وقتلوا﴾ يريد أنهم قاتلوا العدو ثم انهم قتلوا، وقرأ حمزة والكسائي ﴿قتلوا وقتلوا﴾ وله وجهان، أحدهما: معناه وقتل من بقي منهم، ومعنى قوله ﴿وقتلوا﴾ أي: قتل بعضهم، تقول العرب قتلنا بني فلان وإنما قتلوا بعضهم، والوجه الآخر ﴿وقتلوا﴾ وقد قاتلوا، ﴿لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله﴾، نصب على القطع قاله الكسائي، وقال المبرد: مصدر، أي: لأثيبهم ثواباً، ﴿والله عنده حسن الثواب﴾.

قوله عز وجل: ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾، نزلت في المشركين، وذلك أنهم كانوا في رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون، فقال بعض المؤمنين: إن أعداء الله تعالى فيما ترى من الخير، ونحن في الجهد؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾، وضرهم في الأرض وتصرفهم في البلاد للتجارات وأنواع المكاسب، فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه غيره.

﴿متاع قليل﴾، أي: هو متاع قليل، وبلغة فانية ومُتعة زائلة، ﴿ثم ما وآهم﴾، مصيرهم، ﴿جهنم وبئس المهاد﴾، الفراش.

﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نُزُلًا﴾، جزاءً وثواباً، ﴿من عند الله﴾، نصب على التفسير، وقيل: جعل ذلك نُزُلًا، ﴿وما عند الله خيرٌ للأبرار﴾، من متاع الدنيا.

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة النساء: ٨/ ٣٧٧، وصححه الحاكم في المستدرک: ٢/ ٣٠٠ على شرط البخاري، والطبري في التفسير: ٧/ ٤٨٦ — ٤٨٧. وعزه السيوطي أيضاً لسعيد بن منصور وابن المنذر وعبد الرزاق وابن أبي حاتم والطبراني عن أم سلمة أيضاً.

انظر: الدر المنثور: ٢/ ٤١٢، ولباب النقول ص (١٥٠) بهامش الجلالين.

وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ
خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١١٩﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل
أنا عبد العزيز بن عبد الله أنا سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن عبيد بن حنين أنه سمع ابن عباس
رضي الله عنهما قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: جئت فإذا رسول الله ﷺ في مشربة وإنه
لعل حصر ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، وإن عند رجله قرظاً مصبوراً
وعند رأسه أهب معلقة فرأيت أثر الحصر في جنبه، فبكيته فقال: ما يبكيك؟ فقلت: يا رسول الله إن
كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله؟ فقال: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة» (١)؟.

قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ الآية، قال ابن عباس وجابر وأنس وقتادة:
نزلت في النجاشي ملك الحبشة، واسمه أصحمة وهو بالعربية عطية، وذلك أنه لما مات نعاه جبريل عليه
السلام لرسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه اخرجوا فصلوا على أخ
لكم مات بغير أرضكم، النجاشي، فخرج إلى البقيع وكشف له إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي
وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات، واستغفر له، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على عليج جبشي
نصراني (٢) لم يره قط، وليس على دينه، فأنزل الله تعالى هذه الآية (٢).

وقال عطاء: نزلت في أهل نجران أربعين رجلاً [من بني حارث بن كعب] (٣)، اثنين وثلاثين من أرض
الحبشة وثمانية من الروم، كانوا على دين عيسى عليه السلام، فآمنوا بالنبي ﷺ، وقال ابن جريج: نزلت
في عبد الله بن سلام وأصحابه (٤).

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة التحريم، باب «تبتغي مرضاة أزواجك» ٨ / ٦٥٧.
(٢) قال ابن حجر: ذكره الثعلبي من قول ابن عباس وقتادة، وذكره الواحدي بلا إسناد، ورواه الطبري وابن عدي في ترجمة أبي بكر الهذلي،
واسمه سلمى، وهو ضعيف، عن قتادة عن سعيد ابن المسيب عن جابر دون قوله: ونظر إلى أرض الحبشة. وأخرجه الطبراني في الأوسط
من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه. انظر الكافي الشاف ص (٣٧).
وعن أنس أن النبي ﷺ صلى على النجاشي فكبر عليه أربعاً» رواه البزار والطبراني في الأوسط، ورجال الطبراني رجال الصحيح. انظر:
مجمع الزوائد: ٣ / ٣٨ - ٣٩، ٤١٩/٩.

تفسير ابن كثير: ١ / ٤٤٠.

وصلاة النبي ﷺ على النجاشي ثابتة في الصحيحين. انظر البخاري: ٢ / ١١٦، ومسلم: ٢ / ٦٥٦ - ٦٥٧.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) انظر: البحر المحيط: ٣ / ١٤٨.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٤٦﴾

وقال مجاهد: نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم^(١)، ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾، ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾، يعني: القرآن، ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ﴾، يعني: التوراة والإنجيل، ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾ خاضعين متواضعين لله، ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، يعني: لا يحرفون كتبهم ولا يكتمون صفة محمد ﷺ لأجل الرياسة والمأكلة، كفعل غيرهم من رؤساء اليهود، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾، قال الحسن: اصبروا على دينكم ولا تدعوه لشدّة ولا رخاء، وقال قتادة: اصبروا على طاعة الله.

وقال الضحّاك ومقاتل بن سليمان: على أمر الله.

وقال مقاتل بن حيان: على أداء فرائض الله تعالى، وقال زيد بن أسلم: على الجهاد.

وقال الكلبي: على البلاء، وصابروا يعني: الكفّار، وربطوا يعني: المشركين، قال أبو عبيدة، أي داوموا واثبتوا، والربط الشدّ، وأصل الرباط أن يربط هؤلاء خيولهم، وهؤلاء خيولهم، ثم قيل: ذلك لكل مقيم في ثغر يدفع عن وراءه، وإن لم يكن له مركب.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن منير سمع أبا النضر أنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبي حازم عن سهل ابن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعٌ سَوَّطٌ أَحَدَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرُّوحَةُ يَرْوِحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»^(٢).

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أخبرنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر الجوزي أنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب أخبرني عبد الرحمن بن شريح، عن عبد الكريم بن الحارث، عن أبي عبيدة بن عقبة عن شرحبيل بن السمط عن سلمان الخير أن رسول الله ﷺ قال: «من رباط يوماً وليلة في سبيل الله كان له أجر صيام

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٨/٧ - ٤٩٩، الدر المنثور: ٣٨٨/٢، وابن كثير: ٤٤٠/١.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد، باب فضل رباط يوم في سبيل الله.. ٨٥/٦، وقد ساق ابن كثير كثيراً من الأحاديث في هذا المعنى في تفسيره للآية: ٤٤٥/١ - ٤٤٨.

شهر مقيم، ومن مات مرابطاً جرى له مثل ذلك الأجر، وأجرى عليه من الرزق، وأمن من الفتان»^(١).
 وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: لم يكن في زمان النبي ﷺ غزوٌ يرابط فيه، ولكنه انتظار الصلاة
 خلف الصلاة، ودليل هذا التأويل ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد الفقيه
 أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن، عن
 أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بما يمحو الله الخطايا ويرفع / به
 الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم
 الرباط فذلكم الرباط»^(٢).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، قال بعض أرباب اللسان: اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء
 والضراء وربطوا في دار الأعداء واتقوا إله الأرض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء.

(١) أخرجه مسلم في الإمامة، باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل — برقم (١٩١٣): ٣/ ١٥٢٠، بلفظ «رباط يوم وليلة» والمصنف
 في شرح السنة: ٣٥٢/ ١٠.

والفتان: يروي بضم الفاء وفتحها، فالضم جمع فاتن وهو الذي يضل الناس عن الحق ويفتنهم ويفتح هو الشيطان، لأنه يفتن الناس
 عن الدين، وفتان: من أبنية المبالغة في الفتنة. انظر: النهاية: ٤١٠/ ٣.

(٢) أخرجه مسلم في الطهارة — باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره برقم (٢٥١): ٢١٩/ ١، المصنف في شرح السنة: ٣٢٠/ ١.



سورة النساء — مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾
وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، يعني: آدم عليه السلام، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، يعني: حواء، ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾، نشر وأظهر، ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾، أي: تتساءلون به، وقرأ أهل الكوفة بتخفيف السين على حذف إحدى التاءين، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا﴾، ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾، قراءة العامة بالنصب، أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وقرأ حمزة بالخفض، أي: به وبالأرحام كما يقال: سألتك بالله والأرحام، والقراءة الأولى أفصح لأن العرب لا تكاد تنسق بظاهر على مكنتي إلا أن تعيد الخافض فتقول: مررتُ به وبزيد، إلا أنه جائز مع قلته، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، أي: حافظاً.

قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾، قال مقاتل والكلبي: نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا إلى النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية، فلما سمعها العمُّ قال: أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذُ بالله من الحوبِ الكبير، فدفع إليه ماله فقال النبي ﷺ: «من يوق شح نفسه ويطلع ربه هكذا فإنه يحلُّ داره»، يعني: جنته، فلما قبض الفتى ماله أنفق في سبيل الله، فقال النبي ﷺ: «ثبت الأجر وبقى الوزر» فقالوا: كيف بقي الوزر؟ فقال: «ثبت الأجر للغلام وبقى الوزر على والده»^(١).

وقوله ﴿وَأَتُوا﴾ خطاب للأولياء والأوصياء واليتامى: جمع يتيم، واليتيم: اسم لصغير لا أب له ولا جد، وإنما يدفع المال إليهم بعد البلوغ، وسماهم يتامى هاهنا على معنى أنهم كانوا يتامى.

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٣٦) دون إسناد، عانياً للكلبي ومقاتل، وانظر: تفسير القرطبي: ٨/٥، البحر المحيط:

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعًا
فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آدِنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٢٤﴾

﴿ولا تبدلوا﴾ أي: لا تستبدلوا، ﴿الحيث بالطيب﴾، أي: ما لهم الذي هو حرام عليكم بالحلال من أموالكم، واختلفوا في هذا التبديل، قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي: كان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الرديء، فربما كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من مال اليتيم ويجعل مكانها المهزولة، ويأخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف، ويقول: درهم بدرهم، فنهوا عن ذلك.

وقيل: كان أهل الجاهلية لا يُورثون النساء والصبيان ويأخذ الأكبر الميراث، فنصبيه من الميراث طيب، وهذا الذي يأخذه خبيث، وقال مجاهد: لا تتعجل الرزق الحرام قبل أن يأتيك الحلال.

﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾، أي: مع أموالكم، كقوله تعالى: (من أنصاري إلى الله) أي: مع الله، ﴿إنه كان حوباً كبيراً﴾ أي: إثماً عظيماً.

وقوله تعالى: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ الآية. اختلفوا في تأويلهم، فقال بعضهم: معناه إن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا فيهم إذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب مثنى وثلاث ورباع.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو العيمان أنا شعيب عن الزهري قال: كان عروة بن الزبير يحدث أنه سأل عائشة رضي الله عنها ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ قالت: هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة نسائها، فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن من النساء، قالت عائشة رضي الله عنها: ثم استفتى الناس رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن﴾ إلى قوله تعالى ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾^(١). فبين الله تعالى في هذه الآية أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال أو مال، رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها بإكمال الصداق، وإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها واتمسوا غيرها من النساء، قال: فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا لها الأوفى من الصداق ويعطوها حقها.

(١) أخرجه البخاري في التفسير — تفسير سورة النساء، باب «وإن خفتم أن لا تقسطوا...» ٢٣٩/٨، ومسلم في التفسير برقم (٣٠١٨): ٢٣١٣/٤ — ٢٣١٤.

قال الحسن: كان الرجل من أهل المدينة يكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لأجل مالها وهي لا تعجبه كراهية أن يدخله غريب فيشاركه في مالها، ثم يسيء صحبتها ويترصب بها أن تموت ويرثها، فعاب الله تعالى ذلك، وأنزل الله هذه الآية.

وقال عكرمة: كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء والأكثر فإذا صار معدماً من مؤن نسائه مأل إلى مال يتيمة الذي في حجره فأنفقه، فقيل لهم: لا تزيدوا على أربع حتى لا يهوجكم إلى أخذ أموال اليتامى، وهذه رواية طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال بعضهم: كانوا يتخرجون عن أموال اليتامى ويترخصون في النساء، فيتزوجون ما شاؤوا وربما عدلوا وربما لم يعدلوا، فلما أنزل الله تعالى في أموال اليتامى ﴿وَأَتُوا اليتامى أموالهم﴾ أنزل هذه الآية ﴿وإن خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسَطُوا فِي اليتامى﴾ يقول كما خفتم أن لا تُقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء أن لا تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا أكثر مما يُمكنكم القيام بحقهن، لأن النساء في الضعف كاليتامى، وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي^(١)، ثم رخص في نكاح أربع فقال: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِن خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ فيهن ﴿فَواحدة﴾، وقال مجاهد: معناه إن تخرجتم من ولاية اليتامى وأموالهم إيماناً فكذلك تخرجوا من الزنا فانكحوا النساء الحلال نكاحاً طيباً ثم بين لهم عدداً، وكانوا يتزوجون ما شاؤوا من غير عدد، قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ أي: مَنْ طَابَ كقوله تعالى: «والسما وما بناها» (الشمس — ٥) أي ومن بناها «قال فرعون وما رب العالمين» (الشعراء — ٢٣) والعرب تضع «من» و «ما» كل واحدة موضع الأخرى، كقوله تعالى: «فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين» (النور — ٤٥)، وطاب أي: حل لكم من النساء مثنى وثلاث / ورباع، معدولات عن اثنين وثلاث، وأربع، ولذلك لا ينصرفن، والواو بمعنى أو، للتخيير، كقوله تعالى: «أن تقوموا لله مثنى وفردى» (سبا — ٤٦): «أولى أجنحة مثنى وثلاث / ورباع» (غافر — ١) وهذا إجماع أن أحداً من الأمة لا يجوز له أن يزيد على أربع نسوة، وكانت الزيادة من خصائص النبي ﷺ، لا مشاركة معه لأحد من الأمة فيها، وروي أن قيس بن الحارث كان تحت ثمان نسوة فلما نزلت هذه الآية قال له رسول الله ﷺ: «طلق أربعاً وأمك أربعاً» قال فجعلت أقول للمرأة التي لم تلد يا فلانة أدبري والتي قد ولدت يا فلانة أقبل^(٢). وروي أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم

٧٧/ب

(١) انظر في هذه الأقوال: الطبري: ٥٣٤/٧ — ٥٣٩.

(٢) أخرجه أبو داود في الطلاق، باب فيمن أسلم وعنده نساء أكثر من أربعة أو اختان: ١٥٥/٣ عن الحارث بن قيس الأسدي، وقال: وفي رواية: «قيس بن الحارث» وصوبه بعضهم، وابن ماجه في النكاح، باب الرجل يسلم وعنده أكثر من أربع نسوة برقم (١٩٥٢): ١/٦٢٨، والبيهقي في السنن: ٧/١٨٣، وابن أبي شيبة في المصنف: ٤/٣١٧. قال المنذري: وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى: وقد ضعفه غير واحد من الأئمة، وقال أبو القاسم البغوي: ولا أعلم للحارث بن قيس حديثاً غير هذا. وقال أبو عمر العمري — ابن عبد البر — : ليس له إلا حديث واحد، ولم يأت من وجه صحيح. انظر: مختصر سنن أبي داود: ١٥٦/٣ =

وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هِنًا مَّحْمِرِينَ ﴿٤﴾

وعنده عشر نسوة فقال له النبي ﷺ: «أمسك أربعاً وفارق سائرهن»^(١).

وإذا جمع الحرُّ بين أربع نسوة حرائر يجوز، فأما العبد فلا يجوز له أن ينكح أكثر من امرأتين عند أكثر أهل العلم أخبرنا عبد الوهاب بن أحمد الخطيب أنا عبد العزيز أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي طلحة عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن عتبة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ينكح العبد امرأتين ويطلق طلقتين وتعتد الأمة بحيضتين، فإن لم تكن تحيض فبشهرين أو شهر ونصف»^(٢) وقال ربيعة: يجوز للعبد أن ينكح أربع نسوة كالحر.

﴿فَإِنْ حِفْتُمْ﴾، خشيتُمْ، وقيل: علمتم، ﴿أَلَا تَعْدِلُوا﴾، بين الأزواج الأربع، ﴿فَواحدة﴾ أي: فإنكحوا واحدة. وقرأ أبو جعفر ﴿فَواحدة﴾ بالرفع، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، يعني السراري لأنه لا يلزم فيه من الحقوق ما يلزم في الحرائر، ولا قسم لهن، ولا وقف في عددهن، وذكر الأيمان بيان، تقديره: أو ما ملكتم، وقال بعض أهل المعاني: أو ما ملكت أيمانكم أي: ما ينفذ فيه إقسامكم، جعله من يمين الحلف، لا يمين الجارحة، ﴿ذَلِكَ أَذْنَى﴾، أقرب، ﴿أَنْ لَا تُعْوَلُوا﴾ أي: لا تجوزوا ولا تميلوا، يقال: ميزان عائل، أي: جائر مائل، هذا قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد: أن لا تضلوا، وقال الفراء: أن لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم، وأصل العول: المجاوزة، ومنه عَوَّلَ الفرائض، وقال الشافعي رحمه الله: أن لا تكثُرَ عيالكُم، وما قاله أحد، إنما يقال من كثرة العيال: أعال يعيل إعالة، إذا كثر عياله. وقال أبو حاتم: كان الشافعي رضي الله عنه أعلم بلسان العرب منّا ولعله لُغَةً، ويقال: هي لغة حمير، وقرأ طلحة بن مصرف ﴿أَنْ لَا تَعِيلُوا﴾ وهي حجة لقول الشافعي رضوان الله عليه.

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾، قال الكلبي ومجاهد: هذا الخطاب للأولياء، وذلك أن وليّ المرأة

= ويشهد له الحديث الآتي بعده، وقد حسن الألباني هذا الحديث في إرواء الغليل: ٦/ ٢٩٥ - ٢٩٦، وانظر: تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب لابن كثير ص ٣٤٤ - ٣٤٥.

(١) أخرجه الترمذي في النكاح، باب ما جاء في الرجل يسلم وعنده عشر نسوة: ٤/ ٢٧٨، وقال: وصحت محمد بن إسماعيل يقول: هذا حديث غير محفوظ، والصحيح ما روى شعيب بن أبي حمزة وغيره عن الزهري وحمزة قال: حدثت عن محمد بن سويد الثقفي: أن غيلان... وأخرجه ابن ماجه في النكاح، باب الرجل يسلم وعنده أكثر من أربع نسوة، برقم (١٩٥٣): ١/ ٦٢٨، ومالك في الموطأ بلاغاً: ٢/ ٥٨٦ في الطلاق، وابن حبان في كتاب النكاح، باب فيمن أسلم وتحتة أكثر من عشر نسوة، برقم (١٢٧٧) ص (٣١٠) من موارد الظمان، والحاكم في المستدرک: ٢/ ١٩٢ - ١٩٣، والبيهقي في السنن: ٧/ ١٤٩، ١٨١، وأحمد في المسند: ٢/ ٤٤. وانظر تلخيص الحبير: ٣/ ١٦٨ - ١٦٩، تحفة الطالب لابن كثير ص ٣٤٠ وما بعدها، ومختصر المنذري، ٣/ ١٥٦ - ١٥٧، إرواء الغليل للألباني: ٦/ ٢٩١ - ٢٩٥.

(٢) أخرجه الشافعي: ٢/ ٥٧ من ترتيب المسند للإمام الشافعي، ومن طريقة البيهقي في سننه، وإسناده صحيح. والمصنف في شرح السنة: ٩/ ٦٠.

كان إذا زوجها فإن كانت معهم في العشيّة لم يعطها من مهرها قليلاً ولا كثيراً، وإن كان زوجها غريباً حملوها إليه على بعير ولم يعطوها من مهرها غير ذلك، فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم أن يدفعوا الحق إلى أهله.

[قال الحضرمي: كان أولياء النساء يُعطي هذا أخته على أن يعطيه الآخر أخته، ولا مهرَ بينهما، فنهوا عن ذلك وأمروا بتسمية المهر في العقد. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك بن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «نهى عن الشُّغار» .

والشُّغار: أن يُزوَّج الرجل ابنته على أن يزوج الرجل الآخر ابنته، وليس بينهما صداق»^(١).

وقال الآخرون: الخطاب للأزواج أمروا بإيتاء نسائهم الصداق، وهذا أصح، لأن الخطاب فيما قبل مع الناكحين، والصَّدُقات: المهور، واحداً صدقة «نحلة» قال قتادة: فريضة، وقال ابن جريج: فريضة مسماة، قال أبو عبيدة: ولا تكون النحلة إلا مسماة معلومة، وقال الكلبي: عطية وهبة، وقال أبو عبيدة: عن طيب نفس^(٢)، وقال الزجاج: تديناً.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن يوسف أخبرنا الليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبه بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «أحقُّ الشروط أن تُوفوا به ما استحللتم به الفروج»^(٣)

﴿فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾، يعني: فإن طابت نفوسهن بشيء من ذلك فوهبن منكم، فنقل الفعل من النفوس إلى أصحابها فخرجت النفس مفسراً، فلذلك وحّد النفس، كما قال الله تعالى: «وضاق بهم ذرعاً» (هود — ٧٧) (العنكبوت — ٣٣) «وَقَرِّيْ عَيْنًا» (مريم — ٢٦) وقيل: لفظها واحد ومعناها جمع، ﴿فَكُلُّوْهُ هَنِئًا مَّرِيئًا﴾، سائغاً طيباً، يقال هنا في الطعام يهنيء بفتح النون في الماضي وكسرهما في الباقي^(٤)، وقيل: الهنيء: الطيب المساغ الذي لا يتغصه شيء، والمريء: الحمود العاقبة التام

(١) أخرجه البخاري في النكاح باب الشُّغار: ١٦٢/٩، ومسلم في النكاح، باب تحريم الشُّغار وطلانه برقم (١٤١٥): ١٠٣٤/٢، والمصنف في شرح السنة: ٩٧/٩.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) أخرجه البخاري في الشروط، باب الشروط في المهر عند عقد النكاح: ٣٢٣/٥، وفي النكاح أيضاً، ومسلم في النكاح، باب الوفاء بالشروط في النكاح برقم (١٤١٨): ١٠٣٥/٢ — ١٠٣٦، والمصنف في شرح السنة: ٥٣/٩.

(٤) في أ: (الغابر).

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ

قَوْلًا مَعْرُوفًا

الضم الذي لا يضر، قرأ أبو جعفر ﴿هتياً مرتباً﴾ بتشديد الياء فيهما من غير همز، وكذلك «بري»، «وبريون»، «وبرياً» و«وكهية» والآخرين يهمزونها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾، اختلفوا في هؤلاء السفهاء فقال قوم: هم النساء، وقال الضحاك: النساء من أسفه السفهاء، وقال مجاهد: نهى الرجال أن يؤتوا النساء أموالهم وهن سفهاء، مَنْ كُنَّ، أزواجاً أو بناتٍ أو أمهات، وقال آخرون: هم الأولاد، قال الزهري: يقول لا تعط ولدك السفية مالك الذي هو قيامك بعد الله تعالى فيفسده، وقال بعضهم: هم النساء والصبيان، وقال الحسن: هي امرأتك السفية وابنتك السفية، وقال ابن عباس: لا تعتمد إلى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك أو بنيك فيكونوا هم الذين يقومون عليك، ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذي تُنفق عليهم في رزقهم ومؤونتهم، قال الكلبي: إذا علم الرجل أن امرأته سفية مفسدة وأن ولده سفية مفسد فلا ينبغي أن يُسلط واحداً منهما على ماله فيفسده. وقال سعيد بن جبير وعكرمة: هو مال اليتيم يكون عندك، يقول لا تؤته إياه وأنفق عليه حتى يبلغ، وإنما أضاف إلى الأولياء فقال: ﴿أموالكم﴾ لأنهم قوامها ومدبروها.

والسفيه الذي لا يجوز لوليه أن يؤتبه ماله هو المستحق للحجر عليه، وهو أن يكون مبذراً في ماله أو مفسداً في دينه، فقال جل ذكره: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾، أي: الجهال بموضع الحق أموالكم التي جعل الله لكم قياماً.

قرأ نافع وابن عامر ﴿قيماً﴾ بلا ألف، وقرأ الآخرون ﴿قياماً﴾ وأصله: قواماً، فانقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها، وهو ملك الأمر وما يقوم به الأمر. وأراد هنا قوام عيشكم الذي تعيشون به. قال الضحاك: به يقام الحج والجهاد وأعمال البر وبه فكاك الرقاب من النار.

﴿وارزقوهم فيها﴾ / أي: أطعموهم، ﴿واكسوهم﴾، لمن يجب عليكم رزقه ومؤنته، وإنما قال ﴿فيها﴾ ولم يقل: منها، لأنه أراد: اجعلوا لهم فيها رزقاً فإن الرزق من الله: العطيّة من غير حدٍّ، ومن العباد إجراء (١) موقت محدود. ﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ عِدّة جميلة، وقال عطاء: إذا رحت أعطيتك وإن غنمت جعلت لك حظاً، وقيل: هو الدعاء، وقال ابن زيد: إن لم يكن ممن تجب عليكم نفقته، قل له:

١/٧٨

(١) في ب (أجر).

وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

عافاك الله وإيانا، بارك الله فيك، وقيل: قولاً لئناً تطيبُ به أنفسهم.

قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾، الآية نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه، وذلك أن رفاعة توفي وترك ابنه ثابتاً وهو صغير، فجاء عمه إلى النبي ﷺ وقال: إن ابن أخي يتيم في حجري، فما يحمل لي من ماله ومتى أَدفع إليه ماله؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١) ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾ اختبروهم في عقولهم وأديانهم وحفظهم أموالهم، ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾، أي: مبلغ الرجال والنساء، ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ﴾، أبصرتهم، ﴿مِنْهُمْ رُشْدًا﴾، فقال المفسرون يعني: عقلاً وصلاحاً في الدين وحفظاً للمال وعلماً بما يصلحه. وقال سعيد بن جبير ومجاهد والشعبي: لا يدفع إليه ماله وإن كان شيخاً حتى يؤنس منه رشده.

والابتلاء يختلف باختلاف أحوالهم فإن كان ممن يتصرف في السوق فيدفع الولي إليه شيئاً يسيراً من المال وينظر في تصرفه وإن كان ممن لا يتصرف في السوق فيختبره في نفقة داره، والإنفاق على عييده وأجرائه، وتختبر المرأة في أمر بيتها وحفظ متاعها وغزها واستغزها، فإذا رأى حُسن تدبيره، وتصرفه في الأمور مراراً يغلب على القلب رشده، دفع المال إليه.

واعلم أن الله تعالى علّق زوال الحجر عن الصغير وجواز دفع المال إليه بشيئين: بالبلوغ والرشد، فالبلوغ يكون بأحد (أشياء أربعة)^(٢)، اثنان يشتركون فيهما الرجال والنساء، واثنان تختصان بالنساء:

فما يشتركون فيه الرجال والنساء أحدهما السن، والثاني الاحتلام، أما السن فإذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاماً كان أو جارية، لما أخبرها عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز ابن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أخبرنا سفيان عن عيينة عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: عُرضتُ على رسول الله ﷺ عام أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة، فردني، ثم عُرضتُ عليه عام الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني^(٣)، قال نافع:

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٣٧) بدون إسناد. وانظر: الدر المنثور: ٢/ ٤٣٧، القرطبي: ٥/ ٣٤، وذكره ابن حجر بنحوه في الإصابة: ١/ ٣٨٧ وقال: هذا مرسل رجاله ثقات.

(٢) في أ: (الأشياء الأربعة).

(٣) أخرجه البخاري في الشهادات، باب بلوغ الصبيان وشهادتهم: ٥/ ٢٧٦، ومسلم في الإمارة، باب بيان سن البلوغ بقرم (١٨٦٨):

فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز، فقال: هذا فرق بين المقاتلة والذرية، وكتب أن يفرض لابن خمس عشرة سنة في المقاتلة، ومن لم يبلغها في الذرية. وهذا قول أكثر أهل العلم.

وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة، وبلوغ الغلام باستكمال ثمان عشرة سنة.

وأما الاحتلام فعني به نزول المنى سواء كان بالاحتلام أو بالجماع، أو غيرهما، فإذا وجدت ذلك بعد استكمال تسع سنين من أيهما كان حُكم ببلوغه، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ وقال النبي ﷺ لمعاذٍ في الجزية حين بعثه إلى اليمن: «خُذْ مِنْ كُلِّ حَالِمٍ دِينَارًا»^(١).

وأما الإنبات، وهو نبات الشعر الخشن حول الفرج: فهو بلوغ في أولاد المشركين، لما روي عن عطية القرظي قال: كنتُ من سبي قريظة، فكانوا ينظرون فمن أنبت الشعر قُتل، ومن لم ينبت لم يقتل، فكنت ممن لم ينبت^(٢).

وهل يكون ذلك بلوغاً في أولاد المسلمين؟ فيه قولان، أحدهما: يكون بلوغاً كما في أولاد الكفار، والثاني: لا يكون بلوغاً لأنه يمكن الوقوف على مواليده المسلمين بالرجوع إلى آبائهم، وفي الكفار لا يوقف على مواليدهم، ولا يقبل قول آبائهم فيه لكفرهم، فجعل الإنبات الذي هو أمانة البلوغ بلوغاً في حقهم.

وأما ما يختص بالنساء: فالحيض والحبل، فإذا حاضت المرأة بعد استكمال تسع سنين يُحكم ببلوغها، وكذلك إذا ولدت يحكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لأنها أقل مدة الحمل.

وأما الرشد: فهو أن يكون مصلحاً في دينه وماله، فالصلاح في الدين هو أن يكون مجتنباً عن الفواحش والمعاصي التي تسقط العدالة، والصلاح في المال هو أن لا يكون مبدراً، والتبذير: هو أن ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمداً دنيوية ولا مثوبة أخروية، أو لا يُحسن التصرف فيها، فيغبن في البيوع فإذا بلغ الصبي وهو مفسد في دينه وغير مصلح لماله، دام الحجر عليه، ولا يدفع إليه ماله ولا ينفذ تصرفه.

وعند أبي حنيفة رضي الله عنه إذا كان مصلحاً لماله زال الحجر عنه وإن كان مفسداً في دينه، وإذا

(١) قطعة من حديث أخرجه أبو داود في الزكاة، باب في زكاة السائمة: ١٩٥/٢، والترمذي في الزكاة، باب ما جاء في زكاة البقر: ٢٥٧/٣، وقال: هذا حديث حسن. ثم قال: وروى بعضهم هذا الحديث عن سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن مسروق... وهذا أصح، وأخرجه النسائي في الزكاة، باب زكاة البقر: ٢٦/٥، والدارقطني: ١٠٢/٢، والحاكم: ٣٩٨/١، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وأحمد في المسند: ٢٣٠/٥، ٢٣٣، شرح السنة: ١٩/٦، وانظر ما قاله ابن حجر في تلخيص الحبير: ١٢٢/٥.

(٢) أخرجه أبو داود في الحدود، باب في الغلام يصبى الحد: ٢٣٣/٦، والترمذي في السير، باب ما جاء في الجلف: ٢٠٨/٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في قطع السارق، باب القطع في السفر: ٩٢/٨.

وابن ماجه في الحدود، باب من لا يجب عليه الحد، برقم (٢٥٤١): ٨٤٩/٢، والدارمي في السير، باب حد الصبي متى يقتل: ٢٢٣/٢، والإمام أحمد في المسند: ٣١٠/٤، ٣١٢/٥، وأخرجه ابن حبان، في موارد الظمان، ص (٣٦٠).

كان مفسداً لئله قال: لا يدفع إليه المال حتى يبلغ خمساً وعشرين سنة، غير أن تصرفه يكون نافذاً قبله. والقرآن حجة لمن استدام الحجر عليه، لأن الله تعالى قال: ﴿حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفءوا إليهم أموالهم﴾، أمر بدفع المال إليهم بعد البلوغ وإيناس الرشد، والفاسق لا يكون رشيداً وبعد بلوغه خمساً وعشرين سنة، وهو مفسد لئله بالاتفاق غير رشيد، فوجب أن لا يجوز دفع المال إليه كما قبل بلوغ هذا السن.

وإذا بلغ وأونس منه الرشد، زال الحجر عنه، ودفع إليه المال رجلاً كان أو امرأة تزوج أو لم يتزوج. وعند مالك رحمه الله تعالى: إن كانت امرأة لا يدفع المال إليها ما لم تتزوج، فإذا تزوجت دفع إليها، ولكن لا ينفذ تصرفها إلا بإذن الزوج، ما لم تكبر وتجرّب.

فإذا بلغ الصبي رشيداً وزال الحجر عنه ثم عاد سفيهاً، نظر: فإن عاد مبذراً لئله حجر عليه، وإن عاد مفسداً في دينه فعلى وجهين: أحدهما: يعاد الحجر عليه كما يستدام الحجر عليه إذا بلغ بهذه الصفة، والثاني: لا يعاد لأن حكم الدوام أقوى من حكم الابتداء.

وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى: لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال، والدليل على إثبات الحجر من اتفاق الصحابة رضي الله عنهم ما روي عن هشام بن عروة عن أبيه أن عبد الله بن جعفر ابتاع أرضاً سبخة بستين ألف درهم، فقال علي: لآتين عثمان فلاحجرن عليك فأق ابن جعفر الزبير فأعلمه بذلك [فقال الزبير: أنا شريكك في بيعتك، فأق علي عثمان وقال: احجر على هذا]^(١)، فقال الزبير: أنا شريكه، فقال عثمان: كيف أحجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير^(٢)، فكان ذلك اتفاقاً منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير في دفعه.

قوله تعالى: ﴿ولا تأكلوها﴾ يامعشر الأولياء ﴿إسرافاً﴾ بغير حق، ﴿وبداراً﴾ أي مبادرة ﴿أن﴾ يكبروا و ﴿أن﴾ في محل النصب، يعني: لا تبادروا كبرهم ورشدهم حذراً من أن يبلغوا فيلزمكم تسليمها إليهم، ثم بين ما يحل لهم من مالهم فقال: ﴿ومن كان غنياً فليستعفف﴾ أي ليمتنع من مال اليتيم فلا يرزاه قليلاً ولا كثيراً، والعفة: الامتناع مما لا يحل ﴿ومن كان فقيراً﴾ محتاجاً إلى مال اليتيم وهو يحفظه ويتعهده فليأكل / بالمعروف.

٧٨/ب

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو سهل محمد بن عمر السجزي أخبرنا الإمام أبو سليمان الخطابي أخبرنا أبو بكر بن داسة التمار أخبرنا أبو داؤد السجستاني أخبرنا حميد بن مسعدة أن خالد بن

(١) ساقط من (ب).

(٢) أخرجه الشافعي في المسند: ١٦٠/٢ - ١٦١ (ترتيب المسند)، والبيهقي في السنن: ٦١/٦، وصححه الألباني في الإرواء:

الحارث حدثهم أخبرنا حسين يعني المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: إني فقير وليس لي شيء ولي يتيماً؟ فقال: «كُلْ من مال يتيماً غير مسرفٍ ولا مبادرٍ ولا متأثِّلٍ»^(١).

واختلفوا في أنه هل يلزمه القضاء؟ فذهب بعضهم إلى أنه يقضي إذا أيسر، وهو المراد من قوله ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فالمعروف القرض، أي: يستقرض من مال اليتيم إذا احتاج إليه، فإذا أيسر قضاءه، وهو قول مجاهد وسعيد بن جبيرة، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني أنزلت نفسي من مال الله تعالى بمنزلة مال اليتيم: إن استغنيت استعفت وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت^(٢).

وقال الشعبي: لا يأكله إلا أن يضطر إليه كما يضطر إلى الميتة.

وقال قوم: لا قضاء عليه.

ثم اختلفوا في كيفية هذا الأكل بالمعروف، فقال عطاء وعكرمة: يأكل بأطراف أصابعه، ولا يسرف ولا يكتسي منه، ولا يلبس الكتان ولا الحُلل، ولكن ما سدَّ الجوعَ ووَارَى العورة.

وقال الحسن وجماعة: يأكل من ثمر نخيله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء عليه، فأما الذهب والفضة فلا؛ فإن أخذ شيئاً منه رده.

وقال الكلبي: المعروف ركوب الدابة وخدمة الخادم، وليس له أن يأكل من ماله شيئاً.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحق الهاشمي، أنا أبو منصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال سمعت القاسم بن محمد يقول: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن لي يتيماً وإن له إبلاً فأشرب من لبن إبله؟ فقال: إن كنت تبغي ضالة إبله وَهَنُناً جَرَبَاها وتليطُ حوضها وتسقيها يوم ردها فأشرب غير مُضِرٍ بنسبل ولا ناهكٍ في الحَلْبِ^(٣).

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الوصايا، باب ما لولي اليتيم أن ينال من مال اليتيم: ٤/ ١٥١ - ١٥٢، والنسائي في الوصايا، باب ما للوصي من مال اليتيم إذا قام عليه: ٦/ ٢٥٦، وابن ماجه في الوصايا، باب قوله: ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف، برقم (٢٧١٨): ٩٠٧/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٨/ ٣٠٥. وزاد الحافظ ابن حجر نسبه لابن خزيمه وابن الجارود وابن أبي حاتم، وقال: إسناده قوي. انظر: فتح الباري: ٨/ ٢٤١.

(٢) أخرجه أبو يوسف في الخراج ص ٣٩، ١٢٧، وقال ابن حجر: رواه ابن سعد وابن أبي شيبه والطبري، من رواية اسرائيل وسفيان، كلاهما عن أبي إسحاق عن حارث بن مضر بن قال... ورواه سعيد بن منصور عن أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن البراء قال: قال لي عمر... انظر: الكافي الشاف ص (٣٩).

(٣) أخرجه الطبري: ٧/ ٥٨٨، وعزه ابن حجر لعبد الرزاق من رواية يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد، وقال أخرجه الطبري من طريقه والثعلبي والواحدي من وجه آخر عن القاسم، ورواه البيهقي من طريق مالك عن يحيى بن سعيد عن القاسم، وهو في الموطأ. انظر: الكافي الشاف ص (٣٩).

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۖ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾

وقال بعضهم: المعروف أن يأخذ من جميع ماله بقدر قيامه وأجرة عمله، ولا قضاء عليه، وهو قول عائشة وجماعة من أهل العلم.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾، هذا أمر إرشاد، ليس بواجب، أمر الولي بالإشهاد على دفع المال إلى اليتيم بعدما بلغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ محاسباً ومجازياً وشاهداً.

قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ الآية، نزلت في أوس بن ثابت الأنصاري، توفي وترك امرأة يقال لها أم كُجَّة وثلاث بنات له منها، فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووَصِيَّاهُ سُوَيْدٌ وَعَرْفَجَةُ، فأخذوا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئاً، وكانوا في الجاهلية لا يُورثون النساء ولا الصغار، وإن كان الصغير ذكراً وإنما كانوا يُورثون الرجال، ويقولون: لا نعطي إلا من قاتل وحاز الغنيمة، فجاءت أم كُجَّة فقالت: يا رسول الله إن أوس بن ثابت مات وترك عليّ بنات وأنا امرأته، وليس عندي ما أنفق عليهن، وقد ترك أبوهن مالا حسناً، وهو عند سويد وعرفجة، ولم يعطيانى ولا بناتي شيئاً وهنّ في حجرى، لا يطعمن ولا يسقين، فدعاهما رسول الله ﷺ، فقالا: يا رسول الله ولدها لا يركب فرساً ولا يحمل كلاً ولا يتنكأ عدواً، فأنزل الله عزّ وجلّ، ﴿لِلرِّجَالِ﴾ يعني: للذكور من أولاد الميت وأقربائه ﴿نَصِيبٌ﴾ حظّ ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ من الميراث، ﴿وَلِلنِّسَاءِ﴾، للإناث منهم، ﴿نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾، أي: من المال، ﴿أَوْ كَثُرَ﴾ منه ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾، نصب على القطع، وقيل: جعل ذلك نصيباً فأنثت لهنّ الميراث، ولم يبين كم هو، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سويد وعرفجة لا تفرقا من مال أوس بن ثابت شيئاً، فإن الله تعالى جعل لبناته نصيباً مما ترك، ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل فيهنّ، فأنزل الله تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ فلما نزلت أرسل رسول الله ﷺ إلى سويد وعرفجة لا تفرقا من مال أوس بن ثابت شيئاً، فإن الله تعالى جعل لبناته نصيباً مما ترك، ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل، فأنزل الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ فلما نزلت أرسل رسول الله ﷺ إلى سويد وعرفجة «أن ادفع إلى أم كُجَّة الثمن مما ترك وإلى بناته الثلثين، ولكما باقي المال»^(١).

(١) أخرجه الطبري: ٧ / ٥٩٨، وذكره ابن حجر في الإصابة، في ترجمة أم كجج: ٢٨٤/٨، وقال: أخرجه أبو نعيم وأبو موسى من =

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾، يعني: قسمة الموارث، ﴿أُولُوا الْقُرْبَى﴾، الذين لا يرثون، ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾، أي: فارضخوا لهم من المال قبل القسمة، ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾.

اختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: هي منسوخة، وقال سعيد بن المسيب والضحاك: كانت هذه قبل آية الميراث، فلما نزلت آية الميراث جعلت الموارث لأهلها، ونسخت هذه الآية.

وقال الآخرون: هي محكمة، وهو قول ابن عباس والشعبي والنخعي والزهري، وقال مجاهد: هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم^(١).

وقال الحسن: كانوا يعطون التابوت والأواني ورث الثياب والمتاع والشيء الذي يستحيا من قسمته. وإن كان بعض الورثة طفلاً فقد اختلفوا فيه، فقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: إن كانت الورثة كباراً رضخوا لهم، وإن كانت صغاراً اعتذروا إليهم، فيقول الولي والوصي: إني لا أملك هذا المال إنما هو للصغار، ولو كان لي منه شيء لأعطيتهكم، وإن يكبروا فسيعرفون حقوقك، هذا هو القول بالمعروف.

وقال بعضهم: ذلك حق واجب في أموال الصغار والكبار، فإن كانوا كباراً تولوا إعطاءهم، وإن كانوا صغاراً أعطى وليهم. روى محمد بن سيرين أن عبيدة السلماني قسم أموال أيتام فأمر بشاة فذبحت فصنع طعاماً لأهل هذه الآية، وقال: لولا هذه الآية لكان هذا من مالي.

وقال قتادة عن يحيى بن يعمر: ثلاث آيات محكمات مدنيت تركهن الناس، هذه الآية وآية الاستئذان: (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذي ملكت أيمانكم) (النور - ٥٨) الآية، وقوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) (الحجرات - ١٣) الآية.

وقال بعضهم - وهو أولى الأقاويل -: إن هذا على الندب والاستحباب، لا على الحتم والإيجاب.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾، أولاداً صغاراً، خافوا عليهم،

= طريقه، ثم من رواية سفيان عن عبد الله بن محمد ابن عقيل عن جابر قال...

وقال: راويه عن سفيان هو إبراهيم بن هراسة: ضعيف. وقد خالفه بشر بن المفضل عن عبد الله بن محمد عن جابر، أخرجه أبو داود من طريقه.

وقال في الكافي الشاف ص(٣٩): أورده الثعلبي ثم البغوي بغير سند، وقال الواحدي: قال المفسرون.... وذكره.

وانظر: أسباب النزول للواحدي ص ١٣٧ - ١٣٨، الدر المنثور: ٢ / ٤٣٨ - ٤٣٩.

(١) انظر في تفصيل هذه الأقوال: تفسير الطبري: ٧/٨ وما بعدها.

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

الفقر، هذا في الرجل يحضره الموت، فيقول من بحضرتة: انظر لنفسك فإن أولادك ورثتك لا يغنون عنك شيئاً، قدّم لنفسك، أعتق وتصدق وأعط فلاناً كذا وفلاناً كذا، حتى يأتي على عامة ماله، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، وأمرهم أن يأمره أن ينظر لولده ولا يزيد في وصيته على الثلث، ولا يُجحف بورثته كما لو كان هذا القائل هو الموصي يسره أن يحته من بحضرتة على حفظ ماله لولده، ولا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم.

وقال الكلبي: هذا الخطاب لولاة اليتامى يقول: من كان في حجره يتيم فليحسن إليه وليأت إليه في حقه ما يجب أن يفعل بذريته من بعده.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾، أي: عدلاً، والسديد: العدل، والصواب من القول، وهو أن يأمره بأن يتصدق / بما دون الثلث ويخلف الباقي لولده.

١/٧٩

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾، قال مقاتل بن حيان: نزلت في رجل من غطفان، يقال له مرثد بن زيد ولي مال ابن أخيه وهو يتيم صغير فأكله، فأنزل الله تعالى فيه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾^(١): حراماً بغير حق، ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾، أخبر عن ماله، أي عاقبته تكون كذلك، ﴿وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾، قراءة العامة بفتح الياء، أي: يدخلونها يقال: صلى النار يصلها صلاً، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ (الصفافات - ١٦٣)، وقرأ ابن عامر وأبو بكر بضم الياء، أي: يدخلون النار ويحرقون، نظيره قوله تعالى: ﴿فسوف نُصَلِّيهِ نَارًا﴾ (النساء - ٣٠) «سأصليه سقر» (المدثر - ٢٦) وفي الحديث قال النبي ﷺ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي قَوْمًا لَهُمْ مَشَافِرُ كَمَشَافِرِ الْإِبِلِ، إِحْدَاهُمَا قَالِصَةٌ عَلَىٰ مَنْخَرِيَّةٍ وَالْأُخْرَىٰ عَلَىٰ بَطْنِهِ، وَخَزَنَةٌ النَّارِ يَلْقَمُونَهُمْ جَمْرَ جَهَنَّمَ وَصَخْرَهَا، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا»^(٢).

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص(١٣٨) بدون إسناد، وانظر: تفسير القرطبي: ٥٣/٥.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٧/٨ بأطول منه، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة، وذكره ابن كثير في أول تفسير سورة الإسراء: ١٢/٣، وعزاه

السيوطي لابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور: ٤٤٣/٢. وفيه أبو هارون العبدى، وهو عمارة بن جُوَيْنٍ - بجم مصغراً - مشهور

بكنيته: متروك، ومنهم من كذبه، شيعي من الرابعة. انظر: التقريب: ٤٩/٢.

وذكره ابن هشام في السيرة: ٢٥٠/١ مع الروض الأنف.

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِمِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِن كُن نِسَاءً فَوْقَ
 اثْنَتَيْنِ فَلَهُن ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا بُوَيْهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ
 مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثُهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ
 فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ
 لَا تَدْرُونَ أَيُّهُم أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِمِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ الآية، اعلم أن الوراثة كانت في
 الجاهلية بالذكورة والقوة فكانوا يُورثون الرجال دون النساء والصبيان، فأبطل الله ذلك بقوله: ﴿لِلرِّجَالِ
 نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ الآية، وكانت أيضاً في الجاهلية وابتداء الإسلام بالمخالفة، قال الله
 تعالى: «والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم» (النساء — ٣٣) ثم صارت الوراثة بالهجرة، قال الله
 تعالى «والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يُهاجروا» (الأنفال — ٧٢) فنسخ
 ذلك كله وصارت الوراثة بأحد الأمور الثلاثة بالنسب أو النكاح أو الولاء، فالمعنى بالنسب أن القرابة
 يرث بعضهم من بعض، لقوله تعالى «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» (الأحزاب —
 ٦)، والمعنى بالنكاح: أن أحد الزوجين يرث صاحبه، وبالولاء: أن المُعْتَقَّ وعصباته يرثون المُعْتَقَّ، فنذكر
 بعون الله تعالى فصلاً وجيزاً في بيان من يرث من الأقارب. وكيفية توريث الوراثة فنقول:

إذا مات ميتٌ وله مال فيبدأ بتجهيزه ثم بقضاء ديونه ثم بإنفاذ وصاياه فما فضلٌ يُقسم بين الوراثة.
 (ثم الوراثة) (١) على ثلاثة أقسام: منهم من يرث بالفرض ومنهم من يرث بالتعصيب، ومنهم من يرث بهما
 جميعاً، فمن يرث بالنكاح لا يرث إلا بالفرض، ومن يرث بالولاء لا يرث إلا بالتعصيب، أما من يرث
 بالقرابة فمنهم من يرث بالفرض كالبنات والأخوات والأمهات والجدات، وأولاد الأم، ومنهم من يرث
 بالتعصيب كالبنين والأخوة وبنين الأخوة والأعمام وبنينهم، ومنهم من يرث بهما كالأب يرث بالتعصيب إذا لم
 يكن للميت ولد، فإن كان للميت ابن: يرث الأب بالفرض السدس، وإن كان للميت بنت فيرث الأب
 السدس بالفرض ويأخذ الباقي بعد نصيب البنت بالتعصيب، وكذلك الجد، وصاحب التعصيب من
 يأخذ جميع المال عند الانفراد ويأخذ ما فضل عن أصحاب الفرائض.

وجملة الوراثة سبعة عشر: عشرة من الرجال وسبع من النساء، فمن الرجال: الابن وابن الابن وإن

(١) زيادة من: (ب).

سفل والأب والجد أبو الأب وإن علا، والأخ سواء كان لأب وأم أو لأب أو لأم، وابن الأخ للأب والأم أو للأب وإن سفل والعم للأب والأم أو للأب وأبناؤها وإن سلفوا، والزوج ومولى العتاق، ومن النساء بنت بنت الابن وإن سفلت، والأم والجدة أم الأم وأم الأب، والأخت سواء كانت لأب وأم أو لأب أو لأم، والزوجة ومولاة العتاق.

وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير: الأبوان والولدان، والزوجان، لأنه ليس بينهم وبين الميت واسطة.

والأسباب التي توجب حرمان الميراث أربعة: اختلاف الدين والرق والقتل وعمي الموت.

ونعني باختلاف الدين أن الكافر لا يرث المسلم والمسلم لا يرث الكافر، لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أنا ابن عيينة عن الزهري عن علي بن حسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم»^(١).

فأما الكفار فيرث بعضهم من بعض مع اختلاف مللهم، لأن الكفر كله ملة واحدة، لقوله تعالى: «والذين كفروا بعضهم أولياء بعض» (الأنفال — ٧٣).

وذهب بعضهم إلى أن اختلاف الملل في الكفر يمنع التوارث حتى لا يرث اليهودي النصراني ولا النصراني المجوسي، وإليه ذهب الزهري والأوزاعي وأحمد وإسحاق لقول النبي ﷺ: «لا يتوارث أهل ملتين شتى»^(٢)، وتأوله الآخرون على الإسلام مع الكفر فكله ملة واحدة فتورث بعضهم من بعض لا يكون فيه إثبات التوارث بين أهل ملتين شتى.

والرقيق لا يرث أحداً ولا يرثه أحد لأنه لا ملك له، ولا فرق فيه بين القن والمدبر والمكاتب وأم الولد.

والقتل يمنع الميراث عمداً كان أو خطأ لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه

(١) أخرجه البخاري في الفرائض باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم: ١٢/٥٠، ومسلم في الفرائض برقم (١٦١٤): ٣/١٢٣٣، والمصنف في شرح السنة: ٣٦٨/٨.

(٢) أخرجه أبو داود في الفرائض، باب هل يرث المسلم الكافر: ٤/١٨١، والترمذي في الفرائض، باب ما جاء في إبطال الميراث بين المسلم والكافر: ٦/٢٨٩، وقال: إن هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث جابر إلا من حديث ابن أبي ليل، وابن ماجه في الفرائض، باب ميراث أهل الإسلام من أهل الشرك برقم (٢٧٣١): ٢/٩١١، والدارقطني في الفرائض، ٤/٧٥، والدارمي في الفرائض، باب ميراث أهل الشرك من أهل الإسلام، عن عمر بلفظ: لا يتوارث أهل ملتين، ولفظ: لا يتوارث ملتان شتى: ٣٧٠-٣٦٩. وصححه الحاكم: ٢/٢٤٠، ووافقه الذهبي، وعزاه ابن حجر أيضاً للنسائي وابن السكن (تلخيص الخبير: ٣/٨٤). والبيهقي: ٦/٢١٨، وسعيد بن منصور في السنن، باب الفرائض عن أسامة وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وعن عمر بن الخطاب: ١/٦٥ — ٦٦، والإمام أحمد: ٢/١٩٥ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، والمصنف في شرح السنة: ٨/٣٦٥.

قال: «القاتل لا يرث»^(١).

ونعني بعلمي الموت أن المتوارثين إذا عمي موتهما بأن غرقا في ماء أو انهدم عليهما بناء فلم يدر أيهما سبق موته فلا يرث أحدهما من الآخر، بل ميراث كل واحد منهما لمن كانت حياته يقيناً بعد موته من ورثته.

والسهام المحدودة في الفرائض ستة: النصف والرابع والثمن والثلاثان والثالث والسدس.

فالنصف فرض ثلاثة: فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب أو بنت الابن عند عدم ولد الصلب، وفرض الأخت الواحدة للأب والأم أو للأب إذا لم يكن ولد لأب وأم.

والرابع فرض الزوج إذا كان للميتة ولد وفرض الزوجة إذا لم يكن للميت ولد.

والثمن: فرض الزوجة إذا كان للميت ولد.

والثلاثان فرض البنتين للصلب فصاعداً ولبنتي الابن فصاعداً عند عدم ولد الصلب، وفرض الأختين لأب وأم أو للأب فصاعداً.

والثالث فرض ثلاثة: فرض الأم إذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من الأخوات والأخوة، إلا في مسألتين: إحداهما زوج وأبوان، والثانية زوجة وأبوان، فإن للأم فيهما ثلث ما بقي بعد نصيب الزوج أو الزوجة، وفرض الاثنتين فصاعداً من أولاد الأم، ذكرهم وأثامهم فيه سواء، وفرض الجد مع الإخوة إذ لم يكن في المسألة صاحب فرض، وكان الثلث خيراً للجد من المقاسمة مع الإخوة.

وأما السدس ففرض سبعة: فرض الأب إذا كان للميت ولد، وفرض الأم إذا كان للميت ولد أو اثنان من الإخوة والأخوات، وفرض الجد إذا كان للميت ولد ومع الإخوة والأخوات إذا كان في المسألة صاحب فرض، وكان السدس خيراً للجد من المقاسمة مع الإخوة، وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من أولاد الأم ذكراً أو أنثى، وفرض بنات الابن إذا كان للميت بنت واحدة للصلب تكملة / الثلثين، وفرض الأخوات للأب إذا كان للميت أخت واحدة لأب وأم تكملة الثلثين.

ب/٧٩

(١) أخرجه الترمذي في الفرائض، باب ما جاء في إبطال ميراث القاتل: ٦ / ٢٩٠. وقال هذا حديث لا يصح، لا يعرف هذا إلا من هذا الوجه، وإسحاق بن أبي فروة قد تركه بعضهم، والعمل عند أهل العلم أن القاتل لا يرث. وأخرجه النسائي في الكبرى، وابن ماجه في الدييات، باب القاتل لا يرث برقم (٢٦٤٥): ٢ / ٨٨٣، كلهم عن الليث عن إسحاق عن أبي فروة عن الزهري عن حميد عن أبي هريرة.

قال الزركشي: ورواه أبو داود والنسائي من جهة إسماعيل بن عياش عن ابن جريج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً: لا يرث القاتل شيئاً. وأخرجه ابن أبي عاصم في الدييات ص ١٠٨ ورواية إسماعيل عن أهل الحجاز ضعيفة، انظر: المعبر في تخریج أحاديث المنهج والمختصر للزركشي ص (١٦٨)، تلخيص الحبير: ٣ / ٨٤ - ٨٥. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٦٧/٨، وضعفه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا مسلم بن إبراهيم أنا وهيب أنا ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «ألقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر»^(١).

وفي الحديث دليل على أن بعض الورثة يحجب البعض، والحجب نوعان حجب نقصان وحجب حرمان:

فأما حجب النقصان فهو أن الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف إلى الربع والزوجة من الربع إلى الثمن، والأم من الثلث إلى السدس، وكذلك الاثنان فصاعداً من الإخوة يحجبون الأم من الثلث إلى السدس.

وحجب الحرمان هو أن الأم تُسقط الجدات، وأولاد الأم — وهم الأخوة والأخوات للأم — يسقطون بأربعة: بالأب والجد وإن علا، وبالولد وولد الابن وإن سفل، وأولاد الأب والأم يسقطون بثلاثة بالأب والابن وابن الابن وإن سفلوا، ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت، وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم، وبه قال مالك والشافعي والأوزاعي وأحمد رحمهم الله.

وأولاد الأب يسقطون بهؤلاء الثلاثة وبالأخ للأب والأم، وذهب قوم إلى أن الإخوة جميعاً يسقطون بالجد كما يسقطون بالأب، وهو قول أبي بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وأبي الدرداء وعائشة رضي الله عنهم، وبه قال الحسن وعطاء وطاووس وأبو حنيفة رحمهم الله.

وأقرب العصابات يُسقط الأبعد من العصبية، وأقربهم الابن ثم ابن الابن وإن سفل، ثم الأب ثم الجد أبو الأب وإن علا، فإن كان مع الجد أحد من الإخوة أو الأخوات للأب والأم أو للأب يشتركان في الميراث، فإن لم يكن جد فالأخ للأب والأم ثم الأخ للأب ثم بنو الإخوة يقدم أقربهم سواء كان لأب وأم أو لأب، فإن استويا في الدرجة فالذي هو لأب وأم أولى ثم العم للأب والأم ثم العم للأب ثم بنوهم على ترتيب بني الإخوة، ثم عم الأب ثم عم الجد على هذا الترتيب.

فإن لم يكن أحد من عصابات النسب وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق، فإن لم يكن حياً فلعصابات المعتق.

وأربعة من الذكور يعصبون الإناث، الابن وابن الابن والأخ للأب والأم والأخ للأب، حتى لو مات عن ابن و بنت أو عن أخ وأخت لأب وأم أو لأب فإنه يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الأنثيين، ولا يفرض

(١) أخرجه البخاري في الفرائض، باب ميراث الولد من أبيه وأمّه: ١١/١٢، ومسلم في الفرائض، باب: ألقوا الفرائض بأهلها، برقم (١٦١٥): ٣/١٢٣٣، والمصنف في شرح السنة: ٨/٣٢٦.

للبنات والأخت.

وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته من الإناث، ومن فوقه إذا لم يأخذ من الثلثين شيئاً حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان ولا شيء لبنت الابن، فإن كان في درجتها ابن ابن أو أسفل منها ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ الأنثيين.

والأخت للأب والأم وللأب تكون عصبه مع البنت حتى لو مات عن بنت وأخت كان النصف للبت والباقي للأخت، فلو مات عن بنتين وأخت فللبنتين الثلثان والباقي للأخت.

والدليل عليه ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا آدم أنا شعبة أنا أبو قيس قال: سمعت هذيل بن شرحبيل قال: سئل أبو موسى عن ابنة وبنت ابن وأخت فقال: للبت النصف وللأخت النصف، وأب ابن مسعود فسيتابعني فسئل ابن مسعود وأخبر بقول أبي موسى فقال: لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين أقضي فيها بما قضى به رسول الله ﷺ: للبت النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللأخت، فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقول ابن مسعود رضي الله عنه، فقال: لا تسألوني ما دام هذا الخبر فيكم^(١).

رجعنا إلى تفسير الآية: واختلفوا في سبب نزولها. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أبو الوليد أنا شعبة عن محمد بن المنكدر: سمعت جابراً يقول جاء رسول الله ﷺ يعودني وأنا مريض لا أعقل فتوضأ وصب علي من وضوئه فعقلت، فقلت: يا رسول الله لِمَ الميراث إنما يرثني كلاله؟ فنزلت آية الفرائض^(٢).

وقال مقاتل والكلبي: نزلت في أم كُحجة امرأة أوس بن ثابت وبناته^(٣).

وقال عطاء: استشهد سعد بن الربيع النقيب يوم أحد وترك امرأة وبنتين وأخاً، فأخذ الأخ المال فأتت امرأة سعد إلى رسول الله ﷺ بابنتي سعد فقالت: يا رسول الله إن هاتين ابنتي سعد وإن سعد^(٤) قتل يوم أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما ولا تنكحان إلا ولهما مال، فقال رسول الله ﷺ: «ارجعي فلعل الله سيقضي في ذلك»، فنزل ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ إلى آخرها، فدعا رسول الله ﷺ عمهما فقال له: «أعطي ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقي فهو لك»^(٥)، فهذا أول ميراث قُسم في الإسلام.

(١) أخرجه البخاري في الفرائض، باب ميراث ابنة ابن مع ابنة: ١٢/ ١٧. والمصنف في شرح السنة: ٣٣٣/ ٨.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة النساء، باب «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ» ٨/ ٢٤٣، ومسلم في الفرائض، باب ميراث الكلاله برقم (١٦١٦): ٣/ ١٢٣٤.

(٣) انظر أسباب النزول للواحد ص (١٣٧ - ١٣٨).

(٤) ساقط من: (أ).

(٥) أخرجه أبو داود في الفرائض، باب ما جاء في الصلب: ٤/ ١٦٦ - ١٦٧، والترمذي في الفرائض، باب ما جاء في ميراث البنات: =

قوله عز وجل: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ أي: يعهد إليكم ويفرض عليكم في أولادكم، أي: في أمر أولادكم إذا ماتم، للذكر مثل حظ الأنثيين. ﴿فَإِنْ كُنَّ﴾، يعني: المتروكات من الأولاد، ﴿نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾، أي: ابنتين فصاعداً ﴿فَوْقَ﴾ صلة، كقوله تعالى: «فاضربوا فوق الأعناق» (الأنفال - ١٢)، ﴿فَلَهُنَّ نِصْفُ مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ﴾، يعني: البنت، ﴿وَاحِدَةً﴾، قراءة العامة بالنصب على خبر كان، ورفعها أهل المدينة على معنى: إن وقعت واحدة، ﴿فَلَهَا النِّصْفُ لِأَبِيهِ﴾، يعني لأبوي الميت، كناية عن غير مذكور، ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾، أراد أن الأب والأم يكون لكل واحد منهما سدس الميراث عند وجود الولد أو ولد الابن، والأب يكون صاحب فرض ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِلثُلُثِ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿فَلِأُمَّه﴾ بكسر الهمزة استقلاً للضمة بعد الكسرة، وقرأ الآخرون بالضم على الأصل ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ اثنان أو أكثر ذكوراً أو إناثاً ﴿فَلِأُمَّه السُّدُسُ﴾، والباقي يكون للأب إن كان معها أب، وإخوة لا ميراث لهم مع الأب، ولكنهم يجيبون الأم من الثلث إلى السدس.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يحجب الإخوة الأم من الثلث إلى السدس إلا أن يكونوا ثلاثة، وقد تفرد به، وقال: لأن الله تعالى قال: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّه السُّدُسُ﴾، ولا يقال للابنتين إخوة، فنقول اسم الجمع قد يقع على الثنية لأن الجمع ضم شيء إلى شيء وهو موجود في الاثنتين كما قال الله تعالى: «فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا» (التحریم - ٤) ذكر القلب بلفظ الجمع، وأضافه إلى الاثنتين. / ٨.

قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر ﴿يُوصِي﴾ بفتح الصاد على ما لم يُسَمَّ فاعله، وكذلك الثانية، ووافق حفص في الثانية، وقرأ الآخرون بكسر الصاد لأنه جرى ذكر الميت من قبل، بدليل قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا﴾، و ﴿تُوصُونَ﴾.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه «إنكم تقرؤون الوصية قبل الدين، وبدأ رسول الله ﷺ بالدين قبل الوصية»^(١). وهذا إجماع أن الدين مُقَدَّم على الوصية. ومعنى الآية الجمع لا الترتيب، وبيان أن

= ٢٦٧/٦ - ٢٦٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في الفرائض، باب فرائض الصلب، برقم (٢٧٢٠): ٢/٩٠٨ والحاكم في المستدرک: ٤/٣٣٤ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وأخرجه الواحدي بسنده عن جابر، في أسباب النزول ص(١٣٩).

(١) أخرجه الترمذي في الوصايا، باب ما جاء يُبدأ بالدين قبل الوصية: ٦/٣١٤ - ٣١٥.

وابن ماجه في الوصايا، باب الدين قبل الوصية برقم (١٧١٥): ٢/٩٠٦، وأبو داود الطيالسي في مسنده ص(٢٥)، وأحمد في المسند: ١/١٣١ عن علي، والحاكم في المستدرک: ٤/٣٣٦، والبيهقي في السنن: ٦/٢٦٧، وفي الحارث الأعمور، وهو ضعيف، وأخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن ابن عمر: قضى رسول الله ﷺ بالدين قبل الوصية وأن لا وصية لوارث «نصب الرأية: ٤/٤٠٥».

قال ابن كثير: ١/٤٦٠ «رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وأصحاب التفسير من حديث ابن اسحاق عن الحارث بن عبد الله الأعمور عن علي بن أبي طالب، قال: ثم قال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديث الحارث، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم. قلت - ابن =

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴿١١٤﴾ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوَصُّونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ﴿١١٥﴾ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١١٦﴾﴾

الميراث مؤخر عن الدين والوصية جميعاً، معناه: من بعد وصية إن كانت، أو دين إن كان، فالإرث مؤخر عن كل واحد منهما.

﴿أَبَاؤَكُمْ وَأَبْنَاؤَكُمْ﴾، يعني: الذين يرثونكم آباؤكم وأبناؤكم، ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾، أي: لا تعلمون أنهم أنفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن أن الأب أنفع له، فيكون الابن أنفع له، ومنكم من يظن أن الابن أنفع له فيكون الأب أنفع له، وأنا العالم بمن هو أنفع لكم، وقد دبرت أمركم على ما فيه المصلحة فاتبعوه، وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أطوعكم الله عز وجل من الآباء والأبناء أرفعكم درجة يوم القيامة، والله تعالى يُشَفِّعُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَإِنْ كَانَ الْوَالِدُ أَرْفَعُ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ رَفَعَ إِلَيْهِ وَلَدَهُ وَإِنْ كَانَ الْوَالِدُ أَرْفَعُ دَرَجَةً رَفَعَ إِلَيْهِ وَالِدَهُ لَتَقَرَّ بِذَلِكَ أَعْيُنُهُمْ، ﴿فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ﴾، أي: ما قدر من الموارث، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾، بأمور العباد، ﴿حَكِيمًا﴾، بنصب الأحكام.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾، وهذا في ميراث الأزواج، ﴿وَلَهُنَّ الرُّبْعُ﴾، يعني: للزوجات الربع، ﴿مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوَصُّونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾، هذا في ميراث الزوجات وإذا كان للرجل أربع نسوة فهن يشتركن في الربع والثمن.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً﴾ ثورث كلاله، ونظم الآية: وإن كان رجل أو

= كثير : لكن كان حافظاً للفرائض معتنياً بها وبالْحَسَابِ، فالله أعلم».

وقال الحافظ ابن حجر في تلخيص الخبير: ٩٥/٣ «والحارث وإن كان ضعيفاً، فإن الإجماع منعقد على وفق ما روى». وقد حسن الألباني الحديث في الأزواء: ١٠٧/٦، وانظر أيضاً تفسير الطبري بتعليق الشيخ شاکر: ٤٦/٨ - ٤٧.

امرأة يُورث كلالته وهو نصب على المصدر، وقيل: على خبر ما لم يُسمَّ فاعله، وتقديره: إن كان رجل يورث ماله كلالته.

واختلفوا في الكلاله فذهب أكثر الصحابة إلى أن الكلاله مَنْ لَا وَدَّ لَهُ وَلَا وَالدَّ لَهُ. ورُوي عن الشعبي قال: سئل أبو بكر رضي الله عنه عن الكلاله فقال: إني سأقول فيها قولاً برأني فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمَنِّي ومن الشيطان، أراه ما خلا الوالد والولد، فلما استخلف عمر رضي الله عنهما قال: إني لأستحي من الله أن أردد شيئاً قاله أبو بكر رضي الله عنه^(١).

وذهب طاووس إلى أن الكلاله مَنْ لَا وَدَّ لَهُ، وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأحد القولين عن عمر رضي الله عنه^(٢)، واحتج من ذهب إلى هذا بقول الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِكُمْ فِي الْكِلَالَةِ إِنْ أَمَرُوا هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَالدَّ﴾، وبيانه عند العامة مأخوذ من حديث جابر بن عبد الله، لأن الآية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها أب ولا ابن، لأن أباه عبد الله بن حرام قُتل يوم أحد، وآية الكلاله نزلت في آخر عمر النبي ﷺ، فصار شأن جابر بياناً لمراد الآية لنزولها فيه.

واختلفوا في أن الكلاله اسم لمن؟ منهم من قال: اسم للميت، وهو قول علي وابن مسعود رضي الله عنهما، لأنه مات عن ذهاب طرفيه، فكُلَّ عمود نَسَبِهِ، ومنهم من قال: اسم للورثة، وهو قول سعيد بن جبير، لأنهم يتكلمون الميت من جوانبه، وليس في عمود نسبه أحدٌ، كالإكليل يحيط بالرأس ووسط الرأس منه خالٍ، وعليه يدل حديث جابر رضي الله عنه حيث قال: إنما يرثني كلاله، أي: يرثني ورثة ليسوا بولد ولا والد.

وقال النضر بن شميل: الكلاله اسم للمال، وقال أبو الخير: سأل رجل عُقبه عن الكلاله فقال: ألا تعجبون من هذا يسألني عن الكلاله، وما أعضل بأصحاب النبي ﷺ شيء ما أعضلت بهم الكلاله.

وقال عمر رضي الله عنه «ثلاث لأن يكون النبي ﷺ يبين لنا أحب إلينا من الدنيا وما فيها: الكلاله والخلافة وأبواب الربا»^(٣).

وقال معدان بن أبي طلحة: خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إني لا أدع بعدي شيئاً أهم عندي من الكلاله، ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلاله، وما أغلظ لي في

(١) أخرجه الطبري: ٥٤/٨، والبيهقي في السنن: ٢٢٣/٦ - ٢٢٤، وابن أبي شيبة وسعيد بن منصور وعبد الرزاق وابن المنذر. انظر: الكافي الشاف ص (٤٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٧/٨ - ٥٩.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٣٠٣/٢ وصححه على شرط الشيخين، وفيه محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة. قال الذهبي: بل ما خرَّجا محمد شيئاً ولا أدرك عمر. وأخرجه أيضاً عن عمرو بن مرة عن مرة عن عمر: ٣٠٤/٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه عبد الرزاق في المصنف: ٣٠٢/١٠، والبيهقي في السنن: ٢٢٥/٦. وانظر: كنز العمال: ٧٨/١١.

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ
 وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ
 عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾

شيء ما أغلظ لي في الكلالة، حتى طعن بأصبعه في صدري قال: «يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي
 في آخر سورة النساء» وإني إن أعش أقضي فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن^(١).

وقوله ألا تكفيك آية الصيف؟ أراد: أن الله عز وجل أنزل في الكلالة آيتين إحداهما في الشتاء وهي
 التي في أول سورة النساء والأخرى في الصيف، وهي التي في آخرها، وفيها من البيان ما ليس في آية
 الشتاء، فلذلك أحاله عليها.

قوله تعالى: ﴿وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس﴾، أراد به الأخ والأخت من الأم
 بالاتفاق، قرأ سعد بن أبي وقاص «وله أخ أو أخت من أم» ولم يقل لهما مع ذكر الرجل والمرأة من قبل،
 على عادة العرب إذا ذكرت اسمين ثم أخبرت عنهما، وكانا في الحكم سواءً ربما أضافت إلى أحدهما،
 وربما أضافت إليهما، كقوله تعالى: «واستعينوا بالصبر والصلاة وإتياها لكبيرة» (البقرة - ١٥٣)، ﴿فإن
 كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث﴾، فيه إجماع أن أولاد الأم إذا كانوا اثنين فصاعداً يشتركون في
 الثلث ذكرهم وأنتاهم، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته: ألا إن الآية التي أنزل الله تعالى
 في أول سورة النساء في شأن الفرائض أنزلها في الولد والوالد. والآية الثانية في الزوج والزوجة والإخوة من
 الأم، والآية التي ختم بها سورة النساء في الإخوة والأخوات من الأب والأم، والآية التي ختم بها سورة
 الأنفال أنزلها في أولي الأرحام بعضهم أول ببعض في كتاب الله، ﴿من بعد وصية يوصي بها أو ذنن غير
 مضار﴾ أي: غير مُدخل الضرر على الورثة بمجاوزته الثلث في الوصية، قال الحسن هو أن يوصي بدين
 ليس عليه، ﴿وصية من الله والله عليمٌ حلِيمٌ﴾، قال قتادة: كره الله الضرر في الحياة وعند الموت، ونهى
 عنه وقدم فيه.

﴿تلك حدود الله﴾، يعني: ما ذكر من الفروض المحدودة، ﴿ومن يطع الله ورسوله يُدخِلْهُ جَنَّاتٍ
 تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾.

﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يُدخِلْهُ نَارًا خالداً فيها وله عذاب مهين﴾، قرأ أهل

٨٠/ب

(١) أخرجه مسلم في الفرائض، باب ميراث الكلالة برقم (١٦١٧): ٣/١٢٣٦.

وَأَلَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ
فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّعُنَّ الْمَوْتَ أَوْ يُجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ

سَبِيلًا ﴿١٥﴾

المدينة وابن عامر «ندخله جنات، وندخله ناراً»، وفي سورة الفتح (ندخله) و (نعذبه) وفي سورة التغابن (نكفر) و (ندخله) وفي سورة الطلاق (ندخله) بالنون فيهن، وقرأ الآخرون بالياء.

قوله عز وجل: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾، يعني: الزنا، ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾، يعني: من المسلمين، وهذا خطاب للحكام، أي: فاطلبوا عليهن أربعة من الشهود، وفيه بيان أن الزنا لا يثبت إلا بأربعة من الشهود. ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾، فاحبسوهن، ﴿فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّعُنَّ الْمَوْتَ أَوْ يُجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾، وهذا كان في أول الإسلام قبل نزول الحدود، كانت المرأة إذا زنت حُبست في البيت حتى تموت، ثم نسخ ذلك في حق البكر بالجلد والتغريب، وفي حق الثيب بالجلد والرجم.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أخبرنا الشافعي رضي الله عنه أخبرنا عبد الوهاب عن يونس عن الحسن عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي: قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْد مِائَةٍ وَتَغْرِيبَ عَامٍ، وَالثَّيْبُ بِالثَّيْبِ جَلْد مِائَةٍ وَالرَّجْمَ»^(١)، قال الشافعي رضي الله عنه: وقد حدثني الثقة أن الحسن كان يُدْخَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادَةِ حَطَّانَ الرَّقَاشِيِّ، وَلَا أُدْرِي أَدْخَلَهُ عَبْدُ الْوَهَّابِ بَيْنَهُمَا فَنَزَلَ عَن كِتَابِي أَمْ لَا .

قال شيخنا الإمام: الحديث صحيح رواه مسلم بن الحجاج عن محمد بن المثني عن عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله عن عبادة^(٢)، ثم نُسخَ الجلد في حق الثيب وبقي الرجم عند أكثر أهل العلم.

وذهب طائفة إلى أنه يجمع بينهما. روي عن علي رضي الله عنه: أنه جَلَدَ شُرَاحَةَ الْهَمْدَانِيَةِ يَوْمَ

(١) أخرجه الشافعي في المسند: ٧٧/٢ (ترتيب المسند) وجاءت فيه العبارة الأخيرة هكذا: «ولا أدري أدخله عبد الوهاب بينهما — فترك من كتابي حين حُوِّلت — وهو في الأصل أو لا؟ والأصل يوم كتب هذا الكتاب غائب عني». والمصنف في شرح السنة: ٢٧٦/١٠.

(٢) أخرجه مسلم في الحدود، باب حد الزنا بقرم (١٦٩٠): ١٣١٦/٣.

وَالَّذِينَ يَأْتِيَنَهَا مِنْكُمْ فَتَاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾

الخميس مائة ثم رجمها يوم الجمعة، وقال: «جلدتها بكتاب الله ورحمتها بسنة رسول الله ﷺ»^(١).
وعامة العلماء على أن الثيب لا يجلد مع الرجم لأن النبي ﷺ رجم ماعزاً والغامدية ولم يجلدهما.
وعند أبي حنيفة رضي الله عنه: التغريب أيضاً منسوخ في حق البكر. وأكثر أهل العلم على أنه
ثابت، روى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ضَرَبَ وَغَرَّبَ، وأن أبا بكر رضي الله عنه
ضَرَبَ وَغَرَّبَ، وأن عمر رضي الله عنه ضَرَبَ وَغَرَّبَ^(٢).

واختلفوا في أن الإمساك في البيت كان حداً فنسخ أم كان حبساً ليظهر الحد؟ على قولين.
قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ﴾، يعني: الرجل والمرأة، والهاء راجعة إلى الفاحشة، قرأ ابن
كثير «الذنان، والذنين، وهاتان، وهذان» مشددة التون للتأكيد، وواقفه أهل البصرة في (فذانك)
والآخرون بالتخفيف، قال أبو عبيد: خصّ أبو عمرو (فذانك) بالتشديد لقلّة الحروف في الاسم
﴿فَاذُوهُمَا﴾ قال عطاء وقتادة: فغيروهما باللسان: أما حِفَّتَ اللهُ؟ أما استحيت من الله حيث زنت؟ قال
ابن عباس رضي الله عنهما: سُبُوهُمَا واشتموهما، قال ابن عباس: هو باللسان واليد يُؤذِي بالتعير وضرب
النعال.

فإن قيل: ذكر الحبس في الآية الأولى وذكر في هذه الآية الإيذاء، فكيف وجه الجمع؟
قيل: الآية الأولى في النساء وهذه في الرجال، وهو قول مجاهد، وقيل: الآية الأولى في الثيب وهذه في البكر.
﴿فَإِن تَابَا﴾، من الفاحشة ﴿وَأَصْلَحَا﴾، العمل فيما بعد، ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾، فلا تُؤذُوهُمَا، ﴿إِن
اللَّهُ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

وهذا كله كان قبل نزول الحدود، فُنسخت بالجلد والرجم، فالجلد في القرآن قال الله تعالى: «الزانية
والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» (النور — ٢) والرجم في السنة. أخبرنا أبو الحسن محمد بن
محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي
أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة وزيد بن

(١) أخرجه البخاري في الحدود، باب رجم المحسن: ١٢/ ١١٧.

(٢) أخرجه الترمذي في الحدود، باب ما جاء في النفي: ٤/ ٧١١ — ٧١٢ وقال: حديث غريب، وأخرجه الحاكم: ٤/ ٣٦٩/ وصححه
على شرط الشيخين، والبيهقي في السنن: ٨/ ٢٢٣، وصححه الألباني في الأرواء: ٨/ ١١، وانظر: نصب الراية: ٣/ ٣٣١.

خالد الجهنني رضي الله عنهما أنهما أخبراه أن رجلين اختصما إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما: اقض يا رسول الله بيننا بكتاب الله، وقال الآخر وكان أفقههما: أجل يا رسول الله فاقض بيننا بكتاب الله، وائذن لي أن أتكلم، قال: تكلم، قال: إن ابني كان عسيفاً على هذا، فزني بامرأته فأخبروني أن علي ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة وبجارية لي، ثم إني سألت أهل العلم فأخبروني أنما علي ابني جلد مائة وتغريب سنة، وإنما الرجم على امرأته، فقال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفسي بيده لأفضين بينكما بكتاب الله، أما غنمك وجاريتك فردّ عليك، وجلد ابنه مائة وغرّبه عاماً، وأمر أنيس الأسلمي أن يأتي امرأة الآخر فإن اعترفت رجمها» فاعترفت، فرجمها^(١).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد ابن اسماعيل، أخبرنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثني إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب عن عبيد بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس قال: قال عمر رضي الله عنه «إن الله تعالى بعث محمداً رسول الله ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله تعالى آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله تعالى، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى، والرجم في كتاب الله تعالى حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف»^(٢).

وجملة حدّ الزنا: أن الزاني إذا كان محصناً — وهو الذي اجتمع فيه أربعة أوصاف: العقل والبلوغ والحرية والإصابة بالنكاح الصحيح — فحدّه الرجم، مسلماً كان أو ذمياً، وهو المراد من الثيب المذكور في الحديث، وذهب أصحاب الرأي إلى أن الإسلام من شرائط الإحصان، ولا يرجم الذمّي^(٣)، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه رجم يهوديين زنياً، وكانا قد أحصنا.

وإن كان الزاني غير محصن بأن لم تجتمع فيه هذه الأوصاف يُنظر: إن كان غير بالغ أو كان مجنوناً فلا حدّ عليه، وإن كان حُرّاً عاقلاً بالغاً، غير أنه لم يُصب بنكاح صحيح فعليه جلد مائة وتغريب عام، وإن كان عبداً فعليه جلد خمسين، وفي تغريبه قولان، إن قلنا يُغرّب فيه قولان، أصحهما نصف سنة، كما يجلد خمسين على نصف حدّ الحرّ.

(١) أخرجه البخاري في الوكالة، باب الوكالة في الحدود: ٤/ ٤٩١ — ٤٩٢ وفي مواضع أخرى، ومسلم في الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، برقم (١٦٩٧): ٣/ ١٣٢٥، والمصنف في شرح السنة: ١٠/ ٢٧٤ — ٢٧٥.

(٢) أخرجه البخاري في الحدود، باب رجم الحبل من الزنا إذا أحصنت: ١٢/ ١٤٤ — ١٤٥ مطولاً، ومسلم في الحدود، باب رجم الثيب في الزنا، برقم (١٦٩١): ٣/ ١٣١٧. والمصنف في شرح السنة: ١٠/ ٢٨٠.

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص: ٥/ ٩٨ — ٩٩، فقد ذكر أن النبي ﷺ رجم اليهوديين قبل اشتراط الإحصان بالإسلام.

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ قال الحسن: يعني التوبة التي يقبلها، فيكون على بمعنى عند، وقيل: من الله، ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾، قال قتادة: أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أن كل ما عُصِيَ به الله فهو جهالة عمداً كان أو لم يكن، وكل من عَصَى الله فهو جاهل. وقال مجاهد: المراد من الآية: العمد، قال الكلبي: لم يجهل أنه ذنب / لكنه جهل عقوبته، وقيل: معنى الجهالة: اختيأهم اللذة الفانية على اللذة الباقية. ١/٨١

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾، قيل: معناه قبل أن يحيط السوء بحسناته فيحبطها، وقال السدي والكلبي: القريب: أن يتوب في صحته قبل مرض موته، وقال عكرمة: قبل الموت، وقال الضحاك: قبل مُعَايَنَةِ مَلَكِ الْمَوْتِ.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد ابن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا ابن ثوبان وهو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُفْرَغْ»^(١).

وأخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبد الجبار الرِّيَّانِي أَنَا حميد بن زنجويه أَنَا أَبُو الْأَسْوَدِ أَنَا ابْنُ لَيْعَةَ عَنْ دَرَّاجٍ عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعَزَّتْكَ يَا رَبِّ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، فَقَالَ الرَّبُّ: وَعَزَّتِي وَجَلَالِي وَارْتِفَاعُ مَكَانِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات، باب التوبة مفتوح بابها قبل الفرقة: ٥٢١/٩، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه في الزهد، باب ذكر التوبة، برقم (٤٢٥٣): ١٤٢٠/٢. وقال في الروائد: في إسناده الوليد بن مسلم، وهو مدلس، وقد عنعنه، وكذلك مكحول الدمشقي. وصححه الحاكم: ٢٥٧/٤ ووافقه الذهبي. وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٣٢/٢ وفي مواضع أخرى عن ابن عمر، والمصنف في شرح السنة: ٩٠/٥ - ٩١.

(٢) أخرجه الإمام أحمد: ٢٩/٣، ٤١ دون قوله: «وارتفاع مكاني».

وأخرجه الحاكم: من طريق أخرى عن دراج ٢٦١/٤ دون هذه الزيادة، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الروائد: ٢٠٧/١٠ «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح، وكذلك أحد إسنادي أبي يعلى».

وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات: ٢٢١/١ وفيه ابن ليعية عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري بمثل لفظ البغوي، وهو =

وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِيمَانَ وَلَا الَّذِينَ يُمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ اتِّيمُسُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً﴾.

﴿وليس التوبة للذين يعملون السيئات﴾، يعني: المعاصي ﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت﴾، ووقع في النزع، ﴿قال إني تبُّتُ الإيمان﴾، وهي حالة السُّوق حين تُساق روحه، لا يُقبل من كافر إيمان ولا من عاصي توبة، قال الله تعالى: «فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا» (غافر - ٨٥)، ولذلك لم ينفع إيمان فرعون حين أدركه الغرق. ﴿ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا﴾، أي: هيأنا وأعدنا، ﴿لهم عذاباً أليماً﴾.

﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا يحلُّ لكم أن تَرثوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾، نزلت في أهل المدينة كانوا في الجاهلية وفي أول الإسلام، إذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من عصبته فألقى ثوبه على تلك المرأة وعلى خباتها، فصار أحق بها من نفسها ومن غيره، فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق الأول الذي أصدقها الميت، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها، وإن شاء عضلها ومنعها من الأزواج يضارها لتفتدي منه بما ورثته من الميت، أو تموت هي فيرثها، فإن ذهبت المرأة إلى أهلها قبل أن يلقي عليها ولي زوجها ثوبه فهي أحق بنفسها، فكانوا على هذا حتى توفي أبو قيس بن الأسلت الأنصاري وترك امرأته كبيشة بنت معن الأنصارية، فقام ابن له من غيرها يقال له حصن، وقال مقاتل بن حيان: اسمه قيس بن أبي قيس، فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها، ثم تركها ولم ينفق عليها، يضارها لتفتدي منه، فأتت كبيشة رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أبا قيس توفي وورث نكاحي ابنه فلا هو ينفق علي ولا يدخل بي ولا يخلي سبيلي، فقال: «اقعدي في بيتك حتى يأتي فيك أمر الله»، فأنزل الله تعالى هذه الآية:

= عنده في شرح السنة: ٥ / ٧٦ باللفظ نفسه. وهذه الزيادة منكرة قال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١ / ١٦٤ «وعلة هذه الزيادة عندي من ابن لبيعة وهي من تخالطه».

وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١٠﴾

(يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً) (١).

قرأ حمزة والكسائي: كرهاً بضم الكاف، ها هنا وفي التوبة وقرأ الباقون بالفتح، قال الكسائي: هما لغتان. قال الفراء: الكره بالفتح ما أكره عليه، وبالضم ما كان من قبل نفسه من المشقة.

﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾، أي: لا تمنعهن من الأزواج لتضجر فتفتدي بعض ما لها، قيل: هذا خطاب لأولياء الميت، والصحيح أنه خطاب للأزواج.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي وترد إليه ما ساق إليها من المهر، فهي الله تعالى عن ذلك، ثم قال: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ﴾ فحينئذ يحل لكم إضرارهن ليفتدين منكم.

واختلفوا في الفاحشة، قال ابن مسعود وقتادة: هي النشوز، وقال بعضهم وهو قول الحسن: هي الزنا، يعني: المرأة إذا نشزت، أو زنت حلّ للزوج أن يسألها الخلع، وقال عطاء: كان الرجل إذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ما ساق إليها وأخرجها، فنسخ الله تعالى ذلك بالحدود.

وقر ابن كثير وأبو بكر ﴿مِينَةً، وَمِينَاتٍ﴾ بفتح الياء، ووافق أهل المدينة والبصرة في ﴿مِينَاتٍ﴾ والباقون بكسرها.

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، قال الحسن: رجع إلى أول الكلام، يعني ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ والمعاشرة بالمعروف: هي الإجمال في القول والمبيت والنفقة، وقيل: هو أن يتصنع لها كما تتصنع له، ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، قيل: هو ولد صالح، أو يعطفه الله عليها.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾، أراد بالزوج الزوجة ولم يكن من قبلها نشوز ولا فاحشة، ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾، وهو المال الكثير، صداقاً، ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ﴾، من القنطار، ﴿شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ﴾، استفهام بمعنى التوبيخ، ﴿بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾، انتصاها من وجهين أحدهما بنزع الخافض، والثاني بالاضمار تقديره: تصيبون في أخذه بهتاناً وإثماً ثم قال:

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول فقال قال المفسرون: كان أهل المدينة... ص ١٤٠ - ١٤١، وانظر: تفسير الطبري: ١٠٤/٨ - ١٠٨، والدر المنثور: ٤٦٣/٢.

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ، وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٦١﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٦٢﴾

﴿وكيف تأخذونه﴾، على طريق الاستمظام، ﴿وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾، أراد به الجماعة، ولكن الله حييُّ يُكني، وأصل الإفضاء: الوصول إلى الشيء من غير واسطة.

﴿وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾، قال الحسن وابن سيرين والضحاك وقتادة: هو قول الولي عند العقد: زوجتكها على ما أخذ الله للنساء على الرجال من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وقال الشعبي وعكرمة: هو ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهنَّ بأمانة الله تعالى واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله تعالى»^(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾، كان أهل الجاهلية ينكحون أزواج آبائهم، قال الأشعث بن سوار: ثوفي أبو قيس وكان من صالحى الأنصار فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت: إني اتخذتك ولداً وأنت من صالحى قومك، ولكنى آتى رسول الله ﷺ أستأمره، فأتته فأخبرته، فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف﴾^(٢)، قيل: بعد ما سلف، وقيل: معناه لكن ما سلف، أي: ما مضى في الجاهلية فهو معفو عنه، ﴿إنه كان فاحشة﴾ أي: إنه فاحشة، و«كان» فيه صلة، والفاحشة أقبح المعاصي، ﴿ومقتاً﴾ أي: يورث مقت الله، والمقت: أشدُّ البُغض، ﴿وساء سبيلاً﴾ وبمعنى ذلك طريقاً وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أبيه (مقيت) وكان منهم الأشعث بن قيس وأبو معيط بن أبي عمرو بن أمية^(٣).

أخبرنا محمد بن / الحسن المروزي أخبرنا أبو سهل محمد بن عمرو السجزي أنا الإمام أبو سليمان الخطابي أنا أحمد بن هشام الحضرمي أنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي عن حفص بن غياث عن أشعث ابن سوار عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: مرَّ بي خالي ومعه لواء فقلت: أين تذهب؟ قال: بعثني النبي ﷺ إلى رجل تزوج امرأة أبيه آتية برأسه^(٤).

(١) قطعة من حديث جابر في حجة الوداع، أخرجه مسلم في الحج، باب حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨): ٢ / ٨٨٦ - ٨٩٢.

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدى ص ١٧٩، وعزاه السيوطي للفرجاني وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي. انظر: الدر المنثور:

٤٦٨/٢.

(٣) في أ: (أسد).

(٤) روي هذا الحديث بألفاظ مختلفة، فقد أخرجه أبو داود في الحدود، باب الرجل يزني بجرمه: ٦ / ٢٦٧، والترمذي في الحدود، باب ما =

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ
 وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ
 الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن
 نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ
 عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا
 بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ الآية، بين الله تعالى في هذه الآية المحرمات بسبب
 الوصلة، وجملة المحرمات في كتاب الله تعالى أربعة عشر: سبع بالنسب، وسبع بالسبب.

فأما السبع بالسبب فمنها اثنتان بالرضاع وأربع بالصهرية والسابعة المحصنات، وهن ذوات الأزواج.

وأما السبع بالنسب قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ وهي جمع أم فيدخل فيهن الجدات
 وإن علون من قبل الأم ومن قبل الأب، ﴿وبَنَاتُكُمْ﴾، جمع: البنت، فيدخل فيهن بنات الأولاد وإن
 سفلن، ﴿وأخواتكم﴾، جمع الأخت سواء كانت من قبل الأب والأم أو من قبل أحدهما، ﴿وعماتكم﴾
 جمع العمّة، ويدخل فيهن جميع أخوات آبائك وأجدادك وإن علون، ﴿وخالاتكم﴾ جمع خالة، ويدخل
 فيهن جميع أخوات أمهاتك وجداتك، ﴿وبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾، ويدخل فيهن بنات أولاد الأخ
 والأخت وإن سفلن، وجملة: أنه يحرم على الرجل أصوله وفصوله وأول أصوله وأول فصل من كل
 أصل بعده، والأصول هي الأمهات والجدات، والفصول البنات وبنات الأولاد، وفصول أول أصوله هي
 الأخوات وبنات الإخوة والأخوات، وأول فصل من كل أصل بعده ههن العمات والخالات وإن علون.
 وأما المحرمات بالرضاع فقوله تعالى: ﴿وأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ﴾.

= جاء فيمن تزوج امرأة أبيه: ٤/ ٥٩٨، وقال: حسن غريب، والنسائي في النكاح، باب نكاح ما نكح الآباء: ٦/ ١٠٩ - ١١٠،
 وابن ماجه في الحدود، باب من تزوج امرأة أبيه من بعده، برقم (٢٦٠٧): ٢/ ٨٦٩، والدارقطني في النكاح، باب الرجل يتزوج امرأة
 أبيه: ٢/ ١٥٣، وأحمد في المسند: ٤/ ٢٩٥، والمصنف في شرح السنة: ١٠/ ٣٠٥، وقال: هذا حديث حسن غريب، وفي مسنده
 الأشعث بن سوار الكندي: ضعيف (التقريب).

وقال المنذري بعد أن ساق رواياته: وقد اختلف في هذا اختلافاً كثيراً.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار: ٨/ ٣٢٢: «وللحديث أسانيد كثيرة، ومنها ما رجاله رجال الصحيح» وصححه الألباني في إرواء
 الغليل: ٨/ ١٨ - ٢٢.

وجملته: أنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن دينار عن سليمان بن يسار عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يُحْرَمُ مِنَ الرُّضَاعَةِ مَا يُحْرَمُ مِنَ الْوِلَادَةِ»^(١).

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي قال: أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها أخبرتها أن رسول الله ﷺ كان عندها وأنها سمعت صوت رجل يستأذن في بيت حفصة، فقالت عائشة رضي الله عنها فقلت: يا رسول الله لو كان فلان حياً — لعمها من الرضاعة — أيدخل عليّ؟ فقال رسول الله ﷺ «نعم إن الرضاعة تحرم ما يحرم من الولادة»^(٢).

وإنما تثبت حرمة الرضاع بشرطين، أحدهما: أن يكون قبل استكمال المولود حولين، لقوله تعالى «والوالدات يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ» (البقرة — ٢٣٣) وروى عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء»^(٣) وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا رضاع إلا ما أنشز العظم وأنبت اللحم»^(٤)، وإنما يكون هذا في حال الصغر.

وعند أبي حنيفة رضي الله عنه: مدة الرضاع ثلاثون شهراً، لقوله تعالى: «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً» (الأحقاف — ١٥)، وهو عند الأكثرين لأقل مدة الحمل، وأكثر مدة الرضاع وأقل مدة الحمل ستة أشهر.

والشرط الثاني أن يوجد خمس رضعات متفرقات، يُروى ذلك عن عائشة رضي الله عنها، وبه قال عبد الله بن الزبير وإليه ذهب الشافعي رحمه الله تعالى.

وذهب أكثر أهل العلم إلى أن قليل الرضاع وكثيره يحرم، وهو قول ابن عباس وابن عمر، وبه قال

(١) أخرجه مسلم في الرضاع، باب يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة، برقم (١٤٤٤): ٤/١٠٦٨، والمصنف في شرح السنة: ٧٣/٩.

(٢) أخرجه البخاري في النكاح، باب «وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم»: ١٣٩/٩ — ١٤٠، وفي مواضع أخرى، ومسلم في الرضاع، باب يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة برقم (١٤٤٤): ٤/١٠٦٨، والمصنف في شرح السنة: ٧٢/٩ — ٧٣.

(٣) أخرجه للترمذي في الرضاع، باب ما جاء أن الرضاعة لا تحرم إلا في الصغر دون الحولين: ٤/٣١٣. وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه عن عبد الله بن الزبير بلفظ: لا رضاعة إلا ما فتق الأمعاء، برقم (١٩٤٦): ١/٦٢٦، وابن حبان في النكاح برقم (١٢٥٠) ص (٣٠٥) من موارد الظمان، وابن ماجه في النكاح برقم (١٩٤٦): ١/٦٢٦، بلفظ «لا رضاعة إلا ما فتق الأمعاء». وانظر: إرواء الغليل: ٧/٢٢١ — ٢٢٢.

(٤) أخرجه أبو داود في النكاح، باب في رضاعة الكبير: ٣/١١، قال المنذري: سئل أبو حاتم الرازي عن أبي موسى الهلالي؟ فقال: هو مجهول وأبوه مجهول. وأخرجه البيهقي في السنن: ٧/٤٦١، والدارقطني: ٤/١٧٣، وأحمد: ١/٤٣٢، والحديث ضعفه الألباني في إرواء الغليل: ٧/٢٢٣.

سعيد بن المسيب وإليه ذهب سفيان الثوري، ومالك والأوزاعي وعبد الله بن المبارك وأصحاب الرأي^(١). واحتج من ذهب إلى أن القليل لا يحرم بما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو العباس الأصبم أنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنا أنس بن عياض عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحرم المصّة من الرضاع والمصتان» هكذا روى بعضهم هذا الحديث^(٢)، ورواه عبد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ، وهو الصحيح^(٣).

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: كان فيما أنزل في القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نُسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهنّ فيما يُقرأ من القرآن^(٤).

وأما المحرمات بالصهرية فقوله: ﴿وَأُمَّهَاتُ نَسَائِكُمْ﴾، وجملته: أن كل من عقد النكاح على امرأة تحرم على الناكح أمهات المنكوحة وجداتها وإن علون من الرضاة والنسب بنفس العقد.

﴿وَرِيَابِكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نَسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾، والرياب جمع: ريبية: وهي بنت المرأة، سُميت ريبية لتربيته إياها، وقوله: ﴿فِي حُجُورِكُمْ﴾ أي: في تربيتكم، يقال: فلان في حُجر فلان إذا كان في تربيته، ﴿دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ أي: جامعتموهنّ.

ويحرم عليه أيضاً بنات المنكوحة وبنات أولادها، وإن سَقَلن من الرضاة والنسب بعد الدخول بالمنكوحة، حتى لو فارق المنكوحة قبل الدخول بها أو ماتت جازاً له أن ينكح بنتها، [ولا يجوز له أن ينكح أمهات]^(٥) لأن الله تعالى أطلق تحريم الأمهات وقال في تحريم الرياب:

﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، يعني: في نكاح بناتهنّ إذا فارقتموهنّ أو مِتْن، وقال علي رضي الله عنه: أم المرأة لا تحرم إلا بالدخول بالبنت كالربيبة.

﴿وَحَلَائِلُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾، يعني: أزواج آبائكم، وأحدتها: حَليلة، والذكر حَليل،

(١) انظر: الإشراف على مذاهب العلماء لابن المنذر: ٤/ ١٠٩ - ١١٣.

(٢) انظر: سنن الترمذي مع التحفة: ٤/ ٣٠٧ - ٣٠٨، إرواء الغليل للألباني: ٧/ ٢٢٠.

(٣) أخرجه مسلم في الرضاة - باب في المصّة والمصتين، برقم (١٤٥٠): ٢/ ١٠٧٣ - ١٠٧٤، والمصنف في شرح السنة: ٩/ ٨١، ١١١/ ٤.

(٤) أخرجه مسلم في الرضاة، باب التحريم بخمس رضعات برقم (١٤٥٢): ٢/ ١٠٧٥، والمصنف في شرح السنة: ٩/ ٨٠.

(٥) ساقط من نسخة: (أ).

سُميا بذلك لأن كل واحد منها [حلال لصاحبه، وقيل: سُميا بذلك لأن كل واحد منهما] ^(١) يَحِلُّ حيث يحلُّ صاحبه من الحلول وهو النزول، وقيل: إن كل واحدٍ منهما يحلُّ إزارَ صاحبه من الحَل وهو ضدَّ العَقْل.

وجملته: أنه يحرم على الرجل حلائل أبنائه وأبناء أولاده وإن سَفَلُوا من الرضاع والنسب بنفس العقد، وإنما قال «من أصلا بكم» ليعلم أن حليلة المتبني لا تحرم على الرجل الذي تبناه، فإن النبي ﷺ تزوج امرأة زيد بن حارثة، وكان زيدُ تبناه رسول الله ﷺ.

والرابع من المحرمات بالصهرية: حليلة الأب والجد وإن علا، فيحرم على الولد ووليد الولد بنفس العقد سواء كان الأب من الرضاع أو من النسب، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾، وقد سبق ذكره.

وكل امرأة تحرم عليك بعقد النكاح تحرم بالوطء في ملك اليمين، والوطء بشبهة النكاح، حتى لو وطئ امرأة / بالشبهة أو جارية بملك اليمين فتحرم على الواطئ أم الموطوءة وابنتها وتحرم الموطوءة على أب الواطئ وعلى ابنه.

ولو زنى بامرأة فقد اختلف فيه أهل العلم: فذهبت جماعة إلى أنه لا تحرم على الزاني أم المَزْنِي بها وابنتها، وتحرم الزانية على أب الزاني وابنه، وهو قول علي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال سعيد بن المسيب وعروة والزهري، وإليه ذهب مالك والشافعي رحمهم الله تعالى.

وذهب قومٌ إلى التحريم، يُروى ذلك عن عمران بن حصين وأبي هريرة رضي الله عنهما، وبه قال جابر ابن زيد والحسن وهو قول أصحاب الرأي.

ولو لمس امرأة بشهوة أو قبلها، فهل يُجعل ذلك كالدخول في إثبات حرمة المصاهرة؟ وكذلك لو لمس امرأة بشهوة فهل يُجعل كالوطء في تحريم الربيبة؟ فيه قولان، أصحهما وهو قول أكثر أهل العلم: أنه تثبت به الحرمة، والثاني: لا تثبت كما لا تثبت بالنظر بالشهوة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ﴾، لا يجوز للرجل أن يجمع بين الأختين في النكاح سواء كانت الأخوة بينهما بالنسب أو بالرضاع، فإذا نكح امرأة ثم طلقها بائناً جاز له نكاح أختها، وكذلك لو ملك أختين بملك اليمين لم يجر له أن يجمع بينهما في الوطء، فإذا وطئ إحداهما لم يحل له وطء الأخرى حتى يُحرّم الأولى على نفسه.

وكذلك لا يجوز أن يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها، لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي

(١) ساقط من نسخة (أ).

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ بِأُجُورَهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها»^(١).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ يعني: لكن ما مضى فهو معفو عنه، لأنهم كانوا يفعلونه قبل الإسلام، وقال عطاء والسدي: إلا ما كان من يعقوب عليه السلام فإنه جمع بين ليا أم يهوذا وراحيل أم يوسف، وكانتا أختين. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، يعني: ذوات الأزواج، لا يحل للغير نكاحهن قبل مفارقة الأزواج، وهذه السابعة من النساء اللاتي حُرِّمَتْ^(٢) بالسبب.

قال أبو سعيد الخدري: نزلت في نساء كُنَّ يهاجرن إلى رسول الله ﷺ وهن أزواج فيتزوجهن بعض المسلمين، ثم قدم أزواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن^(٣)، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، يعني: السبايا اللواتي سُبِينَ وهن أزواج في دار الحرب فيحل لِمَالِكِهِنَّ وطوهرن بعد الاستبراء، لأن بالسبي يرتفع النكاح بينها وبين زوجها.

قال أبو سعيد الخدري: بعث رسول الله ﷺ يوم حنين جيشاً إلى أوطاس فأصابوا سبايا لهن أزواج من المشركين، فكرهوا غشيانهن، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٤).

وقال عطاء: أراد بقوله ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أن تكون أمته في نكاح عبده فيجوز أن ينزعها منه.

(١) أخرجه البخاري في النكاح، باب لا تنكح المرأة على عمتها: ٩/١٦٠، ومسلم في النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها... برقم (١٤٠٨): ٢/١٨٢٠. والمصنف في شرح السنة: ٩/٦٦.

(٢) في ي: (حُرِّمْنَ).

(٣) انظر الدر المنثور: ٢/٤٨٠.

(٤) أخرجه مسلم في الرضاع، باب وطء المسيية بعد الاستبراء... برقم (١٤٥٦): ٢/١٠٧٩.

وقيل: أراد بالمحصنات الحرائر، ومعناه: أن ما فوق الأربع حرامٌ منهن إلا ما ملكت أيماكنكم، فإنه لا عددٌ عليكم في الجوارى.

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾، نصب على المصدر، أي: كتب الله عليكم كتاب الله، وقيل: نصب على الإغراء، أي: الزموا كتاب الله عليكم، أي: فرض الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَّرَاءَ ذَلِكَ﴾، قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وحفص ﴿أَحَلَّ﴾ بضم الأول وكسر الحاء، لقوله ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾، وقرأ الآخرون بالنصب، أي: أحلَّ الله لكم ما وراء ذلكم، أي: ما سوى ذلكم الذي ذكرتُ من المحرمات، ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾، تطلبوا، ﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾، أي تنكحوا بصداق أو تشتروا بضمن، ﴿مُحْصِنِينَ﴾، أي: متزوجين متعففين، ﴿غَيْرِ مُسَافِحِينَ﴾، أي: غير زانين، مأخوذةً من سَفَحِ الماءِ وصبه وهو المنى، ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾، اختلفوا في معناه، فقال الحسن ومجاهد: أراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح، ﴿فَأَتَوْهِنَّ أَجُورَهُنَّ﴾، أي: مهورهن، وقال آخرون: هو نكاح المتعة وهو أن ينكح امرأةً إلى مدةٍ فإذا انقضت تلك المدة بانث منه بلا طلاق، وتستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث، وكان ذلك مباحاً في ابتداء الإسلام، ثم نهى عنه رسول الله ﷺ.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا محمد بن عبد الله بن نعيم أنا أبي أنا عبد العزيز بن عمر حدثني الربيع بن سبرة الجهني أن أباه حدثه أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إني كنتُ أدنُّتُ لكم في الاستمتاع من النساء، وإنَّ الله تعالى قد حرَّم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليُخلِّ سبيلَه ولا تأخذوا مما آتيتموهنَّ شيئاً»^(١).

وأخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي عن أبيهما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحمر الإنسية^(٢).

وإلى هذا ذهب عامة أهل العلم: أن نكاح المتعة حرام، والآية منسوخة.

(١) أخرجه مسلم في النكاح، باب نكاح المتعة برقم (١٤٠٦) ٢/ ١٠٢٥، والمصنف في شرح السنة: ٩/ ١٠٠.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة خيبر: ٧/ ٤٨١، ومسلم في النكاح، باب نكاح المتعة برقم (١٤٠٧) ٢/ ١٠٢٧، والمصنف في شرح السنة: ٩/ ٩٩.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ٧/ ٤٨٢ — ٢٨٣ «قيل إن في الحديث تقدماً وتأخيراً»، والصواب: نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الإنسية وعن متعة النساء، وليس يوم خيبر طرفاً لمتعة النساء، لأنه لم يقع في غزوة خيبر تمتع بالنساء». ثم بسط ذلك في كتاب النكاح.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يذهب إلى أن الآية محكمة، ويُرخص في نكاح المتعة. ورُوي عن أبي نضرة قال سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن المتعة، فقال: أما تقرأ في سورة النساء: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؟ قلت: لا أقرأها هكذا، قال ابن عباس: هكذا أنزل الله، ثلاث مرات. وقيل: إن ابن عباس رضي الله عنهما رجع عن ذلك^(١).

وروى سالم عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ما بال رجال ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله ﷺ عنها؟ لا أجد رجلاً نكحها إلا رجمته بالحجارة، وقال: هدم المتعة النكاح والطلاق والعدّة والميراث^(٢).

قال الربيع بن سليمان: سمعتُ الشافعي رضي الله عنه يقول: لا أعلم في الإسلام شيئاً أحلّ ثم حُرّم ثم أحلّ ثم حُرّم غير المتعة.

قوله تعالى: ﴿فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أي: مهرهن، ﴿فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾، فمن حمل ما قبله على نكاح المتعة أراد أنهما [إذا عَقَدَ عَقْدًا إِلَى أَجَلٍ بِمَالٍ]^(٣)

(١) أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: إنما كانت المتعة في أول الإسلام، كان الرجل يقدم البلدة ليس له بها معرفة فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه يقيم، فتحفظ له متاعه وتصلح له شيبته، حتى إذا نزلت الآية: «إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم» قال ابن عباس فكل فرج سواهما فهو حرام.

وفيه: موسى بن عبيدة: ضعيف. قال ابن حجر في الفتح: ١٧٣/٩ «روي عن ابن عباس الرجوع عن القول بجواز المتعة بأسانيد ضعيفة، وإجازة المتعة عنه أصح».

وقال ابن المنذر في الإشراف: ٧٥/٤ «ثبت أن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة، ودلّ قوله: «ألا وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة» على أن الفسخ لا يجوز أن يقع عليه. وقد روينا أخباراً عن الأئمة بإباحة ذلك، وليس لها معنى ولا فيها فائدة مع سنة رسول الله ﷺ. ومن نهى عن المتعة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وقال القاسم بن محمد: تحريمها في القرآن: «والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، فإنهم غير ملومين» روي عن ابن مسعود أنه قال: نسخها آية الطلاق والعدّة والميراث. وروي عن علي أنه قال ذلك. وقال ابن عمر: ما أعلمه إلا السفاح. وقال ابن الزبير: المتعة: الزنا الصريح، ولا أعلم أحداً يعمل بها إلا رجمته. وقال الحسن البصري: ما كانت المتعة إلا ثلاثة أيام حتى حرمها الله تعالى ورسوله ﷺ.

ومن أبطل نكاح المتعة: مالك والثوري والشافعي وإسحاق وأبو ثور وأصحاب الرأي، ولا أعلم أحداً يميز اليوم نكاح المتعة إلا بعض الرافضة، ولا معنى لقول يخالف القائل به الكتاب والسنة».

هذا، وكان ابن عباس رضي الله عنه يتأول في إباحة المتعة للمضطر إليها بطول العزبة وقلة اليسار، ثم توقف عنه بعد أن قيل له: لقد سارت بفتياك الركبان.... فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. والله ما بهذا أفتيت ولا هذا أردت، ولا أحللت إلا مثل ما أحلّ الله من الميتة والدم ولحم الخنزير، وما تحلّ إلا للمضطر، وما هي إلا كالميتة والدم ولحم الخنزير. انظر: تفسير القرطبي: ١٢٩/٥ — ١٣٣، فتح الباري: ٩/١٦٦ — ١٧٤ معالم السنن للخطابي: ٣/١٨، تلخيص الحبير: ٣/١٥٤ — ١٥٦، نيل الأوطار: ٧/٣٠٤ — ٣١٠، ورسالة عن النكاح للشيخ محمد الحامد في مجموعة رسائله: ص ٥ — ٩٧، خاتم النبيين للشيخ محمد أبو زهرة: ٢/١٠٨٩ — ١٠٩٧، وعامة كتب الفقه في باب النكاح، الجزء الأول من شرح قانون الأحوال الشخصية للسباعي.

(٢) أخرجه ابن المنذر والبيهقي من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه انظر: فتح الباري: ٩/١٧٣.

(٣) جاءت هذه العبارة في «أ» كما يلي: (إذا عَقَدَ إِلَى أَجَلٍ بِمَالٍ).

فإذا تمَّ الأجل فإن شاءت المرأة زادت في الأجل وزاد الرجل في الأجر، وإن لم يتراضيا فارقها، ومن حمل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح، قال المراد بقوله ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ﴾ من الإبراء عن المهر والافتداء والاعتياض ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

[فصل في قدر الصداق وفيما يُستحب منه]

اعلم أنه لا تقدير لأكثر الصداق لقوله تعالى: ﴿وَأْتِمُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ والمستحب أن لا يُغالي فيه، قال عمر بن الخطاب: ألا لا تغالوا صدقة النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان أولاكم بها نبيُّ الله ﷺ ما علمتُ رسولَ الله ﷺ نكح شيئاً من نسائه ولا أنكح شيئاً من بناته على أكثر من اثنتي عشرة أوقية^(١).

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا جعفر بن محمد المفلس أنا هارون بن إسحاق أنا يحيى بن محمد الحارثي أنا عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن عبد الله بن الهادي عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة قال: سألت عائشة رضي الله عنها كم كان صداق النبي ﷺ لأزواجه؟ قالت: كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشأ، قالت: أتدري ما النشأ؟ قلت: لا، قالت: نصف أوقية، فتلك خمسمائة درهم، هذا صداق النبي ﷺ لأزواجه^(٢).

أما أقل الصداق فقد اختلفوا فيه: فذهب جماعة إلى أنه لا تقدير لأقله، بل ما جاز أن يكون مبيعاً أو ثمناً جاز أن يكون صداقاً، وهو قول ربيعة وسفيان الثوري والشافعي وأحمد وإسحاق، قال عمر بن الخطاب: في ثلاث قبضات زيب مهر، وقال سعيد بن المسيب: لو أصدقها سوطاً جاز.

وقال قوم: يتقدر: بنصاب السرقة، وهو قول مالك وأبي حنيفة، غير أن نصاب السرقة عند مالك ثلاثة دراهم وعند أبي حنيفة عشرة دراهم.

والدليل على أنه لا يتقدر: ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي قال: أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إني قد وهبت نفسي لك، فقامت قياماً طويلاً فقام رسول الله ﷺ

(١) أخرجه أبو داود في النكاح، باب الصداق: ٤٦/٣، والترمذي في النكاح، باب ما جاء في مهر النساء: ٢٥٥/٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في النكاح، باب القسط في الأصدقة: ١١٧/٦، والدارمي في النكاح، باب كم كانت مهر أزواج النبي ﷺ وبناته: ٤١/٢، والبيهقي في السنن: ٢٣٤/٧، وصححه الحاكم في المستدرک: ١٧٥/٢، وابن حبان برقم (٢٥٩) ص (٣٠٧) من موارد الظمان، وأحمد في المسند: ٤٠/١، ٤١، ٤٨.

(٢) أخرجه مسلم في النكاح، باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد... برقم (١٤٢٦): ١٠٤٢/٢.

وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ
 مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ
 بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ
 غَيْرُ مُسَفِّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُنَّ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ
 نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ
 تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾

رجل فقال: يا رسول الله زوجنيها إن لم يكن لك فيها حاجة، فقال رسول الله ﷺ «هل عندك من شيء تصدقها؟» قال: ما عندي إلا إزارى هذا، قال رسول الله ﷺ: «إن أعطيتها جلست لا إزار لك، فاتمس شيئا»، فقال: ما أجد، فقال: «فاتمس ولو خاتماً من حديد»، فاتمس فلم يجد شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: «هل معك من القرآن شيء؟» قال: نعم سورة كذا وسورة كذا — لسور سماها — فقال النبي ﷺ: «قد زوجتكها بما معك من القرآن»^(١).

وفيه دليل على أنه لا تقدير لأقل الصداق، لأنه قال: «اتمس شيئاً» فهذا يدل على جواز أي شيء كان من المال، وقال: «ولو خاتماً من حديد»، ولا قيمة لخاتم الحديد إلا القليل النافه.

وفي الحديث دليل على أنه يجعل تعليم القرآن صداقاً وهو قول الشافعي رحمه الله، وذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يجوز، وهو قول أصحاب الرأي، وكل عمل جاز الاستتجار عليه مثل البناء والخياطة وغير ذلك من الأعمال جاز أن يجعل صداقاً، ولم يجوز أبو حنيفة رضي الله عنه أن يجعل منفعة الحر صداقاً، والحديث حجة لمن جوزه بعدما أخبر الله تعالى عن شعيب عليه السلام حيث زوج ابنته من موسى عليهما السلام على العمل، فقال: «إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانين حبيج» (القصص — ٢٧).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً﴾، أي: فضلاً وسعة، ﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾، الحرائر ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾، قرأ الكسائي ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ بكسر الصاد حيث كان، إلا قوله في هذه السورة والمحصنات من النساء، وقرأ الآخرون بفتح جميعها، ﴿فَمِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيَاتِكُمْ﴾، إمائكم، ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾،

(١) أخرجه البخاري في النكاح، باب تزويج المعسر: ١٣١/٩، ومسلم في النكاح، باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن.. برقم (١٤٢٥): ٢/١٠٤٠ — ١٠٤١، والمصنف في شرح السنة: ١١٧/٩.

أي: من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة، فليتزوج الأمة المؤمنة.

وفيه دليل على أنه لا يجوز للحرّ نكاح الأمة إلا بشرطين، أحدهما: أن لا يجدهم حرّة، والثاني أن يكون خائفاً على نفسه من العنت، وهو الزنا، لقوله تعالى في آخر الآية: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾، وهو قول جابر رضي الله عنه، وبه قال طاووس وعمرو بن دينار، وإليه ذهب مالك والشافعي. وجوز أصحاب الرأي للحرّ نكاح الأمة إلا أن تكون في نكاحه حرة، أما العبد فيجوز له نكاح الأمة وإن كان في نكاحه حرة أو أمة، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يجوز إذا كانت تحتة حرة، كما يقول في الحرّ.

وفي الآية دليل على أنه لا يجوز للمسلم نكاح الأمة الكتابية لأنه قال ﴿فمما ملكت أيماكم من فيياتكم المؤمنات﴾، جوز نكاح الأمة بشرط أن تكون مؤمنة، وقال في موضع آخر: «وطعام الذين أوتوا الكتاب جلّ لكم وطعامكم جلّ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب» (المائدة — ٥) أي: الحرائر، جوز نكاح الكتابية، بشرط أن تكون حرّة، وجوز أصحاب الرأي للمسلم نكاح الأمة الكتابية، وبالاتفاق يجوز وطؤها بملك اليمين.

[والله أعلم بإيمانكم]، أي: لا تعرضوا للباطن في الإيمان وتخذوا بالظاهر فإن الله أعلم بإيمانكم^(١).

﴿بعضكم من بعض﴾، قيل: بعضكم إخوة لبعض، وقيل: كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الإماء، ﴿فانكحوهن﴾، يعني: الإماء ﴿بإذن أهلهن﴾، أي: مواليهن، ﴿وأتوهن أجورهن﴾، مهرهن، ﴿بالمعروف﴾ من غير مظل وضرار، ﴿محصنات﴾، عفاف بالنكاح، ﴿غير مسافحات﴾، أي: غير زانيات، ﴿ولا متخذات أهدان﴾، أي: أحباب تزنون بهن في السرّ، قال الحسن: المسافحة هي أن كل من دعاها تبعته، وذات أهدان أي: تختص بواحد لا تزني إلا معه، والعرب كانت تحرم الأولى وتجوّز الثانية، ﴿فاذا أحصن﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بفتح الألف والصاد، أي: حفظن فروجهن، وقال ابن مسعود: أسلمن، وقرأ الآخرون: ﴿أحصن﴾ بضم الألف وكسر الصاد، أي: زوّجن ﴿فإن أتين بفاحشة﴾، يعني: الزنا، ﴿فعلين نصف ما على المحصنات﴾، أي: ما على الحرائر الأبكار إذا زنين، ﴿من العذاب﴾، يعني: الحدّ، فيجلد الرقيق إذا زنى خمسين جلدة، وهل يُعرب؟ فيه قولان، فإن قلنا يُعرب فيعرب نصف سنة على القول الأصح ولا رجم على العبيد.

رُوي عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة قال: أمرني عمر بن الخطاب رضي الله عنه في فتية من

(١) ساقط من نسخة (أ).

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٦﴾

قريش فجلدنا ولأئد من ولأئد^(١) الإمارة خمسين في الزنا .

ولا فرق في حد المملوك بين من تزوج أو لم يتزوج عند أكثر أهل العلم، وذهب بعضهم إلى أنه لا حد على من لم يتزوج من الممالك إذا زنى، لأن الله تعالى قال: ﴿فَإِذَا أَحْصَنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْنَّ نَصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ وروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال طاووس.

ومعنى الإحصان عند الآخرين الإسلام، وإن كان المراد منه التزويج فليس المراد منه أن التزويج شرط لوجوب الحد عليه، بل المراد منه التنبيه على أن المملوك وإن كان محصناً بالتزويج فلا رجم عليه، إنما حدّه الجلد بخلاف الحرّ، / فحدّ الأمة ثابت بهذه الآية، وبيان أنه بالجلد في الخبر وهو ما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني الليث عن سعيد يعني المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرّب عليها، ثم إن زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر»^(٢).

أ/٨٣

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾، يعني: نكاح الأمة عند عدم الطول، ﴿لَمَنْ حَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾، يعني: الزنا، يريد المشقة لغلبة الشهوة، ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾، عن نكاح الإماء متعفين، ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾، لئلا يخلق الولد رقيقاً ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾، أي: أن يبين لكم، كقوله تعالى: «وأمرت لأعدل بينكم» (الشورى - ١٥) أي: أن أعدل، وقوله: «وأمرنا لنسلم لرب العالمين» (الأنعام - ٧١)، وقال في موضع آخر «وأمرت أن أسلم» (غافر - ٦٦).

ومعنى الآية: يريد الله أن يبين لكم، أي: يوضح لكم شرائع دينكم ومصالح أموركم، قال عطاء: يبين لكم ما يقربكم منه، قال الكلبي: يبين لكم أن الصبر عن نكاح الإماء خير لكم، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ﴾، ويرشدكم، ﴿سُنْنَ﴾، شرائع، ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، في تحريم الأمهات والبنات والأخوات، فإنها كانت محرمة على من قبلكم.

(١) جمع وليدة، وهي: الأمة.

(٢) أخرجه البخاري في البيوع، باب بيع المدبر: ٤ / ٤٢١، ومسلم في الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا برقم (١٧٠٣):

١٣٢٨/٣، والمصنف في شرح السنة: ١٠ / ٢٩٧.

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا
مِيلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً
عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾

وقيل: ويهديكم الملة الخنيفية وهي ملة إبراهيم عليه السلام، ﴿ويتوب عليكم﴾، ويتجاوز عنكم ما أصبتم قبل أن يبين لكم، وقيل: يرجع بكم من المعصية التي كنتم عليها إلى طاعته، وقيل: يوفقكم للتوبة ﴿والله عليم﴾ بمصالح عباده في أمر دينهم وديناهم، ﴿حكيم﴾، فيما دبر من أمورهم.

﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾، إن وقع منكم تقصير في أمر دينه ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا﴾، عن الحق، ﴿میلًا عظيماً﴾ بإتيانكم ما حرم عليكم، واختلفوا في الموصوفين باتباع الشهوات، قال السدي: هم اليهود والنصارى، وقال بعضهم: هم الجوس لأنهم يُحلون نكاح الأخوات وبنات الأخ والأخت، وقال مجاهد: هم الزناة يريدون أن تميلوا عن الحق فتزنون كما يزنون، وقيل: هم جميع أهل الباطل.

﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾، يسهل عليكم في أحكام الشرع، وقد سهل كما قال جل ذكره: ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾ (الأعراف - ١٥٧) وقال النبي ﷺ: «بعثت بالحنيفية السمحة السهلة»^(١)، ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾، قال طاووس والكلبي وغيرهما في أمر النساء: لا يصير عنهن، وقال ابن كيسان: ﴿خلق الإنسان ضعيفاً﴾ يستميله هواه وشهوته، وقال الحسن: هو أنه خلق من ماء مهين، بيانه قوله تعالى: «الله الذي خلقكم من ضعيف» (الروم - ٥٤).

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾، بالباطل، يعني: بالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة ونحوها، وقيل: هو العقود الفاسدة ﴿إلا أن تكون تجارة﴾، قرأ أهل الكوفة ﴿تجارة﴾ نصب على خبر كان، أي: ألا أن تكون الأموال تجارة، وقر الآخرون بالرفع، أي: إلا أن تقع تجارة، ﴿عن قراض منكم﴾، أي بطيبة نفس كل واحد منكم.

وقيل: هو أن يجيز كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع، فيلزم، وإلا فلهما الخيار ما لم يتفرقا

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٥/ ٢٦٦ عن أبي أمامة، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه: ٢/ ٢٠٤، والطبراني في الكبير، وفيه

على بن يزيد الألهاني: ضعيف. انظر: مجمع الزوائد: ٥/ ٢٧٩.

والحديث حسن لتعدد طرقه وشواهد. انظر: النهج السديد في تخریج أحاديث تيسير العزيز الحميد، ص(٣٣٣ - ٣٣٤).

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى

لَمَّا أَخْبَرْنَا أَبُو الْحَسَنِ السَّرْحَسِي أَخْبَرْنَا زَاهِرُ بْنُ أَحْمَدَ أَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْهَاشِمِي أَنَا أَبُو مَصْعَبٍ عَنْ مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُتَبَايِعَانِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْخِيَارِ عَلَى صَاحِبِهِ، مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا إِلَّا بِبَيْعِ الْخِيَارِ»^(١).

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَي لَا تُهْلِكُوهَا، كَمَا قَالَ: «وَلَا تُقْلِقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» (البقرة — ١٩٥)، وَقِيلَ: لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ.

وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ نَفْسِهِ، أَخْبَرْنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَطِيبُ أَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَحْمَدَ الْخَلَّالُ أَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَصْمُ أَنَا الرَّبِيعُ أَنَا الشَّافِعِيُّ أَنَا ابْنُ عَيْنَةَ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قَلَابَةَ عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُدْبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ زِيَادُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَنْفِيُّ أَخْبَرْنَا أَبُو مَعَاذِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَزْنِيُّ أَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَمَادٍ الْقَاضِي أَنَا أَبُو مُوسَى الزَّمَنِيُّ أَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ أَخْبَرْنَا أَبِي قَالَ سَمِعْتُ الْحَسَنَ: أَخْبَرْنَا جَنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَرَجَ بَرَجَلٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَرَابٌ فَجَزَعُ مِنْهُ، فَأَخْرَجَ سَكِينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقَا الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: بَادِرْنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ فَحَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(٣).

وَقَالَ الْحَسَنُ: ﴿لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، يَعْنِي: إِخْوَانَكُمْ، أَي: لَا يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، ﴿إِنِ اللَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، أَخْبَرْنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَلِيحِيُّ أَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّعِيمِيُّ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَنَا سَلِيمَانُ بْنُ حَرْبٍ أَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَدْرِكَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ جَرِيرٍ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ: «اسْتَنْصَتِ النَّاسَ» ثُمَّ قَالَ: «لَا تَرْجِعَنَّ بَعْدِي كَفَارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(٤).

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾، يَعْنِي: مَا سَبَقَ ذَكَرَهُ مِنَ الْحَرَّمَاتِ، ﴿عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾، فَالْعُدْوَانُ مَجَاوِزَةٌ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْبَيُوعِ، بَابُ الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا: ٤/ ٣٢٨، وَمُسْلِمٌ فِي الْبَيُوعِ، بَابُ ثُبُوتِ خِيَارِ الْجُلُوسِ لِلْمُتَبَايِعِينَ بِرَقْمِ (١٥٣١): ٣/ ١١٦٣، وَالْمُصَنَّفُ فِي شَرْحِ السَّنَةِ: ٨/ ٣٩.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ، بَابُ غُلْظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، بِرَقْمِ (١١٠): ١/ ١٠٤، وَالْمُصَنَّفُ فِي شَرْحِ السَّنَةِ: ١٠/ ١٥٤.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ مَا يَذْكَرُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ٦/ ٤٩٦، وَمُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ، بَابُ غُلْظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، بِرَقْمِ (١١٣): ١/ ١٠٧، بِلَفْظِ مُقَارِبٍ، وَالْمُصَنَّفُ فِي شَرْحِ السَّنَةِ: ١٠/ ١٥٥.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْفِتَنِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَارًا» ١٣/ ٢٦، وَفِي مَوَاضِعٍ أُخْرَى، وَمُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ، بَابُ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَارًا، بِرَقْمِ (٦٥): ١/ ٨١ — ٨٢. وَالْمُصَنَّفُ فِي شَرْحِ السَّنَةِ: ١٠/ ٢٢١ — ٢٢٢.

اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

الحَدِّ، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، ﴿فسوف نُصليهِ﴾، نُدْخِلُهُ فِي الْآخِرَةِ، ﴿فَارَأَيْتُمْ﴾، يُصَلِّي فِيهَا، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾، هِينًا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾، اختلفوا في الكبائر التي جعل الله اجتنابها تكفيراً للصغائر: أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن مقاتل أنا النضر أخبرنا شعبة أنا فراس قال: سمعت الشعبي عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الكبائر: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»^(١).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد أنا بشر بن المفضل أنا الجريري عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثاً قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراف بالله عز وجل، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئاً فقال: ألا وقول الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت»^(٢).

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحني أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي أنا محمد بن كثير أنا سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور، وواصل الأحمد بن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله رضي الله عنهما قال: قلت يا رسول الله أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ قال: «إن تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت: ثم أيُّ؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يأكل مئكتك، قلت: ثم أيُّ؟ قال: أن تزاني حليلة جارك»، / فأنزل الله تعالى تصديق قول النبي ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا

(١) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور، باب اليمين الغموس: ٥٥٥/١١، وفي مواضع أخرى، والمصنف في شرح السنة: ٨٥/١.

(٢) أخرجه البخاري في الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور: ٢٦١/٥، وفي الأدب، ومسلم في الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها،

برقم (٨٧): ٩١/١، والمصنف في شرح السنة: ٨٣/١ - ٨٤.

يزنون ﴿١﴾ الآية.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني سليمان عن ثور بن زيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»^(١).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أكبر الكبائر: الإشراف بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله^(٢).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي أنا علي بن الجعد أنا شعبة عن سعد بن إبراهيم قال: سمعت حميد بن عبد الرحمن يحدث عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «من الكبائر أن يسب الرجل والديه، قالوا: وكيف يسب الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه»^(٣).

وعن سعيد بن جبير: أن رجلاً سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن الكبائر: أسبع هي؟ قال: هن إلى السبعمئة أقرب إلا أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار، وقال: كل شيء عصي الله به فهو كبيرة، فمن عمل شيئاً منها فليستغفر فإن الله لا يخلد في النار من هذه الأمة إلا راجعاً عن الإسلام أو جاحداً فريضة أو مكذباً بقدر^(٤).

وقال عبد الله بن مسعود: ما نهى الله تعالى عنه في هذه السورة إلى قوله تعالى: «إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه» فهو كبيرة.

وقال علي بن أبي طلحة: هي كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب.

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الفرقان، باب «والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر» ٨/ ٤٩٢، ومسلم في الإيمان، باب كون الشرك أقيح الذنوب، رقم (٨٦): ٩٠/١. والمصنف في شرح السنة: ٨٢/١.
 (٢) أخرجه البخاري في الوصايا، باب قول الله تعالى: «أن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً»: ٣٩٣/٥، ومسلم في الإيمان، باب الكبائر، رقم (٨٩): ٩٢/١، والمصنف في شرح السنة: ٨٦/١.
 (٣) أخرجه الطبري في التفسير: ٢٤٢/٨ - ٢٤٤، والطبراني في الكبير بإسناد صحيح، انظر مجمع الزوائد: ١٠٤/١، وعبدالرزاق في المصنف: ٤٥٩/١٠ - ٤٦٠، والمصنف في شرح السنة: ٨٧/١، وقال ابن كثير في التفسير: ٤٨٥/١ «هو صحيح إلى ابن مسعود بلا شك».
 (٤) أخرجه البخاري في الأدب، باب لا يسب الرجل والديه: ٤٠٣/١٠، ومسلم في الإيمان، باب بيان الكبائر رقم (٩٠): ٩٢/١، والمصنف في شرح السنة: ١٦/١٣ - ١٧.
 (٥) أخرجه الطبري في التفسير: ٢٤٥/٨.

وقال الضحاك: ما أوعد الله عليه حدّاً في الدنيا أو عذاباً في الآخرة.

وقال الحسن^(١) بن الفضل: ما سماه الله في القرآن كبيراً أو عظيماً نحو قوله تعالى: «إنه كان حوثياً كبيراً» (النساء - ٢)، «إنّ قتلهم كان خطئاً كبيراً» (الاسراء - ٣١)، «إنّ الشّركَ لظلمٌ عظيمٌ» (لقمان - ١٣)، «إنّ كيدكّنّ عظيمٌ» (يوسف - ٢٨) «سُبْحانَكَ هذا بهتانٌ عظيمٌ» (النور - ١٦) «إنّ ذلكم كان عند الله عظيماً» (الأحزاب - ٥٣).

قال سفيان الثوري: الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين العباد، والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى، لأنّ الله كريمٌ يعفو^(٢)، واحتج بما أخبرنا الشيخ أبو القاسم عبد الله بن علي الكرماني أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمش الزياتي أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد أنا الحسين بن داؤد البلخي أنا يزيد بن هارون أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة: يا أمة محمد إنّ الله عزّ وجلّ قد عفا عنكم جميعاً المؤمنين والمؤمنات، تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي»^(٣).

وقال مالك بن مغول: الكبائر ذنوب أهل البدع، والسيئات ذنوب أهل السنة.

وقيل: الكبائر ذنوب العمدة، والسيئات الخطأ والنسيان وما أكره عليه، وحديث النفس المرفوع عن هذه الأمة.

وقيل: الكبائر ذنوب المستحلين مثل ذنب إبليس، والصغائر ذنوب المستغفرين مثل ذنب آدم عليه السلام.

وقال السدي: الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبائر، والسيئات مقدّماتها وتوابعها ما يجتمع فيه الصالح والفاسق، مثل النظرة واللمسة والقبلة وأشباهاها. قال النبي ﷺ: «العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان، ويصدّق ذلك الفرّج أو يكذبه»^(٤).

وقيل: الكبائر ما يستحقره العباد، والصغائر ما يستعظمونه فيخافون مواقعتها، كما أخبرنا عبد الواحد

(١) في أ: (الحسين).

(٢) في أ: (كبير يغفر).

(٣) حديث موضوع في إسناده الحسين بن داود، أبو علي البلخي، قال الخطيب: ليس بثقة، حديثه موضوع. انظر: ميزان الاعتدال: ٥٣٤/١. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٩٧/١٥. وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني: ٤٣٩/٣ رقم (١٢٧٩).

(٤) أخرجه أحمد في المسند: ٤١٢/١، ٣٤٣/٢ عن أبي هريرة، والطبراني وأبو يعلى والبرار وابن حبان عن أبي هريرة. قال الهيثمي في المجمع: ٢٥٦/٦، سنده جيد، وقال المنذري صحيح. وانظر: فيض القدير للمناوي: ٣٩٩/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٢٨/١.

وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا^ط
 وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ^٤ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ^٥ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُلُّ شَيْءٍ
 عَلِيمًا ﴿٣٤﴾

المليجي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو الوليد أنا مهدي
 عن غيلان عن أنس قال: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا نعدّها على عهد
 رسول الله ﷺ من الموبقات (١).

وقيل: الكبائر الشرك، وما يؤدي إليه، وما دون الشرك فهو السيئات، قال الله تعالى: «إن الله لا يغفر
 أن يُشرك به ويغفر ما دُونَ ذلك لمن يشاء» (النساء - ٤٨، ١١٦).

وقوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ أي: من الصلاة إلى الصلاة
 ومن الجمعة إلى الجمعة ومن رمضان إلى رمضان.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن
 محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج حدثني هارون بن سعيد الأيلي أنا ابن وهب عن أبي صخر أن
 عمر بن إسحاق مولى زائدة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول:
 «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفّرات ما بينهنّ إذا اجتنب
 الكبائر» (٢).

قوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾، أي: حسناً وهو الجنة، قرأ أهل المدينة ﴿مدخلاً﴾ بفتح
 الميم هاهنا وفي الحج، وهو موضع الدخول، وقرأ الباقون بالضم على المصدر بمعنى الإدخال.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الآية، قال مجاهد: قالت أم سلمة: يا
 رسول الله إن الرجال يغزون ولا نغزو وهم ضعف ما لنا من الميراث، فلو كنا رجالاً غزونا كما غزوا وأخذنا
 من الميراث مثل ما أخذوا. فنزلت هذه الآية (٣).

وقيل: لما جعل الله عزّ وجلّ للذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث، قالت النساء: نحن أحقُّ وأحوج
 إلى الزيادة من الرجال، لأننا ضعفاء وهم أقوى وأقدر على طلب المعاش، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا

(١) أخرجه البخاري في الرقاق، باب ما يتقى من محقرات الذنوب: ٣٢٩/١١، والمصنف في شرح السنة: ٣٩٨/١٤.

(٢) أخرجه مسلم في الطهارة، باب الصلوات الخمس برقم (٢٣٣): ٢٠٩/١، والمصنف في شرح السنة: ١٧٧/٢.

(٣) أخرجه الواحدي بسنده في أسباب النزول ص (١٨١)، وانظر: تفسير الطبري: ٢٦١/٨، الدر المنثور: ٥٠٧/٢.

وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ
 أَيْمَانَكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴿٣٣﴾.

وقال قتادة والسدي لما نزل قوله: ﴿لِلذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَىٰ﴾، قال الرجال إنا لندرجو أن نُفَضَّلَ على النساء بحسناتنا في الآخرة فيكون أجرنا على الضَّعْفِ من أجر النساء كما فَضَّلْنَا عليهنَّ في الميراث (١) فقال الله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ من الأجر ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾.

معناه: أن الرجال والنساء في الأجر في الآخرة سواء، وذلك أن الحسنه تكون بعشر أمثالها يستوي فيها الرجال والنساء، وإنَّ فضل الرجال في الدنيا على النساء.

وقيل: معناه للرجال نصيب مما اكتسبوا من أمر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن من طاعة الأزواج وحفظ الفروج، يعني إن كان للرجال فضل الجهاد فللنساء فضل طاعة الأزواج وحفظ الفروج.

قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾، قرأ ابن كثير والكسائي وسلوا، وسل، وفسل إذا كان قبل السين واو أو فاء بغير همز، ونقل حركة الهمزة إلى السين، والباقون بسكون السين مهموزاً. فهى الله تعالى عن التمتي لما فيه من دواعي الحسد، والحسد أن يتمنى زوال النعمة عن صاحبه ويتمناها لنفسه، وهو حرام، والغبطة أن يتمنى لنفسه / مثل ما لصاحبه وهو جائز. قال الكلبي: لا يتمنى الرجل مال أخيه ولا امرأته ولا خادمه، ولكن ليقبل اللهم ارزقني مثله، وهو كذلك في التوراة كذلك في القرآن. قوله: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال ابن عباس: واسألوا الله من فضله: أي: من رزقه، قال سعيد بن جبیر: من عبادته، فهو سؤال التوفيق للعبادة، قال سفيان بن عيينة: لم يأمر بالمسألة إلا ليعطي. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي﴾ أي: ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا موالى، أي: عصبه يُعْطُونَ ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾، والوالدان والأقربون هم المورثون، [وقيل: معناه ولكل جعلنا موالى أي: ورثة، ممَّا ترك أي: من الذين تركهم ويكون ﴿مَّا﴾ بمعنى (من)، ثم فسّر ﴿الموالى﴾ فقال: «الوالدان والأقربون»، هم الوارثون] (٢).

﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ﴾، قرأ أهل الكوفة ﴿عقدت﴾ بلا ألف، أي: عقدت لهم أيمانكم، وقرأ

(١) انظر أسباب النزول ص (١٨١)، تفسير الطبري: ٢٦٤/٨، الدر المنثور: ٥٠٧/٢.

(٢) ساقط من (ب)

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَتْ قَيْنَاتُكَ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْلِ تَحَافُونَ نَشُوزُهُمْ فَعِظُوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾

الآخرون: ﴿عاقدت أيمانكم﴾ والمعاقدة: المخالفة والمعاهدة، والأيمان جمع يمين، من اليد والقسم، وذلك أنهم كانوا عند المخالفة يأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد. ومخالفتهم أن الرجل كان في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول: دمي دمك وهدمي هدمك وتأري تأرك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعتقل عتي وأعتقل عنك، فيكون للحليف السدس من مال الحليف، وكان ذلك ثابتاً في ابتداء الإسلام فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَتَوْهُمْ نَصِيحَهُمْ﴾ أي: أعطوهم حظهم من الميراث، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» (الأحزاب ٦) وقال إبراهيم ومجاهد: أراد فاتوهم نصيبهم من النصر والرفد ولا ميراث، وعلى هذا تكون هذه الآية غير منسوخة لقوله تعالى: «أوفوا بالعقود» (المائدة - ١) وقال رسول الله ﷺ في خطبة يوم فتح مكة: «لا تحدثوا حلفاً في الإسلام، وما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا فيه فإنه لم يزد الإسلام إلا شدة»^(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أنزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار حين قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون الرحم، فلما نزلت ﴿ولكل جعلنا موالياً﴾ نسخت، ثم قال: ﴿والذين عقدت أيمانكم فاتوهم نصيبهم﴾ من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث فيوصي له^(٢). وقال سعيد بن المسيب: كانوا يتوارثون بالتبني وهذه الآية فيه ثم نسخ. ﴿إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾.

قوله عز وجل: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾، الآية نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقباء وفي

(١) حديث مركب من حديثين، أخرجهما الطبري من حديث قيس بن عاصم أن النبي ﷺ قال: ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به» ٢٨٣/٨.

ومن حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال في خطبة يوم الفتح: «فوا بحلف فإنه لا يزيده الإسلام إلا شدة ولا تحدثوا حلفاً في الإسلام» ٢٨٤/٨.

وفي الباب عن جبير بن مطعم مرفوعاً «لا حلف في الإسلام» أخرجه الشيخان.

انظر: الكافي الشاف لأبن حجر ص ٤٢، تفسير الطبري بتعليق محمود شاكر: ٢٨٣/٨ - ٢٨٤، الدر المنثور: ٥١٠/٢.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، سورة النساء باب «ولكل جعلنا موالياً...» ٢٤٧/٨. انظر: الدر المنثور: ٥١١/٢.

امراته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير، قاله مقاتل، وقال الكلبي: امراته حبيبة بنت محمد بن مسلمة، وذلك أنها نشرت عليه فلطمها، فانطلق أبوها معها إلى النبي ﷺ [فقال: أفرشته كريمتي فلطمها، فقال النبي ﷺ: «لتقتص من زوجها»، فانصرفت مع أبيها^(١) لتقتص منه فجاء جبريل عليه السلام] فقال النبي ﷺ: «ارجعوا هذا جبريل أتاني بشيء»، فأنزل الله هذه الآية^(١)، فقال النبي ﷺ: «أردنا أمراً وأراد الله أمراً، والذي أراد الله خير»، ورفع القصاص^(٢).

قوله تعالى: ﴿الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ أي: مُسَلِّطُونَ عَلَى تَأْدِيبِهِنَّ، وَالْقَوَّامُ وَالْقِيمُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَالْقَوَّامُ أبلغ وهو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب.

﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، يعني: فضّل الرجال على النساء بزيادة العقل والدين والولاية، وقيل: بالشهادة، لقوله تعالى: «فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان» (البقرة — ٢٨٢) وقيل: بالجهاد، وقيل: بالعبادات من الجمعة والجماعة، وقيل: هو أن الرجل ينكح أربعاً ولا يحل للمرأة إلا زوج واحد، وقيل: بأن الطلاق بيده، وقيل: بالميراث، وقيل: بالدّية، وقيل: بالنبوة.

﴿وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، يعني: إعطاء المهر والنفقة، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار أنا أحمد بن محمد ابن عيسى البرقي أنا أبو حذيفة أنا سفيان عن الأعمش عن أبي ظبيان أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أمرتُ أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجها»^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾، أي: مطيعات ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾، أي: حافظات للفروج في غيبة الأزواج، وقيل: حافظات لسرهم ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾، قرأ أبو جعفر ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ بالنصب، أي: يحفظن الله في الطاعة، وقراءة العامة بالرفع، أي: بما حفظهن الله بإيضاء الأزواج بحقهن وأمرهن بأداء المهر والنفقة.

وقيل: حافظات للغيب بحفظ الله، أخبرنا أبو سعيد الشرحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله ابن فنجوية أخبرنا عمر بن الخطاب أنا محمد بن إسحاق المسحوي أنا الحارث بن عبد الله أنا أبو معشر

(١) ساقط من (ب).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحد ص (١٤٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه في النكاح، باب حق الزوج على المرأة برقم (١٨٥٣): ٥٩٥/١، وصححه ابن حبان برقم (١٢٩٠) موارد الظمان ص (٣١٤)، وأحمد في المسند: ٣٨١/٤ عن عبد الله بن أبي أوفى، ٢٢٧/٥ — ٢٢٨ عن معاذ بن جبل، والمصنف في شرح السنة: ١٥٨/٩.

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا
إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾

عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ النِّسَاءِ امْرَأَةٌ إِنْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا سُرَّتْكَ وَإِنْ أَمَرَتْهَا أَطَاعَتْكَ وَإِذَا غَبَّتْ عَنْهَا حَفِظْتَكَ فِي مَالِهَا وَنَفْسِهَا»^(١)، ثم تلا: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ الآية.

﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾، عصيانهن، وأصل النشوز: التكبر والارتفاع، ومنه النشز للموضع المرتفع، ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾، بالتخويف من الله والوعظ بالقول، ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ﴾، يعني: إن لم ينزغن عن ذلك بالقول فانهجروهن ﴿فِي الْمَضَاجِعِ﴾، قال ابن عباس: يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها، وقال غيره: يعتزل عنها إلى فراش آخر، ﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ يعني: إن لم ينزغن مع المهجران فاضربوهن ضرباً غير مُبْرَحٍ ولا شائن، وقال عطاء: ضرباً بالسواك وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «حَقُّ الْمَرْأَةِ أَنْ تُطْعَمَهَا إِذَا طَعِمَتْ وَتَكْسَوْهَا إِذَا اكْتَسِيَتْ وَلَا تُضْرَبَ الْوَجْهَ وَلَا تُقْبَحَ وَلَا تَهْجَرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ»^(٢).

﴿فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾، أي: لا تجنوا عليهن الذنوب، وقال ابن عيينة: لا تكلفوهن محبتكم فإن القلب ليس بأيديهن. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾، متعالياً من أن يكلف العباد مالا يطيقونه، وظاهر الآية يدل على أن الزوج يجمع عليها بين الوعظ والهجران والضرب، فذهب بعضهم إلى ظاهرها وقال: إذا ظهر منها النشوز جمع بين هذه الأفعال، وحمل الخوف في قوله ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾، على العلم كقوله تعالى: «فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا» (البقرة - ١٨٢) أي: علم، ومنهم من حمل الخوف على الخشية لا على حقيقة العلم، كقوله تعالى: «وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً» (الأنفال - ٥٨)، وقال: هذه الأفعال على ترتيب الجرائم، فإن خاف نشوزها بأن ظهرت أمارته منها من المُخَاشَنَةِ وَسُوءِ الْخُلُقِ وَعَظْمِهَا، / فإن أبدت النشوز هجرها، فإن أصرت على ذلك ضربها.

ب/٨٤

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾، يعني: شقاقاً بين الزوجين، [والخوف بمعنى اليقين، وقيل:

(١) أخرجه النسائي في النكاح، باب أي النساء خير: ٦٨/٦، صححه الحاكم في المستدرک: ١٦١/٢ - ١٦٢ على شرط مسلم، والطبري في التفسير: ٢٩٥/٨. وعزاه ابن حجر أيضاً: للبخاري بلفظ «المرأة الصالحة إذا نظر إليها...» وقال: رواه أبو داود والحاكم والترمذي من رواية مجاهد عن ابن عباس، وفي الباب عن أبي أمامة عند ابن ماجه وإسناده ساقط، انظر: الكافي الشاف ص (٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود في النكاح، باب في حق المرأة على زوجها: ٦٧/٣ - ٦٨، وابن ماجه في النكاح، باب في حق المرأة على الزوج برقم (١٨٥٠): ٥٩٤/١، وابن حبان برقم (١٢٨٦) ص (٣١٣) من موارد الظمان وصححه الحاكم في المستدرک: ١٨٧/٢ - ١٨٨، وواقفه الذهبي. وعزاه المنذري للنسائي في الكبرى.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤٤٦/٤ - ٤٤٧ عن معاوية بن حيدة، والمصنف في شرح السنة: ١٦٠/٩

هو بمعنى الظنّ يعني: إن ظننتم شقاق بينهما.

وجملته: أنه إذا ظهر بين الزوجين^(١) شقاق واشتبه حالهما فلم يفعل الزوج الصّح ولا الفرقة ولا المرأة تأدية الحق ولا الفدية وخرجا إلى مالا يحل قولاً وفعلأ بعث الإمام حكماً من أهله إليه وحكماً من أهلها إليها، رجلين حرين عدلين، ليستطلع كل واحد من الحكمين رأي من بعث إليه إن كانت رغبته في الوصلة^(٢) أو في الفرقة، ثم يجتمع الحكمان فينفذان ما يجتمع عليه رأيهما من الصّلاح، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾، يعني: الحكمين، ﴿يُوقِفُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾، يعني: بين الزوجين، وقيل: بن الحكمين، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾. [أخبرنا عبد الوهاب محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا الثقفني عن أيوب عن ابن سيرين عن^(٣) عبيدة أنه قال في هذه الآية ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾، قال: جاء رجل وامرأة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومع كل واحد منهما فقام من الناس، فأمرهم علي رضي الله عنه فبعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ثم قال للحكمين: أتدريان ما عليكما؟ إن رأيتما أن تجمعا جمعتهما وإن رأيتما أن تفرقا فرقتما، قالت المرأة رضيت بكتاب الله بما عليّ فيه ولي، فقال الرجل: أما الفرقة فلا، فقال علي رضي الله عنه: كذبت والله حتى تُقرّ بمثل الذي أقرت به^(٤).

واختلف القول في جواز بعث الحكمين من غير رضا الزوجين: وأصح القولين أنه لا يجوز إلا برضاها، وليس لحكم الزوج أن يُطلق دون رضاها، ولا لحكم المرأة أن يخالع على ما لها إلا بإذنها، وهو قول أصحاب الرأي لأنّ علياً رضي الله عنه، حين قال الرجل: أما الفرقة فلا، قال: كذبت حتى تُقرّ بمثل الذي أقرت به. فثبت أن تنفيذ الأمر موقوف على إقراره ورضاها.

والقول الثاني: يجوز بعث الحكمين دون رضاها، ويجوز لحكم الزوج أن يُطلق دون رضاها ولحكم المرأة أن يخالع دون رضاها، إذا رأيا الصّلاح، كالحاكم يحكم بين الخصمين وإن لم يكن على وفق مُرادهما، وبه قال مالك، ومن قال بهذا قال: ليس المراد من قوله علي رضي الله عنه للرجل حتى تُقرّ: أن رضاها شرط، بل معناه: أن المرأة رضيت بما في كتاب الله [فقال الرجل: أما الفرقة فلا، يعني: الفرقة ليست في كتاب الله]^(٥)، فقال علي: كذبت، حيث أنكرت أن الفرقة في كتاب الله، بل هي في كتاب الله، [فإن

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٢) في ب: (الصّلاح).

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) وهكذا إلى نهاية الورقة (١٦٦/أ) سقط الإسناد من نسخة (أ).

(٤) أخرجه الطبري في التفسير: ٣٢٠/٨ - ٣٢١، والشافعي في الأم: ١٧٧/٥، وقال: حديث علي ثابت عندنا، وأخرجه البيهقي في

السنن: ٣٠٥/٧ - ٣٠٦. وإسناده صحيح. والمصنف في شرح السنة: ١٨٩/٩ - ١٩٠.

(٥) ما بين القوسين ساقط من: (أ).

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ
وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾^(١)

قوله تعالى: ﴿يُوفِي اللهُ بَيْنَهُمَا﴾ يشتمل على الفراق وغيره^(١) لأن التوفيق أن يخرج كل واحد منهما من الوزر وذلك تارة يكون بالفرقة وتارة بصلاح حالهما في الوصلة.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: وحده وأطيعوه، ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [أخبرنا أبو حامد أحمد ابن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا علي أبو إسماعيل محمد بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي]^(١) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال: «هل تدري يا معاذ ما حقُّ الله على الناس؟ قال قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقُّه عليهم أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً، أتدري يا معاذ ما حقُّ الناس على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلتُ الله ورسوله أعلم، قال: فإنَّ حقَّ الناس على الله أن لا يعذبهم، قال قلتُ: يا رسول الله ألا أُبشِّرُ الناس؟ قال: دعهم يعملون»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾، برأ بهما وعظفاً عليهما، ﴿وبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي: أحسنوا بذى القرى، ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾، [أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمرو بن زرارة أنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل ابن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ]^(٣) «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً»^(٤).

[أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله ابن مبارك عن يحيى بن أيوب عن عبد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم]^(٣) عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من مسح رأس يتيماً لم يمسه إلا الله كان له بكل شعرة ثمرٌ عليها يدُه

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد، باب في اسم الفرس والحمار: ٥٨/٦، وفي التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته.. ٣٤٧/١٣ ومسلم في الإيمان، باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، برقم (٤٨ - ٥٠) ٥٨/١ - ٥٩. والمصنف في شرح السنة: ٩٣/١.

(٣) ما بين القوسين من أسانيد هذه الأحاديث ساقط من: (أ).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب، باب فضل من يعول يتيماً: ٤٦٣/١٠، ومسلم في الزهد والرقائق عن أبي هريرة، باب الإحسان إلى الأئمة والمسكين برقم (٢٩٨٣): ٢٢٨٧/٤. والمصنف في شرح السنة: ٤٣/١٣.

حسناً، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين أصبعيه»^(١)
 قوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ أي: ذي القرابة، ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾، أي: البعيد الذي ليس بينك وبينه قرابة. [أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا شعبة عن أبي عمران الجوني قال: سمعت [طلحة قال: قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله إن لي جارين فألى أيهما أهدي؟ قال: «إلى أقربهما منك باباً»^(٢).

أخبرنا الأستاذ الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفراييني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق أنا يزيد بن سنان أخبرنا عثمان بن عمر أخبرنا أبو عامر الخزاز عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق، وإذا طبخت مرقة فأكثر ماءها واغرف لغيرانك منها»^(٣).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد ابن إسماعيل أنا محمد بن منهل أنا يزيد بن زريع أنا عمر بن محمد عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ يعني: الرفيق في السفر، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة وعكرمة وقتادة، وقال عليّ وعبد الله والنخعي: هو المرأة تكون معه إلى جنبه، وقال ابن جريج وابن زيد: هو الذي يصحبك رجاء نفعك.

﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، قيل: هو المسافر لأنه مُلازمٌ للسبيل، والأكثر: على أنه الضيف، أخبرنا الأستاذ الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفراييني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق أنا شعيب بن عمرو الدمشقي أخبرنا سفيان بن عُيينة عن عمرو بن دينار أنه سمع نافع بن جبير عن أبي شريح الخزاعي أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر

(١) أخرجه أحمد: ٢٦٥، ٢٥٠/٥ وعزاه الميثمي أيضاً للطبراني، وقال: فيه علي بن يزيد الأمانى وهو ضعيف، مجمع الزوائد: ١٦٠/٨، والمصنف في شرح السنة: ٤٤/١٣.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب، باب حق الجوار في قرب الأبواب: ٤٤٧/١٠.

(٣) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء مختصراً، برقم (٢٦٢٦): ٢٠٢٦/٤ والمصنف في شرح السنة: ١٩٧/٦.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب، باب الوصاة بالجار: ٤٤١/١٠، ومسلم في البر والصلة، باب الوصية بالجار وإحسان إليه، برقم (٢٦٢٥): ٢٠٢٥/٤، والمصنف في شرح السنة: ٧١/١٣.

فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(١).

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، وما كان بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل أن يشوي — أي: أن يقيم — عنده حتى يُحرجه»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وما ملكت أيمانكم﴾، أي: المماليك أحسنوا إليهم، أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو العباس الطحان أنا أبو أحمد محمد بن قريش أنا علي بن عبد العزيز المكي أنا أبو عبيد القاسم بن سلام أنا يزيد عن همام عن قتادة عن صالح أبي الخليل عن سفيانة عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه كان يقول في مرضه: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»^(٣)، فجعل يتكلم وما يفيض بها لسانه.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص أنا أبي أنا الأعمش عن المعمر عن أبي ذر رضي الله عنه قال: رأيت عليه برداً وعلى غلامه بردٌ، فقلت: لو أخذت هذا فلبسته كانا حلةً وأعطيته ثوباً آخر، فقال: كان بيني وبين رجل كلام وكانت أمه أعجمية فنلتُ منها فذكرني إلى النبي ﷺ، فقال لي أسأبت فلاناً؟ قلت: نعم، قال: أفنلتُ أمه؟ قلت: نعم، قال إنك امرؤ فيك جاهلية، قلت: على ساعتى هذه من كبر السن؟ قال: نعم، هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه»^(٤).

أخبرنا الإمام أبو الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر الزيادي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب الوصاة بالجار ص (٣٨) ومسلم في الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، برقم (٧٧): ٦٩/١.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره: ٤٤٥/١، ومسلم في الإيمان، باب الحث على إكرام الجار، برقم (٧٤): ٦٨/١.

(٣) أخرجه ابن ماجه في الوصايا، باب هل أوصى رسول الله ﷺ: ٩٠٠/٢ — ٩٠١، عن أنس وعن علي بلفظ آخر. قال في الزوائد: إسناده حسن لقصور أحمد بن المقدم عن درجة أهل الضبط، وباقى رجاله على شرط الشيخين. وأخرجه أحمد: ٧٨/١ عن علي رضي الله عنه، وفي: ١٧/٣ عن أنس.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب، ما ينهى من السباب واللعن: ٤٦٥/١٠ وفي مواضع أخرى، ومسلم في الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل... برقم (١٦٦١): ١٢٨٢/٣ — ١٢٨٣، والمصنف في شرح السنة: ٣٣٩/٩ — ٣٤٠.

الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٢٧﴾

حفص التاجر أنا سهل بن عمار أنا يزيد بن هارون أخبرنا صدقة بن موسى عن فرقد السبخي عن مرة الطيب عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة سيء المَلَكَةِ» (١).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾، المختال: المتكبر، والفخور: الذي يفتخر على الناس بغير الحق تكبراً، ذكر هذا بعد ما ذكر من الحقوق، لأن التكبر يمنع الحق تكبراً.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر الزيادي أنا محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر بن همام بن منبه قال: أنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا رجل يتبختر في بُردَيْن وقد أعجبته نفسه حَسَفَ اللهُ به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» (٢).

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مُصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظرُ اللهُ يومَ القيامة إلى من جرَّ ثوبه خيلاء» (٣).

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾، البخل في كلام العرب: منع السائل من فضل ما لديه، وفي الشرع: منع الواجب، ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿بِالْبُخْلِ﴾ بفتح الباء والخاء، وكذلك في سورة الحديد، وقرأ الآخرون بضم الباء وسكون الخاء، نزلت في اليهود بخلوا ببيان صفة محمد ﷺ وكنموها (٤).

(١) أخرجه الترمذي في البر باب ما جاء في الإحسان إلى الخادم: ٧٧/٦ وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه في الأدب، باب الإحسان إلى المماليك، برقم (٣٦٩١): ١٢١٧/٢، وقال في الزوائد: في إسناده: فرقد السبخي، وهو وإن وثقه ابن معين في رواية فقد ضعفه في أخرى. وقد ضعفه البخاري وغيره، وأخرجه أحمد: ٤/١ وفي مواضع أخرى، وأبو بكر المروزي في مسند الصديق برقم (٩٧-٩٩)، ص (١٣٨-١٤٠). قال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى، وفيه: فرقد السبخي (وفي الميزان السنجي) وهو ضعيف. مجمع الزوائد: ٤/٢٣٦. وحسنه السيوطي في الجامع الصغير، انظر: فيض القدير: ٤٤٩/٦.

(٢) أخرجه البخاري في اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء: ٢٥٨/١٠، ومسلم في اللباس والزينة، باب تحريم التبخر في المشي مع أعجابه بشيابه، برقم (٢٠٨٨): ١٦٥٤/٣، واللفظ له. والمصنف في شرح السنة: ٣٢٠/١٢ - ٣٢١.

(٣) أخرجه البخاري في اللباس، باب قول الله تعالى «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده»: ٢٥٨/١٠ وفي مواضع أخرى، ومسلم في اللباس، باب تحريم جر الثوب خيلاء.. برقم (٢٠٨٥): ١٦٥١/٣.

والمصنف في شرح السنة: ٩/١٢ - ١٠.

(٤) انظر الطبري: ٣٥٢/٨، وأسباب النزول للواحد ص (١٤٥ - ١٤٦).

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٢٨﴾ وَمَا ذَاعَ عَلَيْهِمْ لَوْءَا أَمِنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ
 تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٠﴾

قال سعيد بن جبير: هذا في كتمان العلم^(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن زيد: نزلت في كردم بن زيد وحيي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت وأسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع وحرى بن عمرو كانوا يأتون رجلاً من الأنصار ويخالطونهم فيقولون لا تنفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر ولا تدرن ما يكون فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿٢٨﴾ وَيُكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، يعني المال، وقيل: يعني ييخلون بالصدقة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، محل «الذين» نصب، عطفاً على الذين ييخلون، وقيل: خفض عطفاً على قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ نزلت في اليهود، وقال السدي: في المنافقين، وقيل: في مشركي مكة / المتفقين على عداوة الرسول ﷺ^(٢).

﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾، صاحباً وخليلاً ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾، أي: فبئس الشيطان قريناً وهو نصب على التفسير، وقيل: على القطع بإلقاء الألف واللام كما تقول: نعم رجلاً عبد الله، وكما قال تعالى: ﴿بئس للظالمين بدلاً﴾ (الكهف - ٥٠) «سَاءَ مِثْلًا» (الأعراف - ١٧٧).

﴿وَمَا ذَاعَ عَلَيْهِمْ﴾، أي: ما الذي عليهم وأيّ شيء عليهم؟ ﴿لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [أدخل ابن عباس يده في التراب ثم نفخ فيها وقال: كل واحد من هذه الأشياء ذرة، والمراد أنه لا يظلم. لا قليلاً ولا كثيراً^(٤). ونظمه: وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا فإن الله لا يظلم أي: لا ييخس ولا ينقص أحداً من ثواب عمله مثقال ذرة، وزن ذرة،

(١) انظر: المراجع السابقة نفسها.

(٢) انظر: الطبري: ٣٥٣/٨، أسباب النزول ص(١٤٦)، الدر المنثور: ٣٥٢/٨.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٥٣٩/٢.

(٤) ساقط من: (ب).

والذرة: هي التملة الحمراء الصغيرة، وقيل: الذرّ أجزاء الهباء في الكوّة وكل جزء منها ذرة ولا يكون لها وزن، وهذا مثل، يريد: إن الله لا يظلم شيئاً، كما قال في آية أخرى: «إن الله لا يظلم الناس شيئاً» (يونس ٤٤)

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني أنا أبو بكر محمد بن عبد الله الحفيد أنا الحسين بن الفضل البجلي أنا عفان أنا همام أنا قتادة عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يظلم المؤمن حسنةً، يثاب عليها الرزق في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة»، قال: «وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يُعطى بها خيراً»^(١).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو الطيب الربيع بن محمد بن أحمد بن حاتم البزار الطوسي أنا أحمد ابن محمد بن الحسن أن محمد بن يحيى حدثهم، أخبرنا عبد الرزاق وأخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أخبرنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدبري أنا عبد الرزاق أنا معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خَلَصَ المؤمنون من النار وأمنوا، فما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا بأشدَّ مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار، قال: فيقولون ربنا إخواننا كانوا يُصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار، قال: فيقول اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم لا تأكل النار صورهم فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه ومنهم من أخذته إلى كعبيه فيخرجونهم، فيقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا، قال: ثم يقول: أخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الإيمان، ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار، حتى يقول: من كان في قلبه مثقال ذرة»، قال أبو سعيد رضي الله عنه: فمن لم يُصدّق هذا فليقرأ هذه الآية: «إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنةً يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً»، قال: فيقولون ربنا قد أخرجنا من أمرتنا فلم يبق في النار أحدٌ فيه خير، ثم يقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفعت الأنبياء، وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين، قال: فيقبض قبضة من النار، أو قال: قبضتين لم يعملوا الله خيراً قط قد احترقوا حتى صاروا حمماً فيؤت بهم إلى ماء يقال له: ماء الحياة فيصب عليهم فينبئون كما تنبت العجوة في حميل السيل، قال: فتخرج أجسادهم مثل اللؤلؤ في أعناقهم الخاتم: عُتقاء الله فيقال لهم: أدخلوا الجنة فما تمنيتم أو رأيتم من شيء فهو لكم، قال فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم نُعطِ أحداً من العالمين، قال: فيقول فإن لكم أفضل منه، فيقولون: ربنا وما أفضل من ذلك؟ فيقول: «رضاي عنكم فلا أسخط عليكم أبداً»^(٢).

(١) أخرجه مسلم في صفات المنافقين - باب جزاء المؤمن بحسناته.. برقم (٢٨٠٨): ٤ / ٢١٦٢، والمصنف في شرح السنة:

٣١٠/١٤

(٢) أخرجه النسائي في الإيمان، باب زيادة الإيمان: ٨ / ١١٢ - ١١٣، وابن ماجه في المقدمة، باب في الإيمان، برقم (٦٠): ١ / ٢٣ =

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله بن الحلال أنا عبد الله بن المبارك عن ليث بن سعد حدثني عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن المعافري ثم الجيلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَسْتَخْلَصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُهُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَمْ يَكُنْ عَذْرًا أَوْ حَسَنَةً؟ فَيُهَيِّئُ الرَّجُلَ، قَالَ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بَطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضِرْ وَرَثَتَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظَلِّمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَتَقَلَّتِ الْبَطَاقَةُ، قَالَ: فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»^(١). وقال قوم: هذا في الخصوم.

وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى منادٍ ألا من كان يطلب مظلمة فليجيء إلى حقه فليأخذه، فيفرح المرء أن يذوب^(٢) له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه، فيأخذ منه وإن كان صغيراً، ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾، ويؤتى بالعبد فينادي منادٍ على رؤوس الأولين والآخرين: هذا فلان ابن فلان فمن كان له عليه حق فليأت إلى حقه فليأخذه، ويُقال آتِ هؤلاء حقوقهم، فيقول: يا رب من أين وقد ذهبت الدنيا، فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا في أعماله الصالحة فأعطوهم منها فإن بقي مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة: يا ربنا بقي له مثقال ذرة من حسنة، فيقول: ضعفوها لعبدي وأدخلوه بفضل رحمتي الجنة. ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا﴾، وإن كان عبداً شقيماً قالت الملائكة: إلهنا فنيت حسناته وبقي طالبون؟ فيقول الله عز وجل: أخذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صكوا له صكاً إلى النار^(٣).

فمعنى الآية على^(٤) هذا التأويل: أن الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على الخصم بل أخذ له منه ولا

= وأحمد في المسند: ٣/ ٩٤. والمصنف في شرح السنة: ١٥/ ١٨١ - ١٨٢.

(١) أخرجه الترمذي في الإيمان، باب فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله: ٧/ ٣٩٥ - ٣٩٦، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه في الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة برقم (٤٣٠٠): ٢/ ١٤٣٧. وصححه الحاكم على شرط مسلم: ١/ ٦١ وواقفه الذهبي، وأحمد: ٢/ ٢١٢، وصححه ابن حبان في الزهد، باب في الخوف والرجاء برقم (٢٥٢٣) ص (٦٢٥) من موارد والظمان والمصنف في شرح السنة: ١٥/ ١٣٤.

(٢) يقال: ذاب لي على فلان من الحق كذا، يذوب: أي ثبت ووجب. وفي «أ» (يدرب).

(٣) أخرجه الطبري في التفسير: ٨/ ٣٦٣ - ٣٦٤. وقال ابن كثير: ولبعض هذا الأثر شاهد في الحديث الصحيح.

(٤) ساقط من: (ب).

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يُؤَذُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾

يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يشبه عليها ويُضعفها له، فذاك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾، قرأ أهل الحجاز ﴿حسنة﴾ بالرفع، أي: وإن تُوجد حسنة، وقرأ الآخرون بالنصب على معنى: وإن تَكُ زنة الذرة حسنة يُضاعفها، أي: يجعلها أضعافاً كثيرة. ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، قال أبو هريرة رضي الله عنه: إذا قال الله تعالى أجراً عظيماً فمن يقدر قدره؟.

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾، [أي: فكيف الحال وكيف يصنعون إذا جئنا من كل أمة بشهيد] ^(١) يعني: نبيها يشهد عليهم بما عملوا، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾، يا محمد، ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ شاهداً تشهد على جميع الأمم على من رآه وعلى من لم يره.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن يوسف أنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه / ٨٥/ب قال: قال رسول الله ﷺ «اقرأ علي»، قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم فقرأت سورة النساء حتى إذا أتيت هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قال: «حَسْبُكَ الْآنَ» فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان ^(٢).

قوله عز وجل: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، أي يوم القيامة، ﴿يُؤَذُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر ﴿تسوى﴾ بفتح التاء وتشديد السين على معنى تتسوى، فأدغمت التاء الثانية في السين، وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وتخفيف السين على حذف تاء التفعّل كقوله تعالى ﴿لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (هود - ١١) وقرأ الباقون بضم التاء وتخفيف السين على المجهول، أي: لو سُويت بهم الأرض وصاروا هم والأرض شيئاً واحداً.

وقال قتادة وأبو عبيدة: يعني لو تحرقت الأرض فساخوا فيها وعادوا إليها ثم تسوى بهم، أي: عليهم الأرض.

وقيل: ودوا لو أنهم لم يُبعثوا لأنهم إنما نُقلوا من التراب، وكانت الأرض مستوية عليهم.

(١) ساقط من (ب).

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، باب «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد...»: ٨/ ٢٥٠ عن عمرو بن مرة، وفي مواضع أخرى. ومسلم في صلاة المسافرين، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ... برقم (٨٠٠): ١/ ٥٥١. والمصنف في شرح السنة:

وقال الكلبي: يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش والطيور والسباع: كُوتُوا تُراباً فتسوى بهن الأرض، فعند ذلك يتمنى الكافر أن لو كان تراباً كما قال الله تعالى: «ويقول الكافر ياليتني كنتُ تراباً» (النبا ٤٠)

﴿ولا يكتُمون الله حديثاً﴾ قال عطاء: ودوا لو تُسوى بهم الأرض وأنهم لم يكونوا كَتَمُوا أمر محمد ﷺ ولا نَعْتَهُ. وقال الآخرون: بل هو كلامٌ مستأنف، يعني: ولا يكتُمون الله حديثاً لأن ما عملوا لا يخفى على الله ولا يقدر على كتابته. وقال الكلبي وجماعة: ﴿ولا يكتُمون الله حديثاً﴾ لأن جوارحهم تشهد عليهم.

قال سعيد بن جبير: قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ، قال: هات ما اختلف عليك، قال: «فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون» (المؤمنون — ١٠١)، «وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون» (الطور — ٢٥) وقال: «ولا يكتُمون الله حديثاً»، وقال «والله ربنا ما كنا مشركين» (الأنعام — ٢٣) فقد كَتَمُوا، وقال: «أم السماء بناها»، إلى قوله تعالى: «والأرض بعد ذلك دحاها»، فذكر خلق السماء قبل الأرض، ثم قال: «أأتكم لتكفروا بالذي خلق الأرض في يومين»، إلى قوله: «طائعين» (فصلت ٩ — ١١) فذكر في هذه الآية خلق الأرض قبل السماء، وقال: «وكان الله غفوراً رحيماً» «وكان الله عزيزاً حكيماً» فكانه كان ثم مضى؟.

فقال ابن عباس رضي الله عنهما: فلا أنساب بينهم في النفخة الأولى قال الله تعالى: «ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله» (الزمر — ٦٨)، فلا أنساب عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة (أقبل بعضهم على بعض يتساءلون)، وأما قوله: (ما كنا مشركين) (ولا يكتُمون الله حديثاً)، فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، فيقول المشركون: تعالوا نقل لم نكن مشركين، فيختتم على أفواههم وتنطق أيديهم فعند ذلك عرف أن الله لا يُكْتَم حديثاً، وعنده «يؤد الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض»، و (خلق الأرض في يومين)، ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الأرض، ودحيا: أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فقال: خلق الأرض في يومين فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلق السموات في يومين، (وكان الله غفوراً رحيماً) أي: لم يزل كذلك، فلا يختلف عليك القرآن فإن كلاً من عند الله^(١).

وقال الحسن: إنها مواطن، ففي مواطن لا يتكلمون ولا تسمع إلا همساً، وفي مواطن يتكلمون ويكذبون ويقولون: ما كنا مشركين، وما كنا نعمل من سوء، وفي موضع يعترفون على أنفسهم وهو قوله:

(١) أخرجه البخاري تعليقاً في التفسير، في تفسير سورة حم السجدة ثم وصله في آخر الحديث فقال: حدثني يوسف بن عدي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن زيد عن المهال بهذا، وأخرجه الطبري في التفسير: ٣٧٣/٨ — ٣٧٤.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ
وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ
مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا
بِأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

(فاعترفوا بذنوبهم) وفي موضع لا يتساءلون، وفي موطن يُسألون الرجعة، وآخر^(١) تلك المواطن أن يُختم
على أفواههم وتتكلم جوارحهم، وهو قوله تعالى: ﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾ /

١/٨٦

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ الآية، والمراد من السُّكْرِ:
السُّكْرُ من الخمر، عند الأكثرين، وذلك أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع طعاماً ودعا ناساً
من أصحاب النبي ﷺ وأتاهم بخمر فشربوها قبل تحريم الخمر وسكروا فحضرت صلاة المغرب فقدموا
رجلاً ليصلي بهم فقرأ (قل يا أيها الكافرون) أعبد ما تعبدون، بحذف (لا) هكذا إلى آخر السورة، فأنزل
الله تعالى هذه الآية، فكانوا بعد نزول هذه الآية يجتنبون السكر أوقات الصلوات حتى نزل تحريم
الخمر^(٢).

وقال الضحاك بن مزاحم: أراد به سكر النوم، نهي عن الصلاة عند غلبة النوم، أخبرنا أبو الحسن
السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو القاسم جعفر بن محمد بن المغلس أنا هارون بن إسحاق الهمداني
أخبرنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله
ﷺ: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يَصَلِي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنَهُ النَّوْمُ فَإِنِ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ يَنْعَسُ لَعَلَّهُ
يَذْهَبُ يَسْتَعْفِرُ فَيَسِبُ نَفْسَهُ»^(٣).

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ، وَلَا جُنُبًا﴾، نصبٌ على الحال، يعني: ولا تقربوا الصلاة وأنتم
جُنُبٌ، يقال: رجلٌ جنبٌ وامرأةٌ جنبٌ، ورجالٌ جنبٌ ونساءٌ جنبٌ.

(١) في ب (وأحسن).

(٢) أخرجه أبو داود في الأشربة، باب في تحريم الخمر: ٥/٢٥٩، والترمذي في التفسير، في تفسير سورة النساء: ٨/٣٨٠، وقال: هذا
حديث حسن غريب صحيح. وعزاه في تحفة الأحوذى للنسائي.وقال المنذري: وفي إسناده عطاء بن السائب، ولا يعرف إلا من حديثه. وقال ابن معين: لا يحتج بحديثه، وقرق مرة بين حديثه القديم
وحديثه الحديث، وواقفه على التفرقة الإمام أحمد. انظر: مختصر السنن للمنذري: ٥/٢٥٩. وعزاه ابن حجر في الكافي الشاف
ص(٤٤) لأحمد وعبد بن حميد والبرار والحاكم والطبري بنحوه. وانظر: تفسير الطبري: ٨/٣٧٦.(٣) أخرجه البخاري في الوضوء، باب الوضوء من النوم: ١/٣١٣، ومسلم في صلاة المسافرين، باب أمر من نعس في صلاته... برقم
(٧٨٦): ١/٥٤٣. والمصنف في شرح السنة: ٤/٥٧.

وأصل الجنابة: البُعد، وسُمي جنباً لأنه يتجنب موضع الصلاة، أو لمجانبة الناس ويُعده منهم، حتى يغتسل.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾، اختلفوا في معناه، فقالوا: [إلا أن تكونوا مسافرين ولا تجدون الماء فقيموا، منع الجنب من الصلاة حتى يغتسل] ^(١) إلا أن يكون في سفر ولا يجد ماء فيصلي بالتييم، وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد رضي الله عنهم.

وقال الآخرون: المراد من الصلاة موضع الصلاة، كقوله تعالى: «وَبِيعَ وَصَلَوَات» (الحج - ٤٠)، ومعناه: لا تقرئوا المسجد وأنتم جنبٌ إلا مجتازين فيه للخروج منه، مثل أن ينام في المسجد فيجنب أو تصيبه جنابة والماء في المسجد أو يكون طريقه عليه، فيمر فيه ولا يقيم وهذا قول عبد الله بن مسعود وسعيد بن المسيب والضحاك والحسن وعكرمة والنخعي والزهري، وذلك أن قوماً من الأنصار كانت أبوابهم من المسجد فتصيبهم الجنابة ولما ماء عندهم ولا يمر لهم إلا في المسجد، فرخص لهم في العبور. واختلف أهل العلم فيه: فأباح بعضهم المرور فيه على الإطلاق، وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي رحمهم الله، ومنع بعضهم على الإطلاق وهو قول أصحاب الرأي، وقال بعضهم: يتييم للمرور فيه.

أما المكث فلا يجوز عند أكثر أهل العلم لما روينا عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «وَجِئُوا هَذِهِ الْبُيُوتَ عَنِ الْمَسْجِدِ فَإِنِّي لَا أَجِلُّ الْمَسْجِدَ لِحَائِضٍ وَلَا جَنْبٍ» ^(٢)، وجوز أحمد المكث فيه وضعف الحديث لأن راويه مجهول، وبه قال المزني.

ولا يجوز للجنب الطواف كما لا يجوز له الصلاة ولا يجوز له قراءة القرآن، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا شعبة أخبرني عمرو ابن مرة قال سمعت عبد الله بن سلمة ^(٣) يقول: دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: كان رسول الله ﷺ يقضي الحاجة ويأكل معنا اللحم ويقرأ القرآن وكان لا يحجبه أو لا يحجزه عن قراءة القرآن شيء إلا الجنابة» ^(٤).

(١) ساقط من «أ».

(٢) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب الجنب يدخل المسجد: ١/ ١٥٧ - ١٥٨ من حديث عائشة، وابن ماجه في الطهارة، باب ما جاء في اجتناب الحائض المسجد من حديث أم سلمة، برقم (٦٤٥): ١/ ٢١٢، قال في الزوائد: إسناده ضعيف، محذوف لم يوثق، وأبو الخطاب مجهول، وقد نقل ابن القطان عن عبد الحق أنه حديث حسن.

انظر: نصب الراية: ١/ ١٩٤ - ١٩٥، مختصر المنذري: ١/ ١٥٧ - ١٥٨، ارواء الغليل: ١/ ١٦٢.

(٣) في المخطوط: عبد الله بن مسلم، والتصويب من شرح السنة والتقريب.

(٤) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب في الجنب يقرأ القرآن: ١/ ١٥٦، والترمذي في الطهارة، باب ما جاء في الرجل يقرأ القرآن على كل حال ما لم يكن جنباً: ١/ ٤٥٣، ٤٥٤، وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في الطهارة، باب حجب الجنب من قراءة القرآن: =

وُغسل الجنابة يجب بأحد الأمرين: إما بنزول المنى أو بالتقاء الختانين، وهو تغيب الحشفة في الفرج وإن لم يُنزل، وكان الحكم في الابتداء أن من جامع امرأته فأكسل لا يجب عليه الغسل ثم صار منسوخاً.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن أبا موسى الأشعري سأل عائشة رضي الله عنها عن التقاء الختانين فقالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: «إذا التقى الختانان، أو مسّ الختان الختان فقد وجب الغسل»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾، جمع مريض، وأراد به مريضاً يضره إمساس^(٢) الماء مثل الجدري ونحوه، أو كان على موضع طهارته جراحة يخاف من استعمال الماء فيها التلّف أو زيادة الوجع، فإنه يصلي بالتييم وإن كان الماء موجوداً، وإن كان بعض أعضاء طهارته صحيحاً والبعض جريحاً غسل الصحيح منها وتيمم للجريح، لما أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي أنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني أنا موسى بن عبد الرحمن الأنطاكي أنا محمد بن سلمة عن الزبير بن خريق عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجرٌ فشجّه في رأسه، فاحتلم فسأل أصحابه: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ قالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال: «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب — شك الراوي — / على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده»^(٣).

ولم يجوز أصحاب الرأي الجمع بين التيمم والغسل، وقالوا: إن كان أكثر أعضائه صحيحاً غسل

= ١/ ١٤٤، وابن ماجه في الطهارة وسننها، باب ما جاء في قراءة القرآن على غير طهارة، رقم (٥٩٤): ١/ ١٩٥، والحاكم: ٤/ ١٠٧/ وصححه ووافقه الذهبي، والإمام أحمد: ١/ ٨/ ومواضع أخرى. والمصنف في شرح السنة: ٢/ ٤١ — ٤٢. وانظر ما قاله المنذري في مختصر السنن: ١/ ١٥٦ وابن حجر في تلخيص الحبير: ١/ ١٣٩ — ١٤٠، ارواء الغليل للألباني: ١/ ٢٤١ — ٢٤٥. (١) أخرجه الشافعي في المسند: ١/ ٣٨ (ترتيب مسند الإمام)، وأخرجه في الأم: ١/ ٣١، وأحمد في المسند: ٦/ ٩٧ عن عائشة، ومالك في الموطأ، كتاب الطهارة، باب واجب الغسل إذا التقى الختانان، موقوفاً على عائشة: ١/ ٤٦. وأصل الحديث مطولاً عند مسلم في الحوض، باب نسخ (الماء من الماء)... برقم (٣٤٩): ١/ ٢٧١ — ٢٧٢، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢/ ٥. وانظر: نصب الراية: ١/ ٨٤ — ٨٥، تلخيص الحبير: ١/ ١٣٤ — ١٣٥.

(٢) في ب : (امتساس).

(٣) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب في المجدور يتيمم: ١/ ٢٠٨ عن جابر، وفيه الزبير بن خريق — مصفراً — مولى عائشة: ليين الحديث، من الخامسة (تقريب)، وأخرجه ابن ماجه في التيمم، باب المجرور تصيبه الجنابة فيخاف على نفسه، برقم (٥٧٢): ١/ ١٨٩ عن ابن عباس بنحوه. قال في الزوائد: إسناده منقطع. والدارمي عن ابن عباس، في الطهارة، باب المجرور تصيبه الجنابة: ١/ ١٩٢، وصححه الحاكم: ١/ ١٧٨ عن ابن عباس، والمصنف في شرح السنة: ٢/ ١٢٠.

الصحيح ولا يتيمم عليه، وإن كان الأكثر جريماً اقتصر على التيمم.
والحديث حجة لمن أوجب الجمع بينهما.

قوله تعالى: ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾، أراد أنه إذا كان في سفر طويلاً كان أو قصيراً، وعدم الماء فإنه يصلي بالتيمم ولا إعادة عليه، لما روي عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ وَضُوءَ الْمُسْلِمِ وَإِنْ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ عَشْرَ سَنِينَ، فَإِذَا وَجَدَ الْمَاءَ فَلْيَمْسَهُ بِشَرِّهِ»^(١).

أما إذا لم يكن الرجل مريضاً ولا في سفر لكنته عدم الماء في موضع لا يُعَدُّ فيه الماء غالباً بأن كان في قرية انقطع ماؤها فإنه يصلي بالتيمم ثم يُعيد إذا قدر على الماء عند الشافعي، وعند مالك والأوزاعي لا إعادة عليه، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه يؤخر الصلاة حتى يجد الماء^(٢).

قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾، أراد به إذا أحدث، والغائط: اسم للمطمئن من الأرض، وكانت عادة العرب اتيان الغائط للحديث فكنتي عن الحدث بالغائط، ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿لَمَسْتُمْ﴾ هاهنا وفي المائدة، وقرأ الباقون ﴿لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾.

واختلفوا في معنى اللمس والملاسة، فقال قوم: الجماعة، وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، وكنتي باللمس [عن الجماعة لأن الجماع لا يحصل إلا باللمس]^(٣).

وقال قوم: هما التقاء البشريين سواء كان بجماع أو غير جماع، وهو قول ابن مسعود وابن عمر، والشعبي والنخعي.

واختلف الفقهاء في حكم الآية فذهب جماعة إلى أنه إذا أفضى الرجل بشيء من بدنه إلى شيء من بدن المرأة ولا حائل بينهما، ينتقض وضوءهما، وهو قول ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما، وبه قال الزهري والأوزاعي والشافعي رضي الله عنهم.

وقال مالك والليث بن سعد وأحمد وإسحاق: إن كان اللمس بشهوة نقض الطهر، وإن لم يكن

(١) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب الجنب يتيمم: ٢٠٥/١ - ٢٠٦، والترمذي في الطهارة، باب ما جاء في التيمم للجنب إذا لم يجد الماء: ٣٨٧/١ - ٣٨٨، وقال هذا حديث حسن صحيح. والنسائي في الطهارة، باب الصلوات بتيمم واحد: ١٧١/١، والحاكم في المستدرک: ١٧٦/١ - ١٧٧، وصححه ووافقه الذهبي، وأحمد: ١٤٦/٥، ١٤٧.. وصححه ابن حبان في موارد الظمان برقم (١٩٦) ص (٧٥) وأخرجه البزار من طريق هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً، وصححه ابن القطان، ولكن قال الدارقطني: إن الصواب إرساله. انظر فتح الباري: ٤٤٦/١.

(٢) عند الحنفية: إذا كان يروج أو يطمع أن يجد الماء يؤخر الصلاة إلى آخر الوقت المستحب، وقال بعضهم يؤخرها إلى آخر وقت الجواز، والأول أصح. انظر: الفتاوى الهندية: ٣٠/١، فتح القدير: ٩٤/١.

(٣) ساقط من: (أ).

بشهوة فلا ينتقض.

وقال قوم: لا ينتقض الوضوء باللمس بحال، وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري.

وقال أبو حنيفة رضي الله عنه لا ينتقض إلا أن يحدث الانتشار^(١).

واحتج من لم يوجب الوضوء باللمس بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبد الله عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت: كنت أنام بين يدي رسول الله ﷺ ورجلاي في قبلته فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي وإذا قام بسطتهما، قالت والبيوت يومئذ ليس فيها مصاييح^(٢).

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: كنت نائمة إلى جنب رسول الله ﷺ ففقدته من الليل فلمسته بيدي فوضعت يدي على قدميه وهو ساجد وهو يقول: «أعوذُ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»^(٣).

واختلف قول الشافعي رضي الله عنه فيما لو لمس امرأة من محارمه كالأم والبنت والأخت أو لمس أجنبية صغيرة، أصح القولين أنه لا ينقض الوضوء لأنها ليست بمحل الشهوة كما لو لمس رجلاً.

واختلف قوله في انتقاض وضوء الملموس على قولين، أحدهما: ينتقض لاشتراكهما في الالتذاذ كما يجب الغسل عليهما بالجماع، والثاني: لا ينتقض لحديث عائشة رضي الله عنها حيث قالت: فوضعت يدي على قدميه وهو ساجد.

ولو لمس شعر امرأة أو سنّها أو ظفرها لا ينتقض وضوءه عنده.

واعلم أن المحدث لا تصح صلاته ما لم يتوضأ إذا وجد الماء أو يتيمم إذا لم يجد الماء. أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أخبرنا أبو طاهر الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله

(١) قال الحنفية ينتقض الوضوء باللمسة الفاحشة كأن يكونا متجردين ويحدث الانتشار، لا بمجرد الانتشار. انظر: حاشية ابن عابدين: ١٤٦/١، الفتاوى الهندية: ١/١٣.

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة، باب التطوع خلف المرأة: ١/٥٨٨، ومسلم في الصلاة، باب الاعتراض بين يدي المصلي برقم (٥١٢): ٣٦٧/١، والمصنف في شرح السنة: ٤٥٧/٢.

(٣) أخرجه مسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم (٤٨٦): ١/٤٥٢.

عليه السلام: «لا تُقبل صلاةٌ أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»^(١).

والحدث هو خروج الخارج من أحد الفرجين عيئاً كان أو أثراً، والغلبة على العقل بجنون أو إغماء على أي حال كان، وأما النوم فمذهب الشافعي رضي الله عنه أنه يوجب الوضوء إلا أن ينام قاعداً متمكناً فلا وضوء عليه، لِمَا أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز الخلال أنا أبو العباس الأصبم أخبرنا الربيع أنا الشافعي أنا الثقة عن حميد الطويل عن أنس رضي الله عنهما قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرون العشاء فينامون، أحسبه قال قعوداً حتى تَخْفِقَ رؤوسهم ثم يُصلون ولا يتوضؤون^(٢).

وذهب قوم إلى أن النوم يُوجب الوضوء بكل حال وهو قول أبي هريرة رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها، وبه قال الحسن وإسحاق والمُزني، وذهب قوم إلى أنه لو نام قائماً أو قاعداً أو ساجداً فلا وضوء عليه حتى ينام مضطجعاً وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي.

واختلفوا في مس الفرج من نفسه أو من غيره فذهب جماعة إلى أنه يُوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنها، وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان ابن يسار، وعروة بن الزبير، وإليه ذهب الأوزاعي والشافعي، وأحمد وإسحاق وكذلك المرأة تَمَسُّ فرجها، غير أن الشافعي رضي الله عنه يقول لا ينتقض إلا أن يمس بيطن الكف أو بطون الأصابع.

واحتجوا بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه سمع عروة بن الزبير يقول: دخلتُ على مروان بن الحكم فذكرنا ما يكون منه الوضوء، فقال مروان: من مسَّ الذكر الوضوء، فقال عروة: ما علمتُ ذلك، فقال مروان: أخبرتني بُسْرَةُ بنت صفوان أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري في الوضوء، باب: لا تقبل صلاةً بغير طهور: ٢٣٤/١، ومسلم في الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة برقم (٢٢٥): ٢٠٤/١، والمصنف في شرح السنة: ٣٢٨/١.

(٢) أخرجه مسلم في الحيض، باب الدليل على أن نوم الجالس لا ينقض الوضوء، بلفظ: كان أصحاب رسول الله ﷺ ينامون ثم يصلون ولا يتوضؤون برقم (٣٧٦): ٢٨٤/١. وأخرجه بلفظ المصنف: أبو داود في الطهارة باب الوضوء من النوم: ١٤٣/١، والترمذي في الطهارة، باب ما جاء في الوضوء من النوم: ٢٥٣/١ وقال: هذا حديث حسن صحيح. والشافعي في المسند: ٣٤/١ (ترتيب المسند) والمصنف في شرح السنة: ٣٣٨/١.

(٣) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب للوضوء من مسِّ الذكر: ١٣١/١، والترمذي في الطهارة، باب ما جاء في الوضوء من مسِّ الذكر: ٢٧٠/١ — ٢٧٢، وقال: هذا حديث صحيح. والنسائي في الطهارة باب الوضوء من مسِّ الذكر: ١٠٠/١، وابن ماجه في الطهارة، باب الوضوء من مسِّ الذكر، برقم (٤٧٩): ١٦١/١، ومالك في الطهارة، باب الوضوء من مسِّ الفرج: ٤٢/١، والدارقطني في السنن: ١٤٦/١، ١٤٧، وقال: صحيح، والشافعي في المسند: ٣٥، ٣٤/١ (ترتيب المسند) وفي الأم: ١٥/١، وأحمد في المسند: ٤٠٦/٦. والمصنف في شرح السنة: ٣٤٠/١.

وذهب جماعة إلى أنه لا يُوجب الوضوء، روي ذلك عن علي وابن مسعود وأبي الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن، وإليه ذهب الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي.

واحتجوا بما روي عن طلق بن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل عن مس الرجل ذكره، فقال: «هل هو إلا بضعة منك؟» ويروى «هل هو إلا بضعة أو مضغة منه»^(١).

ومن أوجب الوضوء منه قال: هذا منسوخ بحديث بُسرة لأن أبا هريرة يروي أيضاً: أن الوضوء من مس الذكر^(٢)، وهو متأخر الإسلام، وكان قدوم طلق بن علي على رسول الله ﷺ أول زمن الهجرة حين كان يبني المسجد.

واختلفوا في خروج النجاسة من غير الفرجين بالفصد والحجامة وغيرهما من القميء ونحوه، فذهب جماعة إلى أنه لا يُوجب الوضوء، روي ذلك عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، وبه قال عطاء وطاوس والحسن وسعيد بن المسيب وإليه ذهب مالك والشافعي.

وذهبت جماعة إلى إيجاب الوضوء بالقيء والرعاف والفصد والحجامة منهم سفيان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وأحمد وإسحاق.

واتفقوا على أن القليل منه وخروج الريح من غير السبيلين لا يُوجب الوضوء ولو أوجب الوضوء كثيره لأوجب قليله كالفرج.

﴿فلم تجدوا ماءً فيمموا﴾، اعلم أن التيمم من خصائص هذه الأمة، روى حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فَضَّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صَفْرُونَا كَصُفْرِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا

(١) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب الرخصة في ذلك (الوضوء من مس الذكر): ١/١٣٣ ونقل المنذري فيه قول يحيى بن معين: «لقد أكثر الناس في قيس بن طلق وأنه لا يحتج بحديثه، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة عن هذا الحديث فقال: قيس بن طلق ليس ممن تقوم به حجة، ووهناه ولم يثبتناه».

وأخرجه الترمذي في الطهارة، باب ما جاء في ترك الوضوء من مس الذكر: ١/٢٧٤، والنسائي في الطهارة، باب الوضوء من ذلك: ١/١٠١، وابن ماجه في الطهارة، باب الرخصة في ذلك برقم (٤٨٣): ١/١٦٣، والدارقطني في الطهارة: ١/٤٩ وابن حبان في الطهارة، باب ما جاء في مس الفرج برقم (٢٠٧)، ص (٧٧) من موارد الظمان، وأحمد: ٤/٢٢ - ٢٣، والمصنف في شرح السنة: ١/٣٤٢. وانظر: تلمخيص الحبير: ١/١٢٥، نصب الراية: ١/٦٠ - ٧٦.

وقد صحح الحديث: الدارقطني والطحاوي وعمر بن علي الفلاس وابن المديني، والطبراني وابن حزم. وضعفه الشافعي وأبو حاتم وأبو زرعة والبيهقي وابن الجوزي، وادعى فيه النسخ: ابن حبان والطبراني وابن العربي والحارمي وآخرون.

(٢) أخرجه الشافعي في المسند: ١/٣٥ (ترتيب المسند) وفي الأم: ١/١٥ - ١٦، والبيهقي في السنن: ١/١٣٣، والدارقطني: ١/١٤٧، وصححه الحاكم: ١/١٣٨ بلفظ: من مس فرجه.. وابن حبان برقم (٢١٠) ص (٧٧) موارد الظمان، وأحمد: ٢/٣٣٣،

وأخرجه البخاري في التاريخ موقوفاً على أبي هريرة. انظر: نصب الراية: ١/٥٦.

وقال النووي: في إسناده ضعف، لكنه يقوى بكثرة طرقه. انظر: المجموع: ٢/٣٧.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١/٣٤١.

الأرض كلها مسجداً، وجُعِلَتْ تُرْبُهَا لنا طهوراً إذا لم نجد الماء»^(١).

وكان بدء التيمم ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله ﷺ على التيمم وأقام الناس معه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس أبا بكر رضي الله عنه فقالوا ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله ﷺ وبالناس معه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر رضي الله عنه ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام فقال: أحبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، قالت: فعاتبني أبو بكر رضي الله عنه وقال ماشاء الله أن يقول، وجعل يطعن يده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله تعالى آية التيمم ﴿فَتَيْمَّمُوا﴾ فقال أسيد بن حضير وهو أحد النقباء: ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قالت عائشة رضي الله عنها: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته^(٢).

وأخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبيد بن إسماعيل أنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: أنها استعارت من أسماء قِلادةً فهلكت: فأرسل رسول الله ﷺ ناساً من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم. فقال أسيد بن حضير: جزاك الله خيراً فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجاً وجعل للمسلمين فيه بركة^(٣).

﴿فَتَيْمَّمُوا﴾، أي: اقصِدُوا، ﴿صَعِيداً طَيِّباً﴾، أي: تراباً طاهراً نظيفاً، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الصعيد هو التراب.

واختلف أهل العلم فيما يجوز به التيمم، فذهب الشافعي رحمه الله تعالى إلى أنه يختص بما يقع عليه اسم التراب مما يعلق باليد منه غبار، لأن النبي ﷺ قال: «وجُعِلَتْ تُرْبُهَا لنا طهوراً»^(٤).

(١) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة برقم (٥٢٢): ٣٧١/١.

(٢) أخرجه البخاري في التيمم، باب إذا لم يجد ماء ولا تراباً: ٤٣١/١ وفي مواضع أخرى، ومسلم في الحيض، باب التيمم، برقم (٣٦٧):

٢٧٩/١، والمصنف في شرح السنة: ١٠٤/٢ - ١٠٦.

(٣) أخرجه البخاري في التيمم، باب إذا لم يجد ماء ولا تراباً: ٤٤٠/١ ومسلم في الحيض، باب التيمم، برقم: (٣٦٧): ٢٧٩/١.

(٤) قطعة من حديث حذيفة السابق عند مسلم برقم (٥٢٢): ٣٧١/١.

وجوّز أصحاب الرأي التيمم بالزرنينخ والجص والثورة وغيرها من طبقات الأرض، حتى قالوا: لو ضرب يديه على صخرة لا غبار عليها أو على التراب ثم نفخ فيه حتى زال كله فمسح به وجهه ويديه صحّ تيمّمه، وقالوا: الصعيد وجه الأرض، لما روي عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «جُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»^(١).

وهذا مجمل، وحديث حذيفة في تخصيص التراب مفسراً، والمفسر من الحديث يقضي على المُجمل. وجوّز بعضهم التيمم بكل ما هو متصل بالأرض من شجر ونبات، ونحوهما وقال: إن الصعيد اسم لما تصاعد على وجه الأرض.

والقصد إلى التراب شرط لصحة التيمم، لأنّ الله تعالى قال: ﴿فَتَيْمَّمُوا﴾، والتيمم: القصد، حتى لو وقف في مهب الريح فأصابَ الغبارَ وجهه ونوى لم يصح.

قوله تعالى: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ اعلم أن مسح الوجه واليدين واجب في التيمم، واختلفوا في كفيته: فذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يمسح الوجه واليدين مع المرفقين، بضربتين، يضرب كفيه على التراب فيمسح جميع وجهه، ولا يجب إيصال التراب إلى ما تحت الشعور، ثم يضرب ضربةً أخرى فيمسح يديه إلى المرفقين، لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد بن الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد عن أبي الحويرث عن الأعرج عن أبي الصمة قال: مررت على النبي ﷺ وهو يبول فسلمت عليه فلم يردّ علي حتى قام إلى جدار فحته بعضاً كانت معه، ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم ردّ عليّ^(٢) ففيه دليل على وجوب مسح اليدين إلى المرفقين كما يجب غسلهما في الوضوء إلى المرفقين، ودليل على أن التيمم لا يصح ما لم يعلق باليد غبار التراب، لأنّ النبي ﷺ حثّ الجدار بالعصا، ولو كان مجرد الضرب كافياً لما كان حثّه.

وذهب الزهري إلى أنه يمسح اليدين إلى المنكبين، لما روي عن عمار أنه قال: تَيْمَّمْنَا إِلَى الْمَنَاكِبِ. وذلك حكاية فعله لم ينقله عن النبي ﷺ، كما روي أنه قال: أَجْنَبْتُ فْتَمَعَكْتُ فِي التَّرَابِ، فَلَمَّا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ بِالْوَجْهِ وَالْكَفَيْنِ.

وذهب جماعة إلى أن التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين، وهو قول علي وابن عباس رضي الله عنهم،

(١) أخرجه البخاري في أول كتاب التيمم: ٤٣٥/١ - ٤٣٦، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، برقم (٥٢١): ٣٧٠/١، والمصنف في شرح السنة: ١٣/١٩٦.

(٢) أخرجه البخاري في التيمم، باب التيمم في الحضر إذا لم يجد الماء ونخاف فوت الصلاة: ٤٤١/١، ومسلم في الحيض باب التيمم برقم (٣٦٩): ٢٨١/١، والمصنف في شرح السنة: ١١٥/٢.

وبه قال الشعبي وعطاء بن أبي رباح ومكحول، وإليه ذهب الأوزاعي وأحمد وإسحاق، واحتجوا بما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا آدم أنا شعبة أخبرنا الحكم عن زر عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إني أجنبْتُ فلم أصب الماء، فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب: أما تذكر أننا كنا في سفر أنا وأنت، فأما أنت فلم تصل، وأما أنا فتمعكتُ فصليتُ فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «إتما كان يكفيك هكذا، فضرب النبي ﷺ بكفيه الأرض ونفخَ فيهما، ثم مسحَ بهما وجهَهُ وكفيه»^(١).

وقال محمد بن إسماعيل أنا محمد بن كثير عن شعبة بإسناده فقال عمار لعمر رضي الله عنه: تمعكتُ فأتيتُ النبي ﷺ فقال: «يكفيك الوجه والكفان»^(٢).

وفي الحديث دليل على أن الجنب إذا لم يجد الماء يصلي بالتيمم، وكذا الحائض والنفساء إذا طهرتا وعَدَمتا الماء.

وذهب عمر وابن مسعود رضي الله عنهما إلى أن الجنب لا يصلي / بالتيمم بل يؤخر الصلاة إلى أن يجد الماء فيغتسل، وحملوا قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَسْتُمْ التَّسَاء﴾ على اللبس باليد دون الجماع، وحديث عمار رضي الله عنه حجة، وكان عمر نسي ما ذَكَرَ له عمارٌ فلم يقنع بقوله. ورُوي أن ابن مسعود رضي الله عنه رجع عن قوله وجَوَزَ التيمم للجنب، والدليل عليه أيضاً: ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد عن عياد بن منصور عن أبي رجاء العطاردي عن عمران بن حصين رضي الله عنهم أن النبي ﷺ أمر رجلاً كان جنباً أن يتيمم ثم يصلي فإذا وجد الماء اغتسل^(٣).

٨٧/ب

وأخبرنا عمر بن عبد العزيز أنا أبو القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي اللؤلؤي أنا أبو داود السجستاني أنا مسدد أنا خالد الواسطي عن خالد الحذاء عن أبي عمرو بن بجدان عن أبي زر رضي الله عنهم قال: اجتمعت غنيمة من الصدقة عند رسول الله ﷺ فقال: يا أبا ذر ابْدُ فيها، فبدوت إلى الريدة

(١) أخرجه البخاري في التيمم، باب التيمم هل ينفخ فيهما؟: ٤٤٣/١، ومسلم في الحيض، باب التيمم، برقم (٣٦٨): ٢٨٠/١، والمصنف في شرح السنة: ١٠٩/٢.

(٢) أخرجه البخاري في التيمم، باب التيمم للوجه والكفين: ٤٤٥/١، ومسلم في الحيض، باب التيمم، برقم (٣٦٨): ٢٨٠/١، والمصنف في شرح السنة: ١٠٩/٢.

(٣) أخرجه البخاري في التيمم، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم: ٤٤٧/١ - ٤٤٨ وفي الأنبياء، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفاتية... مطولاً برقم (٦٨٢): ٤٧٤/١ - ٤٧٦، والمصنف في شرح السنة: ١١١/٢.

وكانت تصيبني الجنابة فأمكث الخمس والست، فأتيت رسول الله ﷺ فقال: «الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو إلى عشر سنين، فإذا وجدت الماء فأمسّه جلدك فإن ذلك خير»^(١).

ومسح الوجه واليدين في التيمم، تارة يكون بدلاً من غسل جميع البدن في حق الجنب والحائض والنفساء والميت، وتارة يكون بدلاً عن غسل الأعضاء الأربع في حق المحدث، وتارة يكون بدلاً عن غسل بعض أعضاء الطهارة، بأن يكون على بعض أعضاء طهارته جراحة لا يمكنه غسل محلها، فعليه أن يتيمم بدلاً عن غسله.

ولا يصح التيمم لصلاة الوقت إلا بعد دخول الوقت، ولا يجوز أن يجمع بين فريضتين بتيمم واحد، لأن الله تعالى قال: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ إلى أن قال: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، ظاهر الآية يدل على وجوب الوضوء أو التيمم إذا لم يجد الماء عند كل صلاة، إلا أن الدليل قد قام في الوضوء فإن النبي ﷺ صلى يوم فتح مكة الصلوات بوضوء واحد،^(٢) فبقي التيمم على ظاهره، وهذا قول علي وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم، وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة، وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق.

وذهب جماعة إلى أن التيمم كالطهارة بالماء يجوز تقديمه على وقت الصلاة، ويجوز أن يصلي به ما شاء من الفرائض ما لم يحدث، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهري والثوري وأصحاب الرأي. واتفقوا على أنه يجوز أن يصلي بتيمم واحد مع الفريضة ما شاء من النوافل، قبل الفريضة وبعدها، وأن يقرأ القرآن إن كان جنباً، وإن كان تيممه بعذر السفر وعدم الماء فيشترط طلب الماء، وهو أن يطلبه من رحله ورفقائه..

وإن كان في صحراء لا حائل دون نظره نحو آليته، وإن كان دون نظره حائل قريب من تل أو جدار عدل عنه، لأن الله تعالى قال: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾، ولا يُقال: لم يجد الماء: إلا لمن طلب. وعند أبي حنيفة رضي الله عنه: طلب الماء ليس بشرط، فإن رأى الماء ولكن بينه وبين الماء حائل من عدو أو سبع يمنعه من الذهاب إليه، أو كان الماء في البئر وليس معه آلة الاستقاء، فهو كالمعدوم، يصلي بالتيمم ولا إعادة عليه.

(١) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب الجنب يتيمم: ٢٠٥ / ١ - ٢٠٦، والترمذي في الطهارة، مختصراً، باب ما جاء في التيمم للجنب إذا لم يجد الماء: ٣٨٧ / ١ وقال: هذا حديث حسن صحيح. والبيهقي في السنن: ٢٢٠ / ١، وصححه الحاكم في المستدرک: ١٧٦ / ١ - ١٧٧ ووافقه الذهبي.

(٢) انظر صحيح الإمام مسلم - كتاب الطهارة - باب جواز الصلوات كلها بوضوء واحد برقم (٢٧٧) / ١ - ٢٣٢.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا
السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ الَّذِينَ
هَادُوا وَيُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ
وَرَاعِنَا لِيًّا بِالسِّنِّهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ
خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾

قوله عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾، يعني: يهود المدينة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دحشم، كان إذا تكلم رسول الله ﷺ لَوْيَا بِالسِّنِّهِمَا^(١) وعاباه، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٢) ﴿يَشْتَرُونَ﴾ يستبدلون، ﴿الضَّلَالََةَ﴾، يعني: بالهدى، ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ أي: عن السبيل يا معشر المؤمنين.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾، منكم، فلا تستنصحوهم فإنهم أعداؤكم، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾، قال الزجاج: معناه اكتفوا بالله ولياً واكتفوا بالله نصيراً.

﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾، قيل: هي متصلة بقوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ وقيل: هي مستأنفة، معناه: من الذين هادوا مَن يُحَرِّفُونَ، كقوله تعالى: «وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ» (الصفات - ١٦٤) أي: مَن له مقام معلوم، يُرِيدُ: فريق، ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾، يُغَيِّرُونَ الْكَلِمَ ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾، يعني: صفة محمد ﷺ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت اليهود يأتون رسول الله ﷺ ويسألونه عن الأمر، فيخبرهم، فيرى أنهم يأخذون بقوله، فإذا انصرفوا من عنده حَرَّفُوا كَلِمَتَهُ، ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾، قولك، ﴿وَعَصَيْنَا﴾، أَمَرَك، ﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾، أي: اسمع منا ولا نسمع منك، ﴿غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ أي: غير مقبول منك، وقيل: كانوا يقولون للنبي ﷺ: اسمع، ثم يقولون في أنفسهم: لا سمعت، ﴿وَرَاعِنَا﴾ أي: ويقولون راعنا، يُرِيدُونَ به النسبة إلى الرعونة، ﴿لِيًّا بِالسِّنِّهِمْ﴾، تحريفاً، ﴿وَطَعْنَا﴾، قدحاً ﴿فِي الدِّينِ﴾، أن قوله: «وَرَاعِنَا» من المُرَاعَاة، وهم يُحَرِّفُونَهُ، يُرِيدُونَ به الرعونة، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا﴾، أي: انظر إلينا مكان قولهم راعنا، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ﴾، أي أعدل وأصوب، ﴿وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا نفرًا قليلاً منهم، وهو عبد الله بن سلام ومن أسلم معه منهم.

(١) في ب: (لسانها).

(٢) انظر: الدر المنثور: ٢/٥٩٣.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ
وُجُوهًا فَتَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَسْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ
مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب﴾، يُخاطب اليهود، ﴿آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾، يعني: القرآن، ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾، يعني: التوراة، وذلك أن النبي ﷺ كَلَّمَ أَحْبَارَ الْيَهُودِ: عبد الله بن سوريا وكعب بن الأشرف، فقال: «يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جِئْتُمْ بِهِ لِحَقٌّ»، قالوا: ما نعرف ذلك، وأصروا على الكفر، فنزلت هذه الآية (١).

﴿مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾، قال ابن عباس: نجعلها كخف البعير، وقال قتادة والضحاك: نُعْمِيهَا (٢)، والمراد بالوجه العين، ﴿فَتَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾، أي: نطمسُ الوجه فنرده على القفا، وقيل: نجعل الوجوه منابت الشعر كوجوه القردة، لأن منابت شعور الآدميين في أدبارهم دون وجوههم، وقيل: معناه نمحو آثارها وما فيها من أنف وعين وفم وحاجب فنجعلها كالأقفا، وقيل: نجعل عينيه على القفا فيمشي فهقري.

روي أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما سَمِعَ هذه الآية جاء إلى النبي ﷺ قبل أن يأتي أهله، ويده على وجهه، وأسلم وقال: يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي في قفاي، وكذلك كعب الأحبار لما سمع هذه الآية أسلم في زمن عمر رضي الله عنه، فقال: يا رب آمنت، يارب أسلمت، مخافة أن يصيبه وَعِيدُ هذه الآية (٣).

فإن قيل: قد أوعدهم (٤) بالطمس إن لم يؤمنوا ثم لم يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك؟

قيل: هذا الوعيد باقٍ، ويكون طمسٌ ومسحٌ في اليهود قبل قيام الساعة.

وقيل: كان هذا وعيداً بشرط، فلما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه رفع ذلك عن الباقيين.

وقيل: أراد به القيامة، وقال مجاهد / أراد بقوله: ﴿نَطْمِسُ وُجُوهًا﴾ أي: نتركهم في الضلالة، فيكون المراد طمس وجه القلب، والرد عن بصائر الهدى على أدبارها ف الكفر والضلالة.

وأصل الطمس: الحو والإفساد والتحويل، وقال ابن زيد: نمحو آثارهم من وجوههم ونواحيهم التي

(١) أخرجه البخاري مطولاً في مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة: ٢٤٩/٧ - ٢٥٠.

(٢) في أ: (نُعْمِيهَا).

(٣) قطعة من الحديث السابق.

(٤) في المخطوطتين (وعدهم).

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ
 أَفْرَأَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

هم بها، فرددّها على أديبارهم حتى يعودوا إلى حيث جاؤوا منه بدءاً وهو الشام، وقال: قد مضى ذلك، وتأوله في إجلاء بني النضير إلى أذرعات وأريحاء من الشام ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾، فنجعلهم قردة وخناذير، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، قال الكلبي: نزلت في وحشي بن حرب وأصحابه، وذلك أنه لما قتل حمزة كان قد جعل له على قتله أن يُعتق فلم يُؤفَّ له بذلك، فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو وأصحابه فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: أأنا قد ندمنا على الذي صنعنا وأنه ليس يمنعنا عن الإسلام إلا أنا سمعناك تقول وأنت بمكة: «والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر» الآيات (الفرقان — ٦٨)، وقد دعونا مع الله إلهاً آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزينا، فلولا هذه الآيات لاتبعناك، فنزلت: «إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا» الآيتين، (الفرقان — ٧٠ — ٧١) فبعث بهما رسول الله ﷺ إليهم، فلما قرؤوا كتبوا إليه: إن هذا شرط شديد نخاف أن لا نعمل عملاً صالحاً، فنزل: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)، فبعث بها إليهم فبعثوا إليه: إنا نخاف أن لا نكون من أهل المشيئة فنزلت: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ» (الزمر — ٥٣)، فبعث بها إليهم فدخلوا في الإسلام ورجعوا إلى النبي ﷺ فقبل منهم، ثم قال لوحشي: أخبرني كيف قتلت حمزة؟ فلما أخبره قال: «ويحك غيب وجهك عني»، فلحق وحشي بالشام فكان بها إلى أن مات (١).

وقال أبو مجلز عن ابن عمر رضي الله عنه لما نزلت: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ»، الآية قام رجل فقال: والشرك يا رسول الله، فسكت ثم قام إليه مرتين أو ثلاثاً فنزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ (٢).

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير: قال ابن عمر رضي الله عنه: كتنا على عهد محمد رسول الله ﷺ إذا مات الرجل على كبيرة شهدنا أنه من أهل النار حتى نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فأمسكنا عن الشهادات (٣).

(١) انظر: البحر المحيط: ٢٦٨/٣.

(٢) الطبري: ٤٤٩/٨، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥٥٧/٢ لابن أبي حاتم وابن المنذر.

(٣) انظر الطبري: ٤٥٠/٨، والدر المنثور: ٥٥٦/٢.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزُكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يَتْلُمُونَ فَتِيلًا ﴿٤١﴾

حكى عن علي رضي الله عنه أن هذه الآية أرجى آية في القرآن «ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»^(١).

«وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ» اختلق، «إِثْمًا عَظِيمًا»، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أحمد بن الحسن الحيري أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ قال: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»^(٢).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أبو معمر أنا عبد الوارث عن الحسين يعني: المعلم عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر حدثه أن أبا الأسود الدؤلي حدثه أن أبا ذر حدثه قال: أتيت النبي ﷺ وعليه ثوبٌ أبيض وهو نائم، ثم أتيتته وقد استيقظ، فقال: «ما من عبدٍ قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال «وإن زنى وإن سرق» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق على رِغْمِ أَبِي ذَرٍّ»، وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رِغْمِ أَبِي ذَرٍّ^(٣).

قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزُكِّي مَنْ يَشَاءُ» الآية، قال الكلبي: نزلت في رجال من اليهود منهم بحري بن عمرو والنعمان بن أوفى ومرحب بن زيد، أتوا بأطفالهم إلى النبي ﷺ فقالوا: يا محمد هل على هؤلاء من ذنب؟ فقال: لا، قالوا: ما نحن إلا كهيتهم، ما عملنا بالنهار يُكفِّرُ عَنَّا بالليل، وما عملنا بالليل يكفِّرُ عَنَّا بالنهار، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٤).

وقال مجاهد وعكرمة: كانوا يُقَدِّمون أطفالهم في الصلاة، يزعمون أنهم لا ذنوب لهم، فتلك التزكية. وقال الحسن والضحاك وقتادة ومقاتل: نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، «وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى» (البقرة — ١١١) وقال عبد الله بن مسعود رضي

(١) أخرجه الترمذي في التفسير — سورة النساء: ٣٩٩/٨ — ٤٠٠ وقال: هذا حديث حسن غريب وعزاه السيوطي أيضاً للفريراني. الدر المنثور: ٥٥٨/٢.

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان. باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة برقم (٩٣) ٩٤/١.

(٣) أخرجه البخاري في اللباس. باب الثياب البيض: ١٠/٢٨٣. ومسلم في الإيمان. باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة برقم (٩٤) ٩٥/١، والمصنف في شرح السنة: ٩٦/١، ٩٧.

(٤) انظر أسباب النزول للواحد ص ١٤٨ عن الكلبي بدون إسناد، لباب النقول للسيوطي ص ١٦٧، الدر المنثور: ٥٦٠/٢، قال ابن حجر في الكافي الشاف ص (٤٤ — ٤٥) ذكره الثعلبي عن الكلبي.

أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْفَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
 أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾

الله عنه: هو تزكية بعضهم لبعض، روى طارق بن شهاب عن ابن مسعود قال: إن الرجل ليغدو من بيته
 ومعه دينه فيأتي الرجل لا يملك له ولا لنفسه ضراً ولا نفعاً فيقول: والله إنك كيت وكيت!! ويرجع إلى بيته
 وما معه من دينه شيء، ثم قرأ: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُرْكُونَ أَنفُسَهُمْ»، الآية.

قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يُرْكِي﴾ أي: يطهر ويبريء من الذنوب ويصلح، ﴿مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ
 فَيَلًا﴾ وهو اسم لما في شِقِّ النَّوَاةِ، والقَطْمِير اسم للقشرة التي على النَّوَاةِ، والتَقِير اسم للنقطة التي على
 ظهر النَّوَاةِ، وقيل: الفتيل من القتل وهو ما يجعل بين الأصبعين من الوسخ عند القتل.

قوله تعالى: ﴿انظُر﴾ يا محمد، ﴿كَيْفَ يَقْفَرُونَ عَلَى اللَّهِ﴾، يختلفون على الله، ﴿الْكَذِبَ﴾، في
 تغييرهم كتابه، ﴿وَكَفَى بِهِ﴾، بالكذب ﴿إِثْمًا مُبِينًا﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾، اختلفوا
 فيهما فقال عكرمة: هما صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله، وقال أبو عبيدة: هما كل معبود
 يُعبد من دون الله. قال الله تعالى «أَنْ اَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» (النحل — ٣٦)، وقال عمر:
 الْجِبْتُ: السحر، والطَّاغُوت: الشيطان. وهو قول الشعبي ومجاهد. وقيل: الجبْتُ: الأوثان، والطَّاغُوت:
 شياطين الأوثان. ولكل صنم شيطان، يُعبَّر عنه، فيغترُّ به الناس. وقال محمد بن سيرين ومكحول:
 الجبْتُ: الكاهن، والطَّاغُوت: الساحر. وقال سعيد بن جبیر وأبو العالية: الجبْتُ: الساحر بلسان الحبشة،
 والطَّاغُوت: الكاهن. ورؤي عن عكرمة: الجبْتُ بلسان الحبشة: شيطان.

وقال الضحاك: الجبْتُ: حُيِّي بن أخطب، والطَّاغُوت: كعب بن الأشرف. دليله قوله تعالى:
 «يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ» (النساء — ٦٠) أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو
 الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن
 عوف العبدي عن حيان عن قطن بن قبيصة عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «الْعِيَاْفَةُ وَالطَّرْقُ وَالطَّيْرَةُ مَنَ
 الْجِبْتِ»^(١).

(١) أخرجه أبو داود في الطب — باب: في الخط وزجر الطير ٥ / ٣٧٣ وسكت عنه المنذري، وعزاه للنسائي وأحمد في المسند: ٣ / ٤٧٧
 عن قبيصة و ٥ / ٦٠ وعبد الرزاق في المصنف برقم: (١٩٥٠٢) والمصنف في شرح السنة: ١٢ / ١٧٧، وقد حسن النووي هذا =

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾

وقيل: الجبث كل ما حرم الله، والطاغوث كل ما يُطغي الإنسان.

﴿ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾، قال المفسرون: خرج كعب بن الأشرف في سبعين راكباً من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ليُحالفوا قريشاً على رسول الله ﷺ وينقضوا العهد الذي كان بينهم / وبين رسول الله ﷺ، فنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مثواه، ونزلت اليهود في دور قريش، فقال أهل مكة: إنكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن أن يكون هذا مكرأ منكم فإن أردتم أن نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما ففعلوا ذلك، فذلك قوله تعالى : ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾.

ثم قال كعب لأهل مكة: ليجيء منكم ثلاثون ومئتا ثلاثون فنلزم أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدنا على قتال محمد، ففعلوا.

ثم قال أبو سفيان لكعب: إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم، فأينا أهدى طريقة، نحن أم محمد؟

قال كعب: اعرضوا علي دينكم.

فقال أبو سفيان: نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم، ومحمد فارق دين آباءه وقطع الرحم وفارق الحرم، وديننا القديم ودين محمد الحديث.

فقال كعب: أنتم والله أهدى سبيلاً مما عليه محمد فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾^(١)، يعني: كعباً وأصحابه ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾، يعني: الصنمين ﴿ويقولون للذين كفروا﴾ أبي سفيان وأصحابه ﴿هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾ محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم (سبيلاً ديناً).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾.

= الحديث.

والعيافة: زجر الطير، والطرق: هو الضرب بالحصى، والطيبة التشاؤم بالطيور والظباء ونحوها.

(١) انظر الطبري: ٤٦٦/٨ - ٤٦٩، الدر المنثور: ٥٦٣/٢، أسباب النزول للواحدي ص ١٤٩.

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى
 مَاءِ آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكَاً
 عَظِيماً ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعيراً ﴿٥٥﴾

﴿أَمْ لَهُمْ﴾ يعني: أَلَهُمْ؟ والميم صلة ﴿نَصِيبٌ﴾ حظ ﴿مِّنَ الْمُلْكِ﴾ وهذا على جهة الإنكار،
 يعني: ليس لهم من الملك شيء ولو كان لهم من الملك شيء، ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾، لحسدتهم
 ويخلهم، والنقير: النقطة التي تكون في ظهر الثَّوَاءِ ومنها تبت النخلة، وقال أبو العالية: هو نقر الرجل
 الشيء بطرف أصبعه كما ينقر الدرهم.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾، يعني: اليهود، ويحسدون الناس: قال قتادة: المراد بالناس العرب، حسدَهم
 اليهود على التَّوْبَةِ، وما أكرمهم الله تعالى بمحمد ﷺ. وقيل: أراد محمداً ﷺ وأصحابه، وقال ابن عباس
 والحسن ومجاهد وجماعة: المراد بالناس: رسول الله ﷺ وحده، حسدوه على ما أحلَّ الله له من النساء،
 وقالوا: ما له هَمٌّ إلا النكاح، وهو المراد من قوله: ﴿عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وقيل: حسدوه على
 التَّوْبَةِ وهو المراد من الفضل المذكور في الآية، ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، أراد بآل
 إبراهيم: داود وسليمان، وبالكتاب: ما أنزل الله عليهم وبالحكمة التَّوْبَةَ ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكَاً عَظِيماً﴾ فَمِنْ
 فَسَّرَ الفضل بكثرة النساء فسَّرَ المُلْكُ العظيم في حق داود وسليمان عليهما السلام بكثرة النساء، فإنه
 كان لسليمان ألف امرأة ثلاثمائة حرة وسبعمائة سرية، وكان لداود مائة امرأة^(١)، ولم يكن يومئذ لرسول
 الله ﷺ إلا تسع نسوة، فلما قال لهم ذلك سكتوا.

قال الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ﴾، يعني: بمحمد ﷺ، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه،
 ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ﴾، أعرض عنه ولم يؤمن به، ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعيراً﴾، وقوداً، وقيل: المُلْكُ العظيم:
 مُلْكُ سليمان. وقال السدي: الهاء في قوله ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ﴾، راجعة إلى إبراهيم،
 وذلك أن إبراهيم زرع ذات سنة، وزرع الناس فهلك زرعُ الناس وزكا زرع إبراهيم عليه السلام،
 فاحتاج إليه الناس فكان يقول: من آمن بي أعطيته فمن آمن به أعطاه، ومن لم يؤمن به منعه.

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ٢٩ «وقد ذكر غير واحد من السلف أنه كانت لسليمان من النساء ألف امرأة، وسبعمائة مهور،
 وثلاثمائة سراري. وقيل: بالعكس: ثلاثمائة حرائر وسبعمائة من الإماء».
 وروى الطبري عن السدي أنه كان لسليمان مائة امرأة. انظر: تاريخ الطبري: ١/ ٥٠٠.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّهِمْ نَارًا كَمَا نَصَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا أُخْرَى لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّهِمْ نَارًا﴾، نُدْخِلُهُمْ نَارًا، ﴿كَلَّمَا نَصَجَتْ﴾، احترقت، ﴿جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا أُخْرَى﴾، غير الجلود المحترقة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يُبَدِّلُونَ جُلُودًا بِيضَاءَ كَأَمْثَالِ الْقِرَاطِيسِ.

وروي أنّ هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه، فقال عمر رضي الله عنه للقارىء: أعدّها فأعادها، وكان عنده معاذ بن جبل، فقال معاذ: عندي تفسيرها: تُبَدَّلُ فِي سَاعَةٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، فقال عمر رضي الله عنه: هكذا سمعت رسول الله ﷺ (١).

قال الحسن: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا معاذ بن أسيد أنا الفضل بن موسى أنا الفضيل بن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما بين منكبَي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع» (٢).

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا شريح بن يونس أنا حميد بن عبد الرحمن عن الحسن بن صالح عن هارون بن سعد عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «ضرسُ الكافر أو نابُ الكافر مثل أحد، وغلظُ جلده مسيرة ثلاثة أيام» (٣).

فإن قيل: كيف تُعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعصه؟

قيل يُعاد الجلد الأول في كل مرة.

وإنما قال: ﴿جُلُودًا أُخْرَى﴾ لتبدل صفتها، كما تقول: صنعتُ من خاتمي خاتماً غيره، فالخاتم الثاني هو الأول إلا أن الصناعة والصفة تبدلت، وكمن يترك أخاه صحيحاً ثم بعد مرة يراه مريضاً دنيماً فيقول:

(١) قال ابن حجر في الكافي الشاف ص(٤٥): أخرجه ابن عدي والطبراني، وفيه نافع بن يوسف السلمي. وأبو هرير وهو ضعيف. وقال اسحاق به راهويه في مسنده: سئل فضيل بن عياض عن هذه الآية فأخبرنا عن هشام عن الحسن قال: «تبدل جلودهم كل يوم سبعين ألف مرة».

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق: باب: صفة الجنة والنار: ١١ / ٤١٥، ومسلم في الجنة — باب: النار يدخلها الجبارون برقم: (٢٨٥٢) ٤ / ٢١٩٠، والمصنف في شرح السنة: ١٥ / ٢٥٠، وهو موقوف على أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها — باب: النار يدخلها الجبارون برقم (٢٨٥١) ٤ / ٢١٨٩.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا ظِلِيلًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾

أنا غير الذي عهدت، وهو عين الأول، إلا أن صفته تغيرت.

وقال السدي: يُبدل الجلدُ جلدًا غيره من لحم الكافر ثم يعيد الجلد لحمًا ثم يُخرج من اللحم جلدًا آخر وقيل: يُعذب الشخصُ في الجلد لا الجلد، بدليل أنه قال: ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ولم يقل: لتذوق وقال عبد العزيز بن يحيى: إن الله عز وجلَّ يُلبس أهل النار جلوداً لا تألم، فيكون زيادة عذاب عليهم، كلما احترق جلدٌ بدَّ لهم جلدًا غيره، كما قال: «سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانَ» (إبراهيم - ٥٠) فالسراويل تُؤلمهم وهي لا تألم. قوله تعالى: ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا ظِلِيلًا﴾، كنيئاً لا تنسخه الشمس ولا يؤذيهم حرٌّ ولا بردٌ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾، نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار، وكان سَادِنَ الكعبة، فلما دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله ﷺ المفتاح، فقيل: إنه مع عثمان، فطلبه منه رسول الله ﷺ فأبى، وقال: لو علمتُ أنه رسول الله لم أمنعه المفتاح، فلوَّى عليُّ رضي الله عنه يده فأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله ﷺ البيت وصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس المفتاح، أن يعطيه ويجمع له بين السقاية والسدانة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمر رسول الله ﷺ أن يردَّ المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه، ففعل ذلك عليُّ رضي الله عنه، فقال له عثمان: أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق، فقال علي: لقد أنزل الله تعالى في شأنك قرآناً / وقرأ عليه الآية، فقال عثمان: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وكان المفتاح معه، فلما مات دفعه إلى أخيه شيبة، فالمفتاح والسدانة في أولادهم إلى يوم القيامة^(١).

١/٨٩

وقيل: المراد من الآية جميع الأمانات. أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي الزراد أنا أبو بكر محمد بن

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٥٠) بدون إسناد، وقال ابن حجر: هكذا ذكره الثعلبي ثم البغوي بغير إسناد، وكذا ذكره الواحدي في الوسيط والأسباب، الكافي الشاف ص ٤٥، وانظر الطبري: ٤٩١/٨، وعزاه في الدر المنثور ٥٧٠/٢ لابن مردويه من طريق الكلبي عن ابن عباس.

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

إدريس الجرجاني وأبو أحمد بن محمد بن أحمد المعلم الهروي قال: أنا أبو الحسن علي بن عيسى الماليني أنا الحسن بن سفيان النسوي أنا شيان بن أبي شيبه أخبرنا أبو هلال عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قلما خطبنا رسول الله ﷺ قال: «ألا لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ أي: بالقسط، ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا أَيُّ نِعْمِ الشَّيْءِ﴾ الذي يُعْظَمُ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿﴾ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن حمد بن عبد الجبار الزيات أنا حميد بن زنجويه حدثنا ابن عباد ثنا بن عيينه عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «المقسطون عند الله على منابرٍ من نُورٍ على يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، هم الذين يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا»^(٢).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ عَادِلٌ، وَإِنْ أَبْغَضَ وَأَشَدَّهُمْ عَذَابًا إِمَامٌ جَائِرٌ»^(٣).

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، اختلفوا في ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾، قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهم: هم الفقهاء والعلماء الذين يَعْلَمُونَ النَّاسَ مَعَالِمَ دِينِهِمْ، وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد، ودليله قوله تعالى: «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» (النساء — ٨٣).

وقال أبو هريرة: هم الأمراء والولاة.

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٣/ ١٣٥، ١٥٤ وفي السنة أيضاً صفحة ٩٧، ورواه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة من طريقين عن أنس، وصححه ابن حبان في موارد الظمان برقم (٣٦) ص ٤٠، وللحديث شواهد ولذلك قال الذهبي: سنده قوي، وانظر: مشكاة المصابيح ١/ ١٧، فض القدير ٦/ ٣٨١، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٧٥/١.

(٢) أخرجه مسلم في الإمامة — باب: فضيلة الإمام العادل... برقم (١٨٢٧) ٣/ ١٤٥٨. والمصنف في شرح السنة: ٦٣/١٠.

(٣) أخرجه الترمذي في الأحكام، باب ما جاء في الإمام العادل: ٤/ ٥٥٩ — ٥٦٠، وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأحمد: ٣/ ٢٢، ٥٥ عن أبي سعيد وفي سنده عندهما: عطية العوفي: صلوق بخطى كثيرة، كان شيعياً مدلساً. (تقريب). وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٦٥/١٠.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حقّ على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدي الأمانة فإذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويُطيعوا.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزياتي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منه أنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»^(١).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد ابن إسماعيل أنا مسدد أنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله حدثني نافع عن عبد الله رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبّ وكره، ما لم يؤمّر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(٢).

[أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن محمد الدراوردي]^(٣) أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد أخبرنا عبادة بن الوليد بن عبادة أن أباه أخبره عن عبادة بن الصامت قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في اليسر والعسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا وعلى أن لا تتنازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم»^(٤).

أخبرنا أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبيد الله بن أحمد القفال أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البروجردي أنا أبو بكر بن محمد بن همدان الصيرفي أنا محمد بن يوسف الكديمي قال أخبرنا أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي التياح عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبي ذر: «اسمع وأطع ولو لعبد حبشي كأن رأسه زبيبة»^(٥).

(١) أخرجه البخاري في الجهاد، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقي به: ٦/ ١١٦، وفي الأحكام: ١٣/ ١١١، ومسلم في الإمامة — باب وجوب طاعة الأئمة في غير معصية برقم (١٨٣٥): ٣/ ١٤٦٦.

والمصنف في شرح السنة: ١٠/ ٦٩.

(٢) أخرجه البخاري في الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام: ١٣/ ١٢١، وفي الجهاد: ٦/ ١١٥، ومسلم في الإمامة، باب وجوب طاعة الأئمة في غير معصية، برقم (١٨٣٩): ٣/ ١٤٦٩، والمصنف في شرح السنة: ١٠/ ٤٣.

(٣) ما بين القوسين ساقط من: (أ).

(٤) أخرجه البخاري في الفتن، باب قول النبي ﷺ: سترون بعدي أموراً تنكرونها: ١٣/ ٥، وفي الأحكام: ١٣/ ١٩٢، ومسلم في الإمامة، باب وجوب طاعة الأئمة في غير معصية، برقم (١٧٠٩): ٣/ ١٤٧٠، والمصنف في شرح السنة: ١٠/ ٤٦.

(٥) أخرجه البخاري في الأذان، باب إمامة المفتون والمتدع: ٢/ ١٨٨، ومسلم في الإمامة، باب وجوب طاعة الأئمة في غير معصية، برقم (١٨٣٧): ٣/ ١٤٦٧، والمصنف في شرح السنة: ١٠/ ٤٢.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس أنا محمد بن أحمد المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا موسى بن عبد الرحمن الكندي أنا زيد بن الحباب أنا معاوية بن صالح حدثني سليم بن عامر قال: سمعتُ أبا أمامة رضي الله عنه يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يخطب في حَجَّةِ الْوَدَاعِ فقال: «اتَّقُوا اللَّهَ وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ وَصُومُوا شَهْرَكُمْ وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»^(١).

وقيل: المراد أمراء السرايا، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد ابن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا صدقة بن الفضل أنا حجاج بن محمد عن يعلى بن مسلم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، قال: نزلت في عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِي إِذْ بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي سِرِيَّةٍ^(٢).

وقال عكرمة: أراد بأولي الأمر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. حدثنا أبو المظفر محمد بن أحمد التيمي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم أخبرنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة الأطرابلسي أنا عمرو ابن أبي غرزة بالكوفة أخبرنا ثابت بن موسى العابد عن سفيان بن عُيَيْنَةَ عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَا أَدْرِي مَا بَقَائِي فِيكُمْ فَاقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ»^(٣)، رضي الله عنهما.

وقال عطاء: هم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان بدليل قوله تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) الآية. أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمود أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن إسماعيل المكي عن الحسن بن أنس بن مالك رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «مِثْلُ أَصْحَابِي فِي أُمَّتِي كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ لَا يَصْلُحُ الطَّعَامُ إِلَّا بِالْمِلْحِ»^(٤) قال: قال

(١) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ما ذكر في فضل الصلاة، ٢٣٨/٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد: ٢٥١/٥ وإسناده حسن. ورواه من طريق أخرى في: ٢٦٢/٥ وفيه ضعف.

وأخرجه ابن حبان والحاكم والبيهقي، ورواه الخلعفي في فوائده. انظر: فيض القدير: ١٣٠/١، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٣/١ - ٢٤، وقال: هذا حديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، سورة النساء، باب «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول» ٢٥٣/٨، ومسلم في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية برقم: (١٨٣٤): ١٤٦٥/٣. وانظر: أسباب النزول للواحد ص (١٥٢).

(٣) أخرجه الترمذي في المناقب: ١٠/١٤٩، وابن ماجه في المقدمة برقم (٩٧): ١/٣٧، والحاكم مختصراً: ٣/٧٥ وصححه ووافقه الذهبي، وأحمد: ٥/٣٨٢، ٤٠٢ عن حذيفة، والمصنف في شرح السنة: ١٤/١٠١، وقال: حديث صحيح.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة: ١/٥٨ عن الحسن مرسلًا وفيه علتان: جهالة شيخ معمر، وإرسال الحسن البصري. وابن المبارك في الزهد ص (٢٠٠)، ورواه أبو يعلى والبرز بنحوه، وفيه إسماعيل بن مسلم وهو ضعيف، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٧٣/١٤.

وانظر: مجمع الزوائد: ١٠/١٨، فيض القدير: ٥/٥١٦، كشف الحفاء ومزيل الإلباس للعجلوني: ٢/٢٥٧ - ٢٥٨

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٥﴾

الحسن: قد ذهب ملحنًا فكيف نصلح.

قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ أي: اختلفتم، ﴿فِي شَيْءٍ﴾ من أمر دينكم، والتنازع، اختلاف الآراء وأصله من النزاع فكان المتنازعين يتجادبان ويتناعلان، ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، أي: إلى كتاب الله وإلى رسوله ما دام حياً وبعد وفاته إلى سنته، والرد إلى الكتاب والسنة واجب إن وجد فيهما، / فإن لم يوجد فسيبيله الاجتهاد. وقيل: الرد إلى الله تعالى والرسول أن يقول لَمَا لَا يَعْلَمُ: الله ورسوله أعلم. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ﴾، أي: الرد إلى الله والرسول، ﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، أي: أحسن مآلاً وعاقبة.

ب/٨٩

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ الآية قال الشعبي: كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد، لأنه عُرف أنه لا يأخذ الرشوة ولا يميل في الحكم، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ويميلون في الحكم، فانفقا على أن يأتيا كاهناً في جُهينة فيتحاكما إليه، فنزلت هذه الآية^(١).

قال جابر: كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها واحد في جُهينة وواحد في أسلم، وفي كل حي كاهن.

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر، كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي: ننطلق إلى محمد، وقال المنافق: بل إلى كعب بن الأشرف، وهو الذي سماه الله الطاغوت، فأبى اليهودي أن يخاصمه إلا إلى رسول الله ﷺ، فلما رأى المنافق ذلك أتى معه إلى رسول الله ﷺ ففضى رسول الله ﷺ لليهودي، فلما خرجا من عنده لزمه المنافق، وقال: انطلق بنا إلى عمر رضي الله عنه، فأتيا عمر، فقال اليهودي: اختصمت أنا وهذا إلى محمد ففضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم أنه يخاصم إليك، فقال عمر رضي الله عنه للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم، قال لهما رويدا

(١) أخرجه الواحدي بسنده عن الشعبي في أسباب النزول ص(١٥٤)، وابن جرير الطبري: ٨/٥٠٨، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥٨٠/٢ لابن المنذر.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ
عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ
جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾

حتى أخرج إليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد،
وقال: هكذا أقضي بين لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله. فنزلت هذه الآية. وقال جبريل: إن عمر رضي
الله عنه قرق بين الحق والباطل، فسُمي الفاروق^(١).

وقال السدي: كان ناس من اليهود أسلموا وناق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية إذا قتل
رجل من بني قريظة رجلاً من بني النضير قتل به أو أخذ دينه مائة وسق من تمر، وإذا قتل رجل من بني
النضير رجلاً من قريظة لم يقتل به وأعطى دينه ستين وسقاً، وكانت النضير وهم حلفاء الأوس أشرف
وأكثر من قريظة وهم حلفاء الخزرج، فلما جاء الله بالإسلام وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، قتل رجل من
النضير رجلاً من قريظة فاختموا في ذلك، فقالت بنو النضير: كنا وأنتم قد اصطلحنا على أن نقتل
منكم ولا تقتلون منا، وديتكم ستون وسقاً وديتنا مائة وسق، فنحن نعطيكم ذلك، فقالت الخزرج: هذا
شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية لكثرتكم وقتلنا فقهرتمونا، ونحن وأنتم اليوم إخوة وديننا ودينتكم واحد فلا
فضل لكم علينا، فقال المنافقون منهم: انطلقوا إلى أبي بردة الكاهن الأسلمي، وقال المسلمون من
الفريقين: لا بل إلى النبي ﷺ فأبى المنافقون وانطلقوا إلى أبي بردة ليحكم بينهم، فقال: أعظموا اللقمة،
يعني الحظ، فقالوا: لك عشرة أوسق، قال: لا بل مائة وسق ديتي، فأبوا أن يعطوه فوق عشرة أوسق وأبى
أن يحكم بينهم، فأنزل الله تعالى آية القصاص، وهذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا
أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾^(٢) يعني الكاهن أو كعب بن
الأشرف، ﴿وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾
أي: يعرضون عنك إعراضاً.

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾، هذا وعيد، أي: فكيف يصنعون إذا أصابتهم مصيبة، ﴿بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، يعني: عقوبة صدودهم، وقيل: هي كل مُصِيبَةٌ تُصِيبُ جَمِيعَ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّنْيَا

(١) قال ابن حجر: ذكره الثعلبي من رواية الكلبي عن أبي عاصم عن ابن عباس، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص(١٥٥).

(٢) أخرجه الطبري: ٥١٠/٨، وعزه السيوطي في الدر: ٥٨١/٢ لابن أبي حاتم.

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ
 فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿١٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ
 وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ
 لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

والآخرة، تم الكلام هاهنا، ثم عاد الكلام إلى ما سبق، يُخبر عن فعلهم فقال: ﴿ثم جاؤوك﴾، يعني: يتحاكمون إلى الطاغوت، ﴿ثم جاؤوك﴾، [بجيونك وبخافون] (١).

وقيل: أراد بالمصيبة قتل عمر رضي الله عنه المنافق، ثم جاؤوا يطلبون دية، ﴿يخلفون بالله إن أردنا﴾، ما أردنا بالعدول عنه في المحاكمة أو بالترافع إلى عمر، ﴿إلا إحساناً وتوفيقاً﴾، قال الكلبي: إلا إحساناً في القول، وتوفيقاً: صواباً، وقال ابن كيسان: حقاً وعدلاً، نظيره: «ليخلفن إن أردنا إلا الحسنى»، وقيل: هو إحسان بعضهم إلى بعض، وقيل: هو تقريب الأمر من الحق، لا القضاء على أمر الحكم، والتوفيق: هو موافقة الحق، وقيل: هو التآليف والجمع بين الخصمين.

﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾، من النفاق، أي: علم أن ما في قلوبهم خلاف ما في ألسنتهم، ﴿فأعرض عنهم﴾، أي: عن عقوبتهم وقيل: فأعرض عن قبول عذرهم وعظهم باللسان، وقل لهم قولاً بليغاً، وقيل: هو التخويف بالله، وقيل: أن توعدهم بالقتل إن لم يتوبوا، قال الحسن: القول البليغ أن يقول لهم: إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قُتلت لأنه يبلغ في نفوسهم كل مبلغ، وقال الضحاك: ﴿فأعرض عنهم وعظهم﴾ في الملاء ﴿وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾ في السر والخلاء، وقال: قيل هذا منسوخ بآية القتال.

قوله عز وجل ﴿وما أرسلنا من رسولٍ إلا ليطاع بإذن الله﴾، أي: بأمر الله لأن طاعة الرسول وجبت بأمر الله، قال الزجاج: ليطاع بإذن الله لأن الله قد أذن فيه وأمر به، وقيل: إلا ليطاع كلام تام كاف، بإذن الله تعالى أي: بعلم الله وقضائه، أي: وقوع طاعته يكون بإذن الله، ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾، بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾.

قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك﴾، الآية.

(١) في (أ) جاءت العبارة هكذا: (بجيونك وبخافون).

بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو العيمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير: أن الزبير رضي الله عنه كان يحدث أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدماءً إلى رسول الله ﷺ في شراج^(١) من الحرة كانا يسقيان به. كلاهما، فقال رسول الله للزبير: اسق يا زبير، ثم أرسل إلى جارك، فغضب الأنصاري، ثم قال: يا رسول الله أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال للزبير: اسق ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر، فاستوعى رسول الله ﷺ حينئذ للزبير حقه، وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك أشار / على الزبير برأي أراد به سعة له وللأنصاري، فلما أحفظ الأنصاري رسول الله ﷺ استوعى للزبير حقه في صريح الحكم. قال عروة: قال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُوا لَكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾^(٢) الآية.

وروي أن الأنصاري الذي خاصم الزبير كان اسمه حاطب بن أبي بلتعة فلما حرجاً مر على المقداد فقال: لمن كان القضاء، فقال الأنصاري: قضى لابن عمته ولوى شذقه ففطن له يهودي كان مع المقداد، فقال: قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم، وإنهم الله لقد أذنبنا ذنباً مرة في حياة موسى عليه السلام فدعا موسى إلى التوبة منه، فقال: اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفاً في طاعة ربنا حتى رضي عنا، فقال ثابت بن قيس بن شماس: أما والله إن الله ليعلم مني الصدق ولو أمرني محمد أن أقتل نفسي لفعلت، فأنزل الله في شأن حاطب بن أبي بلتعة: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحْكُمُوا لَكَ﴾^(٣).

وقال مجاهد والشعبي: نزلت في بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما إلى عمر رضي الله عنه^(٤). قوله تعالى ﴿فَلَا﴾ أي: ليس الأمر كما يزعمون أنهم مؤمنون ثم لا يرضون بحكمك، ثم استأنف

(١) الشراج: مجاري الماء من الحرار إلى السهل، واحدها شرج، والحرة: أرض ذات حجارة سود، وفي المدينة عدد منها.

(٢) أخرجه البخاري في المساقاة، باب سكر الأنهار: ٣٤/٥، وفي الصلح: ٣٠٩/٥ - ٣١٠، ومسلم في الفضائل، باب وجوب اتباعه

ﷺ، بقم (٢٣٥٧): ٤/١٨٢٩، ١٨٣، والمصنف في شرح السنة: ٢٨٣/٨ - ٢٨٤.

وانظر: فتح الباري: ٣٤/٥.

(٣) حكى الواحدي وشيخه الثعلبي والمهدي أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة ومستندهم ما أخرجه ابن أبي حاتم مرسلًا بسند قوي. وتعقب بأن حاطباً وإن كان بديراً — فقد جاء في بعض الروايات: أن رجلاً من الأنصار شهد بدماءً — لكنه من المهاجرين. وأما بقية

القصة ومرورهم على اليهودي فقد ذكرها الثعلبي بغير إسناد، انظر: فتح الباري: ٣٥/٥ - ٣٦.

(٤) ذكر الحافظ ابن كثير أثراً في قصة المنافق واليهودي اللذين اختصما إلى النبي ﷺ ثم إلى عمر وقتل عمر للمنافق — وقال: غريب

جداً أخرجه ابن أبي حاتم. انظر: تفسير ابن كثير: ٥٢٢/١.

وَلَوْ أَنَّا كُنْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ
 مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَتَّبِعُهُمْ
 مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ
 فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ
 وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾

القسم ﴿وربك لا يؤمنون﴾ ويجوز أن يكون ﴿لا﴾ في قوله ﴿فلا﴾ صلة، كما في قوله ﴿فلا أقسم﴾، حتى يُحكّموك: أي يجعلوك حكماً، ﴿فيما شجر بينهم﴾، أي: اختلف واختلط من أمورهم والتبس عليهم حكمه، ومنه الشجر لا يُتفأف أغصانه بعضها ببعض، ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً﴾، قال مجاهد: شكاً، وقال غيره: ضيقاً، ﴿مما قضيت﴾، قال الضحاك: إنما، أي: يأثمون بإنكارهم ما قضيت، ﴿ويؤسلموا تسليماً﴾ أي: وينقادوا لأمرك انقياداً.

قوله تعالى: ﴿ولو أنا كُنْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، كما أمرنا بني إسرائيل ﴿أو اخرجوا من دياركم﴾، كما أمرنا بني إسرائيل بالخروج من مصر، ﴿ما فعلوه﴾، معناه: أنا ما كتبنا عليهم إلا طاعة الرسول والرضى بحكمه، ولو كتبنا عليهم القتل والخروج عن الدور ما كان يفعله، ﴿إلا قليل منهم﴾، نزلت في ثابت بن قيس وهو من القليل الذي استثنى الله، قال الحسن ومقاتل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ وهم القليل، والله لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «إن من أمتي لرجالاً الإيمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي»^(١).

قرأ ابن عامر وأهل الشام ﴿إلا قليلاً﴾ بالنصب على الاستثناء، وكذلك هو في مصحف أهل الشام، وقيل: فيه إضمار، تقديره: إلا أن يكون قليلاً منهم، وقرأ الآخرون قليل بالرفع على الضمير الفاعل في قوله ﴿فعلوه﴾ تقديره: إلا نفر قليل فعلوه، ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به﴾، من طاعة الرسول والرضى بحكمه، ﴿لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيثاً﴾، تحقيقاً وتصديقاً لإيمانهم.

﴿وإذا لا يتناههم من لدنا أجراً عظيماً﴾، ثواباً وإفراً.

﴿ولهديناهم صراطاً مستقيماً﴾، أي: إلى الصراط المستقيم.

(١) ذكر ذلك الثعلبي عن الحسن ومقاتل. انظر: الكافي الشاف ص ٤٦، تفسير ابن كثير: ١/ ٥٢٣.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ الآية، نزلت في ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه، فقال له رسول الله ﷺ: «ما غير لونك؟» فقال: يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أنني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لأنك تُرفع مع النبيين، وإني إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبداً، فنزلت هذه الآية^(١).

وقال قتادة: قال بعض أصحاب النبي ﷺ: كيف يكون الحال في الجنة وأنت في الدرجات العلى ونحن أسفل منك؟ فكيف نراك؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٢).

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ﴾ في أداء الفرائض، ﴿وَالرَّسُولَ﴾ في السنن ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ أي لا تفوتهم رؤية الأنبياء ومجالستهم لا أنهم^(٣) يرفعون إلى درجة الأنبياء، ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾، وهم أفاضل أصحاب النبي ﷺ، والصدّيق المبالغ في الصدق، ﴿وَالشَّهَدَاءَ﴾، قبل: هم الذين استشهدوا في يوم أحد، وقيل: الذين استشهدوا في سبيل الله، وقال عكرمة: النبيون ههنا: محمد ﷺ، والصدّيقون أبو بكر، والشهداء عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾: سائر الصحابة رضي الله عنهم، ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾، يعني: رقاء في الجنة، والعرب تضع الواحد موضع الجمع، كقوله تعالى: (ثم نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً) (غافر — ٦٧) أي: أطفالاً (ويُولُونَ الدُّبُرَ) أي: الأدبار .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي أنا أبو العباس السراج أنا قتيبة بن سعد أنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله الرجل يحبّ قوماً ولما يلحق بهم؟ فقال النبي ﷺ: «المرء مع من أحب»^(٤).

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى وأبو عمرو محمد بن عبد الرحمن النسوي قالوا: أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو العباس الأصم أنا أبو يحيى زكريا بن يحيى المروزي أنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «وما أعددت لها؟» قال: فلم يذكر كثيراً، إلا أنه يحب الله ورسوله قال: «فأنت مع من أحببت»^(٥).

(١) أسباب النزول للواحدى ص(١٥٨) وانظر: الكافي الشاف ص(٤٦).

(٢) الطبري: ٥٣٤/٨، الدر المنثور: ٥٨٩/٢، أسباب النزول للواحدى ص(١٥٩).

(٣) في (ب) (لأنهم).

(٤) البخاري في الأدب، باب علامة الحب في الله: ١٠/٥٥٧ عن ابن مسعود وأبي موسى، ومسلم في البر والصفة — باب المرء مع من أحب، برقم (٢٦٤٠): ٤/٢٠٣٤. والمصنف في شرح السنة: ١٣/٦١.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب — باب علامة الحب في الله: ١٠/٥٥٧ وفي الأحكام أيضاً، ومسلم في البر والصلة والآداب، باب المرء =

ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا
حِذْرَكُمْ فَاُنْفَرُوا نَبَاتٍ أَوْ اُنْفَرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ
مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾

﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ أي: بثواب الآخرة، وقيل: بمن ^(١) أطاع رسول الله وأحبه، وفيه بيان أنهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم، وإنما نالوها بفضل الله عز وجل.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يعلى بن عبيد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا وَعَلِّمُوا أَنَّهُ لَا يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل» ^(٢).

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾، من عدوكم، أي: عدتكم وآلتكم من السلاح، والحِذْرُ والحَذْرُ واحد، كالمِثْلِ والمَثَلِ والشَّيْبِ والشَّبِيهِ، ﴿فَاُنْفَرُوا﴾ اُنْفَرُوا ﴿نَبَاتٍ﴾ أي: سرايا متفرقين سرية بعد سرية، والنبات جماعات في تفرقة واحدها نبتة، ﴿أَوْ اُنْفَرُوا جَمِيعًا﴾ أي: مجتمعين كلكم مع النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾، نزلت في المنافين ^(٣). / ٩٠/ب

وإنما قال ﴿مِنْكُمْ﴾ لاجتماعهم مع أهل الإيمان في الجنسية والنسب وإظهار الإسلام، لا في حقيقة الإيمان، ﴿لَيُبَطِّئَنَّ﴾ أي: ليتأخرن، وليتناقلن عن الجهاد، وهو عبدالله بن أبي المنافق، واللام في ﴿لَيُبَطِّئَنَّ﴾ لام القسم، والتبطينة: التأخر عن الأمر، يقال: ما أبطأ بك؟ أي: ما أتحرك عتاً؟ ويقال: أبطأ إبطاءً وبطاً يبطينه تبطينة. ﴿فَإِنَّ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ أي: قتل وهزيمة، ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ﴾ بالعود، ﴿إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾، أي: حاضراً في تلك الغزاة فيصيني ما أصابهم.

= مع من أحب، برقم (٢٦٣٩): ٤/٢٠٣٢، والمصنف في شرح السنة: ١٣/٦١.

(١) في ب: (لمن).

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الإيمان، باب الدين يسر: ١/٩٣ وفي مواضع أخرى، ومسلم في المنافقين، باب لن يدخل أحد

الجنة بعمله برقم (١٨١٦): ٤/٢١٧٠، وفي البر والصلة، والمصنف في شرح السنة ١٤/٣٩٠.

(٣) قاله مجاهد. انظر: ابن كثير: ١/٥٢٥.

وَلَيْنَ أَصَابِكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبَسْتَنِي
 كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ * فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
 يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ
 فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

﴿وَلَيْنَ أَصَابِكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾، فتح وغنيمة ﴿لِيَقُولَنَّ﴾ هذا المنافق، وفيه تقديم وتأخير، وقوله
 ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ متصل بقوله ﴿فَإِن أَصَابَكُمْ مَّصِيبَةٌ﴾ تقديره: فإن أصابكم
 مصيبة قال: قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً، كأن لم تكن بينكم وبينه مَوَدَّةٌ أي: معرفة.

قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب ﴿تَكُنْ﴾ بالطاء، والباقون بالياء، أي: ولئن أصابكم فضل من الله
 لَيَقُولَنَّ: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ﴾ في تلك الغزاة، ﴿فَأَفُوزُ فَوْزًا عَظِيمًا﴾، أي: آخذ نصيباً وافراً من
 الغنيمة، وقوله ﴿فَأَفُوزُ﴾ نصب على جواب التمني بالفاء، كما تقول: وددت أن أقوم فيتبعني الناس.

قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ قيل: نزلت في المنافقين،
 ومعنى يشرون أي: يشترون، يعني الذين يختارون الدنيا على الآخرة، معناه: آمنوا ثم قاتلوا، وقيل: نزلت في
 المؤمنين المخلصين، معناه فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون أي: يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة ويختارون
 الآخرة ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ﴾، يعني يستشهد، ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾، يظفر، ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾،
 في كلا الوجهين ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾، ويدغم أبو عمرو والكسائي الباء في الفاء حيث كان.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو
 مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «تكفل الله لمن
 جاهد في سبيله لا يُخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصدق كلمته أن يُدخله الجنة أو يرجعه إلى
 مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجرٍ وغنيمة»^(١).

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا أبو عبد
 الرحمن عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا
 محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مثل المجاهد

(١) أخرجه البخاري في الخمس، باب قول النبي ﷺ «أحلت لي الغنائم»: ٦/ ٢٢٠، وفي التوحيد، ومسلم في الإمارة، باب فضل الجهاد
 والخروج في سبيل الله، برقم (١٨٧٦): ٣/ ١٤٩٦.

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَالِ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ

في سبيل الله كمثل القانت الصائم الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجعه الله إلى أهله بما يرجعه من غنيمه وأجر، أو يتوفاه فيدخله الجنة»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ﴾ لا تجاهدون ﴿في سبيل الله﴾، في طاعة الله، يعاتبهم على ترك الجهاد، ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي: عن المستضعفين، وقال ابن شهاب: في سبيل المستضعفين لتخليصهم، وقيل: في تخليص المستضعفين من أيدي المشركين، وكان بمكة جماعة، ﴿مِن الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾، يلقون من المشركين أذى كثيراً، ﴿الَّذِينَ﴾ يدعون و ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾، يعني: مكة، الظالم أي: المشرك، أهلها يعني القرية التي من صفتها أن أهلها مشركون، وإنما خفض^(٢) ﴿الظالم﴾ لأنه نعت للأهل، فلما عاد الأهل إلى القرية صار كأن الفعل لها، كما يقال مررت برجل حسنة عينه. ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾، أي: من يلي أمرنا، ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾، أي: من يمنع العدو عنا، فاستجاب الله دعوتهم، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة ولّى عليهم عتاب بن أسيد وجعله الله لهم نصيراً ينصف المظلومين من الظالمين.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: في طاعته، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ أي: في طاعة الشيطان، ﴿فَقَاتِلُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: جزبه وجنوده وهم الكفار، ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾، مكره، ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾، كما فعل يوم بدر لما رأى الملائكة خاف أن يأخذوه فهرب وخذلهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية، قال الكلبي: نزلت في عبد الرحمن ابن عوف الزهري، والمقداد بن الأسود الكندي، وقدامة بن مظعون الجمحي، وسعد بن أبي وقاص،

(١) أخرجه البخاري في الجهاد — باب أفضل الناس مؤمن مجاهد: ٦ / ٦، ومسلم في الإمامة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، برقم (١٨٧٨): ١٤٩٨، والمصنف في شرح السنة: ١٠ / ٣٤٨ — ٣٤٩.

(٢) في أ: (حُصَّ).

النَّاسَ كَخَشِيَةِ اللَّهِ وَأَشَدَّ خَشِيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾

وجماعة كانوا يلقون من المشركين بمكة أذىً كثيراً قبل أن يهاجروا، ويقولون: يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فإنهم قد آذوننا، فيقول لهم رسول الله ﷺ: «كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنِّي لَمْ أُمِرْ بِقِتَالِهِمْ» (١).

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، فلما هاجروا إلى المدينة وأمرهم الله بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فرض، ﴿عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَحْشُونَ النَّاسَ﴾، يعني: يحشون مشركي مكة، ﴿كَخَشِيَةِ اللَّهِ﴾ أي: كخشيتهم من الله، ﴿أَوْ أَشَدَّ﴾ أكثر، ﴿حَشِيَةً﴾، وقيل: معناه وأشدَّ خشية، ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾، الجهاد ﴿لَوْلَا﴾، هلا، ﴿أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾، يعني: الموت، أي: هلا تركتنا حتى نموت بآجالنا؟.

واختلفوا في هؤلاء الذين قالوا ذلك، قيل: قاله قوم من المنافقين لأن قوله: ﴿لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ﴾، لا يليق بالمؤمنين.

وقيل: قاله جماعة من المؤمنين لم يكونوا راسخين في العلم قالوه خوفاً وجبناً لا اعتقاداً، ثم تابوا، وأهل الإيمان يتفاضلون في الإيمان.

وقيل: هم قوم كانوا مؤمنين فلما فرض عليهم القتال نافقوا من الجبن وتخلّفوا عن الجهاد، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا﴾ أي: منفعتها والاستمتاع بها ﴿قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ﴾ أي: وثواب الآخرة خير وأفضل، ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾، الشرك ومعصية الرسول، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر وحمره والكسائي بالياء والباقون تظلمون بالتاء.

أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن معاوية الصيدلاني أخبرنا الأصم أنا عبد الله بن محمد بن شاعر أنا محمد بن بشر العبدي أنا مسعر بن كدام عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم حدثني المستورد بن شداد قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بيم يرجع» (٢).

(١) الواحد في أسباب النزول ص ١٥٩ - ١٦٠، وأخرجه النسائي عن ابن عباس في السنن: ٣/٦، والحاكم: ٦٦/٢، ٣٠٧.

(٢) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، برقم (٢٨٥٨): ٤/٢١٩٣.

أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

قوله عز وجل: ﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: ينزل بكم الموت، نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتل أحد: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، فردّ / الله عليهم بقوله: ﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾^(١)، ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾، والبروج: الحصون والقلاع، والمشيدة: المرفوعة المطولة، قال قتادة: معناه في قصور محصنة، وقال عكرمة: مُجَصَّصَةٌ، والشيد: الجص، ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾، نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم قالوا لما قدم رسول الله ﷺ المدينة: ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ﴾ يعني: اليهود ﴿حَسَنَةٌ﴾ أي خصب ورخص في السعر، ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، لنا، ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يعني: الجذب وغلاء الأسعار ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ أي: من شؤم محمد وأصحابه، وقيل: المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر، وبالسيئة القتل والهزيمة يوم أحد، يقولوا هذه من عندك أي: أنت الذي حملتنا عليه يا محمد، فعلى هذا يكون هذا من قول المنافقين، ﴿قُلْ﴾، لهم يا محمد، ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، أي: الحسنة والسيئة كلها من عند الله، ثم غيرهم بالجهل فقال: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾ يعني: المنافقين واليهود، ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ أي: لا يفقهون قولاً، وقيل: الحديث هاهنا هو القرآن أي: لا يفهمون معاني القرآن.

قوله: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ﴾ قال الفراء: كثرت في الكلام هذه الكلمة حتى توهّموا أنّ اللام متصلة بها وأنها حرف واحد، ففصلوا اللام ممّا بعدها في بعضه، ووصلوها في بعضه، والاتصال القراءة، ولا يجوز الوقف على اللام لأنها لام خافضة.

قوله عز وجل: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾، خير ونعمة ﴿فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾، بليّة أو أمر تكرهه، ﴿فَمِنَ نَفْسِكَ﴾، أي: بذنوبك، والخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره، نظيره قوله تعالى: «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» (الشورى - ٣٠) ويتعلق^(٢) أهل القدر بظاهر هذه الآية،

(٣) الطبري: ٩ / ٨، الواحدي في أسباب النزول ص(١٦٠)، والدر المشور: ٢ / ٥٩٥ - ٥٩٦.

(٢) في ب: (وتعلق).

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾

فقالوا: نفى الله تعالى السيئة عن نفسه ونسبها إلى العبد، فقال: ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾، ولا متعلق لهم فيه، لأنه ليس المراد من الآية حسنات الكسب ولا سيئاته من الطاعات والمعاصي، بل المراد منهم ما يُصيبهم من النعم والمحن، وذلك ليس من فعلهم بدليل أنه نسبها إلى غيرهم ولم ينسبها إليهم، فقال: ﴿وما أصابك﴾ ولا يقال في الطاعة والمعصية أصابني، إنما يقال: أصبتنا، ويقال في النعم: أصابني، بدليل أنه لم يذكر عليه ثواباً ولا عقاباً، فهو كقوله تعالى (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) (الأعراف — ١٣١)، ولما ذكر حسنات الكسب وسيئاته نسبها إليه، ووعد عليها الثواب والعقاب، فقال (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يُجزي إلا مثلها) (الأنعام — ١٦٠).

وقيل: معنى الآية: ما أصابك من حسنة من النصر والظفر يوم بدر فمن الله، أي: من فضل الله، وما أصابك من سيئة من القتل والهزيمة يوم أحد فمن نفسك، أي: بذنب نفسك من مخالفة الرسول ﷺ.

فإن قيل: كيف وجّه الجمع بين قوله ﴿قل كل من عند الله﴾ وبين قوله ﴿فمن نفسك﴾؟ قيل: قوله ﴿قل كل من عند الله﴾ أي: الخصب والجذب والنصر والهزيمة كلها من عند الله، وقوله: ﴿فمن نفسك﴾ أي: ما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك، كما قال الله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ (الشورى — ٣٠) يدل عليه ما روى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قرأ ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ وأنا كتبها عليك.

وقال بعضهم: هذه الآية متصلة بما قبلها، والقول فيه مضمّر تقديره: فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً، يقولون: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾، ﴿قل كل من عند الله﴾. ﴿وأرسلناك﴾، يا محمد ﴿للتناس رسولا وكفى بالله شهيداً﴾، على إرسالك وصدقك، وقيل: وكفى بالله شهيداً على أن الحسنة والسيئة كلها من الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾، وذلك أن النبي ﷺ كان يقول: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن أحنى فقد أحب الله» فقال بعض المنافقين: ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه رباً كما اتخذت النصراني عيسى بن مريم رباً، فأنزل الله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾^(١) أي: من يطع الرسول فيما أمر به فقد أطاع الله، ﴿ومن تولى﴾، عن طاعته، ﴿فما أرسلناك﴾، يا محمد،

(١) قال ابن حجر في الكافي الشاف ص(٤٦): لم أجده.

وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ
يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ
الْقُرْآنَ أَنْ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ
مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ
الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾

﴿عليهم حفيظاً﴾، أي: حافظاً ورفيقاً، بل كل أمورهم إليه تعالى، وقيل: نسخ الله عز وجل هذا بآية
السيف، وأمره بقتال من خالف الله ورسوله.

﴿ويقولون طاعة﴾، يعني: المنافقين يقولون باللسان للرسول ﷺ: إنا آمنة بك فمُرنا فأمرك طاعة،
قال النحويون: أي أمرنا وشأننا أن نطيعك، ﴿فإذا برزوا﴾، خرجوا، ﴿من عندك بيئت طائفة منهم غير
الذي تقول﴾، قال قتادة والكلبي: بيئت أي: غير وبدل الذي عهد إليهم النبي ﷺ، ويكون التبييت
بمعنى التبديل، وقال أبو عبيدة والقتبي: معناه: قالوا وقدرُوا ليلاً غير ما أعطوك نهراً، وكل ما قدر لليل
فهو تبييت، وقال أبو الحسن الأحفش: تقول العرب للشيء إذا قُدِّرَ، قُدِّيئت، يُشبهونه بتقدير بيوت
الشعر، ﴿والله يكتُب﴾ أي: يُثبِت ويحفظ، ﴿ما يُبيتون﴾، ما يُزورون ويُغيرون ويقدرُون، وقال الضحاک
عن ابن عباس: يعني ما يُسرون من النفاق، ﴿فأعرض عنهم﴾، يا محمد ولا تعاقبهم، وقيل: لا تُخبر
بأسمائهم، مُنع الرسول ﷺ من الإخبار بأسماء المنافقين، ﴿وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾، أي:
اتخذهُ وكيلاً وكفى بالله وكيلاً وناصرًا.

قوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾، يعني: أفلا يتفكرون في القرآن، والتدبر هو النظر في آخر
الأمر، ودبر كل شيء آخره. ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾، أي تفاوتاً
وتناقضاً كثيراً، قاله ابن عباس، وقيل: لوجدوا فيه أي: في الإخبار عن الغيب بما كان وما يكون اختلافاً
كثيراً، أفلا يتفكرون فيه فيعرفوا — بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر — أنه كلام الله تعالى لأن ما لا
يكون من عند الله لا يخلو عن تناقض واختلاف.

قوله تعالى: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾، وذلك أن النبي ﷺ كان
يبعث السرايا فإذا غلبوا أو غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم، فيُفشون ويُحدِّثون به قبل أن

فَقِنِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفَّ بِأَسْ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسَاوَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴿٨٤﴾

ب/٩ يُحَدِّثُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ / فَيُضْعَفُونَ بِهِ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ﴾ (١) يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ ﴿أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ﴾ أَي: الْفَتْحِ وَالْغَنِيمَةِ ﴿أَوْ الْخَوْفِ﴾ الْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ أَشَاعُوهُ وَأَفْشَوْهُ، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ﴾ أَي: لَوْ لَمْ يَحْدِثُوا بِهِ حَتَّى يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ الَّذِي يَحْدِثُ بِهِ، ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾، أَي: ذَوِي الرَّأْيِ مِنَ الصَّحَابَةِ مِثْلَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ﴿وَلَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، أَي: يَسْتَخْرِجُونَهُ وَهُمْ الْعُلَمَاءُ، أَي: عَلِمُوا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُكْتَمَ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُفْشَى، وَالِاسْتَنْبَاطُ: الْاسْتِخْرَاجُ، يُقَالُ: اسْتَنْبَطَ الْمَاءَ إِذَا اسْتَخْرَجَهُ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: يَسْتَنْبِطُونَهُ أَي: يَحْرِصُونَ عَلَيْهِ وَيَسْأَلُونَ عَنْهُ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: يَتَّبِعُونَهُ، يَرِيدُ الَّذِينَ سَمِعُوا تِلْكَ الْأَخْبَارَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَإِلَى ذَوِي الرَّأْيِ وَالْعُلَمَاءِ، لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ، أَي: يَجِبُونَ أَنْ يَعْلَمُوهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ كَمَا هُوَ.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾، كَلِمَتُهُ، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ اسْتَنْتَى الْقَلِيلُ وَلَوْلَا فَضْلُهُ لَاتَّبَعَ الْكُلَّ الشَّيْطَانَ؟ قِيلَ: هُوَ رَاجِعٌ إِلَى مَا قَبْلَهُ، قِيلَ: مَعْنَاهُ أَذَاعُوا بِهِ إِلَّا قَلِيلًا لَمْ يَفْشِهِ، عَنَى بِالْقَلِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَذَا قَوْلُ الْكَلْبِيِّ وَاخْتِيَارُ الْفَرَاءِ، وَقَالَ: لِأَنَّ عِلْمَ السِّرِّ إِذَا ظَهَرَ عِلْمُهُ الْمُسْتَنْبِطُ وَغَيْرُهُ، وَالْإِذَاعَةُ قَدْ تَكُونُ فِي بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ، وَقِيلَ: لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا، ثُمَّ قَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ كَلَامٌ تَامٌ.

وقيل: فضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن، يقول لولا ذلك لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً، وهم قوم اهتدوا قبل مجيء الرسول ﷺ ونزول القرآن، مثل زيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل وجماعة سواهما. وفي الآية دليل على جواز القياس، فإن من العلم ما يدرك بالتلاوة والرواية وهو النص، ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس على المعاني المودعة في النصوص.

قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾، وذلك أن النبي ﷺ وأعدأبا سفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم، فأنزل الله عز وجل ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ (٢) أي: لَا تَدْعُ جِهَادَ الْعَدُوِّ وَالِاتِّصَارَ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَوْ وَحْدَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَكَ النَّصْرَةَ وَعَاتَبَهُمْ عَلَى تَرْكِ الْقِتَالِ، وَالْفَاءُ

(١) الطبري: ٥٧٠/٨، وقارن بالدر المنثور: ٦٠١/٢ - ٦٠٢.

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير: ٧٨٠/٤، وانظر فيما سبق: ص (١٣٧-١٣٩).

مَنْ يَشْفَعُ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعُ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ
كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِلًا ﴿٨٥﴾

في قوله تعالى: ﴿فقاتل﴾ جواب عن قوله ﴿ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ فقاتل، ﴿وحرّض المؤمنين﴾، على القتال أي حضّمهم على الجهاد ورغّبهم في الثواب، فخرج رسول الله ﷺ في سبعين راجباً فكفاهم الله القتال، فقال جل ذكره ﴿عسى الله﴾ أي: لعل الله، ﴿أن يكف بأس الذين كفروا﴾، أي: قتال الذين كفروا المشركين و «عسى» من الله واجب، ﴿والله أشدّ بأساً﴾ أي: أشدّ صولة وأعظم سلطاناً، ﴿وأشدّ تنكيلاً﴾ أي: عقوبة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿من يشفع شفاعاً حسنةً يكن له نصيبٌ منها، ومن يشفع شفاعاً سيئةً يكن له كِفْلٌ منها﴾، أي: نصيب منها، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشفاعة الحسنة هي الإصلاح بين الناس، والشفاعة السيئة هي المشي بالثيمة بين الناس.

وقيل: الشفاعة الحسنة هي حُسنُ القول في الناس ينال به الثواب والخير، والسيئة هي: الغيبة وإساءة القول في الناس ينال به الشر.

وقوله ﴿كِفْلٌ منها﴾ أي: من وزرها، وقال مجاهد: هي شفاعة الناس بعضهم لبعض، ويؤجر الشفيع على شفاعته وإن لم يشفع.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد ابن إسماعيل أنا سفيان الثوري عن أبي بردة أخبرني جدي أبو بردة عن أبيه عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا جاءه رجل يسأل أو طالب حاجة أقبل علينا بوجهه، فقال: «اشفَعُوا لَتُوجَرُوا ليقضي الله على لسان نبيه ما شاء»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِلًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: مقتدراً مجازياً، قال الشاعر:

وذي ضغن كففْتُ النفسَ * عنه وكنْتُ على مسأوته مُقْبِلًا

وقال مجاهد: شاهدأ: وقال قتادة: حافظأ، وقيل: معناه على كل حيوان مقبلاً^(٢) أي: يوصل القوت

(١) أخرجه البخاري في الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً: ٤٥٠/١٠، ومسلم في البر والصلة، باب استحباب الشفاعة بقرم

(٢٦٢٧): ٢٠٢٦/٤ واللام في قوله: «فليقض» ليست للأمر ولا للتعليل، ويحتمل أن تكون للدعاء بمعنى: اللهم اقض.

انظر: فتح الباري: ٤٥١/١٠.

(٢) في أ: (مقبت).

وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

إليه، وجاء في الحديث «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت ويقيئ»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾، التحية: هي دعاء الحياة، والمراد بالتحية ها هنا، السلام، يقول: إذا سلم عليكم مُسلمٌ فأجيبوا بأحسن منها أو رُدُّوها كما سلم، فإذا قال: السلام عليكم، فقل: وعليكم السلام ورحمة الله، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله، فقل: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردد مثله، روي أن رجلاً سلم على ابن عباس رضي الله عنهما، قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم زاد شيئاً، فقال ابن عباس: إنَّ السلام ينتهي إلى البركة^(٢).

وروي عن عمران بن حصين: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فردَّ عليه، فقال النبي ﷺ: «عَشْرٌ» ثم جاء آخرُ فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فردَّ عليه فجلس، فقال: «عَشْرُونَ» ثم جاء آخرُ فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردَّ عليه، فقال: «ثلاثون»^(٣).

واعلم أن السلام سنة وردَّ السلام فريضة، وهو فرض على الكفاية، وكذلك السلام سنة على الكفاية فإذا سلم واحدٌ من جماعة كان كافياً في السنة، وإذا سلم واحدٌ على جماعة وردَّ واحدٌ منهم سقط الفرض عن جميعهم.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمَّش الزياتي أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر أنا إبراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي أنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تَدْخُلُوا الجنةَ حتى تُؤْمِنُوا ولا تُؤْمِنُوا حتى تحابُّوا، أولاً أدلَّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(٤).

(١) أخرجه أبو داود في الزكاة، باب في صلة الرحم: ٢/٢٦١ عن عبد الله بن عمرو، وأخرج مسلم في الزكاة، باب فصل النفقة على المملوك برقم (٩٩٦): ٢/٦٩٢ عن عبد الله بن عمرو «كفى بالمرء إثماً أن يحبس عن يملك قوته» والإمام أحمد في المسند: ٢/١٦٠، ١٩٣، ١٩٥. وعزاه المنذري للنسائي، والمصنف في شرح السنة: ٩/٣٤٢.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب السلام، باب العمل في السلام: ٢/٥٥٩. وعن الزيادة في السلام قال ابن حجر في الفتح: ١١/٦: «وهذه الأحاديث الضعيفة إذا انضمت قوي ما اجتمعت عليه من مشروعية الزيادة على: وبركاته».

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب، باب كيف السلام: ٨/٦٨ — ٦٩، والترمذي في الاستئذان، باب ما ذكر في فضل السلام: ٧/٤٦٢، وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. من حديث عمران بن حصين. وفي الباب عن أبي سعيد وعلي وسهل بن حنيف، وعزاه المنذري في الترغيب والترهيب: ٣/٤٢٩ للنسائي والبيهقي بإسناد حسن، وانظر تحفة الأحوذى: ٧/٤٦٢ — ٤٦٣، وابن كثير: ١/٥٣٣.

(٤) أخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، برقم (٥٤): ١/٧٤، والمصنف في شرح السنة: ١٢/٢٥٨.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ ﴿٨٨﴾

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا قتيبة أنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عبد الله بن عمرو أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «أن تظعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»^(١) ومعنى قوله: أي الإسلام خير، يريد أي خصال الإسلام خير.

وقيل: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مَنَاهَا﴾، معناه أي إذا كان الذي سلّم مسلماً، ﴿أَوْ زُدُّوَهَا﴾ بمثلها إذا لم يكن مسلماً.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله / بن عمر رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن اليهود إذا سلم عليكم أحدهم: فإنما يقول السأم عليكم، فقل عليك»^(٢).

1/92

قوله تعالى: ﴿إِنِ اللَّهُ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ أي: على كل شيء من رد السلام بمثله أو بأحسن منه، حسيباً أي: محاسباً مجازياً، وقال مجاهد: حفيظاً، وقال أبو عبيدة: كافياً، يقال: حسبي هذا أي كفاني.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾، اللام، لام القسم تقديره: والله ليجمعنكم في الموت وفي القبور، ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وسميت القيامة قيامة لأن الناس يقومون من قبورهم، قال الله تعالى: «يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا» (المعارج - ٤٣) وقيل: لقيامهم إلى الحساب، قال الله تعالى: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»، (المطففين - ٦) ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ أي: قولاً ووعداً، وقرأ حمزة والكسائي ﴿أَصْدَقُ﴾، وكلُّ صَادٍ سَاكِنَةٌ بعدها دالٌّ بإشمام الزاي.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ﴾ اختلفوا في سبب نُزُولِهَا فقال قوم: نزلت في الذين تخلفوا يوم أحد

(١) أخرجه البخاري في الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام: ٥٥/١ وفي مواضع أخرى، ومسلم في الإيمان باب بيان تفاضل الإسلام.. برقم (٦٣): ٦٥/١. والمصنف في شرح السنة: ٢٦٠/١٢.

(٢) أخرجه البخاري في الاستئذان، باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام: ٤٢/١١، وفي مواضع أخرى، ومسلم في السلام، باب النبي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم برقم (٢١٦٤): ٤/١٧٠٦. والمصنف في شرح السنة: ٢٧٠/١٢.

من المنافقين، فلَمَّا رجَعُوا قال بعضُ الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ: اقتلهم فإنهم منافقون، وقال بعضهم: اعف عنهم فإنهم تكلموا بالإسلام.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو الوليد أنا شعبة عن عدي بن ثابت قال: سمعت عبد الله بن يزيد يحدث عن زيد بن ثابت قال: لَمَّا خرج النبي ﷺ إلى أحد رجع ناسٌ من خرج معه وكان أصحاب النبي ﷺ فرقتين، فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾، وقال: «إنها طَيِّبَةٌ تَنْفِي الذُّنُوبَ كَمَا تَنْفِي التَّارَ حَبَثَ الْفِضَّةِ»^(١).

وقال مجاهد: قوم خرجوا إلى المدينة وأسلموا ثم ارتدوا واستأذنوا رسول الله ﷺ إلى مكة ليأتوا ببضائع لهم يَتَجَرَّوْنَ فيها فخرجوا وأقاموا بمكة، فاختلف المسلمون فيهم، فقائل يقول: هم منافقون، وقائل يقول: هم مؤمنون^(٢).

وقال بعضهم: نزلت في ناسٍ من قريش قَدِمُوا المدينة وأسلموا ثم نَدِمُوا على ذلك فخرجوا كهيئة المتزهن حتى باعدوا^(٣) من المدينة فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنا على الذي فارقتك عليه من الإيمان ولكنا اجْتَوَيْنَا المدينة واشتقنا إلى أرضنا، ثم إنهم خرجوا في تجارة لهم نحو الشام فبلغ ذلك المسلمين، فقال بعضهم: نخرج إليهم فنقتلهم ونأخذ ما معهم لأنهم رَغِبُوا عن ديننا، وقالت طائفة: كيف تقتلون قوماً على دينكم إن لم يَدْرُوا دِيَارَهُمْ، وكان هذا بعين النبي ﷺ وهو سَاكِتٌ لا يَنْهَى واحداً من الفريقين، فنزلت هذه الآية^(٤).

وقال بعضهم: هم قوم أسلموا بمكة ثم لم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين، فنزلت^(٥) ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ﴾ أي: صرتم فيهم فتنين، أي: فرقتين، ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ أي: نَكَسَهُمْ وَرَدَّهُمْ إلى الكفر، ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ بأعمالهم غير الزاكية ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا﴾، أي: أَنْ تُرْشِدُوا ﴿مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾، وقيل: معناه أَتَقُولُونَ أَنَّ هؤلاء مهتدون وقد أضلهم الله، ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ﴾ أي: من يضلله الله عن الهدى، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ أي: طريقاً إلى الحق.

(١) أخرجه البخاري في التفسير، سورة النساء، باب «فما لكم في المنافقين فتنين...» ٨/ ٢٥٦، ومسلم في أول كتاب صفات المنافقين برقم (٢٧٧٦): ٤/ ٢١٤٢.

(٢) انظر: الطبري: ٩/ ٩ — ١٠، أسباب النزول للواحي ص (١٦١).

(٣) في ب: (بُعِدُوا).

(٤) انظر: الطبري: ٩/ ١٢ — ١٣، أسباب النزول ص (١٦١).

(٥) انظر: الطبري: ٩/ ١٠ — ١١.

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۗ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨١﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ مِنْهُم فَأُنَاصُوكُمُ فَإِن يُغْنِيوكُمُ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَنَّاكُمْ فَإِن تَوَلَّوْا لَقَتَلْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ لَكُمُ الْعَدُوَّةُ فَاصْلِحُوا قَاتِلُوا أَوْ خُذُوا الصَّلَاةَ وَالنَّسَاءَ ۗ وَمَا يَشَاءُ اللَّهُ يَفْعَلْ ۗ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَدُّوا﴾، تمنَّوا، يعني أولئك الذين رجعوا عن الدين تمنَّوا ﴿لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾، في الكفر، وقوله ﴿فتكونون﴾ لم يرد به جواب التمني لأن جواب التمني بالفاء منصوب، إنما أراد النسق، أي: ودُّوا لو تكفرون وودُّوا لو تكونون سواء، مثل قوله «ودُّوا لو تدهن فيدهنون» (القلم — ٩) أي: ودُّوا لو تدهن وودُّوا لو تُدهنون، ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء﴾، منع من مولاتهم، ﴿حتى يهاجروا في سبيل الله﴾، معكم.

قال عكرمة: هي هجرة أخرى، والهجرة على ثلاثة أوجه: هجرة المؤمنين في أول الإسلام، وهي قوله تعالى: «للفقراء المهاجرين» (الحشر — ٨) وقوله: «ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله» (النساء — ١٠٠)، ونحوهما من الآيات، وهجرة المنافقين: وهي الخروج في سبيل الله مع رسول الله ﷺ صابراً محتسباً [كما حكى ها هنا] (١) منع من مولاتهم حتى يهاجروا في سبيل الله، وهجرة سائر المؤمنين وهي ما قال النبي ﷺ: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه» (٢).

قوله تعالى ﴿فإن تولوا﴾، أعرضوا عن التوحيد والهجرة، ﴿فخذوهم﴾، أي: خذوهم أسارى، ومنه يقال للأسير أخيد، ﴿واقتلوهم حيث وجدتموهم﴾ في الجبل والحرم، ﴿ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً﴾، ثم استثنى طائفة منهم فقال:

﴿إلا الذين يصلون إلى قوم﴾ وهذا الاستثناء يرجع إلى القتل لا إلى المولاة، لأن مولاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال، ومعنى ﴿يصلون﴾ أي: ينتسبون إليهم ويتصلون بهم ويدخلون فيهم بالحلف والجوار، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يريدون ويلجؤون إلى قوم، ﴿بينكم وبينهم ميثاق﴾ أي: عهد، وهم الأسلميون، وذلك أن رسول الله ﷺ وأدع هلال بن عويمر الأسلمي قبل خروجه إلى مكة على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن وصل إلى هلال من قومه وغيرهم ولجأ إليه فلهم من الجوار مثل ما لهلال.

(١) ساقط من (ب).

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، : ١ / ٥٧ وفي الرقاق، والمصنف في شرح السنة: ١ / ٢٧.

سَتَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوا بِنُحُوتِكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾

وقال الضحاك عن ابن عباس: أراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بني بكر بن زيد بن مائة كانوا في الصلح والهدنة، وقال مقاتل: هم نخراة.

وقوله: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ﴾ أي: يتصلون بقوم جاؤوكم، ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ أي: ضاقت صدورهم، قرأ الحسن ويعقوب ﴿حَصْرَةً﴾ منصوبة منونة أي: ضيقة صدورهم، [يعني القوم الذين جاؤوكم وهم بنو مدلج، كانوا عاهدوا أن لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشاً أن لا يقاتلهم، حَصِرَتْ: ضاقت صدورهم] (١)، ﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ أي: عن قتالكم للعهد الذي بينكم، ﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾، يعني: من أَمِنَ منهم، ويجوز أن يكون معناه أنهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم، يعني قريشاً قد ضاقت صدورهم لذلك.

وقال بعضهم: أو بمعنى الواو، كأنه يقول: إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤوكم حَصِرَتْ صدورهم، أي: حصرت صدورهم عن قتالكم والقتال معكم، وهم قوم هلال الأسلميون وبنو بكر، نهى الله سبحانه عن قتال هؤلاء المرتدين إذا اتصلوا بأهل عهد للمسلمين، لأن من انضم إلى قوم ذوي عهدٍ فله حكمهم في حقن الدم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطْنَاهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾، يذكر منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين، يقول: إن ضيق صدورهم عن قتالكم لما ألقى الله في قلوبهم من الرعب وكفهم عن قتالكم، ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم مع قومهم، ﴿فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ﴾ أي: اعتزلوا قتالكم، ﴿فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾، ومن اتصل بهم، ويقال: يوم فتح مكة يقاتلوكم مع قومهم، ﴿وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾، أي: الصلح فانقادوا واستسلموا ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ أي: طريقاً بالقتل والقتال.

قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ آخِرِينَ﴾ قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: هم أسد وخطفان كانوا حاضري المدينة تكلموا بالإسلام رياءً وهم غير مسلمين، وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا أسلمت؟ فيقول آمنت بهذا القرد وهذا العقرب والخنفساء، وإذا لقوا أصحاب النبي ﷺ / ٩٢/ب قالوا: إنا على دينكم، يريدون بذلك الأمن في الفريقين.

(١) ساقط من: (أ).

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٤﴾

وقال الضحاك عن ابن عباس: هم بنو عبد الدار كانوا بهذه الصفة، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُامَنُوكُمْ﴾، فلا يتعرضوا لهم، ﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾، فلا يتعرضوا لهم، ﴿كَلِمًا رُدُّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ أي: دُعُوا إِلَى الشَّرْكِ، ﴿أَزْكِسُوا فِيهَا﴾ أي: رجعوا وعادوا إلى الشَّرْكِ، ﴿فَإِنْ لَمْ يَغْتَزِلُوكُمْ﴾ أي: فإن لم يكفوا عن قتالكم حتى تسيروا إلى مكة، ﴿وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلْمَ﴾ أي: المفاداة والصلح، ﴿وَيُكْفُوا أَيْدِيَهُمْ﴾، ولم يقبضوا أيديهم عن قتالكم، ﴿فَخُذُوهُمْ﴾، أسراء، ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ﴾ أي: وجدتموهم، ﴿وَأُولَئِكَ﴾ أي: أهل هذه الصفة، ﴿جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ أي [حُجَّةً بَيِّنَةً ظَاهِرَةً بِالْقَتْلِ وَالْقِتَالِ] (١).

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾، الآية نزلت في عياش (بن أبي ربيعة) (٢) المخزومي، وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة فأسلم ثم خاف أن يظهر إسلامه لأهله فخرج هارباً إلى المدينة، وتحصن في أطيم من أطامها، فجزعت أمه لذلك جزعاً شديداً وقالت لابنيتها الحارث وأبي جهل ابن هشام وهما أخواه لأمه: والله لا يظلني سقف ولا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى تأتوني به، فخرجوا في طلبه، وخرج معهما الحارث بن زيد بن أبي أنيسة حتى أتوا المدينة، فأتوا عياشاً وهو في الأطيم، قال له: انزل فإن أملك لم يؤوئها سقف بيت بعدك، وقد حلفت ألا تأكل طعاماً ولا تشرب شراباً حتى ترجع إليها (ولك عهد الله) (٣) علينا أن لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك، فلما ذكروا له جزع أمه وأوثقوا له بالله نزل إليهم فأخرجوه من المدينة ثم أوثقوه بنسعة، فجلده كل واحد منهم مائة جلدة، ثم قدموا به على أمه فلما أتاها قالت: والله لا أحلك (٤) من وثاقتك حتى تكفر بالذي آمنت به، ثم تركوه موثقاً مطروحاً في الشمس ما شاء الله، فأعطاهم الذي أرادوا فأتاه الحارث بن زيد فقال: يا عياش أهدأ الذي

(١) ساقط من: (أ).

(٢) في أ: (بن ربيعة).

(٣) في أ: (ولك والله).

(٤) في ب: (لا أحليك).

كنت عليه فوالله لئن كان هدياً لقد تركت الهدى، ولئن كانت ضلالة لقد كنت عليها، فغضب عياش من مقاتله، وقال: والله لا ألقاك خالياً أبداً إلا قتلتك، ثم إن عياشاً أسلم بعد ذلك وهاجر ثم أسلم الحارث ابن زيد بعده وهاجر إلى رسول الله ﷺ وليس عياش حاضراً يومئذ ولم يشعر بإسلامه، فبينما عياش يسير بظهر قباء إذ لقي الحارث فقتله، فقال الناس: ويحك أي شيء صنعت؟ إنه قد أسلم، فرجع عياش إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله قد كان من أمري وأمر الحارث ما قد علمت، وإني لم أشعر بإسلامه حتى قتلته، فنزل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾^(١).

وهذا نهي عن قتل المؤمن كقوله تعالى: «وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله» (الأحزاب — ٥٣).

﴿إِلَّا خَطَأً﴾ استثناء منقطع معناه: لكن إن وقع خطأ، ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ أي: فعليه إعتاق رقبة مؤمنة كفارة، ﴿وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ﴾، كاملة، ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ أي: إلى أهل القتيل الذين يرثونه، ﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ أي: يتصدقوا بالدية فيعفوا ويتركوا الدية، ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾، أراد به إذا كان الرجل مسلماً في دار الحرب منفرداً مع الكفار فقتله من لم يعلم بإسلامه فلا دية فيه، وعليه الكفارة، وقيل: المراد منه إذا كان المقتول مسلماً في دار الإسلام وهو من نسب قوم كفار، وقرأته في دار الحرب حرباً للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لأهله، وكان الحارث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين وكان فيه تحرير رقبة ولم يكن فيه دية لأنه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ أراد به إذا كان المقتول كافراً ذمياً أو معاهداً فيجب فيه الدية والكفارة، والكفارة تكون بإعتاق رقبة مؤمنة سواء كان المقتول مسلماً أو معاهداً، رجلاً كان أو امرأة، حراً كان أو عبداً، وتكون في مال القاتل، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾، والقاتل إن كان واجداً للرقبة أو قادراً على تحصيلها بوجود ثمنها فاضلاً عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الإعتاق، ولا يجوز أن ينتقل إلى الصوم فإن عجز عن تحصيلها فعليه صوم شهرين متتابعين، فإن أفطر يوماً متعمداً في خلال الشهرين أو نسي النية ونوى صوماً آخر وجب عليه استئناف الشهرين.

وإن أفطر يوماً بعذرٍ مرضي أو سفر فهل ينقطع التتابع؟ اختلف أهل العلم فيه، فمنهم من قال: ينقطع وعليه استئناف الشهرين، وهو قول النخعي وأظهر قول الشافعي رضي الله عنه لأنه أفطر مختاراً، ومنهم من قال: لا ينقطع وعليه أن ينيى، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبي.

(١) ذكر القصة الطبري: ٣٣/٩ — ٣٤، والواحدي عن الكلبي في أسباب النزول ص(١٦٢)، وعزه السيوطي لابن المنذر وعبد بن حميد وابن أبي حاتم، الدر المنثور: ٦١٥/٢ — ٦١٦. وانظر: ابن كثير: ٥٣٥/١.

ولو حاضت المرأة في خلال الشهرين أفطرت أيام الحيض ولا ينقطع التتابع، فإذا طهرت بنتت على ما صامت، لأنه أمر مكتوب على النساء لا يمكنهن الاحتراز عنه.

فإن عجز عن الصوم فهل يخرج عنه بإطعام ستين مسكيناً؟ فيه قولان، أحدهما: يخرج كما في كفارة الظهر، والثاني: لا يخرج لأن الشرع لم يذكر له بدلاً فقال: ﴿فصيام شهرين متتابعين﴾.

﴿توبة من الله﴾ أي: جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطأ ﴿وكان الله عليماً﴾ بمن قتل خطأ ﴿حكيماً﴾ فيما حكم به عليكم.

أما الكلام في بيان الدية، فاعلم أن القتل على ثلاثة أنواع: عمد محض، وشبه عمد، وخطأ محض. أما العمد المحض فهو: أن يقصد قتل إنسان بما يقصد به القتل غالباً فقتله فيه القصاص عند وجود التكافؤ، أو دية مغلظة في مال القاتل حالة.

وشبه العمد: أن يقصد ضربه بما لا يموت مثله من مثل ذلك الضرب غالباً، بأن ضربه بعضاً خفيفة، أو حجر صغير ضربة أو ضربتين، فمات فلا قصاص فيه، بل يجب فيه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين.

والخطأ المحض هو: أن لا يقصد ضربه بل قصد شيئاً آخر فأصابه فمات منه فلا قصاص فيه، بل تجب دية مخففة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين.

وتجب الكفارة في ماله في الأنواع كلها، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه: قتل العمد لا يوجب الكفارة، لأنه كبيرة كسائر الكبائر.

ودية الحر المسلم مائة من الإبل فإذا عُدمت الإبل وجبت قيمتها من الدراهم أو الدينانير في قول، وفي قول يجب بدل مقدر منها وهو ألف دينار، أو اثنا عشر ألف درهم، لما روي عن عمر رضي الله عنه: فرض الدية على أهل الذهب ألف دينار، وعلى أهل الورق اثني عشر ألف درهم^(١).

وزهد قوم إلى أن الواجب في الدية مائة من الإبل، أو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم، وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصري رضي الله عنهما، وبه قال مالك.

وزهد قوم إلى أنها مائة من الإبل أو ألف دينار، أو عشرة آلاف درهم، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي.

(١) انظر: سنن البيهقي: ٧٦/٨. مصنف عبدالرزاق: ٢٩٦/٩.

/ ودية المرأة نصف دية الرجل، ودية أهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم، إن كان كتابياً، وإن كان مجوسياً فحُمسُ الدية، روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف درهم، ودية المجوسي ثمانمائة^(١)، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وإليه ذهب الشافعي رضي الله عنه. وذهب قوم إلى أن دية الذمي والمعاهد مثل دية المسلم، روي ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي.

وقال قوم: دية الذمي نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز، وبه قال مالك وأحمد رحمهما الله.

والدية في العمد المحض وشبه العمد مغلظة بالسِّن فيجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة^(٢) في بطونها أولادها، وهو قول عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما، وبه قال عطاء، وإليه ذهب الشافعي رضي الله عنه، لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي رضي الله عنه أنا ابن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان عن القاسم بن ربيعة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ألا إن في قتل العمد الخطأ بالسُّوط أو العصا مائة من الإبل مغلظة، منها أربعون خلفة في بطونها أولادها»^(٣).

وذهب قوم إلى أن الدية المغلظة أربعون خمسون وعشرون بنت مخاض، وخمسون وعشرون بنت لبون، وخمسون وعشرون حقة، وخمسون وعشرون جذعة، وهو قول الزهري وربيعه وبه قال مالك وأحمد وأصحاب الرأي.

وأما دية الخطأ فمخففة، وهي أخماس بالاتفاق، غير أنهم اختلفوا في تقسيمها، فذهب قوم إلى أنها عشرون بنت مخاض، وعشرون بنت لبون، وعشرون ابن لبون، وعشرون حقة، وعشرون جذعة، وهو قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري وربيعه، وبه قال مالك والشافعي رحمهم الله، وأبدل قوم بني اللبون ببنت المخاض، يُروى ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه، وبه قال أحمد وأصحاب الرأي.

ودية الأطراف على هذا التقدير، ودية المرأة فيها على النصف من دية الرجل، والدية في قتل الخطأ وشبه العمد على العاقلة، وهم عصبات القاتل من الذكور، ولا يجب على الجاني منها شيء لأن النبي ﷺ أوجبها على العاقلة.

(١) أخرجه الشافعي في المسند: ١٠٧/٢ (ترتيب المسند)، الطبري في التفسير: ٥٤/٩، وانظر: شرح السنة: ١٠/٢٠٥.

(٢) الخلفة — بفتح الحاء المعجمة وكسر اللام — الحامل من النوق، وتجمع على خلفات، وإخلاف. انظر النهاية لابن الأثير: ٢/٦٨.

(٣) أخرجه أبو داود في الديات، باب كم الدية؟ عن ابن عمرو: ٦/٣٥٤، والنسائي في القسامة، باب كم دية شبه العمد؟ عن عبد الله بن عمرو: ٨/٤٠، وابن ماجه في الديات، باب دية شبه العمد مغلظة، برقم (٢٦٢٨): ٢/٨٧٨، والدارقطني في الحدود: ٣/١٠٥ =

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ الآية، نزلت في مقيس بن صبابه الكناني، وكان قد أسلم هو وأخوه هشام، فوجد أخاه هشام قتيلاً في بني النجار فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك، فأرسل رسول الله ﷺ معه رجلاً من بني فهر إلى بني النجار أن رسول الله ﷺ يأمرهم إن علمتم قاتل هشام ابن صبابه أن تدفعوه إلى مقيس فيقتص منه، وإن لم تعلموا أن تدفعوا إليه ديتته، فأبلغهم الفهري ذلك فقالوا: سمعاً وطاعة لله ولرسوله، والله ما نعلم له قاتلاً ولكننا نؤدي ديتته، فأعطوه مائة من الإبل، ثم انصرفوا راجعين نحو المدينة فأتى الشيطان مقيساً فوسوس إليه، فقال: تقبل دية أخيك فتكون عليك مسبة، اقل الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية؛ فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه، ثم ركب بعيراً وساق بقيتها راجعاً إلى مكة كافراً فنزل فيه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾^(١) ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾، بكفره وارتداديه، وهو الذي استنناه النبي ﷺ يوم فتح مكة، عمّن آمنه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة.

قوله تعالى: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ﴾ أي: طرده عن الرحمة، ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ اختلفوا في حكم هذه الآية:

فحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن قاتل المؤمن عمداً لا توبة له، فقيل له: أليس قد قال الله في سورة الفرقان: «وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» إلى أن قال «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ» (الفرقان ٦٧ — ٧٠)، فقال: كانت هذه في الجاهلية، وذلك أن أناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وزنوا فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إن الذي تدعوننا إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» إلى قوله «إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ»^(٢)، فهذه لأولئك.

وأما التي في النساء فالرجل إذا عرف الإسلام وشرائعه ثم قتل فجزأوه جهنم.

= والشافعي: ١٠٨/٢ من ترتيب المسند، وأحمد: ١١/٢ عن ابن عمر وفي مواضع أخرى. وصححه ابن حبان وقال ابن القطان: هو صحيح، ولا يضره الاختلاف. انظر: تلخيص الحبير: ١٥/٤، نصب الراية: ٤/٣٣١ — ٣٣٣. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٠/١٨٦.

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ٦١/٩ — ٦٢، وانظر: الدر المنثور: ٢/٦٢٣، أسباب النزول للواحدي ص (١٦٣ — ١٦٤).

(٢) أخرجه البخاري: في التفسير — باب: (يا عبادي الذين أسرفوا....) ٨/٥٤٩.

ومسلم: في الإيمان — باب: كون الإسلام يهدم ما قبله برقم (١٢٢) ١/١١٣.

وقال زيد بن ثابت: لما نزلت التي في الفرقان «والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر»، عجبنا من لينها فلبثنا سبعة أشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة، وأراد بالغليظة هذه الآية، وباللينة آية الفرقان.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تلك آية مكية وهذه مدنية نزلت ولم ينسخها شيء.

والذي عليه الأكثر، وهو مذهب أهل السنة: أن قاتل المسلم عمداً توبته مقبولة لقوله تعالى: «وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً» (طه — ٨٢) وقال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» (النساء — ٤٨) وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فهو تشديد ومبالغة في الزجر عن القتل، كما روي عن سفیان بن عُيينة أنه قال: إن لم يُقتل يُقال له: لا توبة لك، وإن قتل ثم جاء يُقال: لك توبة. ويروى مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وليس في الآية متعلق لمن يقول بالتنخيد في النار بارتكاب الكبائر، لأن الآية نزلت في قاتل هو كافر، وهو مقيس بن صباية، وقيل: إنه وعيد لمن قتل مؤمناً مستحلاً لقتله بسبب إيمانه، ومن استحل قتل أهل الإيمان لإيمانهم كان كافراً مخلداً في النار، وقيل في قوله تعالى: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾ معناه: هي جزاؤه إن جزاه، ولكنه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له بكرمه، فإنه وَعَدَ أَنْ يَغْفِرَ لِمَنْ يَشَاءُ.

حكى أن عمرو بن عبيد جاء إلى أبي عمرو بن العلاء فقال له: هل يُخلف الله وعده؟ فقال: لا، فقال: أليس قد قال الله تعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾؟ فقال له أبو عمرو ابن العلاء: من العجمة أُتيت يا أبا عثمان! إن العرب لا تعد الإخلاف في الوعيد خلفاً وذماً، وإنما تعد إخلاف الوعد خلفاً وذماً، وأنشد:

وإني وإن أوعدتُهُ أو وَعَدْتُهُ لَمُخْلِفٍ إِعَادِي وَمُنَجِرٍ مَوْعِدِي (١)

والدليل على أن غير الشرك لا يوجب التخليد في النار ما روينا أن النبي ﷺ قال: «من مات لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة» (٢).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو إدريس عائذ الله بن عبد الله أن عبادة بن

(١) عامر بن الطفيل.

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة برقم (٩٣): ١/٩٤، عن جابر، وأخرجه البخاري عن عبد الله ابن مسعود قال «من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار، وقلت أنا: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة». البخاري في الجنائز: ١١٠/٣، والمصنف في شرح السنة: ١/٩٦.

الصامت رضي الله عنه — وكان شهد بدرًا وهو أحد النقباء ليلة العقبة — وقال إن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تُشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا بيهتان فتفرونه بين أيديكم / وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله، فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه»، فبايعناه على ذلك^(١).

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّبُوا﴾ الآية، قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نبيك، وكان من أهل فدك وكان مسلماً لم يُسلم من قومه غيره، فسمعوا بسرية لرسول الله ﷺ تريدهم، وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة اللثبي، فهربوا وأقام الرجل لأنه كان على دين المسلمين، فلما رأى الخيل خاف أن يكونوا من غير أصحاب النبي ﷺ فألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل، وصعد هو إلى الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون، فلما سمع التكبير عرف أنهم من أصحاب النبي ﷺ فكبّر ونزل وهو يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، السلام عليكم، فتغشاه أسامة بن زيد فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه فوجد رسول الله، ﷺ من ذلك وجداً شديداً، وكان قد سبقهم قبل ذلك الخبر، قال رسول الله ﷺ: «قتلتموه إرادة ما معه؟» ثم قرأ هذه الآية على أسامة بن زيد، فقال: يا رسول الله استغفر لي، فقال فكيف بلا إله إلا الله؟! قالها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال أسامة: فما زال رسول الله ﷺ يعيدها حتى ودّدت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ، ثم إن رسول الله ﷺ استغفر لي بعد ثلاث مرات، وقال: «اعتق رقبة»^(٢).

وروى أبو ظبيان عن أسامة رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله إنما قال خوفاً من السلاح، قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفاً أم لا»^(٣)؟

وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرّ رجل من بني سليم على نفر من أصحاب النبي ﷺ ومعه غنم له فسلم عليهم، قالوا: ما سلم عليكم إلا ليتعوذ منكم فقاموا فقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا

(١) أخرجه البخاري في الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار: ١/ ٦٤، وفي مواضع أخرى. ومسلم في الحدود، باب الحدود كفارة لأهلها برقم (١٧٠٩): ٣/ ١٣٣٣. والمصنف في شرح السنة: ١/ ٦٠ - ٦١.

(٢) عزاه ابن حجر للثعلبي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. انظر: الكافي الشاف ص(٤٨)، وأخرجه الطبري من رواية أسباط عن السدي بتغيير بسيط تفسير الطبري: ٩/ ٧٨ - ٧٩. وانظر الدر المنثور: ٢/ ٦٣٢ - ٦٣٣، فتح الباري ٨/ ٢٥٨.

(٣) أخرجه البخاري في الديات، باب ومن أحيائها: ١٢/ ١٩١، وفي مواضع أخرى، ومسلم في الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، برقم (٩٦) ١/ ٩٦.

والمصنف في شرح السنة: ١٠/ ٢٤١ - ٢٤٢.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ
السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ
كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بَرَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٤﴾

بها رسول الله ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١)
يعني إذا سافرتُم في سبيل الله، يعني: الجهاد.

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ قرأ حمزة والكسائي هاهنا في موضعين وفي سورة الحجرات بالتاء والتاء من التثنية، أي:
قفوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر، وقرأ الآخرون بالياء والنون من التبيين، يقال: تبيَّنتُ الأمر إذا تأملتُه،
﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ هكذا قراءة أهل المدينة وابن عامر وحمزة، أي: المقادة، وهو قول
«لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وقرأ الآخرون السلام، وهو السلام الذي هو تحية المسلمين لأنه كان
قد سلَّم عليهم، وقيل: السَّلَم والسلام واحد، أي: لا تقولوا لمن سلَّم عليكم لست مؤمناً، ﴿تَبْتَغُونَ
عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يعني: تطلبون العُثم والغنيمة، و«عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» منافعها ومتاعها، ﴿فَعِنْدَ
اللَّهِ مَغَانِمٌ﴾، أي غنائم، ﴿كَثِيرَةٌ﴾، وقيل: ثوابٌ كثير لمن اتقى قتل المؤمن، ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾،
قال سعيد بن جبیر: كذلك كنتم تكتمون إيمانكم من المشركين ﴿فَمَنْ بَرَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾، بإظهار الإسلام،
وقال قتادة: كنتم ضللاً من قبل فمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بالإسلام والهداية.

وقيل معناه: كذلك كنتم من قبل تأمنون في قومكم بلا إله إلا الله قبل الهجرة فلا تخيفوا من قالها
فمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بالهجرة، فَتَبَيَّنُوا أَنْ تَقْتُلُوا مُؤْمِنًا.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾، قلت: إذا رأى الغزاة في بلد أو قرية شعار الإسلام فعليهم أن
يكفوا عنهم، فإن النبي ﷺ كان إذا غزا قوماً فإن سمع أذاناً كف عنهم، وإن لم يسمع أغانٍ عليهم.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا
الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن ابن عاصم عن أبيه أن النبي ﷺ

(١) أخرجه الترمذي في تفسير سورة النساء: ٢٨٦/٨ وقال: هذا حديث حسن، وأبو داود في الحروف: ٤/٦، وصححه الحاكم في
المستدرک: ٢/٢٣٥ ووافقه الذهبي، وابن جرير في التفسير: ٧٦/٩، وابن أبي عاصم في الدييات ص(٣٦)، والإمام أحمد في المسند:
٢٢٩/١، وانظر البخاري مع الفتح ٢٥٨/٨، وابن كثير: ٥٣٩/١.

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى
وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾

كان إذا بعث سرية قال: «إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أحداً»^(١).

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا إبراهيم بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد الزهري حدثني صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: رأيت مروان بن الحكم جالساً في المسجد فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت رضي الله عنه أخبره أن رسول الله ﷺ أُملي عليه ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قال: فجاء ابن أم مكتوم وهو يُمليها عليّ، فقال: يا رسول الله لو أستطيع الجهادَ لجاهدتُ، وكان رجلاً أعمى، فأنزل الله تعالى عليه وفخذه على فخذي، فنقلت عليّ حتى خفتُ أن ترضُ فخذي، ثم سرى عنه فأنزل الله ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾^(٢).

فهذه الآية في الجهاد والحث عليه، فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عن الجهاد ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي بنصب الراء، أي: إلا أُولِي الضَّرَرِ، وقرأ الآخرون برفع الراء على نعتِ ﴿الْقَاعِدِينَ﴾ يُرِيدُ: لا يستوي القاعدون الذين هم غيرُ أُولِي الضَّرَرِ، أي: غير أُولِي الزَّمَانَةِ وَالضَّعْفِ فِي الْبَدَنِ وَالْبَصَرِ، ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾، غير أُولِي الضَّرَرِ فإنهم يساؤون المجاهدين، لأن العذر أقدمهم.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يزيد بن هرون أخبرنا حميد الطويل عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك، فدنا من المدينة قال: «إن في المدينة لأقواماً ما سرّتم من مسير ولا قطعتم من وادٍ إلا كانوا معكم فيه»، قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: «نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب دعاء المشركين: ٣/ ٤٣٢، وعزه المنذري للنسائي، والترمذي في السير، باب حدثنا محمد بن يحيى: ١٥٥/ ٥، وقال: هذا حديث حسن غريب. والشافعي: ٢/ ١١٦ (من ترتيب المسند)، وأخرجه الطبراني في الكبير مطولاً... انظر:

الإصابة لابن حجر: ٤/ ٥٠٠ - ٥٠١، وسعيد بن منصور في السنن: ٢/ ١٤٩ - ١٥٠، والمصنف في شرح السنة: ١١/ ٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، سورة النساء، باب «لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله» ٨/ ٢٥٩، ومسلم في الإمامة، باب سقوط فرض الجهاد عن المعنويين برقم (١٨٩٨): ٣/ ١٥٨.

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد، باب من حبسه العذر عن الغزو: ٦/ ٤٧، وفي المغازي ٨/ ١٢٦، ومسلم في الإمامة، باب ثواب من =

دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٤﴾

وروي القاسم عن ابن عباس قال: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾ عن بدر والخارجون إلى

بدر.

قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾، أي: فضيلة، وقيل: أراد بالقاعدين ها هنا أولي الضرر، فضَّلَ اللهُ المجاهدين عليهم درجة لأن المجاهد بأثر الجهاد مع النية وأولو الضرر كانت لهم نية ولكنهم لم يباشروا، فنزلوا عنهم بدرجة، ﴿وَكَلًّا﴾، يعني المجاهد القاعد ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾ يعني: الجنة بإيمانهم، وقال مقاتل: يعني المجاهد والقاعد المعذور، ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، يعني: / على القاعدين من غير عذر.

ب/٩٤

﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، قال ابن محيرز في هذه الآية: هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدوُّ الفرس الجواد المضمر سبعين خريفًا.

وقيل: الدرجات هي الإسلام والجهاد والهجرة والشهادة فاز بها المجاهدون، أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا عبد الله بن مسلم أبو بكر الجوزي أنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب حدثني أبو هانيء الخولاني عن أبي عبد الرحمن الجبلي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا سعيد من رضي بالله رياءً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة» قال فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدّها عليّ يا رسول الله، ففعل، قال: «وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» قال: وما هي يا رسول الله؟ فقال: «الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله»^(١).

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن علي بن الشاه أنا أبي أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن صالح المطرّز أنا محمد بن يحيى أنا شريح بن النعمان أنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله عز وجل أن يدخله الجنة، جاهداً في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها»، قالوا: أفلا تُنذر الناس بذلك؟ قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين كل من الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتُم الله فاسألوهُ الْفَرْدوسَ

= حيسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، برقم (١٩١١) ٣/ ١٥١٨، والمصنف في شرح السنة: ١٠/ ٣٧٦.

(١) أخرجه البخاري في الجهاد، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد: ٦/ ٦، ومسلم في الإمارة، باب بيان ما أعدّه الله تعالى للمجاهدين في

الجنة من الدرجات، برقم (١٨٨٤): ٣/ ١٥٠١، والمصنف في شرح السنة: ١٠/ ٣٤٧.

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا لَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾

فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»^(١).

واعلم أن الجهاد في الجملة فرض، غير أنه ينقسم إلى فرض العين وفرض الكفاية:

ففرض العين: أن يدخل الكفار دار قوم من المؤمنين، فيجب على كل مكلف من الرجال، ممن لا عذر له من أهل تلك البلدة الخروج إلى عدوهم، حراً كان أو عبداً، غنياً كان أو فقيراً، دفعاً عن أنفسهم وعن جيرانهم.

وهو في حق من بعد منهم من المسلمين فرض على الكفاية، فإن لم تقع الكفاية بمن نزل بهم يجب على من بعد منهم من المسلمين عونهم، وإن وقعت الكفاية بالنازلين بهم فلا فرض على الأبعدين إلا على طريق الاختيار، ولا يدخل في هذا القسم العبيد والفقراء، ومن هذا القبيل أن يكون الكفار قارئين في بلادهم، فعلى الإمام أن لا يخلى سنة عن غزوة يغزوها بنفسه أو بسراياه حتى لا يكون الجهاد معطلاً، والاختيار للمطيق للجهاد مع وقوع الكفاية بغيره: أن لا يقعد عن الجهاد، ولكن لا يفترض، لأن الله تعالى وعد المجاهد والقاعد الثواب في هذه الآية فقال: ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾، ولو كان فرضاً على الكافة لاستحق القاعد العقاب لا الثواب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية، نزلت في ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا، منهم: قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة وأشباههما، فلما خرج المشركون إلى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، أراد به ملك الموت وأعوانه، أو أراد ملك الموت وحده، كما قال تعالى: «قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ» (السجدة - ١١)، والعرب قد تخاطب الواحد بلفظ الجمع ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾، بالشرك، وهو نصب على الحال أي: في حال ظلمهم، قيل: أي بالمقام في دار الشرك لأن الله تعالى لم يقبل الإسلام بعد هجرة النبي ﷺ إلا بالهجرة، ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة فقال النبي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح»^(٢)، وهؤلاء قتلوا يوم بدر وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم، وقالوا لهم: فِيمَ كُنْتُمْ؟ فذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ أي: في ماذا كنتم؟ أو في أي الفريقين كنتم؟ أي المسلمين؟

(١) أخرجه البخاري في الجهاد، باب درجات المجاهدين في سبيل الله: ١١/٦، وفي التوحيد، والمصنف في شرح السنة: ١٠/٣٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد، باب وجوب النفير: ٦/٣٧، وفي الحج، ومسلم في الإمامة، باب المبايعة بعد فتح مكة برقم (١٣٥٣):

٣/١٤٨٧، وفي الحج، والمصنف في شرح السنة: ١٠/٣٧٠ عن ابن عباس.

إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا ﴿١٩﴾ ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٠﴾﴾

أم في المشركين؟ سؤال توبيخ وتعبير فاعتذروا بالضعف عن مقاومة أهل الشرك، و ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾، عاجزين، ﴿في الأرض﴾، يعني: إلى المدينة وتخرجوا من مكة، من بين أهل الشرك؟ يعني أرض مكة، ﴿قَالُوا﴾ يعني: الملائكة ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسَعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾، يعني: إلى المدينة وتخرجوا من مكة، من بين أهل الشرك؟ فأكذبهم الله تعالى وأعلمنا بكذبهم، وقال: ﴿فَأُولَئِكَ مَاؤَاهُمْ﴾، منزهم ﴿جهنم وساءت مصيراً﴾، أي: بشس المصير إلى جهنم.

ثم استثنى أهل العذر منهم، فقال: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ لا يقدرُونَ على حيلة ولا على نفقة ولا قوة للخروج منها، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾، أي: لا يعرفون طريقاً إلى الخروج. وقال مجاهد: لا يعرفون طريق المدينة.

﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾، يتجاوز عنهم، وعسى من الله واجب، لأنه للإطماع، والله تعالى إذا أطمع عبداً وصله إليه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنتُ أنا وأمي ممن عذر الله، يعني من المستضعفين، وكان رسول الله ﷺ يدعو هؤلاء المستضعفين في الصلاة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا معاذ بن فضالة أنا هشام عن يحيى هو ابن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ فِي الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ قَتَّ اللَّهُمَّ أَنْجِ عِيَاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلْمَةَ بْنَ هِشَامٍ اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سَنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾، قال علي بن أبي

(١) أخرجه البخاري في التفسير سورة آل عمران، باب ليس لك من الأمر شيء: ٢٢٦/٨، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة، برقم (٦٧٥): ٤٤٦/١ - ٤٦٧. والمصنف في شرح السنة: ١٢١/٣ بلفظ: أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع فيما قال: إذا سمع الله لمن حمده...».

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١١﴾

طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مُرَاعِمًا﴾ أي: مُتَحَوِّلاً يتحول إليه، وقال مجاهد: متزحزحاً عما يكره، وقال أبو عبيدة: المرأغم: يُقال: راغمت قومي وهاجرتهم، وهو المُضْطَرَبُ والمَذْهَبُ.

رُوي أنه لما نزلت هذه الآية سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير مريض يقال له جُنْدَعُ بنِ ضَمْرَةَ، فقال: والله لا أبيت الليلة بمكة، أخرجوني، فخرجوا به يحملونه على سرير حتى أتوا به التنعيم فأدركه الموت، فصَفَّقَ يمينه على شماله ثم قال: اللهم هذه لك وهذه لرسولك أباعك على ما بايعك عليه رسولك، فمات فبلغ خبره أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: لو وُفِّي المدينة لكان أتمَّ وأَوْفَى أجراً، وضحك المشركون وقالوا: / ما أدرك هذا ما طلب، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾^(١) أي: قيل بلوغه إلى مهاجره، ﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾ أي: وجب ﴿أجره على الله﴾، بإيجابه على نفسه فضلاً منه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

ب/٩٤

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافرتُم، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾، أي: حرج وإثم ﴿أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾، يعني من أربع ركعات إلى ركعتين، وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ﴾ أي: يفتالكُم ويقتلكُم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، في الصلاة، نظيره قوله تعالى: «عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ» (يونس - ٨٣) أي: يقتلهم.

﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ أي: ظاهر العداوة.

اعلم أن قصر الصلاة في السفر جائز بإجماع الأمة، واختلفوا في جواز الإتمام: فذهب أكثرهم إلى أن القصر واجب، وهو قول عمر وعلي وابن عمر وجابر وابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال الحسن وعمر ابن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وأصحاب الرأي، لِمَا رُوي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر»^(٢).

وذهب قوم إلى جواز الإتمام، رُوي ذلك عن عثمان وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما، وبه قال الشافعي رضي الله عنه، إن شاء أتمَّ وإن شاء قصر، والقصر أفضل.

(١) قال الهيثمي: أخرجه أبو يعلى ورجاله ثقات، مجمع الزوائد: ٧ / ١٠ والواحدي في أسباب النزول ص(٢٠٨)، كلاهما عن ابن عباس. انظر الدر المنثور ٢ / ٦٥١، الطبري: ٩ / ١١٤ وما بعدها، أسد الغابة لابن الأثير: ١ / ٣٥٩ - ٣٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، باب يقصر إذا خرج من موضعه: ٢ / ٥٦٩، ومسلم في المسافرين، باب صلاة المسافرين وقصرها، برقم (٦٨٥): ١ / ٤٧٨.

(١) [أخبرنا الإمام عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد عن طلحة بن عمرو عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «كل ذلك قد فعل رسول الله ﷺ قصر الصلاة وأتم»^(٢).

وظاهر القرآن يدل على هذا، لأنه قال: ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾، ولفظ لا جناح إنما يستعمل في الرخص لا فيما يكون حتماً، فظاهر الآية [يُوجب أن القصر]^(٣) لا يجوز إلا عند الخوف، وليس الأمر على ذلك، إنما نزلت الآية على غالب أسفار النبي ﷺ، وأكثرها لم يخل عن خوف العدو.

والقصر جائز في السفر في حال الأمن عند عامة أهل العلم، والدليل عليه ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا مسلم بن خالد وعبد الحميد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن ابن جريج أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار عن عبد الله بن باباه عن يعلى بن أمية، قال: قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما قال الله تعالى ﴿أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وقد أمن الناس، فقال عمر رضي الله عنه: عجبْتُ مما عجبْت منه، فسألت رسول الله ﷺ فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته»^(٤).

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد الوهاب عن أيوب السخيتاني عن محمد بن سيرين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سافر رسول الله بين مكة والمدينة آمناً لا يخاف إلا الله فصلى ركعتين^(٥).

وذهب قوم إلى أن ركعتي المسافر ليستا بقصر إنما القصر أن يصلي ركعة واحدة في الخوف، يُروى ذلك عن جابر رضي الله عنه وهو قول عطاء وطاووس والحسن ومجاهد، وجعلوا شرط الخوف المذكور في الآية باقياً وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الاختصار على ركعة واحدة لا يجوز خائفاً كان أو آمناً.

واختلف أهل العلم في مسافة القصر، فقالت طائفة: يجوز القصر في السفر الطويل والقصير، روي

(١) من هنا سقط إسناد بعض الأحاديث من نسخة (أ) وستأتي الإشارة إلى موضع النهاية.

(٢) أخرجه الشافعي: ١٨٢/١ (ترتيب المسند)، والدارقطني: ٢/١٨٩، من طريق طلحة وقال: طلحة ضعيف. وأخرجه من طريق آخر وقال: وهذا إسناد صحيح، والمصنف في شرح السنة: ٤/١٦٦.

(٣) ساقط من: (أ).

(٤) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب صلاة المسافرين، برقم (٦٨٦): ١/٤٧٨، والمصنف في شرح السنة: ٤/١٦٨.

(٥) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ماجاء في التقصير في السفر: ٣/١٠٩، وقال: هذا حديث صحيح، والنسائي في تقصير الصلاة في السفر: ٣/١١٧، والشافعي: ١/١٨٠، وأحمد: ١/٢١٥، والمصنف في شرح السنة: ٤/١٧٠. وقال ابن حجر: صححه النسائي.

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا
 أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ
 يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَالدَّيْنِ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ
 عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ
 بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ
 أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٢﴾

ذلك عن أنس رضي الله عنه، وقال عمرو بن دينار: قال لي جابر بن زيد: أقصر بعرفة، أما عامة الفقهاء
 فلا يُجوزون القصر في السفر القصير.

واختلف في حد ما يجوز به القصر، فقال الأوزاعي: مسيرة يوم، وكان ابن عمر وابن عباس رضي الله
 عنهم يقصران ويفطران في أربعة بُرْدٍ، وهي ستة عشر فرسخاً، وإليه ذهب مالك وأحمد وإسحاق،
 وقول الحسن والزهري قريب من ذلك، قالوا: مسيرة يومين، وإليه ذهب الشافعي رضي الله عنه، قال:
 مسيرة ليلتين قاصدتين، وقال في موضع: ستة وأربعون ميلاً بالهاشمي، وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي:
 مسيرة ثلاثة أيام .

وقيل: قوله ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ متصل بما بعده من صلاة الخوف منفصل عما
 قبله، روي عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال: نزل قوله ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾
 هذا القدر، ثم بعد حَوْلٍ سألوا رسول الله ﷺ عن صلاة الخوف فنزل: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ
 كَفَرُوا، إِنْ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ (١) الآية. ومثله في القرآن كثير أن
 يجيء الخبر بتمامه ثم يُنسق عليه خبر آخر، وهو في الظاهر كالم متصل به، وهو منفصل عنه، كقوله تعالى:
 «الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْدَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ» (يوسف — ٥١)، وهذه حكاية عن
 امرأة العزيز، وقوله: «ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب» (يوسف — ٥٢) إخبار عن يوسف عليه السلام.
 قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (٢)

(١) أخرجه الطبري: ١٢٦/٩، وقال ابن كثير في التفسير، بعد أن عراه للطبري: هذا سياق غريب جداً، ولكن لبعضه شاهد من رواية أبي
 عياش الزرقى، واسمه زيد بن الصامت/ تفسير ابن كثير: ٥٤٩/١.

(٢) أخرجه بمعناه الحاكم في المستدرک: ٣٠/٣ وصححه على شرط البخاري، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٦٤/٢ للبخاري، والواحدي =

وجابر^(١) رضي الله عنهم أن المشركين لما رأوا رسول الله ﷺ وأصحابه قاموا إلى الظهر يُصلون جماعة ندموا أن لو كانوا كُتِبوا عليهم، فقال بعضهم لبعض: دعوهم فإن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آباتهم وأبنائهم، يعني صلاة العصر، فإذا قاموا فيها فشدوا عليهم فاقتلوهم، فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إنها صلاة الخوف وإن الله عز وجل يقول: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ فعلمه صلاة الخوف.

وجملته: أن العدو إذا كانوا في معسكرهم في غير ناحية القبلة فيجعل الإمام القوم فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو تحرسهم، ويشرع الإمام مع طائفة في الصلاة، فإذا صلى بهم ركعة قام وثبت قائماً حتى أتموا صلاتهم، ذهبوا إلى وجاه العدو ثم أتت الطائفة الثانية فصلى بهم الركعة الثانية، وثبت جالساً حتى أتموا لأنفسهم الصلاة، ثم يُسلم بهم، وهذه رواية سهل بن أبي حنثة رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى كذلك بذات الرقاع، وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق.

أنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمّن صلى مع النبي ﷺ يوم ذات الرقاع صلاة الخوف: أن طائفة صفت معه وصفت طائفة وجاه العدو فصلى بالتّي معه ركعة ثم ثبت قائماً فأتموا لأنفسهم، ثم انصرفوا وصفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت ثم ثبت جالساً وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم^(٢). قال مالك: وذلك أحسن ما سمعت في صلاة الخوف^(٣).

وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد أنا يحيى عن شعبة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن صالح بن خوات عن سهل بن أبي حنثة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ بهذا^(٤).

وذهب قوم إلى أن الإمام إذا قام إلى الركعة الثانية تذهب الطائفة الأولى في خلال الصلاة إلى وجاه العدو وتأتي الطائفة الثانية فيصلي بهم الركعة الثانية ويسلم وهم لا يسلمون بل يذهبون إلى وجاه العدو، وتعود الطائفة الأولى فتتم صلاتها، ثم تعود الطائفة الثانية فتتم صلاتها، وهذه رواية عبد الله بن عمر رضي

= في أسباب النزول ص ١٧٢، والطبري: ١٥٧/٩، وقال الشيخ شاکر: وفيه النضر أبو عمر، هو نضر بن عبد الرحمن الخزاز، وهو ضعيف الحديث، سئل عنه أبو نعيم فقال: لا يسوى هذا - ورفع شيئاً من الأرض - كان يجيء فيجلس عند الحماني، وكل شيء يُسأل عنه، يقول: عكرمة عن ابن عباس.

(١) بهذا المعنى مطولاً عند مسلم في صلاة المسافرين، باب صلاة الخوف، برقم (٨٤٠): ١/٥٧٥.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة ذات الرقاع: ٧/٤٢٢، ومسلم في صلاة المسافرين، باب صلاة الخوف، برقم (٨٤١):

١/٥٧٥. وانظر: شرح السنة: ٤/٢٨٠.

(٣) انظر: الموطأ: ١/١٨٥، وقد أخرج مالك الحديث في صلاة الخوف من الموطأ: ١/١٨٣.

(٤) الحديث السابق نفسه، وهو في شرح السنة: ٤/٢٧٩.

الله عنهما أن النبي ﷺ صلى كذلك. وهو قول أصحاب الرأي.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب أنا يزيد بن زريع أنا معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه أن النبي ﷺ صلى صلاة الخوف بإحدى الطائفتين ركعة والطائفة الأخرى مواجهة العدو، ثم انصرفوا فقاموا في مقام أولئك وجاء أولئك فصلى بهم ركعة أخرى ثم سلم بهم، فقام هؤلاء فصلوا ركعتهم^(١).

وكلتا الروایتين صحيحة، فذهب قوم إلى أن هذا من الاختلاف المباح، وذهب الشافعي رضي الله عنه إلى حديث سهل بن أبي حنمة لأنه أشد موافقة لظاهر القرآن وأحوط للصلاة وأبلغ في حراسة العدو، وذلك لأن الله تعالى قال: ﴿فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وِرَائِكُمْ﴾ أي: إذا صلوا، ثم قال: ﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾، وهذا يدل على أن الطائفة الأولى قد صلوا، / وقال: ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ فمقتضاه أن يصلوا تمام الصلاة، فظاهره يدل على أن كل طائفة تفارق الإمام بعد تمام الصلاة، والاحتياط لأمر الصلاة من حيث أنه لا يكثر فيها العمل والذهاب والجمي، والاحتياط لأمر الحرب من حيث أنهم إذا لم يكونوا في الصلاة كان أمكن للحرب والمهرب إن احتاجوا إليه.

١/٩٥

ولو صلى الإمام أربع ركعات بكل طائفة ركعتين جاز. أنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين الأسفراييني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ قال أنا الصنعاني أنا عفان بن مسلم ثنا أبان العطار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ قال فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بشجرة فأخذ سيف نبي الله ﷺ فاخترطه فقال لرسول الله ﷺ: أتخافني؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله يمنعني منك، قال فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ، قال: فأغمد السيف وعلقه فنودي بالصلاة، قال فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا فصلى بالطائفة الأخرى ركعتين، قال: فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان^(٢).

أخبرنا عبد الوهاب بن الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أخبرني الثقة ابن علي أو غيره عن يونس عن الحسن عن جابر رضي الله عنهم أن النبي ﷺ

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة ذات الرقاع: ٧/٤٢٢، ومسلم في صلاة المسافرين، باب صلاة المسافرين، برقم (٨٣٩):

١/٥٧٤. والمصنف في شرح السنة: ٤/٢٧٦.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة ذات الرقاع: ٧/٤٢٦، ومسلم في صلاة المسافرين، باب صلاة الخوف، برقم (٨٤٣):

١/٥٧٦. والمصنف في شرح السنة: ٤/٢٨٧ - ٢٨٨.

كان يصلي بالناس صلاة الظهر في الخوف بيطن نخل، فصلى بطائفة ركعتين ثم سلم، ثم جاءت طائفة أخرى فصلى بهم ركعتين ثم سلم^(١).

وروي عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في صلاة الخوف أنه صلى بهؤلاء ركعة وبهؤلاء ركعة ولم يقضوا^(٢) ورواه زيد بن ثابت وقال: «كانت للقوم ركعة واحدة وللنبي ﷺ ركعتان»^(٣).

وتأوله قوم على صلاة شدة الخوف، وقالوا: الفرض في هذه الحالة ركعة واحدة.

وأكثر أهل العلم على أن الخوف لا ينقص عدد الركعات، وإن كان العدو في ناحية القبلة في مستوى إن حملوا عليهم رأوهم صلى الإمام بهم جميعاً وحرسوا في السجود، كما أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم الاسفراييني أنا أبو عوانة الحافظ أنا عمار أنا يزيد بن هارون أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء عن جابر رضي الله عنهما قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف فصففنا خلفه صفين، والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي ﷺ وكبرنا جميعاً ثم ركع وركعنا جميعاً ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعاً، ثم انحدر للسجود والصف الذي يليه، وقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى رسول الله ﷺ السجود والصف الأول والذي انحدر الصف المؤخر بالسجود [ثم قاموا ثم]^(٤) تقدم الصف المؤخر، وتأخر المقدم ثم ركع النبي ﷺ وركعنا جميعاً، ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعاً، ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخراً في الركعة الأولى، وقام الصف المؤخر في نحر العدو، فلما قضى رسول الله ﷺ السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا، ثم سلم النبي ﷺ وسلمنا جميعاً قال جابر رضي الله عنه: كما يصنع حرسكم هؤلاء بأمرائهم^(٥).

واعلم أن صلاة الخوف جائزة بعد الرسول ﷺ. عند عامة أهل العلم. ويحكي عن بعضهم عدم الجواز ولا وجه له.

(١) أخرجه الشافعي في المسند: ١/ ١٧٦ - ١٧٧، والنسائي في صلاة الخوف: ٣/ ١٧٨، والدارقطني في الصلاة، باب صلاة الخوف: ٦١/ ٢، وفيه عن عنة الحسن البصري.

(٢) أخرجه أبو داود في صلاة الخوف، باب من قال: يصلي بكل طائفة ركعة ولا يقضون: ٢/ ٧٠، والنسائي في أول كتاب صلاة الخوف: ١٦٨/ ٣، والطحاوي: ١/ ١٨٣، وابن جرير برقم: (١٠٣٣١) ٩/ ١٣٥، وصححه الحاكم: ١/ ٣٣٥ ووافقه الذهبي، والإمام أحمد في المسند: ٥/ ٣٨٥، ٣٩٩، وعزاه السيوطي لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن حبان - انظر الدر المنثور ٢/ ٦٦١، وشرح السنة: ٢٨٤/ ٤.

(٣) أخرجه أبو داود في صلاة الخوف - باب من قال: يصلي بكل طائفة ركعة: ٢/ ٧١، والنسائي في صلاة الخوف: ٣/ ١٦٨. وانظر شرح السنة: ٤/ ٢٨٥.

(٤) في أ: (ثم قام وأتم).

(٥) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب صلاة الخوف، برقم (٨٤٠): ١/ ٥٧٤، والمصنف في شرح السنة: ٤/ ٢٩١.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عليه: كل حديث رُوي في أبواب صلاة الخوف فالعمل به جائز، رُوي فيها ستة أوجه أو سبعة أوجه.

وقال مجاهد^(١) في سبب نزول هذه الآية عن ابن عياش الزرقي قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر، فقال المشركون: لقد أصبنا غرة لو حملنا عليهم، وهم في الصلاة فنزلت الآية بين الظهر والعصر.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ أي: شهيداً معهم فأقمت لهم الصلاة، ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾، أي: فلتقف، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ (البقرة - ٢٠) أي: وقفوا، ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾، واختلفوا في الذين يأخذون أسلحتهم، فقال بعضهم: أراد هؤلاء الذين وقفوا مع الإمام يُصلُّون يأخذون الأسلحة في الصلاة، فعلى هذا إنما يأخذه إذا كان لا يشغله عن الصلاة، ولا يؤذي مَنْ بجنبه [فإذا شغلته حركته وثقلته عن الصلاة كالجعبة والترس الكبير أو كان يؤذي من جنبه]^(٢) كالرمح فلا يأخذه.

وقيل: وليأخذوا أسلحتهم أي: الباقون الذين قاموا في وجه العدو، ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾، أي: صلوا، ﴿فَلْيَكُونُوا مِنْ وِرَائِكُمْ﴾، يُريد مكان الذين هم وجاه العدو، ﴿وَلتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾، وهم الذين كانوا في وجه العدو، ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِزْبَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾، قيل: هؤلاء الذين أتوا، وقيل: هم الذين صلوا، ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يتمنى الكفار، ﴿لَوْ تَعْفَلُونَ﴾ أي: لو وجدوكم غافلين، ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾، فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحدة. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتِكُمْ﴾، رخص في وضع السلاح في حال المطر والمرض، لأن السلاح يتقل حمله في هاتين الحالتين، ﴿وَأُخْذُوا حِزْبَكُمْ﴾، أي: راقبوا العدو كيلا يتغفلوكم، والحذر ما يُتقى به من العدو.

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رسول الله ﷺ، وذلك أنه غزا محارباً وبنى أثمار، فنزلوا ولا يرون من العدو أحداً، فوضع الناس أسلحتهم، وخرج رسول الله ﷺ لحاجة له قد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش، فحَالَ الوادي بين رسول الله ﷺ وبين أصحابه فجلس رسول الله ﷺ في ظل شجرة فبصر به غَوْرَثُ بن الحارث المحاربي فقال: قتلني الله إن لم أقتله، ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله ﷺ إلا وهو قائم على رأسه ومعه السيف قد سَلَّه من غَمْدِهِ فقال: يا محمد من يعصمك مني الآن؟ فقال رسول الله ﷺ: الله، ثم قال: اللهم اكفني

(١) أخرجه أبو داود في صلاة الخوف ٦٤/٢، والنسائي في صلاة الخوف: ١٧٧/٣ والمصنف في شرح السنة: ٤/٢٩٠.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ).

فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾

غورث بن الحارث بما شئت، ثم أهوى بالسيف إلى رسول الله ﷺ ليضربه فأكب لوجهه من زلخة زلخها من بين كتفيه، وندر سيفه فقام رسول الله ﷺ فأخذه ثم قال: يا غورث من يمنعك مني الآن؟ قال: لا أحد، قال تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأعطيك سيفك؟ / قال: لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبداً ولا أعين عليك عدواً، فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه، فقال غورث: والله لأنت خير مني، فقال النبي ﷺ: أجل أنا أحق بذلك منك، فرجع غورث إلى أصحابه فقالوا: وبلك ما منعك منه؟ قال: لقد أهويتُ إليه بالسيف لأضربه فوالله ما أدري من زلختي بين كتفي فخررت لوجهي، وذكر حاله قال: وسكن الوادي فقطع رسول الله ﷺ الوادي إلى أصحابه فأخبرهم الخبر وقرأ عليهم هذه الآية: (١) ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخَذُوا حِذْرَكُمْ﴾ أي: من عدوكم.

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية كان عبد الرحمن بن عوف جريحاً. ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾، يُهائِونَ فِيهِ، وَالْجُنَاحُ: الإثم، من جنحت: إذا عدلت عن القصد. ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾، يعني: صلاة الخوف، أي: فرغتم منها، ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي صلوا لله ﴿قِيَامًا﴾ في حال الصحة، ﴿وَقُعودًا﴾، في حال المرض، ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾، عند الحرج والزمانة، وقيل: اذكروا الله بالتسبيح والتحميد والتهليل والتمجيد، على كل حال.

أخبرنا عمرو بن عبد العزيز الكاشاني أنا القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي أنا أبو داود السجستاني أنا محمد بن العلاء أنا ابن أبي زائدة عن أبيه عن خالد بن سلمة عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه» (٢). ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾ أي: سكنتم وأمنتم، ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: أتموها أربعاً بأركانها، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾، قيل: واجباً مفروضاً مقدراً في الحضر أربع ركعات وفي السفر

(١) ذكره ابن كثير مختصراً في التفسير، وقال أخرجه الإمام أحمد عن جابر، وقال: تفرد به من هذا الوجه: ١/ ٥٤٩ - ٥٥٠. وانظر: البداية والنهاية: ٤/ ٨٤.

(٢) أخرجه البخاري في الأذان، باب هل يتبع المؤذن فاه ها هنا وهنا، عن عائشة، تعليقا: ٢/ ١١٤. وفي الحيض، باب تقضي الحائض المناسل كلها إلا الطواف بالبيت: ١/ ٤٠٧. عن ابن عباس بلفظ «كان النبي ﷺ يذكر الله في كل أحيانه». ومسلم في الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها، برقم (٣٧٣): ١/ ٢٨٢.

وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۗ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۗ
وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾

ركعتان، وقال مجاهد: أي فرضاً مؤقتاً وقته الله عليهم.

وقد جاء بيان أوقات الصلاة في الحديث، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا أبو بكر عبد الله بن هاشم حدثنا وكيع أنا سفيان عن عبد الرحمن بن الحارث عن عياش بن أبي ربيعة الزرقي عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة عن نافع ابن جبير بن مطعم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أمني جبيل عند البيت مرتين فصلّى بي المغرب حين أفطر الصائم، وصلّى بي العشاء حين غاب الشفق، وصلّى بي الفجر حين حرّم الطعام والشراب على الصائم، وصلّى بي الغد الظهر حين كان ظل كل شيء مثله، وصلّى بي العصر حين كان ظل كل شيء مثليه، وصلّى بي المغرب حين أفطر الصائم، وصلّى بي العشاء ثلث الليل الأول، وصلّى بي الفجر فأسفر، ثم التفت إليّ قال: يا محمد هذا وقت النبيين من قبلك، الوقت ما بين هذين الوقتين»^(١).

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر بن الحسن الحيري أنا وكيع أنا حاجب بن أحمد ثنا عبد الله بن هشام ثنا وكيع ثنا بدر بن عثمان ثنا أبو بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن سائلاً أتاه فسأله عن مواقيت الصلاة، قال: فلم يردّ عليه شيئاً ثم أمر بلالاً فأذن ثم أمره فأقام الصلاة حين انشق الفجر فصلّى، ثم أمره فأقام الظهر، والقائل يقول: قد زالت الشمس أو لم تزل، وهو كان أعلم منهم، ثم أمره فأقام العصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية، ثم أمره فأقام المغرب حين وقعت الشمس، ثم أمره فأقام العشاء حين سقوط الشفق، قال: وصلّى الفجر من الغد، والقائل يقول: طلعت الشمس أو لم تطلع، وصلّى الظهر قريباً من وقت العصر بالأمس وصلّى العصر والقائل يقول قد احمرّت الشمس وصلّى المغرب قبل أن يغيب الشفق الأحمر، وصلّى العشاء ثلث الليل الأول، ثم قال: أين السائل عن الوقت؟ فقال الرجل: أنا يا رسول الله، قال: «ما بين هذين الوقتين وقت»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ الآية، سبب نزولها أن أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا يوم

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب المواقيت: ٢٣١/١ - ٢٣٢، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء في مواقيت الصلاة: ٤٦٤/١ -

٤٦٧، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم: ١/١٩٦، وأحمد: ١/٣٣٣، وزاد السيوطي نسبه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة

وابن خزيمة. انظر: الدر المنثور: ٢/٦٦٨. والمصنف في شرح السنة: ١٨٢/٢ - ١٨٣.

(٢) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب أوقات الصلوات الخمس، برقم (٦١٤): ١/٤٢٩، والمصنف في شرح السنة:

١٨٤/٢.

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

أحد بعث رسول الله ﷺ طائفة في آثارهم فشكوا ألم الجراحات، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ (١) أي: لا تضعفوا (في ابتغاء القوم) في طلب أبي سفيان وأصحابه، ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾، تتوجعون من الجراح، ﴿فإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾، أي: يتوجعون، يعني الكفار، ﴿كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾، أي: وأنتم مع ذلك تأملون من الأجر والثواب في الآخرة والنصر في الدنيا ما لا يرجون، وقال بعض المفسرين: المراد بالرجاء الخوف، لأن كل راج خائف أن لا يدرك مأموله.

ومعنى الآية: وترجون من الله أي: تخافون من الله أي: تخافون من عذاب الله ما لا يخافون، قال الفراء رحمه الله: ولا يكون الرجاء بمعنى الخوف إلا مع الجحد، كقوله تعالى: «قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ» (الجمانية - ١٤) أي: لا يخافون، وقال تعالى: «مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا» (نوح - ١٣) أي: لا تخافون لله عظمته، ولا يجوز رجوتك بمعنى: خفتك، ولا خفتك وأنت تريد رجوتك ﴿وَوَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ الآية، روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعاً من جاري له يقال له قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار، ثم خبأها عند رجل من اليهود، يقال له زيد ابن السمين، فالتمس الدرع عند طعمة فحلف: والله ما أخذها وما له بها من علم، فقال أصحاب الدرع: لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره، فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي فأخذه منه، فقال اليهودي دفعها إلي طعمة بن أبيرق، فجاء بنو ظفر وهم قوم طعمة إلى رسول الله ﷺ وسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا له: إنك إن لم تفعل افتضح صاحبنا، فهم رسول الله ﷺ أن يعاقب اليهودي. ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى أن طعمة سرق الدرع في جراب فيه نخالة فخرق الجراب حتى كان يتناثر منه النخالة طول الطريق فجاء به إلى دار زيد السمين وتركه على بابه، وحمل الدرع إلى بيته، فلما أصبح صاحب الدرع جاء على أثر النخالة إلى دار زيد السمين فأخذه وحمله إلى النبي ﷺ، فهم النبي ﷺ أن يقطع يد زيد اليهودي. وقال مقاتل: إن زيدا

(١) انظر: البحر المحيط: ٣/٣٤٢، سيرة ابن هشام مع الروض الأنف: ١٤٤/٢، وفيما سبق في تفسير سورة آل عمران ص (٤٩٢) وما بعدها.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ - وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ
 أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ - يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ
 وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا
 يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾

السمين أودع درعاً عند طعمة فجحدها طعمة فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١)، فقال: ﴿إنا أنزلنا إليك
 الكتاب بالحق﴾ بالأمر والنهي والفصل، ﴿لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ بما علمك الله وأوحى إليك،
 ﴿ولا تكن للخائنين﴾ [طعمة]^(٢) ﴿خصيماً﴾ معيناً مدافعاً عنه.

﴿واستغفر الله﴾، مما هممت من معاقبة اليهودي، وقال مقاتل: واستغفر الله من جدالك عن طعمة
 ﴿إن الله كان غفوراً رحيماً﴾.

/ ﴿ولا تجادل﴾، لا تُخاصم، ﴿عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾، أي: يظلمون أنفسهم بالخيانة
 والسرقة، ﴿إن الله لا يحبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ يريد خواناً في الدرع، أثيماً في رمية اليهودي، قيل:
 إنه خطاب مع النبي ﷺ، والمرادُ به غيره، كقوله تعالى: «فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك»،
 والاستغفار في حق الأنبياء بعد النبوة على أحد الوجوه الثلاثة: إما لذنب تقدم على النبوة أو لذنوب أمته
 وقربته، أو لمباح جاء الشرع بتحريمه^(٣) فيتركه بالاستغفار، فالاستغفار يكون معناه: السمع والطاعة
 لحكم الشرع.

﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾، أي: يستترون ويستحيون من الناس، يريد بني ظفر بن الحارث، ﴿ولا
 يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا يستترون ولا يستحيون من الله، ﴿وهو معهم إذ يُبَيِّتُونَ﴾، يقولون ويؤلفون،
 والتببيت: تدبير الفعل ليلاً، ﴿مالا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾، وذلك أن قوم طعمة قالوا فيما بينهم: نرفع الأمر
 إلى النبي ﷺ فإنه يسمع قوله ويمينه لأنه مسلم ولا يسمع من اليهودي فإنه كافر، فلم يرض الله ذلك

(١) انظر: الطبري: ٩ / ١٨٣، وأخرجه الترمذي مطولاً في تفسير سورة النساء: ٨ / ٣٩٥ - ٣٩٩ من رواية محمد بن سلمة عن ابن
 اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان، وقال الترمذي: غريب، ولا نعلم أسنده عن ابن اسحاق إلا
 محمد بن سلمة الحراني، ورواه يونس وغير واحد عن ابن اسحاق عن عاصم مرسلاً.
 وأخرجه الحاكم في المستدرک: ٤ / ٣٨٥ - ٣٨٨ وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وعزاه في تحفة الأحوذى أيضاً
 لابن المنذر وأبي الشيخ الأصبهاني.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) في ب (بتحريمه).

هَاتَتْهُ هَوَآءٌ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ
يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهِ وَعَلَى
نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ
أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ
مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ

منهم، ﴿وكان الله بما يعملون محيطاً﴾، ثم يقول لقوم طعمة:

﴿ها أنتم هؤلاء﴾، أي: يا هؤلاء، ﴿جدلتم﴾ أي: خاصمتم، ﴿عنهم﴾ يعني: عن طعمة، وفي
قراءة أبي بن كعب: عنه ﴿في الحياة الدنيا﴾، والجدال: شدة المخاصمة من الجدال، وهو شدة الفتل،
فهو يريد قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج، وقيل: الجدال من الجدالة، وهي الأرض، فكان كل
واحد من الخصمين يروم قهر صاحبه وصرعه على الجدالة، ﴿فمن يجادل الله عنهم﴾، يعني: عن
طعمة، ﴿يوم القيامة﴾ إذا أخذه الله بعذابه، ﴿أم من يكون عليهم وكيلاً﴾، كفيلاً، أي: من الذي
يذب عنهم، ويتولى أمرهم يوم القيامة؟ ثم استأنف فقال:

﴿ومن يعمل سوءاً﴾، يعني السرقة، ﴿أو يظلم نفسه﴾، برميه البريء، وقيل: ومن يعمل سوءاً أي:
شركاً أو يظلم نفسه: يعني: إنما دون الشرك، ﴿ثم يستغفر الله﴾، أي: يتب إليه ويستغفره، ﴿يجد الله
غفوراً رحيماً﴾، يعرض التوبة على طعمة في هذه الآية.

﴿ومن يكسب إثماً﴾، يعني: يمين طعمة بالباطل، أي: ما سرقته إنما سرقه اليهودي ﴿فإنما يكسبه
على نفسه﴾، فإنما يضر به نفسه، ﴿وكان الله عليماً﴾، بسارق الدرع ﴿حكيماً﴾، حكّم بالقطع على
السارق.

﴿ومن يكسب خطيئة﴾ أي: سرقة الدرع، ﴿أو إثماً﴾ يمينه الكاذبة، ﴿ثم يرم به﴾ أي: يقذف
بما جنى ﴿بريئاً﴾ منه وهو نسبة السرقة إلى اليهودي ﴿فقد احتمل بهتاناً﴾ البهتان: هو البهت، وهو
الكذب الذي يُتَّحَرَّ في عظمه، ﴿وإنما مينا﴾ أي: ذنباً بيناً، وقوله ﴿ثم يرم به﴾ ولم يقل بهما بعد
ذكر الخطيئة والإثم، رد الكناية إلى الإثم، أو جعل الخطيئة والإثم كالشيء الواحد.

قوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته﴾، يقول للنبي ﷺ: ﴿لَهَمَّتْ﴾، لقد همت أي:

عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ❖ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾

أضمرت، ﴿طائفة منهم﴾، يعني: قوم طعمة، ﴿أَن يُضْلَوْكَ﴾ يخطئك في الحكم ولبسوا عليك الأمر حتى تدافع عن طعمة، ﴿وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾، يعني يرجع وبأله عليهم، ﴿وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ﴾، يُريد أن ضرره يرجع إليهم، ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، يعني: القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، يعني: القضاء بالوحي ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ من الأحكام، وقيل: من علم الغيب، ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾، يعني: قوم طعمة، وقال مجاهد: الآية عامة في حق جميع الناس، والنجوى: هي الأسرار في التدبير، وقيل: النجوى ما ينفرد بتدبيره قوم سراً كان أو جهراً، فمعنى الآية: لا خير في كثير مما يدبرونه بينهم، ﴿إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ أي: إلا في نجوى من أمر بصدقة، فالتجوى تكون فعلاً، وقيل: هذا استثناء منقطع، يعني: لكن من أمر بصدقة، وقيل النجوى ها هنا: الرجال المتناجون، كما قال تعالى «وَإِذْ هُمْ نَجْوَى» (الاسراء - ٤٧). (إلا من أمر بصدقة) أي: حث عليها، ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾، أي: بطاعة الله وما يعرفه الشرع، وأعمال البر كلها معروف، لأن العقول تعرفها.

﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى أنا حاجب بن أحمد الطوسى أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سالم هو ابن أبي الجعد عن أم الدرداء رضى الله عنها عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة»؟ قال: قلنا بلى، قال: «إصلاح ذات البين. وفساد ذات البين هي الحالقة»^(١).

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا إسماعيل

(١) أخرجه البخارى في الأدب المفرد ص (١١٨)، وأبو داود في الأدب، باب في إصلاح ذات البين: ٧/٢٥، والترمذى في صفة القيامة، باب سوء ذات البين: ٧/٢١٢ وقال: هذا حديث صحيح، وأحمد في المسند: ٦/٤٤٤، ٤٤٥، والمصنف في شرح السنة: ١١٦/١٣.

وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ
تُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ
وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾

ابن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عُقبة، وكانت من المهاجرات الأول، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس بالكذاب من أصلح بين الناس فقال خيراً أو نَمَى خيراً»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: هذه الأشياء التي ذكرها، ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾، أي: طلب رضاه، ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾، في الآخرة، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾، قرأ أبو عمرو وحزمة ﴿يُؤْتِيهِ﴾ بالياء، يعني: يؤتيه الله، وقرأ الآخرون بالنون.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾، نزلت في طعمة بن أبيرق وذلك أنه لما ظهرت عليه السرقة خاف على نفسه من قطع اليد والفضيحة، فهرب إلى مكة وارتد عن الدين، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾، أي: يخالفه، ﴿مَنْ بَعْدَ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾، أي: نكله في الآخرة^(٢) إلى ما تولى في الدنيا، ﴿وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

رُوي أن طعمة بن أبيرق نزل على رجل من بني سليم من أهل مكة يقال له الحجاج بن غلاط، فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع أن يدخل ولا أن يخرج حتى أصبح، فأخذ ليقتل، فقال بعضهم: دعوه فإنه قد لجأ إليكم فتركوه فأخرجوه من مكة، فخرج مع تجار من قضاة نحو الشام، فنزلوا منزلاً فسرق بعض متاعهم وهرب، فطلبوه وأخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه، فصار قبره تلك الحجارة، وقيل: إنه ركب سفينة إلى جدة فسرق فيها كيساً فيه دنانير فأخذ، فألقي في البحر، وقيل: إنه نزل في حرة بني سليم وكان يعبد صنماً إلى أن مات فأنزل الله تعالى فيه:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ أي: ذهب عن الطريق وحرم الخير كله، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٣): إنَّ

(١) أخرجه البخاري في الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس: ٢٩٩/٥، ومسلم في البر والصلة، باب تحريم الكذب وبيان

المباح منه برقم (٢٦٠٦): ٤/٢٠١١، والولصنف في شرح السنة: ١٣/١١٧.

(٢) إلى هنا تنتهي الأحاديث التي سقط إسنادها من نسخة (أ)، وقد أشرنا لبداية ذلك في الورقة (٩٤/ب).

(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ٣/٣٥١، قال ابن حجر في الكافي الشاف ص (٤٩): وهو منقطع.

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ (١١٧) ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ وَقَالَ لَا تَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ (١١٨)

هذه الآية نزلت في شيخ من الأعراب جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله إني شيخ مهتك^(١) في الذنوب، إلا أنني لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته وآمنت به، ولم أتخذ من دونه ولياً ولم أواقع المعاصي جرأة على الله، وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هرباً، وإني لتادم تائب مستغفر فما حالي؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا﴾، نزلت في أهل مكة، أي: ما يعبدون، كقوله تعالى: «وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي» (غافر — ٦٠) أي: اعبدوني، بدليل قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي» (غافر — ٦٠)، قوله: ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: من دون الله، ﴿إِلَّا إِنثًا﴾ أراد بالإناث الأوثان لأنهم كانوا يسمونها باسم الإناث، فيقولون: اللات والعزى ومناة، وكانوا يقولون لصنم كل قبيلة: أنثى بني فلان فكان في كل واحدة منهن شيطان يتراءى للسندنة والكهنة ويكلمهم، ولذلك قال: ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا﴾ هذا قول أكثر المفسرين.

يدل على صحة هذا التأويل — أن المراد بالإناث الأوثان —: قراءة ابن عباس رضي الله عنه ﴿إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا إِنثًا﴾، جَمْعُ جمع الوثن فصيّر الواو همزة^(٢)، وقال الحسن وقتادة: إِلَّا إِنثًا أي: مواتاً لا روح فيه، لأن أصنامهم كانت من الجمادات، سماها إناثاً لأنه يخبر عن الموات، كما يخبر عن الإناث، ولأن الإناث أدون الجنسين، كما أن الموات أرذل من الحيوان، وقال الضحاك: أراد بالإناث الملائكة، وكان بعضهم يعبدون الملائكة ويقولون: الملائكة إناث، كما قال الله تعالى: «وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا» (الزخرف — ١٩) ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ أي: وما يعبدون إِلَّا شيطاناً مریداً لأنهم إذا عبدوا الأصنام فقد أطاعوا الشيطان، والمريد: المارد، وهو المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة، وأراد: إبليس.

﴿لَعْنَةُ اللَّهِ﴾، أي: أبعده الله من رحمته، ﴿وَقَالَ﴾، يعني: قال إبليس، ﴿لَا تَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾، أي: حظاً معلوماً، فما أطيع فيه إبليس فهو مفروضه، وفي بعض التفاسير: من كل ألف واحد لله تعالى وتسعمائة وتسعة وتسعون لإبليس، وأصل الفرض في اللغة: القطع، ومنه الفرضة في

(١) في ب: (منمك).

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٩/ ٢١٠، معاني القرآن للقرآء: ١/ ٢٨٨ — ٢٨٩.

وَلَا ضَلَّئِهِمْ وَلَا مِئِينَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيُبْتِكُنْ أَذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَهُمْ
 فَلْيَغْيِرْ بَكَ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ
 خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٦﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١١٧﴾
 أُولَئِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

النهر وهي الثلثة تكون فيه، وفرض القوس والشراك: للشق الذي يكون فيه الوتر والحيط الذي يشد به الشراك.

﴿وَلَا ضَلَّئِهِمْ﴾ يعني: عن الحق، أي: لأغوينهم، يقوله إبليس، وأراد به التزيين، وإلا فليس إليه من الإضلال شيء، كما قال: «لأزینن لهم في الأرض» (الحجر - ٣٩) ﴿وَلَا مِئِينَهُمْ﴾، قيل: أمينتهم ركوب الأهواء، وقيل: أمينتهم أن لا جنة ولا نار ولا بعث، وقيل: أمينتهم إدراك الآخرة مع ركوب المعاصي، ﴿وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيُبْتِكُنْ أَذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ أي: يقطعونها ويشقونها، وهي البحيرة ﴿وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وسعيد بن المسيب والضحاك: يعني دين الله، نظيره قوله تعالى: «لَا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ» (الروم - ٣٠) أي: لدين الله، يريد وضع الله في الدين بتحليل الحرام وتحريم الحلال.

وقال عكرمة وجماعة من المفسرين: فليغيرن خلق الله بالخصاء والوشم وقطع الأذان حتى حرم بعضهم الخصاء وجوزه بعضهم في البهائم، لأن فيه غرضاً ظاهراً، وقيل: تغيير خلق الله هو أن الله تعالى خلق الأنعام للركوب والأكل فحرموها، وخلق الشمس والقمر والأحجار لمنفعة العباد فعبدها من دون الله، ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: رباً يطيعه، ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾.

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾ فوعده وتمنيته ما يُوقع في قلب الإنسان من طول العمر ونيل الدنيا، وقد يكون بالتخويف بالفقر فيمنعه من الإنفاق وصله الرحم كما قال الله تعالى: «الشيطان يعدكم الفقر» (البقرة - ٢٦٨) ﴿وَيُمَنِّيهِمْ بَأَنْ لَا بَعثَ وَلَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ﴾ ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾، أي: باطلاً.

﴿أُولَئِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾، أي: مفرّاً ومعدلاً عنها.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾،

وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ
الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾

أي: من تحت الغرف والمساكن، ﴿خالدين فيها أبداً وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، الآية. قال مسروق وقتادة والضحاك: أراد ليس بأمانيتكم أيها المسلمون ولا أمانى أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى، وذلك أنهم افتخروا، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضي على الكتب، وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن أولى^(١).

وقال مجاهد: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾ يا مشركي أهل الكتاب، وذلك أنهم قالوا: لا بعث ولا حساب، وقال أهل الكتاب: «لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة» (البقرة — ٨٠) «لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى» (البقرة — ١١١)، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾^(٢) أي: ليس الأمر بالأمانى وإتاما الأمر بالعمل الصالح.

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ وقال ابن عباس وسعيد بن جبير وجماعة: الآية عامة في حق كل عامل.

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت هذه الآية شقَّت على المسلمين وقالوا: يا رسول الله وأيتنا لم يعمل سوءاً غيرك فكيف الجزاء؟ قال: «منه ما يكون في الدنيا، فمن يعمل حسنةً فله عشرُ حسنات، ومن جُوزي بالسيئةِ نقصتُ واحدةً من عشر، ويقبث له تسعُ حسنات، فويل لمن غلبت آحاده أعشاره، وأما ما يكون جزاء في الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته، فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل، فيعطى الجزاء في الجنة فيؤتي كل ذي فضل فضله»^(٣).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ثنا أبو بكر محمد بن أحمد العبدوسي ثنا أبو بكر أحمد بن سليمان الفقيه ببغداد ثنا يحيى بن جعفر بن الزبيرقان والحارث بن محمد قالوا: ثنا روح هو ابن عبادة ثنا موسى بن عبيدة أخبرني مولى بن سباع: سمعت عبد الله بن عمر يحدث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: كنت عند / رسول الله ﷺ فأُنزلت عليه هذه الآية: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾، قال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر ألا أقرئك آية أنزلت علي؟ قال: قلت بلى، قال: فأقرئها، قال: ولا أعلم إلا أني وجدتُ انفصاماً في ظهري حتى تمطيت لها، فقال رسول

أ/٩٧

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٨/٩ — ٢٢٩، أسباب النزول للواحي ص(٢١١ — ٢١٢).

(٢) انظر: الدر المنثور: ٦٩٣/٢.

(٣) هذا الخبر من رواية الكلبي، تركه أهل الحديث لأنه كان كذاباً، وقد سبقت ترجمته في المقدمة.

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ
مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾

الله ﷺ: ما لك يا أبا بكر؟ فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي وأبنا لم يعمل سوءاً؟ إنا لم نجزيون بكل سوء عملناه؟ فقال رسول الله ﷺ: أما أنت يا أبا بكر وأصحابك المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله، وليست لكم ذنوب، وأما الآخرون فيجتمع ذلك لهم حتى يُجزوا يوم القيامة»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا﴾، أي: مقدار النقيير، وهو النقرة التي تكون في ظهر النواة، قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأهل البصرة وأبو بكر ﴿يَدْخُلُونَ﴾ بضم الياء وفتح الخاء هاهنا وفي سورة مريم وحم المؤمن، زاد أبو عمرو: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ في سورة فاطر، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء.

روى الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَىٰ بِهِ﴾ قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ الآية^(٢)، ونزلت أيضاً:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾، أحكم ديناً ﴿مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾، أي: أخلص عمله لله، وقيل: فَوْضَ أَمْرِهِ إِلَى اللَّهِ، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: مُوحِّدٌ، ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾، يعني: دين إبراهيم عليه السلام، ﴿حَنِيفًا﴾ أي: مُسْلِماً مُخْلِصاً، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ومن دين إبراهيم الصلاة إلى الكعبة

(١) حديث صحيح بطرقه وشواهد، فقد أخرجه الترمذي في تفسير سورة النساء: ٤٠١/٨ - ٤٠٢، وقال: هذا حديث غريب، في إسناده مقال، وموسى بن عبيدة: يَضَعُ في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد وأحمد بن حنبل. ومولى بن سباع: مجهول. وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي بكر، وليس له اسناد صحيح أيضاً. وفي الباب عن عائشة، والمروزي في مسند أبي بكر الصديق برقم (٢٠) ص (٥٨، ٥٩).

ومن طريق أخرى أخرجه أيضاً الإمام أحمد في المسند: ١/١٨١، والبيهقي في السنن: ٣/٣٧٣، وصححه ابن حبان برقم (١٧٣٤) ص (٤٢٩) من موارد الظمان عن عائشة صححه، والحاكم في المستدرک: ٣/٧٤، ووافقه الذهبي. والمصنف في شرح السنة: ٥/٢٤٩ - ٢٥٠، وانظر: كثر العمال: ١/٣٨٠ - ٣٨١، سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني: ٣/٦٨٦.

وقد صح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت (من يعمل سوءاً يجز به) بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يشاكيها» أخرجه مسلم في البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض... برقم (٢٥٧٤): ٤/١٩٩٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٢٨ - ٢٢٩.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٣٦﴾

والطواف بها ومناسك الحج، وإثما خص إبراهيم لأنه كان مقبولاً عند الأمم أجمع، وقيل: لأنه بُعث على ملة إبراهيم وزيد له أشياء.

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، صفياءً، والخلة: صفاء المودة، وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان إبراهيم عليه السلام أبا الضيفان، وكان منزله على ظهر الطريق يضيّف من مرّ به من الناس، فأصاب الناس سنة فحشروا إلى باب إبراهيم عليه السلام يطلبون الطعام وكانت الميرة له كل سنة من صديق له بمصر، فبعث غلمانه بالإبل إلى الخليل الذي له بمصر، فقال خليله لغلمانه: لو كان إبراهيم عليه السلام إنما يريد نفسه احتملنا ذلك له، فقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة، فرجع رسل إبراهيم عليه السلام، فمروا بيطحاء فقالوا: [إنا لو] (١) حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس أنا قد جئنا بميرة، فإننا نستحي أن نمر بهم وإبلنا فارغة، فملؤوا تلك الغرائر سهلة، ثم أتوا إبراهيم فأعلموه وسارة نائمة، فاهتم إبراهيم لمكان الناس ببابه، فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار، فقالت: سبحان الله ما جاء الغلمان؟ قالوا: بلى، قالت: فما جاؤوا بشيء؟ قالوا: بلى، فقامت إلى الغرائر ففتحتها فإذا هو أجود دقيق حواري يكون، فأمرت الخبازين فخبزوا وأطعموا الناس فاستيقظ إبراهيم فوجد ريح الطعام، فقال: يا سارة من أين هذا؟ قالت: من عند خليلك المصري، فقال: هذا من عند خليلك الله، قال: فيومئذ اتخذه الله خليلاً (٢). قال الزجاج: معنى الخليل الذي ليس في محبته خلل، والخلة: الصداقة، فسُمي خليلاً لأن الله أحبه واصطفاه. وقيل: هو من الخلة وهي الحاجة، سُمي خليلاً، أي: فقيراً إلى الله [لأنه لم يجعل فقره وفاقته إلا إلى الله عز وجل] (٣) والأول أصح لأن قوله ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ يقتضي الخلة من الجانبين، ولا يتصور الحاجة من الجانبين.

ثنا أبو المظفر بن أحمد التيمي ثنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم ثنا خيثمة بن سليمان ابن حيدرة الاطرابلسي ثنا أبو قلابة الرقاشي ثنا بشر بن عمر ثنا شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أبا بكر أخي وصاحبي، ولقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً» (٤).

قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ أي: أحاط

(١) في «ب»: (لو أنا).

(٢) هذا من رواية الكلبي، وقد تقدم أنه متروك لكذبه.

(٣) ما بين القوسين ساقط من: «أ».

(٤) أخرجه البخاري في فضيل أصحاب النبي ﷺ، باب «لو كنت متخذاً خليلاً»: ٧/ ١٧ عن ابن عباس، دون قوله «ولقد اتخذ الله =

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ
فِي يَتَمَىٰ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ
وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٧﴾

علمه بجميع الأشياء.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾، الآية. قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في بنات أم كُجَّة وميراثهن وقد مضت القصة في أول السورة^(١).

وقالت عائشة رضي الله عنها: هي اليتيمة تكون في حجر الرجل، وهو وليها فيرغب في نكاحها إذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنَّة صداقها، وإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركها، وفي رواية هي اليتيمة تكون في حجر الرجل قد شركته في ماله فيرغب أن يتزوجها لدمامتها ويكره أن يزوجه غيرها فيدخل عليه في ماله فيحبسها حتى تموت فيرثها، فنهاهم الله عن ذلك^(٢).

قوله عز وجل: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: يستخبرونك في النساء، ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾، قيل معناه ويفتيكم في ما يتلى عليكم، وقيل معناه: ونفتيكم ما يتلى عليكم، يريد: الله يفتيكم وكتابه يفتيكم فيهن، وهو قوله عز وجل: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾، قوله: ﴿فِي يَتَامَىٰ النِّسَاءِ﴾، هذا إضافة الشيء إلى نفسه لأنه أراد باليتامى النساء، ﴿اللاتي لَا تُوْتُونَهُنَّ﴾، أي: لا تعطينهن، ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾، من صداقهن، ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾، أي في نكاحهن لِمَالِهِنَّ وجمالهن بأقل من صداقهن، وقال الحسن وجماعة أراد لا توتونهن حقهن من الميراث، لأنهم كانوا لا يورثون النساء، وترغبون أن تنكحوهن، أي: عن نكاحهن لدمامتهن.

﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ يريد: ويُفْتِيكُمْ في المستضعفين من الولدان وهم الصغار، أن تعطوهم حقوقهم، لأنهم كانوا لا يورثون الصغار، يريد ما يتلى عليكم في باب اليتامى من قوله ﴿وَأَتُوا

= صاحبكم خليلاً» ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق، رقم (٢٣٨٣): ٤/ ١٨٥٥، والمصنف في شرح السنة: ١٤/ ٧٧.

(١) انظر فيما سبق، في تفسير قوله تعالى «للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون» الآية (٧) من سورة النساء ص (١١-١٢).

(٢) انظر البخاري في التفسير - باب «وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى»: ٢٣٩/ ٨٠.

وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا
صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾

اليتامى أموالهم ﴿يعني بإعطاء حقوق الصغار، ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾، أي: ويفتيكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط بالعدل في مهورهن وموارثهن، ﴿وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليماً﴾، يجازيكم عليه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ الآية، نزلت في عمرة ويقال في خولة^(١) بنت محمد بن مسلمة، وفي زوجها سعد بن الربيع — ويقال رافع بن خديج — تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج عليها امرأة شابة، وآثرها عليها، وجفا ابنة محمد بن مسلمة، فأثت رسول الله ﷺ فشكت إليه فنزلت فيها هذه الآية^(٢).

وقال سعيد بن جبیر: كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقها ويتزوج عليها غيرها، فقالت: لا تطلقني ودعني أقوم على أولادي وأقسيم لي من كل شهرين إن شئت، وإن شئت فلا تقسيم لي. فقال: إن كان يصلح ذلك فهو أحب إلي، فأثى / رسول الله ﷺ فذكر له ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ﴾^(٣) أي علمت ﴿من بعلها﴾، أي: من زوجها ﴿نشوزاً﴾ أي: بغضاً، قال الكلبي: يعني ترك مضاجعتها، ﴿أو إعراضاً﴾ بوجهه عنها وقلة مجالستها، ﴿فلا جناح عليهما﴾، أي: على الزوج والمرأة، أن يصلحا أي: يتصالحا، وقرأ أهل الكوفة ﴿أَنْ يُصْلِحَا﴾ من أصلح، ﴿بينهما صلحاً﴾ يعني: في القسمة والنفقة، وهو أن يقول الزوج لها: إنك قد دخلت في السن وإني أريد أن أتزوج امرأة شابة جميلة أوثرها عليك في القسمة ليلاً ونهاراً فإن رضيت بهذا فأقمني وإن كرهت خليت سبيلك، فإن رضيت كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك، وإن لم ترض بدون حقها من القسم كان على الزوج أن يوفيا حقها من القسم والنفقة أو يسرحها بإحسان، فإن أمسكها ووفأها حقها مع كراهيته فهو مُحسن.

ب/٩٧

(١) في أ: (خويلة).

(٢) انظر: الموطأ للإمام مالك، كتاب النكاح، باب جامع النكاح: ٢/٥٤٨ — ٥٤٩، والمستدرک للحاكم: ٢/٣٠٨، أحكام القرآن

للشافعي: ١/٢٠٥، والسنن الكبرى للبيهقي: ٧/٢٩٦، تفسير الطبري: ٩/٢٧٥، أسباب النزول للواحدي ص(١٧٨).

(٣) بمعناه عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري ومسلم. انظر: أسباب النزول للواحدي ص(١٧٥ — ١٧٦)، الدر المنثور:

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ
فَتَذَرُوهُنَّ كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٣﴾

وقال سليمان بن يسار في هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما: فإن صالحته عن بعض حقها من القسّم والنفقة فذلك جائز ما رضيت، فإن أنكرت بعد الصلح فذلك لها ولها حقها^(١).

وقال مقاتل بن حيان في هذه الآية: هو أن الرجل يكون تحت المرأة الكبيرة فيتزوج عليها الشابة، فيقول للكبيرة: [اعطيتك من]^(٢) مالي نصيباً على أن أقسم لهذه الشابة أكثر مما أقسم لك فترضى بما اصطلحا عليه، فإن أثبت أن ترضى فعليه أن يعدل بينهما في القسّم.

وعن عليّ رضي الله عنه في هذه الآية قال: تكون المرأة عند الرجل فتنبؤ عينه عنها من دمامة أو كبر ففكره فرقتة، فإن أعطته من مالها فهو له حل، وإن أعطته من أيامها فهو له حل^(٣) ﴿والصلح خير﴾ يعني: إقامتها بعد تخيره إياه، والمصالحة على ترك بعض حقها من القسّم والنفقة خير من الفرقة، كما يُروى أن سودة رضي الله عنها كانت امرأة كبيرة وأراد النبي ﷺ أن يفارقها، فقالت: لا تطلقني وإنما بي أن أبعث في نسائك وقد جعلت نوبتي لعائشة رضي الله عنها فأمسكها رسول الله ﷺ، وكان يقسم لعائشة يومها ويوم سودة رضي الله عنها^(٤).

قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَحْضَرْتَ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾، يريد: شح كل واحد من الزوجين بنصيبه من الآخر، والشح: أبقح البخل، وحقيقته. الحرص على منع الخير، ﴿وإن تُحْسِنُوا﴾، أي: تصلحوا ﴿وَتَتَّقُوا﴾، الجور، وقيل: هذا خطاب مع الأزواج، أي: وإن تُحْسِنُوا بالإقامة معها على الكراهة وتَتَّقُوا ظلمها ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾، فيجزيكم بأعمالكم.

قوله تعالى: ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء﴾، أي: لن تقدرُوا أن تُسَوُوا بين النساء في الحب وميل القلب، ﴿ولو حرصتم﴾ على العدل، ﴿فلا تميلوا﴾، أي: إلى التي تُحِبُّونها، ﴿كلَّ الميل﴾ في القسّم والنفقة، أي: لا تُتَّبِعُوا أهواءكم أفعالكم، ﴿فَتَذَرُوهُنَّ كَالْمُعَلَّقَةِ﴾، أي فَبَدَعُوا الأخرى كالمُنَوِّطَةِ لا أَيْمًا ولا ذات بعل. وقال قتادة: كالحبوسة، وفي قراءة أبي بن كعب: كأنها مسجونة.

(١) انظر: الدر المنثور: ٧١٢/٢.

(٢) في أ: (أعطيتك على أن أقسم من...).

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي وابن أبي حاتم والطبري. انظر: الطبري: ٢٦٨/٩ - ٢٦٩، ابن كثير: ٥٦٤/١.

(٤) انظر طبقات ابن سعد: ٥٣/٨، ١٦٩، وثبت أن سودة وهبت يومها لعائشة فيما أخرجه البخاري في النكاح، باب المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها: ٣١٢/٩، ومسلم في الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها، برقم (١٤٦٢): ١٠٨٥/٢، والمصنف في شرح السنة: ١٥٢/٩.

وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣﴾

وروي عن أبي قلابة أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه، فيعدل ويقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»^(١)، ورواه بعضهم عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة رضي الله عنها متصلاً.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشَقَّهُ مَائِلًا»^(٢). «وَإِنْ تَصْلَحُوا وَتَتَّقُوا»، الجور، «فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا».

«وَإِنْ يَتَفَرَّقَا»، يعني: الزوج والمرأة بالطلاق، «يُغْنِي اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ»، من رزقه، يعني: المرأة بزواج آخر والزوج بامرأة أخرى، «وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا»، واسع الفضل والرحمة حكيماً فيما أمر به ونهى عنه.

وجملة حكم الآية: أن الرجل إذا كانت تحته امرأتان أو أكثر فإنه يجب عليه التسوية بينهما في القسم، فإن ترك التسوية بينهما في فعل القسم عصى الله تعالى، وعليه القضاء للمظلومة، والتسوية، شرط في البيوتة، أما في الجماع فلا، لأنه يدور على النشاط وليس ذلك إليه ولو كانت في نكاحه حرةً وأمةً فإنه يبيت عند الحرة ليلتين وعند الأمة ليلة واحدة، وإذا تزوج جديدة على قديمات عنده يخص الجديدة بأن يبيت عندها سبع ليال على التوالي إن كانت بكرًا، وإن كانت ثيباً فنثلاث ليال ثم يسوي بعد ذلك بين الكل، ولا يجب قضاء هذه الليالي للقديمات.

أخبرنا عبد الواحد المليحي ثنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يوسف بن راشد ثنا أبو أسامة ثنا سفيان الثوري ثنا أيوب وخالد على أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه قال: من السنة إذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعا، ثم قسم، وإذا تزوج

(١) أخرجه أبو داود في النكاح، باب في القسم بين النساء: ٦٣/٣ - ٦٤ عن عائشة، والترمذي في النكاح باب ما جاء في التسوية بين الضرائر: ٢٩٤/٤، والنسائي في عشرة النساء، باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض: ٦٣/٧ - ٦٤ وابن ماجه في النكاح، باب القسم بين النساء برقم (١٩٧١): ٢٦٣٣/١ وصححه ابن حبان برقم (١٣٠٥) ص (٣١٧) من موارد الظمان، وصححه الحاكم على شرط مسلم: ١٨٧/٢ ووافقه الذهبي، والدارمي في النكاح، باب القسمة بين النساء: ١٤٤/٢. وانظر: شرح السنة: ١٥١/٩ وذكر الترمذي والنسائي إنه روى مرسلًا وذكر الترمذي أن المرسل أصح.

(٢) أخرجه أبو داود في الموضوع السابق: ٦٣/٣، والترمذي في الموضوع نفسه: ٢٩٥/٤ والنسائي في الموضوع نفسه: ٦٣/٧ وابن ماجه، نفسه برقم (١٩٦٩): ١/٦٣٣، والدارمي: ١٤٣/٢، وصححه ابن حبان (١٣٠٧) ص (٣١٧). وقال الترمذي: ولا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث همام، وصححه الحاكم على شرط الشيخين ١٨٦/٢ ومن العجب أن مخرج الطبعة الجديدة للبغوي قال في ص ٤٨٧ من الجزء الأول: لم أجد من أخرجه من أئمة الحديث سوى البغوي !!

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ
وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا
حَمِيدًا ﴿١٦﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧﴾

الثيب أقام عندها ثلاثاً، ثم قسم. قال أبو قلابة: ولو شئت لقلت: إن أنساً رفعه إلى النبي ﷺ^(١).
وإذا أراد الرجل سفر حاجة فيجوز له أن يحمل بعض نسائه مع نفسه بعد أن يُقرع بينهن فيه، ثم
لا يجب عليه أن يقضي للباقيات مدة سفره، وإن طالت إذا لم يزد مقامه في بلده على مدة المسافرين،
والدليل عليه ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ثنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس
الأصم ثنا الربيع ثنا الشافعي ثنا عمي محمد بن علي بن شافع عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله
عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد السفر أقرع بين نسائه فأيتهن
خرج سهمها خرج بها، أما إذا أراد سفر نقلة فليس له تخصيص بعضهن لا بالقرعة ولا بغيرها»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ عبيداً ومُلكاً ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، يعني: أهل التوراة والإنجيل وسائر الأمم المتقدمة في كتبهم، ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ أهل القرآن
في كتابكم، ﴿أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: وخذوا الله وأطيعوه، ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا﴾، بما أوصاكم الله به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، قيل: فإن الله ملائكة في السموات والأرض هم أطوع له منكم، ﴿وَكَانَ
اللَّهُ غَنِيًّا﴾، عن جميع خلقه غير محتاج إلى طاعتهم، ﴿حَمِيدًا﴾ محموداً على نعمه.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، قال عكرمة عن ابن عباس: يعني
شهيذاً أن فيها عبيداً، وقيل: دافعاً ومُجيراً.

فإن قيل: فأى فائدة في تكرار قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؟ قيل: لكل واحد
منهما وجه، أما الأول: فمعناه الله ما في السموات وما في الأرض وهو يُوصيكم بالتقوى فاقبلوا وصيته، وأما
الثاني فيقول: فإن الله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنياً أي: هو الغني وله الملك فاطلبوا منه ما
تطلبون، وأما الثالث فيقول: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: له الملك
فاتخذوه وكيلاً ولا تتوكلوا على غيره.

(١) أخرجه البخاري في النكاح، باب إذا تزوج البكر على الثيب: ٩/ ٣١٣، ومسلم في الرضاع، باب قدر ما تستحقه البكر والثيب من
إقامة الزوج عندها عقب الزفاف، برقم (١٤٦١): ٢/ ١٠٨٤. والمصنف في شرح السنة: ٩/ ١٥٥.

(٢) أخرجه البخاري في الهبة، باب هبة المرأة لغير زوجها وعقها إذا كان لها زوج...: ٥/ ٢١٨، ومسلم في التوبة، باب في حديث الإفك
وقبول توبة القاذف، برقم (٢٧٧٠) ٤/ ٢١٣٠، والمصنف في شرح السنة: ٩/ ١٥٣.

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾
 مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ - شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ
 أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۚ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ
 تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلَوْتُمْ أَوْ تَعْرَضُوا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾، يهلككم^(١) ﴿أَيُّهَا النَّاسُ﴾، يعني: الكفار، ﴿وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾، يقول بغيركم خير منكم وأطوع، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ قادراً.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ / ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ يُرِيدُ مَنْ كَانَ يُرِيدُ بِعَمَلِهِ عَرْضاً
 مِنَ الدُّنْيَا وَلَا يُرِيدُ بِهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آتَاهُ اللَّهُ مِنْ عَرْضِ الدُّنْيَا أَوْ دَفَعَهُ عَنْهَا مَا أَرَادَ اللَّهُ، وَلَيْسَ لَهُ فِي
 الْآخِرَةِ مِنْ ثَوَابٍ، وَمَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ ثَوَابَ الْآخِرَةِ آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَحَبَّ وَجَزَاهُ الْجَنَّةَ فِي الْآخِرَةِ:
 ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

١/٩٨

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾، كونوا قائمين
 بالشهادة بالقسط، أي: بالعدل لله، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كونوا قوامين بالعدل في الشهادة
 على من كانت، ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ في الرحم، أي: قُولُوا الْحَقَّ وَلَوْ عَلَىٰ
 أَنْفُسِكُمْ بِالْإِقْرَارِ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ، فَأَقِيمُوا عَلَيْهِمُ اللَّهَ، وَلَا تُحَابُوا غَنِيًّا لَغَنَاهُ وَلَا تَرَحَّمُوا فَقِيرًا لِفَقْرِهِ،
 فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾، مِنْكُمْ، أَيِ أَقِيمُوا عَلَى الْمَشْهُودِ عَلَيْهِ وَإِنْ
 كَانَ غَنِيًّا وَلِلْمَشْهُودِ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا مِنْكُمْ، أَيِ كَلُّوا أَمْرَهَا إِلَى اللَّهِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: مَعْنَاهُ
 اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِمَا، ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾، أَيِ تَجَوَّرُوا وَتَمِيلُوا إِلَى الْبَاطِلِ مِنَ الْحَقِّ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ لَا
 تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ لِتَعْدِلُوا، أَيِ: لِتَكُونُوا عَادِلِينَ كَمَا يَقَالُ: لَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ لِتَرْضَىٰ رَيْكَ.

﴿وَإِنْ تَلَوْتُمْ﴾ أي: تحرفوا الشهادة لتبطلوا الحق ﴿أَوْ تَعْرَضُوا﴾ عنها فتكتموها ولا تقيموها، ويقال:
 تلووا أي تدافعوا في إقامة الشهادة، يقال: لَوَيْتَهُ حَقَّهُ إِذَا دَفَعْتَهُ، وَمَطَلْتَهُ، وَقِيلَ: هَذَا خُطَابٌ مَعَ الْحُكَّامِ
 فِي لِيَهُمُ الْأَشْدَاقُ، يَقُولُ: وَإِنْ تَلَوْتُمْ أَيِ تَمِيلُوا إِلَى أَحَدِ الْخَصْمَيْنِ أَوْ تَعْرَضُوا عَنْهُ، قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَمْرَةَ
 ﴿تَلَوْتُمْ﴾ بِضَمِّ اللَّامِ، قِيلَ: أَصْلُهُ تَلَوْتُمْ، فَحُذِفَتْ إِحْدَى الْوَاوَيْنِ تَخْفِيفًا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ وَإِنْ تَلَوْتُمْ الْقِيَامَ بِأَدَاءِ

(١) ساقط من: (أ).

يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَ
وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ ءَ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ءَ وَكُتُبِهِ ءَ وَرُسُلِهِ ءَ وَاليَوْمِ
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾

الشهادة أو تعرضوا فتركوا أداءها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية، قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب، وثعلبة بن قيس وسلام بن أخت عبد الله بن سلام، وسلمة بن أخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مُؤْمِنُو أَهْلِ الْكِتَابِ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فقالوا: إِنَّا نُوْمِنُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِمُوسَى وَالتَّوْرَةَ وَعِزِيرٍ وَنَكْفُرُ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالرَّسْلِ، فقال النبي ﷺ: «بَلْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْقُرْآنَ وَبِمُوسَى وَالتَّوْرَةَ، وَبِكُلِّ كِتَابٍ قَبْلَهُ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ (١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْقُرْآنَ وَبِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالتَّوْرَةَ ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾، يَعْنِي الْقُرْآنَ، ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ﴾، مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَسَائِرِ الْكِتَابِ (٢).

قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ﴿نُزِّلَ وَأُنزِلَ﴾ بضم النون والألف، وقرأ الآخرون ﴿نَزَّلَ وَأُنزِلَ﴾ بالفتح أي أنزل الله.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾، فلما نزلت هذه الآية قالوا: فَإِنَّا نُوْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْقُرْآنَ وَبِكُلِّ رَسُولٍ وَكِتَابٍ كَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَالْمَلَائِكَةَ وَاليَوْمِ الْآخِرِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.

وقال الضحاك: أراد به اليهود والنصارى، يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بموسى وعيسى ﴿آمِنُوا﴾ بمحمدٍ والقُرْآنِ، وقال مجاهد: أراد به المنافقين، يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللِّسَانِ آمَنُوا بِالْقَلْبِ وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَجَمَاعَةٌ: هَذَا خُطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ أَي أَقِيمُوا وَاتَّبِعُوا عَلَى الْإِيمَانِ، كَمَا يُقَالُ لِلْقَائِمِ: قُمْ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ، أَي اثْبَتْ قَائِمًا، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ أَهْلَ الشَّرْكِ، يَعْنِي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى ﴿آمِنُوا﴾ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٢/ ٧١٦، وانظر: أسباب النزول للواحدي ص (١٧٨-١٧٩).
(٢) في هامش نسخة الظاهرية (أ) ما يلي: ويجوز أن يراد بقوله «يا أيها الذين آمنوا» في وقت الميثاق، حين قالوا: بلى، «آمنوا» الآن «بالله ورسوله» الآية.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ
وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ
الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ
لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا﴾، قال قتادة: هم
اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا من بعد بعبادتهم العجل، ثم آمنوا بالتوراة ثم كفروا ببعيسى عليه السلام، ثم
أزدادوا كُفْرًا بمحمد ﷺ.

وقيل: هو في جميع أهل الكتاب آمنوا بنبيهم ثم كفروا به، وآمنوا بالكتاب الذي نزل عليه ثم كفروا
به، وكفرهم به: تركهم إياه ثم ازدادوا كُفْرًا بمحمد ﷺ.

وقيل: هذا في قوم مرتدين آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا.

ومثل هذا هل تقبل توبته؟ حُكي عن علي رضي الله عنه: أنه لا تقبل توبته بل يُقتل، لقوله تعالى: ﴿لَمْ
يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ﴾، وأكثر أهل العلم على قبول توبته، وقال مجاهد: ثم ازدادوا كُفْرًا أي ماتوا عليه، ﴿لَمْ
يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ﴾، ما أقاموا على ذلك، ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾، أي طريقاً إلى الحق، فإن قيل: ما
معنى قوله ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ﴾، ومعلوم أنه لا يغفر الشرك إن كان أول مرة؟.

قيل: معناه أن الكافر إذا أسلم أول مرة ودام عليه يُغفر له كفره السابق، فإن أسلم ثم كفر ثم أسلم
ثم كفر لا يُغفر له كفره السابق، الذي كان يُغفر له لو دَامَ على الإسلام.

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾، أخبرهم يا محمد، ﴿بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، والبشارة: كل خير يتغير به بشرة
الوجه ساراً كان أو غير سار، وقال الزجاج: معناه اجعل في موضع بشارتك لهم العذاب، كما تقول
العرب: تحيتك الضرب وعتابك السيف، أي: [بدلاً لك] ^(١) من التحية، ثم وصف المنافقين فقال:

﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾، يعني: يتخذون اليهود أولياءً وأنصاراً أو بطانة ﴿مَنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾، أي: المعونة والظهور على محمد ﷺ وأصحابه: وقيل: أيطلبون عندهم
القوة والغلبة، ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ﴾ أي: الغلبة والقوة والقدرة، ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

(١) في أ: (هلاكك).

• وَقَدَنْزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤١﴾ الَّذِينَ يَرْتَبِصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤٢﴾

﴿وقد نزل عليكم في الكتاب﴾، قرأ عاصم ويعقوب ﴿نزل﴾ بفتح النون والزاي، أي: نزل الله، وقرأ الآخرون ﴿نزل﴾ بضم النون وكسر الزاي، أي: عليكم يا معشر المسلمين، ﴿أن إذا سمعتم آيات الله﴾، يعني القرآن، ﴿يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم﴾، يعني: مع الذين يستهزؤون، ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾، أي: يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بمحمد ﷺ والقرآن، وهذا إشارة إلى ما أنزل الله في سورة الأنعام «وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره» (الأنعام — ٦٨).

وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: دخل في هذه الآية كلُّ مُحدِّث في الدين وكلُّ مُبتدع إلى يوم القيامة، ﴿إنكم إذا مثلهم﴾، أي: إن قعدتم عندهم وهم يخوضون ويستهزؤون ورضيتهم به فأنتم كفار مثلهم، وإن خاضوا في حديث غيره فلا بأس بالقعود معهم مع الكراهة، وقال الحسن: لا يجوز القعود معهم وإن خاضوا في حديث غيره، لقوله تعالى: ﴿وإِذَا يُنصَّبُ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، والأكثر على الأول. وآية الأنعام مكية وهذه مدنية والمتأخر أولى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.

﴿الذين يرتبصون بكم﴾، [ينتظرون بكم الدوائر] (١)، يعني: المنافقين، ﴿فإن كان لكم فتح من الله﴾، يعني: ظفر وغنيمة، ﴿قالوا﴾، لكم ﴿ألم نكن معكم﴾، على دينكم في الجهاد، كنا معكم فاجعلوا لنا نصيباً من الغنيمة، ﴿وإن كان للكافرين نصيب﴾، يعني دولة وظهور على المسلمين، ﴿قالوا﴾، يعني: المنافقين للكافرين، / ﴿ألم نستحذ عليكم﴾، والاستحواذ: هو الاستيلاء والغلبة، ٩٨/ب قال تعالى: «استحذ عليهم الشيطان» (المجادلة — ١٩) أي: استولى وغلب، يقول: ألم نخبركم بعورة محمد

(١) ما بين القوسين ساقط من: (أ).

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى
يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لِآلِ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى
هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾

ﷺ وأصحابه وتطلعكم على سرهم؟

قال المبرد: يقول المنافقون للكفار ألم نغلبكم على رأيكم ﴿وَوَمِنَعُكُمْ﴾، ونصرفكم، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: عن الدخول في جملتهم، وقيل: معناه ألم نستول عليكم بالنصرة لكم ومنعكم من المؤمنين؟ أي: ندفع عنكم صولة المؤمنين بتخديلتهم عنكم ومراسلتنا إياكم بأخبارهم وأمورهم، ومراد المنافقين بهذا الكلام إظهار المنة على الكافرين.

﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، يعني: بين أهل الإيمان وأهل النفاق، ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾، قال علي: في الآخرة، وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم: أي حجة، وقيل: ظهوراً على أصحاب النبي ﷺ.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾، أي يعاملونه معاملة المخادعين وهو خادعهم، أي: مجازيهم على خداعهم وذلك أنهم يعطون نوراً يوم القيامة كما للمؤمنين، فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط، ويطفأ نور المنافقين، ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾، يعني: المنافقين ﴿قَامُوا كُسَالَى﴾ أي: متثاقلين لا يريدون بها الله فإن رأهم أحد صلوا وإلا انصرفوا فلا يصلون، ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ أي: يفعلون ذلك مراعاة للناس لا اتباعاً لأمر الله، ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن: إنما قال ذلك لأنهم يفعلونها رياءً وسمعة، ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله تعالى لكان كثيراً، وقال قتادة: إنما قل ذكر المنافقين لأن الله تعالى لم يقبله، وكل ما قبل الله فهو كثير.

﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾، أي: مترددين متحيرين بين الكفر والإيمان، ﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾، أي: ليسوا من المؤمنين فيجب لهم ما يجب للمؤمنين، وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار، ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾، أي: طريقاً إلى الهدى.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني قال أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا محمد بن المثني أنا عبد الوهاب يعني الثقفى أنا عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ
تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ
وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾
مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

هذه مرة وإلى هذه مرة» (١).

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، نهي الله المؤمنين
عن موالاة الكفار، وقال: ﴿أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾، أي حجة بينة في عذابكم،
ثم ذكر منازل المنافقين، فقال جل ذكره:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾، قرأ أهل الكوفة ﴿في الدَّرَكِ﴾ بسكون الراء والباقون
بفتحها وهما لغتان كالظعن والظعن والنَّهْر والنَّهْر، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿في الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ﴾ في
توابيت من حديد مقلعة في النار، وقال أبو هريرة: بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن
تحتهم، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ مانعاً من العذاب.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ مِنَ النِّفَاقِ وَآمَنُوا ﴿وَأَصْلَحُوا﴾، عملهم ﴿وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾، وثقوا بالله
﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾، أراد الإخلاص بالقلب، لأن النفاق كفر القلب، فزواله يكون بإخلاص القلب،
﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الفراء: من المؤمنين، ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، في الآخرة ﴿أَجْرًا
عَظِيمًا﴾، يعني: الجنة، وحذفت الياء ﴿مَنْ يُؤْتِي﴾، في الخط لسقوطها في اللفظ، وسقوطها في اللفظ
لسكون اللام في «الله».

قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ﴾، أي: إن شكرتم نعماءه ﴿وَأَمَنْتُمْ﴾ به، فيه
تقديم وتأخير، تقديره: إن آمنتم وشكرتم، لأن الشكر لا ينفع مع عدم الإيمان، وهذا استفهام بمعنى
التقرير، معناه: إنه لا يعذب المؤمن الشاكر، فإن تعذبه عبادة لا يزيد في ملكه، وتركه عقوبتهم على فعلهم
لا يتقص من سلطانه، والشكر: ضد الكفر والكفر ستر النعمة، والشكر: إظهارها، ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا
عَلِيمًا﴾، فالشكر من الله تعالى هو الرضى بالقليل من عباده وإضعاف الثواب عليه، والشكر من العبد:

(١) أخرجه مسلم في صفات المنافقين، برقم (٢٧٨٤): ٤/٢١٤٦.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِنَّ
تُبَدُّوْا خَيْرًا أَوْ تُخَفَّوْهُ أَوْ تُعْفَوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾

الطاعة، ومن الله: الثواب.

قوله: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ يعني: لا يحب الله الجهر بالقبح من القول إلا من ظلم، فيجوز للمظلوم أن يخبر عن ظلم الظالم وأن يدعو عليه، قال الله تعالى: «وَلَمَّا انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل» (الشورى — ٤١)، قال الحسن: دعاؤه عليه أن يقول: اللهم أعني عليه اللهم استخرج حقي منه، وقيل: إن شتم جاز أن يشتم بمثله لا يزيد عليه.

أخبرنا أبو عبد الله الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميني أنا علي بن حجر أخبرنا اسماعيل بن جعفر أنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المستبان ما قالا، فعلى البادىء ما لم يعتد المظلوم»^(١).

وقال مجاهد هذا في الضيف إذا نزل بقوم فلم يقره ولم يُحسنوا ضيافته فله أن يشكو ويذكر ما صنع به. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا قتيبة بن سعيد أنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر أنه قال: قلنا يا رسول الله إنك تبعثنا فننزل بقوم فلا يقرؤنا فما ترى؟ فقال لنا رسول الله ﷺ: «إن نزلتم بقوم فأمرؤا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حقَّ الضيف الذي ينبغي لهم»^(٢).

وقرأ الضحاك بن مزاحم وزيد بن أسلم: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ بفتح الظاء واللام، معناه: لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول، وقيل معناه: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول لكن يجهر من ظلم، والقراءة الأولى هي المعروفة، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾، لدعاء المظلوم، ﴿عَلِيمًا﴾، بعقاب الظالم.

قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبَدُّوا خَيْرًا﴾، يعني: حسنة فيعمل بها كُتِبَتْ له عشرًا، وإن همَّ بها ولم يعملها كُتِبَتْ له حسنة واحدة، وهو قوله ﴿أَوْ تُخَفَّوْهُ﴾، وقيل المراد من الخير: المال، يُرِيدُ: إن تُبَدُّوا صدقة تُعْطَوْنَهَا جَهْرًا أَوْ تُخَفَّوْهَا فَتُعْطَوْنَهَا سِرًّا، ﴿أَوْ تُعْفَوْا عَنْ سُوءٍ﴾، أي: عن مظلمة، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾، فهو أولى بالتجاوز عنكم يوم القيامة.

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة — باب النهي عن السباب، برقم (٢٥٨٧): ٤/٢٠٠٠، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ص (١٢٧)، والمصنف في شرح السنة: ١٣/١٣٣.

(٢) أخرجه البخاري في المظالم، باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه ٥/١٠٧ — ١٠٨، وفي الأدب، ومسلم في اللقطة، باب الضيافة ونحوها برقم (١٧٢٧): ٣/١٣٥٣، والمصنف في شرح السنة: ١١/٣٣٩.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ
 وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ
 سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ
 آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ
 وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ
 فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ
 ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَعَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا
 مُبِينًا ﴿١٥٣﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ الآية، نزلت في اليهود، وذلك أنهم آمنوا بموسى عليه السلام والتوراة وعزير، وكفروا بعيسى والإنجيل وبمحمد والقرآن، ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾، أي: ديناً بين اليهودية والإسلام ومذهباً يذهبون إليه.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾، حقق كفرهم ليعلم أن الكفر ببعضهم كالكفر بجمعهم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾، كلهم ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾، يعني: بين الرسل وهم المؤمنون، يقولون: لا نفرق بين أحد من رسله، ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ﴾، بإيمانهم بالله وكتبه ورسله، قرأ حفص عن عاصم ﴿يُؤْتِيهِمْ﴾ بالياء، أي: (يؤتيهم الله) ^(١)، والباقون بالنون / ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الآية، وذلك أن كعب بن الأشرف وفتحاص بن عازوراء من اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: إن كنت نبياً فأتنا بكتاب جملة من السماء، كما أتى به موسى عليه السلام، فأنزل الله عليه: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ ^(٢).

(١) ساقط من: (أ).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٢/٧٢٦، وانظر: أسباب النزول للواحدي ص(١٩٧).

وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقًّا وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾

وكان هذا السؤال منهم سؤال تحكم واقتراح، لاسؤال انقياد، والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد. قوله: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: أعظم من ذلك، يعني: السبعين الذين خرج بهم موسى عليه السلام إلى الجبل، ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي: عياناً، قال أبو عبيدة: معناه قالوا جهره أَرِنَا اللَّهَ، ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ بظلمهم ثم اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾، يعني إلهاً، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾، ولم نستأصلهم، قيل: هذا استدعاء إلى التوبة، معناه: أن أولئك الذين أجزموا تابوا فعفونا عنهم، فتوبوا أنتم^(١) حتى نغفر عنكم، ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾، أي: حجة بينة من المعجزات، وهي الآيات التسع.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ قرأ أهل المدينة بتشديد الدال وفتح العين نافع برواية ورش ويجزمها الآخرون، ومعناه: لا تعتدوا ولا تظلموا باصطياد الحيتان فيه، ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾.

قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾، أي: فبنقضهم، و «ما» صلة كقوله تعالى: ﴿فَمَا رَحِمَةَ مَنْ اللَّهُ﴾ (آل عمران — ١٥٩)، ونحوها، ﴿وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقًّا وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾، أي: ختم عليها، ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، يعني: ممن كذب الرُّسُلَ لا ممن طَبَعَ على قلبه، لأن من طَبَعَ اللَّهُ على قلبه لا يُؤْمِنُ أبداً، وأراد بالقليل: عبد الله بن سلام وأصحابه، وقيل: معناه لا يُؤْمِنُونَ قليلاً ولا كثيراً.

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾، حين رموها بالزنا.

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾

(١) ساقط من (أ).

بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾

وذلك أن الله تعالى ألقى شبه عيسى عليه السلام على الذي دل اليهود عليه، وقيل: إنهم حبسوا عيسى عليه السلام في بيت وجعلوا عليه رقبياً فألقى الله تعالى شبه عيسى عليه السلام على الرقيب فقتلوه، وقيل غير ذلك، كما ذكرنا في سورة آل عمران^(١).

قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، في قتله، ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾، أي: في قتله، قال الكلبي: اختلافهم فيه هو أن اليهود قالت نحن قتلناه، وقالت طائفة من النصارى نحن قتلناه، وقالت طائفة منهم ما قتله هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله إلى السماء، ونحن ننظر إليه، وقيل: كان الله تعالى ألقى شبه وجه عيسى عليه السلام على وجه صطيافوس ولم يلقه على جسده، فاختلّفوا فيه فقال بعضهم قتلنا عيسى، فإن الوجه وجه عيسى عليه السلام وقال بعضهم لم نقتله لأن جسده ليس جسد عيسى عليه السلام، فاختلّفوا. قال السدي: اختلافهم من حيث أنهم قالوا: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ قال الله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾، من حقيقة أنه قتل أو لم يُقتل، ﴿إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾، لكنهم يتبعون الظن في قتله. قال الله جل جلاله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾، أي: ما قتلوا عيسى يقيناً^(٢) ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾.

وقيل قوله «يقيناً» ترجع إلى ما بعده وقوله «وما قتلوه» كلام تام تقديره: بل رفعه الله إليه يقيناً، والهاء في «وما قتلوه» كناية عن عيسى عليه السلام، وقال الفراء رحمه الله: معناه وما قتلوا الذي ظنوا أنه عيسى يقيناً، ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه: ما قتلوا ظنهم يقيناً، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ منيعاً بالنعمة من اليهود، ﴿حَكِيمًا﴾ حكم باللعنة والغضب عليهم، فسَلَطَ عليهم ضيطوس بن اسبسيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾، أي: وما من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام، هذا قول أكثر المفسرين وأهل العلم، وقوله «قبل موته» اختلفوا في هذه الكناية: فقال عكرمة ومجاهد والضحاك والسدي: إنها كناية عن الكتابي، ومعناه: وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل موته، إذا وقع في البأس حين لا ينفعه إيمانه سواء احترق أو غرق أو تردى في بئر أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات فجأة، وهذه رواية عن أبي طلحة عن ابن

(١) انظر فيما سبق، تفسير سورة آل عمران، الآيات (٥٢-٥٥) ص (٤١-٤٧).

(٢) ما بين القوسين زيادة من (ب).

فِظْلِمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

كثيراً ﴿١٦﴾

عباس رضي الله عنهم. قال: فقيل لابن عباس رضي الله عنهما: أرايت إن خر من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهواء قال: فقيل أرايت إن ضرب عنق أحدهم؟ قال: يتلجلج به لسانه.

وذهب قوم إلى أن الهاء في «موته» كناية عن عيسى عليه السلام، معناه: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى عليه السلام، وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد إلا آمن به حتى تكون الملة واحدة، ملة الإسلام.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُوشِكُ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا يَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، وَيَهْلِكُ فِي زَمَانِهِ الْمَلَلُ كُلُّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيَقْتُلُ الدَّجَالَ فَيَمَكْتُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يَتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ»، وقال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾، قبل موت عيسى ابن مريم، ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات (١).

وروي عن عكرمة: أن الهاء في قوله ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ كناية عن محمد ﷺ يقول لا يموت كتابي حتى يؤمن بمحمد ﷺ.

وقيل: هي راجعة إلى الله عز وجل يقول: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمن بالله عز وجل، قبل موته عند المعاينة حين لا ينفعه إيمانه.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامِ يَكُونُ﴾، يعني: عيسى عليه السلام، ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ أنه قد بلغهم رسالة ربه، وأقر بالعبودية على نفسه [كما قال تعالى خبراً عنه «وكنث عليهم شهيداً ما دمت فيهم» (المائدة — ١١٧)] وكل نبي شاهد على أمته (٢) قال الله تعالى: «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً» (النساء — ٤١).

قوله عز وجل: ﴿فِظْلِمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾، وهو ما تقدم ذكره من نقضهم الميثاق وكفرهم بآيات الله ووهتانهم على مريم، وقولهم: إنا قتلنا المسيح ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾، وهي ما ذكر في

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام: ٦ / ٤٩٠ - ٤٩١، ومسلم في الإيمان، باب نزول عيسى بن

مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ، برقم (١٥٥): ١ / ١٣٥. والمصنف في شرح السنة: ١٥ / ٨٠ - ٨١.

(٢) مابن القوسين ساقط من (ب).

وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ أَوْقَدَ نُهُوَاعِنَهُ وَأَكَلَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٤٦﴾ لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٧﴾

سورة الأنعام^(١)، فقال: «وعلى الذين هادوا حرّما كل ذي ظفرٍ». (الأنعام — ١٤٦).

ونظم الآية: فبظلم من الذين هادوا وهو ما ذكرنا، ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾، وبصرفهم أنفسهم وغيرهم، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾، أي: عن دين الله صداً كثيراً.

﴿وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ أَوْقَدَ نُهُوَاعِنَهُ﴾، في التوراة ﴿وَأَكَلَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾، من الرشا في الحكم، والمآكل التي يصيونها من عوامهم، عاقبتهم بأن حرّما عليهم طيبات، فكأنوا كلما ارتكبوا كبيرة حُرّم عليهم شيء من الطيبات التي كانت حلالاً لهم، قال الله تعالى: «ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِبَعْثِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ» (الأنعام — ١٤٦)، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾، يعني: ليس كل أهل الكتاب بهذه الصفة، لكن الراسخون البالغون في العلم أولو البصائر منهم، وأراد به الذين أسلموا من علماء اليهود مثل عبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، يعني: المهاجرون والأنصار، ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، يعني: القرآن، ﴿وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، يعني: سائر الكتب المنزلة، ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾، اختلفوا في وجه انتصابه، فحكى عن عائشة / رضي الله عنها وأبان بن عثمان: أنه غلط من الكتاب ينبغي أن يكتب والمقيمون الصلاة وكذلك قوله في سورة المائدة «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ» (البقرة — ٦٢)، وقوله «إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ» (طه — ٦٣) قالوا: ذلك خطأ من الكاتب^(٢).

(١) انظر فيما سيأتي تفسير الآية في سورة الأنعام.

(٢) رد الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله هذا القول من وجوه عديدة، فقال: «لو كان ذلك خطأ من الكاتب لكان الواجب أن يكون في كل المصحف غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابه وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أبي في ذلك ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صواب غير خطأ. مع أن ذلك لو كان خطأ من جهة الخط لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ يعلمون من علموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن، وأصلحوه بألسنتهم ولقنوه الأمة تعليماً على وجه الصواب. وفي نقل المسلمين جميعاً ذلك قراءة على ما هو به في الخط مرسوماً أدلّ الدليل على صحة ذلك وصوابه، وأن لا صنع في ذلك للكاتب» تفسير الطبري: ٣٩٧/٩ — ٣٩٨ بتعليق الشيخ شاکر. وانظر: الاتقان للسيوطي: ٢/٣٢٠ — ٣٢١ بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَعَاءَيْنَا دَاوُدَ ذَبُورًا﴾ ﴿١١٣﴾

وقال عثمان: إن في المصحف لحناً ستقيمه العربُ بألسنتها، فقيل له: ألا تغيره؟ فقال: دعوه فإنه لا يُحلّ حراماً ولا يُحرّم حلالاً^(١).

وعامة الصحابة وأهل العلم على أنه صحيح، واختلفوا فيه، قيل: هو نصب على المدح، وقيل: نصب بإضمار فعل تقديره: أعني المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة، وقيل: موضعه خفض.

واختلفوا في وجهه، فقال بعضهم: معناه لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة، وقيل: معناه يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة، ثم قوله: ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ رجوع إلى النسق الأول، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، قرأ حمزة سيوتيهم بالياء والباقون بالنون.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ هذا بناء على ما سبق من قوله «يسألك أهل الكتاب أن تُنزل عليهم كتاباً من السماء» (النساء — ١٥٣)، فلما ذكر الله عيوبهم وذنوبهم غضبوا وجحدوا كل ما أنزل الله عز وجل، وقالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، فنزل: «وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ» (الأنعام — ٩١) وأنزل: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ فذكر عدّة من الرسل الذين أوحى إليهم، وبدأ بذكر نوح عليه السلام لأنه كان أبا البشر مثل آدم عليه السلام، قال الله تعالى: «وجعلنا ذريته هم الباقين» (الصافات — ٧٧) ولأنه أول نبي من أنبياء الشريعة، وأول نذير على الشرك، وأول من عذبت أمته لردهم دعوته، وأهلك أهل الأرض بدعائه وكان أطول الأنبياء

(١) قال ابن الأنباري في كتابه «الرد على من خالف مصحف عثمان»: «الأحاديث المروية عن عثمان في ذلك لا تقوم بها حجة، لأنها منقطعة غير متصلة، وما يشهد عقل بأن عثمان، وهو إمام الأمة الذي هو إمام الناس في وقته وقدمته يجمعهم على المصحف الذي هو الإمام فيبتين فيه خللاً، ويشاهد في خطه زللاً فلا يصلحه! كلا والله ما يتوهم عليه هذا ذو إنصاف وتمييز، ولا يعتقد أنه أخطأ في الخطأ في الكتاب ليصلحه من بعده، وسبيل الجائين من بعده: البناء على رسمه، والوقوف عند حكمه. ومن زعم أن عثمان أراد بقوله: «أرى فيه لحناً...»: أرى في خطه لحناً إذا أقمناه بألسنتنا كان لحن الخط غير مفسد ولا محرف من جهة تحريف الألفاظ وإفساد الإعراب فقد أبطل ولم يُصَب، لأن الخط منبئ عن النطق، فمن لحن في كتيبه، فهو لأحنّ في نطقه. ولم يكن عثمان ليؤخر فساداً في هجاء ألفاظ القرآن من جهة كُتِبَ ولا نُطِقَ، ومعلوم أنه كان مواصلاً لدرس القرآن، متقناً لألفاظه، موافقاً على ما رسم في المصاحف المنفذة إلى الأمصار والنواحي». انظر: الاتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٣٢٢/٢.

وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ

مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾

عمرًا وجعلت معجزته في نفسه، لأنه عمّر ألف سنة فلم تسقط له سن ولم تشب له شعرة ولم تنتقص له قوّة، ولم يصبر نبيّ على أذى قومه ما صبر هو على طول عمره.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾، وهم أولاد يعقوب، ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّونَ دَاوُدَ زُورًا﴾، قرأ الأعمش وحمة: ﴿زُورًا﴾ والزُّور بضم الزاي حيث كان، بمعنى: جمع زبور، أي آتينا داوود كتباً وصُحُفًا مزبورة، أي: مكتوبة، وقرأ الآخرون بفتح الزاي وهو اسم الكتاب الذي أنزل الله تعالى على داوود عليه السلام، وكان فيه التحميد والتمجيد والثناء على الله عزّ وجلّ، وكان داوود يبرز إلى البرية فيقوم ويقرأ الزبور ويقوم معه علماء بني إسرائيل، فيقومون خلفه ويقوم الناس خلف العلماء، ويقوم الجنّ خلف الناس، الأعظمُ فالأعظم، والشياطين خلف الجنّ وتحيء الدواب التي في الجبال فيقوم بين يديه تعجباً لِمَا يسمعن منه، والطير ترفرف على رؤوسهم، فلما قارف الذنب لم ير ذلك، فقيل له: ذاك أنس الطاعة، وهذا وحشة المعصية.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو بكر الجوزقي أنا أبو العباس أنا يحيى بن زكريا أنا الحسن بن حماد حدثنا يحيى بن سعيد الأموي عن طلحة بن يحيى عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك لقد أعطيت مزمارة من مزامير آل داود»، فقال: أما والله يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لحبرته»^(١) وكان عمر رضي الله عنه إذا رآه يقول: ذكّرنا يا أبا موسى، فيقرأ عنده.

قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾، أي: وكما أوحينا إلى نوح وإلى الرسل، ﴿رُسُلًا﴾ نصب بنزع حرف الصفة، وقيل: معناه وقصصنا عليك رسلاً، وفي قراءة أبي ﴿ورسل قد قصصناهم عليك من قبل﴾، ﴿ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً﴾، قال الفراء: العرب تسمي ما يُوصل إلى الإنسان كلاماً بأيّ طريق وصل، ولكن لا تحقّقه بالمصدر، فإذا حُقّق بالمصدر، ولم يكن إلا حقيقة الكلام — كالإرادة — يُقال: أراد فلان إرادة، يُريد^(٢) حقيقة الإرادة،

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن: ٩٢/٩، ومسلم في صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن برقم (٧٩٣): ٥٤٦/١، كلاهما دون قول أبي موسى: لو علمت لحبرته لك تحبيراً. قال ابن حجر في الفتح: ٩٣/٩ «وأخرجه أبو يعلى من طريق سعيد بن أبي بردة عن أبيه بزيادة فيه، فذكر الحديث فقال: أما إني لو علمت بمكانك لحبرته لك تحبيراً».

(٢) في أ: (يراد).

رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ
عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ
يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا
ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾

ويقال: أراد الجدار، ولا يقال أراد الجدار إرادة لأنه مجاز غير حقيقة.

قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾، فيقولوا: ما أرسلت إلينا رسولاً وما أنزلت إلينا كتاباً، وفيه دليل على أن الله تعالى لا يعذب الخلق قبل بعثه الرسول، قال الله تعالى: «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا» (الاسراء - ١٥)، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل ثنا موسى بن إسماعيل أنا أبو عوانة أنا عبد الملك عن وِزَادٍ كَاتِبِ الْمَغِيرَةِ عَنِ الْمَغِيرَةِ قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرْبَتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفِحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «تَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ وَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمَنْ أَجَلَ غَيْرَةَ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَذْرُ مِنَ اللَّهِ، وَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُنذِرِينَ وَالْمُبَشِّرِينَ، وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمُدْحَةَ مِنَ اللَّهِ، وَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ وَعَدَّ اللَّهُ الْجَنَّةَ» (١).

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ (٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما إن رؤساء مكة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد سألنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا أنهم لا يعرفونك، ودخل عليه جماعة من اليهود فقال لهم: إني - والله - أعلم إنكم لتعلمون أني رسول الله، فقالوا: ما نعلم ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ إن جحدوك وكذبوك، ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، بكتان نعت محمد ﷺ، ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول النبي ﷺ «لا شخص أغير من الله» ٣٩٩/١٣، ومسلم في اللعان برقم (١٤٩٩):

١١٣٦/٢. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٩/٢٦٦ - ٢٦٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٩/٤٠٩ عن ابن عباس، وانظر: أسباب النزول للواحدي ص (١٧٩).

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾
 إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ
 قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَعْلَمُوا فِي
 دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ
 وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَوْا
 خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ قيل: إنما قال «وظلموا» — مع أن ظلمهم بكفرهم — تأكيداً، وقيل:
 معناه كفروا بالله وظلموا محمداً ﷺ بكتمان نعته، ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾،
 يعني: دين الإسلام.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾، يعني اليهودية، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾، وهذا في
 حق من سبق حكمه فيهم أنهم لا يؤمنون.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾، تقديره: فآمنوا يكن
 الإيمان خيراً لكم، ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ﴾، نزلت في النصارى وهم أصناف: الماريعقوية والملكانية
 والنسطورية والمرقوسية فقالت اليعقوية: عيسى هو الله، وكذلك الملكانية، وقالت النسطورية: عيسى هو
 ابن الله، وقالت: المرقوسية ثالث ثلاثة، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١).

ويقال الملكانية يقولون: عيسى هو الله، واليعقوية يقولون: ابن الله، والنسطورية يقولون: ثالث ثلاثة.
 علمهم رجل من اليهود يقال له بولس، سيأتي في سورة التوبة إن شاء الله تعالى.

(١) أسباب النزول للواحد ص (٢١٨). وعن فرق النصارى ومذاهبها انظر: محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة ص (١٨٣) —

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ
يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾

وقال الحسن: يجوز أن تكون نزلت في اليهود والنصارى، فإنهم جميعاً غلوا في أمر عيسى، فاليهود بالتقصير، والنصارى بمجاوزة الحد، وأصل الغلو: مجاوزة الحد، وهو في الدين حرام.

قال الله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ﴾، لا تُشَدُّدُوا فِي دِينِكُمْ فَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، لا تقولوا إن له شريكاً وولداً ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾، وهي قوله «كُنْ» فكان بشراً من غير أب، [وقيل غيره] ^(١)، ﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ أي أعلمها وأخبرها بها، كما يقال: ألقىْتُ إليك كلمة حسنة، ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾، قيل: هو روح كسائر الأرواح إلا أن الله تعالى أضافه إلى نفسه [تشریفاً] ^(١).

وقيل: الروح هو النفخ الذي نفخه جبريل عليه السلام في دِرْعِ مَرْيَمَ فحملت بإذن الله تعالى، سمي النفخ روحاً لأنه ریح / يخرج من الروح وأضافة إلى نفسه لأنه كان بأمره.

ب/٩٩

وقيل: «روح منه» أي ورحمة، فكان عيسى عليه السلام رحمة لمن تبعه وآمن به.

وقيل: الروح: الوحي، أوحى إلى مريم بالبشارة، وإلى جبريل عليه السلام بالنفخ، وإلى عيسى أن كُنْ فكان، كما قال الله تعالى: «يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ» (النحل — ٢) يعني: بالوحي، وقيل: أراد بالروح جبريل عليه السلام، معناه: وكلمته ألقاها إلى مريم، وألقاها إليها أيضاً روح منه بأمره وهو جبريل عليه السلام، كما قال: «تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ» (القدر — ٤) يعني: جبريل فيها، وقال: «فَأرسلنا إليها روحنا» (مريم — ١٧)، يعني: جبريل.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أنا صدقة بن الفضل أنا الوليد عن الأوزاعي حدثنا عمرو بن هاني حدثني جُنادة بن أمية عن عبادة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» ^(٢).

(١) ما بين القوسين ساقط من: (أ).

(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قوله تعالى: «يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم»: ٦/ ٤٧٤، ومسلم في الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، برقم (٢٨): ١/ ٥٧. والمصنف في شرح السنة: ١/ ١٠١.

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ
وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ
نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾

﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾، أي: ولا تقولوا هم ثلاثة، وكانت النصارى تقول: أب وابن وروح قدس، ﴿أَتَتْهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾، تقديره: انتهوا يكن الانتهاء خيراً لكم، ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾، واعلم أن التبني لا يجوز لله تعالى، لأن التبني إنما يجوز لمن يتصور له ولد، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾، وذلك أن وفد نجران قالوا: يا محمد إنك تعيب صاحبنا فتقول: إنه عبد الله فقال النبي ﷺ: «إنه ليس بعار لعيسى عليه السلام أن يكون عبداً لله»، فنزل: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ﴾ لن يأنف ولن يتعظم، والاستنكاف: التكبر مع الأنفة، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾، وهم حملة العرش، لا يأنفون أن يكونوا عبيداً لله، ويستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر، لأن الله تعالى ارتقى من عيسى إلى الملائكة، ولا يرتقى إلا إلى الأعلى، لا يقال: لا يستنكف فلان من هذا ولا عبده، إنما يقال: فلان لا يستنكف من هذا ولا مولاه، ولا حجة لهم فيه لأنه لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر، بل رداً على الذين يقولون الملائكة آلهة، كما رد على النصارى قولهم المسيح ابن الله، وقال رداً على النصارى بزعمهم، فإنهم يقولون بتفضيل الملائكة. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾، قيل: الاستنكاف هو التكبر مع الأنفة، والاستكبار هو العلو والتكبر من غير أنفة.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾، من التضعيف مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾، عن عبادته، ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، يعني: محمداً ﷺ، هذا قول أكثر المفسرين، وقيل: هو القرآن، والبرهان: الحجة، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾، مبيناً يعني القرآن.

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنَّهُ وَفَضْلِ
 وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ
 أَمْرٌ وَأَهْلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ
 فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ
 حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾، امتنعوا به من زيغ الشيطان، ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ﴾، يعني الجنة، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ نزلت في جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: عادني رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ وصب علي من وضوئه، فعقلت فقلت: يا رسول الله لمن الميراث إنما يرثني الكلاله؟ فنزلت «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ»^(١)، وقد ذكرنا معنى الكلاله وحكم الآية في أول السورة^(٢).

وفي هذه الآية بيان حكم ميراث الأخوة للأب والأم أو للأب.

قوله ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: يستخبرونك ويسألونك، ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾، ﴿إِنْ أَمْرٌ
 هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا﴾، يعني إذا ماتت الأخت فجميع ميراثها
 للأخ، ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ فإن كان لها ابن فلا شيء للأخ، وإن كان ولدها أنثى فلا أخ ما فضل عن
 فرض البنات، ﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾، أراد اثنتين فصاعداً، وهو أن مات وله
 أخوات فلهن الثلثان، ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
 أَنْ تَضِلُّوا﴾، قال الفراء رحمة الله عليه وأبو عبيدة: معناه أن لا تضلوا، وقيل: معناه يبين الله لكم كراهة
 أن تضلوا، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن
 إسماعيل أنا عبد الله بن رجاء أنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنهم قال: آخر سورة نزلت

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة النساء، باب يوصيكم الله في أولادكم: ٢٤٣/٨، وفي الوضوء. ومسلم في الفرائض — باب ميراث الكلاله، برقم (١٦١٦): ١٢٣٤/٣، والمصنف في شرح السنة: ٨ / (٣٣٦ — ٣٣٧).

(٢) انظر فيما سبق، تفسير الآية (١٢) من السورة.

كاملة براءة، وآخر آية نزلت خاتمة سورة النساء (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ) (١).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن آخر آية نزلت آية نزلت آية الرِّبَا، وآخر سورة نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح).

وروي عنه أن آخر آية نزلت قوله تعالى «وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ» (البقرة — ٢٨١).

وروي بعد ما نزلت سورة النصر عاش النبي ﷺ عاماً، ونزلت بعدها سورة براءة وهي آخر سورة نزلت كاملة فعاش النبي ﷺ بعدها ستة أشهر، ثم نزلت في طريق حجة الوداع «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ» فسُميت آية الصيف، ثم نزلت وهو واقف بعرفة: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي» (المائدة — ٣) فعاش بعدها أحداً وثمانين يوماً، ثم نزلت آيات الرِّبَا، ثم نزلت «وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ» فعاش بعدها أحداً وعشرين يوماً (٢).

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة النساء، باب «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ...»: ٨/ ٢٦٧ ومسلم في الفرائض، باب آخر آية أنزلت آية الكلاله، برقم (١٦١٨): ٣/ ١٢٣٦ — ١٢٣٧.

(٢) انظر هذه الأقوال ومن خرَّجها في: الاتقان للسيوطي: ١/ ١٠١ — ١٠٦.

نفس البغوي

«معالم التنزيل»

للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي

(المتوفى - ٥١٦هـ)

المجلد الثالث

حقيقته وخرجه أحاديثه

محمد عبد السلام
عتمان جعفرية
سليمان سالم الحسن

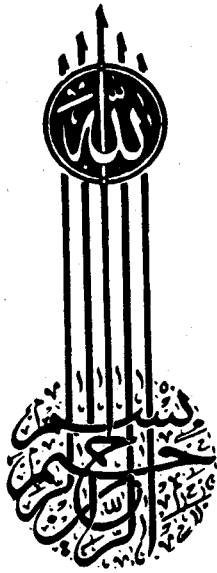
جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

نفس البغوي

«معالم التنزيل»



سُورَةُ الْبَنَاتِ

مائة وعشرون آية، نزلت بالمدينة كلها إلا قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ الآية، فإنها نزلت بعرفات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رُوي عن أبي ميسرة قال: أنزل الله تعالى في هذه السورة ثمانية عشر حكماً لم يُنزلها في غيرها، قوله: «والمنخنة والموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيت وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن»، «وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم»، وتمام الطهور في قوله: «إذا قمتم إلى الصلاة»، «والسارق والسارقة»، «ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم» الآية، «ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام»، وقوله: «شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ
مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حَرَمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾

قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، أي بالعهود، قال الزجاج: هي أوكد العهود، يقال: عاقدت فلاناً وعقدت عليه أي: ألزمته ذلك باستيثاق، وأصله من عقد الشيء بغيره ووصله به، كما

(١) أخرجه الفريابي، وأبو عبيد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ عن أبي ميسرة. انظر الدر المنثور: ٤/٣.

يُعقد الحبل بالحبل [إذا وُصل] (١).

واختلفوا في هذه العقود، قال ابن جريج: هذا خطاب لأهل الكتاب، يعني: يا أيها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة أوفوا بالعهود التي عهدتها إليكم في شأن محمد ﷺ، وهو قوله: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس» (سورة آل عمران، ١٨٧).

وقال الآخرون: هو عام، وقال قتادة: أراد بها الحلف الذي تعاقدوا عليه في الجاهلية، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: هي عهود الإيمان والقرآن، وقيل: هي العقود التي يتعاقدونها الناس بينهم.

﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ﴾، قال/الحسن وقتادة: هي الأنعام كلها، وهي الإبل والبقر والغنم، وأراد تحليل ما حرم أهل الجاهلية على أنفسهم من الأنعام.

وروى أبو ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بهيمة الأنعام هي الأجنة، ومثله عن الشعبي قال: هي الأجنة التي توجد ميتة في بطون أمهاتها إذا ذُبحت أو نحررت، ذهب أكثر أهل العلم إلى تحليله.

[قال الشيخ الإمام] (٢): قرأت على أبي عبد الله محمد بن الفضل الخرقى فقلت: قرء على أبي سهل محمد بن عمر بن طرفة وأنت حاضر، فقيل له: حدثكم أبو سليمان الخطابي أنا أبو بكر ابن داسة أنا أبو داود السجستاني أنا مسدد أنا هشيم عن مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم قال قلنا: يارسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة فنجد في بطنها الجنين، أنلقيه أم نأكله؟ فقال: «كلوه إن شئتم فإن ذكاته ذكاة أمه» (٣)، وروى أبو الزبير عن جابر عن رسول الله ﷺ

(١) ساقط من «ب».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه أبو داود في الأضاحي، باب ماجاء في ذكاة الجنين: ١١٨/٤، والترمذي في الصيد، باب ماجاء في ذكاة الجنين، بلفظ: «ذكاة الجنين ذكاة أمه» وقال: حديث حسن. والدارقطني في الصيد والذبائح والأطعمة: ٢٧٤/٤، والإمام أحمد في المسند: ٣١/٣، ٤٥، ٥٣، والمصنف في شرح السنة: ٢٢٨/١١.

كلهم روه من طريق مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدري. قال عبدالحق: لا يحتج بأسانيد كلها. وقال الغزالي: هو حديث صحيح لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضعف إلى سنده. وقال الحافظ ابن حجر: في هذا نظر، والحق أن فيه ما تنتهض به الحجة، وهو مجموع طرقه، وطرق حديث جابر- الآتي بعد هذا مباشرة-

انظر: تلخيص الحبير: ١٥٦/٤ - ١٥٨، نصب الراية: ١٨٩/٤ - ١٩٢، مختصر المنذري لسنن أبي داود: ١١٩/٤ - ١٢١.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا
 ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْبَغُونَ فَضلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
 شَنَاَنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ
 وَالنَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٤﴾

وروى أبو الزبير عن جابر عن رسول الله ﷺ قال: «ذكاة الجنين ذكاة أمة»^(١).

وشرط بعضهم الإشعار، قال ابن عمر: ذكاة ما في بطنها في ذكاتها إذا تم خلقه ونبت شعره،
 ومثله عن سعيد بن المسيب.

وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يحل أكل الجنين إذا خرج ميتاً بعد ذكاة الأم.

وقال الكلبي: بهيمة الأنعام: وَحْشِيَّهَا، وهي الظباء وبقر الوحش، سُميت بهيمة لأنها أبهمت
 عن التمييز، وقيل: لأنها لا نطق لها، ﴿إِلَّا مَا يَتَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي: ما ذكر في قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ
 الْمَيْتَةَ» إلى قوله: «وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصْبِ»، ﴿غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ﴾، وهو نصب على الحال، أي: لا
 مُحْلِي الصَّيْدِ، ومعنى الآية: أُحِلَّتْ لَكُمْ بِهِمَةَ الْأَنْعَامِ كُلِّهَا إِلَّا مَا كَانَ مِنْهَا وَحْشِيًّا فَإِنَّهُ صَيْدٌ لَا يَحِلُّ
 لَكُمْ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنْ اللَّهُ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾، نزلت في الحُطَمِ واسمه شريح بن
 ضُبَيْعَةَ البكري، أتى المدينة وحلّف خيله [خارج]^(٢) المدينة، ودخل وحده على النبي ﷺ فقال له:
 إلى ما تدعو الناس؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، [وأن محمداً رسول الله]^(٣)، وإقام الصلاة

(١) أخرجه أبو داود في الضحايا، باب ما جاء في ذكاة الجنين: ١١٩/٤، والدارمي في الأضاحي، باب في ذكاة الجنين: ٨٤/٢،
 والدارقطني: ٢٧٣/٤ بلفظ «كُلُّ الجنين في بطن أمه»، وصححه الحاكم في المستدرک على شرط مسلم ووافقه الذهبي: ١١٤/٤.
 وعزاه الهيثمي في المجمع: ٣٥/٤ والزبيلي في نصب الراية: ١٨٩/٤ لأبي يعلى في مسنده. وأخرجه المصنف في شرح
 السنة: ٢٢٩/١١.

قال المنذري: في إسناده عبد الله بن أبي زياد المكي القداح، وفيه مقال. وقال الهيثمي: فيه حماد بن شعيب وهو ضعيف.
 وصححه الألباني في إرواء الغليل: ١٧٢/٨.

(٢) في «ب»: (ظاهر).

(٣) ساقط من «ب».

وإيتاء الزكاة، فقال: [حسن] (١)، إلا أن لي أمراء لا أقطع أمراً دونهم، ولعلي أسلم وآتي بهم، وكان النبي ﷺ قال لأصحابه: يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم [بلسان] (٢) شيطان، ثم خرج شريح من عنده، فقال رسول الله ﷺ: لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم، فمر بسرح المدينة فاستاقه وانطلق، فاتبعوه فلم يدركوه، فلما كان العام القابل خرج حاجباً في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة، وقد قلّد الهدّي، فقال المسلمون للنبي ﷺ: هذا الحطم قد خرج حاجباً فخلّ بيننا وبينه، فقال النبي ﷺ: إنه قد قلّد الهدّي، فقالوا: يارسول الله هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية، فأبى النبي ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله﴾ (٣).

قال ابن عباس ومجاهد: هي مناسك الحج، وكان المشركون يحجون ويهدون، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك.

وقال أبو عبيدة: شعائر الله هي الهدايا المشعرة، والإشعار من الشعار، وهي العلامة، وإشعارها: إعلامها بما يعرف أنها هدي، والإشعار هاهنا: أن يطعن في صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل الدم، فيكون ذلك علامة أنها هدي، وهي سنة في الهدايا إذا كانت من الإبل، لما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو نعيم أنا أفلع عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قتلت قلائد بदन النبي ﷺ بيدي، ثم قلّدها وأشعرها وأهداها، فما حرم عليه شيء كان أحل له (٤).

وقاس الشافعي البقر على الإبل في الإشعار، وأما الغنم فلا تشعر بالجرح، فإنها لا تحتمل الجرح لضعفها، وعند أبي حنيفة: لا يشعر الهدّي.

وقال عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما: لا تحلوا شعائر الله هي أن تصيد وأنت محرم، بدليل قوله تعالى: «وإذا حللتم فاصطادوا»، وقال السدي: أراد حرم الله، وقيل: المراد منه النهي عن القتل في الحرم، وقال عطاء: شعائر الله حرمت الله واجتناب سنخه واتباع طاعته.

قوله: ﴿ولا الشهر الحرام﴾ أي: القتال فيه، وقال ابن زيد: هو النسيء، وذلك أنهم كانوا يحلّونه في الجاهلية عاماً ويحرمونه عاماً، ﴿ولا الهدّي﴾، وهو كل ما يهدى إلى بيت الله من بعير أو

(١) في «ب»: (حسي).

(٢) في «ب»: (بكلام).

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/٩ - ٤٧٣، الدر المنثور: ٩/٣ - ١٠، أسباب النزول للواحدي ص (٢١٩)، تفسير القرطبي: ٤٣/٦.

(٤) أخرجه البخاري في الحج، باب من أشعر وقلّد بذئ الحليفة...: ٥٤٢/٣، ومسلم في الحج، باب استحباب بعث الهدّي إلى

الحرم... برقم (١٣٢١): ٩٥٧/٢، والمصنف في شرح السنة: ٩٢/٧.

بقرة أو شاة، ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾، أي: الهدايا المُقَدَّدة، يريد ذوات القلائد، وقال عطاء: أراد أصحاب القلائد، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا أرادوا الخروج من الحرم قلدوا أنفسهم وإبلهم بشيء من لِحَاءِ شجر الحرم كيلا يُتعرَّضَ لهم، فنهى الشرع عن استحلال شيء منها. وقال مطرف بن الشخير: هي القلائد نفسها وذلك أن المشركين كانوا يأخذون من لِحَاءِ شجر مكة ويتقلدونها فنهوا عن نزع شجرها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾، أي: قاصدين البيت الحرام، يعني: الكعبة فلا تتعرضوا لهم، ﴿يَتَّغُونَ﴾ يطلبون ﴿فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ﴾، يعني الرزق بالتجارة، ﴿وَرِضْوَاناً﴾ أي: على زعمهم، لأن الكافرين لا نصيب لهم في الرضوان، وقال قتادة: هو أن يصلح معاشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها، وقيل: ابتغاء الفضل للمؤمنين والمشركين عامة، وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة، لأن المسلمين والمشركين كانوا يحجُّون، وهذه الآية إلى هاهنا منسوخة بقوله: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» (سورة التوبة، ٥) وبقوله: «فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا» (سورة التوبة، ٢٨)، فلا يجوز أن يحج مشرك ولا أن يأمن كافر بالهدى والقلائد.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من إحرامكم، ﴿فَاصْطَادُوا﴾، أمر بإباحة، أباح للحلال أخذ الصيد، كقوله تعالى: «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض». (الجمعة، ١٠).

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾، قال ابن عباس وقتادة: لا يحملنكم، يقال: جرمني فلان على أن صنعت كذا، أي حملني، وقال الفراء: لا يكسبنكم، يقال: جرم أي: كسب، وفلان جريمة أهله، أي: كاسبهم، وقيل: لا يدعونكم، ﴿شَنَّانُ قَوْمٍ﴾، أي: بغضهم وعداوتهم، وهو مصدر شنت، قرأ ابن عامر وأبو بكر ﴿شَنَّانُ قَوْمٍ﴾ بسكون النون الأولى، وقرأ الآخرون بفتحها، وهما لغتان، والفتح أجود، لأن المصادر أكثرها فعلان، بفتح العين مثل الضربان والسيلان والنسلان ونحوها، ﴿أَنْ صَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الألف على الاستثناف، وقرأ الآخرون بفتح الألف، أي: لأن صدوكم، ومعنى الآية: ولا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لأنهم صدوكم. وقال محمد بن جرير: لأن هذه السورة نزلت بعد قضية الحديبية، وكان الصَّدُّ قد تقدم، ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾، عليهم بالقتل وأخذ الأموال، ﴿وَتَعَاوَنُوا﴾، أي: ليعن بعضكم بعضاً، ﴿عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، قيل: البرُّ متابعة الأمر، والتقوى مجانبة النهي، وقيل: البر: الإسلام، والتقوى: السنة، ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدَّوْنَ﴾، قيل: الإثم: الكفر، والتعدوان: الظلم، وقيل: الإثم: المعصية، والتعدوان: البدعة.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ
وَالْمُتْرَدِيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْنَقِسُوا
بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقَ الْيَوْمَ بِبَيْسِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي
مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠١﴾

1/101 / أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي طاهر الدقاق ببغداد أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن الزبير القرشي أنا الحسن بن علي بن عفان أنا زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفيير بن مالك الحضرمي عن أبيه عن النواس بن سمرعان الأنصاري قال: سئل رسول الله ﷺ عن البرِّ والإثم، قال: «البرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»^(١). ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

قوله عز وجل ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾، أي: ما ذُكِرَ على ذبحه اسم غير الله تعالى، ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾، وهي التي تختنق فتموت، قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى إذا ماتت أكلوها، ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ هي المقتولة بالخشب، قال قتادة: كانوا يضربونها بالعصا فإذا ماتت أكلوها، ﴿وَالْمُتْرَدِيَّةُ﴾، هي التي تتردى من مكان عالٍ أو في بئر فتموت، ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾، وهي التي تنطحها أخرى فتموت، وهاء التانيث تدخل في الفعل إذا كان بمعنى الفاعل، فإذا كان بمعنى المفعول استوى فيه المذكر والمؤنث، نحو عين كحيل وكف خضيب، فإذا حذفت الاسم وأفردت الصفة، أدخلوا الهاء فقالوا: رأينا كحيله وخضيبه، وهنا أدخل الهاء لأنه لم يتقدمها الاسم، فلو أسقط الهاء لم يُدْرَ أنها صفة مؤنث أم مذكر، ومثله الذبيحة والنسيكة، وأكيلة السبع ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾، يريد ما بقي مما أكل السبع، وكان أهل الجاهلية يأكلونه، ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾، يعني: إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء.

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب تفسير البر والإثم، برقم (٢٥٥٣): ٤/١٩٨٠، والمصنف في شرح السنة: ١٣/٧٦.

وأصل التذكية الإتمام، يقال: ذكيتُ النارَ إذا أتممتُ إشعالها، والمراد هنا: إتمام فري الأوداج وإنهار الدم، قال النبي ﷺ: «ما أنهرَ الدَّمُ وذَكَرَ اسمُ الله عليه فكلُّ غير السن والظفر»^(١).

وأقل الذكاة في الحيوان المقدور عليه قطع المري والحلقوم وكما له أن يقطع الودجين معهما، ويجوز بكل مُحَدَّد يقطع من حديد أو قصب أو زجاج أو حجر إلا السن والظفر، فنهى النبي ﷺ عن الذبح بهما، وإنما يحل ما ذكيتَه بعدما جرحه السبع أو أكل شيئاً منه إذا أدركته والحياة فيه مستقرة فذبحته، فأما ما صار بجرح السبع إلى حالة المذبوح، فهو في حكم الميتة، فلا يكون حلالاً وإن ذبحته، وكذلك المتردية والنطيحة إذا أدركتها حيَّة قبل أن تصير إلى حالة المذبوح فذبحتها تكون حلالاً، ولو رمى إلى صيد في الهواء فأصابه فسقط على الأرض فمات كان حلالاً، لأن الوقوع على الأرض من ضرورته، فإن سقط على جبل أو شجر أو سطح ثم تردى منه فمات فلا يحل، وهو من المتردية إلا أن يكون السهم أصاب مذبحة في الهواء فيحل كيف ما وقع، لأن الذبح قد حصل بإصابة السهم المذبوح.

﴿وما ذُبحَ على النُّصبِ﴾، قيل: النُّصبُ جمعٌ واحده نصاب، وقيل: هو واحد وجمعه أنصاب مثل عنق وأعناق، وهو الشيء المنصوب.

واختلفوا فيه، فقال مجاهد وقتادة: كانت حول البيت ثلاثمائة وستون حجراً منصوبة، كان أهل الجاهلية يعبدونها ويُعظِّمونها ويذبحون لها، وليست هي بأصنام، إنما الأصنام هي المصورة المنقوشة، وقال الآخرون: هي الأصنام المنصوبة، ومعناه: وما ذُبح على اسم النُّصب، قال ابن زيد: وما ذُبح على النصب وما أهل لغير الله به: هما واحد، قال قطرب: على بمعنى اللام أي: وما ذُبح لأجل النُّصب.

﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾، أي: ويحرم عليكم الاستقسام بالأزلام، والاستقسام هو طلب القسم والحكم من الأزلام، والأزلام هي: القِداح التي لا ريش لها ولا نصل، وأخذها: زُلْم، زُلْم بفتح الزاي وضمها، وكانت أزلامهم سبعة قداح مستوية من شوحط^(٢)، يكون عند سادن الكعبة، مكتوبٌ على واحدٍ: نعم، وعلى واحدٍ: لا، وعلى واحدٍ: منكم، وعلى واحدٍ: من غيركم، وعلى

(١) أخرجه البخاري في الذبائح والصيد، باب ما أنهر الدم من القصب والمروة والحديد: ٦٣١/٩، ومسلم في الأضاحي، باب جواز

الذبح بكل ما أنهر الدم إلا السن والظفر وسائر العظم، برقم (١٩٦٨): ١٥٥٨/٣.

(٢) الشُّحط: شجر تتخذ منه القسي. (القاموس المحيط: ٦٨٠/٢)، وانظر: الميسر والقдах، لابن قتيبة ص(٤٤) وما بعدها.

واحدٍ: مُلْصَقٌ، وعلى واحدٍ: العقل، وواحدٌ غُفْلٌ ليس عليه شيءٌ، فكانوا إذا أرادوا أمراً من سفرٍ أو نكاحٍ أو ختانٍ أو غيره، أو تدارؤوا في نسبٍ أو اختلفوا في تحمّلِ عقلٍ جاؤوا إلى هُبلٍ، وكان أعظمُ أصنامٍ قريشٍ بمكة، وجاؤوا بمائة درهمٍ فأعطوها صاحبِ القداحِ حتى يُجِيلَ القَدَاحَ، ويقولون: يا إلهنا إنا أردنا كذا وكذا، فإن خرج نعم، فعلوا، وإن خرج لا، لم يفعلوا ذلك حولاً، ثم عادوا إلى القَدَاحِ ثانيةً، فإذا أجالوا على نسبٍ، فإن خرج منكم كان وسطاً منهم، وإن خرج من غيركم كان حليفاً، وإن خرج ملصقٌ كان على منزلته لا نسبٍ له ولا حلف، وإذا اختلفوا في عقلٍ فمن خرج عليه قدح العقل حملة، وإن خرج الغفل أجالوا ثانياً حتى يخرج المكتوب، فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرّمه، وقال: ﴿ذَلِكُمْ فَسْقٌ﴾ قال سعيد بن جبير: الأزام حصى بيض كانوا يضربون بها، وقال مجاهد: هي كعاب فارس والروم التي يتقامرون بها، وقال الشعبي وغيره: الأزام للعرب، والكعاب للعجم، وقال سفيان بن وكيع: هي الشطرنج، وروينا أن النبي ﷺ قال: «العِيفَةُ والطَّرْقُ والطَّيْرَةُ مِنَ الْجِبْتِ»^(١)، والمراد من الطَّرْقِ: الضَّرْبُ بالحصى.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أنا ابن فنجوية أنا ابن الفضل الكندي أخبرنا الحسن بن داود الخشاب أنا سويد بن سعيد أنا [أبو المختار]^(٢) عن عبد الملك بن عمير عن رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَكَهَّنَ أَوْ اسْتَقَسَمَ أَوْ تَطَيَّرَ طَيْرَةً تَرَدَّهُ عَن سَفَرِهِ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى الدَّرَجَاتِ العُلَى مِنَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

قوله عز وجل ﴿الْيَوْمَ يَشَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾، يعني: أن ترجعوا إلى دينهم كفاراً، وذلك أن الكفار كانوا يطمعون في عود المسلمين إلى دينهم فلما قوي الإسلام يشسوا، ويشس وأيس بمعنى واحد.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، نزلت هذه الآية يوم الجمعة، يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع، والنبي ﷺ واقف بعرفات على ناقته العضباء، فكادت عضد الناقة تندق من ثقلها فبركت.

(١) أخرجه أبو داود في الطب، باب في الخط وزجر الطير: ٣٧٣/٥، وأحمد في المسند: ٤٧٧/٣، ٦٠/٥، والمصنف في شرح السنة: ١٧٧/١٢. وعزه المنذري للنسائي. قال النووي: إسناده حسن. انظر: فيض القدير: ٣٩٦/٤.

(٢) في «ب»: (أبو المَحْيَاة). وهو يحيى بن يعلى التيمي، ثقة من الثامنة. (التقريب).

(٣) عزه الهيثمي للطبراني في الأوسط، وقال: فيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد، وهو كذاب. مجمع الزوائد: ١٢٨/١. وأخرجه أبو نعيم في الحلية: ١٧٤/٥، وقال: غريب من حديث الثوري عن عبد الملك، تفرد به محمد بن الحسن.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل حدثني الحسن بن الصباح سمع جعفر بن عون أنا أبو العميس أنا قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له: «يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: آية آية؟ قال: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة^(١). أشار عمر إلى أن ذلك اليوم كان عيداً لنا».

قال ابن عباس: كان في ذلك اليوم خمسة أعياد: جمعة وعرفة وعيد اليهود/والنصارى ١٠١/ب والمجوس، ولم تجتمع أعياد أهل الملل في يوم قبله ولا بعده.

روى هارون بن عنترة عن أبيه قال: لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضي الله عنه، فقال له النبي ﷺ: «ما يبكيك يا عمر؟» فقال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء قط إلا نقص، قال: صدقت^(٢).

وكانت هذه الآية نعي النبي ﷺ وعاش بعدها إحدى وثمانين يوماً، ومات يوم الاثنين بعدما زاغت الشمس لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول [سنة إحدى عشرة من الهجرة، وقيل: توفي يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول]^(٣) وكانت هجرته في الثاني عشر.

قوله عز وجل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ يعني: يوم نزول هذه الآية أكملت لكم دينكم، يعني الفرائض والسُنن والحدود والجهاد والأحكام والحلال والحرام، فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام، ولا شيء من الفرائض. هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما، وروي عنه أن آية الربا نزلت بعدها.

وقال سعيد بن جبيرة وقتادة: أكملت لكم دينكم فلم يحج معكم مشرك. وقيل: أظهرت دينكم وأمتتكم من العدو.

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة المائدة، باب «اليوم أكملت لكم دينكم...»: ٢٧٠/٨، وفي الإيمان، والاعتصام. وأخرجه

مسلم في التفسير، برقم (٣٠١٧): ٢٣١٣/٤.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير: ٥١٩/٩، وعزه السيوطي لابن أبي شيبة. انظر الدر المنثور: ١٨/٣.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ
بِمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْقُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿١٥٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وَأْتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، يعني: وأنجزت وعدي في قول «ولأنتم نعمتي عليكم» (سورة البقرة، ١٥٠)، فكان من تمام نعمته أن دخلوا مكة آمنين وعليها ظاهرين، وحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين، ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾، سمعت عبدالواحد المليحي قال: سمعت أبا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت أبا بكر النيسابوري سمعت أبا بكر محمد بن الحسن بن المسيب المروزي، سمعت أبا حاتم محمد بن إدريس الحنظلي، سمعت عبدالملك بن مسلمة أبا مروان المصري سمعت إبراهيم بن أبي بكر بن المنكدر رضي الله عنه، سمعت عمي محمد بن المنكدر سمعت جابر بن عبدالله رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى: هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما صحبتتموه»^(١).

قوله عز وجل: ﴿فَمِنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾، أي: أجهد في مجاعة، والمخمصة خلو البطن من الغذاء، يقال: رجل خميص البطن إذا كان طاوياً خاوياً، ﴿غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ أي: مائل إلى إثم وهو أن يأكل فوق الشبع، وقال قتادة غير متعرض لمعصية في مقصده، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وفيه إضمار، أي: فأكله فإن الله غفور رحيم.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الحسن المروزي أنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أنا أبو الحسن علي بن عبدالعزيز المكي أنا أبو عبيد القاسم بن سلام أنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي واقد الليثي قال رجل: يارسول الله إنا نكون بالأرض فتصيبنا بها المخمصة فمتى تحل لنا الميتة؟ فقال: «ما لم تصطبحوها أو

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط عن جابر، وبمعناه أيضاً عن عمران بن حصين، ورواه الأصبهاني وذكره المنذري بصيغة التضعيف في الترغيب والترهيب: ٣/٣٨٣، ٤٠٦. وقال الهيثمي: «رواه الطبراني، وفيه عمرو بن الحصين العقيلي، وهو متروك» مجمع الزوائد: ٢٤٨/٣، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (١٢٨٢): ٣/٤٤١ - ٤٤٢. وانظر: بحثا بعنوان: إن الدين عند الله الإسلام. في مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٦).

تغتبقوا أو تحتفتوا بها بقلأ فشانكم بها»^(١).

قوله عز وجل ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ﴾ الآية، قال سعيد بن جبير: نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله ﷺ زيد الخير، قال يارسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت هذه الآية^(٢).

وقيل: سبب نزولها أن النبي ﷺ لما أمر بقتل الكلاب قالوا: يارسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنزلت هذه الآية^(٣) فلما نزلت أذن رسول الله ﷺ في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها، ونهى عن إمساك ما لا نفع فيه منها.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبدالرزاق أنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط»^(٤)، والأول أصح في سبب نزول هذه الآية.

﴿قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾، يعني: الذبائح على اسم الله تعالى، وقيل: كل ما تستطيعه العرب

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢١٨/٥، والدارمي في الأضاحي، باب في أكل الميتة للمضطر: ٨٨/٢. وأخرجه أيضاً: البيهقي والطبراني، ورجاله ثقات، إلا أن في إسناده انقطاعاً، فإن حسان بن عطية لم يسمع من أبي واقد الليثي، واختلف في صحبة أبي واقد. وأخرجه المصنف أيضاً في شرح السنة: ٣٤٧/١١، وساقه ابن كثير برواية الإمام أحمد وقال: «هو إسناد صحيح على شرط الشيخين». ومعنى قوله «تحتفتوا بها بقلأ»: قال أبو عبيد: بلغني أنه من الحفاء، مهموز مقصور، وهو أصل البردي الأبيض الرطب منه، وهو يؤكل، يقول: مالم تقتلعوا هذا بعينه، فتأكلوه.

وقيل: صوابه «مالم تحتفتوها بها بقلأ» مخفف الفاء غير مهموز، وكل شيء استؤصل فقد احتفتي، ومنه إحقاء الشعر، يقال: احتفتي الرجل يحتفتي: إذا أخذ من وجه الأرض بأطراف أصابعه.

وقال: معنى الحديث: إنما لكم منها، يعني من الميتة، الصبوح: وهو الغداء، أو العَبوق: وهو العشاء، فليس لكم أن تجمعوهما من الميتة.

وأنكروا هذا على أبي عبيد، وقالوا: معناه: إذا لم تجدوا صباحاً أو غبوقاً، ولم تجدوا بقلأ تأكلونها حلَّت لكم الميتة... انظر:

شرح السنة: ٣٤٧/١١ - ٣٤٨.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير، انظر: الدر المنثور: ٢٠/٣، أسباب النزول للواحد ص (٢٢٢ - ٢٢٣).

(٣) أخرجه الحاكم عن أبي رافع: ٣١١/٢، وصححه، ووافقه الذهبي، وانظر: أسباب النزول للواحد ص (٢٢١)، الدر المنثور: ٢١/٣.

(٤) أخرجه البخاري في الحرث والمزارعة، باب اقتناء الكلب للحرث: ٥/٥، بلفظ «من أمسك كلباً فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط، إلا كلب حرث أو ماشية».

وأخرجه مسلم في المساقاة، باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه، وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو ماشية ونحو ذلك (١٥٧٥): ١٢٠٣/٣، والمصنف في شرح السنة: ٢٠٩/١١.

وتستلذه من غير أن يرد بتحريمه نص من كتاب أو سنة ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾، يعني: وأحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح.

واختلفوا في هذه الجوارح، فقال الضحاك والسدي: هي الكلاب دون غيرها، ولا يحل ما صاده غير الكلب إلا أن يدرك ذكاته، وهذا غير معمول به، بل عامة أهل العلم على أن المراد بالجوارح الكواسب من سباع البهائم كالفهد والنمر والكلب، ومن سباع الطير كالبازي والعقاب والصقر ونحوها مما يقبل التعليم، فيحل صيد جميعها، سميت جارحة: لجرحها لأربابها أقاتهم من الصيد، أي: كسبها، يقال: فلان جارحة أهله، أي: كاسبهم، ﴿مُكَلَّبِينَ﴾، والمكَلَّب الذي يغري الكلاب على الصيد، ويقال للذي يعلمها أيضاً: مُكَلَّب، والكلَّاب: صاحب الكلاب، ويقال للصائد بها أيضاً كلاب، ونصبُ مكَلَّبين على الحال، أي: في حال تكليبيكم هذه الجوارح أي إغرائكم إياها على الصيد، وذكر الكلاب لأنها أكثر وأعم، والمراد جميع جوارح الصيد، ﴿تَعَلَّمُونَهُنَّ﴾، تؤدبونهن آداب أخذ الصيد، ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾، أي: من العلم الذي علمكم الله، وقال السدي: أي كما علمكم الله، «من» بمعنى الكاف، ﴿فَكُلُّوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾. أراد أن الجارحة المعلمة إذا خرجت بإرسال صاحبها فأخذت الصيد وقتلته كان حلالاً، والتعليم هو أن يوجد فيها ثلاثة أشياء: إذا أشليت استشلت، وإذا زُجرت انزجرت، وإذا أخذت الصيد أمسكت ولم تأكل، وإذا وجد ذلك منه مراراً وأقله ثلاث مرات كانت معلمة، يحل قتلها إذا خرجت بإرسال صاحبها.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا موسى بن إسماعيل أنا ثابت بن زيد عن عاصم عن الشعبي عن عدي بن حاتم عن النبي ﷺ قال: «إذا أرسلت كلبك المعلم وسميت فأمسك وقتل فكل، وإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه، وإذا خالط كلاباً لم يذكر اسم الله عليها فأمسكن وقتلن فلا تأكل فإنك لا تدري أيها قتل، وإذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به إلا أثر سهمك فكل وإن وقع في الماء فلا تأكل»^(١).

واختلفوا فيما إذا أخذت الصيد وأكلت منه شيئاً: فذهب أكثر أهل العلم إلى تحريمه، وروي ذلك عن ابن عباس، وهو قول عطاء وطاوس والشعبي، وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي

(١) أخرجه البخاري في الذبائح والصيد، باب الصيد إذا غاب عنه يومين أو ثلاثة: ٦١٠/٩، ومسلم في الصيد والذبائح، باب الصيد بالكلاب المعلمة، برقم (١٩٢٩): ١٥٣١/٣ بلفظ مقارب، والمصنف في شرح السنة: ١٩١/١١ - ١٩٢.

وهو أصح قولي الشافعي لقوله : «وإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه» .

ورخص بعضهم في أكله، رُوي ذلك عن ابن عمر، وسلمان الفارسي، وسعد بن أبي وقاص، وبه قال مالك: لما رُوي عن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله تعالى فكل وإن أكل منه»^(١).

أما غير المعلم من الجوارح إذا أخذ صيداً، أو المعلم إذا خرج بغير إرسال فأخذ وقتل فلا يكون حلالاً إلا أن يدركه صاحبه حياً فيذبحه، فيكون حلالاً.

١/١٠٢

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبدالله بن يزيد أنا حيوة أخبرني ربيعة بن يزيد الدمشقي عن أبي إدريس عن أبي ثعلبة الخشني قال قلت: يا نبي الله إنا بأرض قوم أهل كتاب أفأكل في آيتهم، وبأرض صيد أصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم، وبكلبي المعلم فما يصح لي؟ قال: «أما ما ذكرت من آية أهل الكتاب فإن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وإن لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك غير المعلم فأدركت ذكاته فكل»^(٢).

قوله عز وجل: ﴿واذكروا اسم الله عليه. واتقوا الله إن الله سريع الحساب﴾، ففيه بيان أن ذكر اسم الله عز وجل على الذبيحة شرط حالة ما يُذبح، وفي الصيد حالة ما يُرسل الجارحة أو السهم.

أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن علوية الجوهري قال: حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد بن الأثرم المقرئ بالبصرة حدثنا عمر بن شيبه أنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أنس قال: «ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر، قال: رأيتُه واضعاً قدمه على صفاحهما ويذبحهما بيده

(١) أخرجه أبو داود في الضحايا، باب في الصيد: ١٣٦/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٩٥/١١. قال المنذري في مختصر السنن: «في إسناد داود بن عمرو الأودي الدمشقي، عامل واسط، وثقه يحيى بن معين، وقال الإمام

أحمد: حديث مقارب، وقال أبو زرعة: لا بأس به... وقال أحمد بن عبدالله المعجلي: ليس بالقوي».

(٢) أخرجه البخاري في الذبائح والصيد، باب صيد القوس: ٦٠٤/٩ - ٦٠٥، وباب ما جاء في التصيد: ٦١٢/٩، وباب آية المجوس: ٦٢٢/٩، ومسلم في الصيد والذبائح، باب الصيد بالكلاب المعلمة، برقم (١٩٣٠): ١٥٣٢/٣. والمصنف في شرح السنة:

١٩٩/١١

الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ
وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ
عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥٥﴾

ويقول بسم الله والله أكبر^(١).

قوله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾، يعني: الذبائح على اسم الله عز وجل، ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾، يريد ذبائح اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الأمم قبل مبعث النبي محمد ﷺ حلالاً لكم، فأما من دخل في دينهم بعد مبعث محمد ﷺ فلا تحل ذبيحته، ولو ذبح يهودي أو نصراني على اسم غير الله كالنصراني يذبح باسم المسيح فاختلفوا فيه، قال عمر^(٢): لا يحل، وهو قول ربيعة، وذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يحل، وهو قول الشعبي وعطاء والزهري ومكحول، سئل الشعبي ومكحول عن النصراني يذبح باسم المسيح، قالوا: يحل فإن الله تعالى قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون، وقال الحسن: إذا ذبح اليهودي أو النصراني فذكر اسم غير الله وأنت تسمع فلا تأكله فإذا غاب عنك فكل فقد أحل الله لك.

قوله عز وجل: ﴿وطعامكم حل لهم﴾، فإن قيل: كيف شرع لهم حل طعامنا وهم كفار ليسوا من أهل الشرع؟ قال الزجاج: معناه حلال لكم أن تطعموهم فيكون خطاب الحل مع المسلمين، وقيل: لأنه ذكر عقبيه حكم النساء، ولم يذكر حل المسلمين لهم فكأنه قال حلال لكم أن تطعموهم حراماً عليكم أن تزوجوهم.

قوله عز وجل: ﴿والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾، هذا راجع إلى الأول منقطع عن قوله: ﴿وطعامكم حل لهم﴾.

(١) أخرجه البخاري في الأصاحي، باب من ذبح بيده: ١٨/١٠، وفي أبواب أخرى. ومسلم في الأصاحي، باب استحباب الضحية، برقم (١٩٦٦): ٣/١٥٥٦-١٥٥٧، والمصنف في شرح السنة: ٤/٣٣٤.

(٢) في «ب»: (ابن عمر)

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى
 الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا
 وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا
 مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ
 لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ
 لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾

اختلفوا في معنى ﴿المحصنات﴾: فذهب أكثر العلماء إلى أن المراد منهن الحرائر، وأجازوا
 نكاح كل حرة، مؤمنة كانت أو كتابية، فاجرة كانت أو عفيفة، وهو قول مجاهد، وقال هؤلاء: لا يجوز
 للمسلم نكاح الأمة الكتابية لقوله تعالى: «فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات» (سورة
 النساء، ٢٥) جوز نكاح الأمة بشرط أن تكون مؤمنة، وجوز أكثرهم نكاح الأمة الكتابية الحربية، وقال
 ابن عباس: لا يجوز قرأ «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله» إلى قوله «حتى يُعْطُوا الجزية عن يدٍ وهم
 صاغِرُونَ» (التوبة، ٢٩)، فمن أعطى الجزية حلّ لنا نساؤه ومن لم يعطها فلا يحلّ لنا نساؤه.

وذهب قوم إلى أن المراد من المحصنات في الآية: العفاف من الفريقين حرائر كنّ أو إماء
 وأجازوا نكاح الأمة الكتابية، وحرّموا البغايا من المؤمنات والكتابيات، وهو قول الحسن، وقال
 الشعبي: إحصان الكتابية أن تستعف عن الزنا وتغتسل من الجنابة.

﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾، غير مُعَالِنِينَ بِالزَّانَا، ﴿وَلَا
 مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾، أي: يسرون بالزنا، قال الزجاج: حرّم الله الجماع على جهة السفاح وعلى جهة
 اتخاذ الصديقة، وأحلّه على جهة الإحصان وهو التزوج.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، قال مقاتل بن حيان:
 يقول ليس إحصان المسلمين إياهنّ بالذي يخرجهنّ من الكفر أو يغني عنهن شيئا وهي للناس عامة:
 «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ».

قال ابن عباس ومجاهد في معنى قوله تعالى: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ» أي: بالله الذي يجب

الإيمانُ به .

وقال الكلبي : بالإيمان أي : بكلمة التوحيد وهي شهادة أن لا إله إلا الله .

وقال مقاتل : بما أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن ، وقيل : من يكفر بالإيمان أي : يستحلّ الحرام ويحرّم الحلال فقد حَبِطَ عمله ، وهو في الآخرة من الخاسرين قال ابن عباس : خسر الثواب .

قوله عزّ وجلّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ ، أي : إذا أردتُم القيام إلى الصلاة ، كقوله تعالى : «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» ، (سورة النحل ، ٩٨) ، أي : إذا أردت القراءة .

وظاهر الآية يقتضي وجوب الوضوء عند كلِّ مرّة يريد القيام إلى الصلاة ، لكن أعلمنا ببيان السنّة وفعل النبي ﷺ أن المراد من الآية : «إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ» وأنتم على غير طُهر ، قال النبي ﷺ : «لا يقبلُ الله صلاةَ أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»^(١) .

وقد جمع النبي ﷺ يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد ، أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد الحنفي أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الطاهري أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حليم أنا أبو الموجه محمد بن عمرو بن الموجه أنا عبدان أنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبي ﷺ صَلَّى يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ بَوْضُوءٍ وَاحِدٍ ، وَمَسَحَ عَلَى خُفَيْهِ^(٢) .

وقال زيد بن أسلم : معنى الآية إذا قمتم إلى الصلاة من النوم .

وقال بعضهم : هو أمر على طريق الندب ، ندب من قام إلى الصلاة أن يجدد لها طهارته وإن كان على طُهر ، روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «مَنْ تَوَضَّأَ عَلَى طُهْرٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ»^(٣) .

وروي عن عبدالله بن حنظلة بن عامر «أن رسول الله ﷺ أمر بالوضوء عند كلِّ صلاةٍ طاهراً أو

(١) أخرجه البخاري في الوضوء ، باب لا تقبل صلاة بغير طهور : ٢٣٤/١ ، وفي الحيل ، باب في الصلاة : ٣٢٩/١٢ ، ومسلم في الطهارة ، باب وجوب الطهارة للصلاة ، برقم (٢٢٥) ٢٠٤/١ بلفظ «لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث...» ، والمصنف في شرح السنّة : ٣٢٨/١ .

(٢) أخرجه مسلم في الطهارة ، باب جواز الصلوات كلها بوضوء واحد (٢٧٧) : والمصنف في شرح السنّة : ٤٤٨/١ .

(٣) أخرجه أبو داود في الطهارة ، باب الرجل يحدث الوضوء من غير حدث : ٤٦/١ ، والترمذي في الطهارة ، باب ما جاء في الوضوء لكل صلاة : ١٩٢/١ ، وقال : ... هو إسناد ضعيف ، وأخرجه ابن ماجه في الطهارة ، باب الوضوء على الطهارة ، برقم (٥١٢) : ١٧١/١ .

قال في الزوائد : مدار الحديث على عبدالرحمن بن زيادة الإفريقي ، وهو ضعيف ، ومع ضعفه كان يدلّس .

قال في الزوائد : مدار الحديث على عبدالرحمن بن زيادة الإفريقي ، وهو ضعيف ، ومع ضعفه كان يدلّس . وضعفه المصنف في

شرح السنّة : ٤٤٩/١ .

غير طاهر، فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك لكل صلاة^(١).

وقال بعضهم: هذا إعلام من الله سبحانه وتعالى لرسول الله ﷺ أن لا وضوء عليه إلا إذا قام إلى الصلاة دون غيرها من الأعمال، فأذن له أن يفعل بعد الحدث ما بدأ له من الأفعال غير الصلاة، أخبرنا أبو القاسم الحنفي أنا أبو الحارث الطاهري أنا الحسن بن محمد بن حليم أنا أبو الموجه أنا صدقة أنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار سمع سعيد بن الحويرث سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول: (كنا عند النبي ﷺ فرجع من الغائط فأتني بطعام فقيل له: ألا تتوضأ؟) فقال: لم؟ أصلي فأتوضأ؟^(٢).

ب/١٠٢

قوله عز وجل: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ وحدّ الوجه من منابت شعر الرأس/ إلى منتهى الذقن طولاً وما بين الأذنين عرضاً يجب غسل جميعه في الوضوء، ويجب أيضاً إيصال الماء إلى ما تحت الحاجبين وأهداب العينين والشارب والعدار أو العنفة وإن كانت كثيفة وأما العارض واللحية فإن كانت كثيفة لا ترى البشرة من تحتها لا يجب غسل باطنها في الوضوء، بل يجب غسل ظاهرها.

وهل يجب إمرار الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية عن الذقن؟ فيه قولان:

أحدهما: لا يجب، وبه قال أبو حنيفة، لأن الشعر النازل عن حدّ الرأس لا يكون حكمه حكم الرأس في جواز المسح عليه، كذلك النازل عن حدّ الوجه لا يكون حكمه حكم الوجه في وجوب غسله.

والقول الثاني: يجب إمرار الماء على ظاهره، لأن الله تعالى أمر بغسل الوجه، والوجه ما يقع في المواجهة من هذا العضو، ويقال في اللغة بقل وجه فلان وخرج وجهه: إذا نبتت لحيته.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّدِكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾، أي: مع المرافق، كما قال الله تعالى: «ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم» (سورة النساء، ٢) أي: مع أموالكم، وقال: «من أنصاري إلى الله» (سورة آل عمران، ٥٢ وسورة الصف، ١٤)، أي: مع الله.

وأكثر العلماء على أنه يجب غسل المرفقين، وفي الرجل يجب غسل الكعبين، وقال الشعبي

(١) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب في السواك: ٤٠/١، قال المنذري: في إسناده محمد بن اسحاق بن يسار، وقد اختلف الأئمة في الاحتجاج بحديثه، وأخرجه الدارمي في الوضوء: ١٦٨/١، والإمام أحمد في المسند: ٢٢٥/٥.

(٢) أخرجه مسلم في الحيض، باب جواز أكل المحدث الطعام. برقم (٣٧٤): ٢٨٣/١، والمصنف في شرح السنة: ٤٠/٢.

ومحمد بن جرير: لا يجب غسل المرفقين والكعبين في اليد والرَّجُل لأن حرف «إلى» للغاية والحدّ، فلا يدخل في المحدود.

قلنا: ليس هذا بحدّ ولكنه بمعنى مع كما ذكرنا، وقيل: الشيء إذا حدّ إلى جنسه يدخل فيه الغاية، وإذا حدّ إلى غير جنسه لا يدخل، كقوله تعالى: «ثم أتّموا الصيام إلى الليل» (سورة البقرة، ١٨٧)، لم يدخل الليل فيه لأنه ليس من جنس النهار.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾، اختلف العلماء في قدر الواجب من مسح الرأس، قال مالك: يجب مسح جميع الرأس كما يجب مسح جميع الوجه في التيمم، وقال أبو حنيفة: يجب مسح ربع الرأس، وعند الشافعي رحمه الله: يجب قدر ما يُطلق عليه اسم المسح.

واحتج من أجاز مسح بعض الرأس بما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا يحيى بن حسان عن حماد بن زيد وابن عليّة عن أيوب السخيتاني عن ابن سيرين عن عمرو بن وهب الثقفي عن المغيرة بن شعبة «أن النبي ﷺ توضأ فمسح بناصيته وعلى عمامته وخفيه»^(١)، فأجاز بعض أهل العلم المسح على العمامة بهذا الحديث، وبه قال الأوزاعي وأحمد وإسحاق

ولم يُجوّز أكثر أهل العلم المسح على العمامة بدلاً من مسح الرأس، وقالوا: في حديث المغيرة أن فرض المسح سقط عنه بمسح الناصية، وفيه دليل على أن مسح جميع الرأس غير واجب.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾، قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص «وَأَرْجُلَكُمْ» بنصب اللّام، وقرأ الآخرون «وَأَرْجُلِكُمْ» بالخفض، فمن قرأ «وَأَرْجُلَكُمْ» بالنصب فيكون عطفاً على قوله: «فاغسلوا وجوهكم وأيديكم» أي: واغسلوا أرجلكم، ومن قرأ بالخفض فقد ذهب قليل من أهل العلم إلى أنه يمسح على الرجلين، وروى عن ابن عباس أنه قال: الوضوء غسّلتان ومسحتان، ويروى ذلك عن عكرمة وقتادة، وقال الشعبي: نزل جبريل بالمشح وقال: ألا ترى المتيّم يمسح ما كان غسلاً ويلغي ما كان مسحاً؟

وقال محمد بن جرير الطبري يتخير المتوضئ بين المسح على الخفين وبين غسل الرجلين.

وذهب عامة أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم إلى وجوب غسل الرجلين، وقالوا:

(١) أخرجه مسلم في الطهارة، باب المسح على الناصية والعمامة برقم (٢٧٥): ٢٣١/١، والمصنف في شرح السنة: ٤٥١/١.

خفض اللّام في الأرجل على مجاورة اللفظ لا على موافقة الحكم، كما قال تبارك وتعالى: «عذاب يوم أليم»، فالأليم صفة العذاب، ولكنه أخذ إعراب اليوم للمجاورة، وكقولهم: جُحِرُ ضِبٌّ خَرِبٌ، فالخرب نعت للجحر، وأخذ إعراب الضب للمجاورة.

والدليل على وجوب غسل الرجلين: ما أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي الخطيب أنا أبو عبدالله الحافظ أنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب أنا يحيى بن محمد بن يحيى أنا الحجبي ومسدد قالوا: أخبرنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك عن عبدالله بن عمرو قال: «تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفر سافرناه فأدركنا وقد أرهقنا الصلاة صلاة العصر، ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فننادانا بأعلى صوته: «وَيْلٌ لِّلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ»^(١).

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل حدثنا عبدان أنا عبدالله أنا معمر حدثني الزهري عن عطاء بن يزيد عن حمران مولى عثمان قال: «رأيتُ عثمان رضي الله عنه توضأ فأفرغ على يديه ثلاثاً ثم مضمض واستنشق واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً، ثم غسل يده اليسرى إلى المرفق ثلاثاً، ثم مسح رأسه، ثم غسل رجله اليمنى ثلاثاً ثم اليسرى ثلاثاً، ثم قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قال: من توضأ وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدثُ نفسه فيهما بشيء غفر الله له ما تقدّم من ذنبه»^(٢).

وقال بعضهم: أراد بقوله ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾ المسح على الخفين كما روي «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَكَعَ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رِكَبَتَيْهِ»^(٣) وليس المراد منه أنه لم يكن بينهما حائل، ويُقال: قَبَّلَ فلانَ رَأْسَ الأَمِيرِ وَيَدَهُ، وَإِنْ كَانَتِ العِمَامَةُ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَدُهُ فِي كَمِهِ.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو نعيم أنا زكريا عن عامر عن عروة بن المغيرة عن أبيه رضي الله عنهما قال: «كُنْتُ مَعَ

(١) أخرجه البخاري في العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه: ١٨٩/١، ومسلم في الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكاملهما، برقم (٢٤١/٢١٤)، والمصنف في شرح السنة: ٤٢٨/١.

(٢) أخرجه البخاري في الوضوء، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً: ٢٥٩/١، وفي الصوم، باب سواك الرطب واليابس: ١٥٨/٤، ومسلم في الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله برقم (٢٢٦): ٢٠٥/١.

(٣) أخرجه البخاري في الأذان، باب سنة الجلوس في التشهد: ٣٠٥/٢، وانظر: مسلم في المساجد، باب الندب إلى وضع الأيدي على الركب في الركوع ونسخ التطبيق برقم (٥٣٤ - ٥٣٥): ٣٧٩/١ - ٣٨٠.

النبي ﷺ ذات ليلة في سفر فقال: «أمعك ماء» فقلت: نعم، فنزل عن راحته فمشى حتى توارى عني في سواد الليل، ثم جاء فأفرغتُ عليه من الإداوة فغسل وجهه ويديه، وعليه جبة من صوف فلم يستطع أن يُخرج ذراعيه منها حتى أخرجهما من أسفل الجبة فغسل ذراعيه، ثم مسح برأسه، ثم أهويتُ لأنزع خفيه فقال: «دعُهما فإني أدخلتهما طاهرتين»، فمسح عليهما^(١).

قوله تعالى: ﴿إلى الكعيبين﴾ فالكعبان هما العظمان الناتان من جانبي القدمين، وهما مجتمع مفصل الساق والقدم، فيجب غسلهما مع القدمين كما ذكرنا في المرفقين.

وفرائض الوضوء: غسل الأعضاء الثلاثة كما ذكر الله تعالى، ومسح الرأس، واختلف أهل العلم في وجوب النية: فذهب أكثرهم إلى وجوبها لأن الوضوء عبادة فيفتقر إلى النية كسائر العبادات، وذهب بعضهم إلى أنها غير واجبة وهو قول الثوري وأصحاب الرأي.

واختلفوا في وجوب الترتيب، وهو أن يغسل أعضائه على الولاء كما ذكر الله تبارك وتعالى: فذهب جماعة إلى وجوبه، وهو قول مالك والشافعي وأحمد وإسحاق رحمهم الله، ويروى ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه.

واحتج الشافعي بقول الله تعالى: «إن الصفا والمروة من شعائر الله»، (سورة البقرة، ١٥٨). وبدأ النبي ﷺ بالصفا، وقال: «نبدأ بما بدأ الله به»^(٢)، وكذلك ههنا بدأ الله تعالى بذكر غسل الوجه فيجب علينا أن نبدأ فعلاً بما بدأ الله تعالى به ذكراً.

وذهب جماعة إلى أن الترتيب/ سنة، وقالوا: الواوات المذكورة في الآية للجمع لا للترتيب كما قال الله تعالى: «إنما الصدقات للفقراء والمساكين» الآية (سورة التوبة، ٦٠)، واتفقوا على أنه لا تجب مراعاة الترتيب في صرف الصدقات إلى أهل السهمان، ومن أوجب الترتيب أجاب بأنه لم يُنقل عن النبي ﷺ أنه راعى الترتيب بين أهل السهمان، وفي الوضوء لم ينقل أنه توضعاً إلا مرتباً كما ذكر الله تعالى، وبيان الكتاب يُؤخذ من السنة كما قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا» (سورة الحج، ٧٧)، لما قدم ذكر الركوع على السجود، ولم ينقل عن النبي ﷺ أنه فعل إلا كذلك

(١) أخرجه البخاري في اللباس، باب لبس جبة الصوف في الغزو: ١٠/٢٦٨-٢٦٩، ومسلم في الطهارة، باب المسح على الخفين، برقم (٢٧٤): ١/٢٣٠. والمصنف في شرح السنة: ٤٥٥/١.

(٢) أخرجه مسلم في الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم؛ برقم (١٢١٨): ٢/٨٨٨-٨٨٦، وهو قطعة من حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ «أبدأ بما بدأ...»، والمصنف في شرح السنة: ١٣٦/٧.

فكان مراعاة الترتيب فيه واجبة، كذلك الترتيب هنا.

قوله عز وجل: ﴿وإن كنتم جنباً فاطهروا﴾، أي: اغتسلوا. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه، ثم توضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره، ثم يصب على رأسه ثلاث غرفات بيديه، ثم يفيض الماء على جلده كله»^(١).

قوله تعالى: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾، فيه دليل على أنه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب، ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم﴾، بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم، ﴿من حرج﴾، ضيق، ﴿ولكن يريد ليطهركم﴾، من الأحداث والجنابات والذنوب، ﴿وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾. قال محمد بن كعب القرظي: إتمام النعمة تكفير الخطايا بالوضوء كما قال الله تعالى: «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» (سورة الفتح، ٢)، فجعل تمام نعمته غفران ذنوبه.

أخبرنا أبو الحسن عبد الوهاب بن محمد الكسائي أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن حمران: أن عثمان توضأ بالمقاعد ثلاثاً ثلاثاً ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من توضأ وضوئي هذا خرجت خطايا من وجهه ويديه ورجليه»^(٢).

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن حمران مولى عثمان: أن عثمان بن عفان رضي الله عنه جلس على المقاعد يوماً فجاءه المؤذن فأذنه بصلاة العصر فدعا بماء فتوضأ، ثم قال: والله لأحدثنكم حديثاً لولا

(١) أخرجه البخاري في الغسل، باب الوضوء قبل الغسل: ٣٦٠/١، ومسلم في الحيض، باب صفة غسل الجنابة، برقم (٣١٦): ٢٥٣-٢٥٤، والمصنف في شرح السنة: ١٠/٢.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الشافعي في المسند: ٣١/١ (ترتيب المسند)، وأخرجه البخاري في الوضوء، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً: ٢٥٩/١ بلفظ «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيها نفسه - غفر له ما تقدم من ذنبه» ومسلم في الطهارة، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء، برقم (٢٤٥): ٢١٦/١ بلفظ: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطايا من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره». وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٢٤/١.

وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ
شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ٱلَّذِينَ ءَاتَقَدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ
أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ءَوَٰجِرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

آية في كتاب الله ما حدثتكموه، ثم قال إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما من امرئٍ [مسلم]»^(١) يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يصلي الصلاة إلا غُفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى حتى يصلها» قال مالك: أراه يريد هذه الآية ﴿أقم الصلاة لذكركي﴾^(٢)، ورواه ابن شهاب^(٣)، وقال عروة: الآية «إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات» (سورة البقرة، ١٥٩).

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا يحيى بن بكير أنا الليث عن خالد عن سعيد بن أبي هلال عن نعيم المُجمِر قال رقيت مع أبي هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد، فتوضأ قال: إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن أمتي يُدعون يومَ القيامة غُرّاً محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع أن يطيل منكم غُرتَه فليفعل»^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، يعني: النعم كلها، ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾، عهده الذي عاهدكم به أيها المؤمنون، ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ وذلك حين بايعوا رسولَ الله ﷺ على السمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا، هذا قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد ومقاتل: يعني الميثاق الذي أخذ عليهم حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، بما في القلوب من خير وشر.

(١) ليست في «ب».

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الطهارة، باب جامع الوضوء: ٣٠/١-٣١.

(٣) أخرجه البخاري في الوضوء، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً: ٢٠٦/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٢٥/١.

(٤) أخرجه البخاري في الوضوء، باب فضل الوضوء والغر المحجلين من آثار الوضوء: ٢٣٥/١، ومسلم في الطهارة، باب استحباب إطالة

الغرة والتحجيل في الوضوء، برقم (٢٤٦): ٢١٦/١، والمصنف في شرح السنة: ٤٢٥/١.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ
أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط﴾ ، أي : كونوا قائمين بالعدل [قوالين] ﴿بالصدق﴾ ، أمرهم بالعدل والصدق في أفعالهم وأقوالهم ، ﴿ولا يجرمنكم﴾ ، يحملنكم ، ﴿شئان قوم﴾ ، بغض قوم ، ﴿على أن لا تعدلوا﴾ ، أي : على ترك العدل فيهم لعداوتهم . ثم قال : ﴿اعدلوا﴾ ، يعني : في أوليائكم وأعدائكم ، ﴿هو أقرب للتقوى﴾ ، يعني : إلى التقوى ، ﴿واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ .

﴿وعَدَّ الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ ، وهذا في موضع النصب ، لأن فعل الوعد واقع على المغفرة ، ورفعها على تقدير أي : وقال لهم مغفرة وأجر عظيم .

﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾ .

قوله عز وجل : ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم﴾ ، بالدفع عنكم ، ﴿إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾ بالقتل .

قال قتادة : نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ ببطن نخل فأراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا به وبأصحابه إذا اشتغلوا بالصلاة فأطلع الله تبارك وتعالى نبيه على ذلك ، وأنزل الله صلاة الخوف^(١) .

وقال الحسن : كان النبي ﷺ محاصراً غطفان بنخل ، فقال رجل من المشركين : هل لكم في أن أقتل محمداً؟ قالوا : وكيف تقتله؟ قال : أفتك به ، قالوا : وددا أنك قد فعلت ذلك ، فأتى النبي ﷺ والنبي ﷺ متقلداً سيفه ، فقال : يا محمد أرني سيفك فأعطاه إياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر مرة إلى السيف ومرة إلى النبي ﷺ ، وقال : من يمنعك مني يا محمد؟ قال : الله ، فتهدهه أصحاب رسول الله ﷺ فشام السيف ومضى ، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٢) .

(١) في «ب» : (قائلين) .

(٢) أخرجه الطبري عن قتادة : ١٤٦/٦ (طبعة الحلبي) ، وعزه السيوطي أيضاً لعبد بن حميد ، انظر : الدر المنثور : ٣٨/٣ .

(٣) انظر : الطبري : ١٤٦/٦ ، أسباب النزول للواحدي ص (٢٢٣-٢٢٤) . سيرة ابن هشام : ٢٠٥-٢٠٦/٣ ، الدر المنثور : ٣٦/٣ .

وقال مجاهد وعكرمة والكلبي وابن يسار عن رجاله: بعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو الساعدي، وهو أحد النقباء ليلة العقبة، في ثلاثين راكباً من المهاجرين والأنصار إلى بني عامر بن صعصعة، فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بئر معونة، وهي من مياه بني عامر، فاقتتلوا، فقتل المنذر بن عمرو وأصحابه إلا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم، أحدهم عمرو بن أمية الضمري، فلم يرعهم إلا الطير تحوم في السماء، يسقط من بين خراطيمها علق الدم، فقال أحد نفر: قتل أصحابنا، ثم تولى يشتد حتى لقي رجلاً فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع [رأسه] (١) إلى السماء وفتح عينيه وقال: الله أكبر الجنة ورب العالمين، فرجع أصحابه فلقيا رجلين من بني سليم وكان بين النبي ﷺ وبين قومهما موادة، فانتسبا لهما إلى بني عامر فقتلاههما وقدم قومهما إلى النبي ﷺ يطلبون الدية، فخرج ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم، حتى دخلوا على كعب بن الأشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما، وكانوا قد عاهدوا النبي ﷺ على ترك القتال وعلى أن يعينوه في الديات، قالوا: نعم يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي سألته /، فجلس رسول الله ﷺ وأصحابه، فخلا بعضهم ببعض وقالوا: إنكم لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه؟ فقال عمر بن جحاش: أنا، فجاء إلى رحي عظيمة ليطرحها عليه فأمسك الله تعالى يده وجاء جبريل وأخبره، فخرج النبي ﷺ راجعاً إلى المدينة ثم دعا علياً فقال: لا تبرح مقامك، فمن خرج عليك من أصحابي فسألك عني فقل: توجه إلى المدينة، ففعل ذلك علي رضي الله عنه حتى تناهوا إليه ثم تبعوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال: ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٢).

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾، وذلك أن الله عز وجل وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الأرض المقدسة وهي الشام، وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون، فلما استقرت لبني إسرائيل الدار بمصر أمرهم الله تعالى بالسير إلى أريحاء من أرض الشام وهي الأرض المقدسة، وكانت لها ألف قرية في كل قرية ألف بستان، وقال: ياموسى إنني كتبتها لكم داراً وقراراً فاخرج إليها وجاهد من فيها من العدو فإنني ناصرك عليهم، وخذ من قومك اثني عشر نقيباً

(١) في (ب): (طرفه).

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٤٥/٦ (طبع الحلبي)، أسباب النزول للواحدي ص(٢٢٤-٢٢٥)، الدر المنثور للسيوطي: ٣/٢٧-٢٨، سيرة

ابن هشام: ٥٦٣/٢.

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ
 اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي
 وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
 وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
 مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾

من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء منهم على ما أمروا به، فاختر موسى النقيب وسار موسى
 ببني إسرائيل حتى قربوا من أريحاء فبعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الأخبار ويعلمون علمها، فلقبهم
 رجل من الجبابرة يقال له عوج بن عنق، وكان طوله ثلاثة آلاف وثلثمائة وثلاث وثلاثين ذراعاً وثلث
 ذراع، وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه
 إليها ثم يأكله. ويروى أن الماء طبق ما على الأرض من جبل وما جاوز ركبتى عوج وعاش ثلاثة آلاف
 سنة حتى أهلكه الله على يدي موسى عليه السلام، وذلك أنه جاء [وقلع] (١) صخرة من الجبل على
 قدر عسكر موسى عليه السلام، وكان فرسخاً في فرسخ، وحملها ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد
 فقور الصخرة بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعته، فأقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله، وكانت
 أمه [عنق] (٢) إحدى بنات آدم وكان مجلسها [جريباً] (٣) من الأرض، فلما لقي عوج النقيب وعلى رأسه
 حزمة من حطب أخذ الاثني عشر وجعلهم في حجزته وانطلق بهم إلى امرأته، وقال انظري إلى هؤلاء
 الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا، وطرحهم بين يديها وقال: ألا أطحنهم برجلي؟ فقالت امرأته: لا
 بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا، ففعل ذلك (٤).

(١) في «أ»: (وقور).

(٢،٣) زيادة من «ب».

(٤) ذكر قصة عوج بن عنق هذه: الإمام الطبري في التفسير: ١٧٤/٦-١٧٥ (طبع الحلبي)، والسيوطي في الدر المنثور: ٤٨/٣-٤٩ وغيرهما من المفسرين. وهي من الروايات الإسرائيلية والخرافات التي دسها أعداء الإسلام وروجوا لها. وقد نقلها الحافظ ابن كثير رحمه الله عن الطبري وقال: «وفي هذا الإسناد نظره ثم نقل رواية ابن أبي حاتم وقال: «وهذا شيء يُستحى من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن». ثم ذكروا أن هذا الرجل كان كافراً وأنه ولد زنية، وأنه امتنع من ركوب سفينة نوح، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبتيه. وهذا كذب واقتراء. فإن الله تعالى ذكر أن نوحاً دعا على أهل الأرض من الكافرين، فقال: «رب لا تنر على الأرض من الكافرين ذياراً» وقال تعالى: =

فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ
عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا
إِنَّا نَصْرَىٰ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ
الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾

وروي أنه جعلهم في كُفِّه وأتى بهم إلى الملك فطرحهم^(١) بين يديه، فقال الملك: ارجعوا
فأخبروهم بما رأيتم، وكان لا يحمل عنقوداً من عنبهم إلا خمسة أنفس منهم في خشبة، ويدخل في
شطر الرمانه إذا نزع منها حبها خمسة أنفس، فرجع النقباء وجعلوا يتعرفون أحوالهم، وقال بعضهم
لبعض يا قوم: إنكم إن أخبرتم بني إسرائيل خبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكنموا، وأخبروا موسى
وهارون فيريان رأيهما وأخذ بعضهم على بعضهم الميثاق بذلك، ثم إنهم نكثوا العهد وجعل كل واحد

«فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون، ثم أغرقنا بعد الباقين»، وقال تعالى: «لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم»، وإذا كان ابن
نوح الكافر غرق فكيف يبقى عوج بن عتق وهو كافر وولد زنية؟ هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع. ثم في وجود رجل يقال له: عوج بن
عتق نظر، والله أعلم». تفسير ابن كثير: ٣٩/٢ طبعة دار الفكر، ١٤٠٠هـ.

وذكر ابن قَيِّم الجوزية رحمه الله هذه الرواية مثالا لما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه، ثم قال: «وليس العجب من جرأة
هذا الكذاب على الله، إنما العجب ممن يدخل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير وغيره، ولا يبين أمره، وهذا عندهم ليس من
ذرية نوح، وقد قال الله تعالى: «وجعلنا ذريته هم الباقين»، فأخبر أن كل من بقي على وجه الأرض من ذرية نوح، فلو كان لعوج - هذا
- وجود لم يبق بعد نوح... وأيضاً فإن بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وسمكها كذلك، وإذا كانت الشمس في السماء
الرابعة، فبيننا وبينها هذه المسافة العظيمة، فكيف يصل إليها طول ثلاثة آلاف ذراع، حتى يشوي في عينها الحوت؟
ولا ريب أن هذا وأمثاله من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا السخرية والاستهزاء بالرسول وأتباعهم». نقد المنقول أو: المنار
المنيف لابن القيم ص(٤٤-٤٥) وانظر: روح المعاني للالوسي: ٨٦/٦-٨٧، الفتاوى الحديبية لابن حجر الهيتمي ص(١٨٨)،
الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للشيخ محمد أبو شهبة، ص(٢٥٩-٢٦٢). البداية والنهاية لابن كثير: ٢٧٨/١.

(١) ساق من «ب».

منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى: إلا رجلاً فذلك قوله تعالى: «ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً».

﴿وقال الله إني معكم﴾، ناصركم على عدوكم، ثم ابتداء الكلام فقال: ﴿لئن أقمتم الصلاة﴾، يا معشر بني إسرائيل، ﴿وآتيتم الزكاة وأمتم برسلي وعزرتموهم﴾، نصرتموهم، وقيل: ووقرتموهم وعظمتموهم؛ ﴿وأقرضتم الله قرضاً حسناً﴾، قيل: هو إخراج الزكاة، وقيل: هو النفقة على الأهل، ﴿لأكفرن عنكم سيئاتكم﴾، لأمحون عنكم سيئاتكم، ﴿ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار، فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلّ سواء السبيل﴾، أي: أخطأ قصد السبيل، يريد طريق [الحق] (١)، وسواء كل شيء: وسطه.

﴿فبما نقضهم﴾ أي: فبنقضهم، و«ما» صلة، ﴿ميثاقهم﴾، قال قتادة: نقضوه من وجوه لأنهم كذبوا الرسل الذين جاؤوا بعد موسى وقتلوا أنبياء الله وبنذوا كتابه وضيعوا فرائضه، ﴿لعناهم﴾، قال [عطاء] (٢): أبعدناهم من رحمتنا، قال الحسن ومقاتل: عذبناهم بالمسخ، ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾، قرأ حمزة والكسائي قسية بتشديد الياء من غير ألف، وهما لغتان مثل الذاكية والذكية، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قاسية أي يابسة، وقيل: غليظة لا تلين، وقيل معناه: إن قلوبهم ليست بخالصة للإيمان بل إيمانهم مشوب بالكفر والنفاق، ومنه الدراهم القاسية وهي الردية المغشوشة.

﴿يُحرفون الكلم عن مواضعه﴾، قيل: هو تبديلهم نعت النبي ﷺ، وقيل: تحريفهم بسوء التأويل، ﴿ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾، أي: وتركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان نعته، ﴿ولا تزال﴾، [يا محمد] (٣)، ﴿تطلع على خائنة منهم﴾، أي: على خيانة، فاعلة بمعنى المصدر كالكاذبة والأاغية، وقيل: هو بمعنى الفاعل والهاء للمبالغة مثل [رواية] (٤) ونسابة وعلامة وحسابة، وقيل: على فرقة خائنة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: على خائنة أي: على معصية، وكانت خيانتهم نقضهم العهد ومظاهرهم المشركين على حرب رسول الله ﷺ وهمهم بقتله وسمه، ونحوهما من خياناتهم التي ظهرت، ﴿إلا قليلاً منهم﴾، لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم الذين أسلموا من أهل الكتاب، ﴿فاعف عنهم واصفح﴾، أي: أعرض عنهم ولا تتعرض لهم، ﴿إن

(١) في «ب»: (الجنة).

(٢) في «ب»: (قتادة).

(٣) ساقط من «ب».

(٤) في «ب»: (راوية).

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا
كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ
مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ
رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ
الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

الله يحبُّ المحسنين ﴿١٥﴾، وهذا منسوخ بآية السيف (١٦).

قوله عز وجل: ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم﴾، قيل: أراد بهم اليهود والنصارى
فاكتفى بذكر أحدهما، والصحيح أن الآية في النصارى خاصة لأنه قد تقدم ذكر اليهود، وقال
الحسن: فيه دليل على أنهم نصارى بتسميتهم لا بتسمية الله تعالى، أخذنا ميثاقهم في التوحيد
والنبوة، ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، بالأهواء
المختلفة والجدال في الدين، قال مجاهد وقتادة: يعني بين اليهود والنصارى، وقال قوم: هم
النصارى وحدهم صاروا فرقا منهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية، وكل فرقة تكفر الأخرى،
﴿وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون﴾ في الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿يا أهل الكتاب﴾، يريد: يا أهل الكتابين، ﴿قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا

(١) نقل هذا عن قتادة: الطبري في التفسير: ١٣٥/١٠. ثم رد القول بالنسخ بكلام نفيس قال فيه: «والذي قاله قتادة غير مدفوع إمكانه،
غير أن الناسخ الذي لا شك فيه من الأمر، هو ما كان نافيا كل معاني خلافه، الذي كان قبله.

فأما ما كان غير نافٍ جميعه، فلا سبيل إلى العلم بأنه ناسخ إلا بخبر من الله جل وعز، أو من رسوله صلى الله عليه وسلم، وليس في
قوله «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذي أوتوا الكتاب حتى يعطوا
الجزية عن يد وهم صاغرون» (التوبة) دلالة على الأمر بنفي معاني الصفح والعفو عن اليهود، وإذا كان ذلك كذلك - وكان جائزا مع إقرارهم =

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُل فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرْ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

مما كتتم تخفون من الكتاب ﴿﴾، أي: من التوراة والإنجيل مثل صفة محمد ﷺ وآية الرجم وغير ذلك، ﴿ويعفو عن كثير﴾، أي: يعرض عن كثير مما أخفيتم فلا يتعرض له ولا يؤاخذكم به، ﴿قد جاءكم من الله نور﴾، يعني: محمداً ﷺ، وقيل: الإسلام، ﴿وكتاب مبين﴾، أي: بين، وقيل: مبين وهو القرآن. ﴿يهدي به الله من أتبع رضوانه﴾، رضاه، ﴿سبل السلام﴾، قيل: السلام هو الله عز وجل، وسبيله دينه الذي شرع لعباده، وبعث به رسله، وقيل: السلام هو السلامة، كاللذاذ واللذاذة بمعنى واحد، والمراد به طرق السلامة، ﴿ويخرجهم من الظلمات إلى النور﴾، أي: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ﴿بإذنه﴾، بتوفيقه وهدايته، ﴿ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾، وهو الإسلام. 1/104

قوله عز وجل: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾، وهم اليعقوبية من النصارى يقولون المسيح هو الله تعالى، ﴿قل فمن يملك من الله شيئاً﴾، أي: من يقدر أن يدفع من أمر الله شيئاً إذا قضاه؟ ﴿إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير﴾.

قوله عز وجل: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾، قيل: أرادوا أن الله تعالى لنا كالأب في الحنو والعطف، ونحن كالأبناء له في القرب والمنزلة، وقال إبراهيم النخعي: إن اليهود وجدوا في التوراة يا أبناء أبحاري، فبدلوا يا أبناء أبحاري، فمن ذلك قالوا: نحن أبناء الله، وقيل: معناه نحن أبناء رسل الله.

بالصغار وأدائهم الجزية بعد القتال، الأمر بالعفو عنهم في غدره هموا بها، أو نكته عزموا عليها، ما لم يصيبوا حرباً دون أداء الجزية، ويمتنعوا من الأحكام اللازمة منهم - لم يكن واجبا أن يحكم لقوله «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر... الآية»، بأنه ناسخ قوله: «فاعف عنهم واصفح»، إن الله يحب المحسنين.

وقال الزركشي، رحمه الله، في كتابه «البرهان في علوم القرآن»: «ما لهج به كثير من المفسرين في الآيات الأربعة بالتخفيف من أنها منسوخة بآية السيف قول ضعيف، فهو من المنسأ - بضم الميم - بمعنى: أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما، لعله توجب ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، ليس بنسخ، إنما النسخ: الإزالة، حتى لا يجوز امتثاله أبداً... فليس حكم المسابقة ناسخاً لحكم المسالمة، بل كل منهما يجب امتثاله في وقته». انظر: البرهان للزركشي: ٤٣/٢-٤٤، علوم القرآن للدكتور عدنان محمد زرزور ص(٢١٠-٢١٢).

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا
 مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١﴾ وَإِذْ قَالَ
 مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ أَدْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا
 وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾ ، يريد إن كان الأمر كما زعمتم أنكم أبناءه وأحباؤه
 فإن الأب لا يعذب ولده، والحبیب لا يعذب حبيبه، وأنتم مقرون أنه معذبكم؟ وقيل : فلم يعذبكم
 أي : لمْ عَذَّب من قبلكم بذنوبهم فمسخهم قرده وخنازير؟ ﴿ بل أنتم بشرٌ ممن خلق ﴾ ، كسائر بني
 آدم مجزيون بالإساءة والإحسان، ﴿ يغفر لمن يشاء ﴾ فضلاً، ﴿ ويعذب من يشاء ﴾ ، عدلاً، ﴿ والله
 مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ .

قوله عز وجل : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾ ، محمد ﷺ ، ﴿ يُبَيِّنُ لَكُمْ ﴾ أعلام الهدى
 وشرائع الدين ، ﴿ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ ﴾ أي انقطاع من الرسل .

واختلفوا في مدة الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ ، قال أبو عثمان النهدي : ستمائة
 سنة، وقال قتادة : خمسمائة وستون سنة، وقال معمر والكلبي : خمسمائة وأربعون سنة^(١) ، وسُميت
 فترة لأن الرسل كانت تترى بعد موسى عليه السلام من غير انقطاع إلى زمن عيسى عليه السلام، ولم
 يكن بعد عيسى عليه السلام سوى رسولنا ﷺ . ﴿ أَنْ تَقُولُوا ﴾ ، كيلا تقولوا، ﴿ مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا
 نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

(١) قال الحافظ ابن كثير، رحمه الله في التفسير: ٣٦/٢ بعد أن ذكر نحوه مما قاله البغوي: « . . وقال الضحاك: أربعمائة وبضع وثلاثون سنة. وذكر ابن عساکر في ترجمة عيسى عليه السلام، عن الشعبي، أنه قال: ومن رفع المسيح إلى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة.

والمشهور: هو القول الأول، وهو أنها ستمائة سنة. ومنهم من يقول: ستمائة وعشرون سنة. ولا منافاة بينهما؛ فإن القائل الأول أراد: ستمائة سنة شمسية، والآخر أراد قمرية، وبين كل مائة سنة شمسية وبين القمرية نحو من ثلاث سنين. ولهذا قال تعالى في قصة أهل الكهف: «وليثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا» أي: قمرية، لتكميل ثلاثمائة الشمسية، التي كانت معلومة لأهل الكتاب. وكانت الفترة بين عيسى بن مريم آخر أنبياء بني إسرائيل وبين محمد خاتم النبيين على الإطلاق كما ثبت في صحيح البخاري. أي إن زمن الفترة وهي المدة الزمنية التي لم يبعث فيها رسول، هي ما بين عيسى وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

يَقَوْمٌ أَدْخَلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا
خَاسِرِينَ ﴿٢٤﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدَخُلُهَا حَتَّىٰ يُخْرِجُوا مِنهَا
فَإِن يُخْرِجُوا مِنهَا فَإِنَّا نَادَاؤُنَا دَاخِلُونَ ﴿٢٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء﴾،
[أي: منكم أنبياء] ﴿وجعلكم ملوكاً﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني أصحاب خدم
وحشم، قال قتادة: كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم. ورؤي عن أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب
ملكاً»^(١).

وقال أبو عبد الرحمن الجُبَلِيُّ: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص، وسأله رجل فقال: ألسنا
من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنه؟
قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإن لي خادماً، قال: فأنت من المملوك^(٢).

قال السدي: وجعلكم ملوكاً أحراراً تملكون أمر أنفسكم بعدما كتتم في أيدي القبط
يستعبدونكم، قال الضحاك: كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية فمن كان مسكنه واسعاً وفيه ماء جارٍ
فهو ملك ﴿وأتاكم ما لم يُؤتِ أحدًا من العالمين﴾، يعني عالمي زمانكم، قال مجاهد: يعني المن
والسُلُوى والحَجَر وتظليل الغمام.

قوله تعالى: ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم﴾، اختلفوا في الأرض
المقدسة، قال مجاهد: هي الطور وما حوله، وقال الضحاك: إيليا وبيت المقدس، وقال عكرمة
والسدي: هي أريحاء، وقال الكلبي: هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وقال قتادة: هي الشام

(١) ساقط من «ب».

(٢) عزاه السيوطي لابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري، (الدر المنثور: ٤٦/٣)، وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير: ٣٨/٢ وقال:
حديث غريب من هذا الوجه.
والحديث فيه: ابن لهيعة: صدوق من السابعة، خلط بعد احتراق كتبه، ودراج بن أبي السمح: صدوق في حديثه عن أبي الهيثم
ضعف. (التقريب).

(٣) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق، برقم (٢٩٧٩): ٤/٢٢٨٥.

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا
دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

كلها، قال كعب: وجدت في كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله في أرضه [وبها أكثر] (١) عباده.

قوله عز وجل ﴿كتب الله لكم﴾ يعني: كتب في اللوح المحفوظ أنها مساكن لكم، وقال ابن إسحاق: وهب الله لكم، وقيل: جعلها لكم، وقال السدي: أمركم الله بدخولها، [وقال قتادة] (٢): أمروا بها كما أمروا بالصلاة، أي: فرض عليكم. ﴿ولا تتردوا على أديباركم﴾، أعقابكم بخلاف أمر الله، ﴿فتنقلبوا خاسرين﴾، قال الكلبي: سعد إبراهيم عليه السلام جبل لبنان فقيل له: انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك.

﴿قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين﴾، وذلك أن النقباء الذين خرجوا يتجسسون الأخبار لما رجعوا إلى موسى وأخبروه بما عاينوا، قال لهم موسى: اكتبوا شأنهم ولا تخبروا به أحداً من أهل العسكر فيفسلوا، فأخبر كل رجل منهم قريبه وابن عمه إلا رجلين وفيما قال لهما موسى، أحدهما يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف عليهم السلام فتى موسى، والآخر كالب بن يوقنا ختن موسى عليه السلام على أخته مريم بنت عمران، وكان من سبط يهود وهما من النقباء فعلمت جماعة من بني إسرائيل ذلك ورفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ياليتنا في أرض مصر، وليتنا نموت في هذه [البرية] (٣) ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأثقالنا غنيمَةً لهم، وجعل الرجل يقول لصاحبه: تعال نجعل علينا رأساً وننصرف إلى مصر، فذلك قوله تعالى إخباراً عنهم ﴿قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون﴾، أصل الجبار: المتعظم الممتنع عن القهر، يقال: نخلة جبارة إذا كانت طويلة ممتنعة عن وصول الأيدي إليها، وسمي أولئك القوم جبارين لامتناعهم بطولهم وقوة أجسادهم، وكانوا من العمالقة وبقية قوم عاد، فلما قال بنو إسرائيل ما قالوا وهبوا بالانصراف إلى مصر خرب موسى وهارون ساجدين، وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان أخبر الله تعالى عنهما في قوله تعالى:

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾، أي: يخافون الله تعالى، قرأ سعيد بن جبير «يخافون»

(١) في «ب»: (وبها كنزه من عباده).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) في «ب»: (التربة).

قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّ لَكَ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا
 هَهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
 الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ
 فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾

بضم الياء، وقال: الرجلان كانا من الجبارين فأسلما واتبعا موسى، ﴿أنعم الله عليهما﴾ بالتوفيق
 والعصمة قالوا: ﴿ادخلوا عليهم الباب﴾، يعني: قرية الجبارين، ﴿فإذا دخلتموه فإنكم غالبون﴾،
 لأن الله تعالى منجز وعده، وإنا رأيناهم وأجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة، فلا تخشوهم، ﴿وعلى
 الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾، فأراد بنو إسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصوهما.

﴿قالوا يا موسى إننا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾.
 أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن
 إسماعيل أنا أبو نعيم أنا إسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال سمعت ابن مسعود يقول: لقد
 شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به، أتى النبي ﷺ وهو
 يدعو على المشركين، فقال: لانقول كما قال قوم موسى عليه السلام: «اذهب أنت وربك فقاتلا»،
 ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك ومن خلفك، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره ما
 قال^(١). فلما فعلت بنو إسرائيل ما فعلت من مخالفتهم أمر ربهم وهمهم بيوشع وكالب غضب موسى
 عليه السلام ودعا عليهم:

﴿قال ربّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي﴾ [قيل: معناه وأخي / لا يملك إلا نفسه، وقيل: معناه
 لا يطيعني إلا نفسي وأخي]^(٢) ﴿فأفرق﴾، فافصل، ﴿بيننا﴾، قيل: فاقض بيننا، ﴿وبين القوم
 الفاسقين﴾، العاصين.

﴿قال﴾، الله تعالى ﴿فإنها محرمة عليهم﴾، قيل: هاهنا تم الكلام معناه تلك البلدة محرمة

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب قول الله تعالى «إذ تستغيثون ربكم...» ٢٨٧/٧.

(٢) ساقط من «ب».

عليهم أبداً لم يرد به تحريم تعبد، وإنما أراد تحريم منع، فأوحى الله تعالى إلى موسى: [بي حلفت]^(١) لأحرمن عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب، ولأتيههم في هذه البرية ﴿أربعين سنة﴾، [يتيهون]^(٢) مكان كل يوم من الأيام التي تحبسون فيها سنة، ولألقين جيفهم في هذه القفار، وأما بنوهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها، فذلك قوله تعالى: ﴿فإنها محرمة عليهم أربعين سنة﴾، ﴿يتيهون﴾، يتحIRON، ﴿في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾، أي: لا تحزن على مثل هؤلاء القوم، فلبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ وهم ستمائة ألف مقاتل، وكانوا يسيرون كل يوم جادين فإذا أمسوا كانوا في الموضع الذي ارتحلوا عنه.

وقيل: إن موسى وهارون عليهما السلام لم يكونا فيهم، والأصح أنهما كانا فيهم ولم يكن لهما عقوبة إنما كانت العقوبة لأولئك القوم، ومات في التيه كل من دخلها ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع وكالب، ولم يدخل أريحاء أحد ممن قالوا إنا لن ندخلها أبداً فلما هلكوا وانقضت الأربعون سنة، ونشأت النواشيء من ذراريهم ساروا إلى حرب الجبارين.

واختلفوا فيمن تولى تلك الحرب وعلى يدي من كان الفتح، فقال قوم: إنما فتح موسى أريحاء وكان يوشع على مقدمته، فسار موسى عليه السلام إليهم فيمن بقي من بني إسرائيل، فدخلها يوشع فقاتل الجبارة ثم دخلها موسى عليه السلام فأقام فيها ماشاء الله تعالى، ثم قبضه الله تعالى إليه، ولا يعلم قبره أحد، وهذا أصح الأقاويل لاتفاق العلماء أن عوج بن عنق قتله موسى عليه السلام.

وقال الآخرون: إنما قاتل الجبارين يوشع ولم يسر إليهم إلا بعد موت موسى عليه السلام، [وقالوا: مات موسى]^(٣) وهارون جميعاً في التيه.

(١) زيادة من «ب».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) ساقط من «ب».

﴿فصل في ذكر وفاة هارون﴾

قال السدي: أوحى الله عز وجل إلى موسى أني متوفي هارون فأنت به جبل كذا وكذا، فانطلق موسى وهارون عليهما السلام نحو ذلك الجبل فإذا هما بشجرة لم ير مثلها وإذا بيت مبني وفيه سرير عليه فرش وإذا فيه ريح طيبة، فلما نظر هارون إلى ذلك أعجبه، فقال: ياموسى إني أحب أن أنام على هذا السرير قال: فم عليه، فقال: إني أخاف أن يأتي ربُّ هذا البيت فيغضب عليّ، قال له موسى: لا ترهب إني أكفيك أمر ربِّ هذا البيت فم، قال: ياموسى نم أنت معي فإن جاء ربُّ البيت غضب عليّ وعليك جميعاً فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجد منيته قال: ياموسى خدعتني، فلما قبض رفع البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به إلى السماء، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل وليس معه هارون قالوا: إن موسى قتل هارون وحسده لحب بني إسرائيل له، فقال موسى عليه السلام: ويحكم كان أخي فكيف أقتله، فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى ونزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: صعد موسى وهارون عليهما السلام الجبل فمات هارون [وبقي موسى] (١)، فقالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام أنت قتلته فأذوه فأمر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بني إسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو إسرائيل أنه قد مات، فبرأه الله تعالى ممّا قالوا، ثم إن الملائكة حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره أحد إلا الرخم فجعله الله أصم وأبكم.

وقال عمر بن ميمون: مات هارون قبل موت موسى عليه السلام في التيه، وكانا قد خرجا إلى بعض الكهوف فمات هارون ودفنه موسى وانصرف إلى بني إسرائيل، فقالوا: قتلته لحبنا إياه، وكان محبباً في بني إسرائيل، فتضرع موسى عليه السلام إلى ربه عز وجل فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى قبره فأني باعته، فانطلق بهم إلى قبره [فناداه موسى] (٢) فخرج من قبره ينفخ رأسه، فقال: أنا قتلْتُك؟ قال: لا ولكني مت، قال: فعد إلى مضجعك، وانصرفوا.

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب»: «فنادى: يا هارون».

وأما وفاة موسى عليه السلام، قال ابن إسحاق: كان موسى عليه الصلاة والسلام قد كره الموت وأعظمه فأراد الله أن يحبب إليه الموت، فنبأ يوشع بن نون فكان يغدو ويروح عليه، قال: فيقول له موسى عليه السلام يا نبي الله ما أحدث الله إليك؟ [فيقول له يوشع: يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة، فهل كنت أسألك شيئاً مما أحدث الله إليك] (١) حتى تكون أنت الذي تبتدىء به وتذكره؟ ولا يذكر له شيئاً، فلما رأى ذلك كره موسى الحياة وأحب الموت.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبدالرزاق أنا معمر عن همام بن منبه قال: أخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جاء ملك الموت إلى موسى بن عمران، فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقاها، قال: فرجع ملك الموت إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقا عيني قال فرد الله إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبي فقل له: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما وارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب، رب أدني من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال رسول الله ﷺ: «والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جنب الطريق عند الكثيب الأحمر» (٢).

وقال وهب: خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبراً لم ير شيئاً قط أحسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة، فقال لهم: ياملائكة الله لم تحفرون هذا القبر؟ قالوا: لعبد كريم على ربه، فقال: إن هذا العبد من الله لهو بمنزلة ما رأيت كالיום مضجعاً قط، فقالت الملائكة: يا صفي الله تحب أن يكون لك؟ قال: وددت، قالوا: فانزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك، قال: فاضطجع فيه وتوجه إلى ربه ثم تنفس أسهل تنفس فقبض الله تبارك وتعالى روحه، ثم سوت عليه الملائكة.

وقيل: إن ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه.

وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام وانقضت الأربعون سنة بعث

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة: ٢٠٦/٣، وفي الأنبياء، وأخرجه مسلم في الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، برقم (٢٣٧٣): ١٨٤٣/٤، واللفظ له. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٦٥/٥.

﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبِلْ مِنَ الْآخِرِ قَالَ لَاقِنَّاكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾

الله يوشع نبياً فأخبرهم أن الله قد أمره بقتال الجبابرة، فصدقوه وتابعوه فتوجه بيني إسرائيل إلى أريحاء ومعه تابوت الميثاق، فأحاط بمدينة أريحاء ستة أشهر، فلما كان السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة، ودخلوا فقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم، وكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضرّبونها حتى يقطعوها، فكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت، فقال: اللهم أردد الشمس عليّ وقال للشمس: إنك في طاعة الله سبحانه وتعالى وأنا في طاعته فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله تعالى قبل دخول السبت، فردت عليه الشمس وزيدت في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين، وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم أحداً وثلاثين ملكاً حتى غلب على جميع أرض الشام، وصارت الشام كلها لبني إسرائيل وفرق عماله في نواحيها/ وجمع الغنائم، فلم تنزل النار، فأوحى الله إلى يوشع أن فيها غلواً فمرهم فليبايعوا فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال: هلم ما عندك فأثاء برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجواهر كان قد غلّه، فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان، ثم مات يوشع ودفن في جبل أفرائيم، وكان عمره مائة وستاً وعشرين سنة، وتدبيره أمر بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام سبعاً وعشرين سنة.

قوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ﴾، وهما هايبيل وقابيل^(١)، ويقال له قابين، ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾، وكان سبب قربانهما على ما ذكره أهل العلم أن حواء كانت تلد لآدم عليه السلام في كل بطن غلاماً وجاريةً، وكان جميع ما ولدته أربعين ولداً في عشرين بطناً أولهم قابيل وتوأمته أقليما، وآخرهم عبدالمغيث وتوأمته أمة المغيث، ثم بارك الله عزّ وجلّ في نسل آدم عليه السلام، قال ابن عباس: لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفاً.

واختلفوا في مولد قابيل وهايبيل، فقال بعضهم: غشي آدم حواء بعد مهبطهما إلى الأرض بمائة سنة، فولدت له قابيل وتوأمته أقليما في بطن واحد، ثم ولدت هايبيل وتوأمته لبودا في بطن.

(١) هذه التسمية لابني آدم: «قابيل، هايبيل» إنما هي من نقل العلماء عن أهل الكتاب، لم يرد بها نص في القرآن، ولا جاءت في سنة ثابتة، فيما نعلم، فلا علينا أن لا نجزم بها ولا نرجحها، وإنما هي قول قيل. انظر: عمدة التفسير للشيخ أحمد شاکر: ١٢٣/٤.

وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول: إن آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة، فحملت فيها بقايل وتوأمته أقليما، فلم تجد عليهما وحماً ولا وصباً ولا طلقاً حتى ولدتهما، ولم تر معهما دمًا فلما هبط إلى الأرض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته، فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم، وكان آدم إذا شبَّ أولاده يزوج غلام هذا البطن جارية بطن أخرى، فكان الرجل منهم يتزوج أية أخواته شاء إلا توأمته التي ولدت معه لأنه لم يكن يومئذ نساء إلا أخواتهم، فلما ولد قايل وتوأمته أقليما ثم هابيل وتوأمته لبودا، وكان بينهما سنتان في قول الكلبي وأدركو، أمر الله تعالى آدم عليه السلام أن ينكح قايل لبودا أخت هابيل وينكح هابيل أقليما أخت قايل، وكانت أخت قايل أحسن من أخت هابيل، فذكر ذلك آدم لولده فرضي هابيل وسخط قايل، وقال: هي أختي أنا أحق بها، ونحن من [ولادة]^(١) الجنة وهما من [ولادة]^(٢) الأرض، فقال له أبوه: إنها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك، وقال: إن الله لم يأمره بهذا وإنما هو من رأيه، فقال لهما آدم عليه السلام: فقربا قرباناً فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بها، وكانت القرايين إذا كانت مقبولة نزلت نار من السماء بيضاء فأكلتها، وإذا لم تكن مقبولة لم تنزل النار وأكلته الطير والسباع، فخرجا ليقربا [قرباناً]^(٣) وكان قايل صاحب زرع فقرب صبرة من الطعام من أردأ زرعه وأضمر في نفسه ما أبالي أيقبل مني أم لا، لا يتزوج أختي أبداً، وكان هابيل صاحب غنم فعمد إلى أحسن كبش في غنمه فقرب به وأضمر في نفسه رضا الله عزَّ وجلَّ فوضعا قربانهما أعلى الجبل، ثم دعا آدم عليه السلام فنزلت نار من السماء وأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قايل^(٤)، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾، [يعني هابيل]^(٥) ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾، يعني: قايل فنزلوا عن الجبل وقد غضب قايل لردِّ قربانه وكان يضمر الحسد في نفسه إلى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت، فلما غاب آدم أتى قايل هابيل وهو في غنمه، ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ قال: ولم؟ قال: لأن الله تعالى قبل قربانك وردَّ قرباني، وتنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الدميمة، فيتحدث الناس أنك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي، ﴿قَالَ﴾، هابيل: وما ذنبي؟ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

(١) في «ب»: (أولاد).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرج هذه القصة: الطبري في التفسير: ١٨٨/٦، (طبع الحلبي) وساق ابن كثير عدة روايات في ذلك تتفق في المعنى: ٤٢/٢-٤٤. وقال الشيخ أحمد محمد شاكر في عمدة التفسير: ١٢٤/٤ «هذا من قصص أهل الكتاب، ليس له أصل صحيح - ثم قد ساق الحافظ ابن كثير آثارا في هذا المعنى، مما امتلأت به كتب المفسرين» وعلق على رواية الطبري التي نقلها ابن كثير فقال: وهو خبر - كما ترى - ليس من السنة النبوية - بل ظاهره يدل على أنه مما أخذه ابن عباس من كتب أهل الكتاب.

(٤) ساقط من «ب».

لِيَنْبَسُطَ إِلَيْكَ يَدِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٩﴾ فَطَوَّعْتُ لَهُ نَفْسَهُ، قَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿٥٠﴾

﴿لئن بسطت﴾، أي: مددت، ﴿إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾، أي: أخاف الله رب العالمين، قال عبدالله بن عمر: وأيم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين ولكن منعه التحرج أن يبسط إلى أخيه يده، وهذا في شرع آدم جائز لمن أريد قتله أن ينقاد ويستسلم طلباً للأجر كما فعل عثمان رضي الله عنه، قال مجاهد: كتب عليهم في ذلك الوقت إذا أراد رجل قتل رجل أن لا يمتنع ويصبر.

﴿إني أريد أن تبوء﴾، ترجع، وقيل: تحتمل، ﴿بإثمي وإثمك﴾، أي: بإثم قتلي إلى إثمك، أي: إثم معاصيك التي عملت من قبل، هذا قول أكثر المفسرين. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: معناه إني أريد أن يكون عليك خطيئتي التي عملتها أنا إذا قتلتني وإثمك فتبوء بخطيئتي ودمي جميعاً، وقيل: معناه أن ترجع بإثم قتلي وإثم معصيتك التي لم يتقبل لأجلها قربانك، أو إثم حسدك.

فإن قيل: كيف قال إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك، وإرادة القتل والمعصية لا تجوز؟ قيل ليس ذلك بحقيقة إرادة ولكنه لما علم أنه يقتله لا محالة وطئن نفسه على الاستسلام طلباً للثواب فكانه صار مريداً لقتله مجازاً، وإن لم يكن مريداً حقيقة، وقيل: معناه إني أريد أن تبوء بعقاب قتلي فتكون إرادة صحيحة، لأنها موافقة لحكم الله عز وجل، فلا يكون هذا إرادة للقتل، بل لموجب القتل من الإثم والعقاب، ﴿فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين﴾.

قوله عز وجل: ﴿فطوَّعْتُ لَهُ نَفْسَهُ﴾، أي: طاووعته وشايعته وعاونته، ﴿قتل أخيه﴾، أي: في قتل أخيه، [وقال مجاهد: فشجعته، وقال قتادة: فزينت له نفسه، وقال يمان: سهلت له نفسه ذلك، أي: جعلته سهلاً] (١) تقديره: صوّرت له نفسه أن قتل أخيه طوع له أي سهل عليه، فقتله فلما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله، قال ابن جريج: فتمثل له إبليس وأخذ طيراً فوضع رأسه على حجر ثم شدخ رأسه بحجر آخر وقابيل ينظر إليه فعلمه القتل، فرضخ قابيل رأس هابيل بين

(١) ساقط من «ب».

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوَيْلَتَى
أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾

حجرين^(١)، قيل: قتل وهو مستسلم، وقيل: اغتاله وهو في النوم فشدخ رأسه فقتله، وذلك قوله تعالى: ﴿فقتله فأصبح من الخاسرين﴾، وكان لهاييل يوم قتل عشرون سنة.

واختلفوا في موضع قتله [قيل: بالبصرة في موضع المسجد الأعظم فأسودَّ جسم القاتل وسأله آدم عليه السلام عن أخيه فقال لم أكن عليه وكيلاً فقال: بل قتلته ولذلك أسودَّ جسدك، مكث آدم مائة سنة لم يضحك قط منذ قتله]^(٢).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: على جبل [ثور]^(٣) وقيل عند عقبة حراء، فلما قتله تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بني آدم، وقصدته السباع، فحملة في جراب على ظهره أربعين يوماً، وقال ابن عباس: سنة، حتى أروح، وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله، فبعث الله غرابين فاقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجله حتى مكن له ثم ألقاه في الحفرة وواراه، وقابيل ينظر إليه، فذلك قوله تعالى: /

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ﴾، فلما رأى قابيل ذلك قال ياويلتنا كلمة تحسر فقيل لما رأى الدفن من الغراب أنه أكبر علماً منه وأن ما فعله كان جهلاً فندم وتحسر ﴿قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأورى سوءة أخي﴾، أي: جيفته، وقيل: عورته لأنه كان قد سلب ثيابه، ﴿فأصبح من النادمين﴾، على حملة على عاتقه لا على قتله، وقيل: على فراق أخيه، وقيل: ندم لقلعة النفع بقتله فإنه أسخط والديه، وما انتفع بقتله شيئاً ولم يكن ندمه على القتل وركوب الذنب.

قال عبدالمطلب بن عبد الله بن حنطب: لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الأرض دمه كما يشرب الماء، فناداه الله أين أخوك هاييل؟ قال: ما أدري ما كنت عليه

(١) انظر: الطبري: ١٩٥/٦ (طبع الحلبي)، تفسير ابن كثير: ٤٦/٢.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) في «ب»: (فود).

رقيباً، فقال الله تعالى: إن دم أخيك لينادينني من الأرض، فلم قتلت أخاك؟ قال: فأين دمه إن كنتُ قتلته؟ فحرّم الله عزّ وجلّ على الأرض يومئذ أن تشرب دماً بعده أبداً.

وقال مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما قتل قابيل هاويل وآدم عليه السلام بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه، وأمرّ الماء واغبرت الأرض؛ فقال آدم عليه السلام: قد حدث في الأرض حدث، فأتي الهند فإذا قابيل قد قتل هاويل فأنشأ يقول وهو أول من قال الشعر:

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا * فَوَجَّهَ الْأَرْضَ مُغْبِرٌ قَبِيحٌ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي لَوْنٍ وَطَعْمٍ * وَقَلَّ بِشَاشَةُ الْوَجْهِ الصَّبِيحُ

وروي: المليح.

وروي عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من قال إن آدم عليه السلام قال شعراً فقد كذب، إن محمداً ﷺ والأنبياء كلهم عليهم السلام في النهي عن الشعر سواء، ولكن لما قتل قابيل هاويل رثاه آدم وهو سرياني، فلما قال آدم مرثيته قال لشيث: يا بني إنك وصي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرقّ الناس عليه، لم يزل ينقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان، وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو أول من خط بالعربية، وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فردّ المقدم إلى المؤخر والمؤخر إلى المقدم، فوزنه شعراً وزاد فيه أبيات منها:

ومالي لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة عليّ غمماً * فهل أنا من حياتي مستريح

فلما مضى من عمر آدم عليه السلام مائة وثلاثون سنة، وذلك بعد قتل هاويل بخمس سنين ولدت له حواء شيئاً، وتفسيره: هبة الله، يعني إنه خلف من هاويل علّمه الله تعالى ساعات الليل والنهار، وعلّمه عبادة الخلق في كل ساعة منها، وأنزل عليه خمسين صحيفة فصار وصي آدم وولي عهده، وأما قابيل فقيل له اذهب طريداً شريداً فزعاً مرعوباً لا تأمن من تراه، فأخذ بيد أخته إقليما وهرب بها إلى عدن من أرض اليمن، فأتاه إبليس فقال له إنما أكلت النار قربان هاويل لأنه كان يعبد النار فانصب أنت ناراً أيضاً تكون لك ولعقبك، فبنى بيتاً للنار فهو أول من عبد النار، وكان لا يمرّ به أحد إلا رماه، فأقبل ابن له أعمى ومعه ابن له، فقال ابنه: هذا أبوك قابيل، فرمى الأعمى أباه فقتله، فقال ابن الأعمى: قتلت أباك؟ فرفع يده فلطم ابنه، فمات فقال الأعمى: ويل لي قتلت أبي برميتي وقتلت ابني بلطمتي.

مَنْ أَجَلٍ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾

وقال مجاهد: فعلقت إحدى رجلي قاييل إلى فخذها وساقها وعلقت من يومئذ إلى يوم القيامة ووجهه إلى الشمس ما دارت عليه، في الصيف حظيرة من نار وفي الشتاء حظيرة من ثلج.

قال: واتخذ أولاد قاييل آلات اللهب من اليراع والطبول والمزامير والعيدان والطنابير، وانهمكوا في اللهب وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى غرقهم الله بالطوفان أيام نوح عليه السلام، وبقي نسل شيث.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الأعمش حدثني عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها لأنه أول من سنّ القتل»^(١).

قوله عزّ وجلّ: ﴿من أجل ذلك﴾، قرأ أبو جعفر من أجل بكسر النون موصولاً وقراءة العامة بجزم النون، أي: من جراء ذلك القاتل وجنابته، يقال: أجل يأجل أجلاً، إذا جنى، مثل أخذ يأخذ أخذاً، ﴿كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس﴾، قتلها فيقاد منه، ﴿أو فساد في الأرض﴾، يريد بغير نفس وبغير فساد في الأرض من كفر أو زنا أو قطع طريق، أو نحو ذلك ﴿فكأنما قتل الناس جميعاً﴾، اختلفوا في تأويلها، قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة: من قتل نبياً أو إماماً عدلاً فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن شدّ على عصبة نبيٍّ أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعاً. قال مجاهد: من قتل نفساً محرّمة يصلى النار بقتلها، كما يصلها لو قتل الناس جميعاً «ومن أحياها» من سلم من قتلها فقد سلم من قتل الناس جميعاً.

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب خلق آدم، صلوات الله عليه، وذريته: ٣٦٤/٦، وفي الديات، وفي الاعتصام.

وأخرجه مسلم في القسامة، باب بيان إثم من سنّ القتل، برقم (١٦٧٧) ١٣٠٣-١٣٠٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٣٤/١.

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾

قال قتادة: عظم الله أجرها وعظم وزرها، معناه من استحل قتل مسلم بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً في الإثم لأنهم لا يسلمون منه، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾، وتورع عن قتلها، ﴿فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ [في الثواب لسلامتهم منه. قال الحسن: فكأنما قتل الناس جميعاً^(١)، يعني: أنه يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعاً، ومن أحياها: أي غفي عن من وجب عليه القصاص له فلم يقتله فكأنما أحيا الناس جميعاً، قال سليمان بن علي قلت للحسن: يا أبا سعيد: هي لنا كما كانت لبني إسرائيل؟ قال: إي والذي لا إله غيره ما كانت دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا، ﴿ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون﴾.

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾، الآية. قال الضحاك: نزلت في قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وأفسدوا في الأرض^(٢).

وقال الكلبي: نزلت في قوم هلال بن عويمر، وذلك أن النبي ﷺ وأدع هلال بن عويمر وهو أبو بردة الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن مر بهلال بن عويمر إلى رسول الله ﷺ فهو آمن لا يهاج، فمر قوم من بني كنانة يريدون الإسلام بناس من أسلم من قوم هلال بن عويمر، ولم يكن هلال شاهداً [فشدوا]^(٣) عليهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضية فيهم، وقال سعيد بن جبير: نزلت في ناس من عُرَيْنَةَ وَعُكْلٍ أتوا النبي ﷺ وباعوه على الإسلام وهم كذبة فبعثهم النبي ﷺ إلى إبل الصدقة، فارتدوا وقتلوا الراعي / واستاقوا الإبل.

1/106

(١) زيادة من «ب».

(٢) أخرجه الطبري عن ابن عباس قال: كان من أهل الكتاب بينهم وبين النبي عهد... وأخرجه عن الضحاك قال: كان قوم بينهم وبين رسول الله ميثاق - ولم يذكر أنهم من أهل الكتاب. تفسير الطبري: ٢٠٦/٦ (طبع الحلبي) وعزاه السيوطي أيضاً لعبد بن حميد: الدر المنثور: ٦٩/٣.

(٣) في «ب»: (فهدوا إليهم).

[أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا علي بن عبدالله ثنا الوليد بن مسلم ثنا الأوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني أبو قلابة الجرمي^(١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم على النبي ﷺ نفر من عُكَل فأسلموا واجتووا المدينة فأمرهم [النبي ﷺ]^(٢) أن يأتوا إبِل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها، ففعلوا فصحوا فارتدوا وقتلوا رعاتها واستاقوا الإبل، فبعث النبي ﷺ في آثارهم، فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسَمَل أعينهم ثم لم يحسمهم حتى ماتوا.

ورواه أيوب عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه قال: فقطع أيديهم وأرجلهم ثم أمر بمسامير فكحلهم بها وطرحهم بالحرّة يستسقون فما يسقون حتى ماتوا، قال أبو قلابة: قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله وسعوا في الأرض فساداً^(٣) [وهو المراد من قوله تعالى: «ويسعون في الأرض فساداً»^(٤)].

واختلفوا في حكم هؤلاء العرنيين، فقال بعضهم: هي منسوخة لأن المثلة لا تجوز، وقال بعضهم: حكمه ثابت إلا السمل [والمثلة]^(٥)، وروى قتادة عن ابن سيرين أن ذلك كان قبل أن ينزل الحد^(٦) وقال أبو الزناد: فلما فعل رسول الله ﷺ ذلك بهم أنزل الله الحدود ونهاه عن المثلة فلم يعد.

وعن قتادة قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المثلة^(٧). وقال سليمان التيمي عن أنس: إنما سمل النبي ﷺ أعين أولئك لأنهم سملوا أعين الرعاة. وقال الليث بن سعد: نزلت هذه الآية معاتبة لرسول الله ﷺ وتعليماً منه إياه عقوبتهم، وقال: إنما جزاؤهم هذا لا المثلة، ولذلك ما قام النبي ﷺ خطيباً إلا نهى عن المثلة.

واختلفوا في المحاربين الذين يستحقون هذا الحد، فقال قوم: هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح، والمكابرون في الأمصار، وهو قول الأوزاعي ومالك والليث بن سعد والشافعي رحمهم الله.

(١) سقط الإسناد من هذا الموضع إلى نهاية ورقة (١٠٦) من نسخة الظاهرية.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه البخاري في المغازي، باب قصة عكل وعرينة: ٤٥٨/٧، وفي الحدود، ومسلم في القسامة، باب حكم المحاربين والمرتدين، برقم (١٦٧١): ١٢٩٦/٣-١٢٩٧. والمصنف في شرح السنة: ٢٥٦/١٠-٢٥٧.

(٤) ساقط من «ب».

(٥) ساقط من «ب».

(٦) في «ب»: (تنزل الحدود).

(٧) انظر: البخاري، كتاب المغازي: ٤٥٨/٧.

وقال قوم: المكابرون في الأمصار ليس لهم حكم المحاربين في استحقاق هذه الحدود وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه.

وعقوبة المحاربين ما ذكر الله سبحانه وتعالى: ﴿أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾، فذهب قوم إلى أن الإمام بالخيار في أمر المحاربين بين القتل والقطع والصلب، [والنفي]^(١) كما هو ظاهر الآية، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والنخعي ومجاهد.

وذهب الأكثرون إلى أن هذه العقوبات على ترتيب الجرائم لا على التخيير، [لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد عن صالح مولى التوأمة]^(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قطاع الطريق إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، فإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالاً نُفوا من الأرض^(٣).

وهو قول قتادة والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي رحمهم الله تعالى.

[وإذا قتل قاطع الطريق يُقتل]^(٤) حتماً حتى لا يسقط بعفو ولي الدم، وإذا أخذ من المال نصاباً وهو ربع دينار تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، وإذا قتل وأخذ المال يُقتل ويُصلب.

واختلفوا في كفيته: فظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه أنه يقتل ثم يصلب [حيّاً]^(٥) وقيل: يصلب حيّاً ثم يطعن حتى يموت مصلوباً، وهو قول الليث بن سعد، وقيل: يصلب ثلاثة أيام حيّاً ثم ينزل فيقتل، وإذا أخاف السبيل ينفي.

واختلفوا في النفي: فذهب قوم إلى أن الإمام يطلبه ففي كل بلدة يوجد بنفى عنه، وهو قول سعيد بن جبيرة وعمر بن عبد العزيز، وقيل: يطلب لتقام الحدود عليه، وهو قول ابن عباس والليث بن

(١) ساقط من «ب».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) أخرجه الشافعي في المسند: ٨٦/٢ (ترتيب المسند) وفي سننه: إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي، متروك. (التقريب).
وصالح مولى التوأمة، وهو صالح بن نبهان صدوق اختلط بأخرة (تقريب).

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٦١/١٠.

(٤) زيادة من «ب».

(٥) زيادة من «ب».

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٤﴾

سعد، وبه قال الشافعي، وقال أهل الكوفة: النفي هو الحبس، وهو نفي من الأرض، وقال محمد بن جرير: ينفي من بلده إلى غيره ويحبس في السجن [في البلد الذي نفي إليه حتى تظهر توبته]. كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من حبس في السجن^(١)، وقال: أحبسه حتى أعلم منه التوبة، ولا أنفيه إلى بلد فيؤذيهم، ﴿ذلك﴾، الذي ذكرت من الحد، ﴿لهم خزي﴾ عذاب وهوان وفضيحة، ﴿في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾.

﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾، فمن ذهب إلى أن الآية نزلت في الكفار، قال معناه: إلا الذين تابوا من شركهم وأسلموا قبل القدرة عليهم فلا سبيل عليهم بشيء من الحدود ولا تبعة عليهم فيما أصابوا في حال الكفر من دم أو مال، وأما المسلمون المحاربون فمن [تاب]^(٢) منهم قبل القدرة عليهم وهو قبل أن يظفر به الإمام تسقط عنه كل عقوبة وجبت حقاً لله، ولا يسقط ما كان من حقوق العباد فإن كان قد قتل في قطع الطريق يسقط عنه بالتوبة قبل القدرة عليه تحتم القتل، ويبقى عليه القصاص لولي القتل فإن شاء عفا عنه وإن شاء استوفاه، وإن كان قد أخذ المال يسقط عنه [القطع]^(٣)، وإن كان قد جمع بينهما يسقط عنه تحتم القتل والصلب، ويجب ضمان المال وهو قول الشافعي رضي الله عنه.

وقال بعضهم: إذا جاء تائباً قبل القدرة عليه لا يكون لأحد عليه تبعة في دم ولا مال إلا أن يوجد معه مال بعينه فيرده إلى صاحبه.

وروي عن علي رضي الله عنه في حارثة بن يزيد كان خرج محارباً فسفك الدماء وأخذ المال، ثم جاء تائباً قبل أن يقدر عليه فلم يجعل علي رضي الله عنه عليه تبعة [في دم ولا مال، إلا أن يوجد معه مال فيرد إلى صاحبه]^(٤)، أما من تاب بعد القدرة عليه فلا يسقط عنه شيء منها. وقيل: كل عقوبة تجب حقاً لله عز وجل من عقوبات قطع الطريق وقطع السرقة وحد الزنا والشرب تسقط بالتوبة بكل حال، والأكثر على أنها لا تسقط.

(١) ساقط من «ب»: (مات).

(٢) في «ب»: مات.

(٣) زيادة من «ب».

(٤) ما بين القوسين زيادة من «ب»، وانظر: الطبري: ٢٢١/٦، الدر المنثور: ٧٠/٣.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتٍ لَهُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ
﴿٢٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَاهُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٢٧﴾
وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا﴾ ، اطلبوا ، ﴿إليه الوسيلة﴾ ، أي : القربة ، فعيلة من توسل إلى فلان بكذا ، أي : تقرب إليه وجمعها وسائل ، ﴿وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون﴾ [تلخيصه : امتثلوا أمر الله تنجوا] (١) .

﴿إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم﴾ ، أخبر أن الكافر لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها ثم فدى بذلك نفسه من العذاب لم يقبل منه ذلك الفداء ، ﴿ولهم عذاب أليم﴾ .

﴿يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها﴾ ، فيه وجهان ، أحدهما : أنهم يقصدون ويطلبون المخرج منها ، كما قال الله تعالى : «كلما أرادوا أن يخرجوا منها» (الحج - ٢٢) والثاني : أنهم يتمنون ذلك بقلوبهم ، كما قال الله تعالى إخباراً عنهم : «ربنا أخرجنا منها» (المؤمنون - ١٠٧) ﴿ولهم عذاب مقيم﴾ .

قوله تعالى : ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ ، أراد به أيماهما ، وكذلك هو في مصحف عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

وحكمه أن من سرق [نصاباً] (٢) من المال من حرز لا شبهة له فيه تقطع يده اليمنى من الرسغ ، ولا يجب القطع في سرقة ما دون النصاب عند عامة أهل العلم ، حكى عن ابن الزبير أنه كان يقطع في الشيء القليل ، وعامة العلماء على خلافه .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) زيادة من (ب) .

واختلفوا في القدر الذي يقطع به : فذهب أكثرهم إلى أنه لا يقطع في أقل من ربع دينار، فإن سرق ربع دينار أو متاعاً قيمته ربع دينار يقطع، وهو قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم، وبه قال عمر بن عبدالعزيز والأوزاعي والشافعي رحمهم الله، لما أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الكسائي أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا ابن عيينة عن ابن شهاب عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال: «القطع في ربع دينار فصاعداً»^(١).

أخبرنا أبو الحسن الشيرازي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قطع سارقاً في مجن [ثمنه]^(٢) ثلاثة دراهم^(٣).

وروي عن عثمان أنه قطع سارقاً في أترجة قومت بثلاثة دراهم من صرف اثني عشر درهماً بدينار. وهذا قول مالك رحمه الله تعالى أنه يقطع في ثلاثة دراهم.

وذهب قوم إلى أنه لا تقطع في أقل من دينار أو عشرة دراهم، يروي ذلك عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، وإليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي.

وقال قوم لا يقطع إلا في خمسة دراهم يروي ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وبه قال ابن أبي ليلي، أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص بن غياث أخبرني أبي أنا الأعمش قال: سمعت أبا صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده»^(٤)، وقال الأعمش: كانوا يرون أنه بيض الحديد والحبل. يرون أن منها ما يساوي دراهم.

ويحتج بهذا الحديث من يرى القطع في الشيء القليل، وهو عند الأكثرين محمول على ما قاله الأعمش^(٥)، / لحديث عائشة رضي الله عنها «وإذا سرق شيئاً من غير حرز كثر في حائط لا

ب/١٠٦

(١) أخرجه الشافعي في المسند: ٨٣/٢ والبخاري في الحدود، باب قول الله تعالى: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما» وفي كم يقطع؟: ٩٦/١٢، ومسلم في الحدود، باب حد السرقة ونصابها، برقم (١٦٨٤): ١٣١٢/٣، والمصنف في شرح السنة: ٣١٢/١٠.

(٢) في «ب»: (قيمه).

(٣) أخرجه البخاري، في الموضع السابق: ٩٧/١٢، ومسلم في الموضع نفسه، برقم (١٦٨٦): ١٣١٣/٣، والمصنف في شرح السنة: ٣١٣/١٠.

(٤) أخرجه البخاري في الحدود، باب لعن السارق إذا لم يسم: ٨١/١٢، ومسلم في الحدود في الموضع السابق برقم (١٦٨٧): ١٣١٤/٣، والمصنف في شرح السنة: ٣١٤/١٠.

(٥) ما بين القوسين زيادة من «ب».

حارس له أو حيوان في بركة لا حافظ له، أو متاع في بيت منقطع عن البيوت لا قطع عليه». وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا قطع في ثمر مُعَلَّقٍ ولا في حَرَبَسَةِ جَبَلٍ فإذا آواه المُرَّاح أو الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المِجَن»^(١).

وروي عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع»^(٢).

وإذا سرق مالا له فيه شبهة كالعبد يسرق من مال سيده أو الولد يسرق من مال والده أو الوالد يسرق من مال ولده أو أحد الشريكين يسرق من المال المشترك شيئا: لا قطع عليه. وإذا سرق السارق أول مرة تقطع يده اليمنى من الكوع، ثم إذا سرق ثانياً تقطع رجله اليسرى من مفصل القدم.

واختلفوا فيما إذا سرق ثالثاً: فذهب أكثرهم إلى أنه تقطع يده اليسرى، ثم إذا سرق رابعاً تقطع رجله اليمنى، ثم إذا سرق بعده يعزر ويحبس حتى تظهر توبته، وهو المروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو قول قتادة، وبه قال مالك والشافعي لما روي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «في السارق يسرق إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله، ثم إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله»^(٣).

وذهب قوم إلى أنه إن سرق ثالثاً بعدما قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى لا يقطع، بل يحبس، وروى ذلك عن علي رضي الله عنه، وقال: «إني لأستحي أن لا أدع له يداً يستنجي بها ولا رجلاً

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الحدود، باب ما يجب فيه القطع: ٨٣١/٢، قال ابن عبد البر: «لم تختلف رواية الموطأ في إرساله، ويتصل معناه من حديث عبدالله بن عمرو وغيره». ووصله النسائي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، في قطع السارق، باب الثمر المعلق يُسرق، وباب الثمر يسرق بعد أن يؤبه الجرين؛ ٨٦٨-٨٦٤/٨، والمصنف في شرح السنة: ٣١٩/١٠.

(٢) أخرجه أبو داود في الحدود، باب القطع في الخلسة والخيانة: ٢٢٤-٢٢٥/٦، والترمذي في الحدود باب ما جاء في الخائن والمختلس: ٩٨/٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح. والنسائي في باب ما لا قطع فيه: ٨٩/٨، وابن ماجه في الحدود، باب الخائن والمنتهب والمختلس: ٨٦٤/٢، والدارمي في باب ما لا يقطع من السراق: ١٧٥/٢، وصححه ابن حبان برقم (١٥٠٢، ١٥٠٣) من موارد الظمان، قال الزيلعي في نصب الراية: ٣٦٤/٣ «سكت عنه عبدالحق في أحكامه، وابن القطان بعد، فهو صحيح عندهما» وانظر: شرح السنة: ٣٢٢-٣٢١/١٠.

(٣) أخرجه الدراقطني في السنن: ١٨١/٣، والطبراني والشافعي (مجمع الزوائد: ٢٧٥/٦، تلخيص الحبير: ٦٨/٤) وقال ابن حجر: إسناده ضعيف، وصححه الألباني بشواهد عند أبي داود والنسائي والبيهقي. انظر: إرواء الغليل: ٨٩-٨٦/٨.

فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ، وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ
 وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٢﴾ ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ
 يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمَنْ
 الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ
 بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ
 فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ
 لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾

يمشي بها»^(١) وهو قول الشعبي والنخعي، وبه قال الأوزاعي وأحمد وأصحاب الرأي. قوله تعالى: ﴿جزاء بما كسباً﴾، نصب على الحال والقطع، ومثله: ﴿نكالا﴾، أي: عقوبة، ﴿من الله والله عزيز حكيم﴾.

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾، أي: سرقته، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، هذا فيما بينه وبين الله تعالى، فأما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند الأكثرين، قال مجاهد: قطع السارق توبته، فإذا قطع حصلت التوبة. والصحيح أن القطع للجزاء على الجنائية، كما قال: «جزاء بما كسباً»، فلا بد من التوبة بعد، وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل، وإذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم، وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي: لا غرم عليه، وبالاتفاق إن كان الممسروق باقياً عنده يسترد وتقطع يده لأن القطع حق الله تعالى والغرم حق العبد، فلا يمنع أحدهما الآخر، كاسترداد العين.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ٥٠٩/٩، وذكره ابن الترماني في الجوهري النقي في الرد على البيهقي المطبوع مع السنن: ٢٧٤/٨.

قوله تعالى ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾، الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الجميع، وقيل: معناه ألم تعلم أيها الإنسان فيكون خطاباً لكل أحد من الناس، ﴿يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء﴾، قال السدي والكلبي: يعذب من يشاء: من مات على كفره، ويغفر لمن يشاء: [الكبيرة]^(١)، من تاب من كفره، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يعذب من يشاء على الصغيرة، ويغفر لمن يشاء الكبيرة، ﴿والله على كل شيء قدير﴾.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾، أي: في موالة الكفار فإنهم لن يعجزوا الله، ﴿من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾، وهم المنافقون، ﴿ومن الذين هادوا﴾، يعني: اليهود، ﴿سماعون﴾، أي: قوم سماعون، ﴿للكذب﴾، أي: قائلون للكذب، كقول المصلي: سمع الله لمن حمده، أي: قبل الله، وقيل: سماعون لأجل الكذب، أي يسمعون منك ليكذبوا عليك، وذلك أنهم كانوا يسمعون من الرسول ﷺ ثم يخرجون ويقولون سمعنا منه كذا ولم يسمعوا ذلك منه، ﴿سماعون لقوم آخرين لم يأتوك﴾، أي هم جواسيس، يعني: بني قريظة لقوم آخرين، وهم أهل خيبر.

وذلك أن رجلاً وامرأة من أشرف أهل خيبر زنيا وكانا محصنين، وكان حدهما الرجم في التوراة، فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما، فقالوا: إن هذا الرجل الذي يبشر ليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب، فأرسلوا إلى إخوانكم من بني قريظة فإنهم جيرانه وصلح له فليسألوه عن ذلك. فبعثوا رهطاً منهم مستخفين وقالوا لهم: سلوا محمداً عن الزانيين إذا أحصنا ما حدهما؟ فإن أمركم بالجلد فاقبلوا منه، وإن أمركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه، وأرسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة والنضير فقالوا لهم: إنكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث، فينا حدث فلان وفلانة قد فجرآ وقد أحصنا، فنحب أن تسألوا لنا محمداً عن قضائه فيه، فقالت لهم قريظة والنضير: إذا والله يأمركم بما تكرهون.

ثم انطلق قوم، منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسد وسعية بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدهما في كتابك؟

فقال ﷺ: هل ترضون بقضائي؟ قالوا: نعم، فنزل جبريل عليه السلام بالرجم فأخبرهم بذلك

(١) ساقط من «ب».

فأبوا أن يأخذوا به .

فقال له جبريل عليه السلام : اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ، ووصفه له .

فقال لهم رسول الله ﷺ : «هل تعرفون شاباً أمرد أعور يسكن فذك يقال له ابن صوريا؟ قالوا: نعم، قال: فأبي رجل هو فيكم؟ فقالوا: هو أعلم يهودي بقي على وجه الأرض بما أنزل الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام في التوراة .

قال : فأرسلوا إليه ، ففعلوا فاتاهم ، فقال له النبي ﷺ : «أنت ابن صوريا؟ قال : نعم ، قال : وأنت أعلم اليهود؟ قال : كذلك يزعمون ، قال : أتجعلونه بيني وبينكم؟ قالوا : نعم .

فقال له النبي ﷺ : «أنشدك بالله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام وأخرجكم من مصر، وفلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون، والذي ظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى، وأنزل عليكم كتابه وفيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحسن؟» .

قال ابن صوريا : نعم والذي ذكرتني به لولا خشية أن تحرقني التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ، ولكن كيف هي في كتابك يا محمد؟ قال : «إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم» ، فقال ابن صوريا : والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله عز وجل في التوراة على موسى عليه السلام ، فقال له النبي ﷺ : «فما كان أول ما ترخصتم به أمر الله؟» ، قال : كنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد ، فكثير الزنا في أشرافنا حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ، ثم زنى رجل آخر من الناس فأراد ذلك الملك رجمه فقام دونه قومه ، فقالوا : والله لا نرجمه حتى يرجم فلان - لابن عم الملك - فقلنا : تعالوا نجتمع فلنضع شيئاً دون الرجم يكون على الوضيع والشريف ، فوضعنا الجلد والتحميم ، وهو أن يجلد أربعين جلدة بحبل مطلي بالقار ثم يسود وجوههما ، ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما ، فجعلوا هذا مكان الرجم ، فقالت اليهود [لابن صوريا]^(١) : ما أسرع ما أخبرت به ، وما كنت لما أثينا عليك بأهل ولكنك كنت غائباً فكرهنا أن نغتابك ، فقال لهم : إنه قد أنشدني بالتوراه ولولا خشية التوراة أن تهلكني لما أخبرت به ، فأمر بهما النبي ﷺ فرجما عند باب مسجده ، وقال : اللهم

(١) ساقط من «ب» .

إني أول من أحيأ أمرك إذ أماتوه، فأنزل / الله عز وجل ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾^(١).

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم قال: إن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟» فقالوا: نفضحهم ويجلدون، قال عبد الله بن سلام: [كذبتم]^(٢) إن فيها لآية الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، قالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، فقال عبد الله بن عمر: فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة^(٣).

وقيل: سبب نزول هذه الآية القصاص، وذلك أن بني النضير كان لهم فضل على بني قريظة فقال بنو قريظة: يا محمد إخواننا بنو النضير وأبونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد، إذا قتلوا منا قتيلاً واحداً لم يقيدونا وأعطونا ديتة سبعين وسقاً من تمر، وإذا قتلنا منهم قتلوا القاتل وأخذوا منا الضعف مائة وأربعين وسقاً من تمر، وإن كان القتل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا، وبالعبد الحرّ منا، وجراحتنا على التضعيف من جراحتهم، فاقض بيننا وبينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٤).

والأول أصح لأن الآية في الرجم.

قوله: ﴿ومن الذين هادوا سماعون للكذب﴾، قيل: اللام بمعنى إلى، وقيل: هي لام كي، أي: يسمعون لكي يكذبوا عليك، واللام في قوله: ﴿لقوم﴾ أي: لأجل قوم ﴿آخرين لم يأتوك﴾ وهم أهل خيبر، ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾، [جمع الكلمة]^(٥)، ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾، أي: من بعد وضعه مواضعه، ذكر الكناية رداً على لفظ الكلم، ﴿يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخَذُّوهُ﴾، أي: [إن]^(٦) أفناكم

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٢/٦، الدر المنثور: ٧٨/٣، ابن كثير: ٦٠/٢-٦١.

(٢) ساقط في ب.

(٣) أخرجه البخاري في المنقب، باب «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم»... ٦٣١/٦، وفي التفسير والتجديد، واللفظ له، وأخرجه مسلم في

الحدود، باب رجم اليهود، أهل الذمة في الزنا، برقم (١٦٩٩): ١٣٢٦/٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٣/٦، الدر المنثور: ٧٨/٣، ابن كثير: ٦٢-٦١/٢.

(٥) زيادة من «ب».

(٦) في ب «من أجل أن».

سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ
وَإِنْ تَعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾

محمد ﷺ بالجلد والتحميم فاقبلوا، ﴿وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته﴾، كفره وضلالته، قال الضحاك: هلاكه، وقال قتادة: عذابه، ﴿فلن تملك له من الله شيئاً﴾، فلن تقدر على دفع أمر الله فيه، ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾، وفيه رد على من ينكر القدر، ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ أي: للمنافقين واليهود، فخزي المنافقين الفضيحة وهتك الستر بإظهار نفاقهم، وخزي اليهود الجزية والقتل والسبي والنفي، ورؤيتهم من محمد ﷺ وأصحابه فيهم ما يكرهون، ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾، الخلود في النار.

قوله تعالى: ﴿سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأهل البصرة والكسائي «للسُّحْتِ» بضم الحاء، والآخرين بسكونها، وهو الحرام، وأصله الهلاك والشدة، قال الله تعالى: ﴿فيسختمكم بعداب﴾ (طه، ٦١)، نزلت في حكام اليهود كعب بن الأشرف وأمثاله، كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم.

قال الحسن: كان الحاكم منهم إذا أتاه أحد برشوة جعلها في كفه فيريها إياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه، فيسمع الكذب ويأكل الرشوة.

وعنه أيضاً قال: إنما ذلك في الحكم إذا رشوته ليحق لك باطلاً أو يبطل [عنك] (١) حقاً (٢). فأما أن يعطي الرجل الوالي يخاف ظلمه ليدرأ به عن نفسه فلا بأس، فالسحت هو الرشوة في الحكم على قول الحسن ومقاتل وقتادة والضحاك، وقال ابن مسعود: هو الرشوة في كل شيء، وقال ابن مسعود: من شفع شفاعاً ليرد بها حقاً أو يدفع بها [ظلماً] (٣) فأهدي له فقبل فهو سحت، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك إلا الأخذ على الحكم، فقال: الأخذ على الحكم كفر (٤)، قال الله

(١) في «ب»: (لك).

(٢) انظر: الطبري: ٢٣٩/٦، الدر المنثور: ٨١-٨٠/٣.

(٣) في «ب»: (باطلاً).

(٤) الطبري: ٢٤٠/٦.

تعالى : «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» (سورة المائدة، ٤٤).

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا عبدالرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنا ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبدالرحمن عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «لعن الله الراشي والمرثي»^(١).

والسحت كل كسب لا يحل .

قوله عز وجل : ﴿فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً﴾، خير الله تعالى رسوله ﷺ في الحكم بينهم إن شاء حكم وإن شاء ترك .

واختلفوا في حكم الآية اليوم هل للحاكم الخيار في الحكم بين أهل الذمة إذا تحاكموا إلينا؟ فقال أكثر أهل العلم : هو حكم ثابت، وليس في سورة المائدة منسوخ، وحكام المسلمين بالخيار في الحكم بين أهل الكتاب إن شاؤوا حكموا وإن شاؤوا لم يحكموا، وإن حكموا حكموا بحكم الإسلام، وهو قول النخعي والشعبي وعطاء وقتادة .

وقال قوم : يجب على حاكم المسلمين أن يحكم بينهم، والآية منسوخة نسخها قوله تعالى : «وإن احكم بينهم بما أنزل الله» (سورة المائدة، ٤٩)، وهو قول مجاهد وعكرمة، وروي ذلك عن ابن عباس^(٢)، وقال : لم ينسخ من المائدة إلا آيتان، قوله تعالى : «لا تحلوا شعائر الله» نسخها قوله تعالى «اقتلوا المشركين» وقوله : «فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم» نسخها قوله تعالى : «وإن احكم بينهم بما أنزل الله» فأما إذا تحاكم إلينا مسلم وذمي فيجب علينا الحكم بينهما لا يختلف القول فيه، لأنه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم أهل الذمة . قوله ﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط﴾، أي : بالعدل، ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ أي : العادلين، رُوينا عن النبي ﷺ أنه قال : «المقسطون عند الله على منابر من نور»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود في الأقضية، باب في كراهية الرشوة: ٢٠٧/٥، والترمذي في الأحكام، باب ما جاء في الراشي والمرثي في الحكم: ٥٦٧/٤، وقال : هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في الأحكام، باب التغليظ في الحيف والرشوة. ٧٧٥/٢. وصححه الحاكم:

١٠٣، ١٠٢/٤، ووافقه الذهبي . وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٨٨-٨٧/١٠.

(٢) انظر: الطبري: ٧٤٤-٧٤٧/٦، الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة، ص(٤١-٤٢)، أحكام القرآن للجصاص: ٨٩-٨٧/٤.

(٣) أخرجه مسلم في الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، برقم (١٨٢٧): ١٤٥٨/٣، والمصنف في شرح السنة: ٦٤-٦٣/١٠.

وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ^{٤٣}
 وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا
 النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ
 كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَسْتَرُوا
 بِعَايَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿وكيف يُحْكُمُونَكَ وعندهم التوراة﴾، هذا تعجيب للنبي ﷺ، وفيه اختصار،
 أي: كيف يجعلونك حكماً بينهم فيرضون بحكمك وعندهم التوراة؟ ﴿فيها حكم الله﴾، وهو الرجم،
 ﴿ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين﴾، أي بمصدقين لك.

قوله عز وجل: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا﴾، أي:
 أسلموا وانقادوا [لأمر] الله تعالى، كما أخبر عن إبراهيم عليه السلام: «إذ قال له ربه أسلم قال
 أسلمت لرب العالمين» (سورة البقرة، ١٣١)، وكما قال: «وله أسلم من في السموات والأرض»
 (سورة آل عمران، ٨٣)، وأراد بهم النبيين الذين بعثوا من بعد موسى عليه السلام ليحكموا بما في
 التوراة، وقد أسلموا لحكم التوراة وحكموا بها، فإن من النبيين من لم يؤمر بحكم التوراة منهم عيسى
 عليه السلام، قال الله سبحانه وتعالى: «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً» (سورة المائدة، ٤٨).

وقال الحسن والسدي: أراد به محمداً ﷺ حكم على اليهود بالرجم، ذكر بلفظ الجمع كما
 قال: «إن إبراهيم كان أمةً قانتاً» (سورة النحل، ١٢٠).

وقوله تعالى: ﴿للذين هادوا﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديره: فيها هدى ونور للذين هادوا. ثم
 قال: يحكم بها النبيون الذين أسلموا والربانيون، وقيل: هو على موضعه، ومعناه: يحكم بها النبيون
 الذين أسلموا على الذين هادوا، كما قال: «وإن أسأتم فلها» (سورة الإسراء، ٧) أي: فعليها، وقال:
 «أولئك لهم اللعنة» (سورة الرعد، ٢٥) أي: عليهم، وقيل: فيه حذف، كأنه قال: للذين هادوا وعلى
 الذين هادوا فحذف أحدهما اختصاراً.

(١) في «ب»: (لحكم).

﴿الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾، يعني العلماء، واحدهم حبر، وحبر بفتح الحاء وكسرها، والكسر أفصح، وهو العالم المحكم للشيء، قال الكسائي وأبو عبيد: هو من الحبر الذي يكتب به وقال قطرب هو من الحبر الذي هو بمعنى الجمال بفتح الحاء وكسرها، وفي الحديث «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ رَجُلٌ قَدْ ذَهَبَ حَبْرُهُ وَسَبْرُهُ»^(١)، أي: حسنه وهيئته، ومنه التحبير وهو التحسين، فسمى العالم حبراً لما عليه من جمال العلم وبهائه، وقيل: الربانيون هاهنا من النصارى، والأحبار من اليهود، وقيل: كلاهما من اليهود.

قوله عز وجل: ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾، أي: استودعوا من كتاب الله، ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾، أنه كذلك.

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، قال قتادة/ والضحاك: نزلت هذه الآيات الثلاث في اليهود دون من أساء من هذه الأمة. روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ والظالمون والفساقون كلها في الكافرين، وقيل: هي على الناس كلهم.

وقال ابن عباس^(٢) وطاووس: ليس بكفر ينقل عن الملة، بل إذا فعله فهو به [كافر]^(٣)، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر.

قال عطاء: هو كفرٌ دون كفر، وظلمٌ دون ظلم، وفسقٌ دون فسق، وقال عكرمة معناه: ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق.

وسئل عبد العزيز بن يحيى الكناني عن هذه الآيات، فقال: إنها تقع على جميع ما أنزل الله لا على بعضه، فكل من لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق، فأما من حكم بما أنزل الله من التوحيد وترك الشرك، ثم لم يحكم [بجميع]^(٤) ما أنزل الله من الشرائع لم يستوجب حكم هذه الآيات. وقال العلماء: هذا إذا ردَّ نصَّ حكم الله عياناً عمداً، فأما من خفي عليه أو أخطأ في تأويله فلا^(٥).

(١) ذكره الزمخشري في الفائق: ٢٥١/١، وابن الأثير في النهاية: ٣٢٧/١.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٣١٣/٢ وصححه على شرط الشيخين.

(٣) في «ب»: (كفر).

(٤) في «ب»: (بعض).

(٥) للشيخ أحمد محمد شاكر وأخيه محمود شاكر تعليق على هذه الآثار، في عمدة التفسير وفي تفسير الطبري، عند تفسير هذه الآية، نقله هنا بتمامه:

قال الشيخ أحمد شاکر في عمدة التفسير: ١٥٦/٤-١٥٨ «وهذه الآثار- عن ابن عباس وغيره- مما يلعب به المضللون في عصرنا هذا، من المتسبين للعلم، ومن غيرهم من الجرأء على الدين: يجعلونها عذرا أو إباحة للقوانين الوثنية الموضوعة، التي ضربت على بلاد الإسلام.

وهناك أثر عن أبي مجلز، في جدال الإباضية الخوارج إياه، فيما كان يصنع بعض الأمراء من الجور، فيحكمون في بعض قضائهم بما يخالف الشريعة، عمدا إلى الهوى، أو جهلا بالحكم. والخوارج، من مذهبهم أن مرتكب الكبيرة كافر، فهم يجادلون يريدون من أبي مجلز أن يوافقهم على ما يرون من كفر هؤلاء الأمراء، ليكون ذلك عذرا لهم فيما يرون من الخروج عليهم بالسيف. وهذان الأثران رواهما الطبري: ١٢٠٢٥، ١٢٠٢٦. وكتب عليهما أخي السيد محمود محمد شاکر تعليقا نفيسا جدا، قويا صريحا. فرأيت أن أثبت هنا نص أولى روايتي الطبري، ثم تعليق أخي على الروايتين.

فروى الطبري: ١٢٠٢٥، عن عمران بن حدير، قال: «أتى أبا مجلز ناس من بني عمرو بن سدوس، فقالوا: يا أبا مجلز، أرايت قول الله «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» أحق هو؟ قال: نعم، قالوا: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون» أحق هو؟ قال: نعم، قالوا: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون» أحق هو؟ قال: نعم. قال: فقالوا: يا أبا مجلز، فيحكم هؤلاء بما أنزل الله؟ قال: هو دينهم الذي يدينون به، وبه يقولون، وإليه يدعون. فإن هم تركوا شيئا منه عرفوا أنهم قد أصابوا ذنبا، فقالوا: لا والله، ولكنك تفرق! قال: أنتم أولى بهذا مني! لا أرى، وإنكم ترون هذا ولا تخرجون! ولكنها أنزلت في اليهود والنصارى وأهل الشرك، أو نحوها من هذا».

ثم روى الطبري: ١٢٠٢٦، نحو معناه. وإسناده صحيحان. فكتب أخي السيد محمود، بمناسبة هذين الأثرين ما نصح: اللهم إني أبرأ إليك من الضلالة. وبعد، فإن أهل الرب والفتن ممن تصدروا للكلام في زماننا هذا، قد تلمس المعذرة لأهل السلطان في ترك الحكم بما أنزل الله، وفي القضاء في الدماء والأعراض والأموال بغير شريعة الله التي أنزلها في كتابه. وفي اتخاذهم قانون أهل الكفر شريعة في بلاد الإسلام. فلما وقف على هذين الخبرين، اتخذهما رأيا يرى به صواب القضاء في الأموال والأعراض والدماء بغير ما أنزل الله، وأن مخالفة شريعة الله في القضاء العام لا تكفر الراضي بها، والعامل عليها.

والناظر في هذين الخبرين لا محيص له عن معرفة السائل والمسؤول، فأبو مجلز (لاحق بن حميد الشيباني السدوسي) تابعي ثقة، وكان يحب عليا رضي الله عنه. وكان قوم أبي مجلز، وهم بنو شيبان، من شيعة علي يوم الجمل وصفين. فلما كان أمر الحكمين يوم صفين، واعتزلت الخوارج، كان فيمن خرج على علي رضي الله عنه، طائفة من بني شيبان، ومن بني سدوس بن شيبان بن ذهل. وهؤلاء الذين سألوا أبا مجلز، ناس من بني عمرو بن سدوس (كما في الأثر: ١٢٠٢٥)، وهم نفر من الإباضية (كما في الأثر: ١٢٠٢٦)، والإباضية من جماعة الخوارج الحرورية، هم أصحاب عبدالله بن إباض التميمي، وهم يقولون بمقالة سائر الخوارج في التحكيم، وفي تكفير علي رضي الله عنه إذ حكّم الحكمين، وأن علياً لم يحكم بما أنزل الله، في أمر التحكيم. ثم إن عبدالله بن إباض قال: إن من خالف الخوارج كافر ليس بمشرك، فخالف أصحابه، وأقام الخوارج على أن أحكام المشركين تجرى على من خالفهم.

ثم افتردت الإباضية بعد عبدالله بن إباض الإمام افتراقا لا ندري معه- في أمر هذين الخبرين- من أي الفرق كان هؤلاء السائلون، بيد أن الإباضية كلها تقول: إن دور مخالفهم دور توحيد، إلا معسكر السلطان فإنه دار كفر عندهم. ثم قالوا أيضا: إن جميع ما افترض الله سبحانه على خلقه إيمان، وأن كل كبيرة فهي كفر نعمة، لا كفر شرك، وأن مرتكبي الكبائر في النار خالدون مخلدون فيها. ومن البين أن الذين سألوا أبا مجلز من الإباضية، إنما كانوا يريدون أن يلزموه الحجّة في تكفير الأمراء، لأنهم في معسكر السلطان، ولأنهم ربما عصوا أو ارتكبوا بعض ما نهاهم الله عن ارتكابه. ولذلك قال لهم في الخبر الأول (رقم: ١٢٠٢٥): «فإن هم تركوا شيئا منه عرفوا أنهم قد أصابوا ذنبا»، وقال لهم في الخبر الثاني: «إنهم يعملون بما يعملون ويعلمون أنه ذنب».

وإذن، فلم يكن سؤالهم عمّا احتج به مبتدعة زماننا، من القضاء في الأموال والأعراض والدماء بقانون مخالف لشريعة أهل الإسلام، ولا في إصدار قانون ملزم لأهل الإسلام، بالاحتكام إلى حكم غير حكم الله في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم. فهذا الفعل إعراض عن حكم الله، ورغبة عن دينه، وإيثار لأحكام أهل الكفر على حكم الله سبحانه وتعالى، وهذا كفر لا يشك أحد من أهل القبلة على اختلافهم في تكفير القائل والداعي إليه.

والذي نحن فيه اليوم، هو هجر لأحكام الله عامة بلا استثناء، وإيثار أحكام غير حكمه في كتابه وسنة نبيه، وتعطيل لكل ما في

وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ
وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ
كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾، أي: أوجبنا على بني إسرائيل في التوراة، ﴿أَنْ النَّفْسَ
بِالنَّفْسِ﴾، يعني: نفس القاتل بنفس المقتول وفاءً يقتل به، ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾، تُفَقَّأُ بِهَا، ﴿وَالْأَنْفَ
بِالْأَنْفِ﴾، يُجَدِّعُ بِهِ، ﴿وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ﴾، تُقَطَّعُ بِهَا، قال ابن عباس: أخبر الله تعالى بحكمه في
التوراة وهو: أن النفس بالنفس إلى آخرها، فما بالهم يخالفون فيقتلون بالنفس النفسين، ويفقؤون
بالعين العينين، وخفف نافع الأذن في جميع القرآن وثقلها الآخرون، ﴿وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ﴾، تقلع بها
وسائر الجوارح قياس عليها في القصاص، ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾، فهذا تعميم بعد تخصيص، لأنه
ذكر العين والأنف والأذن واللسان، ثم قال: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾، أي فيما يمكن الاقتصاص منه
كاليد والرجل واللسان ونحوها، وأما ما لا يمكن الاقتصاص منه من كسر عظم أو جرح لحم كالجائفة
ونحوها فلا قصاص فيه، لأنه لا يمكن الوقوف على نهايته، وقرأ الكسائي «والعين» وما بعدها بالرفع،
وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر وأبو عمرو «والجروح» بالرفع فقط وقرأ الآخرون كلها بالنصب
كالنفس.

شريعة الله، بل بلغ الأمر مبلغ الاحتجاج على تفضيل أحكام القانون الموضوع، على أحكام الله المنزلة، وادعاء المحتجين لذلك بأن
أحكام الشريعة إنما نزلت لزمان غير زماننا، ولعلل وأسباب انقضت، فسقطت الأحكام كلها بانقضائها. فأين هذا مما بيناه من حديث
أبي مجلز والنفر من الإباضية من بني عمرو بن سدوس!!

ولو كان الأمر على ما ظنوا في خبر أبي مجلز، أنهم أرادوا مخالفة السلطان في حكم من أحكام الشريعة. فإنه لم يحدث في
تاريخ الإسلام أن سن حاكم حكما وجعله شريعة ملزمة للقضاء بها. هذه واحدة. وأخرى، أن الحاكم الذي حكم في قضية بعينها بغير
حكم الله فيها، فإنه إما أن يكون حكم بها وهو جاهل، فهذا أمره أمر الجاهل بالشريعة. وإما أن يكون حكم بها هوى ومعصية، فهذا
ذنب تناله التوبة، وتلحقه المغفرة. وإما أن يكون حكم بها متأولا حكما خالف به سائر العلماء، فهذا حكمه حكم كل متأول يستمد
تأويله من الإقرار بنص الكتاب، وسنة رسول الله.

وأما أن يكون كان في زمن أبي مجلز أو قبله أو بعده حاكم حكم بقضاء في أمر، جاحدا لحكم من أحكام الشريعة، أو مؤثرا
لأحكام أهل الكفر على أحكام أهل الإسلام، فذلك لم يكن قط. فلا يمكن صرف كلام أبي مجلز والإباضيين إليه. فمن احتج بهذين
الآيتين وغيرهما في غير بابهما، وصرفهما إلى غير معناهما، رغبة في نصرة سلطان، أو احتيالا على تسويغ الحكم بغير ما أنزل الله وفرض
على عباده، فحكمه في الشريعة حكم الجاحد لحكم من أحكام الله: أن يستتاب، فإن أصر وكابر وجمد حكم الله، ورضي بتبديل
الأحكام = فحكم الكافر المصر على كفره معروف لأهل هذا الدين. وكتبه محمود محمد شاكر.

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ
 هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ
 أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۖ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
 ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ
 فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا
 مِنكُم شُرْعَةً وَمَنَهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَاءِ آتَانَكُمْ
 فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾، أي بالقصاص ﴿فهو كفارة له﴾، قيل: الهاء في «له» كناية
 عن المجروح وولي القتيل، أي: كفارة للمتصدق وهو قول عبدالله بن عمرو بن العاص والحسن
 والشعبي وقتادة.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي
 أنا أبو عبدالله الحسين بن محمد الدينوري أنا عمر بن الخطاب أنا عبدالله بن الفضل أخبرنا أبو خيثمة
 أنا جرير عن مغيرة عن الشعبي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ
 تَصَدَّقَ مِنْ جَسَدِهِ بِشَيْءٍ كَفَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَدْرِهِ مِنْ ذُنُوبِهِ»^(١).

وقال جماعة: هي كناية عن الجراح والقاتل، يعني: إذا عفا المَجْنِي عليه عن الجاني فعفوه
 كفارة لذنب الجاني لا يُؤخذ به في الآخرة، كما أن القصاص كفارة له، فأما أجر العافي فعلى الله عزَّ
 وجلَّ، قال الله تعالى: «فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» (الشورى - ٤٠)، رُوي ذلك عن ابن
 عباس رضي الله عنهما، وهو قول إبراهيم ومجاهد وزيد بن أسلم، ﴿ومَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ
 فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

قوله تعالى ﴿وقفينا على آثارهم﴾، أي: على آثار النبيين الذين أسلموا، ﴿بعيسى ابن مريم

(١) أخرجه الترمذي بنحوه مطولاً عن أبي الدرداء، في الديات، باب ما جاء في العفو: ٦٥٠/٤، وقال: هذا حديث غريب، ولا أعرف
 لأبي السفر سماعاً من أبي الدرداء،

مصدقاً لِمَا بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه ﴿﴾، أي: في الإنجيل، ﴿هدى ونور ومصداقاً﴾،
يعني الإنجيل، ﴿لِمَا بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين﴾.

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾، قرأ الأعمش وحمزة ﴿وليحكم﴾ بكسر اللام وفتح
الميم، أي: لكي يحكم، وقرأ الآخرون بسكون اللام وجزم الميم على الأمر، قال مقاتل بن حيان:
أمر الله الربانيين والأحبار أن يحكموا بما في التوراة، وأمر القسيسين والرهبان أن يحكموا بما في
الإنجيل، فكفروا وقالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
الفاسقون﴾، الخارجون عن أمر الله تعالى.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾، يا محمد ﴿الكتاب﴾، القرآن، ﴿بالحق مصداقاً لِمَا
بين يديه من الكتاب﴾، أي: من الكتب المنزلة من قبل، ﴿ومُهِمَّنًا عَلَيْهِ﴾، روى الوالبي عن ابن
عباس رضي الله عنهما: أي شاهداً عليه، وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والكسائي.
قال حسان:

إِنَّ الْكِتَابَ مُهِمِّنٌ لِنَبِيِّنَا
وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذُو الْأَلْبَابِ

يريد: شاهداً ومصداقاً.

وقال عكرمة: دالاً، وقال سعيد بن جبير وأبو عبيدة: مؤتمناً عليه، وقال الحسن: أميناً^(١)،
وقيل: أصله مُؤَيَّمِنٌ، مُفَيِّعِلٌ من أمين، كما قالوا: مُبَيِّطٌ من البيطار، فقلبت الهمزة هاءً، كما قالوا:
أرقت الماء وهرقته، وإيهات وهيهات، ونحوها. ومعنى أمانة القرآن ما قال ابن جريج: القرآن أمين
على ما قبله من الكتب، فما أخبر أهل الكتاب عن [كتابهم]^(٢) فإن كان في القرآن فصدقوا وإلا
فكذبوا.

وقال سعيد بن المسيب والضحاك قاضياً، وقال الخليل: رقيباً وحافظاً، والمعاني متقاربة،
ومعنى الكل: أن كل كتاب يشهد بصدقه القرآن فهو كتاب الله تعالى، وما لا فلا. ﴿فاحكم﴾،

= وأخرجه ابن ماجه في الدييات، باب العفو في الفصاص برقم (٢٦٩٣): ٨٩٨/٢، والطبري في التفسير: ٣٦٨/١٠، وابن أبي عاصم
في الدييات، والإمام أحمد في المسند: ٣١٦/٥، ٤٤٨/٦.
 وذكره المنذري في الترغيب والترهيب: ٣/٣٠٥ من رواية الامام أحمد وقال: رجاله رجال الصحيح. ومن رواية ابن ماجه وقال: إسناده
حسن لولا الانقطاع.

(١) انظر معنى الهمينة ووجوهها بالتفصيل في مقال: «الاسلام وعلاقته بالديانات الأخرى»، عثمان جمعة ضميرية، في العدد (٢١) من
مجلة البحوث الإسلامية، بالرياض، ربيع الأول ١٤٠٨هـ ص (٣١٥ - ٣٢٠).

(١) في «ب»: (كتبهم).

وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤١﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤٢﴾

يامحمد، ﴿بينهم﴾، بين أهل الكتاب إذا ترفعوا إليك، ﴿بما أنزل الله﴾ بالقرآن، ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ عما جاءك من الحق، أي لا تعرض عما جاءك من الحق ولا تتبع أهواءهم، ﴿لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً﴾، قال ابن عباس والحسن ومجاهد: أي سبيلاً وسنةً، فالشرعة والمنهاج الطريق الواضح، وكل ما شرعت فيه فهو شريعة وشرعة، ومنه شرائع الإسلام لشروع أهلها فيها، وأراد بهذا أن الشرائع مختلفة، ولكل أهل ملة شريعة.

قال قتادة: الخطاب للأمم الثلاث: أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد ﷺ وعليهم أجمعين، للتوراة شريعة وللإنجيل شريعة وللفرقان شريعة، والدين واحد وهو التوحيد. ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدة﴾، أي: على ملة واحدة، ﴿ولكن ليلوكم﴾، ليختبركم، ﴿فيما آتاكم﴾، من الكتب وبين لكم من الشرائع فيتبين المطيع من العاصي والموافق من المخالف، ﴿فاستبقوا الخيرات﴾، فبادروا إلى الأعمال الصالحة، ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال كعب بن [أسد] (١) وعبدالله بن [صوريا] (٢) وشاس بن قيس من رؤساء اليهود بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا يامحمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وإنما إن اتبعناك لم يخالفنا اليهود، وإن بيننا وبين الناس خصومات فنحاكمهم إليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك، ويتبعنا غيرنا. ولم يكن قصدهم الإيمان، وإنما كان قصدهم التلبس ودعوته إلى الميل في الحكم فأنزل الله عز وجل الآية (٣). ﴿فإن تولوا﴾، أي: أعرضوا عن الإيمان والحكم بالقرآن، ﴿فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾، أي: فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم، ﴿وإن كثيراً من الناس﴾، يعني اليهود، ﴿لفاسقون﴾.

(١) في الأصل: (أسيد)، والتصويب من السيرة النبوية لابن هشام: ٥٦٧/٢.

(٢) في السيرة لابن هشام: (صلوبا).

(٣) سيرة ابن هشام: ٥٦٧/٢، الطبري: ٣٩٣/١٠، أسباب النزول للواحدي، ص (٢٢٩).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ مَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبَهُمْ أَوْ يَكْفُرْ مَا آسَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿أفحكّم الجاهلية يَبْغُونَ﴾ / قرأ ابن عامر «تبغون» بالتاء وقرأ الآخرون بالياء، أي: يطلبون، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾.

1/108

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾، اختلفوا في نزول هذه الآية وإن كان حكمها عاماً لجميع المؤمنين.

فقال قوم: نزلت في عبادة بن الصامت وعبدالله بن أبي بن سلول، وذلك أنهما اختصما، فقال عبادة: إن لي أولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم، وإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولايتهم وولاية اليهود، ولا مولى لي إلا الله ورسوله، فقال عبدالله: لكني لا أبرأ من ولاية اليهود، لأنني أخاف الدوائر، ولا بدّ لي منهم، فقال النبي ﷺ: يا أبا الحباب ما نفستَ به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه، قال: إذا أقبل، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١).

قال السدي: لما كانت وقعة أحد اشتدت على طائفة من الناس وتخوفوا أن يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين: أنا ألحق بفلان اليهودي وأخذ منه أماناً إني أخاف أن يدال علينا اليهود، وقال رجل آخر: أما أنا فألحق بفلان النصراني من أهل الشام وأخذ منه أماناً، فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهاهما^(٢).

وقال عكرمة: نزلت في [أبي لبابة]^(٣) بن عبدالمنذر بعثه النبي ﷺ إلى بني قريظة [حين حاصرهم]^(٤)، فاستشاروه في النزول، وقالوا: ماذا يصنع بنا إذا نزلنا، فجعل أصبعه على حلقة أنه

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٥/١٠ - ٣٩٦، الدر المنثور: ٩٨/٣، ٩٩، أسباب النزول ص (٢٢٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٦/٦ (طبع الحلبي)، الدر المنثور: ٩٩/٣.

(٣) في «ب» (أبي أمامة) وهو خطأ.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْتُوا لِمَن آقَسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِيَأْتِيَهُمْ لَعْنُكُمْ حَيْثُ أَصَابَتْ أَعْمَالَهُمْ
فَأَصَابُوا خَيْرِينَ ﴿٥٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِن يَدَيْكَ مِنَ اللَّهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ
ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

الذبح، أي: يقتلكم. فنزلت هذه الآية^(١).

﴿بعضهم أولياء بعض﴾، في العون والنصرة ويدهم واحدة على المسلمين، ﴿ومن يتولهم
منكم﴾، [فيوافقهم ويُعينهم]^(٢)، ﴿فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

قوله تعالى: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾، أي: نفاق يعني عبدالله بن أبي وأصحابه من
المنافقين الذين يُوالون اليهود، ﴿يسارعون فيهم﴾، في معوتهم ومواليتهم، ﴿يقولون نخشى أن
تصيبننا دائرة﴾، دولة، يعني: أن يدول الدهر دولةً فنحتاج إلى نصرهم إيانا، وقال ابن عباس رضي
الله عنهما: معناه نخشى أن لا يتم أمر محمد فيدور الأمر علينا، وقيل: نخشى أن يدور الدهر علينا
بمكروه من جذب وقحط فلا يعطونا الميرة والقرض، ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾، قال قتادة ومقاتل:
بالقضاء الفصل من نصر محمد ﷺ على من خالفه، وقال الكلبي والسدي: فتح مكة، وقال
الضحاك: فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك، ﴿أو أمر من عنده﴾، قيل: بإتمام أمر محمد ﷺ، وقيل:
هو عذاب لهم، وقيل: إجلاء بني النضير، ﴿فيُصحبوا﴾، يعني هؤلاء المنافقين، ﴿على ما أسروا
في أنفسهم﴾، من موالات اليهود ودس الأخبار إليهم، ﴿نادمين﴾.

﴿و﴾، حينئذ، ﴿يقول الذين آمنوا﴾ [قرأ أهل الكوفة: «ويقول»، بالواو والرفع]^(٣) وقرأ أهل

(١) انظر: الطبري: ٢٧٦/٦ (طبع الحلبي)، الدر المنثور: ٩٩/٣ - ١٠٠، وهنا نضع كلمة لشيخ المفسرين الإمام الطبري، رحمه الله
يبين فيها الصواب من هذه الأقوال، قال: «والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين جميعاً أن
يتخذوا اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله، وأخبر أن من اتخذهم نصيراً وحليفاً وولياً من دون الله ورسوله
والمؤمنين، فإنه منهم في التحزب على الله ورسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريثان. وقد يجوز أن الآية نزلت في شأن عبادة بن
الصامت وعبدالله بن أبي بن سلول وحلفائهما من اليهود، ويجوز أن تكون نزلت في أبي لبابة بسبب فعله في بني قريظة، ويجوز أن
تكون نزلت في شأن الرجلين اللذين ذكر السدي أن أحدهم هم باللاحق بذلك اليهودي والآخر بنصراني بالشام.
ولم يصح بواحد من هذه الأقوال الثلاثة خير يثبت بمثله حجة، فيسلم لصحته القول بأنه كما قيل. فإذا كان ذلك كذلك، فالصواب:
أن يحكم لظاهر التنزيل بالعموم على ما عم، ويجوز ما قاله أهل التأويل فيه من القول الذي لا علم عندنا بخلافه، غير أنه لا شك أن
الآية نزلت في منافق كان يوالي يهود أو نصارى خوفاً على نفسه من دوائر الدهر، لأن الآية بعده تدل على ذلك».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) زيادة من «ب».

البصرة بالواو ونصب اللام عطفًا على ﴿أَنْ يَأْتِيَ﴾ أي: وعسى أن يقول الذين آمنوا، وقرأ الآخرون بحذف الواو ورفع اللام، وكذلك هو في مصاحف أهل [العالية]^(١)، استغناء عن حرف العطف بملاسة هذه الآية بما قبلها، يعني يقول الذين آمنوا في وقت إظهار الله تعالى نفاق المنافقين، ﴿أَهْوَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾، حلفوا بالله، ﴿جَهْدَ إِيمَانِهِمْ﴾، أي: حلفوا بأغلظ الأيمان، ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾، أي: إنهم مؤمنون، يريد: أن المؤمنين حينئذ يتعجبون من كذبهم وحلفهم بالباطل. قال الله تعالى: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾، بطل كل خير عملوه، ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾، خسروا الدنيا بافتضاحهم، والآخرة بالعذاب وفوات الثواب.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، قرأ أهل المدينة والشام «يرتد» بدالين على إظهار التضعيف ﴿عَنْ دِينِهِ﴾ فيرجع إلى الكفر.

قال الحسن: علم الله تبارك وتعالى أن قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم ﷺ فأخبر أنه يأتي بقوم يحبهم الله ويحبونه.

واختلفوا في أولئك القوم من هم؟ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن وقتادة: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة^(٢)، وذلك أن النبي ﷺ لما قبض ارتد عامة العرب إلا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس، ومنع بعضهم الزكاة، وهم أبو بكر رضي الله عنه بقتالهم فكره ذلك أصحاب النبي ﷺ، وقال عمر رضي الله عنه: كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل؟» فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني [عناقاً]^(٣) كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها^(٤).

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة، وقالوا: أهل القبلة، فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده، فلم يجدوا بداً من الخروج على أثره.

(١) في «ب»: (الشام).

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٣/٦ (طبع الحلبي).

(٣) في «ب»: (عقالاً).

(٤) أخرجه البخاري في الزكاة، باب وجوب الزكاة ٢٦٢/٣، ومسلم في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. برقم

(٢٠): ٥١/١ - ٥٢، والمصنف في شرح السنة: ٦٦/١ - ٦٧.

قال ابن مسعود: كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء.

قال أبو بكر بن عياش: سمعت أبا حصين يقول: ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر رضي الله عنه، لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة. وكان قد ارتد في حياة النبي ﷺ ثلاث فرق:

منهم [بنو مذحج]^(١) ورئيسهم ذو الخمار، عبهلة بن كعب، العنسي، ويلقب بالأسود، وكان كاهناً مشعبداً فتنبأ باليمن واستولى على بلادها، فكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين، وأمرهم أن يحثوا الناس على التمسك بدينهم، وعلى النهوض إلى حرب الأسود، فقتله فيروز الديلمي على فراشه، قال ابن عمر رضي الله عنه فأتى الخبرُ النبيَّ ﷺ من السماء الليلة التي قُتل فيها، فقال رسول الله ﷺ: «قتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك»، قيل: ومن هو؟ قال: «فيروز، [فازفيروز]^(٢)، فبشّر النبي ﷺ أصحابه بهلاك الأسود، وقبض ﷺ من الغد؛ وأتى [خبر]^(٣) مقتل العنسي المدينة في آخر شهر ربيع الأول بعدما خرج أسامة وكان ذلك أول فتح جاء أبا بكر رضي الله عنه^(٤).

والفرقة الثانية: بنو حنيفة باليمامة، ورئيسهم مسيلمة الكذاب، [واسمه ثمامة بن قيس]^(٥)، وكان قد تنبأ في حياة رسول الله ﷺ في آخر سنة عشر، وزعم أنه أشرك مع محمد ﷺ في النبوة، وكتب إلى رسول الله ﷺ من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك، وبعث [بذلك]^(٦) إليه مع رجلين من أصحابه، فقال لهما رسول الله ﷺ: [أشهدان أن مسيلمة رسول الله؟] قالوا: نعم. قال النبي ﷺ^(٧): «لولا أن الرسل لا تُقتل لضربت أعناقكما»، ثم أجاب: «من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد فإن الأرض لله يُورثها مَنْ يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين»، ومرض رسول الله ﷺ وتوفي، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد إلى مسيلمة الكذاب في جيش كثير حتى أهلكه الله على يدي وحشي، غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة بن عبدالمطلب، بعد حرب شديد، وكان وحشي يقول: قتل خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام^(٨).

(١) في «ب»: (بنو مذحج).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) انظر: تاريخ الطبري: ٢٢٧/٣ وما بعدها، البداية والنهاية ٣٠٥/٦ - ٣١١ أسد الغابة لابن الأثير: ٣٧١/٤. تفسير الطبري: ٤٢٤/١٠ - ٤٢٥.

(٤) زيادة من «ب».

(٥) انظر: سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب الرسل: ٦٤/٤، البداية والنهاية: ٥١/٥، ٢٠٠/٦، سيرة ابن هشام: ٦٠٠/٢.

ب/١٠٨

والفرقة الثالثة: بنو أسد، ورئيسهم طليحة بن خويلد بن الوليد، وكان طليحة آخر من ارتد، وأدعى النبوة في حياة النبي ﷺ، وأول من قُوتل بعد وفاة النبي ﷺ من أهل / الردة، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد إليه، فهزمهم خالد بعد قتال شديد، وأفلت طليحة فمرّ على وجهه هارباً نحو الشام، ثم إنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه^(١).

وارتدّ بعد وفاة النبي ﷺ [في خلافة أبي بكر رضي الله عنه]^(٢) خلق كثير، حتى كفى الله المسلمين أمرهم في نصر دينه على أيدي أبي بكر رضي الله عنه^(٣).

قالت عائشة: «توفى رسول الله ﷺ وارتدت العربُ واشربَّ البُفناق، ونزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها»^(٤).

وقال قوم: المراد بقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ هم الأشعريون، روي عن عياض بن غنم الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾، قال رسول الله ﷺ: «هم قومٌ هذا، وأشار إلى أبي موسى الأشعري»^(٥) وكانوا من اليمن.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبدالله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن [علي الكشميهني، حدثنا علي بن]^(٦) حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق أفئدة، الإيمانُ يمانٌ والحكمةُ يمانية»^(٧).

وقال الكلبي: هم أحياء من اليمن ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة، وثلاثة آلاف من أفياء الناس، فجاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في أيام عمر رضي الله عنه.

(١) انظر: البداية والنهاية: ٣١٤/٦ - ٣١٩ - ٦١/٤.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) انظر: حروب الردة للشهيد المؤرخ الكلاعي ص (٣٥) وما بعدها.

(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٦٦٥/٢، حروب الردة للكلاعي ص (٣٥)، تاريخ الطبري، ٢٢٥/٣.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٣١٣/٢ وصححه على شرط مسلم، وأخرجه الطبراني ورجال رجال الصحيح (مجمع الزوائد:

١٦/٧). والطبري في التفسير: ٤١٤/١٠ - ٤١٥.

(٦) زيادة من «ب» و«شرح السنة».

(٧) أخرجه البخاري في المغازي، باب قدم الأشعريين وأهل اليمن: ٩٨/٨، ومسلم في الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان...

(٥٢): ٧١/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٠١/١٤.

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾
 وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾

قوله عز وجل ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، يعني: أرقاء رحماء، كقوله عز وجل: «واخفض لهما جناح الذل من الرحمة»، ولم يرد به الهوان، بل أراد به أن جانبهم لئن على المؤمنين. وقيل: هو من الذل من قولهم دابة ذلول، يعني أنهم متواضعون كما قال الله تعالى: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا»، ﴿أعزة على الكافرين﴾، أي: أشداء غلاظ على الكفار يعادونهم ويغالبونهم، من قولهم: عزه أي غلبه. قال عطاء: أذلة على المؤمنين: كالولد لوالده وكالعبد لسيده، أعزة على الكافرين: كالسبع على فريسته، نظيره قوله تعالى: «أشداء على الكفار رحماء بينهم». ﴿يُجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾، يعني: لا يخافون في الله لوم الناس، وذلك أن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم، وروينا عن عبادة بن الصامت قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم»^(١).

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، أي محبتهم لله ولين جانبهم للمسلمين، وشدتهم على الكافرين، من فضل الله عليهم، ﴿والله واسع عليم﴾.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، [روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي بن سلول حين تبرأ عبادة من اليهود، وقال: أتولى الله ورسوله والذين آمنوا، فنزل فيهم من قوله: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء»، إلى قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢)، يعني عبادة بن الصامت وأصحاب رسول الله ﷺ^(٣). وقال جابر بن عبد الله: جاء عبد الله بن سلام إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله إن قومنا قريظة والنضير قد هجرنا وفارقونا وأقسموا أن لا يجالسونا، فنزلت هذه الآية، فقرأها عليه رسول الله ﷺ، فقال: «يارسول الله رضينا بالله ورسوله وبالمؤمنين أولياء»^(٤). وعلى هذا التأويل أراد بقوله: ﴿وَهُمْ

(١) أخرجه البخاري في الأحكام، باب كيف يبايع الامام الناس: ١٣/١٩٢، وفي الفتن، وأخرجه مسلم في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، برقم (١٧٠٩): ٣/١٤٧٠، والمصنف في شرح السنة: ١٠/٤٦.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) انظر فيما سبق، سبب نزول الآية (٥١) من السورة، والطبري: ١٠/٤٢٤.

(٤) أخرجه الواحدي في أسباب النزول، (٢٣٠) عن جابر وعن ابن عباس، وعزه السيوطي لابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بنحوه. الدر المنثور ٣/١٠٥.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلِعِبَابًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ
وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُؤًا وَلِعِبَابًا ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا
وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾

راكعون ﴿٥٩﴾، صلاة التطوع بالليل والنهار، قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال السدي: قوله: «والذين آمنوا الذين يُقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راکعون»، أراد به علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مرّ به سائل وهو راکع في المسجد فأعطاه خاتمه^(١).

وقال جويبر عن الضحاک في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، قال: هم المؤمنون بعضهم أولياء بعض، وقال أبو جعفر محمد بن علي الباقر: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، نزلت في المؤمنين، فقيل له: إن أناساً يقولون إنها نزلت في علي رضي الله عنه، فقال: هو من المؤمنين^(٢).

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني: يتولّى القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد المهاجرين والأنصار، ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾، يعني: أنصار دين الله، ﴿هم الغالبون﴾.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلِعِبَابًا﴾ قال ابن عباس كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهر الإسلام، ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما، فأنزل الله عز وجل هذه الآية^(٣): «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلِعِبَابًا»، يظهرون ذلك بألسنتهم قولاً وهم مستبطنون الكفر، ﴿من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾، يعني: اليهود، ﴿والكفار﴾، قرأ أهل البصرة والكسائي «الكفار»، بخفض الراء، [يعني:

(١) أخرجه الطبري: ٤٢٥/١٠ - ٤٢٦. وفيه عن السدي: هؤلاء جميع المؤمنين، ولكن علي بن أبي طالب مرّ به سائل وهو راکع... وانظر: الدر المنثور: ١٠٤/٣ - ١٠٥.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٢٥/١٠. وانظر: الدر المنثور: ١٠٦/٣.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام: ٥٦٨/١، تفسير الطبري: ٢٩٠/٦، أسباب النزول للواحدي ص (٢٣١)، الدر المنثور: ١٠٧/٣.

ومن الكفار^(١)، وقرأ الآخرون بالنصب، أي: لا تتخذوا الكفار، ﴿أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾.

قوله تعالى: ﴿وإذا ناديتُم إلى الصلاة اتخذوها هُزُواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾، قال الكلبي: كان منادي رسول الله ﷺ إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قد قاموا لا قاموا، وصلوا لا صلوا، على طريق الاستهزاء، وضحكوا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية^(٢).

وقال السدي: نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: حرق الكاذب، فدخل خادمه ذات ليلة بنارٍ [وهو وأهله نيام]^(٣)، فتطايرت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله^(٤).

وقال الآخرون: إن الكفار لما سمعوا الأذان حسدوا المسلمين فدخلوا على رسول الله ﷺ، وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الأمم فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت - فيما أحدثت - الأنبياء قبلك، ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الأنبياء، فمن أين لك صياح كصياح [العنز]^(٥)؟ فما أقبح من صوت وما أسمع من أمر، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ونزل «ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله»، الآية^(٦).

قوله عز وجل: ﴿قل يا أهل الكتاب هل تتقون منّا﴾، الآية. قرأ الكسائي: «هل تتقون»، بإدغام اللام في التاء، وكذلك يدغم لام هل في التاء والتاء والنون، ووافقه حمزة في التاء والتاء وأبو عمرو في «هل ترى» في موضعين.

قال ابن عباس: أتى النبي ﷺ نفرٌ من اليهود، أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبي رافع وغيرهما، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فقال: أومن «بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل» إلى قوله: «ونحن له مسلمون»، فلما ذكر عيسى عليه السلام جحدوا نبوته، وقالوا: والله ما نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم، ولا ديناً شراً من دينكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٧): «قل يا أهل

(١) ساقط من «ب».

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي، ص (٢٣١)، الدر المنثور: ١٠٧/٣.

(٣) في «ب» جاءت العبارة هكذا: (وهو نائم، هو وأهله).

(٤) انظر: الطبري: ٢٩١/٦، الدر المنثور: ١٠٧/٣ - ١٠٨، أسباب النزول، ص (٢٣١) البحر المحيط: ٥١٥/٣.

(٥) في أسباب النزول «العير».

(٦) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٢٣١ - ٢٣٢)، البحر المحيط: ٥١٥/٣.

(٧) انظر: سيرة ابن هشام: ٥٦٧/١، الطبري: ٢٩٢/٦، الدر المنثور: ١٠٨/٣، أسباب النزول ص (٢٣٢).

قُلْ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ بِشَرِّ مَن ذَٰلِكَ مُتُوْبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ
وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءَ وَكُمُ قَالُوا
ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ءِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ
يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ
الرَّبِّيْنِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾

الكتاب هل تتقون منا» أي: تكرهون منا، ﴿إلا أن آمننا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن
أكثركم فاسقون﴾، أي: هل تكرهون منا إلا إيماننا وفسقكم، أي: إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون
أنا على حق، لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لحب الرياسة وحب الأموال.

ثم قال: ﴿قل﴾، يا محمد، ﴿هل أنبئكم﴾، أخبركم، ﴿بشراً من ذلك﴾، الذي ذكرتم، يعني
قولهم لم نر أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم، فذكر الجواب بلفظ
الابتداء، / وإن لم يكن الابتداء شراً كقوله تعالى: ﴿أفأنبئكم بشراً من ذلكم النار﴾ (الحج، ٧٢)،
﴿متوبة﴾ ثواباً وجزاءً، نُصب على التفسير، ﴿عند الله من لعنه الله﴾ أي: هو من لعنه الله، ﴿وغضب
عليه﴾، يعني: اليهود، ﴿وجعل منهم القردة والخنازير﴾، فالقردة أصحاب السبت، والخنازير كفار
مائدة عيسى عليه السلام.

وروي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الممسوخين كلاهما من
أصحاب السبت، فشبأنهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير. ﴿وعبد الطاغوت﴾، أي: جعل
منهم من عبد الطاغوت، أي: أطاع الشيطان فيما سؤل له، وتصديقها قراءة ابن مسعود: ومن عبدوا
الطاغوت، وقرأ حمزة «وعبد» بضم الباء «الطاغوت» بجر التاء، أراد العبد وهما لغتان عبد بجزم الباء
وعبد بضم الباء، مثل سبّع وسبّع، وقيل: هو جمع العباد، وقرأ الحسن وعبد الطاغوت، على الواجد،
﴿أولئك شرٌّ مكاناً وأضلُّ عن سواء السبيل﴾ أي: عن طريق الحق.

﴿وإذا جاءوكم قالوا﴾، يعني: هؤلاء المنافقين، وقيل: هم الذين قالوا: «آمنوا بالذي أنزل
على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره»، دخلوا على النبي ﷺ وقالوا: آمنا بك وصدقناك فيما قلت،
وهم يسرون الكفر، ﴿وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به﴾، يعني: دخلوا كافرين وخرجوا كافرين،
﴿والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ
 وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ
 إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ
 لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

﴿وترى كثيراً منهم﴾، يعني: من اليهود ﴿يسارعون في الإثم والعدوان﴾، قيل: الإثم المعاصي والعدوان الظلم، وقيل: الإثم ما كتموا من التوراة، والعدوان ما زادوا فيها، ﴿وأكلهم السُّحْتِ﴾، الرِّشَا، ﴿لبس ما كانوا يعملون﴾.

﴿لولا﴾، هلا، ﴿ينهاهم الربانيون والأحبار﴾، يعني: العلماء، قيل: الربانيون علماء النصارى والأحبار علماء اليهود، ﴿عن قولهم الإثم وأكلهم السُّحْتِ لبس ما كانوا يصنعون﴾.

قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾، قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة: إن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالاً وأخصبهم ناحية فلما عصوا الله في أمر محمد ﷺ وكذبوا به كفَّ الله عنهم ما بسط عليهم من السعة، فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء: يد الله مغلولة، أي: محبوسة مقبوضة عن الرزق نسبوه إلى البخل، تعالى الله عن ذلك.

قيل: إنما قال هذه المقالة فنحاص، فلما لم ينهه الآخرون ورضوا بقوله أشركهم الله فيها. وقال الحسن: معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا إلا بما تبرَّ به قسمه قدر ما عبد آباؤنا العجل. والأول أولى لقوله: «ينفق كيف يشاء».

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، أي: [أمسكت] (١) أيديهم عن الخيرات. وقال الزجاج: أجابهم الله تعالى فقال: أنا الجواد وهم البخلاء وأيديهم هي المغلولة الممسكة. وقيل: هو من الغل في النار يوم القيامة، كقوله تعالى: «إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل» (غافر، ٧١). ﴿ولُعِنُوا﴾، عُدُّبُوا، ﴿بما قالوا﴾، فَمِنْ لَعْنِهِمْ أَنَّهُمْ مُسَخَّوْا قَرْدَةً وَخَنَازِيرٌ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، ويدُ الله صفةٌ من [صفاته] (٢) كالسمع، والبصر والوجه، وقال جلَّ

(١) في «ب» (أمسك الله).

(٢) في «ب»: (صفات ذاته).

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾
 ﴿٦٧﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ

ذكره: «لما خلقت بيدي» (ص، ٧٥)، وقال النبي ﷺ: «كلنا يديه يمين»^(١)، والله أعلم بصفاته، فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم.

وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: «أمرؤها كما جاءت بلا كيف».

﴿يُنْفِقُ﴾، يرزق، ﴿كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً﴾، أي: كلما نزلت آية كفروا بها وازدادوا طغياناً وكفراً، [كلما نزلت آية]^(٢) ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء﴾، يعني: بين اليهود والنصارى، قاله الحسن ومجاهد: وقيل بين طوائف اليهود جعلهم الله تعالى مختلفين في دينهم متباغضين ﴿إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله﴾، يعني: اليهود أفسدوا وخالفوا حكم التوراة، فبعث الله عليهم بختنصر، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومي، ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم المسلمين.

وقيل: كلما أجمعوا أمرهم ليفسدوا أمر محمد ﷺ وأوقدوا نار المحاربة أطفاها الله، فردهم وقهرهم ونصر نبيه ودينه، هذا معنى قول الحسن، وقال قتادة: هذا عام في كل حرب طلبته اليهود فلا تلقى اليهود في بلد إلا وجدتهم من أذل الناس، ﴿ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين﴾.

﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا﴾، بمحمد ﷺ، ﴿واتقوا﴾، الكفر، ﴿لكفّرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم﴾.

(١) قطعة من حديث أخرجه الإمام مسلم في الإمامة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر... برقم (١٨٢٧): ٣/١٤٥٨.

(٢) ساقط من «ب».

﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل﴾، يعني: أقاموا أحكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما، ﴿وما أنزل إليهم من ربهم﴾، يعني: القرآن، وقيل: كتب أنبياء بني إسرائيل، ﴿لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾، قيل: من فوقهم هو المطر، ومن تحت أرجلهم نبات الأرض.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لأنزلت عليهم القطر وأخرجت لهم من نبات الأرض. وقال الفراء أراد به التوسعة في الرزق كما يقال فلان في الخير من قرنه إلى قدمه، ونظيره قوله تعالى: «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض» (الأعراف، ٩٦). ﴿منهم أمة مقتصدة﴾، يعني: مؤمني أهل الكتاب، عبدالله بن سلام وأصحابه، مقتصدة أي عادلة غير غالية، ولا مقصرة جافية. ومعنى الاقتصاد في اللغة: الاعتدال في العمل من غير غلولا تقصير. ﴿وكثير منهم﴾، كعب بن الأشرف وأصحابه، ﴿سء ما يعملون﴾، بس شيناً عملهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: عملوا القبيح مع التكذيب بالنبي ﷺ.

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ الآية، روي عن مسروق قال: قالت عائشة رضي الله عنها من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب، وهو يقول: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك» الآية^(١). روى الحسن: أن الله تعالى لما بعث رسوله ضاق ذرعاً وعرف أن من الناس من يكذبه، فنزلت هذه الآية^(٢).

وقيل: نزلت في عيب اليهود، وذلك أن النبي ﷺ دعاهم إلى الإسلام، فقالوا أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤون به، فيقولون له: تريد أن نتخذك حناناً كما اتخذت النصرى عيسى ابن مريم حناناً، فلما رأى النبي ﷺ ذلك سكت فنزلت هذه الآية، وأمره أن يقول لهم: «يا أهل الكتاب لستم على شيء» الآية.

وقيل: بلغ ما أنزل إليك من الرجم والقصاص، نزلت في قصة اليهود. وقيل: نزلت في أمر زينب بنت جحش ونكاحها.

وقيل: في الجهاد، وذلك أن المنافقين كرهوه، كما قال الله تعالى: «فإذا أنزلت سورةً مُحْكَمَةً ودُكِرَ فيها القتالُ رأيتَ الذينَ في قلوبهم مرضٌ ينظرونَ إليكَ نظرَ المغشي عليه من الموتِ»

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب «يا أيها الرسول بلغ...» من سورة المائدة: ٢٧٥/٨، ومسلم في الإيمان. باب معنى قول الله عز وجل «ولقد رآه نزلة أخرى» برقم (١٧٧): ١٥٩/١.

(٢) أسباب النزول للواحدي ص (٢٣٢ - ٢٣٣)، الدر المنثور: ١١٦/٣ - ١١٧.

(محمد، ٢٠) وكرهه بعض المؤمنين قال الله تعالى: «ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم» الآية (النساء، ٧٠). فكان النبي ﷺ يمسك في بعض الأحيان عن الحث على الجهاد لما يعلم من كراهة بعضهم، فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالتَهُ﴾، قرأ أهل المدينة ﴿رسالاته﴾، على الجمع والباقون رسالته على التوحيد.

ومعنى الآية: إن لم تبَلِّغ الجميع وتركت بعضه، فما بلغت شيئاً، أي: جرمك في ترك تبليغ البعض كجرمك / في ترك تبليغ الكل، كقوله: «ويقولون نُؤْمِنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعضٍ ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً» (النساء، ١٥٠-١٥١)، أخبر أن كفرهم بالبعض محبط للإيمان بالبعض.

وقيل: بَلِّغْ ما أنزل إليك أي: أظهر تبليغه، كقوله: «فاصدع بما تؤمر» (الحجر، ٩٤) وإن لم تفعل: فإن لم تظهر تبليغه فما بلغت رسالته، أمره بتبليغ ما أنزل إليه مجاهراً محتسباً صابراً، غير خائف، فإن أخفيت منه شيئاً لخوفٍ يلحقك فما بلغت رسالته.

﴿والله يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، يحفظك ويمنعك من الناس، فإن قيل: أليس قد شج رأسه وكسرت رباعيته وأوذى بضروب من الأذى؟

قيل: معناه يعصمك من القتل فلا يصلون إلى قتلك.

وقيل: نزلت هذه الآية بعد ما شج رأسه لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن.

وقيل: والله يخصك بالعصمة من بين الناس، لأن النبي ﷺ معصوم.

﴿إن الله لا يهدي الكافرين﴾، أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أنا سنان بن أبي سنان الدولي وأبو سلمة بن عبدالرحمن أن جابر بن عبدالله أخبره أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ، قفل معه وأدركتهم القائلة في وإد كثير العضاة، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة وعلق بها سيفه ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعوننا وإذا عنده أعرابي، فقال: «إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً، فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله «ثلاثاً»، ولم يعاقبه وجلس^(١).

(١) أخرجه البخاري في الجهاد، بابل من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة: ٩٦/٦، وفي المغازي. ومسلم في صلاة المسافرين، باب صلاة الخوف برقم (٨٤٣): ٥٧٦/١. واللفظ للبخاري.

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلِيُزِيدَكُمْ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالصَّادِقَاتُ وَالصَّادِقَاتُ مِنَ الْأُمَّةِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا إِنَّا جَاءَ هُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَنَّ أَتَاكُوتَ فَتْنَةٍ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثَوَابَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾

وروى محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الأعرابي سل سيفه وقال: من يمنعك مني يا محمد قال: الله، فرعدت يدا الأعرابي وسقط السيف من يده وجعل يضرب برأسه الشجرة حتى انثرت دماغه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إسماعيل بن خليل أخبرنا علي بن مسهر أنا يحيى بن سعيد أنا عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: كان النبي ﷺ سهر فلما قدم المدينة قال ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة، إذ سمعنا صوت سلاح، فقال: من هذا؟ قال: أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك، فنام النبي ﷺ^(١).

وقال عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿والله يعصمك من الناس﴾، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة فقال لهم: «أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله سبحانه وتعالى»^(٢).

قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا

(١) أخرجه البخاري في الجهاد، باب الحراسة في الغزوة في سبيل الله: ٨١/٦، ومسلم في فضائل الصحابة باب في فضل سعد بن أبي وقاص، برقم (٢٤١٠): ٤/١٨٧٥.

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير، سورة المائدة: ٤١١/٨، وقال: هذا حديث غريب، وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريري عن =

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي
 إِسْرَائِيلَ ۗ اَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۗ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ
 وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
 ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ۗ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ ۗ وَاللَّهُ
 غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
 الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۗ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ أَنْظِرْ كَيْفَ نَبِّئْتَهُمْ
 الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾

إليكم من ربكم ﴿٧٢﴾، أي: تقيموا أحكامهما وما يجب عليكم فيهما، ﴿وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل
 إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس﴾، فلا تحزن، ﴿على القوم الكافرين﴾.

﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابثون والنصارى﴾، وكان حقه: ﴿والصابثين﴾ وقد ذكرنا
 في سورة البقرة وجه ارتفاعه^(١). وقال سيبويه: فيه تقديم وتأخير تقديره: إن الذين آمنوا والذين هادوا
 والنصارى من آمن بالله إلى آخر الآية، والصابثون كذلك، وقوله: ﴿إن الذين آمنوا﴾ أي: باللسان،
 وقوله: ﴿من آمن بالله﴾ أي: بالقلب، وقيل: الذين آمنوا على حقيقة الإيمان ﴿من آمن بالله﴾، أي
 ثبت على الإيمان، ﴿واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

قوله تعالى: ﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ في التوحيد والنبوة، ﴿وأرسلنا إليهم رسلاً كلما
 جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا﴾، عيسى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهما،
 ﴿وفريقاً يقتلون﴾ يحيى وزكريا.

= عبدالله بن شقيق قال: كان النبي... ولم يذكروا فيه: عن عائشة. وصححه الحاكم في المستدرک: ٣١٣/٢ ووافقه الذهبي،
 والطبري في التفسير ٣٠٨/٦. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: «واستاده حسن، واختفلوا في وصله وإرساله». وزاد السيوطي نسبه:
 لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي، كلاهما في الدلائل، وابن مردويه. انظر: الدر المثور: ١١٨/٣.

(١) انظر فيما سبق تفسير الآية (٦٢) من سورة البقرة، في المجلد الأول.

﴿وَحَسِبُوا﴾، ظنوا، ﴿أَنْ لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾، أي: عذاب وقتل، وقيل: ابتلاء واختبار، أي: ظنوا أن لا يُبتلوا ولا يُعذبهم الله، قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي ﴿تَكُونَ﴾ برفع النون على معنى أنها لا تكون، ونصبها الآخرون كما لو لم يكن قبله لا، ﴿فَعَمُوا﴾، عن الحق فلم يبصروه، ﴿وَصَمُّوا﴾، عنه فلم يسمعوه، يعني عموا وصموا بعد موسى صلوات الله وسلامه عليه، ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، بيعث عيسى عليه السلام، ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾، بالكفر بمحمد ﷺ، ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾، وهم الملكانية واليعقوبية منهم، ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾، يعني: المرقوسية، وفيه إضمار معناه: ثالث ثلاثة آلهة، لأنهم يقولون: الإلهية مشتركة بين الله تعالى ومريم وعيسى، وكل واحد من هؤلاء إله فهم ثلاثة آلهة، يبيّن هذا قوله عزّ وجلّ للمسيح: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟﴾ (المائدة، ١١٦)، ومن قال: إن الله ثالث ثلاثة ولم يرد به الإلهية لا يكفر، فإن الله يقول: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ (المجادلة، ٧)، وقال النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(١). ثم قال رداً عليهم: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ﴾، [ليصين^(٢)]، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، خص الذين كفروا لعلمه أن بعضهم يؤمنون.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾؟ قال الفراء: هذا أمر بلفظ الاستفهام كقوله تعالى: «فهل أنتم متتهون» (المائدة، ٩١)، أي: انتهوا، والمعنى: أن الله [يأمركم]^(٣) بالتوبة والاستغفار من هذا الذنب العظيم، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾، [مضت]^(٤)، ﴿مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، أي: ليس هو بإله بل هو كالرسل الذين مضوا لم يكونوا آلهة، ﴿وَأُمَّهُ صَدِيقَةٌ﴾، أي: كثيرة الصدق.

(١) أخرجه البخاري في التفسير، سورة التوبة، باب «ثاني اثنين إذ هما في الغار... ٣٢٥/٨».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) في «ب»: (يأمرهم).

(٤) ساقط في «ب».

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾

وقيل: سُميت صديقة لأنها صدقت بآيات الله، كما قال عز وجل في وصفها: «وصدقت بكلمات ربها» (التحریم، ١٢)، ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾، أي: كانا يعيشان بالطعام والغذاء كسائر آدميين، فكيف يكون إلهاً من لا يقيمه إلا أكل الطعام؟

وقيل: هذا كناية عن الحدّ، وذلك أن من أكل وشرب لا بدّ له من البول والغائط، ومن هذه صفته كيف يكون إلهاً؟

ثم قال: ﴿انظُرْ كَيْفَ نَبَّيْنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ﴾، أي يُصرفون عن الحق.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾، أي: لا تتجاوزوا الحد، والغلو والتقصير

كل واحد منهما مذموم في الدين، وقوله: ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾، أي: في دينكم المخالف للحق، وذلك أنهم خالفوا الحق في دينهم، ثم غلوا فيه بالإصرار عليه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ﴾، والأهواء جمع الهوى وهو ما تدعو إليه شهوة النفس ﴿قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾، يعني: رؤساء الضلالة من فريقي اليهود والنصارى، والخطاب للذين كانوا في عصر النبي ﷺ نهوا عن اتباع أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم / ١١٠ / ١ ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾، يعني: من اتبعهم [على أهوائهم] ^(١)، ﴿وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾، عن قصد الطريق، أي: بالإضلال، فالضلال الأول من الضلالة، والثاني بإضلال من اتبعهم.

قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾، يعني: أهل أيلة لما اعتدوا

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب).

تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ
 أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ
 ﴿٨٧﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا
 وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَٰلِكَ
 بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٨﴾

في السبت، وقال داود عليه السلام: اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة، ﴿وعيسى ابن مريم﴾،
 أي: على لسان عيسى عليه السلام، يعني: كفار أصحاب المائدة، لما لم يؤمنوا، قال عيسى: اللهم
 العنهم واجعلهم آية فمسخوا خنازير، ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾.

﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه﴾، [أي: لا ينهى بعضهم بعضاً] ﴿لبئس ما كانوا يفعلون﴾.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا الحسن محمد بن الحسين أنا أحمد بن
 محمد بن إسحاق أنا أبو يعلى الموصلي أنا وهب بن بقية أنا خالد - يعني ابن عبدالله الواسطي - عن
 العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال
 رسول الله ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل إذا عمل العامل منهم الخطيئة نهاه الناهي
 تعذيراً فإذا كان من الغد جالسه وأكله وشاربه كأنه لم يره على الخطيئة بالأمس، فلما رأى الله تبارك
 وتعالى ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض، وجعل منهم القردة والخنازير، ولعنهم على لسان
 داود وعيسى ابن مريم عليهما السلام ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، والذي نفسي بيده لتأمرن
 بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد السفية ولتأطرنه على الحق أطراً أو ليضربن الله قلوب
 بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم»^(١).

قوله تعالى: ﴿ترى كثيراً منهم﴾، قيل: من اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه، ﴿يتولون﴾

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٢) روي من طرق وبألفاظ مختلفة عن أبي موسى وعن عبدالله بن مسعود، فقد أخرجه أبو داود في الملاحم، باب الأمر والنهي: ١٨٦/٦،
 والترمذي في تفسير سورة المائدة: ٤١٢/٨ - ٤١٣، وقال: هذا حديث حسن غريب. وقال بعضهم: يقول عن أبي عبيدة عن النبي
 ﷺ: مرسل. وأخرجه ابن ماجه في الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم (٤٠٠٦ - ٤٠٠٧) ١٣٢٧/٢ - ١٣٢٨ مرسلًا

الذين كفروا ﴿﴾، مشركي مكة حين خرجوا إليهم يجيشون على النبي ﷺ، وقال ابن عباس ومجاهد والحسن: منهم يعني من المنافقين يتولون اليهود، ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم﴾، بئس ما قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة، ﴿أن سخط الله عليهم﴾، غضب الله عليهم، ﴿وفي العذاب هم خالدون﴾.

﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي﴾، محمد ﷺ، ﴿وما أنزل إليه﴾، يعني القرآن، ﴿ما اتخذوهم﴾ يعني الكفار، ﴿أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون﴾، أي خارجون عن أمر الله سبحانه وتعالى.

قوله عز وجل: ﴿لتجدنَّ أشدَّ النَّاسِ عداوةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، يعني: مشركي العرب، ﴿ولتجدنَّ أقربهم مودةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾، لم يرد به جميع النصارى لأنهم في عداوتهم المسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين وأسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم، لا ولاء، ولا كرامة لهم، بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النجاشي وأصحابه، [وقيل: نزلت في جميع اليهود وجميع النصارى، لأن اليهود أقسى قلباً والنصارى ألين قلباً منهم، وكانوا أقل مظهرة للمشركين من اليهود]^(١)

قال أهل التفسير: ائتمرت قريش أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم، فافتتن من افتتن، وعصم الله منهم من شاء، ومنع الله تعالى رسوله بعمة أبي طالب، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد أمرهم بالخروج إلى أرض الحبشة، وقال: ﴿إنَّ بها ملكاً صالحاً لا يظلم ولا يُظلم عنده أحد، فاخرجوا إليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجاً﴾ وأراد به النجاشي، واسمه أصحمة وهو بالحبشة عطية، وإنما النجاشي اسم الملك، كقولهم قيصر وكسرى، فخرج إليها سراً أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وهم عثمان بن عفان وامراته رقية بنت رسول الله ﷺ، والزبير بن العوام وعبدالله بن مسعود، [وعبدالرحمن بن عوف]^(٢) وأبو حذيفة بن عتبة وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو، ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبدالأسد وامراته أم سلمة بنت أبي أمية، وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامراته

وموصولاً، والإمام أحمد في المسند: ٣٩١/١، وعزاه الهيثمي للطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح. (مجمع الزوائد: ٢٦٩/٧).

وقال المنذري: أبو عبيدة بن عبدالله بن مسعود لم يسمع من أبيه، فهو منقطع.

(١) ساقط من «ب».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

ليلي بنت أبي [حثمة]^(١)، وحاطب بن عمرو [سهل]^(٢) بن بيضاء رضي الله عنهم، فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة إلى أرض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله ﷺ، وهذه الهجرة الأولى ثم خرج جعفر بن أبي طالب، وتتابع المسلمون إليها وكان جميع من هاجر إلى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلاً سوى النساء والصبيان.

فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه بالهدايا إلى النجاشي وبطارقته ليردّوهم إليهم، فعصمهم الله، وذكرت القصة في سورة آل عمران.

فلما انصرفا خائبين، أقام المسلمون هناك بخير دار وأحسن جوار إلى أن هاجر رسول الله ﷺ، وعلا أمره، وذلك في سنة ست من الهجرة كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمريّ ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان - وكانت قد هاجرت إليه مع زوجها فمات زوجها، - وبيعت إليه من عنده من المسلمين فأرسل النجاشي إلى أم حبيبة جارية يقال لها أبرهة تخبرها بخطبة رسول الله ﷺ إياها، فأعطتها أوصاحاً لها سروراً بذلك، فأذنت لخالد بن سعيد بن العاص حتى أنكحها على صداق أربعمئة دينار، وكان الخاطب لرسول الله ﷺ النجاشي رحمه الله فأنفذ إليها النجاشي أربعمئة دينار على يد أبرهة، فلما جاءتها بها أعطتها خمسين ديناراً فردته وقالت: أمرني الملك أن لا آخذ منك شيئاً، وقالت: أنا صاحبة دهن الملك وثيابه، وقد صدقتُ محمداً ﷺ وآمنتُ به، وحاجتي منك أن تقرئني مني السلام، قالت نعم: وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بما عندهن من عودٍ وعنبر، فكان رسول الله ﷺ يراه عليها وعندها فلا ينكر.

قالت أم حبيبة فخرجنا إلى المدينة ورسول الله ﷺ بخير، فخرج من خرج إليه وأقمت بالمدينة حتى قدم النبي ﷺ، فدخلت عليه وكان يسألني عن النجاشي فقرأت عليه من أبرهة السلام فردّ رسول الله ﷺ عليهما السلام، وأنزل الله عزّ وجلّ: «عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودةً» يعني: أبا سفيان مودة، يعني: بتزويج أم حبيبة، ولما جاء أبا سفيان تزويج أم حبيبة، قال: ذلك الفحل لا يُقرع أنفه^(٣).

وبعث النجاشي بعد قدوم جعفر إلى رسول الله ﷺ، ابنه أزهى بن أصحابه بن أبجر في ستين رجلاً من الحبشة، وكتب إليه: يا رسول الله أشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً وقد بايعتك وبايعت

(١) في الأصل (خيثمة)، والتصويب من السيرة النبوية.

(٢) في «ب»: (وسهيل).

(٣) أي: كففه كريم، لا يُردّ.

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾

ابن عمك وأسلمت لله رب العالمين، وقد بعثت إليك ابني أزهى، وإن شئت أن أتيك بنفسي فعلت والسلام عليك يا رسول الله، فركبوا سفينة في أثر جعفر وأصحابه حتى إذا كانوا في وسط البحر غرقوا، ووافى جعفر وأصحابه رسول الله ﷺ في سبعين رجلاً عليهم ثياب الصوف، منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من [أهل] (١) الشام، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يس إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا، وقال: آمنوا، وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام، فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية (٢): ﴿ولتجدن/ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾، يعني: وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون، وكانوا أصحاب الصوامع.

١١٠/ب

قال مقاتل والكلبي كانوا أربعين رجلاً اثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية روميون من أهل الشام.

[وقال عطاء: كانوا ثمانين رجلاً أربعون من أهل نجران من بني الحرث بن كعب، واثنان

وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من أهل الشام] (٣).

وقال قتادة: نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه

السلام، فلما بعث الله محمداً ﷺ صدقوه وآمنوا به فأثنى الله عز وجل بذلك عليهم (٤). ﴿ذلك بأن منهم قسيسين﴾، أي علماء، قال قطرب: القس والقسيس العالم بلغة الروم، ﴿ورهباناً﴾، الرهبان العباد أصحاب الصوامع، واحداهم راهب، مثل فارس وفرسان، وراكب وركبان، وقد يكون واحداً وجمعه رهايين، مثل قربان وقرايين، ﴿وأنهم لا يستكبرون﴾، لا يتعظمون عن الإيمان والإذعان للحق.

﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول﴾، محمد ﷺ، ﴿ترى أعينهم تفيض﴾، تسيل، ﴿من

الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء: يريد النجاشي وأصحابه قرأ عليهم جعفر بالحبشة كهتعض، فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة. ﴿يقولون

(١) زيادة من «ب».

(٢) انظر: سيرة ابن هشام: ٣٢١/١ وما بعدها، الطبري: ١/٧ - ٣ (الجلي)، أسباب النزول للواحدي، ص (٢٣٥ - ٢٣٦).

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٤) أخرجه عبد بن حميد وأبو الشيخ عن قتادة. (الدر المنثور: ١٣٢/٣).

فَأَثَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾
 يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
 الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ
 مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴿٨٥﴾، يعني أمة محمد ﷺ، دليله قوله تعالى: «لتكونوا شهداء على الناس»
 (البقرة، ١٤٣).

﴿وما لنا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾، وذلك أن اليهود عيروهم وقالوا لهم: لِمَ آمَنتُمْ؟
 فأجابوهم بهذا، ﴿ونطمع أن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾، أي: في أمة محمد ﷺ، بيانه (أنَّ
 الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (الأنبياء، ١٠٥).

﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ﴾، أعطاهم الله، ﴿بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، وإنما
 أنجح قولهم وعلق الثواب بالقول لاقتترانه بالإخلاص، بدليل قوله: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾،
 يعني: الموحدِين الْمُؤْمِنِينَ، وقوله من قبل: ﴿تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾،
 يدل على أن الإخلاص والمعرفة بالقلب مع القول يكون إيماناً.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾، الآية قال أهل التفسير:
 ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ يَوْمًا وَوَصَفَ الْقِيَامَةَ، فَفَرَّقَ لَهُ النَّاسُ وَبَكَوْا، فَاجْتَمَعَ عَشْرَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَيْتِ
 عَثْمَانَ بْنِ مِظْعُونَ الْجُمَحِيِّ، وَهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
 وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، وَأَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ وَسَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ، وَالْمَقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ
 وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَمَعْقِلُ بْنُ مِقْرَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَتَشَاوَرُوا وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَتْرَهُوْا وَيَلْبَسُوا الْمَسْوُوحَ
 وَيَجْبُوا مَذَاكِيرَهُمْ، وَيَصُومُوا الدَّهْرَ، وَيَقُومُوا اللَّيْلَ وَلَا يَنَامُوا عَلَى الْفَرْشِ، وَلَا يَأْكُلُوا اللَّحْمَ وَاللُّدْكَ،
 وَلَا يَقْرَبُوا النِّسَاءَ وَالطَّيِّبَ، وَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَى دَارَ عَثْمَانَ بْنِ مِظْعُونَ
 فَلَمْ يَصَادَفْهُ، فَقَالَ لِمَرَاتِهِ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ أَبِي أُمِيَّةٍ، وَاسْمُهَا الْخَوْلَاءُ، وَكَانَتْ عَطَارَةً: أَحَقُّ مَا بَلَغَنِي

عن زوجك وأصحابه؟ فكرهت أن تكذب رسول الله ﷺ وكرهت أن تبدي على زوجها، فقالت: يا رسول الله إن كان أخبرك عثمان بشيء فقد صدقت. فانصرف رسول الله ﷺ، فلما دخل عثمان أخبرته بذلك فأتى رسول الله ﷺ هو وأصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ (ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا)؟ قالوا: بلى يا رسول الله، وما أردنا إلا الخير، فقال ﷺ: (إني لم أوامر بذلك)، ثم قال: (إن لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر، وأكل اللحم والدمسم وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)، ثم جمع الناس وخطبهم فقال: (ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات [النساء]؟) أما إني فليست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهباناً فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء، ولا اتخاذ الصوامع، وإن سياحة أمتي الصوم ورهبانيّتهم الجهاد، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وحجّوا وعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان واستقيموا يستقيم لكم، فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد، شدّدوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فأولئك بقاياهم في الديار والصوامع)، فأنزل الله عز وجل هذه الآية^(١).

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة الكشميهني أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله بن محمود أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال أنا عبدالله بن المبارك عن رشدين بن سعد حدثني ابن أنعم عن سعد بن مسعود أن عثمان ابن مظعون رضي الله عنه أتى النبي ﷺ فقال: ائذن لنا في الاختصاص، فقال رسول الله ﷺ: (ليس منا من خصى ولا اختصى، خصاء أمتي الصيام)، فقال: يا رسول الله ائذن لنا في السياحة، فقال: (إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله)، فقال: يا رسول الله ائذن لنا في الترهّب، فقال: (إن ترهّب أمتي الجلوس في المساجد وانتظار الصلاة)^(٢).

وروي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال: يا رسول الله إني أصبت من اللحم فانتشرت وأخذتني شهوة، فحرمت اللحم، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا

(١) في «ب»: (الدنيا).

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٨/٧-١١، الدر المنثور: ١٤١/٣-١٤٢، أسباب النزول (٢٣٦-٢٣٧).

(٣) أخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٧٠/٢-٢٧١، وفي مصابيح السنة: ٢٢٥/١ (مشكاة المصابيح).

والحديث ضعيف، لضعف رشدين بن سعد وزيد بن أنعم الإفريقي.

وللقطعة الثانية من الحديث «إن سياحة أمتي...» شاهد عند أبي داود من حديث أبي أمامة في الجهاد باب النهي عن السياحة:

٣٥٧/٣.

وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٤٧٩/٣-٤٨٠، مشكاة المصابيح: ٢٢٥/١، مجمع الزوائد: ٢٥٤/٤.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ
 إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا نَطَعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ فَمَنْ
 لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ
 كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨١﴾

طيبات ما أحل الله لكم ﴿٨١﴾، يعني: اللذات التي تشتهيها النفوس، مما أحل الله لكم من المطاعم
 الطيبة والمشارب اللذيذة، ﴿ولا تعتدوا﴾ أي: ولا تجاوزوا الحلال إلى الحرام. وقيل: هو جب
 المذاكير ﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾.

﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً﴾، قال عبدالله بن المبارك: الحلال ما أخذته من وجهه،
 والطيب ما غذى وأنمى، فأما الجوامد كالطين والتراب وما لا يغذي فمكروه إلا على وجه التداوي.

﴿واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾، أخبرنا أبو محمد عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني أنا
 أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب أنا أبو عيسى الترمذي أخبرنا
 أحمد بن إبراهيم الدورقي وسلمة بن شبيب ومحمود بن غيلان قالوا: أخبرنا أبو أسامة عن هشام بن
 عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ يحب الحلواء والعسل) (١).

قوله عز وجل: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما
 نزلت: ﴿ولا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾، قالوا: يا رسول الله كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا
 عليها؟ وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه، فأنزل الله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ (٢)
 ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾، قرأ حمزة والكسائي [وأبو بكر] (٣) (عقدتم) بالتخفيف، وقرأ
 ابن عامر (عاقدم) بالألف وقرأ الآخرون (عقدتم) بالتشديد، أي: وكدم، والمراد من الآية قصدتم

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، سورة المائدة: ٤١٥/٨، وقال: هذا حديث حسن غريب، ورواه بعضهم مرسلًا، ليس فيه: عن ابن
 عباس، ورواه خالد الحذاء عن عكرمة مرسلًا، وأخرجه الواحدي بسنده في أسباب النزول: ص (٢٣٦)، وأخرج الطبري في التفسير:
 ٨/٧ الرواية التي أشار إليها الترمذي، وعزاه السيوطي أيضاً لابن أبي حاتم وابن مردويه. انظر: الدر المنثور: ١٣٩/٣، تفسير
 القرطبي: ٢٦٠/٦.

(٢) أخرجه البخاري في الأشربة، باب الباذق، ومن نهى عن كل مسكر من الأشربة: ٦٢/١٠، والمصنف في شرح السنة: ٣٠٨/١١.

(٣) أخرجه الطبري: ١٣/٧. وانظر: أسباب النزول (٢٣٧).

(٤) ساقط من «ب».

وتعمدتم، (فكفارتهم)، أي: كفارة ما عقدتم الأيمان إذا حنثتم، ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ﴾، واختلفوا في قدره: فذهب قوم إلى أنه يطعم كل مسكين مُدًّا من الطعام بمدّ النبي ﷺ، وهو رطل وثلث من غالب قوت البلد، وكذلك في جميع الكفارات، وهو قول زيد بن ثابت وابن عباس وابن عمر، وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم وسليمان بن يسار وعطاء والحسن.

وقال أهل العراق: عليه لكل مسكين مُدَانِ، / وهو نصف صاع، يروى ذلك عن عمر وعلي رضي الله عنهما.

وقال أبو حنيفة: إن أطعم من الحنطة فنصف صاع، وإن أطعم من غيرها فصاع، وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبيرة ومجاهد والحكم.

ولو غداهم وعشاهم لا يجوز، وجوز أبو حنيفة، ويروى ذلك عن علي رضي الله عنه. ولا تجوز الدراهم والدنانير ولا الخبز ولا الدقيق، بل يجب إخراج الحب إليهم، وجوز أبو حنيفة رضي الله عنه كل ذلك.

ولو صرف الكل إلى مسكين واحد [لا يجوز]^(١)، وجوز أبو حنيفة أن يصرف طعام عشرة إلى مسكين واحد في عشرة أيام، ولا يجوز أن يصرف إلا إلى مسلم حر محتاج، فإن صرف إلى ذمي أو عبد أو غني لا يجوز، وجوز أبو حنيفة صرفها إلى أهل الذمة. واتفقوا على أن صرف الزكاة إلى أهل الذمة لا يجوز.

قوله تعالى: ﴿مَنْ أَوْسَطَ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾، أي: من خير قوت عيالكم، وقال عبيدة السلماني: الأوسط الخبز والخل، والأعلى الخبز واللحم، والأدنى الخبز البحت والكل [يجزيء]^(٢).

قوله تعالى: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾، كل من لزمته كفارة اليمين فهو فيها مخير إن شاء أطعم عشرة من المساكين، وإن شاء كساهم، وإن شاء أعتق رقبة، فإن اختار الكسوة، فاختلفوا في قدرها: فذهب قوم إلى أنه يكسو كل مسكين ثوباً واحداً مما يقع عليه اسم الكسوة، إزار أو رداء أو قميص أو سراويل أو عمامة أو كساء ونحوها، وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاووس، وإليه ذهب الشافعي رحمه الله تعالى.

(١) ساقط من (ب).

(٢) في «ب»: (مجزي).

وقال مالك: يجب لكل إنسان ما تجوز فيه صلاته، فيكسو الرجال ثوباً واحداً والنساء ثوبين درعاً وخماراً.

وقال سعيد بن المسيب لكل مسكين ثوبان.

قوله عز وجل: ﴿أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ﴾، وإذا اختار العتق يجب إعتاق رقبة مؤمنة، وكذلك جميع الكفارات مثل كفارة القتل والظهار والجماع في نهار رمضان يجب فيها إعتاق رقبة مؤمنة، وأجاز أبو حنيفة رضي الله عنه والثوري رضي الله عنه إعتاق الرقبة الكافرة في جميعها إلا في كفارة القتل، لأن الله تعالى قيّد الرقبة فيها بالإيمان، قلنا: المطلق يُحمل على المقيّد [كما أن الله تعالى قيّد الشهادة بالعدالة في موضع فقال: «وأشهدوا ذوي عدلٍ منكم»، (الطلاق، ٢)، وأطلق في موضع، فقال: «واستشهدوا شهيدين من رجالكم» (البقرة، ٢٨٢)، ثم العدالة شرط في جميعها حملاً للمطلق علي المقيّد^(١)، كذلك هاهنا، ولا يجوز إعتاق المرتد بالاتفاق عن الكفارة.

ويُشترط أن يكون سليم الرق حتى لو أعتق عن كفارته مكاتباً أو أم ولد أو عبداً اشتراه بشرط العتق أو اشترى قريبه الذي يعتق عليه بنية الكفارة، يُعتق ولكن لا يجوز عن الكفارة، وجوز أصحاب الرأي عتق المكاتب إذا لم يكن أذى شيئاً من النجوم، وعتق القريب عن الكفارة ويشترط أن تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل ضرراً بيناً حتى لا يجوز مقطوع إحدى اليدين، أو إحدى الرجلين، ولا الأعمى ولا الزمّن ولا المجنون المطبق، ويجوز الأعور والأصم ومقطوع الأذنين والأنف لأن هذه العيوب لا تضر بالعمل ضرراً بيناً.

وعند أبي حنيفة رضي الله عنه كلُّ عيب يفوت جنساً من المنفعة [على الكمال]^(٢) يمنع الجواز، حتى جوز مقطوع إحدى اليدين، ولم يجوز مقطوع الأذنين.

قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾، إذا عجز الذي لزمته كفارة اليمين عن الإطعام والكسوة وتحرير الرقبة، يجب عليه صوم ثلاثة أيام، والعجز أن لا يفضل من ماله عن قوته وقوت عياله وحاجته ما يطعم أو يكسو أو يعتق فإنه يصوم ثلاثة أيام.

وقال بعضهم: إذا ملك ما يمكنه الإطعام وإن لم يفضل عن كفايته فليس له الصيام، وهو قول

الحسن وسعيد بن جبیر.

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) ساقط من «ب».

واختلفوا في وجوب التتابع في هذا الصوم : فذهب جماعة إلى أنه لا يجب فيه التتابع بل إن شاء تابع وإن شاء فرّق، والتتابع أفضل وهو أحد قولي الشافعي ، وذهب قوم إلى أنه يجب فيه التتابع قياساً على كفارة القتل والظهار، وهو قول الثوري وأبي حنيفة، ويدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فصيام ثلاثة أيام متتابعات . ﴿ذلك﴾ ، أي : ذلك الذي ذكرت ، ﴿كفارة أيمانكم إذا حلفتم﴾ ، وحنثتم ، فإن الكفارة لا تجب إلا بعد الحنث .

واختلفوا في تقديم الكفارة على الحنث : فذهب قوم إلى جوازه، لما روينا أن النبي ﷺ قال : «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيُكْفَرْ عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَفْعَلِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»^(١) . وهو قول عمر [وابن عمر]^(٢) وابن عباس وعائشة وبه قال الحسن وابن سيرين ، وإليه ذهب مالك والأوزاعي والشافعي ، إلا أن الشافعي يقول : إن كفر بالصوم قبل الحنث لا يجوز لأنه بدني ، إنما يجوز بالإطعام أو الكسوة أو العتق كما يجوز تقديم الزكاة على الحول ، ولا يجوز تعجيل صوم رمضان قبل وقته ، وذهب قوم إلى أنه لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث ، وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه .

قوله عز وجل ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ ، قيل : أراد به ترك الحلف ، أي : لا تحلفوا، وقيل : وهو الأصح ، أراد به : إذا حلفتم فلا تحثوا، فالمراد منه حفظ اليمين عن الحنث هذا إذا لم تكن يمينه على ترك مندوب أو فعل مكروه ، فإن حلف على فعل مكروه أو ترك مندوب ، فالأفضل أن يُحنث نفسه ويكفر، لما أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا حجاج بن منهال أنا جرير بن حازم عن الحسن عن عبدالرحمن بن سمرة قال : قال النبي ﷺ : «يا عبدالرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير»^(٣) .

قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ .

(١) أخرجه مسلم في الأيمان، باب نذب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير... برقم (١٦٥٠) : ١٢٧٢/٣ ، والمصنف في شرح السنة : ١٧/١٠ .

(٢) ساقط من (ب) .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في الأيمان، في الموضع السابق، برقم (١٦٥٢) : ١٢٧٣/٣ - ١٢٧٤ ، وفي الإمارة : ١٤٥٦/٣ ، والمصنف في شرح السنة ٥٦/١٠ ، دون قوله «وإذا حلفت على يمين...» .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿١٠٧﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَي رَسُولُنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٠٨﴾

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾، أي: القمار ﴿وَالْأَنْصَابُ﴾، يعني: الأوثان، سُميت بذلك لأنهم كانوا ينصبونها، واحدها نَصْبٌ بفتح النون وسكون الصاد، ونَصْبٌ بضم النون مخففاً ومثقلاً، ﴿وَالْأَزْلَامُ﴾، يعني: القِدَاح التي كانوا يستقسمون بها واحدها زَلَمٌ ﴿رِجْسٌ﴾، حيث مستقذر، ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، من تزيينه، ﴿فاجتنبوه﴾، رد الكناية إلى الرجس، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾، أما العداوة في الخمر فإن الشاربين إذا سكروا عربدوا وتشاجروا، كما فعل الأنصاري الذي شج سعد بن أبي وقاص بلحي الجمل أما العداوة في الميسر، قال قتادة: كان الرجل يقامر على الأهل والمال ثم يبقى حزينا مسلوب الأهل والمال مغتاضاً على [حرفائه] (١). ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾، وذلك أن من اشتغل بشرب الخمر أو القمار ألهاه ذلك عن ذكر الله، وشوش عليه صلواته كما فعل بأضياف عبدالرحمن بن عوف، تقدم رجل ليصلي بهم صلاة المغرب / بعدما شربوا فقراً «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ»: أعبد ما تعبدون، بحذف لا (٢)، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾؟ أي: انتهوا، استفهام ومعناه أمر، كقوله تعالى: «فهل أنتم شاكرون»؟ (سورة الأنبياء، ٨٠).

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا﴾، المحارم والمناهي، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَي رَسُولُنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾.

وفي وعيد شارب الخمر أخبرنا أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد الفوراني أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني ثنا أبو الحسن محمد بن محمود المحمودي أنا أبو العباس الماسرجسي بنيسابور أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي أخبرنا صالح بن قدامة حدثنا أخي عبدالملك بن قدامة

(١) في «ب» (حرفائه).

(٢) انظر: الدر المنثور: ١٦٤/٣.

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَيَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ۚ فَمَن
أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾

عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كل مسكر حرام، إن حتماً على الله أن لا يشربه عبداً في الدنيا إلا سقاه الله تعالى يوم القيامة من طينة الخبال، هل تدرون ما طينة الخبال؟» قال: «عرق أهل النار»^(١).

وأخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَنْ شَرِبَ الخمرَ في الدنيا ثم لم يتب منها حُرِمَها في الآخرة»^(٢).

وأخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أحمد بن أبي أخبرنا أبو العباس الأصم أنا محمد بن إسحاق الصَّغاني حدثنا أبو نعيم حدثنا عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز عن عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي من أهل مصر عن عبدالله بن عمر أنه قال: أشهد أنني سمعتُ رسول الله ﷺ وهو يقول: «لعن الله الخمرَ وشارِبَها وساقِها وبائِعَها ومُبتاعَها وعاصِرها ومُعْتصرَها وحاملَها والمحمولةُ إليه وآكلُ ثمنِها»^(٣).

قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾، سبب نزول هذه الآية أن الصحابة رضوان الله عليهم قالوا لما نزل تحريم الخمر: يا رسول الله كيف ياخواننا الذين

(١) أخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٥٦/١١، وفيه عبدالملك بن قدامة، وهو ضعيف، ويشهد له عدة أحاديث صحيحة عن جابر بن عبدالله وغيره منها حديث جابر عند مسلم، برقم (٢٠٠٢) في الأشربة وحديث ابن عمر عند مسلم برقم (٢٠٠٣) وهو الآتي.

(٢) أخرجه مسلم في الأشربة، باب عقوبة من شرب الخمر إذا لم يتب منها... برقم (٢٠٠٣): ١٥٨٨/٣، والمصنف في شرح السنة: ٣٥٥/١١.

(٣) أخرجه أبو داود في الأشربة، باب العنب يعصر للخمر: ٢٦٠/٥، وابن ماجه في الأشربة، باب لعنت الخمر على عشرة أوجه برقم (٣٣٨٠): ١١٢١/٢، والإمام أحمد في المسند: ٩٧/٢، وفيه: عبدالرحمن الغافقي. قال المنذري: سئل عنه ابن معين؟ فقال: لا أعرفه، وذكره ابن يونس في تاريخه وقال: روى عن ابن عمر، وأبو طعمة: رماه مكحول بالكذب، وللحديث شواهد يتقوى بها، لذلك قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير، (٧٣/٤): «صححه ابن السكن، وفي الباب عن أنس بن مالك: رواه الترمذي وابن ماجه، ورواه ثقات، وعن ابن عباس: رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وعن ابن مسعود: ذكره ابن أبي حاتم في العلل، وعن أبي هريرة مرفوعاً: «إن الله حرم الخمر وثمرتها، وحرم الميتة وثمرتها، وحرم الخنزير وثمرته»، ورواه أبو داود، وعن عبدالله بن عمرو بن العاص:».

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنْ
النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ
صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
ذُو نِقَامٍ ﴿٩٥﴾

ماتوا وهم يشربون الخمر [ويأكلون] (٩٥) من مال الميسر؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ليس على الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾، وشربوا من الخمر وأكلوا من مال الميسر، ﴿إذا ما اتقوا﴾،
الشرك، ﴿وآمنوا﴾، وصدقوا، ﴿وعملوا الصالحات ثم اتقوا﴾، الخمر والميسر بعد تحريمهما،
﴿وآمنوا ثم اتقوا﴾، ما حرم الله عليهم أكله وشربه، ﴿وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾، وقيل: معنى
الأول إذا ما اتقوا الشرك، وآمنوا وصدقوا ثم اتقوا، أي: داوموا على ذلك التقوى، ﴿وآمنوا﴾ ازدادوا
إيماناً، ثم اتقوا المعاصي كلها وأحسنوا، وقيل: أي: اتقوا بالإحسان، وكل محسن متقٍ، ﴿والله
يحب المحسنين﴾.

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لئيلونكم الله بشيء من الصيد﴾، الآية، نزلت عام الحديبية
وكانوا محرمين ابتلاهم الله بالصيد، وكانت الوحوش تغشى رجالهم من كثرتها فهموا بأخذها فنزلت:
﴿يا أيها الذين آمنوا لئيلونكم الله﴾ ليختبرنكم الله، وفائدة البلوى إظهار المطيع من العاصي، وإلا
فلا حاجة له إلى البلوى بشيء من الصيد، وإنما بعض، فقال ﴿بشيء﴾ لأنه ابتلاهم بصيد البر
خاصة. ﴿تناله أيديكم﴾، يعني: الفرخ والبيض وما لا يقدر أن يفر من صغار الصيد،
﴿ورماحكم﴾، يعني: الكبار من الصيد، ﴿ليعلم الله﴾، ليرى الله، لأنه قد علمه، ﴿من يخافه
بالغيب﴾، أي: يخاف الله ولم يره، كقوله تعالى: «الذين يخشون ربهم بالغيب» (الأنبياء، ٤٩) أي:
يخافه فلا يسطاد في حال الإحرام ﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾، أي: صاد بعد تحريمه، ﴿فله عذاب
أليم﴾، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: [يوجع] (٩٥) ظهره وبطنه جلداً، وسلب ثيابه.

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾، أي: محرمون بالحج
والعمرة، وهو جمع حرام، يقال: رجل حرام وامرأة حرام، وقد يكون [من] (٩٥) دخول الحرم، يقال:

(١) في «ب»: (وأكلوا).

(٢) في «ب»: (يوسع).

(٣) في «ب»: (بمعنى).

أحرم الرجل إذا عقد الإحرام، وأحرم إذا دخل الحرم. نزلت في رجل يقال له أبو اليسر شدّ على حمار وحشٍ وهو محرم فقتله.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾، اختلفوا في هذا العمد فقال قوم: هو العمد بقتل الصيد مع نسيان الإحرام، أما إذا قتله عمدًا وهو ذاكراً لإحرامه فلا حكم عليه، وأمره إلى الله لأنه أعظم من أن يكون له كفارة، وهو قول مجاهد والحسن.

وقال آخرون: هو أن يعمد المحرم قتل الصيد ذاكراً لإحرامه فعليه الكفارة.

واختلفوا فيما لو قتله خطأً، فذهب أكثر الفقهاء إلى أن العمد والخطأ سواء في لزوم الكفارة، قال الزهري: على المتعمد بالكتاب وعلى المخطئ بالسنة، وقال سعيد بن [جبير]^(١): لا تجب كفارة الصيد بقتل الخطأ، بل يختص بالعمد.

قوله عز وجل: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب ﴿فَجَزَاءٌ مِّنْ مَّنُونٍ﴾، ﴿مِثْلُ﴾، رفع على البدل من الجزاء، وقرأ الآخرون بالإضافة ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ﴾، ﴿مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ﴾، معناه أنه يجب عليه مثل ذلك الصيد من النعم، وأراد به ما يقرب من الصيد المقتول شبيهاً من حيث الخلقة لا من حيث القيمة.

﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾، أي: يحكم بالجزاء رجلان عدلان، وينبغي أن يكونا فقيهين ينظران إلى أشبه الأشياء من النعم فيحكما به، وممن ذهب إلى إيجاب المثل من النعم عمر وعثمان وعلي وعبدالرحمن بن عوف وابن عمر وابن عباس، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، حكموا في بلدان مختلفة وأزمان شتى بالمثل من النعم، يحكم حاكم في النعامة بيدنة وهي لا تساوي بدنة، وفي حمار الوحش ببقرة [وهي لا تساوي بقرة]^(٢)، وفي الضبع بكبش وهي لا تساوي كبشاً، فدل على أنهم نظروا إلى ما يقرب من الصيد شبيهاً من حيث الخلقة [لا من حيث القيمة]^(٣)، وتجب في الحمام شاة، وهو كل ما عبّ وهدر من الطير، كالفاختة والقمري.

وَرُوِيَ عن عمر وعثمان وابن عباس رضي الله عنهم أنهم قضوا في حمام مكة بشاة، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي

(١) في «ب»: المسيب.

(٢) زيادة من «ب».

(٣) ساقط من «ب».

الزبير المكي عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضى في الضبع بكبش، وفي الغزال بعنز، وفي الأرنب بعناق، وفي اليربوع بجفرة^(١).

قوله تعالى: ﴿هَدِيًّا بَالِغِ الْكَعْبَةِ﴾، أي: يُهْدِي تِلْكَ الْكِفَارَةَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَيَذْبَحُهَا بِمَكَّةَ وَيَتَصَدَّقُ بِلَحْمِهَا عَلَى مَسَاكِينِ الْحَرَمِ، ﴿أَوْ كِفَارَةً طَعَامَ مَسَاكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾، قَالَ الْفَرَّاءُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْعَدْلُ بِالْكَسْرِ: الْمِثْلُ مِنْ جِنْسِهِ، وَالْعَدْلُ بِالْفَتْحِ: الْمِثْلُ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ، وَأَرَادَ بِهِ: أَنَّهُ فِي جَزَاءِ الصَّيْدِ مَخْتِيرٌ بَيْنَ أَنْ يَذْبَحَ الْمِثْلَ مِنَ النَّعْمِ، فَيَتَصَدَّقُ بِلَحْمِهِ عَلَى مَسَاكِينِ الْحَرَمِ، وَيَبِينُ أَنْ يَقُومَ الْمِثْلُ دَرَاهِمًا، وَالدَّرَاهِمُ طَعَامًا، فَيَتَصَدَّقُ بِالطَّعَامِ عَلَى مَسَاكِينِ الْحَرَمِ، أَوْ يَصُومُ عَنْ كُلِّ مُدٍّ مِنَ الطَّعَامِ يَوْمًا وَلَهُ أَنْ يَصُومَ حَيْثُ شَاءَ لِأَنَّهُ لَا نَفْعَ فِيهِ لِلْمَسَاكِينِ.

وقال مالك: إن لم يخرج المثل يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاماً فيتصدق به، أو يصوم.

وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: لا يجب المثل من النعم، بل يقوم الصيد فإن شاء صرف تلك القيمة إلى شيء من النعم، وإن شاء إلى الطعام فيتصدق به، وإن شاء صام عن كل نصف صاع من بر أو صاع من غيره يوماً.

وقال الشعبي والنخعي جزاء الصيد على الترتيب والآية حجة لمن ذهب إلى التخيير.

قوله/ تعالى: ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾، أي: جزاء معصيته، ﴿عفا الله عما سلف﴾، يعني: قبل التحريم، ونزول الآية، قال السدي: عفا الله عما سلف في الجاهلية، ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾، في الآخرة. ﴿والله عزيز ذو انتقام﴾، وإذا تكرر من المحرم قتل الصيد فيتعدد عليه الجزاء عند عامة أهل العلم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا قتل المحرم صيداً متعمداً يُسأل هل قتلته قبله شيئاً من الصيد؟ فإن قال نعم لم يحكم عليه، وقيل له: اذهب ينتقم الله منك، وإن قال لم أقتل قبله شيئاً حكم عليه، فإن عاد بعد ذلك لم يحكم عليه، ولكن يُملأ ظهره وصدرة ضرباً وجيعاً، وكذلك حكم رسول الله ﷺ في وج وهو وادٍ بالطائف^(٢).

1/112

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الحج، باب فدية ما أصيب من الطير والوحش: ٤١٤/١، والشافعي في المسند: ٣٣٠/١ - ٣٣١،

والبيهقي في السنن: ١٨٣/٥، ١٨٤، وصححه الألباني في إرواء الغليل: ٢٤٥/٤، وانظر: تلخيص الحبير: ٢٧٨/٢.

(٢) قطعه من حديث أخرجه أبو داود في المناسك، باب في مال الكعبة: ٤٤١/٢ - ٤٤٢، بلفظ «... إن صيد وج وعضاه حرم، محرم

لل... والإمام أحمد في المسند برقم (١٤١٦) طبع الحلبي، وصححه أحمد شاكر.

قال المنذري: في إسناده محمد بن عبد الله بن إنسان الطائفي وأبوه، فأما محمد فسئل عنه الرازي فقال: ليس بالقوي، وفي حديثه

نظر، وذكره البخاري في تاريخه الكبير ج ١ ق ١٤٠/١، وذكر له هذا الحديث، وقال: لم يتابع عليه. وذكر أباه وأشار إلى هذا الحديث،

وقال: لم يصح حديثه.

واختلفوا في المحرم هل يجوز له أكل لحم الصيد أم لا؟ فذهب قوم إلى أنه لا يحل له بحال، ويروى ذلك عن ابن عباس، وهو قول طاووس وبه قال سفيان الثوري، واحتجوا بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن عباس عن الصعب بن جثامة الليثي أنه أهدى لرسول الله ﷺ حماراً وحشياً، وهو بالأبواء أو بودان، فردّه عليه رسول الله ﷺ، قال: فلما رأى رسول الله ﷺ ما في وجهي، قال: «إنا لم نردّه عليك إلا أنا حُرْم»^(١).

وذهب الأكثرون إلى أنه يجوز للمحرم أكله إذا لم يصطد بنفسه ولا اصطيد لأجله أو بإشارته، وهو قول عمر وعثمان وأبي هريرة، وبه قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير، وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي، وإنما ردّ النبي ﷺ على الصعب بن جثامة لأنه ظن أنه صيد من أجله.

والدليل على جوازه ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبد الله التيمي عن نافع مولى أبي قتادة عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ حتى إذا كان ببعض طريق مكة، تخلف مع أصحاب له محرمين وهو غير محرم فرأى حماراً وحشياً فاستوى على فرسه وسأل أصحابه أن يناولوه سوطه فأبوا فسألهم رمحه فأبوا فأخذه ثم شدّ على الحمار فقتله، فأكل منه بعض أصحاب رسول الله ﷺ، وأبى بعضهم فلما أدركوا رسول الله ﷺ سألوه عن ذلك، فقال: «إنما هي طعمة أطعمكموها الله تعالى»^(٢).

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن حنطب عن

وقال البستي: عبد الله بن إنسان، روى عنه ابنه محمد ولم يصح حديثه.

وقال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير: ٢٨٠/٢ «سكت عليه أبو داود، وحسنه الترمذي وسكت عليه عبد الحق، وذكر الذهبي أن الشافعي صححه، وذكر الخلال أن أحمد ضعفه».

وقال النووي في المجموع: ٤٤٩/٧ «رواه البيهقي وإسناده ضعيف».

(١) أخرجه البخاري في جزاء الصيد، باب إذا أهدى للمحرم حماراً وحشياً لم يقبل: ٣١/٤، وفي الهبة، ومسلم في الحج، باب تحريم الصيد للمحرم، برقم (١١٩٣): ٨٥٠/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٦٠/٧.

(٢) أخرجه البخاري في الذبائح والصيد، باب ما جاء في التصيد: ٦١٣/٩، ومسلم في الحج باب تحريم الصيد للمحرم، برقم (١١٩٦):

أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرماً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٦٦﴾

جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «لحم الصيد لكم في الإحرام حلال، ما لم تصيدوه أو يُصاد لكم»^(١)، قال أبو عيسى: المطلب لا تعرف له سماعاً من جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وإذا أتلّف المحرم شيئاً من الصيد لا مثل له من النعم مثل بيض أو طائر دون الحمام ففيه قيمة يصرفها إلى الطعام، فيتصدق به أو يصوم عن كل مُدّ يوماً، واختلفوا في الجراد فرخص فيه قوم للمحرم وقالوا هو من صيد البحر، رُوي ذلك عن كعب الأحبار، والأكثر على أنها لا تجل، فإن أصابها فعليه صدقة، قال عمر: في الجراد تمر، وروى عنه وعن ابن عباس: قبضة من طعام.

قوله عزّ وجلّ: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾، والمراد بالبحر جميع المياه، قال عمر رضي الله عنه: «صيده ما اصطيد وطعامه ما رمي به»^(٢). وعن ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة: طعامه ما قذفه الماء إلى الساحل ميتاً.

وقال قوم: هو المالح منه وهو قول سعيد بن جبيرة وعكرمه وسعيد بن المسيب وقتادة والنخعي.

وقال مجاهد: صيده: طريه، وطعامه: مالحه، متاعاً لكم أي: منفعة لكم، وللسيارة يعني: المارة. وجملة حيوانات الماء على قسمين: سمك وغيره، أما السمك فميتته حلال على اختلاف أنواعها، قال النبي ﷺ: «أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَانِ [ودمان: الميتان] الحوت والجراد، والدمان: [الكبد والطحال]»^(٣) ولا فرق بين أن يموت بسبب أو بغير سبب، وعند أبي حنيفة لا يحل إلا أن يموت بسبب من وقوع على حجر أو انحصار الماء عنه ونحو ذلك.

(١) أخرجه أبو داود في المناسك، باب لحم الصيد للمحرم: ٣٦٢/٢، بلفظ «صيد البر لكم حلال...»، والترمذي في الحج، باب ما جاء في أكل لحم الصيد للمحرم: ٥٨٤/٣، والنسائي في الحج، باب إذا أشار المحرم إلى الصيد فقتله حلال: ١٨٧/٥، وصححه ابن حبان، ص (٢٤٣) من الموارد، والحاكم: ٤٥٢/١، والشافعي: ٣٢٢/١ - ٣٢٣، والمصنف في شرح السنة: ٢٦٣/٧ - ٢٦٤.

والمطلب بن حنطب المخزومي: صدوق كثير التندليس والإرسال. وعمرو بن أبي عمرو: مختلف فيه وإن كان من رجال الصحيحين. انظر: تلخيص الحبير: ٢٦/٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٣/٨ (طبع الحلبي).

(٣) ما بين القوسين من «شرح السنة» ومن نسخة «ب»، والحديث أخرجه الشافعي في ترتيب المسند: ١٧٣/٢، وابن ماجه في الأطعمة، باب الكبد والطحال، برقم (٣٣١٤): ١١٠٢/٢، والدارقطني في الصيد والذبائح: ٢٧١/٤ - ٢٧٢، والإمام أحمد: ٩٧/٢ عن ابن عمر مرفوعاً. ورواه البيهقي موقوفاً وقال: هذا إسناد صحيح، وهو في معنى المسند، السنن: ٢٥٤/١. وعزاه الزيلعي أيضاً لعبد بن

أما غير السمك فقسمان: قسم يعيش في البر كالضفدع والسرطان، فلا يحل أكله، وقسم يعيش في الماء ولا يعيش في البر إلا عيش المذبوح، فاختلف القول فيه، فذهب قوم إلى أنه لا يحل شيء منها إلا السمك، وهو معنى قول أبي حنيفة رضي الله عنه وذهب قوم إلى أن [ميت الماء كلها حلال]^(١)، لأن كلها سمك، وإن اختلفت صورها، [كالجريت]^(٢) يقال له حية الماء، وهو على شكل الحية وأكله مباح بالاتفاق، وهو قول أبي بكر وعمر وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت وأبي هريرة، وبه قال شريح والحسن وعطاء، وهو قول مالك وظاهر مذهب الشافعي.

وذهب قوم إلى أن ما له نظير في البر يؤكل، فميتته من حيوانات البحر حلال، مثل بقر الماء ونحوه، وما لا يؤكل نظيره في البر لا يحل ميتته من حيوانات البحر، مثل كلب الماء والخنزير والحمار ونحوها.

وقال الأوزاعي كل شيء عيشه في الماء فهو حلال، قيل: فالتمساح؟ قال نعم.

وقال الشعبي: لو أن أهلي أكلوا الضفادع لأطعمتهم، وقال سفيان الثوري: أرجو أن لا يكون بالسرطان بأساً.

وظاهر الآية حجة لمن أباح جميع حيوانات البحر، وكذلك الحديث. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن صفوان بن [سلمان]^(٣) عن سعيد بن سلمة من آل بني الأزرق أن المغيرة بن أبي بردة وهو من بني عبدالدار أخبره أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنا نركب في البحر ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: «هو الطهور ماؤه الحِلُّ ميتته»^(٤).

حميد وابن حبان في الضعفاء، وأعله بعبدالرحمن بن زيد بن أسلم، وقال: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم، حتى كثرت ذلك في روايته من رفع الموقوفات وإسناد المراسيل، فاستحق الترك. انظر: نصب الراية: ٢٠١/٤ - ٢٠٢. وعزاه أيضاً ابن حجر لابن مردويه في التفسير عن أبي سعيد مرفوعاً، وقال: ذكره الدارقطني في العلل... والرواية الموقوفة التي صححها أبو حاتم وغيره هي في حكم المرفوع، لأن قول الصحابي: أحل لنا، وحرم علينا كذا، مثل قوله: أمرنا بكذا، ونهينا عن كذا، فيحصل الاستدلال بهذه الرواية، لأنها في معنى المرفوع. تلخيص الحبير: ٢٦/١. وأخرجه أيضاً: المصنف في شرح السنة: ٢٤٤/١١.

(١) هذه العبارة جاءت في «١» هكذا: (رميت الكل حلال).

(٢) في «ب»: (كالحرية).

(٣) في «ب»: (سليم).

(٤) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب الوضوء بماء البحر: ٨١/١، والترمذي في الطهارة، باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور: ٢٢٥/١. وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في الطهارة، باب ماء البحر: ٥٠/١، وابن ماجه في الطهارة، باب الوضوء بماء البحر: =

أخبرنا عبد الواحد بن أحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد أنا يحيى عن ابن جريج أخبرني عمر أنه سمع جابراً رضي الله عنه يقول: غزوت جيش الحَبْط وأمر أبو عبيدة، فجعنا جوعاً شديداً فألقى البحر حوتاً ميتاً لم نر مثله، يقال له العنبر، فأكلنا منه نصف شهر، فأخذ أبو عبيدة عظماً من عظامه، فمرّ الراكب تحته. وأخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول: قال أبو عبيدة: كلوا فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «كلوا رزقاً أخرجته الله إليكم، أطعمونا إن كان معكم» فأتاه بعضهم بشيء منه فأكلوه^(١).

ب/١١٢

قوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ / صِيدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، صيد البحر حلال للمحرم، كما هو حلال لغير المحرم، أما صيد البر فحرام على المحرم وفي الحرم، والصيد هو الحيوان الوحشي الذي يحل أكله، أما ما لا يحل أكله فلا يحرم بسبب الإحرام، وللمحرم أخذه وقتله، ولا جزاء على من قتله إلا المتولد بين ما لا يؤكل لحمه وما يؤكل، كالمتولد بين الذئب والظبي لا يحل أكله ويجب بقتله الجزاء على المحرم، لأن فيه جزاء من الصيد.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك

٥٠/١، ومالك في الموطأ: ٢٢/١، وصححه الحاكم: ١٤٠/١-١٤١، وابن حبان برقم (١١٩)، وأخرجه الشافعي: ٢٣/١ (ترتيب المسند) والدارقطني: ٣٤/١-٣٥، والمصنف في شرح السنة: ٥٥/٢. وانظر تلخيص الحبير: ٩/١-١٢. (١) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة سيف البحر: ٧٨/٨ واللفظ له، ومسلم في الصيد والذباح، باب إباحة ميتات البحر، برقم (١٩٣٥): ٣/١٥٣٥، والمصنف في شرح السنة: ١١/٢٤٦.

وقد يعجب بعض الناس من ضخامة هذه الدابة، وقد يظن بعضهم أن في هذا مبالغة، وقد يدفعه ذلك إلى تكذيب الرواية. ونحن هنا أمام نص صحيح ووثيقة صادقة، فالحديث صحيح سنداً، إذ اتفق على تخريجه البخاري ومسلم، وهما في أعلى درجات الصحة، والحديث صحيح متناً، وإليك مثلاً قريباً من عجائب مخلوقات الله تعالى يدل على ذلك، ذكره المرحوم محمد فؤاد عبد الباقي في صحيح مسلم، في الجزء الذي خصصه للفهارس: ٥/٥٨٦:

(١) نشرت جريدة الأهرام القاهرية، في العدد (٢٤٤١٩)، بتاريخ: ٢٧/٩/١٩٥٣ الصفحة الثانية، عمود ٧، تحت عنوان: «حوت يونس»:

اجتازت شوارع باريس أمس سيارة نقل طولها (٣٠) متراً. يقال إنها أطول سيارة نقل في العالم، وكانت تحمل «يونس»، وهو حوت ضخيم عمره (١٨) شهراً، وطوله (٢٠) متراً، ووزنه (٨٠٠٠) كيلو جرام. وقد حنطه أصحابه وقاموا بعرضه على النظارة في النرويج والسويد والدنمارك والنمسا وألمانيا. وسيعرض في باريس هذا الأسبوع لقاء أجر معلوم. وقد أضيء باطنه بالمصابيح الكهربائية ليتسنى للنظارة رؤية جوفه.

(٢) نشرت جريدة «الأخبار الجديدة» في العدد (٣٩٦) بتاريخ ٢٧/٩/١٩٥٣، الصفحة الثانية، عمود ٢١، تحت عنوان: «حوت طوله ٢٠ متراً ووزنه ٨ أطنان الناس يدخلون بطنه، (١٠) كل دفعة:

باريس: دخل صباح اليوم «أونا» باريس دخول الفاتحين، يحرمه عشرات من رجال البوليس الراكب والراجل. أما «أونا» هذا: فهو حوت نرويجي ضخم. ثم تابعت وصف الحوت فقالت: ويسمح للناس بدخول كرشه المضاء بالكهرباء. ويستطيع عشرة أشخاص أن يدخلوا بطنه مرة واحدة. الخ.

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ^٤ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾

عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح: الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور»^(١).

وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقتل المحرم السبع العادي»^(٢)، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «خمس قتلهن حلال في الحرم: الحية والعقرب والحدأة والفأرة والكلب العقور»^(٣).

وقال سفيان بن عيينة: الكلب العقور كل سبع يعقر، ومثله عن مالك، وذهب أصحاب الرأي إلى وجوب الجزاء في قتل ما لا يؤكل لحمه، من الفهد والنمر والخنزير ونحوها إلا الأعيان المذكورة في الخبر، وقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه الكفارة، وقاس الشافعي رحمه الله عليها جميع ما لا يؤكل لحمه لأن الحديث يشتمل على أعيان بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا يدخل في معنى السباع ولا هي من جملة [الهوام]^(٤)، وإنما هي حيوان مستخبت اللحم، وتحريم الأكل يجمع الكل فاعتبره ورتب الحكم عليه.

قوله عز وجل: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾، قال مجاهد: سميت كعبة لتربيعها، والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة، قال مقاتل: سميت كعبة لانفرادها من البناء، وقيل: سميت كعبة لارتفاعها من الأرض، وأصلها من الخروج والارتفاع، وسمي الكعب كعباً لتوئته، وخروجه من جانبي

(١) أخرجه البخاري في جزاء الصيد، باب ما يقتل المحرم من الدواب: ٣٤/٤، وفي بدء الخلق، ومسلم في الحج، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم، برقم (١١٩٩): ٨٥٧/٢. والمصنف في شرح السنة: ٢٦٦/٧.

(٢) أخرجه أبو داود في المناسك. باب ما يقتل المحرم من الدواب: ٣٦٠/٢ مطولاً، والترمذي في الحج، باب ما يقتل المحرم من الدواب: ٥٧٧/٣، وقال: هذا حديث حسن، وابن ماجه في المناسك، باب ما يقتل المحرم: ١٠٣٢/٢، والامام أحمد في المسند: ٣/٣، والمصنف في شرح السنة: ٢٦٧/٧.

قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير: ٢٧٤/٢ «وفي إسناده زيد بن أبي زياد، وهو ضعيف».

(٣) أخرجه أبو داود في الموضوع السابق نفسه، والترمذي في الموضوع السابق عن عائشة، وقال: حديث حسن صحيح وفي إسناده أبي داود: ابن عجلان. ويتقوى بالحديث السابق وغيره.

(٤) في «ب»: (السباع).

مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١١﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ
وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ
يُنزَلُ الْقُرْآنُ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾

القدم، ومنه قيل للجارية إذا قاربت البلوغ وخرج ثديها: تكعبت. وسمي البيت الحرام: لأن الله تعالى حرّمه وعظّم حرّمته. قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض»^(١) ﴿قياماً للناس﴾، قرأ ابن عامر ﴿قيماً﴾ بلا ألف والآخرين: «قياماً» بالألف، أي: قواماً لهم في أمر دينهم ودنياهم، أما الدين لأن به يقوم الحج والمناسك، وأما الدنيا فيما يجبي إليه من الثمرات، وكانوا يأمنون فيه من النهب والغارة فلا يتعرض لهم أحد في الحرام، قال الله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) (العنكبوت - ٦٧) ﴿والشهر الحرام﴾، أراد به الأشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، أراد أنه جعل الأشهر الحرم قياماً للناس يأمنون فيها القتال، ﴿والهدي والقلائد﴾، أراد أنهم كانوا يأمنون بتقليد الهدي، فذلك القوام فيه.

﴿ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم﴾، فإن قيل: أي اتصال لهذا الكلام بما قبله؟ قيل: أراد أن الله عز وجل جعل الكعبة قياماً للناس لأنه يعلم صلاح العباد كما يعلم ما في السموات وما في الأرض، وقال الزجاج: قد سبق في هذه السورة الإخبار عن الغيوب والكشف عن الأسرار، مثل قوله (سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين)، ومثل إخباره بتحريفهم الكتب ونحو ذلك، فقوله ﴿ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ راجع إليه.

وقوله عز وجل: ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب، وأن الله غفور رحيم﴾.

﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾، [التبليغ]^(٢)، ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾.

﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب﴾، أي الحلال والحرام، ﴿ولو أعجبتك﴾، سرك ﴿كثرة﴾

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب رقم (٣٥): ٢٦/٨، ومسلم بنحوه في الحج، باب تحريم مكة وصيبتها، برقم (١٣٥٣): ٩٨٦/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٩٤/٧.

(٢) ساقط من «ب».

الخبيث ﴿﴾، نزلت في شريح بن [ضبيعة] (١) البكري، وحجاج بن بكر بن وائل (٢)، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، ولا تتعرضوا للحجاج وإن كانوا مشركين، وقد مضت القصة في أول السورة، ﴿يا أولي الألباب لعلمكم تفلحون﴾.

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾، الآية أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا حفص بن عمر أنا هشام عن قتادة عن أنس رضي الله عنه: سألو رسول الله ﷺ حتى أخفوه بالمسألة، فغضب فصعد المنبر فقال: «لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بيئته لكم»، فجعلت أنظر يمينا وشمالاً فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي، فإذا رجل كان إذا لآحى الرجال يدعى لغير أبيه، فقال: يا رسول الله من أبي؟ قال «حذافة»: ثم أنشأ عمر، فقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، نعوذ بالله من الفتن، فقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط، إني صوّرت لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط»، وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ (٣).

قال يونس عن ابن شهاب: أخبرني عبيد الله بن عبد الله قال: قالت أم عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة: ما سمعت بآبن قط أعق منك، أأمنت أن تكون أمك قد قارفت بعض ما تقارف نساء أهل الجاهلية فتفضحها على أعين الناس؟ قال عبد الله بن حذافة والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته (٤). ورؤي عن عمر قال: يا رسول الله إنا حديثو عهد بجاهلية فاعفُ عنا بعف الله سبحانه وتعالى عنك، فسكن غضبه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا الفضل بن سهل أخبرنا أبو النضر أنا أبو خيثمة أنا أبو جويرية عن ابن عباس قال: كان

(١) في «أ»: (ضبيعة) وهو خطأ.

(٢) انظر فيما سلف، سبب نزول الآية الثانية من السورة، ص (٧-٨).

(٣) أخرجه البخاري في الفتن، باب التعوذ من الفتن: ٤٣/١٣، ومسلم في الفضائل، باب توقيه ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، برقم (٢٣٥٩): ٤/١٨٣٣ - ١٨٣٤.

ومعنى أخفوه: أي أكثروا في الإلحاح والمبالغة فيه. يقال: أحفى وألحف وألح، بمعنى. و«لاحي»: من الملاحاة وهي المماراة والمجادلة. و«أنشأ»: أي ابتداء.

(٤) انظر: صحيح مسلم في الموضع السابق.

قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٢٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بُحَيْرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٢٣﴾

قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاءً، فيقول الرجل: مَنْ أَبِي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ حتى فرغ من الآية كلها^(١). وروى عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت: (ولله على الناس حج البيت) قال رجل: يا رسول الله أفي كل عام فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثاً، فقال النبي ﷺ: «ما يؤمنك أن أقول نعم؟ والله لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، فاتركوني ما تركتكم وإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾^(٢) أي: إن تظهر لكم تسؤكم، أي: إن أمرتم بالعمل بها فإن من سأل عن الحج لم يأمن أن يؤمر به في كل عام فيسوءه، ومن سأل عن نسبه لم يأمن أن يلحقه بغيره فيفتضح.

وقال مجاهد^(٣): نزلت حين سألوا رسول الله ﷺ عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ألا تراه ذكرها بعد ذلك؟ ﴿وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم﴾، / معناه صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض أو نهى أو حكم، وليس في ظاهره شرح ما بكم إليه حاجة ومست حاجتكم إليه، فإذا سألت عنها حينئذ تبد لكم، ﴿عفا الله عنها والله غفورٌ حلِيمٌ﴾.

﴿قد سألتها قومٌ من قبلكم﴾، كما سألت ثمود صالحاً الناقة وسأل قوم عيسى المائدة، ﴿ثم أصبحوا بها كافرين﴾، فأهلكوا، قال أبو ثعلبة الخشني: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة المائدة، باب «لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم»: ٢٨٠/٨.

(٢) أخرجه الترمذي عن علي رضي الله عنه في تفسير سورة المائدة: ٤٢٠/٨ وقال هذا حديث حسن غريب من حديث علي. وابن ماجه في المناسك، برقم (٢٨٨٤): ٩٦٣/٢، قال في تحفة الأحوذى: «وهو منقطع».

وأصل الحديث في صحيح مسلم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، برقم (١٣٣٧):

٩٧٥/٢، وعند المصنف في شرح السنة: ٣/٧. وانظر: الدر المنثور: ٢٠٦/٣.

(٣) قارن بالدر المنثور للسيوطي: ٢٠٨/٣ فقد ذكر عن مجاهد أنها نزلت في السؤال عن الحج، كما سبق، وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن

حميد وابن جرير وابن المنذر.

عن أشياء فلا تنتهكوها وحد حدوداً فلا تعتدوها، وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها»^(١)

قوله عز وجل: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ أي: ما أنزل الله ولا أمر به، ﴿وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾، قال ابن عباس في بيان هذه [الأوضاع]^(٢): البحيرة هي الناقة كانت إذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذننها، أي: شقوها وتركوا الحمل عليها وركوبها، ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلأ، ثم نظروا إلى خامس ولدها فإن كان ذكراً نحروه وأكله الرجال والنساء، وإن كان أنثى بحروا أذننها، أي: شقوها وتركوها وحرم على النساء لبنها ومنافعها، وكانت منافعها خاصة للرجال، فإذا ماتت حلت للرجال والنساء.

وقيل: كانت الناقة إذا تابعت اثنتي عشرة سنة إنثاءً سئيت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أذننها ثم خلي سبيلها مع أمها في الإبل، فلم تُركب ولم يُجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف، كما فعل بأمها، فهي البحيرة بنت السائبة.

وقال أبو عبيد: السائبة البعير الذي يُسبب، وذلك أن الرجل من أهل الجاهلية كان إذا مرض وغاب له قريب نذر فقال إن شفاني الله تعالى أو شفي مريضى أو رد غائبي، فناقتي هذه سائبة، ثم يسيبها فلا تحبس عن رعي ولا ماء ولا يركبها أحد فكانت بمنزلة البحيرة.

وقال علقمة: هو العبد يُسبب على أن لا ولاء عليه ولا عقل ولا ميراث. وقال ﷺ: «إنما الولاء لمن أعتق»^(٣).

والسائبة فاعلة بمعنى المفعولة، وهي المسيية، كقوله تعالى (ماء دافق) أي: مدفوق (وعيشة راضية).

(١) أخرجه الدارقطني مرفوعاً عن أبي ثعلبة، في السنن: كتاب الرضاع: ١٨٤/٤، وحسنه النووي في الأربعين، وأخرجه أيضاً عن أبي سعيد الخدري: ٢٩٨/٤ وفيه قصة في سندها: نهشل الخراساني، قال اسحاق بن راهويه: كان كذاباً. وقال أبو حاتم: متروك.

قال الحافظ ابن رجب: هذا الحديث من رواية مكحول عن أبي ثعلبة. وله علتان:

إحداهما: أن مكحولاً لم يصح له سماع من أبي ثعلبة.

والثانية: أنه اختلف في رفعه ووقفه على أبي ثعلبة. وقد روي معنى الحديث مرفوعاً من وجوه آخر. أخرجه البزار في مسنده، والحاكم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء، والبزار، وقال: إسناده حسن ورجاله موثقون. وعزا حديث أبي ثعلبة للطبراني في الكبير، وقال: رجاله رجال الصحيح، انظر: جامع العلوم والحكم ص (٢٦٠ - ٢٦١)، مجمع الزوائد: ١٧١/١.

(٢) في (ب): (الأوضاع).

(٣) أخرجه البخاري في الفرائض، باب الولاء لمن أعتق: ٣٩/١٢، وفي العتق، ومسلم في العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق، برقم

(١٥٠٤): (١١٤١/٢)، والمصنف في شرح السنة: ٣٤٨/٨.

وأما الوصيلة: فمن الغنم كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن نظروا فإن كان السابع ذكراً ذبحوه، فأكل منه الرجال والنساء، وإن كانت أنثى تركوها في الغنم وإن كان ذكراً وأنثى استحويوا الذكر من أجل الأنثى، وقالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوه، وكان لبن الأنثى حراماً على النساء، فإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء جميعاً.

وأما الحام: فهو الفحل إذا ركب ولد ولده، ويقال: إذا نتج من صلبه عشرة أبطن، قالوا: حمي ظهره فلا يُركب ولا يُحمل عليه ولا يُمنع من كلاً ولا ماء، فإذا مات أكله الرجال والنساء.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة التي يمنح درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة كانوا يُسيّبونها لأهلهم لا يحمل عليها شيء.

قال أبو هريرة: [قال رسول الله ﷺ]: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قُصَبَه في النار، وكان أول من سَيَّب السوائب»^(١).

روى محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة^(٢): قال: قال رسول الله ﷺ لأكثم بن جون الخزاعي: «يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة [بن خندق]^(٣) يجر قصبه في النار فما رأيت من رجلٍ أشبه برجلٍ منك به ولا به منك» وذلك أنه أول من غير دين إسماعيل ونصب الأوثان وبحر البحيرة وسَيَّب السائبة، ووصل الوصيلة وحمى الحام، فلقد رأيت في النار يؤذي أهل النار بريح قصبه»، فقال أكثم: أضرني شبهه يا رسول الله؟ فقال: «لا إنك مؤمن وهو كافر»^(٤).

قوله عز وجل: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾، في قولهم الله أمرنا بها ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب «ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام»: ٢٨٣/٨، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون، برقم (٢٨٥٦): ٢١٩١/٤.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) أخرجه الطبري في التفسير: ١١٨/١١، وابن اسحاق في السيرة: ٧٦/١، ونسبه ابن حجر أيضاً لابن أبي عروة وابن منده من طريق ابن اسحاق، ثم قال: والحديث مخرج عند مسلم من طريق سهيل بن صالح عن أبيه أخصر منه، دون قصة أكثم (وهو يشير إلى الحديث السابق). انظر: الاصابة: ١٠٧/١، أسد الغابة: ١٣٣/١، تفسير ابن كثير: ١٠٨/٢، البداية والنهاية: ١٨٧/٢ - ١٨٩.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءِ
 آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ هُمُ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ
 أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَىٰ اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِيمَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول﴾، في تحليل الحرث والأنعام وبيان
 الشرائع والأحكام، ﴿قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا﴾ من الدين، قال الله تعالى: ﴿أو لو كان آباؤهم
 لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾.

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ روينا عن
 أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا
 عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾، وتضعونها في غير موضعها ولا تدرون ما هي، وإني
 سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله تعالى
 بعقابه»^(١).

وفي رواية «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليستعملن الله سبحانه وتعالى عليكم
 شراركم فليسومونكم سوء العذاب، ثم ليدعون الله عز وجل خياركم فلا يستجاب لكم»^(٢).

قال أبو عبيد: خاف الصديق أن يتأول الناس الآية على غير متأولها فيدعوه إلى ترك الأمر
 بالمعروف [والنهي عن المنكر]^(٣)، فأعلمهم أنها ليست كذلك وأن الذي أذن في الامسك عن تغييره
 من المنكر، هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون من أجل أنهم يتدينون به، وقد صولحوا عليه، فأما

(١) أخرجه أبو داود في الملاحم، باب الأمر والنهي: ١٨٧/٦، وعزاه المنذري للنسائي، وأخرجه الترمذي في الفتن، باب ما جاء في نزول
 العذاب إذا لم يغير المنكر: ٣٨٨/٦، وقال: حسن صحيح، وأخرجه أيضاً في التفسير، وابن ماجه في الفتن، باب الأمر بالمعروف
 والنهي عن المنكر (٤٠٠٥): ١٣٢٧/٢، وصححه ابن حبان برقم (١٨٣٧) ص (٤٥٥)، والإمام أحمد في المسند: ١/٥، ٧، وأبو
 بكر المروزي في مسند الصديق ص (١٢٨ - ١٣١)، والمصنف في شرح السنة: ٣٤٤/١٤.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد: ٩٢/١٣، ورواه الطبراني في الأوسط والبيزار في مسنده. قال الهيثمي: وفيه حبان بن علي، وهو
 متروك، وقد وثقه ابن معين في رواية وضعفه في غيرها.

وقال العراقي: كلا طريقه ضعيف.

انظر: مجمع الزوائد: ٢٦٦/٧، فيض القدير: ٢٦١/٥.

الفسوق والعصيان والريب من أهل الإسلام فلا يدخل فيه .

وقال مجاهد وسعيد بن جبير: الآية في اليهود والنصارى، يعني: عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلَّ من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم .
وعن ابن مسعود قال في هذه الآية: مروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر ما قبل منكم فإن ردَّ عليكم فعليكم أنفسكم، ثم قال: إن القرآن قد نزل منه آيٌ: قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن، ومنه آيٌ: قد وقع تأويلهن على عهد رسول الله ﷺ، ومنه آيٌ يقع تأويلهن بعد رسول الله بيسير، ومنه آيٌ يقع تأويلهن في آخر الزمان، ومنه آيٌ: يقع تأويلهن يوم القيامة، ما ذكر من الحساب والجنة والنار، فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعاً ولم يُذق بعضكم بأس بعض، فأمرُوا وانهاوا، وإذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعاً، وذاق بعضكم بأس بعض، فامرؤُ ونفسُهُ، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية^(١).

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا أبو جعفر أحمد بن محمد العنزي أخبرنا عيسى بن نصر أنا عبدالله بن المبارك أنا عتبة بن أبي حكيم حدثني عمرو / بن جارية اللخمي أنا أبو أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت: يا أبا ثعلبة كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: آية آية؟ قلت: قول الله عزَّ وجلَّ ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم﴾، فقال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألتُ عنها رسولَ الله ﷺ فقال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوىً متبعاً ودنياً مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيتُ أمراً لا بدَّ لك منه فعليك نفسك ودع أمر العوام، فإنَّ من ورائكم أيام الصبر، فمن صبر فيهنَّ قبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله» قال ابن المبارك: وزادني غيره قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: «أجر خمسين منكم»^(٢).

وقيل: نزلت في أهل الأهواء، قال أبو جعفر الرازي: دخل على صفوان بن محرز شاب من أهل الأهواء فذكر شيئاً من أمره، فقال صفوان ألا أدلك على خاصة الله التي خص بها أوليائه: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم﴾.

(١) الطبري: ١١/١٤٣-١٤٤.

(٢) أخرجه أبو داود في الملاحم، باب الأمر والنهي: ١٨٨/٦، ١٨٩، والترمذي في تفسير سورة المائدة: ٤٢٣/٨ - ٤٢٦ وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه في الفتن، باب قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ برقم (٤٠١٤): ١٣٣٠/٢ - ١٣٣١، وابن حبان برقم (١٨٥٠) ص (٤٥٧) وصححه الحاكم: ٣٢٢/٤ ووافقه الذهبي. وله شواهد يتقوى بها، وأخرجه أيضاً المصنف في شرح السنة: ٣٤٧/١٤.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا
عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ إِخْرَانٍ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ
تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَنْ نُشْتَرِيَ بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٧٤﴾

قوله عز وجل: ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً﴾، الضال والمهتدي، ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾.

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم﴾، سبب نزول هذه الآية ما روي أن تميم بن أوس الداري وعدي بن [بداء] (١) قد خرجا من المدينة للتجارة إلى أرض الشام، وهما نصرانيان، ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص، وكان مسلماً فلما اشتد وجعه أوصى إلى تميم وعدي، وأمرهما أن يدفعا متاعه إذا رجعا إلى أهله، ومات بديل ففتشا متاعه وأخذوا منه إناءً من فضة منقوشاً بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة فغيّاه، ثم قضيا حاجتهما، فانصرفا إلى المدينة، فدفعا المتاع إلى أهل البيت، ففتشوا وأصابوا الصحيفة فيها تسمية ما كان معه فجاؤوا تميمياً وعدياً فقالوا: هل باع صاحبنا شيئاً من متاعه؟ قالوا: لا، قالوا: فهل اتجر تجارة؟ قالوا: لا، قالوا: هل طال مرضه فأفق على نفسه قالوا: لا، فقالوا: إنا وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية ما كان معه وإنا قد فقدنا منها إناءً من فضة مموهاً بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة، قالوا: ما ندري إنما أوصى لنا بشيء فأمرنا أن ندفعه إليكم فدفعناه وما لنا علم بالإناء، فاختصموا إلى النبي ﷺ فأصرأ على الإنكار، وحلفا فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان﴾ (٢) أي: ليشهد اثنان، لفظه خبر ومعناه أمر.

قيل: معناه: أن الشهادة فيما بينكم على الوصية عند الموت اثنان، واختلفوا في هذين الاثنيين،

(١) في المخطوطتين (زيد) وهو خطأ. والتصويب من الترمذي وغيره.

(٢) انظر: الترمذي، تفسير سورة المائدة: ٤٢٦/٨ - ٤٣١، فقد ساق الرواية وقال: هذا حديث غريب وليس إسناده بصحيح. وأبو النضر الذي روى عنه محمد بن إسحاق هذا الحديث هو عدي: محمد بن السائب الكلبي، وقد تركه أهل العلم بالحديث. وقد روي عن ابن عباس شيء من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه.

وانظر: الطبري: ١١/١٨٥، أسباب النزول للواحدي ص (٢٤٥)، أحكام القرآن لابن العربي ٧١٣/٢ - ٧١٧. وعزاه السيوطي أيضاً لابن أبي حاتم والنحاس في الناسخ والمنسوخ وأبي الشيخ وابن مردويه وأبي نعيم في المعرفة. انظر: الدر المنثور: ٣/٢٢٠ - ٢٢١.

فقال قوم: هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي.

وقال آخرون: هما الوصيان، لأن الآية نزلت فيهما ولأنه قال: ﴿تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيَقْسَمَانِ﴾، ولا يلزم الشاهد يمين، وجعل الوصي اثنين تأكيداً، فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور، كقولك: شهدت وصية فلان، بمعنى حضرت، قال الله تعالى: (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) (النور- ٢)، يريد الحضور، ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ أي: أمانة وعقل، ﴿مِنْكُمْ﴾، أي: من أهل دينكم يا معشر المؤمنين، ﴿أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾، أي: من غير دينكم وملتكم في قول أكثر المفسرين، قاله ابن عباس وأبو موسى الأشعري، وهو قول سعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبيرة ومجاهد وعبيدة.

ثم اختلف هؤلاء في حكم الآية^(١) فقال النخعي وجماعة: هي منسوخة وكانت شهادة أهل الذمة مقبولة في الابتداء ثم نسخت.

وذهب قوم إلى أنها ثابتة، وقالوا: إذا لم نجد مسلمين فنشهد كافرين.

وقال شريح: من كان بأرض غربة ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته فأشهد كافرين على أي دين كانا من دين أهل الكتاب أو عبدة الأوثان، فشهادتهم جائزة، ولا تجوز شهادة كافر على مسلم إلا على وصية في سفر.

وعن الشعبي أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقاً ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب، فقدم الكوفة بتركته وأتيا الأشعري، فقال الأشعري: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على عهد النبي ﷺ فأحلفهما، وأمضى شهادتهما.

وقال آخرون: قوله ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ أي: من حي الموصي أو آخران من غير حيكم وعشيرتكم، وهو قول الحسن والزهري وعكرمة، وقالوا: لا تجوز شهادة كافر في شيء من الأحكام، ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾، أي سرتهم وسافرتهم، ﴿فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾، فأوصيتهم إليهما ودفعتهم إليهما مالكم فاتهمهما بعض الورثة وأدعوا عليهما خيانة فالحكم فيه أن ﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾، أي: تستوفقونهما، ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾، أي: بعد الصلاة، ﴿وَمِنْ﴾ صلة يريد بعد صلاة العصر، هذا

(١) انظر بالتفصيل: أحكام القرآن للجصاص: ١٦٣/٤ وما بعدها، أحكام القرآن للطبري الهراس ٣/٣١٠ - ٣١٤، أحكام القرآن للشافعي، جمع البيهقي: ١٤٧/٢ - ١٥٥.

فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ
 الْأُولَئِينَ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتَيْهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ
 الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْههَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ بَعْدَ آيْمَانِهِمْ
 وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبيرة وقتادة وعمامة المفسرين، لأن جميع أهل الأديان يعظمون ذلك الوقت، ويجتنبون فيه الحلف الكاذب، وقال الحسن: أراد من بعد صلاة الظهر، وقال السدي: من بعد صلاة أهل دينهما وملتهما لأنهما لا يباليان بصلاة العصر، ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾، يحلفان، ﴿بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾، أي: شككتم ووقعت لكم الريبة في قول الشاهدين وصدقهما، أي: في قول اللذين ليسا من أهل ملتكم، فإن كانا مسلمين فلا يمين عليهما، ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾، أي: لا نحلف بالله كاذبين على عوض تأخذه أو مال نذهب به أو حق نجحده، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾، ولو كان المشهود له ذا قرابة منا، ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ أضاف الشهادة إلى الله لأنه أمر بإقامتها ونهى عن كتمانها، وقرأ يعقوب ﴿شهادة﴾، بتنوين، ﴿اللَّهُ﴾ ممدود، وجعل الاستفهام عوضاً عن حرف القسم، ويروى عن أبي جعفر ﴿شهادة﴾، بتنوين، ﴿اللَّهُ﴾ بقطع الألف وكسر الهاء من غير استفهام على ابتداء اليمين، أي: والله، ﴿إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾، أي إن كتمانها كنا من الآثمين.

فلما نزلت هذه الآية صلى رسول الله ﷺ صلاة العصر ودعا تميمًا وعدياً فاستحلفهما عند المنبر بالله الذي لا إله إلا هو أنهما لم يخرتا شيئاً مما دُفع إليهما فحلفا على ذلك، وخطى رسول الله ﷺ سبيلهما.

ثم ظهر الإناء واختلفوا في كيفية ظهوره^(١)، فروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه وجد بمكة، فقالوا: إنا اشتريناه من تميم وعدي، وقال آخرون: لما طالت المدة أظهره فبلغ ذلك بني سهم فاتوهما في ذلك، فقالا: إنا كنا قد اشتريناه منه فقالوا، لهما: ألم تزعما أن صاحبنا لم يبيع شيئاً من متاعه؟ قالوا: لم يكن عندنا بينة وكرهنا / أن نقر لكم به فكتمناه لذلك، فرفعهما إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل: ﴿فَإِنْ عُرِيَ﴾، أي: اطلع على خيانتهم، وأصل العثور: الوقوع على الشيء، ﴿وَعَلَىٰ أَنَّهُمَا﴾، يعني: الوصيين ﴿اسْتَحَقَّا﴾، استوجبا، ﴿إِثْمًا﴾، بخيانتهم وبأيامانتهما

(١) انظر: الدر المنثور: ٢٢٢/٣.

الكاذبة، ﴿فَأَخْرَانِ﴾، من أولياء الميت، ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾، يعني: مقام الوصيين، ﴿مَنْ الَّذِينَ اسْتَحَقُّ﴾، بضم التاء على المجهول، هذه قراءة العامة، يعني: الذين استحق، ﴿عَلَيْهِمْ﴾، أي فيهم ولأجلهم الإثم وهم ورثة الميت استحق الحالفان بسببهم الإثم (على) بمعنى في، كما قال الله (على ملك سليمان) (البقرة، ١٠٢) أي: في ملك سليمان، وقرأ حفص (استحق) بفتح التاء والحاء، وهي قراءة علي والحسن، أي: حقّ ووجب عليهم الإثم، يقال: حق واستحق بمعنى واحد، ﴿الْأَوْلِيَانِ﴾، نعت للأخْرَانِ، أي: فأخْرَانِ الأوليان، وإنما جاز ذلك ﴿والأوليان﴾، معرفة والأخْرَانِ نكرة لأنه لَمَّا وصف الـ «أخْرَانِ»، فقال ﴿مَنْ الَّذِينَ﴾ صار كالمعرفة و﴿والأوليان﴾ تثنية الأولى، والأولى هو الأقرب، وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم ويعقوب ﴿الأولين﴾ بالجمع فيكون بدلاً من الذين، والمراد منهم أيضاً أولياء الميت.

ومعنى الآية: إذا ظهرت خيانة الحالفين يقوم اثنان أخْرَانِ من أقارب الميت، ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لِشَهَادَتِنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾، يعني: يميننا أحقّ من يمينهما، نظيره قوله تعالى في اللعان: (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله). (النور- ٦). والمراد بها الأيمان، فهو كقول القائل: أشهد بالله، أي: أقسم بالله، ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾، في أيماننا، وقولنا أنّ شهادتنا أحقّ من شهادتهما، ﴿إِنَّا إِذَا لَمَنْ الظالمين﴾.

فلما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان، فحلفا بالله بعد العصر فدفعوا الإنء إليهما وإلى أولياء الميت، وكان تميم الداري بعدما أسلم يقول صدق الله ورسوله أنا أخذت الإنء، فأتوب إلى الله وأستغفره، وإنما انتقل اليمين إلى الأولياء لأن الوصيين ادعيا أنهما ابتاعاه.

والوصي إذا أخذ شيئاً من مال الميت وقال: إنه أوصى لي به حلف الوارث، إذا أنكر ذلك، وكذلك لو ادعى رجل سلعة في يد رجل فاعترف ثم ادعى أنه اشتراها من المدعي، حلف المدعي أنه لم يبيعها منه.

ويروى عن ابن عباس^(١) رضي الله عنهما عن تميم الداري قال: كنا بعنا الإنء بألف درهم فقسمتها أنا وعدي، فلما أسلمت تأثمت فأتيت موالي الميت فأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها فأتوا به إلى رسول الله ﷺ، وحلف عمرو والمطلب فنزعت الخمسمائة من عدي، ورددت أنا الخمسمائة.

(١) في رواية الترمذي السابقة في السنن: ٤٢٦/٨ - ٤٣١.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾
 ﴿١٦﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
 الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
 وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ
 طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي
 وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَدَ يَدٍ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ
 هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾

فذلك قوله تعالى: ﴿ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها﴾، أي: ذلك الذي حكمنا به من ردّ اليمين أجدر وأحرى أن يأتي الوصيان بالشهادة على وجهها وسائر الناس أمثالهم، أي أقرب إلى الإتيان بالشهادة على ما كانت، ﴿أو يخافوا أن تُردَّ أيمان بعد أيمانهم﴾، أي: أقرب إلى أن يخافوا رد اليمين بعد يمينهم على [المدعي]^(١) فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فلا يحلفون كاذبين إذا خافوا هذا الحكم، ﴿واتقوا الله﴾، أن تحلفوا أيماناً كاذبة أو تخونوا أمانة، ﴿واسمعوا﴾، الموعدة، ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾.

قوله عز وجل ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾، وهو يوم القيامة، ﴿فيقول ماذا أُجِبْتُمْ﴾، أي: ماذا أجابتكم أممكم؟ وما الذي ردّ عليكم قومكم حين دعوتهم إلى توحيدى وطاعتي؟ ﴿قالوا﴾، أي فيقولون ﴿لا علم لنا﴾، قال ابن عباس معناه: لا علم لنا إلا العلم الذي أنت أعلم به منا، وقيل: لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك إيانا عن أمرٍ أنت أعلم به منا، وقال ابن جريج: لا علم لنا بعاقبة أمرهم وبما أحدثوا من بعد، دليله أنه قال: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبَ﴾، أي: أنت الذي تعلم ما غاب ونحن لا نعلم إلا ما نشاهد.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسلم بن إبراهيم أنا وهيب أنا عبدالعزيز عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿لَيْرَدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضِ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيَقَالُ:

(١) في «ب»: (المدعين).

وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرِسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾

لا تدري ما أحدثوا بعدك» (١).

وقال ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي: إن للقيامة أهوالاً وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها، فيفزعون من هول ذلك اليوم ويذهلون عن الجواب، ثم بعدما ثابت إليهم عقولهم يشهدون على أممهم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾، قال الحسن: ذكر النعمة شكرها، وأراد بقوله ﴿نِعْمَتِي﴾، أي نعمي، [قال الحسن]: (٢) لفظه واحد ومعناه جمع، كقوله تعالى (وَإِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا)، ﴿وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾، مريم ثم ذكر النعم فقال: ﴿إِذْ أُيِّدْتُكَ﴾، قويتك، ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾، يعني جبريل عليه السلام، ﴿تَكَلَّمَ النَّاسُ﴾، يعني: وتكلم الناس، ﴿فِي الْمَهْدِ﴾، صبياً، ﴿وَكَهْلًا﴾، نبياً قال ابن عباس: أرسله الله وهو ابن ثلاثين سنة، فمكث في رسالته ثلاثين شهراً ثم رفعه الله إليه، ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾، يعني الخط، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، يعني: العلم والفهم، ﴿وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ﴾، تجعل وتصور، ﴿مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾، كصورة الطير، ﴿بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا﴾، حياً يطير، ﴿بِإِذْنِي وَتُبْرِئُهُ﴾، وتصحح، ﴿الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾، من قبورهم أحياء، ﴿بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ﴾، منعت وصرفت، ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، يعني اليهود، ﴿عَنْكَ﴾، حين هموا بقتلك، ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾، يعني: الدلالات والمعجزات، وهي التي ذكرنا.

﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مَبِينٌ﴾، يعني: ما جاءهم به من البينات، قرأ حمزة والكسائي ﴿ساحر مبين﴾ ها هنا وفي سورة هود والصف، فيكون راجعاً إلى عيسى عليه السلام، وفي هود يكون راجعاً إلى محمد ﷺ.

﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾، ألهمتهم وقذفت في قلوبهم، وقال أبو عبيدة يعني أمرت

(١) أخرجه البخاري في الرقاق، باب في الحوض... ٤٦٤/١١، ومسلم في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم (٢٣٠٤): ٤/١٨٠٠.

(٢) زيادة من «ب».

قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ
الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا
عِيدًا لَأُولَانَا وَأَخِرْنَا وَآيَةً مِنْكَ وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا
عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾

﴿إلى﴾ صلة، والحواريون خواص أصحاب عيسى عليه السلام، ﴿أَنْ آمَنُوا بي وبرسولي﴾،
[عيسى] ﴿قالوا﴾ حين وفقتهم ﴿آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾.

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قرأ الكسائي «هل تستطيع» بالياء
«رَبُّكَ» بنصب الباء وهو قراءة علي وعائشة وابن عباس ومجاهد، أي: هل تستطيع أن تدعو وتسال
ربك، وقرأ الآخرون «هل يستطيع» بالياء و«رَبُّكَ» برفع الباء، ولم يقوله شاكين في قدرة الله عز وجل،
ولكن معناه: هل ينزل ربك أم لا؟ كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع أن تنهض معي وهو يعلم أنه
يستطيع، وإنما يريد هل يفعل ذلك أم لا، وقيل: يستطيع بمعنى يطيع، يقال: أطاع واستطاع بمعنى
واحد، كقولهم: أجب واستجاب، معناه: هل يطيعك ربك بإجابة سؤالك؟ وفي الآثار من أطاع الله
أطاعه الله، وأجرى بعضهم على الظاهر /، فقالوا: غلط القوم، وقالوه قبل استحكام المعرفة وكانوا
بشراً، فقال لهم عيسى عليه السلام عند الغلط، استعظماً لقولهم ﴿اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ أي:
لا تشكوا في قدرته.

﴿أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾، المائدة الخوان الذي عليه الطعام، وهي فاعلة من: مائة
يميدته إذا أعطاه وأطعمه، كقوله ماره يميره، وامتاد: افتعل منه، والمائدة هي المطعممة للأكلين
الطعام، وسمي الطعام أيضاً مائدة على الجواز، لأنه يؤكل على المائدة، وقال أهل الكوفة: سُميت
مائدة لأنها تميد بالأكلين، أي: تميل. وقال أهل البصرة: فاعلة بمعنى المفعول، أي تميد بالأكلين
إليها، كقوله تعالى (عيشة راضية) أي: مرضية، ﴿قال﴾، عيسى عليه السلام مجيباً لهم: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فلا تشكوا في قدرته، وقيل: اتقوا الله أن تسألوه شيئاً لم يسأله الأمم قبلكم،
فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الإيمان.

﴿قالوا نريد﴾، أي: إنما سألنا لأننا نريد، ﴿أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾، أكل تبرك لا أكل حاجة فنستيقن

قدرته، ﴿وتطمئن﴾، وتسكن، ﴿قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا﴾، بأنك رسول الله، أي: نزداد إيماناً و يقيناً، وقيل: إن عيسى ابن مريم أمرهم أن يصوموا ثلاثين يوماً، فإذا أفطروا لا يسألون الله شيئاً إلا أعطاهم، ففعلوا وسألوا المائدة، وقالوا: «ونعلم أن قد صدقتنا» في قولك، إنا إذا صمنا ثلاثين يوماً لا نسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطانا، ﴿ونكون عليها من الشاهدين﴾ لله بالوحدانية والقدرة، ولك بالنبوة والرسالة، وقيل: ونكون من الشاهدين لك عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم.

﴿قال عيسى ابن مريم﴾، عند ذلك، ﴿اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء﴾، وقيل: إنه اغتسل ولبس المسح وصلّى ركعتين وطأطأ رأسه وغمض بصره وبكى، ثم قال: اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء، ﴿تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا﴾، أي: عائدة من الله علينا حجة وبرهاناً، والعيد: يوم السرور، سمي به للعود من الترح إلى الفرح، وهو اسم لما اعتدته ويعود إليك، وسمي يوم الفطر والأضحى عيداً لأنهما يعودان كل سنة، قال السدي: معناه نتخذ اليوم الذي أنزلت فيه عيداً لأولنا وآخرنا، أي: نعظمه نحن ومن بعدنا، وقال سفيان: نصلي فيه، قوله ﴿لأولنا﴾ أي: لأهل زماننا ﴿وآخرنا﴾، أي لمن يجيء بعدنا، وقال ابن عباس: يأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم، ﴿وآية منك﴾، دلالة وحجة، ﴿وارزقنا وأنت خير الرازقين﴾.

﴿قال الله﴾ تعالى مجيباً لعيسى عليه السلام، ﴿إني منزلها عليكم﴾، يعني: المائدة وقرأ أهل المدينة وابن عامر وعاصم «منزلها» بالشديد لأنها نزلت مرات، والتفعيل يدل على التكرير مرة بعد أخرى، وقرأ الآخرون بالتخفيف لقوله: أنزل علينا، ﴿فمن يكفر بعد منكم﴾، أي: بعد نزول المائدة ﴿فإني أعذبه عذاباً﴾، أي: جنس عذاب، ﴿لا أعذبه أحداً من العالمين﴾، يعني: عالمي زمانه، فجحد القوم وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا قرده وخنازير، قال عبدالله بن عمرو: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون^(١).

واختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا؟ فقال مجاهد والحسن: لم تنزل لأن الله عز وجل لما أوعدهم على كفرهم بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا، وقالوا: لا نريدها، فلم تنزل، وقوله: «إني منزلها عليكم»، يعني: إن سألتكم^(٢).

(١) أخرجه ابن جرير الطبري موقوفاً على عبدالله بن عمرو: ٢٣٣/١١، وصححه الشيخ أحمد شاكر في عمدة التفسير. وعزاه السيوطي

أيضاً لعبد بن حميد وأبي الشيخ موقوفاً كذلك. الدر المنثور: ٢٣٧/٣.

(٢) ما ذهب إليه مجاهد والحسن رحمهما الله - رأي مرجوح، لم يستند فيه إلى خبر صحيح. وهو مخالف لنص الآية «إني منزلها عليكم».

ولذلك رجح البغوي وغيره رأي الجمهور، وهو الصحيح.

والصحيح الذي عليه الأكثرون: أنها نزلت، لقوله تعالى: «إني منزلها عليكم»، ولا خُلفَ في خبره، لتواتر الأخبار فيه عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين.

واختلفوا في صفتها فروى خُلاس بن عمرو عن عمار بن ياسر عن رسول الله ﷺ أنها نزلت خبزاً ولحمًا، وقيل لهم: إنها مقيمة لكم ما لم تخونوا [وتخبؤوا]^(١) فما مضى يومهم حتى خانوا وخبؤوا فمسخوا قردة وخنازير^(٢)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن عيسى عليه السلام قال لهم: صُومُوا ثلاثين يوماً ثم سلوا الله ما شئتم يعطكموه، فصاموا فلما فرغوا قالوا: يا عيسى إنا لو عملنا لأحد فقضينا عمله لأطعمنا، وسألوا الله المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها، عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم^(٣).

قال كعب الأحبار: نزلت [مائدة] منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض، عليها كل الطعام إلا اللحم.

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز واللحم، قال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة.

وقال عطية العوفي: نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء.

وقال الكلبي: كان عليها خبز ورز ويقل.

وقال وهب بن منبه: أنزل الله أقرصة من شعير وحيثاناً وكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجيء

آخرون فيأكلون حتى أكلوا جميعهم وفضل.

(١) زيادة من «ب».

(٢) أخرجه الطبري في التفسير عن عمار بن ياسر مرفوعاً وموقوفاً: ٢٢٨/١١، ٢٢٩، والترمذي في تفسير سورة المائدة: ٤٣٣/٨، وقال: وهذا حديث غريب، ورواه أبو عاصم وغير واحد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن خُلاس عن عمار موقوفاً، ولا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة... ولا نعلم للحديث المرفوع أصلاً.

(٣) ينبغي أن نذكر هنا بأن أصل القصة ثابت بالقرآن الكريم، ولا يتوقف فهم هذا على شيء من الروايات الكثيرة التي ساقها المفسرون لبيان صفة هذه المائدة وكيفية نزولها ووقت النزول... الخ هذه الروايات المنقولة عن وهب بن منبه، وكعب الأحبار، وسلمان، وابن عباس، ومقاتل والكلبي وعطاء، وغيرهم. فإنها غير ثابتة الإسناد، وما قد يكون صحيح النسبة إلى قائله منها، لا يعني أنه صحيح في ذاته، فقد ينقل الخبر عن وهب مثلاً بسند ثابت، ولكنه متلقى من أهل الكتاب، فينبغي تنزيه كتب التفسير عن أمثال هذه الروايات، ومنها ما ساقه البغوي هنا في تفسيره.

هذا، وقد أشار ابن كثير والقرطبي وابن عطية وغيرهم إلى ضعف هذه الروايات الإسرائيلية. والله أعلم.

انظر أيضاً: الاسرائيليات والموضوعات د. محمد أبو شهبه ص (٢٦٦ - ٢٧٧).

وعن الكلبي ومقاتل: أنزل الله خبزاً وسمكاً وخمسة أرغفة، فأكلوا ما شاء الله تعالى، والناس ألف ونيف فلما رجعوا إلى قراهم، ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد، وقالوا: ويحكم إنما سحر أعينكم، فمن أراد الله به الخير ثبتته على بصيرته، ومن أراد فتنته رجع إلى كفره، ومسخوا خنازير ليس فيهم صبي ولا امرأة، فمكثوا بذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا، ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا، وكذلك كل ممسوخ.

وقال قتادة: كانت تنزل عليهم بكرة وعشياً حيث كانوا كالمن والسلوى لبني إسرائيل، وقال عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى عليه السلام صوفاً ويكى، وقال: «اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء» الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها، وهم ينظرون إليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى، وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة، واليهود ينظرون إلى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحاً أطيب من ريحه، فقال عيسى عليه السلام: ليقم أحسنكم عملاً فيكشف عنها ويذكر اسم الله تعالى، فقال شمعون الصفار رأس الحواريين: أنت أولى بذلك منا [فقام عيسى عليه السلام]^(١) فتوضأ وصلى صلاة طويلة ويكى كثيراً، ثم كشف المنديل عنها، وقال: بسم الله خير الرازقين فإذا هو سمكة مشوية ليس عليها فلسها ولا شوك عليها تسيل من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل، وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث، وإذا خمسة أرغفة على واحد زيتون، وعلى الثاني غسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد، فقال شمعون: يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من / طعام الآخرة؟ فقال: ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة، ولكنه شيء افتعله الله تعالى بالقدرة الغالبة، كلوا مما سألتكم يمددكم ويزيدكم من فضله، قالوا: يا روح الله كن أول من يأكل منها، فقال عيسى عليه السلام: معاذ الله أن أكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها، فدعا لها أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمقعدين والمبتلين، فقال: كلوا من رزق الله ولكم المهنة ولغيركم البلاء، فأكلوا وصدر عنها ألف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى كلهم شعبان، وإذا السمكة بهيئتها حين نزلت، ثم طارت سفرة المائدة صعداً وهم ينظرون إليها حتى توارت، فلم يأكل منها زمن ولا مريض ولا مبتلى إلا عوفي ولا فقير إلا استغنى، وندم من لم يأكل منها فلبثت أربعين صباحاً تنزل ضحى، فإذا نزلت اجتمعت الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء، ولا تزال منصوبة يؤكل

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّقٍ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ
 مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغَيْبِ ﴿١١٦﴾

منها حتى إذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها حتى توارت عنهم، وكانت تنزل غباً تنزل يوماً
 ولا تنزل يوماً كناية ثمود، فأوحى الله تعالى [إلى عيسى عليه السلام] (١): اجعل مائدتي ورزقي للفقراء
 دون الأغنياء، فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها، وقالوا: أترون المائدة حقاً
 تنزل من السماء؟ فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: إني شرطت أن من كفر بعد نزولها عذبت
 عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، فقال عيسى عليه السلام: (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم
 فإنك أنت العزيز الحكيم) فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثون رجلاً باتوا من ليلتهم على فرشهم مع نسائهم
 فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكتناسات، ويأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك
 فزعوا إلى عيسى عليه السلام وبكوا فلما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف
 بعيسى عليه السلام وجعل عيسى يدعوهم بأسمائهم فيشيرون برءوسهم ويبكون ولا يقدررون على
 الكلام، فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ﴾، واختلفوا في أن هذا القول متى يكون، فقال السدي: قال الله تعالى هذا القول لعيسى
 عليه السلام حين رفعه إلى السماء لأن حرف «إذ» يكون للماضي، وقال سائر المفسرين: إنما يقول
 الله له هذا القول يوم القيامة بدليل قوله [من قبل] (٢): (يوم يجمع الله الرسل) (المائدة، ١٠٩). وقال
 من بعدها (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) (المائدة، ١١٩)، وأراد بهما يوم القيامة، وقد تجيء
 «إذ» بمعنى «إذا» كقوله عز وجل: (ولو ترى إذ فزعوا) أي: إذا فزعوا [يوم القيامة] (٣)، والقيامة وإن لم
 تكن بعد ولكنها كالكائنة لأنها آتية لا محالة.

قوله: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؟ فإن قيل: فما وجه هذا السؤال
 مع علم الله عز وجل أن عيسى لم يقله؟
 قيل هذا السؤال عنه لتوبيخ قومه وتعظيم أمر هذه المقالة كما يقول القائل لآخر: أفعلت كذا

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ
فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ
عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾

وكذا؟ فيما يعلم أنه لم يفعله، إعلاماً واستعظاماً لا استخباراً واستفهاماً.

وأيضاً: أراد الله عز وجل أن يقر [عيسى عليه السلام عن^(١)] نفسه بالعبودية، فيسمع قومه، ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك، قال أبو روق: إذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب أرعدت مفاصله وانفجرت من أصل كل شعرة في جسده عين من دم، ثم يقول مجيباً لله عز وجل: ﴿قال سبحانك﴾، تنزيهاً وتعظيماً لك ﴿ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾، قال ابن عباس: تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك، وقيل معناه: تعلم سرّي ولا أعلم سرّك، وقال أبو روق تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا أعلم ما يكون منك في الآخرة، وقال الزجاج: النفس عبارة عن جملة الشيء وحقيقته، يقول: تعلم جميع ما أعلم من حقيقة أمري ولا أعلم حقيقة أمرك، ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾، ما كان وما يكون.

﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾، [وحدوه^(٢)] ولا تُشركوا به شيئاً، ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت﴾، أقمّت، ﴿فيهم فلما توفيتني﴾، قبضتني ورفعني إليك، ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾ والحفيظ عليهم، تحفظ أعمالهم، ﴿وأنت على كل شيء شهيد﴾.

قوله تعالى: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾، فإن قيل كيف طلب المغفرة لهم وهم كفار، وكيف قال: وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، وهذا لا يليق بسؤال المغفرة، قيل: أما الأول فمعناه إن تعذبهم بإقامتهم على كفرهم وإن تغفر لهم بعد الإيمان وهذا يستقيم على قول السدي: إن هذا السؤال قبل يوم القيامة لأن الإيمان لا ينفع في القيامة. وقيل: هذا في فريقين منهم، معناه: إن تعذب من كفر منهم وإن تغفر لمن آمن منهم.

وقيل: ليس هذا على وجه طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال: فإنك أنت الغفور الرحيم، ولكنه على تسليم الأمر وتفويضه إلى مراده.

(١) زيادة من (ب).

(٢) ساقط من (ب).

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

وأما السؤال الثاني: فكان ابن مسعود رضي الله عنه يقرأ وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم، وكذلك هو في مصحفه، وأما على القراءة المعروفة قيل فيه تقديم وتأخير تقديره: إن تغفر لهم فإنهم عبادك وإن تعذبهم فإنك أنت العزيز الحكيم.

وقيل: معناه إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز في الملك الحكيم في القضاء لا ينقص من عزك شيء، ولا يخرج من حكمك شيء، ويدخل في حكمته ومغفرته وسعة رحمته ومغفرته الكفار، لكنه أخبر أنه لا يغفر وهو لا يخلف خبره.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر أنا عبدالغافر بن محمد الفارسي ثنا محمد بن عيسى الجلودي حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثني يونس بن عبدالأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر بن سوادة حدثه عن عبدالرحمن بن جبير عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في إبراهيم: «رَبِّ إِنهِنَّ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِ فَإِنَّه مَنِي»، الآية. وقول عيسى عليه السلام: «إِن تَعَذَّبَهُمْ فَإِنَّه عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» فرفع يديه وقال: اللهم أمتي وبكى فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل فسأله، فأخبر رسول الله ﷺ بما قال، فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك»^(١).

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾، / قرأ نافع ﴿يَوْمٌ﴾ بنصب الميم، يعني: تكون هذه الأشياء في يوم، فحذف في فانتصب، وقرأ الآخرون بالرفع على أنه خبر ﴿هذا﴾ أي: ينفع الصادقين في الدين صدقهم في الآخرة، ولو كذبوا ختم الله على أفواههم ونطقت به جوارحهم فافتضحوا، وقيل: أراد بالصادقين النبيين.

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لامته، وبكائه شفقة عليهم، برقم (٢٠٢): ١٩١/١، والمصنف في شرح السنة:

وقال الكلبي: ينفع المؤمنين إيمانهم، قال قتادة: متكلمان لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام، وهو ما قصّ الله عز وجل، وعدو الله إبليس، وهو قوله: «وقال الشيطان لَمَّا قَضِيَ الْأَمْرَ»، الآية. فصدق عدو الله يومئذٍ، وكان قبل ذلك كاذباً فلم ينفعه صدقه، وأما عيسى عليه السلام فكان صادقاً في الدنيا والآخرة، فنفعه صدقه.

وقال عطاء: هذا يوم من أيام الدنيا لأن الدار الآخرة دار جزاء لا دار عمل، ثم بين ثوابهم فقال: ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، ثم عظم نفسه. فقال: ﴿اللَّهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

مكية، وهي مائة وخمس وستون آية، نزلت بمكة [جملة] (١) ليلاً معها سبعون ألف ملك قد سدوا ما بين الخافقين، لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتمجيد، فقال النبي ﷺ «سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم وخرّ ساجداً» (٢).

وَرُوي مرفوعاً: «من قرأ سورة الأنعام يصلي عليه أولئك السبعون ألف ملك ليله ونهاره» (٣).

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت سورة الأنعام بمكة، إلا قوله: «وما قدرُوا الله حقَّ قدره»، إلى آخر ثلاث آيات، وقوله تعالى: «قل تعالوا أتْلُ»، إلى قوله: «لعلكم تتقون»، فهذه الست آيات مدنيات (٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
يَعْدِلُونَ

«الحمد لله الذي خلق السموات والأرض»، قال كعب الأحبار: هذه الآية أول آية في التوراة، وآخر آية في التوراة. قوله: «الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً» الآية (الاسراء - ١١١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: افتتح الله الخلق بالحمد، فقال: (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض)، وختمه بالحمد فقال: (وقضي بينهم بالحق)، أي: بين الخلائق، (وقيل: الحمد

(١) ساقط من «ب».

(٢) انظر: الدر المنثور: ٢٤٣/٣ - ٢٤٤.

(٣) أخرجه الثعلبي من حديث أبي بن كعب. وفيه: أبو عصمة، وهو متهم بالكذب. وأوله عند الطبراني في الصغير... وفيه: يوسف بن عطية وهو ضعيف، وعنه أخرجه ابن مردويه في التفسير، وأبو نعيم في الحلية.

انظر: الكافي الشاف لابن حجر ص (٦٣)، الدر المنثور: ٢٤٦/٣.

(٤) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ عن ابن عباس. الدر المنثور: ٢٤٤/٣.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ وَهُوَ
 اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٧٦﴾

الله رب العالمين) [الزمر-٧٥].

قوله: «الحمد لله» حمد الله نفسه تعليماً لعباده، أي: احمدا الله الذي خلق السموات والأرض، خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد، وفيهما العبر والمنافع للعباد، ﴿وجعل الظلمات والنور﴾، والجعل بمعنى الخلق، قال الواقي: كل ما في القرآن من الظلمات والنور فهو الكفر والإيمان، إلا في هذه الآية فإنه يريد بهما الليل والنهار.

وقال الحسن: وجعل الظلمات والنور يعني الكفر والإيمان، وقيل: أراد بالظلمات الجهل وبالنور العلم.

وقال قتادة: يعني الجنة والنار.

وقيل: معناه خلق الله السموات والأرض، وقد جعل الظلمات والنور، لأنه قد خلق الظلمة والنور قبل السموات والأرض.

قال قتادة: خلق الله السموات قبل الأرض، والظلمة قبل النور، والجنة قبل النار، وروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأ ضلَّ»^(١).

﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾، أي: ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون، أي: يشركون، وأصله من مساواة الشيء بالشيء، ومنه العدل، أي: يعدلون بالله غير الله تعالى، يقال: عدلت هذا بهذا إذا ساوته، وبه قال النضر بن شميل، الباء بمعنى عن، أي: عن ربهم يعدلون، أي يميلون وينحرفون من العدل، قال الله تعالى (عيناً يشرب بها عباد الله) أي: منها.

وقيل: تحت قوله «ثم الذين كفروا بربهم يعدلون» معنى لطيف، وهو مثل قول القائل: أنعمت عليكم بكذا وتفضلت عليكم بكذا، ثم تكفرون بنعمتي.

قوله عز وجل: ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾، يعني آدم عليه السلام، خاطبهم به إذ كانوا من

(١) أخرجه الترمذي في الإيمان، باب افتراق هذه الأمة: ٤٠١/٧، وقال: هذا حديث حسن. وصححه ابن حبان ص (٤٤٩) والحاكم:

٣٠/١، ٣١. وأخرجه الإمام أحمد: ١٧٦/٢، ١٩٧.

قال الهيثمي: رواه أحمد بإسنادين، والبخاري والطبراني، ورجال أحد إسنادي أحمد ثقات. مجمع الزوائد: ١٩٤/٧. وذكره الخطيب

في مشكاة المصابيح: ٣٧/١ وصححه الألباني.

ولده. قال السدي: بعث الله تعالى جبريل عليه السلام إلى الأرض ليأتيه بطائفة منها، فقالت الأرض إنني أعوذ بالله منك أن تنقص مني، فرجع جبريل ولم يأخذ وقال: يا رب إنها عاذت بك، فبعث ميكائيل، فاستعادت فرجع، فبعث ملك الموت فعادت منه بالله، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أخالف أمره، فأخذ من وجه الأرض فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء، فلذلك اختلفت ألوان بني آدم، ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر، فلذا اختلفت أخلاقهم فقال الله تعالى لملك الموت: رحم جبريل وميكائيل الأرض ولم ترحمها، لا جرم أجعل أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «خلق الله آدم عليه السلام من تراب وجعله طيناً، ثم تركه حتى كان حمماً مسنوناً ثم خلقه وصوره وتركه حتى كان صلصالاً كالفضار، ثم نفخ فيه روحه»^(١).

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّىٰ عِنْدَهُ﴾، قال الحسن وقتادة والضحاك: الأجل الأول من الولادة إلى الموت، والأجل الثاني من الموت إلى البعث، وهو البرزخ، وروي ذلك عن ابن عباس، وقال: لكل أحد أجلان أجل إلى الموت وأجل من الموت إلى البعث، فإن كان برّاً تقياً ووصولاً للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر، وإن كان فاجراً قاطعاً للرحم نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: الأجل الأول أجل الدنيا، والأجل الثاني أجل الآخرة، وقال عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ يعني: النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند اليقظة، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّىٰ عِنْدَهُ﴾، يعني: أجل الموت، وقيل: هما واحد معناه: [ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا]^(٢) يعني: جعل لأعماركم مدة تنتهون إليها، «وَأَجَلٌ مُّسَمًّىٰ عِنْدَهُ» يعني: وهو أجل مسمى عنده، لا يعلمه غيره، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾، تشكون في البعث.

قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾، يعني: وهو إله السموات والأرض، كقوله: (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله)، وقيل: هو المعبود في السموات والأرض، وقال محمد بن جرير: معناه هو الله في السموات يعلم سركم وجهركم في الأرض، [وقال الزجاج: فيه تقديم وتأخير تقديره: وهو الله، ﴿يَعْلَمُ سِرَكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾، في السموات والأرض]^(٣)، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُكْسِبُونَ﴾، تعملون من الخير والشر.

(١) رواه أبو يعلى، وفيه إسماعيل بن رافع، قال البخاري: ثقة مقارب الحديث، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله رجال الصحيح. (مجمع الزوائد: ١٩٧/٨).

(٢) زيادة من «ب».

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا
جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ
مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي
قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾

﴿وما تأتيتهم﴾، يعني: أهل مكة، ﴿من آية من آيات ربهم﴾، مثل انشقاق القمر وغيره، وقال
عطاء: يريد من آيات القرآن، ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾، لها تاركين بها مكذبين.

﴿فقد كذبوا بالحق﴾، بالقرآن، وقيل: بمحمد ﷺ، ﴿لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا
به يستهزئون﴾، أي: أخبار استهزأتهم وجزاؤه، أي: سيعلمون عاقبة / استهزأتهم إذا عذبوا.

قوله عز وجل: ﴿ألم يروا كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾، يعني الأمم الماضية، والقرن:
الجماعة من الناس، وجمعه قرون، وقيل: القرن مدة من الزمان، يقال ثمانون سنة، وقيل: ستون
سنة، وقيل: أربعون سنة، وقيل: ثلاثون سنة، ويقال: مائة سنة، لِمَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ
بُسْرِ الْمَازِنِيِّ: «إِنَّكَ تَعِيشُ قَرْنًا»، فعاش مائة سنة^(١).

فيكون معناه على هذه الأقاويل من أهل قرن، ﴿مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم﴾، أي:
أعطيناهم ما لم نعطكم، وقال ابن عباس: أمهلناهم في العمر مثل قوم نوح وعاد وثمود، يقال: مكنته
ومكنت له، ﴿وأرسلنا السماء عليهم مدراراً﴾ يعني: المطر، مفعال، من الدر، قال ابن عباس:
مدراراً أي: متتابعاً في أوقات الحاجات، وقوله: «ما لم نمكن لكم» من خطاب التلويح، رجع من
الخبر من قوله: «ألم يروا» إلى خطاب، كقوله: (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم) [يونس، ٢٢].

وقال أهل البصرة: أخبر عنهم بقوله «ألم يروا» وفيهم محمد ﷺ وأصحابه، ثم خاطبهم معهم،
والعرب تقول: قلت لعبد الله ما أكرمه، وقلت، لعبد الله ما أكرمك، ﴿وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم
فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا﴾ خلقنا وابتدأنا، ﴿من بعدهم قرناً آخرين﴾.

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الصغير، ص (٩٣). وانظر: الاصابة: ٢٣/٤، أسد الغابة: ١٢٥/٣.

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ
 مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِ
 مِن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي
 الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١١﴾

قوله عز وجل: ﴿ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس﴾ الآية، قال الكلبي ومقاتل^(١): نزلت في
 النضر بن الحارث وعبدالله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد، قالوا: يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا
 بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنت رسوله، فأنزل الله عز
 وجل: ﴿ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس﴾ مكتوباً من عندي، ﴿فلمسوه بأيديهم﴾، أي: عاينوه
 ومسوه بأيديهم، وذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لأن اللمس أبلغ في إيقاع العلم من [الرؤية]^(٢) فإن
 السحر يجري على المرئي ولا يجري على الملموس، ﴿لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾،
 معناه: لا ينفع معهم شيء لما سبق فيهم من علمي.

﴿وقالوا لولا أنزل عليه﴾، على محمد ﷺ، ﴿ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر﴾، أي: لوجب
 العذاب، وفرغ من الأمر، وهذا سنة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية فأنزلت ثم لم يؤمنوا استؤصلوا
 بالعذاب، ﴿ثم لا ينظرون﴾، أي: لا يؤجلون ولا يمهلون، وقال قتادة، لو أنزلنا ملكاً ثم لم يؤمنوا
 لعجل لهم العذاب ولم يؤخروا طرفة عين، وقال مجاهد: لقضي الأمر أي لقامت القيامة، وقال
 الضحاك: لو أتاهم ملك في صورته لماتوا.

﴿ولو جعلناه ملكاً﴾، [يعني: لو أرسلنا إليهم ملكاً]^(٣)، ﴿لجعلناه رجلاً﴾، يعني في صورة
 [رجل]^(٣) آدمي، لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ
 في صورة دحية الكلبي، وجاء الملكان إلى داود في صورة رجلين.

قوله عز وجل: ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾، أي: خلطنا عليهم ما يخلطون وشبهنا عليهم فلا
 يدرون أملك هو أم آدمي، وقيل معناه شبهوا على ضعفائهم فشبه عليهم، وعن ابن عباس رضي الله

(١) انظر: أسباب النزول ص (٢٤٦)، تفسير القرطبي: ٢٩٣/٦.

(٢) في «ب» (المعاينة).

(٣) زيادة من «ب».

قُلْ لِمَنْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾ ﴿١٣﴾ وَلَهُ مَا
سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾

عنهما قال: هم أهل الكتاب فرقوا دينهم وحرّفوا الكلم عن مواضعه، فلبس الله عليهم ما لبسوا على أنفسهم وقرأ الزهري ﴿وللبسنا﴾ بالتشديد على التكرير والتأكيد.

﴿ولقد استهزىء برسُلٍ من قبلك﴾، كما استهزىء بك يا محمد يعزّي نبيه ﷺ، ﴿فحاق﴾، قال الربيع [بن أنس]^(١): فتزل، وقال عطاء: حلّ، وقال الضحاك: أحاط، ﴿بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾، أي: جزاء استهزائهم من العذاب والنقمة.

﴿قل﴾، يا محمد لهؤلاء المكذبين المستهزئين، ﴿سيروا في الأرض﴾، معتبرين، يحتمل هذا: السير بالعقول والفكر، ويحتمل السير بالأقدام، ﴿ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾، أي: آخر أمرهم وكيف أورثهم الكفر والتكذيب الهلاك، فحذر كفار مكة عذاب الأمم الخالية.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ لِمَنْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فإن أجابوك وإلا ف﴿قُلْ﴾، أنت، ﴿لله﴾، أمره بالجواب عقيب السؤال ليكون أبلغ في التأثير وأكد في الحجة، ﴿كتب﴾، أي: قضى، ﴿على نفسه الرحمة﴾، هذا استعطاف منه تعالى للمتولين عنه إلى الإقبال عليه وإخباره بأنه رحيم بالعباد لا يعجل بالعقوبة، ويقبل الإنابة والتوبة.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أخبرنا أبو طاهر الزيادي أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبدالرزاق أنا معمر عن همام بن منه قال ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي»^(٢).

وروى أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة: «إن رحمتي [سبقت] غضبي»^(٣).

(١) زيادة من (ب).

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قوله تعالى «ويحذرکم الله نفسه»: ٣٨٤/١٣ وفي مواضع أخرى، ومسلم في التوبة باب في سعة رحمة الله، رقم (٢٧٥١): ٢١٠٧/٤، والمصنف في شرح السنة: ٣٧٦/١٤.

(٣) في (ب): (وسعت).

(٤) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين»: ٤٤٠/١٣.

قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتِّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ
أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾

أخبرنا الشيخ أبو القاسم عبدالله بن علي الكركاني أنا أبو طاهر الزياتي أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبدالرحمن المروزي أخبرنا عبدالله بن المبارك أنا عبدالملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ مائةَ رَحْمَةٍ واحدةٍ بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فيها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تتعاطف الوحوش على أولادها، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة»^(١).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا ابن أبي مريم ثنا أبو غسان حدثني زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم قال: قدم على النبي ﷺ سبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها، تسعى إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فالصقته بطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ: «أترون هذه طارحةً ولدها في النار؟ فقلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: اللّهُ أرحم بعباده من هذه بولدها»^(٢).

قوله عز وجل: ﴿ليجمعنكم﴾، اللام فيه لام القسم والنون نون التأكيد مجازه: والله ليجمعنكم، ﴿إلى يوم القيامة﴾، أي: في يوم القيامة، وقيل: معناه ليجمعنكم في قبوركم إلى يوم القيامة، ﴿لا ريب في الذين خسروا﴾، غبنوا، ﴿أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾. ﴿وله ما سكن في الليل والنهار﴾، أي: استقر، قيل: أراد ما سكن وما تحرك، كقوله: (سراويل تقيكم الحر) أي: الحر والبرد، وقيل: إنما خصّ السكون بالذكر لأن النعمة فيه أكثر، قال محمد بن جرير: كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار، والمراد منه جميع ما في الأرض. وقيل معناه: ما يمرّ عليه الليل والنهار، ﴿وهو السميع﴾، لأصواتهم، ﴿العليم﴾ بأسرارهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتِّخَذُ وَلِيًّا﴾؟ وهذا حين دعا إلى / دين آباءه، فقال تعالى: قل يا

ب/١١٦

(١) أخرجه البخاري في الأدب، باب جعل الله الرحمة في مائة جزء: ٤٣١/١٠، ومسلم في التوبة، في الموضع السابق (٢٧٥٢):

٢١٠٨٤، والمصنف في شرح السنة: ٣٧٧/١٤.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته: ٤٢٦/١٠ - ٤٢٧، ومسلم في التوبة في الموضع نفسه برقم (٢٧٥٤):

٢١٠٩/٤، والمصنف: ٣٧٩/١٤.

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصِرِّفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ، وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

محمد أغير الله أتخذ ولياً، [رباً ومعبوداً وناصرًا ومُعِينًا] (١)؟ ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: خالقهما ومُبدِعهما ومبتدئهما، ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾، أي: وهو يرزق ولا يُرزق، كما قال: (ما أريد منهم من رزقٍ وما أريد أن يُطعمون). ﴿قُلْ إِنِّي أَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾، يعني: من هذه الأمة، والإسلام بمعنى الاستسلام لأمر الله، وقيل: أسلم أخلص، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾، يعني: وقيل لي ولا تكونن، ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾، [فعبدتُ غيره] (٢) ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، يعني: عذاب يوم القيامة.

﴿مَنْ يُصِرِّفْ عَنْهُ﴾، يعني: من يُصرف العذاب عنه، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ويعقوب ﴿يُصِرِّفُ﴾ بفتح الياء وكسر الراء، أي: من يصرف الله عنه العذاب، لقوله: «فقد رحمه» وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الراء، ﴿يَوْمئِذٍ﴾، يعني: يوم القيامة، ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾، أي: النجاة البينة.

قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ بِشِدَّةٍ وَبِلِيَةٍ﴾، ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾، لا رافع، ﴿إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ﴾، عافية ونعمة، ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، من الخير والضر.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أبو عبدالله السلمي أنا أبو العباس الأصم أنا أحمد بن شيبان الرملي أنا عبدالله بن ميمون القَدَّاحُ أنا شهاب بن خراش، [هو ابن عبدالله] (٣) عن عبد الملك بن عمير عن ابن عباس قال: أهدني للنبي ﷺ بغلة، أهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر، ثم أردفني خلفه، ثم سار بي ملياً ثم التفت إلي فقال: يا غلام، فقلت: لبيك يا رسول الله، قال: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد مضى القلم بما هو كائن، فلو جهد الخلائق أن ينفعوك بما لم يقضه الله

(١) زيادة من (ب).

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي
 وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْنَكُم لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً
 أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ
 يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
 افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾

تعالى لك لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتب الله تعالى عليك، ما قدروا عليه، فإن
 استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين، فافعل فإن لم تستطع فاصبر فإن في الصبر على ما تكره خيراً
 كثيراً واعلم أن النصر مع الصبر، وأن مع الكرب الفرج، وأن مع العسر يسراً^(١).

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾، القاهر الغالب، وفي القهر زيادة معنى على القدرة، وهي منع غيره
 عن بلوغ المراد، وقيل: هو المنفرد بالتدبير الذي يُجبر الخلق على مُرادِهِ، فوق عباده هو صفة
 الاستعلاء الذي تفرد به الله عز وجل. ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾، في أمره، ﴿الْخَبِيرُ﴾، بأعمال عباده.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾؟ الآية، قال الكلبي: أتى أهل مكة رسول الله ﷺ
 فقالوا: أرنا من يشهد أنك رسول الله فإننا لا نرى أحداً يصدقك، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى
 فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ﴾، أعظم، ﴿شَهَادَةً﴾؟ فإن
 أجابوك، وإلا ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ هو ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، على ما أقول، ويشهد لي بالحق وعليكم
 بالباطل، ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ﴾، لأخوفكم به يا أهل مكة، ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾، يعني:
 ومن بلغه القرآن من العجم وغيرهم من الأمم إلى يوم القيامة.

حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد بن الحنفى أنا محمد بن بشر بن محمد المزني أنا أبو بكر

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند من رواية حنش الصنعاني عن ابن عباس: ٣٠٧/١، والترمذي مختصراً في القيامة، باب حدثنا بشر بن
 هلال: ٢١٩/٧ - ٢٢٠، وقال: هذا حديث حسن صحيح. ومثله في المسند: ٢٩٣/١ - ٣٠٣. وعبد بن حميد في المنتخب ص (٢١٤).
 وذكره ابن الأثير في جامع الأصول كما في سياق المصنف وقال: هذا الحديث ذكره رزين، ولم أجده في واحد من الأصول الستة، إلا
 ما أخرجه الترمذي، وهذا لفظه، ثم ساق رواية الترمذي. انظر: جامع الأصول: ٦٨٦/١١.
 ورواه أيضاً عبد بن حميد في مسنده بإسناد ضعيف، وعزاه ابن الصلاح في الأحاديث الكلية إلى عبد بن حميد وغيره، وقد روي هذا
 الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة... وطريق حنش التي خرجها الترمذي حسنة جيدة. انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب
 ص (١٧٤).

محمد بن الحسن بن بشر النقاش أنا أبو شعيب الحراني أنا يحيى بن عبدالله بن الضحاك البجلي أنا الأوزاعي حدثني حسان بن عطية عن أبي كبشة [السلولي] (١) عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (٢).

أخبرنا أبو الحسن عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «نَضَرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَفَظَهَا وَوَعَاَهَا وَأَدَّأَهَا. فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ غَيْرِ فِقِيهِ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثٌ لَا يَجُزُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبٌ مُسْلِمٌ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَلِزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَحِيْطٌ مِنْ وَرَائِهِمْ» (٣).

قال مقاتل: من بلغه القرآن من الجن والإنس فهو نذير له، وقال محمد بن كعب القرظي: من بلغه القرآن فكانما رأى محمداً ﷺ وسمع منه، ﴿أَتُنْكَمَ لِشَهِدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ أُخْرَى﴾؟ ولم يقل آخر لأن الجمع يلحقه التانيث، كقوله عز وجل: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) (الأعراف، ١٨٠)، وقال: (فما بال القرون الأولى). (طه، ٥١) ﴿قُلْ﴾، يا محمد إن شهدتم أنتم، ﴿فَلَا أَشْهَدُ﴾، أنا أن معه إلهاً، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾، يعني: التوراة والإنجيل، ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾، يعني: محمداً ﷺ بنعته وصفته، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾، من بين الصبيان. ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، غبنوا أنفسهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وذلك أن الله جعل لكل آدمي منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، وإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة، ولأهل النار منازل أهل الجنة في النار، وذلك الخسران.

(١) في «ب»: (السلوي).

(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل: ٤٩٦/٦، والمصنف في شرح السنة: ٢٤٣/١.

(٣) أخرجه الترمذي في العلم، باب الحث على تبليغ السماع، بنحوه، ٤١٧/٧ - ٤١٨. وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في المقدمة، باب من بلغ علماً، برقم (٢٣٦): ٨٦/١، والدارمي في المقدمة، باب كراهية أخذ الرأي: ٧٥/١، والشافعي في كتاب العلم: ١٦/١، والإمام أحمد في المسند: ٢٢٥/٣ عن أنس، والمصنف في شرح السنة: ٢٣٦/١، وللشيخ عبدالمحسن العباد دراسة حديثة وفقهية لحديث ونصر الله امرأ... طبع عام ١٤٠١هـ بمطابع الرشيد بالمدينة المنورة.

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتِنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾

قوله عز وجل: ﴿ومن أظلم﴾، أكفر، ﴿ممن افترى﴾، اختلق، ﴿على الله كذباً﴾، فأشرك به غيره، ﴿أو كذب بآياته﴾، يعني: القرآن، ﴿إِنَّه لَا يُفْلِحُ الظالمون﴾، الكافرون.

﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾، أي: العابدين والمعبودين، يعني: يوم القيامة، قرأ يعقوب ﴿يحشرهم﴾ هاهنا، وفي سبأ بالياء، ووافق حفص في سبأ، وقرأ الآخرون بالنون، ﴿ثم نقول للذين أشركوا آين شركائكم الذين كنتم تزعمون﴾، أنها تشفع لكم عند ربكم.

﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب «يكن» بالياء لأن الفتنة بمعنى الافتتان، فجاز تذكره، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الفتنة، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم «فتنتهم» بالرفع جعلوه اسم كان، وقرأ الآخرون بالنصب، فجعلوا الاسم قوله «أن قالوا» وفتنتهم الخبر، ومعنى قوله «فتنتهم» أي: قولهم وجوابهم، وقال ابن عباس وقتادة: معذرتهم والفتنة التجربة، فلما كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم قيل فتنة.

قال الزجاج في قوله ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ معنى لطيف وذلك مثل الرجل يفتن بمحبوب ثم يصيبه فيه [محنة] (١) فيتبرأ من محبوبه، فيقال: لم تكن فتنت إلا هذا، كذلك الكفار فتنوا بمحبة الأصنام ولما رأوا العذاب تبرأوا منها، يقول الله عز وجل: ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ في محبتهم الأصنام، ﴿إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿ربنا﴾ بالنصب على نداء المضاف، وقرأ الآخرون بالخفض على نعت والله، وقيل: / إنهم إذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى وتجاوزة عن أهل التوحيد، قال بعضهم لبعض: تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجا مع أهل التوحيد، فيقولون: والله ربنا ما كنا مشركين، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالكفر.

فقال عز وجل: ﴿انظر كيف كذبوا على أنفسهم﴾، باعتذارهم بالباطل وتبريهم عن الشرك، ﴿وضل عنهم﴾: زال وذهب عنهم ﴿ما كانوا يفترون﴾ من الأصنام، وذلك أنهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها، فبطل كله في ذلك اليوم.

(١) في (ب): (فتنة).

وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً
 آيَةً لَا يُؤْمِنُوهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٤٥﴾
 وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٦﴾

قوله عز وجل: ﴿ومنها من يستمع إليك﴾ الآية، قال الكلبي: اجتمع أبو سفيان بن حرب وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأبي ابنا خلف والحارث بن عامر، يستمعون القرآن فقالوا للنضر: يا أبا قتيبة ما يقول محمد؟ قال: ما أدري ما يقول إلا أني أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين، مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر كثير الحديث عن القرون وأخبارها^(١). فقال أبو سفيان: إنني أرى بعض ما يقول حقاً، فقال أبو جهل: كلا، لا نقر بشيء من هذا، وفي رواية: لَلْمَوْتُ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ هَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ومنها من يستمع إليك﴾ وإلى كلامك، ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾، أغطية، جمع كنان، كالأعنة جمع عنان، ﴿أن يفقهوه﴾، أن يعلموه، قيل: معناه أن لا يفقهوه، وقيل: كراهة أن يفقهوه، ﴿وفي آذانهم وقراً﴾، صمماً وثقلاً، هذا دليل على أن الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى، ويجعل بعضها في أكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن، ﴿وإن يروا كل آية﴾، من المعجزات والدلالات، ﴿لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾، يعني: أحاديثهم وأقاصيصهم، والأساطير جمع: أسطورة، وإسطارة. وقيل: هي الترهات والأباطيل، وأصلها من سطرت، أي: كتبت.

﴿وهم ينهون عنه﴾ أي: ينهون الناس عن اتباع محمد ﷺ ﴿وينأون عنه﴾، أي: يتباعدون عنه بأنفسهم، نزلت في كفار مكة، قاله محمد بن الحنفية والسدي والضحاك، وقال قتادة: ينهون عن القرآن وعن النبي ﷺ ويتباعدون عنه.

وقال ابن عباس ومقاتل^(٢): نزلت في أبي طالب كان ينهى الناس عن أذى النبي ﷺ ويمنعهم وينأى عن الإيمان به، أي: يبعد، حتى روي أنه اجتمع إليه رؤوس المشركين وقالوا: خذ شاباً من أصبحنا وجهاً، وادفع إلينا محمداً، فقال أبو طالب: ما أنصفتموني أذع إليكم ولدي لتقتلوه وأربي

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي، ص (٢٤٧).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٢٤٧-٢٤٨)، تفسير القرطبي: ٤٠٦/٦.

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُنكَدِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ
 بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يَخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِن
 هِيَ إِلَّا أَحْيَانُنَا الَّذِي نَأْمَنُ بِمَبْعُوثِيهِ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا
 بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾

ولذلكم؟ ورؤي أن النبي ﷺ دعاه إلى الايمان، فقال: لولا أن تعيرني قريش لأقررت بها عينك، ولكن أذب عنك ما حبيت. وقال فيه أبياتا:

حَتَّىٰ أَوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
 وَأُبَشِّرُ بِذَاكَ وَقَرَّ بِذَاكَ مِنْكَ عَيْوُنَا
 وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ ثَمَّ أَمِينَا
 مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
 لَوَجَدْتَنِي سَمِحًا بِذَاكَ مَبِينَا

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ
 فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاظَةٌ
 وَدَعَوْتَنِي وَعَرَفْتُ أَنَّكَ نَاصِحِي
 وَعَرَضْتَ دِينًا قَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّهُ
 لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارُ سُبَّةٍ

﴿وإن يهلكون﴾، ما يهلكون، ﴿إلا أنفسهم﴾ أي: لا يرجع وبال فعلهم إلا إليهم، وأوزار الذين يصدونهم عليهم، ﴿وما يشعرون﴾.

قوله عز وجل: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ يعني: في النار، كقوله تعالى: (على ملك سليمان) أي: في ملك سليمان، وقيل: عرضوا على النار، وجواب «لو» محذوف معناه: لو تراهم في تلك الحالة لرأيت عجبا، ﴿فقالوا يا ليتنا نرد﴾، يعني: إلى الدنيا، ﴿ولا نكذب آيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾، قراءة العامة كلها بالرفع على معنى: يا ليتنا نرد ونحن لا نكذب، ونكون من المؤمنين، وقرأ حمزة وحفص ويعقوب «ولا نكذب ونكون» بنصب الباء والنون على جواب التمني، أي: ليت ردنا وقع، وأن لا نكذب ونكون، والعرب تنصب جواب التمني بالواو كما تنصب بالفاء، وقرأ ابن عامر «نكذب» بالرفع و«نكون» بالنصب لأنهم تمنوا أن يكونوا من المؤمنين، وأخبروا عن أنفسهم أنهم لا يكذبون آيات ربهم إن رُدوا إلى الدنيا.

﴿بل بدأ لهم﴾ قوله: «بل» تحته رد لقولهم، أي: ليس الأمر على ما قالوا إنهم لو رُدوا لآمنوا، بل بدأ لهم: ظهر لهم، ﴿ما كانوا يخفون﴾، يسرون، ﴿من قبل﴾، في الدنيا من كفرهم

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا أَيْحَسْرَتُنَا عَلَىٰ مَا فَرَّ
 طْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَسَاءَ مَا يَرْزُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
 لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي
 يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٢٣﴾

ومعاصيهم، وقيل: ما كانوا يخفون وهو قولهم «والله ربنا ما كنا مشركين» (الأنعام، ٢٣)، فأخفوا
 شركهم وكتموا حتى شهدت عليهم جوارحهم بما كتّموا وسترُوا، لأنهم كانوا لا يخفون كفرهم في
 الدنيا، إلا أن تجعل الآية في المنافقين، وقال المبرد: بل بدا لهم جزاء ما كانوا يخفون، وقال
 النضر بن شميل: بل بدا عنهم.

ثم قال ﴿ولو ردّوا﴾ إلى الدنيا ﴿لعدوا لِمَا﴾، يعني إلى ما ﴿نُها عنه﴾، من الكفر، ﴿وإنهم
 لكاذِبون﴾، في قولهم، لو ردّدنا إلى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا وكنا من المؤمنين.

﴿وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾، هذا إخبار عن إنكارهم البعث، وقال
 عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، هذا من قولهم لو ردّوا لقالوه.

قوله عز وجل: ﴿ولو ترى إذ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، أي: على حكمه وقضائه ومسألته، وقيل:
 عَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، ﴿قال﴾، لهم وقيل: تقول لهم الخزنة بأمر الله، ﴿أليس هذا بالحق﴾؟ يعني:
 أليس هذا البعث والعذاب بالحق؟ ﴿قالوا بلى وربنا﴾، إنه حق، قال ابن عباس: هذا في موقف،
 وقولهم: والله ربنا ما كنا مشركين في موقف آخر، وللقيامه مواقف، ففي موقف يُقرون، وفي موقف
 يُنكرون. ﴿قال فذوقوا العذاب بما كتّم تكفّرون﴾.

﴿قد خسر الذين كذبوا بقاء الله﴾، أي: خسروا أنفسهم بتكذيبهم المصير إلى الله بالبعث
 بعد الموت، ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة﴾، أي: القيامة ﴿بغتة﴾، أي: فجأة، ﴿قالوا يا حسرتنا﴾،
 ندامتنا، [ذكر] (١) على وجه النداء للمبالغة، وقال سيويه: كأنه يقول: أيتها الحسرة هذا أوانك،
 ﴿على ما فرطنا﴾، أي: قَصَرْنَا ﴿فيها﴾، أي: في الطاعة، وقيل: تركنا في الدنيا من عمل الآخرة.

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ» واستدركتاه من «ب».

قال محمد بن جرير^(١): الهاء راجعة إلى الصفقة، وذلك أنه لما تبين لهم خسران صفقتهم ببيعهم الآخرة بالدنيا قالوا: يا حسرتنا على ما فرطنا فيها، أي: في الصفقة [فترك ذكر الصفقة]^(٢) اكتفاءً بقوله ﴿قد خسر﴾ لأن الخسران إنما يكون في صفقة بيع، والحسرة شدة الندم، حتى يتحسر النادم، كما يتحسر الذي تقوم به دابته في السفر البعيد، ﴿وهم يحملون أوزارهم﴾، أثقالهم وآثامهم، ﴿على ظهورهم﴾، قال السدي وغيره: إن المؤمن إذ أخرج من قبره استقبله أحسن شيء صورةً وأطيبه ريحاً فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عمك الصالح فاركني، فقد طالما ركبتك في الدنيا، فذلك قوله عز وجل: (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) (مريم، ٨٥) أي ركباناً، وأما الكافر فيستقبله أقبح شيء صورةً وأنته ريحاً، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا. فيقول أنا عمك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا / فأنا اليوم أركبك، فهذا معنى قوله: ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾، ﴿ألا ساء ما يزرّون﴾، يحملون قال ابن عباس: بشس الحمل حملوا:

ب/١١٧

﴿وما الحياة الدنيا إلا لعبٌ ولهوٌ﴾، باطل وغرور لا بقاء لها ﴿وللدار الآخرة﴾، قرأ ابن عامر ﴿ولدار الآخرة﴾ مضافاً أضاف الدار إلى الآخرة، ويضاف الشيء إلى نفسه عند اختلاف اللفظين، كقوله: (وحب الحصيد)، وقولهم: ربيع الأول ومسجد الجامع، سُميت الدنيا لدنوها، وقيل: لدناءتها، وسُميت الآخرة لأنها بعد الدنيا، ﴿خيرٌ للذين يتقون﴾ الشرك، ﴿أفلا تعقلون﴾، أن الآخرة أفضل من الدنيا، قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب (أفلا تعقلون) بالتاء ها هنا وفي الأعراف وسورة يوسف ويس، ووافق أبو بكر في سورة يوسف، ووافق حفص إلا في سورة يس، وقرأ الآخرون بالياء فيهن.

قوله عز وجل: ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون﴾، قال السدي: التقى الأحنس بن شريق وأبو جهل بن هشام، فقال الأحنس لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ها هنا أحد يسمع كلامك غيري، فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابه والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية^(٣).

وقال ناجية بن كعب: قال أبو جهل للنبي ﷺ لا تنتهمك ولا تكذبك، ولكننا نكذب الذي جئت

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٥/١١، وفيه قوله: «والهاء والألف في قوله: «فيها» من ذكر «الصفقة»، ولكن اكتفى بدلالة قوله: «قد خسر الذين كذبوا بقاء الله» عليها من ذكرها، إذ كان معلوماً أن «الخسران» لا يكون إلا في صفقة بيع قد جرت».

(٢) أسباب النزول، ص (٢٤٩)، تفسير الطبري: ٣٣٣/١١.

وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْذُوا حَتَّىٰ أَنهْمُ نَصْرْنَا وَلَا مَبْدَل
لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَبْرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ
أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَنَّ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِثَابِتٍ وَكُوشَاءَ اللَّهُ
لَجَمْعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

به، فأنزل الله تعالى: ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون﴾^(١) بأنك كاذب، ﴿فإنهم لا يكذبونك﴾،
قرأ نافع والكسائي بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد من التكذيب، والتكذيب هو أن تنسبه إلى
الكذب، وتقول له: كذبت، والإكذاب هو أن تجده كاذباً، تقول العرب: أجدبت الأرض وأخصبتها
إذا وجدتها جربة ومخصبة، ﴿ولكن الظالمين آيات الله يجحدون﴾، يقول: إنهم لا يكذبونك في
السُّر لأنهم قد عرفوا صدقك فيما مضى، وإنما يكذبون وحيي ويجحدون آياتي، كما قال: «وجحدوا
بها واستيقنتها أنفسهم» (النمل، ٩٤).

﴿ولقد كذبت رسول من قبلك﴾، كذبهم قومهم كما كذبتك قريش، ﴿فصبروا على ما كذبوا
وأوذوا حتى أتاهم نصرنا﴾ بتعذيب من كذبهم، ﴿ولا مبدل لكلمات الله﴾، لا ناقض لما حكم به،
وقد حكم في كتابه بنصر أنبيائه عليهم السلام، فقال: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم
المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) (الصفات، ١٧١ - ١٧٢)، وقال: (إنا لننصر رسلنا) (غافر،
٥١) وقال: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) (المجادلة، ٢١)، وقال الحسن بن الفضل: لا خلف
[لعدائهم]^(٢) ﴿ولقد جاءك من نبي المرسلين﴾، و ﴿من﴾ صلة كما تقول: أصابنا من مطر.

﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم﴾ أي: عظم عليك وشق أن أعرضوا عن الإيمان بك، وكان
رسول الله ﷺ يحرص على إيمان قومه أشد الحرص، وكانوا إذ سألوا آية أحب أن يريهم الله تعالى
ذلك طمعاً في إيمانهم، فقال الله عز وجل: ﴿فإن استطعت أن تبني نفقاً﴾، تطلب وتتخذ نفقاً سرباً

(١) أخرجه الترمذي من طريق أبي كريب عن علي، في التفسير، سورة الأنعام: ٤٣٧/٨، ثم من طريق اسحاق بن منصور عن سفيان عن
أبي اسحاق عن ناجية: أن أبا جهل... وذكر نحوه، ولم يذكر فيه عن علي، وقال: هذا أصح.
وحديث علي أخرجه الحاكم في المستدرک: ٣١٥/٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين، فتعقبه الذهبي قائلًا: «ما أخرجا لناجية
شيئاً».

وانظر: أسباب النزول، ص (٢٤٩)، الطبري: ٣٣٤/١١، القرطبي: ٤١٦/٦.

(٢) في «ب» ولعدته.

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ٣٦ وَقَالُوا لَوْلَا
 نَزَّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾
 وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ
 شَيْءٍ نَعْمَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾

﴿ في الأرض ﴾، ومنه نافقاء اليربوع، وهو أحد جحريه فيذهب فيه، ﴿أو سلماً﴾، أي: درجاً
 ومصعداً، ﴿في السماء﴾، فتصعد فيه، ﴿فتأتيهم بآية﴾، فافعل، ﴿ولو شاء الله لجمعهم على
 الهدى﴾، فأمنوا كلهم، ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾، أي: بهذا الحرف، وهو قوله: ﴿ولو شاء الله
 لجمعهم على الهدى﴾، وأن من يكفر لسابق علم الله فيه.

﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾، يعني: المؤمنين الذين يسمعون الذكر فيتبعونه ويتفعلون به
 دون من ختم الله على سمعه، ﴿والموتى﴾، يعني الكفار، ﴿يبعثهم الله ثم إليه يرجعون﴾،
 فيجزئهم بأعمالهم.

قوله عز وجل: ﴿وقالوا﴾، يعني: رؤساء قريش، ﴿لولا﴾، هلاً، ﴿نزل عليه آية من ربه قل
 إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾، ما عليهم في إنزالها.

قوله عز وجل: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه﴾، قيد الطيران بالجناح تأكيداً
 كما يقال نظرت بعيني وأخذت بيدي، ﴿إلا أمم أمثالكم﴾، قال مجاهد: أصناف مصنفة تعرف
 بأسمائها يريد أن كل جنس من الحيوان أمة، فالطير أمة، والدواب أمة، والسباع أمة، تعرف بأسمائها
 مثل بني آدم، يعرفون بأسمائهم، يقال: الإنس والناس.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن
 الجعد أنا المبارك هو ابن فضالة عن الحسن عن عبد الله بن مغفل عن النبي ﷺ قال: (لولا أن الكلاب
 أمة لأمرت بقتلها، فاقتلوا منها كل أسود بهيم)^(١).

(١) أخرجه أبو داود في الضحايا، باب في اتخاذ الكلب للصيد وغيره: ١٣٢/٤ - ١٣٣، والترمذي في الصيد، باب ما جاء في قتل الكلاب:
 ٦٣/٥، وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في الصيد والذباح، باب صفة الكلاب التي أمر بقتلها: ١٨٥/٧، وابن ماجه في
 الصيد، باب قتل الكلاب إلا كلب صيد أو زرع، برقم (٣٢٠٥): ١٠٦٩/٢، والدارمي في الصيد، باب في قتل الكلاب: ٩٠/٢،
 والإمام أحمد في المسند: ٥٤/٥، ٥٦، والمصنف في شرح السنة: ٢١١/١١.

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءِ اللَّهُ يَضِلُّهُ وَمَن يَشَاءِ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن آتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

وقيل: أمم أمثالكم يفقه بعضهم عن بعض، وقيل: أمم أمثالكم في الخلق والموت والبعث، وقال عطاء: أمم أمثالكم في التوحيد والمعرفة، وقال ابن قتيبة: أمم أمثالكم في الغذاء وابتغاء الرزق وتوقي المهالك.

﴿ما فرطنا في الكتاب﴾، أي: في اللوح المحفوظ، ﴿من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾، قال ابن عباس والضحاك: حشرها موتها، وقال أبو هريرة: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطيور، وكل شيء فيأخذ للجماة من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً فحينئذ يتمنى الكافر ويقول: (يا ليتني كنت تراباً).

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبدالله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا اسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لتردنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجلحاء من القرناء»^(١).

قوله عز وجل: ﴿والذين كذبوا بآياتنا صمٌّ وبكمٌ﴾، لا يسمعون الخير ولا يتكلمون به، ﴿في الظلمات﴾، في ضلالات الكفر، ﴿مَن يَشَاءِ اللَّهُ يَضِلُّهُ وَمَن يَشَاءِ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وهو الإسلام.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾، هل رأيتم؟ والكاف فيه للتأكيد، وقال الفراء: العرب تقول أرايتك، وهم يريدون أخبرنا، كما تقول: أرايتك إن فعلت كذا ماذا تفعل؟ أي: أخبرني، وقرأ أهل

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨٢): ٤/١٩٩٧.

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا
 أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَنَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنِ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ
 أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصَدِفُونَ ﴿٤٦﴾

المدينة «أرايتكم، وأرايتم، وأرايت» بتلحين الهمزة الثانية، والكسائي بحذفها، قال ابن عباس: قل يا محمد لهؤلاء المشركين أرايتكم، «إن أتاكم عذاب الله»، قبل الموت، «أو أتتكم الساعة»، يعني: القيامة، «أغير الله تدعون»، في صرف العذاب عنكم، «إن كنتم صادقين»، وأراد أن الكفار يدعون الله في أحوال الاضطراب كما أخبر الله عنهم: (وإذا غشيهم موجٌ كالظللِ دَعُوا اللَّهَ مَخْلَصِينَ له الدين) (لقمان، ٣٢).

ثم قال: «بل إياه تدعون»، أي: تدعون الله ولا تدعون غيره، «فيكشف ما تدعون إليه إن شاء»، قيد الإجابة بالمشيئة [والأمور كلها بمشيئته] (١)، «وتنسئون»، وتتركون، «ما تشركون».

«ولقد أرسلنا إلى أممٍ من قبلك فأخذناهم بالأساء»، بالشدة والجوع، «والضراء»، المرض والزمانة، «لعلهم يتضرعون» أي يتوبون ويخضعون، والتضرع السؤال بالتذلل.

١/١١٨

«فلولا»، فهلاً، «إذ جاءهم بأسنا»، عذابنا، «تضرعوا»، فآمنوا فكشف عنهم، / أخبر الله عز وجل أنه قد أرسل إلى قوم بلغوا من القسوة إلى أنهم أخذوا بالشدة في أنفسهم وأموالهم فلم يخضعوا ولم يتضرعوا، فذلك قوله: «ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون»، من الكفر والمعاصي.

«فلما نسوا ما ذكروا به»، تركوا ما وعظوا وأمروا به، «فتحنا عليهم أبواب كل شيء»، قرأ أبو جعفر «فتحنا» بالتشديد، في كل القرآن، وقرأ ابن عامر كذلك إذا كان عقيبه جمعاً، والباقون بالتخفيف وهذا فتح استدراج ومكر، أي: بدلنا مكان البلاء والشدة الرخاء والصحة، «حتى إذا فرحوا بما أوتوا»، وهذا فرح بطر مثل فرح قارون بما أصاب من الدنيا، «أخذناهم بغتة»، فجأة آمن ما كانوا، وأعجب ما كانت الدنيا إليهم، «فإذا هم مبلسون»، آيسون من كل خير، وقال أبو عبيدة:

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

المبلس النادم الحزين، وأصل الإبلاس: الإطراق من الحزن والندم، وروى عقبه بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: (إذا رأيت الله يُعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته، فإنما ذلك استدراج)، ثم تلا: «فلما نسوا ما ذُكروا به» الآية (١).

﴿فَقَطَّعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، أي: آخرهم [الذين بدبرهم، يقال: دبّر فلان القوم يدبرهم دبراً ودبوراً إذا كان آخرهم] (٢) ومعناه أنهم استوصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية، ﴿والحمد لله رب العالمين﴾، حمد الله نفسه على أن قطع دابرهم لأنه نعمة على الرسل، فذكر الحمد لله تعليماً لهم ولمن آمن بهم، أن يحمدوا الله على كفايته شر الظالمين، وليحمد محمد ﷺ وأصحابه ربهم إذا أهلك المكذبين.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾، أيها المشركون، ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾، حتى لا تسمعوا شيئاً أصلاً ﴿وَأَبْصَارَكُمْ﴾، حتى لا تبصروا شيئاً، ﴿وَوَخَّمْ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾، حتى لا تفقهوا شيئاً ولا تعرفوا مما تعرفون من أمور الدنيا، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾، ولم يقل بها مع أنه ذكر أشياء، قيل: معناه يأتيكم بما أخذ منكم، وقيل: الكناية ترجع إلى السمع الذي ذكر أولاً ويندرج غيره تحته، كقوله تعالى (والله ورسوله أحق أن يرضوه) (التوبة، ٦٢). فالهاء راجعة إلى الله، ورضى الرسول يندرج في رضى الله تعالى، ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ أي: نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة، ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾، يعرضون عنها مكذبين.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً﴾، فجأة، ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾، معاينة ترونه عند نزوله، قال

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٤٥/٤، وفيه: رشدين بن سعد، وهو ضعيف، وقال الهيثمي في المجمع: ٢٤٥/١٠ رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه الوليد بن العباس المصري وهو ضعيف، وعزاه في موضع آخر: ٢٠/٧ لأحمد والطبراني.

(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب».

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرَدَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

ابن عباس والحسن: ليلاً أو نهاراً، ﴿هل يهلك إلا القوم الظالمون﴾ المشركون.

قوله عز وجل: ﴿وما ترسل المرسلين إلا مبشرين ومُنذرين فمن آمن وأصلح﴾، العمل، ﴿فلا خوف عليهم﴾، حين يخاف أهل النار، ﴿ولا هم يحزنون﴾، إذا حزنوا.

﴿والذين كذبوا بآياتنا يمسهم﴾، يصيبهم، ﴿العذاب بما كانوا يفسقون﴾، يكفرون.

﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾، نزل حين اقترحوا الآيات فأمره أن يقول لهم: ﴿لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾، أي خزائن رزقه فأعطيكم ما تريدون، ﴿ولا أعلم الغيب﴾، فأخبركم بما غاب مما مضى ومما سيكون، ﴿ولا أقول لكم إني ملك﴾، قال ذلك لأن الملك يقدر على ما لا يقدر عليه الآدمي ويشاهد ما لا يشاهده الآدمي، يريد لا أقول لكم شيئاً من ذلك فتتكرون قولي وتجددون أمري، ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾، أي: ما أتاكم به فمن وحي الله تعالى، وذلك غير مستحيل في العقل مع قيام الدليل والحجج البالغة، ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾؟ قال قتادة: الكافر والمؤمن، وقال مجاهد: الضال والمهتدي، وقيل: الجاهل والعالم، ﴿أفلا تفكرون﴾، أي: أنهما لا يستويان.

قوله عز وجل: ﴿وأنذر به﴾ خوف به أي: القرآن، ﴿الذين يخافون أن يحشروا﴾، يجمعوا ويبعثوا، ﴿إلى ربهم﴾، وقيل: يخافون أي يعلمون، لأن خوفهم إنما كان من علمهم، ﴿ليس لهم من دونه﴾، من دون الله، ﴿ولي﴾، قريب ينفعهم، ﴿ولا شفيع﴾، يشفع لهم، ﴿لعلهم يتقون﴾، فيتقون عما نهوا عنه، وإنما نفى الشفاعة لغيره - مع أن الأنبياء والأولياء يشفعون - لأنهم لا يشفعون إلا بإذنه.

﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾، قرأ ابن عامر «بالغدوة» بضم الغين وسكون الدال وواو بعدها، ها هنا وفي سورة الكهف، وقرأ الآخرون: بفتح الغين والدال وألف بعدها.

قال سلمان وخباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية، جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وذووهم من المؤلفة قلوبهم، فوجدوا النبي ﷺ قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين، فلما رأوهم حوله حقرهم، فأتوه فقالوا: يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم، وكان عليهم جباب صوف لم يكن عليهم غيرها، لجالسناك وأخذنا عنك، فقال النبي ﷺ لهم: «ما أنا بطارد المؤمنين» قالوا فإننا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: نعم، قالوا: اكتب لنا عليك بذلك كتاباً، قال: فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب، قالوا ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل بقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، إلى قوله: ﴿بِالشَّاكِرِينَ﴾ فألقى رسول الله ﷺ الصحيفة من يده، ثم دعانا فأثبتته، وهو يقول: (سلامٌ عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة)، فكنا نقعد معه فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الكهف، ٢٨)، فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا بعد وندنو منه حتى كادت ركبتنا تمس ركبتة، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمننا وتركناه حتى يقوم، وقال لنا: «الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات»^(١).

وقال الكلبي: قالوا له اجعل لنا يوماً ولهم يوماً، فقال: لا أفعل، قالوا: فاجعل المجلس واحداً فأقبل إلينا وولَّ ظهره عليهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾. قال مجاهد: قالت قريش: لولا بلال وابن أم عبد لبايعنا محمداً، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾^(٢)، قال ابن عباس: يعني يعبدون ربهم بالغداة والعشي، يعني: صلاة الصبح وصلاة العصر، ويروى عنه: أن المراد منه الصلوات الخمس، وذلك أن أناساً من الفقراء كانوا مع النبي عليه السلام، فقال ناس من الأشراف: إذا صلينا فأخر هؤلاء فليصلوا خلفنا، فنزلت الآية، وقال مجاهد: صليت الصبح مع سعيد بن المسيب، فلما سلم الإمام ابتدر

(١) أخرجه الطبري: ١١/٣٧٦-٣٧٧، وابن ماجه في الزهد، برقم (٤١٢٧): ٢/٣٨٢-٣٨٣ قال في الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات، وقد روى مسلم والنسائي بعضه من حديث سعد. وانظر: صحيح مسلم، فضائل الصحابة، رقم (٢٤١٣): ٤/١٨٨٧. وساقه ابن كثير في التفسير: ٢/١٣٦ وقال: هذا حديث غريب فإن هذه الآية مكية والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر.

ولا وجه لهذه الغرابة، فعندما قالا ذلك لم يكونا من المسلمين.

(٢) عزاه السيوطي في الدرر: ٣/٢٧٤ لعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾

ب/١١٨

الناس القاص، فقال سعيد: ما أسرع الناس إلى هذا المجلس! قال مجاهد: فقلت يتأولون قوله تعالى ﴿يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾، قال: أفي هذا هو، إنما / ذلك في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن، وقال إبراهيم النخعي: يعني يذكرون ربهم، وقيل المراد منه: حقيقة الدعاء، ﴿يريدون وجهه﴾، أي: يريدون الله بطاعتهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يطلبون ثواب الله فقال: ﴿ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء﴾، أي: لا تكلف أمرهم ولا يتكلفون أمرك، وقيل: ليس رزقهم عليك فتملهم، ﴿فتطردهم﴾، ولا رزقك عليهم، قوله ﴿فتطردهم﴾، جواب لقوله ﴿ما عليك من حسابهم من شيء﴾ وقوله: ﴿فتكون من الظالمين﴾، جواب لقوله ﴿ولا تطرد﴾ أحدهما جواب النفي والآخر جواب النهي.

قوله عز وجل: ﴿وكذلك فتنا﴾، أي: ابتلينا، ﴿ببعضهم ببعض﴾، أراد ابتلاء الغني بالفقير والشريف بالوضيع، وذلك أن الشريف إذا نظر إلى الوضيع قد سبقه بالإيمان امتنع من الإسلام بسببه فكان فتنة له فذلك قوله: ﴿ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا﴾، فقال الله تعالى: ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾، فهو جواب لقولهم ﴿أهؤلاء من الله عليهم من بيننا﴾، فهو استفهام بمعنى التقرير، أي: الله أعلم بمن شكر الإسلام إذ هداه الله عز وجل.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطيسفوني أنا أبو الحسن محمد بن أحمد التراي ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو بن بسطام ثنا أبو الحسن أحمد بن سيار القرشي أنا مسدد أنا جعفر بن سليمان عن المعلى بن زياد عن العلاء بن بشير المزني عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: جلست في نفر من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستر ببعض من العري، وقارىء يقرأ علينا إذ جاء رسول الله ﷺ، فقام علينا، فلما قام رسول الله ﷺ سكت القارىء، فسلم رسول الله ﷺ وقال: «ما كنتم تصنعون؟» قلنا يا رسول الله كان قارىء يقرأ علينا فكنا نستمتع إلى كتاب الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله

وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ
الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِئِعْ أَهْوَاءَ كُمْ قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

الذي جعل من أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم» قال: ثم جلس وسطنا ليعدل نفسه فينا ثم قال بيده هكذا فَتَحَلَّقُوا، وبرزت وجوههم له، قال فما رأيت رسول الله ﷺ عرف منهم أحداً غيري، فقال رسول الله ﷺ: «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة»^(١).

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾، قال عكرمة: نزلت في الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم، وكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام^(٢).

وقال عطاء: نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم وأبي عبيدة ومُصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والأرقم بن أبي الأرقم وأبي سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنهم أجمعين.

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، أي: قضى على نفسه الرحمة، ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ﴾، قال مجاهد: لا يعلم حلالاً من حرام فمن جهالته ركب الذنب، وقيل: جاهل بما يورثه ذلك الذنب، وقيل: جهالته من حيث أنه أثار المعصية على الطاعة والعاجل القليل على الأجل الكثير، ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ﴾، رجع عن ذنبه، ﴿وَأَصْلَحَ﴾، عمله، وقيل: أخلص توبته، ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ . . . فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بفتح الألف فيهما بدلاً من الرحمة، أي: كتب على نفسه أنه من عمل منكم، ثم جعل الثانية بدلاً عن الأولى، كقوله تعالى: «أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون»، (المؤمنون، ٣٥)، وفتح أهل المدينة الأولى منهما وكسروا الثانية على الاستئناف، وكسرهما الآخرون على الاستئناف.

﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ﴾، أي: وهكذا، وقيل: معناه وكما فصلنا لك في هذه السورة دلائلنا

(١) أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب في القصص: ٢٥٥/٥، قال المنذري: «وفي إسناده زياد بن المعلبي بن زياد، أبو الحسن، وفيه مقال»، وأخرجه أحمد: ٦٣/٣، ٩٦ عن أبي سعيد الخدري. والمصنف في شرح السنة: ١٤/١٩١. وله شاهد عند الترمذي في الزهد وابن ماجه وابن حبان، فيتقوى به.

(٢) انظر: الطبري: ٣٨٠/١١، أسباب النزول ص (٢٥٢).

قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِن
 الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَفْضُلُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ
 لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾

وإعلامنا على المشركين كذلك نفصل الآيات، أي: نَمَيِّزُ وَنَبَيِّنُ لك حجتنا في كل حق ينكره أهل الباطل، ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾، أي: طريق المجرمين، وقرأ أهل المدينة «ولتستبين» بالتاء، «سبيل» نصب على خطاب النبي ﷺ، أي: ولتعرف يا محمد سبيل المجرمين، يقال: استبنت الشيء وتبينته إذا عرفته، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر «وليستبين» بالياء «سبيل» بالرفع، وقرأ الآخرون ﴿ولتستبين﴾ بالتاء «سبيل» رفع، أي: ليظهر ويتضح والسبيل، يُذَكَّرُ وَيؤنثُ، فدليل التذكير قوله تعالى: «وإن يروا سبيل الرُّشد لا يتخذوه سبيلاً» (الأعراف، ١٤٦)، ودليل التأنيث قوله تعالى: «لِمَ تصدُّون عن سبيل الله مَنْ آمَنَ تبغونها عوجاً» (آل عمران، ٩٩).

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾، في عبادة الأوثان وطرده الفقراء، ﴿فَدُ ضَلَلْتُ إِذَا مَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾، يعني: إن فعلت ذلك فقد تركت سبيل الحق وسلكت غير طريق الهدى.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾، أي: على بيان وبصيرة وبرهان، ﴿مِن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾، أي: ما جئت به، ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾، قيل: أراد به استعجالهم العذاب، كانوا يقولون: «إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً» (الأنفال، ٣٢) الآية، قيل: أراد به القيامة، قال الله تعالى: «يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها» (الشورى، ١٨)، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَفْضُلُ الْحَقَّ﴾، قرأ أهل الحجاز وعاصم يَفْضُلُ بضم القاف والصاد مشدداً أي يقول الحق، لأنه في جميع المصاحف بغير ياء، ولأنه قال الحق ولم يقل بالحق، وقرأ الآخرون (يقضي) بسكون القاف والصاد مكسورة، من قضيت، أي: يحكم بالحق بدليل أنه قال: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾، والفصل يكون في القضاء وإنما حذفوا الياء لاستثقال الألف واللام، كقوله تعالى: (صال الجحيم) ونحوها، ولم يقل بالحق لأن الحق صفة المصدر، كأنه قال: يقضي القضاء الحق.

﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي﴾، ويدي، ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾، من العذاب، ﴿لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا سُقِطَ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾
 ﴿ هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ يُرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

وبينكم ﴿، أي: فرغ من العذاب [وأهلكتم] ﴿١﴾، أي: لعجلته حتى أتخلص منكم، ﴿والله أعلم بالظالمين﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ﴾، مفاتيح الغيب خزائنه، جمع مفتاح.

واختلفوا في مفاتيح الغيب، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبدالله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا عبدالله بن دينار أنه سمع ابن عمر يقول: قال رسول الله: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما تغيض الأرحام أحد إلا الله تعالى، [ولا يعلم ما في الغد إلا الله عز وجل] ﴿١﴾، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري / نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة أحد إلا الله ﴿٢﴾. وكما قال الله تعالى: (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث).

وقال الضحاك ومقاتل: مفاتيح الغيب خزائن الأرض، وعلم نزول العذاب.

وقال عطاء: ما غاب عنكم من الثواب والعقاب.

وقيل: انقضاء الأجال، وقيل: أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم، وقيل: هي ما لم يكن بعد أنه يكون أم لا يكون، وما يكون كيف يكون، وما لا يكون أن لو كان كيف يكون؟ وقال ابن مسعود: «أوتي نبيكم علم كل شيء إلا علم مفاتيح الغيب» ﴿٣﴾.

(١) في «ب»؛ (وهلكتم).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه البخاري في الاستسقاء، باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله: ٥٢٤/٢، وفي التوحيد وفي التفسير. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٢٢/٤.

(٤) رواه أحمد وأبو يعلى، ورجالهما رجال الصحيح. مجمع الزوائد: ٢٦٣/٨.

وانظر: فتح الباري: ١٢٤/١، ٢٩١/٨، عالم الغيب والشهادة تأليف عثمان جمعة ضميرية ص (٨٠ - ٨١).

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ
رُسُلْنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿١١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۗ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ
الْحَسِبِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيِّنًا أَنجِنَا مِنْ
هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾

﴿ويعلم ما في البرِّ والبحر﴾، قال مجاهد: البرُّ: المفاوز والقفار، والبحر: القرى والأمصار، لا يحدث فيهما شيء إلا يعلمه، وقيل: هو البر والبحر المعروف، ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾، يريد ساقطة وثابتة، يعني: يعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبقى عليه، وقيل: يعلم كم انقلبت^(١) ظهراً لبطن إلى أن سقطت^(٢) على الأرض، ﴿ولا حبة في ظلمات الأرض﴾، قيل: هو الحب المعروف في بطون الأرض، وقيل: هو تحت الصخرة في أسفل الأرضين، ﴿ولا رطب ولا يابس﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الرطب الماء، واليابس البادية، وقال عطاء: يريد ما ينبت وما لا ينبت، وقيل: ولا حي ولا ميت، وقيل: هو عبارة عن كل شيء، ﴿إلا في كتاب مبين﴾، يعني أن الكل مكتوب في اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾، أي: يقبض أرواحكم إذا نتم بالليل، ﴿ويعلم ما جرحتم﴾، كسبتم، ﴿بالتَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾، أي: يوقظكم في النهار، ﴿ليُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾، يعني: أجل الحياة إلى الممات، يريد استيفاء العمر على التمام، ﴿ثم إليه مرجعكم﴾، في الآخرة، ﴿ثم ينبئكم﴾، يخبركم، ﴿بما كنتم تعملون﴾.

قوله عز وجل: ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة﴾ يعني: الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم، وهو جمع حافظ، نظيره «وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين» (الانفطار، ١١)، ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته﴾، قرأ حمزة (توفيه) (واستهويه) بالياء وأمالهما، ﴿رسلنا﴾ يعني:

(١) في «ا»: (انقلب).

(٢) في «ب»: (سقط).

قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجَالِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾

أعوان ملك الموت يقبضونه فيدفعونه إلى ملك الموت فيقبض روحه، كما قال: (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلِكُ الْمَوْتِ)، وقيل الأعوان يتوفونه بأمر ملك الموت، فكان ملك الموت توفاه لأنهم يصدرون عن أمره، وقيل: أراد بالرسول ملك الموت وحده، فذكر الواحد بلفظ الجمع، وجاء في الأخبار: أن الله تعالى جعل الدنيا بين يدي ملك الموت كالمائدة الصغيرة فيقبض من هاهنا ومن هاهنا فإذا كثرت الأرواح يدعو الأرواح فتجيب له، ﴿وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ﴾، أي لا يقصرون.

﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾، يعني: الملائكة، وقيل: يعني العباد يُرَدُّونَ بِالموتِ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ، فإن قيل الآية في المؤمنين والكفار جميعاً وقد قال في آية أخرى: «وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ» (محمد، ١١)، فكيف وجه الجمع؟ فقيل: المولى في تلك الآية بمعنى الناصر ولا ناصر للكفار، والمولى هاهنا بمعنى الملك الذي يتولى أمورهم، والله عزَّ وجلَّ مالك الكل ومتولي الأمور، وقيل: أراد هنا المؤمنين خاصة يردون إلى مولاهم، والكفار فيه تبع، ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾، أي: القضاء دون خلقه، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾، أي: إذا حاسب فحسابه سريع لأنه لا يحتاج إلى فكرة وروية وعقد يد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾، قرأ يعقوب بالتخفيف، وقرأ العامة بالتشديد، ﴿مَنْ ظَلَمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، أي: من شدائدهما وأهوالهما، كانوا إذا سافروا في البر والبحر فضلوا الطريق وخافوا الهلاك، دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فينجيهم، فذلك قوله تعالى: ﴿تَدْعُوهُ تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً﴾، أي: علانية وسراً، قرأ أبو بكر عن عاصم ﴿وَخُفْيَةً﴾ بكسر الخاء هاهنا وفي الأعراف، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان، ﴿لِئِنْ أَنْجَيْنَا﴾، أي: يقولون لئن أنجيتنا، وقرأ أهل الكوفة: لئن أنجانا الله، ﴿مَنْ هَذِهِ﴾، يعني: من هذه الظلمات، ﴿لِنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، والشكر: هو معرفة النعمة مع القيام بحقها.

﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا﴾، قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر ﴿يُنَجِّيكُمْ﴾ بالتشديد، مثل قوله تعالى:

﴿قُلْ مَنْ يُنجِيكُمْ﴾، وقرأ الآخرون هذا بالتخفيف، ﴿وَمَنْ كُلُّ كَرْبٍ﴾، والكرب غاية الغم الذي يأخذ بالنفس، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾، يريد أنهم يقرون أن الذي يدعونه عند الشدة هو الذي ينجيهم ثم تُشركون معه الأصنام التي قد علموا أنها لا تضر ولا تنفع.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾، قال الحسن وقتادة: نزلت الآية في أهل الإيمان. وقال قوم نزلت في المشركين.

قوله ﴿عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾، يعني: الصيحة والحجارة والريح والظوفان، كما فعل بعاد وشمود وقوم شعيب وقوم لوط وقوم نوح، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، يعني: الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون.

وعن ابن عباس ومجاهد: ﴿عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾، السلاطين الظلمة، ومن تحت أرجلكم العبيد السوء، وقال الضحاك: من فوقكم من قبل كباركم أو من تحت أرجلكم أي من أسفل منكم، ﴿أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا﴾، أي: يخلطكم فرقا ويبيت فيكم الأهواء المختلفة، ﴿وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾، يعني: السيوف المختلفة، يقتل بعضهم بعضاً.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو النعمان أنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن جابر قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ «أعوذُ بوجهك»، قال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قال: «أعوذُ بوجهك»، قال: ﴿أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون أو هذا أيسر»^(١).

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو جعفر محمد بن علي دحيم الشيباني أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة أنا يعلى بن عبيد الطنافسي أنا عثمان بن حكيم عن عامر بن سعد بن وقاص عن أبيه، قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى مررنا على مسجد بني معاوية فدخل فصلى ركعتين وصلينا معه فناجى ربه طويلاً ثم قال: سألتُ ربي ثلاثاً: سألتُه أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألتُه أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألتُه أن لا يجعل بأسهم بينهم، فَمَنَعَنِيهَا^(٢).

(١) أخرجه البخاري في التفسير، سورة الأنعام، باب «قل هو القادر على أن يبعث عليكم»، وفي الاعتصام، وفي التوحيد. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢١٧/١٤.

(٢) أخرجه مسلم عن عثمان بن حكيم، في الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، برقم (٢٨٩٠): ٢٢١٦/٤. والمصنف في شرح السنة: ٢١٤/١٤ - ٢١٥.

وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
 ﴿٦٧﴾ وَإِذْ رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا
 يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَاعَلَى الَّذِينَ
 يَنْقُوتُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَئِنْ ذُكِّرُوا لَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ ﴿٦٩﴾

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن دلوية الدقاق ثنا محمد بن إسماعيل البخاري ثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن عبيد الله بن عمر عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري أن عبد الله بن عمر جاءهم ثم قال: «إن النبي ﷺ دعا في مسجد فسأل الله ثلاثاً فأعطاه اثنتين ومنعه واحدة، سأله أن لا يُسلط على أمته عدواً من غيرهم يظهر عليهم فأعطاه ذلك، وسأله أن لا يهلكهم بالسنين فأعطاه ذلك / وسأله أن لا يجعل بأس بعضهم على بعض، فمنعه ذلك»^(١).

قوله عز وجل: ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾.

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾، أي: بالقرآن، وقيل: بالعذاب، ﴿وهو الحقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾، بريب، وقيل: بمسلطٍ ألزمكم الإسلام شئتُم أو أبيتم، إنما أنا رسول.

﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾، خبر من أخبار القرون، ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾، حقيقة ومنتهى ينتهي إليه فيتبين صدقه من كذبه وحقه من باطله، إما في الدنيا وإما في الآخرة، ﴿وسوف تعلمون﴾، وقال مقاتل: لكل خبر يخبره الله وقت [وقته]^(٢) ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير، وقال الكلبي: [لكل]^(٣) قولٍ وفعلٍ حقيقة، إما في الدنيا وإما في الآخرة وسوف تعلمون ما كان في الدنيا فستعرفونه وما كان في الآخرة فسوف يبدو لكم.

(١) أخرجه المصنف في شرح السنة: ٢١٤/١٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وروي عن خباب بن الأثر ذلك.

قلت: أما حديث خباب فقد أخرجه الترمذي في الفتن، باب سؤال النبي ﷺ ثلاثاً في أمته: ٣٩٧/٦-٣٩٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) ساقط من «ا».

وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَاطِلٍ وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرْتَهُمْ أَن
تُبَسَّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ
عَدَلٍ لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ
عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ
يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ اثْتِنَا قُلْ إِنِّي هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِّلْمُسْلِمِ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾

قوله عز وجل: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾، يعني: في القرآن بالاستهزاء
﴿فأعرض عنهم﴾، فاتركهم [ولا تجالسهم] (١)، ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك﴾، قرأ
ابن عامر بفتح النون وتشديد السين وقرأ الآخرون بسكون النون وتخفيف السين، ﴿الشیطان﴾،
نهيئنا، ﴿فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾، يعني: إذا جلست معهم ناسياً فقم من عندهم
بعدما تذكرت.

﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾، روي عن ابن عباس أنه قال: لما نزلت هذه
الآية: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم﴾، قال المسلمون: كيف نقعد في
المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبداً؟ وفي رواية قال المسلمون: فإننا نخاف الإثم حين
نتركهم ولا ننهاهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وما على الذين يتقون﴾، الخوض، ﴿من حسابهم﴾،
أي: من آثام الخائضين ﴿من شيء ولكن ذكرى﴾، أي: ذكروهم وعظوهم بالقرآن، والذكر والذكرى
واحد، يريد ذكروهم ذكرى، فتكون في محل نصب، ﴿لعلهم يتقون﴾، الخوض إذا وعظتموهم
فرخص في مجالستهم على الوعظ لعله يمنعهم ذلك من الخوض، وقيل: لعلهم يستحيون.

قوله عز وجل: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَاطِلٍ وَلَهْوًا﴾، يعني: الكفار الذين إذا سمعوا آيات
الله استهزؤوا بها وتلاعبوا عند ذكرها، وقيل: إن الله تعالى جعل لكل قوم عيداً فاتخذ كل قوم دينهم
- أي: عيدهم - لعباً ولهواً، وعيد المسلمين الصلاة والتكبير وفعل الخير مثل الجمعة والفطر والنحر،
﴿وعرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرْتَهُمْ﴾، أي: وعظ بالقرآن، ﴿أَنْ تُبَسَّلَ﴾، أي: لأن لا تبسل، أي: لا

(١) في (أ): (ولا تجادلهم).

وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُواهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمَلَكُ
يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

تُسَلِّمُ، ﴿نَفْسٌ﴾، لِلهَلَاكِ، ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾، قَالَه مَجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ وَالسُّدِّيُّ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَهْلِكُ،
وَقَالَ قَتَادَةُ: أَنْ تَحْبَسَ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: تَحْرُقُ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: تَتَّخِذُ، وَمَعْنَاهُ: ذَكَرَهُمْ لِيُؤْمِنُوا، كَيْلًا
تَهْلِكُ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ، قَالَ الْأَخْفَشُ: تَبْسَلُ تُجَازِي، وَقِيلَ: تَفْضَحُ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: تَرْتَهِنُ، وَأَصْلُ
الْإِبْسَالِ التَّحْرِيمُ، وَالْبَسْلُ الْحَرَامُ، ثُمَّ جَعَلَ نَعْتًا لِكُلِّ شِدَّةٍ تُتَّقَى وَتُتْرَكُ ﴿لَيْسَ لَهَا﴾، أَي لِنَتْلِكَ
النَّفْسِ، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيِّ﴾، قَرِيبٌ، ﴿وَلَا شَفِيعَ﴾، يَشْفَعُ لَهَا فِي الْآخِرَةِ، ﴿وَإِنْ تَعَدَّلْ كُلُّ
عَدَلٍ﴾، أَي: تَقْدِرْ كُلُّ فِدَاءٍ، ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا﴾، أُسْلِمُوا لِلهَلَاكِ، ﴿بِمَا
كَسَبُوا﴾، لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٣﴾.

﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾، إِنْ عَبْدْنَاهُ، ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾، إِنْ تَرَكْنَاهُ، يَعْنِي: الْأَصْنَامَ
لَيْسَ إِلَيْهَا نَفْعٌ وَلَا ضَرٌّ، ﴿وَنُرْدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾، إِلَى الشَّرِكِ [مُرْتَدِّينَ] ^(١)، ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي
اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ﴾، أَي: يَكُونُ مَثَلْنَا كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ، أَي: أَضَلَّتْهُ،
﴿حَيْرَانَ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الْغِيلَانُ فِي الْمَهَامَةِ فَأَضَلُّوهُ فَهُوَ حَائِرٌ بَائِرٌ، وَالْحَيْرَانُ:
الْمُرْتَدُّ فِي الْأَمْرِ، لَا يَهْتَدِي إِلَى مَخْرَجٍ مِنْهُ، ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُوهُ إِلَى الْهُدَى اثْنَيْنَا﴾، هَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ
اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ يَدْعُو إِلَى الْأَلْهَةِ وَلِمَنْ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، كَمِثْلِ رَجُلٍ فِي رِفْقَةِ ضَلٍّ بِهِ الْغُولُ عَنْ
الطَّرِيقِ يَدْعُوهُ أَصْحَابُهُ مِنْ أَهْلِ الرِفْقَةِ هَلُمَّ إِلَى الطَّرِيقِ، وَيَدْعُوهُ الْغُولُ [هَلُمَّ] ^(٢)، فَيَبْقَى حَيْرَانًا لَا
يَدْرِي أَيْنَ يَذْهَبُ، فَإِنْ أَجَابَ الْغُولُ انْطَلَقَ بِهِ حَتَّى يَلْقِيَهُ إِلَى الْهَلَاكَةِ، وَإِنْ أَجَابَ مَنْ يَدْعُوهُ إِلَى
الطَّرِيقِ اهْتَدَى ^(٣).

﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى﴾، يَزْجُرُ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَا تَفْعَلْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْهُدَى
هُدَى اللَّهِ، لَا هَدَى غَيْرِهِ، ﴿وَأْمَرْنَا لِنُسَلِّمَ﴾، أَي: أَنْ نُسَلِّمَ، ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وَالْعَرَبُ تَقُولُ:
أَمَرْتُكَ لَتَفْعَلَ وَأَنْ تَفْعَلَ وَيَأْنُ تَفْعَلَ.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُواهُ﴾، أَي: وَأْمَرْنَا بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالتَّقْوَى، ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

(١) فِي «ب»: (مُرْتَدِّينَ).

(٢) زِيَادَةٌ مِنْ «ب». (٣) انْظُرْ: تَفْسِيرَ الطَّبْرِيِّ: ٤٥٢/١١.

أي : تجمعون في الموقف للحساب .

﴿وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق﴾، قيل : الباء بمعنى اللام، أي : إظهاراً للحق لأنه جعل صنعه دليلاً على وحدانيته، ﴿ويوم يقول كن فيكون﴾، قيل : هو راجع إلى خلق السموات والأرض والخلق، بمعنى : القضاء والتقدير، أي : كل شيء قضاء وقدّره قال له : كن، فيكون . وقيل : يرجع إلى القيامة، يدل على سرعة أمر البعث والساعة، كأنه قال : ويوم يقول للخلق : موتوا فيموتون، وقوموا فيقومون، ﴿قوله الحق﴾، أي : الصدق الواقع لا محالة، يريد أن ما وعده حق كائن، ﴿وله الملك يوم يُنفخ في الصور﴾، يعني : مُلك الملوك يومئذ زائل، كقوله : «مالك يوم الدين»، وكما قال : «والأمر يومئذ لله»، والأمر له في كل وقت، ولكن لا أمر في ذلك اليوم لأحد مع أمر الله، والصور : قرن يُنفخ فيه، قال مجاهد : كهيئة البوق، وقيل : هو بلغة أهل اليمن، وقال أبو عبيدة : الصور هو الصور وهو جمع الصورة، وهو قول الحسن، والأول أصح .

والدليل عليه ما أخبرنا محمد بن عبدالله [بن أبي توبة أنا أبو طاهر المحاربي أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله] (١) بن محمود أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال أنا عبدالله بن المبارك عن سليمان التيمي عن أسلم عن بشر بن شغاف عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : ما الصور؟ قال : «قرن يُنفخ فيه» (٢) .

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبدالله بن محمد بن عبدالله الصفار أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي أنا أبو حذيفة أنا سفيان عن الأعمش عن عطية بن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري أنّ النبي ﷺ قال : «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه، وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر؟ فقالوا : يا رسول الله وما تأمرنا؟ قال : «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل» (٣) .

وقال أبو العلاء عن عطية : متى يؤمر بالنفخ فينفخ .

(١) ساقط من (أ) .
 (٢) أخرجه الترمذي في القيامة، باب ما جاء في الصور: ١١٧/٧، وقال : هذا حديث حسن صحيح، وقد رواه غير واحد عن سليمان التيمي، ولا نعرفه إلا من حديثه، وأخرجه أيضاً في التفسير: ١١٦/٩ .
 وأخرجه الدارمي في الرقاق، باب في نفخ الصور: ٣٢٥/٢، وصححه الحاكم: ٥٠٦/٢، و٥٦٠/٤، ووافقه الذهبي . وابن حبان ص (٦٣٧) من موارد الظمان، والإمام أحمد في المسند: ١٦٢/٢، ١٩٢ .
 (٣) حديث صحيح أخرجه الترمذي في صفة القيامة، باب ما جاء في الصور: ١١٧/٧ - ١١٨ وقال هذا حديث حسن، وقد روي من غير هذا الوجه عن عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ نحوه، وأخرجه في تفسير سورة الزمر: ١١٦/٩، وصححه الحاكم من حديث ابن =

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَسْنَمَاءٌ إِلَهَةٌ إِنِّي أَرَنكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ٧٤ ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ ٧٥ ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ ٧٦

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ، يعلم ما غاب عن العباد وما يشاهدونه، لا يغيب عن علمه شيء ، وهو الحكيم الخبير .

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ﴾ ، قرأ يعقوب ﴿ آزر ﴾ بالرفع ، يعني : ﴿ آزر ﴾ ، والقراءة المعروفة بالنصب ، وهو اسم أعجمي لا ينصرف فينتصب في موضع الخفض . قال محمد بن إسحاق والضحاك والكلبي : آزر اسم أبي إبراهيم وهو تارخ أيضاً مثل إسرائيل ويعقوب وكان من كوثي ^(١) قرية من سواد الكوفة ، وقال مقاتل بن حيان وغيره : آزر لقب لأبي إبراهيم ، واسمه تارخ . / ١/١٢٠

وقال سليمان التيمي : هو سب وعيب ، ومعناه في كلامهم المعوج ، وقيل : معناه الشيخ الهيم بالفارسية ، وقال سعيد بن المسيب ومجاهد : آزر اسم صنم ، فعلى هذا يكون في محل النصب تقديره أتخذ آزر إلهاً ، قوله ﴿ أصناماً آلهة ﴾ ، دون الله ، ﴿ إني أراك وقومك في ضلال مبين ﴾ . ﴿ وكذلك نرى إبراهيم ﴾ ، أي : كما أريناه البصيرة في دينه ، والحق في خلاف قومه ، نرى ﴿ ملكوت السموات والأرض ﴾ ، والملكوت : الملك ، زيدت فيه التاء للمبالغة ، كالجبروت والرحموت والرهوبوت ، قال ابن عباس : يعني خلق السموات والأرض ، وقال مجاهد وسعيد بن جبير : يعني آيات السموات والأرض ، وذلك أنه أقيم على صخر وكشف له عن السموات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين ونظر إلى مكانه في الجنة ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وآتيناه أجره في الدنيا ﴾ يعني : أريناه مكانه في الجنة .

وروي عن سلمان رضي الله عنه ، ورفع بعضهم [عن علي رضي الله عنه] ^(٢) لما أرى إبراهيم

= عباس : ٥٥٩/٤ ، وابن حبان ص (٦٣٧) ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند : ٣٧٤/٤ من حديث زيد بن أرقم . قال الحافظ ابن حجر في الفتح : وأخرجه الطبراني من حديث زيد بن أرقم ، وابن مردويه من حديث أبي هريرة ، وأحمد والبيهقي من حديث ابن عباس . . . وفي أسانيد كل منها مقال . وأخرجه المصنف في شرح السنة : ١٥٣/١٥ وقال : هذا حديث حسن .

(١) بالضم ثم السكون ، والتاء مثلثة ، وألف مقصورة ، تكتب بالياء لأنها رابعة الاسم . انظر : معجم البلدان ٤٠/٤٨٧ .

(٢) ساقط من «ب» .

ملكوت السموات والأرض أبصر رجلاً على فاحشة فدعا عليه فهلك، ثم أبصر آخر فدعا عليه فهلك، ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال له الرب عزّ وجلّ: «يا إبراهيم إنك رجل مستجاب الدعوة، فلا تدعون على عبادي وإنما أنا من عبدي على ثلاث خلال إمّا أن يتوب فأتوب عليه، وإمّا أن أخرج منه نسمة تعبدني، وإمّا أن يبعث إليّ فإن شئتُ عفوت عنه، وإن شئتُ عاقبته» وفي رواية: «وإمّا أن يتولى فإن جهنم من ورائه»^(١).

وقال قتادة: ملكوت السموات: الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض الجبال والشجر والبحار. ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾، عطف على المعنى، ومعناه: نريه ملكوت السموات والأرض، ليستدل به وليكون من الموقنين.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾، الآية، قال أهل التفسير: ولد إبراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان، وكان نمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس إلى عبادته، وكان له كهان ومُنَجِّمون، فقالوا له: إنه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغيّر دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه، يقال: إنهم وجدوا ذلك في كتب الأنبياء عليهم السلام.

وقال السدي: رأى نمرود في منامه كأن كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء، ففزع من ذلك فزعاً شديداً، فدعا السحرة والكهنة فسألهم عن ذلك، فقالوا: هو مولود يُولد في ناحيتك في هذه السنة، فيكون هلاكك وهلاك مُلكك وأهل بيتك على يديه، قالوا: فأمر بذب كل غلام يولد في ناحيته في تلك السنة، وأمر بعزل الرجال عن النساء، وجعل على كل عشرة رجال رجلاً فإذا حاضت المرأة خلى بينها وبين زوجها، لأنهم كانوا لا يجامعون في الحيض، فإذا طهرت حال بينهما، فرجع أزر فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فواقعها، فحملت بإبراهيم عليه السلام^(٢).

وقال محمد بن إسحق: بعث نمرود إلى كل امرأة حُبلى بقرية، فحبسها عنده إلا ما كان من أم إبراهيم عليه السلام، فإنه لم يعلم بحبلها لأنها كانت جارية حديثة السن، لم يعرف الحبل في بطنها.

وقال السدي: خرج نمرود بالرجال إلى المعسكر ونحاهم عن النساء تخوفاً من ذلك المولود أن

(١) قال السيوطي في الدر المنثور: ٣/٣٠٢ وأخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن شهر بن حوشب. وشهر: صدوق كثير الأوهام.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٣/٣٠٤.

ونذكر هنا مرة أخرى، أن هذه التفصيلات التي ساقها المصنف رحمه الله لم يرد فيها نص صحيح يجب المصير إليه، ولا يتوقف فهم الآيات على هذه الروايات والأخبار.

يكون، فمكث بذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة إلى المدينة، فلم يأت من عليها أحداً من قومه إلا أزر، فبعث إليه ودعاه وقال له: إن لي حاجة أحببت أن أوصيك بها ولا أبعثك إلا لثقتي بك، فأقسمت عليك أن لا تدنو من أهلك، فقال أزر: أنا أشح على ديني من ذلك، فأوصاه بحاجته، فدخل المدينة وقضى حاجته، ثم قال: لو دخلت على أهلي فنظرت إليهم فلما نظر إلى أم إبراهيم عليه السلام لم يتمالك حتى واقعها، فحملت بإبراهيم عليه السلام.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لما حملت أم إبراهيم قال الكهان لنمرود: إن الغلام الذي أخبرناك به قد حملته أمه الليلة، فأمر نمرود بذبح الغلمان، فلما دنت ولادة أم إبراهيم عليه السلام وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها، فوضعت في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعت في حلفاء، فرجعت فأخبرت زوجها بأنها ولدت، وأن الولد في موضع كذا فانطلق أبوه فأخذ من ذلك المكان وحفر له سرباً عند نهر، فواراه فيه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع، وكانت أمه تختلف إليه فترضعه.

وقال محمد بن إسحاق: لما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلاً إلى مغارة كانت قريبة منها فولدت فيها إبراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود، ثم سدت عليه المغارة ورجعت إلى بيتها ثم كانت تطالعه لتنظر ما فعل فتجده حياً يمص إبهامه.

قال أبو روق: وقالت أم إبراهيم ذات يوم لأنظرن إلى أصابعه، فوجدته يمص من أصبع ماء، ومن أصبع لبناً، ومن أصبع عسلاً، ومن أصبع تمرأ، ومن أصبع سمناً.

وقال محمد بن إسحاق: كان أزر قد سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل؟ فقالت: ولدت غلاماً فمات، فصدقها فسكت عنها، وكان اليوم على إبراهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث إبراهيم في المغارة إلا خمسة عشر شهراً حتى قال لأمه أخرجيني فأخرجته عشاءً فنظرت وتفكرت في خلق السموات والأرض، وقال: إن الذي خلقتني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي الذي مالي إله غيره، ثم نظر إلى السماء فرأى كوكباً فقال: هذا ربي، ثم أتبعه بصره لينظر إليه حتى غاب، فلما أفل، قال: لا أحب الأفلين، ثم رأى القمر بازغاً قال هذا ربي وأتبعه ببصره حتى غاب، ثم طلعت الشمس هكذا إلى آخره، ثم رجع إلى أبيه أزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرىء من دين قومه إلا أنه لم ينادهم بذلك، فأخبره أنه ابنه وأخبرته أم إبراهيم أنه ابنه، وأخبرته بما كانت صنعت في شأنه فسُرَّ أزر بذلك وفرح فرحاً شديداً.

وقيل: إنه كان في السرب سبع سنين، وقيل: ثلاثة عشرة سنة، وقيل: سبع عشرة سنة، قالوا: فلما شبَّ إبراهيم عليه السلام، وهو في السرب قال لأمه: مَنْ ربي؟ قالت: أنا، قال: فمن ربُّك؟ قالت: أبوك، قال: فمن رب أبي؟ قالت: نمروء، قال فمن ربُّه؟ قالت له: اسكت فسكت، ثم رجعت إلى زوجها فقالت: رأيت الغلام الذي كنا نحدث أنه يغيّر دين أهل الأرض فإنه ابنك، ثم أخبرته بما قال، فأتاه أبوه آزر، فقال له إبراهيم عليه السلام: يا أبتاه مَنْ ربي؟ قال: أمك، قال: فمن ربُّ أمي؟ قال: أنا قال: فمن ربُّك؟ قال: نمروء قال: فمن رب نمروء؟ فلطمه لطمه وقال له: اسكت فلما جنَّ عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فأبصر كوكباً، قال: هذا ربي.

ويقال: إنه قال لأبويه أخرجاني فأخرجاه من السرب وانطلقا به حين غابت الشمس، فنظر

إبراهيم إلى الإبل والخيل والغنم، فسأل أباه ما هذه؟ فقال: إبل/وخيل وغنم، فقال: ما لهذه بدّ من ١٢٠/ب أن يكون لها ربٌّ وخالق، ثم نظر فإذا المشتري قد طلع، ويقال: الزهرة، وكانت تلك الليلة في آخر الشهر فتأخر طلوع القمر فيها، فرأى الكوكب قبل القمر، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ أي: دخل، يقال: جنَّ الليل وأجنَّ الليل، وأجن عليه الليل يجنُّ جُنُوناً وَجَنَاناً إذا أظلم وغطى كل شيء، وَجُنُونُ اللَّيْلِ سواده، ﴿رَأَى كَوْكَبًا﴾ قرأ أبو عمرو (رأى) بفتح الراء وكسر الألف، ويكسرهما ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر، فإن اتصل بكاف أو هاء فتحهما ابن عامر، وإن لقيها ساكن كسر الراء وفتح الهمزة حمزة وأبو بكر، وفتحهما الآخرون. ﴿قال هذا ربي﴾.

واختلفوا في قوله ذلك: فأجراه بعضهم على الظاهر، وقالوا: كان إبراهيم عليه السلام مسترشداً طالباً للتوحيد حتى وفقه الله تعالى وآتاه رشده فلم يضرب ذلك في حال الاستدلال، وأيضاً كان ذلك في حال طفوليته قبل قيام الحجّة عليه، فلم يكن كفراً^(١).

وأنكر الآخرون هذا القول، وقالوا: لا يجوز أن يكون لله رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو الله موحدٌ وبه عارف، ومن كل معبود سواه بريء وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل وأخبر عنه فقال: «إذ جاء ربه بقلب سليم» (الصفافات، ٨٤) وقال: «وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض»، أفتراه أراه الملكوت ليقن فلما أيقن رأى كوكباً قال: هذا ربي معتقداً؟ فهذا مالا يكون أبداً.

ثم قالوا: فيه أربعة أوجه من التأويل:

أحدها: أن إبراهيم عليه السلام أراد أن يستدرج القوم بهذا القول ويعرفهم خطأهم وجهلهم

(١) رجح هذا القول الطبري. وهو غير صحيح، فالراجح هو أن إبراهيم عليه السلام كان مناظراً لقومه في هذا. انظر: ابن كثير ١٥٢/٢.

فَلَمَّارَ الْقَمَرِ بَارِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّارَ الشَّمْسِ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

في تعظيم ما عظموه، وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها، ويرون أن الأمور كلها إليها فأراهم أنه مُعَظَّم ما عظموه ومُتَمَسِّس الهدى من حيث ما التمسوه، فلما أفل أراهم النقص الداخل على النجوم ليثبت خطأ ما يدعون، ومثل هذا مثل الحوارِي الذي ورد على قوم يعبدون الصنم، فأظهر تعظيمه فأكرموه حتى صَدَرُوا في كثير من الأمور عن رأيه إلى أن دهمهم عدو فشاوروه في أمره، فقال: الرأي أن ندعو هذا الصنم حتى يكشف عنا ما قد أظننا، فاجتمعوا حوله يتضرعون فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يدفع دعاهم إلى أن يدعوا الله فدعوه فصرف عنهم ما كانوا يحذرون، فأسلموا.

والوجه الثاني من التأويل: أنه قاله على وجه الاستفهام تقديره: أهذا ربي؟ كقوله تعالى (أفإن متَّ فهمُ الخالدون) (الأنبياء، ٣٤)؟ أي: أفهمُ الخالدون؟ وذكره على وجه التوبيخ منكرًا لفعلهم، يعني: ومثل هذا يكون رباً، أي: ليس هذا ربي.

والوجه الثالث: أنه على وجه الاحتجاج عليهم، يقول: هذا ربي بزعمكم؟ فلما غاب قال: لو كان إلهاً لما غاب، كما قال: [ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ] (الدخان، ٤٩)، أي: عند نفسك وبزعمك، وكما أخبر عن موسى أنه قال: [١] (وانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ) (طه ٩٧) يريد إلهاً بزعمك.

والوجه الرابع: فيه إضمار وتقديره يقولون هذا ربي، كقوله (وإذ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا)، (البقرة، ١٢٧) أي: يقولون ربنا تقبل منا. ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾، ومالا يدوم.

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِغًا﴾، طالماً، ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾، قيل: لئن لم يثبتني على الهدى، ليس أنه لم يكن مهتدياً، والأنبياء لم يزالوا يسألون الله تعالى الثبات على

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

وَحَاجَّةُ قَوْمِهِ قَالَ أَنحَاجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٥﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

الإيمان، وكان إبراهيم يقول: (واجنبي وني أن نعبد الأصنام) (إبراهيم، ٣٥)، ﴿لأكونن من القوم الضالين﴾، أي: عن الهدى.

﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر﴾، أي: أكبر من الكوكب والقمر، ولم يقل هذه مع أن الشمس مؤنثة لأنه أراد هذا الطالع، أوردّه إلى المعنى، وهو الضياء والنور، لأنه رآه أضوا من النجوم والقمر، ﴿فلما أفلت﴾، غربت، ﴿قال يا قوم إني بريء مما تشركون﴾.

﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾.

قوله عز وجل: ﴿وحاجه قومه قال أنحاجوني في الله وقد هدان﴾، ولما رجع إبراهيم عليه السلام إلى أبيه، وصار من الشباب بحالة سقط عنه طمع الذبّاحين، وضمه آزر إلى نفسه جعل آزر يصنع الأصنام ويعطيها إبراهيم لبيعها، فيذهب بها [إبراهيم عليه السلام] (١) وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه، فلا يشتريها أحد، فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر [فصرب] (٢) فيه رؤوسها، وقال: اشربي، استهزاء بقومه، وبما هم فيه من الضلالة، حتى فشا استهزأؤه بها في قومه [وأهل] (٣) قريته، فحاجه أي خاصمه وجادله قومه في دينه، ﴿قال: أنحاجوني في الله﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر بتخفيف النون، وقرأ الآخرون بتشديدها إدغاماً لاحدى النونين في الأخرى، ومن خفف حذف إحدى النونين تخفيفاً يقول: أتجادلونني في توحيد الله، وقد هداني للتوحيد والحق؟ ﴿ولا أخاف ما تُشركون به﴾، وذلك أنهم قالوا له: احذر الأصنام فإننا نخاف أن تمسك بسوء من خبل أو جنون لعيبك إياها، فقال لهم: ولا أخاف ما تُشركون به، ﴿إلا أن يشاء ربي شيئاً﴾، وليس هذا باستثناء عن الأول بل هو استثناء منقطع، معناه لكن إن يشأ ربي شيئاً سوءاً، فيكون ما شاء، ﴿وسع ربي كل شيء علماً﴾، أي: أحاط علمه بكل شيء . ﴿أفلا تتذكرون﴾.

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب»: (فصرب).

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾

﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ ، يعني الأصنام ، وهي لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ، ﴿ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً﴾ ، حجة وبرهاناً ، وهو القاهر القادر على كل شيء ، ﴿فأني الفريقين أحق﴾ ، أولى ، ﴿بالأمن﴾ ، أنا وأهل ديني أم أنتم؟ ﴿إن كنتم تعلمون﴾ . فقال الله تعالى قاضياً بينهما:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ ، لم يخلطوا . إيمانهم بشرك ، ﴿أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ .

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا إسحاق ثنا عيسى بن يونس أنا الأعمش أنا إبراهيم عن علقمة عن عبدالله قال: لما نزلت: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله فأينا لا يظلم نفسه؟ فقال: ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا إلى ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: «يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم»^(١). ؟ (لقمان، ١٣)

قوله عز وجل: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾ ، حتى خصمهم وغلبهم بالحجة ، قال مجاهد: هي قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ ، وقيل: أراد به الحجاج الذي حاج نمرود على ما سبق في سورة البقرة^(٢) .

﴿نرفع درجات من نشاء﴾ ، بالعلم قرأ أهل الكوفة ويعقوب (درجات) بالتنوين هاهنا وفي سورة يوسف ، أي: نرفع درجات من نشاء بالعلم والفهم والفضيلة والعقل ، كما رفعنا درجات إبراهيم حتى اهتدى وحاج قومه في التوحيد ، ﴿إن ربك حكيمٌ عليمٌ﴾ .

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى «ولقد آتينا لقمان الحكمة... ٤٦٥/٦» .

(٢) انظر فيما سبق تفسير الآية (٢٥٨) .

وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ
 وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ
 وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ ۗ وَلَوْ
 أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ
 فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾

﴿ووهبنا له إسحاق / ويعقوب كلاً هدينا﴾، وفقنا وأرشدنا. ﴿ونوحاً هدينا من قبل﴾، أي :
 من قبل إبراهيم، ﴿ومن ذريته﴾، أي ومن ذرية نوح عليه السلام، ولم يرد من ذرية إبراهيم لأنه ذكر
 في جملتهم يونس ولوطاً ولم يكونا من ذرية إبراهيم ﴿داود﴾، يعني : داود بن أيشا، ﴿وسليمان﴾،
 يعني ابنه، ﴿وأيوب﴾، وهو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم،
 ﴿ويوسف﴾، هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، ﴿وموسى﴾، وهو موسى بن
 عمران بن يصر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب. ﴿وهرون﴾، هو أخو موسى أكبر منه بسنة،
 ﴿وكذلك﴾، أي : وكما جزينا إبراهيم على توحيده بأن رفعنا درجته ووهبنا له أولاداً أنبياء أتقياء
 كذلك، ﴿نجزي المحسنين﴾، على إحسانهم، وليس ذكرهم على ترتيب أزمانهم.

﴿وزكريا﴾، وهو زكريا بن اذن، ﴿ويحيى﴾، وهو ابنه، ﴿وعيسى﴾، وهو ابن مريم بنت
 عمران، ﴿وإلياس﴾، اختلفوا فيه، قال ابن مسعود: هو إدريس، وله اسمان مثل يعقوب وإسرائيل،
 والصحيح أنه غيره، لأن الله تعالى ذكره في ولد نوح، وإدريس جد أبي نوح وهو إلياس ياسين بن
 فحاص بن عيزار بن هارون بن عمران ﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وإسماعيل﴾، وهو ولد إبراهيم، ﴿واليسع﴾، وهو ابن أخطوب بن العجوز، وقرأ حمزة
 والكسائي ﴿واليسع﴾، بتشديد اللام وسكون الياء هنا وفي ص ﴿ويونس﴾، وهو يونس بن متى،
 ﴿ولوطاً﴾، وهو لوط بن هاران بن أخي إبراهيم، ﴿وكلاً فضّلنا على العالمين﴾، أي : عالمي
 زمانهم.

﴿ومن آباؤهم﴾، من فيه للتبعيض، لأن آباء بعضهم كانوا مشركين، ﴿وذرياتهم﴾، أي : ومن
 ذرياتهم. وأراد به ذرية بعضهم : لأن عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد، وكان في ذرية بعضهم من كان

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا
ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٦٠﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ
مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قِرَاءَةً تُحَفِّفُونَ
كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٦١﴾

كافراً، ﴿وإخوانهم واجتبيانهم﴾، اخترناهم واصطفيناهم، ﴿وهديناهم﴾، أرشدناهم، ﴿إلى صراطٍ مستقيم﴾.

﴿ذلك هدى الله﴾، دين الله، ﴿يهدى به﴾، يرشد به، ﴿من يشاء من عباده﴾، ولو أشركوا،
أي: هؤلاء الذين سميناهم، ﴿لحبط﴾، لبطل وذهب، ﴿عنهم ما كانوا يعملون﴾.

﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب﴾، أي: الكتب المنزلة عليهم، ﴿والحكم﴾، يعني: العلم
والفقه، ﴿والتبوة فإن يكفر بها هؤلاء﴾، الكفار يعني: أهل مكة، ﴿فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها
بكافرين﴾، يعني: الأنصار وأهل المدينة، قاله ابن عباس ومجاهد، وقال قتادة: فإن يكفر بها هؤلاء
الكفار فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين، يعني: الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم هاهنا، وقال
أبو رجاء العطاردي: معناه فإن يكفر بها أهل الأرض فقد وكلنا بها أهل السماء، وهم الملائكة، ليسوا
بها بكافرين.

﴿أولئك الذين هدى الله﴾، أي: هداهم الله، ﴿فبهداهم﴾، فبستهم وسيرتهم، ﴿اقتده﴾،
الهاء فيها هاء الوقف، وحذف حمزة والكسائي الهاء في الوصل، والباقون بإثباتها وصلماً ووقفاً، وقرأ
ابن عامر: ﴿اقتده﴾ بأشباع الهاء كسراً ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو﴾، ما هو، ﴿إلا ذكرى﴾،
أي: تذكرة وعظة، ﴿للعالمين﴾.

قوله تعالى: ﴿وما قدرُوا الله حقَّ قدره﴾، أي ما عظموه حق عظمتهم، وقيل: ما وصفوه حق
صفته، ﴿إذ قالوا ما أنزل الله على بشرٍ من شيء﴾، قال سعيد بن جبير: جاء رجل من اليهود يقال له
مالك بن الصيف يخاصم النبي ﷺ بمكة، فقال له النبي ﷺ: «أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى
أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين» وكان حبراً سميناً فغضب، وقال: والله ما أنزل الله
على بشرٍ من شيء^(١).

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ٥٢١/١١ - ٥٢٢، والواحدي في أسباب النزول، ص (٢٥٣)، والبيهقي في الشعب عن كعب من قوله.
ويروى عن مالك بن دينار قال: «قرأت في الحكمة: إن الله يبغض كل حبر سمين». وعزاه السيوطي لابن المنذر وابن أبي حاتم، =

وقال السدي: نزلت في فحاص بن عازوراء، وهو قائل هذه المقالة^(١).

وفي القصة: أن مالك بن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه، وقالوا: ليس أن الله أنزل التوراة على موسى؟ فلم قلت ما أنزل الله على بشر من شيء؟ فقال مالك بن الصيف أغضبني محمد فقلت ذلك، فقالوا له: وأنت إذا غضبت تقول [على الله]^(٢) غير الحق فتزعه عن الحبرية، وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت اليهود: يا محمد أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: نعم، قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً، فأنزل الله: «وما قدرُوا اللَّهَ حَقَّ قدره إذ قالُوا ما أنزلَ اللَّهُ على بشرٍ من شيء»، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾، لهم، ﴿مَنْ أنزلَ الكتابَ الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس﴾^(٣)، يعني التوراة، ﴿تجعلونهُ قراطيسَ تبدونها وتُخفون كثيراً﴾، أي: تكتبون عنه دفاتر وكتباً مقطعة تبدونها، أي: تُبدون ما تُحبون وتُخفون كثيراً من نعت محمد ﷺ وآية الرجم. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿يجعلونه﴾ ﴿ويبدونها﴾ ﴿ويخفونها﴾، بالياء جميعاً، لقوله تعالى ﴿وما قدرُوا الله حق قدره﴾، وقرأ الآخرون بالتاء، لقوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ أنزلَ الكتابَ الذي جاء به موسى﴾.

وقوله ﴿وعُلِّمْتُمْ ما لم تعلمُوا﴾، [الأكثرُونَ على أنها خطاب لليهود، يقول: عُلِّمْتُمْ على لسان محمد ﷺ ما لم تعلموا]^(٤) ﴿أنتم ولا آباؤكم﴾، قال الحسن: جعل لهم علم ما جاء به محمد ﷺ فضيعوه ولم ينتفعوا به.

وقال مجاهد: هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان محمد ﷺ ﴿قُلِ اللَّهُ﴾، هذا راجع إلى قوله ﴿قُلْ مَنْ أنزلَ الكتابَ الذي جاء به موسى﴾، فإن أجابوك وإلا فقل أنت: الله، أي: قل أنزله الله، ﴿ثم دَرَّهم في خوضهم يلعبون﴾.

= واختصره ابن هشام في السيرة: ٥٤٧/١. قال في المقاصد الحسنة: «ما علمته في المرفوع، نعم روى أحمد في المسند: ٤٧١/٣، ٣٣٩/٤، والحاكم: ١٢١/٤ - ١٢٢ وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، والبيهقي بسند جيد عن جمعة الجشمي أنه ﷺ نظر إلى رجل سمين، فأوماً إلى بطنه، وقال: لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك». وعزه المنذري في الترغيب: ١٣٨/٣ لابن أبي الدنيا والطبراني بإسناد جيد، والحاكم والبيهقي. وانظر أيضاً: تمييز الطيب من الخبيث ص (٥٣)، كشف الخفاء: ٢٨٩/١ - ٢٩٠، مجمع الزوائد: ٣١/٥، الدر المنثور: ٣١٤/٣، سلسلة الضعيفة للألباني: ٢٦٥/٣ - ٢٦٧.

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ٥٢٢/١١ وعزه السيوطي لابن أبي حاتم وأبي الشيخ. الدر المنثور: ٣١٤/٣.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه الطبري: ٥٢٣/١١.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْرَزُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٣﴾

﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾، أي: القرآن كتاب مبارك أنزلناه ﴿مصدق الذي بين يديه ولتُنذِر﴾، يا محمد، قرأ أبو بكر عن عاصم ﴿ولتُنذِر﴾ بالياء أي: ولينذر الكتاب، ﴿أم القرى﴾، يعني: مكة سميت أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها، فهي أصل الأرض كلها كالأم أصل النسل، وأراد أهل أم القرى ﴿ومن حولها﴾، أي: أهل الأرض كلها شرقاً وغرباً ﴿والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به﴾، بالكتاب، ﴿وهم على صلواتهم﴾، يعني: الصلوات الخمس، ﴿يحافظون﴾، يداومون، يعني: المؤمنون.

قوله عز وجل: ﴿ومن أظلم ممن افترى﴾، أي: اختلق ﴿على الله كذباً﴾، فزعم أن الله تعالى بعثه نبياً، ﴿أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء﴾، قال قتادة: نزلت في مسيلمة الكذاب الحنفي، وكان يسجع ويتكهن، فادعى النبوة وزعم أن الله أوحى إليه، وكان قد أرسل إلى رسول الله ﷺ رسولين، فقال النبي ﷺ لهما: أتشهدان أن مسيلمة نبي؟ قالوا: نعم، فقال النبي ﷺ: «لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما».^(١)

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبدالرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا نائم إذ أتيت خزائن الأرض فوضع في يدي سواران من ذهب، فكبراً علي وأهماني / فأوحى إلي أن انفخهما، فنفختهما فذهبا، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما: صاحب صنعاء وصاحب اليمامة»^(٢) أراد بصاحب صنعاء الأسود العنسي وبصاحب اليمامة مسيلمة الكذاب.

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة: ٨٩/٨، وفي التعبير، ومسلم في الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، برقم

(٢٢٧٤): ١٧٨١/٤ عن أبي هريرة وعن ابن عباس. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٥٢/١٢.

(٢) انظر: الطبري: ١١/٥٣٥، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الرسل: ٦٤/٤، مسند الإمام أحمد: ١/٣٩٠-٣٩١.

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ
مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ
مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، قيل: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي ﷺ وكان إذ أملى عليه: سمياً بصيراً، كتب عليماً حكيماً، وإذا قال: عليماً حكيماً، كتب: غفوراً رحيماً، فلما نزلت: «ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين» (المؤمنون، ١٢) أملاها عليه رسول الله ﷺ فعجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال النبي ﷺ: اكتبها فهكذا نزلت، فشك عبد الله، وقال: لئن كان محمد صادقاً فقد أوحى إلي كما أوحى إليه، فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين، ثم رجع عبد الله إلى الإسلام قبل فتح مكة إذ نزل النبي ﷺ بمصر الظهران^(١).

وقال ابن عباس: قوله ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، يريد المستهزئين، وهو جواب لقولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾، يا محمد، ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾، سكراته وهي جمع غمرة، وغمرة كل شيء: معظمه، وأصلها: الشيء الذي [يعم] ^(٢) الأشياء فيغطيها، ثم وضعت في موضع الشدائد والمكاره، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ﴾، بالعذاب والضرب، يضربون وجوههم وأدبارهم، وقيل بقبض الأرواح، ﴿أَخْرِجُوا﴾، أي: يقولون أخرجوا، ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾، أي: أرواحكم كرهاً، لأن نفس المؤمن تنشط للقاء ربها، والجواب محذوف، يعني: لو تراهم في هذه الحال لرأيت عجباً، ﴿الْيَوْمَ تَجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ﴾، أي: الهوان، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، تتعظمون عن الإيمان بالقرآن ولا تصدقونه.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾، هذا خبر من الله أنه يقول للكفار يوم القيامة: ولقد جئتمونا فرادى وحداناً، لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم، وفرادى جمع فردان، مثل سكران وسكاري، وكسلان وكسالي، وقرأ الأعرج فردى بغير ألف مثل سكرى، ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، عراة حفاة غرلاً،

(١) انظر: الطبري: ٥٣٤، ٥٣٥، أسباب النزول ص (٢٥٤)، الدر المنثور: ٣١٧/٣.

(٢) في «ب»: (يعم).

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَآتَىٰ تَوْفَكُونَ ﴿١٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرُّو مُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿١٨﴾

﴿وتركتكم﴾ خلفتم ﴿ما خولناكم﴾، أعطيناكم من الأموال والأولاد والخدم، ﴿وراء ظهوركم﴾، خلف ظهوركم، في الدنيا، ﴿وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾، وذلك أن المشركين زعموا أنهم يعبدون الأصنام لأنهم شركاء الله وشفعاؤهم عنده، ﴿لقد تقطع بينكم﴾، قرأ أهل المدينة والكسائي وحفص عن عاصم بنصب النون، أي: لقد تقطع ما بينكم من الوصل، أو تقطع الأمر بينكم. وقرأ الآخرون «بينكم» برفع النون، أي: لقد تقطع [وصلكم]^(١) وذلك مثل قوله: «وتقطعت بهم الأسباب» (البقرة، ١٦٦)، أي: الوصلات، والبين من الأضداد يكون وصلاً ويكون هجراً، ﴿وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾، الفلق الشق، قال الحسن وقتادة والسدي: معناه يشق الحبة عن السنبله والنواة عن النخلة فيخرجها منها، والحب جمع الحبة، وهي اسم لجميع البزور والحبوب من البر والشعير والذرة، وكل ما لم يكن له نوى، [وقال الزجاج: يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها أوراقاً خضراً].

وقال مجاهد: يعني الشقين اللذين فيهما، أي: يشق الحب عن النبات ويخرجه منه ويشق النوى عن النخل ويخرجها منه^(٢).

والنوى جمع النواة، وهي كل ما لم يكن حباً، كالتمر والمشمش والخوخ ونحوها.

وقال الضحاك: فالق الحب والنوى يعني: خالق الحب والنوى، ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَآتَىٰ تَوْفَكُونَ﴾، تصرفون عن الحق.

﴿فالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾، شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وكاشفه [وهو أول ما يبدو من النهار

(١) في «أ»: (وصلكم).

(٢) ساقط من «ب».

يريد مبدئى الصبح وموضحه^(١).

وقال الضحاك: خالق النهار، والإصباح مصدر كالإقبال والإدبار، وهو الإضاءة وأراد به الصبح. ﴿وجعل الليل سكناً﴾، يسكن فيه خلقه، وقرأ أهل الكوفة: ﴿وجعل﴾، على الماضي، ﴿الليل﴾، نصبٌ إتباعاً للمصحف، وقرأ إبراهيم النخعي ﴿فلق الإصباح﴾ ﴿وجعل الليل سكناً﴾، ﴿والشمس والقمر حُسباناً﴾، أي: جعل الشمس والقمر بحسابٍ معلوم لا يجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما، والحسبان مصدر كالحساب، ﴿ذلك تقديرُ العزيز العليم﴾. قوله عز وجل: ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم﴾ أي خلقها لكم، ﴿لتهتدوا بها في ظلمات البرِّ والبحر﴾.

والله تعالى خلق النجوم لفوائد:

أحدها هذا: وهو أن [راكب البحر]^(٢) والسائر في القفار يهتدي بها في الليالي إلى مقاصده.

والثاني: أنها زينة للسماء كما قال: «ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح» (الملك، ٥).

ومنها: رمي الشياطين، كما قال: «وجعلناها رجوماً للشياطين»، (الملك، ٥).

﴿قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾.

﴿وهو الذي أنشأكم﴾، خلقكم وابتدأكم، ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، يعني: آدم عليه السلام، ﴿فمُستَقَرٌّ ومُستودِعٌ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة ﴿فمستقرٌّ﴾ بكسر القاف، يعني: فمستقر مستقر ومنكم مستودع، وقرأ الآخرون بفتح القاف، أي: فلكم مستقر ومستودع.

واختلفوا في المستقر والمستودع، قال عبدالله بن مسعود: فمستقر في الرحم إلى أن يولد، ومستودع في القبر إلى أن يبعث.

وقال سعيد بن جبير وعطاء: فمستقر في أرحام الأمهات ومستودع في أصلاب الآباء، وهو رواية عكرمة عن ابن عباس قال سعيد بن جبير: قال لي ابن عباس هل تزوجت قلت: لا، قال: إنه ما كان من مستودع في ظهرك فيستخرجه الله عز وجل.

وزوي عن أبي أنه قال: مستقر في أصلاب الآباء، ومستودع في أرحام الأمهات.

وقيل: مستقر في الرحم ومستودع فوق الأرض، قال الله تعالى: «ونقر في الأرحام ما نشاء»

(الحج، ٥).

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب»: (الراكب في البحر).

وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا
 نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ
 وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
 لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

وقال مجاهد مستقر على وجه ظهر الأرض في الدنيا ومستودع عند الله في الآخرة، ويدل عليه قوله تعالى: «ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين» (البقرة، ٣٦).

وقال الحسن: المستقر في القبور والمستودع في الدنيا، وكان يقول: يا بن آدم أنت ودبعة في أهلك وبوشك أن تلحق بصاحبك.

وقيل: المستودع القبر والمستقر الجنة والنار، لقوله عز وجل في صفة الجنة والنار: «حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا» (الفرقان، ٧٦) و«سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا» (الفرقان، ٦٦)، «قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ».

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾، أي: بالماء، ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾، أي من الماء، وقيل: من النبات، ﴿خَضِرًا﴾، يعني: أخضر، مثل العُور والأعور، يعني: ما كان رطباً أخضر مما ينبت من القمح والشعير ونحوهما، ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾، أي متراكباً بعضه على بعض /، مثل سنابل البر والشعير والأرز وسائر الحبوب، ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا﴾، والطلع أول ما يخرج من ثمر النخل، ﴿قِنْوَانٌ﴾ جمع قنوه وهو العذق، مثل صنو وصنوان، ولا نظير لهما في الكلام، ﴿دَانِيَةٌ﴾، أي: قريبة المتناول ينالها القائم والقاعد، وقال مجاهد: متدلية، وقال الضحاك: قصار ملتزقة بالأرض، وفيه اختصار معناه: ومن النخل ما قنوانها دانية ومنها ما هي بعيدة، فاكتمى بذكر القرية عن البعيدة لسبقه إلى الأفهام، كقوله تعالى «سرابيل تقيكم الحر» (النمل، ٨١) يعني: الحر والبرد فاكتمى بذكر أحدهما ﴿وجناتٍ من أعناب﴾، أي: وأخرجنا منه جنات، وقرأ الأعمش عن عاصم ﴿وجناتٍ﴾ بالرفع نسقاً على قوله ﴿قِنْوَانٌ﴾ وعامة القراء على خلافه، ﴿والزيتون والرمان﴾، يعني: وشجر الزيتون [وشجر] الرمان، ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾، قال قتادة: معناه مشتبهاً ورقها مختلفاً ثمرها، لأن ورق الزيتون يشبه ورق الرمان، وقيل: مشتبه في المنظر مختلف في الطعم، ﴿انظروا إلى ثمره﴾، قرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم، هذا وما بعده وفي «يس» على جمع

١/١٢٢

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ
 وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ
 شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

الثمار، وقرأ الآخرون [بفتحهما] (١٠) على جمع الثمرة، مثل: بقرة وبقرة، ﴿إذا أثمر وينعه﴾، ونضجه وإدراكه، ﴿إن في ذلكم لآياتٍ لقومٍ يؤمنون﴾.

قوله عز وجل: ﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾، يعني: الكافرين جعلوا لله الجن شركاء، ﴿وخلقهم﴾، يعني: وهو خلق الجن.

قال الكلبي: نزلت في الزنادقة، أثبتوا الشركة لإبليس في الخلق، فقالوا: [الله خالق] (١٠) النور والناس والدواب والأنعام، وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب، وهذا كقوله: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾، (الصافات، ١٥٨) وإبليس من الجنة، ﴿وخرقوا﴾، قرأ أهل المدينة «وخرقوا»، بتشديد الراء على التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي: اختلقوا ﴿له بنين وبناتٍ بغير علم﴾، وذلك مثل قول اليهود عزيز ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله، وقول كفار العرب الملائكة بنات الله، ثم نزه نفسه فقال: ﴿سبحانه وتعالى عما يصفون﴾.

﴿بديع السموات والأرض﴾، أي: مبدعها لا على مثال سبق، ﴿أنى يكون له ولد﴾، أي: كيف يكون له ولد؟ ﴿ولم تكن له صاحبة﴾، زوجة، ﴿وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم﴾.

﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه﴾، فاطيعوه، ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾، بالحفظ له وبالتدبير فيه، ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾، الآية. يتمسك أهل الاعتزال بظاهر هذه الآية في نفي رؤية الله عز وجل عياناً.

ومذهب أهل السنة: إثبات رؤية الله عز وجل عياناً جاء به القرآن والسنة، قال الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة﴾، (القيامة، ٢٣)، وقال: ﴿كلأ إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾

(١) ساقط من (ب).

(٢) في (ب): (خلق الله).

لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ
بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٤﴾
وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾

(المطففين، ١٥)، قال مالك رضي الله عنه: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعبر الله الكفار بالحجاب، وقرأ النبي ﷺ: «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» (يونس، ٢٦)، وفسره بالنظر إلى وجه الله عز وجل^(١).

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يوسف بن موسى ثنا عاصم بن يوسف اليربوعي أنا أبو شهاب عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبدالله قال: قال النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم عياناً»^(٢).

وأما قوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾، فاعلم أن الإدراك غير الرؤية لأن الإدراك هو: الوقوف على كنه الشيء والإحاطة به، والرؤية: المعاينة، وقد تكون الرؤية بلا إدراك، قال الله تعالى في قصة موسى «فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال: كلا» (سورة الشعراء، ٦١)، وقال «لا تخاف دركاً ولا تخشى» (سورة طه، ٧٧)، فنفي الإدراك مع إثبات الرؤية، فالله عز وجل يجوز أن يرى من غير إدراك وإحاطة كما يُعرف في الدنيا ولا يُحاط به، قال الله تعالى: (ولا يُحيطون به علماً)، (سورة طه، ١١٠)، فنفي الإحاطة مع ثبوت العلم، قال سعيد بن المسيب: لا تُحيط به الأبصار، وقال عطاء: كلت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به، وقال ابن عباس ومقاتل: لا تُدركه الأبصار في الدنيا، وهو يرى في الآخرة، قوله تعالى: ﴿وهو يدرك الأبصار﴾، لا يخفى عليه شيء ولا يفوته، ﴿وهو اللطيف الخبير﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: اللطيف بأوليائه [الخبير بهم، وقال الأزهري: معنى ﴿اللطيف﴾] الرفيق بعباده، وقيل: اللطيف الموصل الشيء باللين والرفق، وقيل: اللطيف الذي يُنسي العباد ذنوبهم لئلا يخجلوا، وأصل اللطف دقة النظر في الأشياء.

قوله عز وجل: ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾، يعني الحجج البينة التي تبصرون بها الهدى

(١) انظر الروايات في الدر المنثور: ٣٥٨-٣٥٦/٤.

(٢) قطعة من حديث، أخرجه البخاري في تفسير سورة (ق): ٥٩٧/٨، وفي التوحيد، وفي مواقيت الصلاة. ومسلم في المساجد، باب

فضل صلاة الصبح والعصر، برقم (٦٣٣): ٤٣٩/١. والمصنف في شرح السنة: ٢٢٤/٢.

صف ما بين القوسين ساقط من «ب».

اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾

من الضلالة والحق من الباطل، ﴿فمن أبصر فلنفسه﴾، أي: فمن عرفها وآمن بها فلنفسه عمل، ونفعه له، ﴿ومن عمي فعليها﴾، أي: من عمي فلم يعرفها ولم يصدقها فعليها، أي: فبنفسه ضرر، ووبال العمى عليه، ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾، بـرقيب أحصي عليكم أعمالكم، إنما أنا رسول إليكم أبلغكم رسالات ربي وهو الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أفعالكم.

﴿وكذلك نصرف الآيات﴾، فصلها ونبينها في كل وجه، ﴿وليقولوا﴾، قيل: معناه لثلاثا يقولوا، ﴿درست﴾، وقيل: هذه اللام لام العاقبة أي عاقبة أمرهم أن يقولوا: درست، أي قرأت على غيرك، وقيل: قرأت كتب أهل الكتاب، كقوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾، (القصص، ٨)، ومعلوم أنهم لم يلتقطوه لذلك، ولكن أراد أن عاقبة أمرهم أن كان عدواً لهم.

قال ابن عباس: وليقولوا يعني: أهل مكة حين تقرأ عليه القرآن درست، أي: تعلمت من يسار وجبر، كانا عبدين من سبي الروم، ثم قرأت علينا تزعم أنه من عند الله، من قولهم: درست الكتاب أدرس درساً ودراسة.

وقال الفراء: يقولون تعلمت من يهود، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «دارست» بالالف، [أي: قارأت أهل الكتاب من المدارس بين اثنين، تقول: ﴿قارأت عليهم وقرأوا عليك﴾. وقرأ ابن عامر ويعقوب: «درست» بفتح السين وسكون التاء، أي: هذه الأخبار التي تلوها علينا قديمة، قد درست وانمحت، من قولهم: درس الأثر يدرس دروساً. ﴿ولنبينه لقوم يعلمون﴾، قال ابن عباس: يريد أولياءه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد، وقيل: يعني أن تصريف الآيات ليشقى به قوم ويسعد به آخرون، فمن قال درست فهو شقي ومن تبين له الحق فهو سعيد.

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، يعني: القرآن اعمل به، ﴿لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين﴾، فلا تجادلهم.

(١) ساقط من «ب».

﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾، أي: لو شاء الله لجعلهم مؤمنين، ﴿وما جعلناك عليهم حفيظاً﴾، رقيباً قال عطاء: وما جعلناك عليهم حفيظاً تمنعهم مني، أي: لم تبعث لتحفظ المشركين عن العذاب إنما بعثت مبلغاً. ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾.

قوله عز وجل: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾ الآية /، قال ابن عباس: لما نزلت «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» (الأنبياء، ٩٨) قال المشركون: يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك، فنهاهم الله تعالى أن يسبوا آلهتهم. وقال قتادة: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك، لئلا يسبوا الله فإنهم قوم جهلة.

وقال السدي: لما حضرت أبا طالب الوفاة قالت قريش: انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه فإننا نستحي أن نقتله بعد موته، فتقول العرب: كان يمنعه عمه فلما مات قتلوه. فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضرب الحارث وأميه وأبي ابنا خلف وعقبة [بن أبي معيط وعمرو بن العاص، والأسود بن] البختري إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمداً قد آذانا وآلهتنا، فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا، ولدعنه وإلهه، فدعاه فقال: هؤلاء قومك يقولون نريد أن تدعنا وآلهتنا وتدعك وإلهك، فقد أنصفك قومك فاقبل منهم، فقال النبي ﷺ: «أرأيتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم؟» قال أبو جهل: نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها، فما هي؟ قال: «قولوا لا إله إلا الله»، فأبوا ونفروا، فقال أبو طالب: قل غيرها يا ابن أخي، فقال: يا عم ما أنا بالذي أقول غيرها ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي، فقالوا: لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمنك ولنشتمن من يأمرك، فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾^(١)، يعني الأوثان، ﴿فيسبوا الله عدواً﴾، أي: اعتداء وظلماً، ﴿بغير علم﴾.

وقرأ يعقوب ﴿عدواً﴾ بضم العين والبدال وتشديد الواو، فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لا تسبوا ربكم»، فأمسك المسلمون عن سب آلهتهم. فظاهر الآية، وإن كان نهياً عن سب الأصنام، فحقيقته النهي عن سب الله، لأنه سبب لذلك.

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي. انظر: الدر المشور: ٣/٣٣٨-٣٣٩، والواحد في أسباب النزول ص (٢٥٥)، وانظر: الترمذي: ٩٩/٩-١٠١ مع تحفة الأحوذى، تاريخ الطبري: ٢/٣٢٣-٣٢٤، مجمع الزوائد: ٦/١٥، تفسير الطبري: ١٢/٣٤-٣٥.

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٤﴾

﴿كذلك زيننا لكل أمة عملهم﴾، [أي: كما زيننا لهؤلاء المشركين عبادة الأوثان وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان، كذلك زيننا لكل أمة عملهم] (١) من الخير والشر والطاعة والمعصية، ﴿ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم﴾، و﴿بما كانوا يعملون﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ الآية. قال محمد بن كعب القرظي والكلبي: قالت قريش يا محمد إنك تخبرنا أن موسى كان معه عصي يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً، وتخبرنا أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى فأتنا من الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله ﷺ: أي شيء تحبون؟ قالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً أو ابعث لنا بعض أمواتنا حتى نسأله عنك أحق ما تقول أم باطل، أو أرنا الملائكة يشهدون لك، فقال رسول الله ﷺ: فإن فعلت بعض ما تقولون أتصدقونني؟ قالوا: نعم والله لئن فعلت لتبعتنك أجمعين، وسأل المسلمون رسول الله ﷺ أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا، فقام رسول الله ﷺ يدعو الله أن يجعل الصفا ذهباً فجاءه جبريل عليه السلام، فقال له: اختر ما شئت إن شئت أصبح ذهباً ولكن إن لم يصدقوا عذبتهم، وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم، فقال رسول الله ﷺ: بل يتوب تائبهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ (٢)، أي: حلفوا بالله جهد أيمانهم، أي: بجهد أيمانهم، يعني أؤكد ما قدروا عليه من الأيمان وأشدّها.

قال الكلبي ومقاتل: إذا حلف الرجل بالله، فهو جهد يمينه.

﴿لئن جاءتهم آية﴾، كما جاءت من قبلهم من الأمم، ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ﴾، يا محمد، ﴿إنما الآيات عند الله﴾، والله قادر على إنزالها، ﴿وما يشعركم﴾، وما يدريكم. واختلفوا في المخاطبين بقوله ﴿وما يشعركم﴾، فقال بعضهم: الخطاب للمشركين الذين أقسموا.

وقال بعضهم: الخطاب للمؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه الطبري: ٣٨/١٢، الواحدي ص (٢٥٦)، وانظر الدر المتثور: ٣/٣٤٠.

وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴿١٠﴾ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْقِنَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ
قُبُلًا مَا كَانُوا لِلْيَوْمِنَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١﴾

﴿إنها﴾ بكسر الألف على الابتداء، وقالوا: تمّ الكلام عند قوله ﴿وما يشعركم﴾، فمن جعل الخطاب للمشركين قال: معناه: وما يشعركم أيها [المشركون] (١) أنها لو جاءت آمتم؟ ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه: وما يشعركم أيها المؤمنون أنها لو جاءت آمنوا؟ لأن المسلمين كانوا يسألون رسول الله ﷺ أن يدعو الله تعالى حتى يريهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا فخطبهم بقوله: ﴿وما يشعركم﴾، ثم ابتداء فقال جلّ ذكره: ﴿أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾، وهذا في قوم مخصوصين [حكم الله عليهم بأنهم لا يؤمنون] (٢)، وقرأ الآخرون: «أنها» بفتح الألف وجعلوا الخطاب للمؤمنين، واختلفوا في قوله: ﴿لا يؤمنون﴾، فقال الكسائي: ﴿لا﴾ صلة، ومعنى الآية: وما يشعركم أيها المؤمنون أن الآيات إذا جاءت المشركين يؤمنون؟ كقوله تعالى «وحرامٌ على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون» (الأنبياء، ٩٥)، أي: يرجعون وقيل: إنها بمعنى لعل، وكذلك هو في قراءة أبي، تقول العرب: اذهب إلى السوق أنك تشتري شيئاً، أي: لعلك، وقال عدي بن زيد:

أَعَاذُلُ مَا يُدْرِيكَ أَنْ مَنِيتِي إِلَى سَاعَةٍ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الْغَدِ (٣)
أي: لعل منيتي، وقيل: فيه حذف وتقديره: وما يشعركم أنها إذا جاءت [يؤمنون أو لا يؤمنون؟] وقرأ ابن عامر وحمزة ﴿لا تؤمنون﴾ بالتاء على الخطاب للكفار واعتبروا بقراءة أبي: إذا جاء تكلم (٤) لا تؤمنون، وقرأ الآخرون بالياء على الخبر، دليلها قراءة الأعمش: أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ﴾، قال ابن عباس: يعني ونحول بينهم وبين الإيمان، فلو جئناهم بالآيات التي سألوها ما آمنوا بها كما لم يؤمنوا به أول مرة، أي: كما لم يؤمنوا بما قبلها من الآيات من انشقاق القمر وغيره، وقيل: كما لم يؤمنوا به أول مرة، يعني: معجزات موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام، كقوله تعالى (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل)، (القصص، ٤٨)، وفي الآية محذوف تقديره فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة، وقال علي بن أبي طلحة عن

(١) في «ب»؛ (المؤمنون).

(٢) زيادة من «ب».

(٣) انظر: جمهرة أشعار العرب: ٥٠٩/٢، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض. لسان العرب مادة «أن»: ٣٤/١٣.

(٤) ساقط من «ب».

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَلِنَصِّغِيَ إِلَيْهِ أَفْعِدَةً الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٤﴾

ابن عباس: المرة الأولى دار الدنيا، يعني لورُدُوا من الآخرة إلى الدنيا نقلت أفئدتهم وأبصارهم عن الإيمان كما لم يؤمنوا في الدنيا قبل مماتهم، كما قال: «لورُدُوا لعادوا لما نهوا عنه» (الأنعام، ٢٨) ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، قال عطاء: نخذلهم وندعهم في ضلالتهم يتمادون.

﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾، فأروهم عياناً ﴿وكلّمهم الموتى﴾، بإحيائنا إياهم فشهدوا لك بالنبوة كما سألوا، ﴿وحشرنا﴾، وجمعنا، ﴿عليهم كل شيء قبلاً﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر ﴿قبلاً﴾ بكسر القاف وفتح الباء، أي معاينة، وقرأ الآخرون بضم القاف والباء، هو جمع قبيل، وهو الكفيل، مثل رغيف ورغف، وقضيب وقضب /، أي: ضمناء وكفلاء، وقيل: هو جمع قبيل وهو القبيلة، أي: فوجاً فوجاً. وقيل: هو بمعنى المقابلة والمواجهة، من قولهم: أتيتك قبلاً لا دبراً إذا أتاه من قبل وجهه، ﴿وما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله﴾، ذلك، ﴿ولكن أكثرهم يجهلون﴾.

١/١٢٣

﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا﴾، أي: أعداء فيه تعزية للنبي ﷺ، يعني كما ابتليناك بهؤلاء القوم، فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك أعداء، ثم فسّره فقال: ﴿شياطين الإنس والجن﴾، قال عكرمة والضحاك والسدي والكلبي: معناه شياطين الإنس التي مع الإنس، وشياطين الجن التي مع الجن، وليس للإنس شياطين، وذلك أن إبليس قسم جنده فريقين فبعث فريقاً منهم إلى الإنس وفريقاً منهم إلى الجن، وكلا الفريقين أعداء للنبي ﷺ ولأوليائه، وهم الذين يلتقون في كل حين، فيقول [شيطان] ﴿الإنس [لشيطان] الجن: أضللت صاحبي بكذا فأضل صاحبك بمثله، وتقول شياطين الجن لشياطين الإنس كذلك، فذلك وحي بعضهم إلى بعض.

قال قتادة ومجاهد والحسن: إن من الإنس شياطين كما أن من الجن شياطين، والشيطان: العاتي المتمرد من كل شيء، قالوا: إن الشيطان إذا أعياه المؤمن وعجز من إغوائه ذهب إلى متمرد من الإنس وهو شيطان الإنس فأغراه بالمؤمن ليفتنه، يدل عليه ما روي عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «هل تعوذت بالله من شياطين الجن والإنس؟» فقلت: يا رسول الله وهل للإنس من شياطين؟

(١) في الأصل «شياطين» في الموضعين.

أَفْغِيرَ اللَّهِ أَبْتغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
 الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ
 رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ
 فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾
 إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾

قال: «نعم، هم شر من شياطين الجن»^(١).

وقال مالك بن دينار: إن شياطين الإنس أشد علي من شياطين الجن، وذلك أي إذا تعودت
 بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عياناً.

قوله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾، أي: يلقي، ﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾، وهو قول مموه
 مزين بالباطل لا معنى تحته، ﴿غُرُورًا﴾، يعني: هؤلاء الشياطين يُزَيِّنُونَ الأعمال القبيحة لبني آدم،
 يغرونهم غروراً، والغرور: القول الباطل، ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾، أي: ما ألقاه الشيطان من
 الوسوسة [في القلوب]^(٢)، ﴿فذرهم وما يفترون﴾.

﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئدة الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾، أي: تميل إليه، والصغو: الميل، يقال:
 صغو فلان معك، أي: ميله، والفعل منه: صغى يُصغي، صغاً، وصغى يَصْغَى، ويصغو صغواً،
 والهاء في «إليه» راجعة إلى زخرف القول، ﴿وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا﴾، ليكتسبوا، ﴿ما هم مُقْتَرِفُونَ﴾،
 يقال: اقتترف فلان مالاً أي اكتسبه، وقال تعالى: (ومن يقترب حسنةً) (الشورى، ٢٣)، وقال
 الزجاج: أي ليعملوا من الذنوب ما هم عاملون.

قوله عز وجل: ﴿أَفْغِيرَ اللَّهِ﴾، فيه إضمار أي: قل لهم يا محمد أغير الله، ﴿أبتغي﴾، أطلب
 ﴿حَكَمًا﴾، قاضياً بيني وبينكم، وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ: اجعل بيننا وبينك حكماً فأجابهم
 به، ﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً﴾، مبيناً فيه أمره ونهيه، يعني: القرآن، وقيل: مفصلاً
 أي خمساً خمساً وعشراً عشراً، كما قال: (لنثبت به فؤادك) (الفرقان، ٣٢)، ﴿والذين آتيناهم

(١) أخرجه النسائي في الاستعاذة، باب الاستعاذة من شر شياطين الإنس: ٢٧٥/٨، دون قوله «هم شر من شياطين الجن»، والإمام أحمد
 في المسند: ٢٦٥/١.

(٢) ساقط من «ب».

فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا
ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ
بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ .

الكتاب ﴿﴾، يعني: علماء اليهود والنصارى الذين آتيناهم التوراة والإنجيل، وقيل: هم مؤمنو أهل الكتاب، وقال عطاء: هم رؤوس أصحاب النبي ﷺ، والمراد بالكتاب هو القرآن، ﴿يعلمون أنه منزل﴾، يعني: القرآن، قرأ ابن عامر [وحفص] (١): ﴿منزل﴾، بالتشديد من التنزيل لأنه أنزل نجوماً متفرقة، وقرأ الآخرون بالتخفيف من الإنزال، لقوله تعالى: «وهو الذي أنزل إليكم الكتاب»، ﴿من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين﴾، من الشاكين أنهم يعلمون ذلك.

قوله عز وجل: ﴿وتمت كلمة ربك﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب ﴿كلمة﴾ على التوحيد، وقرأ الآخرون (كلمات) بالجمع، وأراد بالكلمات أمره ونهيه ووعده ووعيده، ﴿صدقا وعدلا﴾، أي: صدقا في الوعد والوعد، وعدلا في الأمر والنهي، قال قتادة ومقاتل: صدقا فيما وعد وعدلا فيما حكم، ﴿لا مبدل لكلماته﴾، قال ابن عباس: لا راد لقضائه ولا مغير لحكمه ولا خلف لوعده، ﴿وهو السميع العليم﴾، قيل: أراد بالكلمات القرآن لا مبدل له، لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون.

﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾، عن دين الله، وذلك أن أكثر أهل الأرض كانوا على الضلالة، وقيل: أراد أنهم جادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين في أكل الميتة، وقالوا: أتأكلون ما تقتلون ولا تأكلون ما قتله الله عز وجل؟ فقال: ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض﴾ أي: وإن تطعمهم في أكل الميتة يضلوك عن سبيل الله، ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾، يريد أن دينهم الذي هم عليه ظن [وهوى] (١) لم يأخذوه عن بصيرة، ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾، يكذبون.

﴿إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله﴾، قيل: موضع «من» نصب بترع حرف الصفة، أي: بمن يضل، وقال الزجاج: موضعه رفع بالابتداء، ولفظها لفظ الاستفهام، والمعنى: إن ربك هو أعلم أي الناس يضل عن سبيله، ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾، أخبر أنه أعلم بالفريقين الضالين والمعتدين فيجازي كلا بما يستحقه.

قوله عز وجل: ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾، أي: كلوا مما ذبح على اسم الله، ﴿إن كنتم

(١) ساقط من (ب).

وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكَرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

بآياته مؤمنين ﴿١٢٠﴾، وذلك أنهم كانوا يُحرّمون أصنافاً من النعم ويحلّون الأموات، فقليل لهم: أحلوا ما أحلّ الله وحرّموا ما حرّم الله.

ثم قال: ﴿ومالكم﴾، يعني: أي شيء لكم، ﴿ألا تأكلوا﴾، وما يمنعكم من أن تأكلوا ﴿مما ذكّر اسم الله عليه﴾، من الذبائح، ﴿وقد فصل لكم ما حرّم عليكم﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب وحفص ﴿فصل﴾ و﴿حرم﴾ بالفتح فيهما أي فصل الله ما حرّمه عليكم، لقوله ﴿اسم الله﴾ وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بضم الفاء والحاء وكسر الصاد والراء على غير تسمية الفاعل، لقوله ﴿ذكّر﴾، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿فصل﴾ بالفتح و﴿حرم﴾ بالضم، وأراد بتفصيل المحرمات ما ذكر في قوله تعالى «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ» (المائدة، ٣). ﴿إلا ما اضطررتم إليه﴾، من هذه الأشياء فإنه حلال لكم عند الاضطرار، ﴿وإن كثيراً ليضلون﴾، قرأ أهل الكوفة بضم الياء وكذلك قوله (ليضلوا) في سورة يونس، لقوله تعالى: (يضلوك عن سبيل الله)، وقيل: أراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين الذين اتخذوا البحائر والسواحب، وقرأ الآخرون بالفتح لقوله: ﴿من يضل﴾، ﴿بأهوائهم بغير علم﴾، حين امتنعوا من أكل ما ذكر اسم الله عليه ودعوا إلى أكل الميتة / ﴿إن ربك هو أعلم بالمعتدين﴾، الذين يجاوزون الحلال إلى الحرام.

﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾، يعني: الذنوب كلها لأنها لا تخلو من هذين الوجهين، قال قتادة: علانيته وسره، وقال مجاهد: ظاهر الإثم ما يعمله بالجوارح من الذنوب، وباطنه ما ينويه ويقصده بقلبه كالمصير على الذنب القاصد له.

وقال الكلبي: ظاهره الزنا وباطنه المخالّة، وأكثر المفسرين على أن ظاهر الإثم الإعلان بالزنا، وهم أصحاب الروايات، وباطنه الاستسار به، وذلك أن العرب كانوا يحبون الزنا فكان الشريف منهم يتشرف، فيسرّ به، وغير الشريف لا يبالي به فيظهره، فحرمهما الله عزّ وجلّ، وقال سعيد بن جبيرة: ظاهر الإثم نكاح المحارم وباطنه الزنا.

وقال ابن زيد: ظاهر الإثم التجرد من الثياب والتعري في [الطواف]^(١) والباطن الزنا، وروى حبان عن الكلبي: ظاهر الإثم طواف الرجال بالبيت نهاراً عراة، وباطنه طواف النساء بالليل عراة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾، في الآخرة، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْتَرُونَ﴾، [يكتسبون في الدنيا]^(٢). قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: الآية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخقة وغيرها.

وقال عطاء: الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الأصنام. واختلف أهل العلم في ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليها: فذهب قوم إلى تحريمها سواء ترك التسمية عامداً أو ناسياً، وهو قول ابن سيرين والشعبي، واحتجوا بظاهر هذه الآية. وذهب قوم إلى تحليلها، يُروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مالك والشافعي وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين.

وذهب قوم إلى أنه إن ترك التسمية عامداً لا يحل، وإن تركها ناسياً يحل، حكى الخرقي من أصحاب أحمد: أن هذا مذهبه، وهو قول الثوري وأصحاب الرأي. من أباحها قال: المراد من الآية الميتات أو ما ذبح على غير اسم الله بدليل أنه قال: ﴿وإنه لَفِسْقٌ﴾، والفسق في ذكر اسم غير الله كما قال في آخر السورة ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ﴾ إلى قوله ﴿أَوْ فَسْقًا لِّأَهْلِ الْغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾.

واحتج من أباحها بما أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يوسف بن موسى ثنا أبو خالد الأحمر قال سمعت هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قالوا: يا رسول الله إن هنا أقواماً حديث عهدهم بشرك يأتونا بلحمان لا ندري يذكرون اسم الله عليها أم لا؟ قال: اذكروا أنتم اسم الله وكلوا^(٣). ولو كانت التسمية شرطاً للإباحة لكان الشك في وجودها مانعاً من أكلها كالشك في أصل [الذبح]^(٤).

(١) في «ب»: (الطرقات).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه البخاري في التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها: ٣٧٩/١٣، وفي البيوع. والمصنف في شرح السنة:

١٩٤/١١.

(٤) في «أ»: (الذبائح).

أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي
الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٤﴾

قوله تعالى ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾، أراد أن الشياطين ليوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم، وذلك أن المشركين قالوا: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت مَنْ قَتَلَهَا؟ فقال: الله قتلها، قالوا أفترعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله هذه الآية، ﴿وَإِنْ أُطْعِمُوهُمْ﴾، في أكل الميتة، ﴿إِنَّكُمْ لَمَشْرُكُونَ﴾، قال الزجاج: وفيه دليل على أن من أحل شيئاً مما حرم الله أو حرم ما أحل الله فهو مشرك.

قوله عز وجل: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾، قرأ نافع ﴿مَيِّتًا﴾، و(لحم أخيه مَيِّتًا) (الحجرات، ١٢) و(الأرض الميتة أحييناها) (سورة يس، ٣٣) بالتشديد فيهن، والآخرين بالتخفيف ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾، أي: كان ضالاً فهديناه، كان ميتاً بالكفر فأحييناه بالإيمان، ﴿وجعلنا له نوراً﴾، يستضيء به، ﴿يمشي به في الناس﴾، على قصد السبيل، قيل: النور هو الإسلام، لقوله تعالى ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة، ٢٥٧)، وقال قتادة: هو كتاب الله بيّنة من الله مع المؤمن، بها يعمل وبها يأخذ وإليها ينتهي، ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾، المثل صلة، أي: كمن هو في الظلمات، ﴿ليس بخارج منها﴾، يعني: في ظلمة الكفر.

قيل: نزلت هذه الآية في رجلين بأعيانهما، ثم اختلفوا فيهما، قال ابن عباس: جعلنا له نوراً، يريد حمزة بن عبدالمطلب، كمن مثله في الظلمات يريد أبا جهل بن هشام، وذلك أن أبا جهل رمى رسول الله ﷺ بقرث، فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه ويده قوس، وحمزة لم يؤمن بعد، فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع إليه، ويقول: يا أبا يعلى أما ترى ما جاء به؟ سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا، فقال حمزة: ومن أسفه منكم؟ تعبدون الحجارة من دون الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فأنزل الله هذه الآية^(١).

وقال الضحاك: نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل^(٢).

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٢٥٧ - ٢٥٨)، وذكر قصة إسلام حمزة: ابن هشام في السيرة ١/٢٩١ - ٢٩٢، والحاكم في المستدرک: ٣/١٩٢ ولم يذكر أن الآية نزلت في هذا.

(٢) تفسير الطبري: ١٢/٨٩، أسباب النزول ص (٢٥٨)، الدر المنثور: ٣/٣٥٢.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

وقال عكرمة والكلبي : نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل^(١).

﴿كذلك زُيِّنَ للكافرين ما كانوا يعملون﴾، من الكفر والمعصية . قال ابن عباس : يريد زين

لهم الشيطان عبادة الأصنام .

قوله عز وجل : ﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها﴾ ، أي : كما أن فساق مكة أكابرها ،

كذلك جعلنا فساق كل [قرية]^(٢) أكابرها ، أي : عظماءها ، جمع أكبر ، مثل أفضل وأفاضل ، وأسود وأساود ، وذلك سنة الله تعالى أنه جعل في كل قرية أتباع الرسل ضعفاءهم ، كما قال في قصة نوح عليه السلام : (أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكُمُ الْأَزْدُلُونَ) (الشعراء ، ١١١) ، وجعل فساقهم أكابرههم ، ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ ، وذلك أنهم اجلسوا على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر ليصرفوا الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ ، يقولون لكل من يقدم : إياك وهذا الرجل فإنه كاهن ساحر كذاب . ﴿وما يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ ، لأن وبال مكرهم يعود عليهم ﴿وما يشعرون﴾ ، أنه كذلك .

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ ، يعني : مثل

ما أُوتِيَ رسل الله من النبوة ، وذلك أن الوليد بن المغيرة قال : لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك ، لأنني أكبر منك سنأ وأكثر منك مالاً ، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٣) .

وقال مقاتل : نزلت في أبي جهل ، وذلك أنه قال : زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى إنا

صرنا كفرسي رهان ، قالوا : منا نبي يُوحى إليه ، والله لا نُؤْمِنُ به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحى كما يأتية ، فأنزل الله عز وجل : ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾^(٤) ، حجة على صدق محمد ﷺ قالوا : يعني أبا جهل ، ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ ، يعني : محمداً ﷺ .

(١) أخرجه الطبري : ٩٠/٢٢ ، وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم ، انظر : الدر المنثور : ٣٥٢/٣ .

(٢) في «ب» : (أمة) .

(٣) انظر : الدر المنثور : ٣٥٣/٣ .

(٤) أخرج القصة ابن اسحاق ، السيرة : ٣١٥/١ - ٣١٦ ، ولم يذكر أنها سبب لنزول الآية .

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ
ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾

ثم قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، قرأ ابن كثير وحفص رسالته على التوحيد، وقرأ الآخرون رسالاته بالجمع، يعني: الله أعلم بمن هو أحق بالرسالة. ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ﴾، ذُلٌّ وَهَوَانٌ ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي: من عند الله، ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾، قيل: صَغَارٌ فِي الدُّنْيَا وَعَذَابٌ شَدِيدٌ فِي الْآخِرَةِ.

قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، أي: يفتح قلبه وينوره حتى يقبل الإسلام، ولما نزلت هذه الآية سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَرْحِ الصَّدْرِ، فَقَالَ: «نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ فَيَنْشَرُ لَهُ وَيَنْفَسِحُ»، قيل: فهل لذلك [أمانة؟] (١) قال: «نعم، الإجابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت» (٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا﴾، قرأ ابن كثير ﴿ضَيْقًا﴾، بالتخفيف هاهنا وفي الفرقان، والباقون بالتشديد، وهما لغتان مثل: هَيْئٌ وَهَيْئٌ وَلِينٌ وَلِينٌ، ﴿حَرَجًا﴾، قرأ أهل المدينة وأبو بكر بكسر الراء والباقون بفتحها، وهما لغتان أيضاً مثل: الدنف والدَنْف، وقال سيويه الحرج بالفتح: المصدر [كالطلب، ومعناه ذا حرج] (٣)، وبالكسر الاسم، وهو أشد الضيق، يعني: يجعل قلبه ضيقاً حتى لا يدخله الإيمان. وقال الكلبي: ليس للخير فيه منفذ. وقال ابن عباس: إذا سمع ذكر الله اشماز قلبه، وإذا ذكر شيئاً من عبادة الأصنام ارتاح إلى ذلك.

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الآية، فسأل أعرابياً من كنانة: ما الحرجة فيكم؟ قال: الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء، فقال عمر رضي الله عنه: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير.

(١) في «ب»: (من علامة).

(٢) أخرجه الطبري: ١٢/٩٨-١٠٢، والبيهقي في الأسماء والصفات: ١/٢٥٧-٢٥٨ قال البيهقي: «هذا منقطع». وانظر: الدرر المنتورة: ٣/٣٥٤. فقد عزاه لابن المبارك في الزهد، وعبدالرزاق، والفرجاني، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وضعه الشيخ محمود شاكر في تعليقه على الطبري. وقواه ابن كثير لتعدد طرقه: ١٧٦/٢.

(٣) ساقط من «ب».

وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَيْلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَلْمَعُشْرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾، قرأ ابن كثير: ﴿يَصْعَدُ﴾، بالتخفيف، وقرأ أبو بكر عن عاصم ﴿يَصَاعِدُ﴾ بالألف، أي يتصاعد، وقرأ الآخرون ﴿يَصْعَدُ﴾، بتشديد الصاد والعين، أي: يتصعد، يعني: يشق عليه الإيمان كما يشق عليه صعود السماء، وأصل الصعود المشقة، ومنه قوله تعالى (سَارَهُقَهُ صُعُودًا) أي: عقبة شاقة، ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قال ابن عباس: الرجس هو الشيطان، أي: يسلط عليه. وقال الكلبي: هو المأثم، وقال مجاهد: الرجس ما لا خير فيه. وقال عطاء: الرجس العذاب مثل الرجس. وقيل: هو النجس. روي أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني»^(١) أعوذُ بِكَ مِنَ الرَّجْسِ النَّجْسِ»^(٢). وقال الزجاج: الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾، [أي: هذا الذي بينا. وقيل هذا الذي أنت عليه يا محمد طريق ربك ودينه الذي ارتضاه لنفسه مستقيماً]^(٣) لا عوج فيه وهو الاسلام. ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، يعني: الجنة: قال أكثر المفسرين: السلام هو الله وداره الجنة، وقيل: السلام هو السلامة، [أي: لهم دار السلامة]^(٤) من الآفات، وهي الجنة. وسميت دار السلام لأن كل من دخلها سلم من البلياء والرزايا.

(١) زيادة من «ب».

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطهارة، رقم (٢٩٩): ١/١٠٩، وقال في الزوائد: إسناده ضعيف، أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص(١٢). من طريق اسماعيل بن رافع عن دريد بن نافع عن ابن عمر، وابن عساكر عن ابن مسعود. قال المنذري: «هذا حديث ضعيف» وقال العراقي: «اسماعيل مختلف فيه، ورواية دريد بن نافع عن ابن عمر منقطعة». انظر: فيض القدير للمناوي: ١٢٨/٥ والذي ثبت في الصحيحين وفي السنن أنه ﷺ كان يقول إذا دخل الخلاء: «اللهم إني أعوذ بك من الخُبث والخبائث».

(٣) زيادة من «ب».

(٤) ساقط من «ب».

وقيل : سميت بذلك لأن جميع حالاتها مقرونة بالسلام، يقال في الابتداء : (أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ) (الحجر، ٤٦)، (وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) (الرعد، ٢٣)، وقال : (لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا) (الواقعة، ٢٦)، وقال : (تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) (ابراهيم، ٢٣) (سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ) (يس، ٥٨). ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، قال [الحسين]^(١) بن الفضل : يتولاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالجزاء.

قوله عز وجل : ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾، قرأ حفص : ﴿يُحْشَرُهُمْ﴾، بالياء، ﴿جَمِيعًا﴾، يعني : الجن والإنس يجمعهم في موقف القيامة فيقول : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾، والمراد بالجن : الشياطين، ﴿قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾، أي : استكثرت من الإنس بالإضلال والإغواء أي : أضللتكم كثيراً، ﴿وَقَالَ أَوْلِيَائِهِم مِّنَ الْإِنْسِ﴾، يعني : أولياء الشياطين الذين أطاعوهم من الإنس، ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾.

قال الكلبي : استمتع الإنس بالجن هو أن الرجل كان إذا سافر ونزل بأرض قفرٍ وخاف على نفسه من الجن قال : أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، فبييت في جوارهم .
وأما استمتع الجن بالإنس : هو أنهم قالوا قد سَدْنَا الإنس مع الجن، حتى عاذوا بنا فيزدادون شرفاً في قومهم وعظماً في أنفسهم، وهذا كقوله تعالى (وأنه كان رجالاً من الإنس يعوذون برجالٍ من الجن فزادوهم رهقاً) (الجن، ٦).

وقيل : استمتع الإنس بالجن ما كانوا يُلقون إليهم من الأراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الأمور التي يهونها، وتسهيل سبيلها عليهم، واستمتع الجن بالإنس طاعة الإنس لهم فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي .

قال محمد بن كعب : هو طاعة بعضهم بعضاً وموافقة بعضهم [لبعض]^(٢).

﴿وَيَلْعَنُنَا أَجَلُنَا الَّذِي أَجَلْت لَنَا﴾، يعني : القيامة والبعث، ﴿قَالَ﴾ الله تعالى : ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾، مقامكم، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

اختلفوا في هذا الاستثناء كما اختلفوا في قوله : (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) (هود، ١٠٧).

(١) في (ب) : (الحسن).

(٢) في (ب) : (بعضاً).

وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣٦﴾ يَمَعَشِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ
يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا
شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا
كَافِرِينَ ﴿١٣٧﴾

قيل: أراد إلا قدر مدة ما بين بعثهم إلى دخولهم جهنم، يعني: هم خالدون في النار إلا هذا المقدار.

وقيل: الاستثناء يرجع إلى العذاب، وهو قوله ﴿النار مثواكم﴾، أي: خالدون في النار سوى ما شاء الله من أنواع العذاب.

وقال ابن عباس: الاستثناء يرجع إلى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون فيخرجون من النار، و«ما» بمعنى «من» على هذا التأويل، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾، قيل: عليم بالذي استثناه وبما في قلوبهم من البر والتقوى.

﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، [قيل: أي^(١)]: كما خذلنا عصاة الجن والإنس حتى استمتع بعضهم ببعض نولي بعض الظالمين بعضاً، أي: نسلط بعضهم على بعض، فناخذ من الظالم بالظالم، كما جاء: «مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(٢).

وقال قتادة: نجعل بعضهم أولياء بعض، فالمؤمن وليّ المؤمن [أين كان]^(٣)، والكافر وليّ الكافر حيث كان. وروى عن معمر عن قتادة: نتبع بعضهم بعضاً في النار، من الموالاة. وقيل: معناه نولي ظلمة الإنس ظلمة الجن، ونولي ظلمة الجن ظلمة الإنس، أي: نكل بعضهم إلى بعض، كقوله تعالى: (نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى) (النساء، ١١٥)، وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها هو: أن الله تعالى إذا أراد بقوم خيراً ولىّ أمرهم خيارهم، وإذا أراد بقوم شراً ولىّ أمرهم شرارهم.

(١) في «ب»: (يقول).

(٢) قال في اللآلئ: «ذكره صاحب الفردوس بسنده من حديث ابن مسعود» وقال في المقاصد الحسنة: رواه ابن عساكر في تاريخه عن ابن مسعود رفعه، وفيه: ابن زكريا العدوي، متهم بالوضع، فهو آفته. وأورده الديلمي في الفردوس بلا سند عن ابن مسعود. انظر: كشف الخفاء: ٢/٢٩٧-٢٩٨، فيض القدير: ٦/٧٢، تمييز الطيب من الخبيث، ص (١٧٧).

(٣) ساقط من «ب».

ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقَرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوَعَّدُونَ لَأَتِي وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾

قوله عز وجل: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾، اختلفوا في أن الجن هل أرسل إليهم منهم [رسول]؟^(١) فسئل الضحاك عنه، فقال: بلى ألم تسمع الله يقول ﴿ألم يأتكم رسل منكم﴾، يعني: بذلك رسلاً من الإنس ورسلاً من الجن. قال الكلبي: كانت الرسل من قبل أن يبعث محمد ﷺ يبعثون إلى الجن وإلى الإنس جميعاً.

قال مجاهد: الرسل من الإنس، والنذر من الجن، ثم قرأ (ولوا إلى قومهم منذرين) (الأحقاف، ٢٩)، وهم قوم يسمعون كلام الرسل فيبلغون الجن ما سمعوا، وليس للجن رسل، فعلى هذا قوله «رسل منكم» ينصرف إلى أحد الصنفين وهم الإنس، كما قال تعالى: (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) (الرحمن، ٢٢)، وإنما يخرج من الملح دون العذب، قال: (وجعل القمر فيهن نورا) (نوح، ١٦)، وإنما هو في سماء واحدة.

ب/١٢٤

﴿يقصون عليكم﴾، أي: يقرؤون عليكم، ﴿آياتي﴾، كتبي ﴿وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾، وهو يوم القيامة، ﴿قالوا شهدنا على أنفسنا﴾، أنهم قد بلغوا، قال مقاتل: وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر. قال الله عز وجل: ﴿وغرثهم الحياة الدنيا﴾، حتى لم يؤمنوا، ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾.

﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم﴾، أي: ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل وعذاب من كذبهم، لأنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم، [أي: لم يكن مهلكهم بظلم]^(٢)، أي: بشرك من أشرك، ﴿وأهلها غافلون﴾، لم يندروا حتى نبعث إليهم رسلاً ينذرونهم.

وقال الكلبي: لم يهلكهم بذنوبهم من قبل أن يأتيهم الرسل.

وقيل: معناه لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل فيكون قد ظلمهم، وذلك أن الله

(١) في «ب»: (رسل).

(٢) زيادة من «ب».

قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ
 عَقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ
 وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَأَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ
 لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى
 شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِّكَثِيرٍ
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمُ شُرَكَاءُهُمْ لِيُرُدُّوهُمْ وَيَلْبَسُوا
 عَلَيْهِمُ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

تعالى أجرى السنة أن لا يأخذ أحداً إلا بعد وجود الذنب، وإنما يكون مذنباً إذا أمر فلم ياتمر ونهى فلم ينته، يكون ذلك بعد إنذار الرسل.

﴿ولكل درجات مما عملوا﴾، يعني في الثواب والعقاب على قدر أعمالهم في الدنيا، فمنهم من هو أشد عذاباً ومنهم من هو أجزل ثواباً، ﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾، قرأ ابن عامر تعملون بالتاء والباقون بالياء.

﴿وربك الغني﴾، عن خلقه، ﴿ذو الرحمة﴾، قال ابن عباس: [ذو الرحمة] (١) بأوليائه وأهل طاعته، وقال الكلبي: بخلقه ذو التجاوز، ﴿إن يشأ يذهبكم﴾، يهلككم، وعيد لأهل مكة، ﴿ويستخلف﴾، [يخلق] (٢) وينشيء، ﴿من بعدكم ما يشاء﴾، خلقاً غيركم أمثل وأطوع. ﴿كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين﴾، أي: آبائهم الماضين قرناً بعد قرن.

﴿إن ما توعدون﴾، أي: ما توعدون من مجيء الساعة والحشر، ﴿لآت﴾، كائن، ﴿وما أنتم بمعجزين﴾، أي: بفائتين، يعني: يدرركم حيث ما كنتم.

﴿قل﴾ يا محمد ﴿يا قوم اعملوا على مكاتبتكم﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم ﴿مكاتبتكم﴾ بالجمع حيث كان أي: على تمكنتكم، قال عطاء: على حالاتكم التي أنتم عليها. قال الزجاج: اعملوا على ما أنتم عليه. يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حالة: على مكاتبتك يا فلان، أي: اثبت على ما أنت

(١) زيادة من «ب».

عليه، وهذا أمر وعيد على المبالغة يقول: قل لهم اعملوا على ما أنتم عاملون، ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾، ما أمرني به ربي عز وجل، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾، أي: الجنة، قرأ حمزة والكسائي: يكون بالياء هنا وفي القصص، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث العاقبة، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، قال ابن عباس: معناه لا يسعد من كفر بي وأشرك. قال الضحاك: لا يفوز.

قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ الآية، كان المشركون يجعلون لله من حروثهم وأنعامهم وثمارهم وسائر أموالهم نصيباً، وللأوثان نصيباً فما جعلوه لله صرفوه إلى الضيفان والمساكين، وما جعلوه للأصنام أنفقوه على الأصنام وخدمها، فإن سقط شيء مما جعلوه لله تعالى في نصيب الأوثان تركوه وقالوا: إن الله غني عن هذا، وإن سقط شيء من [نصيب^(١)] الأصنام فيما جعلوه لله ردوه إلى الأوثان، وقالوا: إنها محتاجة، وكان إذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به، وإذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوا للأصنام جبروه بما جعلوه لله، فذلك قوله تعالى ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾، خلق ﴿من الحرث والأنعام نصيباً﴾، وفيه اختصار مجازه: وجعلوا لله نصيباً ولشركائهم نصيباً.

﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾، قرأ الكسائي (بِزَعْمِهِمْ) بضم الزاي، والباقون بفتحها، وهما لغتان، وهو القول من غير حقيقة. ﴿وهذا لشركائنا﴾، يعني: الأوثان، ﴿فَمَا كَانَ لَشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصُلُّ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصُلُّ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾، ومعناه: ما قلنا أنهم [كانوا يتمون ما جعلوه للأوثان مما جعلوه لله، ولا^(٢)] يتمون ما جعلوه لله مما جعلوه للأوثان. وقال قتادة كانوا إذا أصابتهم سنة استعانوا بما جزؤوا لله وأكلوا منه ووفروا ما جزؤوا لشركائهم ولم يأكلوا منه [شيئاً^(٣)]، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، أي: بش ما [يصنعون]^(٤).

﴿وكذلك زين لكثير من المشركين﴾، أي: كما زين لهم تحريم الحرث والأنعام كذلك زين لكثير من المشركين، ﴿قتل أولادهم شركاؤهم﴾، قال مجاهد شركاؤهم، أي: شياطينهم زينوا وحسنوا لهم وأد البنات خيفة العيلة، سميت الشياطين شركاء لأنهم أطاعوهم في معصية الله وأضيف الشركاء إليهم لأنهم اتخذوها.

وقال الكلبي: شركاؤهم: سدة آلهتهم الذين كانوا يزينون للكفار قتل الأولاد، فكان الرجل

(١) زيادة من «ب».

(٢) في «ب»: (يقضون).

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمٌ
 حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا
 كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ
 لِلذُّكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ
 سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾

منهم يحلف لئن ولد له كذا غلاماً لينحرن أحدهم كما حلف عبدالمطلب على ابنه عبدالله .

وقرأ ابن عامر: «زَيْن» بضم الزاي وكسر الياء، «قتل» رفع «أولادهم» نصب، «شركائهم»
 بالخفض على التقديم، كأنه قال: زَيْن لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم، فصل بين الفعل
 وفاعله بالمفعول به، وهم الأولاد، كما قال الشاعر:

فَزَجَّجْتُهُ مُتَمَكِّنًا زَجَّ الْقُلُوصِ أَبِي مَزَادَةَ
 أي: زَجَّ أبي مزادة القلوص، فأضيف الفعل وهو القتل إلى الشركاء، وإن لم يتولوا ذلك لأنهم هم
 الذين زينوا ذلك ودعوا إليه، فكأنهم فعلوه. قوله عز وجل ﴿لِيرُدُّوهُمْ﴾، لِيُهْلِكُوهُمْ، ﴿وَلِيَلْبِسُوا
 عَلَيْهِمْ﴾، لِيَخْلَطُوا عَلَيْهِمْ، ﴿دِينَهُمْ﴾، قال ابن عباس: لِيُدْخِلُوا عَلَيْهِمُ الشُّكَّ فِي دِينِهِمْ، وكانوا على
 دين إسماعيل فرجعوا عنه بلَّس الشياطين. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾، أي: لو شاء الله لعصمهم
 حتى ما فعلوا ذلك من تحريم الحرث والأنعام وقتل الأولاد، ﴿فَذَرَّهُمْ﴾، يا محمد، ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾،
 يختلقون من الكذب، فإن الله تعالى لهم بالمرصاد.

﴿وقالوا﴾ يعني: المشركين، ﴿هذه أنعام وحرت حِجْرًا﴾، أي حرام، يعني: ما جعلوا الله
 ولآلهتهم من الحرث والأنعام على ما مضى ذكره. وقال مجاهد: يعني بالأنعام: البحيرة والسائبة
 والوصيلة والحام، ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ﴾، يعنون الرجال دون النساء، ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ
 ظُهُورُهَا﴾، هي: الحوامي كانوا لا يركبونها، ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾، أي: يذبحونها
 باسم الأصنام لا باسم الله، وقال أبو وائل: معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير، لأنه لما
 جرت العادة بذكر اسم الله على فعل الخير عبر بذكر الله تعالى عن فعل الخير. ﴿افتراءً عليه﴾،
 يعني: أنهم يفعلون ذلك ويزعمون أن الله أمرهم به افتراءً عليه ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة للذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾، أي: نسائنا. قال

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً
عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤١﴾ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ
مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ
مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ
وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾

ابن عباس وقتادة والشعبي: أراد أجنة البحائر والسواحب، فما وُلد منها حيًّا فهو خالص للرجال دون النساء، وما وُلد ميتًا أكله الرجال والنساء جميعاً. وأدخل الهاء في ﴿الخالصة﴾ للتأكيد كالخاصة والعامّة، كقولهم: نَسابة وعَلامة، وقال الفراء: أدخلت الهاء لتأنيث الأنعام لأن ما في بطونها مثلها فأثنت بتأنيثها. وقال الكسائي: خالص وخالصة واحد، مثل وعظ وموعظة.

١/١٢٥ ﴿وإن يكن مَيْتَةً﴾، قرأ ابن عامر [وأبو جعفر] (١): ﴿تكن﴾ بالتاء ﴿مَيْتَةً﴾ رفع، ذكر الفعل بعلامة التأنيث، لأن المَيْتة في اللفظ مؤنثة. وقرأ أبو بكر عن عاصم ﴿تكن﴾ بالتاء / ﴿مَيْتَةً﴾ نصب، أي: وإن تكن الأجنة مَيْتة، وقرأ ابن كثير: ﴿وإن يكن﴾ بالياء ﴿مَيْتَةً﴾ رفع، لأن المراد بالمَيْتة الميت، أي: وإن يقع ما في البطون مَيْتاً، وقرأ الآخرون ﴿وإن يكن﴾ بالياء ﴿مَيْتَةً﴾ نصب، رَدّه إلى ﴿ما﴾ أي: وإن يكن ما في البطون مَيْتة، [يدل عليه أنه قال] (٢): ﴿فهم فيه شركاء﴾، ولم يقل فيها، وأراد أن الرجال والنساء فيه شركاء. ﴿سَيَحْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ﴾، أي: بوصفهم، أو على وصفهم الكذب على الله تعالى ﴿إنه حكيمٌ عليمٌ﴾.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾، قرأ ابن عامر وابن كثير ﴿قتلوا﴾ بتشديد التاء على التكرير، وقرأ الآخرون بالتخفيف. ﴿سَفَهًا﴾، جهلاً. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، نزلت في ربيعة ومضر وبعض العرب من غيرهم، كانوا يدفنون البنات أحياء مخافة السبي والفقر، وكان بنو كنانة لا يفعلون ذلك (٣). ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾، يعني: البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾، حيث قالوا: إن الله أمرهم بها، ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

(١) في «ب»: (وأبو حفص).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) الدر المشور: ٣/٣٦٦.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾، ابتدع. ﴿جَنَّاتٍ﴾، بساتين، ﴿مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾، أي: مسموكات مرفوعات وغير مرفوعات. وقال ابن عباس: معروشات: ما انبسط على وجه الأرض وانتشر مما يعرش، مثل: الكرم والقرع والبطيخ وغيرها، وغير معروشات: ما قام على ساق وسَقَّ، مثل النخل والزرع وسائر الأشجار.

وقال الضحاك: كلاهما، الكرم خاصة، منها ما عرش ومنها ما لم يعرش.
﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ﴾، أي: وأنشأ النخل والزرع، ﴿مُخْتَلَفًا أَكْلُهُ﴾، ثمره وطعمه منها الحلو والحامض والجيد والرديء، ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مِثْلَهَا﴾، في المنظر، ﴿وغير مُتَشَابِهَةٍ﴾، في المطعم مثل الرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف، ﴿كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾، هذا أمر إباحة.
﴿وَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، قرأ أهل البصرة وابن عامر وعاصم ﴿حَصَادِهِ﴾ بفتح الحاء، وقرأ الآخرون بكسرها ومعناها واحد، كالصَّرام والصَّرام والجَزاز والجَزاز.

واختلفوا في هذا الحق: فقال ابن عباس وطاووس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب: إنها الزكاة المفروضة من العشر ونصف العشر.
وقال علي بن الحسين وعطاء ومجاهد وحماة والحكم: هو حق في المال سوى الزكاة، أمر بإتيانه، لأن الآية مكية وفرضت الزكاة بالمدينة.

قال إبراهيم: هو الضغث. وقال الربيع: لقاط السنبل.
وقال مجاهد: كانوا [يعلقون] (١) العذق عند الصرام فيأكل منه مَنْ مَرَّ.
وقال يزيد بن الأصم: كان أهل المدينة إذا صرموا يجيؤون بالعذق فيعلقونه في جانب المسجد، فيجيء المسكين فيضربه بعصاه فيسقط منه فيأخذه.

وقال سعيد بن جبير: كان هذا حقاً يؤمر بإتيانه في ابتداء الإسلام فصار منسوخاً بإيجاب العشر.
وقال مقسم عن ابن عباس: نسخت الزكاة كل نفقة في القرآن.

﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، قيل: أراد بالإسراف إعطاء الكل. قال ابن عباس في رواية الكلبي: إنَّ ثابت بن قيس بن شماس صرَمَ خمسائة نخلة وقسمها في يوم واحد ولم يترك لأهله شيئاً، فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية (٢).

(١) ساقط من «أ».

(٢) انظر: الدرالمشور: ٣/٣٦٩.

وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ ۖ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٤﴾ ثَمَنِيَّةٌ أَزْوَاجٌ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ
اثْنَيْنِ ۚ قُلْ ءَآلَ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ ۚ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ
نَيْشُونِي بَعْلُمٍ ۖ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٥﴾

قال السدي: لا تسرفوا أي لا تعطوا أموالكم فتقعدها فقراء. قال الزجاج: على هذا إذا أعطى
الإنسان كل ماله ولم يوصل إلى عياله شيئاً فقد أسرف، لأنه قد جاء في الخبر «ابدأ بمن تعول»^(١).
وقال سعيد بن المسيب: معناه لا تمنعوا الصدقة. فتأويل الآية على هذا: لا تتجاوز الحد في البخل
والإمساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة.

وقال مقاتل: لا تشركوا الأصنام في الحرث والأنعام.

وقال الزهري: لا تنفقوا في المعصية. وقال مجاهد: الإسراف ما قصرته به عن حق الله عز
وجل، وقال: لو كان أبو قبيس ذهباً لرجل فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفاً ولو أنفق درهماً أو مداً
في معصية الله كان مسرفاً. وقال إياس بن معاوية: ما تجاوزت به أمر الله فهو سرف وإسراف. وروى
ابن وهب عن أبي زيد، قال: الخطاب للسلطين، يقول: لا تأخذوا فوق حنككم.

قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾، أي: وأنشأ من الأنعام، ﴿حَمُولَةٌ﴾، وهي كل ما يحمل عليها
من الإبل، ﴿وَفَرَشَاتٌ﴾، وهي الصغار من الإبل التي لا تحمل. ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوبَ الشَّيْطَانِ﴾، لا تسلكوا طريقه وآثاره في تحريم الحرث والأنعام، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

ثم بين الحمولة والفرش فقال: ﴿ثَمَنِيَّةٌ أَزْوَاجٌ﴾، نصبها على البدل من الحمولة والفرش،
أي: وأنشأ من الأنعام ثمانية أزواج أصناف، ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾، أي: الذكر والأنثى، [فالذكر زوج
والأنثى]^(٢) زوج، والعرب تسمي الواحد زوجاً إذا كان لا ينفك عن الآخر، والضأن النعاج، وهي ذوات
الصوف من الغنم، والواحد ضائن والأنثى ضائنة، والجمع ضوائن، ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾، قرأ ابن
كثير وابن عامر وأهل البصرة «من المعز» بفتح العين، والباقون بسكونها، والمعز والمعزى جمع لا

(١) قطعة من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري في الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى: ٢٩٤/٣، ومسلم في الزكاة، باب بيان أن
أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، برقم (١٠٣٤): ٧١٧/٢، والمصنف في شرح السنة: ١٧٨/٥، ١٧٩.

(٢) ساقط من «ب».

وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا
 اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّكُمْ اللَّهُ بِهَذَا
 فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا آجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ
 يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ
 بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾

واحد له من لفظه، وهي ذوات الشعر من الغنم، وجمع الماعز مَعِيزٌ، وجمع الماعزة مَوَاعِزُ، ﴿قُلْ﴾
 يا محمد ﴿ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾، الله عليكم، يعني ذكر الضأن والمعز، ﴿أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾، يعني أنثى
 الضأن والمعز، ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾، منهما، فإنها لا تشتمل إلا على ذكر أو أنثى،
 ﴿نَبُؤُونِي﴾، أخبروني ﴿بِعَلْمٍ﴾، قال الزجاج: فسروا ما حرمتكم بعلم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن الله
 تعالى حرم ذلك.

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ
 الْأُنثَيَيْنِ﴾، وذلك أنهم كانوا يقولون: هذه أنعام وحرث حجر، وقالوا: ما في بطون هذه الأنعام خالصة
 لذكورنا ومحرمٌ على أزواجنا، وحرّموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وكانوا يحرمون بعضها على
 الرجال والنساء، وبعضها على النساء دون الرجال، فلما قام الإسلام وثبتت الأحكام جادلوا النبي
 ﷺ، وكان خطيبهم مالك بن عوف أبو الأحوص الجشمي، فقال: يا محمد [بلغنا] (١) أنك تحرم أشياء
 مما كان آباؤنا يفعلونه، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿إنكم قد حرمتم أصنافاً من الغنم على غير أصل،
 وإنما خلق الله هذه الأزاج الثمانية للأكل والانتفاع بها، فمن أين جاء هذا التحريم؟ من قبل الذكر
 أم من قبل الأنثى؟﴾ (٢) فسكت مالك بن عوف وتحير فلم يتكلم. فلو قال جاء التحريم بسبب الذكور
 وجب أن يحرم جميع الذكور، وإن قال بسبب الأنوثة وجب أن يحرم جميع الإناث، وإن كان باشتمال
 الرحم عليه فينبغي أن يحرم الكل، لأن الرحم لا يشتمل إلا على ذكر أو أنثى، فأما تخصيص التحريم
 بالولد الخامس أو السابع أو البعض دون البعض / فمن أين؟

(١) ساقط من دا.

(٢)

ويُروى أن النبي ﷺ قال لمالك: «يا مالِك: مَا لَكَ لا تتكلم؟ قال له مالك: بل تكلم وأسمع منك».

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾، حضوراً ﴿إِذْ وَصَّيْنَاكَمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، قيل: أراد به: عمرو بن لحي ومن جاء بعده على طريقه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

ثم بين أن التحريم والتحليل يكون بالوحي والتنزيل، فقال: ﴿قُلْ لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً﴾. وروى أنهم قالوا: فما المحرم إذا نزل: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً﴾، أي: شيئاً محرماً، ﴿على طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾، آكلٍ يأكله، ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر «تكون» بالتاء، ﴿مَيْتَةً﴾ رفع أي: إلا أن تقع ميتة، وقرأ ابن كثير وحمزة «تكون» بالتاء، ﴿مَيْتَةً﴾ نصب على تقدير اسم مؤنث، أي: إلا أن تكون النفس، أو: الجنة ميتة، وقرأ الباقون «يكون» بالياء «ميتة» نصب، يعني إلا أن يكون [المطعم] ميتة، ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾، أي: مُهْرَاقًا سائلاً، قال ابن عباس: يريد ما خرج من الحيوان، وهن أحياء وما خرج من الأرواح وما يخرج من الأوداج عند الذبح، ولا يدخل فيه الكبد والطحال، لأنهما جامدان، وقد جاء الشرع بإباحتهما، ولا ما اختلط باللحم من الدم، لأنه غير سائل.

قال عمران بن حُدَيْر: سألت أبا مجلز عما يختلط باللحم من الدم، وعن القَدْرِيِّ فيها حمرة الدم؟ فقال: لا بأس به، إنما نهى عن الدم المسفوح.

وقال إبراهيم: لا بأس بالدم في عرق أو مخ، إلا المسفوح الذي تعمد ذلك. وقال عكرمة: لولا هذه الآية لاتبع المسلمون من العروق ما يتبع اليهود.

﴿أَوْ لَحْمٍ خنزير فإنه رَجَسٌ﴾ حرام، ﴿أَوْ فِسْقًا أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾، وهو ما ذُبح على غير اسم الله تعالى. فذهب بعض أهل العلم إلى أن التحريم مقصور على هذه الأشياء. يُروى ذلك عن عائشة وابن عباس قالوا: ويدخل في الميتة: المنخنقة والموقوذة، وما ذُكر في أول سورة المائدة^(١).

وأكثر العلماء على أن التجريم لا يختص بهذه الأشياء، والمحرّم بنص الكتاب ما ذكر هنا^(٢)،

(١) في «ب»: (الطعام).

(٢) راجع فيما سبق، تفسير الآية (٣) من سورة المائدة - في هذا الجزء. ص (١٠-١٢).

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١١٦/٧ وما بعدها، أحكام القرآن للطبري الهراس: ٣٤٦/٣ - ٣٤٧.

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾

ذلك معنى قوله تعالى: «قل لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً»، وقد حرّمت السنّة أشياء يجب القول بها.

منها: ما أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر ثنا عبد الغافر بن محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج، قال ثنا عبيد الله بن معاذ العنبري أخبرنا أبي أنا شعبة عن الحكم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير»^(١).

أخبرنا أبو الحسن السرخسي ثنا زاهر بن أحمد ثنا أبو إسحاق الهاشمي ثنا أبو مصعب عن مالك عن إسماعيل بن أبي حكيم عن عبيدة بن سفيان الحضرمي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أكل كل ذي ناب من السباع حرام»^(٢).

والأصل عند الشافعي: أن ما لم يرد فيه نص تحريم أو تحليل، فإن كان مما أمر الشرع بقتله - كما قال: «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم»^(٣)، أو نهى عن قتله، كما روي أنه نهى عن قتل النحلة والنملة - فهو حرام، وما سوى ذلك فالمرجع فيه إلى الأغلب من عادات العرب، فما يأكله الأغلب منهم فهو حلال، وما لا يأكله الأغلب منهم فهو حرام، لأن الله تعالى خاطبهم بقوله: (قل أحل لكم الطيبات)، فثبت أن ما استطابوه فهو حلال.

﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم﴾، أباح أكل هذه المحرمات عند الاضطرار في غير العدوان.

قوله عز وجل: ﴿وعلى الذين هادوا﴾، يعني اليهود، ﴿حرمنا كل ذي ظفر﴾، وهو ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطيور مثل: البعير والنعام والأوز والبط، قال القتيبي: هو كل ذي مخلب

(١) أخرجه مسلم في الصيد والذبائح، باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع... برقم (١٩٣٤): ١٥٣٤/٣. والمصنف في شرح السنة: ٢٣٤/١١.

(٢) أخرجه مسلم في الموضوع السابق - برقم (١٩٣٣): ١٥٣٤/٣. والمصنف في الموضوع نفسه.

(٣) أخرجه البخاري في جزاء الصيد، باب ما يقتل المحرم من الدواب: ٣٤/٤، ومسلم في الحج باب ما يندب للمحرم وغيره قتله، برقم (١١٩٨): ٨٥٦/٢.

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يُرَدُّ بِأَسْئِهِ عَنِ الْقَوْمِ
 الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا
 حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ
 عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾

من الطير وكل ذي حافر من [الدواب] (١) وحكاه عن بعض المفسرين، وقال: سمي الحافر ظفراً على الاستعارة.

﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾، يعني شحوم الجوف، وهي الشروب، وشحم الكليتين، ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾، أي: إلا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما، ﴿أَوْ الْحَوَايَا﴾، وهي المباعر، واحدها: حاوية وحوية، أي: ما حملته الحوايا من الشحم. ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾، يعني: شحم الإلية، هذا كله داخل في الاستثناء، والتحريم مختص بالثرب (٢) وشحم الكلية. أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة أنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام» فقيل: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس؟ فقال: لا، هو حرام. ثم قال رسول الله عند ذلك: «قاتل الله اليهود إن الله عز وجل لما حرم شحومها جمّلوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه» (٣).

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ﴾، أي: ذلك التحريم عقوبة لهم ﴿بِغْيِهِمْ﴾، أي: بظلمهم من قتلهم الأنبياء وصددهم عن سبيل الله وأخذهم الربا واستحلال أموال الناس بالباطل، ﴿وَأَنَا لَصَادِقُونَ﴾، في الإخبار عما حرمنا عليهم وعن بغْيِهِمْ.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ﴾، بتأخير العذاب عنكم، ﴿وَلَا يُرَدُّ بِأَسْئِهِ﴾،

(١) في «أه»: (السباع).

(٢) الثرب: على وزن (فلس): شحم رقيق على الكرش والأمعاء.

(٣) أخرجه البخاري في البيوع، باب بيع الميتة والأصنام: ٤/٤٢٤، ومسلم في المساقاة، باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، برقم (١٥٨١): ٣/٢٠٧. والمصنف في شرح السنة: ٨/٣٠.

[عذابه] ^(١) ﴿عن القوم المجرمين﴾ ، إذا جاء وقته .

﴿سيقول الذين أشركوا﴾ ، لَمَا لَزِمْتَهُمُ الْحِجَّةَ وَتَيَقَّنُوا بَطْلَانَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الشَّرْكِ بِاللَّهِ وَتَحْرِيمِ مَا لَمْ يَحْرَمَهُ اللَّهُ [قالوا] ^(٢) ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا﴾ ، من قبل ، ﴿ولا حرّمنا من شيء﴾ ، من البحائر والسوائب وغيرهما ، أرادوا أن يجعلوا قوله : ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾ ، حجة لهم على إقامتهم على الشرك ، وقالوا إن الله تعالى قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله ، فلولا أنه رضي بما نحن عليه وأراد منا وأمرنا به لَحَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ذَلِكَ ، فقال الله تعالى تكذيباً لهم : ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ ، من كفار الأمم الخالية ، ﴿حتى ذاقوا بأسنا﴾ ، عذابنا . ويستدل أهل القدر بهذه الآية ، يقولون : إنهم لما قالوا : لو شاء الله ما أشركنا كذبهم الله وردّ عليهم ، فقال : «كذلك كذب الذين من قبلهم» .

قلنا : التكذيب ليس في قولهم «لو شاء الله ما أشركنا» ، بل ذلك القول صدق ولكن في قولهم : إن الله تعالى أمرنا بها ورضي بما نحن عليه ، كما أخبر عنهم في سورة الأعراف (الآية ٢٨) : (وإذا فعلوا فاحشةً قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) ، فالردّ عليهم في هذا كما قال تعالى : (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) .

والدليل على أن التكذيب ورد فيما قلنا لا في قولهم : «لو شاء الله ما أشركنا» ، قوله : ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ ، بالتشديد / ولو كان ذلك خبراً من الله عزّ وجلّ عن كذبهم في قولهم : ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾ ، لقال كذب الذين [من قبلهم] ^(٣) بالتخفيف فكان ينسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب . وقال الحسن بن الفضل : لو ذكروا هذه المقالة تعظيماً وإجلالاً لله عزّ وجلّ ، ومعرفة منهم به لما عابهم بذلك ، لأنّ الله تعالى قال : ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾ وقال : (ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) ، (الأنعام ، ١١١) ، والمؤمنون يقولون ذلك ، ولكنهم قالوه تكديماً وتخصّصاً وجدلاً من غير معرفة بالله وبما يقولون ، نظيره قوله عزّ وجلّ : (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) (الزخرف ، ٢٠) ، قال الله تعالى : (ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون) (الأنعام ، ١١٦) .

وقيل في معنى الآية : إنهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة إلا أنهم كانوا يعدونه عذراً لأنفسهم ويجعلونه حجة لأنفسهم في ترك الإيمان ، وردّ عليهم في هذا لأنّ أمر الله بمعزل عن مشيئته وإرادته ، فإنه مريدٌ لجميع الكائنات غير أمر بجميع ما يريد ، وعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق

(١) زيادة من «ب» .

(٢) ساقط من «ب» .

قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدْنَاكُمْ لِهَدْيِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

بمشيئته، فإن مشيئته لا تكون عذراً لأحد.

﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾، أي: كتاب وحجة من الله، ﴿فَنُخْرِجُوهُ لَنَا﴾، حتى يظهر ما تدعون على الله تعالى من الشرك أو تحريم ما حرمته، ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾، ما تتبعون فيما أنتم عليه، ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾، من غير علم ويقين، ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾، تكذبون.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾، التامة على خلقه بالكتاب [والرسول] (١) والبيان، ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، فهذا يدل على أنه لم يشأ إيمان الكافر، ولو شاء لهداه.

﴿قُلْ هَلُمَّ﴾، يقال للواحد والاثنين والجمع، ﴿شُهَدَاءَ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾، أي: اتوا بشهادتكم الذين يشهدون، ﴿أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾، هذا راجع إلى ما تقدم من تحريمهم الأشياء على أنفسهم ودعواهم أن الله أمرهم به، ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾، كاذبين ﴿فَلَا تَشْهَدُوا﴾، أنت، ﴿مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، أي: يشركون.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، وذلك أنهم سألوا وقالوا: أي شيء الذي حرم الله تعالى؟ فقال عز وجل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ أقرأ ما حرم ربكم عليكم حقاً يقيناً لا ظناً ولا كذباً كما تزعمون.

فإن قيل: ما معنى قوله «حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً» والمحرم هو الشرك لا ترك

الشرك؟

(١) في «أ»: (والرسل).

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ
بِالْقِسْطِ لَأَنْكَلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ
اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾

قيل: موضع ﴿أن﴾ رفع، معناه هو أن لا تشركوا، وقيل: محله نصب، واختلفوا في وجه انتصابه، قيل: معناه حرم عليكم أن تشركوا به، و«لا» صلة كقوله تعالى (ما منعك أن لا تسجد) (الأعراف، ١٢)، أي: منعك أن تسجد. وقيل: تم الكلام عند قوله «حرم ربكم» ثم قال: عليكم أن لا تشركوا به شيئاً على الإغراء. قال الزجاج: يجوز أن يكون هذا محمولاً على المعنى، أي: أتل عليكم تحريم الشرك، وجائز أن يكون على معنى: أوصيكم ألا تشركوا به شيئاً. ﴿وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾، فقر، ﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾، أي: لا تتدوا بناتكم خشية العيلة، فإنني رازقكم وإياهم، ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾، [ما ظهر يعني: العلانية، وما بطن] (١) يعني: السر.

وكان أهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به بأساً في السر فحرم الله تعالى الزنا في العلانية والسر.

وقال الضحاك: ما ظهر: الخمر، وما بطن: الزنا.

﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾، حرم الله تعالى قتل المؤمن والمعاهد إلا بالحق، إلا بما يبيح قتله من ردة أو قصاص أو زنا يوجب الرجم.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي ثنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري ثنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة» (٢).

﴿ذلكم﴾ الذي ذكرت ﴿وصاكم به﴾، أمركم به، ﴿لعلكم تعقلون﴾.

﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾، يعني: بما فيه صلاحه وتشميره. وقال مجاهد:

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه البخاري في الديات، باب قول الله تعالى: «أن النفس بالنفس».. ٢٠١/١٢، ومسلم في القسامة، باب بيان ما يباح به دم المسلم (١٦٧٦): ١٣٠٢/٣، والمصنف في شرح السنة: ١٤٧/١٠.

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ
ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾

هو التجارة فيه . وقال الضحاك : هو أن يبتغي له فيه ولا يأخذ من ربحه شيئاً ، ﴿ حتى يبلغ أشده ﴾ ،
قال الشعبي ومالك : الأشدُّ : الحُلم ، حتى يكتب له الحسنات [وتكتب عليه] (١) السيئات . قال أبو
العالية : حتى يعقل وتجتمع قوته . وقال الكلبي : الأشدُّ ما بين الثمانية عشر سنة إلى ثلاثين سنة .
وقيل : إلى أربعين سنة . وقيل : إلى ستين سنة . وقال الضحاك : عشرون سنة . وقال السدي : ثلاثون
سنة . وقال مجاهد : الأشدُّ ثلاث وثلاثون سنة .

والأشدُّ جمع شدِّ ، مثل قَدَّ وأقَدَّ ، وهو استحكام قوة شبابه وسنه ، ومنه شدُّ النهار وهو ارتفاعه .
وقيل بلوغ الأشد أن يؤنس رشده بعد البلوغ .

وتقدير الآية : ولا تقرُّوا مالَ اليتيم إلا بالتي هي أحسن على الأبد حتى يبلغ أشده ، فادفعوا إليه
ماله إن كان رشيداً .

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ ، بالعدل ، ﴿ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ، أي : طاقها في
إيفاء الكيل والميزان ، أي : لم يكلف المعطي أكثر مما وجب عليه ، ولم يكلف صاحب الحق الرضا
بأقل من حقه ، حتى لا تضيق نفسه عنه ، بل أمر كل واحد منهما بما يسعه مما لا حرج عليه فيه .

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ ، فاصدقوا في الحكم والشهادة ، ﴿ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ ، أي : ولو كان
المحكوم والمشهود عليه ذا قرابة ، ﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، تتعظون ،
قرأ حمزة والكسائي وحفص تذكرون [خفيفة] (٢) الذال ، كل القرآن ، والآخرين بتشديدها .

قال ابن عباس هذه : الآيات محكمات في جميع الكتب ، لم ينسخهن شيء وهن محرمات
على بني آدم كلهم ، وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ، ومن تركهن دخل النار .

﴿ وَأَنَّ هَذَا ﴾ ، أي : هذا الذي وصيتكم به في هاتين الآيتين ، ﴿ صرَّاطِي ﴾ ، طريقي وديني ،

(١) ساقط من «ب» .

(٢) في «ب» : (بتخفيف) .

﴿مستقيماً﴾، مستويًا قويماً، ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾، قرأ حمزة والكسائي «وإن» بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون: بفتح الألف، قال الفراء: والمعنى وأتت عليكم أن هذا صراطي مستقيماً. وقرأ ابن عامر ويعقوب: بسكون النون. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ﴾، أي: الطرق المختلفة التي عدا هذا الطريق، مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل، وقيل: الأهواء والبدع، ﴿فَتَفَرَّقَ﴾، فتميل، ﴿بِكُمْ﴾، وتشتت، ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾، عن طريقه ودينه الذي ارتضى، وبه أوصى، ﴿ذَلِكُمْ﴾، الذي ذكرت، ﴿وَصَاحِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالصمد الترابي المعروف / بأبي بكر بن أبي الهيثم أنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي ثنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد ثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ثنا عبدالرحمن بن مهدي عن حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبدالله قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: «هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: «وأن هذا صراطي مستقيماً فاتَّبِعُوهُ» الآية^(١).

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، فإن قيل: لِمَ قال: «ثم آتينا» وحرف «ثم» للتعقيب وإيتاء موسى الكتاب كان قبل مجيء القرآن؟ قيل: معناه ثم أخبركم أننا آتينا موسى الكتاب، فدخل «ثم» لتأخير الخبر لا لتأخير النزول.

﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾، اختلفوا فيه، قيل: تماماً على المحسنين من قومه، فتكون «الذي» بمعنى من، أي: على من أحسن من قومه، وكان بينهم محسن ومسيء، يدل عليه قراءة ابن مسعود: «على الذين أحسنوا»، وقال أبو عبيدة: معناه على كل من أحسن، أي: أتممنا فضيلة موسى بالكتاب على المحسنين، يعني: أظهرنا فضله عليهم، والمحسنون هم الأنبياء والمؤمنون، وقيل: «الذي أحسن» هو موسى، و«الذي» بمعنى ما، أي: على ما أحسن موسى، تقديره: آتينا الكتاب، يعني التوراة، إتماماً عليه للنعمة، لإحسانه في الطاعة والعبادة، وتبليغ الرسالة وأداء الأمر. وقيل: الإحسان بمعنى العلم، وأحسن بمعنى علم، ومعناه: تماماً على الذي أحسن موسى

(١) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب كراهية أخذ الرأي: ٦٧/١، والطبري في التفسير برقم (١٤١٦٨)، وصححه الحاكم: ٣١٨/٢، ووافقه الذهبي، وأخرجه أيضاً: الأجرى في الشريعة، ص (١٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٨٠/١ - ٨١، وابن أبي عاصم في السنة: ١٣/١، والامام أحمد في المسند: ٤٣٥/١. قال الهيثمي في المجمع: ٢٢/٧: «رواه أحمد والبخاري، وفيه عاصم بن بهدلة، وهو ثقة وفيه ضعف». وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٩٦/١ - ١٩٧، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٩١/٢.

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا
 أَنْزَلَ إِلَيْنَا الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا
 لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَى
 وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ
 آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

من العلم والحكمة، أي آتيناه الكتاب زيادة على ذلك.

وقيل: معناه تماماً مني على إحساني إلى موسى.

﴿وتفصيلاً﴾، بياناً ﴿لكل شيء﴾، يحتاج إليه من شرائع الدين، ﴿وهدي ورحمة﴾، هذا في
 صفة التوراة، ﴿لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون﴾، قال ابن عباس: كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب
 والعقاب.

﴿وهذا﴾، يعني: القرآن، ﴿كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه﴾، واعملوا بما فيه، ﴿واتقوا﴾،
 وأطيعوا، ﴿لعلكم تُرحمُونَ﴾.

﴿أن تقولوا﴾، يعني: لثلاثاً تقولوا، كقوله تعالى: «يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا»، (النساء، ١٧٦)،
 أي: لثلاثاً تضلوا وقيل: معناه أنزلناه كراهة ﴿أن تقولوا﴾، قال الكسائي: معناه اتقوا أن تقولوا يا أهل
 مكة، ﴿إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾، يعني: اليهود والنصارى، ﴿وإن كنا﴾، وقد كنا،
 ﴿عن دراستهم﴾، قراءتهم، ﴿لغافلين﴾، لا نعلم ما هي، معناه أنزلنا عليكم القرآن لثلاثاً تقولوا إن
 الكتاب أنزل على من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيه وغفلنا عن دراسته، فتجعلونه عذراً لأنفسكم.

﴿أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾، وقد كان جماعة من الكفار قالوا ذلك
 لو أننا أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى لَكُنَّا خَيْراً مِنْهُمْ، قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ
 رَبِّكُمْ﴾، حجة واضحة بلغة تعرفونها، ﴿وهدي﴾، بيان ﴿ورحمة﴾، ونعمة لمن اتبعه، ﴿فمن أظلم
 ممن كَذَبَ بآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ﴾، أعرض، ﴿عنها سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ،
 شِدَّةَ الْعَذَابِ، ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾، [يعرضون] (١).

(١) ساقط من «ب».

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾، أي: هل ينتظرون بعد تكذيبهم الرسل وإنكارهم القرآن، ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، لقبض أرواحهم، وقيل: بالعذاب، قرأ حمزة والكسائي «يأتيهم» بالياء ها هنا وفي النحل، والباقون بالتاء، ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾، بلا كيف، لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة، ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾، يعني طلوع الشمس من مغربها، عليه أكثر المفسرين ورواه أبو سعيد الخدري مرفوعاً^(١). ﴿يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنْتَ مِنْ قَبْلُ﴾، أي: لا ينفعهم الإيمان عند ظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان، ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾، يريد: لا يقبل إيمان كافر ولا توبة فاسق ﴿قُلْ أَنْظِرُوا﴾، يا أهل مكة، ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾، بكم العذاب.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي ثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبدالرزاق ثنا معمر بن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعين، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»^(٢).

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبيدة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بدا الله بسطان لمسيء الليل ليتوب بالنهار، ولمسيء النهار ليتوب بالليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»^(٣).

(١) أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى: «أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ» قال: «طلوع الشمس من مغربها». قال الترمذي: هذا حديث غريب، ورواه بعضهم ولم يرفعه، انظر: السنن، تفسير سورة الأنعام: ٤٤٨/٨ - ٤٤٩. ويؤيده ما أخرجه أيضاً عن أبي هريرة وهو الحديث الآتي بعده.

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة الأنعام، باب قوله تعالى: «هَلَمْ شَهِدْكُمْ»: ٢٩٧/٨ وسلم في الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل الله فيه الإيمان، برقم (١٥٧): ١٣٧/١.

(٣) أخرجه مسلم في التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، برقم (٢٧٥٩): ٢١١٣/٤، بلفظ: «إن الله عز وجل يسطر يده بالليل ليتوب...». والمصنف في شرح السنة: ٨٢/٥.

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنثِقُهُمْ
بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ثنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا النضر بن شميل أنا هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(١).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا أحمد بن عبد الله أنا حماد بن زيد أنا عاصم بن أبي النجود عن زبِّين حُبَيْش قال: أتيت صفوان بن عسال المرادي فذكر عن رسول الله ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ بِالْمَغْرِبِ بَابًا مَسِيرَةَ عَرْضِهِ سَبْعُونَ عَامًا لِلتَّوْبَةِ لَا يُغْلَقُ مَا لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْ قَبْلِهِ»، وذلك قول الله تعالى: «يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ»^(٢).

وروي أبو حازم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: الدَّجَالُ، والدَّابَّةُ، وطلوع الشمس من مغربها»^(٣).

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿فارقوا﴾، بالالف ها هنا وفي سورة الروم، أي: خرجوا من دينهم وتركوه وقرأ الآخرون: ﴿فَرَّقُوا﴾ مشدداً، أي: جعلوا دين الله وهو واحد - دين إبراهيم عليه السلام الحنيفية - أدياناً مختلفة، فتهوّد قوم وتنصّر قوم، يدل عليه قوله عز وجل: ﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾، أي: صاروا فرقاً مختلفة وهم اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة والسدي.

وقيل: هم أصحاب البدع والشبهات من هذه الأمة. وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء. باب استحياب الاستغفار، برقم (٢٧٠٣) / ٤ / ٢٠٧٦، والمصنف في شرح السنة: ٨٣/٥.

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات، باب ما جاء في فضل التوبة والاستغفار: ٥١٧/٩ - ٥١٩ مطولاً، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن ماجه في الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها، برقم (٤٠٧٠) / ٢ / ١٣٥٣، والطيالسي في المسند ص (١٦٠ - ١٦١)، والمصنف في شرح السنة: ٨٩/٥.

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل الله فيه الإيمان، برقم (١٥٨) : ١٣٨/١.

أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: «يا عائشة / إنَّ الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً هم أصحاب البدع والشبهات من هذه الأمة»^(١).

حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد بن زياد الحنفي أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أحمد بن محمد الأنصاري أنا أبو عبدالله محمد بن عقيل بن الأزهري بن عقيل الفقيه البلخي أنا الرَّمادي أحمد بن منصور أنا الضحاك بن مَخْلَد أنا ثور بن يزيد نا خالد بن معدان عن عبدالرحمن بن عمرو السُّلمي عن العرياض بن سارية قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح فوعظنا موعظةً بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، وقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظةٌ مودِّعٌ فأوصينا: فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»^(٢).

وروي عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة»، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»^(٣).

قال عبدالله بن مسعود: «إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدي محمد ﷺ،

(١) عزاه ابن كثير لابن مردويه، وقال: «وهو غريب.. ولا يصح رفعه». ثم قال: «والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد، لا اختلاف فيه، ولا افتراق». تفسير ابن كثير: ١٩٧/٢.

(٢) أخرجه أبو داود في السنة، باب لزوم السنة: ١١/٧، وسكت عنه المنذري، وأخرجه الترمذي في العلم، باب ما جاء في الأخذ في السنة واجتناب البدع: ٤٣٧/٧ - ٤٤٢، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة، برقم (٤٣ و٤٢): ١٥/١ - ١٦، والدارمي في المقدمة: ٤٤/١، وصححه ابن حبان ص (١٠٢) من موارد الظمان، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد: ٧٤/١ - ٧٥، والأجري في الشريعة ص (٤٦ - ٤٧)، وابن أبي عاصم في السنة: ١٧/١ - ١٩. وأخرجه الحاكم: ٩٥/١ وقال: صحيح ليس له علة. والامام أحمد: ١٢٦/٤ - ١٢٧. والمصنف في شرح السنة: ٢٠٥/١.

(٣) روي هذا الحديث من طرق كثيرة عن عدد من الصحابة بألفاظ مختلفة، فقد أخرجه أبو داود في السنة: ٤-٣/٧، والترمذي في الإيمان، باب افتراق هذه الأمة: ٣٩٧/٧ وقال: حسن صحيح.

وابن ماجه في الفتن برقم (٣٩٩١): ١٣٢١/٢، والدارمي في السير: ٢٤١/٢، وابن حبان برقم (١٨٣٤) من الموارد، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي: ١٢٨/١ - ١٢٩، والامام أحمد في المسند: ٢٣٢/٢. وأخرجه أيضاً ابن أبي عاصم في السنة: ٧/١، واللالكائي: ١٠٠/١، والأجري في الشريعة ص (١٤-١٦) وانظر: الوصية الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية بتحقيقنا، ص (٤٦-٤٥) طبع مكتبة الصديق.

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾

وشرَّ الأمور محدثاتها^(١). ورواه جابر مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ^(٢).

قوله عز وجل: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، قيل: لست من قتالهم في شيء، نسختها آية القتال^(٣)، وهذا على قول من يقول: المراد في الآية اليهود والنصارى، ومن قال: أراد بالآية أهل الأهواء قال: المراد من قوله: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي أنت منهم بريء وهم منك برء، تقول العرب: إن فعلت كذا فلست مني ولست منك أي: كل واحد منا بريء من صاحبه، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾، يعني: في الجزاء والمكافات، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، إذا وردوا للقيامة.

قوله عز وجل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، أي: له عشر حسنات أمثالها، وقرأ يعقوب «عشر» منون، «أمثالها» بالرفع. ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي ثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمض الزياتي ثنا أبو بكر محمد بن الحسن القطان ثنا محمد بن يوسف القطان ثنا محمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر بن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أحسن أحدكم إسلامه فكلُّ حسنة يعملها تكتبُ بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكلُّ سيئة يعملها تكتبُ له بمثلها

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام، باب الاقتداء بالسنن: ٢٥١/١٣. والمصنف في شرح السنة ٢١١/١. قال ابن حجر في الفتح: «ظاهر سياق الحديث أنه موقوف، لكن القدر الذي له حكم الرفع منه، قوله: «وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم» فإن فيه إخباراً عن صفة من صفاته صلى الله عليه وسلم، وهو أحد أقسام المرفوع، وقيل من نبه على ذلك. وهو كالمثقف عليه لتخريج المصنفين المقتصرين على الأحاديث المرفوعة - الأحاديث الواردة في شمائله صلى الله عليه وسلم، فإن أكثرها يتعلق بصفة خلقه وذاته، كوجهه وشعره، وكذا بصفة خلقه كحلّمه وصفحه. وهذا مندرج في ذلك، مع أن الحديث جاء عن ابن مسعود مصرحاً فيه بالرفع من وجه آخر أخرجه أصحاب السنن، ولكنه ليس على شرط البخاري».

(٢) هذه الرواية أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة برقم (٨٦٧): ٥٩٢/٢. والمصنف في شرح السنة: ٢١١/١. وانظر فتح الباري: ٢٥٣/١٣.

(٣) انظر فيما سبق التعليق على تفسير الآية (١٣) من سورة المائدة في هذا الجزء. ص (٣٢-٣٣).

حتى يلقى الله عز وجل»^(١).

وأخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني ثنا عبد الغافر بن محمد الفارسي ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع ثنا الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوْلَةً وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةٌ لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيْتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً»^(٢).

قال ابن عمر: الآية في غير الصدقات من الحسنات، فأما الصدقات تضاعف سبعمائة ضعف.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنِّي هِدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا﴾، قرأ أهل الكوفة والشام «قيماً» بكسر القاف وفتح الياء خفيفة، وقرأ الآخرون بفتح القاف وكسر الياء مشدداً ومعناها واحد وهو القويم المستقيم، وانتصابه على معنى هداني دينا قيماً، ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَي﴾، قيل: أراد بالنسك الذبيحة في الحج والعمرة، وقال مقاتل: نسكي: حجي، وقيل: ديني، ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾، أي: حياتي ووفاتي، ﴿اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، أي: هو يحييني ويميتني، وقيل: محيائي بالعمل الصالح ومماتي إذا مت على الإيمان لله رب العالمين، وقيل: طاعتي في حياتي لله وجزائي بعد مماتي من الله رب العالمين. قرأ أهل المدينة: ﴿وَمَحْيَايَ﴾ بسكون الياء و«مماتي» بفتحها، وقراءة العامة «محيائي» بفتح الياء لثلا يجتمع ساكنان.

قوله تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، قال قتادة: وأنا أول المسلمين من هذه الأمة.

(١) أخرجه البخاري في الإيمان، باب حسن إسلام المرء: ١/١٠٠، ونحوه في التوحيد، ومسلم في الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتب، وإذا هم بسية لم تكتب، برقم (١٢٩): ١/١١٨ - ١١٩، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٣٣٨.

(٢) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء، باب فضل الذكر والدعاء إلى الله تعالى، برقم (٢٦٨٧): ٤/٢٠٦٨، والمصنف في شرح السنة: ٢٥/٥ - ٢٦.

قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ
 أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
 خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ
 الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِغِي رَبًّا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سيداً وإلهاً ﴿وهو ربُّ كلِّ شيء﴾، وذلك أن الكفار كانوا يقولون للنبي ﷺ: ارجع إلى ديننا. قال ابن عباس: كان الوليد بن المغيرة يقول: اتبعوا سبيلي أحمل عنكم أوزاركم، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾، لا تجني كل نفس إلا ما كان من إثمه على الجاني، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، أي لا تحمل نفس حمل أخرى، أي: لا يؤخذ أحدٌ بذنب غيره، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وهو الذي جعلكم خلائفَ الأرض﴾، يعني: أهلك أهل القرون الماضية وأورثكم الأرض يا أمة محمد ﷺ من بعدهم، فجعلكم خلائف منهم فيها تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم، والخلائف جمع خليفة كالوصائف جمع وصيفة، وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفة لأنه يخلفه. ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾، أي: خالف بين أحوالكم فجعل بعضكم فوق بعض في الخلق والرزق والمعاش والقوة والفضل، ﴿لِيَبْلُوكُمْ فيما آتاكم﴾، ليختبركم فيما رزقكم، يعني: يبتلي الغني والفقير والشريف والوضيع والحر والعبد، ليظهر منكم ما يكون عليه من الثواب والعقاب، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾، لأن ما هو آت فهو سريع قريب، قيل: هو الهلاك في الدنيا، ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال عطاء: سريع العقاب لأعدائه غفور لأوليائه رحيم بهم.

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مكية كلها إلا خمس آيات، أولها «واسألهم عن القرية التي كانت».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَصِّ ﴿١﴾ كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا
مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾

﴿المص﴾. ﴿كتاب﴾، أي: هذا كتاب، ﴿أنزل إليك﴾، وهو القرآن، ﴿فلا يكن في صدرك
حرج منه﴾، قال مجاهد: شك، فالخطاب للرسول ﷺ والمراد به الأمة. وقال أبو العالية: حرج أي
ضيق، معناه لا يضيق صدرك بالإبلاغ وتأدية ما أرسلت به، ﴿لتنذره﴾، أي: كتاب أنزل إليك لتنذره
به، ﴿وذكري للمؤمنين﴾، أي: عظة لهم، وهو رفع، مردود على الكتاب.

﴿اتبعوا﴾، أي: وقل لهم اتبعوا: ﴿ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾، أي:
لا تتخذوا غيره أولياء تطيعونهم في معصية الله تعالى، ﴿قليلًا ما تذكرون﴾، تتعظون، وقرأ ابن عامر:
﴿يتذكرون﴾، بالياء والتاء.

﴿وكم من قرية أهلكناها﴾، بالعذاب، و﴿وكم﴾ للتكثير و﴿رب﴾ للتقليل، ﴿فجاءها بأسنا﴾،

فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ
 أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾
 وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾

عذابنا، ﴿بياتاً﴾، ليلاً ﴿أو هم قائلون﴾، من القيلولة، تقديره: فجاءها بأسناً ليلاً وهم نائمون، أو
 نهاراً وهم قائلون، أي نائمون ظهيرة، والقيلولة الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها نوم. ومعنى
 الآية: أنهم جاءهم بأسناً وهم غير متوقعين له إما ليلاً أو نهاراً. قال الزجاج: ﴿أو﴾ لتصريف العذاب،
 مرة ليلاً ومرة نهاراً. وقيل: معناه من أهل القرى من أهلكتهم ليلاً، ومنهم من أهلكتهم نهاراً.

فإن قيل: ما معنى أهلكتها فجاءها بأسناً؟ فكيف يكون مجيء البأس بعد الهلاك؟ قيل: معنى
 قوله: «أهلكتنا» أي: حَكَمْنَا بِأَهْلَاكِهَا فجاءها بأسناً. وقيل: فجاءها بأسناً هو بيان قوله «أهلكتنا» مثل
 قول القائل: أعطيتني فأحسنت إلي، لا فرق بينه وبين قوله: أحسنت إلي فأعطيتني، فيكون أحدهما
 بدلاً من الآخر.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾، أي: قولهم ودعاؤهم وتضرعهم، والدعوى تكون بمعنى الادعاء وبمعنى
 الدعاء، قال سيبويه: تقول العرب اللهم أشركنا في صالح دعوى المسلمين أي في دعائهم، ﴿إِذْ
 جَاءَهُمْ بِأَسْنًا﴾، عذابنا، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، معناه لم يقدرُوا على ردِّ العذاب، وكان
 حاصل أمرهم الاعتراف بالجناية حين لا ينفع الاعتراف.

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾، يعني: الأمم عن إجابتهم الرسل، وهذا سؤال توبيخ لا سؤال
 استعلام، يعني: لنسألهم عما عملوا فيما بلغتهم الرسل، ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾، عن الإبلاغ.

﴿فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ﴾ أي: لنخبرنهم عن علم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ينطق
 عليهم كتاب أعمالهم، كقوله تعالى (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق). (الجاثية، ٢٩)، ﴿وَمَا كُنَّا
 غَائِبِينَ﴾، عن الرسل فيما بلغوا، وعن الأمم فيما أجابوا.

قوله عز وجل: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾، يعني: يوم السؤال. قال مجاهد: معناه والقضاء يومئذ
 العدل. وقال الأكثرون: أراد به وزن الأعمال بالميزان، وذلك أن الله تعالى ينصب ميزاناً له لسان
 وكفتان كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب.

وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿١١﴾
 وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ
 خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ
 مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ
 مِنْ طِينٍ ﴿١٤﴾

واختلفوا في كيفية الوزن، فقال بعضهم: توزن صحائف الأعمال: وروينا: «أن رجلاً يُنشر عليه تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل مدّ البصر، فيُخرج له بطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»^(١).

وقيل: توزن الأشخاص، وروينا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»^(٢).

وقيل: توزن الأعمال، روي ذلك عن ابن عباس، فيؤتى بالأعمال الحسنة على صورة حسنة وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان، والحكمة في وزن الأعمال امتحان الله عباده بالإيمان في الدنيا وإقامة الحجّة عليهم في العقبى، «فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ»، قال مجاهد: حسناته، «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾، يجحدون، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين حضره الموت في وصيته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا، وثقله عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في

(١) أخرجه الترمذي في الإيمان، باب فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله: ٣٩٥/٧ - ٣٩٧، وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه في الزهد، باب ما يرجي من رحمة الله يوم القيامة، برقم (٤٣٠٠): ١٤٣٧/٢، وصححه الحاكم: ٦/١، وابن حبان ص (٦٢٥) من الموارد، وأخرجه الامام أحمد: ٢١٣/٢، والمصنف في شرح السنة: ١٣٤/١٥.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، باب «أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم»: ٤٢٦/٨، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب صفة القيامة والجنة والنار، برقم (٢٧٨٥): ٢١٤٧/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٤٣/١٥.

الدنيا، وخفته عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفاً.

فإن قيل: قد قال: «من ثقلت موازينه» ذكر بلفظ الجمع، والميزان واحد؟ قيل: يجوز أن يكون لفظه جمعاً ومعناه واحد كقوله: «يا أيها الرسل»، وقيل: لكل عبد ميزان، وقيل: الأصل ميزان واحد عظيم، ولكل عبد فيه ميزان معلق به، وقيل جمعه: لأن الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان، ولا يتم الوزن إلا باجتماعها.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: مكناكم والمراد من التمكين التملك والقدرة، ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾، أي: أسباباً تعيشون بها أيام حياتكم من التجارات والمكاسب والمآكل والمشرب والمعاش جمع المعيشة، ﴿فَلْيَلَا مَا تَشْكُرُونَ﴾، فيما صنعت إليكم.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ قال ابن عباس: خلقناكم، أي: أصولكم وآباءكم ثم صورناكم في أرحام أمهاتكم. وقال قتادة والضحاك والسدي: أما «خلقناكم» فآدم، وأما «صورناكم» فذريته. وقال مجاهد في خلقناكم: آدم، ثم صورناكم في ظهر آدم بلفظ الجمع، لأنه أبو البشر ففي خلقه خلق من يخرج من صلبه، وقيل: خلقناكم في ظهر آدم ثم صورناكم يوم الميثاق حين أخرجكم كالذر. وقال عكرمة: خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام النساء. وقال يمان: خلق الإنسان في الرحم ثم صوره وشق سمعه وبصره وأصابعه. وقيل: الكل آدم خلقه وصوره و«ثم» بمعنى الواو.

﴿ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾، فإن قيل: الأمر بسجود الملائكة كان قبل خلق بني آدم، فما وجه قوله «ثم قلنا» و«ثم للترتيب وللترخي»؟ قيل: على قول من يصرف الخلق والتصوير إلى آدم وحده يستقيم هذا الكلام، أما على قول من يصرفه إلى الذرية: فعنه أجوبة: أحدها «ثم» بمعنى الواو، أي: وقلنا للملائكة، فلا تكون للترتيب والتعقيب. وقيل: أراد «ثم» أخبركم أنا قلنا للملائكة اسجدوا. وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره ولقد خلقناكم، يعني: آدم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ثم صورناكم.

قوله تعالى ﴿فَسَجُدُوا﴾، يعني الملائكة، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾، لآدم.

﴿قَالَ﴾، الله تعالى يا إبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، أي: وما منعك أن تسجد

قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى
يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ
﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ
شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾

و«لا» زائدة كقوله تعالى: «وحرام على قرية أهلكتناها أنهم لا يرجعون» / (الأنبياء، ٩٥). ﴿قال﴾، ١٢٨/ب
إبليس مجيباً ﴿أنا خير منه﴾ لأنك ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾، والنار خير وأنور من الطين.

قال ابن عباس: أول من قاس إبليس فأخطأ القياس، فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله
مع إبليس.

قال ابن سيرين: ما عبدت الشمس إلا بالقياس.

قال محمد بن جرير: ظن الخبيث أن النار خير من الطين ولم يعلم أن الفضل لمن جعل الله
له الفضل، وقد فضل الله الطين على النار من وجوه منها: أن من جوهر الطين الرزانة والوقار والحلم
والصبر وهو الداعي لآدم بعد السعادة التي سبقت له إلى التوبة والتواضع والتضرع فأورثه الاجتناب
والتوبة والهداية، ومن جوهر النار الخفة والطيش والحدة والارتفاع وهو الداعي لإبليس بعد الشقاوة
التي سبقت له إلى الاستكبار والاصرار، فأورثه اللعنة والشقاوة، ولأن الطين سبب جمع الأشياء والنار
سبب تفرقها ولأن التراب سبب الحياة، فإن حياة الأشجار والنبات به، والنار سبب الهلاك.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾، أي: من الجنة، وقيل: من السماء إلى الأرض وكان له ملك
الأرض فأخرجه منها إلى جزائر البحر وعرشه في البحر الأخضر، فلا يدخل الأرض إلا خائفاً على هيئة
السارق مثل شيخ عليه أظمار يروع فيها حتى يخرج منها.

قوله تعالى: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ﴾، بمخالفة الأمر، ﴿فيها﴾، أي: في الجنة، فلا ينبغي
أن يسكن في الجنة ولا السماء متكبراً مخالفاً لأمر الله تعالى: ﴿فاخرج إنك من الصَّاغِرِينَ﴾، من
الأذلاء، والصغار: الذل والمهانة.

﴿قال﴾، إبليس عند ذلك، ﴿أنظرنني﴾، أخرني وأمهلني فلا تمتني، ﴿إلى يوم يُبعثون﴾، من
قبورهم وهو النفخة الأخيرة عند قيام الساعة، أراد الخبيث أن لا يذوق الموت.

﴿قال﴾، الله تعالى، ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾، المؤخرين، وبين مدة النظر والمهلة في موضع آخر فقال: (إلى يوم الوقت المعلوم)، (الحجر، ٣٨)، وهو النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم.

﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي﴾، اختلفوا في «ما» قيل: هو استفهام يعني فبأي شيء أغويتني؟ ثم ابتداء فقال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ وقيل: «ما» الجزاء، أي: لأجل أنك أغويتني لأحقدنَّ لهم. وقيل: هو «ما» المصدرية موضع القسم تقديره: فبإغوائك إياي لأقعدنَّ لهم، كقوله «بما غفر لي ربي» (يس، ٢٧)، يعني: لغفران ربي.

والمعنى بقدرتك عليّ ونفاز سلطانك فيّ. وقال ابن الأنباري: أي فيما أوقعت في قلبي من الغي الذي كان سبب هبوطي من السماء، أغويتني: أضللتني عن الهدى. وقيل: أهلكتني. وقيل: خيبتني، ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، أي: لأجلسنَّ لبني آدم على طريقك القويم وهو الإسلام.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: من بين أيديهم أي من قبل الآخرة فأشككهم فيها، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، أرغبهم في دنياهم، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾، أشبه عليهم أمر دينهم. ﴿وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ﴾، أشهي لهم المعاصي. وروى عطية عن ابن عباس: ﴿مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من قبل دنياهم، يعني أزينها في قلوبهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، من قبل الآخرة فأقول: لا بعث، ولا نشور، ولا جنة، ولا نار، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ من قبل حسناتهم، ﴿وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ﴾ من قبل سيئاتهم.

وقال الحكم: من بين أيديهم: من قبل الدنيا يُزينها لهم، ومن خلفهم: من قبل الآخرة يبطلهم عنها، وعن أيمانهم: من قبل الحق يصدّهم عنه، وعن شمائلهم: من قبل الباطل يزينه لهم. وقال قتادة: أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار، ومن خلفهم: من أمور الدنيا يزينها لهم ويدعوهم إليها، وعن أيمانهم: من قبل حسناتهم بطأهم عنها، وعن شمائلهم: زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها أتاك يا بن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله. وقال مجاهد: من بين أيديهم وعن أيمانهم من حيث يبصرون، ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون. وقال ابن جريج: معنى قوله حيث لا يبصرون أي لا يخطئون وحيث لا يبصرون أي لا يعلمون أنهم يخطئون.

﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾، مؤمنين، فإن قيل: كيف علم الخبيث ذلك؟ قيل: قاله ظناً فأصاب، قال الله تعالى «ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه» (سبأ، ٢٠).

قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَتَّكِدُمُ اسْكُنُ
 أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾
 فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنِ
 هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ
 النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾

﴿قال﴾، الله تعالى لإبليس، ﴿أخرج منها مذموماً مدحوراً﴾، أي: معيياً، والذم والذم أشد العيب، يقال: ذامه يذامه ذاماً فهو مذومٌ وذامه يذيمه ذاماً فهو مذيم، مثل سار يسير سيراً. والمدحور: المبعد المطرود، يقال: دحره يدحره دحراً إذا أبعدته وطرده. قال ابن عباس: مذوماً أي ممقوتاً. وقال قتادة: مذوماً مدحوراً أي: لعيناً منفيماً. وقال الكلبي: مذوماً: ملوماً، مدحوراً: مقصياً من الجنة ومن كل خير. ﴿لمن تبعك منهم﴾، من بني آدم، ﴿لأملأن جهنم﴾، اللام لام القسم، ﴿منكم أجمعين﴾، أي: منك ومن ذريتك ومن كفار ذرية آدم أجمعين.

﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾.

﴿فوسوس لهما الشيطان﴾، أي: إليهما، والوسوسة: حديث يلقيه الشيطان في قلب الإنسان ﴿ليبدي لهما ما ووري عنهما من سواتهما﴾، أي: أظهر لهما ما غطي وستر عنهما من عوراتهما، قيل: اللام فيه لام العاقبة وذلك أن إبليس لم يوسوس بهذا ولكن كان عاقبة أمرهم ذلك، وهو ظهور عورتهم، كقوله تعالى: «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً» (القصص، ٨)، ثم بين الوسوسة فقال: ﴿وقال﴾ يعني: إبليس لأدام وحواء ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين﴾، يعني: لثلا تكونا، كراهية أن تكونا ملكين من الملائكة يعلمان الخير والشر، ﴿أو تكونا من الخالدين﴾، من الباقيين الذين لا يموتون كما قال في موضع آخر: «هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى» (طه، ١٢٠).

﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾، أي: وأقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد، قال قتادة: حلف لهما بالله حتى خدعهما، وقد يخدع المؤمن بالله، فقال: إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما، وإبليس أول من حلف بالله كاذباً، فلما حلف ظن

فَدَلَّيْنَهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجْرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجْرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ



آدم أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً، فاغترَّ به.

﴿فدلَّيْنَهُمَا بِغُرُورٍ﴾، أي: خدعهما، يقال: ما زال فلان يدلي لفلان بغرور، يعني: ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف باطل من القول.

وقيل: حطهما من منزلة الطاعة إلى حال المعصية، ولا يكون التدلي إلا من علو إلى أسفل، والتدلية: إرسال الدلو في البئر، يُقال: تدلَّى بنفسه ودلَّى غيره، قال الأزهري: أصله: تدلية العطشان البئر ليروي من الماء ولا يجد الماء / فيكون مُدَلَّى بغرور، والغرور: إظهار النصح مع إبطان الغش. ب/١٢٨

﴿فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما﴾، قال الكلبي: فلما أكل منها. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قبل أن ازدردا أخذتُهما العقوبة، والعقوبة أن «بدت» ظهرت لهما «سواتهما» عوراتهما، وتهافت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ما وُورِي عنه من عورة صاحبه، وكانا لا يريان ذلك. قال وهب: كان لباسهما من النور. وقال قتادة: كان ظفراً ألبسهما الله من الظفر لباساً فلما وقعا في الذنب بدت لهما سواتهما فاستحيا، ﴿وطَفِقَا﴾، أقبلا وجعلا ﴿يَخْصِفَانِ﴾، يرقعان ويلزقان ويصلان، ﴿عليهما من ورق الجنة﴾، وهو ورق التين حتى صار كهية الثوب.

قال الزجاج: يجعلان ورقة على ورقة ليسترا سواتهما. وروي عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ «كان آدم رجلاً طوالاً كأنه نخلة سَحُوقٌ» كثير شعر الرأس، فلما وقع في الخطيئة بدت له سواته، وكان لا يراها فانطلق هارباً في الجنة، فعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره، فقال لها: أرسليني، قالت: لست بمرسلتك، فناداه ربُّه: يا آدمُ أمِنِّي تفرُّ؟ قال: لا يا رب، ولكن استحييتك»^(١).

﴿وناداهما ربُّهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة﴾، يعني: الأكل منها، ﴿وأقل لكما إن

(١) هي النخلة الطويلة المفترطة في الطول التي تبعد ثمرها عن المجتني.

(٢) أخرجه ابن جرير مرفوعاً وموقوفاً: ٣٥٢/١٢ و٣٥٤، قال ابن كثير: ٢٠٧/٢ «وقد رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق عن الحسن عن

أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً، والموقوف أصح إسناداً».

وصحة السند إلى أبي رضي الله عنه، لا تعني صحة الخبر في ذاته، فهذه التفصيلات الغيبية، لا دليل ثابت على صحتها، وغالباً ما

تكون متلقاة من أهل الكتاب، والله أعلم.

قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْبَطُوا
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكْمٌ وَرِيشًا وَلِبَاسُ
النَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾

الشیطان لکما عدوٌ مبین ﴿٢٣﴾، أي: بین العداوة، قال محمد بن قیس: ناداه ربه یا آدم أكلت منها وقد نهيتک؟ قال: ربّ أطعمتني حواء، قال لحواء: لم أطعمتني؟ قالت: أمرتني الحية، قال للحية: لم أمرتني؟ قالت: أمرني إبليس، فقال الله تعالى: أما أنت یا حواء فكما آدميت الشجرة فتدمنين کل شهر، وأما أنت یا حية فأقطع قوائمك فتمشين على بطنك ووجهك، وسيشدخ رأسك من لقيك، وأما أنت یا إبليس فملعون مدحور^(١).

﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدوٌ ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاعٌ إلى حين﴾.

﴿قال فيها تحيئون﴾، يعني في الأرض تعيشون، ﴿وفيهما تموتون ومنها تخرجون﴾، أي: من الأرض تخرجون من قبوركم للبعث، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿تخرجون﴾، بفتح التاء هاهنا وفي الزخرف، وافق يعقوب هاهنا وزاد حمزة والكسائي: «وكذلك تخرجون» في أول الروم، والباقون بضم التاء وفتح الراء فيهن.

﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم﴾، أي: خلقنا لكم ﴿لباساً﴾، وقيل: إنما قال: «أنزلنا» لأنّ اللباس إنما يكون من نبات الأرض، والنبات يكون بما ينزل من السماء، فمعنى قوله: ﴿أنزلنا﴾، أي: أنزلنا أسبابه. وقيل: كل بركات الأرض منسوبة إلى بركات السماء كما قال تعالى: «وأنزلنا الحديد» (سورة الحديد، ٢٥)، وإنما يستخرج الحديد من الأرض.

وسبب نزول هذه الآية: أنهم كانوا في الجاهلية يطوفون بالبيت عراة، ويقولون: لا نطوف في

(١) تقدمت الإشارة إلى ضعف الروايات في ذلك، وأنها مستقاة من الاسرائيليات، وخبر محمد بن قيس هذا: أخرجه الطبري في التفسير:

١٠٩/١ - ٥٣٠/١ - ٥٣١، ٣٥٤/١٢، وفي التاريخ: ١٠٩/١.

ثياب عصينا الله فيها، فكان الرجال يطوفون بالنهار والنساء بالليل عراة.

وقال قتادة: كانت المرأة تطوف وتضع يدها على فرجها وتقول:

الْيَوْمَ يَيْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

فأمر الله سبحانه بالستر فقال: ﴿قد أنزلنا عليكم لباساً يُؤاري سواآتكم﴾^(١)، يستر عوراتكم، واحدتها سواة، سميت بها لأنه يسوء صاحبها انكشافها، فلا تطوفوا عراة، ﴿وريشاً﴾، يعني: مالا في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي، يُقال: تريش الرجل إذا تمول، وقيل: الريش الجمال، أي: ما يتجملون به من الثياب، وقيل: هو اللباس.

﴿ولباسُ التقوى ذلك خير﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي ﴿ولباس﴾ بنصب السين عطفاً على قوله ﴿لباساً﴾ وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وخبره ﴿خير﴾، وجعلوا ﴿ذلك﴾ صلة في الكلام، ولذلك قرأ ابن مسعود وأبي بن كعب ﴿ولباسُ التقوى خير﴾.

واختلفوا في ﴿لباسُ التقوى﴾ قال قتادة والسدي: لباس التقوى هو الإيمان. وقال الحسن: هو الحياء لأنه يبعث على التقوى.

وقال عطية عن ابن عباس: هو العمل الصالح. وعن عثمان بن عفان، أنه قال: السَّمْتُ الحسن.

وقال عروة بن الزبير: لباس التقوى خشية الله، وقال الكلبي: هو العفاف. والمعنى: لباس التقوى خير لصاحبه إذا أخذ به مما خلق له من اللباس للتجمل.

وقال ابن الأنباري: لباس التقوى هو اللباس الأول وإنما أعاده إخباراً أن ستر العورة خير من التعري في الطواف.

وقال زيد بن علي: لباس التقوى الآلات التي يُتقى بها في الحرب كالدرع والمغفر والساعد والساقين.

وقيل: لباس التقوى هو الصوف والثياب الخشنة التي يلبسها أهل الورع. ﴿ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾.

(١) انظر: أسباب النزول للواحد ص (٢٥٩ - ٢٦٠)، ابن كثير: ٢/٢٠٩، ٢١١.

يَبْنِيءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَرْتِيمَاهُمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلُوبًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾

﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان﴾، لا يضلنكم الشيطان، ﴿كما أخرج أبويكم﴾، أي: كما فتن أبويكم آدم وحواء فأخرجهما، ﴿من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما﴾، ليرى كل واحد سوءة الآخر. ﴿إنه يراكم﴾، يعني أن الشيطان يراكم يا بني آدم، ﴿هو وقبيله﴾، جنوده. قال ابن عباس: هو وولده. وقال قتادة: قبيلة: الجن والشياطين، ﴿من حيث لا ترونهم﴾، قال مالك بن دينار: إن عدواً يراك ولا تراه لشديد الخصومة والمؤنة إلا من عصم الله، ﴿إننا جعلنا الشياطين أولياء﴾، قرناء وأعواناً، ﴿للذين لا يؤمنون﴾ وقال الزجاج: سلطانهم عليهم يزيدون في غيهم كما قال: ﴿إننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا﴾.

﴿وإذا فعلوا فاحشة﴾، قال ابن عباس ومجاهد: هي طوافهم بالبيت عراة. وقال عطاء: الشرك والفاحشة: اسم لكل فعل قبيح بلغ النهاية في القبح. ﴿قالوا وجدنا عليها آباءنا﴾، وفيه إضمار معناه: وإذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها آباءنا. قيل: ومن أين أخذ آباؤكم؟ قالوا، ﴿والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء اتقوا الله على ما لا تعلمون﴾.

﴿قل أمر ربي بالقسط﴾، قال ابن عباس: بلا إله إلا الله. وقال الضحاك: بالتوحيد. وقال مجاهد والسدي: بالعدل. ﴿واقیموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ قال مجاهد والسدي: يعني وجوهوا وجوهكم حيث ما كنتم في الصلاة إلى الكعبة. وقال الضحاك: إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن أحدكم أصلي في مسجدي. وقيل: معناه اجعلوا سجودكم لله خالصاً.

﴿وادعوه﴾، واعبدوه، ﴿مخلصين له الدين﴾، الطاعة والعبادة، ﴿كما بدأكم تعودون﴾، قال ابن عباس: إن الله تعالى بدأ خلق بني آدم مؤمناً وكافراً/ كما قال: ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ (التغابن، ٢)، ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمناً وكافراً. قال مجاهد: يبعثون على ما ماتوا عليه.

فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ * يَنْبِئُ آدَمَ خُذْ وَازِينَتَكَرَّ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا
 وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
 وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ
 نَفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي حدثنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنبأنا محمد بن
 عبد الله الصفار حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان الثوري عن
 الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبعث كلُّ عبدٍ على ما ماتَ
 عليه، المؤمن على إيمانه والكافر على كفره»^(١)

وقال أبو العالية: عادوا على عمله فيهم. قال سعيد بن جبير: كما كتب عليكم تكونون.

قال محمد بن كعب: من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة صار إليها وإن عمل بعمل أهل السعادة،
 كما أن إبليس كان يعمل بعمل أهل السعادة ثم صار إلى الشقاوة، ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار
 إليها وإن عمل بعمل أهل الشقاء، وكما أن السحرة كانت تعمل بعمل أهل الشقاوة فصاروا إلى
 السعادة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنبأنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن
 الجعد حدثنا أبو غسان عن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ
 العبد يعمل فيما يرى الناس يعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنه ليعمل فيما يرى الناس يعمل
 أهل النار وإنه من أهل الجنة، وإنما الأعمال بالخواتيم»^(٢).

وقال الحسن ومجاهد: كما بدأكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئاً، كذلك تعودون أحياء
 يوم القيامة كما قال الله تعالى: «كما بدأنا أول خلق نعيده» (الأنبياء، ١٠٤)، قال قتادة: بدأهم من

(١) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، برقم (٢٨٧٨): ٢٢٠٦/٤، والمصنف في شرح
 السنة: ٤٠٢/١٤. - دون قوله «المؤمن على إيمانه».

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، برقم (١١٢): ١٠٦/١، وفيه قصة، وأخرجه المصنف في شرح السنة:

التراب وإلى التراب يعودون، نظيره قوله تعالى: «مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ» (طه، ٥٥).

قوله عز وجل: ﴿فَرِيقًا هَدَى﴾، أي هداهم الله، ﴿وَفَرِيقًا حَقًّا﴾، وجب ﴿عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾، أي: بالإرادة السابقة، ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾، فيه دليل على أن الكافر الذي يظن أنه في دينه على الحق والجاحد والمعاند سواء.

قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، قال أهل التفسير: كانت بنو عامر يطوفون بالبيت عراة، فأنزل الله عز وجل: «يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ»، يعني الثياب. قال مجاهد: ما يُوارِي عورتك ولو عباءة.

قال الكلبي: الزينة ما يُوارِي العورة عند كل مسجد لطواف أو صلاة.

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾، قال الكلبي: كانت بنو عامر لا يأكلون في أيام حجّهم من الطعام إلا قوتاً ولا يأكلون دسماً، يعظمون بذلك حجّهم، فقال المسلمون: نحن أحق أن نفعل ذلك يا رسول الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَكُلُوا﴾ يعني اللحم والدسم «واشربوا» اللبن^(١) ﴿وَلَا تَسْرِفُوا﴾، بتحريم ما أحلّ الله لكم من اللحم والدسم، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، الذين يفعلون ذلك. قال ابن عباس: كُلُّ مَا شَتَّتَ وَالْبَسُّ مَا شَتَّتَ مَا أَخْطَأَتْكَ خَصَلَتَانِ سَرْفٍ وَمَخِيلَةٌ. قال علي بن الحسين بن واقد: قد جمع الله الطَّبُّ كله في نصف آية فقال: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تَسْرِفُوا».

قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾، يعني لبس الثياب في الطواف، ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾، يعني اللحم والدسم في أيام الحج.

وعن ابن عباس وقتادة: والطيبات من الرزق ما حرم أهل الجاهلية من البحائر والسوائب. ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، فيه حذف تقديره: هي للذين آمنوا وللمشركين في الحياة الدنيا فإن أهل الشرك يشاركون المؤمنين في طيبات الدنيا، وهي في الآخرة خالصة للمؤمنين لا حظ للمشركين فيها.

وقيل: هي خالصة يوم القيامة من التنغيص والغم للمؤمنين، فإنها لهم في الدنيا مع التنغيص والغم.

قرأ نافع ﴿خالصة﴾ رفع، أي: قل هي للذين آمنوا مشتركين في الدنيا، وهي في الآخرة خالصة يوم القيامة للمؤمنين. وقرأ الآخرون بالنصب على القطع، ﴿كذلك نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

(١) انظر: أسباب النزول للواحيدي، ص (٢٦٠).

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ
مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ
لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَبْنِيءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ
عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾، يعني: الطواف عراة ﴿ما ظهر﴾ طواف الرجال بالنهار ﴿وما بطن﴾ طواف النساء بالليل. وقيل: هو الزنا سراً وعلانيةً.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي وائل عن عبدالله قال قلت: أنت سمعت هذا من عبدالله؟ قال: نعم، فرفعه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أحد أعز من الله، فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله فلذلك مدح نفسه»^(١).

قوله عز وجل: ﴿والإثم﴾، يعني: الذنب والمعصية. وقال الضحاك: الذنب الذي لا حد فيه. قال الحسن: الإثم: الخمر. قال الشاعر:
شربت الإثم حتى ضل عقلي كذاك الإثم تذهب بالعقول
﴿والبغي﴾، الظلم والكبر، ﴿بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً﴾، حجة وبرهاناً، ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾، في تحريم الحرث والأنعام، في قول مقاتل. وقال غيره. هو عام في تحريم القول في الدين من غير يقين.

﴿ولكل أمة أجل﴾، مدة، وأكل وشرب. وقال ابن عباس وعطاء والحسن: يعني وقتاً لنزول العذاب بهم، ﴿فإذا جاء أجلهم﴾، وانقطع أكلهم، ﴿لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾، أي: ولا يتقدمون. وذلك حين سألو العذاب فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿يا بني آدم إنا يأتينكم رسل منكم﴾، أي: أن يأتينكم. قيل: أراد جميع الرسل.

(١) أخرجه البخاري في التفسير، سورة الأنعام، باب «ولا تقربوا الفواحش»: ٢٩٦/٨، وفي التوحيد، وفي النكاح. ، ومسلم في التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، برقم (٢٧٦٠): ٢١١٣/٤ - ٢١١٤.

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾
 فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ النَّصِيبُ مِمَّنِ الْكَذِبِ حَتَّىٰ
 إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيُّنَا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا
 وَشَهِدُوا عَلَيْنَا فَنفْسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

وقال مقاتل: أراد بقوله: ﴿يا بني آدم﴾ مشركي العرب وبالرسل محمداً ﷺ وحده، ﴿يقضون عليكم آياتي﴾، قال ابن عباس: فرائضي وأحكامي، ﴿فمن اتقى وأصلح﴾، أي: اتقى الشرك وأصلح عمله. وقيل: أخلص ما بينه وبين ربه ﴿فلا خوف عليهم﴾، إذا خاف الناس، ﴿ولا هم يحزنون﴾، أي: إذا حزنوا.

﴿والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها﴾، تكبروا على الإيمان بها، وإنما ذكر الاستكبار لأن كل مكذب وكافر متكبر. قال الله تعالى ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾ (الصفات، ٣٥)، ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

قوله تعالى: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ جعل له شريكاً، ﴿أو كذب بآياته﴾، بالقرآن، ﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾، أي: حظهم مما كتب لهم في اللوح المحفوظ. واختلفوا فيه، قال الحسن والسدي: ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون. قال عطية عن ابن عباس: كتب لمن يفترى على الله أن وجهه مسود، قال الله تعالى: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾ (الزمر، ٦٠).

وقال سعيد بن جبير ومجاهد: ما سبق لهم من الشقاوة والسعادة.

وقال ابن عباس وقتادة / والضحاك: يعني أعمالهم التي عملوها وكتب عليهم من خير وشراً يجزي عليها.

وقال محمد بن كعب القرظي: ما كتب لهم من الأرزاق والآجال والأعمار والأعمال فإذا فنيت، ﴿جاءتهم رسالتنا يتوفونهم﴾، يقبضون أرواحهم يعني ملك الموت وأعوانه، ﴿قالوا﴾، يعني يقول الرسل للكافر، ﴿أين ما كنتم تدعون﴾، تعبدون، ﴿من دون الله﴾، سؤال تبيكيت وتقريع، ﴿قالوا ضلوا عنا﴾، بطلوا وذهبوا عنا، ﴿وشهدوا على أنفسهم﴾، اعترفوا عند معاينة الموت، ﴿أنهم كانوا كافرين﴾.

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَبْتُمْ وَأُؤْلِنْتُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلَّوْنَا فَسَاتِرْتَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَتْ أُؤْلِنْتُمْ لِأُخْرَبْتَهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٣٠﴾

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾، يعني: يقول الله لهم يوم القيامة ادخلوا في أمم، أي: مع جماعات، ﴿قَدْ خَلَتْ﴾، مضت، ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾، يعني كفار الأمم الخالية، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا﴾، يريد أختها في الدين لا في النسب، فتلعن اليهود اليهود والنصارى النصارى، وكل فرقة تلعن أختها ويلعن الأتباع القادة، ولم يقل أخاها لأنه عنى الأمة والجماعة، ﴿حَتَّىٰ إِذَا دَارَكُوا فِيهَا﴾، أي: تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا في النار، ﴿جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ﴾، قال مقاتل: يعني أخراهم دخولا النار وهم الأتباع، ﴿لَأُولَاهُمْ﴾، أي: لأولاهم دخولا وهم القادة، لأن القادة يدخلون النار أولاً. وقال ابن عباس: يعني آخر كل أمة لأولاهم. وقال السدي: أهل آخر الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين، ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ﴾، الذين، ﴿أَضَلَّوْنَا﴾، عن الهدى يعني القادة ﴿فَسَاتِرْتَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾، أي: ضَعَّفَ عليهم العذاب، ﴿قَالَ﴾، الله تعالى، ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ﴾، يعني للقادة والأتباع ضعف من العذاب، ﴿وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ ما لكل فريق منكم من العذاب.

قرأ الجمهور: «ولكن لا تعلمون»، وقرأ أبو بكر «لا يعلمون» بالياء، أي: لا يعلم الأتباع ما للقادة ولا القادة ما للأتباع.

﴿وَقَالَتْ أُؤْلِنْتُمْ﴾، يعني القادة ﴿لَأُخْرَاهُمْ﴾، للأتباع، ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾، لأنكم كفرتم كما كفرنا فنحن وأنتم في الكفر سواء وفي العذاب سواء، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ﴾، بالفاء، خفف أبو عمرو، وبالياء،

لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾
 وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ
 الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ
 تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

خفف حمزة والكسائي، والباقون بالتاء مشددة، ﴿أبوابُ السماء﴾، لأدعيتهم ولا لأعمالهم. وقال ابن عباس: لأرواحهم لأنها خبيثة لا يصعد بها بل يهوى بها إلى سجين، إنما تفتح أبواب السماء لأرواح المؤمنين وأدعيتهم وأعمالهم، ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾، أي: حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة، والخياط والمخيطة الإبرة، والمراد منه: أنهم لا يدخلون الجنة أبداً لأن الشيء إذا غلق بما يستحيل كونه يدل ذلك على تأكيد المنع، كما يقال: لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب أو يبيض القار. يريد لا أفعله أبداً. ﴿وكذلك نجزي المجرمين﴾.

﴿لهم من جهنم مهاد﴾، أي: فراش، ﴿ومن فوقهم غواش﴾، أي: لحف. وهي جمع غاشية، يعني ما غشاهم وغطاهم، يريد إحاطة النار بهم من كل جانب، كما قال الله، ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾ (الزمر، ١٦)، ﴿وكذلك نجزي المجرمين﴾.

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نُكفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾، أي: طاقتها وما لا تخرج فيه ولا تضيق عليه، ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾.

﴿ونزعنا﴾ وأخرجنا، ﴿ما في صدورهم من غل﴾، من غش وعداوة كانت بينهم في الدنيا فجعلناهم إخواناً على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضاً على شيء خص الله به بعضهم. ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾، روى الحسن عن علي رضي الله عنه قال: فينا والله أهل بدر نزلت: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين﴾^(١).

وقال علي رضي الله عنه أيضاً: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال

(١) قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص (٦٤): «رواه ابن سعد من رواية جعفر بن محمد عن أبيه، والطبري من رواية معمر عن قتادة عن علي، وكلاهما منقطع. وفي ابن أبي شيبة من رواية ربيعي عن علي، وهو متصل».

لهم الله عز وجل: «ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ».

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخَلَّصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمِ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُدُّبُوا وَنُقُوا أُذُنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»^(١).

وقال السدي في هذه الآية: ؛ إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة وجدوا عند بابها شجرة، في أصل ساقها عينان، فشربوا من إحداهما، فينزع ما في صدورهم من غلٍ، فهو الشراب الطهور، واغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعثوا ولن يسحنوا بعدها أبداً، أي إلى هذا، يعني طريق الجنة.

وقال سفيان الثوري: معناه هداانا لعمل هذا ثوابه، ﴿وَمَا كُنَّا﴾، قرأ ابن عامر: «ما كنا» بلا واو، ﴿لِنَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾، هذا قول أهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عياناً، ﴿وَنُودُوا أَنْ تَتَكَّمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، قيل: هذا النداء إذا رأوا الجنة من بعيد نودوا أن تلکم الجنة. وقيل: هذا النداء يكون في الجنة.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة الخطيب أنبأنا أبو طاهر محمد بن الحارث أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا عبدالله بن محمد أنبأنا إبراهيم بن عبدالله الخلال حدثنا عبدالله بن المبارك عن سفيان عن أبي إسحاق عن الأغر عن أبي سعيد وعن أبي هريرة قالاً: ينادي منادٍ: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، فذلك قوله: ﴿وَنُودُوا أَنْ تَتَكَّمُ الْجَنَّةُ، أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، هذا حديث صحيح أخرجه مسلم بن الحجاج عن إسحاق بن إبراهيم وعبدالرحمن بن حميد عن عبد الرزاق عن سفيان الثوري بهذا الاسناد مرفوعاً^(٢).

(١) أخرجه البخاري في الرقاق، باب القصاص يوم القيامة: ٣٩٥/١١، وفي المظالم، والمصنف في شرح السنة: ١٩٦/١٥.

(٢) أخرجه مسلم في الجنة، باب في دوام نعيم أهل الجنة، برقم (٢٨٣٧): ٢١٨٢/٤.

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمَّا دَخَلُوا وَهُمْ يُطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾

وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلَةٌ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ يَرِثُ الْمُؤْمِنَ مَنْزِلَةً مِنَ النَّارِ، وَالْمُؤْمِنُ يَرِثُ الْكَافِرَ مَنْزِلَةً مِنَ الْجَنَّةِ»^(١)

قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾، من الثواب، ﴿حَقًّا﴾، أي صدقاً، ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾، من العذاب، ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾، قرأ الكسائي بكسر العين حيث كان، والباقون بفتحها وهما لغتان، ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾، أي: نادى منادٍ أسمع الفريقين، ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم: «أَنْ» خفيف، «لَعْنَةُ»، رفع، وقرأ الآخرون بالتشديد، «لَعْنَةُ اللَّهِ» نصب على الظالمين، أي: الكافرين. / ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾، أي: يصرفون الناس، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، طاعة الله، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾، أي: يطلبونها زيغاً وميلاً، أي: يبطلون سبيل الله جاثرين عن القصد.

١/١٣٠

قال ابن عباس: يصلون لغير الله، ويعظمون ما لم يعظمه الله. والعوج - بكسر العين - في الدين والأمر والأرض وكل ما لم يكن قائماً، وبالفتح في كل ما كان قائماً كالحائط والرمح ونحوهما. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾، يعني: بين الجنة والنار. وقيل: بين أهل الجنة وبين أهل النار حجاب، وهو السور الذي ذكر الله تعالى في قوله: «فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ سُورًا لَهَا بَابٌ» (الحديد، ١٣).

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾، والأعراف هي ذلك السور الذي بين الجنة والنار، وهي جمع عُرف، وهو اسم للمكان المرتفع، ومنه عرف الديك لارتفاعه عما سواه من جسده. وقال السدي: سُمي ذلك السور أعرافاً لأن أصحابه يعرفون الناس.

واختلفوا في الرجال الذين أخبر الله عنهم أنهم على الأعراف: فقال حذيفة وابن عباس: هم

(١) أخرجه ابن أبي حاتم. انظر تفسير ابن كثير: ١٣٥/٢.

قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار ، فوقفوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء ، ثم يُدخلهم الجنة بفضل رحمته ، وهم آخر من يدخل الجنة .

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله بن محمود أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال ثنا عبدالله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي قال : قال سعيد بن جبير ، يُحدّث عن ابن مسعود قال : يُحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ، ثم قرأ قول الله تعالى : (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم) (الأعراف ٨ - ٩) . ثم قال : إن الميزان يخف بمثقال حبة أو يرجح^(١) . قال : ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط ، ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلاماً عليكم ، وإذا صرفوا أبصارهم إلى أصحاب النار قالوا ربّنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ، فأما أصحاب الحسنات فإنهم يُعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيامانهم ، ويُعطى كل عبدٍ [يومئذ]^(٢) نوراً فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة ، [فلما]^(٣) رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا ربّنا أتمم لنا نورنا .

فأما أصحاب الأعراف فإن النور لم ينزع من بين أيديهم ، ومنعتهم [سيئاتهم]^(٤) أن يمضوا فبقي في قلوبهم الطمع إذ لم يُنزع النور من بين أيديهم ، فهناك يقول الله : «لم يدخلوها وهم يطمعون» ، وكان الطمع النور الذي [بين أيديهم]^(٥) ، ثم أدخلوا الجنة ، وكانوا آخر أهل الجنة دخولاً .

وقال شرحبيل بن سعد : أصحاب الأعراف قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم . ورواه مقاتل في تفسيره مرفوعاً : هم رجال غزوا في سبيل الله [عصاة لأبائهم فقتلوا ، فأعتقوا من النار بقتلهم في سبيل الله]^(٦) ، وحُبسوا عن الجنة بمعصية آبائهم ، فهم آخر من يدخل الجنة .

وروي عن مجاهد : أنهم أقوام رضي عنهم أحد الأبوين دون الآخر ، يُحبسون على

(١) أخرجه الطبري في التفسير : ١٩٠/٨ - ١٩١ (طبع الحلبي) ، وانظر : الدر المنثور : ٤٦١/٣ .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) في «ب» : (فإذا) .

(٤) في «أ» (السيئات) .

(٥) في «أ» : (في قلوبهم) .

(٦) ساقط من «ب» .

﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ٤٧ ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ٤٨ ﴿ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۖ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ ٤٩

[الأعراف] (١) إلى أن يقضي الله بين الخلق، ثم يدخلون الجنة.

وقال عبدالعزیز بن یحیی الكناني: هم الذين ماتوا في الفترة ولم يُبدلوا دينهم.

وقيل: هم أطفال المشركين. وقال الحسن: هم أهل الفضل من المؤمنين علوا على الأعراف فيطلعون على أهل الجنة وأهل النار جميعاً، ويظالعون أحوال الفريقين.

قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كَلًّا بِسِيمَانِهِمْ﴾، أي: يعرفون أهل الجنة ببياض وجوههم وأهل النار بسواد وجوههم. ﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾، أي: إذا رأوا أهل الجنة قالوا سلام عليكم، ﴿لَمْ يَدْخُلُوها﴾، يعني: أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة، ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾، في دخولها، قال أبو العالية: ما جعل الله ذلك الطمع فيهم إلا كرامة [يريد] (٢) بهم، قال الحسن: الذي جعل الطمع في قلوبهم يُوصلهم إلى ما يطمعون.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾، تعوّدوا بالله، ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، يعني: الكافرين في النار.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجَالًا﴾، كانوا عظماء في الدنيا من أهل النار، ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾، في الدنيا من المال والولد، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، عن الإيمان. قال الكلبي: ينادون وهم على السور: يا وليد بن المغيرة يا أبا جهل بن هشام يا فلان، ثم ينظرون إلى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزؤون بهم، مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال وأشباههم، فيقول أصحاب الأعراف لأولئك الكفار:

﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾، حلفتهم، ﴿لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾، أي: حلفتهم أنهم لا يدخلون الجنة. ثم يقال لأهل الأعراف: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، وفيه قول آخر: أن

(١) في «ب»: (الصراط).

(٢) في «ب»: (يريدها).

وَنَادَى أَصْحَابَ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ
 قَالُوا إِنَّمَا اللَّهُ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا
 وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا
 وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى
 وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ
 مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ مِنَّا بِالْحَقِّ فَمَا كَانُوا يَنْصَتُونَ فَكَيْفَ يُعْلَمُ أَنَّ رُسُلَنَا بِرَحْمَةٍ
 مِّنَ اللَّهِ يَدْعُونَ لَهُمْ لِيُبْرِئَهُم مِّنَ ذُنُوبِهِمْ وَيَرْزُقَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَنَّ لَكُم مِّنَ اللَّهِ
 رِزْقًا يُغْنِيكُمْ وَأَنَّ الْجَنَّةَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّلُ الْوَعْدَ اللَّهُ شَيْئًا لَّئِن لَّمْ يَظْهَرِ عَلَيْكُمْ
 آيَاتُنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٤﴾

أصحاب الأعراف إذا قالوا لأهل النار ما قالوا، قال لهم أهل النار: إن دخل أولئك الجنة وأنتم لم تدخلوها. فيعيرونهم بذلك، ويُقسمون أنهم يدخلون النار، فتقول الملائكة الذين حبسوا أصحاب الأعراف على الصراط لأهل النار: أهؤلاء، يعني: أصحاب الأعراف، الذين أقسمتم يا أهل النار أنهم لا ينالهم الله برحمة، ثم قالت الملائكة لأصحاب الأعراف: «أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون» فيدخلون الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابَ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾، أي: أوسعوا علينا مما رزقكم الله من طعام الجنة.

قال عطاء عن ابن عباس: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار في الفرج، وقالوا: يا رب إن لنا قرابات من أهل الجنة، فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فينظروا إلى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم ولم يعرفهم أهل الجنة لسواد وجوههم، فينادي أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم، وأخبروهم بقراباتهم: أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، يعني: الماء والطعام، ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾، وهو ما زين لهم الشيطان من تحريم البحيرة وأخواتها، والمكاء والتصدية حول البيت، وسائر الخصال الذميمة، التي كانوا يفعلونها في الجاهلية. وقيل: دينهم أي عيدهم، ﴿وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ﴾، نتركهم في النار، ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾، أي: كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ
يُعْشَى الْيَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ
الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾

﴿ولقد جئناهم بكتاب﴾، يعني القرآن ﴿فصلناه﴾، بيناه ﴿على علم﴾، من أليما يصلحهم، ﴿هدى﴾
ورحمة، أي: جعلنا القرآن هادياً وذا رحمة، ﴿لقوم يؤمنون﴾ / ﴿هل ينظرون﴾ أي: هل ينتظرون، ١٣٠/ب
﴿إلا تأويله﴾، قال مجاهد: جزاءه. وقال السدي: عاقبته. ومعناه: هل ينتظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم،
في العذاب ومصيرهم إلى النار. ﴿يوم يأتي تأويله﴾ أي: جزاؤه وما يؤول إليه أمرهم، ﴿يقول الذين
نُوه من قبل قد جاءت رسلنا بالحق﴾، اعترفوا به حين لا ينفعهم الاعتراف، ﴿فهل لنا﴾، اليوم،
﴿من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد﴾، إلى الدنيا، ﴿فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم﴾،
أهلكوها بالعذاب، ﴿وضل﴾، [وبطل] (١)، ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، أراد به في مقدار
ستة أيام لأن اليوم من لدن طلوع الشمس إلى غروبها، ولم يكن يومئذ يوم ولا شمس ولا سماء. قيل:
ستة أيام كأيام الآخرة وكل يوم كالف سنة. وقيل: كأيام الدنيا. قال سعيد بن جبير: كان الله عز وجل
قادراً على خلق السموات والأرض في لمحة ولحظة، فخلقهن في ستة أيام [تعليماً] (٢) لخلقهن التثبت
والتأني في الأمور. وقد جاء في الحديث: «التأني من الله والعجلة من الشيطان» (٣).

﴿ثم استوى على العرش﴾، قال الكلبي ومقاتل: استقر. وقال أبو عبيدة: صعد. وأولت
المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، وأما أهل السنة فيقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى، بلا
كيف، يجب على الرجل الإيمان به، ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل. وسأل رجل مالك بن أنس
عن قوله: (الرحمن على العرش استوى) [طه - ٥]، كيف استوى؟ فأطرق رأسه ملياً، وعلاه

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب»: (تعظيماً).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد بن منيع والحاثر بن أبي أسامة، وأخرجه أيضاً البيهقي في السنن عن أنس بن مالك: ١٠٤/١٠، وعزاه
الهيثمي أيضاً لأبي يعلى، وقال: رجاله رجال الصحيح. انظر: المطالب العالمة لابن حجر: ٣٥/٣، كشف الخفاء للعجلوني:
٣٥٠/١، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٧٦/١٣.وله شاهد عند الترمذي في البر، باب ما جاء في الثاني والعجلة: ١٥٣/٦، عن سهل بن سعد بلفظ: «الأناة من الله...» وقال: هذا
حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبدالمهيمن بن عباس، وضعفه من قبل حفظه.

الرَّحْضَاءَ، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالاً، ثم أمر به فأخرج.

وروي عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهة: أمرؤها كما جاءت بلا كيف.

والعرش في اللغة: هو السرير. وقيل: هو ما علا فأظلم، ومنه عرش الكروم. وقيل: العرش المُلْك.

﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب: «يُغْشِي» بالتشديد ها هنا وفي سورة الرعد، والباقون بالتخفيف، أي: يأتي الليل على النهار فيغطيه، وفيه حذف أي: ويغشي النهار الليل، ولم يذكره لدلالة الكلام عليه وذكر في آية أخرى فقال: «يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ» [الزمر - ٥]، ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾، أي: سريعاً، وذلك أنه إذا كان يعقب أحدهم الآخر ويخلفه، فكأنه يطلبه. ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ مَسْحَرَاتٍ﴾، قرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر، والباقون بالنصب، وكذلك في سورة النحل عطفاً على قوله: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ»، أي: خلق هذه الأشياء مسحرات، أي: مُذَلَّلَاتٍ ﴿بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾، له الخلق لأنه [خلقهم]^(١)، وله الأمر، يأمر في خلقه بما يشاء. قال سفيان بن عيينة: فرّق الله بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر.

﴿تَبَارَكَ اللهُ﴾، أي: تعالى الله وتعظّم. وقيل: ارتفع. والمبارك المرتفع. وقيل: تبارك تفاعل من البركة وهي النماء والزيادة، أي: البركة تُكْتَسَبُ وتُنَالُ بذكره.

وعن ابن عباس قال: جاء بكل بركة. وقال الحسن: تجيء البركة من قبله وقيل: تبارك: تقدّس. والقُدُس: الطهارة. وقيل: تبارك الله أي: باسمه يُتَبَرَّكُ في كل شيء. وقال المحققون: معنى هذه [الصفة]^(٢) ثبت ودام بما لم يزل ولا يزال. وأصل البركة الثبوت. ويُقال: تبارك الله، ولا يقال: متبارك ولا مبارك، لأنه لم يرد به التوقيف. ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

(١) في «ب»: (أمرهم).

(٢) في «ب»: (الآية).

أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تَقْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾، تذللًا واستكانةً، ﴿وْخُفْيَةً﴾ أي سرًّا. قال الحسن: بين دعوة السرِّ ودعوة العلانية سبعون ضعفًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمع لهم صوت، وإن كان، إلا همسًا بينهم وبين ربِّهم، وذلك أن الله سبحانه يقول: «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً»، وإن الله ذكرَ عبداً صالحاً ورضي فعله فقال: «إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا». [مريم - ٣]. ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، قيل: المعتدين في الدعاء. وقال أبو مجلز: هم الذين يسألون منازل الأنبياء عليهم السلام.

أخبرنا محمد بن عبدالعزيز القاشاني، أنبأنا القاسم بن جعفر الهاشمي، أنبأنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي، ثنا أبو داود السجستاني، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد يعني ابن سلمة، أنبأنا سعيد الجريري، عن أبي نعام أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: يا بني سل الله الجنة وتعود من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء»^(١).

وقيل: أراد به الاعتداء بالجهر [والصياح]^(٢)، قال ابن جريج: من الاعتداء رفع الصوت والنداء بالدعاء والصياح.

وروينا عن أبي موسى قال لما غزا رسول الله ﷺ خيبر أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير، فقال رسول الله ﷺ: «ارْتَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا»^(٣). وقال عطية: هم الذين يدعون على المؤمنين فيما لا يحل، فيقولون: اللهم أخزهم اللهم عنهم.

(١) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب الإسراف في الماء: ٨٧/١، وابن ماجه في الدعاء، باب كراهية الاعتداء في الدعاء، برقم (٣٨٦٤) بلفظ: «سيكون قوم يعتدون في الدعاء...»: ١٢٧١/٢، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي: ٥٠٤/١، وابن حبان، برقم (١٧١) ص (٧٠-٧١) من موارد الظمان، والإمام أحمد في المسند: ١٧٢/١، ١٨٣ عن سعد بن أبي وقاص، و٨٧، ٨٦/٤، ٨٧، ٥٥/٥ من حديث عبدالله بن مغفل. وساقه ابن كثير في التفسير: ٢٢٢/٢ - ٢٢٣ وقال: «وهو إسناد حسن لا بأس به».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد، باب غزوة خيبر: ٤٧٠/٧، وفي الدعوات وفي التوحيد وفي الجهاد، وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب خفض الصوت بالذكر، برقم (٢٧٠٤) - ٢٠٧٦/٤، والمصنف في شرح السنة: ٦٦/٥.

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا
سُقِنَتْهُ لِبَلَدٍ مَّيْمَنٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۗ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ
إِلَّا نَجِسَاتٌ ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

﴿ولا تُفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾، أي لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة، والدعاء إلى طاعة الله، وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي.

وقال عطية: لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم. فعلى هذا معنى قوله: «بعد إصلاحها» أي: بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب.

﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، أي: خوفاً منه ومن عذابه، وطمعاً فيما عنده من مغفرته وثوابه. وقال ابن جريج: خوف العدل وطمع الفضل. ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ولم يقل قريبة، قال سعيد بن جبیر: الرحمة هاهنا الثواب فرجع النعت إلى المعنى دون اللفظ كقوله: (وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فازروهم منه) [النساء - ٨] ولم يقل منها لأنه أراد الميراث والمال. وقال الخليل بن أحمد: القريب والبعيد يستوي فيهما في اللغة: المذكر والمؤنث والواحد والجمع. قال أبو عمرو بن العلاء: القريب في اللغة يكون بمعنى القرب وبمعنى المسافة، تقول العرب: هذه امرأة قريبة منك إذا كانت بمعنى القرابة، وقريب منك إذا كانت بمعنى المسافة.

قوله تعالى: ﴿وهو الذي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا﴾، قرأ عاصم «بُشْرًا» بالباء وضمها وسكون الشين / هاهنا وفي الفرقان وسورة النمل، ويعني: أنها تبشر بالمطر بدليل قوله تعالى: (الرياح مبشرات) [الروم - ٤٦]، [وقرأ حمزة والكسائي «نُشْرًا» بالنون وفتحها، وهي الريح الطيبة اللينة، قال الله تعالى]:^(١) (والناشرات نُشْرًا) [المرسلات - ٣]، وقرأ ابن عامر بضم النون وسكون الشين، وقرأ الآخرون بضم النون والشين، جمع نشور، مثل صبور وصبور ورسول ورسول، أي: متفرقة وهي الرياح التي تهب من كل ناحية ﴿بين يدي رحمته﴾، أي: قدام المطر.

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أنبأنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنبأنا أبو العباس الأصم أنبأنا الربيع أنبأنا الشافعي أنبأنا الثقة عن الزهري عن ثابت بن قيس عن أبي هريرة قال: أخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت، فقال عمر رضي الله عنه لمن حوله: ما بلغكم في الريح فلم يرجعوا إليه شيئاً، فبلغني الذي سألت [عمر عنه من أمر الريح] (١) فاستحسنت راحلتي حتى أدركت عمر رضي الله عنه، وكنت في مؤخر الناس، فقلت: يا أمير المؤمنين أخبرت أنك سألت عن الريح وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الريح من روح الله تأتي بالرحمة وبالعذاب فلا تسبوها، وسلوا الله من خيرها، وتعوذوا به من شرها» (٢)، ورواه عبدالرزاق عن معمر عن الزهري بإسناده (٣).

﴿حتى إذا أقلت﴾، حملت الرياح، ﴿سحاباً ثقالاً﴾، بالمطر، ﴿سقناه﴾، ورد الكناية إلى السحاب، ﴿لبلد ميمت﴾، أي: إلى بلد ميت محتاج إلى الماء. وقيل: معناه لإحياء بلد ميمت لا نبات فيه ﴿فأنزلنا به﴾، أي: بالسحاب. وقيل: بذلك البلد الميت ﴿الماء﴾، يعني: المطر، ﴿فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى﴾، استدل بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء الموتى، ﴿لعلكم تذكرون﴾، قال أبو هريرة وابن عباس: إذا مات الناس كلهم في النفخة الأولى أرسل الله عليهم مطراً كميتي الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان، فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح، ثم يلقي عليهم النوم فينامون في قبورهم، ثم يحشرون بالنفخة الثانية وهم يجدون طعم النوم في رؤوسهم وأعينهم، فعند ذلك يقولون: (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) [يس - ٥٢].

قوله عز وجل: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾، هذا مثل ضربه الله عز وجل للمؤمن والكافر فمثل المؤمن مثل البلد الطيب، يصيبه المطر فيخرج نباته بإذن ربه، ﴿والذي خبث﴾، يريد الأرض السبخة التي، ﴿لا يخرج﴾، نباتها، ﴿إلا نكدًا﴾، قرأ أبو جعفر بفتح الكاف، وقرأ الآخرون بكسرها، أي: عسراً قليلاً بعناء ومشقة.

(١) ساقط من (ب).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ص (٢٦٤)، وأبو داود في الأدب، باب القول إذا هاجت الريح: ٤/٨، واللفظ له، وابن ماجه في الأدب، باب النهي عن سب الريح: ١٢٢٨/٢، والشافعي في المسند: ١٧٥/١ - ١٧٦، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص (٥٢٠)، والطحاوي في مشكل الآثار: ٣٩٩/١، واليهقي في الدعوات الكبير (انظر: مشكاة المصابيح: ٤٨٠/١)، وصححه ابن حبان ص (٤٨٨) من الموارد، والحاكم في المستدرک ٢٨٥/٤، والإمام أحمد في المسند: ٢٦٨/٢، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٩١/٤، وإسناده صحيح.

(٣) انظر: المصنف للإمام عبدالرزاق: ٨٩/١١.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥١﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٢﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾ أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مَن اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾

فالأول: مثل المؤمن الذي إذا سمع القرآن وعاه وعقله وانفتح به، والثاني: مثل الكافر الذي يسمع القرآن فلا يؤثر فيه، كالبلد الخبيث الذي لا يتبين أثر المطر فيه ﴿كذلك نُصِرَفُ الْآيَاتِ﴾، نبينها، ﴿لقوم يشكرون﴾.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا محمد بن العلاء حدثنا حماد بن أسامة عن يزيد بن عبدالله عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوها وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(١).

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾، وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس، وهو أول نبي بُعث بعد إدريس، وكان نجاراً بعثه الله إلى قومه وهو ابن خمسين سنة. وقال ابن عباس: ابن أربعين سنة. وقيل: بُعث وهو ابن مائتين وخمسين سنة^(٢). وقال مقاتل: ابن مائة سنة. وقال ابن عباس: سُمي نوحاً لكثرة ما نوح على نفسه.

واختلفوا في سبب نوحه فقال بعضهم: لدعوته على قومه بالهلاك. وقيل: لمراجعته ربه في شأن ابنه كنعان. وقيل: لأنه مرّ بكلب مجذوم، فقال: احسأ يا قبيح فأوحى الله تعالى إليه: أُعْبَتِي أُمَّ عِبَتِ الْكَلْبُ؟ ﴿فقال﴾، لقومه، ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرهُ﴾، قرأ أبو جعفر والكسائي ﴿من

(١) أخرجه البخاري في العلم، باب فضل من علم وعلم: ١/١٧٥، ومسلم في الفضائل، باب بيان ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم،

برقم (٢٢٨٢): ٢/١٧٨٧. والمصنف في شرح السنة: ١/٢٨٧.

(٢) في «ب»: (مائة وخمسين سنة).

أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿١٤﴾ وَالْإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾

إله غيره ﴿١٣﴾، بكسر الراء حيث كان، على نعت الإله، وافق حمزة في سورة فاطر: (هل من خالقي غير الله) (فاطر - ٣)، وقرأ الآخرون برفع الراء على التقديم، تقديره: مالكم غيره من إله، ﴿إني أخاف عليكم﴾، إن لم تؤمنوا، ﴿عذاب يوم عظيم﴾.

﴿قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلالٍ﴾، خطأ وزوال عن الحق، ﴿مبين﴾، بين.

﴿قال﴾، نوح، ﴿يا قوم ليس بي ضلالة﴾، ولم يقل ليست، لأن معنى الضلالة: الضلال أو على تقديم الفعل، ﴿ولكنني رسولٌ من ربِّ العالمين﴾.

﴿أبلغنكم﴾، قرأ أبو عمرو: «أبلغكم» بالتخفيف حيث كان من الإبلاغ. لقوله: (لقد أبلغتكم) [الأعراف - ٩٣]، ﴿رسالات ربي﴾، [«ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم»، وقرأ الآخرون بالتشديد من التبليغ، لقوله تعالى: (بلغ ما أنزل إليك) (المائدة - ٦٧)، رسالات ربي] (١)، ﴿وأنصح لكم﴾، يقال نصحته ونصحت له. والنصح أن يريد لغيره من الخير ما يريد لنفسه، ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾، أن عقابه لا يرد عن القوم المجرمين.

﴿أوعجبتكم﴾، ألف استفهام دخلت على واو العطف، ﴿أن جاءكم ذكرٌ من ربكم﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: موعظة. وقيل: بيان. وقيل: رسالة. ﴿على رجلٍ منكم لينذركم﴾، عذاب الله إن لم تؤمنوا، ﴿ولتتقوا﴾، أي: لكي تتقوا الله، ﴿ولعلكم تُرحموا﴾، لكي ترحموا.

﴿فكذبوه﴾، يعني: كذبوا نوحاً، ﴿فأنجيناه﴾، من الطوفان، ﴿والذين معه في الفلك﴾، في

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصُطَةً فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَدِّ لُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمَيِّئِمْوَهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ فَأَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنُنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

السفينة، ﴿وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عَمِينَ﴾، أي: كفاراً. قال ابن عباس: عميت قلوبهم عن معرفة الله. قال الزجاج: عموا عن الحق والإيمان، يقال رجل عمٍ عن الحق وأعمى في البصر. وقيل: العمي والأعمى كالخضر والأخضر. قال مقاتل: عموات عن نزول العذاب بهم وهو الغرق.

قوله تعالى: ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾، أي: وأرسلنا إلى عاد - وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام -، وهي عاد الأولى «أخاهم» في النسب لا في الدين «هوداً»، وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص. وقال ابن إسحاق: هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح، ﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾، أفلا تخافون نقمته؟

﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك﴾، يا هود، ﴿في سفاهة﴾، في حمق وجهالة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: تدعوننا إلى دين لا نعرفه، ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾، أنك رسول الله إلينا.

﴿قال﴾، هود ﴿يا قوم ليس / بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين﴾.

ب/١٣١

﴿أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾، ناصح أدعوكم إلى التوبة أمين على الرسالة. قال الكلبي: كنت فيكم قبل اليوم أميناً.

﴿أوعجبتكم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم﴾، يعني نفسه، ﴿ليُنذركم. واذكروا إذ

جعلكم خُلَفَاءَ ﴿١﴾، يعني في الأرض، ﴿من بعد قوم نوح﴾، أي: من بعد إهلاكهم، ﴿وزادكم في الخلق بسطة﴾، أي: طولاً وقوة. قال الكلبي والسدي: كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع، وقامة القصير منهم ستون ذراعاً. وقال أبو حمزة الثمالي: سبعون ذراعاً. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ثمانون ذراعاً. وقال مقاتل: كان طول كل رجل اثني عشر ذراعاً. وقال وهب: كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة وكان عين الرجل تفرخ فيها الضَّبَاع، وكذلك مناخرهم. ﴿فاذكروا آلاءَ الله﴾، نَعَمْ اللهُ، واحداها إلى وآلاء مثل مَعَى وأمعاء، وقفاء وأقفاء، ونظيرها: (آناء الليل) (الزمر - ٩)، واحداها أنا وآناء، ﴿لعلكم تفلحون﴾.

﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾، من الأصنام، ﴿فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾، من العذاب، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿قال﴾، هود، ﴿قد وقع﴾، وجب ونزل، ﴿عليكم من ربكم رجس﴾ أي: عذاب، والسين مبدلة من الزاي، ﴿وغضب﴾، أي: سخط، ﴿أتجادلونني في أسماءٍ سميتموها﴾، وضعتموها، ﴿أنتم وآباؤكم﴾، قال أهل التفسير: كانت لهم أصنام يعبدونها سموها أسماء مختلفة، ﴿ما نزل الله بها من سلطان﴾، حجة وبرهان، ﴿فانتظروا﴾، نزول العذاب، ﴿إني معكم من المنتظرين﴾.

﴿فأنجيناه﴾، يعني هوداً عند نزول العذاب، ﴿والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا﴾، أي: استأصلناهم وأهلكناهم عن آخرهم، ﴿وما كانوا مؤمنين﴾.

وكانت قصة عاد على ما ذكر محمد بن إسحاق وغيره: (١) أنهم كانوا قوماً ينزلون اليمن وكانت مساكنهم بالأحقاف، وهي رمال بين عمان وحضرموت، وكانوا قد فشاوا في الأرض كلها وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله عز وجل، وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها، صنم يقال له صدى، وصنم يقال له صمود، وصنم يقال له الهباء، فبعث الله إليهم هوداً نبياً، وهو من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً، فأمرهم أن يُوحِّدوا الله ويكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم بغير ذلك، فكذبوه فقالوا من أشد منا قوة فبنوا المصانع وبطشوا بطشة الجبارين، فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك.

(١) ساق هذه القصة الحافظ ابن كثير في التفسير: ٢٢٦/٢ - ٢٢٧ وفي البداية والنهاية: ١٢٦/١ - ١٢٧. وأشار إلى حديث يشبه هذه القصة، أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤٨٢/٣، والترمذي في التفسير، تفسير سورة الذاريات: ١٥٩/٩ - ١٦٢، ورواه أيضاً النسائي من حديث سلام بن أبي المنذر عن عاصم بن بهدلة، ومن طريقه رواه ابن ماجه أيضاً عن أبي وائل عن الحارث بن حسان البكري، انظر: ابن كثير، الموضع السابق، الدر المنثور: ٦٢٢/٧، مجمع الزوائد: ٩/٦ - ١٢.

وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء فطلبوا الفرج كانت طلبتهم إلى الله عز وجل عند بيته الحرام بمكة مسلمهم ومشركهم، فيجتمع بمكة ناس كثير شتى، مختلفة أديانهم وكلهم معظّم لمكة، وأهل مكة يومئذ العماليق سموا عماليق، لأن أباهم عمليق بن لاذا بن سام بن نوح، وكان سيد العماليق إذ ذاك بمكة رجل يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية كلهدة بنت الخيبري رجل من عاد، فلما قحط المطر عن عاد وجهدوا قالوا جهزوا وفداً منكم إلى مكة فليستسقوا لكم، فبعثوا قيل بن عنز، ولقيم بن هزال من هزيل، وعقيل بن صندين بن عاد الأكبر، ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلماً يكتنم إسلامه، وجلهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر، ثم بعثوا لقمان بن عاد الأصغر بن صندين بن عاد الأكبر، فانطلق كل رجل من هؤلاء ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلاً.

فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجاً من الحرم، فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان، قيتان لمعاوية بن بكر، وكان مسيرهم شهراً ومقامهم شهراً فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثنون بهم من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه، وقال هلك أخوالي وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي، والله ما أدري كيف أصنع بهم، أستحي أن أمرهم بالخروج إلى ما بعثوا إليه، فيظنون أنه ضيق مني بمقامهم عندي، وقد هلك من وراءهم من قومهم جهداً وعطشاً، فشكا ذلك من أمرهم إلى قيتيه الجرادتين، فقالتا: قل شعراً نغنيهم به، لا يدرون من قاله، لعل ذلك أن يحركهم، فقال معاوية بن بكر:

لَعَلَّ اللّٰهَ يُسْقِينَا غَمَامَا	أَلَا يَا قَيْلَ وَيَحْكُ قَمْ فَهَيْنِم
قَدْ أَمَسُوا لَا يَبِينُونَ الْكَلَامَا	فَيْسَقِي أَرْضَ عَادٍ إِنْ عَادَا
بِهِ الشَّيْخَ الْكَبِيرَ وَلَا الْغُلَامَا	مَنْ الْعَطَشَ الشَّدِيدِ فَلَيْسَ نَرْجُو
فَقَدْ أَمَسَتْ نَسَاؤُهُمْ أَيَامِي	وَقَدْ كَانَتْ نَسَاؤُهُمْ بَخِير
فَلَا تَخْشَى لِعَادِي سَهَامَا	وَإِنَّ الْوَحْشَ تَأْتِيهِمْ جَهَارَا
نَهَارُكُمْ وَلَيْلُكُمْ التَّمَامَا	وَأَنْتُمْ هَاهُنَا فِيمَا اشْتَهَيْتُمْ
وَلَا لَقُوا التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَا	فَقُبِّحَ وَفَدُّكُمْ مِنْ وَفْدِ قَوْمِ

فلما غتتهم الجرادتان هذا قال بعضهم لبعض: يا قوم إنما بعثكم قومكم يتغوثنون بكم من البلاء الذي نزل بهم، وقد أبطأتم عليهم، فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم، فقال مرثد بن سعد بن

عفير، وكان قد آمن بهود سراً: إنكم والله لا تُسقون بدعائكم، ولكن إن أطعتم نبيكم وأنتم إلى ربكم سقيتم، فأظهر إسلامه عند ذلك وقال:

عصت عادُ رسولَهُمْ فأمسوا عطاشاً ما تبلهم السماء
لهم صنم يُقال له صمودٌ يقابله صداءٌ والهباءُ
فبصّرنا الرسولُ سبيلَ رشدٍ فأبصرنا الهدى وجلى العماءُ
وإن إله هود هو إلهي على الله التوكّل والرجاءُ

فقالوا: لمعاوية بن بكر: احبس عنا مرثد بن سعد فلا يقدم معنا مكة، فإنه قد اتبع دين هود، وترك ديننا، ثم خرجوا إلى مكة يستسقون لعاد، فلما ولّوا إلى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى أدركهم قبل أن يدعوا الله بشيء مما خرجوا له، فلما انتهى إليهم قام يدعوا الله، وبها وفد عاد يدعون، فقال: اللهم أعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفد عاد، وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد، فقال وفد عاد: اللهم أعط قبلاً ما سألك واجعل سؤلنا مع سؤلته.

وكان قد تخلف عن وفد عاد - حين دعوا - لُقمان بن عاد، وكان سيّد عاد، حتى إذا فرغوا من دعوتهم قام، فقال: اللهم إني جئتك وحدي في حاجتي فأعطني سؤلي، وسأل الله طول العمر فعمر عمر سبعة أنسر، وقال قيل بن عنز حين دعا: يا إلهنا إن كان هود صادقاً فاسقنا فإننا قد هلكنا، فأنشأ الله سحائب ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء، ثم ناداه مُنادٍ من السحائب [يا قيل] (١) اختر لنفسك وقومك من هذه السحائب [ما شئت] (٢)، فقال قيل: / اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب ماءً فناداه مُنادٍ: اخترت رماداً رمدداً لا تبقي من آل عاد أحداً، وساق الله سبحانه وتعالى السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النعمة إلى عاد حتى خرجت عليهم من وادٍ لهم يقال له «المغيث»، فلما رأوها استبشروا وقالوا: هذا عارض ممطرنا، يقول الله تعالى: (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تُدمر كل شيء بأمر ربها) (الأحقاف - ٢٤ - ٢٥) أي: كل شيء مرّت به.

وكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد، فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صُغت، فلما أفاقت قالوا لها: ماذا رأيت؟ قالت: رأيت الريح فيها كسهب النار أمامها رجال يقودونها، فسخرها الله عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً، فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك، واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه هو ومن معه من الريح إلا ما تلين عليه الجلود وتلذ الأنفس، وإنها لتمرّ من عاد بالظعن فتحملهم بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة،

(١) زيادة من «ب».

وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فيبينما هم عنده إذا أقبل رجل على ناقة في ليلة مقمرة مساء ثالثة من مصاب عاد فأخبرهم الخبر، فقالوا له فأين فارقت هوداً وأصحابه؟ فقال: فارقتهم بساحل البحر فكأنهم شكوا فيما حدثهم به، فقالت هزيمة بنت بكر: صدق ورب مكة.

وذكروا أن مرثد بن سعد ولقمان بن عاد، وقيل بن عترة، حين دعوا بمكة، قيل لهم: قد أعطيتكم منكم فاختاروا لأنفسكم، إلا أنه لا سبيل إلى الخلود، ولا بُدَّ من الموت، فقال مرثد: اللهم أعطني صدقاً وبرا فاعطني ذلك، وقال لقمان: أعطني ياربُّ عمراً، فقيل له: اختر، فاختار عمر سبعة أنسر، فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها لقوته، حتى إذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى أتى على السابع، وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة، وكان آخرها لبد فلما مات لبد مات لقمان معه.

وأما قيل فإنه قال: أختار أن يصيبني ما أصاب قومي فقيل له: إنه الهلاك، فقال: لا أبالي لا حاجة لي في البقاء بعدهم، فأصابه الذي أصاب عاداً من العذاب فهلك.

قال السدي: بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال، تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فلما رأوها تبادروا البيوت فدخلوها وأغلقوا أبوابهم، فجاءت الريح فقلعت أبوابهم فدخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم من البيوت، فلما أهلكهم الله أرسل عليهم طيراً سوداء فنقلتهم إلى البحر فألقتهم فيه.

وروي أن الله عزَّ وجلَّ أمر الريح فأهالت عليهم الرمال، فكانوا تحت الرمل سبع ليالٍ وثمانية أيام لهم أنين تحت الرمل، ثم أمر الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم فرمت بهم في البحر ولم تخرج ريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ فإنها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها.

وفي الحديث: «إنها خرجت عليهم على قدر خرق الخاتم»^(١)، وروي عن علي رضي الله عنه: أن قبر هود عليه السلام بحضرموت في كتيب أحمر. وقال عبدالرحمن بن سابط: بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبياً، وإن قبر هود وشعيب وصالح وإسماعيل عليهم السلام في تلك البقعة. ويروى: أن النبي من الأنبياء إذا هلك قومه جاء هو والصالحون معه إلى مكة يعبدون الله فيها حتى يموتوا.

(١) جاء قريب من هذا في رواية الإمام أحمد والترمذي في الموضع السابق، وليس مرفوعاً إلى النبي ﷺ، بل السياق يدل على أنه من راوي القصة.

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
 قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ
 فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ
 مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ
 الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ
 الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ آتَعْلَمُونَ
 أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءُ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾، وهو ثمود بن عابر بن أرم بن سام بن نوح، وأراد
 ها هنا القبيلة.

قال أبو عمرو بن العلاء: سُميت ثمود لقلّة مائها، والشمذ: الماء القليل، وكانت مساكنهم
 الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى ﴿أخاهم صالحاً﴾، أي: أرسلنا إلى ثمود أخاهم في
 النسب، لا في الدين صالحاً، وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماشيح بن عبيد بن خادر بن ثمود،
 ﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءكم بينة من ربكم﴾، حجة من ربكم على
 صدقي، ﴿هذه ناقة الله﴾، أضافها إليه على التفضيل والتخصيص، كما يقال بيت الله، ﴿لكم آية﴾،
 نصب على الحال، ﴿فذروها تأكل﴾، العشب، ﴿في أرض الله ولا تمسوها بسوء﴾، لا تصيبوها
 بعقر، ﴿فياخذكم عذاب أليم﴾.

﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عادٍ وبوأكم﴾، أسكنكم وأنزلكم، ﴿في الأرض تتخذون
 من سهولها قصوراً وتتحتون الجبال بيوتاً﴾، كانوا ينقبون في الجبال البيوت ففي الصيف يسكنون
 بيوت الطين، وفي الشتاء بيوت الجبال. وقيل: كانوا ينحتون البيوت في الجبل لأن بيوت الطين ما
 كانت تبقى مدة أعمارهم لطول أعمارهم، ﴿فاذكروا آية الله ولا تعتوا في الأرض مفسدين﴾،
 والعيث: أشد الفساد.

﴿قال الملأ﴾، قرأ ابن عامر: (وقال الملأ) بالواو ﴿الذين استكبروا من قومه﴾، يعني
 الأشراف والقادة الذين تعظموا عن الإيمان بصالح، ﴿للذين استضعفوا﴾، يعني الأتباع، ﴿لمن آمن

(١) ساقط من «ب».

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ
وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾
فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ
أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴿٧٩﴾

منهم ﴿﴾، يعني: قال الكفار للمؤمنين، ﴿أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربِّه﴾، إليكم، ﴿قالوا إنا بما
أرسل به مؤمنون﴾.

﴿قال الذين استكبروا إنا بالذي آمتم به كافرون﴾، جاحدون.

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾، قال الأزهري: العقر هو قطع عرقوب البعير، ثم جعل النحر عقراً لأن ناجر
البعير يعقره ثم ينحره. ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾، والعتو الغلو في الباطل، يقال: عتا يعتو عتواً: إذا
استكبروا، والمعني: عصوا الله وتركوا أمره في الناقة وكذبوا نبيهم. ﴿وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا﴾،
أي: من العذاب، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾، وهي زلزلة الأرض وحركتها وأهلكوا بالصيحة والرجفة، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي
دَارِهِمْ﴾، قيل: أراد الديار. وقيل: أراد في أرضهم وبلدتهم، ولذلك وحّد الدار، ﴿جِثْمِينَ﴾،
خامدين ميتين. قيل: سقطوا على وجوههم موتى عن آخرهم.

﴿فَتَوَلَّى﴾، أعرض صالح، ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ
لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ﴾، فإن قيل: كيف خاطبهم بقوله لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بعدما
هلكوا بالرجفة؟

قيل: كما خاطب النبي ﷺ الكفار من قتلى بدر حين أقامهم في القلب، فجعل يناديهم
بأسمائهم وأسماء آبائهم: أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال النبي ﷺ:
[«والذي نفس محمد بيده»^(١) ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون»^(٢)].

(١) زيادة من «ب» ومن صحيح البخاري.

(٢) قطعة من حديث أنس بن مالك، أخرجه البخاري في المغازي، باب قتل أبي جهل: ٣٠٠/٧ - ٣٠١.

وقيل : خاطبهم ليكون عبرة لمن خلفهم .

وقيل : في الآية تقديم وتأخير تقديرها : فتولى عنهم ، وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة / ربي فأخذتهم الرجفة .

وكان قصة ثمود على ما ذكره محمد بن إسحاق ووهب وغيرهما : أن عاداً لما هلكت وانقضى أمرها عمرت ثمود بعدها ، واستخلفوا في الأرض فدخلوا فيها وكثروا وعمروا ، حتى جعل أحدهم بيني المسكن من المدر فينهدم والرجل حي ، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً ، وكانوا في سعة من معاشهم فعتوا وأفسدوا في الأرض وعبدوا غير الله ، فبعث الله إليهم صالحاً وكانوا قوماً عربياً ، وكان صالح من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً وموضعاً ، فبعثه الله إليهم غلاماً شاباً ، فدعاهم إلى الله حتى شمط وكبر لا يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون ، فلما ألح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر لهم التحذير والتخويف سألوه أن يُريهم آية تكون مصداقاً لما يقول ، فقال لهم : أي آية تريدون؟ قالوا : تخرج معنا غداً إلى عيدنا ، وكان لهم عيد يخرجون فيه بأصنامهم في يوم معلوم من السنة فتدعو إلهك وتدعو آلهتنا ، فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعتنا ، فقال لهم صالح : نعم ، فخرجوا بأوثانهم إلى عيدهم ، وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم ، وسألوها أن لا يُستجاب لصالح في شيء مما يدعو به ، ثم قال جندع بن عمرو بن حوَّاس وهو يومئذ سيد ثمود : يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة - لصخرة منفردة في ناحية من الحجر يقال لها الكاثبة - ناقّة مخرجة جوفاء وبراء عشراء

وأخرج أيضا في الموضع نفسه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : وقف النبي ﷺ على قلب بدر ، فقال : «هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ ثم قال : إنهم الآن يسمعون ما أقول» فذكر لعائشة فقالت : إنما قال النبي ﷺ : إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق ، ثم قرأت : «إنك لا تُسمع الموتى» حتى قرأت الآية . فكان هذا مما استدرته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على ابن عمر رضي الله عنهما وأنه وهم في قوله «ليسمعون» ، وإنما هو بلفظ «إنهم ليعلمون» .

قال البيهقي : العلم لا يمنع من السماع . والجواب عن الآية : أنه لا يُسمعهم وهم موتى . ولكن الله أحياهم حتى سمعوا ، كما قال قتادة . ولم ينفرد عمر ولا ابنه - رضي الله عنهما - بحكاية ذلك ، بل وافقهما أبو طلحة ، وللطبراني من حديث ابن مسعود مثله بإسناد صحيح ، ومن حديث عبد الله بن سيدان نحوه ، وفيه : «قالوا يا رسول الله وهل يسمعون؟» قال : «يسمعون كما تسمعون ، ولكن لا يجيبون» ، وفي حديث ابن مسعود : «ولكنهم اليوم لا يجيبون» .

ومن الغريب أن في المغازي لابن إسحاق رواية يونس بن بكير بإسناد جيد عن عائشة مثل حديث أبي طلحة وفيه : «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» وأخرجه أحمد بإسناد حسن ، فإن كان محفوظاً فكأنها رجعت عن الإنكار ، لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة ، لكونها لم تشهد القصة .

انظر بالتفصيل : فتح الباري : ٣٠٣/٧ - ٣٠٤ ، الإجابة لإيراد ما استدرته عائشة على الصحابة للزركشي : ص (٩٩ - ١٠٠) ، الروض الأنف للسهيلى : ٧٤/٢ .

- والمخترجة ما شاكل البخت من الإبل -، فإن فعلت صدقناك وآمنا بك، فأخذ عليهم صالح موثيقهم لئن فعلت لتُصدقني ولتؤمنن بي، قالوا: نعم، فصلى صالح ركعتين ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض التتوج بولدها، ثم تحركت الهضبة فانصدعت عن ناقة عشاء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبها عظماً إلا الله، وهم ينظرون ثم نتجت سقياً مثلها في العظم، فأمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه، وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا به ويصدقوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صمغر وكان كاهنهم وكانوا من أشراف ثمود.

فلما خرجت الناقة قال لهم صالح: هذه ناقة الله، لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، فمكثت الناقة ومعها سقيها في أرض ثمود، ترعى الشجر وتشرب الماء، فكانت ترد الماء غباً، فإذا كان يومها وضعت رأسها في بئر في الحجر يقال لها بئر الناقة فما ترفع رأسها حتى تشرب كل ماء فيها، فلا تدع قطرة، ثم ترفع رأسها فتنفخ حتى تفحج لهم فيحلبون ما شاؤوا من لبن، فيشربون ويدخرون، حتى يملؤوا أوانيهم كلها ثم تصدر من غير الفج الذي وردت منه لا تقدر على أن تصدر من حيث ترد، يضيق عنها، حتى إذا كان الغد كان يومهم فيشربون ما شاؤوا من الماء ويدخرون ما شاؤوا ليوم الناقة، فهم من ذلك في سعة ودعة، وكانت الناقة تُصَيِّفُ إذا كان الحر بظهر الوادي، فتهرب منها المواشي، أغنامهم وبقرهم وإبلهم، فهبط إلى بطن الوادي في حره وجدبه، وتشتو بطن الوادي إذا كان الشتاء، فتهرب مواشيهم إلى [ظهر]^(١) الوادي في البرد والجذب فأضرب ذلك بمواشيهم للبلاء والاختبار، فكبر ذلك عليهم فعتوا عن أمر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة، فأجمعوا على عقرها.

وكانت امرأتان من ثمود إحداهما يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز تكنى بأم غنم، وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزاً مسنة، وكانت ذات بنات حسان وذات مال من إبل وبقر وغنم، وامرأة أخرى يقال لها صدوف بنت المحيا وكانت جميلة غنية ذات مواشي كثيرة، وكانتا من أشد الناس عداوة لصالح وكانتا تحبان عقر الناقة [لما أضرت]^(٢) بهما من مواشيهما فتحيلتا في عقر الناقة فدعت صدوف رجلاً من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة، وعرضت عليه نفسها إن هو فعل فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا، وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وكانت من أحسن الناس وأكثرهم مالاً، فأجابها إلى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف، وكان رجلاً أحمر أزرق قصيراً، يزعمون أنه كان لزانية، ولم يكن لسالف، ولكنه ولد على فراش سالف، فقالت: أعطيك أي

(١) في «ب»: (بطن)

(٢) ساقط من «أ».

بناتي شئت على أن تعقر الناقة، وكان قدار عزيزاً منيعاً في قومه.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب حدثنا هشام عن أبيه أنه أخبره عبدالله بن زمعه أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقرها، فقال رسول الله ﷺ: (إذ انبعث أشقاها) (الشمس - ١٢)، انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في قومه مثل أبي زمعة^(١).

رجعنا إلى القصة، قالوا: فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر فكانوا تسعة رهط، فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء، وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طريقها، وكمن لها مصدع في طريق آخر فمرت على مصدع، فرماها بسهم فانتظم به في عضلة ساقها، وخرجت بنت غنم عنيزة، وأمرت ابنتها، وكانت من أحسن الناس، فأسفرت لقدار ثم دمرته^(٢)، فشد على الناقة بالسيف فكشفت عرقوبها فخرت ورجت رغاءً واحدة تحذر سقبها^(٣)، ثم طعن في لبتها فنحرها، وخرج أهل البلدة واقتسموا لحمها وطبخوه، فلما رأى سقبها ذلك انطلق حتى أتى جبلاً منيفاً يقال له: صنو، وقيل: اسمه قارة، وأتى صالح فقيل له: أدرك الناقة فقد عُقرت، فأقبل وخرجوا يتلقونه ويعتذرون إليه: يا نبي الله إنما عقرها فلان ولا ذنب لنا، فقال صالح: انظروا هل تدركون فصيلها، فإن أدركتموه فعسى أن يُرفع عنكم العذاب، فخرجوا يطلبونه، فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه، فأوحى الله تعالى إلى الجبل فتناول في السماء حتى ما تناله الطير.

وجاء صالح فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه، ثم رغا ثلاثاً، وانفجرت الصخرة فدخلها. فقال صالح لكل رغبة أجل يوم فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب.

وقال ابن إسحاق: اتبع السقب أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة، وفيهم مصدع بن مهرج وأخوه ذاب بن مهرج، فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه، ثم جرّ برجله فأنزله، فألقوا لحمه مع لحم أمه، وقال لهم صالح: انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله ونقمته، قالوا وهم يهزؤون به: ومتى ذلك يا صالح؟ وما آية ذلك؟ وكانوا يسمون الأيام فيهم: الأحد أول، والاثنين أهون، والثلاثاء

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة «والشمس وضحاها»: ٧٠٥/٨، وفي النكاح، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، برقم (٢٨٥٥): ٢١٩١/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٨٢/٩.

(٢) الذمير: التحريض على القتال.

(٣) السقب: ولد الناقة ساعة يولد.

دبار والأربعاء / جبار، والخميس مؤنس والجمعة العروبة، والسبت شيار، وكانوا عقروا الناقة يوم الأربعاء، فقال لهم صالح حين قالوا ذلك: تُصبحون غداً يوم مؤنس ووجوهكم مصفرة، ثم تُصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة، ثم تُصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة، ثم يصبحكم العذاب يوم أول.

فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة: هلمّ فلنقتل صالحاً فإن كان صادقاً عجلناه قبلنا، وإن كان كاذباً قد كنا ألحقناه بناقته، فأتوه ليلاً ليبيتوه في أهله، فدمغتهم الملائكة بالحجارة، فلما أبطؤوا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة، فقالوا لصالح: أنت قتلتهم، ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح، وقللوا لهم: والله لا تقتلوننا أبداً فقد وعدكم أن العذاب نازل بكم بعد ثلاث، فإن كان صادقاً لم تزيدوا ربكم عليكم إلا غضباً وإن كان كاذباً فأنتم من وراء ما تريدون، فانصرفوا عنهم ليلتهم فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلوق، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، فأيقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحاً قد صدقهم، فطلبوه ليقتلوه، وخرج صالح هارباً منهم حتى لجأ إلى بطن من ثمود يقال لهم بني غنم، فنزل على سيدهم، رجل يقال له نفيل ويكنى بأبي هذب، وهو مشرك فغيبه، ولم يقدروا عليه، فغدوا على أصحاب صالح يعدّبونهم ليدلّوهم عليه، فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم: يا نبيّ الله إنهم ليعذبوننا لندلّهم عليك، أفندّلهم؟ قال: نعم، فدلّهم عليه، وأتوا أبا هذب فكلّموه في ذلك، فقال: نعم عندي صالح وليس لكم عليه سبيل، فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله بهم من عذابه، فجعل بعضهم يخبر بعضاً بما يرون في وجوههم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يوم من الأجل، فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدماء فصاحوا وضجوا وبكوا، وعرفوا أنه العذاب، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم: ألا قد مضى يومان من الأجل وحضركم العذاب، فلما أصبحوا اليوم الثالث إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار، فصاحوا جميعاً: ألا قد حضركم العذاب.

فلما كان ليلة الأحد خرج صالح من بين أظهرهم ومن أسلم معه إلى الشام، فنزل رملة فلسطين، فلما أصبح القوم تكفّنوا وتحنطوا وألقوا أنفسهم إلى الأرض يقلبون أبصارهم إلى السماء مرة وإلى الأرض مرة، لا يدرون من أين يأتيهم العذاب، فلما اشتد الضحى من يوم الأحد أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوت كل شيء له صوت في الأرض، فقطعت قلوبهم في صدورهم، فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلا هلك كما قال الله تعالى: «فأصبحوا في دارهم

جائمين»، إلا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سالف، وكانت كافرة شديدة الكفر والعداوة لصالح، فأطلق الله رجلها بعدما عاينت العذاب، فخرجت كأسرع ما يرى شيء قط حتى أتت قرح، وهو واد القرى، فأخبرتهم بما عاينته من العذاب وما أصاب ثمود، ثم استقت من الماء فسُقِيَتْ فلما شربت ماتت.

وذكر السدي في عقر الناقة وجهاً آخر قال: فأوحى الله تعالى إلى صالح عليه السلام أن قومك سيعقرون ناقتك، فقال لهم ذلك فقالوا: ما كنا لنفعل، فقال صالح: إنه يولد في شهركم هذا غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه، فقالوا: لا يولد لنا ولد في هذا الشهر إلا قتلناه، قال: فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم ولد للعاشر فأبى أن يذبح ابنه، وكان لم يولد له قبل ذلك، وكان ابنه أزرق أحمر فنبت نباتاً سريعاً وكان إذا مرَّ بالتسعة ورأوه قالوا: لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا، فغضب التسعة على صالح لأنه كان سبب قتل أولادهم، فتقاسموا بالله لنبيته وأهله، قالوا: نخرج ليرى الناس أننا قد خرجنا إلى سفر فنأتي الغار فنكون فيه، حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده أتيناه فقتلناه، ثم رجعنا إلى الغار فكنا فيه فانصرفنا إلى رحلنا فقلنا: ما شهدنا مهلك أهله، وإنما لصادقون، فيصدقوننا، يظنون أننا قد خرجنا إلى سفر. وكان صالح لا ينام معهم في القرية، وكان يبيت في مسجد يقال له مسجد صالح، فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكّرهم وإذا أمسى خرج إلى المسجد فبات فيه فانطلقوا فدخلوا الغار، فسقط عليهم الغار فقتلهم، فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم فإذا هم رضح، فرجعوا يصيحون في القرية: أي عباد الله ما رضي صالح أن أمرهم بقتل أولادهم حتى قتلهم، فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة.

وقال ابن إسحاق: كان تقاسم التسعة على تبييت صالح بعد عقرهم الناقة كما ذكرنا.

قال السدي وغيره: فلما ولد ابن العاشر، يعني: قذار، شبَّ في اليوم شباب غيره في الجمعة، وشبَّ في شهر شباب غيره في السنة، فلما كبر جلس مع أناس يصيبون من الشراب، فأرادوا ماءً يمزجون به شرابهم، وكان ذلك اليوم شرب الناقة، فوجدوا الماء قد شربته الناقة، فاشتد ذلك عليهم وقالوا: ما نصنع نحن باللبن؟ لو كنا نأخذ هذا الماء الذي تشربه هذه الناقة فنسقيه أنعامنا وحرثنا كان خيراً لنا، فقال ابن العاشر: هل لكم في أن أعقرها لكم؟ قالوا: نعم، فعقروها.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن مسكين ثنا يحيى بن حسان بن حيان أبو زكريا ثنا سليمان عن عبد الله بن دينار

وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾
 إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ﴿٨١﴾

عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر، في غزوة تبوك، أمرهم أن لا يشربوا من بئر بها ولا يَسْتَقُوا منها، فقالوا: قد عَجَبْنَا منها واستقينا، فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء^(١). وقال نافع عن ابن عمر: فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من آبارها وأن يعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردّها الناقة^(٢).

وروى أبو الزبير عن جابر قال: لما مرّ رسول الله ﷺ بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه: لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم ولا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم، ثم قال: أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات، هؤلاء قوم صالح سألوها رسولهم، فبعث الله الناقة فكانت ترد من هذا الفجّ وتصدر من هذا الفجّ وتشرب ماءهم يوم ورودها، وأراهم مرتقى الفصيل من القارة، فعتوا عن أمر ربهم وعقروها، فأهلك الله تعالى من تحت أديم السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلاً واحداً يقال له أبو رغال، وهو أبو ثقيف كان في حرم الله، فمنعه / حرم الله من عذاب الله، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدُفِنَ ودُفِنَ معه غصن من ذهب، وأراهم قبر أبي رغال، فنزل القوم فابتدروه بأسيا فهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن^(٣).

ب/١٣٣

وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضر موت، فلما دخلوها مات صالح فسمى حضر موت ثم بنى الأربعة آلاف مدينة يقال لها حاصوراء، قال قوم من أهل العلم توفي صالح بمكة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وأقام في قومه عشرين سنة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا﴾، أي: وأرسلنا لوطاً. وقيل: معناه واذكر لوطاً. وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن أخي إبراهيم، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾، وهم أهل سدوم وذلك أن لوطاً شخص من أرض بابل [سافر]^(٤) مع عمه إبراهيم عليه السلام مؤمناً به مهاجراً معه إلى الشام، فنزل إبراهيم فلسطين وأنزل

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قول الله تعالى: «والى ثمود أخاهم صالحاً»: ٣٧٨/٦، ومسلم في الزهد، باب «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم» برقم (٢٩٨١): ٢٢٨٦/٤ بلفظ قريب.

(٢) أخرجه البخاري في الموضع السابق: ٣٧٨/٦.

(٣) أخرجه الطبري في التفسير: ٢٣٠/٨ (طبع الحلبي)، والإمام أحمد في المسند مختصراً: ٢٩٦/٣، وصححه الحاكم: ٣٤٠/٢ - ٣٤١، ووافقه الذهبي، وعزاه الهيثمي للطبراني في الأوسط والبخاري وأحمد، وقال: رجال أحمد رجال الصحيح وعزاه أيضاً ابن حجر لابن حبان. انظر: مجمع الزوائد: ٣٧/٧ - ٣٨، الكافي الشاف ص (٦٥)، الدر المشور: ٤٩٢/٣.

(٤) ساقط من «ب».

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ
يَنْظَهُرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِمْ مَّطَرًا فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومِ الْعِبَادُ بِاللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ
مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ
وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾

لوطاً الأردن، فأرسله الله عز وجل إلى أهل سدوم فقال لهم، ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾، يعني: إتيان
الذكران، ﴿ما سبقكم بها من أحدٍ من العالمين﴾، قال عمرو بن دينار ما يرى ذكر على ذكر في الدنيا
إلا كان من قوم لوط.

﴿إنكم﴾، قرأ أهل المدينة وحفص (إنكم) بكسر الألف على الخبر، وقرأ الآخرون
الاستئناف، ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾، في أدبارهم، ﴿شهوةً من دون النساء﴾، فسرتك الفاحشة يعني
أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء، ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾، مجاوزون الحلال إلى
الحرام.

قال محمد بن إسحاق: كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم الناس
فآذوهم، فعرض لهم إبليس في صورة شيخ، فقال: إن فعلتم بهم كذا نجوتم، فأبوا فلما ألح عليهم
الناس قصدوهم فأصابوهم غلماناً صباحاً، فأخذوهم وقهروهم على أنفسهم فأخبثوا واستحكم ذلك
فيهم. قال الحسن: كانوا لا ينكحون إلا الغرباء.

وقال الكلبي: إن أول من عمل عمل قوم لوط إبليس، لأن بلادهم أخصبت فانتجعها أهل
البلدان، أي: فتمثل لهم إبليس في صورة شاب، ثم دعا إلى دُبره، فنكح في دبره، فأمر الله تعالى
السماء أن تحصبهم وأمر الأرض أن تخسف بهم.

قوله عز وجل: ﴿وما كان جواب قومه إلا أن قالوا﴾، قال بعضهم لبعض: ﴿أخرجوهم﴾،
يعني: لوطاً وأهل دينه، ﴿من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون﴾، يتنزهون عن أدبار الرجال.

وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ
وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكَرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾

﴿فأنجيناه﴾، يعني: لوطاً، ﴿وأهله﴾، المؤمنين، وقيل: أهله: ابتناه، ﴿إلا امرأته كانت من الغابرين﴾، يعني: الباقيين في العذاب. وقيل: معناه كانت من الباقيين المُعَمَّرِينَ، قد أتى عليها دهر طويل فهلكت مع من هلك من قوم لوط، وإنما قال: «من الغابرين» لأنه أراد: ممن بقي من الرجال فلما ضمَّ ذكراً إلى ذكّر الرجال قال: «من الغابرين».

﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾، يعني حجارة من سجيل. قال وهب: الكبريت والنار، ﴿فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾، قال أبو عبيدة: يقال في العذاب: أمطر، وفي الرحمة: مطر.

قوله تعالى: ﴿والى مدين أخاهم شعيباً﴾، أي: وأرسلنا إلى ولد مدين - وهو مدين بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام - وهم أصحاب الأيكة: أخاهم شعيباً في النسب لا في الدين. قال عطاء: هو شعيب بن توبة بن مدين بن إبراهيم. وقال ابن اسحاق: هو شعيب بن ميكائيل بن يسخر بن مدين بن إبراهيم، وأم ميكائيل بنت لوط. وقيل: هو شعيب بن يثرون بن مدين وكان شعيب أعمى وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، وكان قومه أهل كفر وبخس للمكيال والميزان.

﴿قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره فذ جاءتكم بينة من ربكم﴾، فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: «قد جاءتكم بينة من ربكم» ولم تكن لهم آية؟.

قيل: قد كانت لهم آية إلا أنها لم تذكر، وليست كل الآيات مذكورة في القرآن. وقيل: أراد بالبينة مجيء شعيب.

﴿فأوفوا الكيل﴾، أتموا الكيل، ﴿والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾، لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم إياها، ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾، أي: بيعث الرسل والأمر بالعدل، وكل نبي بعث إلى قوم فهو صلاحهم، ﴿ذلكم﴾ الذي ذكرت لكم وأمرتكم به، ﴿خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾، مصدقين بما أقول..

﴿ولا تقعدوا بكل صراط﴾، أي: على كل طريق، ﴿توعدون﴾، تهددون، ﴿وتصدون عن

وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ، وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا
 حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ❖ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ
 لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ
 ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ
 فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
 قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾

سبيل الله، دين الله، من آمن به وتبغونها عوجاً، زيفاً، وقيل: تطلبون الاعوجاج في الدين والعدول عن القصد، وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق فيقولون لمن يريد الإيمان بشعيب، إن شعيب كذاب فلا يفتنك عن دينك ويتعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم. وقال السدي: كانوا عشارين. واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم، فكثرت عددهم، وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين، أي: آخر أمر قوم لوط.

﴿وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا﴾، أي: إن اختلفتم في رسالتي فصرتم فرقتين مكذبين ومصدين، ﴿فاصبروا حتى يحكم الله بيننا﴾، بتعذيب المكذبين وإنجاء المصدقين، ﴿وهو خير الحاكمين﴾.

﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾، يعني الرؤساء الذين تعظموا عن الإيمان به، ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا﴾، لترجعن إلى ديننا الذي نحن عليه، ﴿قال﴾ شعيب ﴿أولو كنا كارهين﴾، يعني: لو كنا، أي: وإن كنا كارهين لذلك فتجبروننا عليه؟

﴿قد أفترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها﴾، بعد إذ أنقذنا الله منها، ﴿إلا أن يشاء الله ربنا﴾ يقول إلا أن يكون قد سبق لنا في علم الله ومشيئته أن نعود فيها فحينئذ يمضي قضاء الله فينا وينفذ حكمه علينا.

فإن قيل: ما معنى قوله: «أو لتعودن في ملتنا»، «وما يكون لنا أن نعود فيها»، ولم يكن شعيب قط على ملتهم حتى يصح قولهم ترجع إلى ملتنا؟

وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿١٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ
الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا
الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿١٢﴾

قيل : معناه : أو لتدخلن في ملتنا، فقال : وما كان لنا أن ندخل فيها .

وقيل : معناه إن صرنا في ملتكم . ومعنى عاد صار .

وقيل : أراد به قوم شعيب لأنهم كانوا كفاراً فأمنوا فأجاب شعيب عنهم .

قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ، أحاط علمه بكل شيء ، ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ ، فيما توعدوننا به ، ثم عاد شعيب بعد ما أيس من فلاحهم فقال : ﴿ رَبُّنَا افْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا ﴾ ، أي : أفض بيننا ، ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ ، والفتاح : القاضي ، ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ ، أي : الحاكمين .

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا ﴾ ، وتركتم دينكم ، ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾ ، مغبونون ، وقال عطاء : جاهدون . قال الضحاك : عجرة .

﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ ﴾ ، قال الكلبي : الزلزلة . وقال ابن عباس وغيره : فتح الله عليهم باباً من جهنم ، فأرسل عليهم حراً شديداً ، فأخذ بأنفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء ، فكانوا يدخلون الأسراب ليتبردوا فيها ، فإذا دخلوها وجدوها أشدَّ حراً من الظاهر ، فخرجوا هرباً إلى البرية فبعث الله سحابة فيها ريح طيبة فأظلمت لهم / ، وهي الظلة ، فوجدوا لها برداً ونسيماً فنادى بعضهم بعضاً حتى اجتمعوا تحت السحابة ، رجالهم ونساؤهم وصبيانهم ، ألهبها الله عليهم ناراً ، ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلبي ، وصاروا رماداً .

١/١٣٤

وروي أن الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام ثم سلط عليهم الحرَّ . قال يزيد الجريري : سلط الله عليهم الحرَّ سبعة أيام ثم رُفِعَ لهم جبلٌ من بعيد ، فأتاه رجل فإذا تحته أنهار وعيون فاجتمعوا تحته كلهم فوقع ذلك الجبل عليهم ، فذلك قوله (عذابٌ يوم الظلة) (الشعراء - ٨٩) ، قال قتادة : بعث الله شعيباً إلى أصحاب الأيكة وأهل مدين ، أما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة ، وأما أصحاب مدين فأخذتهم الصيحة ، صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة فهلوكوا جميعاً . قال أبو عبد الله البجلي : كان أبو جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت ملوك مدين ، وكان ملكهم في زمن شعيب عليه

فَنَوَلِّي عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأْتُمْ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

السلام يوم الظلة كلمن، فلما هلك قالت ابنته تبيكه

كَلَّمُنْ قَدْ هَدَّ رُكْنِي هُلُكُهُ وَسَطَ الْمَجْلَةِ
سَيِّدُ الْقَوْمِ أَتَاهُ الْحَتْفُ نَارًا تَحْتَ ظِلَّةِ
جُعِلَتْ نَارًا عَلَيْهِمْ دَارُهُمْ كَالْمُضْمَجِلَةِ

قوله تعالى: ﴿الذين كذبوا شعيباً كأن لم يَغْنُوا بها﴾، أي: لم يقيموا ولم ينزلوا فيها، من قولهم: غنيت بالمكان إذا قمت به، والمغاني المنازل واحداً مغنى، وقيل: كأن لم يتنعموا فيها. ﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾، لا المؤمنين كما زعموا.

﴿فتولى﴾، أعرض ﴿عنهم﴾ شعيب شاخصاً من بين أظهرهم حين أتاهم العذاب، ﴿وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى﴾ أحزن ﴿على قوم كافرين﴾، والآسى: الحزن، والآسى: الصبر.

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا في قرية من نبي﴾، فيه إضمار، يعني: فكذبوه، ﴿إلا أخذنا﴾، عاقبنا ﴿أهلها﴾، حين لم يؤمنوا، ﴿بالبأساء والضراء﴾، قال ابن مسعود: البأساء: الفقر، والضراء: المرض، وهذا معنى قول من قال: البأساء في المال، والضراء في النفس. وقيل: البأساء البؤس وضيق العيش، والضراء والضر سوء الحال. وقيل: البأساء في الحرب والضراء: الجذب، ﴿لعلهم يضرعون﴾، لكي يتضرعوا فيتوبوا.

﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة﴾، يعني: مكان البأساء والضراء الحسنة، يعني: النعمة والسعة والخصب والصحة، ﴿حتى عفوا﴾، أي: كثروا وازدادوا، وكثرت أموالهم، [يقال: عفا الشعر إذا كثر. قال مجاهد: كثرت أموالهم وأولادهم] (١) ﴿وقالوا﴾، من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا إلى

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيِّنَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿١٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّو نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾

الرخاء، ﴿قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾، أي: هكذا كانت عادة الدهر قديماً لنا ولا بائنا، ولم يكن ما مسنا من الضراء عقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم فإنهم لم يتركوا دينهم لما أصابهم من الضراء، قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾، فجأة آمن ما كانوا ﴿وهم لا يشعرون﴾ بنزول العذاب.

﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾، يعني: المطر من السماء والنبات من الأرض. وأصل البركة: المواظبة على الشيء، أي: تابعنا عليهم المطر والنبات ورفعنا عنهم القحط والجذب، ﴿ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ من الأعمال الخبيثة.

﴿أفأمن أهل القرى﴾ الذين كفروا وكذبوا، يعني: أهل مكة وما حولها، ﴿أن يأتيهم بأسنا﴾، عذابنا، ﴿بياتاً﴾، ليلاً، ﴿وهم نائمون﴾.

﴿أو آمن﴾، قرأ أهل الحجاز والشام: «أو آمن» بسكون الواو، والباقون بفتحها، ﴿أهل القرى﴾ أن يأتيهم بأسنا ضحياً، أي: نهاراً، والضحى: صدر النهار، ووقت انبساط الشمس، ﴿وهم يلعبون﴾، ساهون لاهون.

﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾، ومكر الله استدراجه إياهم بما أنعم عليهم في دنياهم. وقال عطية: يعني أخذه وعذابه.

﴿أو لم يهد﴾، قرأ قتادة ويعقوب: «نهد» بالنون على التعظيم، والباقون بالياء على التفريد،

تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾
 وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾

يعني أولم نبين ، ﴿للذين يرثون الأرض من بعد﴾ ، هلاك ﴿أهلها﴾ ، الذين كانوا فيها قبلهم ﴿أن لو نشاء أصبناهم﴾ ، أي : أخذناهم وعاقبناهم ، ﴿بذنوبهم﴾ كما عاقبنا من قبلهم ، ﴿ونطبع﴾ ، نختم ﴿على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ ، الإيمان ولا يقبلون الموعظة ، قال الزجاج : قوله ﴿ونطبع على قلوبهم﴾ منقطع عما قبله لأن قوله ﴿أصبناهم﴾ ماض و﴿نطبع﴾ مستقبل .

﴿تلك القرى﴾ ، أي : هذه القرى التي ذكرت لك أمرها وأمر أهلها ، يعني : قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب . ﴿نقص عليك من أنبائها﴾ ، أخبارها لما فيها من الاعتبار ، ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ ، بالآيات والمعجزات والعجائب ، ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذَّبوا من قبل﴾ ، أي : فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات والعجائب بما كذبوا من قبل رؤيتهم تلك العجائب ، نظيره قوله عز وجل : (قد سألتهم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) (المائدة - ١٠٢) .

قال ابن عباس والسدي : يعني فما كان هؤلاء الكفار الذين أهلكتناهم ليؤمنوا عند إرسال الرسل بما كذبوا من قبل يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم ، فأقروا باللسان وأضمروا التكذيب . وقال مجاهد : معناه فما كانوا لو أحييناهم بعد إهلاكهم ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم ، كقوله عز وجل : (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) (الأنعام - ٢٨) .

قال يمان بن رباب : هذا على معنى أن كل نبي أنذر قومه بالعذاب فكذبوه ، يقول : ما كانوا ليؤمنوا بما كذب به أوائلهم من الأمم الخالية ، بل كذبوا بما كذب أوائلهم ، نظيره قوله عز وجل : (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون) (الذاريات - ٥٢) . ﴿كذلك يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ ، أي : كما طبخ الله على قلوب الأمم الخالية التي أهلكتها ، كذلك يطبع الله على قلوب الكفار الذين كُتِبَ عليهم أن لا يؤمنوا من قومك .

﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾ ، أي : وفاء بالعهد الذي عاهدهم يوم الميثاق ، حين أخرجهم من صلب آدم ﴿وإن وجدنا أكثرهم لفاسيقين﴾ ، أي : ما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين ناقضين للعهد .

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ
عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾
حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٦﴾ فَأَلْقَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾، أي: من بعد نوح وهود وصالح وشعيب، ﴿موسى﴾
بآياتنا، بأدلتنا، ﴿إلى فرعون وملئه فظلموا بها﴾، فجحدوا بها. والظلم: وضع الشيء في غير
موضعه، فظلمهم وضع الكفر موضع الإيمان، ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾، وكيف فعلنا بهم.
﴿وقال موسى﴾، لما دخل على فرعون، ﴿يا فرعون إني رسول من رب العالمين﴾، إليك،
فقال فرعون: كذبت فقال موسى:

﴿حقيق على أن لا / أقول على الله إلا الحق﴾، أي: أنا خليق بأن لا أقول على الله إلا الحق،
فتكون ﴿على﴾ بمعنى الباء كما يقال: رميت بالقوس ورميت على القوس، وجئت على حال حسنة
ويحال حسنة، يدل عليه قراءة أبي والأعمش ﴿حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق﴾، وقال أبو
عبيدة: معناه حريص على أن لا أقول على الله إلا الحق، وقرأ نافع (عليّ) بتشديد الياء أي حق واجب
عليّ أن لا أقول على الله إلا الحق. ﴿قد جئتمكم ببينة من ربكم﴾، يعني العصا، ﴿فأرسل معي بني
إسرائيل﴾، أي: أطلق عنهم وخلّهم يرجعون إلى الأرض المقدسة، وكان فرعون قد استخدمهم في
الأعمال الشاقة من ضرب اللبن ونقل التراب ونحوهما، فقال فرعون مجيباً لموسى:
﴿قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين﴾.

﴿فألقي﴾ موسى ﴿عصاه﴾ من يده ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾، والثعبان: الذكر العظيم من
الحيات، فإن قيل: أليس قال في موضع: (كأنها جانّ) (النمل - ١٠)، والجانّ الحية الصغيرة؟ قيل:
إنها كانت كالجان في الحركة والخفة، وهي في جشها حية عظيمة.

قال ابن عباس والسدي: إنه لما ألقي العصا صارت حية عظيمة صفراء شعراء فاغرة فاها ما بين
لحيها ثمانون ذراعاً وارتفعت من الأرض بقدر ميل، وقامت له على ذنبها واضعة لحيها الأسفل في

وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ
 عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي
 الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تَوَكُّبِكُمْ لِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾

الأرض والأعلى على سور القصر، وتوجهت نحو فرعون لتأخذه، وروى أنها أخذت قبة فرعون بين
 نابيها فوثب فرعون من سريره هارباً وأخذت.

قيل: أخذه البطن في ذلك اليوم أربعمئة مرة، وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا ومات
 منهم خمسة وعشرون ألفاً قتل بعضهم بعضاً ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى أنشدك بالذي
 أرسلك خذها وأنا أو من بك وأرسل معك بني اسرائيل، فأخذها موسى فعادت عصاً كما كانت ثم قال
 فرعون: هل معك آية أخرى؟ قال: نعم.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾، فأدخل يده في جيبه ثم نزعها، وقيل: أخرجها من
 تحت إبطه فإذا هي بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس، وكان موسى آدم، ثم أدخلها جيبه فصارت
 كما كانت.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾، يعنون أنه ليأخذ بأعين الناس حتى يخيل
 إليهم العصا حية والادم أبيض، ويرى الشيء بخلاف ما هو به.

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ﴾، يا معشر القبط، ﴿مِنْ أَرْضِكُمْ﴾، مصر، ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾، أي:
 تشيرون إليه، هذا يقوله فرعون وإن لم يذكره، وقيل: هذا من قول الملأ لفرعون وخاصته.

﴿قَالُوا﴾، يعني الملأ، ﴿أَرْجِهْ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة وابن عامر بالهمزة وضم الهاء، وقرأ
 الآخرون بلا همز، ثم نافع برواية ورش والكسائي يشبعان الهاء كسراً، ويسكنها عاصم وحمزة،
 ويختلسها أبو جعفر وقالون.

قال عطاء، معناه آخره. وقيل: احبسه، ﴿وَأَخَاهُ﴾، معناه أشاروا إليه بتأخير أمره وترك التعرض
 له بالقتل، ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾، يعني الشرط والمدائن، وهي مدائن الصعيد من نواحي
 مصر، قالوا: أرسل إلى هذا المدائن رجالاً يحشرون إليك من فيها من السحرة، وكان رؤساء السحرة
 بأقصى مدائن الصعيد، فإن غلبهم موسى صدقناه وإن غلبوا علمنا أنه ساحر.

وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ لِمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ
﴿١١٥﴾ قَالَ الْقَوَا فُلَمَا الْقَوَا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرَهُبُهُمْ وَجَاءَ وَبِسِحْرِ
عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾

فذلك قوله: ﴿يأتوك بكل ساحر عليم﴾، قرأ حمزة والكسائي: «سحار» هاهنا وفي سورة
يونس، ولم يختلفوا في الشعراء أنه «سحار».

قيل: الساحر: الذي يعلم السحر ولا يعلم، والسحار: الذي يعلم وقيل: الساحر من يكون
سحره في وقت دون وقت، والسحار من يديم السحر.

قال ابن عباس وابن إسحاق والسدي: قال فرعون لما رأى من سلطان الله في العصا ما رأى:
إننا لا نغالب إلا بمن هو منه، فاتخذ غلماناً من بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية يقال لها الفرحاء
يعلمونهم السحر، فعلموهم سحراً كثيراً، ووعد فرعون موسى موعداً فبعث إلى السحرة فجاؤوا
ومعلمهم معهم، فقال له: ماذا صنعت؟ قال: قد علمتهم سحراً لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن
يكون أمراً من السماء، فإنه لا طاقة لهم به، ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحراً
إلى أتى به.

واختلفوا في عددهم، فقال مقاتل: كانوا اثنين وسبعين، إثنان من القبط، وهما رأسا القوم،
وسبعون من بني إسرائيل.

وقال الكلبي: كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من أهل نينوى، وكانوا سبعين غير
رئيسهم.

وقال كعب: كانوا اثني عشر ألفاً. وقال السدي: كانوا بضعة وثلاثين ألفاً.

وقال عكرمة: كانوا سبعين ألفاً. وقال محمد بن المنكدر: كانوا ثمانين ألفاً. وقال مقاتل: كان
رئيس السحرة شمعون. وقال ابن جريج: رئيس السحرة يوحنا.

﴿وجاء السحرة فرعون﴾، واجتمعوا، ﴿قالوا﴾، لفرعون ﴿إن لنا لأجراً﴾، أي جعلاً ومالاً

فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغَلِبُوا هنَالِكَ وَأَنْقَلَبُوا صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَنَتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأَدِّنَ لَكُمْ ءَإِنَّ هَٰذَا الْمَكْرُ مَكْرَتُمُوهٖ فِي الْمَدِينَةِ لَنُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾

﴿إن كنا نحنُ الغالبيين﴾، قرأ أهل الحجاز وحفص: «ان لنا» على الخبر، وقرأ الباقون بالاستفهام، ولم يختلفوا في الشعراء أنه مستفهم.

﴿قال﴾ فرعون ﴿نعم وإنكم لمن المقربين﴾، في المنزلة الرفيعة عندي مع الأجر، قال الكلبي: يعني أول من يدخل وآخر من يخرج.

﴿قالوا﴾ يعني السحرة ﴿يا موسى إما أن تلقى﴾ عصاك ﴿وإما أن نكون نحنُ الملقين﴾، لعصينا وحبالنا.

﴿قال﴾ موسى بل ﴿ألقوا﴾ أنتم، ﴿فلما ألقوا سحرُوا أعين الناس﴾، أي: صرفوا أعينهم عن إدراك حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل، وهذا هو السحر، ﴿واسترهوبهم﴾، أي: أربهوبهم وأفزعوهم، ﴿وجاؤوا بسحرٍ عظيم﴾، وذلك أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً فإذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً. وفي القصة أن الأرض كانت ميلاً في ميل صارت حيات وأفاعي في أعين الناس.

﴿وأوحينا إلى موسى أن ألقِ عصاك﴾، فألقاها فصارت حية عظيمة حتى سدت الأفق. قال ابن زيد: كان اجتماعهم بالاسكندرية. ويقال: بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة ثم فتحت فاها ثمانين ذراعاً، ﴿فإذا هي تَلْقَفُ﴾ قرأ حفص: «تلقف» ساكنة اللام، خفيفة، حيث كان، وقرأ الآخرون: بفتح اللام وتشديد القاف، أي: تبتلع، ﴿ما يَأْفِكُون﴾، يكذبون من التخييل وقيل: يزورون على الناس. فكانت تلتقم حبالهم وعصيتهم واحداً واحداً حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا فوقع الزحام عليهم فهلك منهم في الزحام خمسة وعشرون ألفاً، ثم أخذها موسى فصارت عصاً كما كانت.

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾، قال الحسن ومجاهد: ظهر الحق، ﴿وبطل ما كانوا يعملون﴾ / من السحر، 1/135

قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْءَ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَجَاءً تَنَارِبًا
 أُفْرِغَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوْفَقًا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ
 لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتِكَ ؕ قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا
 فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾

وذلك أن السحرة قالوا: لو كان ما يصنع موسى سحراً لبقيت حبالنا وعصينا فلما فقدت علموا أن ذلك من أمر الله.

﴿فَغَلَبُوا هَنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾، ذليلين مقهورين.

﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾ لله تعالى. قال مقاتل: ألقاهم الله. وقيل: ألهمهم الله أن يسجدوا فسجدوا. وقال الأخفش: من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا.

﴿قَالُوا آمَنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فقال فرعون: إياي تعنون فقالوا، ﴿رب موسى وهارون﴾، قال مقاتل: قال موسى لكبير السحرة تؤمن بي إن غلبتكم؟ فقال: لأتينا بسحر لا يغلبه سحر، ولئن غلبتني لأؤمنن بك، وفرعون ينظر.

﴿قَالَ﴾ لهم ﴿فرعون﴾ حين آمنوا ﴿آمتتم به﴾ قرأ حفص «آمتتم» على الخبر هاهنا وفي طه والشعراء، وقرأ الآخرون بالاستفهام آمتتم به، ﴿قِيلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾، أصدقتهم موسى من غير أمري إياكم، ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ﴾، أي: صنيع صنعتمون أنتم وموسى: ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر، ﴿لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما أفعل بكم.

﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾، وهو أن يقطع من كل شق طرفاً. قال الكلبي: لأقطن أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى، ﴿ثُمَّ لَأَصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، على شاطيء [نهر] مصر.

﴿قَالُوا﴾، يعني السحرة لفرعون، ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾، راجعون في الآخرة.

﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنْهَا﴾، أي: ما تكره منا. وقال الضحاك وغيره: وما تطعن علينا. وقال عطاء: مالنا عندك من ذنب تعذبنا عليه، ﴿إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا﴾ ثم فرغوا إلى الله عز وجل فقالوا:

(١) في «ب»: (بحر).

قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أَوْزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا
 قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ
 كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ
 لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ اصْبُبْ، ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾، ذكر الكلبي: أن فرعون قطع أيديهم وأرجلهم
 وصلبهم وذكر غيره: أنه لم يقدر عليهم لقوله تعالى: (فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما
 الغالبون) [القصص - ٣٥].

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ له ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾، وأرادوا بالإفساد
 في الأرض دعاءهم الناس إلى مخالفة فرعون في عبادته، ﴿وَيَذَرُكَ﴾، أي: وليذرك، ﴿وَأَلْهَتَكَ﴾،
 فلا يعبدك ولا يعبدها. قال ابن عباس: كان لفرعون بقرة يعبدها، وكان إذا رأى بقرة حسناء أمرهم أن
 يعبدوها، فلذلك أخرج السامري لهم عجلاً. وقال الحسن: كان قد علق على عنقه صليياً يعبده.
 وقال السدي: كان فرعون قد اتخذ لقومه أصناماً وأمرهم بعبادتها، وقال لقومه هذه آلهتكم وأنا ربها
 وربيكم، فذلك قوله (أنا ربكم الأعلى) (النازعات - ٢٤)، وقرأ ابن مسعود وابن عباس والشعبي
 والضحاك: «ويذرك وإلهتك»، بكسر الألف، أي: عبادتك فلا يعبدك، لأن فرعون كان يُعبد ولا
 يُعبد وقيل: أراد بالآلهة الشمس. وكانوا يعبدونها قال الشاعر:

تَرَوُّحْنَا مِنَ اللَّعْبَاءِ قَصْرًا وَأَعْجَلْنَا الْإِلَاهَةَ أَنْ تَوْنَا
 ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿سَتُقْتَلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾، قرأ أهل الحجاز: «سنقتل» بالتخفيف من القتل، وقرأ الآخرون
 بالشديد من التقتيل على الكثير، ﴿ونستحي نساءهم﴾ نتركهن أحياء، ﴿وإننا فوقهم قاهرون﴾،
 غالبون. قال ابن عباس: كان فرعون يقتل أبناء بني إسرائيل في العام الذي قيل أنه يولد مولود يذهب
 بملكك، فلم يزل يقتلهم حتى أتاهم موسى بالرسالة، وكان من أمره ما كان، فقال فرعون: أعيدوا
 عليهم القتل، فأعادوا عليهم القتل، فشكت ذلك بنو إسرائيل.

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ﴾، يعني أرض مصر، ﴿يُورِثُهَا﴾ يعطيها
 ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، بالنصر والظفر. وقيل: السعادة والشهادة. وقيل: الجنة.

فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ
 إِلَّا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ
 لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ
 وَالضَّفَادِعَ وَاللَّمَاءَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾

﴿قالوا أوذينا﴾، قال ابن عباس: لما آمنت السحرة أتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل، فقالوا - يعني قوم موسى - إنا أوذينا، ﴿من قبل أن تأتينا﴾، بالرسالة بقتل الأبناء، ﴿ومن بعد ما جئتنا﴾، بإعادة القتل علينا. وقيل: فالمراد منه أن فرعون كان يستسخرهم قبل مجيء موسى إلى نصف النهار، فلما جاء موسى استسخرهم جميع النهار بلا أجر. وذكر الكلبي أنهم كانوا يضربون له اللبن بتين فرعون، فلما جاء موسى أجبرهم أن يضربوه بتين من عندهم. ﴿قال﴾ موسى ﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم﴾، فرعون، ﴿ويستخلفكم في الأرض﴾، أي: يسكنكم أرض مصر من بعدهم، ﴿فينظر كيف تعملون﴾، فحقق الله ذلك بإغراق فرعون واستخلافهم في ديارهم وأموالهم فعبدوا العجل.

قوله عز وجل: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾، أي: بالجدوب والقحط. تقول العرب: مستهم السنة، أي: جذب السنة وشدة السنة. وقيل: أراد بالسنين القحط سنة بعد سنة، ﴿ونقص من الثمرات﴾، والغلات بالآفات والعامات. وقال قتادة: أما السنين فلاهل البوادي، وأما نقص الثمرات فلاهل الأمصار، ﴿لعلهم يذكرون﴾، أي: يتعظون وذلك لأن الشدة ترقق القلوب وترغبها فيما عند الله عز وجل.

﴿فإذا جاءتهم الحسنة﴾، يعني: الخصب والسعة والعافية، ﴿قالوا لنا هذه﴾، أي: نحن أهلها ومستحقوها على العادة التي جرت لنا في سعة أرزاقنا ولم يروها تفضلاً من الله عز وجل فيشكروا عليها، ﴿وإن تصبهم سيئة﴾، جذب وبلاء ورأوا ما يكرهون، ﴿يطيئروا﴾، يتشاءموا، ﴿بموسى ومن معه﴾، وقالوا: ما أصابنا بلاء حتى رأيناهم، فهذا من شؤم موسى وقومه.

قال سعيد بن جبيرة ومحمد بن المنكدر: كان مُلكُ فرعون أربعمائة سنة، وعاش ستمائة وعشرين سنة لا يرى مكروهاً، ولو كان له في تلك المدة جوع يوم أو حُمى ليلة، أو وجع ساعة، لما ادعى الربوبية قط. قال الله تعالى ﴿إلا إنما طائرهم عند الله﴾، أي: انصباؤهم من الخصب والجذب

والخير والشرك كله من الله . وقال ابن عباس : طائرهم ما قضى الله عليهم وقدّر لهم . وفي رواية عنه : شؤمهم عند الله ومن قبل الله . أي : إنما جاءهم الشؤم بكفرهم بالله . وقيل : معناه الشؤم العظيم الذي لهم عند الله من عذاب النار ، ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ، أن الذي أصابهم من الله .

﴿وقالوا﴾ ، يعني : القبط لموسى ﴿مهما تأتانا﴾ ، متى ما كلمة تستعمل للشرط والجزاء ، ﴿تأتانا به من آية﴾ من علامة ، ﴿لتسحرنا بها﴾ ، لتقلنا عما نحن عليه من الدين ، ﴿فما نحن لك بمؤمنين﴾ بمصدقين .

﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ قال ابن عباس / وسعيد بن جبيرة وقتادة ومحمد بن إسحاق - دخل ١٣٥/ ب
كلام بعضهم في بعض - : لما آمنت السحرة ، ورجع فرعون مغلوباً ، أبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر والتمادي في الشر ، فتابع الله عليهم الآيات وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ، فلما عالج منهم بالآيات الأربع : العصا ، واليد ، والسنين ، ونقص الثمار ، فأبوا أن يؤمنوا فدعا عليهم ، فقال : يا رب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغى وعتا وإن قومه قد نقضوا عهدك ، رب فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نعمة ولقومي عظة ولمن بعدهم آية وعبرة ، فبعث الله عليهم الطوفان ، وهو الماء ، أرسل الله عليهم الماء وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة ، فامتلت بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة ، وركد الماء على أرضهم لا يقدر أن يحرثوا ولا يعملوا شيئاً ، ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت .

وقال مجاهد وعطاء : الطوفان الموت . وقال وهب : الطوفان الطاعون بلغة اليمن . وقال أبو قلابة : الطوفان الجدري ، وهم أول من عذبوا به فبقي في الأرض .
وقال مقاتل : الطوفان الماء طغى فوق حرثهم .

وروى ابن ظبيان عن ابن عباس قال : الطوفان أمر من الله طاف بهم ، ثم قرأ (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) (القلم - ١٩) .

قال نحاة الكوفة : الطوفان مصدر لا يُجمع ، كالرجحان والنقصان .

وقال أهل البصرة : هو جمع ، واحدا طوفانة ، فقال لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا المطر فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل ، فدعا ربه فرفع عنهم الطوفان ، فأنتب الله لهم في تلك السنة شيئاً لم ينبت لهم قبل ذلك من الكلاء والزرع والثمر وأخصبت بلادهم ، فقالوا : ما كان هذا الماء إلا

نعمة علينا وخصباً، فلم يؤمنوا وأقاموا شهراً في عافية، فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زروعهم وثمارهم وأوراق الشجر حتى كانت تأكل الأبواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والأمتعة ومسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم، وابتلي الجراد بالجوع، فكان لا يشبع ولم يصب بني إسرائيل شيء من ذلك ففجعوا وضجوا، وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك، وأعطوه عهد الله وميثاقه، فدعا موسى عليه السلام فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت.

وفي الخبر: «مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الأعظم»^(١).

ويقال إن موسى برز إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت، وكانت قد بقيت من زروعهم وغلاتهم بقية، فقالوا: قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا، فلم يفوا بما عاهدوا، وعادوا لأعمالهم السوء، فأقاموا شهراً في عافية، ثم بعث الله عليهم القمل.

[واختلفوا في القمل]^(٢) فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: القمل السوس الذي يخرج من الحنطة. وقال مجاهد والسدي وقتادة والكلبي: القمل الدبى والجراد الطيارة التي لها أجنحة، والدبى الصغار التي لا أجنحة لها. وقال [عكرمة: هي بنات]^(٣) الجراد. وقال أبو عبيدة: وهو الحمّان وهو ضرب من القراد. وقال عطاء الخراساني: هو القمل. وبه قرأ أبو الحسن (القمل) بفتح القاف وسكون الميم.

قالوا: أمر الله موسى أن يمشي إلى كثيب أعفر، بقرية من قرى مصر تدعى عين الشمس، فمشى موسى إلى ذلك الكثيب وكان أهيل فضربه بعصاه فانتال عليهم القمل، ففتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكله، ولحس الأرض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيعضه، وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتليء قملاً.

قال سعيد بن المسيب: القمل السوس الذي يخرج من الحبوب، وكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحا فلا يرد منها ثلاثة أقفرة، فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل، وأخذ أشعارهم

(١) انظر: الدر المنثور: ٥٢٢/٧ - ٥٢٣، ففيه جملة أخبار بهذا المعنى فيها ضعف ونكارة.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) ساقط من «ب».

وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجذري عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا إلى موسى أنا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا البلاء، فدعا موسى عليه السلام الله فرفع الله القمل عنهم بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فنكثوا وعادوا إلى أخبث أعمالهم . وقالوا: ما كنا قط أحق أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم يجعل الرمل دواب . فدعا موسى بعدما أقاموا شهراً في عافية، فأرسل الله عليهم الضفادع فامتلات منها بيوتهم وأفنيتهم وأطعمتهم وأنيتهم، فلا يكشف أحدٌ إناءً ولا طعاماً إلا وجد فيه الضفادع، وكان الرجل يجلس في الضفادع إلى ذقنه، ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه، وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفيء نيرانهم، وكان أحدهم يضطجع فتركبه الضفادع فتكون عليه ركماً حتى ما يستطيع أن ينصرف إلى شقه الآخر، ويفتح فاه لأكلته فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه، ولا يعجن عجينةً إلا تشدخت فيه، ولا يفتح قدراً إلا امتلات ضفادع، فلقوا منها أذىً شديداً.

روى عكرمة عن ابن عباس قال: كانت الضفادع برية، فلما أرسلها الله على آل فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف أنفسها في القدر وهي تغلي، وفي التناير وهي تفور، فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء، فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا ذلك^(١) إلى موسى، وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود، فأخذ عهودهم وموائيقهم، ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعدما أقام سبعاً من السبت إلى السبت، فأقاموا شهراً في عافية ثم نقضوا العهد وعادوا لكفرهم، فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم الدم، فسال النيل عليهم دماً وصارت مياههم دماً وما يستقون من الآبار والأنهار إلا وجدوه دماً عبيطاً أحمر، فشكوا إلى فرعون وقالوا ليس لنا شراب، فقال: إنه سحركم، فقالوا: من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئاً من الماء إلا دماً عبيطاً؟ وكان فرعون يجمع بين القبطي والإسرائيلي على الإناء الواحد فيكون ما يلي الإسرائيلي ماءً والقبطي دماً [ويقومان إلى الجرة فيها الماء فيخرج للإسرائيلي ماء وللقبطي دم]^(٢)، حتى كانت المرأة من آل فرعون تأتي المرأة من بني إسرائيل حين جهدهم العطش فتقول اسقني من مائك فتصب لها من قربتها فيعود في الإناء دماً حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم مجيه في في فتأخذ في فيها ماءً فإذا مجته / في فيها صار دماً، وإن فرعون اعتراه العطش حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة، فإذا مضغها يصير ماؤها في فيه ملحاً أجاجاً، فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يشربون إلا الدم.

(١) ساقط من «ب».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ
عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ
الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ
بِآثِمِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾

قال زيد بن أسلم: الدم الذي سُلط عليهم كان الرعاف، فأتوا موسى وقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه عز وجل فكشف عنهم، فلم يؤمنوا، فذلك قوله عز وجل: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات﴾، يتبع بعضها بعضاً. وتفصيلها أن كل عذاب يمتد أسبوعاً، وبين كل عذابين شهراً، ﴿فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾.

﴿ولما وقع عليهم الرِّجْزُ﴾، أي: نزل بهم العذاب وهو ما ذكر الله عز وجل من الطوفان وغيره. . وقال سعيد بن جبیر: الرجز الطاعون، وهو العذاب السادس بعد الآيات [الخمس] (١)، حتى مات منهم سبعون ألفاً في يوم واحد، فأمسوا وهم لا يتدافعون ﴿قالوا﴾ لموسى ﴿يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾ أي: بما أوصاك.

وقال عطاء: بما نبأك. وقيل: بما عهد عندك من إجابة دعوتك ﴿لئن كشفت عنا الرِّجْزُ﴾ وهو الطاعون ﴿لنؤمننَّ لك ولنرسلنَّ معك بني إسرائيل﴾.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي ثنا زاهر بن أحمد ثنا أبو إسحاق الهاشمي ثنا أبو مصعب عن مالك عن محمد بن المنكدر عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد: أسمعت من رسول الله ﷺ في الطاعون؟ فقال أسامة بن زيد: [قال رسول الله ﷺ] (٢): «الطاعون رجز أرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه» (٣).

قوله عز وجل: ﴿فلما كشفنا عنهم الرِّجْزَ إلى أجلٍ هُمْ بِالْغُوهِ﴾ يعني: إلى الغرق في اليم

(١) ساقط من «أ».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه البخاري في الأنبياء: ٥١٣/٦، ومسلم في السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، برقم (٢٢١٨) ١٧٣٧/٤،

والمصنف في شرح السنة: ٢٥٤/٥.

وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي
 بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ
 يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ
 فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يُمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ
 قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ
 أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَيْكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾

﴿إذا هم ينكثون﴾ ينقضون العهد.

﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم﴾ يعني: البحر ﴿بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾
 أي: عن النعمة قبل حلولها غافلين. وقيل: معناه عن آياتنا معرضين.

﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يُسْتَضَعُونَ﴾، يُقهرون ويُستذلون بذبح الأبناء واستخدام النساء
 [والاستعباد وهم بنو إسرائيل] (١)، ﴿مشارك الأرض ومغاربها﴾ يعني مصر والشام ﴿التي باركنا فيها﴾
 بالماء والأشجار والثمار والخصب والسعة ﴿وتمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعني:
 وَفَتْ كَلِمَةَ اللَّهِ وَهِيَ وَعْدُهُ إِيَّاهُمْ بِالنَّصْرِ وَالتَّمَكِينِ فِي الْأَرْضِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى
 الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ) [القصص - ٥] ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على دينهم وعلى عذاب فرعون
 ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أهلكننا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾، فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنَ الْعِمَارَاتِ، ﴿وَمَا كَانُوا
 يَعْرِشُونَ﴾ قَالَ مَجَاهِدٌ: بَيْنُونَ مِنَ الْبُيُوتِ وَالْقُصُورِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: يَعْرِشُونَ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالتَّمَارِ
 وَالأَعْنَابِ. وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو بَكْرِ ﴿يَعْرِشُونَ﴾ بِضَمِّ الرَّاءِ هَا هُنَا فِي النُّحْلِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِكسرها.
 قوله تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر﴾ قال الكلبي: عبر بهم موسى البحر يوم عاشوراء
 بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكراً لله عز وجل ﴿فأتوا﴾ فمروا ﴿على قوم يعكفون﴾ يقيمون قرأ
 حمزة والكسائي ﴿يعكفون﴾ بكسر الكاف وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان، ﴿على أصنام﴾ أوثان
 ﴿لهم﴾، يعبدونها من دون الله.

قال ابن جريج: كانت تماثيل بقر، وذلك أول شأن العجل. قال قتادة: كان أولئك القوم من

(١) ساقط من (ب).

وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ﴿١٤٢﴾ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٣﴾

لحم وكانوا نزولاً بالرقه، فقالت بنو إسرائيل ما رأوا ذلك: ﴿قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً﴾ أي: مثلاً نعبده ﴿كما لهم آلهة﴾، ولم يكن ذلك شكاً من بني إسرائيل في وحدانية الله، وإنما معناه: اجعل لنا شيئاً نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله عز وجل وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم. ﴿قال﴾ موسى ﴿إنكم قوم تجهلون﴾، عظمة الله.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا مُتَّبِعٌ مُتَّبَعٌ﴾، ﴿ما هم فيه﴾ والتبعية الإهلاك، ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾.

﴿قال﴾ يعني موسى ﴿أغیر الله أبغیکم﴾، أي: أبغى لكم وأطلب، ﴿إلهاً وهو فضلکم علی العالمین﴾ أي: على عالمي زمانكم.

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار، أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق بن إبراهيم الديري أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن سنان بن أبي سنان الديلي عن أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع النبي ﷺ قبل حنين، فمررنا بسدرية، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواطٍ كما كان للكفار ذات أنواط، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرية يعكفون حولها، فقال النبي ﷺ: الله أكبر، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة إنكم تركبون سنن من قبلكم»^(١).

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ﴾، قرأ ابن عامر «أنجاكم» وكذلك هو في مصاحف أهل الشام، ﴿من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم﴾، قرأ نافع «يقتلون» خفيفة، من القتل، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير من القتل، ﴿ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم﴾.

(١) أخرجه الترمذي في أبواب الفتن، باب لتركبن سنن من كان قبلكم: ٤٠٧/٦ - ٤٠٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن اسحاق في السيرة: ٨٤/٤ - ٨٥، والطيالسي في مسنده برقم (١٣٤٦)، وابن أبي عاصم في السنة: ٣٧/١، وابن حبان برقم (١٨٣٥) من موارد الظمان، والامام أحمد في المسند: ٢١٨/٥.

وانظر: النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحيد ص ٦٤ - ٦٥.

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرِنِي وَلَكِن
 أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ
 دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾، ذي القعدة، ﴿وأتمناها بعشر﴾، من ذي الحجة، ﴿فتم
 ميقات ربّه أربعين ليلة وقال موسى﴾ عند انطلاقه إلى الجبل للمناجاة ﴿لأخيه هارون اخلفني﴾،
 كن خليفتي، ﴿في قومي وأصلح﴾، أي أصلحهم بحملك إياهم على طاعة الله. وقال ابن عباس:
 يريد الرفق بهم والإحسان إليهم ﴿ولا تتبع سبيل المفسدين﴾، أي: لا تطع من عصى الله ولا توافقه
 على أمره، وذلك أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهم بمصر: أن الله إذا أهلك عدوهم أتاهم
 بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون! فلما فعل الله ذلك بهم سأل موسى ربّه الكتاب، فأمره الله عزّ
 وجلّ أن يصوم ثلاثين يوماً، فلما تمّت ثلاثون أنكر خلوف فمه، فتسوّك بعود خروب.

وقال أبو العالية: أكل من لحاء شجرة، فقالت له الملائكة: كنا نشم من فيك رائحة المسك،
 فأفسدته بالسواك، فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذي الحجة، وقال: أما علمت أن خلوف
 فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك، فكانت فنتهم في العشر التي زادها.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا﴾، أي: للوقت الذي / ضربنا له أن نكلمه فيه. قال
 أهل التفسير: إن موسى عليه السلام تطهّر وطهّر ثيابه لميعاد ربه لما أتى طور سيناء. وفي القصة: إن
 الله عزّ وجلّ أنزل ظلمة على سبعة فراسخ وطرد عنه الشيطان وطرد عنه هوام الأرض ونحى عنه الملكين
 وكشط له السماء ورأى الملائكة قياماً في الهواء ورأى العرش بارزاً وكلمه الله وناجاه حتى أسمعته،
 وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلمه ربه وأدناه حتى سمع صرير القلم فاستحلى موسى
 عليه السلام كلام ربه واشتاق إلى رؤيته ﴿قال ربّ أرنني أنظر إليك﴾، قال الزجاج: فيه اختصار
 تقديره: أرنني نفسك أنظر إليك. قال ابن عباس: أعطني انظر إليك. فإن قيل: كيف سأل الرؤية وقد
 علم أن الله تعالى لا يرى في الدنيا؟ قال الحسن: هاج به الشوق فسأل الرؤية. وقيل: سأل الرؤية
 ظناً منه أنه يجوز أن يرى في الدنيا ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿لن تراني﴾ وليس لبشر أن يطبق النظر [إليّ]
 في الدنيا من نظر إليّ] (١) في الدنيا مات فقال إلهي سمعت كلامك فاشتقت إلى النظر إليك ولأن انظر

(١) ساقط من (أ).

إليك ثم أموت أحب إلي من أن أعيش ولا أراك فقال الله عز وجل: ﴿ولكن انظر إلى الجبل﴾، وهو أعظم جبل بمدين يقال له زبير.

قال السدي: لما كلم الله موسى غاص الخبيث إبليس في الأرض حتى خرج بين قدمي موسى، فوسوس إليه: أن يكلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى الرؤية فقال الله عز وجل: ﴿لن تراني﴾، وتعلقت نفاة الرؤية بظاهر هذه الآية، وقالوا: قال الله تعالى: ﴿لن تراني﴾، ولن تكون للتأيد، ولا حجة لهم فيها ومعنى الآية: لن تراني في الدنيا أو في الحال، لأنه كان يسأل الرؤية في الحال و«لن» لا تكون للتأيد، كقوله تعالى: (ولن يتمنوه أبداً) [البقرة - ٩٥]، إخباراً عن اليهود، ثم أخبر عنهم أنهم يتمنون الموت في الآخرة يقولون (يا مالك ليقتض علينا ربك) [الزخرف - ٧٧]، و«يا ليتها كانت القاضية» [الحاقة - ٢٧]، والدليل عليه أنه لم ينسبه إلى الجهل بسؤال الرؤية ولم يقل إنني لا أرى حتى يكون لهم حجة بل علق الرؤية على استقرار الجبل واستقرار الجبل على التجلي غير مستحيل إذا جعل الله تعالى له تلك القوة، والمعلّق بما لا يستحيل لا يكون محالاً.

قال الله تعالى: ﴿ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾، قال وهب وابن إسحاق لما سأل موسى ربه الرؤية أرسل الله الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق وأحاطت بالجبل الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب، وأمر الله^(١) ملائكة السماء أن يعترضوا على موسى فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر تنبع أفواههم بالتسييح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد، ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه، فهبطوا عليه أمثال الأسود لهم لجب بالتسييح والتقديس، ففزع العبد^(٢) الضعيف ابن عمران ممّا رأى وسمع واقشعرت كل شعرة في رأسه وجسده، ثم قال: لقد ندمت على مسألتني فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه شيء؟ فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا موسى اصبر لما سألت، فقليل من كثير ما رأيت.

ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه، فهبطوا^(٣) أمثال النسور لهم قصف ورجف شديد، وأفواههم تنبع بالتسييح والتقديس كجلب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار، ففزع موسى واشتد نفسه وأيس من الحياة، فقال له خير الملائكة: مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا تصبر عليه، ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى بن

(١) لفظ الجلالة ساقط من «ب».

(٢) ساقط من «ب».

عمران فهبطوا عليه فكان لا يشبههم شيء من الذين مروا به قبلهم ألوانهم كلهب النار، وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتقديس والتسييح لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مروا به قبلهم، فاصطكت ركبته وأرعد قلبه واشتد بكاءه فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا بن عمران اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت.

ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى فهبطوا عليه لهم سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم بصره، لم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلاً جوفه خوفاً واشتد حزنه وكثر بكاءه، فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا بن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه.

ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبيد الذي طلب ليراني، فهبطوا عليه في يد كل ملكٍ منهم مثل النخلة الطويلة، نار أشد ضوءاً من الشمس، ولباسهم كلهب النار إذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات، كلهم يقولون بشدة أصواتهم: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ العِزَّةِ أبدأ لا يموت، في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه، فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم [حين سبحوا]^(١) وهو يبكي ويقول: رَبِّ اذكري ولا تنس عبدك لا أدري أنفلتُ ممَّا أنا فيه أم لا؟ إن خرجتُ احترقتُ وإن مكثتُ مت، فقال له كبير الملائكة ورأسهم: قد أوشكت يا بن عمران أن يشتدَّ خوفُك وينخلع قلبك فاصبرٌ للذي سألت.

ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه في ملائكة السماء السابعة فلما بدا نورُ العرش انفرج الجبل من عظمة الرب جلَّ جلاله، ورفعت ملائكة السموات أصواتهم جميعاً يقولون: سبحان القدوس ربَّ العِزَّةِ أبدأ لا يموت بشدة أصواتهم، فارتج الجبل واندكت كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعباً على وجهه ليس معه روحه، فأرسل الله برحمته الروح فتغشاه، وقلب عليه الحجر الذي كان عليه موسى وجعله كهيئة القبة لثلا يحترق موسى، فأقامه الروح مثل اللامة، فقام موسى يسبح الله تعالى ويقول آمنتُ بك ربِّي وصدقت أنه لا يراك أحد فيحيا، من نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الأرباب وإله الآلهة وملك الملوك، ولا يعدُّ لك شيء ولا يقوم لك شيء، ربَّ تبتُ إليك الحمد لك لا شريك لك ما أعظمك وما أجلك رب العالمين، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تجلَّى ربُّه للجبل جعله دكاً﴾، قال ابن عباس: ظهر / نورُ ربِّه للجبل، جبل زبير. وقال الضحاك: أظهر الله من نور الحجب مثل منخر ثور. وقال عبدالله بن سلام وكعب الأحبار: ما

(١) ساقط من «ب».

تجلى من عظمة الله للجبل إلا مثل سم الخياط حتى صار دكاً. وقال السدي: ما تجلى إلا قدر الخنصر، يدل عليه ما روى ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية وقال: «هكذا» ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر، فساخ الجبل^(١).

وحكي عن سهل بن سعد الساعدي أن الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نوراً قدر الدرهم فجعل الجبل دكاً، أي: مستويّاً بالأرض، قرأ حمزة والكسائي (دكاء) ممدوداً غير منون ها هنا وفي سورة الكهف، [وافق عاصم في الكهف]^(٢)، وقرأ الآخرون (دكا) مقصوراً منوناً، فمن قَصَرَه فمعناه جعله مدقوقاً: والدك والدق واحد، وقيل: معناه دكه الله دكاً، أي: فْتَتَه كما قال: (كلا إذا دُكَّتِ الأرضُ دَكاً دكاً) [الحاقة - ٢١]، ومن قرأ بالمدّ أي: جعله مستويّاً أرضاً دكاء.

وقيل: معناه جعله مثل دكاء وهي الناقة التي لا سنام لها قال ابن عباس: جعله تراباً. وقال سفيان: ساخ الجبل في الأرض حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه. وقال عطية العوفي: صار رملاً هائلاً. وقال الكلبي: جعله دكاً أي كسراً جبلاً صغاراً.

ووقع في بعض التفاسير: صار لعظمته ستة أجبل وقعت ثلاثة بالمدينة: أحد وورقان ورضوي، ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء^(٣).

قوله عز وجل: ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾. قال ابن عباس والحسن: مغشياً عليه. وقال قتادة: ميتاً^(٤). وقال الكلبي: خرّ موسى صعقاً يوم الخميس يوم عرفة وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر. قال الواقدي: لما خرّ موسى صعقاً قالت ملائكة السموات: ما لابنِ عمران وسؤال الرؤية؟ وفي بعض الكتب^(٥) أن ملائكة السموات أتوا موسى وهو مغشي عليه فجعلوا يركلونه بأرجلهم ويقولون يا

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، سورة الأعراف: ٤٥١/٨ - ٤٥٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، ورواه أيضاً من طريق عبد الوهاب الوراق وقال: هذا حديث حسن.

وأخرجه الحاكم في المستدرک: ٣٢٠/٢ - ٣٢١.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) هذه الرواية الطويلة عن ابن اسحاق ووهب، في تفسير الآيات من الروايات الاسرائيلية، وفيها كثير من الكلام المتهافت، وعلامات الاختلاق ظاهرة عليها. ونضع هنا كلمة الشيخ محمد أبو شهبة تعليقاً على هذه الرواية بعد أن ساق رواية البغوي، قال رحمه الله: «وهذه المرويات وأمثالها، مما لا نشك أنها من إسرائيليات بني إسرائيل وكذبهم على الله، وعلى الأنبياء، وعلى الملائكة، فلا تلقى إليه بالأل. وليس تفسير الآية في حاجة إلى هذه المرويات. والآية ظاهرة واضحة، وليس فيها ما يدل على امتناع رؤية الله في الآخرة كما دل على ذلك القرآن الكريم والسنة الصحيحة المتواترة، وغاية ما تدل عليه: امتناع الرؤية البصرية في الدنيا، لأن العين الفانية لا تقدر أن ترى الذات الباقية.

انظر: الاسرائيليات والموضوعات لأبي شهبة ص (٢٧٧ - ٢٨١).

(٤) وهذه أيضاً من الاسرائيليات المكذوبة، وهي تتفق مع طبيعة بني إسرائيل وموقفهم من الأنبياء وإطالة ألسنتهم بالسوء في حقهم، =

قَالَ يَمْوَسِيَّ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَاءً آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

ابن النساء الحبيص أطمعت في رؤية رب العزة. ﴿فلما أفاق﴾ موسى من صعقته وثاب إليه عقله عرف أنه قد سأل أمراً لا ينبغي له ﴿قال سبحانهك تبت إليك﴾ عن سؤال الرؤية ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ بأنك لا ترى في الدنيا. وقال مجاهد والسدي: وأنا أول من آمن بك من بني إسرائيل.

﴿قال يا موسى إنني اصطفتيتك على الناس﴾ اخترتك على الناس، قرأ ابن كثير وأبو عمرو «إني» بفتح الياء وكذلك «أخي اشدد» [طه - ٣١]، ﴿برسالاتي﴾، قرأ أهل الحجاز برسالتي على التوحيد، والآخرين بالجمع، ﴿وبكلامي فخذ ما آتيتك﴾ أعطيتك ﴿وكن من الشاكرين﴾ لله على نعمه.

فإن قيل: فما معنى قوله «اصطفتيتك على الناس برسالاتي» وقد أعطي غيره الرسالة؟ قيل: لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله اصطفتيتك على الناس وإن شاركه فيه غيره، كما يقول للرجل: خصصتك بمشورتي وإن شاور غيره إذا لم تكن المشورة على العموم يكون مستقيماً.

وفي بعض القصة: أن موسى عليه السلام كان بعدما كلمه ربه لا يستطيع أحد أن ينظر إليه لما غشي وجهه من النور، ولم يزل على وجهه برقع حتى مات. وقالت له امرأته: أنا أيم منك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت لله ساجدة، وقالت: ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة، قال: ذاك إن لم تتزوجي بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن علي المزكي أنا أبو العباس محمد بن أحمد بن إسحاق السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا راشد بن أسعد بن عبدالرحمن المغافري عن أبيه عن كعب الأحبار: أن موسى نظر في التوراة فقال: إنني أجد أمة خير الأمم أخرجت للناس يأملون بالمعروف، وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله وبالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعداء الدجال، ربّ اجعلهم أمتي، قال: هي أمة محمد يا موسى، فقال: ربي إنني أجد أمة هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون إذا أرادوا أمراً

= وتنقيصهم ما استطاعوا!

وانظر: تفسير الألوسي: ٤٦/٩.

وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا
بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

قالوا نفعل إن شاء الله فاجعلهم أمتي، قال: هي أمة محمد، فقال: ربّ إني أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم، وكان الأولون يحرقون صدقاتهم بالنار، وهم المستجيبيون والمستجاب لهم الشافعون المشفعون لهم فاجعلهم أمتي، قال: هي أمة محمد، قال: يا ربّ إني أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله فإذا هبط وادياً حمد الله، الصعيد لهم طهور والأرض لهم مسجد حيث ما كانوا، يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء، غرّ محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي، قال: هي أمة أحمد، فقال: ربّ إني أجد أمة إذا همّ أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة مثلها وإن عملها كتبت له ضعف عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وإذا همّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت له سيئة مثلها، فاجعلهم أمتي، قال: هي أمة أحمد، فقال: ربّ إني أجد أمة مرّحومة ضعفاء يرثون الكتاب من الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولا أجد أحداً منهم إلاّ مرحوماً فاجعلهم أمتي، قال: هي أمة محمد، فقال: يا ربّ إني أجد أمة [مصاحفهم]^(١) في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصفون في صلاتهم صفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار أحد منهم أبداً إلا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر، فاجعلهم أمتي، قال: هي أمة أحمد، فلما عجب موسى من الخير الذي أعطى الله محمداً ﷺ وأمته قال: يا ليتني من أصحاب محمد أو أمته، فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرضيه بهن: «يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي» إلى قوله: «سأريكم دار الفاسقين. ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون»، فرضي موسى كلّ الرضا^(٢).

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ﴾، يعني لموسى، ﴿فِي الْأَلْوَابِ﴾، قال ابن عباس: يريد ألواح

(١) في «ب»: أناجيلهم.

(٢) عزاه السيوطي لأبي نعيم في الدلائل عن عبدالرحمن المغافري عن كعب الأجار موقوفاً عليه. انظر: الدر المشور: ٥٥٧/٣ - ٥٥٨، وينحوه أخرجه الطبري أيضاً عن قتادة سبياً لتزول قوله تعالى: «وَألقى الألواح» ولم يذكر ذلك البغوي في روايته.

قال ابن عطية الأندلسي في تفسيره: ٨٧/٦ «وهذا قول رديء لا ينبغي أن يوصف موسى عليه السلام به».

وقال الحافظ ابن كثير: «وروي ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً، لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة، وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء، وهو جدير بالرد، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب، وفيهم كذابون ووضاعون وأفاكون وزنادقة».

انظر: تفسير ابن كثير: ٢٤٩/٢.

التوراة، وفي الحديث: «كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعاً»^(١). وجاء في أحاديث خلق الله آدم بيده: «وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده»^(٢).

قال الحسن: كانت الألواح من خشب. قال الكلبي / : كانت من زبرجدة خضراء. وقال ١٣٧/ب سعيد بن جبير: كانت من ياقوت أحمر، وقال الربيع بن أنس: كانت الألواح من برد. قال ابن جريج: كانت من زمرد، أمر الله جبريل حتى جاء بها من عدن، وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور وقال وهب: أمره الله بقطع الألواح من صخرة صماء لئنها الله له فقطعها بيده ثم شققها بأصبعه، وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشرة وكان ذلك في أول يوم من ذي القعدة، وكانت الألواح عشرة أذرع على طول موسى. وقال مقاتل وهوب: «وكتبنا له في الألواح»، كنقش الخاتم. وقال الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير، يقرأ الجزء منه في سنة، لم يقرأها إلا أربعة نفر: موسى، ويوشع، وعزير، وعيسى.

وقال الحسن: هذه الآية في التوراة ألف آية يعني «وكتبنا له في الألواح» ﴿من كل شيء﴾، مما أمروا به ونهوا عنه، ﴿موعظة﴾ نهياً عن الجهل، وحقيقة الموعظة: التذكرة والتحذير بما يخاف عاقبته، ﴿وتفصيلاً لكل شيء﴾، أي: تبييناً لكل شيء من الأمر والنهي، والحلال والحرام، والحدود والأحكام. ﴿فخذها بقوة﴾، أي: بجد واجتهاد. وقيل: بقوة القلب وصحة العزيمة، لأنه إذا أخذه بضعف النية آداه إلى الفتنور، ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾، قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: يُحِلُّوا حلالها، ويُحرِّموا حرامها، ويتدبَّروا أمثالها، ويعملوا بمُحكَمِها، ويقفوا عند متشابهها وكان موسى عليه السلام أشدَّ عبادة من قومه، فأمر بما لم يؤمروا به.

قال قطرب: بأحسنها أي بحسنها، وكلها حسن. وقيل: أحسنها الفرائض والنوافل، وهي ما يستحق عليها الثواب، وما دونها المباح، لأنه لا يستحق عليه الثواب. وقيل: بأحسنها بأحسن الأمرين في كل شيء كالعفو أحسن من القصاص، والصبر أحسن من الانتصار. ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾، قال مجاهد: مصيرها في الآخرة. قال الحسن وعطاء: يعني

وقال القرطبي: «ولا التفات لما روي عن قتادة إن صح، ولا يصح أن إلقاء الألواح إنما كان لما رأى من فضيلة أمة محمد ﷺ ولم يكن ذلك لأتمته. وهذا قول رديء لا ينبغي أن يضاف إلى موسى عليه السلام». تفسير القرطبي: ٢٨٨/٧.

(١) عزاه السيوطي لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده. انظر: الدر المنثور: ٥٤٨/٣.

(٢) عزاه السيوطي لابن أبي الدنيا في صفة الجنة وأبي الشيخ في العظمة، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات: ٤٧/٢ «إن الله عز وجل خلق ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده» وقال: هذا مرسل.

سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾

جهنم ، يحذرکم أن تكونوا مثلهم . وقال قتادة وغيره : سأدخلکم الشام فأريکم منازل القرون الماضية الذين خالفوا أمر الله لتعتبروا بها . قال عطية العوفي : أراد دار فرعون وقومه وهي مصر ، يدل عليه قراءة قسامة بن زهير : «سأورثکم دار الفاسقين» ، وقال السدي : دار الفاسقين مصارع الكفار . وقال الكلبي : ما مروا عليه إذا سافروا من منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكوا .

قوله تعالى : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ قال ابن عباس : يريد الذين يتجبرون على عبادي ويحاربون أوليائي حتى لا يؤمنوا بي ، يعني : سأصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم للحق ، كقوله : (فلما زاغوا أزاغ اللّٰه قلبوهم) .

قال سفيان بن عيينة : سأمنعهم فهم القرآن . قال ابن جريج : يعني عن خلق السموات والأرض وما فيها أي أصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها . وقيل : حكم الآية لأهل مصر خاصة ، وأراد بالآيات الآيات التسع التي أعطها الله تعالى موسى عليه السلام . والأكثر أن الآية عامة ﴿وإن يَرَوْا﴾ [يعني : هؤلاء المتكبرين] ﴿كُلُّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ قرأ حمزة والكسائي «الرُّشْد» بفتح الراء والشين ، والآخرين بضم الراء وسكون الشين وهما لغتان كالتَّسْقُم والسَّقْم والبُخْل والبُخْل والحُزْن والحَزْن .

وكان أبو عمرو يفرق بينهما ، فيقول : الرُّشْد - بالضم - الصلاح في الأمر ، وبالفتح الاستقامة في الدين . معنى الآية : إن يروا طريق الهدى والسداد ﴿لا يتخذوه﴾ لأنفسهم ﴿سَبِيلًا﴾ ، ﴿وإن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ﴾ أي طريق الضلال ﴿يتخذوه سَبِيلًا﴾ ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴿عن التفكير فيها والاتعاظ بها غافلين ساهين .

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خَوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ
وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ
وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

﴿والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة﴾، أي: ولقاء الدار الآخرة التي هي موعد الثواب والعقاب،
﴿حبطت أعمالهم﴾، بطلت وصارت كأن لم تكن، ﴿هل يُجزون﴾ في العقبى ﴿إلا ما كانوا﴾، أي
إلا جزاء ما كانوا ﴿يعملون﴾، في الدنيا.

قوله عز وجل: ﴿واتخذ قوم موسى من بعده﴾، أي: بعد انطلاقه إلى الجبل ﴿من حلّهم﴾
التي استعاروها من قوم فرعون. قرأ حمزة والكسائي ﴿من حلّهم﴾ بكسر الحاء [وقرأ يعقوب بفتح
الحاء وسكون اللام] (١)، واتخذ السامري منها ﴿عجلاً﴾ وألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل عليه
السلام فتحول عجلاً، ﴿جسداً﴾، حياً لحمياً ودماً ﴿له خوار﴾. وهو صوت البقر، وهذا قول ابن
عباس، والحسن، وقتادة، وجماعة أهل التفسير.

وقيل: كان جسداً مجسداً من ذهب لا روح فيه، كان يسمع منه صوت.
وقيل: كان يسمع صوت حفيف الريح يدخل في جوفه ويخرج، والأول أصح.
وقيل: إنه ما خار إلا مرة واحدة. وقيل: كان يخور كثيراً كلما خار سجدوا له وإذا سكت رفعوا
رؤوسهم. وقال وهب: كان يسمع منه الخوار وهو لا يتحرك.

وقال السدي: كان يخور ويمشي ﴿ألم يروا﴾ يعني: الذين عبدوا العجل ﴿أنه لا يكلمهم ولا
يهداهم سبيلاً﴾. قال الله عز وجل: ﴿اتخذوه وكانوا ظالمين﴾ أي: اتخذوه إلهاً وكانوا كافرين.

﴿ولما سقط في أيديهم﴾، أي ندموا على عبادة العجل، تقول العرب لكل نادم على أمر: قد
سقط في يديه، ﴿ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا﴾، يتب علينا ربنا، ﴿ويغفر لنا﴾
يتجاوز عنا، ﴿لنكونن من الخاسرين﴾ قرأ حمزة والكسائي: «ترحمنا وتغفر لنا» بالثاء فيهما «ربنا»
بنصب الباء. وكان هذا الندم والاستغفار منهم بعد رجوع موسى إليهم.

(١) ساقط من «أ» واستدركناه من «ب».

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ قال أبو الدرداء الأسف: شديد الغضب. وقال ابن عباس والسدي: أسفا أي حزينا. والأسف أشد الحزن، ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي﴾ أي: بس ما عملتم بعد ذهابي، يقال: خلفه بخير أو بشر إذا أولاه في أهله بعد شخوصه عنهم خيراً أو شراً، ﴿أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾، أسبقتم ﴿أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾، قال الحسن: وعد ربكم الذي وعدكم من الأربعين / ليلة. وقال الكلبي: أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر ربكم. ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾، التي فيها التوراة وكان حاملاً لها، فألقاها على الأرض من شدة الغضب.

1/138

قالت الرواة: كانت التوراة سبعة أسباع، فلما ألقى الألواح تكسرت فرفعت ستة أسباعها وبقي سبع، فرفع ما كان من أخبار الغيب، وبقي ما فيه الموعظة والأحكام والحلال والحرام، ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾، بذوائبه ولحيته ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾، وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين وأحب إلى بني إسرائيل من موسى، لأنه كان ليين الغضب. ﴿قَالَ﴾ هارون عند ذلك، ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ قرأ أهل الكوفة والشام ها هنا وفي طه بكسر الميم، يريد يا ابن أُمِّي، فحذف ياء الإضافة وأبقيت الكسرة لتدل على الإضافة كقوله: «يا عباد» وقرأ أهل الحجاز والبصرة وحفص: بفتح الميم على معنى يا ابن أمه.

وقيل: جعله اسماً واحداً وبناه على الفتح، كقولهم: حضرموت، وخمسة عشر، ونحوهما، وإنما قال ابن أمم وكان هارون أخاه لأبيه وأمه ليرققه ويستعطفه.

وقيل: كان أخاه لأمه دون أبيه، ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي﴾، يعني عبدة العجل، ﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾، هموا وقاربوا أن يقتلوني، ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي﴾ في مؤاخذتك علي ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، يعني عبدة العجل.

﴿قَالَ﴾ موسى لما تبين له عذر أخيه، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾، ما صنعت إلى أخي، ﴿وَلِأَخِي﴾، إن كان منه تقصير في الإنكار على عبدة العجل، ﴿وَأَدْخِلْنَا﴾ جميعاً ﴿فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ
 نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن
 بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسْخَتِهَا
 هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ أي: اتخذوه إليها ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ في
 الآخرة ﴿وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال أبو العالية: هو ما أمروا به من قتل أنفسهم. وقال عطية العوفي:
 «إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ» أراد اليهود الذين كانوا في عصر النبي ﷺ عيّرهم بصنيع آبائهم فنسبه إليهم
 ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أراد ما أصاب بني قريظة والنضير من القتل
 والجلاء.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الجزية، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾، الكاذبين، قال
 أبو قلابة هو - والله - جزاء كل مفترٍ إلى يوم القيامة أن يُذَلَّهُ اللهُ. قال سفيان بن عيينة: هذا في كل
 مبتدع إلى يوم القيامة.

قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ
 رَّحِيمٌ﴾.

قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ أي: سكن، ﴿عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ﴾ التي كان
 ألقاها وقد ذهبت ستة أسباعها ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ اختلفوا فيه، قيل: أراد بها الألواح، لأنها نسخت من
 اللوح المحفوظ.

وقيل: إن موسى لما ألقى الألواح تكسرت فنسخ منها نسخة أخرى فهو المراد من قوله: ﴿وَفِي
 نُسْخَتِهَا﴾.

وقيل: أراد: وفيما نسخ منها. وقال عطاء: فيما بقي منها. وقال ابن عباس وعمرو بن دينار:
 لما ألقى موسى الألواح فتكسرت صام أربعين يوماً فردت عليه في لوحين فكان فيه، ﴿هُدًى
 وَرَحْمَةً﴾، أي: هدى من الضلالة ورحمة من العذاب، ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾، أي:
 للخائفين من ربهم، واللام في ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ زيادة توكيد، كقوله: (رَدِفَ لَكُمْ) [النمل - ٧٢]، وقال

وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

الكسائي: لما تقدمت قبل الفعل حَسُنْتَ، كقوله: (للرؤيا تعبرون) [يوسف - ٤٣]، وقال قطرب: أراد من ربهم يرهبون. وقيل: أراد راهبون. وقيل: أراد راهبون لربهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾، أي من قومه، فانصب لزرع حرف الصفة، ﴿سبعين رجلاً لميقاتنا﴾ فيه دليل على أن كلهم لم يعبدوا العجل. قال السدي: أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختر موسى من قومه سبعين رجلاً، ﴿فلما﴾ أتوا ذلك المكان قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فماتوا.

وقال ابن إسحاق: اختارهم ليتوبوا إليه مما صنعوا ويسألوا التوبة على من تركوا وراءهم من قومهم، فهذا يدل على أن كلهم عبدوا العجل.

وقال قتادة، وابن جريج، ومحمد بن كعب: ﴿أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ لأنهم لم يُزابلوا قومهم حين عبدوا العجل، ولم يأمرهم بالمعروف ولم ينههم عن المنكر.

وقال ابن عباس: إن السبعين الذين قالوا: (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة) [البقرة - ٥٥]، كانوا قبل السبعين الذين أخذتهم الرجفة، وإنما أمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام أن يختار من قومه سبعين رجلاً، فاخترهم ويرزبهم ليدعوا ربهم، فكان فيما دعوا أن قالوا: اللهم أعطنا ما لم تعطه أحداً قبلنا، ولا تعطه أحداً بعدنا، فكره الله ذلك من دعائهم، فأخذتهم الرجفة.

وقال وهب: لم تكن الرجفة صوتاً، ولكن القوم لما رأوا تلك الهيئة أخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا، حتى كادت أن تبيّن مفاصلهم، فلما رأى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت، فاشتد عليه فقدّمهم، وكانوا له وزراء على الخير، سامعين مطيعين، فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربه، فكشف الله عنهم تلك الرجفة، فاطمأنوا وسمعوا كلام ربهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿قال﴾، يعني موسى ﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل﴾، يعني عن عبادة العجل، ﴿وإياي﴾ بقتل القبطي. ﴿أتُهْلِكُنَا بما﴾

﴿وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَإِلَّا نَجِدَ لِيَأْمُرَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ أَمَّنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

فعل السفهاء منا، يعني عبدة العجل، وظن موسى أنهم عوقبوا باتخاذهم العجل، وقال هذا على طريق السؤال، يسأل: أتهلكنا بفعل السفهاء؟.

وقال المبرد: قوله «أتهلكنا بما فعل السفهاء منا» استفهام استعطاف، أي: لا تهلكنا، وقد علم موسى عليه السلام أن الله تعالى أعدل من أن يأخذ بجريرة الجاني غيره.

قوله تعالى ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾، أي: التي وقع فيها السفهاء، لم تكن إلا اختبارك وابتلاءك، أضللت بها قوماً فافتتنوا، وهديت قوماً فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك، فذلك معنى قوله: ﴿تَضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾، ناصرنا وحافظنا، ﴿فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾.

﴿واكتب لنا﴾ أوجب لنا ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾، النعمة والعافية، ﴿وفي الآخرة﴾ أي: وفي الآخرة ﴿حسنة﴾ المغفرة والجنة، ﴿إنا هُذْنَا إِلَيْكَ﴾، أي: تبنا إليك، ﴿قال﴾ الله تعالى: ﴿عذابي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾، من خلقي، ﴿ورحمتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، عمَّت كل شيء، قال الحسن وقتادة: / وسعت رحمته في الدنيا البرِّ والفاجر، وهي يوم القيامة للمتقين خاصة. وقال عطية العوفي: وسعت كل شيء ولكن لا تجب إلا للذين يتقون، وذلك أن الكافر يرزق، ويدفع عنه بالمؤمنين لسعة رحمة الله للمؤمنين، فيعيش فيها، فإذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة، كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجِه.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وقتادة، وابن جريج: لما نزلت: «ورحمتي وسعت كل شيء» قال إبليس: أنا من ذلك الشيء، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ فتمناها اليهود والنصارى، وقالوا: نحن نتقي ونؤمن، ونؤتي الزكاة، فجعلها الله لهذه الأمة فقال:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ الآية. قال نوف البكالي الحميري: لما اختار موسى قومه سبعين رجلاً، قال الله تعالى لموسى: أجعل لكم الأرض مسجداً وطهوراً، تصلون حيث أدركتكم الصلاة إلا عند مرحاض أو حمام أو قبر، وأجعل السكينة في قلوبكم، وأجعلكم تقرؤون التوراة عن ظهر قلوبكم، يقرؤها الرجل والمرأة، والحر والعبد، والصغير والكبير، فقال ذلك موسى لقومه، فقالوا: لا نريد أن نصلي إلا في الكنائس، ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا، ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهور قلوبنا، ولا نريد أن نقرأها إلا نظراً، فقال الله تعالى: «فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» إلى قوله: «أولئك هم المفلحون»، فجعلها الله لهذه الأمة. فقال موسى عليه السلام: يا رب اجعلني نبيهم، فقال: نبيهم منهم. قال: رب اجعلني منهم فقال: إنك لن تدركهم، فقال موسى عليه السلام: يا رب إنني أتيتك بوفد بني إسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا، فأنزل الله تعالى: (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) [الأعراف - ١٥٩]، فرضي موسى^(١).

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾، وهو محمد ﷺ. قال ابن عباس رضي الله عنهما هو نبيكم كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب. وقال النبي ﷺ: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»^(٢)، وهو منسوب إلى الأم، أي هو على ما ولدته أمه. وقيل هو منسوب إلى أمته، أصله أمي فسقطت التاء في النسبة كما سقطت في المكي والمدني وقيل: هو منسوب إلى أم القرى وهي مكة.

﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ﴾ أي: يجدون صفته ونعته ونبوته، ﴿مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت عبدالله بن

(١) رواية نوف البكالي هذه من الأخبار الإسرائيلية، فقد كان نوف راوياً للقصص، وهو ابن زوجة كعب الأحبار، وله ترجمة في «تهذيب التهذيب».

وانظر فيما يأتي التعليق على سبب نزول الآية من السورة. ص (٢٩١).

(٢) أخرجه البخاري في الصوم، باب قول النبي ﷺ: «لا نكتب ولا نحسب» ٤/١٢٦، ومسلم في الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال... برقم (١٠٨٠) ٢/٧٦١. والمصنف في شرح السنة: ٦/٢٢٨ عن ابن عمر رضي الله عنهما.

عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة: قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للأمينين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صمّاً وقلوباً غلفاً^(١).

تابعه عبدالعزيز بن أبي سلمة، عن هلال عن عطاء عن ابن سلام أخبرنا الإمام الحسين بن محمد القاضي أنا أبو العباس عبدالله بن محمد بن هارون الطيسفوني أنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي أنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن بسطام أنا أبو الحسن أحمد بن سيار القرشي حدثنا عبدالله بن عثمان عن أبي حمزة عن الأعمش عن أبي صالح عن عبدالله بن ضمرة عن كعب - رضي الله عنه - قال: إني أجد في التوراة مكتوباً محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد، يأتزرون على أنصافهم ويوضؤون أطرافهم، صفهم في الصلاة وشفهم في القتال سواء، مناديبهم ينادي في جو السماء، لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل، مولده بمكة ومهاجره بطابة وملكه بالشام^(٢).

قوله تعالى: ﴿يَأْمُرهم بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالإيمان، ﴿وَيَنْهَاهم عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي: عن الشرك، وقيل: المعروف: الشريعة والسنة، والمنكر: ما لا يعرف في شريعة ولا سنة. وقال عطاء: يأمرهم بالمعروف: بخلق الأنداد، ومكارم الأخلاق، وصلة الأرحام، وينهاهم عن المنكر: عن عبادة الأوثان وقطع الأرحام. ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعني: ما كانوا يحرمونه في الجاهلية من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ يعني: الميتة، والدم، ولحم الخنزير، والزنا وغيرها من المحرمات. ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾، قرأ ابن عامر «آصارهم» بالجمع. والإصر: كل ما يثقل على الإنسان من قول أو فعل.

قال ابن عباس والحسن والضحاك والسدي ومجاهد: يعني العهد الثقيل كان أخذ على بني إسرائيل بالعمل بما في التوراة.

(١) أخرجه البخاري في البيوع، باب كراهية السخب في الأسواق: ٣٤٢/٤ - ٣٤٣ وفي تفسير سورة الفتح، باب «إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً» ٥٨٥/٨.

(٢) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه: ٥/١، وابن سعد في الطبقات: ٣٦٠/١، والبغوي في المصابيح: ٣٦/٤، وانظر: مشكاة المصابيح: ١٦٠٧/٣.

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ
يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

وقال قتادة: يعني التشديد الذي كان عليهم في الدين، ﴿والأغلال﴾، يعني: الأثقال ﴿التي كانت عليهم﴾، وذلك مثل: قتل الأنفس في التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض النجاسة عن الثوب بالمقراض، وتعيين القصاص في القتل وتحريم أخذ الدية، وترك العمل في السبت، وأن صلاتهم لا تجوز إلا في الكنائس وغير ذلك من الشدائد. وشبَّهت بالأغلال التي تجمع اليد إلى العنق. ﴿فالذين آمنوا به﴾، أي: بمحمد ﷺ. ﴿وعزَّزوه﴾. وقرَّوه، ﴿ونصروه﴾ على الأعداء ﴿واتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾. يعني: القرآن ﴿أولئك هم المفلحون﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾، أي: آياته وهي القرآن. وقال مجاهد والسدي: يعني عيسى بن مريم، ويقرأ «كلمته» ﴿واتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ يعني: بني إسرائيل / ﴿أُمَّةٌ﴾ أي: جماعة، ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾، أي: يرشدون ويدعون إلى الحق. وقيل: معناه يهتدون ويستقيمون عليه، ﴿وبه يعدلون﴾، أي: بالحق يحكمون وبالعدل يقومون.

قال الكلبي والضحاك والربيع: هم قوم خلف الصين، بأقصى الشرق على نهر [بجري الرمل]^(١) يسمى نهر أوداف، ليس لأحد منهم مال دون صاحبه، يمطرون بالليل ويصحون بالنهار، ويزرعون حتى لا يصل إليهم من أحد، وهم على الحق^(٢).

وذكر: أن جبرائيل عليه السلام ذهب بالنبي ﷺ ليلة أسري به، فكلَّمهم [فقال لهم جبريل: هل تعرفون من تكلمون؟ قالوا: لا، فقال لهم: هذا محمد النبي الأمي فآمنوا به]^(٣)، فقالوا: يا رسول الله إن موسى عليه السلام أوصانا أن من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه منَّا السلام، فرد النبي ﷺ على

(١) في بعض النسخ: (مجرى الرمل).

(٢) انظر: الطبري: ١٧٣/١٣ - ١٧٤، البحر المحيط: ٤٠٦/٤.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيطًا ۖ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ ۖ
 أَنِ اصْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ
 أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۖ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ ۖ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰةَ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِنْ
 طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾
 وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ
 وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ ۖ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ
 ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا
 مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

موسى وعليهم، ثم أقرأهم عشر سور من القرآن أنزلت بمكة، وأمرهم بالصلاة والزكاة، وأمرهم أن يقيموا مكانهم، وكانوا يسبتون، فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت^(١).

وقيل: هم الذين أسلموا من اليهود في زمن النبي ﷺ. والأول أصح^(٢).

قوله عز وجل: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ﴾، أي: فرقناهم، يعني بني إسرائيل، ﴿اثنتي عشرة أسباطاً أمماً﴾.

(١) انظر: الدر المنثور: ٥٨٦/٣، روح المعاني للآلوسي: ٨٤/٩.

(٢) انظر: البحر المحيط: ٤٠٦/٤.

(٣) هذه الروايات التي ساقها المصنف - رحمه الله - في تفسير الآية، من الاسرائيليات التي لو صح سندها إلى قائلها فإنه لا يحتج بها في

هذه الأمور الغيبية التي لا نص عليها في الكتاب والسنة وقد استبعدها ابن عطية في تفسيره «المحرر الوجيز»: ١٠٩/٦.

وقال الآلوسي في روح المعاني: ٨٥/٩ «وضَعَفَ هذه الحكاية ابن الخازن، وأنا لا أراها شيئاً، ولا أظنك تجد لها سنداً يعول عليه ولو ابتغيت نفعاً في الأرض أو سلماً في السماء».

ولهذا ثبت هنا خلاصة ما قاله ابن كثير - رحمه الله - في تفسير الآية الكريمة: «يقول الله تعالى مخبراً عن بني اسرائيل أن منهم طائفة يتبعون الحق ويعدلون به، كما قال تعالى: «من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون» وقال تعالى: «وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترتون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم، إن الله سريع الحساب»... ثم أشار إلى رواية ابن جرير وقال: «وقد ذكر ابن جرير في تفسيرها خبراً عجبياً».

وكذلك أبدى ابن عطية رحمه الله رأيه في تفسير الآية فقال: «يحتمل أن يريد به وصف المؤمنين المتقين من بني اسرائيل، على عهد موسى عليه السلام وما والاها من الزمن... ويحتمل: أن يريد الجماعة التي آمنت بمحمد، ﷺ، من بني اسرائيل، على جهة الاستجلاب لإيمان جميعهم».

انظر: المحرر الوجيز: ١٠٨/٦ - ١٠٩، الاسرائيليات والموضوعات لأبي شهبة ص (٢٩١ - ٢٩٢).

وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ
 إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَ يَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ
 كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

قال الفراء: إنما قال: «اثنتي عشرة»، والسبب مذكّر لأنه قال: «أماً» فرجع التانيث إلى الأمام، وقال الزجاج: المعنى وقطعناهم اثنتي عشرة أماً، وإنما قال: «أسباطاً أماً»، بالجمع وما فوق العشرة لا يفسر بالجمع، فلا يقال: أتاني اثنا عشر رجلاً، لأن الأسباط في الحقيقة نعت المفسر المحذوف وهو الفرقة، أي: وقطعناهم اثنتي عشرة فرقة أماً.

وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: وقطعناهم أسباطاً أماً اثنتي عشرة، والأسباط القبائل واحدها سبط.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ في التيه، ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسْتَ﴾ انفجرت. وقال أبو عمرو بن العلاء: عرقت وهو الانبجاس، ثم انفجرت، ﴿منه اثنتا عشرة عيناً﴾ لكل سبط عين ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ كل سبط، ﴿مَّشْرِبَهُمْ﴾، وكل سبط بنوآب واحد.

قوله تعالى ﴿ووظلّلنا عليهم الغمام﴾ في التيه تقيهم حرّ الشمس، ﴿وأنزلنا عليهم المنّ والسلوى كُلُوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾.

﴿وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطةً وأدخلوا الباب سجداً نغفر لكم﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب: «تُغْفَرُ» بالتاء وضمها وفتح الفاء. وقرأ الآخرون بالنون وفتحها وكسر الفاء، ﴿خطيئاتكم﴾، قرأ ابن عامر «خطيئتكم» على التوحيد ورفع التاء، [وقرأ أبو عمرو: «خطاياكم»، وقرأ أهل المدينة ويعقوب: «خطيئاتكم» بالجمع ورفع التاء^(١). وقرأ الآخرون بالجمع وكسر التاء ﴿سنزيّد المحسنين﴾.

﴿فبدّل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزاً﴾، عذاباً ﴿من السماء بما كانوا يظلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ قيل: هي «مدين»، [أي: سل

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّمُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ
إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ
وَآخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾

يا محمد هؤلاء اليهود الذي هم جيرانك سؤال توبيخ وتقريع عن القرية التي كانت حاضرة البحر^(١)
أي: بقره. قال ابن عباس: هي قرية يقال لها «إيلة» بين «مدين» و«الطور» على شاطئ البحر. وقال
الزهري: هي «طبرية الشام». ﴿إِذْ يَعِدُونَ فِي السَّبْتِ﴾، أي: يظلمون فيه ويجاوزون أمر الله تعالى
بصيد السمك، ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حَيْثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا﴾، أي: ظاهرة على الماء كثيرة، جمع شارع.
وقال الضحاك: متتابعة.

وفي القصة: أنها كانت تأتيتهم يوم السبت مثل الكباش السمان البيض.

﴿وَيَوْمَ لَا يَسْتَبُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ كإتيانهم يوم السبت، قرأ الحسن: «لا يُسَبِّتُونَ» بضم الياء أي:
لا يدخلون في السبت، والقراءة المعروفة بنصب الياء، ومعناه: لا يعظمون السبت، ﴿كَذَلِكَ
نَبَلُّوهُمْ﴾، نختبرهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، فوسوس إليهم الشيطان وقال: إن الله لم ينهكم عن
الاصطياد وإنما نهاكم عن الأكل، فاصطادوا. أو قيل: وسوس إليهم أنكم إنما نهيتم عن الأخذ،
فاتخذوا حياضاً على شاطئ البحر، تسوقون الحيتان إليها يوم السبت، ثم تأخذونها يوم الأحد.
ففعّلوا ذلك زماناً ثم تجرّووا على السبت، وقالوا: ما نرى السبت إلا قد أحلّ لنا، فأخذوا وأكلوا
وباعوا، فصار أهل القرية أثلاثاً، وكانوا نحو من سبعين ألفاً، ثلث نهوا، وثلث لم ينهوا وسكتوا وقالوا:
لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ؟ وثلث هم أصحاب الخطيئة، فلما لم ينتهوا قال الناهون: لا نساكنكم
في قرية واحدة فقسّموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب، ولعنهم داود عليه السلام،
فأصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين أحد، فقالوا: إنّ لهم شأناً لعلّ الخمر غلبتهم فعّلوا
على الجدار، فإذا هم قرده، فعرفت القردة أسبابها من الإنس ولم تعرف الإنس أسبابها من القردة،
فجعلت القردة يأتيها نسيبها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي، فيقول: ألمّ ننهكم فتقول برأسها: نعم،
فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، اختلفوا في الذين قالوا هذا،

(١) زيادة من «ب».

فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١١٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ
عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾

قيل : كانوا من الفرقة الهالكة، وذلك أنهم لما قيل لهم انتهوا عن هذا العمل السيء، قبل أن ينزل
بكم العذاب وأنا نعلم أن الله منزل بكم بأسه إن لم تنتهوا أجاوبوا وقالوا: (لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ
مَهْلِكُهُمْ)، ﴿أَوْ﴾ علمتم أنه ﴿مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾ أي : قال الناهون ﴿مَعذِرَةٌ﴾ أي : موعظتنا
معذرة ﴿إِلَى رَبِّكُمْ﴾، قرأ حفص : «معذرة» بالنصب أي نفعل ذلك معذرة إلى ربكم . والأصح أنها
من قول الفرقة الساكنة، قالوا لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ، قالوا معذرة إلى ربكم، ومعناه أن الأمر
بالمعروف واجب علينا فعلينا موعظة هؤلاء عذراً إلى الله، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، أي : يتقوا الله ويتركوا
المعصية، ولو كان الخطاب مع المعتدين لكان يقول ولعلكم تتقون .

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي : تركوا ما وعظوا به، ﴿أُنْجِنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا
الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، يعني الفرقة العاصية، ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾، أي : شديد وجيع، من البأس وهو الشدة .

واختلف القراء فيه قرأ أهل المدينة وابن عامر «بئيس» بكسر الباء على وزن فعل، إلا أن ابن
عامر يهمله، وأبو جعفر ونافع لا يهمزان، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتح الباء وسكون الياء وفتح
الهمزة على وزن فيعل مثل صيقل، وقرأ الآخرون على وزن فيعل مثل بعير وصغير .

﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما : أسمع الله يقول : «أنجينا الذين ينهون
عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس»، فلا أدري ما فعل بالفرقة الساكنة؟ قال عكرمة : قلت
له : جعلني الله فداك ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم عليه، وقالوا : لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ؟
وإن لم يقل الله أنجيتهم فلم يقل : أهلكتهم، فأعجبه قولي، فَرَضِي وَأَمْرٌ لِي بِبُرْدَيْنِ فَكَسَانِيهِمَا .

وقال يمان بن رباب : نجت / الطائفتان الذين قالوا لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا وَالَّذِينَ قَالُوا مَعذِرَةً إِلَى
رَبِّكُمْ، وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان . وهذا قول الحسن .

ب/١٣٩

وقال ابن زيد : نَجَتِ النَّاهِيَةُ، وهلكت الفرقتان، وهذه أشد آية في ترك النهي عن المنكر .

قوله تعالى ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ﴾، قال ابن عباس : أبوا أن يرجعوا عن المعصية ﴿قُلْنَا لَهُمْ

وَقَطَّعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَّارِ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُنْقُونَ أَفْئالَهُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾

كُونُوا قِرْدَةً خَاسِثِينَ ﴿١٦٨﴾ ، مبعدين فمكثوا ثلاثة أيام ينظر إليهم الناس ثم هلكوا .

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ ، أي : آذن وأعلم ربك ، يقال : تأذن وأذن ، مثل : توعد وأوعد . وقال ابن عباس : تأذن ربك قال ربك . وقال مجاهد : أمر ربك . وقال عطاء : حكم ربك . ﴿لِيُعِثْنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ، أي : على اليهود ، ﴿مَنْ يَسُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ ، بعث الله عليهم محمدا ﷺ وأتمته يقاتلونهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾ ، وفرقناهم ﴿فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا﴾ ، فرقا فرقهم الله فتشتت أمرهم ولم تجتمع لهم كلمة ، ﴿مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ﴾ ، قال ابن عباس ومجاهد : يريد الذين أدركوا رسول الله ﷺ وآمنوا به ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ ، يعني الذين بقوا على الكفر .

وقال الكلبي : منهم الصالحون هم الذين وراء نهر أوداف من وراء الصين^(١) ، ومنهم دُونَ ذَلِكَ ، يعني : من هاهنا من اليهود ، ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ﴾ ، بالخصب والعافية ، ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ ، الجذب والشدة ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ، لكي يرجعوا إلى طاعة ربهم ويتوبوا .

قوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ، أي : جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم ﴿خَلْفٌ﴾ ، والخلف : القرن الذي يجيء بعد قرن . قال أبو حاتم : الخلف بسكون اللام الأولاد ، الواحد والجمع فيه سواء ، والخلف بفتح اللام : البدل سواء كان ولداً أو غريباً .

وقال ابن الأعرابي : الخلف بالفتح : الصالح ، وبالجزم : الطالح .

وقال النضر بن شميل : الخلف بتحريك اللام وإسكانها في القرن السوء واحد ، وأما في

(١) انظر الحاشية السابقة في آخر تفسير الآية (١٥٩) من هذه السورة . ص (٢٩١) .

القرن الصالح فبتحريك اللام لا غير.

وقال محمد بن جرير: أكثر ما جاء في المدح بفتح اللام، وفي الذم بتسكينها وقد يُحرك في الذم ويُسكن في المدح. ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾، أي: انتقل إليهم الكتاب من آبائهم وهو التوراة، ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾، فالعَرَضُ متاع الدنيا، والعَرَضُ، بسكون الراء، ما كان من الأموال سوى الدراهم والدنانير. وأراد بالأدنى العالم، وهو هذه الدار الفانية، فهو تذكير الدنيا، وهؤلاء اليهود ورثوا التوراة فقرؤوها وضيعوا العمل بما فيها، وخالفوا حكمها، يرتشون في حكم الله وتبديل كلماته، ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾، ذنوبنا يتمنون على الله الأباطيل.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنبأنا أبو طاهر، محمد بن أحمد بن الحارث، أنبأنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أنبأنا عبد الله بن محمود، أنبأنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، أنبأنا عبد الله بن المبارك عن أبي بكر بن أبي مريم الغساني عن ضمرة بن حبيب عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ»^(١).

﴿وَأِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾، هذا إخبار عن حرصهم على الدنيا وإصرارهم على الذنوب، يقول إذا أشرف لهم شيء من الدنيا أخذوه حلالاً كان أو حراماً، ويتمنون على الله المغفرة وإن وجدوا من الغد مثله أخذوه. وقال السُّدِّي: كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضياً إلا ارتشى في الحكم، فيقال له: ما لك ترتشي؟ فيقول: سيغفر لي، فيطعن عليه الآخرون، فإذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشي أيضاً. يقول: وإن يأت الآخريين عرضٌ مثله يأخذوه.

﴿أَلَمْ يُوَظَّفُوا عَلَيْهِمْ مِيثَاقَ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، أي: أخذ عليهم العهد في التوراة أن لا يقولوا على الله الباطل، وهي تمني المغفرة مع الإصرار، وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار، ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾، قرأوا ما فيه، فهم ذاكرون لذلك، ولو عقلوه لعملوا للدار الآخرة،

(١) أخرجه الترمذي في صفة القيامة، باب الكيس من دان نفسه: ١٥٦/٧، وقال: هذا حديث حسن، وابن ماجه في الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له: ١٤٢٣/٢ برقم (٤٢٦٠)، وصححه الحاكم على شرط الشيخين ٥٧/١، وتعقبه الذهبي فقال: قلت: لا والله، أبو بكر: وإه، وأخرجه أيضاً في موضع آخر: ٢٥١/٤. وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٢٤/٤، والبغوي في شرح السنة: ٣٠٩/١٤ وقال: هذا حديث حسن، وصححه في مصابيح السنة: ٤٤٤/٣. والحديث، فيه: أبو بكر بن مريم الغساني، وهو ضعيف، قال ابن طاهر: مدار الحديث عليه، وهو ضعيف جداً. انظر: فيض القدير للمناوي: ٦٨/٥.

وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٦﴾
 ﴿١٧٧﴾ وَإِذْ نُنَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا
 مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٨﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى
 أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا
 غَافِلِينَ ﴿١٧٩﴾

وَدَرَسُ الْكِتَابِ: قراءته وتدبره مرة بعد أخرى، ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم: «يُمَسِّكُونَ» بالتخفيف، وقراءة العامة
 بالتشديد، لأنه يقال: مسكت بالشيء، ولا يقال أمسكت بالشيء، إنما يقال: أمسكته، وقرأ أبي بن
 كعب: «وَالَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِالْكِتَابِ»، على الماضي وهو جيد لقوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ إِذْ قَلَّ مَا
 يعطف ماضٍ على مستقبل إلا في المعنى، [وأراد^(١)] الذين يعملون بما في الكتاب، قال مجاهد:
 هم المؤمنون من أهل الكتاب، عبد الله بن سلام وأصحابه، تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى فلم
 يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكله. وقال عطاء: هم أمة محمد ﷺ. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ
 أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نُنَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾، أي: فلقنا الجبل، وقيل: رفعناه ﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾، قال
 عطاء: سقيفة. والظلة: كل ما أظلك، ﴿وَوَظَنُوا﴾، علموا ﴿أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا﴾، أي: وقلنا لهم
 خذوا، ﴿مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾، بجِدِّ واجتهاد، ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾، واعملوا به، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وذلك
 حين أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة، فرفع الله على رؤسهم جبلاً. قال الحسن: فلما نظروا إلى الجبل
 خر كل رجل منهم ساجداً على حاجبه الأيسر ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقاً من أن يسقط عليه،
 ولذلك لا تجد يهودياً إلا ويكون سجوده على حاجبه الأيسر.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي،
 أنا أبو مصعب، عن مالك، عن زيد بن أبي أنيسة، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن، عن زيد بن

(١) ساقط من «ب».

الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سُئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية. قال عمر بن الخطاب: سمعتُ رسول الله ﷺ [يُسأل عنها؟ فقال رسول الله ﷺ] ^(١) «إن الله عزَّ وجلَّ خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذُرِّيَّةً، فقال: خلقتُ هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون. ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذُرِّيَّةً فقال: خلقتُ هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: ففيمَ العملُ يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله به الجنة /، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار» ^(٢)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن. ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلاً.

١/١٤٠

قال مقاتل وغيره من أهل التفسير: إن الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر، فقال: يا آدم هؤلاء ذريتك، ثم قال لهم: ألسنُ بربكم؟ قالوا: بلى، فقال لليبي: هؤلاء في الجنة برحمتي ولا أبالي وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أبالي، وهم أصحاب الشمال، ثم أعادهم جميعاً في صلبه، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء. قال الله تعالى فيمن نقض العهد الأول: «وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ» [الأعراف - ١٠٢].

وقال بعض أهل التفسير: إن أهل السعادة أقرؤوا طوعاً وقالوا: بلى، وأهل الشقاوة قالوه تَقِيَّةً وكرهاً، وذلك معنى قوله: «وله أسلم من في السموات والأرض طَوْعاً وَكَرْهاً» [آل عمران - ٨٣].

واختلفوا في موضع الميثاق؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: ببطن نَعْمَان - وإد إلى جنب

(١) زيادة من «ب».

(٢) أخرجه أبو داود في السنة، باب في القدر: ٧١/٧ - ٧٢، والترمذي في تفسير سورة الأعراف: ٤٥٢/٨ - ٤٥٥. وقال: هذا حديث حسن. ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، ومالك في الموطأ، أول القدر: ٨٩٨/٢ - ٨٩٩، وصححه الحاكم: ٢٧/١، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤٤/١ - ٤٥، وعزاه المزني في تحفة الأشراف: ١١٣/٨ للنسائي في الكبرى. والمصنف في شرح السنة: ١٣٩/١ والأجري في الشريعة ص (١٧٠).

قال المنذري في تهذيب السنن: معنى هذا الحديث قد صح عن النبي ﷺ من وجوه ثمانية يطول ذكرها. وانظر: ابن كثير: ٢٦٣/٢ - ٢٦٤ وما كتبه الشيخ شاکر تعليقا في تفسير الطبري: ٢٣٤/١٣ - ٢٣٦، والتمهيد لابن عبد البر ٣/٦ - ٥.

عرفة^(١)، وروي عنه أيضاً: أنه بدهناء من أرض الهند^(٢)، وهو الموضع الذي هبط آدم عليه السلام عليه. وقال الكلبي: بين مكة والطائف. وقال السدي: أخرج الله آدم عليه السلام من الجنة فلم يهبط من السماء ثم مسح ظهره فأخرج ذريته. وروي: أن الله أخرجهم جميعاً وصوّرهم وجعل لهم عقولاً يعلمون بها وألسناً ينطقون بها ثم كلمهم قُبلاً - يعني عياناً - وقال أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ وقال الزجاج وجائزاً أن يكون الله تعالى جعل لأمثال الذرّ فهماً تعقل به، كما قال تعالى: «قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ» [النمل - ١٨].

وروي أن الله تعالى قال لهم جميعاً: اعلموا أنه لا إله غيري وأنا ربكم لا ربّ لكم غيري فلا تشركوا بي شيئاً، فإني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن بي، وإني مرسل إليكم رسلاً يذكرونكم عهدي وميثاقِي، ومنزّل عليكم كتباً. فتكلموا جميعاً، وقالوا: شهدنا أنك ربنا وإلهنا لا ربّ لنا غيرك، فأخذ بذلك موثيقهم، ثم كتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم، فنظر إليهم آدم فرأى منهم الغنيّ والفقير وحسّن الصورة ودون ذلك، فقال: ربّ لولا سوّيت بينهم؟ قال: إني أحب أن أشكر، فلما قرّهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض أعادهم إلى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ ميثاقه^(٣)، فذلك قوله تعالى: «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم» أي: من ظهور بني آدم ذريتهم، قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وابن عامر: «ذريّاتهم» بالجمع وكسر التاء، وقرأ الآخرون «ذريّتهم» على التوحيد، ونصب التاء.

فإن قيل: ما معنى قوله «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم» وإنما أخرجهم من ظهر آدم؟ قيل: إن الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علم أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره^(٤).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٢/١٢، المستدرک للحاكم: ٢٧/١، مجمع الزوائد للشمي: ٢٥/٧، ١٨٨ - ١٨٩. وساقه الحافظ ابن كثير من رواية الإمام أحمد والنسائي في التفسير مرفوعاً وذكر الروايات عن ابن عباس موقوفاً وقال: هذا أكثر وأثبت. والله أعلم. التفسير: ٢٦٣/٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٥/١٣ مع تعليق الشيخ شاکر.

(٣) انظر: الطبري: ٢٣٨/١٣ - ٢٣٩، المسند: ١٢٥/٥، المستدرک: ٣٢٣/٢، مجمع الزوائد ٢٥/٧.

(٤) قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله بعد أن ساق روايات أخذ الذرية والاشهاد: «قد أكثر الناس من تخريج الآثار في هذا الباب، وأكثر المتكلمون من الكلام فيه. وأهل السنة مجتمعون على الإيمان بهذه الآثار واعتقادها وترك المجادلة فيها. وبالله العصمة والتوفيق». التمهيد: ١٢/١٦.

وساق الحافظ ابن كثير الروايات في التفسير: ٢٦٢/٢ - ٢٦٥ ثم قال: «... فهذه الأحاديث دالة على أن الله عز وجل استخرج ذرية آدم من صلبه، وميّز بين أهل الجنة وأهل النار. وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا في حديث كلثوم بن جبیر عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس، وفي حديث عبدالله بن عمرو، وقد بيّنا أنهما موقوفان، لا مرفوعان - ... - ومن ثم قال القائلون من السلف =

أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾، أي: أشهد بعضهم على بعض: ﴿شهدنا أن تقولوا﴾، قرأ أبو عمرو: «أن يقولوا» ويقولوا بالياء فيهما، وقرأ الآخرون بالياء فيهما.

واختلفوا في قوله: «شهدنا» قال السدي: هو خبر من الله عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم. وقال بعضهم: هو خبر عن قول بني آدم حين أشهد الله بعضهم على بعض، فقالوا بلى شهدنا. وقال الكلبي: ذلك من قول الملائكة، وفيه حذف تقديره: لما قالت الذرية: بلى قال الله للملائكة: اشهدوا، قالوا: شهدنا، قوله: «أن يقولوا» يعني: وأشهدهم على أنفسهم أن يقولوا، أي: لئلا يقولوا أو كراهية أن يقولوا، ومن قرأ بالياء فتقدير الكلام: أحاطبكم: ألست بربكم لئلا تقولوا، ﴿يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾، أي: عن هذا الميثاق والإقرار، فإن قيل: كيف تلزم الحجة على أحد لا يذكر الميثاق؟ قيل: قد أوضح الله الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما أخبروا، فمن أنكره كان معانداً ناقضاً للعهد ولزمته الحجة، وبنسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد إخبار المخبر الصادق صاحب المعجزة.

قوله تعالى: ﴿أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم﴾ يقول: إنما أخذ الميثاق عليكم لئلا تقولوا أيها المشركون: إنما أشرك آباؤنا من قبل ونقضوا العهد وكنا ذرية من بعدهم، أي كنا أتباعاً لهم فاقترينا بهم، فتجعلوا هذا عذراً لأنفسكم وتقولوا: ﴿أفتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أفتعذبنا بجناية آبائنا المبطلين، فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله تعالى بأخذ الميثاق على التوحيد.

﴿وكذلك نَفْصَلُ الْآيَاتِ﴾ أي: نبيِّن الآيات ليتدبرها العباد، ﴿ولعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ من الكفر إلى التوحيد.

والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد كما في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار المجاشعي، ومن رواية الحسن البصري عن الأسود بن سريع. وقد فسّر الحسن البصري الآية بذلك... وانظر: تفسير الفخر الرازي: ٥٠/١٥-٥٦، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: ٤/١٥٨-١٦٣، درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية: ٣٥٩/٨، وما بعدها، تفسير القرطبي: ٣١٣/٧ وما بعدها.

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ الآية. اختلفوا فيه، قال ابن عباس^(١): هو بلعم بن باعوراء. وقال مجاهد^(٢): بلعام بن باعر. وقال عطية عن ابن عباس^(٣): كان من بني إسرائيل. ودوي عن علي بن أبي طلحة رضي الله عنه أنه كان من الكنعانيين من مدينة الجبارين^(٤). وقال مقاتل: هو من مدينة بلقا.

وكانت قصته - على ما ذكره ابن عباس وابن اسحاق والسدي وغيرهم -^(٥) أن موسى لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم إلى بلعم - وكان عنده اسم الله الأعظم - فقالوا: إن موسى رجل حديد ومعه جند كثير، وأنه جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرج فادع الله أن يردهم عنا، فقال: ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم، وإني إن فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي، فراجعوه وألحوا عليه فقال: حتى أوامر ربي، وكان لا يدعوه حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فأمر في الدعاء عليهم، فقل له في المنام لا تدع عليهم، فقال لقومه. إني قد أمرت ربي وإني قد نهيت فأهدوا إليه هدية فقبلها، ثم راجعوه فقال: حتى أوامر، فأمر، فلم يجز إليه شيء، فقال: قد أمرت فلم يجز إلي شيء، فقالوا: لو كرر ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الأولى، فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتوته فافتتن فركب أتانا له متوجهاً إلى جبل يُطلعه على عسكر بني إسرائيل يقال له حُسبان، فلما سار / عليها غير كثير رُبضت به، فنزل عنها فضربها حتى إذا أذلقها قامت فركبها، فلم تسر به كثيراً حتى رُبضت، ففعل بها مثل ذلك فقامت، فركبها فلم تسر به كثيراً حتى رُبضت، فضربها حتى أذلقها، أذن الله لها بالكلام فكلمته حجة عليه، فقالت: ويحك يا بلعم أين تذهب بي؟ ألا ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا؟ أتذهب بي إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم؟ فلم ينزع، فخلّى الله سبيلها فانطلقت حتى إذا أشرفت به على جبل حُسبان جعل يدعو عليهم ولا يدعو عليهم بشيء إلا صرف الله به لسانه إلى قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف الله به لسانه إلى بني إسرائيل. فقال له قومه: يا بلعم أتدري ماذا تصنع إنما تدعو لهم علينا؟! فقال: هذا ما لا أملكه، هذا شيء قد غلب الله عليه، فاندلع لسانه فوق على صدره، فقال لهم: قد ذهبت الآن مني الدنيا والآخرة فلم يبق إلا المكر والحيلة، فسأمر لكم وأحتال، جمّلوا النساء وزينوهن وأعطوهن

(١) انظر: الطبري: ٢٥٤/١٣، أسباب النزول للواحدي ص (٢٦١)، الدر المنثور: ٦٠٨/٣ - ٦٠٩.

(٢) الطبري: ٢٥٤/١٣ - ٢٥٥.

(٣) انظر: الطبري: ٢٦٤/١٣ - ٢٦٧، تفسير ابن كثير: ٢٦٧/٢ - ٢٦٨، البداية والنهاية: ٣٢٢/١ وقال: «هذا الذي ذكره ابن اسحاق

في قصة بلعام صحيح قد ذكره غير واحد من السلف».

السلع، ثم أرسلوهن إلى العسكر بيعنها فيه، ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها، فإنهم إن زنا رجل واحد منهم كفيتموهم، ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرّت امرأة من الكنعانيين، اسمها كستى بنت صور، برجل من عظماء بني إسرائيل يقال له زمري بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب، فقام إليها فأخذ بيدها حين [أعجبه جمالها]^(١) ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى، فقال: إني أظنك ستقول هذه حرام عليك؟ قال: أجل هي حرام عليك لا تقر بها، قال: فوالله لا أطيعك في هذا، ثم دخل بها قبته فوقع عليها فأرسل الله الطاعون على بني إسرائيل في الوقت، وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى، وكان رجلاً قد أعطي بسطة في الخلق وقوة في البطش، وكان غائباً حين صنع زمري بن شلوم ما صنع، فجاء والطاعون يجوس بني إسرائيل، فأخبر الخير، فأخذ حربته وكانت من حديد كلها، ثم دخل عليهما القبة، وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء، والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته، وأسند الحربة إلى لحيته وكان بكر العيزار، وجعل يقول: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك. ورفع الطاعون، فحُسيب مَنْ هلك من بني إسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فنحاص، فوجدوا قد هلك منهم سبعون ألفاً في ساعة من النهار، فمن هنالك يعطي بنو إسرائيل ولدً فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها القبة والذراع واللحي، لاعتماده بالحربة على خاصرته، وأخذه إياها بذراعه، وإسناده إياها إلى لحيته، والبكر من كل أموالهم وأنفسهم، لأنه كان بكر العيزار وفي بلعم أنزل الله تعالى: «واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية».

وقال مقاتل: إن ملك البلقاء قال لبلعام: ادعُ الله على موسى، فقال: إنه من أهل ديني لا أدعو عليه، فنحت خشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو عليه، فلما عاين عسكرهم قامت به الأتان ووقفت فضربها، فقالت: لِمَ تضربني؟ إني مأمورة وهذه نار أمامي قد منعتني أن أمشي فرجع وأخبر الملك فقال: لتدعون عليه أو لأصلبنيك، فدعا على موسى بالاسم الأعظم: أن لا يدخل المدينة، فاستجيب له ووقع موسى وبنو إسرائيل في التية بدعائه، فقال موسى: يارب بأيّ ذنب وقعنا في التية؟ فقال: بدعاء بلعام. قال: فكما سمعت دعاءه عليّ فاسمع دعائي عليه، [فدعا موسى عليه السلام]^(٢) أن ينزع عنه الاسم الأعظم والإيمان، فنزع الله عنه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء، فذلك قوله: «فانسَلَخَ منها».

(١) في «أ» (أعجبه).

(٢) زيادة من نسخة «ب».

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم: نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي، وكانت قصته: أنه كان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسلٌ رسولاً فرجاً أن يكون هو ذلك الرسول، فلما أرسل محمد ﷺ حسده وكفر به، وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة، وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مرَّ على قتلى بدر، فسأل عنهم فقيل: قتلهم محمد، فقال: لو كان نبياً ما قتل أقرباءه، فلما مات أمية أتت أخته فارعة إلى رسول الله ﷺ، فسألها رسول الله ﷺ عن وفاة أخيها فقالت: بينما هو راقد أتاه آتيان فكشفا سقف البيت، فنزلا فقعدا أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: أوعى قال: وعى؟ قال أزكى؟ قال: أبي، قالت: فسألته عن ذلك فقال: خيرٌ أريد بي، فصرف عني فغشي عليه، فلما أفاق قال:

كل عيش وإن تطاول دهرًا صائرٌ مرةً إلى أن يزولا
ليتني كنتُ قبلَ ما قد بدا لي في قلال الجبالِ أرعى الوغولاً
إنَّ يومَ الحسابِ يومٌ عظيمٌ شابَ فيه الصغيرُ يوماً ثقيلاً
ثم قال لها رسول الله ﷺ: أنشدني من شعر أخيك، فأنشدته بعض قصائده، فقال لها رسول الله ﷺ: «أمن شِعْرُهُ وكفر قلبه»، فأنزل الله عز وجل ﴿واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ الآية^(١).

وفي رواية عن ابن عباس: أنها نزلت في البسوس، رجل من بني إسرائيل وكان قد أعطي له ثلاث دعوات مستجابات، وكانت له امرأة له منها ولد، فقالت: اجعل لي منها دعوة، فقال لك منها واحدة فما تريدين؟ قالت: ادعُ الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فدعا لها فجعلت أجمل النساء في بني إسرائيل، فلما علمت أنه ليس فيهم مثلها رغبت عنه، فغضب الزوج ودعا عليها فصارت كلبة نباحة، فذهبت فيها دعوتان، فجاء بنوها وقالوا: ليس لنا على هذا قرار، قد صارت أمنا كلبة نباحة، والناس يعيروننا بها، ادعُ الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليها، فدعا الله فعادت كما كانت، فذهبت فيها الدعوات كلها^(٢). والقولان الأولان أظهر^(٣).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٥/١٣ - ٢٥٧، أسباب النزول ص ٢٦١، الدر المنثور: ٦٠٩/٣.

(٢) أسباب النزول (٢٦١ - ٢٦٢)، الدر المنثور ٦٠٨/٣، البحر المحيط: ٤٢٢/٤.

(٣) قال أبو حيان في البحر المحيط: ٤٢٣/٤: «والأولى في مثل هذا إذا ورد عن المفسرين أن تحمل آقاويلهم على التمثيل، لا على الحصر في معين. فإنه يؤدي إلى الاضطراب والتناقض».

وقال إمام المفسرين، الطبري رحمه الله: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر نبيه ﷺ أن يتلو على قومه خير رجل كان صالحاً أتاه الله حججه وأدلته، وهي «الآيات»... وجائز أن يكون الذي أتاه الله ذلك: «بلعم»، وجائز أن يكون «أمية» ولا خير بأي الرجلين المعني - بوجب الحجة، ولا في العقل دلالة على أي ذلك، المعني به من أي. فالصواب أن يقال فيه ما قال الله، ونقر بظاهر التنزيل، على ما جاء به الوحي من الله» التفسير ٢٥٩/١٣ - ٢٦٠.

وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَكَلَّمْنَا كَثِيرًا
 أَلْكَلَبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكَهُ يُلْهَثْ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾

وقال الحسن وابن كيسان: نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم.

وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله عز وجل لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله، فذلك قوله «واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا» قال ابن عباس والسدي: اسم الله الأعظم. قال ابن زيد: كان لا يسأل شيئاً إلا أعطاه. وقال ابن عباس في رواية أخرى: أوتي كتاباً من كتب الله فانسخ، أي: خرج منها كما تنسخ، أي: خرج منها كما تنسخ الحية من جلدها. «فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ»، أي: لحقه وأدركه، «فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ».

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾، أي: رفعنا درجته ومنزلته / بتلك الآيات. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لرفعناه بعلمه بها. وقال مجاهد وعطاء: لرفعنا عنه الكفر وعصمناه بالآيات. «وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ»، أي: سكن إلى الدنيا ومال إليها. قال الزجاج: خلد وأخلد واحد. وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام، يقال: أخلد فلان بالمكان إذا أقام به، والأرض هاهنا عبارة عن الدنيا، لأن ما فيها من القفار والرباع كلها أرض، وسائر متاعها مستخرج من الأرض. «وَاتَّبَعَ هَوَاهُ»، انقاد لما دعاه إليه الهوى. قال ابن زيد: كان هواه مع القوم. قال عطاء: أراد الدنيا وأطاع شيطانه. وهذه أشد آية على العلماء، وذلك أن الله أخبر أنه آتاه [آية^(١)] من اسمه الأعظم والدعوات المستجابة والعلم والحكمة، فاستوجب بالسكون إلى الدنيا واتباع الهوى تغيير النعمة عليه والانسلاخ عنها، ومن الذي يَسْلَمُ من هاتين الخلتين إلا من عصمه الله؟

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبد الله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، أنا عبد الله بن المبارك عن زكريا بن أبي زائدة، عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن كعب بن مالك الأنصاري عن

(١) في «ب»: (آياته).

سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ
فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ذُئبانِ جائعانُ أرسلا في غنمٍ بأفسدَ لها من حرص المرءِ على المال والشرف لدينه»^(١).

قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كمثل الكلبِ إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾، يقال: لهث الكلب يلهث لهثاً: إذا ادلع لسانه. قال مجاهد: هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به.

والمعنى: إن هذا الكافر إن زجرته لم ينزجر، وإن تركته لم يهتد، فالحالتان عنده سواء، كحالاتي الكلب: إن طرد وحمل عليه بالطرد كان لاهثاً، وإن ترك وبيض كان لاهثاً. قال القتيبي: كل شيء يلهث إنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب، فإنه يلهث في حال الكلال وفي حال الراحة وفي حال العطش، فضربه الله مثلاً لمن كذب بآياته فقال: إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث، وإن تركته على حاله لهث، نظيره قوله تعالى: (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أذعوتهم أم أنتم صامتون) [الأعراف - ١٩٣]، ثم عم بهذا التمثيل جميع من يكذب بآيات الله فقال: ﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾، وقيل: هذا مثل لكفار مكة وذلك أنهم كانوا يتمنون هادياً يهديهم ويدعوهم إلى طاعة الله، فلما جاءهم نبي لا يشكون في صدقه كذبوه فلم يهتدوا تركوا أو دعوا.

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا﴾، أي: بشس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، وتقديره: ساء مثلاً مثل القوم، فحذف مثل وأقيم القوم مقامه فرُفع، ﴿وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

(١) أخرجه الترمذي في الزهد، باب رقم (٣٠): ٤٦/٧ وقال: هذا حديث صحيح، وصححه ابن حبان ص (٦١٢) من موارد الظمان، وأخرجه الدارمي في الرقاق: ٣٠٤/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٥٧/١٤ - ٢٥٨. وعزاه ابن رجب الحنبلي أيضاً: للنسائي، وقال: وروي من وجه آخر عن النبي ﷺ من حديث ابن عمر، وابن عباس، وأبي هريرة، وأسامة بن زيد، وأبي سعيد، وعاصم بن عدي الأنصاري رضي الله عنهم. وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤٥٦/٣، ٤٦٠. وانظر: «شرح حديث ما ذُئبانِ جائعان» لابن رجب الحنبلي في مجموعة الرسائل المنيرية: ١/٣ وما بعدها.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾
 وَ لِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُكْذِبُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾

﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس﴾ أخبر الله تعالى أنه خلق كثيراً من الجن والإنس للنار، وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة، ومن خلقه الله لجهنم فلا حيلة له في الخلاص منها.

أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن علي الصيرفي، أنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي، أنا أحمد بن محمد بن أبي حمزة البلخي، حدثنا موسى بن محمد بن الحكم الشطوي، حدثنا حفص بن غياث، عن طلحة بن يحيى، عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: أدرك النبي ﷺ جنازة صبي من صبيان الأنصار، فقالت عائشة: طوبى له عصفور من عصافير الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك؟ إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم»^(١). وقيل: اللام في قوله «لجهنم» لام العاقبة، أي: ذرأناهم، وعاقبة أمرهم جهنم، كقوله تعالى: «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً»^(٢) القصص ٨، ثم وصفهم فقال: ﴿لهم قلوبٌ لا يفقهون بها﴾، أي لا يعلمون بها الخير والهدى. ﴿ولهم أعينٌ لا يبصرون بها﴾، طريق الحق وسبيل الرشاد، ﴿ولهم آذانٌ لا يسمعون بها﴾ مواظب القرآن فيتفكرون فيها ويعتبرون بها، ثم ضرب لهم مثلاً في الجهل والاقتصار على الأكل والشرب، فقال: ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضلُّ﴾ أي: كالأنعام في أن همتهم في الأكل والشرب والتمتع بالشهوات، بل هم أضل لأن الأنعام تُمَيِّز بين المضار والمنافع، فلا تقدم على المضار، وهؤلاء يقدمون على النار معاندةً، مع العلم بالهلاك، ﴿أولئك هم الغافلون﴾.

قوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾، قال مقاتل: وذلك أن رجلاً دعا الله في صلاته ودعا الرحمن، فقال بعض مشركي مكة: إن محمداً ﷺ وأصحابه يدعون^(٣) أنهم يعبدون رباً

(١) أخرجه مسلم في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة... برقم (٢٦٦٢) / ٤ / ٢٠٥٠، والمصنف في شرح السنة: ١٤١/١.

(٢) في (ب): (يزعمون).

واحدًا، فما بال هذا يدعو اثنين؟ فأنزل الله عز وجل: «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها». والحسنى تأنيث الأحسن كالكبرى والصغرى، فادعوه بها.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، أنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار، أنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، إنه وتر يحب الوتر»^(١).

﴿وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، قرأ حمزة: «يُلْحَدُونَ» - بفتح الياء والحاء حيث كان - وافقه الكسائي في النحل، والباقون بضم الياء وكسر الحاء، ومعنى الإلحاد هو: الميل عن [المقصد]^(٢)، يقال: ألحد يلحد إلحاداً، ولحد يلحد لحدوداً: إذا مال. قال يعقوب بن السكيت: الإلحاد هو العدول عن الحق، وإدخال ما ليس منه فيه، يقال: ألحد في الدين، ولحد، وبه قرأ حمزة.

﴿وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه، فسَمَّوا بها أو ثابنهم فزادوا ونقصوا، فاشتقوا اللات من «الله»، والعزى من «العزير»، ومناة من «المنان»، هذا قول ابن عباس ومجاهد.

وقيل: هو تسميتهم الأصنام آلهة. وروي عن ابن عباس: يلحدون في أسمائه أي يكذبون. وقال أهل المعاني: الإلحاد في أسماء الله: تسميته بما لم يُسمَّ به، ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ.

وجملته: أن أسماء الله تعالى على التوقيف / فإنه يُسمى جواداً ولا يسمى سخياً، وإن كان في معنى الجواد، ويسمى رحيماً ولا يسمى رقيقاً، ويسمى عالماً ولا يسمى عاقلاً. وقال تعالى: «يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ» (النساء ١٤٢) وقال عز من قائل: «ومكروا ومكر الله» (آل عمران - ٥٤)، ولا يقال في الدعاء: يامخادع، يامكار، بل يدعى بأسمائه التي ورد بها التوقيف على وجه التعظيم، فيقال: يا الله، يارحمن، يارحيم، ياعزيز، ياكريم ونحو ذلك. ﴿سَيُجْزَوْنَ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الآخرة.

(١) أخرجه البخاري في الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحد: ٢١٤/١١، وفي الشروط وفي التوحيد، ومسلم في الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، برقم (٢٦٧٧): ٢٠٦٢/٤، والمصنف في شرح السنة: ٣٠/٥.

(٢) في «ب»: (القصص).

وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا
مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً﴾، أي: عصابة، ﴿يهدون بالحق وبه يعدلون﴾، قال عطاء عن ابن عباس: يريد أمة محمد ﷺ، وهم المهاجرون والتابعون لهم بإحسان. وقال قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية قال: «هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها، ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون»^(١).

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، حدثنا الحميدي، حدثنا الوليد، حدثني ابن جابر، وهو عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني عمير بن هانيء أنه سمع معاوية رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لاتزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»^(٢). وقال الكلبي: هم من جميع الخلق.

﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾، قال عطاء: سنمكر بهم من حيث لا يعلمون. وقيل: نأتيهم من مآمنهم، كما قال: «فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا» (الحشر- ٢)، قال الكلبي: يزين لهم أعمالهم ويهلكهم. وقال الضحاك: كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة. قال سفيان الثوري: نسبغ عليهم النعمة وننسيهم الشكر. قال أهل المعاني: الاستدراج أن يتدرج إلى الشيء في خفية قليلاً قليلاً فلا يباغت ولا يجاهر، ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه في المشي، ومنه درج الكتاب إذا طواه شيئاً بعد شيء.

﴿وأُمْلِي لَهُمْ﴾، أي: أمهلهم وأطيل لهم مدة عمرهم ليتمادوا في المعاصي، ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾، أي: إن أخذني قوي شديد، قال ابن عباس: إن مكري شديد. قيل: نزلت في المستهزئين، فقتلهم الله في ليلة واحدة.

(١) تفسير الطبري: ٢٨٦/١٣.

(٢) أخرجه البخاري في المناقب، باب رقم (٢٨): ٦/٦٣٢، ومسلم في الإمامة، باب قوله ﷺ «لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»

... برقم (١٠٣٧): ٣/١٥٢٤، والمصنف في شرح السنة: ٢١٢/١٤.

أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ
 قَدْ أَقْرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي
 طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجِيبُهَا لَوْ قُنِيَ
 إِلَّا هُوَ تُقَلَّتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْغَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا
 عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ما بِصاحبهم مِّنْ جَنَّةٍ﴾ قال قتادة ذكر لنا أن النبي ﷺ قام على الصفا ليلاً، فجعل يدعو قريشاً فخذاً فخذاً: يا بني فلان، يا بني فلان، يحذّرهم بأس الله ووقائعه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، بات يُصوّت إلى الصباح، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ما بِصاحبهم﴾^(١)، محمد ﷺ: ﴿مَنْ جَنَّةٍ﴾ جنون. ﴿إِنْ هُوَ﴾، ماهو، ﴿إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، ثم حثهم على النظر المؤدي إلى العلم فقال:

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِيهِمَا مِنْ شَيْءٍ﴾، أي: وينظروا إلى ما خلق الله من شيء ليستدلوا بها على وحدانيته. ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ أَقْرَبَ أَجْلُهُمْ﴾ أي: لعل أن يكون قد اقترب أجلهم فيموتوا قبل أن يؤمنوا ويصيروا إلى العذاب، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾، أي: بعد القرآن يؤمنون. يقول: بأي كتاب غير ما جاء به محمد ﷺ يصدّقون، وليس بعده نبي ولا كتاب، ثم ذكر علة إعراضهم عن الإيمان فقال:

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾ قرأ أهل البصرة وعاصم بالياء ورفع الراء، وقرأ حمزة والكسائي بالياء وجزم الراء، لأن ذكر الله قد مرّ قبله، وجزم الراء مردود على «يضلل» وقرأ الآخرون بالنون ورفع الراء على أنه كلام مستأنف. ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، يترددون متحيرين.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ قال قتادة: قالت قريش لرسول الله ﷺ: إن بيننا وبينك قرابة فأسرّ إلينا متى الساعة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾^(٢) يعني: القيامة، ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: منتهاها. وقال قتادة: قيامها، وأصله الثبات، أي: متى مثبتها؟ ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ استأثر بعلمها ولا يعلمها إلا هو، ﴿لا يُجِيبُهَا﴾

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ٢٨٩/١٣ بإسناد صحيح إلى قتادة. انظر: الكافي الشاف ص (٦٦).

(٢) أخرجه الطبري: ٢٩٢/١٣، ٢٩٨.

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ
مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٨﴾

لايكشفها ولا يظهرها. وقال مجاهد: لا يأتي بها، ﴿لوقتها إلا هو، نقلت في السموات والأرض﴾،
يعني: ثقل علمها وخفي أمرها على أهل السموات والأرض، وكل خفي ثقيل. قال الحسن: يقول
إذا جاء ثقلت وعظمت على أهل السموات والأرض، ﴿لاتأتاكم إلا بغتة﴾، فجاءة على غفلة.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، حدثنا أحمد بن عبدالله النعيمي،، حدثنا محمد بن يوسف،
حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، حدثنا أبو الزناد عن عبدالرحمن الأعرج،
عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه
ولا يطويانه، ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقوم الساعة وهو يليط
حوضه فلا يسقي فيه، ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها»^(١).

﴿يسألونك كأنك خفي عنها﴾، أي: عالم بها من قولهم أحفيت في المسألة، أي: بالغت
فيها، معناه: كأنك بالغت في السؤال عنها حتى علمتها، ﴿قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس
لا يعلمون﴾، أن علمها عند الله حتى سألوا محمداً ﷺ عنها.

﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن أهل
مكة قالوا: يا محمد، ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتره وتربح فيه عند الغلاء؟
وبالأرض التي يريد أن تجذب فترتحل منها إلى ما قد أخصبت؟ فأنزل الله تعالى «قل لا أملك لنفسي
نفعاً»^(٢) أي: لا أقدر لنفسي نفعاً، أي: اجتلاب نفع بأن أربح ولا ضرراً، أي دفع ضرر بأن أرتحل من
أرض تريد أن تجذب إلا ما شاء الله أن أملكه.

﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء﴾، أي: لو كنت أعلم الخصب
والجذب لاستكثرت من الخير، أي: من المال لسنة القحط ﴿وما مسني السوء﴾ أي: الضر والفقر
والجوع.

(١) أخرجه البخاري في الرقاق، باب حدثنا أبو اليمان: ٣٥٢/١١، ومسلم في الفتن، باب قرب الساعة (٢٩٥٤): ٤/٢٢٧٠. والعضف
في شرح السنة: ٢٦/١٥ - ٢٧.

(٢) أسباب النزول للواحد ص (٢٦٣).

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً فَمَرَّتَ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾

وقال ابن جريج: «قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرراً» يعني: الهدى والضلالة، (ولو كنت أعلم الغيب) أي: متى أموت، لاستكثر من الخير، يعني: من العمل الصالح وما مسني سوء.

قال ابن زيد: واجتنب ما يكون من الشر واتقته.

وقيل: معناه ولو كنت أعلم الغيب أي متى الساعة لأخبرتكم حتى تؤمنوا وما مسني سوء بتكذيبكم. وقيل: وما مسني سوء: ابتداءً، يريد: وما مسني الجنون لأنهم كانوا ينسبونه إلى الجنون. ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾، لمن لا يصدق بما جئت به، ﴿وبشيراً﴾، بالجنة، ﴿لقوم يؤمنون﴾، يصدقون.

قوله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾، يعني: آدم، ﴿وجعل﴾، وخلق ﴿منها زوجها﴾، يعني: حواء، ﴿ليسكن إليها﴾، ليأنس بها ويأوي إليها / ﴿فلما تغشأها﴾، أي: واقعها وجامعها ﴿حملت حملاً خفيفاً﴾، وهو أول ما تحمل المرأة من النطفة يكون خفيفاً عليها، ﴿فمرت به﴾، أي: استمرت به وقامت وقعدت به، لم يثقلها، ﴿فلما أثقلت﴾، أي: كبر الولد في بطنها وصارت ذات ثقل بحملها وذنّت ولادتها، ﴿دعوا الله ربهما﴾، يعني آدم وحواء، ﴿لئن آتيتنا ياربتنا صالحاً﴾، أي: بشراً سويّاً مثلنا، ﴿لنكونن من الشاكرين﴾، قال المفسرون: فلما حملت حواء أتاها إبليس في صورة رجل، فقال لها: ما الذي في بطنك؟ قالت: ما أدري. قال: إني أخاف أن يكون بهيمة، أو كلباً، أو خنزيراً، وما يدريك من أين يخرج؟ من دبرك فيقتلك، أو من [قُبلك] (١) وينشق بطنك، فخافت حواء من ذلك، وذكرت ذلك لآدم عليه السلام فلم يزل في همّ من ذلك، ثم عاد إليها فقال: إني من الله بمنزلة، فإن دعوت الله أن يجعله خلقاً سويّاً مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبدالحارث؟ - وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث - وذكرت ذلك لآدم، فقال: لعله صاحبنا الذي قد علمت، فعاودها إبليس، فلم يزل بهما حتى غرّهما، فلما ولدت سمّياه

(١) في (ب): (فيك).

عبد الحارث^(١).

قال الكلبي: قال إبليس لها: إن دعوتُ الله فولدتِ إنساناً أتسمينه بي؟ قالت: نعم، فلما ولدت قال سميه بي، قالت: وما اسمك قال الحارث، ولو سمى لها نفسه لعرفته فسمته عبد الحارث.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت حواء تلد لآدم فيسميه عبد الله، وعبيد الله،

(١) حديث ضعيف أخرجه الترمذي في تفسير سورة الأعراف: ٤٦٠/٨، وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه، ورواه الإمام أحمد في المسند: ١١/٥، والطبراني في الكبير برقم (٦٨٩٥)، والحاكم: ٥٤٥/٢، والطبري: ٣٠٩/١٣، وعمر بن إبراهيم، صدوق، في حديثه عن قتادة ضعف، قال أحمد: يروي عن قتادة أحاديث متاكير. وقال ابن عدي: يروي عن قتادة أشياء لا يوافق عليها، وحديثه خاصة عن قتادة مضطرب. (تهذيب التهذيب). وساق الحافظ ابن كثير رواية ابن عباس، وعزاها أيضاً لابن أبي حاتم في تفسيره، وكذا ابن مردويه ثم قال: الحديث معلول من ثلاثة أوجه:

(أحدها) أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري وقد وثقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازي لا يحتج به، ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعاً، قاله أعلم.

(الثاني) أنه قد روي من قول سمرة نفسه، ليس مرفوعاً، كما قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه، حدثنا بكر بن عبد الله عن سليمان التيمي عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب قال سمى آدم ابنه عبد الحارث.

(الثالث) أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً لما عدل عنه.

قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمر وعن الحسن ﴿جعلنا له شركاء فيما آتاهما﴾ قال: كان هذا في بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم.

وحدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر قال: قال الحسن عني بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده يعني ﴿جعلنا له شركاء فيما آتاهما﴾.

وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا. وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره ولا سيما مع تقواه لله وورعه فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب، من آمن منهم، مثل: كعب أو وهب بن منبه وغيرهما - كما سيأتي بيانه إن شاء الله - إلا أننا برئنا من عهد المرفوع والله أعلم.

فأما الآثار: فقال محمد بن إسحاق بن يسار: عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولاداً فيعبدونهم لله، ويسميهم: عبد الله، وعبيد الله، ونحو ذلك، فيصيبهم الموت، فأتاهما إبليس فقال: إنكما لو سميتماه بغير الذي تسميان به لعاش، قال فولدت له رجلاً فسماه عبد الحارث فيه أنزل الله يقول ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ - إلى قوله - ﴿جعلنا له شركاء فيما آتاهما﴾ إلى آخر الآية.

وقال العوفي: عن ابن عباس قوله في آدم: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ - إلى قوله - ﴿فمرت به﴾ شكت أحملت أم لا؟ ﴿فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين﴾ فأتاهما الشيطان فقال: هل تدریان ما يؤلِّدُ لكما؟ أم هل تدریان ما يكون أبهية أم لا؟ وزين لهما الباطل إنه غوي مبین، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا، فقال لهما الشيطان: إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سوياً ومات كما مات الأول، فسميا ولدهما عبد الحارث، فذلك قول الله تعالى: ﴿فلما آتاهما صالحاً جعلنا له شركاء فيما آتاهما﴾ الآية. وقال عبد الله بن أبي سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿فلما آتاهما صالحاً جعلنا له شركاء فيما آتاهما﴾ قال الله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تشاهها﴾ آدم ﴿حملت﴾ فأتاهما إبليس لعنه الله فقال إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لَتَطِيعَانِي أَوْ لَأَجْعَلَنَّ لَه قَرْنِي أَبِلَ، فيخرج من بطنك فيشققه ولأفعلن ولأفعلن، =

وعبدالرحمن، فيصيبهم الموت، فأتاهما إبليس وقال: إن سركما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبدالحارث، فولدت فسمياه عبدالحارث فعاش. وجاء في الحديث: «خدعهما إبليس مرتين مرة في الجنة ومرة في الأرض».

وقال ابن زيد: ولد لآدم ولد فسماه عبدالله فأتاهما إبليس فقال لهما: ماسميتما ابنكما؟ قالوا: عبدالله - وكان قد ولد لهما قبل ذلك ولد فسمياه عبدالله فمات - فقال إبليس: أتظنان أن الله تارك عبده عندكما، لا والله ليذهبن به كما ذهب بالآخر، ولكن أدلكم على اسم يبقى لكما مابقيتما، فسمياه عبدشمس. والأول أصح، فذلك قوله:

﴿فلما آتاهما صالحاً﴾، بشراً سوياً ﴿جعلاً له شركاء فيما آتاهما﴾، قرأ أهل المدينة وأبو بكر: «شركاً» بكسر الشين والتونين، أي: شركة. قال أبو عبيدة: أي حظاً ونصيباً، وقرأ الآخرون: «شركاء» بضم الشين ممدوداً على جمع شريك، يعني: إبليس، أخبر عن الواحد بلفظ الجمع. أي: جعلاً له شريكاً إذ سمياه عبدالحارث، ولم يكن هذا إشراكاً في العبادة ولأن الحارث ربهما، فإن آدم كان نبياً معصوماً من الشرك، ولكن قصد إلى أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة أمه، وقد يطلق اسم

يخوفهما، فسمياه عبدالحارث، فأبى أن يطيعاه، فخرج ميتاً ثم حملت الثانية فأتاهما أيضا فقال أنا صاحبكما الذي فعلت ما فعلت لتفعلن أو لا تفعلن - يخوفهما - فأبى أن يطيعاه فخرج ميتاً ثم حملت الثالث فأتاهما أيضا فذكر لهما فأدركما حب الولد فسمياه عبدالحارث فذلك قوله تعالى ﴿جعلاً له شركاء فيما آتاهما﴾ رواه ابن أبي حاتم.

وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة، ومن الطبقة الثانية: قتادة والسدي وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف، ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة، وكأنه والله أعلم أصله مأخوذ من أهل الكتاب فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب كما رواه ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو الجماهر حدثنا سعيد يعني ابن بشير عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال لما حملت حواء أتاه الشيطان فقال لها أنطعيني ويسلم لك ولدك، سميه عبدالحارث فلم تفعل فولدت فماتت ثم حملت فقال لها مثل ذلك فلم تفعل ثم حملت الثالثة فجاءها فقال إن تطيعيني يسلم وإلا فإنه يكون بهيمة فهيهما فاطاعا.

وهذه الآثار يظهر عليها والله أعلم أنها من آثار أهل الكتاب، وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم».

ثم أخبارهم على ثلاثة أقسام: فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ومنها ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضاً، ومنها: ما هو مسكوت عنه، فهو المأذون في روايته بقوله عليه السلام «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»، وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله: (فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم). وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر، فأما من حدث به من صحابي أو تابعي فإنه يراه من القسم الثالث، وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته، ولهذا قال الله: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾، ثم قال: فذكر آدم وحواء أولاً كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين وهو كالأستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس.

وانظر: تفسير الفخر الرازي: ٩٠/١٥ - ٩٣، الإسرائيليات والموضوعات للشيخ محمد أبي شهبه ص (٢٩٢ - ٣٠١)، المنهج

السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد ص (٢٣٦).

أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِيمُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالَكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾

العبد على من لا يراد به أنه مملوك، كما يطلق اسم الرب على من لا يراد به أنه معبود هذا، كالرجل إذا نزل به ضيف يسمى نفسه عبد الضيف، على وجه الخضوع لاعلى أن الضيف ربه، ويقول للغير: أنا عبدك. وقال يوسف لعزيز مصر: إنه ربي، ولم يرد به أنه معبوده، كذلك هذا.

وقوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، قيل: هذا ابتداء كلام وأراد به إشراك أهل مكة، ولئن أراد به ماسبق فمستقيم من حيث أنه كان الأولى بهما أن لا يفعل ما أتيا به من الإشراك في الاسم.

وفي الآية قول آخر: وهو أنه راجع إلى جميع المشركين من ذرية آدم، وهو قول الحسن وعكرمة، ومعناه: جعل أولادهما شركاء، فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم، كما أضاف فعل الآباء إلى الأبناء في تعبيرهم بفعل الآباء فقال: «ثم اتخذتم العجل»، «وإذ قتلتم نفساً» خاطب به اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ، وكان ذلك الفعل من آبائهم. وقيل: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهو دوا ونصروا. وقال ابن كيسان: هم الكفار سموا أولادهم عبد العزى وعبد اللات وعبد مناة ونحوه. وقال عكرمة: خاطب كل واحد من الخلق بقوله خلقكم أي خلق كل واحد من أبيه وجعل منها زوجها، أي: جعل من جنسها زوجها، وهذا قول حسن، لولا قول السلف مثل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن المسيب وجماعة المفسرين أنه في آدم وحواء.

قال الله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾، يعني: إبليس والأصنام، ﴿وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾، أي: هم مخلوقون.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ أي: الأصنام لا تنصر من أطاعها. ﴿وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾: قال الحسن: لا يدفعون عن أنفسهم مكروه من أراد بهم بكسر أو نحوه ثم خاطب المؤمنين فقال:

أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ
 آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ
 الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١١٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَ
 كُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١١٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ
 إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١١٨﴾ خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١١٩﴾

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾، وإن تدعوا المشركين إلى الإسلام، ﴿لَا يَتَّبِعُكُمْ﴾، قرأ نافع
 بالتخفيف وكذلك: «يتبعهم الغاؤون» في الشعراء (الآية ٢٢٤) وقرأ الآخرون بالتشديد فيهما وهما
 لغتان، يقال: تبعه تبعاً وأتبعه إتباعاً. ﴿سواءً عليكم أَدْعَوْتُهُمْ﴾، إلى الدين، ﴿أَمْ أَنْتُمْ
 صَامِتُونَ﴾، عن دعائهم لا يؤمنون، كما قال: «سواءً عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذِرهم لا يؤمنون» (البقرة-٦)
 وقيل: «وإن تدعوهم إلى الهدى» يعني: الأصنام، لا يتبعوكم لأنها غير عاقلة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يعني الأصنام، ﴿عِبَادٌ أَهْلُكُمْ﴾، يريد أنها مملوكة
 أمثالكم. وقيل: أمثالكم في التسخير، أي: أنهم مُسَخَّرُونَ مَذَلَّلُونَ لِمَا أُرِيدَ مِنْهُمْ. قال مقاتل: قوله
 «عِبَادٌ أَهْلُكُمْ» أراد به الملائكة، والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة. والأول أصح.

﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أنها آلهة. قال ابن عباس: فاعبدوهم، هل
 يشيرونكم أو يجازونكم إن كنتم صادقين أن لكم عندها منفعة؟ ثم بين عجزهم فقال:

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَطِشُونَ بِهَا﴾ قرأ أبو جعفر بضم الطاء هنا وفي القصص
 والدخان، وقرأ الآخرون بكسر الطاء، ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾، أراد
 أن قدرة المخلوقين تكون بهذه الجوارح والآلات، وليست للأصنام هذه الآلات، فأنتم مفضلون
 عليهم بالأرجل الماشية والأيدي الباطشة والأعين الباصرة والآذان السامعة، فكيف تعبدون من أنتم
 أفضل وأقدر منهم؟ ﴿قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾، يامعشر المشركين، ﴿ثُمَّ كِيدُوا﴾، أنتم وهم،
 ﴿فَلَا تُنظِرُونَ﴾، أي: لا تمهلوني واعجلوا في كيدي.

قوله: ﴿إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ﴾، يعني القرآن، أي أنه يتولاني وينصرني كما أيدني
 بإنزال الكتاب، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد الذين لا يعدلون

بالله شيئاً فآله يتولا هم بنصره فلا يضرهم عداوة من عاداهم . /

﴿والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون﴾.

﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا﴾، يعني الأصنام، ﴿وتراهم﴾ يامحمد ﴿ينظرون إليك﴾، يعني الأصنام، ﴿وهم لا يبصرون﴾، وليس المراد من النظر حقيقة النظر، إنما المراد منه: المقابلة، تقول العرب: داري تنظر إلى دارك، أي: تقابلها. وقيل: وتراهم ينظرون إليك أي: كأنهم ينظرون إليك، كقوله تعالى: «وترى الناس سُكَّارِي» (الحج ٢)، أي: كأنهم سُكَّارِي هذا قول [أكثر]^(١) المفسرين. وقال الحسن: «وإن تدعوهم إلى الهدى» يعني: المشركين لا يسمعوا ولا يفعلون ذلك بقلوبهم، وتراهم ينظرون إليك بأعينهم وهم لا يبصرون بقلوبهم.

قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾، قال عبدالله بن الزبير: أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يأخذ العفو من أخلاق الناس. وقال مجاهد: خذ العفو يعني العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس، وذلك مثل قبول الاعتذار والعفو والمساهلة وترك البحث عن الأشياء ونحو ذلك.

وروي أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما هذا؟ قال لا أدري حتى أسأله، ثم رجع فقال: إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك»^(٢).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي والضحاك والكلبي: يعي خُذُ ما عفا لك من الأموال وهو الفضل عن العيال، وذلك معنى قوله: «يسألونك ماذا ينفقون قل العفو» (البقرة - ٢١٩)، ثم نسخت هذه بالصدقات المفروضات. قوله تعالى: ﴿وأمر بالعرف﴾ أي: بالمعروف، وهو كل ما يعرفه الشرع. وقال عطاء: وأمر بالعرف يعني بلائله إلا الله. ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾، أبي جهل وأصحابه، نسختها آية السيف. وقيل: إذا تسفه عليك الجاهل فلا تقابله بالسفه، وذلك مثل قوله: «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً» (الفرقان - ٦٣)، وذلك سلام المتاركة. قال جعفر الصادق: أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه الطبري من طريق سفيان بن عيينة عن أبي المرادي: ٣٠٣/١٣، قال ابن حجر في «الكافي الشاف» ص (٦٦): «هذا منقطع، وأخرجه ابن مردويه موصولاً من حديث جابر وحديث قيس بن سعد، وزاد في أوله: لما نظر رسول الله ﷺ إلى حمزة قال: والله لأمثلن بسبعين منهم - فجاء جبريل بهذه الآية، فذكر الحديث».

وانظر: جامع الأصول لابن الأثير: ١٤٣/٢ - ١٤٤ مع حاشية المحقق.

وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾

أخبرنا عبدالله بن عبدالصمد [الجرجاني] (١) ثنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، ثنا الهيثم بن كليب، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا محمد بن بشار، ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي عبدالله الجدلي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح» (٢).

ثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي ثنا أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الواعظ ثنا عماد بن محمد البغدادي ثنا أحمد بن محمد عن سعيد الحافظ ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عمر بن إبراهيم يعني الكوفي ثنا يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق وتمام محاسن الأفعال» (٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾، أي: يصيبك ويعتريك ويعرض لك من الشيطان نزغ نخسة. والنزغ من الشيطان الوسوسة. وقال الزجاج: النزغ أدنى حركة تكون من الأدمي، ومن الشيطان أدنى وسوسة. وقال عبدالرحمن بن زيد: لما نزلت هذه الآية: «خُذِ الْعَفْوَ»، قال النبي ﷺ: «كيف يارب والغضب»؟ فنزل: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ (٤)، أي: استجِرْ بِاللَّهِ ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، يعني المؤمنين، ﴿ذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة والكسائي: «طيف»، وقرأ الآخرون «طائف» بالمد والهمز، وهما لغتان كالميت والمائت، ومعناها: الشيء يُلْمُّ بك. وفرَّق قوم بينهما، فقال أبو عمرو: الطائف ما يطوف حول الشيء، والطيف: اللمة والوسوسة. وقيل: الطائف ما طاف به من وسوسة الشيطان، والطيف اللمم والمس.

(١) في أ: «الجزجاني».

(٢) أخرجه الترمذي في البر، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ: ١٥٧/٦ - ١٥٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أيضاً في كتابه المفرد «الشمائل المحمدية» ص (٢٠٠) بشرح الباجوري. والإمام أحمد في المسند: ٢٣٦/٦، وإسناده صحيح، والمصنف في شرح السنة: ٢٣٧/١٣.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عمر بن إبراهيم القرشي، وهو ضعيف (انظر: مجمع الزوائد: ١٨٨/٨)، والبخاري في مصابيح السنة: ٤١/٤، وهو في مشكاة المصابيح برقم (٧٥٧٠)، وشرح السنة: ٢٠٢/١٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٣/١٣.

وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذْ أَلَمَ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا
 اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
 لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٦﴾

﴿تذكروا﴾، عرفوا، قال سعيد بن جبیر: هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر الله تعالى فيكظم الغيظ.
 وقال مجاهد: هو الرجل يهّم بالذنب فيذكر الله فيدعه. ﴿فإذا هم مبصرون﴾، أي يبصرون مواقع
 خطاياهم بالتذكر والتفكير. قال السدي: إذا زلوا تابوا. وقال مقاتل: إن المتقي إذا أصابه نزع من
 الشيطان تذكر وعرف أنه معصية، فأبصر فنزع عن مخالفة الله.

قوله: ﴿وإخوانهم يمدونهم﴾، يعني إخوان الشياطين من المشركين يمدونهم، أي: يمدهم
 الشيطان. قال الكلبي: لكل كافر أخ من الشياطين. ﴿في الغي﴾، أي: يطلبون هم الإغواء حتى
 يستمروا عليه. وقيل: يزيدونهم في الضلالة. وقرأ أهل المدينة: «يُمدونهم» بضم الياء وكسر الميم،
 من الإمداد، والآخر: بفتح الياء وضم الميم وهما لغتان بمعنى واحد. ﴿ثم لا يقصرون﴾، أي:
 لا يكفون. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات،
 ولا الشياطين يمسكون عنهم، فعلى هذا قوله: «ثم لا يقصرون» من فعل المشركين والشياطين جميعاً.
 قال الضحاك ومقاتل: يعني المشركين لا يقصرون عن الضلالة ولا يبصرونها، بخلاف ما قال في
 المؤمنين: «تذكروا فإذا هم مبصرون».

﴿وإذا لم تأتتهم بآية﴾، يعني: إذا لم تأت المشركين بآية، ﴿قالوا لولا اجتبيتها﴾، هلا افتعلتها
 وأنشأتها من قبل نفسك واختيارك؟ تقول العرب: اجتبيت الكلام إذا اختلقته. قال الكلبي: كان أهل
 مكة يسألون النبي ﷺ الآيات تعنتاً فإذا تأخرت اتهموه وقالوا: لولا اجتبيتها؟ أي: هلا أحدثتها وأنشأتها
 من عندك؟ ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي﴾، ثم قال: ﴿هذا﴾، يعني: القرآن
 ﴿بصائر﴾، حجج وبيان وبرهان ﴿من ربكم﴾، وأحدثها بصيرة، وأصلها ظهور الشيء واستحكامه
 حتى يبصره الإنسان، فيهتدي به يقول: هذا دلائل تقودكم إلى الحق. ﴿وهدي ورحمة لقوم
 يؤمنون﴾.

قوله عز وجل: ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحموا﴾، اختلفوا في سبب
 نزول هذه الآية فذهب جماعة إلى أنها في القراءة في الصلاة. روي عن أبي هريرة كانوا يتكلمون / ١٤٣

في الصلاة بحوائجهم فأمرُوا بالسكوت والاستماع إلى قراءة القرآن^(١). وقال قوم: نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الإمام^(٢).

وروى عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة قال: نزلت هذه الآية في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة^(٣).

وقال الكلبي: كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار^(٤).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع ناساً يقرؤون مع الإمام فلما انصرف قال: أما أن لكم أن تفقهوا وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم الله^(٥)؟ وهذا قول الحسن والزهري والنخعي: أن الآية في القراءة في الصلاة.

وقال سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد: إن الآية في الخطبة، أمرُوا بالإنصات لخطبة الإمام يوم الجمعة^(٦).

وقال سعيد بن جبير: هذا في الإنصات يوم الأضحى والفطر ويوم الجمعة، وفيما يجهر به الإمام^(٧).

وقال عمر بن عبدالعزيز: [يجب] الإنصات لقول كلِّ واعظ.

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٥/١٣، ٣٤٩، (وفيه: إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف)، وسنن البيهقي: ١٥٥/٢، أسباب النزول للواحدي ص (٢٦٤). وعزاه السيوطي في الدر: (٦٣٦/٣) لابن المنذر، وابن أبي حاكم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وابن أبي شيبه.

(٢) جاء في ذلك آثار عديدة انظرها في: الدر المنثور ٦٣٥/٣، أسباب النزول للواحدي ص (٢٦٤).

(٣) رواه الدارقطني في السنن: ٣٢٦/١ وقال: فيه عبدالله بن عامر: ضعيف. وانظر: نصب الراية للزبيدي: ١٤/٢، إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام لأبي الحسنات للكنوي ص (٧٧) طبع الهند.

(٤) أخرجه عبدالرزاق وابن المنذر عن الكلبي.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٤٦/١٣، وعزاه السيوطي لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن ابن مسعود، انظر: الدر المنثور: ٦٣٥/١٣.

(٦) انظر: الطبري: ٣٥٢/١٣، الدر المنثور: ٦٣٧/٣، أسباب النزول ص (٢٦٤). وقال ابن عطية في «المحرز الوجيز» ١٩٦/٦: «وأما قول من قال إنها نزلت في الخطبة، فضعيف، لأن الآية مكية، والخطبة لم تكن إلا بعد هجرة النبي ﷺ من مكة. وكذلك ما ذكره الزهراوي (؟) من أنها نزلت بسبب فتى من الأنصار كان يقرأ في الصلاة والنبي ﷺ يقرأ في الصلاة. وانظر: القراءة خلف الإمام للبيهقي.

(٧) أخرجه أبو الشيخ - كما في الدر المنثور. وانظر إمام الكلام للكنوي ص (٨١).

(٨) ساقط من «ب».

والأول أولاهما، وهو أنها في القراءة في الصلاة لأن الآية مكية والجمعة وجبت بالمدينة^(١).
واتفقوا على أنه مأمور بالإنصات حالة ما يخطب الإمام .

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ثنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأصم ثنا الربيع ثنا الشافعي ثنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا قُلْتَ لصاحبِكَ أَنْصِتْ والإمامُ يخطبُ يومَ الجمعة فقد لغوت»^(٢).

واختلف أهل العلم في القراءة خلف الإمام في الصلاة: فذهب جماعة إلى إيجابها سواء جهر الإمام بالقراءة أو أسر. روي ذلك عن عمر، وعثمان، وعلي، وابن عباس، ومعاذ، وهو قول الأوزاعي والشافعي .

وذهب قوم إلى أنه يقرأ فيما أسر الإمام فيه بالقراءة ولا يقرأ إذا جهر، يُروى ذلك عن ابن عمر، وهو قول عروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، . وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك وأحمد وإسحاق .

وذهب قوم إلى أنه لا يقرأ سواء أسر الإمام أو جهر، يُروى ذلك عن جابر، وبه قال الثوري وأصحاب الرأي^(٣)، ويتمسك من لا يرى القراءة خلف الإمام بظاهر هذه الآية، ومن أوجبها قال الآية في غير الفاتحة وإذا قرأ الفاتحة يتبع سكتات الإمام ولا ينازع الإمام في القراءة .

والدليل عليه: ما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، ثنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، ثنا أبو العباس المحبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا هناد، ثنا عبدة بن سليمان، عن

(١) وهذا الذي رجحه شيخ المفسرين، الطبري رحمه الله حيث قال في التفسير: ٣٥٢/١٣ - ٣٥٣: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: أمروا باستماع القرآن في الصلاة إذا قرأ الإمام، وكان من خلفه ممن يأتى به يسمعه، وفي الخطبة .

وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب، لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وإذا قرأ فأنصتوا» وإجماع الجميع على أن على من سمع خطبة الإمام ممن عليه الجمعة، الإستماع والإنصات لها، مع تنابح الأخبار بالأمر بذلك عن رسول الله ﷺ وأنه لا وقت يجب على أحد استماع القرآن والإنصات لسماعه، من قارئه، إلا من هاتين الحالتين، على اختلاف في إحداهما، وهي حالة أن يكون خلف إمام مؤتم به وقد صح الخبر عن رسول الله ﷺ بما ذكرنا من قوله: «إذا قرأ الإمام فأنصتوا» فالإنصات خلفه لقراءته واجب على من كان به مؤتماً سامعاً قراءته، بعموم ظاهر القرآن والخبر عن رسول الله ﷺ .

وانظر بحثاً نفسياً في هذا لأبي الحسنات اللكنوي في كتابه «إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام» ص ٧٥ وما بعدها، وهو تحت الطبع بتحقيقنا .

(٢) أخرجه البخاري في الجمعة، باب الإنصات والإمام يخطب: ٤١٤/٢، ومسلم في الكتاب والباب نفسه برقم (٨٥١): ٥٨٣/٢، والمصنف في شرح السنة: ٥٨٣/٤ .

(٣) انظر هذه الآراء مع أدلتها في: التمهيد لابن عبد البر: ٢٢/١١ - ٥٦، الاستذكار: ١٦٦/٢ - ١٩٣، إمام الكلام للكنوي، فقد جمع فيه الأقوال مع الأدلة وناقشها بتجرد، ورجح ما يساعد عليه الدليل .

وَأَذْكُرَّتْكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ
وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٤٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ
يَسْجُدُونَ ﴿٤٦﴾

محمد بن إسحاق عن مكحول، عن محمود بن الربيع، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: صلى النبي ﷺ الصبح فتقلت عليه القراءة، فلما انصرف قال: «إني أراكم تقرؤون وراء إمامكم؟» قال: قلنا يارسول الله إني والله، قال: «لا تفعلوا إلا بأمر القرآن فإنه لاصلاة لمن لم يقرأ بها»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُّ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾، قال ابن عباس: يعني بالذكر: القراءة في الصلاة، يريد يقرأ سرّاً في نفسه، ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾، خوفاً، أي: تتضرع إليّ وتخاف مني هذا في صلاة السرّ. وقوله: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، أراد في صلاة الجهر جهراً شديداً، بل في خفض وسكون، يسمع من خلفك. وقال مجاهد وابن جريج: أمر أن يذكره في الصدور بالتضرع إليه في الدعاء والاستكانة دون رفع الصوت والصرخ بالدعاء ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ أي: بالبكر والعشيات، واحد آصال: أصيل مثل يمين وأيمان، وهو ما بين العصر والمغرب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾، يعني: الملائكة المقربين بالفضل والكرامة، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، لا يتكبرون، ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾، وينزهونه ويذكرونه، فيقولون: سبحان الله. ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنبأنا أحمد بن الحسن الحيري، أنبأنا حاجب بن أحمد الطوسي، ثنا عبدالرحيم بن منيب، ثنا يعلى بن عبيد عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، فَيَقُولُ: يَا وَيْلَهُ أَمَرَ هَذَا بالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأَمَرْتُ بالسُّجُودِ فَعَصَيْتُ فَلِيَ النَّارُ»^(٢).

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي ثنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، ثنا أبو جعفر

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب من ترك القراءة في صلاته: ٣٩٠/١، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء في القراءة خلف الإمام: ٢٢٦/٢ - ٢٢٧، وقال: حديث عبادة حديث حسن، والدارقطني: ٣١٨/١ وقال: إسناد حسن. وصححه الحاكم: ٣١٨/١، وابن حبان ص (١٢٧) من موارد الظمان، وأخرجه البخاري في جزء القراءة خلف الإمام، والبيهقي أيضاً في القراءة. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٨٢/٣.

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (٨١): ٨٧/١ والمصنف في شرح السنة: ١٤٧/٣.

محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ، ثنا حميد بن زنجويه ، ثنا محمد بن يوسف ، ثنا الأوزاعي ، عن الوليد بن هشام ، عن معدان قال : سألتُ ثوبان مولى رسول الله ﷺ ، قلت : حدِّثني حديثاً ينفعني الله به ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «مَأْمِنٌ عَبْدٌ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا شَيْئَةٌ»^(١) .

(١) أخرجه ابن ماجه في الإقامه باب ما جاء في كثرة السجود ، برقم (١٤٢٣) : ٤٥٧/١ ، والإمام أحمد في المسند : ٢٧٦/٥ ، ٢٨٠ . وأخرجه مسلم في الصلاة ، باب فضل السجود والحث عليه برقم (٤٨٨) بلفظ : «عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك . . .» .

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

مدينة، وهي خمس وسبعون آية. قيل: إلا سبع آيات من قوله: «وإذ يمكر بك الذين كفروا» إلى آخر سبع آيات، فإنها نزلت بمكة. والأصح أنها نزلت بالمدينة، وإن كانت الواقعة بمكة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

﴿يسألونك عن الأنفال﴾ الآية، قال أهل التفسير: سبب نزول هذه الآية هو أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «من أتى مكان كذا فله من النفل كذا ومن قتل قتيلاً فله كذا ومن أسر أسيراً فله كذا»، فلما التقوا تسارع إليه الشبان وأقام الشيوخ ووجوه الناس عند الرايات، فلما فتح الله على المسلمين جاؤوا يطلبون ما جعل لهم النبي ﷺ، فقال الأشياخ: كنا ردةً لكم ولو انهزمت لانحزمت إلينا، فلاتذهبوا بالغنائم دوننا، وقام أبو اليسر بن عمرو الأنصاري أخو بني سلمة فقال: يارسول الله إنك وعدت من قتل قتيلاً فله كذا ومن أسر أسيراً فله كذا وأنا قد قتلنا منهم سبعين وأسرنا منهم سبعين، فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: والله يارسول الله مامننا أن نطلب ماطلب هؤلاء زهادة في الأجر ولاجن عن العدو، ولكن كرهنا أن نعري مصافك [فيعطف عليه] (١) خيل من المشركين / فيصبيوك، فأعرض ١٤٣/ب

(١) في ب: (فتعطف علينا).

عنهما رسول الله ﷺ . وقال سعيد: يارسول الله إن الناس كثير والغنيمة دون ذلك، فإن تعط هؤلاء [الذين]^(١) ذكرت لا يبقى لأصحابك كبير شيء، فنزلت: «يسألونك عن الأنفال»^(٢).

وقال ابن إسحاق: أمر رسول الله ﷺ بما في العسكر فجمع فاختلف المسلمون فيه، فقال من جمعه: هو لنا، قد كان رسول الله ﷺ نفل كل أمريء ما أصاب، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو: لولا نحن ما أصبتموه، وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ: لقد رأينا أن نقتل العدو وأن نأخذ المتاع ولكننا خفنا على رسول الله ﷺ كره العدو، وقمنا دونه فما أنتم بأحق به منا^(٣).

وروي مكحول عن أبي أمامة الباهلي قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال، قال: فينا معشر أصحاب بدر نزلت، حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فزرعه الله من أيدينا، فجعله إلى رسول الله ﷺ، فقسمه رسول الله ﷺ بيننا عن بواء - يقول على السواء - وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وصلاح ذات البين^(٤).

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، وقتلت سعيد بن العاص بن أمية، وأخذت سيفه، وكان يسمى ذا الكثيفة، فأعجبني فجتت به إلى النبي ﷺ، فقلت: يارسول الله إن الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف. فقال: ليس هذا لي ولالك، اذهب فاطرحه في القُبْض، فطرحته ورجعت، وبني ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلاحي، وقلت: عسى أن يعطى هذا السيف من لم يئبل بلائي فما جاوزت إلا قليلاً حتى جاءني الرسول، وقد أنزل الله عز وجل: «يسألونك عن الأنفال»، الآية. فخفت أن يكون قد نزل في شيء، فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ قال: «ياسعد إنك سألتني السيف وليس لي، وإنه قد صار لي الآن فاذهب فخذهُ فهو لك»^(٥).

(١) في (ب): (الذي).

(٢) جاء هذا السبب في نزول الآية، في جملة أحاديث جمع بينها المصنف، رحمه الله، وهي عند الطبري من طرق، بسند صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: تفسير الطبري. ٣٦٧/١٣ - ٣٦٩، المستدرک: ٣٢٦/٢ - ٣٢٧، السنن الكبرى للبيهقي: ٣١٥/٦. وانظر: الدر المنثور: ٦/٤، تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٢ - ٢٨٤.

(٣) سيرة ابن هشام: ٦٤١/١ - ٦٤٢ (طبع الحلبي).

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٠/١٣ - ٣٧١، والمستدرک: ٣٢٦/٢، والبيهقي: ٢٩٢/٦، المسند للإمام أحمد: ٣٢٢/٥، سيرة ابن هشام: ٦٤٢/١. وقال الهيثمي بعدما عزاه للإمام أحمد: «ورجال الطريقين ثقات». وانظر تعليق الشيخ محمود شاكر على تفسير الطبري في الموضوع السابق، وابن كثير: ٢٨٤/٢.

(٥) الطبري: ٣٧٣/١٣ من طرق عدة، وأخرجه الإمام أحمد، وأبو داود، وأبو عبيد في الأموال، وصححه الحاكم: ١٣٢/٢ ووافقه الذهبي. انظر: تعليق محمود شاكر على الطبري. والقُبْض: - بالتحريك - بمعنى المقبوض، وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن تقسم.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المغنم لرسول الله ﷺ خاصة ليس لأحد فيها شيء، وما أصاب سرايا المسلمين من شيء أتوه به فمن حبس منه إبرة أو سلكاً فهو غلول^(١).

قوله: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ أي: عن حكم الأنفال وعلمها، وهو سؤال استخبار لا سؤال طلب. وقيل: هو سؤال طلب. قاله الضحاك وعكرمة. وقوله: ﴿عن الأنفال﴾ أي: من الأنفال، عن بمعنى من. وقيل: عن صلة أي: يسألونك الأنفال، وهكذا قراءة ابن مسعود بحذف عن. والأنفال: الغنائم، واحداً: نَفْلٌ، وأصله الزيادة، يقال: نفلتك وأنفلتت، أي: زدتك، سُميت الغنائم أنفالاً: لأنها زيادة من الله تعالى لهذه الأمة على الخصوص.

وأكثر المفسرين على أن الآية في غنائم بدر. وقال عطاء: هي ماشد من المشركين إلى المسلمين بغير قتال، من عبد أو أمة ومتاع فهو للنبي ﷺ يصنع به ما شاء.

قوله تعالى: ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ [يقسمها كما شاء]^(٢) واختلفوا فيه، فقال مجاهد وعكرمة والسدي: هذه الآية منسوخة بقوله عز وجل: «واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسُهُ وللرسول» الآية. كانت الغنائم يومئذ للنبي ﷺ فنسخها الله عز وجل بالخمس^(٣).

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: هي ثابتة غير منسوخة، ومعنى الآية: قل الأنفال لله مع الدنيا والآخرة وللرسول يضعها حيث أمره الله تعالى، أي: الحكم فيها لله ولرسوله، وقد بين الله مصارفها في قوله عز وجل: «واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسُهُ وللرسول» الآية^(٤).

(١) الطبري: ٣٧٨/١٣، والبيهقي: ٢٩٣/٦ مطولاً، وعزاه السيوطي أيضاً لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه: الدر المنثور: ٨/٤. وإسناده منقطع لأن علي بن أبي طلحة لم يسمع التفسير من ابن عباس.

(٢) في «ب»: (يقسمانها كما شاء)

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ، لأبي القاسم هبة بن سلامة، ص (٤٨ - ٤٩)، وهو مروى عن مجاهد وعكرمة. انظر: الطبري: ٣٨٠/١٣ - ٣٨١ -

(٤) أخرجه الطبري: ٣٨١/١٣، ورجح أنها محكمة غير منسوخة فقال: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر أنه جعل الأنفال لنبيه ﷺ، ينقل من شاء، فنقل القاتل السلب وجعل للجيش في البداية (ابتداء سفر الغزو) الربع، وفي الرجعة الثلث بعد الخمس. ونقل قوماً بعد سهمانهم بعيراً بعيراً في بعض المغازي. فجعل الله تعالى ذكره حُكْمَ الأنفال إلى نبيه ﷺ، ينقل على ما يرى مما فيه صلاح المسلمين، وعلى من بعده من الأئمة أن يستنوا بسنته في ذلك.

وليس في الآية دليل على أن حكمها منسوخ، لاحتمالها ما ذكرت من المعنى الذي وصفت. وغير جائز أن يحكم بحكم قد نزل به القرآن أنه منسوخ، إلا بحجة يجب التسليم لها، فقد دللنا في غير موضع من كتبنا أن لا منسوخ إلا ما أبطل حكمه حادث حكم بخلافه، ينفيه من كل معانيه، أو يأتي خبرٌ يوجب المحجة أن أحدهما ناسخ الآخر»

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾، أي: اتقوا الله بطاعته وأصلحوا الحال بينكم بترك المنازعة والمخالفة، وتسليم أمر الغنيمة إلى الله والرسول ﷺ. ﴿وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾.

﴿إنما المؤمنون﴾، يقول ليس المؤمن الذي يخالف الله ورسوله، إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم، ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾، خافت وقرت قلوبهم. وقيل: إذا خوفوا بالله انقادوا خوفاً من عقابه. ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾، تصديقاً و يقيناً. وقال عمير بن حبيب وكانت له صحبة: إن للإيمان زيادة ونقصاناً، قيل: فما زيادته؟ قال: إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه فذلك زيادته، وإذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه، وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عدي بن عدي: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾، أي: يفوضون إليه أمورهم ويثقون به ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه.

﴿الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾.

﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾، يعني يقيناً. قال ابن عباس: برئوا من الكفر. قال مقاتل: حقاً لاشك في إيمانهم. وفيه دليل على أنه ليس لكل أحد أن يصف نفسه بكونه مؤمناً حقاً لأن الله تعالى إنما وصف بذلك قوماً مخصوصين على أوصاف مخصوصة، وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه.

وقال ابن أبي نجيح: سأل رجل الحسن فقال: أمؤمن أنت؟ فقال: إن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب، فأنا بها مؤمن، وإن كنت تسألني عن قوله: «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم» الآية، فلا أدري أمنهم أنا أم لا؟ وقال علقمة: كنا في سفر فلقينا قوماً فقلنا: من القوم؟ قالوا: نحن المؤمنون حقاً، فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله بن مسعود فأخبرناه بما قالوا، قال: فما رددتم عليهم؟ قلنا: لم نرد عليهم

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾
يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ
يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ
لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾

شيئاً، قال أفلا قلتم من أهل الجنة أنتم؟ إن المؤمنين أهل الجنة.

وقال سفيان الثوري: من زعم أنه مؤمن حقاً أو عند الله، ثم لم يشهد أنه في الجنة فقد آمن بنصف الآية دون النصف.

﴿لهم درجات عند ربهم﴾، قال عطاء: يعني درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم. وقال الربيع بن أنس: سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس المضمّر سبعين / سنة^(١). ﴿ومغفرة﴾، لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾، حسن يعني ما أعد لهم في الجنة.

قوله تعالى: ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾، اختلفوا في الجالب لهذه الكاف التي في قوله ﴿كما أخرجك ربك﴾ قال المبرد: تقديره الأنفال لله وللرسول وإن كرهوا، كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن كرهوا. وقيل: تقديره امض لأمر الله في الأنفال وإن كرهوا كما مضيت لأمر الله في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون.

وقال عكرمة: معناه فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن ذلك خير لكم، كما أن إخراج محمد ﷺ من بيته بالحق خير لكم، وإن كرهه فريق منكم.

وقال مجاهد: معناه كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق منهم، كذلك يكرهون القتال ويجادلون فيه.

وقيل: هو راجع إلى قوله: ﴿لهم درجات عند ربهم﴾، تقديره: وعُد [الله] الدرجات لهم حقٌ ينجزه الله عز وجل كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، فأنجز الوعد بالنصر والظفر.

(١) تفسير الطبري: ٣٩٠/١٣.

(٢) ساقط من دا.

وقيل: الكاف بمعنى على، تقديره: امض على الذي أخرجك ربك.

وقال أبو عبيدة: هي بمعنى القسم مجازاً، والذي أخرجك، لأن «ما» في موضع الذي، وجوابه «يجادلونك»، وعليه يقع القسم، تقديره: يجادلونك والله الذي أخرجك ربك من بيتك بالحق. وقيل: الكاف بمعنى «إذ» تقديره: واذكر إذ أخرجك ربك.

قيل: المراد بهذا الإخراج هو إخراجه من مكة إلى المدينة. والأكثر على أن المراد منه إخراجه من المدينة إلى بدر، أي: كما أمرك ربك بالخروج من بيتك إلى المدينة بالحق قيل: بالوحي لطلب المشركين ﴿وإن فريقاً من المؤمنين﴾، منهم، ﴿لكارهُون﴾.

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾، أي: في القتال، ﴿بعد ما تبين﴾، وذلك أن المؤمنين لما أيقنوا بالقتال كرهوا ذلك، وقالوا: لم نُعلمنا أننا نلقى العدو فنستعد لقتالهم، وإنما خرجنا للغير، فذلك جدالهم بعدما تبين لهم أنك لا تصنع إلا ما أمرك، وتبين صدقك في الوعد، ﴿كأنما يساقون إلى الموت﴾ لشدة كراهيتهم القتال، ﴿وهم ينظرون﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديره: وإن فريقاً من المؤمنين لكارهُون كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون يجادلونك في الحق بعدما تبين. قال ابن زيد: هؤلاء المشركون جادلوه في الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يدعون إلى الإسلام لكراهيتهم إياه وهم ينظرون.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾، قال ابن عباس وابن الزبير ومحمد بن إسحاق والسدي^(١): أقبل أبوسفیان من الشام في غير لقريش في أربعين ركباً من كفار قريش، فيهم: عمرو بن العاص، ومخرمة بن نوفل الزهري، وفيها تجارة كثيرة، وهي اللطيمة^(٢)، حتى إذا كانوا قريباً من بدر، فبلغ النبي ﷺ ذلك فندب أصحابه إليه وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدد، وقال: هذه غير قريش فيها أموالكم فاخرجوا إليها لعل الله تعالى أن يُنفلكموها، فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً.

فلما سمع أبوسفیان بمسير النبي ﷺ استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لغيرهم في أصحابه، فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة.

(١) الطبري: ٣٩٩/١٣ وابن إسحاق في السيرة: ٦٠٧/١ (طبع الحلبي) وعزاه السيوطي أيضاً لابن المنذر. انظر: الدر المنثور: ٤/٢٦.

(٢) اللطيمة: العبر التي تحمل الطيب ويز التجارة.

وقد رأت عاتكة بنت عبدالمطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفرعتها فبعثت إلى أخيها العباس بن عبدالمطلب فقالت له : يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفرعتني وخشيت أن يدخل على قومك منها شرٌّ ومصيبة، فاكنتم عليّ ما أحدثك . قال لها : وما رأيت؟ قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا يآل عُذر^(١) لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس قد اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فيبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها بأعلى صوته ألا انفروا يآل عُذر لمصارعكم في ثلاث، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس، فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها إلا دخلتها منها فلقمة^(٢).

فقال العباس : والله إن هذه لرؤيا رأيت! فاكنمها ولا تذكرها لأحد .

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس، وكان له صديقاً فذكرها له واستكنمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش .

قال العباس : فغدوت أطوف بالبيت وأبوجهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رأني أبوجهل قال : يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا، قال : فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم، فقال لي أبوجهل : يا بني عبدالمطلب متى حدثت هذه النبئة فيكم؟

قلت : وما ذاك؟

قال : الرؤيا التي رأيت عاتكة؟

قلت : وما رأيت؟

قال : يا بني عبدالمطلب أما رضيتم أن تتبأ رجالكم حتى تتبأ نساؤكم؟ قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال انفروا في ثلاث فستربص بكم هذه الثلاث، فإن يك ما قالت حقاً فسيكون، وإن تمض الثلاث، ولم يكن من ذلك شيء، نكتب عليكم كتاباً إنكم أكذب أهل بيت في العرب .

فقال العباس : والله ما كان مني إليه كبير إلا أنني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً، ثم

(١) آل : مضاف إلى عُذر، معدول به من «الغادر» للمبالغة .

(٢) الفلقة - بالكسر - الكسرة .

تفرقنا فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبدالمطلب إلا أتتني فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ثم قد تناول النساء وأنت تسمع، ثم لم تكن عندك غيرة لشيء مما سمعت؟ قال: قلت والله قد فعلت ما كان مني إليه من كثير، وإيم الله لأتعرضنَّ له فإن عاد لأكفينَّكه.

قال: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أن قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه، قال: فدخلت المسجد فرأيتَه، فوالله إني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلاً خفيفاً، حديد الوجه، حديد اللسان، حديد النظر، إذ خرج نحو باب المسجد يشتدُّ.

قال: قلت في نفسي: ماله لعنه الله؟ أكل هذا فرقاً / مني أن أشاتمَه؟ قال: فإذا هو قد سمع مالم أسمع، صوتَ ضمضم بن عمرو، وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره، وقد جدع بعيره^(١) وحوّل رحله وشق قميصه وهو يقول: يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمداً في أصحابه، لأرى أن تدركوها، الغوث الغوث. قال: فشغلني عنه وشغله عني ماجاء من الأمر، فتجهز الناس سراعاً فلم يتخلف من أشراف قريش أحد إلا أن أبالهب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة.

فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرتُ الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة بن الحارث، فقالوا: نخشى أن يأتونا من خلفنا فكاد ذلك أن يثيبهم، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم وكان من أشراف بني بكر، فقال: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه.

فخرجوا سراعاً، وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه، في ليالٍ مضت من شهر رمضان، حتى إذا بلغ وادياً يقال له ذفران، فأتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عيرهم، فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالروحاء أخذ عيناً للقوم فأخبره بهم.

وبعث رسول الله ﷺ أيضاً عيناً له من جهينة حليفاً للأنصار يدعى عبدالله بن أريقط فأتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله ﷺ، فنزل جبريل وقال: إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريشاً، وكانت العير أحب إليهم، فاستشار النبي ﷺ أصحابه في طلب العير وحرب النفير، فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يارسول الله امض

(١) أي: قطع أنف بعيره.

لما أراك الله فنحن معك فوالله ما نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد يعني مدينة الحبشة، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير.

ثم قال رسول الله ﷺ: «أشيروا علي أيها الناس» وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يارسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا على من دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يارسول الله؟

قال: أجل،

قال: قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئتنا به هو الحق وأعطيناك على ذلك [عهوداً ومواثيقاً]^(١) على السمع والطاعة، فامض يارسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لصبر عند الحرب صدق في اللقاء ولعل الله تعالى يُريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال: «سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم».

قال ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان»، قال ويضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا، قال فما ماط أحد عن موضع يد رسول الله ﷺ، فذلك قوله تعالى: «وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم» أي: الفريقين إحداهما أبوسفيان مع العير والأخرى أبوجهل مع النضير.

﴿وتودون﴾، أي: تريدون ﴿أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾، يعني العير التي ليس فيها قتال. والشوكة: الشدة والقوة. ويقال السلاح.

(١) في «ب»: (عهودنا ومواثيقنا).

لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبِطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿٩﴾

﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ﴾ أي يظهره ويُعليه، ﴿بكلماته﴾، بأمره إياكم بالقتال. وقيل [بعَدَاتِهِ] (١) التي سبقت من إظهار الدين وإعزازه، ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾، أي: يستأصلهم حتى لا يبقى منهم أحد، يعني: كفار العرب.

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾، ليثبت الإسلام، ﴿ويُبيطِلَ الباطل﴾، أي: يفيي الكفر ﴿ولو كرهه المُجرمون﴾، المشركون. وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة ليلة من شهر رمضان.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾، تستجيرون به من عدوكم وتطلبون منه العوث والنصر. روي عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين، وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، دخل العريش هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، واستقبل القبلة ومدَّ يده فجعل يهتف بربه عزَّ وجلَّ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعَصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تَعْبُدُ فِي الْأَرْضِ، فَمَا زَالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا دَامَ يَدِيهِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبِيهِ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبِيهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وِرَائِهِ وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مَنَاشِدَتُكَ رَبِّكَ فَإِنَّهُ سَيَنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ» (١) ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ﴾، مرسلٌ إليكم مدداً وردءاً لكم، ﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب «مردفين» بفتح الدال، أي: أردف الله المسلمين وجاء بهم مدداً. وقرأ الآخرون بكسر الدال، أي: متتابعين بعضهم في إثر بعض، يقال: أردفته ورددته بمعنى تبعته.

يُروى أنه نزل جبريل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة في [صورة] (٢) الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤوسهم عمائم بيض، قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم (٣).

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا نَاشَدَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ اللَّهَ مَنجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَخَفِقَ رَسُولُ

(١) في «أ»: (بعداوته).

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر (١٧٦٣): ٣/١٣٨٣ - ١٣٨٥، والمصنف في شرح السنة: ٣٧٩/١٣.

(٣) في «ب»: (صفة).

(٤) أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس. انظر: الدر المنثور: ٢٧/٤.

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾ اذِغْشِكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلْ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿٢﴾ اذِ يُوْحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِيَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿٣﴾

الله ﷻ خفقة وهو في العرش ثم انتبه، فقال: «ياأبا بكر أتاك نصرُ الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع»^(١)

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا إبراهيم بن موسى، ثنا عبد الوهاب، ثنا خالد، عن عكرمة عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب»^(٢).

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر، ولم تقاتل الملائكة / في يوم سوى يوم بدر من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه عدداً ومدداً^(٣).

رووي عن أبي أسيد مالك بن ربيعة قد شهد بدرًا أنه قال بعدما ذهب بصره: لو كنت معكم اليوم ببدر ومعى بصري لأريتكم الشَّعبَ الذي خرجت منه الملائكة^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾، يعني: الإمداد بالملائكة، ﴿إِلَّا بُشْرَى﴾، أي: بشارة ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿اذِغْشِكُمُ النَّعَاسَ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «يغشاكم» بفتح الياء، «النعاس» رفع على أن الفعل له، كقوله تعالى في سورة آل عمران «أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ» (آل عمران - ١٥٤)

(١) قطعة من الحديث السابق.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا: ٣١٢/٧.

(٣) رواه الطبراني موقوفاً على ابن عباس. وفيه عمار بن أبي مالك الجني، ضعفه الأزدي. انظر: مجمع الزوائد: ٨٣/٦.

(٤) عزاه السيوطي لابن مردويه والبيهقي في الدلائل، الدر المنثور: ٣٤/٤.

وقرأ أهل المدينة: «يُغْشِيكُمْ» بضم الياء وكسر الشين مخففاً، «النعاس» نصب، كقوله تعالى: «كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ»، وقرأ الآخرون بضم الياء وكسر الشين مشدداً، «النعاس» نصب، على أن الفعل لله عز وجل، كقوله تعالى: «فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى» (النجم - ٥٤)، والنعاس: النوم الخفيف. ﴿أَمَنَةً﴾ أمناً ﴿منه﴾، مصدر أمنت أمناً وأمنةً وأماناً. قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان.

﴿وَيُنزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾، وذلك أن المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب أعر، تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب، وسبقهم المشركون إلى ماء بدر وأصبح المسلمون بعضهم مُحْدِثِينَ وبعضهم مُجْنِبِينَ، وأصابهم الظمأ، ووسوس إليهم الشيطان، وقال: تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وأنكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مُحْدِثِينَ وَمُجْنِبِينَ، فكيف ترجون أن تظهروا عليهم؟ فأرسل الله عز وجل عليهم مطراً سال منه الوادي فشرب المؤمنون واغتسلوا، وتوضؤوا وسقوا الركاب، وملؤوا الأسقية، وأطفأ الغبار، ولبد الأرض حتى ثبتت عليها الأقدام، وزالت عنهم وسوسة الشيطان، وطابت أنفسهم، فذلك قوله تعالى: «وَيُنزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ» من الأحداث والجنابة.

﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ وسوسته، ﴿وَلِيُرَبِّطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ باليقين والصبر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ حتى لاتسوخ في الرمل بتلييد الأرض. وقيل: يثبت به الأقدام بالصبر وقوة القلب.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾، الذين أمد بهم المؤمنين، ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾، بالعون والنصر، ﴿فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: قووا قلوبهم. قيل: ذلك التثبيت حضورهم معهم القتال ومعوتهم، أي: ثبوتهم بقتالكم معهم المشركين.

وقال مقاتل: أي: بشروهم بالنصر، وكان المَلَكُ يمشي أمام الصف في صورة الرجل ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم. ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ﴾، قال عطاء: يريد الخوف من أوليائي، ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾، قيل: هذا خطاب مع المؤمنين. وقيل: هذا خطاب مع الملائكة، وهو متصل بقوله «فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا»، وقوله: «فَوْقَ الْأَعْنَاقِ» قال عكرمة: يعني الرؤوس لأنها فوق الأعناق. وقال الضحاك: معناه فاضربوا الأعناق، وفوق صلة كما قال تعالى: «فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ»، (محمد - ٤) وقيل: معناه فاضربوا على الأعناق. فوق بمعنى: على.

﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾، قال عطية: يعني كل مفصل. وقال ابن عباس وابن جريج والضحاك: يعني الأطراف. والبَنَانُ جمع بنانة، وهي أطراف أصابع اليدين والرجلين. قال ابن الأنباري: ما كانت الملائكة تعلم كيف يُقتل الآدميون، فعلمهم الله عز وجل.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القادر الجرجاني، أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا زهير بن حرب، ثنا عمرو بن يونس الحنفي، ثنا عكرمة بن عمار، ثنا أبو زميل هو سماك الحنفي ثنا عبد الله بن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذا سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، إذ نظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقته، ذلك من مدد السماء الثالثة». فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين^(١). وروى عن أبي داود المازني وكان شهد بدرًا قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري^(٢).

وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال: والله، لقد رأيتنا يوم بدر، وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك، فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف^(٣).

وقال عكرمة، قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: «كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، وأسلمت أم الفضل وأسلمت، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه، وكان أبولهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر كَبَّته الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوةً وعزاً وكنت رجلاً ضعيفاً وكنت أعمل القداح وأنحتها في حجرة زمزم، فوالله إني لجالس أنحت القداح، وعندني أم الفضل جالسة، إذ أقبل الفاسق أبولهب يجر رجليه حتى جلس على طنب^(٤) الحجر، فكان ظهره إلى ظهري، فبينما هو جالس إذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم، فقال أبولهب: إلي يابن أخي فعندك الخبر، فجلس

(١) قطعة من حديث ابن عباس الذي أخرجه مسلم. أنفأ. و«حيزوم»: اسم فرس جبريل.

(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن مردويه. انظر: الدر المنثور: ٣٥/٤ - ٣٦.

(٣) عزاه السيوطي لأبي الشيخ وابن مردويه ٣٣/٤.

(٤) الطنب: حبل الخباء، والجمع: أطناب.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَكَابَتْ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ
 ﴿١٣﴾ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
 لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ، إِلَّا
 مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ
 وَبئس المصير ﴿١٦﴾

إليه والناس قيام عليه، قال: يابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: لاشيء والله إن كان إلا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا وإيم الله مع ذلك ماأمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض، لا والله ماتليق شيئاً ولايقوم لها شيء، قال أبو رافع فرفعت طنب الحجره بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة، قال فرفع أبولهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، فتاورته، فاحتملني فضرب بي الأرض، ثم برك عليّ يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً فقامت أم الفضل إلى عمود من عمود الحجره، فأخذته فضربت به ضربة / فلقت في رأسه شجة منكرة، وقالت: تستضعفه أن غاب عنه سيده؟ فقام مؤلياً ذليلاً فوالله ما عاش إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله بالعدسة فقتلته»^(١)

وروى مقسم عن ابن عباس قال: كان الذي أسر العباس أبو اليسر، كعب بن عمرو أخو بني سلمة، وكان أبو اليسر رجلاً مجموعاً، وكان العباس رجلاً جسيماً، فقال رسول الله ﷺ لأبي اليسر، كيف أسرته العباس؟ قال: يارسول الله لقد أعاني عليه رجل مارأيتُه قبل ذلك ولابعده، هيئته كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أعانك عليه ملك كريم»^(٢).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ﴾، خالفوا الله، ﴿وَرَسُولَهُ﴾، وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

﴿ذَلِكُمْ﴾، أي: هذا العذاب والضرب الذي عجلته لكم أيها الكفار بيدر، ﴿فَذُوقُوهُ﴾، عاجلاً، ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾، أي: واعلموا وأيقنوا أن للكافرين أجلاً في المعاد، ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾.

(١) رواه الطبراني والبيزار، وفي إسناده حسن بن عبدالله، وثقه أبو حاتم وغيره، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات. (مجمع الزوائد: ٨٩/٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٣٥٣/١ وقال الهيثمي في المجمع: ٨٦/٦ «رواه أحمد وفيه راو لم يسم، وبقية رجاله ثقات».

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ
 الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

روى عكرمة عن ابن عباس قال: قيل لرسول الله ﷺ حين فرغ من بدر: عليك بالبعير ليس
 دونها شيء، فناداه العباس وهو أسير في وثاقه: لا يصلح، فقال رسول الله ﷺ: لِمَه؟ قال: لأن الله
 تعالى وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك^(١).

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾، أي مجتمعين متزاحمين
 بعضكم إلى بعض، والتزاحف: التداني في القتال: والزحف مصدر؛ لذلك لم يُجمع، كقولهم:
 قوم عدل ورضاً. قال الليث: الزحف جماعة يزحفون إلى عدولهم بمرة، فهم الزحف والجمع:
 الزحوف. ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾، يقول: فلا تولوهم ظهوركم، أي تنهزموا فإن المنهزم يولى دبره.

﴿وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ﴾، ظهره، ﴿إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾، أي: منعطفاً يرى من نفسه
 الانهزام، وقصده طلب الغرة وهو يريد الكرة، ﴿أَوْ مَتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾، أي: منضمماً صائراً إلى جماعة
 من المؤمنين [يريد]^(٢) العود إلى القتال. ومعنى الآية: النهي عن الانهزام من الكفار والتولي عنهم،
 إلا على نية التحرف للقتال والانضمام إلى جماعة من المسلمين ليستعين بهم ويعودون إلى القتال،
 فمن ولي ظهره لا على هذه النية لحقه الوعيد، كما قال تعالى: ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ
 وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، واختلف العلماء في هذه الآية فقال أبو سعيد الخدري: هذا في أهل بدر خاصة،
 ما كان يجوز لهم الانهزام لأن النبي ﷺ كان معهم، ولم يكن لهم فئة يتحيزون إليها دون النبي ﷺ،
 ولو انحازوا لانحازوا إلى المشركين، فأما بعد ذلك فإن المسلمين بعضهم فئة لبعض^(٣)، فيكون الفأر
 متحيزاً إلى فئة فلا يكون فراره كبيرة، وهو قول الحسن وقتادة والضحاك.

قال يزيد بن أبي حبيب^(٤): أوجب الله النار لمن فر يوم بدر، فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال:

(١) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الأنفال: ٤٧١/٨ - ٤٧٢ وقال: هذا حديث حسن، والإمام أحمد في المسند: ٣١٤/١.
 وعزاه السيوطي: للفرجاني، وابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وأبي يعلى، وابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني،

وأبي الشيخ وابن مردويه. (الدر المنثور: ٢٨/٤)

(٢) في وأ: (يريدون).

(٣) أخرجه الطبري في التفسير: ٤٣٧/١٣، ورواه مختصراً أبو داود في الجهاد، باب التولي يوم الزحف: ٤٣٩/٣، والحاكم: ٣٢٧/٢،
 وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وعزاه السيوطي: لعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم،
 والنحاس في الناسخ والمنسوخ، وأبي الشيخ وابن مردويه، (الدر المنثور: ٣٦/٤).

(٤) أخرجه الطبري: ٤٣٨/١٣.

«إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ» (آل عمران - ١٥٥)، ثم كان يوم حُنين بعده فقال: «ثم وليتم مبدبرين» (التوبة - ٢٥) «ثم يتوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ» (التوبة - ٢٧).

وقال عبد الله بن عمر: كنا في جيش بعثنا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة فانهزمنا، فقلنا: يا رسول الله نحن [الفرارون] (١)، قال: «بل أنتم الكرّارون، أنا فئة المسلمين» (٢).

وقال محمد بن سيرين: لما قُتل أبو عبيدة جاء الخبر إلى عمر فقال: لو انحاز إلي كنت له فئة فأنافئة كل مسلم (٣).

وقال بعضهم: حكم الآية عام في حق كل من ولي منهزماً. جاء في الحديث: «من الكبائر الفرار من الزحف» (٤).

وقال عطاء بن أبي رباح: هذه الآية منسوخة بقوله عز وجل: «الآن خَفَفَ اللهُ عَنْكُمْ» (الأنفال - ٦٦) فليس لقوم أن يفروا من [مثلهم] (٥) فنسخت تلك إلا في هذه العدة (٦) وعلى هذا أكثر أهل العلم أن المسلمين إذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا أو يولّوا ظهورهم إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة، وإن كانوا أقل من ذلك جاز لهم أن يولّوا ظهورهم وينحازوا عنهم (٧) قال ابن عباس: «مَنْ فَرَّ مِنْ ثَلَاثَةِ فَلَمْ يَفِرْ، وَمَنْ اثْنَيْنِ فَقَدْ فَرَّ» (٨).

(١) في «أه (الفرارون)».

(٢) أخرجه الترمذي في الجهاد، باب ما جاء في الفرار من الزحف: ٣٧٨/٥ وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن أبي زياد، وأبو داود في الجهاد، باب التولي يوم الزحف: ٤٣٨/٣، وسعيد بن منصور في السنن: ٢٠٩/٢ - ٢١٠، والشافعي في المسند: ١١٦/٢، والحميدي في المسند: ٣٠٢/٢، ومعنى حاصوا حيصة أي: جالوا جولة يغلبون الفرار.

(٣) أخرجه الطبري في التفسير: ٤٣٩/١٣، ٤٤٠، وفيه: أن عمر لما بلغه قتل أبي عبيد قال: ...

(٤) عزاه السيوطي لابن أبي شيبة (الدر المنثور: ٣٨/٤)، وقد ورد في أحاديث كثيرة عدّ الفرار من الزحف كبيرة من الكبائر.

(٥) في «ب»: مثلهم.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٣٩/١٣.

(٧) انظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٨٤٣-٨٤٤/٢، أحكام القرآن للجصاص: ٢٢٦-٢٢٨/٤، شرح السير الكبير للسخري: ١٢٣/١ - ١٢٥، وراجع: منهج الإسلام في الحرب والسلام، تأليف عثمان جمعة ص (١٥٠ - ١٥٤).

(٨) أخرجه الطبري: ٤٤٠/١٣، والشافعي: ١١٦/٢، وسعيد بن منصور في السنن: ٢٠٩/٢، وقال الهيثمي: رواه الطبراني مرفوعاً ورجاله ثقات. (مجمع الزوائد: ٣٢٨/٥).

ونقل هنا ترجيح الطبري رحمه الله في أن الآية محكمة غير منسوخة حيث قال في التفسير: ٤٤٠/١٣ - ٤٤١: «وأولى التأويلين في هذه الآية بالصواب عندي، قول من قال: حكمها محكم، وأنها نزلت في أهل بدر، وحكمها ثابت في جميع المؤمنين، وأن الله حرّم على المؤمنين إذا لقوا العدو، أن يولّوهم الدبر منهزمين إلا لتحرف لقتال، أو لتحيز إلى فئة من المؤمنين حيث كانت من أرض الإسلام، وأن من ولّاهم الدبر بعد الزحف لقتال منهزماً بغير نية إحدى الحلتين اللتين أباح الله التولية بهما، فقد استوجب من الله وعيده، إلا أن يتفضل عليه بعفوه».

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾، قال مجاهد^(١): سبب هذه الآية أنهم لما انصرفوا عن القتال كان الرجل يقول: أنا قتلت فلاناً ويقول الآخر مثله، فنزلت الآية. ومعناه: فلم تقتلوهم أنتم بقوتكم ولكن الله قتلهم [بنصره]^(٢) إياكم وتقويته لكم.

وقيل: لكن الله قتلهم بإمداد الملائكة.

﴿وَمَارِمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾، قال أهل التفسير والمغازي: ندب^(٣) رسول الله ﷺ الناس، فانطلقوا حتى نزلوا بدرأ، ووردت عليهم روايا قريش، وفيهم أسلم، غلام أسود لبني الحجاج، وأبويسار، غلام لبني العاص بن سعيد، فأتوا بهما رسول الله ﷺ، فقال لهما: أين قريش؟ قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى - والكثيب: العقنقل - فقال رسول الله ﷺ لهما: كم القوم؟ قالا: كثير، قال: ما عدتكم؟ قالا: لا ندري، قال: كم ينحرون كل يوم؟ قالا: يوماً عشرة ويوماً تسعة، قال رسول الله ﷺ: «القوم ما بين التسعمائة إلى الألف» ثم قال لهما: فمن فيهم من أشرف قريش؟ قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البخترى ابن هشام، وحكيم بن حزام، والحارث بن عامر، وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث، وأبو جهل بن هشام، وأمّية بن خلف، ونبية ومُنْبِه ابنا الحجاج، وسُهَيْل بن عمرو. فقال رسول الله ﷺ: «هذه مكة قد ألفت إليكم أفلاذ كبدها»^(٤) فلما أقبلت قريش ورآها رسول الله تصوّب من العقنقل، وهو الكثيب الذي جاؤوا منه إلى الوادي، قال لهم: هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها [تحادك]^(٥) وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، فأتاه جبريل عليه السلام وقال له: خذ قبضةً من تراب فارمهم بها، فلما التقى الجمعان تناول رسول الله ﷺ كفاً من حصيٍّ عليه تراب، فرمى به في وجوه القوم، وقال: شأهت

وإنما قلنا: هي محكمة غير منسوخة، لما قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره - : أنه لا يجوز أن يحكم لحكم آية بنسخ، وله في غير النسخ وجه، إلا بحجة يجب التسليم لها، من خير يقطع العذر، أو حجة عقل. ولا حجة من هذين المعنيين تدل على نسخ حكم قول الله عز وجل: (ومن يؤلهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئه).

(١) انظر: الدر المنثور: ٣٩/٤.

(٢) في «ب» (بنصرته).

(٣) نَدَبْتُهُ: بعثته ودعوته.

(٤) الأفلاذ: جمع فلذ، والفلذ: جمع فلذة، وهي القطعة؛ وهو استعارة أراد: لباب قريش وأشرفها، لأن الفلذ من أشرف الأعضاء. (من هامش التفسير).

(٥) تحادك: تعاديك. وفي «د» تجادل.

ذَلِكَ وَمَأْتِ اللَّهُ مَوْهِنًا كَيْدَ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ
وَأَنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ
اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

الوجه، فلم يبق منهم مشرك إلا دخل في عينيه وفمه ومنخره منها شيء، فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم^(١).

وقال قتادة، وابن زيد: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين أظهرهم، وقال: شأهت الوجوه، فانهزموا، فذلك قوله تعالى: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى»، إذ ليس في وسع أحد من البشر أن يرمي كفاً من الحصى إلى وجوه جيش فلا يبقى فيهم عين إلا ويصيبها منه شيء.

وقيل: معنى الآية وما بلغت إذ رميت ولكن الله بلغ.

وقيل: وما رميت بالرعب في قلوبهم إذ رميت بالحصاء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم حتى انهزموا، «وليللي المؤمنين منه بلاء حسناً»، أي: ولينعم على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة، «إن الله سميعٌ لدعائكم، عليمٌ بنياتكم».

«ذلكم» الذي ذكرت من القتل والرمي والبلاء الحسن، «وأن الله»، قيل: فيه إضمار، أي: [واعلموا]^(٢) أن الله «مؤهنٌ»، مضعف، «كيد الكافرين». قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة: «مؤهنٌ» بالتشديد والتنوين، «كيد» نَصَبٌ، وقرأ الآخرون «مؤهن» بالتخفيف والتنوين إلا حفصاً، فإنه يضيفه فلا ينون ويخفف «كيد».

قوله تعالى: «إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ»، وذلك أن أبا جهل قال يوم بدر لما التقى الناس: اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لم نعرف فأجنته الغداة، فكان هو المستفتح على نفسه^(٣).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال: قال

(١) انظر: سيرة ابن هشام: ٦١٦/١ وما بعدها. (طبع الحلبي)، والمسند للإمام أحمد: ١١٧/١.

(٢) في: «أ»: (وأعلم).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام: ٦٢٨/١. ومعنى: أجنته: أهلكه، والمستفتح: الحاكم على نفسه بهذا الدعاء.

عبدالرحمن بن عوف: إني لفي الصف يوم بدر إذ التفتُ فإذا عن يميني وعن يساري فتَيَّان، حديثا السن، فكأنني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سرا من صاحبه: يا عمَّ أرني أبا جهل، فقلت: يا بن أخي وما تصنع به؟ فقال: عاهدتُ الله عزَّ وجلَّ إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه. فقال لي الآخر سرا من صاحبه مثله، فما سرني أني بين رجلين بمكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدَّا عليه مثل الصَّقْرَيْنِ حتى ضرباه، وهما ابنا عفراء^(١).

وأخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن المثنى، ثنا ابن أبي عدي، عن سليمان التيمي عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ يوم: «مَنْ يَنْظُرْ لَنَا مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ؟» قال: فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برَدَ، قال: فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل؟ فقال: وهل فوق رجل قتله قومه أو قتلتموه^(٢).

[قال محمد بن إسحاق حدثني عبدالله بن أبي بكر قال: قال معاذ بن عمرو بن الجموح لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوه أمر بأبي جهل بن هشام أن يُلْتَمَسَ في القتلى، فقال: اللّهم لا يعجزنك، قال فلما سمعتها جعلته من شأني فعمدت نحوه فضربته ضربة أطنت^(٣) قدمه بنصف ساقه. قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي، فَطَرَحَ يدي فتعلقت بجلدة من جنبي، وأجهضني^(٤) القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومي، وإني لأسحبها خلفي، فلما آذنتني جعلت عليها قدمي، ثم تمطيت بها حتى طرحتها، ثم مرَّ بأبي جهل وهو عَقِيرٌ معوِّذ بن عفراء، فضربه حتى أثبتته، فتركه وبه رمق، فمرَّ عبدالله بن مسعود [بأبي جهل]^(٥) قال عبدالله بن مسعود: وجدته بأخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه، ثم قلت: هل أخزأك الله يا عدو الله؟ قال: وبماذا أخزاني، أعمد من رجلٍ قتلتموه^(٦)، أخبرني لمن الدائرة؟ قلت: لله ولرسوله.

وروي عن ابن مسعود أنه قال: قال لي أبو جهل: لقد ارتقيت يا رُوَيْعِي الغنم مرتقى صعباً، ثم

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب إذا أكثبكم فارموم: ٣٠٧/٧ - ٣٠٨، ومسلم في الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل، برقم (١٧٥٢): ١٧٢/٣.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب قتل أبي جهل: ٢٩٣/٧.

(٣) أطنت قدمه: أطارتها.

(٤) أجهضني: غلبني واشتد عليّ.

(٥) من سيرة ابن هشام.

(٦) قال السهيلي في الروض الأنف: ٧٢/٢: وأي: هل فوق رجل قتله قومه؟ وهو معنى تفسير ابن هشام حيث قال: أي ليس عليه عار

احتزرت رأسه، ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله هذا رأس أبي جهل، فقال: **اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ**^(١)؟ قلت: نعم، والذي لا إله غيره، ثم ألقيته بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله عز وجل^(٢).

وقال السدي والكلبي: كان المشركون حين خرجوا إلى النبي ﷺ من مكة أخذوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين ففيه نزلت: «إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ» أي: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر^(٣).

وقال عكرمة: قال المشركون والله لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق، فأنزل الله عز وجل: «إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ»^(٤) أي: إن تستقصوا فقد جاءكم القضاء^(٥).

وقال أبي بن كعب: هذا خطاب لأصحاب رسول الله ﷺ، قال الله تعالى للمسلمين: «إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ» أي: إن تستنصروا فقد جاءكم الفتح والنصر.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد، ثنا عبد الرحيم بن منيب، ثنا الفضل بن موسى، ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن خباب رضي الله عنه قال: شكونا إلى النبي ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلنا: ألا تدعو الله لنا، ألا تستنصر لنا؟ فجلس محمراً لونه أو وجهه فقال لنا: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل، ويحفر له في الأرض ثم يُجاء بالمنشار فيجعل فوق رأسه ثم يجعل بفرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه، ويُمسَطُ بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب، ما يصرفه عن دينه، والله لَيُتَمَنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله، ولكنكم تعجلون^(٦).

(١) قال السهيلي أيضاً: ٧٢/٢: «قول النبي ﷺ: واللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بِالْخَفْضِ - عند سيبويه وغيره - لأن الاستفهام عوض من الخافض عنده، وإذا كنت مخبراً قلت: «الله» بالنصب، لا يجيز المبرد غيره، وأجاز سيبويه الخفض أيضاً، لأنه قَسَمَ، وقد عرف أن المقسم به مخفوض الباء أو بالواو، ولا يجوز إضمار حرف الجر إلا في مثل هذا الموضع أو ما كثر استعماله جداً، كما روى أن رُوَيْتَهُ كان يقول إذا قيل له: كيف أصبحت؟ خير عافاك الله».

(٢) انظر: سيرة ابن هشام: ٧١/٢ - ٧٢ مع الروض الأنف للسهيلي ١/٦٣٤ - ٦٣٦ (طبع الحلبي)، وقد جاءت هذه الرواية في نسخة «ب» بعد قول السدي والكلبي الذي يليها مباشرة، وهو ما وضعناه بين القوسين.

(٣) تفسير الطبري: ٤٥٣/١٣، أسباب النزول للواحد ص (٢٦٩).

(٤) أسباب النزول للواحد ص (٢٦٩).

(٥) تفسير الطبري: ٤٥١/١٣، الدر المنثور: ٤٢/٤.

(٦) أخرجه البخاري بلفظ قريب، في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: ٦١٩/٦، وفي مناقب الأنصار: ١٦٤/٧ - ١٦٥. وذكره المصنف في مصابيح السنة: ٧٤/٤.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾
 وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ
 الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ
 لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

قوله: ﴿وإن تتهوا﴾، يقول للكفار: إن تتهوا عن الكفر بالله وقتال نبيه ﷺ، ﴿فهو خير لكم وإن تعودوا﴾، لحربه وقتاله، ﴿نعد﴾ بمثل الواقعة التي وقعت بكم يوم بدر. وقيل: وإن تعودوا إلى الدعاء والاستفتاح نعد للفتح لمحمد ﷺ، ﴿ولن تغني عنكم فتكم﴾، جماعتكم، ﴿شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص «وأن الله» بفتح الهمزة، أي: ولأن الله مع المؤمنين، كذلك «لن تغني عنكم فتكم شيئاً»، وقيل: هو عطف على قوله: «ذلكم وأن الله مؤهن كيد الكافرين»، وقرأ الآخرون: «وإن الله» بكسر الألف على الابتداء.

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه﴾، أي: لا تعرضوا عنه، ﴿وأنتم تسمعون﴾، القرآن ومواعظه.

﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾، أي: يقولون بألسنتهم سمعنا بأذاننا وهم لا يسمعون، أي لا يتعظون ولا ينتفعون بسماعهم فكانهم لم يسمعوا.

قوله تعالى: ﴿إن شر الدواب عند الله﴾، أي: شر من دب على وجه الأرض [من خلق الله] ﴿الصم البكم﴾، عن الحق فلا يسمعون ولا يقولونه، ﴿الذين لا يعقلون﴾ أمر الله عز وجل، سماهم ﴿دواب﴾ لقللة انتفاعهم بعقولهم، كما قال تعالى: «أولئك كالأنعام بل هم أضل»، (الأعراف - ١٧٩) قال ابن عباس: هم نفر من بني عبدالدار بن قصي، كانوا يقولون: نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد، فقتلوا جميعاً بأحد، وكانوا أصحاب اللواء لم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسويط بن حرملة.

/ ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾ أي: لأسمعهم سماع التفهم والقبول، ﴿ولو أسمعهم﴾، بعد أن علم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك، ﴿لتولوا وهم معرضون﴾، لعنادهم وجحودهم الحق

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا
 أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً
 لَا تُضِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

بعد ظهوره . وقيل : إنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ : أحبي لنا قصياً فإنه كان شيخاً مباركاً حتى يشهد لك بالنبوة فتؤمن بك ، فقال الله عز وجل : « ولو أسمعهم » كلام قصي « لتولوا وهم معرضون » .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ ، يقول أجيبوهما بالطاعة ، ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ ، الرسول ﷺ ، ﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ، أي : إلى ما يحييكم . قال السدي : هو الإيمان ، لأن الكافر ميت فيحيا بالإيمان .

وقال قتادة : هو القرآن فيه الحياة وبه النجاة والعصمة في الدارين .

وقال مجاهد : هو الحق .

وقال ابن إسحاق : هو الجهاد أعزكم الله به بعد الذل .

وقال القتيبي : بل الشهادة قال الله تعالى في الشهداء : ﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران

- ١٦٩) .

وروينا أن النبي ﷺ مرّ على أبي بن كعب ، رضي الله عنه ، وهو يصلي ، فدعاه فجعل أبي في صلاته ، ثم جاء فقال رسول الله : « ما منعك أن تُجِيبَنِي إِذْ دَعَوْتُكَ ؟ قال : كنت في الصلاة ، قال : ليس يقول الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ؟ [فقال : لا جرم يا رسول الله لا تدعوني إلا أجبت وإن كنت مصلياً] ^(١) » .

قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ ، قال سعيد بن جبير وعطاء : يحول بين

المؤمن والكفر ، وبين الكافر والإيمان .

(١) أخرجه الطبري في التفسير : ٤٦٧/١٣ بهذا اللفظ ، وأخرجه بنحو الترمذي في فضائل القرآن - باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب : ١٧٨/٨ - ١٨٠ وقال : هذا حديث حسن صحيح . والإمام أحمد في المسند : ٤١٢/٢ - ٤١٣ ، وأخرجه البخاري بغير هذا السياق في التفسير ١٥٦/٨ ، وفي فضائل القرآن . وقال المنذري : رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم باختصار عن أبي هريرة عن أبي ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

انظر : الكافي الشاف ص (٦٨ - ٦٩) تحفة الأحوزي : ١٨٠/٨ .

(٢) ما بين القوسين من نسخة «ب» .

وقال الضحّاك: يحول بين الكافر والطاعة، ويحول بين المؤمن والمعصية.

وقال مجاهد: يحول بين المرء وقلبه فلا يعقل ولا يدري ما يعمل.

وقال السدي: يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر إلا بإذنه.

وقيل: هو أنّ القوم لما دُعوا إلى القتال في حالة الضعف ساءت ظنونهم واختلجت صدورهم فقبل لهم: قاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف أمناً والجبن جرأةً. ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، فيجزيك بأعمالكم.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا محمد بن حماد، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله يكثر أن يقول: «يا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، قالوا: يا رسول الله أمانا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «القلوبُ بينَ أصبعين من أصابع الله يُقَلِّبُهَا»^(١)

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾، اختباراً وبلاءً ﴿لَا تُصِيبُنَّ﴾، قوله: «لاتصيبين» ليس بجزء محض، ولو كان جزءً لم تدخل فيه النون، لكنه [نفي]^(٢)، وفيه طرف من الجزء كقوله تعالى: «يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان و جنوده» (النمل - ١٨) وتقديره واتقوا فتنة إن لم تتقوها أصابتكم، فهو كقول القائل: انزل عن الدابة لا تطرحنك، فهذا جواب الأمر بلفظ النهي، معناه إن تنزل لا تطرحك.

قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله ﷺ ومعناه: اتقوا فتنة تصيب الظالم وغير الظالم.

قال الحسن: نزلت في عليّ وعمّار وطلحة والزبير رضي الله عنهم. قال الزبير: لقد قرأنا هذه الآية زماناً وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها، يعني ما كان يوم الجمل^(٣).

(١) أخرجه بهذا اللفظ: الإمام أحمد في المسند: ١١٢/٣، ٢٥٧، والترمذي بزيادة «كيف شاء» في القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن: ٣٤٩/٦، وأخرجه مسلم من رواية عبد الله بن عمرو، في القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء برقم (٢٦٥٤): ٢٠٤٥/٤. وذكره البغوي في مصابيح السنة: ١٤١/١.

(٢) في «أ» (نهي).

(٣) تفسير الطبري: ٤٧٢/١٣ - ٤٧٣ وفيه: نزلت في علي وعمار وطلحة...

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ
فَأَوَانِكُمْ وَأَيْدِكُمْ بِبَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾

وقال السدي ومقاتل والضحاك وقتادة: هذا في قوم مخصوصين من أصحاب رسول الله ﷺ أصابتهم الفتنة يوم الجمل^(١).

وقال ابن عباس: أمر الله عز وجل المؤمنين أن لا يُقِرُّوا المُنْكَرَ بَيْنَ أظهرهم فيعمهم الله بعذاب يصيب الظالم وغير الظالم^(٢).

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر الحارثي، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك، عن سيف بن أبي سليمان، قال: سمعت عدي بن عدي الكندي يقول: حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يُعَذِّبُ العَامَّةَ بِعَمَلِ الخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوَا المُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلَا يُنْكِرُوهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَذَبَ اللَّهُ العَامَّةَ وَالخَاصَّةَ»^(٣). وقال ابن زيد: أراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضاً^(٤).

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، أنا شعيب، عن الزهري، أخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سَتَكُونُ فِتْنٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَشَتَّرَفَهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُدُّ بِهِ»^(٥).

قوله ﴿لَا تَصِيْبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾، يعني: العذاب، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، يقول: واذكروا يا معشر

(١) تفسير الطبري: ٤٧٣/١٣.

(٢) تفسير الطبري: ٤٧٤/١٣ دون قوله «يصيب الظالم وغير الظالم».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٩٢/٤، والطحاوي في مشكل الآثار: ٦٦/٢، وعبدالله بن المبارك في الزهد، برقم (١٣٥٢) ص (٤٧٦)، والمصنف في شرح السنة: ٣٤٦/١٤.

(٤) قارن قوله الآخر في الطبري: ٤٧٥/١٣ قال: الفتنة: الضلالة.

(٥) أخرجه البخاري في الفتن، باب تكون الفتنة، القاعد فيها خير من القائم: ٢٩/١٣، وفي الأنبياء، وفي المناقب، وأخرجه مسلم في الفتن، باب نزول الفتن كمواقع القطر، برقم (٢٨٨٦): ٢٢١٢/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٢/١٥.

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾
وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾

المهاجرين إذ أنتم قليل في العدد، مستضعفون في أرض مكة، في ابتداء الإسلام، ﴿تخافون أن يتخطفكم الناس﴾، يذهب بكم الناس، يعني: كفار مكة. وقال عكرمة: كفار العرب: وقال وهب: فارس والروم، ﴿فأواكم﴾، إلى المدينة، ﴿وأيدكم بنصره﴾، أي: قواكم يوم بدر بالانصار. وقال الكلبي: قواكم يوم بدر بالملائكة، ﴿ورزقكم من الطيبات﴾، يعني: الغنائم، أحلها لكم ولم يحلها لأحد قبلكم، ﴿لعلكم تشكرون﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول﴾، قال السدي: كانوا يسمعون الشيء من رسول الله ﷺ فيفشونه، حتى يبلغ المشركين^(١).

وقال الزهري والكلبي: نزلت الآية في أبي لبابة، هارون بن عبد المنذر الأنصاري، من بني عوف بن مالك، وذلك أن رسول الله ﷺ حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوا رسول الله ﷺ الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير، على أن يسيروا إلى إخوانهم إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام، فأبى رسول الله ﷺ أن يعطيهم ذلك إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر، وكان مناصحاً لهم، لأن ما له وولده وعياله كانت عندهم، فبعثه/ رسول الله ﷺ، وآتاهم، فقالوا له: يا أبا لبابة ما ترى أن تنزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقة أنه الذبح، فلا تفعلوا، قال أبو لبابة: والله ما زالت قدمي من مكانهما حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شرباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره قال: أمالو جاءني لا ستغفرت له فأما إذ فعل ما فعل فإني لا أطلقه حتى يتوب الله عليه، فمكث سبعة أيام، لا يذوق طعاماً ولا شرباً حتى خر مغشياً عليه ثم تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك، فقال: لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني، فجاءه فحله بيده، ثم قال أبو لبابة: يارسول الله إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي كله، قال النبي ﷺ: «بجزيك الثلث فتصدق به»، فنزلت فيه «لا تخونوا

١/١٤٧

(١) الطبري: ٤٨٣/١٣.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

الله والرسول»^(١). ﴿وتخونوا أماناتكم﴾، أي: [ولا تخونوا أماناتكم]^(٢)، ﴿وأنتم تعلمون﴾، أنها أمانة. وقيل: وأنتم تعلمون أن ما فعلتم، من الإشارة إلى الحلق، خيانة.

قال السدي: إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم.

وقال ابن عباس: لا تخونوا الله بترك فرائضه والرسول بترك سنته وتخونوا أمانتكم.

قال ابن عباس: هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله، والأعمال التي ائتمن الله عليها.

قال قتادة: اعلّموا أن دين الله أمانة فأدوا إلى الله عز وجل ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده، ومن كانت عليه أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾، قيل: هذا أيضاً في أبي لبابة، وذلك أن أمواله وأولاده كانوا في بني قريظة، فقال ما قال خوفاً عليهم.

وقيل: هذا في جميع الناس. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي - إماماً - وأخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن الحسن الطوسي، قالوا: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني أنا محمد بن محمد بن [رزمويه]^(٣) حدثنا يحيى بن محمد بن غالب، حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة عن عائشة أن النبي ﷺ أتى بصبي فقبله وقال: «أما إنهم مبخلة مجبنة وإنهم لمن ربحان الله عز وجل»^(٤).

﴿وأن الله عنده أجر عظيم﴾، لمن نصح لله ولرسوله وأدى أمانته.

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله﴾، بطاعته وترك معصيته، ﴿يجعل لكم

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٨١/١٣، سيرة ابن هشام: ٢٣٧/٢ - ٢٣٨، أسباب النزول للواحدي ص (٢٦٩ - ٢٧٠)، الدر المثور: ٤٨/٤ - ٤٩.

(٢) زيادة من «ب».

(٣) في «ب» (ذرقويه).

(٤) أخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٥/١٣، وفيه ابن لهيعة، وهو سيء الحفظ، وللحديث شواهد يتقوى بها، عند أحمد: ٤٠٩/٦، والترمذي في البر والصلة.

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ
خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾

فُرْقَانًا ﴿٣٠﴾ ، قال مجاهد: مخرجاً في الدنيا والآخرة.

وقال مقاتل بن حيان: مخرجاً في الدين من الشبهات.

وقال عكرمة: نجاهة أي يفرق بينكم وبين ما تخافون.

وقال الضحاك: بيانا. وقال ابن إسحاق: فصلاً بين الحق والباطل يُظهر الله به حقكم ويظفيء

باطل من خالفكم. والفرقان مصدر كالرجحان والنقصان. ﴿وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ سِيئاتِكُمْ﴾ ، يمح عنكم ما سلف من ذنوبكم ، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ .

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، هذه الآية معطوفة [على قوله] (١): ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، واذكر إذ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، واذكر إذ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وإذا قالوا اللهم ، لأن هذه السورة مدنية وهذا المكر والقول إنما كانا بمكة ، ولكن الله ذكّرهم بالمدينة كقوله تعالى «إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ» (التوبة آية ٤٠) وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير:

أن قريشاً فرّقوا لما أسلمت الأنصار أن يتفاهم أمر رسول الله ﷺ ، فاجتمع نفر من كبارهم في دار الندوة ، ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ ، وكانت رؤوسهم : عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأبو سفيان ، وطعيمة بن عدي ، وشيبة بن ربيعة ، والنضر بن الحارث ، وأبو البخترى بن هشام وزمعة بن الأسود ، وحكيم بن حزام ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، وأمّية بن خلف ، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ ، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من نجد ، سمعت باجتماعكم ، فأردت أن أحضركم ، ولن تعدّموا مني رأياً ونصحاً ، قالوا: ادخل فدخل ، فقال أبو البخترى : أمّا أنا فأرى أن تأخذوا محمداً وتحبسوه في بيت ، وتشدوا وثاقه ، وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه ، وتترىصوا به ريب المنون حتى يهلك فيه ، كما هلك من كان قبله من الشعراء . قال : فصرخ عدو الله الشيخ النجدي وقال : بش الرأي رأيتم والله لئن حبستموه في بيت فخرج أمره من وراء الباب الذي غلّقتم دونه إلى أصحابه فيوشك أن يشبوا عليكم ويقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم ، قالوا : صدق الشيخ ، فقال هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي : أمّا أنا فأرى أن تحملوه على بعير تخرجوه من أظهركم فلا

(١) في «ب»: (على ما قبلها).

وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا
 أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾

يضركم ما صنع ولا أين وقع إذا غاب عنكم واسترحتم منه ، فقال إبليس : ما هذا لكم برأي تعتمدون عليه ، تعمدون إلى رجل قد أفسد أحلامكم فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم ألم تروا إلى حلاوة منطقته وحلاوة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم ذلك ليذهبن وليستميل قلوب قوم ثم يسيز بهم إليكم فيخرجكم من بلادكم ، قالوا : صدق الشيخ : فقال أبو جهل والله لأشيرن عليكم برأي ما أرى غيره إني أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شاباً نسيباً وسيطاً فتياً ثم يُعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يضربوه ضربة رجل واحد ، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ولا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها ، وأنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل فتؤدي قريش ديته ، فقال إبليس : صدق هذا الفتى ، وهو أجودكم رأياً ، القول ما قال لا أرى رأياً غيره تفرقوا على قول أبي جهل وهم مجمعون له . فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه ، وأذن الله له عند ذلك بالخروج إلى المدينة ، فأمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب أن ينام في مضجعه وقال له : تسبح ببردتي هذه فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه ، ثم خرج النبي ﷺ فأخذ قبضة من تراب فأخذ الله أبصارهم عنه فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يقرأ : «إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً» إلى قوله «فهم لا يبصرون» (سورة يس ٨-٩ ، / ومضى إلى الغار من ثور هو وأبو بكر ، وخلف علياً بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي قبلها وكانت الودائع تودع عنده ﷺ لصدقه وأمانته ، ويات المشركون يحرسون علياً في فراش رسول الله ﷺ يحسبون أنه النبي ﷺ فلما أصبحوا ثاروا إليه فرأوا علياً رضي الله عنه ، فقالوا : أين صاحبك؟ قال : لا أدري ، فاقتصوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار رأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخله لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاثاً ، ثم قدم المدينة ، ذلك قوله تعالى : «وإذ يمكربك الذي كفروا»^(١) .

﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ ، ليجسوك ويسجنوك ويوثقوك ، ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ ، قال الضحاك : يصنعون ويصنع الله ، والمكر التدبير وهو من الله التدبير بالحق . وقيل : يجازيهم جزاء المكر ﴿والله خير الماكرين﴾ .

﴿وَإِذَا تَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا﴾ ، يعني النضر بن الحارث ، ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ

(١) انظر: الطبري: ٤٩٦/١٣ وما بعدها مع تعليق الشيخ محمود شاكر، مجمع الزوائد: ٢٧/٧، الدر المنثور: ٥١٤/٥٢-٥٢.

وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِمَّنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

هذا، وذلك أنه كان يختلف تاجراً إلى فارس والحيرة فيسمع أخبار رستم واسفنديار، وأحاديث العجم ويمر باليهود والنصارى فيراهم يقرؤون التوراة والإنجيل ويركعون ويسجدون، فجاء إلى مكة فوجد رسول الله ﷺ يصلي ويقرأ القرآن فقال النضر: قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا^(١)، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، أخبار الأمم الماضية وأسماءهم وما سطر الأولون في كتبهم. والأساطير: جمع اسطورة، وهي المكتوبة، من قولهم سطرت أي كتبت^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِمَّنْ عِنْدِكَ﴾، الآية نزلت في النضر بن الحارث من بني عبدالدار^(٣).

قال ابن عباس: لما قص رسول الله ﷺ شأن القرون الماضية، قال النضر: لو شئت لقلت مثل هذا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ - أي: ما هذا إلا ما سطره الأولون في كتبهم - فقال له عثمان بن مظعون رضي الله عنه: اتق الله فإن محمداً يقول الحق، قال: فأنا أقول الحق، قال عثمان: فإن محمداً يقول لا إله إلا الله، قال وأنا أقول لا إله إلا الله، ولكن هذه بنات الله، يعني الأصنام، ثم قال: اللهم إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِمَّنْ عِنْدِكَ - «والحق» نصب بخبر كان، وهو عمادٌ وصلته - ﴿فَأَمْطُرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾، كما أمطرتها على قوم لوط، ﴿أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، أي: ببعض ما عذبت به الأمم، وفيه نزل: «سأل سائل بعذاب واقع»^(٤). (المعارج - ١).

وقال عطاء: لقد نزل في النضر بن الحارث بضع عشرة آية فحاق به ما سأل من العذاب يوم بدر^(٥).

قال سعيد بن جبيرة: قتل رسول الله ﷺ يوم بدر ثلاثة صبراً من قريش: طعيمة بن عدي،

(١) انظر: الطبري: ٥٠٣/١٣ - ٥٠٤، أسباب النزول للواحدي ص (٢٧٠)، الدر المنثور: ٥٥/٤.

(٢) انظر: الطبري: ٣٠٨/١١ - ٣١٠، ٥٠٣/١٣.

(٣) تفسير الطبري ٥٠٥/١٣ - ٥٠٦، الدر المنثور ٥٥/٤.

(٤) انظر: الدر المنثور: ٢٧٧/٨.

(٥) الدر المنثور: ٢٧٨/٨.

وعقبة بن أبي مُعيط، والنضر بن الحارث^(١).

وروى أنس رضي الله عنه أن الذي قاله أبو جهل.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن النضر، ثنا عبيد الله بن معاذ، ثنا أبي، ثنا شعبة، عن عبد الحميد صاحب الزياتي، سمع أنس بن مالك قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله﴾^(٢).

قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾، اختلفوا في معنى هذه الآية، فقال محمد بن إسحاق: هذا حكاية عن المشركين أنهم قالوها وهي متصلة بالآية الأولى، وذلك أنهم كانوا يقولون إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفره، ولا يعذب أمةً ونبيها معها، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ يذكر جهالتهم وغرثهم واستفتاحهم على أنفسهم: «وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية، وقالوا^(٣) وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» ثم قال رداً عليهم: «وما لهم ألا يعذبهم الله؟ وإن كنت بين أظهرهم وإن كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام»^(٤).

وقال الآخرون: هذا كلام مسأنف يقول الله عز وجل إخباراً عن نفسه: «وما كان الله ليعذبهم».

واختلفوا في تأويلها، فقال الضحاک وجماعة: تأويلها وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقيم بين أظهرهم، قالوا: أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو مقيم بمكة، ثم خرج من بين أظهرهم وبقيت بها بقية من المسلمين يستغفرون، فأنزل الله تعالى: «وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون»، ثم خرج أولئك من بينهم فعدبوا، وأذن الله في فتح مكة، فهو العذاب الذي وعدهم^(٥).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ٣٧٢/١٤، وأبو عبيد في الأموال (١٥٤) (طبع قطر) من طريق هشيم عن أبي بشر، وفيه: مطعم بن عدي بدلاً من طعيمة ثم قال: هكذا حديث هشيم، فأما أهل العلم بالمغازي فينكرون مقتل مطعم بن عدي، يقولون: مات بمكة موتاً قبل بدر، وإنما قتل أخوه طعيمة بن عدي، ولم يقتل صبياً، قتل في المعركة. ومما يصدق قولهم الحديث الذي ذكرناه عن الزهري أن النبي ﷺ قال لجبير بن مطعم - حين كلمه في الأسارى - : شيخ لو كان أتاناً لشفعناه - يعني أباه مطعم بن عدي - فكيف يكون مقتولاً يومئذ، والنبي ﷺ يقول فيه هذه المقالة؟ وأما مقتل عقبة والنضر: فلا يختلفون فيه. (الأموال لأبي عبيد ص ١٥٤ - ١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، باب: وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق ٣٠٨/٨.

(٣) جاء السياق في الطبري هكذا: «وقال حين نعى عليهم سوء أعمالهم: وما كان الله ليعذبهم... وهو أتم».

(٤) أخرجه الطبري في التفسير: ٥١٢/١٣ - ٥١٣.

(٥) الطبري: ٥١٠/١٣ - ٥١١.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لم يعذب الله قرية حتى يخرج النبي منها والذين آمنوا ويلحق بحيث أمر. فقال: «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون»^(١)، يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله تعالى: «وما لهم ألا يعذبهم الله»، فعذبهم الله يوم بدر.

وقال أبو موسى الأشعري: كان فيكم أمانان «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم»، «وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» فأما النبي ﷺ فقد مضى والاستغفار كائن فيكم إلى يوم القيامة^(٢).

وقال بعضهم: هذا الاستغفار راجع إلى المشركين وذلك أنهم كانوا يقولون بعد الطواف: غفرانك غفرانك^(٣)

وقال يزيد بن رومان: قالت قريش إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، فلما أمسوا ندموا على ما قالوا، فقالوا غفرانك اللهم، فقال الله عز وجل «وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون»^(٤).

وقال قتادة والسدي: معناه: وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، أي: لو استغفروا، ولكنهم لم يكونوا يستغفرون، ولو أنهم أقروا بالذنب، واستغفروا، لكانوا مؤمنين^(٥).

وقيل: هذا دعاء إلى الإسلام والاستغفار بهذه الكلمة، كالرجل يقول لغيره لا أعاقبك وأنت تطيعني، أي أطعني حتى لا أعاقبك.

وقال مجاهد وعكرمة: وهم يستغفرون أي يُسَلِّمون. يقول: لو أسلموا لما عُدِّبوا^(٦). وروى الوالي عن ابن عباس: أي وفيهم من سبق له من الله أن يسلم ويؤمن ويستغفر^(٧)، وذلك مثل: أبي سفيان، وصفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، وحكيم بن حزام وغيرهم.

(١) الطبري: ٥١١/١٣.

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير: ٤٧٢/٨ - ٤٧٣ مرفوعاً وقال: «هذا حديث غريب وإسماعيل بن إبراهيم يضعف في الحديث». وأخرجه الطبري موقوفاً على أبي موسى: ٥١٣/١٣.

(٣) الطبري: ٥١١/١٣.

(٤) الطبري: ٥١٢/١٣.

(٥) الطبري: ٥١٤/١٣.

(٦) الطبري: ٥١٥/١٣.

(٧) الطبري: ٥١٦/١٣.

وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا
أَوْلِيَاءَهُ^{٣٤} إِنِ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ
صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مَكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

وروى عبد الوهاب عن مجاهد: وهم يستغفرون أي وفي أصلا بهم مَنْ يستغفر^(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ أي: وما يمنعهم من أن يعذبوا، يريد بعد خروجك من
بينهم، ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، أي: يمنعون المؤمنين / من الطواف بالبيت.

وقيل: أراد بالعذاب الأول عذاب الاستئصال، وأراد بقوله «وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ» أي:
بالسيف.

وقيل: أراد بالأول عذاب الدنيا، وبهذه الآية عذاب الآخرة.

وقال الحسن: الآية الأولى وهي قوله: «وما كان الله ليعذبهم» منسوخة بقوله تعالى: «وما لهم
آلا يعذبهم الله»^(٢).

﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾، قال الحسن: كان المشركون يقولون نحن أولياء المسجد الحرام، فردَّ
الله عليهم بقوله: «وما كانوا أولياءه» أي: أولياء البيت، ﴿إِنْ أَوْلِيَائُهُ﴾ أي: ليس أولياء البيت، ﴿إِلَّا
الْمُنَافِقُونَ﴾، يعني: المؤمنين الذين يتقون الشرك، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مَكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾، قال ابن عباس والحسن:

(١) قال الطبري رحمه الله: ٥١٧/١٣ «وأولى هذه الأقوال عندي في ذلك بالصواب، قول من قال: تأويله: «وما كان الله ليعذبهم وأنت
فيهم» يا محمد، وبين أظهرهم مقيم، حتى أخرجك من بين أظهرهم، لاني لا أهلك قرية وفيها نبيها - «وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون»، من ذنوبهم وكفرهم، ولكنهم لا يستغفرون من ذلك، بل هم مصرون عليه، فهم للعذاب مستحقون ثم قيل: ﴿وَمَا لَهُمْ
آلا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ بمعنى: وما شأنهم، وما يمنعهم أن يعذبهم الله وهم لا يستغفرون الله من كفرهم
فيؤمنوا به، وهم يصدون المؤمنين بالله ورسوله عن المسجد الحرام»؟.

(٢) قال الإمام الطبري، رحمه الله: «لا وجه لقول من قال: ذلك منسوخ بقوله: «وما لهم آلَا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام»،
الآية، لأن قوله جل ثناؤه «وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» خير، والخبر لا يجوز أن يكون فيه نسخ، وإنما يكون النسخ للأمر أو
النهي» التفسير: ٥١٨/١٣.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾

المكاء: الصفير، وهو في اللغة اسم طائر أبيض، يكون بالحجاز له صفير، كأنه قال: إلا صوت مكاء، والتصدية التصفيق.

قال ابن عباس: كانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون^(١).

قال مجاهد: كان نفر من بني عبدالدار يُعارضون النبي ﷺ في الطواف، ويستهزؤون به، ويُدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفرون. فالمكاء: جعل الأصابع في الشدق. والتصدية: الصفير، ومنه الصدى الذي يسمعه المصوت في الجبل.

قال جعفر بن ربيعة: سألت أبا سلمة بن عبدالرحمن عن قوله عز وجل «إلا مكاء وتصدية» فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيراً^(٢).

قال مقاتل: كان النبي ﷺ إذا صلى في المسجد قام رجلان عن يمينه فيصفران ورجلان عن شماله فيصفقان ليخطوا على النبي ﷺ صلواته، وهم من بني عبدالدار^(٣).

قال سعيد بن جبير: التصدية صدُّهم المؤمنين عن المسجد الحرام، وعن الدين، والصلاة. وهي على هذا التأويل: التصددة بدالين، فقلبت إحدى الدالين ياءً، كما يقال تظنيت من الظن، وتقضى البازي إذا البازي كسر، أي تقضض البازي. قال ابن الأنباري: إنما سماه صلاة لأنهم أمروا بالصلاة في المسجد فجعلوا ذلك صلاتهم. ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِي كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: ليصرفوا عن دين الله.

قال الكلبي ومقاتل: نزلت في المُطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلاً: أبو جهل بن هشام، وعتبة، وشيبة ابنا ربيعة بن عبدشمس، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البختري بن هشام، والنضر بن الحرث، وحكيم بن حزام، وأبي بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحارث بن عامر بن نوفل،

(١) الطبري: ٥٢٢/١٣.

(٢) الطبري: ٥٢٢/١٣.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٦١/٤ (عن ابن عباس).

لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٨﴾
والعباس بن عبدالمطلب، وكلهم من قريش، كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزراً^(١).

وقال الحكم بن عيينة: نزلت في أبي سفيان أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية^(٢).

قال الله تعالى: ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾، يريد: ما أنفقوا في الدنيا يصير حسرة عليهم في الآخرة، ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾، ولا يظفرون، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، منهم، ﴿إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾، خص الكفار لأن منهم من أسلم.

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ﴾ [في سبيل الشيطان]^(٣) ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾، يعني: الكافر من المؤمن فينزل المؤمن الجنان والكافر النيران.

وقال الكلبي: العمل الخبيث من العمل الصالح الطيب، فيثيب على الأعمال الصالحة الجنة، وعلى الأعمال الخبيثة النار.

وقيل: يعني: الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان من الإنفاق الطيب في سبيل الله.

﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ﴾، أي: فوق بعض، ﴿فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا﴾، أي: يجمعه. ومنه السحاب المركوم، وهو المجتمع الكثيف، فيجعله في جهنم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، رده إلى قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ... أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الذين خسرت تجارتهم، لأنهم اشتروا بأموالهم عذاب الآخرة.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا﴾، عن الشرك ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾، أي: ما مضى من ذنوبهم قبل الإسلام، ﴿وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾، في نصر الله أنبياءه وإهلاك أعدائه. قال يحيى بن معاذ الرازي: توحيد لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر، أرجو أن لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب.

(١) انظر: سيرة ابن هشام: ٦٧١/١، أسباب النزول للواحيدي، ص (٢٧١).

(٢) انظر: الطبري: ٥٣١/١٣، أسباب النزول ص (٢٧٢)، الدر المنثور: ٦٣/٤.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا
 فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا فَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى
 وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي
 الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ أَمِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ
 عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾

﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ أي: شرك. قال الربيع: حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ﴿ويكون الدين كله لله﴾، أي: ويكون الدين خالصاً لله لا شرك فيه، ﴿فإن انتهوا﴾، عن الكفر، ﴿فإن الله بما يعملون بصير﴾، قرأ يعقوب «تعملون» بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء.

﴿وإن تولوا﴾، عن الإيمان وعادوا إلى قتال أهله، ﴿فأعلموا أن الله مولاكم﴾، ناصركم ومعينكم، ﴿نعم المولى ونعم النصير﴾.

قوله تعالى: ﴿وأعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خُمسه﴾ الآية. الغنيمة والفيء: اسمان لمال يصيبه المسلمون من أموال الكفار. فذهب جماعة إلى أنهما واحد، وذهب قوم إلى أنهما مختلفان: فالغنيمة: ما أصابه المسلمون منهم عنوةً بقتال، والفيء: ما كان عن صلح بغير قتال. فذكر الله عز وجل في هذه الآية حكم الغنيمة فقال: ﴿فإن لله خُمسه وللرسول﴾^(١).

فذهب أكثر المفسرين والفقهاء إلى أن قوله: «لله» افتتاح كلام على سبيل التبرك وإضافة هذا المال إلى نفسه لشرفه، وليس المراد منه أن سهماً من الغنيمة لله مفرداً، فإن الدنيا والآخرة كلها لله عز وجل. وهو قول الحسن وقتادة وعطاء وإبراهيم والشعبي، قالوا: سهّم الله وسهم الرسول واحد. والغنيمة تقسم خمسة أخماس، أربعة أخماسها لمن قاتل عليها، والخمس لخمسة أصناف كما ذكر الله عز وجل، «وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل».

قال بعضهم: يقسم الخمس على ستة أسهم، وهو قول أبي العالية، سهم لله: فيصرف إلى

(١) انظر: الطبري: ١٣/٥٤٥ - ٥٤٨، القرطبي: ١/٨ وما بعدها، أحكام القرآن لابن العربي: ٢/٨٥٥ وما بعدها، أحكام القرآن للجصاص: ٤/٢٢٩ وما بعدها، الخراج لأبي يوسف: ص (١٩ - ٣٠)، الخراج ليحيى بن آدم: ص ١٨ - ٤٥، الأموال لأبي عبيد ص (٢٨) وما بعدها. ففيها تفصيل لآراء العلماء والمفسرين في قسمة الفيء والغنيمة.

الكعبة. والأول أصح، أن خُمس الغنيمة يقسم على خمسة أسهم، سهم كان لرسول الله ﷺ، في حياته، واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الإسلام، وهو قول الشافعي رحمه الله.

وروي الأعمش عن إبراهيم قال: كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي ﷺ في الكراع والسلاح.

وقال قتادة: هو للخليفة بعده. وقال بعضهم: سهم رسول الله ﷺ مردود في الخمس والخمس لأربعة أصناف.

قوله: ﴿ولذي القربى﴾ أراد أن سهماً من الخمس / لذوي القربى وهم أقارب النبي ﷺ، ١٤٨/ب واختلفوا فيهم، فقال قوم: جميع قريش. وقال قوم: هم الذين لا تحل لهم الصدقة.

وقال مجاهد وعلي بن الحسين: هم بنو هاشم.

وقال الشافعي: هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبني عبدشمس ولا لبني نوفل منه شيء، وإن كانوا إخوة، والدليل عليه ما:

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز أحمد الخلال، ثنا أبو العباس الأصم، أنبأنا الربيع، أنبأنا الشافعي، أنبأنا الثقة، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قسم رسول الله ﷺ سهم ذي القربى بين بني هاشم وبني المطلب، ولم يعط منه أحداً من بني عبدشمس ولا بني نوفل شيئاً^(١).

وأخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، ثنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع أنا الشافعي، أنا مطرف بن مازن عن معمر بن راشد، عن ابن شهاب، أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: لما قسم رسول الله ﷺ سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب أتيتهم أنا وعثمان بن عفان فقلنا: يا رسول الله هؤلاء إخواننا من بني هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله منهم، رأيت إخواننا من بني المطلب أعطيتهم وتركتنا أو منعنا، وإنما قرابتنا وقرابتهم واحدة، فقال رسول الله ﷺ: «إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد هكذا وشبك

(١) أخرجه الشافعي في المسند: ١١٢/٢. وانظر: البخاري - كتاب المغازي، باب غزوة خيبر: ٤٨٤/٧، والمصنف في شرح السنة:

بين أصابعه»^(١).

واختلف أهل العلم في سهم ذوي القربى هل هو ثابت اليوم؟.

فذهب أكثرهم إلى أنه ثابت، وهو قول مالك والشافعي.

وذهب أصحاب الرأي إلى أنه غير ثابت، وقالوا: سهم رسول الله وسهم ذوي القربى مردودان في الخمس، وخمس الغنيمة لثلاثة أصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل.

وقال بعضهم: يُعطى للفقراء منهم دون الأغنياء.

والكتاب والسنة يدلان على ثبوته، والخلفاء بعد الرسول ﷺ كانوا يعطونه، ولا يُفضل فقير على غني لأن النبي ﷺ والخلفاء بعده كانوا يعطون العباس بن عبدالمطلب مع كثرة ماله، فألحقه الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم القرابة، غير أنه يعطى القريب والبعيد. وقال: يفضل الذكر على الأنثى فيعطى الرجل سهمين والأنثى سهماً واحداً.

قوله: ﴿واليتامى﴾ وهو جمع اليتيم، واليتيم الذي له سهم في الخمس هو الصغير المسلم، الذي لا أب له، إذا كان فقيراً، و﴿المساكين﴾ هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين، و﴿ابن السبيل﴾ هو المسافر البعيد عن ماله، فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة، للفارس منهم ثلاثة أسهم، وللراجل سهم واحد، لِمَا:

أخبرنا: أبو صالح أحمد بن عبدالمملك المؤذن، أنا عبدالله بن يوسف أنا أبو سعيد بن الأعرابي ثنا سعدان بن نصر ثنا أبو معاوية عن عبيدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أسهم لرجل ولفرسه ثلاثة أسهم: سهماً له وسهمين لفرسه^(٢) وهذا قول أكثر أهل العلماء وإليه ذهب الثوري، والأوزاعي، ومالك، وابن المبارك، والشافعي وأحمد وإسحاق.

وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: للفارس سهمان، وللراجل سهم واحد.

(١) أخرجه الشافعي في المسند: ١١١/٢، وأبو داود في الخراج والإمارة، باب في بيان مواضع قسم الخمس: ٢٢٠/٤ - ٢٢١، والنسائي في قسم الفريء: ٧ / ١٣٠ - ١٣١، وابن ماجه في الجهاد، باب قسمة الخمس: ٩٦١/٢، والمصنف في شرح السنة: ١٢٥/١١ - ١٢٦، الطبري في التفسير: ٥٥٦/١٣.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد، باب سهام الفرس: ٦٧/٦، ومسلم في الجهاد والسير، باب كيفية قسمة الغنيمة بين الحاضرين برقم (١٧٦٢): ١٣٨٢/٣، والمصنف في شرح السنة: ١٠١/١١.

ويُرضخ^(١) للعبيد والنسوان والصبيان إذا حضروا القتال، ويقسم العقار الذي استولى عليه المسلمون كالمنقول. وعند أبي حنيفة: يتخير الإمام في العقار: بين أن يقسمه بينهم، وبين أن يجعله وقفاً على المصالح.

وظاهر الآية لا يفرق بين العقار والمنقول.

ومن قتل مشركاً في القتال يستحق سلبه من رأس الغنيمة، لما روي عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال يوم حنين: «من قتل قتيلاً له عليه بيعة فله سلبه»^(٢). والسلب: كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح، وفرسه الذي هو راكبه.

ويجوز للإمام أن ينقل بعض الجيش من الغنيمة، لزيادة عناء وبلاء يكون منهم في الحرب، يخصهم به من بين سائر الجيش ويجعله أسوة الجماعة في سهام الغنيمة:

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان ينقل بعض من يبعث من سرايا لأنفسهم خاصة، سوى قسم عامة الجيش^(٣).

وروي عن حبيب بن مسلمة الفهري، قال: شهدت النبي ﷺ نفل الرُّبع في البدأة والثلث في الرجعة^(٤).

واختلفوا في أن النفل من أين يعطى؟ فقال قوم: من خمس الخمس، سهم النبي ﷺ، وهو قول سعيد بن المسيب، وبه قال الشافعي، وهذا معنى قول النبي ﷺ: «مالي مما أفاء الله عليكم إلاّ

(١) الرُّضخ: العطية القليلة.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب قول الله تعالى: «ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم»، ٣٤/٨، وأخرجه أيضاً في الجهاد، وأخرجه مسلم في الجهاد والسير، باب استحقاق سلب القتيل: (١٧٥١): ٣/١٣٧٠، والمصنف في شرح السنة: ١٠٥/١١-١٠٦.

(٣) أخرجه البخاري في فرض الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لنوابئ المسلمين: ٢٣٧/٦، ومسلم في الجهاد والسير، باب الأنفال، برقم (١٧٥٠): ٣/١٣٦٩، والمصنف في شرح السنة: ١١٢/١١.

(٤) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب فيمن قال: الخمس قبل النفل: ٥٧/٤، والترمذي في السير، باب في النفل: ١٧٦/٥، من حديث عبادة، وقال: حديث حسن، وقال: وفي الباب عن ابن عباس وحبيب بن مسلمة ومعن بن يزيد وابن عمر وسلمة بن الأكوع، وأخرجه ابن ماجه في النفل برقم (٢٨٥٢): ٢/٩٥١-٩٥٢. قال في الزوائد: إسناده حسن وصححه ابن حبان برقم (١٦٧٢) ص (٤٠٣) من موارد الظمان، أخرجه سعيد بن منصور في السنن: ٢/٢٦٢، والإمام أحمد في المسند: ٤/١٦٠.

الْخُمْسَ وَالْخُمْسُ مَرْدُودٌ فِيكُمْ»^(١).

وقال قوم: هو من الأربعة الأخماس بعد إفراز الخمس كسهام الغزاة، وهو قول أحمد وإسحاق.

وذهب بعضهم إلى أن النفل من رأس الغنيمة قبل الخمس كالسلب للقاتل. وأما الفيء: وهو ما أصابه المسلمون من أموال الكفار بغير إيجاب خيل ولا ركاب، بأن صالحهم على مال يؤدونه، ومال الجزية، وما يؤخذ من أموالهم إذا دخلوا دار الإسلام للتجارة، أو يموت واحد منهم في دار الإسلام ولا وارث له، فهذا كله فيء.

ومال الفيء كان خالصاً لرسول الله ﷺ في حياته، قال عمر رضي الله عنه: إن الله قد خص رسول الله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره^(٢)، ثم قرأ: «وما أفاء الله على رسوله منهم» إلى قوله: «قدير» «الحشر - ٦»، وكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ كان ينفق على أهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله عز وجل.

واختلف أهل العلم في مصرف الفيء بعد رسول الله ﷺ، فقال قوم: هو للأئمة بعده. وللشافعي فيه قولان: أحدهما، للمقاتلة الذين أثبتت أساميهم في ديوان الجهاد، لأنهم القائمون مقام النبي ﷺ في إرهاب العدو. والقول الثاني: أنه لمصالح المسلمين، ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم، ثم بالأهم فالأهم من المصالح.

واختلف أهل العلم في تخميس الفيء: فذهب الشافعي إلى أنه يُخمس خمسة لأهل الغنيمة، على خمسة أسهم. وأربعة أخماسه للمقاتلة وللمصالح.

وذهب الأكثرون: إلى أن الفيء لا يُخمس، بل مصرفه جميعه واحد، / ولجميع المسلمين ١/١٤٩

فيه حق:

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري، أنا جدي عبدالصمد بن عبدالرحمن البزاز، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق الدبيري، ثنا عبدالرزاق، ثنا معمر، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان: أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «ما على وجه الأرض

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب الإمام يستأثر بشيء من الفيء لنفسه بلفظ آخر: ٦٢/٤، والنسائي في الفيء: ١٣١/٧ - ١٣٢.

والإمام أحمد في المسند: ١٢٨/٤، ٣١٦/٥، وعزاه في الدر المنثور: ٦٧/٤ لابن أبي حاتم.

(٢) جاء ذلك في روايات صحيحة كثيرة مطولة - ساقها السيوطي في الدر المنثور: ١٠١/٨ - ١٠٣.

إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾

مسلم إلا له في هذا الفياء حق، إلا ما ملكت أيمانكم»^(١).

وأخبرنا أبو سعيد الطاهري أنبأنا جدي عبدالصمد بن عبدالرحمن البزاز أنبأنا محمد بن زكريا العذافري أنبأنا أبو إسحاق الدبري ثنا عبدالرزاق أنا معمر عن أيوب عن عكرمة بن خالد عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه «إنما الصدقات للفقراء والمساكين» حتى بلغ «عليم حكيم» «التوبة - ٦٠» فقال: هذه لهؤلاء ثم قرأ: «واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه» حتى بلغ «وابن السبيل»، ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى» حتى بلغ «للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا» «الحشر - ٧ - ٩» ثم قال: هذه استوعبت المسلمين عامة، فلتن عشت، فليأتين الراعي وهو بسرو حَمِيرٍ نصيبه منها، لم يعرق فيها جبينه»^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾، قيل: أراد «اعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول» يأمر فيه بما يريد، فاقبلوه إن كنتم آمتم بالله ﴿وما أنزلنا على عبدنا﴾، أي: إن كنتم آمتم بالله وبما أنزلنا على عبدنا، يعني: قوله: «يسألونك عن الأنفال» ﴿يوم الفرقان﴾، يعني يوم بدر، فرق الله بين الحق والباطل وهو ﴿يوم التقى الجمعان﴾، حزب الله وحزب الشيطان، وكان يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان، ﴿والله على كل شيء قدير﴾، على نصركم مع قلتكم وكثرتهم.

﴿إِذْ أَنْتُمْ﴾، أي: إذ أنتم نزول يا معشر المسلمين، ﴿بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾، أي: بشفير الوادي الأدنى إلى المدينة، والدنيا. تأنيث الأدنى، ﴿وهم﴾، يعني عدوكم من المشركين، ﴿بِالْعُدْوَةِ

(١) أخرجه الشافعي: ١٢٧/٢، وعبدالرزاق في المصنف برقم (٢٠٠٣٩)، وأبو عبيد في الأموال ص (٢٤٣) طبع قطر، ويحيى بن آدم في الخراج ص (٤٢)، والبيهقي: ٣٤٧/٦، وفيه: عبدالله بن عمر العمري، وهو ضعيف من السابعة (تقريب).

وانظر: إرواء الغليل للألباني: ٨٣/٥، كنز العمال: ٥٢٥/٤.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في المصنف برقم (٢٠٠٤٠) وأبو عبيد، بنحوه، في الأموال ص (٢٥) و (٢٤٤) ورواه البخاري مطولاً بنحوه في فرض الخمس وفي المغازي وفي التفسير، ومسلم في الجهاد. وانظر: البيهقي: ٣٥٢/٦، شرح السنة: ١٣١/١١ - ١٣٤.

إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَادْنَاكُم كَثِيرًا لَفَاشَلْتُمْ وَلَتَنزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾

القُصُوى ﴿﴾ بشفير الوادي الأقصى من المدينة، والقصوى تأنيث الأقصى.

قرأ ابن كثير وأهل البصرة «بالعدوة» بكسر العين فيهما، والباقون بضمهما، وهما لغتان كالكسوة والكسوة والرثوة والرثوة. ﴿والركب﴾، يعني: العير يريد أبا سفيان وأصحابه، ﴿أسفل منكم﴾، أي: في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر، على ثلاثة أميال من بدر، ﴿ولو تواعدتُم لاختلفتُم في الميعاد﴾، وذلك أن المسلمين خرجوا ليأخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوها، فالتقوا على غير ميعاد، فقال تعالى: ﴿ولو تواعدتُم لاختلفتُم في الميعاد﴾، لقلنتكم وكثرة عدوكم، ﴿ولكن﴾ الله جمعكم على غير ميعاد، ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾، من نصر أوليائه وإعزاز دينه وإهلاك أعدائه، ﴿ليهلك من هلك عن بينة﴾، أي: ليموت من يموت على بينة رآها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه. ﴿ويحيى من حي عن بينة﴾، ويعيش من يعيش على بينة لوعده: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ «الإسراء - ١٥». وقال محمد بن إسحاق: معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه، ويؤمن من آمن على مثل ذلك، فالهلاك هو الكفر، والحياة هي الإيمان.

وقال قتادة: ليضل من ضلَّ عن بينة، ويهدي من اهتدى على بينة.

قرأ أهل الحجاز وأبو بكر ويعقوب: ﴿حيي﴾ بيائين، مثل «خشي» وقرأ الآخرون: بياء واحدة مشددة، لأنه مكتوب بياء واحدة.

﴿وإن الله لسميع﴾، لدعائكم، ﴿عليم﴾، بنياتكم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ﴾ يريك يا محمد المشركين، ﴿في منامك﴾، أي: نومك. وقال الحسن: في منامك أي في عينك، لأن العين موضع النوم، ﴿قليلًا ولو أراكم كثيرًا لَفَاشَلْتُمْ﴾، لجبتُم ﴿ولتتازعتُم﴾، أي: اختلفتُم ﴿في الأمر﴾، أي: في الاحجام والإقدام، ﴿ولكن الله سلم﴾، أي سلمكم من المخالفة والفسل، ﴿إنه عليمٌ بذات الصدور﴾. قال ابن عباس: علم ما

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُخَذَ بِرِيبِكُمْ وَأَصْبِرُوا
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾

في صدوركم من الحب لله عز وجل :

﴿وَأَذْبُرِكُمُوهُمْ إِذِ التَّيْتَمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾، قال مقاتل : وذلك أن النبي ﷺ رأى في المنام أن العدو قليل قبل لقاء العدو، وأخبر أصحابه بما رأى، فلما التقوا ببدر قتل الله المشركين في أعين المؤمنين .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : لقد قُلُّوا في أعيننا حتى قُلْتُ لرجلٍ إلى جنبي أتراهم سبعين؟ قال : أراهم مائة، فأسرنا رجلاً فقلنا كم كنتم؟ قال : ألفاً .

﴿وَيُقَلِّلْكُمْ﴾، يا معشر المؤمنين ﴿في أعينهم﴾، قال السدي : قال ناس من المشركين : إن العير قد انصرفت فارجعوا، فقال أبو جهل : الآن إذ برز لكم محمد وأصحابه؟ فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم، إنما محمد وأصحابه أكلة جُزور، فلا تقتلوهم، واربطوهم بالحبال - يقوله من القدرة التي في نفسه - : قال الكلبي : استقل بعضهم بعضاً ليحترؤا على القتال، فقلل المشركين في أعين المؤمنين لكي لا يجبئوا، وقلل المؤمنين في أعين المشركين لكي لا يهربوا، ﴿ليقضي الله أمراً﴾ من إعلاء الإسلام وإعزاز أهله وإذلال الشرك وأهله . ﴿كان مفعولاً﴾ كائناً، ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ .

قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة﴾ أي : جماعة كافرة ﴿فاثبثوا﴾، لقتالهم، ﴿واذكروا الله كثيراً﴾، أي : ادعوا الله بالنصر والظفر بهم، ﴿لعلكم تفلحون﴾، أي : كونوا على رجاء الفلاح .

قوله تعالى : ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا﴾، لا تختلفوا، ﴿فتفشلوا﴾، أي : تجبنوا وتضعفوا، ﴿وتذهب ريحكم﴾، قال مجاهد : نصرتكم . وقال السدي : جراءتكم وجدكم . وقال مقاتل بن حيان : حدثكم . وقال النضر بن شميل : قوتكم . وقال الأخفش : دولتكم . والريح ها هنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد، تقول العرب : هبت ريح فلان إذا أقبل أمره على ما يريد . قال قتادة وابن زيد : هوريح النصر لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله عز وجل تضرب وجوه العدو .

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
 اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ
 لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى
 عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ
 الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾

ومنه قول النبي ﷺ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأَهْلَكْتُ عَادًا بِالدَّبُورِ»^(١).

وعن النعمان بن مقرن قال: شهدت مع رسول الله ﷺ فكان إذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى
 تنزل الشمس وتهب الرياح وينزل النصر^(٢).

قوله عز وجل: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا
 أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الله بن محمد، ثنا
 معاوية بن عمرو، ثنا أبو إسحاق، عن موسى بن عقبة، عن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله
 وكان كاتباً له قال: كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى فقرأته أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي
 فيها العدو، انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس فقال: «يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو
 وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلل السيوف»، ثم قال: اللهم
 منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم»^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا﴾، فخراً وأشراً، ﴿ورثاء الناس﴾،
 قال الزجاج: البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها، والرياء: إظهار الجميل ليُرى وإبطان القبيح،
 ﴿ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون مُحِيطٌ﴾، نزلت في المشركين حين أقبلوا إلى بدر ولهم

(١) أخرجه البخاري في الاستسقاء، باب قول النبي ﷺ: نصرت بالصبا: ٥٢٠/٢، وفي بدء الخلق، والأنبياء، ومسلم في الاستسقاء،
 باب في ريح الصبا والذُبُور برقم (٩٠٠): ٦١٧/٢، والمصنف في شرح السنة: ٣٨٧/٤.

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب في أي وقت يستحب اللقاء؟: ٧/٤، والترمذي في السير، باب ما جاء في الساعة التي يستحب فيها
 القتال: ٢٣٨/٥، وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم: ١١٦/٢، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والإمام أحمد في
 المسند: ٤٤٤/٥ - ٤٤٥، وعزاه المنذري في مختصر السنن للنسائي.

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار... ١٣٠/٦، ومسلم في الجهاد والسير، باب كراهية تمنى
 لقاء العدو (١٧٤٢) ١٣٦٢/٣، والمصنف في شرح السنة: ٣٨/١١ - ٣٩.

بغني وفخر، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تجادلنك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني»، قالوا: لما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش إنكم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم فقد نجاها الله، فارجعوا، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا، وكان بدر موسمًا من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام، فنقيم بها ثلاثًا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابونا أبدأ، فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان، فنهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثلهم وأمرهم بإخلاص النية والحسبة في نصر دينه ومؤازرة نبيه ﷺ^(١).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾، وكان تزيينه أن قريشًا لما اجتمعت للسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر من الحرب، فكاد ذلك أن يثنيهم فجاء إبليس في جند من الشياطين معه رايته، فتبدى لهم في صورة سراقه بن مالك بن جعشم، ﴿وقال﴾، لهم ﴿لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم﴾، أي: مجير لكم من كنانة، ﴿فلما تراءت الفئتان﴾، أي التقى الجمعان رأى إبليس الملائكة نزلوا من السماء علم أنه لا طاقة له بهم، ﴿نكص على عقبيه﴾، قال الضحاک: ولّى مدبراً. وقال النضر بن شميل: رجع القهقري على ففاه هارباً. قال الكلبي: لما التقوا كان إبليس في صف المشركين على صورة سراقه آخذاً بيد الحارث بن هشام، فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: أفراراً من غير قتال؟ فجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق وانهمز الناس، فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقه، فبلغ ذلك سراقه، فقال: بلغني أنكم تقولون: إنني هزمت الناس، فوالله ما شعرت بمسيركم، حتى بلغني هزيمتكم! فقالوا: أما آتيتنا في يوم كذا؟ فحلف لهم. فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان.

قال الحسن في قوله: ﴿وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون﴾، قال: رأى إبليس جبريل معتجراً ببرد يمشي بين يدي النبي ﷺ، وفي يده اللجام يقود الفرس، ما ركب.

وقال قتادة: كان إبليس يقول: إني أرى ما لا ترون وصدق. وقال ﴿إني أخاف الله﴾، وكذب والله ما به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قوة به ولا منعة فأوردتهم وأسلمهم، وذلك عادة عدو الله لمن أطاعه، إذا التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم.

وقال عطاء: إني أخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك.

(١) انظر - فيما سبق - تفسير الآية (٧) من السورة، والروايات التي ساقها المصنف هناك.

إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّهُ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ اتَّقَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا
أَلْمَلَكَةَ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾

وقال الكلبي : خاف أن يأخذه جبريل عليه السلام ويُعرّف حاله فلا يطيعوه .

وقيل : معناه إني أخاف الله أي أعلم صدق وعده لأوليائه لأنه كان على ثقة من أمره .

﴿والله شديد العقاب﴾ . قيل : معناه إني أخاف الله عليكم والله شديد العقاب . وقيل : انقطع

الكلام عند قوله أخاف الله ثم يقول الله : والله شديد العقاب .

أخبرنا أبو الحسن السرخسي ، أنا زاهر بن أحمد ، أنا أبو إسحاق الهاشمي ، أنا أبو مصعب ،
عن مالك ، عن إبراهيم بن أبي عُليّة ، عن طلحة بن عبيدالله بن كَرِيْز أن رسول الله ﷺ قال : « ما رُوي
الشیطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدر ولا أحقر ولا أغیظ منه يوم عرفة ، وما ذاك إلا لما يرى من تنزل
الرحمة وتجاوز الله تعالى عن الذنوب العظام ، إلا ما كان من يوم بدر » ، فقيل : وما رأى يوم بدر؟ قال :
« أما إنه قد رأى جبريل عليه السلام وهو يزغ الملائكة » . هذا حديث مرسل ^(١) .

قوله تعالى : ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ، شك ونفاق ، ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ
دِينَهُمْ﴾ ، يعني : غرّ المؤمنين دينهم ، هؤلاء قوم كانوا مستضعفين بمكة قد أسلموا ، وحبسهم أقرباؤهم
من الهجرة ، فلما خرجت قريش إلى بدر ، أخرجوهم كرهاً ، فلما نظروا إلى قلة المسلمين ارتابوا
وارتدوا ، وقالوا : غرّ هؤلاء دينهم ، فقتلوا جميعاً ، منهم : قيس بن الوليد بن المغيرة ، وأبو قيس بن
الفاكه بن المغيرة المخزوميان ، والبحرث بن زمعة بن الأسود بن المطلب ، وعلي بن أمية بن خلف
الجمحي ، والعاص بن منبه بن الحجاج . قال الله تعالى : ﴿ومن يتوكل على الله﴾ ، أي : ومن يسلم
أمره إلى الله ويثق به ، ﴿فإن الله عزيز﴾ ، قوي يفعل بأعدائه ما يشاء ، ﴿حكيم﴾ .

﴿ولو ترى﴾ ، يا محمد ، ﴿إذ يتوقى الذين كفروا الملائكة يضربون﴾ ، أي : يقبضون

أرواحهم . اختلفوا فيه ، قيل : هذا عند الموت ، تضرب الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسياط النار .

(١) أخرجه مرسلًا : الإمام مالك في الموطأ ، كتاب الحج ، باب جامع الحج : ٤٢٢/١ ، وعبدالرزاق في المصنف : ١٧/٥ - ١٨ ،
والمصنف في شرح السنة : ١٥٨/٧ .

ذَلِكَ إِمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ
﴿٥٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾

وقيل: أراد الذين قتلوا من المشركين ببدر كانت الملائكة يضربون، ﴿وجوههم وأدبارهم﴾، قال سعيد بن جبير ومجاهد: يريد أستاذهم، ولكن الله حيي يكي. قال ابن عباس: كان المشركون إذا أقبلوا بوجههم إلى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف، وإذا ولّوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم.

وقال ابن جريج: يريد ما أقبل منهم وما أدبر، أي: يضربون أجسادهم كلها، والمراد بالتوفي: القتل. ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾، أي: وتقول لهم الملائكة: ذوقوا عذاب الحريق. وقيل: كان مع الملائكة مقامع من حديد يضربون بها الكفار، فتلتهب النار في جراحاتهم، فذلك قول تعالى: ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾. وقال الحسن: هذا يوم القيامة تقول لهم خزنة جهنم: ذوقوا عذاب الحريق. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يقولون لهم ذلك بعد الموت.

﴿ذلك﴾، أي: ذلك الضرب الذي وقع بكم، ﴿بما قدمت أيديكم﴾، أي: بما كسبت أيديكم، ﴿وأن الله ليس بظلامٍ للعبيد﴾.

﴿كذاب آل فرعون﴾، كفعل آل فرعون وصنيعهم وعادتهم، معناه: أن عادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون. قال ابن عباس: هو أن آل فرعون أيقنوا أن موسى نبي من الله فكذبوه، كذلك هؤلاء جاءهم محمد ﷺ بالصدق فكذبوه، فأنزل الله بهم عقوبة كما أنزل بآل فرعون. / ﴿والذين من قبلهم﴾، أي: ﴿كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قويٌّ شديد العقاب﴾.

﴿ذلك بأن الله لم يكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، أراد: أن الله تعالى لا يغير ما أنعم على قوم حتى يغيروا هم ما بهم، بالكفران وترك الشكر، فإذا فعلوا ذلك غير الله ما بهم، فسلبهم النعمة.

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ
يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِذَا تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَدَبِهِمْ
مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا تَخَافتَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى
سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾

وقال السدي: نعمة الله محمد ﷺ أنعم الله به على قريش وأهل مكة، فكذبوه وكفروا به فنقله
الله إلى الأنصار، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿كِدَابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، كصنع آل فرعون، ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من كفار الأمم، ﴿كَذَّبُوا
بآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾، أهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ
وبعضهم بالريح وبعضهم بالغرق، فكذلك أهلكنا كفار بدر بالسيف، لما كذبوا بآيات ربهم،
﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾، يعني: الأولين والآخرين.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قال الكلبي ومقاتل: يعني يهود بني
قريظة، منهم كعب بن الأشرف وأصحابه.

﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ﴾، يعني عاهدتهم وقيل: أي: عاهدت معهم. وقيل أدخل «مِنْ» لأن
معناه: أخذت منهم العهد، ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾، وهم بنو قريظة، نقضوا العهد الذي
كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وأعانوا المشركين بالسلاح على قتال النبي ﷺ وأصحابه، ثم قالوا:
نسينا وأخطأنا فعاهدتهم الثانية، فنقضوا العهد ومالوا الكفار على رسول الله ﷺ يوم الخندق، وركب
كعب بن الأشرف إلى مكة، فوافقهم على مخالفة النبي ﷺ، ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾، لا يخافون الله
تعالى في نقض العهد.

﴿فَإِذَا تَثَقَّفْنَهُمْ﴾، تجدنتهم، ﴿فِي الْحَرْبِ﴾، قال مقاتل: إن أدركتهم في الحرب وأسرتهم،
﴿فَشَرَدَبِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ﴾، قال ابن عباس: فنكّل بهم مَنْ ورائهم. وقال سعيد بن جبير: أنذر بهم
من خلفهم. وأصل التشريد: التفريق والتبديد، معناه فرّق بهم جمع كل ناقض، أي: افعل بهؤلاء
الذين نقضوا عهدك وجاؤوا للحرب فعلاً من القتل والتنكيل، يفرّق منك ويخافك مَنْ خلفهم من أهل
مكة واليمن، ﴿لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ﴾، يتذكرون ويعتبرون فلا ينقضون العهد.

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِلَيْهِمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ
 مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ ۚ عَدُوًّا لِلَّهِ وَعَدُوًّا لَكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ
 لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ
 لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ﴾ أي: تعلمن يا محمد، ﴿من قوم﴾، معاهدين، ﴿خيانة﴾، نقض عهد بما يظهر لكم منهم من آثار الغدر كما ظهر من قريظة والنضير، ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾، فاطرح إليهم عهدهم، ﴿على سواء﴾، يقول: أعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء، فلا [يَتَهَمُوا] (١) أنك نقضت العهد بنصب الحرب معهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾.

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي، أنا أبو سهل محمد بن عمر بن طرفة السجزي، أنا أبو سليمان الخطابي أنا أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبدالرزاق بن داسة التمار، ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ثنا حفص بن عمر النمري، ثنا شعبة عن أبي الفيض عن [سليم] (٢) بن عامر عن رجل من حمير قال: كان بين معاوية وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم، حتى إذا انقضى العهد غزاهم، فجاء رجل على فرس وهو يقول: الله أكبر الله أكبر، وفاء لا غدر، فنظر فإذا هو عمرو بن عبسة، فأرسل إليه معاوية فسأله فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَشُدُّ عَقْدَهُ وَلَا يَحْلِلُهَا حَتَّى يَنْقُضِي أَمْدَهَا أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سِوَاءٍ». فرجع معاوية رضي الله عنه (٣).

قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص «يَحْسِبَنَّ» بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، «سَبَقُوا» أي: فاتوا، نزلت في الذين انهزموا يوم بدر من المشركين. فمن قرأ بالياء يقول «لا يحسبن الذين كفروا» أنفسهم سابقين فائتين من عذابنا، ومن قرأ

(١) في «ب»: (فلا يتهموا).

(٢) في «ب»: (سليمان).

(٣) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب في الإمام يكون بينه وبين العدو، فسير إليه: ٦٣/٤ - ٦٤، والترمذي في السير، باب ما جاء في الغدر: ٢٠٣/٥ - ٢٠٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن حبان ص (٤٠٥) من موارد الظمان، والإمام أحمد في المسند: ١١٣/٤، وعزه المنذري أيضاً للنسائي.

بالتاء فعلى الخطاب. قرأ ابن عامر: ﴿أَنْتُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾. بفتح الألف، أي: لأنهم لا يعجزون، ولا يفوتونني. وقرأ الآخرون بكسر الألف على الابتداء.

قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، الإعداد: اتخاذ الشيء لوقت الحاجة. ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾، أي: من الآلات التي تكون لكم قوة عليهم من الخيل والسلاك.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، عن مسلم بن الحجاج ثنا هارون بن معروف ثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي علي، ثمامة بن شُفْيٍّ أنه سمع عقبه بن عامر يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول، وهو على المنبر: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِي، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِي، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِي»^(١).

وبهذا الإسناد قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول «ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله عز وجل فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه»^(٢).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو نعيم، ثنا عبد الرحمن بن الغسيل، عن حمزة بن أبي أسيد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر حين صفنا لقريش وصفوا لنا: «إذا أكثبوكم فعليكم بالنبل»^(٣).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، ثنا هشام الدستوائي عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن أبي نجيع السلمي قال: حاصرنا مع النبي ﷺ الطائف فسمعتُ النبي ﷺ يقول: «من بلغ بسهم في سبيل الله فهو له درجة في الجنة»، قال: فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً. وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر»^(٤).

(١) أخرجه مسلم في الإمارة، باب فضل الرمي، برقم (١٩١٧): ١٥٢٢/٣.

(٢) أخرجه مسلم في الموضع السابق نفسه.

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد، باب التحريض على الرمي: ٩١/٦، والمصنف في شرح السنة: ٦١/١١.

(٤) أخرجه أبو داود في العتق، باب أي الرقاب أفضل: ٤٢٥/٥، والترمذي في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي: ٢٦٧/٥ -

٢٦٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في الجهاد، باب فضل من رمى بسهم: ٢٧/٦، والحاكم: ١٢١/٢، وقال: هذا

حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والإمام أحمد في المسند: ٣٨٦/٤، والمصنف في شرح السنة: ٣٨٣/١.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو الحسين علي بن محمد بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن يحيى بن كثير، عن زيد بن سلام، عن عبدالله بن زيد الأزرق عن عقبة بن عامر الجهني عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ الْجَنَّةَ ثَلَاثَةَ صَانِعِهِ، وَالْمِمْدَّ بِهِ، وَالرَّامِيَ بِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

وروي عن خالد بن زيد عن عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ فِي الْجَنَّةِ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ، وَالرَّامِيَ بِهِ وَمُنْبِلَهُ، وَارْمُوا وَارْكَبُوا، وَإِنْ تَرَمَوْا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا، كُلُّ شَيْءٍ يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ بَاطِلٌ إِلَّا رَمِيَهُ بِقَوْسِهِ وَتَأْدِيَتَهُ فَرَسَهُ وَمَلَاعِبَتَهُ أَمْرَاتُهُ فَإِنَّهُنَّ مِنَ الْحَقِّ. وَمَنْ تَرَكَ الرَّمِيَّ بَعْدَمَا عَلِمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَإِنَّهُ نِعْمَةٌ تَرَكَهَا أَوْ قَالَ كَفَرَهَا»^(٢).

ب/١٥٠

قوله: ﴿وَمَنْ رَبَّاطِ الْخَيْلِ﴾، يعني: ربطها واقتناؤها للغزو. وقال عكرمة: القوة الحصون ومن رباط الخيل الإناث. وروي عن خالد بن الوليد أنه كان لا يركب في القتال إلا الإناث لقلّة صهيلها. وعن أبي محيريز قال: كان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف وإناث الخيل عند البيات والغارات.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو نعيم، ثنا زكريا عن عامر، ثنا عروة البارقي أن النبي ﷺ قال: «الْخَيْلُ مَعْقُودَةٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ»^(٣).

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا علي بن حفص، ثنا ابن المبارك، ثنا طلحة بن أبي سعيد قال: سمعتُ سعيداً المقبري يحدث أنه سمع أبا هريرة يقول: قال النبي ﷺ: «مَنْ احْتَبَسَ فَرَساً فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيمَاناً بِاللَّهِ وَتَصَدِيقاً بَوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ، وَرِيَّهُ، وَرَوْتَهُ، وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف برقم (١٩٥٢٢)، وأحمد في المسند: ١٥٤/٤، وعبدالله بن زيد الأزرق لم يوثقه غير ابن حبان. وذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب في الرمي: ٣٧٠/٣، والترمذي في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي: ٢٦٥/٥ - ٢٦٦، وقال: هذا حديث حسن. (دون قوله: ومن ترك الرمي). والنسائي في الخيل، باب تأديب الرجل فرسه: ٢٢٢/٦ - ٢٢٣، وابن ماجه في الجهاد، باب الرمي في سبيل الله (٢٨١١): ٩٤٠/٢ بلفظ الترمذي وصححه الحاكم: ٩٥/٢ ووافقه الذهبي. والإمام أحمد: ١٤٤/٤.

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد، باب الجهاد ماضٍ مع البر والفاجر: ٥٦/٦، ومسلم في الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: (١٨٧٢): ١٤٩٣/٣، والمصنف في شرح السنة: ٣٨٥/١٠.

(٤) أخرجه البخاري في الجهاد، باب من احتبس فرساً: ٥٧/٦، والمصنف في شرح السنة: ٣٨٨/١٠.

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ٦١ ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٦٢ ﴿ وَالْفَبْيَنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ يَنَّهُمْ إِنَّهُ غَنِيٌّ بَحْكِيمٌ ﴾ ٦٣ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٦٤ ﴿

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنبأنا أبو إسحاق الهاشمي، أنبأنا أبو مصعب، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الخيال ثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وهي لرجل وُزْدٌ، فأما التي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله، فأطال لها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها من ذلك المرج أو الروضة كان له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها ذلك فاستنت شرفاً أو شرفين، كانت أثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه، ولم يرد أن يسقيها كان ذلك له حسنات، فهي لذلك الرجل أجر، وأما التي هي له ستر: فرجل ربطها تغنياً وتعففاً، ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها، فهي له ستر، وأما التي هي له وُزْدٌ: فرجل ربطها فخراً ورياءً، ونواءً لأهل الإسلام، فهي على ذلك وزر» وسئل رسول الله ﷺ عن الحُمُرِ فقال: «ما أنزل عليّ فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة الفاذة: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره»^(١) ﴿تُرْهَبُونَ بِهِ﴾، تُخَوِّفُونَ ﴿عَدُوَّ اللَّهِ، وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ﴾، أي: وترهبون آخرين، ﴿مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾، قال مجاهد ومقاتل وقتادة: هم بنو قريظة. وقال السدي: هم أهل فارس. وقال الحسن وابن زيد: هم المنافقون، لا تعلمونهم، لأنهم معكم يقولون: لا إله إلا الله. وقيل: هم كفار الجن.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾، ﴿يُوفَّ لَكُمْ أَجْرَهُ﴾، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تظَلْمُونَ﴾، لا تنقص أجوركم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾، أي: مالوا إلى الصلح، ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾، أي: مل إليها وصالحهم. روي عن قتادة والحسن: أن هذه الآية منسوخة^(٢) بقوله تعالى: «فاقتلوا المشركين حيث

(١) أخرجه البخاري في الجهاد، باب الخيل لثلاثة... ٦٣/٦ - ٦٤، وفي الشرب والأنبياء والتفسير والاعتصام، ومسلم في الزكاة باطول من هذا - باب إثم مانع الزكاة (٩٨٧): ٢/٦٨٠ - ٦٨٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٤/٦.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير: ٣٤/١٠ (طبع الحلبي) ثم قال عنه إنه «قول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل، وقد دللنا في غير موضع من كتابنا هذا - التفسير - وغيره، وعلى أن الناسخ لا يكون إلا ما نفي حكم المنسوخ من كل وجه، فأما ما كان بخلاف ذلك =

يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ يَغْلِبُوا
 مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
 لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٥﴾ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ
 صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ
 ﴿١٦﴾ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا
 وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾

وجدتموهم» «براءة - ٥» ﴿وتوكل على الله﴾! ثق بالله، ﴿إنه هو السميع العليم﴾.

﴿وإن يُريدوا أن يخذعوك﴾، يغدروا ويمكروا بك. قال مجاهد: يعني بني قريظة. ﴿فإن
 حسبتك الله﴾، كافيك الله، ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾، أي: بالانصار.

﴿وألف بين قلوبهم﴾، أي: بين الأوس والخزرج، كانت بينهم إحن وثار في الجاهلية،
 فصيرهم الله إخواناً بعد أن كانوا أعداء، ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن
 الله ألف بينهم. إنه عزيز حكيم﴾.

قوله تعالى ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾، قال سعيد بن جبیر: أسلم
 مع رسول الله ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة، ثم أسلم عمر بن الخطاب فتم به الأربعون، فنزلت
 هذه الآية^(١).

واختلفوا في محل «من» فقال أكثر المفسرين محله خفض، عطفاً على الكاف في قوله:
 «حسبتك الله» وحسب من اتبعك، وقال بعضهم: هو رفع عطفاً على اسم الله معناه: حسبك الله
 ومتبعوك من المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال﴾، أي: حثهم على القتال. ﴿إن

فغير كائن ناسخاً، وقول الله في براءة ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ غير نافٍ حكمه حكم قوله: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح
 لها﴾ لأن قوله: ﴿وإن جنحوا للسلم﴾ إنما عني به بنو قريظة، وكانوا يهوداً أهل كتاب، وقد أذن الله جل ثناؤه للمؤمنين بصلح أهل
 الكتاب، ومتاركهم الحرب، على أخذ الجزية منهم. وأما قوله: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ فإنما عني به مشركي العرب من
 عبدة الأوثان الذين لا يجوز قبول الجزية منهم، فليس في إحدى الآيتين نفي حكم الأخرى. بل كل واحدة منهما مُحْكَمَةٌ فيما أنزلت فيه.

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٢٧٣).

يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ ﴿١٠﴾، رجلاً، ﴿صَابِرُونَ﴾، محتسبون، ﴿يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾، من عدوهم يقهروهم، ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ﴾، صابرة محتسبة، ﴿يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ذلك ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، أي: إن المشركين يقاتلون على غير احتساب ولا طلب ثواب، ولا يثبتون إذا صدقتموهم القتال، خشية أن يُقتلوا. وهذا خبر بمعنى الأمر، وكان هذا يوم بدر فرض الله على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين، فثقلت على المؤمنين، فخفف الله عنهم، فنزل:

﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾، أي: ضعفاً في الواحد عن قتال العشرة وفي المائة عن قتال الألف، وقرأ أبو جعفر: «ضَعَفَاء» بفتح العين والمد على الجمع، وقرأ الآخرون بسكون العين، ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾، من الكفار، ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، فردّ من العشرة إلى الاثنتين، فإن كان المسلمون على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا.

وقال سفيان قال ابن شبرمة: وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا.

قرأ أهل الكوفة: «وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ»، بالياء فيهما وافق أهل البصرة في الأول والباقون بالتاء فيهما. وقرأ عاصم وحمة «ضعفا» بفتح الضاد هاهنا وفي سورة الروم، والباقون بضمها.

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾، قرأ أبو جعفر وأهل البصرة: «تكون» بالتاء والباقون بالياء، وقرأ أبو جعفر: «أسارى»، والآخرون: «أسرى».

وروى الأعمش عن عمر بن مرة عن أبي عبيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر وجيء بالأسرى، فقال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في هؤلاء؟» فقال أبو بكر: يارسول الله قومك وأهلك فاستبقهم واستأن بهم، لعل الله أن يتوب عليهم، وخُذ منهم فدية، تكون لنا قوة على الكفار، وقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدّمهم نضرب أعناقهم، مكّن علياً من عقيل فيضرب عنقه، ومكّني من فلان - نسيب لعمر - فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر، / وقال ١/١٥١ عبد الله بن رواحة يارسول الله انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرم عليهم ناراً. فقال له العباس: قطعت رحمك. فسكت رسول الله ﷺ فلم يُجبهم، ثم دخل، فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول ابن رواحة، ثم خرج رسول الله ﷺ فقال «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيَلِيِّنُ قُلُوبَ رِجَالٍ حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ، وَيَشَدِّدُ قُلُوبَ رِجَالٍ حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَإِنْ مِثْلَكَ يَا أَبَابَكْرَ مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»

«إبراهيم - ٣٦»، ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى حيث قال: «إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم» «المائدة - ١١٨»، وإن مثلك يا عمر مثل نوح حيث قال: «رَبِّ لَا تَذُرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا» «نوح - ٢٦»، ومثل موسى قال: «رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ» «يونس - ٨٨»، ثم قال رسول الله ﷺ: «أنتم اليوم عالة فلا يفلتنَّ منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق»، قال عبد الله بن مسعود إلا سهيل بن بيضاء فإني سمعته يذكر الإسلام، فسكت رسول الله ﷺ، فما رأيتني في يوم أخوف من أن تقع عليَّ الحجارة من السماء من ذلك اليوم، حتى قال رسول الله ﷺ: «إلا سهيل بن بيضاء»^(١). قال ابن عباس: قال عمر بن الخطاب فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهوما قلتُ، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين [بيكيان]^(٢) قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاءً بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكهما؟ فقال رسول الله ﷺ: أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة، لشجرة قريبة من رسول الله ﷺ، وأنزل الله تعالى: «ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخنَ في الأرض» إلى قوله: «فكلوا ممَّا غنمتم حلالاً طيباً» «الأنفال ٦٧ - ٦٩» فأحل الله الغنيمة لهم^(٣). بقوله: «له أسرى» جمع أسير مثل قتلى وقتيل.

قوله: ﴿حتى يثخنَ في الأرض﴾، أي: يبائع في قتال المشركين وأسرههم، ﴿تريدون﴾، أيها المؤمنون ﴿عرض الدنيا﴾ بأخذكم الفداء، ﴿والله يريد الآخرة﴾، يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ونصر دين الله عزَّ وجلَّ، «والله عزيز حكيم».

وكان الفداء لكل أسير أربعين أوقية، والأوقية أربعون درهماً.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان هذا يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل، فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله في الأسارى ﴿فإمَّا مَنَّا بعدُ وإمَّا فداء﴾، «محمد - ٤» فجعل الله عزَّ وجلَّ نبيه ﷺ والمؤمنين في أمر الأسارى بالخيار إن شأوا وقتلوهم وإن شأوا استعبدوهم، وإن شأوا فادَّوهم،

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة الأنفال: ٤٧٦/٨، وقال: هذا حديث حسن. وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه (فهو منقطع)، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ٣٧٠/١٤ - ٣٧٢، ومن طريقه: البيهقي في السنن: ٣٢١/٦، وأخرجه أبو عبيد في الأموال ص (١٣٥) (طبع قطر). وصححه الحاكم: ٢١/٣ - ٢٢، ووافقه الذهبي، والطبري: ٤٣/١٠ (طبع الحلبي) والواحد ص (٢٧٤)، وانظر: مجمع الزوائد: ٨٦/٦ - ٨٧. وفي رواية الطبري: ومثلك يا بن رواحة كمثل موسى ...

(٢) زيادة من «ب».

(٣) الطبري: ٤٤/١٠ (طبع الحلبي).

لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩﴾

وإن شاؤوا اعتقوهم^(١).

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾، قال ابن عباس: كانت الغنائم حراماً على الأنبياء والأمم فكانوا إذا أصابوا شيئاً من الغنائم [جعلوه]^(٢) للقربان، فكانت تنزل نار من السماء فتأكله، فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون في الغنائم وأخذوا الفداء، فأنزل الله عز وجل: «لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ»^(٣) يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بأنه يحل لكم الغنائم.

وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب أحداً ممن شهد بدرًا مع النبي ﷺ^(٤).

وقال ابن جريج: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يُبين لهم ما يتقون، وأنه لا يأخذ قوماً فعلوا أشياء بجهالة^(٥): ﴿لَمَسَّكُمْ﴾، لَنَا لَكُمْ وَأَصَابَكُمْ، ﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾، من الفداء قبل أن تؤمروا به، ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

قال ابن إسحاق: لم يكن من المؤمنين أحد ممن أحضر إلا حبَّ الغنائم إلا عمر بن الخطاب فإنه أشار على رسول الله ﷺ بقتل الأسرى، وسعد بن معاذ قال: يا رسول الله كان الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال، فقال رسول الله ﷺ: «لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ»^(٦).

فقال الله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، روي أنه لما نزلت الآية الأولى كفَّ أصحاب رسول الله ﷺ أيديهم عما أخذوا من الفداء فنزل: ﴿فَكُلُوا مِمَّا

(١) عزاه السيوطي لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما. (الدر المنثور: ١٠٨/٤).

(٢) في «أ»: (كان).

(٣) عزاه السيوطي لابن مردويه. (الدر: ١١١/٤).

(٤) أنظر: الطبري: ٤٧/١٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٧١/١٤. قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص (٧١): «ورواه الواقدي في المغازي من وجه آخر منقطع، بمعناه، وروى ابن مردويه من حديث ابن عمر رَفَعَهُ: «لو نزل العذاب ما أفلت منه إلا ابن الخطاب»، وانظر: الأموال لأبي عبيد ص

(١٣٦ - ١٣٧).

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

غنتم ﴿٧٠﴾ الآية. ورؤينا عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي» (١).

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أنا أبو طاهر الزيادي، أنا محمد بن الحسين القطان، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، ثنا عبدالرزاق، أنبأنا معمر عن همام، ثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله: «لم تحل الغنائم لأحد من قبلنا، وذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيها لنا» (٢).

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾، قرأ أبو عمرو وأبو جعفر: «من الأسارى» بالألف، والباقون بلا ألف.

نزلت في العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه وكان أسري يوم بدر، وكان أحد العشرة الذين ضمنوا طعام أهل بدر، وكان يوم بدر نوبته، وكان خرج بعشرين أوقية من الذهب ليطعم بها الناس، فأراد أن يطعم ذلك اليوم فاقتلوا [وبقيت] (٣) العشرون أوقية معه، فأخذت منه في الحرب، فكلم النبي ﷺ أن يحتسب العشرين أوقية من فدائه فأبى وقال: «أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا أتركه لك»، وكلف فداء ابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث، فقال العباس: يا محمد تركتني أتكفف قريشاً ما بقيت؟ فقال رسول الله ﷺ: «فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها: إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا، فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم»، يعني نبيه، فقال له العباس: وما يدريك؟ قال: أخبرني به ربي عز وجل، قال العباس: أشهد أنك صادق! وأن لا إله إلا الله وأنت عبده ورسوله، ولم يطلع عليه أحد إلا الله عز وجل، فذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ الذين أخذتم منهم الفداء، ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾، أي إيماناً، ﴿يؤتكم خيراً مما أخذ منكم﴾ من الفداء، ﴿ويغفر﴾

(١) أخرجه البخاري في التيمم: ٤٣٥/١ - ٤٣٦، وفي المساجد، والجهاد، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، برقم (٥٢١): ٣٧٠/١ - ٣٧١، والمصنف في شرح السنة: ١٩٦/١٣.

(٢) أخرجه البخاري في فرض الخمس، باب «لم تحل الغنائم لأحد من قبلنا...» ٢٢٠/٦، ومسلم مطولاً، واللفظ له، في الجهاد، باب تحليل الغنائم... (١٧٤٧): ١٣٦٦/٣ - ١٣٦٧.

(٣) ساقط من «ب».

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا
 وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهِجِرُوا مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ
 حَتَّى يَهِجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ
 مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ لَّا تَفْعَلُوهُ
 تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ كُفَرًا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾

لكم ﴿﴾، ذنوبكم ﴿﴾ والله غفورٌ رحيم ﴿﴾ [قال العباس رضي الله عنه] ﴿١﴾ فأبدلني الله عنها عشرين عبداً / ١٥١ ب
 كلهم تاجر يضرب بمال كثير وأدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان عشرين أوقية، وأعطاني زهم
 وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا أنتظر المغفرة من ربي عز وجل ﴿٢﴾.

قوله عز وجل ﴿وإن يُريدوا خيانتك﴾، يعني الأسارى، ﴿فقد خانوا الله من قبل فأمكن
 منهم﴾، ببدر، ﴿والله عليم حكيم﴾، قال ابن جريج: أراد بالخيانة الكفر، أي: إن كفروا بك فقد
 كفروا بالله من قبل فأمكن منهم المؤمنين ببدر حتى قتلوهم وأسروهم، وهذا تهديد لهم إن عادوا إلى
 قتال المؤمنين ومعاداتهم.

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا﴾، أي: هجروا قومهم وديارهم، يعني المهاجرين.
 ﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين ءاؤوا﴾ رسول الله ﷺ والمهاجرين معه، أي:
 أسكنوهم منازلهم، ﴿ونصروا﴾ أي: ونصروهم على أعدائهم وهم الأنصار رضي الله عنهم، ﴿وأولئك
 بعضهم أولياء بعض﴾، دون أقربائهم من الكفار. قيل: في العون والنصرة. وقال ابن عباس: في
 الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة، فكان المهاجرون والأنصار يتوارثون دون ذوي الأرحام، وكان من
 آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة، وتوارثوا بالأرحام حيث

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي ص (٢٧٦)، والطبري: ٧٣/١٤، والحاكم في المستدرک: ٣٢٤/٣ عن عائشة وقال:
 صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٨/٧: «رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار، ورجال
 الأوسط رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع وفي الصحيح بعضه» وانظر: الكافي الشاف ص (٧١).

وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ
أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

ما كانوا، وصار ذلك منسوخاً بقوله عز وجل: ﴿١﴾ «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» «الأحزاب - ٦» ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء﴾، يعني الميراث، ﴿حتى يهاجروا﴾، قرأ حمزة: «ولا يتهم» بكسر الواو، والباقون بالفتح، وهما واحد كالدلالة والدلالة. ﴿وإن استنصروكم في الدين﴾، أي: استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا، ﴿فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾، عهد فلا تنصروهم عليهم، ﴿والله بما تعلمون بصير﴾.

﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾، في العون والنصرة. وقال ابن عباس: في الميراث، أي: يرث المشركون بعضهم من بعض، ﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض﴾، قال ابن عباس: إلا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به.

وقال ابن جريج: إلا تعاونوا وتناصروا.

وقال ابن إسحاق: جعل الله المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم، وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض، ثم قال: ﴿إلا تفعلوه﴾، وهو أن يتولى المؤمن الكافر دون المؤمن ﴿تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾، فالفتنة في الأرض قوة الكفر، والفساد الكبير ضعف الإسلام. ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا﴾ لا مرية ولا ريب في إيمانهم. قيل: حققوا إيمانهم بالهجرة والجهاد وبذل المال في الدين، ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ في الجنة. فإن قيل: أي معنى في تكرار هذه الآية؟ قيل: المهاجرون كانوا على طبقات: فكان بعضهم أهل الهجرة الأولى، وهم الذي هاجروا قبل الحديبية، وبعضهم أهل الهجرة الثانية، وهم الذين هاجروا بعد صلح الحديبية قبل فتح مكة، وكان بعضهم ذا هجرتين هجرة الحبشة والهجرة إلى المدينة، فالمراد من الآية الأولى الهجرة الأولى، ومن الثانية الهجرة الثانية.

قوله: ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ أي: معكم، يريد: أنتم

(١) انظر: الطبري: ٦٨/١٤ بتحقيق محمود شاكر.

منهم وهم منكم، ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾، وهذا نسخ التوارث بالهجرة ورد الميراث إلى ذوي الأرحام.

قوله ﴿في كتاب الله﴾ أي: في حكم الله عز وجل. وقيل: أراد بكتاب الله القرآن، يعني: -
القسمة التي بينها في سورة النساء، ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾.

نفس البغوي

«معالم التنزيل»

للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي
(المتوفى - ٥١٦ هـ)

المجلد الرابع

حقيقه وختج أحاديثه

محمد عبد الله النمر عثمان بن محمد بن عبد الله بن سليمان بن مسعود البغوي

دار طيبة للنشر والتوزيع



الرياض - شارع عسير - ص. ب. : ٧١٧

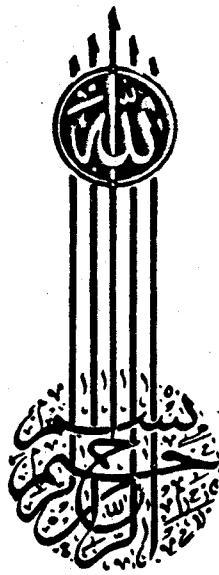
تليفون : ٤٦٥٩٧٧ / ٤٦٥٩٧٤٠

حقوق الطبع محفوظة

العاہ

نفس البغوي

«معالم التنزيل»



سُورَةُ التَّوْبَةِ

سُورَةُ التَّوْبَةِ

قال مقاتل: هذه السورة مدنية إلا آيتين من آخر السورة.

قال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس سورة التوبة؟ قال: هي الفاضحة ما زالت تنزل: «ومنهم...»، «ومنهم...» حتى ظنوا أنها لم تُبقَ أحداً منهم إلا ذكر فيها، قال: قلت سورة الأنفال؟ قال: تلك سورة بدر، قال: قلت سورة الحشر؟ قال: قل سورة بني النضير^(١)

أخبرنا أبو سعيد، أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد إبراهيم الثعلبي، أنبأنا أبو الحسين علي بن محمد بن الحسين الجرجاني، أنبأنا أبو أحمد عبدالله بن عدّي الحافظ، أنبأنا أحمد بن علي بن المثنى، حدثنا عبيدالله القواريري، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا عوف بن أبي جميلة الأعرابي، حدثني يزيد الفارسي، حدثني ابن عباس رضي الله عنهما قال: قلت لعثمان بن عفان رضي الله عنه: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثنى، وإلى براءة، وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما «بسم الله الرحمن الرحيم» ووضعتموها في السبع الطوال؟.

فقال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان، وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فإذا نزل عليه شيء يدعو بعض من يكتب عنده، فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال مما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر ما نزل، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتها في السبع الطوال^(٢).

(١) عزاه للسيوطي في الدر المنثور: (٤/١٢٠) لأبي عبيد وابن المنذر وابن مردويه، مختصراً.

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب من جهر بها (بسم الله الرحمن الرحيم): ٣٨٠/١، والترمذي في التفسير: ٤٧٧/٨ - ٤٨٠، وقال: هذا حديث حسن (وفي نسخة: حسن صحيح) لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي عن ابن عباس، ويزيد الفارسي روى عن ابن عباس غير حديث، ويقال: هو يزيد بن هرمز. وأخرجه ابن حبان ص (١٢٥) من موارد الظمان، والحاكم: ٢٢١/٢، ٣٣٠، وقال:

بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٥٨﴾ فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، أي: هذه براءة من الله. وهي مصدر كالنشاء والدَّناءة.
قال المفسرون: لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك، كان المنافقون يرحفون الأراجيف وجعل
المشركون ينقضون عهداً كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم، وذلك
قوله عز وجل: «وإما تخافن من قوم خيانة» الآية (الأنفال - ٥٨).

قال الزَّجَّاج: براءة أي: قد برىء الله تعالى ورسوله من إعطائهم العهود والوفاء لهم بها إذا
نكثوا.

﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، الخطاب مع أصحاب النبي ﷺ وإن كان النبي ﷺ هو
الذي عاهدهم وعاهدوا، لأنه عاهدهم وأصحابه راضون بذلك، فكانهم عاهدوا وعاهدوا.

﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾، رجع من الخبر إلى الخطاب، أي: قل لهم: سيحوا، أي سيروا في
الأرض، مقبلين ومدبرين، آمنين غير خائفين أحداً من المسلمين. ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ
مُعْجِزِي اللَّهِ﴾، أي: غير فائتين ولا سابقين، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾، أي: مذلهم بالقتل في
الدنيا والعذاب في الآخرة.

واختلف العلماء في هذا التأجيل وفي هؤلاء الذي برىء الله ورسوله إليهم من العهود التي كانت
بينهم وبين رسول الله ﷺ:

فقال جماعة: هذا تأجيل من الله تعالى / للمشركين، فمن كانت مدة عهده أقل من أربعة

١/١٥٢

صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والإمام أحمد في المسند: ٥٧/١، ٦٩. وعزاه ابن كثير للنسائي (تفسير ابن كثير: ٥٨٨/٤)

ورواه الحافظ ابن حجر في «موافقة الخبر الخبر» ص ٦٨، ٦٩ بإسناده إلى أبي داود وحسنه، وقال: رجاله رجال الصحيح إلا يزيد
الفارسي، وضعف أحمد شاكر هذا الحديث في تعليقه على المسند: ٣٢٩/١، وقال: هو حديث ضعيف، بل هو حديث لا أصل له،
يدور في كل رواياته على يزيد الفارسي الذي رواه عن ابن عباس، تفرد به عنه عوف بن أبي جميلة الأعرابي وهو ثقة.
ومن قبل: ضعفه ابن عطية فقال: هذا القول يضعفه النظر أن يختلف في كتاب الله هكذا. انظر: المحرر الوجيز: ٣٩٨/٦. وانظر
أيضاً: تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٢، ١٠٦/٤، ٥٨٨، فضائل القرآن (الملحق بالتفسير) لابن كثير: ص (١٧ - ١٨)، شرح السنة للبغوي:
٥١٨/٤، والدر المنثور: ١١٩/٤، فتح القدير للشوكاني: ٣٣١/٢ - ٣٣٢.

أشهر: رفعه إلى أربعة أشهر، ومن كانت مدة عهده أكثر من أربعة أشهر: حطه إلى أربعة أشهر، ومن كانت مدة عهده بغير أجل محدود: حدّه بأربعة أشهر، ثم هو حرب بعد ذلك لله ورسوله، فيقتل حيث أدرك ويؤسر إلا أن يتوب^(١).

وابتداء هذا الأجل: يوم الحج الأكبر، وانقضاؤه إلى عشر من شهر ربيع الآخر.

فأما من لم يكن له عهد وإنما أجله انسلاخ الأشهر الحُرْم، وذلك خمسون يوماً. وقال الزهري: الأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم^(٢)، لأن هذه الآية نزلت في شوال، والأول هو الأصوب وعليه الأكثرون.

وقال الكلبي: إنما كانت الأربعة الأشهر لمن كان له عهد دون أربعة أشهر، فاتم له أربعة أشهر، فأما من كان له عهد أكثر من أربعة أشهر فهذا أمر بإتمام عهده بقوله تعالى: «فَاتُّمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ»^(٣). قال الحسن: أمر الله عز وجل رسوله ﷺ بقتال من قاتله من المشركين، فقال: «قاتلوا في سبيل الله الذين يُقاتلونكم»، فكان لا يقاتل إلا من قاتله، ثم أمره بقتال المشركين، والبراءة منهم، وأجلهم أربعة أشهر، فلم يكن لأحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر، لا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد، فكان الأجل لجميعهم أربعة أشهر، وأحلّ دماء جميعهم من أهل العهد وغيرهم بعد انقضاء الأجل.

وقيل: نزلت هذه قبل تبوك.

قال محمد بن إسحاق ومجاهد وغيرهما: نزلت في أهل مكة، وذلك أن رسول الله ﷺ عاهد قريشاً عام الحديبية على: أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، ودخل بنو بكر في عهد قريش، ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منها، وأعانتهم قريش بالسلاح، فلما نظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله ﷺ وقال:

لَا هُمْ إِنْ سِي نَاشِدُ مُحَمَّدًا * حَلَفَ ابْنَانَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا

(١) تفسير الطبري: ٩٦/١٤ - ٩٧.

(٢) تفسير الطبري: ١٠١/١٤.

(٣) تفسير الطبري: ١٠٢/١٤.

فانصرْ هداكَ اللهُ نصرًا أبداً *	وادعُ عِبَادَ اللهِ يأتوا مَدَدًا
أبيض مثل الشمس يسمو صعداً *	إن سِيَمَ حَسَفًا وجهُهُ تَرَبَّدَا
هم يَبْتُونَا بالهَجِيرِ هُجَّدَا *	وَقَتَلُونَا رُكْعًا وَسُجَّدَا
كنتَ لنا أبًا وكنَّا ولدًا *	ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا ولم نَنْزِعْ يَدَا
فيهم رسولُ الله قد تجرَّدَا *	في قَيْلَتِي كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبَدَا
إن قريشاً أَخْلَفُواكَ المَوْعِدَا *	ونَقَضُوا ميثاقَكَ المَوْكِدَا
وزَعَمُوا أن لست تنجي أحداً *	وهم أذلُّ وأقلُّ عَدَدَا

فقال رسول الله ﷺ: «لا نصرتُ إن لم أنصركم»، وتجهز إلى مكة سنة ثمان من الهجرة.

فلما كان سنة تسع أراد رسول الله ﷺ أن يحج، ثم قال: إنه يحضر المشركون فيطوفون عراة، فبعث أبا بكر تلك السنة أميراً على الموسم ليقم للناس الحج، وبعث معه بأربعين آية من صدر براءة ليقراها على أهل الموسم، ثم بعث بعده علياً، كرم الله وجهه، على ناقته العضباء ليقراها على الناس صدر براءة، وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة: أن قد برئت ذممة الله وذمة رسوله ﷺ من كل مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

فرجع أبو بكر فقال: يارسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأنني شيء؟ قال: لا، ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي، أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وأنتك صاحبي على الحوض؟ قال: بلى يارسول الله.

فسار أبو بكر رضي الله عنه أميراً على الحج، وعلي رضي الله عنه ليؤذن براءة، فلما كان قبل يوم التروية بيوم خطب أبو بكر الناس وحديثهم عن مناسكهم، وأقام للناس الحج، والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من الحج، حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فأذن في الناس بالذي أمر به، وقرأ عليهم سورة براءة.

وقال زيد بن يُتَيْع^(١) سألنا علياً بأي شيء بعثت في تلك الحجة؟ قال: بعثت بأربع: لا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فهو إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة

(١) انظر: سيرة ابن هشام: ٣٩٤/٢ - ٣٩٦، ٥٤٥ - ٥٤٦، تفسير الطبري: ٩٦/١٤ - ٩٧.

(٢) زيد بن يُتَيْع - بضم التحتانية، وقد تبدل همزة، بعدها مثلثة ثم تحتانية ساكنة ثم مهملة، الهمداني الكوفي - ثقة، مخضرم - من الثانية (التقريب) وفي الأصل كانت «تَيْع».

وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي
اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾

أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا^(١).
ثم حج النبي ﷺ سنة عشر حجة الوداع.

فإن قال قائل: كيف بعث رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه ثم عزله وبعث علياً رضي الله عنه؟

قلنا: ذكر العلماء أن رسول الله لم يعزل أبا بكر رضي الله عنه، وكان هو الأمير، وإنما بعث
علياً رضي الله عنه لينادي بهذه الآيات، وكان السبب فيه: أن العرب تعارفوا فيما بينهم في عقد العهود
ونقضها، أن لا يتولى ذلك إلا سيدهم، أو رجل من رَهْطِهِ، فبعث علياً رضي الله عنه إزاحةً للعلَّة،
لئلا يقولوا: هذا خلاف ما نعرفه فينا في نقض العهد.

والدليل على أن أبا بكر رضي الله عنه كان هو الأمير: ما أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا
أحمد بن عبدالله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا إسحاق،
حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن أخي ابن شهاب، عن عمه، أخبرني حميد بن عبدالرحمن أن
أبا هريرة قال: بعثني أبو بكر رضي الله عنه في تلك الحجة في مؤذنين يوم النحر نوذُنَ بمنى: ألا لا
يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. قال حميد بن عبدالرحمن: ثم أردف رسول الله ﷺ
علياً فأمره أن يؤذُنَ ببراءة. قال أبو هريرة فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر: ألا لا يحج بعد العام
مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان^(٢).

قوله عز وجل: ﴿وَأَذَانٌ﴾ عطف على قوله: «براءة» أي: إعلام. ومنه الأذان بالصلاة، يقال:
أذنته فأذن، أي: أعلمته. وأصله من الأذن، أي: أوقعته في أذنه.

﴿مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ واختلفوا في يوم الحج الأكبر: روى عكرمة
عن ابن عباس: أنه يوم عرفة، ورُوي ذلك عن عمر بن الخطاب وابن الزبير. وهو قول عطاء وطاوس

(١) تفسير الطبري: ١٠٦/١٤، ورواه الترمذي في الحج: ٦١٠/٣، وفي التفسير: ٤٨٨/٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه
الإمام أحمد في المسند برقم (٤) ورقم (٥٩٤) بتحقيق الشيخ أحمد شاكر. وانظر: فتح الباري: ٣١٩/٨.

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة، باب ما يستر من العورة: ٤٧٧/١ - ٤٧٨، ومسلم في الحج، باب لا يحج بالبيت مشرك... برقم
٩٨٢/٢ (١٣٤٧).

إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ
أَحَدًا فَآتَمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾

ومجاهد وسعيد بن المسيب .

وقال جماعة: هو يوم النحر، روي عن يحيى بن الجزار قال: خرج علي رضي الله عنه يوم النحر على بغلة بيضاء، يريد الجبابة، فجاءه رجل وأخذ بلجام دابته وسأله عن يوم الحج الأكبر؟ فقال: يومك هذا، خلّ سبيلها. ويروي ذلك عن عبدالله بن أبي أوفى والمغيرة بن شعبة. وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبيرة والسدي .

وروي ابن جريج عن مجاهد: يوم الحج الأكبر حين الحج أيام منى كلها، وكان سفيان الثوري يقول: يوم الحج الأكبر أيام منى كلها، مثل: يوم صفين ويوم الجمل ويوم بعاث، يُراد به: الحين والزمان، لأن هذه الحروب دامت أياماً كثيرةً .

وقال عبدالله بن الحارث بن نوفل: يوم الحج الأكبر اليوم الذي حج فيه رسول الله ﷺ . وهو قول ابن سيرين، لأنه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود والنصارى والمشركين،/ ولم يجتمع قبله ولا بعده .

ب / ١٥٢

واختلفوا في الحج الأكبر: فقال مجاهد: الحج الأكبر: القرآن، والحج الأصغر: إفراد الحج .

وقال الزهري والشعبي وعطاء: الحج الأكبر: الحج، والحج الأصغر: العمرة؛ قيل لها الأصغر لنقصان أعمالها .

قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾، أي: ورسوله أيضاً بريء من المشركين. وقرأ يعقوب «ورسوله» بنصب اللام أي: أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بَرِيءٌ، ﴿فَإِنْ تَبُتُمْ﴾: رجعتم من كفركم وأخلصتم التوحيد، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم عن الإيمان، ﴿فَاعَلِمُوا أَنكُم غَيْرُ مَعْجُزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ .

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، هذا استثناء من قوله: «براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين» إلا من عاهد الذين عاهدتم من المشركين، وهم بنو ضمرة، حي من كنانة، أمر الله تعالى رسوله ﷺ بإتمام عهدهم إلى مدتهم، وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر، وكان السبب

فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا
سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

فيه: أنهم لم ينقضوا العهد، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُواكُمْ شَيْئًا﴾، من عهدهم الذي عاهدتموهم عليه، ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا﴾، لم يعاونوا، ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾، من عدوكم. وقراء عطاء بن يسار: «لم ينقضوكم» بالضاد المعجمة من نقض العهد، ﴿فَاتَّمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾، فأوفوا لهم بعهدهم، ﴿إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾، إلى أجلهم الذي عاهدتموهم عليه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ﴾، انقضى ومضى ﴿الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ﴾، قيل: هي الأشهر الأربعة: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم.

وقال مجاهد وابن إسحاق: هي شهور العهد، فمن كان له عهد فعهدة أربعة أشهر، ومن لا عهد له: فأجله إلى انقضاء المحرم خمسون يوماً، وقيل لها «حُرْمٌ» لأن الله تعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم.

فإن قيل: هذا القدر بعض الأشهر الحرم والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ﴾؟
قيل: لما كان هذا القدر متصلاً بما مضى أطلق عليه اسم الجمع، ومعناه: مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلاخ الأشهر الحرم.

قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾، في الحل والحرم، ﴿وَخُذُوهُمْ﴾، وأسروهم، ﴿وَأَحْضُرُوهُمْ﴾، أي: احبسوهم.

قال ابن عباس رضي الله عنه: يريد إن تَحَصَّنُوا فاحضروهم، أي: امنعواهم من الخروج.

وقيل: امنعواهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الإسلام.

﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾، أي: على كل طريق، والمرصد: الموضع الذي يرقب فيه العدو، من رصدت الشيء أرصده: إذا ترقبته، يريد: كونوا لهم رسداً لتأخذوهم من أي وجه توجهوا.

وقيل: اقعدوا لهم بطريق مكة، حتى لا يدخلوها.

وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ
 وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ
 فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾

﴿فَإِنْ تَابُوا﴾، من الشرك، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، يقول: دعوهم
 فليتصرفوا في أمصارهم ويدخلوا مكة، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾، لمن تاب، ﴿رَحِيمٌ﴾ به.
 وقال الحسين بن الفضل: هذه الآية نسخت كل آية في القرآن فيها ذكر الإعراض والصبر على
 أذى الأعداء^(١).

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾، أي: وإن استجارك أحد من المشركين
 الذين أمرتكم بقتلهم وقتلهم، أي: استأمنك بعد انسلاخ الأشهر الحرم ليسمع كلام الله. ﴿فَأَجِرْهُ﴾،
 فأعده وأمنه، ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾، فيما له وعليه من الثواب والعقاب، ﴿ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾، أي:
 إن لم يسلم أبلغه مأمنه، أي: الموضع الذي يأمن فيه وهو دار قومه، فإن قاتلك بعد ذلك فقد رت
 عليه فاقتله، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أي: لا يعلمون دين الله تعالى وتوحيده فهم محتاجون
 إلى سماع كلام الله. قال الحسن: وهذه الآية محكمة إلى يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾، هذا على وجه التعجب،
 ومعناه جحد، أي: لا يكون لهم عهد عند الله، ولا عند رسوله، وهم يغدرون وينقضون العهد، ثم
 استثنى فقال جلّ وعلا: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، قال ابن عباس: هم قريش.
 وقال قتادة: هم أهل مكة الذين عاهدتهم رسول الله ﷺ يوم الحديبية.

قال الله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ﴾، أي: على العهد، ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾، فلم يستقيموا،
 ونقضوا العهد، وأعانوا بني بكر على خزاعة، فضرب لهم رسول الله ﷺ بعد الفتح أربعة أشهر
 يختارون من أمرهم: إما أن يسلموا، وإما أن يلحقوا بأي بلاد شاؤوا، فأسلموا قبل الأربعة الأشهر.

(١) تقدم في مناسبة سابقة أن بعض العلماء رحمهم الله قد توسع في هذه القضية، فجعل آية السيف ناسخة لكل آية في القرآن فيها أمر
 بالصبر أو الصفح أو المسالمة، ولا يسلم لهم ذلك فإنه لا تنافي بينها، وهي من «المنسأ» كما يقول الزركشي وغيره، وليست من المنسوخ.

كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ
وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾

قال السدي والكلبي وابن إسحاق: هم من قبائل بكر: بنو خزيمة وبنو مُدَلج وبنو ضُمرة وبنو الدليل، وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية، ولم يكن نقض العهد إلا قريش وبنو الدليل من بني بكر، فأمر بإتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة.

وهذا القول أقرب إلى الصواب؛ لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة، فكيف يقول لشيء قد مضى: «فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم»؟ وإنما هم الذين قال عز وجل: «إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا» كما نقصكم قريش، ولم يظاهروا عليكم أحداً كما ظاهرت قريش بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾، هذا مردود على الآية الأولى تقديره: كيف يكون لهم عهد عند الله [كيف] (١) وإن يظهروا عليكم! ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾، قال الأخفش: كيف لا تقتلونهم وهم إن يظهروا عليكم أي: يظفروا بكم، لا يرقبوا: لا يحفظوا؟ وقال الضحاك: لا ينتظروا. وقال قطرب: لا يراعوا فيكم إلا. قال ابن عباس والضحاك: قرابة. وقال يمان: رحماً. وقال قتادة: الإلّ الحلف. وقال السدي: هو العهد. وكذلك الذمة، إلا أنه كرر لاختلاف اللفظين. وقال أبو مجلز ومجاهد: الإلّ هو الله عز وجل. وكان عبيد بن عمير يقرأ: «جبر إلّ» بالتشديد، يعني: «عبدالله». وفي الخبر أن ناساً قدموا على أبي بكر من قوم مسيلمة الكذاب، فاستقرأهم أبو بكر كتاب مسيلمة فقرأوا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن هذا الكلام لم يخرج من إلّ، أي: من الله.

والدليل على هذا التأويل قراءة عكرمة «لا يرقبون في مؤمن إيلاً» بالياء، يعني: الله عز وجل. مثل جبرائيل وميكائيل. ولا ذمة أي: عهداً. ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، أي: يُعْطُونَكُمْ بِاللِّسْتِهِمْ خِلافَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، ﴿وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾، الإيمان، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

فإن قيل: هذا في المشركين وكلهم فاسقون فكيف قال: «وأكثرهم فاسقون»؟

(١) ساقط من (ب).

أَشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
 ﴿١﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَاذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿٢﴾ فَإِنْ تَابُوا
 وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
 يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

قيل : أراد بالفسق : نقض العهد ، وكان في المشركين من وفى بعهده ، وأكثرهم نقضوا ، فهذا قال : «وأكثرهم فاسقون» .

﴿أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ، وذلك أنهم نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ بأكلة أطعمهم إياها أبو سفيان . قال مجاهد : أطعم أبو سفيان/ حلفاءه ، ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ، فمنعوا الناس من الدخول في دين الله . وقال ابن عباس رضي الله عنه : وذلك أن أهل الطائف أمدوهم بالأموال ليقوؤهم على حرب رسول الله ﷺ ، ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ﴾ بشس ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَاذِمَّةً﴾ ، يقول : لا تَبُقُوا عليهم أيها المؤمنون . كما لا يُبُقُونَ عليكم لو ظهروا ، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ ، بنقض العهد .

﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ ، من الشرك ، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي : فهم إخوانكم ، ﴿فِي الدِّينِ﴾ ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ، ﴿وَنَفَصَلُ الْآيَاتِ﴾ ونبيين الآيات ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ، قال ابن عباس : حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة . قال ابن مسعود : أمرتهم بالصلاة والزكاة فمن لم يرك فلا صلاة له .

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي ، أخبرنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري ، حدثنا عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : لما توفي رسول الله ﷺ ، وكان أبو بكر رضي الله عنه بعده ، وكفر من كفر من العرب ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي بكر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله» ؟ فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى

وَإِن تَكثُرُوا أَيَّمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَنَلُوا آيَةً
 الْكُفْرَانِ لَهُمْ لَا أَيَّمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾

رسول الله ﷺ لقائلتهم على منعها. قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق^(١).

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عمرو بن عباس، حدثنا ابن المهدي، حدثنا منصور بن سعد عن ميمون بن سيّاه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا: فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَكثُرُوا أَيَّمَنَهُمْ﴾، نقضوا عهودهم، ﴿مَنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾، عقدهم، يعني: مشركي قريش، ﴿وَطَعَنُوا﴾، قدحوا ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ عابوه. فهذا دليل على أن الذمي إذا طعن في دين الإسلام ظاهراً لا يبقى له عهد، ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ﴾، قرأ أهل الكوفة والشام: «أئمة» بهمزتين حيث كان، وقرأ الباقون بتلحين الهمزة الثانية. وأئمة الكفر: رؤوس المشركين وقادتهم من أهل مكة.

قال ابن عباس: نزلت في أبي سفيان بن حرب، وأبي جهل بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وسائر رؤساء قريش يومئذ الذين نقضوا العهد، وهم الذين هموا بإخراج الرسول^(٣) وقال مجاهد: هم أهل فارس والروم^(٤).

وقال حذيفة بن اليمان: ما قُوتل أهل هذه الآية ولم يأت أهلها بعد^(٥) ﴿إِنَّهُمْ لَا إِيمَانَ لَهُمْ﴾، أي: لا عهود لهم، جمع يمين. قال قطرب: لا وفاء لهم بالعهد. وقرأ ابن عامر: «لا إيمان لهم» بكسر الألف، أي: لا تصديق لهم ولا دين لهم. وقيل: هو من الأمان، أي لا تؤمنوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾، أي: لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم والمظاهرة عليكم. وقيل:

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ: ١٣/٢٥٠، ومسلم في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله... برقم (٢٠): ٥١/١-٥٢.

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة، باب فضل استقبال القبلة: ٤٩٦/١.

(٣) أخرجه الطبري في التفسير: ١٥٤/١٤، وينحوه مطولاً: البخاري: ٣٢٢/٨. وانظر: الدر المنثور: ١٣٦/٤.

(٤) في الدر المنثور: عن مجاهد قال أبو سفيان.

(٥) انظر: الطبري: ١٥٥/١٤-١٥٦، فتح الباري: ٣٢٣/٨.

الْأَنْقَابِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ
 بَدَءُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾
 قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ
 قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيَذْهَبُ غِيظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 حَكِيمٌ ﴿١٥﴾

عن الكفر، ثم حض المسلمین علی القتال، فقال جل ذكره: ﴿الْأَنْقَابِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾،
 نقضوا عهودهم، وهم الذین نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأعانوا بني بكر علی قتال خزاعة. ﴿وَهُمُّوا
 بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾، من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة، ﴿وَهُمْ بَدَءُكُمْ﴾، بالقتال، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾،
 یعنی: يوم بدر، وذلك أنهم قالوا حين سلم العير: لا ننصرف حتى نستأصل محمداً وأصحابه.

وقال جماعة من المفسرين: أراد أنهم بدأوا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ.

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾، أتخافونهم فتركون قتالهم؟ ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾، في ترك قتالهم، ﴿إِنْ
 كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾، يقتلهم الله بأيديكم، ﴿وَيُخْزِهِمْ﴾، ويذلهم بالأسر
 والقهر، ﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ﴾، ويرى داء قلوب قوم، ﴿مُؤْمِنِينَ﴾، مما كانوا
 ينالونه من الأذى منهم. وقال مجاهد والسدي: أراد صُدُورَ خِزَاعَةَ حَلْفَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حيث أعانت
 قريش بني بكر عليهم، حتى نكأوا فيهم فشفى الله صدورهم من بني بكر بالنبی ﷺ وبالمؤمنين.

﴿وَيَذْهَبُ غِيظَ قُلُوبِهِمْ﴾، كَرَبِّهَا وَوَجَدَهَا بِمَعُونَةِ قَرِيشٍ بَكْرًا عَلَيْهِمْ، ثم قال مستأنفاً: ﴿وَيَتُوبُ
 اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾، فيهديه إلى الإسلام كما فعل بأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن
 عمرو، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وروي أن النبي ﷺ قال يوم فتح مكة: «ارفعوا السيف إلا خزاعة من بني
 بكر إلى العصر». (١)

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ٤٨٧/١٤، وأبو عبيد في الأموال ص (١٣١).

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ
 اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ
 لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ
 حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾، أظنتم ﴿أَنْ تُتْرَكُوا﴾، قيل: هذا خطاب للمنافقين. وقيل:
 للمؤمنين الذين شق عليهم القتال. فقال: أم حسبتم أن تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد، ولا تمتحنوا، ليظهر
 الصادق من الكاذب، ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾، ولم ير الله ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ
 اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ﴾، بطانة وأولياء يوالونهم ويفشون إليهم أسرارهم. وقال قتادة: وليجة
 خيانة. وقال الضحاك: خديعة. وقال عطاء: أولياء. وقال أبو عبيدة: كل شيء أدخلته في شيء ليس
 منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة. فوليجة الرجل: من يختص بدخيلة أمره
 دون الناس، يقال: هو وليجتي، وهم وليجتي، للواحد والجمع. ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ الآية.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما أسر العباس يوم بدر غيره المسلمون بالكفر وقطيعة
 الرحم، وأغلظ علي رضي الله عنه له القول. فقال العباس: مالكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون
 محاسننا؟

فقال له علي رضي الله عنه: ألكم محاسن؟ فقال نعم: إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب
 الكعبة ونسقي الحاج، فأنزل الله عز وجل رداً على العباس: «مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ
 اللَّهِ»^(١)، أي: ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله.

أوجب على المسلمين منعهم من ذلك، لأن المساجد إنما تعمر لعبادة الله وحده، فمن كان
 كافراً بالله فليس من شأنه أن يعمرها. فذهب جماعة إلى أن المراد منه: العمارة المعروفة من بناء
 المساجد / ومرمته عند الخراب فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى به لا تمتثل. وحمل بعضهم

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمْنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى
الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾

العمارة هاهنا على دخول المسجد والقعود فيه . قال الحسن : ما كان للمشركين أن يتركوا فيكونوا أهل المسجد الحرام .

قرأ ابن كثير وأهل البصرة : «مسجد الله» على التوحيد، وأراد به المسجد الحرام ، لقوله تعالى : «وعمارة المسجد الحرام» ، ولقوله تعالى «فلا يقربوا المسجد الحرام» ، وقرأ الآخرون : ﴿مساجد الله﴾ بالجمع والمراد منه أيضاً المسجد الحرام . قال الحسن : إنما قال مساجد لأنه قبله المساجد كلها . قال الفراء : ربما ذهبت العرب بالواحد إلى الجمع وبالجمع إلى الواحد ، ألا ترى أن الرجل يركب البرذون فيقول : أخذت في ركوب البراذين؟ ويقال : فلان كثير الدرهم والدينار، يريد الدراهم والدينارين؟ .

قوله تعالى : ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ ، أراد : وهم شاهدون ، فلما طرحت «وهم» نصبت ، قال الحسن : لم يقولوا نحن كفار ، ولكن كلامهم بالكفر شاهد عليهم بالكفر .

وقال الضحاك عن ابن عباس : شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للأصنام ، وذلك أن كفار قريش كانوا نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد ، وكانوا يطوفون بالبيت عراة ، كلما طافوا شوطاً سجدوا لأصنامهم ، ولم يزدادوا بذلك من الله تعالى إلا بُعداً .

وقال السدي : شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو أن النصراني يُسأل من أنت؟ فيقول : أنا نصراني ، واليهودي يقول : أنا يهودي ، ويقال للمشرك : ما دينك؟ فيقول : مشرك . قال الله تعالى : ﴿أولئك حبّطت أعمالهم﴾ ، لأنها لغير الله عز وجل ، ﴿وفي النار هم خالدون﴾ .

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس : معناه شاهدين على رسولهم بالكفر؛ لأنه ما من بطن إلا ولدته ، ثم قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمْنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ ولم يخف في الدين غير الله ، ولم يترك أمر الله لخشية غيره ، ﴿فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ ، «وعسى» من الله واجب ، أي : فأولئك هم المهتدون ، والمهتدون هم المتمسكون بطاعة الله عز وجل التي تؤدي إلى الجنة .

أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبدالرحمن النسوي، حدثنا محمد بن الحسين الحيري، حدثنا محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن الفرغ الحجازي، حدثنا بقية، حدثنا أبو الحجاج، المهدي، عن عمرو بن الحارث، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ» فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ: «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ. مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»^(١).

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، أنبأنا محمد بن إسماعيل، حدثنا علي بن عبدالله، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا محمد بن مطرف، عن يزيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ عَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا عَدَا أَوْ رَاحَ»^(٢).

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا أبو عاصم، عن عبدالحميد بن جعفر، حدثني أبي عن محمود بن لبيد، أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أراد بناء المسجد فكره الناس ذلك، وأحبوا أن يدعه، فقال عثمان: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ كَهَيْئَتِهِ فِي الْجَنَّةِ»^(٣).

وأخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو طاهر الزيايدي، أخبرنا محمد بن الحسين القطان، حدثنا علي بن الحسين الدَّارَ أَبْجَرْدِي، حدثنا أبو عاصم بهذا الإسناد، وقال: «بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»^(٤).

(١) أخرجه الترمذي في الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة: ٣٦٦/٧، وقال: هذا حديث حسن غريب، وفي تفسير سورة التوبة: ٤٩٠/٨ وقال: حسن غريب، وابن ماجه في المساجد، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، برقم (٨٠٢): ٢٦٣/١، والدارمي في الصلاة، باب المحافظة على الصلوات: ٢٢٢/١، وصححه ابن حبان، ص(٩٩) من موارد الظمان، والحاكم: ٢١٢/١، ٢٣٢/٢، وتعبه الذهبي فقال: دراج كثير المناكير. وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٧٦، ٦٨/٣، وضعفه الألباني في تعليقه على المشكاة: ٢٢٤/١ وسلسلة الضعيفة: ١٧٨/٤.

(٢) أخرجه البخاري في صلاة الجماعة، باب فضل من غدا إلى المسجد أوراخ: ١٤٨/٢، ومسلم في المساجد، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا. برقم (٦٦٩): ٤٦٣/١، والمصنف في شرح السنة: ٣٥٢/٢.

(٣) أخرجه البخاري في الصلاة، باب من بنى مسجداً: ٥٤٤/١، ومسلم في المساجد، باب فضل بناء المساجد برقم (٥٣٣): ٣٧٨/١ بنحوه. والمصنف في شرح السنة: ٣٤٧/٢.

(٤) انظر: المراجع السابقة نفسها.

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^{١٩}

قوله عز وجل: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآية.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، حدثنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، حدثنا عبدالله بن حامد بن محمد الوزان، حدثنا أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبيدالله المعافري، حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي، حدثنا معاوية بن سلام، عن زيد بن سلام، عن أبي سلام، حدثنا النعمان بن بشير قال: كنتُ عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد أن أسقي الحاج. وقال الآخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد أن أعمر المسجد الحرام. وقال الآخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتما، فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليتُ دخلت فاستفتيت رسول الله ﷺ فيما اختلفتم فيه، ففعل فأنزل الله عز وجل: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال العباس حين أُسِرَ يوم بدر: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحاج، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأخبر أن عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله، والإيمان بالله والجهاد مع النبي ﷺ خير مما هم عليه^(٢).

وقال الحسن، والشعبي، ومحمد بن كعب القرظي، نزلت في علي بن أبي طالب، والعباس بن عبدالمطلب، وطلحة بن شيبه، افتخروا فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، وقال علي: ما أدري ما تقولون لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾^(٣).

(١) أخرجه مسلم في الإمامة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، برقم (١٨٧٩): ٣/١٤٩٩، والواحد في أسباب النزول ص(٢٧٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٤/١٧٠، أسباب النزول للواحد ص(٢٧٩).

(٣) أخرجه الطبري: ١٤/١٧١، والواحد ص(٢٧٩ - ٢٨٠). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة النبوية»: (١٨/٥ - ١٩) =

والسقاية : مصدر كالرعاية والحماية .

قوله : ﴿وعِمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر﴾ ، فيه اختصار تقديره : أ جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله وجهاد من جاهد في سبيل الله ؟ .
وقيل : السقاية والعمارة بمعنى الساقى والعامر . وتقديره : أ جعلتم ساقى الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجهاد في سبيل الله ؟ وهذا كقوله تعالى : «والعاقبة للمتقوى» أي : للمتقين ، يدل عليه قراءة عبدالله بن الزبير وأبي بن كعب «أ جعلتم سقاة الحاج وعمارة المسجد الحرام» ، على جمع الساقى والعامر .

﴿كمن آمن بالله واليوم الآخر وجهاد في سبيل الله لا يستؤون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي ، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي ، أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثني إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا يحيى بن مهلب ، عن حسين ، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى ، فقال العباس : يا فضل اذهب إلى أمك فات رسول الله ﷺ بشراب من عندها ، فقال : اسقني ، فقال : يارسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه ، قال : اسقني ، فشرب منه ، ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها ، فقال : اعملوا فإنكم على عمل صالح ، ثم قال : لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه ، وأشار إلى عاتقه^(١) .

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر ، أنا عبدالغافر بن محمد ، حدثنا محمد بن عيسى الجلودي حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ، عن مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن منهل الضرير ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا حميد الطويل عن بكر بن عبدالله المزني قال : كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فاتاه أعرابي فقال : ما لي أرى بني عمكم يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النبيذ؟ أمن حاجة بكم؟ أم من بخل؟ فقال ابن عباس : الحمد لله ما بنا حاجة ولا بخل ، قدم رسول الله ﷺ على راحلته وخلفه أسامة فاستسقى ، فأتيناه بإناء من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة ، وقال : أحستتم وأجملتكم كذا فاصنعوا ، فلا نريد تغيير ما أمر به رسول الله ﷺ .^(٢)

= من طبعة جامعة الإمام : «هذا اللفظ لا يعرف في شيء من كتب الحديث المعتمدة ، بل ودلالات الكذب عليه ظاهرة . منها : أن طلحة بن شيبه لا وجود له ، وإنما خادم الكعبة هوشبية بن عثمان بن أبي طلحة ، وهذا مما يبين لك أن الحديث لم يصح . . .
وقول علي : «صليت ستة أشهر قبل الناس» فهذا مما يعلم بطلانه بالضرورة ، فإن بين إسلامه وإسلام زيد وأبي بكر وخديجة يوماً أو نحوه فكيف يصلي قبل الناس بستة أشهر ؟ .

(١) أخرجه البخاري في الحج ، باب سقاية الحاج : ٤٩١/٣ .

(٢) أخرجه مسلم في الحج ، باب وجوب المبيت بمنى ليالي أيام التشريق . . . برقم (١٣١٦) : ٩٥٣/٢ .

الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا
 نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿١١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٢﴾ يَتَأْتِيهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ
 عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً﴾
 فضيلة، ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾، من الذين افتخروا بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْفَائِزُونَ﴾، الناجون من النار.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، قال مجاهد: هذه الآية متصلة بما
 قبلها، نزلت في قصة العباس وطلحة وأمتنا عهما من الهجرة^(١).

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: قال: لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى
 الْمَدِينَةِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ، يَقُولُونَ: نَشُدُّكَ بِاللَّهِ أَنْ لَا تُضَيِّعَنَا. فَيُرَقَّ لَهُمْ فَيْقِيمُ عَلَيْهِمْ
 وَيُدْعَى الْهَجْرَةَ، فَانزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ^(٢).

وقال مقاتل: نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة، فنهى الله عن ولايتهم،
 فانزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٣) بطانة وأصدقاء فتفشون إليهم
 أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة، ﴿إِنْ اسْتَحَبُّوا﴾، اختاروا ﴿الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾، ومن

(١) تفسير الطبري: ١٧٦/١٤. وعزه السيوطي لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ. انظر: الدر المنثور: ١٥٧/٤.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص(٢٨٠)، وعزه ابن حجر للثعلبي من رواية جوير عن الضحاك عن ابن عباس. انظر: الكافي
 الشاف ص(٧٤).

(٣) عزه ابن حجر للثعلبي. المرجع السابق.

قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ
 اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ
 مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ
 أَعَجَبْتُمْكُمْ كَثَرَتُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ
 الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾

يتولهم منكم ﴿٢٤﴾، فيطلعهم على عورة المسلمين ويؤثر المقام معهم على الهجرة والجهاد، ﴿فأولئك هم الظالمون﴾، وكان في ذلك الوقت لا يقبل الإيمان إلا من مهاجر، فهذا معنى قوله: ﴿فأولئك هم الظالمون﴾.

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ يامحمد للمتخلفين عن الهجرة: ﴿إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾، وذلك أنه لما نزلت الآية الأولى قال الذين أسلموا ولم يهاجروا: إِنْ نَحْنُ هَاجِرْنَا ضَاعَتْ أَمْوَالُنَا وَذَهَبَتْ تِجَارَاتُنَا وَخُرِبَتْ دُورُنَا وَقَطَعْنَا أَرْحَامَنَا، فنزل: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم: «عشيراتكم» بالألف على الجمع، والآخرون بلا ألف على التوحيد، لأن جمع العشيرة عشائر: ﴿وأموال اقترفتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها ﴿وتجارة تخشون كسادها ومسكين ترضونها﴾، أي: تستطيعونها يعني القصور والمنازل، ﴿أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترَبَّصُوا﴾، فانتظروا، ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾، قال عطاء: بقضائه. وقال مجاهد ومقاتل: بفتح مكة وهذا أمر تهديد، ﴿والله لا يهدي﴾ لا يُوقِّق ولا يُرشد ﴿القوم الفاسقين﴾، الخارجين عن الطاعة.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾، أي مشاهد، ﴿كثيرة ويوم حنين﴾، وحنين وإد بين مكة والطائف. وقال عروة: إلى جنب ذي المجاز.

وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة^(١): أن رسول الله ﷺ فتح مكة وقد بقيت عليه أيام من شهر رمضان، ثم خرج إلى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر ألفاً، - عشرة آلاف من المهاجرين

(١) انظر: سيرة ابن هشام: ٤٣٧/٢ وما بعدها، الدر المنثور: ١٥٨/٤ وما بعدها.

وألفان من الطلقاء، قال عطاء كانوا ستة عشر ألفاً.

وقال الكلبي: كانوا عشرة آلاف، وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط، والمشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف، وعلى هوازن مالك بن عوف النُصري، وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل الثقفي، فلما التقى الجمعان قال رجل من الأنصار يقال له سلمة بن سلامة بن وقش: لن نُغلب اليومَ عن قلة، فساء رسول الله ﷺ كلامه، ووكلوا إلى كلمة الرجل. وفي رواية: فلم يرض الله قوله، ووكّلهم إلى أنفسهم فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم المشركون وخلوا عن الذراري، ثم نادوا: يا حماة السواد اذكروا الفضائح، فترجعوا وانكشف المسلمون.

قال قتادة: وذكر لنا أن الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هربوا.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، [أخبرنا عبدالعزيز^(١)] أخبرنا عبدالغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا أبو خيثمة عن أبي إسحاق قال: قال رجل للبراء بن عازب: يا أبا عمارة فررتم يوم حنين؟ قال: لا والله ما ولّني رسول الله ﷺ، ولكنه خرج شُبَّانُ أصحابه وأخفأؤهم وهم حُسْرٌ ليس عليهم سلاح، أو كثير سلاح، فلقوا قوماً رماة لا يكاد يسقط لهم سهم، جمع هوازن وبني نصر، فرشقوهم رَشْقاً ما يكادون يخطؤون، فأقبلوا هناك إلى رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب يقود به، فنزل واستنصر وقال: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب، ثم صفهم^(٢).

ورواه محمد بن إسماعيل عن عبيدالله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق. وزاد قال: فما رُوي من الناس يومئذ أشد منه^(٣).

ورواه زكريا عن أبي إسحاق. وزاد قال البراء: كنا إذا احمرّ البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به - يعني النبي ﷺ^(٤) - .

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد والسير، باب غزوة حنين، برقم (١٧٧٦): ٣/١٤٠٠.

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد، باب من قال: خذها وأنا ابن فلان... ٦/١٦٤.

(٤) أخرجه مسلم في الموضع السابق: ٣/١٤٠١.

وروى شعبة عن أبي إسحاق قال: قال البراء: إن هوازن كانوا قوماً رماة، وإنّا لَمَّا لقيناهم حملنا عليهم، فانهزموا، فأقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسَّهَامِ، فأما رسول الله ﷺ فلم يفرّ.

قال الكلبي: كان حول رسول الله ﷺ ثلاثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس.

وقال آخرون: لم يبق مع النبي ﷺ يومئذ غير: العباس بن عبدالمطلب، وأبو سفيان بن الحارث، وأيمن بن أم أيمن، فقتل يومئذ بين يدي رسول الله ﷺ.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أخبرنا عبدالغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان / حدثنا مسلم بن الحجاج، قال: حدثنا أبو طاهر، أحمد بن عمرو بن سرح، حدثنا ابن وهب، أخبرنا يونس عن ابن شهاب، قال: حدثني كثير بن عباس بن عبدالمطلب قال: قال عباس: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث رسول الله ﷺ فلم نفارقه، ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار، وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان أخذ بركابه، فقال رسول الله ﷺ أي عبّاس: ناد أصحاب السّمرّة، فقال عباس - وكان رجلاً صبيّاً - فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السّمرّة؟ قال: فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يالبيك يالبيك، قال: فاقتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يامعشر الأنصار يامعشر الأنصار، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال: هذا حين حمي الوطيس^(١)، ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهنّ وجوه الكفار، ثم قال: انهزموا وربّ محمد، فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فمازلت أرى حدّهم قليلاً، وأمرهم مُدبراً^(٢).

وقال سلمة بن الأكوع: غزونا مع رسول الله ﷺ حيناً قال فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال «شاهت الوجوه»، فما خلق

(١) لم تسمع هذه الكلمة إلا من رسول الله ﷺ. والوطيس: حفرة تحتفر تحت الأرض، فتوقد فيها النار، ويصغر رأسها، ويحرق فيها حرق للدخان، ثم يوضع فيها اللحم ويسدّ، ثم يؤتى من الغد واللحم غاب لم يحترق. ولحمها شواء. وهي مجاز في شدة الحرب.

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، برقم (١٧٧٥): ٣/١٣٩٨ - ١٣٩٩، والمصنف في شرح السنة: ٣١/٣٢ - ٣٢.

الله منهم إنساناً إلا ملاً عينه تراباً بتلك القبضة، قَوْلُوا مُدْبِرِينَ، فهزمهم الله عز وجل فقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين^(١).

قال سعيد بن جبير: أمد الله تعالى نبيه ﷺ بخمسة آلاف من الملائكة مسومين^(٢).

وفي الخبر: أن رجلاً من بني نضر يقال له شجرة، قال للمؤمنين بعد القتال: أين الخيل البلق والرجال الذين عليهم ثياب بيض، ما كنا نراكم فيهم إلا كهيئة الشامة وما كان قتلنا إلا بأيديهم؟ فأخبروا بذلك النبي ﷺ فقال: تلك الملائكة.

قال الزهري: وبلغني أن شيبه بن عثمان بن طلحة قال^(٣): استدبرت رسول الله ﷺ يوم حنين وأنا أريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن طلحة، وكانا قد قتلنا يوم أحد، فأطلع الله رسوله ﷺ على ما في نفسي فالتفت إليّ وضرب في صدري وقال أعيذك بالله يا شيبه، فأرعدت فرائصي، فنظرت إليه فهو أحب إلي من سمعي وبصري، فقلت: أشهد أنك رسول الله، وأن الله قد أطلعك على ما في نفسي.

فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين، انطلقوا حتى أتوا أوطاس وبها عيالهم وأموالهم، فبعث رسول الله رجلاً من الأشعريين يقال له أبو عامر وأمّره على جيش المسلمين إلى أوطاس، فسار إليهم فاقتلبوا، وقتل: دريد بن الصمة، وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيالهم، وهرب أميرهم مالك بن عوف النصري، فأتى الطائف فتحصن بها وأخذ ماله، وأهله فيمن أخذ. وقتل أمير المسلمين أبو عامر^(٤).

قال الزهري: أخبرني سعيد بن المسيب أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف سبي، ثم إن رسول الله ﷺ أتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر، فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم، فأتى الجعرانة فأحرم منها بعمرة وقسم فيها غنائم حنين وأوطاس، وتآلف أناساً، منهم: أبو سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، والأقرع بن حابس، فأعطاهم^(٥).

(١) أخرجه مسلم في الموضع السابق، برقم (١٧٧٧): ١٤٠٢/٣.

(٢) عزاه السيوطي لابن أبي حاتم. الدر المنثور: ١٦١/٤.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام: ٤٤٤/٢.

(٤) سيرة ابن هشام: ٤٤٩/٢، ٤٥٣، طبقات ابن سعد: ١٥١/٢ - ١٥٢.

(٥) انظر: إمتاع الأسماع للمقريزي: ٤٢٢/١ - ٤٢٣.

أخبرنا عبدالوحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، حدثنا الزهري، أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه أن أناساً من الأنصار قالوا لرسول الله - حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء، فطَفِقَ يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل - فقالوا: يَغْفِرُ اللهُ لرسولِ اللهِ ﷺ يعطي قريشاً وَيَدْعُنَا وسيوفنا تَقْطُرُ من دمائهم؟ قال أنس: فَحَدَّثَ رسولُ اللهِ ﷺ بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار، فجمعهم في قُبَّةٍ من آدمٍ ولم يَدْعُ معهم أحداً غيرهم، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال: ما كان حديثٌ بلغني عنكم؟ فقال له فقهاؤهم أما ذُوو رأينا يارسول الله، فلم يقولوا شيئاً، وأما أناسٌ منّا حديثُهُ أسنانُهُم فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويترك الأنصار وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقال رسول الله ﷺ: إني لأعطي رجالاً حديثي عهد بكفر، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رحالكم برسول الله ﷺ؟ فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، قالوا: بلى يارسول الله قد رضينا، فقال لهم «إنكم سترون بعدي أثرٌ شديدة، فاصبروا حتى تَلْقُوا الله ورسوله على الحوض»^(١).

وقال يونس عن ابن شهاب: «فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بالكفر أتألفهم»، وقال: «فاصبروا حتى تَلْقُوا الله ورسوله فإني على الحوض»، قالوا: سنصبر»^(٢).

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا عمرو بن يحيى عن عباد بن تميم عن عبدالله بن زيد بن عاصم قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حُنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً، فكانهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصابه الناس، فخطبهم فقال: «يامعشر الأنصار ألم أجدكم ضلّالاً فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وكنتم عالةً فأغناكم الله بي؟ كلما قال شيئاً قالوا: اللّهُ ورسولُهُ أَمْنٌ قال: ما يمنعكم أن تُجيبوا رسولَ اللهِ كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أَمْنٌ؟ قال: لو شئتم قلتم كذا وكذا، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً أو شِعْباً لسلكت وادي

(١) أخرجه البخاري في فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة: ٢٥٠/٦ - ٢٥١، ومسلم في الزكاة، باب إعطاء المؤلفة

قلوبهم، برقم (١٠٥٩): ٧٣٣/٢ - ٧٣٤.

(٢) في رواية مسلم، في الموضع السابق.

الأنصار وشعبهم، الأنصار شعارٌ والناسُ دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرةً فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»^(١).

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أخبرنا عبدالغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن / أبي عمر المكي، حدثنا سفيان عن عمر بن سعيد بن مسروق عن أبيه عن عباية بن رفاع، عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الإبل، وأعطى عباس بن مرداس ذلك، فقال عباس بن مرداس:

فَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ * يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ
أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعَبْدِ * يَدِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَالْأَقْرَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهُمَا * وَمَنْ تَخْفِضَ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ

قال: فأتى له رسول الله ﷺ مائة^(٢).

وفي الحديث: أن ناساً من هوازن أقبلوا مسلمين بعد ذلك، فقالوا: يارسول الله أنت خير الناس وأبرُّ الناس، وقد أخذت أبنائنا ونساءنا وأموالنا^(٣).

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا سعيد بن عفير، حدثني الليث، حدثني عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير: أن مروان والمسور بن مخرمة أخبراه أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن معي من ترون وأحبُّ الحديث إليَّ أصدقه، فاختروا إحدى الطائفتين: إما السبي، وإما المال. قالوا: فإننا نختار سبينا. فقام رسول الله ﷺ فأثنى على الله عز وجل بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء جاؤوا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك لهم فليفعل، ومن أحب أن يكون على حظ حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا، فليفعل فقال الناس: قد طيبتنا ذلك

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الطائف: ٤٧/٨، ومسلم في الزكاة، باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام، برقم

(١٠٦١): ٧٣٨/٢، والمصنف في شرح السنة: ٣٤/١٤.

(٢) أخرجه مسلم في الموضع السابق برقم (١٠٦٠): ٧٣٧/٢.

(٣) ذكره الثعلبي بغير سند، وذكره ابن إسحاق وموسى بن عقبة في المغازي مطولاً. انظر: الكافي الشاف ص(٧٤)، فتح الباري: ٣٨/٨.

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ
 نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً
 فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾

يارسول الله فقال رسول الله ﷺ: إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم، فرجع الناس، فكلّمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذّنوا^(١). فأنزل الله تعالى في قصة حنين: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾، حتى قلت: لن تغلب اليوم من قلة، ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ﴾، كثرتكم، ﴿شَيْئًا﴾، يعني إن الظفر لا يكون بالكثرة، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ﴾، أي برحبها وسعتها، ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾، منهزمين.

﴿ثم أنزل الله﴾ بعد الهزيمة، ﴿سكينة﴾، يعني: الأمانة والطمأنينة، وهي فعيلة من السكون ﴿على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها﴾، يعني: الملائكة. قيل: لا للقتال، ولكن لتجيب الكفار وتشجيع المسلمين، لأنه يُروى: أن الملائكة لم يقاتلوا إلا يوم بدر، ﴿وعذب الذين كفروا﴾، بالقتل والأسر وسبي العيال وسلب الأموال، ﴿وذلك جزاء الكافرين﴾.

﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾، فيهديه إلى الإسلام، ﴿والله غفور رحيم﴾.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس﴾ الآية، قال الضحاك وأبو عبيدة: نجس: قذر. وقيل: خبيث. وهو مصدر يستوي فيه الذكر والأنثى والثنية والجمع، فأما النجس: بكسر النون وسكون الجيم، فلا يقال على الانفراد، إنما يقال: رجس نجس، فإذا أفرّد قيل: نجس، بفتح النون وكسر الجيم، وأراد به: نجاسة الحكم لا نجاسة العين، سُموا نجساً على الدم. وقال قتادة: سماهم نجساً لأنهم يُجنبون فلا يغتسلون ويُحدّثون فلا يتوضؤون.

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب قوله تعالى: «ويوم حنين...»: ٣٢/٨-٣٣.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرُبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾، أراد منعهم من دخول الحرم لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام، وأراد به الحرم وهذا كما قال الله تعالى: «سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» «الإسراء - ١»، وأراد به الحرم لأنه أسرى به من بيت أم هانئ.

قال الشيخ الإمام الأجل: وجملة بلاد الإسلام في حق الكفار على ثلاثة أقسام:

أحدها: الحرم، فلا يجوز للكافر أن يدخله بحال، ذمياً كان أو مستأثماً، لظاهر هذه الآية، وإذا جاء رسول من بلاد الكفار إلى الإمام والإمام في الحرم لا يأذن له في دخول الحرم، بل يبعث إليه من يسمع رسالته خارج الحرم. وجوز أهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم.

والقسم الثاني من بلاد الإسلام: الحجاز، فيجوز للكافر دخولها بالإذن ولكن لا يقيم فيها أكثر من مقام السفر وهو ثلاثة أيام، لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لئن عشتُ إن شاء الله تعالى لأخرجنَّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً»^(١). فمضى رسول الله ﷺ وأوصى فقال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»^(٢)، فلم يتفرغ لذلك أبو بكر رضي الله عنه، وأجلاه عمر رضي الله عنه في خلافته، وأجل لمن يقدم منهم تاجراً ثلاثاً. وجزيرة العرب من أقصى عدن أبين إلى ريف العراق في الطول، وأما العرض فمن جدة وما وآلها من ساحل البحر إلى أطراف الشام.

والقسم الثالث: سائر بلاد الإسلام، فيجوز للكافر أن يقيم فيها بدمه وأمان، ولكن لا يدخلون المساجد إلا بإذن مسلم.

قوله: ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾، يعني: العام الذي حجَّ فيه أبو بكر رضي الله عنه بالناس، ونادى علي كرم الله وجهه ببراءة، وهو سنة تسع من الهجرة.

قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾، وذلك أن أهل مكة كانت معاشهم من التجارات وكان المشركون يأتون مكة بالطعام ويتجرون، فلما مُنِعُوا من دخول الحرم خافوا الفقر، وضيق العيش، وذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ فقرأ وفاقاً. يُقال: عال يعيل عَيْلَةً، ﴿فَسَوْفَ

(١) أخرجه مسلم في الجهاد، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، برقم (١٧٦٧): ١٣٨٨/٣، والمصنف في شرح السنة: ١٨٢/١١.

(٢) أخرجه البخاري في باب إخراج اليهود من جزيرة العرب من كتاب الجزية: ٢٧١/٦، مطولاً، ومسلم في الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، برقم (١٦٣٧): ١٢٥٧/٣ - ١٢٥٨، والمصنف في شرح السنة: ١٨٠/١١ - ١٨١.

قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا
 الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾

يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾ ، قال عكرمة : فأغناهم الله عز وجل بأن أنزل عليهم
 المطر مدراراً فكثر خيرهم . وقال مقاتل : أسلم أهل جدة وصنعاء وجريش من اليمن وجلبوا الميرة
 الكثيرة إلى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون . وقال الضحاك وقتادة : عوّضهم الله منها الجزية فأغناهم
 بها . وذلك : قوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ ، قال مجاهد : نزلت هذه الآية حين أمر
 رسول الله ﷺ بقتال الروم ، فغزا بعد نزولها غزوة تبوك (١) .

وقال الكلبي : نزلت في قريظة والنضير من اليهود ، فصالحهم وكانت أول جزية أصابها أهل
 الإسلام ، وأول ذلّ أصاب أهل الكتاب / بأيدي المسلمين .

ب / ٨٥٥

قال الله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ، فإن قيل : أهل الكتاب
 يؤمنون بالله واليوم الآخر؟ قيل : لا يؤمنون كإيمان المؤمنين ، فإنهم إذا قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن
 الله ، لا يكون ذلك إيماناً بالله . ﴿ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ ﴾ ، أي : لا
 يدينون الدين الحق ، أضاف الاسم إلى الصفة . وقال قتادة : الحق هو الله ، أي : لا يدينون دين الله ،
 ودينه الإسلام . وقال أبو عبيدة : معناه لا يطيعون الله تعالى طاعة أهل الحق . ﴿ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْكِتَابَ ﴾ ، يعني : اليهود والنصارى . ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴾ ، وهي الخراج المضروب على رقابهم ،
 ﴿ عَن يَدٍ ﴾ ، عن قهر وذلّ . قال أبو عبيدة : يقال لكل من أعطى شيئاً كرهاً من غير طيب نفس : أعطاه
 عن يدٍ . وقال ابن عباس : يعطونها بأيديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم . وقيل : عن يدٍ أي : عن
 نقد لا نسيئة . وقيل : عن إقرار بإنعام المسلمين عليهم بقبول الجزية منهم ، ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ ،
 أذلاء مقهورون . قال عكرمة : يعطون الجزية عن قيام ، والقابض جالس . وعن ابن عباس قال : تؤخذ
 منه وبوطاً عنقه .

وقال الكلبي : إذا أعطى صفع في قفاه .

وقيل : يؤخذ بلحيته ويضرب في لهزمته .

(١) انظر: الدر المنثور: ١٦٧/٤ .

وقيل : يُلبَّب ويُجر إلى موضع الإعطاء بعنف .

وقيل : إعطاؤه إياها هو الصغار .

وقال الشافعي رحمه الله : الصغار هو جريان أحكام الإسلام عليهم .

واتفقت الأمة على جواز أخذ الجزية من أهل الكتابين ، وهم اليهود والنصارى إذا لم يكونوا عرباً .

واختلفوا في الكتابي العربي وفي غير أهل الكتاب من كفار العجم ، فذهب الشافعي : إلى أن الجزية على الأديان لا على الأنساب ، فتؤخذ من أهل الكتاب عرباً كانوا أو عجماً ، ولا تؤخذ من أهل الأوثان بحال ، واحتج بأن النبي ﷺ أخذها من أكيدر دومة ، وهو رجل من العرب يقال : إنه من غسان ، وأخذ من أهل ذمة اليمن ، وعامتهم عرب .

وذهب مالك والأوزاعي : إلى أنها تؤخذ من جميع الكفار إلا المرتد .

وقال أبو حنيفة تؤخذ من أهل الكتاب على العموم ، وتؤخذ من مشركي العجم ، ولا تؤخذ من مشركي العرب . وقال أبو يوسف : لا تؤخذ من العربي ، كتابياً كان أو مشركاً ، وتؤخذ من العجمي كتابياً كان أو مشركاً .

وأما المجوس : فاتفقت الصحابة رضي الله عنهم على أخذ الجزية منهم .

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب ، أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال ، أخبرنا أبو العباس الأصم ، أخبرنا الربيع ، أخبرنا الشافعي ، أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار سمع بَجالة يقول : لم يكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبدالرحمن بن عوف أن النبي ﷺ أخذها من مجوس هَجْر^(١) .

أخبرنا أبو الحسن السرخسي ، أخبرنا زاهر بن أحمد أبو إسحاق الهاشمي ، أخبرنا أبو مصعب ، عن مالك ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال : ما أدري كيف أصنع

(١) أخرجه البخاري في الجزية والموادعة - باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب : ٢٥٧/٦ .

في أمرهم؟ فقال عبدالرحمن بن عوف: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ»^(١). وفي امتناع عمر رضي الله عنه عن أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبدالرحمن [بن عوف أن النبي ﷺ أخذها من مجوس هجر، دليل على أن رأي الصحابة كان على أنها لا تُؤخذ]^(٢) من كل مشرك، وإنما تُؤخذ من أهل الكتاب.

واختلفوا في أن المجوس: هل هم من أهل الكتاب أم لا؟ فرُوي عن علي رضي الله عنه قال: كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحوا، وقد أسري على كتابهم، فرفع من بين أظهرهم^(٣). واتفقوا على تحريم ذبائح المجوس ومناكحتهم بخلاف أهل الكتابين.

أما من دخل في دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين نُظِرَ: إن دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل يُقْرُونَ بالجزية، وتحل مناكحتهم وذبائحهم، وإن دخلوا في دينهم بعد النسخ بمجيء محمد ﷺ لا يُقْرُونَ بالجزية، ولا تحل مناكحتهم وذبائحهم، ومن شككنا في أمرهم أنهم دخلوا فيه بعد النسخ أو قبله: يقرون بالجزية تغليباً لحقن الدم، ولا تحل مناكحتهم وذبائحهم تغليباً للتحريم، فمنهم نصارى العرب من تنوخ وبهراء وبني تغلب، أقرهم عمر رضي الله عنه على الجزية، وقال: لا تحل لنا ذبائحهم.

وأما قدر الجزية: فأقله دينار، لا يجوز أن ينقص منه، ويقبل الدينار من الفقير والغني والوسط لما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا عبدالرزاق أخبرنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن مسروق عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال:

(١) أخرجه مالك في الموطأ، باب الزكاة: ٢٧٨/١، والشافعي: ١٣٠/٢ (ترتيب المسند)، وأبو عبيد في الأموال ص(٤٢)، وابن أبي شيبة في المصنف: ٢٢٤/٣، والخطيب في تاريخ بغداد: ٨٨/١٠، والبيهقي في السنن: ١٨٩/٩، والمصنف في شرح السنة: ١٦٩/١١. وقال ابن عبد البر: هذا حديث منقطع، لكن معناه يتصل من وجوه حسن. وانظر: نصب الراية: ٤٤٨/٣ - ٤٤٩، مجمع الزوائد: ١٣/٦، إرواء الغليل: ٨٨/٥.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) جاء ذلك في خبر عن علي رضي الله عنه أخرجه الشافعي في المسند: ١٣١/٢، وفيه سعيد بن المرزبان: مجروح. قال يحيى بن سعيد القطان: لا أستحل أروى عنه. وانظر: نصب الراية: ٤٤٩/٣ - ٤٥٠.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ
ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
قَالَهُمْ اللَّهُ أَفَنُؤْفَكَونَ ﴿٣٠﴾

بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فأمره أن يأخذ من كل حالم ديناراً أو عدله مَعَاْفِرًا^(١). فالنبي ﷺ أمره أن يأخذ من كل حَالِمٍ، أي بالغ ديناراً ولم يفصل بين الغني والفقير والوسط، وفيه دليل على أنها لا تجب على الصبيان وكذلك لا تجب على النسوان، إنما تؤخذ من الأحرار العاقلين البالغين من الرجال. وذهب قوم إلى أنه على كل موسر أربعة دنانير، وعلى كل متوسط ديناران، وعلى كل فقير دينار، وهو قول أصحاب الرأي.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾، روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ جماعة من اليهود: سلام بن مشكم، والنعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٢).

قرأ عاصم والكسائي ويعقوب ﴿عزير﴾ بالتنوين والآخرين بغير تنوين؛ لأنه اسم أعجمي ويشبه اسماً مصغراً، ومن نون قال: لأنه اسم خفيف، فوجهه أن يصرف، وإن كان أعجمياً مثل نوح وهود ولوط. واختار أبو عبيدة التنوين وقال: لأن هذا ليس بمنسوب إلى أبيه، إنما هو كقولك زيد ابن الأمير وزيد ابن أختنا، فعزير مبتدأ وما بعده خبر له.

وقال عبيد بن عمير: إنما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء^(٣).

(١) أخرجه الترمذي في الزكاة، باب ما جاء في زكاة البقر: ٢٥٧/٣ وقال: هذا حديث حسن. وأبو داود في الامارة، باب في أخذ الجزية: ٢٤٩/٤، والنسائي في الزكاة: ٢٥/٥-٢٦، وابن حبان في موارد الظمان ص(٧٩٤) والإمام أحمد في المسند: ٢٣٠/٥، ٢٣٣، وصححه الحاكم: ٣٩٨/١، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٧٢/١١.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير: ٢٠٢/١٤، وابن اسحاق في السيرة: ٥٧٠/١، وعزاه السيوطي أيضاً مع الرواية الأخرى لابن أبي حاتم: وأبي الشيخ وابن مردويه. الدر المنثور: ١٧٠/٤ - ١٧١.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠١/١٤، وأخرجه ابن المنذر عن ابن جريج. الدر المنثور: ١٧١/٤.

وهو الذي قال: «إن الله فقير ونحن أغنياء» «آل عمران - ١٨١».

وروى عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنما قالت اليهود عزيز ابن الله من أجل أن عزيزاً كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم، فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق، فرفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم، فدعا الله عزيزاً وابتهل إليه أن يرد إليه الذي نسخ من صدورهم، فبينما هو يصلي مبتهلاً إلى الله تعالى نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت إليه التوراة فأذن في قومه، وقال: يا قوم قد آتاني الله التوراة وردها إليّ افعلت به / الناس ١٥٦ / أ يعلمهم، فمكثوا ما شاء الله تعالى، ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم، فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزيز فوجدوه مثله، فقالوا: ما أوتي عزيز هذا إلا أنه ابن الله^(١).

وقال الكلبي: إن باختصر لما ظهر على بني إسرائيل وقتل منهم من قرأ التوراة، وكان عزيز إذ ذاك صغيراً فاستصغره فلم يقتله، فلما رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله عزيزاً ليجدد لهم التوراة وتكون لهم آية بعد مائة سنة، يقال: أتاه ملك بإناء فيه ماء فسقاه فمثلت التوراة في صدره، فلما أتاهم قال أنا عزيز فكذبوه وقالوا إن كنت كما تزعم فأمل علينا التوراة، فكتبها لهم، ثم إن رجلاً قال: إن أبي حدثني عن جدي أن التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم، فانطلقوا معه حتى أخرجوها، فعارضوها بما كتب لهم عزيز فلم يجده غادر منها حرفاً، فقالوا: إن الله لم يقذف التوراة في قلب رجل إلا لأنه ابنه، فعند ذلك قالت اليهود: عزيز ابن الله.

وأما النصارى فقالوا: المسيح ابن الله، وكان السبب فيه أنهم كانوا على دين الإسلام إحدى وثمانين سنة بعدما رُفع عيسى عليه السلام يُصلُّون إلى القبلة، ويصومون رمضان، حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حرب، وكان في اليهود رجل شجاع يقال له «بولص» قتل جملة من أصحاب عيسى عليه السلام، ثم قال لليهود: إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا به والنار مصيرنا، فنحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار، فإني أحتال وأضلُّهم حتى يدخلوا النار، وكان له فرس يقال له العقاب يقاتل عليه فعرقب فرسه وأظهر الندامة، ووضع على رأسه التراب، فقال له النصارى: من أنت؟ قال: بولص عدوكم، فنوديت من السماء: ليست لك توبة إلا أن تتنصَّر، وقد تبت. فأدخلوه الكنيسة، ودخل بيتاً

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٢/١٤ - ٢٠٣. وانظر: الدر المنثور: ١٧١/٤.

اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُ الْهُوسَبِحَانَهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

سنة لا يخرج منه ليلاً ولا نهاراً حتى تعلّم الإنجيل، ثم خرج وقال: نوديت أن الله قبل توبتك، فصدقوه وأحبوه، ثم مضى إلى بيت المقدس، واستخلف عليهم نسطورا وعلمه أن عيسى ومريم والإله كانوا ثلاثة، ثم توجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت، وقال: لم يكن عيسى بإنس ولا بجسم، ولكنه ابن الله، وعلم ذلك رجلاً يقال له «يعقوب» ثم دعا رجلاً يقال له ملكا، فقال: إن الإله لم يزل ولا يزال عيسى، فلما استمكن منهم دعا هؤلاء الثلاثة واحداً واحداً، وقال لكل واحد منهم: أنت خالستي، وقد رأيت عيسى في المنام فرضي عني. وقال لكل واحد منهم: إني غداً أذبح نفسي، فادعُ الناس إلى نِحْلَتِكَ. ثم دخل المذبح فذبح نفسه وقال: **بِمَا أَفْعَلُ ذَلِكَ لمرضاة عيسى، فلما كان يوم ثالثه دعا كل واحد منهم الناس إلى نِحْلَتِهِ، فتبع كل واحد طائفة من الناس، فاختلفوا واقتتلوا فقال الله عز وجل: ﴿وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ ذلك قولهم بأفواههم﴾، يقولون بألستهم من غير علم. قال أهل المعاني: لم يذكر الله تعالى قولاً مقروناً بالأفواه والألسن إلا كان ذلك زوراً. ﴿يُضَاهَوْنَ﴾، قرأ عاصم بكسر الهاء مهموزاً، والآخرين بضم الهاء غير مهموز، وهما لغتان يقال: ضاهيته وضاهاته، ومعناها واحد. قال ابن عباس رضي الله عنه: يشابهون. والمضاهاة المشابهة. وقال مجاهد: يواطؤون. وقال الحسن: يوافقون، ﴿قول الذين كفروا من قبل﴾، قال قتادة والسدي: ضاهت النصارى قول اليهود من قبل، فقالوا: المسيح ابن الله، كما قالت اليهود: عزيز ابن الله. وقال مجاهد: يضاؤون قول المشركين من قبل الذين كانوا يقولون اللات والعزى ومناة بنات الله. وقال الحسن: شبه كفرهم بكفر الذين مضوا من الأمم الكافرة كما قال في مشركي العرب: «كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم» (البقرة - 188). وقال القتيبي: يريد أن من كان في عصر النبي ﷺ من اليهود والنصارى يقولون ما قال أولهم، ﴿قاتلهم الله﴾، قال ابن عباس: لعنهم الله. وقال ابن جريج: أي: قتلهم الله. وقيل: ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب، ﴿أنى يؤفكون﴾، أي: يصرفون عن الحق بعد قيام الأدلة عليه.**

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾، أي: علماءهم وقراءهم، والأخبار: العلماء، واحداً حبر،

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ
 الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ
 عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

وحبر بكسر الحاء وفتحها، والرهبان من النصارى أصحاب الصوامع فإن قيل: إنهم لم يعبدوا الأبحار والرهبان؟ فلنا: معناه أنهم أطاعوهم في معصية الله واستحلوا ما أحلوا وحرّموا ما حرّموا، فاتخذوهم كالأرباب. روي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي «يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك»، فطرحته ثم انتهيت إليه وهو يقرأ: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾، حتى فرغ منها، قلت له: إنا لسنا نعبدهم، فقال: «أليس يُحرّمون ما أحلّ الله فتحرمونه ويحلّون ما حرّم الله فتستحلونه»؟ قال قلت: بلى، قال: «فتلك عبادتهم»^(١).

قال عبدالله بن المبارك:

وهل بدّل الدينَ إلّا الملوك * وأجبارُ سنوءٍ ورهبانها

﴿والمسيح ابن مريم﴾، أي: اتخذهوا إلهاً، ﴿وما أمروا إلّا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يُشركون﴾.

﴿يريدون أن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، أي: يبطلوا دين الله بألسنتهم وتكذيبهم إياه. وقال الكلبي: النور القرآن، أي: يريدون أن يردوا القرآن بألسنتهم تكديماً، ﴿ويأبى الله إلّا أن يُتِمَّ نُورَهُ﴾، أي: يُعَلِّي دِينَهُ وَيُظْهِرُ كَلِمَتَهُ وَيَتِمُّ الْحَقُّ الَّذِي بَعَثَ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿هو الذي أرسل رسوله﴾، يعني: الذي يأبى إلّا إتمام دينه هو الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ، ﴿بِالهُدَى﴾، قيل: بالقرآن. وقيل: ببيان الفرائض، ﴿ودين الحق﴾، وهو الإسلام، ﴿ليظهره﴾،

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ٢١٠/١٤. ورواه مختصراً الترمذي في تفسير سورة براءة: ٤٩٢/٨ - ٤٩٤، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلّا من حديث عبدالسلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث. وعزاه السيوطي أيضاً: لابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي. انظر: الدر المنثور: ١٧٤/٤، الكافي الشاف ص(٧٥)، جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ص(٤٣٧).

ليعليه وينصره، ﴿على الدين كله﴾، على سائر الأديان، ﴿ولو كره المشركون﴾.

واختلفوا في معنى هذه الآية: فقال ابن عباس: الهاء عائدة إلى رسول الله ﷺ أي: ليعلمه شرائع الدين كلها فيظهره عليها حتى لا يخفى عليه منها شيء.

وقال الآخرون: الهاء راجعة إلى دين الحق، وظهوره على الأديان هو أن لا يُدانَ الله تعالى إلا به.

وقال أبو هريرة والضحاك: وذلك عند نزول عيسى بن مريم لا يبقى أهل دين إلا دخل في الإسلام / وروينا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في نزول عيسى عليه السلام قال: «ويهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام»^(١). وروى المقداد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض بيتٌ مدرٍ ولا وبرٍ إلا أدخله الله كلمة الإسلام إما بعزٍّ عزيز أو ذلٍّ ذليل»^(٢)، إما يعزهم الله فيجعلهم من أهله، فيعز به، أو يذلهم فيدينون له.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب، حدثنا أبو جعفر محمد سليمان بن منصور، حدثنا أبو مسلم بن إبراهيم بن عبد الله الكجي، حدثنا أبو عاصم النبيل، حدثنا عبد الحميد، هو ابن جعفر، عن الأسود بن العلاء، عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبدَ اللات والعزى»، قالت: قلت يارسول الله ما كنت أظن أن يكون ذلك بعدما أنزل الله تعالى عليك: «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون». ثم قال: «يكون ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله تعالى ريحاً طيبة، فتقبض من كان في قلبه مثقال ذرة من خير، ثم يبقى من لا خير فيه، فيرجع الناس إلى دين آبائهم»^(٣).

قال الحسين بن الفضل: معنى الآية ليظهره على الدين كله بالحجج الواضحة.

وقيل: ليظهره على الأديان التي حول النبي ﷺ فيغلبهم.

قال الشافعي رحمه الله: فقد أظهر الله رسوله ﷺ على الأديان كلها بأن أبان لكل من سمعه أنه

(١) قطعة من حديث أبي هريرة، أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤٣٧/٢. وقال الحافظ ابن حجر: رواه أحمد وأبو داود بإسناد صحيح من طريق عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤/٦. وذكره الهيثمي من رواية المقداد وتميم الداري وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجال الطبراني رجال الصحيح. مجمع الزوائد: ١٤/٦. هذا، وفي نسخة «أ» جاء في الرواية: «يعز عزيزاً ويذل ذليلاً».

(٣) أخرجه مسلم في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة برقم (٢٩٠٧): ٤/٢٢٣٠ والمصنف في شرح السنة:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾

الحق، وما خالفه من الأديان باطل، وقال: وأظهره بأن جماع الشرك دينان: دين أهل الكتاب، ودين أميين فقهر رسول الله ﷺ الأميين حتى دانوا بالإسلام طوعاً وكرهاً، وقتل أهل الكتاب وسبى، حتى دان بعضهم بالإسلام، وأعطى بعضهم الجزية صاغرين، وجرى عليهم حكمه، فهذا ظهوره على الدين كله، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ﴾، يعني: العلماء والقراء من أهل الكتاب، ﴿لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾، [يريد: ليأخذون] (١) الرشا في أحكامهم، ويحرفون كتاب الله، ويكتبون بأيديهم كتباً يقولون، هذه من عند الله، ويأخذون بها ثمناً قليلاً من سفلتهم، وهي المآكل التي يصيبونها منهم على تغيير نعت النبي ﷺ، يخافون لو صدقوهم لذهبت عنهم تلك المآكل، ﴿وَيَصُدُّونَ﴾، ويصرفون الناس، ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، دين الله عز وجل.

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، قال ابن عمر رضي الله عنهما: كل مال تؤدى زكاته فليس بكنز، وإن كان مدفوناً. وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز، وإن لم يكن مدفوناً. ومثله عن ابن عباس.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثني سويد بن سعيد، حدثنا حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم أن أبا صالح ذكوان أخبره أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَبِينُهُ، وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ، وَلَا صَاحِبَ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمَنْ حَقَّهَا حَلَبَهَا يَوْمَ وُرْدِهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ، أَوْفَرَّ مَا كَانَتْ، لَا يَفْقَدُ مِنْهَا فَصِيلاً وَاحِداً، تَطَوَّهَ بِأَخْفَافِهَا، وَتَعَضَّهَ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ

(١) في (أ): (يريدون يأخذون).

أولاًها رُدَّ عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي الله بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، ولا صاحب بقرٍ ولا غنم، لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، يُطَحَّ لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً ليس فيها عقصاء، ولا جلداء، ولا عضباء، تنطحه بقرونها، وتطوُّه بأظلافها، كلما مرَّ عليه أولاًها، رُدَّ عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي الله بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار^(١).

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مثلَّ له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، فيأخذ بلهزمتيه، يعني: شدقيه، ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله﴾ الآية^(٢).

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز، أدت منه الزكاة أولم تؤدَّ، وما دونها نفقة^(٣).

وقيل: ما فضل عن الحاجة فهو كنز. أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أخبرنا عبدالغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة، فلما رأيته قال: «هم الأخسرون ورب الكعبة»، قال: فجتحت حتى جلست، فلم أتقار أن قمت فقلت: يا رسول الله فذاك أبي وأمي، من هم؟ قال: «هم الأكثرون أموالاً إلا من قال: هكذا وهكذا وهكذا، من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، وقليل ما هم»^(٤).

وروي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه كان يقول: من ترك بيضاء، أو حمراء، كوي بها يوم القيامة^(٥).

(١) أخرجه مسلم في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة - برقم (٩٨٧): ٦٨٠/٢ - ٦٨١، والمصنف في شرح السنة: ٤٨٠/٥.

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة: ٢٦٨/٣، والمصنف في شرح السنة: ٤٧٨/٥.

(٣) أخرجه الطبري في التفسير: ٢١٩/١٤ - ٢٢٠.

(٤) أخرجه البخاري في الإيمان - باب كيف كان يمين النبي ﷺ: ٥٢٤/١١، ومسلم في الزكاة، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة - برقم (٩٩٠): ٦٨٦/٢.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٦٨/٥، والطبري: ٢٢٠/١٤. وعزاه ابن حجر أيضاً للبخاري في التاريخ - وابن مردويه من طريق عبدالله بن عبدالواحد الثقفي عن أبي النجيب الشامي عن أبي ذر، وعن ثوبان أخرجه ابن مردويه والطبراني في مسند الشاميين بلفظ آخر. انظر: الكافي الشاف ص(٧٥-٧٦).

يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ
هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذَوْقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزُرُونَ ﴿٣٥﴾

وروي عن أبي أمامة قال: مات رجل من أهل الصُّفَّة، فوجد في مئزره دينار، فقال النبي ﷺ «كَيْتَانِ»^(١).

والقول الأول أصح؛ لأن الآية في منع الزكاة لا في جمع المال الحلال. قال النبي ﷺ: «نِعْمَ المال الصالح للرجل الصالح»^(٢).

وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية، كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع أحد منا أن يدع لولده شيئاً، فذكر عمر ذلك لرسول الله فقال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَفْرَضِ الزَّكَاةَ إِلَّا لِيُطَيَّبَ بِهَا مَا بَقِيَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ»^(٣).

وسئل ابن عمر رضي الله عنهما عن هذه الآية؟ فقال: كان ذلك قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طَهْرًا لِلْأَمْوَالِ.

وقال ابن عمر: ما أبالي لو أن لي مثل أحد ذهباً أعلم عدده / أزيه وأعمل بطاعة الله. ١٥٧ / أ

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ولم يقل: ولا ينفقونها، وقد ذكر الذهب والفضة جميعاً. قيل: أراد الكنوز وأعيان الذهب والفضة. وقيل: رد الكناية إلى الفضة لأنها أعم، كما قال تعالى: «وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ» «البقرة - ٤٥»، رد الكناية إلى الصلاة لأنها أعم، وكقوله تعالى: «وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا» (الجمعة - ١١) رد الكناية إلى التجارة لأنها أعم، ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. أي: أنذرهم.

﴿يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾، أي: تدخل النار فيوقد عليها أي على الكنوز، ﴿فَتُكْوَى﴾

(١) أخرجه الإمام أحمد: ١٠١/١. قال ابن حجر: رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى والطبراني والطبري - من طريق شهر بن حوشب - ورواه ابن حبان من حديث ابن مسعود بالشرط الثاني. انظر: الكافي الشاف ص(٧٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد: ١٩٧/٤، ٢٠٢، والمصنف في شرح السنة: ٩١/١٠.

(٣) أخرجه أبو داود في الزكاة، باب حقوق المال: ٢٥٠/٢، وصححه الحاكم: ٣٣٣/٢، والبيهقي: ٨٣/٤، وذكره المصنف في المصابيح: ١٠/٢. وذكره الهيثمي في المجمع: ٣٠/٧ وقال: رواه أبو يعلى وفيه عثمان بن عمير وهو ضعيف. وانظر: الدر المنثور: ١٧٨/٤.

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ
وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ

بها، فتحرق بها، ﴿جباهم﴾، أي: جباه كانزيها، ﴿وجنوبهم وظهورهم﴾، روي عن ابن مسعود
قال: إنه لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم، ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم
في موضع على حدة.

وسئل أبو بكر الوراق: لِمَ خَصَّ الجباه والجنوب والظهور بالكي؟ قال: لأن الغني صاحب
الكنز إذا رأى الفقير قبض وجهه، وزوى ما بين عينيه، وولاه ظهره، وأعرض عنه بكشحه.

قوله تعالى: ﴿هذا ما كنزتم﴾، أي: يقال لهم: هذا ما كنزتم، ﴿لأنفسكم فذوقوا ما كنتم
تكذبون﴾، أي: تمنعون حقوق الله تعالى في أموالكم. وقال بعض الصحابة: هذه الآية في أهل
الكتاب. وقال الأكثرون: هي عامة في أهل الكتاب والمسلمين، وبه قال أبو ذر رضي الله عنه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾، أي: عدد الشهور، ﴿عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ
اللَّهِ﴾، وهي المحرم وصفر وربيع الأول وشهر ربيع الثاني وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب
وشعبان وشهر رمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة. وقوله: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في حكم الله.
وقيل: في اللوح المحفوظ. قرأ أبو جعفر: اثنا عشر، وتسعة عشر، وأحد عشر، بسكون الشين، وقرأ
العامة بفتحها، ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، والمراد منه: الشهور الهلالية، وهي الشهور التي
يعتدُّ بها المسلمون في صيامهم وحجهم وأعيادهم وسائر أمورهم، وبالشهور الشمسية تكون السنة
ثلثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم، والهلالية تنقص عن ثلاث مائة وستين يوماً بنقصان الأهلة.
والغالب أنها تكون ثلاثمائة وأربعاً وخمسين يوماً، ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾، من الشهور أربعة حرم وهي:
رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، واحد فرد وثلاثة سَرْدٌ، ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ﴾، أي: الحساب
المستقيم.

﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾، قيل: قوله «فيهن» ينصرف إلى جميع شهور السنة، أي: فلا
تظلموا فيهن أنفسكم بفعل المعاصي وترك الطاعة. وقيل: «فيهن» أي: في الأشهر الحرم. قال
قتادة: العمل الصالح أعظم أجراً في الأشهر الحرم، والظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن، وإن

اللَّهُ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا النِّسْيَاءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ
زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

كان الظلم على كل حال عظيماً. وقال ابن عباس: فلا تظلموا فيهن أنفسكم يريد استحلال الحرام
والغارة فيهن. قال محمد بن إسحاق بن يسار: لا تجعلوا حلالها حراماً، ولا حرامها حلالاً، كفعل
أهل الشرك وهو النسيء.

﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾، جميعاً عامة، ﴿كما يُقاتلونكم كافةً واعلموا أن الله مع
المتقين﴾، واختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم. فقال قوم: كان كبيراً ثم نسخ بقوله:
«وقاتلوا المشركين كافة» كأنه يقول فيهن وفي غيرهن. وهو قول قتادة، وعطاء الخراساني، والزهري
وسفيان الثوري، وقالوا: إن النبي ﷺ غزاه هوازن بحنين، وثقيفاً بالطائف، وحاصرهم في شوال
وبعض ذي القعدة. وقال آخرون: إنه غير منسوخ: قال ابن جريج: حلف بالله عطاء بن أبي رباح:
ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم، ولا في الأشهر الحرم، إلا أن يُقاتلوا فيها وما نسخت.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النِّسْيَاءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾، قيل: هو مصدر كالسعي والحريق. وقيل: هو
مفعول كالجرير والقتيل، وهو من التأخير. ومنه النسيئة في البيع، يقال: أنسأ الله في أجله أي أخر،
وهو ممدود مهموز عند أكثر القراء، وقرأ ورش عن نافع من طريق البخاري: بتشديد الياء من غير همز،
وقد قيل: أصله الهمزة فخفف.

وقيل: هو من النسيان على معنى المنسي أي: المتروك. ومعنى النسيء: هو تأخير تحريم
شهر إلى شهر آخر، وذلك أن العرب كانت تعتقد تعظيم الأشهر الحرم، وكان ذلك مما تمسكت به
من ملة إبراهيم عليه السلام، وكانت عامة معاشهم من الصيد والغارة، فكان يشق عليهم الكف عن
ذلك ثلاثة أشهر على التوالي، وربما وقعت لهم حرب في بعض الأشهر الحرم فيكرهون تأخير
حربهم، فنسؤوا أي: أخروا تحريم ذلك الشهر إلى شهر آخر، وكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى
صفر، فيحرمون صفر ويستحلون المحرم، فإذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صفر أخروه إلى ربيع،
هكذا شهراً بعد شهر، حتى استدار التحريم على السنة كلها. فقام الإسلام وقد رجع المحرم إلى
موضعه الذي وضعه الله عز وجل فيه، وذلك بعد دهر طويل، فخطب النبي ﷺ في حجته.

كما: أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا محمد بن سلام، حدثنا عبدالواحد حدثنا عبدالوهاب، حدثنا أيوب عن محمد بن سيرين، عن أبي بكرة عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يومَ خلقَ السمواتِ والأرضَ، السنةُ اثنا عشرَ شهراً، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان». وقال: «أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: أليس ذو الحجة؟ قلنا: بلى، قال: أي بلد هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: أليس البلد الحرام؟ قلنا: بلى، قال: فأَيُّ يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى، قال: فإنَّ دماءكم وأموالكم، قال محمد: أحسبه قال: وأعراضكم عليكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعد ضللاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليلغ الشاهد الغائب فلعَلَّ بعضٌ من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه، ألا هل بلغت ألا هل بلغت»^(١)؟

١٥٧ / ب قالوا: وكان قد استمر النسيء بهم، فكانوا ربما يحجون في بعض السنين في شهر / ويحجون من قابل في شهر آخر.

قال مجاهد: كانوا يحجون في كل شهر عامين، فحجوا في شهر ذي الحجة عامين، ثم حجوا في المحرم عامين، ثم حجوا في صفر عامين، وكذلك في الشهور، فوافقت حجة أبي بكر رضي الله عنه قبل حجة الوداع السنة الثانية من ذي القعدة، ثم حج النبي ﷺ في العام القابل حجة الوداع، فوافق حجة شهر الحج المشروع وهو ذو الحجة، فوقف بعرفة يوم التاسع، وخطب اليوم العاشر بمنى، وأعلمهم أن أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان، وعاد الأمر إلى ما وضع الله عليه حساب الأشهر يوم خلق الله السموات والأرض، وأمرهم بالمحافظة عليه لئلا يتبدل في مستأنف الأيام.

واختلفوا في أول من نسا النسيء: فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد: أول من نسا النسيء بنو مالك بن كنانة، وكانوا ثلاثة: أبو ثمامة جناد بن عوف بن أمية الكناني. وقال الكلبي: أول

(١) أخرجه البخاري في الأضاحي - باب من قال: الأضحى يوم النحر: ١٠/٧-٨، ومسلم في القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض، برقم (١٦٧٩): ٣/١٣٠٥، والمصنف في شرح السنة: ٧/٢١٥-٢١٦.

من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال: له نعيم بن ثعلبة، وكان يكون أميراً على الناس بالموسم، فإذا همَّ الناس بالصدر، قام فخطب الناس فقال: لا مردّ لما قضيت، أنا الذي لا أعاب ولا أجاب، فيقول له المشركون: لبيك، ثم يسألونه أن ينسأهم شهراً يغيرون فيه، فيقول: فإنَّ صفرَ العام حرام، فإذا قال ذلك حلُّوا الأوتار، ونزعوا الأسنة والأزجة، وإن قال حلال عقدوا الأوتار، وشدّوا الأزجة، وأغاروا. وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له: جنادة بن عوف، وهو الذي أدركه النبي ﷺ.

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: هو رجل من بني كنانة يقال له: القلمس، قال شاعرهم: «وفينا ناسي الشهر القلمس»، وكانوا لا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة إذا اجتمعت العرب للموسم.

وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن أول من سنَّ النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنبأنا عبدالغافر بن محمد، أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثني زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أبا بني كعب، وهو يجرفُ قُصْبُهُ في النار»^(١).

فهذا الذي ذكرنا هو النسيء الذي ذكره الله تعالى. فقال: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾، يريد زيادة كفر على كفرهم، ﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿يُضِلُّ﴾ بضم الياء وفتح الضاد، كقوله تعالى: «زين لهم سوء أعمالهم»، وقرأ يعقوب بضم الياء وكسر الضاد، وهي قراءة الحسن ومجاهد على معنى ﴿يُضِلُّ﴾ به الذين كفروا الناس، وقرأ الآخرون بفتح الياء وكسر الضاد، لأنهم هم الضالون لقوله: ﴿يُحِلُّونَهُ﴾، يعني النسيء ﴿عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُؤَاطُوا﴾، أي: ليوافقوا، والمواطأة: الموافقة، ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾، يريد أنهم لم يحلوا شهراً من الحرام إلا حرّموا مكانه شهراً من الحلال، ولم يحرموا شهراً من الحلال إلا أحلوا مكانه شهراً من الحرام، لئلا يكون الحرام أكثر من أربعة أشهر، كما حرم الله فيكون موافقة العدد، ﴿فِيحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ﴾، قال ابن عباس: زين لهم الشيطان، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

(١) سبق تخريجه في سورة المائدة ١٠٨/٣. وليس في الحديث ما يدل على أن عمرو بن لحي أول من سنَّ النسيء.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ
إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَعَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا
وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ الآية، نزلت في الحث على غزوة تبوك، وذلك أن النبي ﷺ لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم، وكان ذلك في زمان عسرة من الناس، وشدة من الحر، حين طابت الثمار والظلال، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى غيرها حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً، ومفاوز هائلة، وعدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم، فشق عليهم الخروج وتناقلوا فأنزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ﴾ (١) أي: قال لكم رسول الله: ﴿انفروا﴾ اخرجوا في سبيل الله ﴿اتأتلتم إلى الأرض﴾ أي: لزمتم أرضكم ومساكنكم، ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾، أي: بخفض الدنيا ودعتها من نعيم الآخرة. ﴿فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل﴾.

ثم أوعدهم على ترك الجهاد، فقال تعالى:

﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، في الآخرة. وقيل: هو احتباس المطر عنهم في الدنيا. وسأل نجدة بن نفع ابن عباس عن هذه الآية، فقال: إن رسول الله ﷺ استنفر حياً من أحياء العرب، فتناقلوا عليه، فأمسك عنهم المطر، فكان ذلك عذابهم (٢). ﴿ويستبدل قوماً غيركم﴾ خيراً منكم وأطوع. قال سعيد بن جبیر: هم أبناء فارس. وقيل: هم أهل اليمن، ﴿ولا تضرُّوه شيئاً﴾، بترككم النفير. ﴿والله على كل شيء قدير﴾.

(١) انظر، الطبري: ٢٥٣/١٤، أسباب النزول للواحدي ص(٢٨٣)، الدار المشور: ١٩٠/٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٥٤/١٤ - ٢٥٥، وصححه الحاكم في المستدرک: ١١٨/٢، وأخرجه أبو داود في السنن مختصراً: ٣٦٧/٣،

والبیهقي في السنن: ٤٨/٩. وانظر: الدر المشور: ١٩٣/٤ - ١٩٤.

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾، هذا إعلام من الله عز وجل أنه المتكفل بنصر رسوله وإعزاز دينه، أعانوه أو لم يعينوه، وأنه قد نصره عند قلة الأولياء، وكثرة الأعداء، فكيف به اليوم وهو في كثرة من العَدَدِ والعَدَدِ، ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من مكة حين مكروا به وأرادوا تبييته وهموا بقتله، ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾ أي هو أحد الاثنيين، والاثنتان: أحدهما رسول الله ﷺ، والآخر أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾، وهو نقب في جبل ثور بمكة، ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، قال الشعبي: عاتب الله عز وجل أهل الأرض جميعاً في هذه الآية غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أخبرنا أبو المظفر محمد بن أحمد التميمي، أنبأنا محمد بن عبد الرحمن بن عثمان، أنبأنا خيثمة بن سليمان، حدثنا أحمد بن عبد الله الدورقي، حدثنا سعيد بن سليمان، عن علي بن هاشم عن كثير النواء عن جُمَيْعِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: أَتَيْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ رَضِي اللَّهِ عَنْهُمَا فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنْتَ صَاحِبِي فِي الْغَارِ، وَصَاحِبِي عَلَى الْحَوْضِ»^(١).

قال الحسين بن الفضل: من قال إن أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر لإنكاره نص القرآن. وفي سائر الصحابة إذا أنكروا يكون مبتدعاً، لا يكون كافراً.

وقوله عز وجل: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ لم يكن حزن أبي بكر جُبْناً منه، وإنما كان إشفاقاً على رسول الله ﷺ. وقال: إن أقتل فأتانا رجل واحد وإن قتلت هلكت الأمة /

١٥٨/أ

(١) أخرجه الترمذي في المناقب، باب بشارة أبي بكر وعمر: ١٥٤/١٠، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. والمصنف في شرح السنة: ٨٢/١٤. وقال: هذا حديث حسن غريب. وفي الحديث: كثير بن إسماعيل أو ابن نافع النواء: ضعيف من السادسة. (تقريب).

وروي أنه حين انطلق مع رسول الله ﷺ إلى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه، وساعة خلفه، فقال له رسول الله ﷺ: مالك يا أبا بكر؟ قال: أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك، فلما انتهيا إلى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الغار، فدخل فاستبرأه ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل فقال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر^(١).

أخبرنا أبو المظفر التميمي، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن عثمان المعروف بابن أبي النظر، أخبرنا خيشمة بن سليمان، حدثنا أبو قلابة الرقاشي، حدثنا حيان بن هلال، حدثنا همام بن يحيى، حدثنا ثابت البناني، حدثنا أنس بن مالك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدثهم، قال: نظرتُ إلى أقدام المشركين فوق رؤوسنا ونحن في الغار فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظرَ تحت قدميه أبصرنا، فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما^(٢).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، حدثنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، قال ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرةً وعشياً، فلما ابتلي المسلمون. قال النبي ﷺ للمسلمين: «إني أريت دار هجرتكم، ذات نخل، بين لابتين وهما الحرتان». فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر رضي الله عنه قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي» فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «نعم» فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين - كانتا عنده - ورق السمُر، وهو الخبط، أربعة أشهر.

قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة رضي الله عنها: فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ مُتَقَنَّعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له، فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: أخرج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: (٤/١٩٧-١٩٨) للبيهقي في الدلائل، ولابن عساكر عن ضبة بن محسن.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: (٣/١٨٠) في هذا السياق غرابة ونكارة. وأخرجه ابن اسحاق مختصراً: ٤٨٦/١. وقال ابن كثير عن هذه الرواية: وهذا فيه انقطاع من طرفيه، وساقه من رواية أبي القاسم البغوي مطولاً، وقال: وهذا مرسل، وقد ذكرنا له شواهد.

(٢) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب المهاجرين: ٧/٨-٩، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر رضي الله عنه، برقم (٢٣٨١): ٤/١٨٥٤، والمصنف في شرح السنة: ١٣/٣٦٥.

بأبي أنت يارسول الله، قال: «إني قد أذن لي في الخروج» فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يارسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم» قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يارسول الله إحدى راحلتي هاتين، قال رسول الله: «بالتَّمن» قالت عائشة رضي الله عنها: فجهزناهما أحثَّ الجهاز، وصنعنا لهما سُفرةً في جِرابٍ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سُميت ذات النطاقين، قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فمكثا فيه ثلاث ليالٍ بييت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن، فبدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة، كبائتٍ فيها، فلا يسمع أمراً يُكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة، مولى أبي بكر، منحةً من غنمٍ، فيُرثحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رِسلٍ، وهولبن منحتهما ورضيْفُهُما حتى ينعقَ بهما عامر بن فهيرة بغلَسٍ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدليل، وهو من بني عبد بن عدي هادياً خريْتاً، والخريْت: الماهر بالهداية، قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهْمِي، وهو على دين كفار قريش فأمنأه، فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليالٍ براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم على طريق السواحل.

قال ابن شهاب: وأخبرني عبدالرحمن بن مالك المُدَلِجِي، وهو ابن أخي سراقه بن مالك بن جُعْشُم: أن أباه أخبره أنه سمع سراقه بن مالك بن جعشم يقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج، أقبل رجل منهم، حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال: ياسراقه إني قد رأيت أنفاً أسوداً بالساحل أراها محمداً وأصحابه، قال سراقه: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمتُ فدخلت البيت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة، فتحبسها عليّ، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت، فخططت بزُجّه الأرض، وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فدفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي، فخررت عنها فقت، فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزام فاستقسمت بها أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره، فركبت فرسي وعصيت الأزام، تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ، وهو لا يلتفت وأبو بكر يُكثِرُ الالتفات، فساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغنا الركبتين، فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزام فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسي حتى جثتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت

من الحبس عنهم أن سيظهر أمر النبي ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم خبر ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزاني ولم يسألاني شيئاً إلا أن قالوا: أخف عنا، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من آدم، ثم مضى رسول الله ﷺ.

قال ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعدما أطلوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من أطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يامعشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته، فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربداً للتمر، لسهيل وسهل، غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: هذا إن شاء الله المنزل. ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين، فسأومهما بالمريد ليتخذه مسجداً فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، ثم بناه مسجداً، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن:

هَذَا الْجِمَالُ لَا جِمَالَ خَيْرٍ * هَذَا أَبْرُرُّنَا وَأَطْهَرُ

ويقول:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة * فارحم الأنصار والمهاجرة

فتمثل بيت رجل من المسلمين لم يسم لي.

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات^(١).

قال الزهري: لما دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر الغار أرسل الله تعالى زوجاً من حمام حتى باضا في أسفل النقب، والعنكبوت حتى نسجت بيتاً، وفي القصة أنبت يمامة على فم الغار، وقال النبي ﷺ: اللهم أعم أبصارهم / عنا فجعل الطلب يضربون يميناً وشمالاً حول الغار يقولون: لو دخلا ب / ١٥٨ ب هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت^(٢).

قوله عز وجل: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾، قيل: على النبي ﷺ. وقال ابن عباس: على أبي بكر رضي الله عنه، فإن النبي ﷺ كانت عليه السكينة من قبل، ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾، وهم الملائكة نزلوا يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته. وقيل: ألقوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا. وقال مجاهد والكلبي: أعانه بالملائكة يوم بدر، أخبر أنه صرف عنه كيد الأعداء في الغار ثم أظهر نصره بالملائكة يوم بدر.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾، وكلمتهم الشرك، وهي السفلى إلى يوم القيامة، ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾، إلى يوم القيامة. قال ابن عباس: هي قول لا إله إلا الله. وقيل كلمة الذين كفروا: ما قدرُوا بينهم في الكيد به ليقتلوه، وكلمة الله: وَعَدُّ الله أنه ناصره. وقرأ يعقوب: ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ﴾ بنصب التاء على العطف ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، قال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة: شُبَّانًا وشُيُوخًا. وعن ابن عباس: نشاطاً وغير نشاط. وقال عطية العوفي: ركباناً ومشاة. وقال أبو صالح: خفافاً من المال، أي: فقراء، وثقلاً أي: أغنياء. وقال ابن زيد: الثقيل الذي له الضيعة، فهو ثقيل يكره أن يدع ضيعته، والخفيف الذي لا ضيعة له. ويروى عن ابن عباس قال: خفافاً أهل الميسرة

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة: ٢٣٠/٧ - ٢٣٣ والمصنف في شرح السنة: ٣٥٤/١٣ - ٣٦٢. وقد اختصر جُملاً منه في التفسير، أشرنا إليها بنقاط.

(٢) ذكر ذلك ابن عساکر عن زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة. وهو حديث غريب جداً، من هذا الوجه كما قال الحافظ ابن كثير في البداية:

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ
 وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
 إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ

من المال، وثقالاً أهل العسرة. وقيل: خفافاً من السلاح، أي: مقلين منه، وثقالاً أي: مستكثرين منه. وقال الحكيم بن عتيبة: مشاغيل وغير مشاغيل. وقال مرة الهمداني: أصحاء ومرضى. وقال يمان بن رباب: عزاباً ومتأهلين. وقيل: خفافاً من حاشيتكم وأتباعكم، وثقالاً مستكثرين بهم. وقيل: خفافاً مسرعين خارجين ساعة سماع النفير، وثقالاً بعد التروي فيه والاستعداد له.

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، قال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل صاحب ضر، فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع.

وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس: نسخت هذه الآية بقوله: (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) (١).

وقال السدي: لما نزلت هذه الآية اشتد شأنها على الناس فنسخها الله تعالى وأنزل: (ليس

على الضعفاء ولا على المرضى) (٢) الآية.

ثم نزل في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك: (٣).

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾، واسم كان مضمراً، أي: لو كان ما تدعونهم إليه عرضاً قريباً، أي: غنيمة قريبة المتناول، ﴿وسفراً قاصداً﴾، أي قريباً هيناً، ﴿لاتبعوك﴾، لخرجوا معك، ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ أي: المسافة، والشقة: السفر البعيد، لأنه يشقُّ على الإنسان. وقيل: الشقة الغاية التي يقصدونها، ﴿وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم﴾، يعني باليمين الكاذبة، ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾، في إيمانهم وإيمانهم، لأنهم كانوا مستطيعين.

﴿عفا الله عنك﴾، قال عمرو بن ميمون: اثنان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يؤمر بهما: إذنه

للمنافقين، وأخذه القدية من أسارى بدر، فعاتبه الله كما تسمعون..

(١) انظر: النسخ والمنسوخ لابن سلامة ص (٥٢)، أسباب النزول (٢٨٣ - ٢٨٤) ابن كثير: ٢/٣٦٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي. الدر المنثور: ٤/٢٠٨.

(٣) أسباب النزول للواحد ص (٢٨٤).

صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَعِذُّنَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرَاتِ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنْقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا
 يَسْتَعِذُّنَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَتْ أَبَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ
 فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ
 كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾

قال سفيان بن عيينة: انظروا إلى هذا اللطف بدأ بالعمو قبل أن يُعيره بالذنب.

وقيل: إن الله عز وجل وقَّره ورفع محله بافتتاح الكلام بالدعاء له، كما يقول الرجل لمن يخاطبه إذا كان كريماً عنده: عفا الله عنك ما صنعت في حاجتي؟ ورضي الله عنك ألا زرتني. وقيل معناه: أدام الله لك العفو.

﴿لَمْ أَذْنَبْ لَهُمْ﴾، أي: في التخلف عنك ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا﴾، في أعدائهم،
 ﴿وتعلم الكاذبين﴾، فيها، أي: تعلم من لا عذر له. قال ابن عباس رضي الله عنه: لم يكن رسول
 الله ﷺ يعرف المنافقين يومئذ.

﴿لا يستأذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾، أي: لا
 يستأذِنُكَ في التخلف، ﴿واللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنْقِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَسْتَعِذُّنَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَتْ أَبَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، أي شكَّت ونافقت،
 ﴿فهم في ريبهم يترددون﴾، متحيرين.

﴿ولو أرادوا الخروج﴾، إلى الغزو، ﴿لأعدوا له﴾، أي: لهيؤوا له ﴿عُدَّةً﴾، أهبة وقوة من
 السلاح والكراع، ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾، خروجهم، ﴿فثبَّطهم﴾، منعهم وحبسهم عن
 الخروج، ﴿وقيل أقدوا﴾، في بيوتكم، ﴿مع القاعدنين﴾، يعني: مع المرضى والزمنى. وقيل: مع
 النسوان والصبيان. قوله عز وجل: ﴿وقيل﴾ أي: قال بعضهم لبعض: اقدوا. وقيل: أوحى إلى
 قلوبهم وألهموا أسباب الخذلان.

لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ
 الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ
 مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ
 كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ

﴿لو خرجوا فيكم﴾ ، وذلك أن رسول الله ﷺ أمرهم بالجهاد لغزوة تبوك ، فضرب رسول الله ﷺ
 عسكره على ثنية الوداع ، وضرب عبدالله بن أبي علي [ذي جدّة^(١)] أسفل من ثنية الوداع ، ولم
 يكن بأقل العسكرين ، فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبدالله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين
 وأهل الريب ، فأنزل الله تعالى يعزي نبيه ﷺ^(٢) : ﴿لو خرجوا﴾ يعني المنافقين ﴿فيكم﴾ أي معكم ،
 ﴿ما زادوكم إلا خبالاً﴾ ، أي : فساداً وشرّاً . ومعنى الفساد : إيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتحويل
 الأمر ، ﴿ولأوضّعوا﴾ ، أسرعوا ، ﴿خلالكم﴾ ، وسطكم بإيقاع العداوة والبغضاء بينكم بالنميمة ونقل
 الحديث من البعض إلى البعض . وقيل : ﴿لأوضّعوا خلالكم﴾ أي : أسرعوا فيما يخل بكم .
 ﴿يبتغونكم الفتنة﴾ ، أي : يطلبون لكم ما تفتنون به ، يقولون : لقد جمع لكم كذا وكذا ، وإنكم
 مهزومون وسيظهر عليكم عدوكم ونحو ذلك . وقال الكلبي : يبتغونكم الفتنة يعني : العيب والشر . وقال
 الضحاك : الفتنة الشرك ، ويقال : بغيته الشر والخير أبغيه بُغَاءً إذا التسمته له ، يعني : بغيت له .
 ﴿وفيكم سمّاعون لهم﴾ ، قال مجاهد : معناه وفيكم محبوبون لهم يؤدون إليهم ما يسمعون
 منكم ، وهم الجواسيس . وقال قتادة : معناه وفيكم مطيعون لهم ، أي : يسمعون كلامهم ويطيعونهم .
 ﴿والله عليم بالظالمين﴾ .

﴿لقد ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾ ، أي : طلبوا صدّ أصحابك عن الدين وردّهم إلى الكفر ، وتخذيل
 الناس عنك قبل هذا اليوم ، كفعل عبدالله بن أبي يوم أحد حين انصرف عنك بأصحابه . ﴿وقلَّبُوا لَكَ
 الْأُمُورَ﴾ وأجالوا فيك وفي إبطال دينك الرأي ، بالتخذيل عنك / وتشتيت أمرك ، ﴿حتى جاء الحقُّ﴾ ،
 النصر والظفر ، ﴿وظهر أمر الله﴾ ، دين الله ، ﴿وهم كارهون﴾ .

قوله تعالى : ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني﴾ ، نزلت في جدّ بن قيس المنافق ، وذلك

(١) في «أ» : (ذي حلوة) . و «فوجّهه» الطريق الواضح المسلك .

(٢) أسباب النزول للواحد ص (٢٨٤) .

سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنَّ تَصْبِكَ
 حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تَصْبِكَ مُصِيبَةٌ يُقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ
 قَبْلٍ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ
 لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ
 بِنَا إِلَّا لِأَحَدٍ مِنَ الْحُسَيْنِيِّينَ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ

أن النبي ﷺ لما تجهز لغزوة تبوك قال: يا أبا وهب هل لك في جلاد بني الأصفر؟ يعني الروم، تتخذ منهم سراري ووصفاء، فقال جد: يارسول الله لقد عرف قومي أنني رجل مغرم بالنساء، وإني أخشى إن رأيت بنات بني الأصفر أن لا أصبر عنهن، ائذن لي في القعود ولا تفتني بهن وأعينك بما لي. قال ابن عباس: اعتل جد بن قيس ولم تكن له علة إلا النفاق، فأعرض عنه النبي ﷺ، فقال: أذنت لك فأنزل الله عز وجل^(١): ﴿ومنها﴾ يعني من المنافقين ﴿مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي﴾ في التخلف ﴿ولا تفتني﴾ بينات الأصفر. قال قتادة: ولا تؤثمني: ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾، أي: في الشرك والإثم وقعوا بنفاقهم وخلافهم أمر الله وأمر رسوله، ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾، [مطبقة بهم]^(٢) وجامعة لهم فيها.

﴿إن تصبك حسنة﴾، نصرة وغنيمة، ﴿تسوهم﴾، تحزنهم، يعني: المنافقين، ﴿وإن تصبك مصيبة﴾، قتل وهزيمة، ﴿يقولوا قد أخذنا أمرنا﴾، حذرنا، أي: أخذنا بالحزم في القعود عن الغزو، ﴿من قبل﴾، أي: من قبل هذه المصيبة، ﴿ويتولوا﴾، ويدبروا ﴿وهم فرحون﴾، مسرورون بما نالك من المصيبة.

﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾، أي: علينا في اللوح المحفوظ، ﴿هو نولنا﴾، ناصرنا وحافظنا. وقال الكلبي: هو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة، ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾.

﴿قل هل ترصدون بنا﴾، تنتظرون بنا أيها المنافقون، ﴿إلا إحدى الحسينيين﴾، إما النصر والغنيمة أو الشهادة والمغفرة. وروينا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تكفل الله لمن جاهد في

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٧/١٤ - ٢٨٨، أسباب النزول للواحدي ص (٢٨٤ - ٢٨٥).

(٢) في (ب): (مطبقة بهم).

عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا
 أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِتْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ
 تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ
 إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾

سبيله لا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ، وَتَصَدِيقَ كَلِمَتِهِ: أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ
 الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»^(١).

قوله عز وجل ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾، إحدى السواتين إما: ﴿أَنْ يَصِيْبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ
 عِنْدِهِ﴾، فيهلككم كما أهلك الأمم الخالية، ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ أي: بأيدي المؤمنين إن أظهرتم ما في
 قلوبكم، ﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾، قال الحسن: فتربصوا مواعيد الشيطان إنا متربصون
 مواعيد الله من إظهار دينه واستئصال من خالفه.

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾، أمر بمعنى الشرط والجزاء، أي: إن أنفقتم طوعاً أو كرهاً. نزلت
 في جد بن قيس حين استأذن في القعود، قال أعيُنكم بمالي، يقول: إن أنفقتم طوعاً أو كرهاً ﴿لَنْ
 يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِتْكُمْ﴾، أي: لأنكم، ﴿كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿يُقْبَلُ﴾ بالياء لتقدم الفعل، وقرأ الباقون
 بالتاء لأن الفعل مسند إلى جمع مؤنث وهو النفقات، فأنت الفعل ليعلم أن الفاعل مؤنث،
 ﴿نَفَقَاتُهُمْ﴾، صدقاتهم، ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، أي: المانع من قبول نفقاتهم كفرهم،
 ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾، متاقلون لأنهم لا يرجون على أدائها ثواباً، ولا يخافون على
 تركها عقاباً، فإن قيل: كيف [ذم] الكسل في الصلاة ولا صلاة لهم أصلاً؟ قيل: الذم واقع على
 الكفر الذي يبعث على الكسل، فإن الكفر مُكسل، والإيمان منشط، ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ
 كَارِهُونَ﴾، لأنهم يعدونها مغرمًا ومنعها مغنماً.

(١) أخرجه البخاري في الخمس، باب قول النبي ﷺ: «أحلت لكم الغنائم»: ٢٢٠/٦، ومسلم في الإمامة، باب فضل الجهاد والخروج
 في سبيل الله، برقم (١٨٧٦): ١٤٩٦/٣.

(٢) في «أ»: ذكر.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ
وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغْرَبَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا
إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾

﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾، والإعجاب هو السرور بما يتعجب منه، يقول: لا تستحسن ما أنعمنا عليهم من الأموال والأولاد لأن العبد إذا كان من الله في استدراج كثر الله ماله وولده، ﴿إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾، فإن قيل: أي تعذيب في المال والولد وهم يتنعمون بها في الحياة الدنيا؟

قيل: قال مجاهد وقتادة: في الآية تقديم وتأخير، تقديره. فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة.

وقيل: التعذيب بالمصائب الواقعة في المال والولد.

وقال الحسن: يعذبهم بها في الدنيا بأخذ الزكاة منها والنفقة في سبيل الله. وقيل: يعذبهم بالتعب في جمعه، والوجل في حفظه، والكره في إنفاقه، والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده، ثم يقدم على ملك لا يُعذره. ﴿وتزْهَقُ أَنْفُسُهُمْ﴾، أي: تخرج، ﴿وهم كافرُونَ﴾، أي: يموتون على الكفر. ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم﴾، أي: على دينكم، ﴿وما هم منكم ولكنهم قومٌ يفرقون﴾ [يخافون أن يظهروا ما هم عليه] (١).

﴿لو يجدون ملجأ﴾، حرزاً وحصناً ومعقلاً. وقال عطاء: مهرباً. وقيل: قوماً يأمنون فيهم. ﴿أو مغارات﴾، غيراناً في الجبال، جمع مغارة وهو الموضع الذي يغور فيه، أي يستتر. وقال عطاء: سرايب. ﴿أو مَدْخَلًا﴾، موضع دخول فيه، وأصله: مدخل مفتعل، من أدخل يدخل. قال مجاهد: محرزاً. وقال قتادة: سرباً. وقال الكلبي: نفقاً في الأرض كنفق اليربوع. وقال الحسن: وجهاً يدخلونه على خلاف رسول الله ﷺ. وقرئ: (مَدْخَلًا) بفتح الميم وتخفيف الدال، وكذلك قرأ

(١) ساقط من (أ).

وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ
يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾

يعقوب، ﴿لَوْلُوا إِلَيْهِ﴾، لأدبروا إليه هرباً منكم، ﴿وَهُمْ يَجْمَعُونَ﴾، يسرعون في إباءٍ ونفورٍ لا يردّ وجوههم شيء. ومعنى الآية: أنهم لو يجدون مخلصاً منكم ومهرباً لفارقوكم.

قوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾، الآية نزلت في ذي الخويصرة التميمي، واسمه حرقوص بن زهير، أصل الخوارج.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو إيمان، أخبرنا شعيب عن الزهري، أخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً فينا، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول اعدل، فقال: «وَيْلَكَ فَمَنْ يَعْدُلُ إِذَا لَمْ أَعْدُلْ، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل»، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال له: «دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه، وهو قدح، فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم آيتهم، رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدرّ، يخرجون على حين فرقة من الناس». قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس، فوجد، فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعتته^(١).

وقال الكلبي: قال رجل / من المنافقين يقال له [أبو الجَوَّاز]^(٢) لرسول الله ﷺ: لم تقسم بالسوية، فأنزل الله تعالى^(٣): ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ أي: يعيبك في أمرها وتفريقها

ب / ١٥٩

(١) أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: ٦١٧/٦ - ٦١٨، ومسلم في الزكاة، باب ذكر قتال الخوارج وصفاتهم، برقم (١٠٦٤): ٧٤٤/٢ - ٧٤٥. والمصنف في شرح السنة: ٢٢٤/١٠.

(٢) في «ب»: (ذو الحواط).

(٣) أسباب النزول للواحدى ص (٢٨٦).

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴿٥٨﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ
وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ فُلُوجِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

ويطعن عليك فيها. يُقال: لزمه وهمزه، أي: عابه، يعني أن المنافقين كانوا يقولون إن محمداً لا يعطي إلا من أحب. وقرأ يعقوب ﴿يلمذك﴾ حيث كان. وقال مجاهد: يلمذك أي: يروؤك يعني: يختبرك. ﴿فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾، قيل: إن أعطوا كثيراً فرحوا وإن أعطوا قليلاً سخطوا.

﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله﴾، أي: قنعوا بما قسم لهم الله ورسوله ﴿وقالوا حسبنا الله﴾، كافينا الله، ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾، ما نحتاج إليه ﴿إنا إلى الله رَاغِبُونَ﴾، في أن يوسع علينا من فضله، فيغنيننا عن الصدقة وغيرها من أموال الناس. وجواب ﴿لو﴾ محذوف أي: لكان خيراً لهم وأعود عليهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ الآية، بين الله تعالى في هذه الآية أهل سهران الصدقات وجعلها لثمانية أصناف. وروى عن زياد بن الحارث الصَّدَائِي قال: أتيت رسول الله ﷺ فبايعته، فأتاه رجل وقال: أعطني من الصدقة، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿إن الله لم يرص بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أجزاء، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك حَقَّك﴾^(١).

قوله تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾. فأحد أصناف الصدقة: الفقراء، والثاني: المساكين.

واختلف العلماء في صفة الفقير والمسكين، فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وعكرمة والزهري: الفقير الذي لا يسأل، والمسكين: الذي يسأل.

وقال ابن عمر: ليس بفقير من جمع الدرهم إلى الدرهم والتمرة إلى التمرة، ولكن من أنقى

(١) أخرجه أبو داود في الزكاة، باب من يعطي من الصدقة: ٢٣٠/٢ - ٢٣١، والدارقطني في الزكاة ١٣٧/٢، والبيهقي في السنن:

١٧٤/٤. وقال المنذري: في إسناده عبدالرحمن بن زياد الإفريقي وقد تكلم فيه غير واحد.

نفسه وثيابه لا يقدر على شيء، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف.

وقال قتادة: الفقير: المحتاج الزمناً، والمسكين: الصحيح المحتاج.

وروي عن عكرمة أنه قال: الفقراء من المسلمين، والمساكين من أهل الكتاب.

وقال الشافعي: الفقير من لا مال له ولا حرقة تقع منه موقعاً، زمناً كان أو غير زمن، والمسكين من كان له مال أو حرفة ولا يغنيه، سائلاً أو غير سائل. فالمسكين عنده أحسن حالاً من الفقير لأن الله تعالى قال: «أما السفينة فكانت لمساكين» (الكهف - ٧٩) أثبت لهم ملكاً مع اسم المسكنة.

وعند أصحاب الرأي: الفقير أحسن حالاً من المسكين.

وقال القتيبي: الفقير: الذي له البلغة من العيش، والمسكين: الذي لا شيء له.

وقيل: الفقير من له المسكن والخدم، والمسكين من لا ملك له. وقالوا: كل محتاج إلى شيء فهو مفتقر إليه وإن كان غنياً عن غيره، قال الله تعالى: «أنتم الفقراء إلى الله» (غافر - ١٥)، والمسكين المحتاج إلى كل شيء ألا ترى كيف حض على إطعامه، وجعل طعام الكفارة له ولا فاقة أشد من الحاجة إلى سدّ الجوعة.

وقال إبراهيم النخعي: الفقراء هم المهاجرون، والمساكين من لم يهاجروا من المسلمين.

وفي الجملة: الفقر والمسكنة عبارتان عن الحاجة وضعف الحال، فالفقير المحتاج الذي كسرت الحاجة فقار ظهره، والمسكين الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، حدثنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا الربيع، أنبأنا الشافعي، أنبأنا سفيان بن عيينة عن هشام، يعني: ابن عروة، عن أبيه، عن عبيد الله بن عدي بن الحيار: أن رجلين أخبراه أنهما أتيا رسول الله فسألاه عن الصدقة [فصعد فيهما وصوب] ^(١)، فقال: «إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيهما لغني ولا لذي قوة مكتسب» ^(٢).

واختلفوا في حدّ الغني الذي يمنع أخذ الصدقة: فقال الأكثرون: حدّه أن يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة، وهو قول مالك والشافعي.

وقال أصحاب الرأي: حدّه أن يملك مائتي درهم.

(١) ما بين القوسين من مسند الشافعي.

(٢) أخرجه أبو داود في الزكاة، باب فيمن يعطي من الصدقة: ٢٣٣/٢، والنسائي في الزكاة، باب مسألة الغني المكتسب: ٩٩/٥ - ١٠٠.

والشافعي في المسند: ٢٤٤/١، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ١٥/٢، والمصنف في شرح السنة: ٨١/٦.

قال الإمام أحمد: ما أجوده من حديث! انظر: التلخيص الحبير: ١٠٨/٣.

وقال قوم: من ملك خمسين درهماً لا تحل له الصدقة، لما روينا عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَسْأَلُهُ فِي وَجْهِهِ خَمْوشٌ أَوْ خَدُوشٌ أَوْ كَدُوحٌ»، قيل: يارسول الله وما يغنيه؟ قال: «خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب»^(١). وهو قول الثوري وابن المبارك وأحمد وإسحاق. وقالوا لا يجوز أن يعطى الرجل من الزكاة أكثر من خمسين درهماً. وقيل: أربعون درهماً لما روى أن النبي ﷺ قال: «من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافاً»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾. وهم السعاة الذين يتولون قبض الصدقات من أهلها ووضعها في حقها، فيعطون من مال الصدقة، فقراء كانوا أو أغنياء، فيعطون أجر مثل عملهم.

وقال الضحاك ومجاهد: لهم الثمن من الصدقة.

﴿وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ﴾، فالصنف الرابع من المستحقين للصدقة هم: المؤلفة قلوبهم، وهم قسمان: قسم مسلمون، وقسم كفار. فأما المسلمون: فقسمان، قسم دخلوا في الإسلام ونيتهم ضعيفة فيه، فكان النبي ﷺ يعطيهم تالفاً كما أعطى عيينة بن بدر، والأقرع بن حابس، والعباس بن مرداس أو أسلموا ونيتهم قوية في الإسلام، وهم شرفاء في قومهم مثل: عدي بن حاتم، والزبير بن بدر، فكان يعطيهم تالفاً لقومهم وترغيباً لأمثالهم في الإسلام، فهؤلاء يجوز للإمام أن يعطيهم من خمس خمس الغنيمة، والفيء سهم النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يعطيهم من ذلك ولا يعطيهم من الصدقات.

والقسم الثاني من مؤلفة المسلمين: أن يكون قوم من المسلمين بإزاء قوم كفار في موضع متناط^(٣)، لا تبلغهم جيوش المسلمين إلا بمؤنة كثيرة وهم لا يجاهدون، إما لضعف نيتهم أو لضعف حالهم، فيجوز للإمام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة. وقيل: من سهم المؤلفة. ومنهم قوم بإزاء جماعة من مانعي الزكاة يأخذون منهم الزكاة يحملونها إلى الإمام، فيعطيهم الإمام من سهم المؤلفة من الصدقات. وقيل: من سهم سبيل الله.

(١) أخرجه أبو داود في الزكاة، باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى: ٢٢٦/٢، والترمذي في الزكاة، باب ما جاء من تحل له الزكاة:

٣١٣/٣ - ٣١٤ وقال: حديث حسن، وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير من أجل هذا الحديث. وأخرجه النسائي في الزكاة، باب حد

الغنى: ٩٧/٥، وابن ماجه في الزكاة، باب من سأل عن ظهر غنى، برقم (١٨٤٠): ٥٨٩/١، والمصنف في شرح السنة: ٨٣/٦.

(٢) أخرجه أبو داود في الزكاة، باب من يعطى من الصدقة: ٢٢٨/٢ - ٢٢٩، والنسائي في الزكاة، باب إذا لم يكن له دراهم وكان له عدلها:

٩٨/٥ - ٩٩، والمصنف في شرح السنة: ٨٤/٦.

(٣) متناط: متناة بعيد.

رُوي أن عدي بن حاتم جاء أبا بكر الصديق بثلاثمائة من الإبل من صدقات قومه فأعطاه أبو بكر منها ثلاثين بغيراً.

وأما الكفار من المؤلفّة: فهم من يُخشى شره منهم، أو يُرجى إسلامه، فيريد الإمام أن يُعطي هذا حذراً من شره، أو يُعطي ذلك ترغيباً له في الإسلام، / فقد كان النبي ﷺ يعطيهم من خمس الخمس، كما أعطى صفوان بن أمية لَمَّا يرى من ميله إلى الإسلام، أما اليوم فقد أعز الله الإسلام فله الحمد، وأغناه أن يُتألف عليه رجال، فلا يُعطي مشركاً تالفاً بحال، وقد قال بهذا كثير من أهل العلم أن المؤلفّة منقطعة وسهمهم ساقط. رُوي ذلك عن عكرمة، وهو قول الشعبي، وبه قال مالك والثوري، وأصحاب الرأي، وإسحاق بن راهوية.

وقال قوم: سهمهم ثابت، يُروى ذلك عن الحسن، وهو قول الزهري، وأبي جعفر محمد بن علي، وأبي ثور، وقال أحمد: يعطون إن احتاج المسلمون إلى ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾، والصنف الخامس: وهم الرقاب، وهم المكاتبون، لهم سهم من الصدقة، هذا قول أكثر الفقهاء، وبه قال سعيد بن جبير، والنخعي، والزهري، والليث بن سعد، والشافعي. وقال جماعة: يشتري بسهم الرقاب عبيد فيعتقون. وهذا قول الحسن، وبه قال مالك وأحمد وإسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَالغَارِمِينَ﴾، الصنف السادس هم: الغارمون، وهم قسمان: قسم دانوا لأنفسهم في غير معصيته، فإنهم يُعطون من الصدقة إذا لم يكن لهم من المال ما يفي بديونهم، فإن كان عندهم وفاء فلا يُعطون، وقسم أدانوا في المعروف وإصلاح ذات البين فإنهم يُعطون من مال الصدقة ما يقضون به ديونهم، وإن كانوا أغنياء.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنبأنا زاهر بن أحمد، أنبأنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: لغازٍ في سبيل الله، أو لغارمٍ، أو لرجلٍ اشتراها بماله، أو لرجلٍ له جارٌ مسكين فتصدق على المساكين فأهدى المسكين للغني، أو لعاملٍ عليها»^(١).

ورواه معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ متصلًا بمعناه^(٢).

(١) رواه مسلاً: مالك في الموطأ، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة ومن يجوز له أخذها: ٢٦٨/١، وأبو داود في الزكاة، باب من يجوز له

أخذ الصدقة وهو غني: ٢٣٤/٢ - ٢٣٥.

(٢) أخرجه أبو داود في الموضع السابق نفسه، وابن ماجه في الزكاة برقم (١٨٤١): ٥٩٠/١. والمصنف في شرح السنة: ٨٩/٦.

أما من كان دينه في معصية فلا يُدفع إليه .

وقوله تعالى : ﴿ وفي سبيل الله ﴾ ، أراد بها : الغزاة ، فلهم سهم من الصدقة ، يُعطون إذا أرادوا الخروج إلى الغزو ، وما يستعينون به على أمر الغزو من : النفقة ، والكسوة ، والسلاح ، والحمولة ، وإن كانوا أغنياء ، ولا يُعطى منه شيء في الحج عند أكثر أهل العلم .

وقال قوم : يجوز أن يصرف سهم في سبيل الله إلى الحج . ويُروى ذلك عن ابن عباس ، وهو قول الحسن ، وأحمد ، وإسحاق .

قوله تعالى : ﴿ وابن السبيل ﴾ ، الصنف الثامن : هم أبناء السبيل ، فكل من يريد سفراً مباحاً ولم يكن له ما يقطع به المسافة يُعطى من الصدقة بقدر ما يقطع به تلك المسافة ، سواء كان له في البلد المنتقل إليه مالٌ أو لم يكن .

وقال قتادة : ابن السبيل هو الضيف .

وقال فقهاء العراق : ابن السبيل الحاج المنقطع .

قوله تعالى : ﴿ فريضة ﴾ أي : واجبة ﴿ من الله ﴾ ، وهو نصب على القطع ، وقيل : على المصدر ، أي : فرض الله هذه الأشياء فريضة .

﴿ والله عليم حكيم ﴾ ، اختلف الفقهاء في كيفية قسم الصدقات ، وفي جواز صرفها إلى بعض الأصناف :

فذهب جماعة إلى أنه لا يجوز صرفها كلها إلى بعضهم مع وجود سائر الأصناف ، وهو قول عكرمة ، وبه قال الشافعي ، قال : يجب أن تقسم زكاة كل صنف من ماله على الموجودين من الأصناف الستة ، الذين سُهَمَانِهِمْ ثابتة قسمةً على السواء ، لأن سهم المؤلفة ساقط ، وسهم العامل إذا قسم بنفسه ، ثم حصة كل صنف منهم لا يجوز أن تصرف إلى أقل من ثلاثة منهم إن وجد منهم ثلاثة أو أكثر ، فلو فاوت بين أولئك الثلاث يجوز ، فإن لم يوجد من بعض الأصناف إلا واحد صرف حصة ذلك الصنف إليه ما لم يخرج عن حد الاستحقاق ، فإن انتهت حاجته وفضل شيء رده إلى الباقي .

وذهب جماعة إلى أنه لو صرف الكل إلى صنف واحد من هذه الأصناف ، أو إلى شخص واحد منهم يجوز ، وإنما سُمي الله تعالى هذه الأصناف الثمانية إعلماً منه أن الصدقة لا تخرج عن هذه

الأصناف، لا إيجاباً لقسمها بينهم جميعاً. وهو قول عمر، وابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير وعطاء، وإليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي، وبه قال أحمد، قال: يجوز أن يضعها في صنف واحد وتفريقها أولى.

وقال إبراهيم: إن كان المال كثيراً يحتمل الإجزاء قسمه على الأصناف، وإن كان قليلاً جاز وضعه في صنف واحد.

وقال مالك: يتحرى موضع الحاجة منهم ويُقدم الأولى فالأولى من أهل الخُلة والحاجة، فإن رأى الخلة في الفقراء في عام أكثر قَدَمَهُم، وإن رآها في عام في صنف آخر حَوَّلَهَا إليهم.

وكلُّ من دُفِعَ إليه شيءٌ من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق، فلا يزيد الفقير على قدر غناه، فإذا حصل أدنى اسم الغنى لا يُعطى بعده، فإن كان محترفاً لكنه لا يجد آلة حرفته: فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته، ولا يزداد العامل على أجر عمله، والمُكاتب على قدر ما يُعتق به، وللغريم على قدر دينه، وللغازي على قدر نفقته للذهاب والرجوع والمقام في مغزاه وما يحتاج إليه من الفرس والسلاح، ولابن السبيل على قدر إتيانه مقصده أو مآله.

واختلفوا في نقل الصدقة عن بلد المال إلى موضع آخر، مع وجود السمتحقين فيه: فكرهه أكثر أهل العلم، لما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أنبأنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد المجبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، حدثنا زكريا بن إسحاق المكي، حدثنا يحيى بن عبد الله بن الصفي عن أبي معبد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن فقال: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً أَهْلَ كِتَابٍ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَدُنْكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَدُنْكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةَ تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَدُنْكَ فَيَاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَآتَى دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(١).

فهذا يدل على أن صدقة أغنياء كل قوم تُردُّ على فقراء ذلك القوم.

واتفقوا على أنه إذا نقل من بلد إلى بلد آخر أدَّى مع الكراهة، وسقط الفرض عن ذمته، إلا ما

(١) أخرجه الشيخان، وقد تقدم.

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلٍّ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ بِاللَّهِ
 وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٦﴾

حكي / عن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه أنه ردَّ صدقة حملت من خراسان إلى الشام إلى مكانها ١٦٠ / ب
 من خراسان .

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ﴾، نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون
 النبي ﷺ، ويقولون ما لا ينبغي، فقال بعضهم: لا تفعلوا، فإننا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا.
 فقال الجلاس بن سويد منهم: بل نقول ما شئنا، ثم تأتيه فننكر ما قلنا، ونحلف فيصدقنا بما نقول،
 فإنما محمدٌ أذنٌ^(١)، أي: أذنٌ سامعه، يقال: فلانٌ أذنٌ وأذنةٌ على وزن فعلة إذا كان يسمع كل ما قيل
 له ويقبله. وأصله من أذن يأذن أذنًا أي: استمع. وقيل: هو أذن أي: ذو أذن سامعة.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث، وكان
 رجلاً أذلم، ثائر شعر الرأس، أحمر العينين، أسفع الخدين، مشوه الخلق، وقد قال النبي ﷺ: «من
 أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث»، وكان ينم حديث النبي ﷺ إلى المنافقين،
 فقيل له: لا تفعل، فقال: إنما محمد أذن فمن حدثه شيئاً صدقه، فنقول ما شئنا، ثم تأتيه ونحلف
 بالله فيصدقنا. فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٢).

قوله تعالى: ﴿قُلْ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، قرأه العامة بالإضافة، أي: مستمعٌ خيرٌ وصلاحٌ لكم، لا
 مستمع شرٌ وفساد. وقرأ الأعمش والبرجمي عن أبي بكر: ﴿أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، مرفوعين منونين، يعني:
 أن يسمع منكم ويصدقكم خيرٌ لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم، ثم كذبهم فقال: ﴿يُؤْمِنُ
 بِاللَّهِ﴾، أي: لا، بل يؤمن بالله، ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: يصدق المؤمنين ويقبل منهم لا من
 المنافقين. يقال: أمنت وأمنت له بمعنى صدقته. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾، قرأ حمزة: «ورحمة» بالخفض على
 معنى أذن خير لكم، وأذن رحمة، وقرأ الآخرون: «ورحمة» بالرفع، أي: هو أذن خير، وهو رحمة
 ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾، لأنه كان سبب إيمان المؤمنين. ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(١) أسباب النزول للواحد ص (٢٨٦)، سيرة ابن هشام: ٥٢١/١.

(٢) ذكره ابن إسحاق بلاغاً: ٥٢١/١، وانظر: الطبري: ٣٢٤/١٤، أسباب النزول ص (٢٨٦) والدر المنثور: ٢٢٧/٤.

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا
 مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَتَاهُم نَارُ جَهَنَّمَ
 خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ
 سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا إِنِّي اللَّهُ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾

﴿يحلّفون بالله لكم ليرضوكم﴾، قال قتادة والسدي: اجتمع ناس من المنافقين فيهم
 الجلاس بن سويد، ووديعة بن ثابت، فوقعوا في النبي ﷺ، وقالوا: إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن
 شرٌّ من الحمير، وكان عندهم غلام من الأنصار يقال له عامر بن قيس، فحقره وقالوا هذه المقالة،
 فغضب الغلام وقال: والله إن ما يقول محمد حقٌّ وأنتم شرٌّ من الحمير، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره،
 فدعاهم وسألهم رسول الله ﷺ، فحلفوا أن عامراً كذاب. وحلف عامر أنهم كذبة فصدقهم النبي ﷺ،
 فجعل عامر يدعو ويقول: اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١).

وقال مقاتل والكلبي: نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك، فلما رجع رسول الله
 ﷺ أتوه يعتذرون إليه ويحلفون، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يحلّفون بالله لكم ليرضوكم، والله
 ورسوله أحقُّ أن يرضوه إن كانوا مؤمنين﴾.

﴿ألم يعلموا أنه من يحادِدِ الله ورسوله﴾، يخالف الله ورسوله أن يكونوا في جانب واحد من
 الله ورسوله، ﴿فأن نار جهنم خالداً فيها ذلك الخيزي العظيم﴾، أي: الفضيحة العظيمة.

﴿يحذَرُ المنافقون﴾، أي: يخشى المنافقون، ﴿أن تُنزلَ عليهم﴾، أي: تنزل على
 المؤمنين، ﴿سورة تُنبئهم بما في قلوبهم﴾، أي: بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة
 للمؤمنين، كانوا يقولون فيما بينهم ويسرون ويخافون الفضيحة بنزول القرآن في شأنهم.

قال قتادة: هذه السورة تُسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة، أثارَت مخازيهم ومثالبهم.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أنزل الله تعالى ذكر سبعين رجلاً من المنافقين
 بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الأسماء رحمة للمؤمنين، لئلا يعير بعضهم بعضاً، لأن أولادهم
 كانوا مؤمنين.

(١) انظر: الدر المنثور: ٤/٢٢٨، أسباب النزول ص(٢٨٧)، الطبري: ١٤/٣٢٩.

وَلِينَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ
وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾

﴿قل استهزءوا إن الله مُخْرِجٌ﴾، مظهر ﴿ما تحذرون﴾.

قال ابن كيسان: نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلاً من المنافقين، وقفوا لرسول الله ﷺ على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به إذا علاها، ومعهم رجل مسلم يخفيهم شأنه، وتنكروا له في ليلة مظلمة، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بما قَدَرُوا، وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم، وعمار بن ياسر يقود برسول الله ﷺ راحلته، وحذيفة يسوق به، فقال لحذيفة: اضرب وجوه رواحلهم فضربها حتى نحاها، فلما نزل رسول الله ﷺ قال لحذيفة: من عرفت من القوم؟ قال: لم أعرف منهم أحداً، فقال رسول الله ﷺ: «فإنهم فلان وفلان حتى عدَّهم كلهم، فقال حذيفة: ألا تبعثُ إليهم فتقتلهم؟ فقال: أكره أن تقول العرب. لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم، بل يكفيناهم الله بالذبيَّة»^(١).

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنبأنا عبد الغافر بن عيسى، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي نضرة عن قيس بن عباد قال: قلنا لعمار أرايت قتالكم أراياً رأيتموه؟ فإن الرأي يُخطيء ويصيب، أو عهد عهده إليكم رسول الله ﷺ؟ فقال: ما عهدَ إلينا رسولُ الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة، وقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن في أمتي - قال شعبة وأحسبه قال: حدثني حذيفة قال في أمتي - اثنا عشر منافقاً لا يدخلون الجنة، ولا يجدون ريحها، حتى يلجَّ الجمل في سمِّ الخياط، ثمانية منهم تكفيهم الذبيَّة، سراجٌ من النار يظهر في أكتافهم، حتى ينجم من صدورهم»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلئن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ الآية، وسبب نزول هذه الآية على ما قال الكلبي ومقاتل وقاتل: أن النبي ﷺ كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين، اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول، والثالث يضحك.

قيل: كانوا يقولون: إن محمداً يزعم أنه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما أبعد من ذلك! وقيل كانوا يقولون: إن محمداً يزعم أنه نزل في أصحابنا المقيمين بالمدينة قرآن، وإنما هو قوله وكلامه، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك؛ فقال: احبسوا عليَّ الركب، فدعاهم وقال لهم: قلت

(١) انظر: الدر المنثور: ٢٤٤/٤.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، برقم (٢٧٧٩): ٢١٤٣/٤.

لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً
بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾

كذا وكذا، فقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، أي كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لقطع الطريق بالحديث واللعب.

قال عمر^(١) فلقد / رأيت عبد الله بن أبي يشتد قدام رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه وهو يقول إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون، ما يلتفت إليه ولا يزيد عليه^(٢).

قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾، أي: قل يا محمد ﴿أبَاللَّهِ آيَاتِهِ﴾، كتابه، ﴿وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾. ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، فإن قيل: كيف قال: كفرتم بعد إيمانكم، وهم لم يكونوا مؤمنين؟

قيل: معناه: أظهرتم الكفر بعدما أظهرتم الإيمان.

﴿إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾، أي: نتب على طائفة منكم، وأراد بالطائفة واحداً، ﴿نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾، بالاستهزاء. قرأ عاصم: «نَعْفُ» بالنون وفتحها وضم الفاء، «نُعَذِّبُ» بالنون وكسر الدال، ﴿طَائِفَةً﴾ نصب. وقرأ الآخرون: «يُعْفَ» بالياء وضمها وفتح الفاء، ﴿نُعَذِّبُ﴾ بالياء وفتح الدال، «طائف» رفع على غير تسمية الفاعل.

وقال محمد بن إسحاق: الذي عفا عنه رجل واحد، هو مَخْشِي بن حُمَيْر الأشجعي، يقال هو الذي كان يضحك ولا يخوض، وكان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع، فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه، وقال: اللهم إني لا أزال أسمع آية تقرأ أعنى بها تقشعُرُ الجلود منها، وتجب^(٣) منها القلوب، اللهم اجعل وفاتي قتلاً في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت، فأصيب يوم اليمامة، فما أحد من المسلمين إلا عُرِفَ مصرعه غيره^(٤).

(١) هكذا في النسختين: «قال عمر». والصواب: «ابن عمر».

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٣/١٤ - ٣٣٤، أسباب النزول للواحدي ص (٢٨٨)، الدر المنثور: ٢٣٠/٤ - ٢٣١.

(٣) وَجِبَ قلبه يَجِبُ وَجِيْبًا: خفق واضطرب.

(٤) سيرة ابن هشام: ٥٢٥/٢. وفيه: مخشن بن حمير، ويقال: مَخْشِي.

الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيهِمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿١٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿١٨﴾ كَالَّذِينَ
مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ
فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ
كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ

قوله تعالى: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾، أي: هم على دين واحد. وقيل:
أمرهم واحد بالاجتماع على النفاق، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾، بالشرك والمعصية، ﴿وينهون عن
المعروف﴾، أي عن الإيمان والطاعة، ﴿ويقبضون أيديهم﴾ أي: يمسكونها عن الصدقة والإنفاق
في سبيل الله ولا يبسطونها بخير، ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيهِمْ﴾، تركوا طاعة الله، فتركهم الله من توفيقه وهدايته
في الدنيا، ومن رحمته في الآخرة، وتركهم في عذابه، ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾، كافيتهم جزاءً
على كفرهم، ﴿وَلَعْنَةُ اللَّهِ﴾، أبعدهم من رحمته، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، دائم.

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، أي: فعلتم كفعل الذين من قبلكم بالعدول عن أمر الله، فَلَعْنْتُمْ كَمَا
لَعْنُوا ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾، بَطْشًا وَمَنْعَةً، ﴿وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ﴾ فتمتعوا
وانتفعوا بخلاقهم؛ بنصيهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا به عوضاً عن الآخرة، ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ
بِخَلْقِكُمْ﴾، أيها الكفار والمنافقون، ﴿كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ﴾، وسلكتهم سبيلهم،
﴿وَخُضْتُمْ﴾ في الباطل والكذب على الله تعالى، وتكذيب رُسله، وبالإستهزاء بالمؤمنين، ﴿كَالَّذِي
خَاضُوا﴾، أي: كما خاضوا. وقيل: كالذي بمعنى كالذين خاضوا، وذلك أن «الذي» اسم ناقص،
مثل «ما» و«من» يُعْبَرُ بِهِ عَنِ الْوَاحِدِ وَالْجَمِيعِ، نظيره قوله تعالى: «كمثل الذي استوقد ناراً» ثم قال:
«ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ» (البقرة - ١٧).

هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ
 وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ
 بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾
 وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

﴿أولئك حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، أي: كما حَبِطَتْ
 أعمالهم وخسروا كذلك حَبِطَتْ أعمالكم وخسرتم.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعمي، أخبرنا محمد بن يوسف،
 حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن عبدالعزيز، حدثنا أبو عمر الصنعاني من اليمن، عن
 زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَتَتَّبِعَنَّ
 سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِدِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَا تَبِعْتُمُوهُمْ»، قلنا: يارسول الله
 اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» وفي رواية أبي هريرة: «فهل الناس إلا هم»، وقال ابن مسعود رضي
 الله عنه: «أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سَمْتًا وَهَدْيًا تَتَّبِعُونَ عَمَلَهُمْ حَذْوَ الْقَدَةِ بِالْقَدَةِ غَيْرَ أَنِّي لَا أَدْرِي
 أَتَعْبُدُونَ الْعِجْلَ أَمْ لَا؟»^(١).

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾، يعني المنافقين، ﴿نَبَأُ﴾، خبر، ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، حين عصوا
 رُسُلَنَا، وخالفوا أمرنا كيف عذبتناهم وأهلكناهم. ثم ذكروهم، فقال: ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾، أهلكوا بالطوفان،
 ﴿وَعَادٍ﴾، أهلكوا بالريح ﴿وَتَمُودَ﴾، بالرجفة، ﴿وقوم إبراهيم﴾، بسلب النعمة وهلاك نمرود،
 ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾، يعني قوم شعيب أهلكوا بعذاب يوم الظَّلَّةِ، ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ المنقلبات التي
 جعلنا عليها سافلها وهم قوم لوط، ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾، فكذبوهم وعصوهم كما فعلتم يامعشر
 الكفار، فاحذروا تعجيل النِّقْمَةِ، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في الدِّينِ وَاِتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ وَالْعَوْنِ
 وَالنُّصْرَةِ. ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، بالإيمان والطاعة والخير، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، عن الشرك

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...» ٣٠٠/١٣، ومسلم في العلم، باب اتباع سنن
 اليهود والنصارى، برقم (٢٦٦٩): ٤/٢٠٥٤، والمصنف في شرح السنة: ٣٩٢/١٤.

الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
 وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي
 جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

والمغصية وما لا يعرف في الشرع، ﴿ويقيمون الصلاة﴾، المفروضة، ﴿ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾.

﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومسكن طيبة﴾، منازل طيبة، ﴿في جنات عدن﴾ أي: بساتين خلد وإقامة، يقال: عدن بالمكان إذا أقام به. قال ابن مسعود: هي بطنان الجنة، أي: وسطها.

قال عبدالله بن عمرو بن العاص: إن في الجنة قصرًا يقال له: «عدن» حوله البروج والمروج، له خمسة آلاف باب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد.

وقال الحسن: قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل.

وقال عطاء بن السائب: «عدن» نهر في الجنة [جنانه] (١) على حافته.

وقال مقاتل الكلبي: «عدن» أعلى درجة في الجنة، وفيها عين التسنيم، والجنان حولها، محدقة بها، وهي مغطاة من حين خلقها الله تعالى حتى ينزلها أهلها: الأنبياء والصدّيقون والشهداء والصالحون، ومن شاء الله، وفيها قصور الدرّ واليواقيت والذهب، فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كُتبان المسك الأذفر الأبيض.

﴿ورضوان من الله أكبر﴾. أي: رضا الله عنهم أكبر من ذلك، ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾.

روينا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل لأهل الجنة يا أهل الجنة هل رضيتم؟ فيقولون: ربنا ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: أفلا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: ربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا» (٢).

(١) في ب: «: (جنانه).

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة: ١٣/٤٨٧، وفي الرقاق أيضاً، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة برقم (٢٨٢٩) ٤/٢١٧٦، والمصنف في شرح السنة: ٢٣١/١٥ - ٢٣٢.

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَبْسُ
 الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ
 إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ
 فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعدِبْهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
 وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾: بالسيف والقتل، ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾، واختلّفوا في
 صفة جهاد المنافقين، قال ابن / مسعود: بيده فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلمه، وقال:
 لا تَلَقَ الْمُنَافِقِينَ إِلَّا بِوَجْهِ مَكْفَهَرٍ^(١). وقال ابن عباس: باللسان وترك الرفق. وقال الضحاك: بتغليط
 الكلام. وقال الحسن وقتادة: بإقامة الحدود عليهم. ﴿وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ﴾ في الآخرة،
 ﴿جَهَنَّمُ وَيَبْسُ الْمَصِيرَ﴾. قال عطاء: نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح.

ب / ١٦١

قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾، قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ جالساً في ظل حجرة
 فقال: «إنه سيأتيكم إنساناً فينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا جاء فلا تكلموه»، فلم يلبثوا أن طلع رجل
 أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «عَلَامَ تَشْتَمِنِي أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ؟» فانطلق الرجل، فجاء بأصحابه،
 فحلفوا بالله، ما قالوا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية^(٢).

وقال الكلبي: نزلت في الجلاس بن سويد، وذلك أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم بتبوك،
 فذكر المنافقين وسماهم رجساً وعابهم، فقال جلاس: لئن كان محمد صادقاً لنحن شرٌّ من الحمير.
 فسمعه عامر بن قيس، فقال: أجل إن محمداً لصادقٌ وأنتم شرٌّ من الحمير، فلما انصرف رسول الله
 ﷺ إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قال الجلاس، فقال الجلاس: كذب عليّ يا رسول الله،
 وأمرهما رسول الله ﷺ أن يحلّفا عند المنبر، فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي
 لا إله إلا هو ما قاله، ولقد كذب عليّ عامر، ثم قام عامر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد قاله وما

(١) أخرجه الطبري عن ابن مسعود: ٣٥٨/١٤. ومعنى: بوجه مكفهري: عابس منقبض، لا طلاقة فيه ولا بشر ولا انبساط.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٦٣/١٤، وصحح الشيخ شاکر إسناده. وزاد السيوطي نسبه للطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه. الدرر المشور:

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ آتَيْنَاهُم مِّن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

كذبت عليه، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم أنزل على نبيك تصديق الصادق منا، فقال رسول الله ﷺ والمؤمنون: آمين. فنزل جبريل عليه السلام قبل أن يتفرقا بهذه الآية، حتى بلغ: ﴿فإن يتوبوا يك خيراً لهم﴾، فقام الجلاس فقال: يا رسول الله أسمع [الله عز وجل] (١) قد عرض علي التوبة، صدق عامر بن قيس فيما قاله، لقد قلته وأنا أستغفر الله وأتوب إليه، فقيل رسول الله ذلك منه وحسنت توبته.

قوله تعالى: ﴿ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾، أي: أظهروا الكفر بعد إظهار الإيمان والإسلام. قيل: هي سب النبي ﷺ. وقيل: كلمة الكفر قول الجلاس: لئن كان محمد صادقاً لنحن شر من الحمير. وقيل: كلمة الكفر قولهم «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل»، (المنافقين - ٨) وستأتي تلك القصة [في موضعها في سورة المنافقين] (٢)، ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾، قال مجاهد: هم المنافقون يقتل المسلم الذي سمع قولهم: لنحن شر من الحمير، لكي لا يفشيه.

وقيل: هم اثنا عشر رجلاً من المنافقين وقفوا على العقبة في طريق تبوك ليفتكو برسول الله ﷺ، فجاء جبريل عليه السلام وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم، فأرسل حذيفة لذلك.

وقال السدي: قالوا إذا قدمنا المدينة عقدنا على رأس عبدالله بن أبي تاجاً، فلم يصلوا إليه.

﴿وما نَقَمُوا﴾، وما كرهوا وما أنكروا منهم، ﴿إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾. وذلك أن مولى الجلاس قتل، فأمر رسول الله ﷺ بديته اثني عشر ألف درهم فاستغنى. وقال الكلبي: كانوا قبل قدوم النبي ﷺ في ضنك من العيش، فلما قدم عليهم النبي ﷺ استغنوا بالغنائم.

﴿فإن يتوبوا﴾ من نفاقهم وكفرهم ﴿يك خيراً لهم وإن يتولوا﴾، يعرضوا عن الإيمان، ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا﴾، بالخزي، ﴿والآخرة﴾، أي: وفي الآخرة بالنار، ﴿ومالهم في الأرض من ولي ولا نصير﴾.

قوله تعالى: ﴿ومنها من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن﴾ الآية. أخبرنا أبو سعيد الشريحي، حدثنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو عبدالله بن حامد الأصفهاني، حدثنا أحمد بن

(١) ساقط من «ب».

(٢) زيادة من المطبوع.

محمد بن إبراهيم السمرقندي، حدثنا محمد بن نصر، حدثني أبو الأزهر أحمد بن الأزهر، حدثنا مروان بن محمد بن شعيب حدثنا مُعَانٌ^(١) بن رفاعة عن علي بن يزيد^(٢)، عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة الباهلي قال: جاء ثعلبة بن حاطب الأنصاري إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن يرزقني مالاً. فقال رسول الله ﷺ: «ويحك يا ثعلبة قليل تُؤدي شكره خيرٌ من كثير لا تُطيقه»، ثم أتاه بعد ذلك فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن يرزقني مالاً، فقال رسول الله ﷺ: «أمالك في رسول الله أسوة حسنة؟ والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت» ثم أتاه بعد ذلك فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن يرزقني مالاً فوالذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارزق ثعلبة مالاً».

قال: فاتخذ غنماً فَنَمَتْ كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها، فنزل وادياً من أوديتها وهي تنمو كاللدود، فكان يصلي مع النبي ﷺ الظهر والعصر، ويصلي في غنمه سائر الصلوات، ثم كثرت ونمت حتى تباعد بها عن المدينة، فصار لا يشهد إلا الجمعة، ثم كثرت فَنَمَتْ فتباعد أيضاً حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة. فكان إذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار، فذكره ﷺ ذات يوم فقال: ما فعل ثعلبة؟ قالوا: يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنماً ما يسعها وادٍ، فقال رسول الله ﷺ: «يا وَيْحَ ثعلبة يا وَيْحَ ثعلبة يا وَيْحَ ثعلبة». فأنزل الله آية الصدقات، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً من بني سليم ورجلاً من جُهينة وكتب لهما أسنان الصدقة، كيف يأخذان، وقال لهما: «مراً بثعلبة بن حاطب، و[بفلان]، رجل من بني سليم فخذوا صدقاتهما، فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية، انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إليّ، فانطلقا وسمع بها السلمي فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا: ما هذه عليك. قال: خذاه فإن نفسي بذلك طيبة، فمراً على الناس فأخذوا الصدقات، ثم رجعا إلى ثعلبة، فقال: أروني كتابكما فقراه، ثم قال: ما هذه إلا أخت الجزية، اذها حتى أرى رأيي.

قال: فأقبلا فلما رأهما رسول الله ﷺ قبل أن يكلماه قال: يا وَيْحَ ثعلبة يا وَيْحَ ثعلبة، ثم دعا للسلمي بخير، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لِنُحْنِ آتَانَا مِنْ / فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَنَّ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة

(١) في «ه» (معاذ) (بالذال).

(٢) في الأصل: (زيد) وهو خطأ.

فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا، فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه الصدقة، فقال: إن الله عز وجل منعني أن أقبل منك صدقتك، فجعل يحثو التراب على رأسه، فقال رسول الله ﷺ: هذا عملك وقد أمرتك فلم تطعني، فلما أتى رسول الله ﷺ أن يقبض صدقته، رجع إلى منزله. وقبض رسول الله ﷺ. ثم أتى أبا بكر فقال: أقبّل صدقتي، فقال أبو بكر: لم يقبلها منك رسول الله ﷺ ثم أنا أقبّلها؟ فقبض أبو بكر ولم يقبلها. فلما ولي عمر أياه فقال: أقبّل صدقتي، فقال: لم يقبلها منك رسول الله ولا أبو بكر، أنا أقبّلها منك؟ فلم يقبلها فلما ولي عثمان أياه فلم يقبلها منه، وهلك ثعلبة في خلافة عثمان^(١).

قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقتادة: أتى ثعلبة مجلساً من الأنصار فأشهدهم لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حقّ حقّه، وتصدقت منه، ووصلت الرحم، وأحسنيت إلى القرابة، فمات ابن عم له [فورثه]^(٢) مالا فلم يف بما قال، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٣).

وقال الحسن ومجاهد: نزلت في ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير، وهما من بني عمرو بن عوف، خرجا على ملاّ قعود وقالوا: والله لئن رزقنا الله [مالاً]^(٤) لنصدقن، فلما رزقهما الله عز وجل بخلاً به^(٥) فقلوه عز وجل: ﴿ومنهم﴾ يعني: المنافقين ﴿من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن﴾ ولنؤدين حقّ الله منه. ﴿ولنكونن من الصالحين﴾، نعمل بعمل أهل الصلاح فيه؛ من صلة الرحم والنفقة في الخير.

(١) أخرجه الطبري: ٣٧٠/١٤ - ٣٧٢، والواحدي في أسباب النزول ص(٢٩٠-٢٩٢)، وابن الأثير في أسد الغابة: ٢٨٤/١ - ٢٨٥، وأشار إلى أنه مخرج عن ابن منده وأبي نعيم وابن عبد البر في الاستيعاب ٢١٠/١٠، وعزاه الهيثمي للطبراني وقال: «فيه علي بن يزيد الألهماني، وهو متروك». وعزاه السيوطي في الدر: ٢٤٦/٤ والهيثمي في المجمع: ٢١/٧ للحسن بن سفيان وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والعسكري في الأمثال وابن مردويه وأبي نعيم في معرفة الصحابة، وابن عساکر.

ومعان بن رفاعة السلمی: لئن الحديث، وعلي بن يزيد: ضعيف بمرّة. فالخير ضعيف. قال فيه ابن حجر: «وهذا إسناد ضعيف جداً» وقال الشيخ محمود شاكر: «هو ضعيف كل الضعف - ليس له شاهد من غيره - وفي بعض رواته ضعف شديد». وفي كون المراد بالآية ثعلبة بن حاطب. نظر. فإنه بدري. وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية» وحكى ﷺ عن ربه تبارك وتعالى أنه قال لأهل بدر: (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقاً في قلبه، وينزل فيه ما ينزل؟ وثعلبة بن حاطب رضي الله عنه، الذي شهد بدرًا، قتل في غزوة أحد، وفي هذه الرواية أنه هلكت في عهد عثمان رضي الله عنه، فتأكد أنه ليس هو ثعلبة بن حاطب البدری.

وانظر: الكافي الشاف ص(٧٧)، الإصابة: ٤٠١/١، الحاوي للفتاوى: ١٨٣/٢.

(٢) في (أ): فورث منه.

(٣) انظر: الطبري: ٣٧٣/١٤ - ٣٧٤، الدر المنثور: ٢٤٧/٤.

(٤) ساقط من (أ).

(٥) الطبري: ٣٧٤/١٤ - ٣٧٥.

فَلَمَّا آتَتْهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي
 قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾
 الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ
 لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٨﴾

﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾، فأخلفهم، ﴿نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، أي: صير عاقبة أمرهم النفاق، يقال: أعقب فلاناً ندامةً إذا صير عاقبة أمره ذلك. وقيل: عاقبهم بنفاق قلوبهم. يُقال: عاقبتُه وأعقبته بمعنى واحد. ﴿إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ﴾، يريد حرهم التوبة إلى يوم القيامة، ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى، حدثنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، حدثنا عبدالله بن عمر الجوهري، حدثنا أحمد بن علي الكشميهني، حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل بن جعفر أخبرنا أبو سهيل نافع بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»^(١).

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾، يعني: ما أضمرُوا في قلوبهم وما تناجوا به بينهم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ الآية.

قال أهل التفسير: حث رسول الله ﷺ على الصدقة، فجاء عبدالرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم، وقال: يا رسول الله مالي ثمانية آلاف جئتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله، وأمست أربعة آلاف لعيالي، فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمست»، فبارك الله في

(١) أخرجه البخاري في الإيمان، باب علامات المنافق: ٨٩/١، ومسلم في الإيمان، باب خصال المنافق، برقم (٥٩): ٧٨/١، والمصنف في شرح السنة: ٧٢/١.

أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٨﴾ فَرِحَ
الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

ماله حتى أنه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمنُ ماله لهما مائة وستين ألف درهم . وتصدق يومئذ
عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسقي من تمر . وجاء أبو عقيل الأنصاري واسمه الحجاب بصاع من
تمر، وقال: يارسول الله بث لي ليلي أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما
لأهلي وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله ﷺ أن يشتره في الصدقة، فلمزهم المنافقون، فقالوا: ما أعطى
عبدالرحمن وعاصم إلا رياء، وإن الله ورسوله لغنيان عن صاع أبي عقيل، ولكنه أراد أن يذكر بنفسه
ليعطى من الصدقة، فأنزل الله عز وجل: ^(١)

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ أي: يعيبون ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ المتبرعين ﴿من المؤمنين في الصدقات﴾
يعني: عبدالرحمن بن عوف وعاصماً. ﴿والذين لا يجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾، أي: طاقتهم، يعني: أبا
عقيل. والجهد: الطاقة، بالضم لغة قريش وأهل الحجاز. وقرأ الأعرج بالفتح. قال القتيبي: الجهد
بالضم الطاقة وبالفتح المشقة. ﴿فيسخرون منهم﴾، يستهزؤون منهم، ﴿سخر الله منهم﴾. أي:
جازاهم الله على السخرية، ﴿ولهم عذاب أليم﴾.

﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾، لفظه أمر، ومعناه خبر، تقديره: أستغفرت لهم أم لم
تستغفر لهم لن يغفر الله لهم. ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، وذكر عدد السبعين
للمبالغة في اليأس عن طمع المغفرة.

قال الضحاك: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ رَخَّصَ لِي فَلَا زَيْدٌ عَلَى
السَّبْعِينَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ»، فأنزل الله على رسوله ﷺ ﴿سِوَاءَ أَسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ
لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ ^(٢).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾
﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن غزوة تبوك. والمخلف: المتروك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي بقعودهم ﴿خِلافَ﴾

(١) انظر: الطبري: ٣٨٣/١٤ - ٣٨٨، الدر المنثور: ٢٤٩/٤ - ٢٥٠.

(٢) الطبري: ٣٩٥/١٤، الدر المنثور: ٢٥٣/٤.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾
 فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى
 طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقْتَلُوا مَعِيَ
 عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾

رسول الله ﷺ، قال أبو عبيدة: أي بعد رسول الله ﷺ. وقيل: مخالفة لرسول الله ﷺ حين سار وأقاموا،
 ﴿وكرهوا أن يُجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تَنفِرُوا في الحرِّ﴾، وكانت غزوة تبوك
 في شدة الحرِّ، ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾، يعلمون وكذلك هو في مصحف
 عبد الله بن مسعود.

﴿فليضحكوا قليلاً﴾، في الدنيا، ﴿وليبكوا كثيراً﴾، في الآخرة. تقديره: فليضحكوا قليلاً
 فسيبكون كثيراً، ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنبأنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين
 العلوي قال: أخبرنا عبد الله بن محمد الحسين الشرقي، حدثنا عبد الله بن هاشم، حدثنا يحيى بن
 سعيد، حدثنا شعبة عن موسى بن أنس عن أنس رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «ولو
 تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»^(١).

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، حدثنا أبو طاهر محمد بن أحمد الحارث، حدثنا
 أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي^(٢) حدثنا عبد الله بن محمود، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن
 عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله بن المبارك عن عمران بن زيد الثعلبي، حدثنا يزيد الرقاشي، عن
 أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس ابكوا، فإن لم تستطيعوا فتابكوا، فإن
 أهل النار يبيكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول، ثم تنقطع الدموع، فتسيل
 الدماء فتقرح العيون، فلو أن سَفْنَا أُجريت فيها لَجَرَّتْ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب قوله تعالى: «ولا تسألوا عن أشياء إن تبدلتم تسؤمكم»: ٢٨٠/٨، ومسلم في الفضائل، باب توقيره
 ﷺ، برقم (٢٣٥٩): ١٨٣٢/٤، والمصنف في شرح السنة: ٣٦٨/١٤ - ٣٦٩.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) قال الهيثمي: رواه أبو يعلى، وأضعف من فيه يزيد الرقاشي، وقد وثق على ضعفه. انظر: المجمع: ٣٩١/١٠، وأخرجه المصنف في
 شرح السنة: ٢٥٢/١٥.

قوله تعالى : ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ﴾ أي: ردك يا محمد من غزوة تبوك، ﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾، يعني: من المخلفين. وإنما قال: «طائفة منهم» لأنه ليس كل من تخلف عن غزوة تبوك كان منافقاً، ﴿فَاسْتَأذِنُوا لِلْخُرُوجِ﴾، معك في غزوة أخرى، ﴿فَقُلْ﴾، لهم ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ في سفر، ﴿وَلَنْ تَقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، في غزوة تبوك ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾، أي: مع النساء والصبيان، وقيل مع الزمّنى والمرضى .

وقال / ابن عباس: مع الذين تخلفوا بغير عذر .

ب/١٦٢

وقيل : مع الخالفين . قال الفراء : يقال : صاحب خالف إذا كان مخالفاً .

﴿وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ الآية . قال أهل التفسير: بعث عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله ﷺ وهو مريض، فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال له أهلكك حب اليهود؟ فقال: يا رسول الله إني لم أبعث إليك لتؤنّبني، إنما بعثت إليك لتستغفر لي، وسأله أن يكفنه في قميصه ويصلي عليه .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، حدثنا أحمد بن عبد الله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يحيى بن بكير، حدثني الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عباس، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دُعِيَ له رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وَبِئْتُ إِلَيْهِ، فقلت: يا رسول الله أتصلي على ابن أبي بن سلول وقد قال يوم كذا وكذا وكذا؟ أعدد عليه قوله، فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: «أخّر عني يا عمر» فلما أكثرت عليه قال: إني خيّرْتُ فاخترتُ، لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها، قال: فصلّى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تُقَمِّمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾، إلى قوله: ﴿وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ . قال: فعجبتُ بعدُ من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ، والله ورسوله أعلم^(١).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، حدثنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان قال عمرو: سمعتُ جابر بن عبد الله قال: أتى رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي بعدما أدخل في حفرة فأمر به فأخرج فوضعه على ركبته ونفث في فيه من ريقه وألبسه قميصه . فالله أعلم وكان كَسَا عَبَّاسًا قَمِيصًا .

قال سفيان: وقال هارون: وكان على رسول الله ﷺ قميصان فقال ابن عبد الله: يا رسول الله [ألبسُ أُنِي] قميصك الذي يلي جلدك^(٢).

وروي عن جابر قال: لما كان يوم بدر أتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب فوجدوا قميص عبد الله بن

(١) أخرجه البخاري في الجنائز، باب ما يكره من الصلاة على المنافقين.. ٢٢٨/٣ .

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز، باب هل يخرج الميت من القبر واللحد لعلته؟ ٢١٤/٣ .

وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْعَامِنَا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعْذَنَكَ أُولُوا الطُّولِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ

أبي يقدر عليه، فكساه النبي ﷺ إياه، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه عبد الله. قال ابن عيينة: كانت له عند النبي ﷺ يد فأحب أن يكافئه (١).

وروي أن النبي ﷺ كلم فيما فعل بعبد الله بن أبي فقال ﷺ: «وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله شيئاً والله إنى كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه»، وروي أنه أسلم به ألف من قومه لما رآه يتبرك بقميص النبي ﷺ (٢).

قوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ ولا تَقِفْ عليه، ولا تَتَوَلَّ دَفَنَهُ، من قولهم: قام فلان بأمر فلان: إذا كفاه أمره. ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾، فما صلى النبي ﷺ بعدها على منافق ولا قام على قبره حتى قبض.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْعَامِنَا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعْذَنَكَ أُولُوا الطُّولِ مِنْهُمْ﴾، ذوو الغنى والسعة منهم في القعود، ﴿وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾، في رحالهم.

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾، يعني النساء. وقيل: مع أدنياء الناس وسفلتهم. يقال: فلان خالفة قومه إذا كان دونهم. ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرَاتُ﴾، يعني:

(١) أخرجه البخاري في الجهاد، باب الكسوة للأسارى: ١٤٤/٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٠٩/١٤—٤١٠، والحايزن: ١٠٨/٣، وعزاه السيوطي لأبي الشيخ. انظر: الدر المنثور: ٢٥٩/٤، أسباب النزول

للواحد ص (٢٩٥).

وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّتِكُمْ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمَفْلُحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾

الحسنات، وقيل: الجواري الحسان في الجنة. قال الله تعالى: (فيهنَّ خيراتٌ حسان)، جمع خَيْرَةٌ^(١)، وحكى عن ابن عباس: أَنَّ [الخَيْرِ]^(٢) لا يعلم معناه إلا الله كما قال جل ذكره: «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قُرّة أعين» (السجدة - ١٧). ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمَفْلُحُونَ﴾ .

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ الآية، قرأ يعقوب ومجاهد: ﴿الْمُعَذَّرُونَ﴾ بالتخفيف وهم المبالغون في العذر، يقال في المثل: «لقد أعذر من أنذر» أي: بالغ في العذر من قدم الندارة، وقرأ الآخرون ﴿المُعذِّرون﴾ بالتشديد، أي: المقصرون، يقال: عَذَّرَ أي: قصر، وقال الفراء: المعذرون المعتذرون ادغمت التاء في الذال وتقلت حركة التاء إلى العين.

وقال الضحاك: المعذرون هم رهط عامر بن الطفيل جاؤوا إلى رسول الله ﷺ دفاعاً عن أنفسهم فقالوا: يا نبي الله إن نحن غزونا معك تغير أعراب طيء على حلائلنا وأولادنا ومواشينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «قد أنبأني الله من أخباركم وسيغني الله عنكم»^(٣).

وقال ابن عباس: هم الذين تخلفوا بعذر بإذن رسول الله ﷺ^(٤).

﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، يعني: المنافقين .

قال أبو عمرو بن العلاء: كلا الفريقين كان مسيئاً قوم تكلفوا عذراً بالباطل، وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ﴾، وقوم تخلفوا عن غير تكلف عذر فقعدوا جرأة على الله تعالى، وهم

(١) قال الطبري: «الخيرات»: هي خيرات الآخرة، وذلك، نساؤها، وجناتها، ونعيمها. واحدها: «خَيْرَةٌ»، كما قال الشاعر:
ولقد طَعَنْتُ مَجَامِعَ الرِّبَلَاتِ رِبَلَاتٍ هُنَّ خَيْرَةُ الْمَلِكَاتِ
و«الخَيْرَةُ» من كل شيء، الفاضلة .

انظر: تفسير الطبري: ٤١٤/١٤-٤١٥ .

(٢) في «أ»: (الخيرات) .

(٣) انظر: البحر المحيط: ٨٤/٥ .

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤١٨/١٤ .

لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ
 حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ
 رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَّا أَحْمَلُكُمْ
 عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿١٢﴾

المنافقون فأوعدهم الله بقوله: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثم ذكر أهل العذر، فقال
 جلَّ ذكره:

﴿ليس على الضعفاء﴾، قال ابن عباس: يعني الرمنى والمشايخ والعجزة. وقيل: هم الصبيان وقيل:
 النسوان، ﴿ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون﴾، يعني الفقراء ﴿حرج﴾، مأثم.
 وقيل: ضيق في القعود عن الغزو، ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾، في مغيبهم وأخلصوا الإيمان والعمل لله
 وبايعوا الرسول. ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾، أي: من طريق بالعقوبة، ﴿والله غفور رحيم﴾.
 قال قتادة: نزلت في عائذ بن عمرو وأصحابه^(١).

وقال الضحاك: نزلت في عبد الله بن أم مكتوم وكان ضريير البصر^(٢).

قوله تعالى: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾، معناه: أنه لا سبيل على الأولين ولا على هؤلاء
 الذين أتوك وهم سبعة نفر سُموا البكائين: مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ، وَصَخْرُ بْنُ خَنْسَاءَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَعْبِ
 الْأَنْصَارِيِّ، وَعُثْبَةُ^(٣) بْنُ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ، وَسَالِمُ بْنُ عَمِيرٍ، وَثَعْلَبَةُ بْنُ غَنْمَةَ^(٤)، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْقِلِ الْمَزْنِيِّ،
 أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ نَدَبَنَا إِلَى الْخُرُوجِ مَعَكَ فَاحْمَلْنَا^(٥).

واختلفوا في قوله: ﴿لتحملهم﴾ قال ابن عباس: سألوه أن يحملهم على الدواب.

وقيل سألوه أن يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال / المخصوصة، ليغزوا معه فقال النبي ﷺ: «لا
 أجد ما أحملكم عليه» تولوا، وهم ييكون، فذلك قوله تعالى: ﴿تولوا وأعنيهم تفيض من الدمع حزناً
 أن لا يجدوا ما ينفقون﴾.

(١) انظر: الطبري: ٤٢٠/١٤.

(٢) قارن بالدر المنثور: ٢٦٢/٤.

(٣) في الأصل: (عُثْبَةُ)، وفي المطبوع: (عُثْبَةُ). والتصويب من الروض الأنف للسهيلى: ٣٢١/٢.

(٤) في (أه) (عشمه).

(٥) أخرجه الطبري: ٤٢٣/١٤، وانظر: السيرة لابن هشام: ٥١٨/٢، أسباب النزول للواحدى ص (٢٩٦)، إمتاع الأسماع للمقريزي:

٤٤٨/١.

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِذُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا
 مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٩٣ ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ
 إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ
 وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ٩٤ ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ
 لِتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَا وَهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ ﴾ ٩٥ ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ
 اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ ٩٦ ﴿

﴿إنما السبيل﴾، بالعقوبة، ﴿على الذين يستأذنونك﴾، في التخلف ﴿وهم أغنياء رضوا بأن
 يكونوا مع الخوالف﴾ مع النساء والصبيان، ﴿وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون﴾.
 ﴿يعتذرون إليكم إذا رجعت إليهم﴾، يروى أن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة
 وثمانين نفراً، فلما رجع رسول الله ﷺ جاؤوا يعتذرون بالباطل. قال الله تعالى: ﴿قل لا تعتذروا لن
 نؤمن لكم﴾، لن نصدقكم، ﴿قد نبأنا الله من أخباركم﴾، فيما سلف، ﴿وسيرى الله عملكم
 ورسوله﴾، في المستأنف أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه؟ ﴿ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة
 فينبيئكم بما كنتم تعملون﴾.

﴿سيعلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم﴾، إذا انصرفتم إليهم من غزوكم، ﴿لتعرضوا عنهم﴾،
 لتصفحوا عنهم ولا توبوهم، ﴿فأعرضوا عنهم﴾، فدعوهم وما اختاروا لأنفسهم من النفاق، ﴿إنهم
 رجس نجس أي: إن عملهم قبيح، ﴿وماواهم﴾، في الآخرة، ﴿جهنم جزاء بما كانوا يكسبون﴾.
 قال ابن عباس: نزلت في جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلاً من المنافقين.
 فقال النبي ﷺ حين قدم المدينة: «لا تُجالسوهم ولا تُكلموهم» (١).
 وقال مقاتل: نزلت في عبدالله بن أبي حلف للنبي ﷺ بالله الذي لا إله إلا هو لا يتخلف عنه
 بعدها، وطلب من النبي ﷺ أن يرضى عنه، فأنزل الله عز وجل هذه الآية، ونزل: ﴿يحلِفون لكم

(١) انظر الرواية عن ابن عباس مطولة في: الطبري: ٤٢٦/١٤-٤٢٧. وقوله ﷺ: «لا تجالسوهم...» عزاه السيوطي لابن أبي حاتم وأبي
 الشيخ. انظر: الدر المنثور: ٢٦٦/٤.

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سِيدِ خَلْمِهِمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩﴾

لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾ .

﴿الأعراب﴾، أي: أهل البدو، ﴿أشدُّ كفرًا ونفاقًا﴾، من أهل الحضرة، ﴿وأجدر﴾، أخلق وأحرى، ﴿ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله﴾، وذلك لبعدهم عن سماع القرآن ومعرفة السنن، ﴿والله عليم﴾ بما في قلوب خلقه ﴿حكيم﴾ فيما فرض من فرائضه .

﴿ومِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾. قال عطاء: لا يرجو^(٢) على إعطائه ثواباً، ولا يخاف على إمساكه عقاباً، إنما ينفق خوفاً أورياً. والمغرم التزام ما لا يلزم. ﴿ويتربص﴾، وينتظر ﴿بكم الدوائر﴾ يعني: صروف الزمان، التي تأتي مرة بالخير ومرة بالشر. وقال يمان بن رباب: يعني ينقلب الزمان عليكم فيموت الرسول ويظهر المشركون، ﴿عليهم دائرة السوء﴾ [عليهم]^(٣) يدور البلاء والحزن، ولا يرون في محمد ودينه إلا ما يسوءهم.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿دائرة السوء﴾ هاهنا وفي سورة الفتح، بضم السين، معناه: الضر والبلاء والمكروه. وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر. وقيل: بالفتح الردة والفساد، وبالضم الضر والمكروه .

﴿واللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. نزلت في أعراب أسد وغطفان وتميم^(٤). ثم استثنى فقال:

﴿ومِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، قال مجاهد: هم بنو مُقَرَّنٍ من مُزَيْنَةَ. وقال

الكلبي: أسلم وغفار وجُهينة .

(١) انظر: البحر المحيط: ٨٩/٤ - ٩٠ .

(٢) في «ب»: (يرجون... بخافون) .

(٣) ساقط من «أ» .

(٤) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٢٩٧)، الدر المنثور: ٢٦٦/٤ .

وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠﴾

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أنبأنا جدي عبدالصمد بن عبدالرحمن البزار، أنبأنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري، أنبأنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، أنبأنا عبدالرزاق، حدثنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَسْلَمُ وَغَفَارٌ وَشِيءٌ مِنْ جُهَيْنَةَ وَمُزَيْنَةَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ تَمِيمٍ وَأَسَدِ بْنِ حُزَيْمَةَ وَهَوَازِنَ وَغُظْفَانَ» (١).

﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾، القربات جمع القرية، أي: يطلب القرية إلى الله تعالى، ﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾، أي: دعاءه واستغفاره، قال عطاء: يرغبون في دعاء النبي ﷺ. ﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾. قرأ نافع برواية ورش «قُرْبَةٌ» بضم الراء، والباقون بسكونها. ﴿سَيَدْخُلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾، في جنته، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ الآية. قرأ يعقوب بالرفع عطفاً على قوله:

«والسابقون».

واختلفوا في السابقين الأولين، قال سعيد بن المسيب، وقتادة، وابن سيرين وجماعة: هم الذين صلوا إلى القبليتين.

وقال عطاء بن أبي رباح: هم أهل بدر.

وقال الشعبي: هم الذين شهدوا بيعة الرضوان، وكانت بيعة الرضوان بالحديبية.

واختلفوا في أول من آمن برسول الله ﷺ بعد امرأته خديجة، مع اتفاقهم على أنها أول من آمن برسول الله ﷺ. فقال بعضهم: أول من آمن وصلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو قول جابر، وبه قال مجاهد وابن إسحاق، أسلم وهو ابن عشر سنين.

وقال بعضهم: أول من آمن بعد خديجة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهو قول ابن عباس

وإبراهيم النخعي والشعبي.

وقال بعضهم: أول من أسلم زيد بن حارثة، وهو قول الزهري وعروة بن الزبير.

وكان إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الأقوال فيقول: أول من أسلم من الرجال أبو بكر

(١) أخرجه البخاري في المناقب، باب ذكر أسلم... ٥٤٣/٦، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل غفار، برقم (٢٥٢١):

١٩٥٥/٤، والمصنف في شرح السنة: ٦٥/١٤.

رضي الله عنه، ومن النساء خديجة، ومن الصبيان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن العبيد زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق: فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه أظهر إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله، وكان رجلاً محبباً سهلاً وكان أنسب قريش وأعلمها بما كان فيها، وكان تاجراً ذا خلقٍ ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر؛ لعلمه وحُسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه، فأسلم على يديه — فيما بلغني — : عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلموا وصلّوا، فكان هؤلاء الثمانية نفر الذين سبقوا إلى الإسلام^(١). ثم تتابع الناس في الدخول في الإسلام، أما السابقون من الأنصار: فهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وكانوا ستة^(٢) في العقبة الأولى، وسبعين في الثانية، والذين آمنوا حين قدم عليهم مُصعب بن عمير يعلمهم القرآن، فأسلم معه خلق كثير وجماعة من النساء والصبيان .

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ﴾ الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا أوطانهم. ﴿وَالْأَنْصَارُ﴾ أي: ومن الأنصار، وهم الذين نصرّوا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل المدينة وآووا أصحابه، ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾. قيل: هم بقية المهاجرين والأنصار سوى / السابقين الأولين.

١٦٣/ب

وقيل: هم الذين سلكوا سبيلهم في الإيمان والهجرة أو النصرة إلى يوم القيامة .

وقال عطاء: هم الذين يذكرون المهاجرين والأنصار بالترحم والدعاء.

وقال أبو صخر حميد بن زياد: أتيتُ محمد بن كعب القرظي فقلت له: ما قولك في أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقال: جميع أصحاب رسول الله ﷺ في الجنة محسنهم ومسيئهم، فقلت: من أين تقول هذا؟ فقال: يا هذا اقرأ قول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ إلى أن قال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، وقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾، شرط في التابعين شريطة وهي أن يتبعوهم في أفعالهم الحسنة دون السيئة .

قال أبو صخر: فكأنني لم أقرأ هذه الآية قط^(٣) .

روينا أن النبي ﷺ قال: «لا تُسبُّوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً

(١) انظر: سورة ابن هشام: ٢٤٩/١-٢٥٢ (طبعة الحلبي) .

(٢) في (أ): (سبعة) .

(٣) عزاه السيوطي في الدر: ٢٧٢/٤ لأبي الشيخ وابن عساكر .

وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنَعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَردُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١١﴾

ما أذكرك مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» (١) .

ثم جمعهم الله عز وجل في الثواب فقال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، قرأ ابن كثير: (من تحتها الأنهار)، وكذلك هو في مصاحف أهل مكة، ﴿خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾، وهم من مُزينة وجُهينة وأشجع وأسلم وغفار، كانت منازلهم حول المدينة، يقول: من هؤلاء الأعراب منافقون، ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾، أي: ومن أهل المدينة من الأوس والخزرج قوم منافقون، ﴿مَرَدُّوا عَلَى النِّفَاقِ﴾، أي: مرنوا على النفاق، يقال: تمرد فلان على ربه أي: عتا ومرد على معصيته. أي: مرن وثبت عليها واعتادها. ومنه: المرید والمارد. قال ابن إسحاق: لجوا فيه وأبوا غيره .

وقال ابن زيد: أقاموا عليه ولم يتوبوا.

﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾، أنت يا محمد، ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنَعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾، اختلفوا في هذين العذابين. قال الكلبي والسدي: قام النبي ﷺ خطيباً يوم الجمعة فقال: «أخْرُجْ يَافِلَانَ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ أَخْرَجَ يَافِلَانَ. أَخْرَجَ نَاسًا مِنَ الْمَسْجِدِ وَفَضَحَهُمْ، فَهَذَا هُوَ الْعَذَابُ الْأَوَّلُ. وَالثَّانِي: عَذَابُ الْقَبْرِ» (٢) .

وقال مجاهد: الأول: القتل والسبي، والثاني: عذاب القبر. وعنه رواية أخرى: عُدُّوا بِالْجُوعِ مَرَّتَيْنِ. وقال قتادة: الدَّبِيلَةُ فِي الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْقَبْرِ .

وقال ابن زيد: الأولى المصائب في الأموال والأولاد في الدنيا، والأخرى عذاب الآخرة .

وعن ابن عباس: الأولى إقامة الحدود عليهم، والأخرى عذاب القبر.

وقال ابن إسحاق: هو ما يدخل عليهم من غيظ الإسلام ودخولهم فيه من غير حسبة ثم عذاب القبر.

وقيل: لإحداهما ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم، والأخرى عذاب القبر .

وقيل الأولى إحراق مسجدهم، مسجد الضرار، والأخرى إحراقهم بنار جهنم (٣) . ﴿ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَىٰ

عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾، أي: إلى عذاب جهنم يخلدون فيه .

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ «لو كنت متخذاً خليلاً...»: ٢١/٧، ومسلم في فضائل الصحابة،

باب تحريم سب الصحابة، برقم (٢٥٤١): ٤/١٩٦٧-١٩٦٨، والمصنف في شرح السنة: ٦٩/١٤ .

(٢) أخرجه الطبري من رواية السدي عن أبي مالك عن ابن عباس: ٤٤١/١٤-٤٤٢، وعزاه الهيثمي للطبري في الأوسط أيضاً، وقال:

فيه الحسين بن عمرو بن محمد العنقري وهو ضعيف. انظر: مجمع الزوائد: ٣٤/٧ .

(٣) انظر هذه الأقوال في: الطبري: ٤٤١/١٤-٤٤٥، الدر المنثور: ٢٧٤/٤ .

قال الطبري رحمه الله: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إن الله أخبر أنه يعذب هؤلاء الذين مردوا على النفاق =

وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ﴾، أي: ومن أهل المدينة، أو: من الأعراب آخرون، ولا يرجع هذا إلى المنافقين، ﴿اعْتَرَفُوا﴾، أقرؤا، ﴿بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾، وهو إقارؤهم بذنوبهم وتوبتهم ﴿وَأَخَرَ سَيِّئًا﴾، أي: بعمل آخر سيء، وضع الواو موضع الباء، كما يقال: خلطت الماء واللبن، أي: باللبن. والعمل السيء: هو تخلفهم عن رسول الله ﷺ.

والعمل الصالح: هو ندامتهم وربطهم أنفسهم بالسواري وقيل: غزواتهم مع النبي ﷺ. ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، نزلت هذه الآية في قوم تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ثم ندموا على ذلك، وقالوا: نكون في الظلال مع النساء، ورسول الله ﷺ وأصحابه في الجهاد والألواء! فلما قرب رسول الله ﷺ من المدينة قالوا والله لثوثقن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقها، ويعدرنا، فأوثقوا أنفسهم بسواري المسجد فلما رجع رسول الله ﷺ مر بهم فرآهم فقال: من هؤلاء؟ فقالوا هؤلاء الذين تخلفوا عنك فعاهدوا الله عز وجل أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت تطلقهم وترضى عنهم، فقال رسول الله ﷺ: وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر بإطلاقهم، رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين! فأنزل الله هذه الآية فأرسل إليهم رسول الله ﷺ فأطلقهم وعذرهم، فلما أطلقوا قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وظهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله ﷺ: «ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً»، فأنزل الله تعالى: ﴿أُخِذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ الآية (١).

واختلفوا في أعداد هؤلاء التائبين، فروي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كانوا عشرة منهم أبو لبابة. وروى عطية عنه: أنهم كانوا خمسة أحدهم أبو لبابة. وقال سعيد بن جبيرة وزيد بن أسلم: كانوا ثمانية. وقال الضحاك وقتادة: كانوا سبعة. وقالوا جميعاً: أحدهم أبو لبابة (٢). وقال قوم: نزلت في أبي لبابة خاصة. واختلفوا في ذنبه، قال مجاهد: نزلت في أبي لبابة حين قال لقرينة: إن نزلت علي حكمه فهو الذبح وأشار إلى حلقه (٣).

= مرتين، ولم يضع لنا دليلاً يوصل به إلى علم صفة ذنبك العذابين - وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القتالين ما أنبتنا عنهم. وليس عندنا علم بأي ذلك من أي. غير أن في قوله جل ثناؤه: «ثم يرثون إلى عذاب عظيم»، دلالة على أن العذاب في المرتين كليهما قبل دخولهم النار. والأغلب من إحدى المرتين أنها في القبر.

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٧/١٤-٤٥٠، أسباب النزول ص (٢٩٧-٢٩٨).

(٢) انظر في هذه الأقوال: الطبري: ٤٤٧/١٤-٤٥٠، الدر المنثور: ٢٧٥/٤ وما بعدها.

(٣) الطبري: ٤٥١/١٤-٤٥٢.

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾

وقال الزهري: نزلت في تخلفه عن غزوة تبوك فربط نفسه بسارية، وقال والله لا أحل نفسي ولا أذوق طعاماً ولا شرباً، حتى أموت أو يتوب الله علي! فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً ولا شرباً حتى خر مغشياً عليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فقيل له: قد تيب عليك!، فقال: والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يلحني، فجاء النبي ﷺ فحلّه بيده، ثم قال أبو لبابة: يارسول الله إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال: يُجزيك يا أبا لبابة الثلث^(١).

قالوا جميعاً: فأخذ رسول الله ﷺ ثلث أموالهم، وترك الثلثين، لأن الله تعالى قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، ولم يقل: خذ أموالهم. قال الحسن وقتادة: هؤلاء سوى الثلاثة الذين خَلَفُوا.

قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾، بها من ذنوبهم، ﴿وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾، أي: ترفعهم من منازل المنافقين إلى منازل المخلصين. وقيل: تنمي أموالهم ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، أي: آذغ لهم واستغفر لهم. وقيل: هو قول الساعي [للمصدق]^(٢) إذا أخذ الصدقة منه. آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت. والصلاة في اللغة: الدعاء. ﴿إِنْ صَلَاتِكَ﴾ قرأ حمزة والكسائي: / «صلاتك» على التوحيد ١٦٤ / أ. ونصب التاء هاهنا، وفي سورة هود «أصلاتك» وفي سورة المؤمنین «على صلاتهم» [كلهن على التوحيد]^(٣)، وأفقههما حفص هاهنا وفي سورة هود. وقرأ الآخرون بالجمع فيهن ويكسرون التاء هاهنا. ﴿سَكَنٌ لَهُمْ﴾، أي: إن دعائك رحمة لهم. قاله ابن عباس. وقيل: طمأنينة لهم، وسكون لهم، أن الله عز وجل قد قبل منهم. وقال أبو عبيدة: تثبیت لقلوبهم. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

واختلفوا في وجوب الدعاء على الإمام عند أخذ الصدقة: قال بعضهم: يجب. وقال بعضهم: يستحب. وقال بعضهم: يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع. وقيل يجب على الإمام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطي.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال: سمعت عبدالله بن أبي أوفى — وكان من أصحاب الشجرة — قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قومه بصدقة قال: «اللهم صلِّ عليهم»، فأتاه أبي بصدقته فقال: «اللهم صلِّ على آل أبي أوفى»^(٣).

(١) الطبري: ٤٥٢/١٤.

(٢) زيادة من المطبوع، يقتضيا السياق.

(٣) أخرجه البخاري في الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة: ٣/٣٦١، ومسلم في الزكاة، باب الدعاء لمن أتى بصدقة،

الْمُرِيءُونَ أَنَّهُ اللَّهُ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ
التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ
إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخِرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ
اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

وقال ابن كيسان : ليس هذا في صدقة الفرض إنما هو في صدقة كفارة اليمين .
وقال عكرمة : هي صدقة الفرض، فلما نزلت توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين : هؤلاء
كانوا معنا بالأمس لا [يُكَلِّمُونَ] (١) ولا يُجَالِسُونَ، فما لهم؟ فقال تعالى :
﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾، أي : يقبلها، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ
التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ .

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، حدثنا أبو العباس محمد
ابن يعقوب الأصبم، أنبأنا الربيع بن سليمان، أنبأنا الشافعي، أنبأنا سفيان بن عيينة، عن ابن عجلان،
عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : سمعت أبا القاسم عليه السلام يقول : «والذي نفسي بيده
ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا طيباً ولا يصعد إلى السماء إلا طيب إلا
كأنما يضعها في يد الرحمن عز وجل فيربها له كما يربي أحدكم فلوه، حتى أن اللقمة لتأتي يوم القيامة وإنها
لمثل الجبل العظيم، ثم قرأ : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ (٢) .
قوله تعالى : ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، قال مجاهد : هذا وعيد لهم . قيل : رؤية النبي عليه السلام بإعلام الله
تعالى إياه، ورؤية المؤمنين بإيقاع المحبة في قلوبهم لأهل الصلاح، والبغضة هل الفساد .

قوله تعالى : ﴿وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ . قرأ
أهل المدينة والكوفة غير أبي بكر : «مرجون» بغير همز، والآخرون : بالهمز، والإرجاء : التأخير، مرجون :
مؤخرون . لأمر الله : لحكم الله عز وجل فيهم، وهم الثلاثة الذين تأتي قصتهم من بعد : كعب بن مالك،

= برقم (١٠٧٨) : ٧٥٦-٧٥٧، والمصنف في شرح السنة : ٤٨٥/٥ .

(١) في «ب» : يكلمون .

(٢) أخرجه الشافعي بإسناد حسن : المسند : ٢٢٠/١، والمصنف في شرح السنة : ١٣١/٦، وصححه الحاكم على شرط الشيخين

٣٣٥/٢، وأصل معنى الحديث ثابت في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه . انظر : تعليق الشيخ شاکر على الطبري :

٢٠-١٨/٦ .

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا
 لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
 لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾

وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة، فوقفهم رسول الله ﷺ خمسين ليلة ونهى الناس عن مكالمتهم^(١) ومخالطتهم، حتى شقهم القلق وضاعت عليهم الأرض بما رحبت، وكانوا من أهل بدر فجعل أناسٌ يقولون: هلكوا، وآخرون يقولون: عسى الله أن يغفر لهم، فصاروا مُرَجِّئِينَ لأمر الله [لا يدرون]^(٢) أيعذبهم أم يرحمهم، حتى نزلت توبتهم بعد خمسين ليلة^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾، قرأ: أهل المدينة والشام «الذين» بلا واو، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الآخرون: «والذين» بالواو. ﴿مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾، نزلت هذه الآية في جماعة من المنافقين، بنوا مسجدًا يضارون به مسجد قباء، وكانوا اثني عشر رجلاً من أهل النفاق: وديعة بن ثابت، وجذام بن خالد، ومن داره أُخْرِجَ هذا المسجد، وثعلبة بن حاطب، وجارية بن عامر، وابناه مجمع وزيد، ومعتب بن قشير، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف، وأبو حبيبة بن الأزعر، ونبتل بن الحارث، وبجاد ابن عثمان، ورجل يقال له: بَحْرَجُ،^(٤) بنوا هذا المسجد ضراراً، يعني: مضارةً للمؤمنين، ﴿وَكُفْرًا﴾، بالله ورسوله، ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأنهم كانوا جميعاً يصلون في مسجد قباء، فبنوا مسجد الضرار، ليصلي فيه بعضهم، فيؤدي ذلك إلى الاختلاف واقتراق الكلمة، وكان يصلي بهم مجمع بن جارية.

فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة، والليلة المطيرة والليلة الشتوية، وإنا نحب أن تأتينا وتصلي بنا فيه وتدعو لنا بالبركة، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إني على جناح سفر، ولو قَدِمْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَتَيْنَاكُمْ فَصَلِينَا لَكُمْ فِيهِ»^(٥).

(١) في «أ»: (مخالطتهم).

(٢) زيادة من «ب».

(٣) انظر: الطبري: ٤٦٦/١٤، أسباب النزول ص (٢٩٨).

(٤) في «أ»: (بحدج) وفي «ب»: «بحرج» والمثبت من الطبري: ٤٦٩/١٤، ٤٧١ مع تعليق الشيخ محمود شاكر.

(٥) انظر في قصة مسجد الضرار: الطبري: ٤٦٨/١٤-٤٧٥، أسباب النزول ص (٢٩٨-٣٠٠)، سيرة ابن هشام: ٥٣٠/٢، الدر المنثور: ٤٨٢/٤ وما بعدها، وضعفه الألباني في تخريج «فقه السيرة» للغزالي ص (٤٢٧).

وقال ابن حجر: ذكره الثعلبي بغير إسناد...، وفي سياق الطبري: أن النبي ﷺ بعث مالك بن الدخشم ومعن بن عدي. ولم يذكر وحشياً وعامر بن السكن. ورواه ابن مردويه من طريق ابن إسحاق، قال: ذكر الزهري عن ابن أكيمة الليثي عن ابن أخي رهم أنه سمع أبا رهم الغفاري؛ فذكر نحوه.

﴿وإِزْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، أي: انتظاراً وإعداداً لمن حارب الله ورسوله. يقال: أُرصدت له: إذا أعددت له. وهو أبو عامر الراهب وكان أبو عامر هذا رجلاً منهم، وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة، وكان قد ترهب في الجاهلية وتنصر وليس المُسُوح، فلما قدم النبي ﷺ المدينة قال له أبو عامر: ما هذا الذي جئت به؟ قال: جئت بالحنيفية دين إبراهيم، قال أبو عامر: فإننا عليها، فقال النبي ﷺ: «إنك لستَ عليها»، قال: بلى ولكنك أدخلت في الحنيفية ما ليس منها، فقال النبي ﷺ: «ما فعلتُ ولكني جئتُ بها بيضاءً نقية»، فقال أبو عامر: أمت الله الكاذب منّا طريداً وحيداً غريباً، فقال النبي ﷺ «آمين». وسماه أبا عامر الفاسق .

فلما كان يوم أحد قال أبو عامر لرسول الله ﷺ: لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، فلم يزل يقاتله إلى يوم حُنين، فلما انهزمت هوازن يئس وخرج هارياً إلى الشام فأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح، واثبوا لي مسجداً فإني ذاهبٌ إلى قيصر ملك الروم فات بجندٍ من الروم، فأخرج محمداً وأصحابه، فبنوا مسجد الضرار إلى جنب مسجد قباء، فذلك قوله تعالى: ﴿وإِزْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، وهو أبو عامر الفاسق، ليصلي فيه إذا رجع من الشام .

قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ يرجع إلى أبي عامر يعني حارب الله ورسوله من قبل أي: من قبل بناء مسجد الضرار .

﴿وَلِيُخْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا﴾، ما أردنا بينائه، ﴿إِلَّا الْحُسَيْنِ﴾، إلا الفعلة الحسنى وهو الرفق بالمسلمين والتوسعة على أهل الضعف والعجز عن المسير إلى مسجد رسول الله ﷺ .

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، في قلوبهم وحلفهم. روي أنه لما انصرف رسول الله ﷺ من تبوك

ب / ١٦٤

ونزل بذي أوان موضع قريب من المدينة أتوه فسألوه إتيان مسجدهم فدعا / بقميصه ليلبسه وبأتيمهم، فنزل عليه القرآن وأخبره الله تعالى خير مسجد الضرار وما هموا به، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدُخْشُم، ومعن بن عدي، وعامر بن السكن، ووحشياً قاتل حمزة، وقال لهم: انطلقوا إلى هذا المساجد الظالم أهلُه فاهدموه واحرقوه، فخرجوا سريعاً حتى أتوا بني سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدُخْشُم، فقال مالك: أنظروني حتى أخرج إليكم بنار من أهلي، فدخل أهلُه فأخذ سَعْفاً من النخل فأشعل فيه ناراً، ثم خرجوا يشتدُّون، حتى دخلوا المسجد وفيه أهلُه، فحرقوه وهدموا، وتفرق عنه أهلُه، وأمر النبي ﷺ أن يتخذ ذلك كناسة تلقى فيه الجيف والتتن والقمامة. ومات أبو عامر الراهب بالشام وحيداً فريداً غريباً .

= وأما كونهم بنوه بسبب أبي عامر الراهب: فرواه ابن مردويه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: الكافي

الشاف ص (٨١) .

لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ
رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِروا لِلَّهِ يَكْبِتُ السُّجُودَ

وروي أن بني عمرو بن عوف، الذين بنوا مسجد قباء، أتوا عمر بن الخطاب في خلافته ليأذن لمجمع بن حارثة فيؤمهم في مسجدهم، فقال: لا، ولا نعمة عين، أليس بإمام مسجد الضرار؟ فقال له مجمع: يا أمير المؤمنين: لا تعجل عليّ، فوالله لقد صليت فيه وإني لا أعلم ما أضمروا عليه، ولو علمت ما صليت معهم فيه، كنتُ غلاماً قارئاً للقرآن، وكانوا شيوخاً لا يقرؤون القرآن فصليت ولا أحسب إلا أنهم يتقربون إلى الله تعالى، ولم أعلم ما في أنفسهم، فعذره عمر وصدقه وأمره بالصلاة في مسجد قباء. قال عطاء: لما فتح الله على عمر الأمصار أمر المسلمين أن يبنوا المساجد، وأمرهم أن لا يبنوا في مدينتهم مسجدين يضار أحدهما صاحبه .

قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾، قال ابن عباس: «لا تُصَلِّ فِيهِ» منع الله تعالى نبيه ﷺ أن يصلي في مسجد الضرار. ﴿الْمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾، اللام لام الابتداء. وقيل: لام القسم، تقديره: والله لمسجد أُسِّسَ، أي: بُني أصله على التقوى، ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾، أي: من أول يوم بُني ووضع أساسه، ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾، مصلياً.

واختلفوا في المسجد الذي أسس على التقوى: فقال ابن عمر، وزيد بن ثابت، وأبو سعيد الخدري: هو مسجد المدينة، مسجد الرسول ﷺ، والدليل عليه:

ما أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنبأنا عبد الغافر بن محمد، حدثنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن حاتم، حدثنا يحيى بن سعيد، عن حميد الخراط قال: سمعتُ أبا سلمة عبدالرحمن قال: مرَّ بي عبدالرحمن بن أبي سعيد، قال: فقلت له: كيف سمعتَ أباك يذكر في المسجد الذي أسس على التقوى؟ فقال: قال أبي: دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه فقلت: يا رسول الله أيُّ المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفاً من الحصباء فضرب به الأرض، ثم قال: هو مسجد كم هذا، مسجد المدينة، قال: فقلت: أشهد أني سمعتُ أباك هكذا يذكره^(١). وأخبرنا أبو الحسن الشَّيرَازِيُّ، أنبأنا زاهر بن أحمد، أنبأنا أبو إسحاق الهاشمي، أنبأنا أبو مصعب، عن مالك عن حُجَّيب بن عبدالرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»^(٢).

(١) أخرجه مسلم في الحج، باب بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي ﷺ بالمدينة، برقم (١٣٩٨):

١٠١٥/٢

(٢) أخرجه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل ما بين القبر والمنبر: ٧٠/٣، ومسلم في الحج، باب ما بين =

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ
بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارُ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾

وذهب قوم إلى أنه مسجد قباء، وهو رواية عطية عن ابن عباس، وهو قول عروة بن الزبير [وسعيد بن جبیر] (١) وقناة:

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبدالعزيز بن مسلم، عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً، وكان عبدالله بن عمر يفعله (٢).
وزاد نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ فيصلي فيه ركعتين (٣).

قوله تعالى: ﴿فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾، من الأحداث والجنابات والنجاسات. وقال عطاء: كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة .

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبدالعزيز القاشاني، أنبأنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبدالواحد الهاشمي، أنبأنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي، حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، أخبرنا محمد بن العلاء، حدثنا معاوية بن هشام، عن يونس بن الحارث، عن إبراهيم بن أبي ميمونة، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «نزلت هذه الآية في أهل قباء»: ﴿فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ قال: «كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية» (٤). ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾، أي المتطهرين .

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ﴾ قرأ نافع وابن عامر «أَسَّسَ» بضم الهمزة وكسر السين، «بُيُوتَهُ» برفع النون فيها جميعاً على غير تسمية الفاعل. وقرأ الآخرون «أَسَّسَ» فتح الهمزة والسين، «بُيُوتَهُ»: بنصب النون،

= القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، برقم (١٣٩١): ١٠١١/٢. والمصنف في شرح السنة: ٣٣٨/٢ .

(١) ساقط من «أ».
(٢) أخرجه البخاري، في الموضوع السابق: ٦٩/٣، ومسلم في الحج، باب فضل مسجد قباء، برقم (١٣٩٩): ١٠١٦/٢-١٠١٧ .
(٣) في رواية مسلم في الموضوع السابق .
(٤) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب الاستنجاء بالماء: ٣٩/١، والترمذي في تفسير سورة التوبة: ٥٠٣/٨، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن أبي أيوب وأنس بن مالك ومحمد بن عبدالله بن سلام، وأخرجه ابن ماجه في الطهارة، باب الاستنجاء بالماء، برقم (٣٥٧). وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٢٨٦) .
وانظر: تلخيص الحبير: ١١٢/١-١١٣، خلاصة البدر المنير لابن الملقن: ٥٠/١ .

لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ * إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمْ
 الْجَنَّةَ يَقْبَلُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْبَلُونَ وَيَقْتُلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي
 التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
 بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

على تسمية الفاعل. ﴿على تقوى من الله ورضوان خير﴾، أي: على طلب التقوى ورضا الله تعالى
 خير ﴿أم من أسس بنيانه على شفا﴾: على شفير، ﴿جرف﴾؟ قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر «جرف»
 ساكنة الراء، وقرأ الباقون بضم الراء وهما لغتان، وهي البئر التي لم تُطَو. قال أبو عبيدة: هو الهوة وما يجرفه
 السيل من الأودية فينجرف^(١) بالماء فيبقى واهياً، ﴿هائر﴾، أي: هائر وهو الساقط يقال: هار يهور فهو
 هائر، ثم يقلب فيقال: هار مثل شاك وشائك وعاق وعائق. وقيل: هو من يهار: إذا انهدم، ومعناه:
 الساقط الذي يتداعى بعضه في إثر بعض، كما ينهار الرمل والشيء الرخو. ﴿فانهار به﴾، أي: سقط
 بالبابي ﴿في نار جهنم﴾، يريد بناء هذا المسجد الضرار كالبناء على شفير جهنم فيهور بأهلها فيها. قال
 ابن عباس رضي الله عنهما: يريد صيرهم النفاق إلى النار.

﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾، قال قتادة^(٢): والله ما تنهى أن وقع في النار، وذكر لنا أنه حفرت
 بقعة فيه، فرؤي الدخان يخرج منها. وقال جابر بن عبد الله: رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار^(٣).
 ﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة﴾، أي: شكاً ونفاقاً، ﴿في قلوبهم﴾، يحسبون أنهم كانوا في
 بنيانه محسنين كما حُبب العجل إلى قوم موسى. قال ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الكلبي: حسرة
 وندامة لأنهم ندموا على بنائه. وقال السدي: لا يزال هدم بنائهم ريبة وحزارةً وغيظاً في قلوبهم.

﴿إلا أن تقطع قلوبهم﴾، أي: تتصدع قلوبهم فيموتوا. قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، وحمزة، وحفص:
 «تقطع» بفتح التاء أي: تتقطع. والآخرون بضمها. وقرأ يعقوب وحده: «إلى أن» خفيف، على الغاية،
 «تقطع» بضم التاء، خفيف، من القطع يدل عليه تفسير الضحاک وفتادة: لا يزالون في شك منه إلى أن

(١) في «ب» (فينحفر). أي: يصير فيها حفرة.

(٢) تفسير الطبري: ٤٩٢/١٤ - ٤٩٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٩٥/١٤، وصححه الحاكم: ٥٩٦/٤ ووافقه الذهبي، وزاد السيوطي نسبه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

الدر المنثور: ٢٩٢/٤، وعزاه ابن حجر في المطالب العالية: ٣٤٠/٣ لمسند بزيادة.

التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّكَعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾

يموتوا فيستيقنوا. ﴿والله عليم حكيم﴾ .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ الآية. قال محمد بن كعب القرظي: لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة / بمكة وهم سبعون نفساً، قال عبد الله بن رواحة: يارسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت .

فقال: اشترط لربي عز وجل: أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي، أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم .

قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟

قال: الجنة، قالوا: ربيع البيع لانهل ولا نستقبل (١) فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ (٢) .
وقرأ الأعمش: ﴿بالجنة﴾ .

﴿يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي: «فَيَقْتُلُونَ» بتقديم المفعول على الفاعل بمعنى يقتل بعضهم بعضاً، ويقتل الباقيون. وقرأ الآخرون بتقديم الفاعل. ﴿وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ أي: ثواب الجنة لهم وعدٌ وحقٌّ ﴿فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾، يعني أن الله عز وجل وعدهم هذا الوعد، وبيّنه في هذه الكتب. وقيل (٣) فيه دليل على أن أهل الملل كلهم أمروا بالجهاد على ثواب الجنة، ثم هنا هم فقال: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا﴾، فافرحوا ﴿بِبيعتكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾، قال عمر رضي الله عنه: إن الله عز وجل بايعك وجعل الصفقتين لك .
وقال قتادة ثامنهم الله عز وجل فأغلى لهم (٤) .

وقال الحسن: اسمعوا إلى بيعة ربيعة بايع الله بها كل مؤمن. وعنه أنه قال: إن الله أعطاك الدنيا فاشتر الجنة ببعضها .

ثم وصفهم فقال: ﴿التَّائِبُونَ﴾، قال الفراء: استؤنفت بالرفع تمام الآية وانقطاع الكلام. وقال

(١) «أقاله البيع يقيله إقالة» و«تقابل البيعان»: إذا فسح البيع، وعاد المبيع إلى مالكه، والثمن إلى المشتري، إذا كان قد ندم أحدهما أو كلاهما. وتكون «الإقالة» في البيعة والعهد. و«استقاله»: طلب إليه أن يقيله .

(٢) أخرجه الطبري: ٤٩٩/١٤. وانظر: الكافي الشاف ص (٨١) أسباب النزول ص (٣٠٠) .

(٣) قيل: ساقطة من «أ» .

(٤) «ثامت الرجل في المبيع»: إذا قاولته في ثمنه وفواضته، وساومته على بيعه واشترائه وانظر: الطبري: ٤٩٩/١٤ .

الرُّجَّاح: التائبون رفع للابتداء، وخبره مضمرة. المعنى: التائبون — إلى آخر الآية — لهم الجنة أيضاً. أي: من لم يجاهد غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد، لأنَّ بعض المسلمين يُجزى عن بعض في الجهاد، [فمن كانت هذه صفته] (١) فله الجنة أيضاً، وهذا أحسن، فكأنه وعد الجنة لجميع المؤمنين، كما قال: «وكلاً وعدَّ الله الحسنى» (النساء — ٩٥)، فمن جعله تابعاً للأول كان الوعد بالجنة خاصاً للمجاهدين الموصوفين بهذه الصفة (٢).

قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ﴾ أي: الذين تابوا من الشرك وبرؤوا من النفاق، ﴿العَابِدُونَ﴾ المطيعون الذين أخلصوا العبادة لله عزَّ وجلَّ ﴿الْحَامِدُونَ﴾، الذين يحمدون الله على كل حال في السراء والضراء. وروينا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «أول من يُدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء» (٣). ﴿السَّائِحُونَ﴾، قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما: هم الصائمون (٤).

وقال سفيان بن عيينة: إنما سُمي الصائم سائحاً لتركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح. وقال عطاء: السائحون الغزاة المجاهدون في سبيل الله. روي عن عثمان بن مظعون، رضي الله عنه، أنه قال: يارسول الله ائذن لي في السياحة، فقال: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله» (٥). وقال عكرمة: السائحون هم طلبة العلم.

﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾، يعني: المصلين، ﴿الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، بالإيمان، ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ عن الشرك. وقيل: المعروف السنة والمنكر البدعة. ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾، القائمون بأوامر الله. وقال الحسن: أهل الوفاء ببيعة الله. ﴿وَيُشْرِرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

(١) ما بين القوسين في «ب» .

(٢) في «ب»: الصفات .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٥٠٢/١ وصححه على شرط مسلم، وأبو نعيم في الحلية: ٦٩/٥، قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الثلاثة، بأسانيد، وفي أحدها: قيس بن الربيع: وثقه شعبة والثوري وغيرهما، وضعفه يحيى القطان وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح، ورواه البزار بنحوه، وإسناده حسن، مجمع الزوائد: ٩٥/١٠. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٥٠/٥، وفي سنده حبيب بن أبي ثابت، مدلس وقد عنعن .

(٤) روي مرفوعاً وموقوفاً. والموقوف صحيح. انظر: الطبري: ٥٠٢/١٤-٥٠٤، الدر المنثور: ٢٩٧/٤-٢٩٨، تفسير ابن كثير: ٣٩٣/٢ .

(٥) حديث ضعيف رواه الطبراني، وفيه: معلى بن هلال، وهو متروك. والمصنف في شرح السنة: ٣٧٠/٢-٣٧١، ورواه أبو داود في الجهاد من طريق أبي أمامة. وفي إسناده: رشدين بن سعد. وانظر: مجمع الزوائد: ٢٥٤/٤ فقد روى الهيثمي أوله، وسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني: ٤٧٩/٣

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ
مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾

﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾، اختلفوا في سبب نزول هذه الآية . قال قوم: سبب نزولها: ما أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، أنبأنا شعيب، عن الزهري، حدثني سعيد بن المسيب عن أبيه. قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة. فقال: أي عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله. فقال أبو جهل، وعبدالله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويوعيدان بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبدالمطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾، وأنزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (١) .

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنبأنا عبدالغافر بن محمد، أنبأنا محمد بن عيسى، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثني ومحمد بن حاتم بن ميمون، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا يزيد بن كيسان، حدثني أبو حازم الأشجعي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله لعمه: «قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة» فقال: لولا أن تعيرني قريش، فيقولون: إنما حمله على ذلك الجزع، لأقررت بها عينك. فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (٢) .

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل [ثنا عبدالله بن يوسف] (٣) حدثني الليث حدثني يزيد بن الهاد عن عبدالله بن خباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ، وذكر عنده عمه فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغمي منه دماغه» (٤) .

(١) أخرجه البخاري في الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله: ٢٢٢/٣، وفي مناقب الأنصار: ١٩٣/٧، ومسلم في الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزح، برقم (٢٤): ٥٤/١، والمصنف في شرح السنة: ٥٥/٥ .

(٢) أخرجه مسلم، في الموضع السابق: ٥٥/١ .

(٣) ساقط من هـ واستدر كناه من الصحيح .

(٤) أخرجه البخاري في فضائل الأنصار، باب قصة أبي طالب: ١٩٣/١، وفي الرقاق: ٤١٧/١١، ومسلم في الإيمان، باب شفاعت النبي ﷺ لأبي طالب... برقم (٢١٠): ١٩٥/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٤١/١٥ .

وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا أَيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ
لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

وقال أبو هريرة وبريدة: لما قدم رسول الله ﷺ مكة أتى قبر أمه آمنة فوقف عليه حتى حمت الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها فنزلت: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ (١) الآية .

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، حدثنا عبد الغافر بن محمد، حدثنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، أنبأنا محمد بن عبيد، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: «استأذنت ربي عز وجل في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور، فإنها تذكركم الموت» (٢) .

قال قتادة قال النبي ﷺ: «لأستغفرون لأبي. كما استغفر إبراهيم لأبيه» فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ (٣) .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لما أنزل الله عز وجل خبراً عن إبراهيم عليه السلام قال لأبيه: «سلام عليك سأستغفر لك ربي» سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان، فقلت له: / تستغفر لهما وهما / ١٦٥ ب مشركان؟ فقال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فأنزل الله عز وجل: «قد كاثت لكم أسوة حسنة في إبراهيم»، إلى قوله: «إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك» (٤) (المتحنة - ٤) . قوله تعالى: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه﴾، قال بعضهم: الهاء في إياه عائدة إلى إبراهيم عليه السلام. والوعد كان من أبيه، وذلك أن أباه كان وعده أن يسلم، فقال له إبراهيم سأستغفر لك ربي يعني إذا أسلمت .

وقال بعضهم: الهاء راجعة إلى الأب، وذلك أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له رجاء إسلامه. وهو قوله: «سأستغفر لك ربي». يدل عليه قراءة الحسن: «وعدها أباه»، بالباء الموحدة .

(١) أخرجه الطبري عن سليمان بن بريدة عن أبيه: ٥١٢/١٤، وإمام أحمد في المسند: ٣٥٩/٥ مطولاً وبغير هذا اللفظ .

(٢) أخرجه مسلم في الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ به عز وجل في زيارة قبر أمه، برقم (٩٧٧): ٦٧٧/٢ .

(٣) أخرجه الطبري مطولاً: ٥١٣/١٤ .

(٤) أخرجه الترمذي في التفسير، سورة التوبة: ٥٠٥/٨، وقال: هذا حديث حسن، وفيه: فنزلت: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا...﴾ وصححه الحاكم: ٣٣٥/٢، وأخرجه أحمد والنسائي وابن أبي شيبة وأبو يعلى والبخاري. انظر: الكافي الشاف ص (٨٢) تحفة الأحوزي:

والدليل على أن الوعد من إبراهيم، وكان الاستغفار في حال شرك الأب، قوله تعالى: «قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم»، إلى أن قال: «إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك» (المتحنة — ٤) فصرح أن إبراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار، وإنما استغفر له وهو مشرك لمكان الوعد رجاء أن يسلم . ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾، لموته على الكفر، ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾، وقيل: فلما تبين له في الآخرة أنه عدو لله تبرأ منه [أي: يتبرأ منه] (١)، وذلك ما:

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا إسماعيل بن عبدالله، حدثني أخي عبدالحميد عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترَةٌ وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟! فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم عليه السلام: يارب إنك وعدتني أن لا تُخزيني يوم يُعصون، فأني خزي أخزي من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال يا إبراهيم: ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيبح (٢) مُلتطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار» (٣) وفي رواية: يتبرأ منه يومئذ .

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾، اختلفوا في معنى الأواه، جاء في الحديث: «إن الأواه الخاشع المتضرع» (٤).

وقال عبدالله بن مسعود: الأواه الدعاء .

وعن ابن عباس قال: هو المؤمن التواب .

وقال الحسن وقتادة: الأواه الرحيم بعباد الله .

وقال مجاهد: الأواه الموقن .

وقال عكرمة: هو المستيقن بلغة الحبشة .

وقال كعب الأحبار: هو الذي يكثر التأوه، وكان إبراهيم عليه السلام يكثر أن يقول: آه من النار، قبل أن لا ينفع آه .

وقيل: هو الذي يتأوه من الذنوب .

(١) ما بين القوسين ساقط من «أه» .

(٢) هكذا في الأصل. وفي البخاري «بذيبح» وهو كذلك في شرح السنة. والذبح: الضيق الذكر .

(٣) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب واتخذ الله إبراهيم خليلاً: ٣٨٦/٦-٣٨٧، وفي تفسير سورة الشعراء، والمصنف في شرح السنة: ١١٨/١٥-١١٩ .

(٤) أخرجه الطبري: ٥٣١/١٤، ٥٣٢، وعزه السيوطي أيضاً لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه عن عبدالله بن شداد بن الهاد. وهو تابعي ثقة، فالحديث مرسل، وفي سند الحديث: عبدالحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب، وهو ثقة، متكلم في روايته عن شهر. انظر: تعليق محمود شاكر على الطبري: ٥٣٢/١٤ .

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ
اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

وقال عقبه بن عامر: الأواه الكثير الذكر لله تعالى.

وعن سعيد بن جبير قال: الأواه المسبح. ورؤي عنه: الأواه: المعلم للخير.

وقال النخعي: هو الفقيه.

وقال عطاء: هو الراجع عن كل ما يكره الله. وقال أيضاً: هو الخائف من النار.

وقال أبو عبيدة: هو المتأوه شفقاً وفرقاً المتضرع يقيناً. يريد أن يكون تضرعه يقيناً ولزوماً للطاعة.

قال الزجاج: قد انتظم في قول أبي عبيدة أكثر ما قيل في الأواه.

وأصله: من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت من تنفس الصعداء، والفعل منه أوه وتأوه، والحليم

الصفوح عمن سبه أو ناله بالمكروه، كما قال لأبيه، عند وعيده، وقوله: «لكن لم تنته لأرحمتك واهجرني

ملياً سلاماً عليك سأستغفر لك ربّي» (مریم - ٤٦).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الحليم السيد^(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ الآية. معناه: ما كان الله ليحكم عليكم

بالضلالة بترك الأوامر باستغفاركم للمشركين، ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾، يريد حتى يتقدم إليكم بالنهي،

فإذا تبين ولم تأخذوا به فعند ذلك تستحقون الضلال.

قال مجاهد^(٢): بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة، وبيانه لهم في معصيته

وطاعته عامة، فافعلوا أو ذروا.

وقال الضحاك: ما كان الله ليعذب قوماً حتى يبين لهم ما يأتون وما يدرون.

وقال مقاتل والكلبي: هذا في المنسوخ وذلك أن قوماً قدموا على النبي ﷺ فأسلموا، ولم تكن

الخمر حراماً، ولا القبلة مصروفة إلى الكعبة، فرجعوا إلى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت

القبلة، ولا علم لهم بذلك، ثم قدموا بعد ذلك المدينة فوجدوا الخمر قد حُرِّمت والقبلة قد صُرِّفت، فقالوا:

يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن ضلال؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ

قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾^(٣)، يعني: ما كان الله ليبطل عمل قوم قد علموا بالمنسوخ حتى يتبين^(٤) لهم

الناسخ. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ثم عظم نفسه فقال:

(١) انظر في هذه الأقوال: الطبري: ٥٢٣/١٤ وما بعدها - وقد رجح أن الصواب هو ما قاله عبدالله بن مسعود الذي رواه عنه زر: أنه

الدعاء - والدر المنثور: ٣٠٧-٣٠٥/٤.

(٢) الطبري: ٥٣٦-٥٣٧/١٤.

(٣) انظر: زاد المسير: ٥١٠/٣، البحر المحيط: ١٠٦/٥.

(٤) في «ب» (يبين).

إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ
ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يحكم بما يشاء، ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ
اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ .

قوله عز وجل : ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ الآية، تاب الله أي: تجاوز وصفح. ومعنى توبته على
النبي ﷺ بإذنه للمناققين بالتخلف عنه. وقيل: افتتح الكلام به لأنه كان سبب توبتهم، فذكره معهم،
كقوله تعالى: «فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ» (الأنفال - ٤١)، ونحوه. ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾، أي: في وقت العسرة، ولم يرد ساعة بعينها، وكانت غزوة تبوك تُسمى غزوة
العسرة، والجيش يسمى جيش العسرة. والعسرة: الشدة، وكانت عليهم غزوة عسرة في الظهر والزيد والماء .
قال الحسن: كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه، يركب الرجل ساعة، ثم ينزل
فيركب صاحبه كذلك، وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير، وكان النفر منهم يخرجون ما معهم إلا
التمرات بينهم، فإذا بلغ الجوع من أحدهما أخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه
فيمصها، ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى يأتي على آخرهم، ولا يبقى من التمرة إلا النواة،
فمضوا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك على صدقهم وبقينهم^(١) .

وقال عمر بن الخطاب: خرجنا مع النبي ﷺ إلى تبوك في قبط شديد فنزلنا منزلاً أصابنا فيه
عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، وحتى إن كان الرجل ليذهب فيلتمس الماء فلا يرجع حتى نظن أن
رقبته ستنقطع، وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر
الصديق: يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيراً فادعُ الله لنا.. قال: «أحبُّ ذلك؟» قل: نعم،
فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأظلت ثم سكبت، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم
نجدها جازت^(٢) العسكر^(٣). ﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ قرأ حمزة وحفص: «يزيغ» بالياء لقوله: «كاد»

(١) انظر: البحر المحيط: ١٠٨/٥، المحرر الوجيز: ٦٩/٧ .

(٢) في (ب): (حادت) .

(٣) أخرجه الطبري: ٥٤١/١٤، وصححه الحاكم على شرط الشيخين: ١٥٩/١، وأبو نعيم في دلائل النبوة ص (١٩٠) باب ذكر ما

كان في غزوة تبوك .

ولم يقل: كادث. وقرأ الآخرون بالتاء. والزيغ: الميل، أي: من بعد ما/كاد تميل، ﴿قلوبُ فريقٍ منهم﴾، ١٦٦/أ
 أي: قلوب بعضهم، ولم يُردِّ الميلَ عن الدين، بل أراد الميلَ إلى التخلُّف والانصراف للشدة التي عليهم.
 قال الكلبي: همَّ ناسٌ بالتخلُّف ثم لحقوه .

﴿ثم تاب عليهم﴾، فإن قيل: كيف أعاد ذكر التوبة وقد قال في أول الآية: ﴿لقد تاب الله على النبي﴾؟

قيل: ذكر التوبة في أول الآية قبل ذكر الذنب، وهو محض الفضل من الله عزَّ وجلَّ، فلما ذكر
 الذنب أعاد ذكر التوبة، والمراد منه قبولها.

﴿إنه بهم رؤوفٌ رحيم﴾. قال ابن عباس: من تاب الله عليه لم يعذبه أبداً .
 قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلَّفوا﴾، أي خلَّفوا عن غزوة تبوك. وقيل: خلَّفوا أي: أرجىء
 أمرهم، عن توبة أبي لُبابة وأصحابه، وهؤلاء الثلاثة هم: كعب بن مالك الشاعر، ومُرارة بن الربيع،
 وهلال بن أمية، كلهم من الأنصار .

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف،
 حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، عن
 عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك أن عبدالله بن كعب بن مالك — وكان قائد كعب من بني
 حنيفة عجمي — قال: سمعتُ كعبَ بن مالك يحدث حين تخلَّف عن [غزوة] (١) تبوك، قال كعب: لم
 أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلَّفت عن غزوة بدر،
 ولم يُعاتب أحداً تخلَّف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عيرَ قريش حتى جمع الله بينهم وبين
 عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواتقنا على الإسلام، وما
 أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدرٌ أذكرُ في الناس منها، وكان من خبري أني لم أكن قط أقوى
 ولا أيسر حين تخلَّفت عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط، حتى جمعتهما في
 تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوةً إلا ورَّيَ غيرها، حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول
 الله ﷺ في حرٍّ شديدٍ واستقبل سفيراً بعيداً ومفازاً وعدواً كثيراً، فجَلَى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة
 غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ —
 يريد الديوان — قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظنَّ أن ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي
 من الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون

= وقال الهيثمي في المجمع: ١٩٤/٦-١٩٥: «رواه البزار، والطبراني في الأوسط، ورجال البزار ثقات». وزاد السيوطي نسبه لابن خزيمة،

وابن حبان، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، والضياء في المختارة. انظر: الدر المنثور: ٣٠٨/٤ .

(١) في «أ»: (قصة) .

معها، فطفقت أَعْدُو لَكي أَتَجهز مَعهم، فأرجع ولم أقض شيئاً، وأقول في نفسي: أنا قادر عليه إذا أردت، فلم يزل يتأذى بي الأمر حتى اشتد بالناس الجِدُّ، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً. فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئاً، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً فلم يزل يتأذى بي حتى أسرعوا، وتفرط الغزو، وهمت أن أرتحل فأدرُكهم، وليتني فعلتُ، فلم يُقدَّر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفقتُ فيهم أحزنتني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق أو رجلاً ممن عَدَرَ الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب؟» فقال رجلٌ من بني سَلَمَةَ: يارسول الله حبسه بَرَدَاهُ ونظَرُهُ في عَظْفِيهِ، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، واللَّهِ يارسولَ الله ما علمنا عليه إلا خيراً. فسكت رسولُ الله ﷺ.

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرتني همي، فطفقتُ أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سَخَطِهِ غداً؟ واستعنتُ على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظلم قادمًا زاح عني الباطل، وعرفتُ أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعتُ صدقةً، وأصبح رسول الله ﷺ قادمًا، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقيل منهم رسولُ الله ﷺ علانيتهم، وبإيعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فحجته فلما سلمتُ عليه تبسُّم تبسُّم المُغضِبِ، ثم قال: تعال، فحجئتُ أمشي حتى جلستُ بين يديه، فقال لي: «ما خلَّفَكَ ألم تكن قد ابعت ظهرك؟» فقلت: بلى يارسول الله، إني والله لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا لرأيتُ أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أُعطيْتُ جَدلاً، ولكني والله لقد علمتُ لئن حدثتُك اليوم حديثَ كذبٍ ترضى به عني ليوشكنَّ الله أن يُسَخِّطَكَ عليّ، ولكن حدثتُك حديثَ صدقٍ تجد علي فيه، إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنتُ أقوى قطُّ ولا أيسرُ مني حين تخلفتُ عنك. فقال رسول الله ﷺ: أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك.

فقمْتُ وثارَ رجالٍ من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنتَ أذنبتَ ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت في أن لا تكونَ اعتذرتَ إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ، فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع وأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلاً قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما قالوا: مُرارة بن الربيع العُمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بداراً فيهما أسوة، فمضيتُ حين ذكروهما لي.

قال: ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا

الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يكيان، وأما أنا فكننت أشبَّ القوم وأجلدهم، فكننت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرَّك شفتيه بردَ السلام عليّ أم لا؟ ثم أصلي قريبا منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ، فسلمت عليه / فوالله ما ردّ عليّ السلام، فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحبُّ الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فعدت فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناى، وتولّيت حتى تسوّرت الجدار.

قال: :: فيينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط الشام ممّن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلُّ على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له نحوي، حتى إذا جاءني دفع إليّ كتاباً من ملك غسان فقرأته فإذا فيه: أما بعد: فإنه قد بلغني أنّ صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيقاً، فألحق بنا نواصيك، فقلت لما قرأته: وهذا أيضاً من البلاء، فتيمنت به التنور فسجرتة .

حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول لرسول الله ﷺ يأتييني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ فقال: لا بل اعترضا ولا تقربها، وارسل إلى صاحبتي بمثل ذلك، فقلت لامراتي إلحقي بأهلك وكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر .

قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «لا، ولكن لا يقربك»، قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال ييكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا.

قال كعب: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه. فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ما يقول لي رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب، فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نبى رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلما صليت الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فيينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلج، يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر. فخررت لله ساجداً وعرفت أنه قد جاء فرج، وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس ييشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض رجل إليّ فرساً وسعى ساع من أسلم، فأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته ييشرنني نزعته له ثوبي فكسوته إياها

ببشره، ووالله ما أملك غيرها يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهتفونني بالتوبة ويقولون: لِيَهْنِكَ توبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يُهْرُؤُ حَتَّى صَافِحَنِي وَهَنَأَنِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرِهِ، وَلَا أُنْسَاهَا لَطْلِحَةَ .

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: «أُبَشِّرُ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مِنْذُ وَلِدْتِكَ أُمَّكَ!» قال قلت: أَمِنَ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: [يَا رَسُولَ اللَّهِ] (١) إِنْ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَخْلَعُ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْرٍ .

فقلت: يا رسول الله إنا نجاى الله بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت. وأنزل الله على رسوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾، إلى قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢) .

وروى إسحاق بن راشد عن الزهري بهذا الإسناد عن كعب، قال: نهى رسول الله ﷺ عن كلامي وكلام صاحبي، فلبثت كذلك حتى طال عليّ الأمر، وما من شيء أهم إليّ من أن أموت ولا يصلي عليّ رسول الله ﷺ، أو يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة، فلا يكلمني أحد منهم ولا يصلي عليّ! وأنزل الله توبتنا على نبيه ﷺ حين بقى الثلث الأخير من الليل، ورسول الله ﷺ عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة في شأني، معينة في أمري، فقال رسول الله ﷺ: «يَا أُمَّ سَلْمَةَ تَيْبَ عَلَى كَعْبٍ»، قالت: أفلا أرسل إليه فأبشره؟ قال: إذا يحطمكم الناس، فيمنعونكم النوم سائر الليلة، حتى إذا صلى ﷺ صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا (٣) .

(١) ساقطة من «أ» والثبت من «ب» وصحيح البخاري .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب حديث كعب بن مالك... ١١٣/٨-١١٦، ومسلم في التوبة، باب حديث توبة كعب بن

مالك وصاحبيه، برقم (٢٧٦٩): ٤/٢١٢٠-٢١٢٨ .

(٣) سيرة ابن هشام: ٥٣٤/٢-٥٣٥ .

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَلِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾، اتسعت، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾، غمًا وهماً، ﴿وَوَظَنُّوا﴾، أي: تيقنوا، ﴿أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ﴾، لا مفرج من الله، ﴿إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾، أي: ليستقيموا على التوبة فإن توبتهم قد سبقت. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، قال نافع: مع محمد وأصحابه. وقال سعيد ابن جبير: مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وقال ابن جريج: مع المهاجرين، لقوله تعالى: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ» إلى قوله «أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» (الحشر - ٨). وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك بإخلاص نية. وقيل: مع الذين صدقوا في الإعراف بالذنب ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة

وكان ابن مسعود يقرأ: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ وقال ابن مسعود: إن الكذب لا يصلح في جدِّ ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم صبيهاً شيئاً ثم لا ينجز له، اقرؤا إن شئتم وقرأ هذه الآية .

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ ظاهره خبرٌ، ومعناه نهي، كقوله تعالى: «وما كان لكم أن تُؤذوا / رسول الله» (الأحزاب - ٥٣) ﴿وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾، سكان البوادي: مُزَيْنَة، وَجُهَيْنَة، وَأَشْجَع، وَأَسْلَم، وَغِفَار. ﴿أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ﴾، إذا غَزَا. ﴿وَلَا يَرْغَبُوا﴾، أي: ولا أن يرغبوا، ﴿بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾، في مصاحبته ومعاونته والجهاد معه. قال الحسن: لا يرغبوا بأنفسهم أن يصيبهم

وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ
لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة، ورسول الله ﷺ في مشقة السفر ومقاساة التعب. ﴿ذلك بأنهم لا يُصيبهم﴾، في سفرهم، ﴿ظمًا﴾، عطش، ﴿ولا نصب﴾، تعب، ﴿ولا مخصصة﴾، جماعة، ﴿في سبيل الله ولا يقطعون موطئًا﴾، أرضاً، ﴿يغيظ الكفار﴾، وطوهم إياه ﴿ولا ينالون من عدوٍ نيلاً﴾، أي: لا يصيبون من عدوهم قتلاً أو أسراً أو غنيمةً أو هزيمةً، ﴿إلا كُتِبَ لهم به عملٌ صالحٌ إن الله لا يُضيع أجرَ المحسنين﴾.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا علي بن عبدالله، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا يزيد بن أبي مريم، حدثنا عباية بن رفاعة قال: أدركني أبو عبيس وأنا ذاهب إلى الجمعة فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ اغْبَرَّتْ قدماءه في سبيلِ اللَّهِ حرَّمها اللَّهُ على النار» (١).

واختلفوا في حكم هذه الآية، قال قتادة: هذه خاصة لرسول الله ﷺ، إذا غزا بنفسه لم يكن لأحد أن يتخلف عنه إلا بعذر، فأما غيره من الأئمة والولاة فيجوز لمن شاء من المسلمين أن يتخلف عنه إذا لم يكن بالمسلمين إليه ضرورة (٢).

وقال الوليد بن مسلم: سمعتُ الأوزاعي، وابن المبارك، وابن جابر، وعمر (٣) بن عبدالعزيز يقولون في هذه الآية: إنها لأول هذه الأمة وآخرها (٤).

وقال ابن زيد: هذا حين كان أهل الإسلام قليلاً، فلما كثروا نسخها الله تعالى وأباح التخلف لمن يشاء، فقال: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ (٥).

قوله تعالى: ﴿ولا ينفقون نفقة﴾، أي: في سبيل الله، ﴿صغيرةً ولا كبيرةً﴾، ولو علاقة (٦) سوط، ﴿ولا يقطعون وادياً﴾، لا يجاوزون وادياً في مسيرهم مقبلين أو مدبرين. ﴿إلا كُتِبَ لهم﴾، يعني: آثارهم وخطاهم، ﴿ليجزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما كانوا يعملون﴾. رُوي عن خُرَيْم بن فاتك قال: قال رسول

(١) أخرجه البخاري في الجمعة، باب المشي إلى الجمعة...: ٣٩٠/٢، والمصنف في شرح السنة: ٣٥٣/١٠.

(٢) انظر: الطبري: ٥٦٢/١٤، المحرر الوجيز: ٧٦/٧، البحر المحيط: ١١٢/٥.

(٣) في الطبري: سعيد بن عبدالعزيز.

(٤) الطبري: ٥٦٣/١٤، والمراجع السابقة.

(٥) المراجع السابقة. وقد رد الطبري رحمه الله دعوى النسخ. انظر: التفسير: ٥٦٣/١٤-٥٦٤.

(٦) العلاقة: ما يعلق به السيف ونحوه.

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

الله ﷺ: «من أنفق نفقةً في سبيل الله كُتِبَ له سبعمائة ضعف» (١).

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أخبرنا جرير، عن الأعمش، عن أبي عمرو الشيباني، عن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجلٌ بناقةً مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة» (٢).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا الحسين [حدثني يحيى بن أبي كثير] (٣) حدثني أبو سلمة، حدثني بسر بن سعيد، حدثني زيد بن خالد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ حَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَخِيرٌ فَقَدْ غَزَا» (٤).

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ الآية. قال ابن عباس في رواية الكلبي: لما أنزل الله عز وجل عيوب المنافقين في غزوة تبوك كان النبي ﷺ يبعث سرايا فكان المسلمون ينفرون جميعاً إلى الغزو ويتركون النبي ﷺ وحده، فأنزل الله عز وجل هذه الآية (٥). وهذا نفي بمعنى النهي.

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾، أي: فهلاً خرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة [ويبقى مع رسول الله ﷺ جماعة] (٦) ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾، يعني الفرقة القاعدية، يتعلمون القرآن والسُننَ والفرائضَ والأحكام، فإذا رجعت سرايا أخبروهم بما أنزل بعدهم، فتمكث السرايا يتعلمون ما نزل بعدهم، وتبعث سرايا أخرى، فذلك قوله: ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾، وليعلموهم بالقرآن ويخوفوهم به، ﴿إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ لا يعملون بخلافه.

وقال الحسن: هذا التفقه والإنذار راجع إلى الفرقة النافرة، ومعناه: هلاً نفر فرقة ليتفقها، أي: ليتبصروا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين، ولينذروا قومهم من الكفار إذا رجعوا إليهم

(١) أخرجه الترمذي في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل النفقة في سبيل الله: ٢٥٤/٥ وقال هذا حديث حسن، والنسائي في الجهاد، باب فضل النفقة في سبيل الله: ٤٩/٦، وصححه ابن حبان (٣٩٦) من الموارد والحاكم: ٨٧٢/٢، وقال الألباني في تعليقه على المشكاة: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في الإمامة، باب فضل الصدقة في سبيل الله، برقم (١٨٩٢): ١٥٠٥/٣، والمصنف في شرح السنة: ٣٥٩/١٠.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٤) رواه البخاري في الجهاد. باب: فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير: ٤٩/٦، ومسلم في الإمامة: باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله...

من طريق بكر بن الأشج عن بسر بن سعيد عن زيد بن خالد الجهني برقم (١٨٩٥): ١٥٠٧/٣، والمصنف في شرح السنة: ٣٥٩/١٠.

(٥) أسباب النزول للواحد ص (٣٠٤).

(٦) ساقط من «أ».

من الجهاد فيخبروهم بنصر الله رسوله ﷺ والمؤمنين لعلمهم يحذرون أن يُعادُوا النبي ﷺ، فينزل بهم ما نزل بأصحابهم من الكفار (١).

وقال الكلبي: لها وجه آخر وهو أن أحياء من بني أسد من خزيمَة أصابتهم سنة شديدة فأقبلوا بالذراري حتى نزلوا المدينة فأفسدُوا طرقها بالعدرات وأغلُوا أسعارها فنزل قوله: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافةً فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة﴾ (٢)، أي: لم يكن لهم أن ينفروا كافة ولكن من كل قبيلة طائفة ليتفقهوا في الدين.

وقال مجاهد: نزلت في ناس خرجوا في البوادي ابتغاء الخير من أهلها فأصابوا منهم معروفًا، ودَعَوْا من وجدوا من الناس إلى الهدى، فقال الناس لهم ما نراكم إلا وقد تركتم صاحبكم وجثمتونا، فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجًا، وأقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، أي: هلا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين ويستمعوا ما أنزل بعدهم ولينذروا قومهم، يعني: الناس كلهم إذا رجعوا إليهم ويدعوهم إلى الله، لعلمهم يحذرون بأس الله ونقمته، وقعدت طائفة يتبعون الخير (٣).

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى، أنبأنا أبو الحسن الطيسفوني، حدثنا عبدالله بن عمر الجوهري، حدثنا أحمد بن علي الكشميهني، حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا عبدالله بن أبي سعيد بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يُرد الله به خيراً يُفقهه في الدين» (٤).

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، حدثنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، حدثنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أنبأنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تجدون الناس معادن كعادن الذهب والفضة، فخيرهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» (٥).

والفقه: هو معرفة أحكام الدين، وهو ينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية، وفرض العين مثل: علم الطهارة، والصلاة، والصوم، فعلى كل مكلف معرفته، قال النبي ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل

(١) وهذا المعنى الذي رجحه الإمام الطبري ووجهه توجيهاً سديداً: التفسير: ٥٧٣/١٤-٥٧٤.

(٢) انظر: الطبري: ٥٦٩/١٤، الدر المنثور: ٣٢٣/٤.

(٣) الطبري: ٥٦٦/١٤.

(٤) أخرجه البخاري في العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين: ١٦٤/١، وفي المناقب، ومسلم في الزكاة، باب النبي عن

المسألة برقم (١٠٣٧): ٧١٨/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٨٥/١.

(٥) أخرجه البخاري في المناقب، باب قوله تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى»، ٥٢٥/٦-٥٢٦، ومسلم في فضائل

الصحابة، باب خيار الناس، برقم (٢٥٢٦): ١٩٥٨/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٨٦/١.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَبْلَهُمُ الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ؕ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾

مسلم»^(١). وكذلك كل عبادة أوجبها الشرع على كل واحد، يجب عليه معرفة علمها، مثل: علم الزكاة إن كان له مال، وعلم الحج إن وجب عليه .

وأما فرض الكفاية فهو: أن يتعلم حتى يبلغ درجة / الاجتهاد ورتبة الفتيا، فإذا قعد أهل بلد عن ١٦٧ / ب تعلمه عصوا جميعاً، وإذا قام من كل بلد واحد فتعلمه سقط الفرض عن الآخرين، وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث، روى أبو أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فَضَّلَ الْعَالِمُ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»^(٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»^(٣) .

قال الشافعي: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة .

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ الآية، أمروا بقتال الأقرب فالأقرب إليهم في الدار والنسب، قال ابن عباس رضي الله عنهما مثل بني قريظة والنضير وخيبر ونحوها.

(١) في «ب»: (ومسلمة). والحديث رواه ابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، برقم (٤٢٤): ٨١/١. قال في الزوائد: إسناده ضعيف لضعف حفص بن سلمان. وعزاه في كثر العمال: ١٣٠/١٠-١٣١ لابن عدي والبيهقي والطبراني والخطيب. وقد روي الحديث من طرق كثيرة عن عدد من الصحابة، وكل طريق منها لا يخلو من ضعف، ولكنها لكثرتها تقوي الحديث، لذلك حسنه المزني وابن القطان، وصححه السيوطي لغيره، وذكره في الأحاديث المتواترة .
وقال في المقاصد الحسنة: قد ألحق بعض المصنفين بهذا الحديث: «ومسلمة» وليس لها ذكر في شيء من طرقه وإن كان معناها صحيحاً .

انظر: تمييز الطيب من الخبيث لابن الديبع: ص (١١٦)، كشف الخفاء: ٥٦/٢-٥٧، نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكفائي ص (٣٥-٣٧) .

(٢) أخرجه الترمذي في العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة: ٤٥٦/٧-٤٥٧، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. والدارمي عن مكحول مرسلًا بسند حسن في المقدمة، باب من قال: العلم الخشية وتقوى الله: ٨٨/١، وأخرجه أيضاً عن الحسن مرفوعاً في باب فضل العلم والعالم: ٩٧/١-٩٨. والمصنف في شرح السنة: ٢٧٨/١، وابن عبد البر في جامع بيان العلم: ٤٦/١ .
وانظر: تعليق الألباني على المشكاة: ٧٤/١-٧٥ .

(٣) أخرجه الترمذي في العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة: ٤٥٠/٧ وقال: هذا حديث غريب، ولا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم برقم (٢٢٢): ٨١/١. وفيه زَوْج بن جناح، وهو ضعيف جداً، متهم بالوضع .

وأخرجه ابن عبد البر عن ابن عباس، وعن أبي هريرة أيضاً في جامع بيان العلم: ٥٢/١-٥٣. وفيه: يزيد بن عياض، وهو كذاب .
انظر: تعليق الألباني على المشكاة: ٧٥/١، وشرح السنة: ٢٧٨/١ .

وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ۖ إِيْمَانًا فَآمَّا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ
 فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ
 يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾

وقيل: أراد بهم الروم لأنهم كانوا سكان الشام [وكان الشام] (١) أقرب إلى المدينة من العراق، ﴿وَلْيَجِدُوا
 فِيكُمْ غِلْظَةً﴾، شدة وحمة. قال الحسن: صبراً على جهادهم، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، بالعون
 والنصرة .

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا﴾، يقيناً. كان المنافقون
 يقولون هذا استهزاء، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا﴾ يقيناً وتصديقاً، ﴿وَهُمْ
 يَسْتَبْشِرُونَ﴾، يفرحون بنزول القرآن .

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾، شكٌ ونفاق، ﴿فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾، أي: كفرةً إلى
 كفرهم، فعند نزول كل سورة ينكرونها يزداد كفرهم بها.
 قال مجاهد: هذه الآية إشارة إلى الإيمان: يزيد وينقص .

وكان عمر: يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول تعالوا حتى نزداد إيماناً .
 وقال علي بن أبي طالب: إن الإيمان يبدو لُمَظَةً (٢) بيضاء في القلب، فكلما ازداد الإيمان عِظْماً
 ازداد ذلك البياض حتى يَبْيِضُ القلبُ كله، وإن النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق
 ازداد ذلك السواد حتى يسود القلب كله، وأيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم
 عن قلب منافق لوجدتموه أسود (٣) .

قوله: ﴿وَمَا تَوْأَمَهُمْ كَافِرُونَ﴾ .

قوله: ﴿أَوْ لَا يَرَوْنَ﴾، قرأ حمزة ويعقوب: «ترون» بالناء على خطاب المؤمنين، وقرأ الآخرون بالياء،
 خبرٌ عن المنافقين المذكورين. ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يُبتلون ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾، بالأمراض

(١) ساقط من «أ» .

(٢) في النهاية لابن الأثير: يبدأ لمظة. واللمظة: - بالضم - مثل النكتة، من البياض .

(٣) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث: ٤٦٠/٣، وابن المبارك في الزهد، وخشيش في الاستقامة، والبيهقي، واللالكائي في السنة،
 والأصبهاني في المحجة .

انظر: كنز العمال: ٤٠٦/١-٤٠٧ .

وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرْتَكِبُ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ
 أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ
 رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ

والشدايد. وقال مجاهد: بالقحط والشدة. وقال قتادة: بالغزو والجهاد. وقال مقاتل بن حيان: يفضحون
 بإظهار نفاقهم. وقال عكرمة: يناقون ثم يؤمنون ثم يناقون. وقال يمان: ينقضون عهدهم في السنة مرة أو
 مرتين. ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾، من نقض العهد ولا يرجعون إلى الله من النفاق، ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، أي: لا
 يتعظون بما يرون من تصديق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين .

﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ﴾، فيها عيب المنافقين وتوبيخهم، ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾، يريدون
 الهرب يقول بعضهم لبعض إشارة، ﴿هَلْ يَرْتَكِبُ مِنْ أَحَدٍ﴾، أي: أحد من المؤمنين، إن قمتم، فإن لم يرههم
 أحد خرجوا من المسجد، وإن علموا أن أحداً يراهم أقاموا وثبتوا، ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا﴾، عن الإيمان بها. وقيل:
 انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها، ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، عن الإيمان. قال أبو إسحاق الزجاج:
 أضلهم الله مجازاة على فعلهم ذلك، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، عن الله دينه. قال ابن عباس رضي الله
 عنهما: «لا تقولوا إذا صليتم انصرفنا من الصلاة فَإِنَّ قَوْمًا أَنْصَرَفُوا فَصَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ، ولكن قولوا قد
 قضينا الصلاة»^(١).

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ تعرفون نسبه وحسبه، قال السدي: من العرب، من
 بني إسماعيل. قال ابن عباس: ليس من العرب قبيل إلا وقد ولدت النبي ﷺ، وله فيهم نسب.
 وقال جعفر بن محمد الصادق: لم يصبه شيء من ولاد الجاهلية من زمان آدم عليه السلام .
 أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن
 حامد، حدثنا حامد بن محمد، أخبرنا علي بن عبدالعزيز، حدثنا محمد بن أبي نعيم، حدثنا هشيم، حدثني
 المدني — يعني: أبا معشر — عن أبي الحويرث، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله
 ﷺ: «ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح كنيكاج الإسلام»^(٢).

وقرأ ابن عباس والزهري وابن محيصن «من أنفسكم» بفتح الفاء، أي: من أشرفكم وأفضلكم.
 ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾، شديد عليه، ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾، قيل «ما» صلة أي: عنتكم، وهو دخول المشقة والمضرة

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ٥٨٣/١٤، وصححه الحاكم: ٣٣٨/٢، ووافقه الذهبي .

(٢) قال الهيثمي في المجمع ٢١٤/٨: «رواه الطبراني عن المدني عن أبي الحويرث، ولم أعرف المدني ولا شيخه، وبقي رجاله وثقوا» .
 وعزه في كنز العمال ٤٣٠/١١ أيضاً للبيهقي وابن عساكر .

رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

عليكم. وقال القتيبي: ما أعتكم وضرركم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما ضللتكم.
وقال الضحاك والكلبي: ما أتمتكم.

﴿حريصٌ عليكم﴾، أي: على إيمانكم وصلاحتكم. وقال قتادة: حريص عليكم أي: على ضالكم
أن يهديه الله، ﴿بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ﴾، قيل: رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين، ﴿فإن تولَّوا﴾، إن
أعرضوا عن الإيمان وناصروك الحرب ﴿فقل حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ﴾.

روي عن أبي بن كعب قال: آخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان ﴿لقد جاءكم رسولٌ من
أنفسيك﴾ إلى آخر السورة. وقال: هما أحدث الآيات بالله عهداً^(١).

(١) أخرجه الحاكم: ٣٣٨/٢، والإمام عبدالله بن أحمد في زوائد المسند: ١١٧/٥، وعزاه ابن حجر في المطالب العالية: ٣٣٧/٣
لإسحاق بن راهوية، كلهم دون قوله: «هما أحدث الآيات...» .
وقال الهيثمي في المجمع: ٣٦/٧: «رواه عبدالله بن أحمد، والطبراني، وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ثقة سيء الحفظ، وبقية رجاله
ثقات» .

سُورَةُ يُوسُفَ

1875

سُورَةُ يُونُسَ

سورة يونس عليه الصلاة والسلام مكيّة إلا ثلاث آيات من قوله: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ إلى آخرها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّتِّلِكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ

﴿الر﴾ و«آمر» قرأ أهل الحجاز والشام وحفص: بفتح الراء فيهما. وقرأ الآخرون: بالإمالة . قال ابن عباس والضحاك: «الر» أنا الله أرى، و«آمر» أنا الله أعلم وأرى . وقال سعيد بن جبیر «الر» و«حم» و«ن» حروف اسم الرحمن، وقد سبق الكلام في حروف التهجّي (١) .

﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾، أي: هذه، وأراد بالكتاب الحكيم القرآن. وقيل: أراد بها الآيات التي أنزلها من قبل ذلك، ولذلك قال: «تلك»، وتلك إشارة إلى غائب مؤنث، والحكيم: المحكم بالحلال والحرام، والحدود والأحكام، فعيل بمعنى مَفْعَل، بدليل قوله: «كتاب أحكمت آياته» (هود - ١) . وقيل: هو بمعنى الحاكم، فعيل بمعنى فاعل، دليله قوله عز وجل: «وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس» (البقرة - ٢١٣) .

وقيل: هو بمعنى المحكوم، فعيل بمعنى المفعول. قال الحسن: حكم فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وبالنهي عن الفحشاء والمنكر والبغى، وحكم فيه بالجنة لمن أطاعه وبالنار لمن عصاه .

(١) راجع فيما سبق: ٥٨/١-٥٩ . وانظر هذه الأقوال كلها في: الطبري: ٢٠٥/١-٢٢٤ .

أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا
 أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُومِيُّينَ ﴿٣٠﴾
 رَبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ
 يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا
 تَذَكَّرُونَ ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾، العَجَبُ: حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة .

وسبب نزول الآية: / أن الله عز وجل لما بعث محمداً ﷺ رسولاً، قال المشركون: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً. فقال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾^(١) يعني: أهل مكة، الألف فيه للتوبيخ، ﴿عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾، يعني محمداً ﷺ، ﴿أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾، أي: أعلمهم مع التخويف، ﴿وبشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، واختلفوا فيه: قال ابن عباس: أجراً حسناً بما قدموا من أعمالهم. قال الضحاك: ثواب صدق. وقال الحسن: عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: هو السعادة في الذكر الأول. وقال زيد بن أسلم: هو شفاعة الرسول ﷺ. وقال عطاء: مقام صدق لا زوال له، ولا بؤس فيه. وقيل: منزلة رفيعة^(٢).

وأضيف القدم إلى الصدق وهو نعته، كقولهم مسجد الجامع، وحب الحصيد، وقال أبو عبيدة: كل سابق في خير أو شر فهو عند العرب قدم، يقال: لفلان قدم في الإسلام، وله عندي قدم صدق وقدام سوء، وهو يؤنث فيقال: قدم حسنة، وقدام صالحة. ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَّاحِرٌ مُّبِينٌ﴾. قرأ نافع وأهل البصرة والشام: «لسحر» بغير ألف يعنون القرآن، وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة: «لساحر» بالألف يعنون محمداً ﷺ.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾، يقضيه وحده، ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾، معناه: أن الشفعاء لا يشفعون

(١) أخرجه الطبري عن ابن عباس: ١٣/١٥، وانظر: أسباب النزول ص (٣٠٥)، الدر المنثور: ٣٤٠/٤ وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه مطولاً .

(٢) انظر في هذه الأقوال: الطبري: ١٣/١٥ - ١٦ وقال: «وأول هذه الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: معناه: أن لهم أعمالاً صالحة عند الله يستوجبون بها منه الثواب» ثم ساق على ذلك شواهد من الشعر .

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

إلا بإذنه، وهذا ردّ على التضرّب بن الحارث فإنه كان يقول: إذا كان يوم القيامة تشفعني اللات والعزى. قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾، يعني: الذي فعل هذه الأشياء ربكم لا رب لكم غيره، ﴿فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، تتعظون .

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾، صدقاً لا خلف فيه. نصب على المصدر، أي: وعدم وعداً حقاً ﴿إِنَّهُ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، أي: يُحييهم ابتداءً ثم يُميتهم ثم يُحييهم، قراءة العامة: ﴿إِنَّهُ﴾ بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ أبو جعفر «أنه» بالفتح على معنى بأنه ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾، بالعدل، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾، ماء حار انتهى حرّه، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ .

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾، بالنهار، ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ بالليل. وقيل: جعل الشمس ذات ضياء، والقمر ذا نور، ﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾ أي: قدر له، يعني: هياً له منازل لا يجاوزها ولا يقصر دونها، ولم يقل: قدرها.

قيل: تقدير المنازل ينصرف إليهما غير أنه اكتفى بذكر أحدهما، كما قال: «والله ورسوله أحق أن يرضوه» (التوبة — ٦٢) .

وقيل: هو ينصرف إلى القمر خاصة لأن القمر يُعرف به انقضاء الشهور والسنين، لا بالشمس . ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً، وأسمائها: الشرطين، والبطين، والثرياء، والدبران، والبقعة، والمنعة، والذراع، والنسر، والطوف، والجبهة، والزبرة، والصفرة، والعواء، والسماك، والغفر، والزباني، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعام، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، وفرع الدلو المقدم، وفرع الدلو المؤخر، وبطن الحوت .

وهذه المنازل مقسومة على البروج، وهي اثنا عشر برجاً: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت .

إِن فِي أَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَاوَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾

ولكل برج منزلان وثلاث منزل، فينزل القمر كل ليلة منزلاً منها، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين، وإن كان تسعاً وعشرين فليلة واحدة، فيكون تلك المنازل ويكون مقام الشمس في كل منزلة ثلاثة عشر يوماً، فيكون انقضاء السنة مع انقضائها .

قوله تعالى: ﴿لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ﴾، أي: قَدَّرَ المنازل «لتعلموا عددَ السنين» دخولها وانقضاءها، ﴿وَالْحِسَابِ﴾، يعني: حساب الشهور والأيام والساعات. ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ رَدَّهُ إِلَى الخلق والتقدير، ولو رَدَّهُ الْأَعْيَانُ المذكورة لقال: تلك. ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، أي: لم يخلقه باطلاً بل إظهار الصنعه ودلالة على قدرته. ﴿يَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص ويعقوب: «يفصل» بالياء، لقوله: «ما خلق» وقرأ الباقون: «نفصل» بالنون على التعظيم .

﴿إِن فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ يؤمنون .

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، أي: لا يخافون عقابنا ولا يرجون ثوابنا. والرجاء يكون بمعنى الخوف والطمع، ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فاختاروها وعملوا لها، ﴿وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا﴾: سكنوا إليها. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾، أي: عن أدلتنا غافلون لا يعتبرون. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: عن آياتنا عن محمد ﷺ والقرآن غافلون معرضون .

﴿أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، من الكفر والتكذيب .

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾، فيه إضمار، أي: يرشدهم ربهم بإيمانهم إلى الجنة، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾. قال مجاهد: يهديهم على الصراط إلى الجنة، يجعل لهم نوراً يمشون به .

وقيل: «يهديهم» معناه يثبتهم ويجزيهم .

وقيل: معناه بإيمانهم يهديهم ربهم لدينه، أي: بتصديقهم هداهم «تجري من تحتهم الأنهار» أي: بين

دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَعَ إِخْرُ دَعْوَتُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ
 لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ * وَلَوْ يَعِجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ
 بِالْخَيْرِ لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ فَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ
 يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾

أيديهم، كقوله عز وجل: «قد جعل ربك تحتك سرياً» (مريم - ٢٤) لم يُرد به أنه تحتها وهي قاعدة عليه، بل أراد بين يديها.

وقيل: تجري من تحتهم أي: بأمرهم، ﴿في جنات النعيم﴾ .

﴿دعواهم﴾، أي: قولهم وكلامهم. وقيل: دعاؤهم. ﴿فيها سبحانك اللهم﴾، وهي كلمة تنزيه، تنزه الله من كل سوء. وروينا: «أن أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح، كما يلهمون النفس»^(١).

قال أهل التفسير: هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام، فإذا أرادوا الطعام قالوا: سبحانك اللهم، فاتوهم في الوقت بما يشتهون على الموائد، كل مائدة ميل في ميل، على كل مائدة سبعون ألف صحفة، وفي كل صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضاً، فإذا فرغوا من الطعام حمدوا الله، فذلك، قوله تعالى: / ﴿وَإِخْرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

ب / ١٦٨

قوله تعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ أي: يحيي بعضهم بعضاً بالسلام. وقيل: تحية الملائكة لهم بالسلام.

وقيل: تأتيهم الملائكة من عند ربهم بالسلام.

﴿وَإِخْرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، يريد: يفتتحون كلامهم بالتسبيح، ويختتمونه

بالتحميد.

قوله عز وجل: ﴿لَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾، قال ابن عباس: هذا في قول الرجل عند الغضب لأهله وولده: لعنكم الله، ولا بارك الله فيكم. قال قتادة: هو دعاء الرجل على نفسه وأهله وماله بما يكره أن يستجاب. معناه: لو يعجل الله الناس إجابة دعائهم في الشر والمكروه استعجالهم

(١) عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتخلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون» قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشأه ورشحه كرشح المسك. يُلهمون التسبيح والتحميد كما يُلهمون النفس.

رواه مسلم، في الجنة وصفة نعيمها، باب في صفات الجنة وأهلها.. (٣٨٣٥): ٤/٢١٨٠-٢١٨١.

(٢) ساق السيوطي عدة روايات في ذلك. الدر المنثور: ٤/٣٤٥-٣٤٦.

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ
 كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾
 وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا
 لِيُؤْمِنُوا ﴿١٣﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾

بالخير، أي: كما يحبون استعجالهم بالخير، ﴿لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب: «لَقَضَىٰ»
 بفتح القاف والضاد، ﴿أَجْلَهُمْ﴾ نصب، أي: لأهلك من دعا عليه وأماته. وقال الآخرون: «لَقَضَىٰ»
 بضم القاف وكسر الضاد «أَجْلَهُمْ» رفع، أي: لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعاً .
 وقيل: إنها نزلت في الضر بن الحارث حين قال: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر
 علينا حجارة من السماء»^(١) الآية (الأنفال — ٣٢) يدل عليه قوله عز وجل: ﴿فَقَنْدُرُ الَّذِينَ لَا يُرْجُونَ
 لِقَاءَنَا﴾، لا يخافون البعث والحساب، ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ .

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحى، أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران، حدثنا
 أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار، أنبأنا أحمد بن منصور الزياتي، حدثنا عبدالرزاق، أنبأنا معمر، عن
 همام بن منبه، أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني اتخذت عندك عهداً لن
 تُخْلِفَنِيهِ، فإنما أنا بشر فيصدر مني ما يصدر من البشر، فأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتُهُ، أَوْ شَتَمْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، أَوْ
 لَعَنْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً وَزَكَاةً وَقُرْبَةً، تَقَرَّبَ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢) .

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾، الجهد والشدة، ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾، أي: على جنبه
 مضطجعاً، ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾، يريد في جميع حالاته، لأن الإنسان لا يعدو إحدى هذه الحالات.
 ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾، دفعنا عنه ضرةً مرَّ كأن لم يدعنا إلى ضرةٍ مسَّه، أي استمر على طريقته الأولى
 قبل أن يصيبه الضر، ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء، كأنه لم يدعنا إلى ضرةٍ مسَّه أي: لم يطلب منا
 كشف ضرةٍ مسَّه. ﴿كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المجاوزين الحدَّ في الكفر والمعصية، ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾،
 من العصيان. قال ابن جرير: كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الدعاء عند البلاء وترك الشكر
 عند الرخاء. وقيل: معناه كما زين لكم أعمالكم زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم .
 قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ أشركوا، ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم

(١) انظر: المحرر الوجيز: ١١٣/٧ .

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات، باب قول النبي ﷺ: «من آذنته فاجعله له زكاة ورحمة»: ١٧١/١١، ومسلم في البر والصلة، باب

من لعنه النبي ﷺ أو سبه... برقم (٢٦٠١): ٢٠٠٨/٤، والمصنف في شرح السنة: ٨/٥ .

ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي ۚ إِنِ اتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ ٱنِّي أَخَافُ ۖ إِن عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾

بالبينات وما كانوا يُؤمنونها كذلك ﴿١٤﴾، أي: كما أهلكناهم بكفرهم، ﴿نجزي﴾ نعاقب ونهلك، ﴿القوم المجرمين﴾، الكافرين بتكذيبهم محمداً ﷺ، يخوف كفار مكة بعذاب الأمم الخالية المكذبة .

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ﴾، أي: خلفاء، ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، أي: من بعد القرون التي أهلكناهم، ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، وهو أعلم بهم. وروينا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا إن هذه الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها، فانظروا كيف تعملون»^(١).

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾، قال قتادة^(٢): يعني مشركي مكة. وقال مقاتل^(٣): هم خمسة نفر: عبدالله بن أمية المخزومي، والوليد بن المغيرة، ومكرز بن حفص، وعمرو بن عبدالله بن أبي قيس العامري، والعاص بن عامر بن هاشم. ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، هم السابق ذكرهم قالوا للنبي ﷺ: إن كنت تريد أن تؤمن بك ﴿أَنْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا﴾، ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة، وليس فيه عيبها، وإن لم ينزلها الله فقل أنت من عند نفسك، ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾، فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة، أو مكان حرام حلالاً، أو مكان حلال حراماً، ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد، ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي﴾، من قبل نفسي ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾، أي: ما أتبع إلا ما يُوحى إليّ فيما أمركم به وأنهاكم عنه، ﴿إِنِّي أَخَافُ ۖ إِن عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ .

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾، يعني: لو شاء الله ما أنزل القرآن عليّ. ﴿وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾، أي: ولا أعلمكم الله. قرأ البيزي عن ابن كثير: «ولأدراكم به» بالقصر به على الإيجاب، يريد: ولا علمكم

(١) أخرجه مسلم في الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء... برقم (٢٧٤٢)؛ ٢٠٩٨/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٢/٩ .

(٢) في أسباب النزول للواحد ص (٣٠٥): مجاهد. وانظر: الدر المنثور: ٣٤٧/٤ .

(٣) أسباب النزول ص (٣٠٥) .

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
 الْمَجْرُمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ
 وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُوا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ
 وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً
 وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا
 فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾

به من غير قراءتي عليكم. وقرأ ابن عباس: «ولا أندركم به» من الانذار. ﴿فقد لبث فيكم عمراً﴾،
 حيناً وهو أربعون سنة، ﴿من قبله﴾، من قبل نزول القرآن ولم آتكم بشيء. ﴿أفلا تعقلون﴾، أنه ليس
 من قبلي، ولبث النبي ﷺ فيهم قبل الوحي أربعين سنة ثم أوحى الله إليه فأقام بمكة بعد الوحي ثلاث
 عشرة سنة ثم هاجر فأقام بالمدينة عشر سنين وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.
 وروى أنس: أنه أقام بمكة بعد الوحي عشر سنين وبالمدينة عشر سنين، وتوفي وهو ابن ستين سنة.
 والأول أشهر وأظهر (١).

قوله تعالى: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾، فزعم أن له شريكاً أو ولداً ﴿أو كذب
 بآياته﴾، بمحمد ﷺ وبالقرآن، ﴿إنه لا يفلح المجرمون﴾، لا ينجو المشركون.
 ﴿ويعبدون من دون الله مالا يضرهم﴾، إن عصوه وتركوا عبادته، ﴿ولا ينفعهم﴾، إن عبدوه،
 يعني: الأصنام، ﴿ويقولون هؤلاء شفاعونا عند الله قل أتنبئون الله﴾ أتخبرون الله، ﴿بما لا يعلم﴾،
 الله صحته. ومعنى الآية: أتخبرون الله أن له شريكاً، أو عنده شفيعاً بغير إذنه، ولا يعلم الله لنفسه
 شريكاً؟! ﴿في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾، قرأ حمزة والكسائي:
 «تشركون» بالتاء، هاهنا وفي سورة النحل موضعين، وفي سورة الروم، وقرأ الآخرون كلها بالياء.

قوله تعالى: ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾، أي: على الإسلام. وقد ذكرنا الاختلاف فيه في
 سورة البقرة (٢). ﴿فاختلفوا﴾، وتفرقوا إلى مؤمن وكافر، ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾، بأن جعل

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٥٤/١٣، ٢٩١/١٤، وابن سعد في الطبقات: ٣٠٨/٢، وعبدالرزاق: ٥٩٩/٣.

وانظر: الدر المنثور: ٣٤٨/٤-٣٤٩، كنز العمال: رقم (٤٧٥٠).

(٢) انظر فيما سبق: ٢٤٣/١-٢٤٤.

وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي
 مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ وَإِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسْتَهُمْ إِذَا
 لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿١٠٣﴾ هُوَ
 الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَحْرَيْنِ يَبِيحُ بِرِيحٍ طَبَئَةً وَفَرِحُوا
 بِهَا جَاءَ تِهَارِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ
 بِهِمْ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ
 الشَّاكِرِينَ ﴿١٠٤﴾

لكل أمة أجلاً. وقال الكلبي: هي إمهال هذه الأمة وأنه لا يهلكهم بالعذاب في الدنيا، ﴿لَقَضِيَ
 فِيهِمْ﴾، بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين، وكان ذلك فصلاً بينهم، ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، وقال
 الحسن: ولولا كلمة سبقت من ربك، مضت في حكمه أنه: لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه بالثواب
 والعقاب دون القيامة، لقضي بينهم في الدنيا فأدخل المؤمن الجنة والكافر النار، ولكنه سبق من الله الأجل
 فجعل موعدهم يوم القيامة.

﴿وَيَقُولُونَ﴾، يعني: أهل مكة، ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾، أي: على محمد ﷺ ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾، على ما
 نقترحه، ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾، يعني: قل إنما سأتموني الغيب وإنما الغيب لله، لا يعلم أحد لِمَ لَمْ
 يفعل ذلك ولا يعلمه إلا هو. وقيل: الغيب نزول الآية / لا يعلم متى ينزل أحدٌ غيره، ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ نزولها
 ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾، وقيل: فانتظروا قضاء الله بيننا بالحق بإظهار الحق على المبطل.
 قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ﴾، يعني: الكفار، ﴿رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ﴾، أي: راحة ورخاء
 من بعد شدة وبلاء. وقيل: القطر بعد القحط، ﴿مَسْتَهُمْ﴾، أي: أصابهم، ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾،
 قال مجاهد: تكذيب واستهزاء. وقال مقاتل بن حيان: لا يقولون: هذا رزق الله، إنما يقولون: سقينا بنوء
 كذا، وهو قوله: «وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون» (الواقعة - ٨٢).

﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾، أعجل عقوبة وأشد أخذاً وأقدر على الجزاء، يريد عذابه في إهلاككم
 أسرع إليكم مما يأتي منكم. في دفع الحق، ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾، حفظتنا، ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾، وقرأ
 يعقوب: «بمكرون» بالياء.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾، يجرىكم ويحملكم، وقرأ أبو جعفر وابن عامر: «ينشركم» بالنون
 والشين من النشر وهو البسط والبت، ﴿فِي الْبَرِّ﴾، على ظهور الدواب، ﴿وَفِي الْبَحْرِ﴾، على

فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ
 عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
 ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا
 يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظُرِبَ أَهْلُهَا أَنْهَمٌ
 قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَّهَمُ أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبْ
 بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

الفلك، ﴿حتى إذا كنتم في الفلك﴾، أي: في السفن، تكون واحداً وجمعاً ﴿وجرئين بهم﴾، يعني: تجرت السفن بالناس، رجع من الخطاب إلى الخبر، ﴿بريح طيبة﴾ لينة، ﴿وفرخوا بها﴾، أي: بالريح، ﴿جاءتها ريح﴾، أي: جاءت الفلك ريح، ﴿عاصف﴾، شديدة الهبوب، ولم يقل ريح عاصفة، لاختصاص الريح بالعصف. وقيل: الريح تُذكر وتؤنث. ﴿وجاءهم﴾، يعني: ركبان السفينة، ﴿الموج﴾، وهو حركة الماء واختلاطه، ﴿من كل مكان وظنوا﴾، أيقنوا ﴿أنهم أحيط بهم﴾، دتوا من الهلكة، أي: أحاط بهم الهلاك، ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾، أي: أخلصوا في الدعاء لله ولم يدعوا أحداً سوى الله. وقالوا ﴿لئن أُنحيتم﴾، ياربنا، ﴿من هذه﴾، الريح العاصف، ﴿لنكونن من الشاكرين﴾، لك بالإيمان والطاعة .

﴿فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض﴾، يظلمون ويتجاوزون إلى غير أمر الله عز وجل في الأرض، ﴿بغير الحق﴾، أي: بالفساد. ﴿يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم﴾، لأن وباله راجع عليها، ثم ابتداء فقال: ﴿متاع الحياة الدنيا﴾، أي: هذا متاع الحياة الدنيا، خير ابتداء مضمرة، كقوله: «لم يلبثوا إلا ساعة من نهارٍ بلاغ» (الأحقاف - ٣٥)، أي: هذا بلاغ. وقيل: هو كلام متصل، والبغي: ابتداء، ومتاع: خبره.

ومعناه: إنما بغيكم متاع الحياة الدنيا، لا يصلح [زاداً لمعاد] (١) لأنكم تستوجبون به غضب الله .

وقرأ حفص: «متاع» بالنصب، أي تمتعون متاع الحياة الدنيا، ﴿ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون﴾ .

قوله عز وجل: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا﴾، في فنائها وزوالها، ﴿كأية أنزلناه من السماء فاختلط

(١) في «أه» (لزاد المعاد) .

وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

به)، أي: بالمطر، ﴿نبات الأرض﴾، قال ابن عباس: نبت بالماء من كل لون، ﴿مما يأكل الناس﴾، من الحبوب والثمار، ﴿والأنعام﴾، من الحشيش، ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها﴾، حسنها وبهجتها وظهر الزهر أخضر وأحمر وأصفر وأبيض ﴿وازينت﴾، أي: تزينت، وكذلك هي في قراءة ابن مسعود: «تزينت». ﴿وظن أهلها أنهم قادرون عليها﴾، على جذاذها وقطافها وحصادها، رد الكناية إلى الأرض. والمراد: النبات إذ كان مفهوماً، وقيل: ردّها إلى الغلّة. وقيل: إلى الزينة. ﴿أناها أمرنا﴾، قضاؤنا، بإهلاكها، ﴿ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً﴾، أي: محصودة مقطوعة، ﴿كأن لم تكن بالأمس﴾، كأن لم تكن بالأمس، وأصله من غني بالمكان إذا أقام به. وقال قتادة: معناه إن المتشبت بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون. ﴿كذلك نفضل الآيات لقوم يشكرون﴾.

قوله تعالى: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾، قال قتادة: السلام هو الله، وداره: الجنة. وقيل: السلام بمعنى السلامة، سُميت الجنة دار السلام لأن من دخلها سلّم من الآفات. وقيل: المراد بالسلام التحية سُميت الجنة دار السلام، لأن أهلها يحيي بعضهم بعضاً بالسلام والملائكة تسلم عليهم. قال الله تعالى: «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم» (الرعد - ٢٣).

وروينا عن جابر قال: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم [فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: (١)] إن لصاحبكم هذا مثلاً. قال: فاضربوا له مثلاً. فقال بعضهم: مثله كمثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مائدةً، وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي: دخل الدار، وأكل من المائدة، ومن لم يجِبِ الداعي: لم يدخل الدار ولم يأكل من المائدة، [فقالوا أولوها له يَفْقَهَهَا، قال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: (١)] فالدارُ الجنة والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس» (٢).

﴿ويهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم﴾، فالصراط المستقيم هو الإسلام، عمّ بالدعوة لإظهار الحجة، وتخص بالهداية استغناء عن الخلق.

(١) ما بين القوسين من صحيح البخاري وشرح السنة للمصنف، وهو أيضاً في المطبوع.

(٢) أخرجه البخاري في الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ: ٢٤٩/١٣، والمصنف في شرح السنة: ١٩٢/١.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، أي: للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى، وهي الجنة، وزيادة: وهي النظر إلى وجه الله الكريم، هذا قول جماعة من الصحابة، منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وحذيفة، وأبو موسى، وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم، وهو قول الحسن، وعكرمة، وعطاء، ومقاتل، والضحاك، والسدي .

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن [محمد بن] (١) العباس الحُمَيْدِيُّ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو العباس محمد بن يعقوب إملأء، حدثنا أبو بكر محمد بن إسحاق الصَّغَانِي، حدثنا الأسود بن عامر، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت — يعني البناني — عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صُهَيْب رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، قالوا: ما هذا الموعد؟ (٢) ألم يثقل موازيننا، وبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويُجرتنا من النار؟ قال: فيرفع الحجاب فينظرون إلى وجه الله عز وجل. قال: فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إليه» (٣) .

وروي عن ابن عباس: أن الحُسْنَى هي: أن الحسنة بمثلها والزيادة هي التضعيف عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف (٤) . وقال مجاهد: الحُسْنَى: حسنة مثل حسنة، والزيادة المغفرة والرضوان (٥) .

﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾، لا يغشى ﴿وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾، غبار، جمع قتره. قال ابن عباس وقتادة: سواد الوجه، ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾، هَوَانٌ. قال قتادة: كآبة. قال ابن أبي ليلى: هذا بعد نظرهم إلى ربهم. ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

(١) ساقط من (ب) .

(٢) في (ب): (الموعد) .

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان، باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، برقم (١٨١-١٨٢): ١٦٣/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٣٠/١٥ .

(٤) أخرجه الطبري عن ابن عباس: ٧٠/١٥ .

(٥) الطبري: ٧١/١٥. وقال رحمه الله: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى وعدَّ المحسنين من عباده على إحسانهم الحسنى، أن يجزيهم على طاعتهم إياه الجنة، وأن تبيض وجوههم، ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها. ومن الزيادة على إدخالهم الجنة: أن يكرمهم بالنظر إليه، وأن يعظمهم عُرفاً من لآلئ، وأن يزيدهم غفراناً ورضواناً. كل ذلك من زادات عطاء الله إياهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل جناته. وعمَّ ربنا جل ثناؤه بقوله: «وزيادة» الزادات على «الحسنى» فلم يخص منها شيئاً دون شيء. وغير مُستتكر من فضل الله أن يجمع ذلك لهم، بل ذلك كله مجموع لهم إن شاء الله. فأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يُعمَّ كما عمَّ عز ذكره» .

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ط
 كَانَمَا أَغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ؕ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
 ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا
 بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلَأُونَ كُلُّ
 نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا
 يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾، أي: لهم مثلها، كما قال: «وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا بِمِثْلِهَا» (الأَنْعَامُ - ١٦٠). ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾، و«من» صلة، أي: ما لهم من الله عاصم، ﴿كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ﴾، ألبست، ﴿وَجُوهُهُمْ قِطْعًا﴾، جمع قطعة، ﴿مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾، نصبت على الحال دون النعت، ولذلك لم يقل: مظلمة، تقديره: قطعاً من الليل في حال ظلمته، أو قطعاً من الليل المظلم. وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب: «قطعاً» ساكنة الطاء، أي بعضاً، كقوله: «يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ» (هُود - ٨١). ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .
 قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾، [أي: الزموا مكانكم]، (١) ﴿أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ﴾، يعني: الأوثان، معناه: ثم نقول للذين أشركوا: الزموا أنتم وشركاءكم مكانكم، ولا تبرحوا. ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ ميزنا وفرقنا ﴿بَيْنَهُمْ﴾، أي: بين المشركين وشركائهم، وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا، وذلك حين يتبرأ كل معبود من دون الله ممن عبده، ﴿وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ﴾، يعني: الأصنام، ﴿مَا كُنَّا إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ﴾، بطلبتنا فيقولون: بلى، كنا نعبدكم، فتقول الأصنام: ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ﴾، أي: ما كنا عن عبادتكم إيانا إلا غافلين، ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل .
 قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلَأُونَ﴾، أي: تُخْتَبِر. وقيل: معناه: تعلم وتقف عليه، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب: «تتلو» بتاءين، أي: تقرأ، ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾، صحيفتها. وقيل: معناه تتبع كل نفس ﴿مَا

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ
 الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ
 أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ
 فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
 ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
 فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾

أسلفتم، ما قدمت من خير أو شر. وقيل: معناه تعالين، ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ﴾، إلى حكمه فينفرد فيهم
 بالحكم، ﴿مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ﴾، الذي يتولى ويملك أمورهم: فإن قيل: أليس قد قال: «وأن الكافرين لا مولى
 لهم» (محمد - ١١)؟ قيل: المولى هناك بمعنى الناصر، وهاهنا بمعنى: المالك، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾، زال
 عنهم وبطل، ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، في الدنيا من التكذيب.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: من السماء بالمطر، ومن الأرض
 بالنبات، ﴿أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾، أي: من إعطائكم السمع والأبصار، ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ
 مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ يخرج الحي من النطفة والنطفة من الحي، ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾؟
 أي: يقضي الأمر، ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾، هو الذي يفعل هذه الأشياء، ﴿فَقُلْ: أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؟ أفلا تحافون
 عقابه في شرككم؟ وقيل: أفلا تتقون الشرك مع هذا الإقرار؟.

﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾، الذي يفعل هذه الأشياء هو ربكم، ﴿الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ
 فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾؟ أي: فأن تصرفون عن عبادته وأنتم مقرون به؟.

﴿كَذَلِكَ﴾. قال الكلبي: هكذا، ﴿حَقَّتْ﴾، وجبت، ﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾، حكمه السابق، ﴿عَلَى
 الَّذِينَ فَسَقُوا﴾، كفروا، ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر «كلمات ربك» بالجمع
 هاهنا موضعين، وفي المؤمن، والآخرون على التوحيد.

قوله: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾، أوثانكم ﴿مَنْ يَبْدُو الْخَلْقَ﴾، ينشئ الخلق من غير أصل ولا
 مثال، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، ثم يحييه من بعد الموت كهيبته، فإن أجابوك وإلا فـ ﴿قُلْ﴾ أنت: ﴿اللَّهُ يَبْدُو
 الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾؟ أي: تصرفون عن قصد السبيل.

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ
 أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ طِبَّ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
 وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا
 يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي﴾، يرشد، ﴿إِلَى الْحَقِّ﴾، فإذا قالوا: لا — ولا بد لهم من ذلك — ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾، أي إلى الحق .

﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي﴾، قرأ حمزة والكسائي: ساكنة الهاء، خفيفة الدال، وقرأ الآخرون: بتشديد الدال، ثم قرأ أبو جعفر، وقالون: بسكون الهاء، وأبو عمرو برؤم الهاء بين الفتح والسكون، وقرأ حفص: بفتح الياء وكسر الهاء، وأبو بكر بكسرها، والباقون بفتحهما، ومعناه: يهتدي — في جميعها — فمن خَفَّفَ الدال، قال: يقال: هديته فهدي، أي: اهتدى، ومن شَدَّدَ الدال أدغم التاء في الدال، ثم أبو عمرو يروم على مذهبه في إثارة التخفيف، ومن سَكَّنَ الهاء تركها على حالتها كما فعل في «تعادوا» و«يخصمون»، ومن فتح الهاء نقل فتحة التاء المدغمة إلى الهاء، ومن كسر الهاء فلالتقاء الساكنين، وقال الجزم يُحرِّكُ إلى الكسر، ومن كسر الياء، مع الهاء أتبع الكسرة الكسرة . قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ﴾، معنى الآية: الله الذي يهدي إلى الحق أحقُّ بالاتباع أم الصنم الذي لا يهتدي إلا أن يُهْدَى؟ .

فإن قيل: كيف قال: «إلا أن يُهْدَى»، والصنم لا يتصور أن يهتدي ولا أن يُهْدَى؟ . قيل: معنى الهداية في حق الأصنام الانتقال، أي: أنها لا تنتقل من مكان إلى مكان إلا أن تُحْمَلُ وتُنْقَلُ، يَتَّبِعُ به عجز الأصنام .

وجواب آخر وهو: أن ذكر الهداية على وجه المجاز، وذلك أن المشركين لما اتخذوا الأصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبّر عنها بما يُعبّر عن من يعلم ويعقل، ووُصِفَتْ بصفة من يعقل .

﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، كيف تقضون حين زعمتم أن الله شريكاً .

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾، منهم يقولون: إن الأصنام آلهة، وإنها تشفع لهم في الآخرة ظناً منهم، لم يردِّ به كتاب ولا رسول، وأراد بالأكثر: جميع من يقول ذلك، ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾، أي: لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئاً . وقيل: لايقوم مقام العلم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ .

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ
 الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ
 وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ
 وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
 بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيْعُونَ مِمَّا آعَمَلُ
 وَأَنَا بَرِيْعٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿وما كان هذا القرآن أن يُفترى من دون الله﴾، قال الفراء: معناه: وما ينبغي لمثل
 هذا القرآن أن يُفترى من دون الله، كقوله تعالى: ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾ (آل عمران - ١٦١) .
 وقيل: «أن» بمعنى اللام، أي: وما كان هذا القرآن ليُفترى من دون الله .
 قوله: ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾، أي: بين يدي القرآن من التوراة والإنجيل .
 وقيل: تصديق الذي بين يدي القرآن من القيامة والبعث، ﴿وتفصيل الكتاب﴾، تبين ما في
 الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والأحكام، ﴿لا ريب فيه من رب العالمين﴾ .
 ﴿أم يقولون﴾، قال أبو عبيدة: «أم» بمعنى الواو، أي: ويقولون، ﴿افتراه﴾، اختلق محمد القرآن
 من قبل نفسه، ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾، شبه القرآن ﴿وادعوا من استطعتم﴾، ممن تعبدون، ﴿ومن
 دون الله﴾ ليعينوك على ذلك، ﴿إن كنتم صادقين﴾، أن محمداً افتراه ثم قال :
 ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾، يعني: القرآن، كذبوا به ولم يحيطوا بعلمه، ﴿ولما يأتيهم تأويله﴾،
 أي: عاقبة ما وعد الله في القرآن، أنه يؤول إليه أمرهم من العقوبة، يريد: أنهم لم يعلموا ما يؤول إليه عاقبة
 أمرهم. ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾، أي: كما كذب هؤلاء الكفار بالقرآن كذلك كذب الذين من
 قبلهم من كفار الأمم الخالية، ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾، آخر أمر المشركين بالهلاك .
 ﴿ومنهم من يؤمن به﴾، أي: من قومك من يؤمن بالقرآن، ﴿ومنهم من لا يؤمن به﴾، لعلم الله
 السابق فيهم، ﴿وربك / أعلم بالمفسدين﴾، الذين لا يؤمنون .

١٧٠ / أ

﴿وإن كذبوك﴾، يا محمد، ﴿فقل لي عملي﴾، وجزاؤه، ﴿ولكم عملكم﴾، وجزاؤه، ﴿أنتم بريعون
 مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾، هذا كقوله تعالى: ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ (القصص - ٥٥)،

وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾
وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾
إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ
كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾

«لكم دينكم ولي دين» (الكافرون — ٦) .

قال الكلبي ومقاتل: هذه الآية منسوخة بآية الجهاد^(١) .

ثم أخبر أن التوفيق للإيمان به لا بغيره :

فقال: ﴿ومِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ بأسماعهم الظاهرة فلا ينفعهم، ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ﴾،

يريد: سَمَعَ القلب، ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ .

﴿ومِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾، بأبصارهم الظاهرة، ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْىَ﴾، يريد عمى القلب،

﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾، وهذا تسلية من الله عز وجل لنبيه ﷺ، يقول: إنك لا تقدر أن تُسمع من

سلبته السمع، ولا أن تهدي من سلبته البصر، ولا أن تُوفق للإيمان من حكمت عليه أن لا يؤمن .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾، لأنه في جميع أفعاله مُتفضلٌ عادل، ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ﴾، بالكفر والمعصية .

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾، قرأ حفص بالياء، والآخرون بالنون، ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ

التَّهَارِ﴾، قال الضحاك: كأن لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار. وقال ابن عباس: كأن لم يلبثوا في

قبورهم إلا قدر ساعة من النهار، ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾، يعرف بعضهم بعضاً حين بعثوا من القبور

كمعرفتهم في الدنيا، ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا أهوال القيامة. وفي بعض الآثار: أن الإنسان يعرف يوم

القيامة مَن يجنبه ولا يكلمه هيبَةً وخشية^(٢) .

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾، والمراد من الخسران: خسران النفس، ولا

شيء أعظم منه.

(١) ورواه الطبري أيضاً عن ابن زيد: ٩٥/١٥ . وانظر: الدر المنثور: ٣٦٤/٤ . وانظر فيما سبق: ٣٢/٣ تعليق (١) .

(٢) عزاه السيوطي لابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن الحسن. الدر المنثور: ٣٦٥/٤ .

وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ فَلَإِنَّا مَرَجِعُهُمْ إِلَى اللَّهِ شَاهِدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾
 وَإِكْلِ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ يا محمد، ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ في حياتك من العذاب، ﴿أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ﴾، قبل تعذيبهم، ﴿فَلَإِنَّا مَرَجِعُهُمْ﴾ في الآخرة، ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَاهِدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾، فيجزئهم به، «ثم» بمعنى الواو، تقديره: والله شهيد. قال مجاهد: فكان البعض الذي أراه قتلهم بيد، وسائر أنواع العذاب بعد موتهم.

قوله عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾، وكذبه، ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾، أي عذبوا في الدنيا وأهلكوا بالعذاب، يعني: قبل مجيء الرسول، لا ثواب ولا عقاب. وقال مجاهد ومقاتل: فإذا جاء رسولهم الذي أرسل إليهم يوم القيامة قُضِيَ بينه وبينهم بالقسط، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤاخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم. ﴿وَيَقُولُونَ﴾، أي: ويقول المشركون: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ الذي تعدنا يا محمد من العذاب. وقيل: قيام الساعة، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أنت يا محمد وأتباعك.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي﴾، لا أقدر لها على شيء، ﴿ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾، أي: دفع ضر ولا جلب نفع، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، أن أملكه، ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾، مدة مضروبة، ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾، وقت فناء أعمارهم، ﴿فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾، أي: لا يتأخرون ولا يتقدمون.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ﴾، ليلاً، ﴿أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾، أي: ماذا يستعجل من الله المشركون. وقيل: ماذا يستعجل من العذاب الجرمون، وقد وقعوا فيه. وحقيقة المعنى: أنهم كانوا يستعجلون العذاب، فيقولون: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» (الأنفال — ٣٢). فيقول الله تعالى: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ﴾ يعني: أيش (١) يعلم

(١) أي شيء؟

أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ؕ الْكُنْ وَوَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنْ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ؕ وَأَسْرُوا التَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۗ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾

المجرمون ماذا يستعجلون ويطلبون، كالرجل يقول لغيره وقد فعل قبيحاً ماذا جنيت على نفسك .
﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ﴾، قيل: معناه أهنالك؟ وحيثذا، وليس بحرف عطف، «إذا ما وقع» نزل العذاب، ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾، أي بالله في وقت اليأس. وقيل: آمنتم به أي صدقتم بالعذاب وقت نزوله، ﴿الآن﴾، فيه إضمار، أي: يقال لكم: الآن تؤمنون حين وقع العذاب؟ ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾، تكديماً واستهزاء .

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، أشركوا، ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، في الدنيا .

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾، أي: يستخبرونك يا محمد، ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾، أي ما تعدنا من العذاب وقيام الساعة، ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾، أي: نعم وربِّي، ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾، لا شك فيه، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾، أي: بفائتين من العذاب، لأن من عجز عن شيء فقد فاته .

﴿وَلَوْ أَنْ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾، أي: أشركت، ﴿مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾، يوم القيامة، والافتداء ها هنا: بذل ما ينجو به من العذاب. ﴿وَأَسْرُوا التَّدَامَةَ﴾، قال أبو عبيدة: معناه: أظهرها الندامة، لأنه ليس ذلك اليوم يوم تصبر وتصنع. وقيل: معناه أخفوا أي أخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء، خوفاً من ملامتهم وتعييرهم، ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾، فرغ من عذابهم، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ .

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .
﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ .

يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
 لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ
 ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَلَّا
 أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ﴾، تذكرة، ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾، أي: دواء للجهد، لما في الصدور. أي: شفاء لعمى القلوب، والصدر: موضع القلب، وهو أعز موضع في الإنسان لجوار القلب، ﴿وَهُدًى﴾، من الضلالة، ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، والرحمة هي النعمة على المحتاج، فإنه لو اهدى ملك إلى ملك شيئاً لا يقال قد رحمه، وإن كان ذلك نعمة لأنه لم يضعها في محتاج.

قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾، قال مجاهد وقتادة: فضل الله: الإيمان، ورحمته: القرآن^(١). وقال أبو سعيد الخدري: فضل الله القرآن ورحمته أن جعلنا من أهله^(٢). وقال ابن عمر: فضل الله: الإسلام، ورحمته: تزيينه في القلب. وقال خالد بن معدان: فضل الله: الإسلام، ورحمته: السنن. وقيل: فضل الله: الإيمان، ورحمته: الجنة.

﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾، أي: ليفرح المؤمنون أن جعلهم الله من أهله، ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، أي: مما يجمعه الكفار من الأموال. وقيل: كلاهما خير عن الكفار. وقرأ أبو جعفر وابن عامر: «فليفرحوا» بالياء، و«تجمعون» بالتاء، وقرأ يعقوب كلاهما بالتاء مختلف عنه خطاباً للمؤمنين.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة، ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ﴾، عبر عن الخلق بالإنزال، لأن ما في الأرض من خير، فمما أنزل من السماء من رزق، من زرع وضرع، ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾، هو ما حرموا من الحرث ومن الأنعام كالبحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحمام. قال الضحاك: هو قوله تعالى: «وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً» (الأنعام - ١٣٦). ﴿قُلْ أَلَّا أَذِنَ لَكُمْ﴾، في هذا التحريم والتحليل، ﴿أَمْ﴾ بل، ﴿عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾، وهو قوطم: «والله أمرنا بها».

(١) انظر: الطبري: ١٠٧/١٥.

(٢) الطبري: ١٠٦/١٥ وانظر الدر المنثور: ٣٦٧/٤-٣٦٨، وفيها سائر الأقوال.

وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ
رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي
كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ الْآيَاتِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾

﴿وما ظنُّ الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة﴾، يحسبون أن الله لا يؤاخذهم به ولا يعاقبهم عليه، ﴿إنَّ الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ .
قوله عز وجل: ﴿وما تكون﴾. يا محمد، ﴿في شأن﴾، عمل من الأعمال، وجمعه شئون، ﴿وما تتلوا منه﴾، من الله، ﴿من قرآن﴾، نازل، وقيل: منه أي من الشأن من قرآن، نزل فيه ثم خاطبه وأتمته فقال: ﴿ولا تعملون من عملٍ إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾، أي: تدخلون وتخوضون فيه، الهاء عائدة إلى العمل، والإفاضة: الدخول في العمل. وقال ابن الأنباري: تندفعون فيه. وقيل: تُكثرون فيه. والإفاضة: الدفع بكثرة .

﴿وما يعزب عن ربك﴾، يغيب عن ربك، وقرأ الكسائي «يعزب» بكسر الزاي، وقرأ الآخرون بضمها، وهما لغتان. ﴿من مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾، أي: مِثْقَالِ ذَرَّةٍ، و«من» صلة، والذرة هي: النملة الحميرية الصغيرة. ﴿في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك﴾، أي: من الذرة، ﴿ولا أكبر﴾ قرأ حمزة ويعقوب: برفع الراء فيهما، عطفاً على موضع المِثْقَالِ قبل دخول «من»، وقرأ الآخرون: بنصبهما، إرادة للكسرة، عطفاً على الذرة في الكسر. ﴿إلا في كتابٍ مبين﴾. وهو اللوح المحفوظ .
قوله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ واختلَفوا فيمن يستحق هذا الاسم. قال بعضهم: هم الذين ذكرهم الله تعالى فقال:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، وقال قوم: هم المتحابون في الله عز وجل .
أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن [ابن] (١) أبي حسين

(١) من «شرح السنة» و«مصنف عبد الرزاق»، و«مسند الإمام أحمد» .

لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾

عن شهر بن حوشب، عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ فقال: «إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءٍ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ لِقُرْبِهِمْ وَمَقْعَدُهُمْ مِنَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قال: وفي ناحية القوم أعرابي فجثا على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال: حَدَّثَنَا يَارَسُولَ اللَّهِ عَنْهُمْ مِنْ هُمْ؟ قال: فَرَأَيْتَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ الْبِشْرَ، فقال: «هُمُ عِبَادٌ مِنَ عِبَادِ اللَّهِ مِنْ بِلْدَانِ شَتَّى وَقِبَائِلَ، لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ يَتَوَاصَلُونَ بِهَا، وَلَا دُنْيَا يَتَبَاذَلُونَ بِهَا، يَتَحَابُّونَ بِرُوحِ اللَّهِ، يَجْعَلُ اللَّهُ وَجُوهَهُمْ نُورًا، وَيَجْعَلُ لَهُمْ مَنَابِرَ مِنْ لَوْلُؤٍ قَدَامَ الرَّحْمَنِ، يَفْزَعُ النَّاسَ وَلَا يَفْزَعُونَ، وَيَخَافُ النَّاسَ وَلَا يَخَافُونَ»^(١).

ورواه عبدالله بن المبارك عن عبد الحميد بن بهرام قال: حدثنا شهر بن حوشب، حدثني عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك الأشعري، عن النبي ﷺ سئل! مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ؟ فقال: الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ»^(٢).
وَيُرَوَّى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنْ أَوْلِيَائِي مِنْ عِبَادِي الَّذِينَ يُذَكِّرُونَ بِذِكْرِي وَأُذَكَّرُ بِذِكْرِهِمْ»^(٣).

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، اختلفوا في هذه البشري: روي عن عبادة بن الصامت قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: «لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»، قال: «هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ»^(٤).

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ٢٠١/١١-٢٠٢، والطبري: ١٢٢/١٥، والإمام أحمد في المسند: ٣٤٣، ٣٤١/٥، والمصنف في شرح السنة: ٥٠/١٣، وذكره في المصابيح: ٣٧٩/٣، وله شاهد من حديث ابن عمر أخرجه الحاكم وصححه: ١٧٠-١٧١ وأقره الذهبي، ومن حديث أبي هريرة عند ابن حبان برقم (٢٥٠٨) ص (٦٢١) من موارد الظمان. ومن حديث عمر رضي الله عنه أخرجه أبو داود، وإسحاق بن راهويه، وهناد ٥٦٤/١، وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه، وأبو نعيم. والبيهقي في الشعب. انظر: الدر المنثور: ٣٧٢/٤، الكافي الشاف ص (٨٤)، مجمع الزوائد: ٢٧٦/١٠-٢٧٩، الزهد للإمام هناد بن السري: ٥٦٤-٥٦٥ مع تعليق المحقق. والحديث اسناده صحيح بشواهده.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد، ص (٢٤٨-٢٤٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤٣٠/٣. قال الهيثمي في المجمع: ٥٨/١ «رواه أحمد، وفيه رشدين بن سعد، وهو ضعيف،

وذكره أيضاً: ٨٩/١ من رواية الطبراني في الكبير، وقال: «فيه رشدين، وهو ضعيف».

وانظر: الدر المنثور: ٣٧١/٤.

(٤) أخرجه الترمذي في الرؤيا، باب ذهب النبوة وبقيت البشريات: ٥٥٤/٦، وابن ماجه في الرؤيا، برقم (٣٨٩٨): ١٢٨٣/٢،

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي: ٣٤٠/٢، ٣٩١/٤، والدارمي في الرؤيا: ١٢٣/٢، والإمام أحمد في المسند: ٣١٥/٥، ٣٢١،

والطيالسي ص (٧٩).

قال ابن حجر: في فتح الباري: «ورواته ثقات إلا أن أبا سلمة لم يسمعه من عبادة». وانظر: الكافي الشاف ص (٨٤).

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، حدثني سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبِوَةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ»، قالوا: وما المَبَشِّرَاتُ؟ قال: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ»^(١).

وقيل: البشرى في الدنيا هي: الثناء الحسن وفي الآخرة: الجنة.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا عبدالرزاق بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم البغوي، حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة عن أبي عمران الجوني قال: سمعتُ عبدالله بن الصامت قال: قال أبو ذر: يارسول الله الرجل يعمل لنفسه ويحببه الناس؟ قال: «تلك عاجلُ بُشْرَى المؤمن»^(٢). وأخرج مسلم بن الحجاج هذا الحديث عن يحيى بن يحيى عن حماد بن زيد عن أبي عمران، وقال: «ويحمده الناس عليه»^(٣).

وقال الزهري وقتادة: هي نزول الملائكة بالبشارة من الله تعالى عند الموت، قال الله تعالى: «تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم تُوعَدون» (فصلت - ٣٠).

وقال عطاء عن ابن عباس: البشرى في الدنيا، يريد: عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة، وفي الآخرة عند خروج نفس المؤمن، يُعْرَجُ بها إلى الله، ويُبَشَّرُ برضوان الله.

وقال الحسن: هي ما بشر الله المؤمنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه، كقوله: «وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» (البقرة - ٢٥)، «وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» (الأحزاب - ٤٧) «وَأَبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ» (فصلت - ٣٠).

وقيل: بشرهم في الدنيا بالكتاب والرسول أنهم أولياء الله، ويبشرهم في القبور وفي كتب أعمالهم بالجنة^(٤).

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾، لا تغيير لقوله، ولا خُلفَ لوعده. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

- (١) أخرجه البخاري في التعبير، باب المَبَشِّرَات: ٣٧٥/١٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٠٢/١٢.
- (٢) شرح السنة للبغوي: ٣٢٧/١٤.
- (٣) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب إذا أثنى على الصالح فهي بشرى لا تضره، برقم (٢٦٤٢): ٢٠٣٤-٢٠٣٥، والمصنف في شرح السنة: ٣٢٨/١٤.
- (٤) ساق الإمام الطبري رحمه الله، الأفعال في تفسير «البشرى» التي بشر الله بها هؤلاء القوم، ثم قال: «وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن لأوليائه المتقين، البشرى في الحياة الدنيا. ومن البشارة في الحياة الدنيا: الرؤيا الصالحة، يراها المسلم أو ترى له، ومنها بشرى الملائكة إياه، عند خروج نفسه، برحمة الله، كما روي عن النبي ﷺ...، ومنها بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من الثواب الجزيل... وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا بشرته بها، ولم يخص الله من ذلك معنى دون معنى، فذلك مما عمته جل ثناؤه: أن لهم البشرى في الحياة الدنيا. وأما في الآخرة فالجنة» انظر: تفسير الطبري: ١٤٠/١٥-١٤١.

وَلَا يَخْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ الْآيَاتِ
 لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي
 جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 يُسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
 ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكٰذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾

﴿ولا يخزلك قولهم﴾، يعني: قول المشركين تم الكلام هاهنا ثم ابتداء، فقال: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾،
 يعني الغلبة والقدرة لله ﴿جميعاً﴾ هو ناصرك، وناصر دينك، والمنتقم منهم .
 قال سعيد بن المسيب: إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا يعني: إن الله يعز من يشاء، كما قال في آية أخرى:
 ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون - ٨)، وعزة الرسول والمؤمنين بالله فهي كلها لله .
 ﴿هو السميع العليم﴾ .

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾، هو
 استفهام معناه: وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء؟

وقيل: وما يتبعون حقيقة، لأنهم يعبدونها على ظن أنهم شركاء فيشفعون لنا، وليس على ما يظنون.
 ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾، يظنون أنها تُقربهم إلى الله تعالى، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾، يكذبون .

﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً﴾، مضياً يصبر فيه، كقولهم: ليل نائم
 وعيشة راضية. قال قطرب: تقول العرب: أظلم الليل وأضاء النهار وأبصر، أي: صار ذا ظلمة وضياء
 وبصر، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ﴾، سمع الاعتبار أنه مما لا يقدر عليه إلا عالم قادر .

﴿قالوا﴾، يعني: المشركين، ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، وهو قولهم الملائكة بنات الله، ﴿سبحانه هو
 الغني﴾، عن خلقه، ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾، عبيداً وملكاً، ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ﴾، ما عندكم،
 ﴿مِنْ سُلْطٰنٍ﴾، حجة وبرهان، و«من» صلة، ﴿بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ .

﴿قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكٰذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾، لا ينجون، وقيل: لا يبقون في الدنيا ولكن:

مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيْقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا
يَكْفُرُونَ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كَانِ كَبْرَ عَلَيكُمْ
مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِشَايَةِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا
يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾

﴿متاع﴾، قليل يتمتعون به وبلاغ يتتفعون به إلى إنقضاء آجالهم، و«متاع» رفع بإضمار، أي: هو
متاع، ﴿في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾ .
قوله تعالى: ﴿وأتل عليهم نبأ نوح﴾، أي: اقرأ يا محمد على أهل مكة خبر نوح ﴿إذ قال لقومه﴾،
وهم ولد قاييل، ﴿يا قوم إن كان كبر عليكم﴾، عظم وثقل عليكم، ﴿مقامي﴾ طول مكثي فيكم
﴿وتذكري﴾، ووعظي إياكم ﴿بأيات الله﴾، بحججه وبياناته، فزمت على قتل وطردي ﴿فعل الله﴾
توكلت فأجمعوا أمركم﴾، أي: أحكموا أمركم واغزموا عليه، ﴿وشركاءكم﴾، أي: وادعوا شركاءكم، أي:
أهنتكم، فاستعينوا بها لتجتمع معكم .

وقال الزجاج: معناه: فأجمعوا أمركم مع شركائكم، فلما ترك «مع» انتصب. وقرأ يعقوب: «وشركاءكم»
رفع، أي: فأجمعوا أمركم أنتم وشركاءهم .
﴿ثم لا يكن أمركم عليكم غممة﴾، أي: خفياً مبهماً، من قولهم: غمّ الهلال على الناس، أي:
أشكل عليهم، ﴿ثم اقضوا إلي﴾، أي: أمضوا ما في أنفسكم وافرغوا منه، يقال: قضى فلان إذا مات
ومضى وقضى دينه إذا فرغ منه .

وقيل: معناه: توجهوا إلي بالقتل والمكروه .
وقيل فاقضوا ما أنتم قاضون، وهذا مثل قول السحرة لفرعون: «فاقض ما أنت قاض» (طه —
٧٢)، أي: اعمل ما أنت عامل .

﴿ولا تنظرون﴾، ولا تؤخرون وهذا على طريق التعجيز، أخبر الله عن نوح أنه كان واثقاً بنصر الله
تعالى غير خائف من كيد قومه، علماً منه بأنهم وآهنتهم ليس إليهم نفع ولا ضرر إلا أن يشاء الله .
﴿فإن توليتم﴾ أعرضتم عن قولي وقبول نصحي، ﴿فما سألتكم﴾، على تبليغ الرسالة والدعوة،
﴿من أجر﴾، جعل وعوض، ﴿إن أجرني﴾، ما أجرى وثوابي، ﴿إلا على الله، وأمرت أن أكون من
المسلمين﴾، أي: من المؤمنين. وقيل: من المستسلمين لأمر الله .

فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْفَيْهِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُذْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ
فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى
قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ
هَذَا السِّحْرُ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ
السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عِوَابًا وَعَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ
فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾، يعني نوحاً ﴿فَجَبَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْفَيْهِ﴾، أي: جعلنا الذين
معه في الفلك سكان الأرض خلفاء عن الهالكين. ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُذْذَرِينَ﴾، أي: آخر أمر الذين أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾، أي: من بعد نوع رسلاً. ﴿إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾
بالدلالات الواضحات، ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾، أي: بما كذب به قوم نوح من قبل،
﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾، يعني: أشرف قومهم، ﴿بِآيَاتِنَا
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ .

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ﴾، يعني: جاء فرعون وقومه، ﴿الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ .
﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا﴾، تقدير الكلام أتقولون للحق لما جاءكم سحر
أسحر هذا فحذف السحر الأول اكتفاءً بدلالة الكلام عليه. ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ .

﴿قَالُوا﴾، يعني: فرعون وقومه لموسى، ﴿أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عِوَابًا﴾، لتصرفنا. وقال قتادة لتلويينا، ﴿عِوَابًا وَجَدْنَا
عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ﴾، الملك والسلطان، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، أرض مصر وقرأ أبو بكر:
«ويكون» بالياء، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾، بمصدقين .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُنُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٨﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَمَاءٌ آمِنٌ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٠﴾

﴿وقال فرعون اتنوني بكل ساحر عليم﴾ .

﴿فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون﴾ .

﴿فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر﴾، قرأ أبو عمرو وأبو جعفر: «السحر» بالمد على

الاستفهام وقرأ الآخرون بلا مد، يدل عليه قراءة ابن مسعود «ما جئتم به سحر» بغير الألف واللام.

﴿إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ .

﴿ويحق الله الحق بكلماته﴾، بآياته، ﴿ولو كره المجرمون﴾ .

﴿فما آمن لموسى﴾، لم يصدق موسى مع ما آتاهم به من الآيات، ﴿إلا ذرية من قومه﴾، اختلفوا

في الهاء التي في «قومه»، قيل: هي راجعة إلى موسى، وأراد بهم مؤمني بني إسرائيل الذين كانوا بمصر

وخرجوا معه. قال مجاهد: كانوا أولاد الذين أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل، هلك الآباء وبقي الأبناء.

وقال الآخرون: الهاء راجعة إلى فرعون. روى عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هم ناس

يسير من قوم فرعون آمنوا، منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأة خازنه، وفاشطته،

وعن ابن عباس رواية أخرى: أنهم كانوا سبعين ألف بيت من القبط من آل فرعون، وأمهاهم من بني

إسرائيل فجعل الرجل يتبع أمه وأخواله .

وقيل: هم قوم نجوا من قتل فرعون، وذلك أن فرعون لما أمر بقتل أبناء بني إسرائيل كانت المرأة، من

بني إسرائيل إذا ولدت ابناً وهبته لقبطية خوفاً من القتل، فنشئوا عند القبط، وأسلموا في اليوم

الذي غلبت السحرة .

قال الفراء: سُموا ذرية؛ لأن آباءهم كانوا من القبط وأمهاهم من بني إسرائيل، كما يقال لأولاد أهل

فارس الذين سقطوا إلى اليمن: الأبناء، لأن أمهاهم من غير جنس آبائهم .

وَقَالَ مُوسَىٰ يَاقَوْمِ إِن كُنتُمْ بِاللَّهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَ الْقَوْمَ كَمَا بَمِصْرَ بِيوتًا وَأَجْعَلُوا بِيوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾

﴿على خوف من فرعون وملئهم﴾، قيل: أراد بفرعون آل فرعون، أي: على خوف من آل فرعون وملئهم، كما قال: «واستل القرية» (يوسف - ٨٢) أي: أهل القرية. وقيل: إنما قال: «وملائهم» وفرعون واحد لأن الملك إذا ذكر يفهم منه هو وأصحابه، كما يقال قدم الخليفة يُراد هو ومن معه. وقيل: أراد ملائ الذرية، فإن ملائهم كانوا من قوم فرعون. ﴿أن يفتئهم﴾. أي: يصرفهم عن دينهم ولم يقل يفتئهم لأنه أخبر عن فرعون وكان قومه على مثل ما كان عليه فرعون، ﴿وإن فرعون لعال﴾، المتكبر، ﴿في الأرض وإنه لمن المسرفين﴾، المجاوزين الحد، لأنه كان عبداً فادعى الربوبية.

﴿وقال موسى﴾، لمؤمني قومه، ﴿يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾. ﴿فقالوا على الله توكلنا﴾، اعتمدنا، ثم دعوا فقالوا، ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾، أي: لا تُظهرهم علينا ولا تُهلكنا بأيديهم، فيظنوا أننا لم نكن على الحق فيزدادوا طغياناً. وقال مجاهد: لاتعذبنا بعذاب من عندك، فيقول قوم فرعون: لو كانوا على الحق لما عذبوا ويطنوا أنهم خير منا فيفتنوا.

﴿ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾.

قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه﴾، هارون، ﴿أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً﴾ يقال: تبوءاً فلان لنفسه بيتاً ومضجعاً إذا اتخذ، وبوأتة أنا إذا اتخذته له، ﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾، قال أكثر المفسرين: / كانت بنو إسرائيل لا يصلون إلا في كنائسهم ويبيعهم، وكانت ظاهرة، فلما أرسل موسى أمر فرعون بتخريبها ومنعهم من الصلاة فأمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفاً من فرعون، هذا قول إبراهيم وعكرمة عن ابن عباس.

ب/١٧١

وقال مجاهد: خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة، فأمروا بأن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلية الكعبة، يصلون فيها سراً. معناه: واجعلوا بيوتكم إلى القبلة.

وروى ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت الكعبة قبلة موسى ومن معه.

﴿واقموا الصلاة وبشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، يا محمد.

وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُنَّ عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ مَا فَاسْتَقِيمُوا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

قوله تعالى: ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملاؤه زينة﴾، من متاع الدنيا، ﴿وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾، اختلفوا في هذه اللام، قيل: هي لام كي، معناه: آتيتهم كي تفتنهم فيضلوا ويضلوا، كقوله: «لأسقيناهم ماءً غدقاً لنتفتنهم فيه» (الجن - ١٦) .
وقيل: هي لام العاقبة يعني: فيضلوا وتكون عاقبة أمرهم الضلال، كقوله: «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً» (القصص - ٨) .

قوله: ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾، قال مجاهد: أهلكها، والطمس: المَحَق.

وقال أكثر أهل التفسير: امسحها وغيرها عن هيبتها .

وقال قتادة: صارت أموالهم وحرثهم وزروعهم وجواهرهم حجارة .

وقال محمد بن كعب: جعل سكرهم حجارة^(١)، وكان الرجل مع أهله في فراشه فصاراً حجراً، والمرأة قائمة تخبز فصارت حجراً .

قال ابن عباس رضي الله عنه: بلغنا أن الدارهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيبتها صحاحاً وأنصافاً وأثلاثاً .

ودعا عمر بن عبدالعزيز بخريطة فيها أشياء من بقايا آل فرعون فأخرج منها البيضة مشقوقة والجوزة مشقوقة وإنها لحجر .

قال السدي: مسح الله أموالهم حجارة، والنخيل والثمار والدقيق والأطعمة، فكانت إحدى الآيات التسع.

﴿واشدد على قلوبهم﴾، أي: أقسبها واطبع عليها حتى لا تلين ولا تشرح للإيمان، ﴿فلا يؤمنوا﴾،

قيل: هو نصب بجواب الدعاء بالفناء. وقيل: هو عطف على قوله «ليضلوا» أي: ليضلوا فلا يؤمنوا . وقال

الفراء: هو دعاء محله جزم، فكانه قال: اللهم فلا يؤمنوا، ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾، وهو الغرق.

قال السدي: معناه أمتهم على الكفر .

﴿قال﴾ الله تعالى لموسى وهارون، ﴿قد أجيب دعوكما﴾، إنما نسب إليهما والدعاء كان من

موسى لأنه روي أن موسى كان يدعو وهارون يؤمن، والتأمين دعاء. وفي بعض القصص: كان بين دعاء

(١) انظر: الطبري: ١٧٩/١٥-١٨٢، الدر المنثور: ٣٨٤/٤ .

﴿وَجَوْرًا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودَهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا
أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ۝١٠ ءَأَلْكَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝١١﴾

موسى وإجابته أربعون سنة^(١). ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾، على الرسالة والدعوة، وامضيا لأمرى إلى أن يأتيهم العذاب ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِ﴾، نهى بالنون الثقيلة، ومحلّه جزم، يقال في الواحد لا تتبعن بفتح النون للقاء الساكنين، وبكسر النون في التثنية لهذه العلة. وقرأ ابن عامر بتخفيف النون لأن نون التوكيد تثقل وتخفف، ﴿سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، يعني: ولا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدى، فإن وعدى لا تخلف فيه، ووعيدي نازل بفرعون وقومه.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾، عبرنا بهم ﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾، لحقهم وأدركهم، ﴿فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ﴾، يقال: «أتبعه وتبعه» إذا أدركه ولحقه، و«أتبعه» بالتشديد إذا سار خلفه واقتدى به. وقيل: هما واحد. ﴿بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾ أي: ظلماً واعتداءً. وقيل: بغياً في القول وعدواً في الفعل. وكان البحر قد انفلق لموسى وقومه، فلما وصل فرعون بجنوده إلى البحر هابوا دخوله فتقدمهم جبريل على فرس وديق^(٢) وخاض البحر، فاقتحمت الخيول خلفه، فلما دخل آخرهم وهم أولهم أن يخرج انطبق عليهم الماء. وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾، أي: غمره الماء وقرب هلاكه، ﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ﴾، قرأ حمزة والكسائي «إنه» بكسر الألف أي: آمنت وقلت إنه. وقرأ الآخرون «أنه» بالفتح على وقوع آمنت عليها ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، فندس جبريل عليه السلام في فيه من حمأة البحر.

وقال: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾. وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لما أغرق الله فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، فقال جبريل عليه السلام: يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ من حال^(٣) البحر فأدسّه في فيه مخافة أن تدركه^(٤) الرحمة»^(٥). فلما أخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه قالت بنو إسرائيل ما مات فرعون فأمر الله البحر

(١) انظر: الطبري: ١٨٧/١٥.

(٢) يقال: أَتَانُ وَفَرَسٌ وَدُوقٌ وَوَدِيقٌ، وودقت وذاقاً: أرادت الفعل.

(٣) في «ب» (حمأ).

(٤) في «أ»: (يدركه جانب الرحمة).

(٥) أخرجه الترمذي في تفسير سورة يونس: ٢٢٥/٨، وقال: هذا حديث حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي: ٥٧/١، ٢٤٩/٤.

وابن حبان ص (٤٣٢)، والطبري: ١٩٠/١٤-١٩٢، والطيالسي ص (٣٤١) والإمام أحمد في المسند: ٣٤٠/١. وانظر: الكافي

الشاف ص (٨٥).

فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا
لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ
فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾

فالتقى فرعون على الساحل أحمر قصيراً كأنه ثور فرآه بنو إسرائيل فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتاً،
فذلك قوله :

﴿فاليوم نُنَجِّيكَ﴾، أي نلقيك على نجوة من الأرض، وهي: المكان المرتفع. وقرأ يعقوب «تُنَجِّيكَ»
بالتخفيف، ﴿ببدنك﴾، بجسدك لا روح فيه. وقيل: ببدنك: بدرعك، وكان له درع مشهور مرصع
بالجواهر، فرآه في درعه فصَدَّقوا. ﴿لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾، عبرة وعظة، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ
آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [أنزلنا بني إسرائيل] (١) بعد هلاك فرعون، ﴿مَبُوءًا صِدْقٍ﴾، منزل
صدق، يعني: مصر. وقيل الأردن وفلسطين، وهي الأرض المقدسة التي كتب الله [ميراثاً] (٢) لإبراهيم
وذريته. قال الضحاك: هي مصر والشام، ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، الحلات، ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ يعني

= وقد زعم الزمخشري في «الكشاف» أن ما جاء في الحديث من قول جبيل عليه السلام: «خشية أن تدركه الرحمة» من زيادات
الباهتين لله وملائكته. وفيه جهاتان: إحداهما أن الإيمان بالقلب، كإيمان الأخرس، فحال البحر لا يمنعه. والأخرى: أن من كره إيمان
الكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر، لأن الرضى بالكفر كفر. الكشاف: ٢٠٢/٢.

ورد عليه المحافظ ابن حجر فقال: «وهذا إفراط منه في الجهل بالمنقول والغض من أهله، فإن الحديث صحيح الزيادات، وقد
أخرجه الترمذي وصححه، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، وإسحاق، والبخاري، وأبو داود الطيالسي كلهم من رواية شعبة... ثم ساق
الروايات بأسانيدها - ثم قال:

وأما الوجهان اللذان ذكرهما الزمخشري، فلحديث توجيه وجهه، لا يلزم منه ما ذكره الزمخشري، وذلك أن فرعون كان كافراً كافر
عناد... ألا ترى إلى قصته حيث توقف النيل، وكيف توجه منفرداً وأظهر أنه مخلص، فأجرى له النيل، ثم تهادى على طغيانه وكفره،
فخشى جبيل أن يعاود تلك العادة فيظهر الإخلاص بلسانه فتدركه رحمة الله فيؤخره في الدنيا، فيستمر في غيّه وطغيانه فندس في
فمه الطين، لينعمه التكلم بما يقتضي ذلك. هذا وجه الحديث، ولا يلزم منه جهل ولا رضى بكفر. بل الجهل كل الجهل ممن اعترض
على المنقول الصحيح برأيه الفاسد.

وأيضاً: فإن إيمانه في تلك الحالة - على تقدير أنه كان صادقاً - بقلبه لا يقبل، لأنه وقع في حال الاضطراب، ولذلك عقب في
الآية بقوله: «الآن وقد عصيت قبل» وفيه إشارة في قوله تعالى: «فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا».

انظر: الكافي الشاف ص (٨٥-٨٦).

(١) ساقط من «أ».

(٢) زيادة من «ب».

فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ
جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٩٥﴾

اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ في تصديقه وأنه نبي، ﴿حتى جاءهم العلم﴾، يعني: القرآن والبيان بأنه رسول [لله] (١) صدق ودينه حق .

وقيل: حتى جاءهم معلومهم، وهو محمد ﷺ، لأنهم كانوا يعلمونه قبل خروجه، فالعلم بمعنى المعلوم كما يقال للمخلوق: خلُق، قال الله تعالى: «هذا خلق الله» (لقمان - ١١)، ويقال: هذا الدرهم ضرب الأمير، أي: مضرؤه .

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، من الدين .

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾، يعني: القرآن ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، فيخبرونك أنه مكتوب عندهم في التوراة .

قيل: هذا خطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره على عادة العرب، فإنهم يخاطبون الرجل ويريدون به غيره، كقوله تعالى: «يا أيها النبي اتق الله» (الأحزاب - ١)، خاطب النبي ﷺ والمراد به المؤمنون، بدليل أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» ولم يقل: «بِمَا تَعْمَلُ» وقال: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء» (الطلاق - ١). وقيل: كان الناس على عهد النبي ﷺ بين مصدق ومكذب وشاك، فهذا الخطاب مع أهل الشك، معناه: إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان رسولنا محمد، فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك .

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: يعني من آمن من أهل الكتاب؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه، فيشهدون على صدق محمد ﷺ ويخبرونك بنبوته .

قال الفراء: عَلِمَ اللهُ سبحانه وتعالى أن رسوله غير شاك، لكنه ذكره على عادة العرب، يقول الواحد منهم لعبده: إن كنت عبدي فأطعني، ويقول لولده: افعَلْ كَذَا وَكَذَا إِنَّ كُنْتَ ابْنِي، ولا يكون بذلك على وجه الشك .

﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾، من الشاكين .

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَسِرِينَ﴾، وهذا كله خطاب مع النبي ﷺ والمراد منه غيره .

(١) زيادة من «ب» .

إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً أَمِنَتْ فَفَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ﴾، وجبت عليهم، ﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾، قيل: لعنته. وقال قتادة سخط الله. وقيل: «الكلمة» هي قوله: هؤلاء في النار ولا أبالي. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾، دلالة، ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، قال الأخفش: أُنْتُ فَعَلَ «كُلُّ» لأنه مضاف إلى المؤنث وهي قوله: «آيَةٍ» ولفظ «كُلُّ» للمذكر والمؤنث سواء.

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ﴾ أي: فهلا كانت، ﴿قَرْيَةً﴾، ومعناه: فلم تكن قرية لأن في الاستفهام ضرباً من الجحد، أي: أهل قرية، ﴿أَمِنَتْ﴾، عند معاينة العذاب، ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾، في [حالة البأس] ^(١) ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾، فإنه نفعهم إيمانهم في ذلك الوقت. و«قوم» نصب على الاستثناء المنقطع، تقديره: ولكن قوم يونس، ﴿لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾، وهو وقت انقضاء آجالهم.

واختلفوا في أنهم هل رأوا العذاب عياناً أم لا؟ فقال بعضهم: رأوا دليل العذاب؟ والأكثر على أنهم رأوا العذاب عياناً بدليل قوله: «كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ» والكشف يكون بعد الوقوع أو إذا قَرَّبَ.

وقصة الآية - على ما ذكره عبد الله بن مسعود، وسعيد بن جبير، ووهب وغيرهم ^(٢) - أن قوم يونس كانوا بنيونى، من أرض الموصل، فأرسل الله إليهم يونس يدعوهم إلى الإيمان فدعاهم فأبوا، فقبل له: أخبرهم أن العذاب مصيحبهم إلى ثلاث، فأخبرهم بذلك، فقالوا: إنا لم نجرب عليه كذباً فانظروا فإن بات فيكم تلك الليلة فليس بشيء، وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصيحبكم، فلما كان في جوف تلك الليلة خرج يونس من بين أظهرهم، فلما أصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤوسهم قدر ميل. وقال وهب غامت السماء غيماً أسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً، فهبط حتى [تغشاهم في

(١) في «ب»: (في حال اليأس).

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٧/١٥ - ٢١٠، الدر المنثور: ٣٩٢/٤ - ٣٩٣، البداية والنهاية لابن كثير: ٢٣١/١ وما بعدها، تفسير ابن

كثير: ٤٣٤/٢.

مدِينَتِهِمْ] ^(١) واسودت سطوحهم، فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك، فطلبوا يونس نبِيَهُمْ فلم يجدوه، وقذف الله في قلوبهم التوبة، فخرجوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم [وصبيانهم] ^(٢) ودوابهم، ولبسوا المسوح وأظهروا الإيمان والتوبة، وأخلصوا النية وفرقوا بين كل والدها من الناس والأنعام فحنَّ بعضُها إلى بعض، وعلت أصواتها، واختلطت أصواتها بأصواتهم، وعجَّوا وتضرعوا إلى الله عزَّ وجلَّ، وقالوا آمنا بما جاء به يونس، فرحمهم ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم العذاب بعد ما أضلهم، وذلك يوم عاشوراء، وكان يونس قد خرج فأقام ينتظر العذاب وهلاك قومه فلم ير شيئاً، وكان مَنْ كَذَّب ولم تكن له بينة قتل، فقال يونس: كيف أرجع إلى قومي وقد كذبتهم؟ فانطلق عاتباً على ربِّه مغاضباً لقومه، فألقى البحر فإذا قوم يركبون سفينة، فعرفوه فحملوه بغير أجر، فلما دخلها وتوسطت بهم ولججت، وقفت السفينة لا ترجع ولا تتقدم، قال أهل السفينة: إن لسفینتنا لشأناً، قال يونس: قد عرفت شأنها ركبها رجل ذو خطیئة عظیمة، قالوا ومن هو؟ قال: أنا، اقدفوني في البحر، قالوا: ما كنا لنطرحك من بيننا حتى نعذر في شأنك، واستهْمُوا فاقترعوا ثلاث مرات فأدحض سهمه، والحوت عند رجل السفينة فاغراً فاه ينتظر أمر ربِّه فيه، فقال يونس: إنكم والله لتهلكنَّ جميعاً أو لتطرحنَّي فيها، فقدفوه فيه وانطلقوا وأخذته الحوت .

وَرُوي: أن الله تعالى أوحى إلى حوتٍ عظيم حتى قصد السفينة، فلما رآه أهل السفينة مثل الجبل العظيم وقد فغر فاه ينظر إلى مَنْ في السفينة كأنه يطلب شيئاً خافوا منه، ولما رآه يونس زجَّ نفسه في الماء .

وعن ابن عباس: أنه خرج مغاضباً لقومه فألقى بحر الروم فإذا سفينة مشحونة، فركبها فلما لججت السفينة، تكفأت حتى كادوا أن يغرقوا، فقال الملاحون: ها هنا رجل عاصي أو عبد آبق، وهذا رسم السفينة إذا كان فيها آبق لا تجري، ومن ربحنا أن نقترع في مثل هذا فمن وقعت عليه القرعة ألقيناه في البحر، ولأنَّ يغرق واحد خير من أن تغرق السفينة بما فيها، فاقترعوا ثلاث مرات، فوقعت القرعة في كلها على يونس، فقال يونس: أنا الرجل العاصي والعبد الآبق، فألقى نفسه في الماء فابتلعه حوت، ثم جاء حوت آخر أكبر منه وابتلع هذا الحوت، وأوحى الله إلى الحوت لا تؤذي منه شعرة، فإني جعلت بطنك سجنه ولم أجعله طعاماً لك .

وَرُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نُودي الحوت: إنا لم نجعل يونس لك قوتاً، إنما جعلنا بطنك له حرزاً ومسجداً .

وَرُوي: أنه قام قبل القرعة فقال: أنا العبد العاصي والآبق، قالوا: من أنت؟ قال: أنا يونس بن متى، فعرفوه فقالوا: لا نلقيك يا رسول الله، ولكن نُسأهم فخرجت القرعة عليه، فألقى نفسه في الماء .

(١) في «ب»: (غشي مدِينَتِهِمْ) .

(٢) ليست في «أ» .

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى
يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ
عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٢﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ
وَالنُّذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٣﴾

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ابتلعه الحوت فأهوى به إلى قرار الأرض السابعة، وكان في بطنه أربعين ليلة فسمع تسبيح الحصى، فنادى في الظلمات: أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فأجاب الله له فأمر الحوت، فنبذه على ساحل البحر، وهو كالفرخ المعط، فأثبت الله عليه شجرة من يقطين، وهو الدباء، فجعل يستظل تحتها ووكل به وعله يشرب من / لبنها، فيست الشجرة، فبكي عليها ١٧٢ / ب فأوحى الله إليه: تبكي على شجرة يبست، ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون وأردت أن أهلكهم، فخرج يونس فإذا هو بسلام يرعى، فقال: من أنت يا غلام؟ قال: من قوم يونس، قال: إذا رجعت إليهم فأخبرهم أنني لقيت يونس، فقال الغلام: قد تعلم أنه إن لم تكن لي بينة قُتلتُ، قال يونس عليه السلام: تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة، فقال له الغلام: فمُرّها، فقال يونس: إذا جاءك هذا الغلام فاشهدا له، قالتا: نعم، فرجع الغلام، فقال للملك: إني لقيت يونس فأمر الملك بقتله، فقال: إن لي بينة، فأرسلوا معي، فأتى البقعة والشجرة، فقال: أنشدكم بالله هل أشهدكم يونس؟ قالتا: نعم، فرجع القوم مذعورين، وقالوا للملك: شهد له الشجرة والأرض، فأخذ الملك بيد الغلام وأجلسه في مجلسه، وقال: أنت أحق بهذا المكان مني، فأقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة .

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾، يا محمد، ﴿لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، هذه تسلية للنبي ﷺ، وذلك أنه كان حريصاً على أن يؤمن جميع الناس، فأخبره الله جل ذكره: أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة، ولا يضل إلا من سبق له الشقاوة .

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ﴾، وما ينبغي لنفس. وقيل: ما كانت نفس، ﴿أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس: بأمر الله. وقال عطاء: بمشيئة الله. وقيل: بعلم الله. ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ﴾، قرأ أبو بكر: «ونجعل» بالنون، والباقون بالياء، أي: ويجعل الله الرجس أي: العذاب وهو الرجس، ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾، عن الله أمره ونهيه .

﴿قُلْ أَنْظِرُوا﴾، أي: قل للمشركين الذين يسألونك الآيات انظروا، ﴿مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، من الآيات والدلائل والعبير، ففي السموات الشمس والقمر والنجوم وغيرها، وفي الأرض

فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ
 مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا
 عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا
 أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ
 أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾

الجال والبحار والأنهار والأشجار وغيرها، ﴿وما تُغني الآيات والثُّدُرُ﴾، الرسل، ﴿عن قوم لا
 يُؤمنون﴾، وهذا في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون .

﴿فهل ينتظرون﴾، يعني: مشركي مكة، ﴿إلا مثل أيام الذين خلوا﴾، مضوا، ﴿من قبلهم﴾،
 من مكذبي الأمم، قال قتادة: يعني وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود. والعرب تسمى العذاب أياماً، والنعيم
 أياماً، كقوله: «وذكرهم بأيام الله» (إبراهيم - ٥)، وكل ما مضى عليك من خير وشر فهو أيام، ﴿قل
 فانتظروا إلي معكم من المنتظرين﴾ .

﴿ثم نُنجي رُسُلنا﴾، قرأ يعقوب «نُنجي» خفيف مختلف عنه، ﴿والذين آمنوا﴾، معهم عند نزول
 العذاب معنا: نجينا، مستقبل بمعنى الماضي، ﴿كذلك﴾، كما نجيناهم، ﴿حقاً﴾، واجباً، ﴿علينا نُنج
 المؤمنين﴾، قرأ الكسائي وحفص ويعقوب «ننجي» بالتخفيف والآخرين بالتشديد، ونجاً وأنجى بمعنى
 واحد .

قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شكٍّ من دِينِي﴾، الذي أدعوك إليه .

فإن قيل: كيف قال: إن كنتم في شك، وهم كانوا يعتقدون بطلان ما جاء به؟

قيل: كان فيهم شاكون، فهم المراد بالآية، أو أنهم لما رأوا الآيات اضطربوا وشكوا في أمرهم وأمر

النبي ﷺ .

قوله عز وجل: ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دُونِ اللَّهِ﴾، من الأوثان، ﴿ولكن أعبد الله الذي

يتوفاكم﴾، يُميتكم ويقبض أرواحكم، ﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾ .

قوله: ﴿وأن أقم وجهك للدين حنيفاً﴾، قال ابن عباس: عملك. وقيل: استقم على الدين

حنيفاً. ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ .

وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾
 وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ
 لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا
 النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ
 ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ
 حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

﴿ولا تدع﴾، ولا تعبد، ﴿من دون الله ما لا ينفعك﴾، إن أطعته، ﴿ولا يضرك﴾، إن عصيته،
 ﴿فإن فعلت﴾، فعبدت غير الله، ﴿فإنك إذا من الظالمين﴾، الضارين لأنفسهم الواضعين للعبادة في
 غير موضعها .

﴿وإن يمسسك الله بضر﴾، أي: يصيبك بشدة وبلاء، ﴿فلا كاشف له﴾، فلا دافع له، ﴿إلا
 هو وإن يردك بخير﴾، رخاء ونعمة وسعة، ﴿فلا راد لفضله﴾، فلا مانع لرزقه، ﴿يصيب به﴾، بكل
 واحد من الضر والخير، ﴿من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾ .

﴿قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم﴾، يعني: القرآن والإسلام، ﴿فمن اهتدى فإنما
 يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾، أي: على نفسه، ووبأله عليه، ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾،
 بكفيل، أحفظ أعمالكم. قال ابن عباس: نسختها آية القتال^(١) .

﴿واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله﴾، بنصرك وقهر عدوك وإظهار دينه، ﴿وهو خير
 الحاكمين﴾، فحكم بقتال المشركين وبالجزية على أهل الكتاب يعطونها عن يد وهم صاغرون .

(١) انظر فيما سبق: ٣٢/٣ تعليق (١)، الفوز الكبير للدهلوي ص (٥٣، ٦٠) .

سُورَةُ هُجُرَاتٍ

1940

سُورَةُ هُودٍ

مَكِّيَّةٌ إِلَّا قَوْلَهُ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ وَهِيَ مِائَةٌ وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ آيَةً .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِيبُ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَكِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١﴾ أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ
 إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَبِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمِنِّعْكُمْ مِنْ
 حَسَنَاتِ آلِي أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾

﴿الرَّكِيبُ﴾ أَي: هَذَا كِتَابٌ، ﴿أَلَمْ يَكُنْ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَكِيمٌ خَبِيرٌ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ يَنْسَخْ بِكِتَابٍ كَمَا
 نَسَخَ الْكُتُبَ وَالشَّرَائِعَ بِهِ، ﴿ثُمَّ فَصَّلْتُ﴾، يُبَيِّنُ بِالْأَحْكَامِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: أَحْكَمْتُ
 بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، ثُمَّ فَصَّلْتُ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ. قَالَ قَتَادَةَ: أَحْكَمْتُ أَحْكَمَهَا اللَّهُ فَلَيْسَ فِيهَا اخْتِلَافٌ وَلَا
 تَنَاقُضٌ وَقَالَ مَجَاهِدٌ: فَصَّلْتُ أَي: فَسَّرْتُ. وَقِيلَ: فَصَّلْتُ أَي: أَنْزَلْتُ شَيْئاً فَشَيْئاً، ﴿مَنْ لَدُنْ حَكِيمٌ
 خَبِيرٌ﴾ .

﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، أَي: وَفِي ذَلِكَ الْكِتَابِ: أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ، وَيَكُونُ مَحَلُّ «أَنْ» رَفْعاً.
 وَقِيلَ: مَحَلُّ حُفْظٍ، تَقْدِيرُهُ: بَأَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ، ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ﴾ أَي: مِنْ اللَّهِ ﴿نَذِيرٌ﴾، لِلْعَاصِينَ،
 ﴿وَبَشِيرٌ﴾، لِلْمُطِيعِينَ .

﴿وَأَنْ﴾، عَطْفٌ عَلَى الْأَوَّلِ، ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾، أَي: ارْجِعُوا إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ. قَالَ
 الْفَرَّاءُ: «ثُمَّ» هُنَا بِمَعْنَى الْوَاوِ، أَي: وَتُوبُوا إِلَيْهِ، لِأَنَّ الْاسْتِغْفَارَ هُوَ التَّوْبَةُ وَالتَّوْبَةُ هِيَ الْاسْتِغْفَارُ.

إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا
مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ﴿٥﴾

وقيل: أن استغفروا [ربكم من المعاصي ثم توبوا] (١) إليه في المستأنف (٢).

﴿يَمْتَعِكُمْ مَتَاعاً حَسَباً﴾، يعيشكم عيشاً [حسناً في خفض ودعة وأمن وسعة] (٣). قال بعضهم:

العيش الحسن هو الرضى بالميسور والصبر على المقذور.

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، إلى حين الموت، ﴿وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾، أي: ويؤت كل ذي

عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في الآخرة. وقال أبو العالية: من كثرت طاعته في الدنيا زادت درجاته في

الآخرة [في الجنة] (٤)، لأن الدرجات تكون بالأعمال.

وقال ابن عباس: من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة، ومن زادت سيئاته على حسناته دخل

النار، ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب (٥) الأعراف، ثم يدخل الجنة بعد.

وقيل: يؤت كل ذي فضل فضله / يعني: من عمل لله عز وجل وفقه الله فيما يستقبل على طاعته.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أعرضوا، ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾، وهو يوم القيامة.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾، قال ابن عباس (٦): نزلت في الأحنس بن شريق وكان

رجلاً حلو الكلام حلو المنظر، يلقى رسول الله ﷺ بما يحب، وينطوي بقلبه على ما يكره.

قوله: «يثنون صدورهم» أي: يخفون (٧) ما في صدورهم من الشحنة والعداوة.

قال عبد الله بن شداد: نزلت في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله ﷺ ثنى صدره وظهره،

وطأ رأسه، وغطى وجهه كي لا يراه النبي ﷺ (٨).

(١) زيادة من «ب».

(٢) في «ب»: (المستقبل).

(٣) في «ب»: (في سعة ودعة وأمن).

(٤) ساقط من «ب».

(٥) زيادة من «ب».

(٦) انظر: أسباب النزول للواحد ص (٣٠٦)، القرطبي: ٥/٩.

(٧) في «ب»: (يجمعون).

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٣/١٥-٢٣٤.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي﴾

كِتَابٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾

وقال قتادة: كانوا يَخْنُونُ صدورهم كي لا يسمعو كتاب (١) الله تعالى ولا ذكره (٢).
وقيل: كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويخفي ظهره ويتغشى بثوبه. ويقول: هل يعلم الله ما في قلبي .

وقال السدي: يثنون أي: يعرضون بقلوبهم، من قولهم: نثيت عناني. وقيل: يعطفون، ومنه نثي الثوب .
وقرأ ابن عباس: «يَتُونِي» (٣) على وزن «يَخْلُو لِي» جعل الفعل للمصدر، ومعناه المبالغة في النثي .
﴿لَيْسَتْخَفُوا مِنْهُ﴾، أي: من رسول الله ﷺ. قال مجاهد: ليستخفوا من الله إن استطاعوا، ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾، يغطون رؤوسهم بثيابهم، ﴿يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، قال الأزهري: معنى الآية من أولها إلى آخرها: إن الذين أضمرُوا عداوة رسول الله ﷺ لا يخفي علينا حالهم .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا الحسن (٤) بن محمد بن صباح، حدثنا حجاج قال: قال ابن جريج أخبرني محمد بن عبّاد بن جعفر أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾، فقال: سألته عنها قال: كان أناس يستحيون أن يتخلّوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم (٥) .

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: ليس دابة، «من» صلة، والدابة: كل حيوان يدب على وجه الأرض .

وقوله: ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾، أي: هو المتكفل بذلك فضلاً، وهو إلى مشيئته إن شاء رزق وإن شاء لم يرزق .

وقيل: «على» بمعنى: «من» أي: من الله رزقها .

(١) في «ب»: (كلام) .

(٢) انظر: الطبري: ٢٣٥/١٥ .

(٣) في الطبري: (تَتُونِي) بالناء الفوقية، على مثال: «تَخْلُو لِي الثمرة»، «تَقْمُوعِل» .

(٤) في «ب»: (الحسين)، وكذلك في الطبري: والمثبت من «أ» وهو كذلك في البخاري .

(٥) أخرجه البخاري في التفسير، باب: «ألا إنهم يثنون صدورهم...» ٣٤٩/٨ .

وانظر الطبري: ٢٣٦/١٥-٢٣٧ .

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾

وقال مجاهد^(١): ما جاءها من رزق فمن الله عز وجل، وربما لم يرزقها حتى تموت جوعاً .
﴿ويعلم مستقرها ومستودعها﴾، قال ابن مقسم^(٢): ويُروى ذلك عن ابن عباس، مستقرها: المكان الذي تأوي إليه، وتستقر فيه ليلاً ونهاراً، ومستودعها: الموضع الذي تدفن فيه إذا ماتت .
وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه^(٣): المستقر أرحام الأمهات والمستودع [المكان الذي تموت فيه]^(٤) [وقال عطاء: المستقر أرحام الأمهات والمستودع أصلاب الآباء]^(٥) .
ورواه سعيد بن جبير، وعلي بن أبي طلحة، وعكرمة عن ابن عباس^(٦) .
وقيل: المستقر: الجنة أو النار، والمستودع القبر، لقوله تعالى في صفة الجنة والنار: «حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا» (الفرقان — ٧٦) .
﴿كل في كتاب مبين﴾، أي: كل مثبت في اللوح المحفوظ قبل أن خلقها .
قوله تعالى: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾، قبل أن خلق [السماء والأرض]^(٧) وكان ذلك الماء على متن الريح^(٨) .
قال كعب: ^(٩) خلق الله عز وجل ياقوتة خضراء، ثم نظر إليها بالهبة فصارت ماء يرتعد، ثم خلق الريح، فجعل الماء على متنها، ثم وضع العرش على الماء .

(١) الطبري: ٢٤٠/١٥ .

(٢) الطبري: ٢٤٢-٢٤١/١٥ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) في «ب»: (أصلاب الآباء) .

(٥) ساقط من «ب» .

(٦) الطبري: ٢٤٢/١٥ . والذي رجحه أن قوله تعالى: «ويعلم مستقرها» حيث تستقر فيه، وذلك مأواها الذي تأوي إليه ليلاً أو نهاراً «ومستودعها» الموضع الذي يودعها، إما بموتها فيه أو دفنها... لأن الله جل ثناؤه أخبر أن ما رزقت الدواب من رزق فمنه، فأولى أن يتبع ذلك أنه يعلم مأواها ومستقرها، دون الخبر عن علمه بما تتضمنه الأصلاب والأرحام . انظر: الطبري ٢٤١/١٥ و٢٤٣ .

(٧) في «ب»: (السماء) .

(٨) أخرج ذلك عن ابن عباس: الطبري: ٣٤٩/١٥ وفي التاريخ كذلك: ٢١/١، وصححه الحاكم في المستدرک: ٣٤١/٢ وواقفه الذهبي .

(٩) كعب الأبحار من رواية الاسرائيليات، ولم نجد من ذكر هذا غوه .

وَلَيْنَ أَخْرَجْنَاهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لِّيَقُولُوا مَا يَجْحَسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ
لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ وَلَيْنَ أَذْقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنَ الرَّحْمَةِ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ ﴿١١﴾

قال ضمرة: إن الله تعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض، وخلق القلم فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه، ثم إن ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام قبل أن يخلق شيئاً من خلقه (١).

﴿لِيَأْتِيَهُمْ﴾، ليختبركم، وهو أعلم، ﴿أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، أعمل بطاعة الله، وأورع عن محارم الله تعالى. ﴿وَلَيْنَ قُلْتُ﴾، يا محمد، ﴿إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ أي: ﴿من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾، يعنون القرآن .
وقرأ حمزة والكسائي: «ساحر» يعنون محمداً ﷺ .

﴿وَلَيْنَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾، إلى أجل محدود، وأصل الأمة: الجماعة، فكأنه قال: إلى انقراض أمة ومجيء أمة أخرى ﴿لِيَقُولُوا مَا يَجْحَسُهُ﴾، أي شيء يجسه؟ يقولونه استعجالاً للعذاب واستهزاءً، يعنون: أنه ليس بشيء .

قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾، يعني: العذاب، ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾، لا يكون مصروفاً عنهم، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾، نزل بهم، ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، أي: وبال استهزائهم .
قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾، نعمة وسعة، ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾، أي: سلبناها منه، ﴿إِنَّهُ لَكَفُورٌ﴾، قنوط في الشدة، ﴿كَفُورٌ﴾ في النعمة .

(١) أخرجه الطبري: ٢٤٩/١٥ .

وقد ساق الحافظ ابن كثير رحمه الله بعض الأحاديث في تفسير الآية منها حديث الإمام أحمد والشيخين عن عمران بن حصين.. وفيه «كان الله ولم يكن شيء قبله - وفي رواية: غيره - وفي رواية معه - وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السموات والأرض» .

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض، بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء» .

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن لقيط بن عامر قال: قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماء ما تحته هواء، وما فوقه هواء، ثم خلق العرش بعد ذلك» .

انظر: تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٢ .

وَلَمَّا أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضُرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١١﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا تَرَكَ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَاقَ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٣﴾

﴿ولمن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته﴾، بعد بلاء أصابه، ﴿ليقولن ذهب السيئات عني﴾، زالت الشدائد عني، ﴿إنه لفرح فخور﴾، أشير بطير، والفرح: لذة في القلب بنيل المشتى، والفخر: هو التطاول على الناس بتعدد المناقب، وذلك مني عنه .

﴿إلا الذين صبروا﴾، قال الفراء: هذا استثناء منقطع، معناه: لكن الذين صبروا ﴿وعملوا الصالحات﴾، فإنهم إن نالهم شدة صبروا، وإن نالوا نعمة شكروا، ﴿أولئك لهم مغفرة﴾، لذنوبهم، ﴿وأجر كبير﴾، وهو الجنة .

﴿فلعلك﴾، يا محمد، ﴿تارك بعض ما يوحى إليك﴾، فلا تبلغ إياهم. وذلك أن كفار مكة لما قالوا: «أنت بقرآن غير هذا» (يونس - ١٥) ليس فيه سب آلهتنا هم النبي ﷺ أن يدع آلتهم ظاهراً، فأنزل الله تعالى:

﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾^(١) يعني: سب الآلهة، ﴿وضائق به صدرك﴾، أي: فلعلك يضيق صدرك ﴿أن يقولوا﴾، أي: لأن يقولوا، ﴿لولا أنزل عليه كنز﴾ ينفقه ﴿أو جاء معه ملك﴾، يصدقه، قاله عبدالله بن أبي أمية المخزومي .

قال الله تعالى: ﴿إنما أنت نذير﴾ ليس عليك إلا البلاغ، ﴿واللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ حافظ .

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٢٤٩/٧ - وقال بعد أن ذكر سب النزول: «فخاطب الله تعالى نبيه ﷺ على هذه الصورة من المخاطبة، ووقف بها توقيفاً راداً على أقوالهم ومبطلاً لها، وليس المعنى أنه ﷺ هم بشيء من هذا فزجر عنه. فإنه لم يرد قط ترك شيء مما أوحى إليه، ولا ضاق صدره، وإنما كان يضيق صدره بأقوالهم وأفعالهم ويُغدهم عن الإيمان» .
ثم قال بعد ذلك: «...ويحتمل أن يكون النبي ﷺ قد عظم عليه ما يلقي من الشدة فمال إلى أن يكون من الله تعالى إذن في مساهلة الكفار بعض المساهلة، ونحو ذلك من الاعتقادات التي تليق به ﷺ كما جاءت بذلك آيات المودة» .

أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبَهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ
 مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ
 اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
 وَزِينَتَهَا نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾

﴿أم يقولون افتراه﴾، بل يقولون اختلقه، ﴿قل فاتوا بعشر سورٍ مثله مفتريات﴾ .

فإن قيل: قد قال في سورة يونس: «فاتوا بسورةٍ مثله﴾، وقد عجزوا عنه فكيف قال: ﴿فاتوا بعشر سورٍ﴾، فهو كرجل يقول لآخر: أعطني درهماً فيعجز، فيقول: أعطني عشرة؟ .

ب / ١٧٢

الجواب: قد قيل سورة / هود نزلت أولاً .

وأنكر المبرد هذا، وقال: بل نزلت سورة يونس أولاً، وقال: معنى قوله في سورة يونس: «فاتوا بسورةٍ مثله»، أي: مثله في الخبر عن الغيب والأحكام والوعد والوعيد، [فعجزوا فقال لهم في سورة هود: إن عجزتم عن الإتيان بسورةٍ مثله في الأخبار والأحكام والوعد والوعيد] ^(١) فاتوا بعشر سورٍ مثله من غير خبر ولا وعد ولا وعيد، وإنما هي مجرد البلاغة ^(٢)، ﴿واذعوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾، واستعينا بمن استطعتم، ﴿مَنِ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾، يا أصحاب محمد. وقيل: لفظه جمع والمراد به الرسول ﷺ وحده. ﴿فاعلموا﴾، قيل: هذا خطاب مع المؤمنين. وقيل: مع المشركين، ﴿أنما أنزل بعلم الله﴾، يعني: القرآن. وقيل: أنزله وفيه علمه، ﴿وأن لا إله إلا هو﴾ أي: فاعلموا أن لا إله إلا هو، ﴿فهل أنتم مسلمون﴾، لفظه استفهام ومعناه أمر، أي: أسلموا .

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، أي: من كان يريد بعمله الحياة الدنيا، ﴿وزينتها﴾، نزلت في كل من عمل عملاً يريد به غير الله عز وجل ^(٣) ﴿نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا﴾، أي: نُوفٍ لهم

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) وقال ابن الزبير الغزنائي في ملاك التأويل: ٣٩/١... لما قيل هنا: مفتريات، فوسّع عليهم، ناسبه التوسعة في العدد المطلوب؛ لأن الكلام المُفْتَرَى أسهل فناسبته التوسعة. أما الوارد في السورتين قبل - سورة البقرة الآية ٢٣، وسورة يونس الآية ٣٨ - فلم يذكر لهم فيها أن يكون مفترى عليه، بل السابق من الآيتين: المماثلة مطلقاً، وذلك أصعب وأشق عليهم مع عجزهم في كل حال، فوقع الطلب حيث التضييق بسورة واحدة، وحيث التوسعة بعشر سورٍ مناسبة جلييلة واضحة وقد جاوب بما هذا معناه بعضُ المفسرين . وانظر: الكشاف: ٤٨/١ - ٥٠ .

(٣) وهذا مروى بسند صحيح عن سعيد بن جبير في الآية، قال: «من عمل للدنيا نوفه في الدنيا» .

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَمْ مَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ، وَبِتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ فَالْنَّارُ مَوْعِدُهُ، فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

أجور أعمالهم في الدنيا بسعة الرزق ودفع المكاهر وما أشبهها. ﴿وهم فيها لا يتحسبون﴾، أي: في الدنيا لا ينقص حظهم .

﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها﴾ [أي: في الدنيا] (١) ﴿وباطل﴾، ﴿ما كانوا يعملون﴾ .

اختلفوا في معنى هذه الآية (٢): قال مجاهد: هم أهل الرياء. وروينا أن النبي ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: يارسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء» (٣) .

قيل: هذا في الكفار (٤)، وأما المؤمن: فيريد الدنيا والآخرة، وإرادته الآخرة غالبية فيجازى بحسناته في الدنيا، ويناب عليها في الآخرة .

وروينا عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل لا يظلم المؤمن حسنة، يناب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيقطع بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُعطى بها خيراً» (٥) .

قوله تعالى: ﴿الذين كان على بينة﴾، بيان، ﴿من ربه﴾، قيل: في الآية حذف، ومعناه: أئمن كان

= أخرجه هناد في الزهد: ٢٧٤/٢، وابن أبي شيبة في المصنف: ٥١٩/١٣ بلفظ «وَقِيَهُ فِي الدُّنْيَا وَالطَّيْرِي: ٢٦٣/١٥. وعزاه السيوطي أيضاً لابن أبي حاتم بلفظ: «هو الرجل يعمل للدنيا، لا يريد به الله» .

(١) نداء من «ب» .

(٢) في «ب»: (المعنى بهذه الآية) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤٢٨/٥-٤٢٩، والمصنف في شرح السنة: ٣٢٤/١٤ .

قال الميثمي في المجمع: ١٠٢/١ «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح» وقال المنذري في الترغيب والترهيب: ٦٩/١: «ورواه أحمد بإسناد جيد، وابن أبي الدنيا والبيهقي في الزهد وغيره» ثم قال: «وقد رواه الطبراني بإسناد جيد عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج. وقيل: إن حديث محمود هو الصواب دون ذكر رافع بن خديج فيه. والله أعلم» .

وانظر: النهج السديد في تخریج أحاديث تيسير العزيز الحميد ص (٤٦) .

(٤) انظر: الطبري: ٢٦٥/١٥ .

(٥) أخرجه مسلم في صفات المنافقين، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، برقم (٢٨٠٨): ٢١٦١/٤، والمصنف في شرح السنة: ٣١٠/١٤ .

على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها، أو مَنْ كان على بينة من ربه كمن هو في الضلالة والجهالة، والمراد بالذي هو على بينة من ربه: النبي ﷺ .

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾، أي: يتبعه من يشهد به بصدقه. واختلفوا في هذا الشاهد^(١): فقال ابن عباس، وعلقمة، وإبراهيم، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وأكثر أهل التفسير: إنه جبريل عليه السلام . وقال الحسن وقتادة: هو لسان رسول الله ﷺ .

وروى ابن جريج عن مجاهد قال: هو ملك يحفظه ويسدده .

وقال الحسين بن الفضل: هو القرآن ونظمه وإعجازه .

وقيل: هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال علي: ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه آية من القرآن، فقال له رجل: وأنت أي شيء نزل فيك؟ قال: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾^(٢) .

وقيل: شاهد منه هو الإنجيل^(٣) .

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾، أي: ومن قبل مجيء محمد ﷺ . وقيل: من قبل نزول القرآن. ﴿كِتَابَ مُوسَى﴾، أي: كان كتاب موسى، ﴿إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾، لمن اتبعها، يعني: التوراة، وهي مصدقة للقرآن، شاهدة للنبي ﷺ، ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، يعني: أصحاب محمد ﷺ . وقيل: أراد الذين أسلموا من أهل الكتاب . ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ أي: بمحمد ﷺ . وقيل: بالقرآن، ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾، من الكفار من أهل الملل كلها، ﴿فَالنَّارُ موعِدُهُ﴾ .

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أخبرنا أبو طاهر الزيادي، أخبرنا محمد بن الحسين القطان، أخبرنا أحمد بن يوسف السلمي، أخبرنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن همام بن منبه، حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة، ولا يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»^(٤) .

(١) انظر هذه الأقوال الآتية في: الطبري: ٢٧٦-٢٧٠/١٥ .

(٢) أخرجه الطبري بسند فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف، وكان رافضياً من أتباع عبدالله بن سبأ، وكذلك ضعف هذا القول ابن كثير في التفسير: ٤٤١/٢ وقال: «هو ضعيف لا يثبت له قائل» .

(٣) ورجح الطبري رحمه الله أن أولى الأقوال في تأويل قوله تعالى: «وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ» هو قول من قال: «هو جبريل» لدلالة قوله: «وَمِنْ قَبْلِهِ» على كتاب موسى إماماً ورحمة على صحة ذلك. التفسير: ٢٧٦/١٥ .

وقال ابن كثير رحمه الله: هو ما أوحاه الله إلى الأنبياء من الشرائع المطهرة المكتملة المعظمة المختتمة بشريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، ولهذا قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو العالية والضحاك وإبراهيم النخعي والسدي وغير واحد في قوله تعالى: «وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ»: إنه جبريل عليه السلام وعن علي رضي الله عنه والحسن وقتادة هو محمد ﷺ . وكلاهما قريب في المعنى لأن كلاً من جبريل ومحمد صلوات الله عليهما بلغ رسالة الله تعالى، فجبريل إلى محمد، ومحمد إلى الأمة. التفسير: ٤٤١/٢ .

(٤) أخرجه مسلم من وجه آخر عن أبي هريرة، بلفظ «... من هذه الأمة يهودي ولا نصراني...» كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، رقم (١٥٣): ١٣٤/١، والمصنف باللفظ أعلاه، شرح السنة: ١٠٤/١ وهو كذلك عند أبي عوانة: =

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ
الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿فلا تك في مربة منه﴾، أي: في شك منه، ﴿إِنَّ الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ .

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾، فزعم أن له ولداً أو شريكاً، أي: لا أحد أظلم منه، ﴿أولئك﴾، يعني: الكاذبين والمكذبين، ﴿يعرضون على ربهم﴾، فيسألهم عن أعمالهم .
﴿ويقول الأشهاد﴾، يعني: الملائكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم، قاله مجاهد^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما. إنهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو قول الضحاك^(١).

وقال قتادة: الخلائق كلهم .

وروينا عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله يدني المؤمن فيضع عليه كَنَفَهُ ويستتره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته»، وأما الكفار والمنافقون [فينادي بهم على رؤوس الخلائق]^(٢)، ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

١٠٤/١ والإمام أحمد في المسند برقم (٨١٨٨) طبعة الحلبي، وهمام بن منه في الصحيفة برقم (٩١) ص (٤٠٩) .
والمراد بالأمة في هذا الحديث: كل من أرسل إليه محمد ﷺ ولزمته حجته، سواء صدقه أو لم يصدقه. وعلى هذا يتناول اللفظ جميع أما الدعوة، من هو موجود في زمنه ﷺ، ومن يتجدد وجوده بعده إلى يوم القيامة، فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته ﷺ. وقوله: ولا يهودي ولا نصراني: من عطف الخاص على العام، وإنما ذكر تنبيهاً على من سواهما... وقال القرطبي: إذا كانت الرواية من غير عطف «يهودي» و «نصراني» فهما بدل من الأمة.

أما بالعطف - كما في رواية البغوي هنا - فلا يدخل اليهودي ولا النصراني في الأمة المذكورة .
وقال العراقي: ويحتمل أن يراد بهذه الأمة: العرب الذين هم عبدة الأوثان، وحينئذ فعطف اليهودي والنصراني على بابه، لعدم دخولهما فيما تقدم، وقوله في روايتنا: «ولا يهودي ولا نصراني» يوافق ذلك .

انظر: صحيفة همام بن منه عن أبي هريرة رضي الله عنه، بتحقيق وشرح الدكتور رفعت فوزي عبدالمطلب ص (٤٠٩-٤١٠) والمراجع مشار إليها .

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٣/١٥، الدر المنثور: ٤١٢/٤-٤١٣ .

(٢) في «ب»: «فيقول الأشهاد» والمثبت من «أ» وهو الموافق لرواية البخاري .

(٣) أخرجه البخاري في المظالم، باب قول الله تعالى: «أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» ٩٦/٥، وفي التوحيد، وفي الرقاق. وأخرجه مسلم في

التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كفر قتل، برقم (٢٧٦٦): ٢١٢٠/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٣٢/١٥-١٣٣ .

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾
 ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ
 الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ
 هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾

﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾، يمنعون عن دين الله، ﴿ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون﴾.

﴿أولئك لم يكونوا معجزين﴾، قال ابن عباس: سابقين. قال قتادة: هارين. وقال مقاتل: فائتين. ﴿في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء﴾، يعني أنصاراً وأعاوناً يحفظونهم من عذابنا، ﴿يضاعف لهم العذاب﴾، أي: يزداد في عذابهم. قيل: يضاعف العذاب عليهم لإضلالهم الغير واقتداء الاتباع بهم.

﴿ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾، قال قتادة: صم عن سماع الحق فلا يسمعون، وما كانوا يبصرون الهدى. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أخبر الله عز وجل أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا قال: ﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾ وهو طاعته، وفي الآخرة قال: ﴿فلا يستطيعون﴾، خاشعة أبصارهم.

﴿أولئك الذين خسروا أنفسهم﴾، غبنوا أنفسهم، ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾، يزعمون من شفاعة / الملائكة والأصنام.

﴿لا جرم﴾، أي: حقاً. وقيل: بلى. وقال الفراء: لا محالة، ﴿أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾، يعني: من غيرهم، وإن كان الكل في الخسارة^(١).

= وقوله في الحديث: «يفضع عليه كنفه» بفتح الكاف والنون، بعدها فاء - المراد بالكنف: الستر، وقد جاء مفسراً بذلك في رواية عبدالله بن المبارك عن محمد بن سواء عن قتادة فقال في آخر الحديث: قال عبدالله بن المبارك: كنفه: ستره. أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد».

والمعنى: أنه تحيط به عنايته التامة. ومن رواه بالثناة المكسورة - كنفه - فقد صحف، على ما جزم به جمع من العلماء. انظر: فتح الباري: ٤٧٧/١٣.

(١) في «ب»: (الخسارة).

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
 الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ
 وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا
 إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾، قال ابن عباس: خافوا. قال قتادة: أتأبوا. قال
 مجاهد: اطمانوا. وقيل: خشعوا. وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، أي: لربهم. ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ﴾.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾، المؤمن والكافر، ﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾،
 قال الفراء: لم يقل هل يستوون، لأن الأعمى والأصم في حيزٍ كأنهما واحد؛ لأنهما من وصف الكافر،
 والبصير والسميع في حيز كأنهما واحد، لأنهما من وصف المؤمن، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، أي (١): تتعظون.
 قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي
 ويعقوب (٢) «أني» بفتح الهمزة أي: بأني، وقرأ الباقون بكسرها، أي: فقال إني، لأن في الإرسال معنى
 القول: إني لكم نذير مبين.

﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾، أي: مؤلم. قال ابن عباس: يُبعث
 نوح عليه السلام بعد أربعين سنة، وليث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة، وعاش بعد الطوفان ستين
 سنة، وكان عمره ألفاً وخمسين سنة.

وقال مقاتل: بعث وهو ابن مائة سنة.

وقيل: بُعث وهو ابن خمسين سنة.

وقيل: بعث وهو ابن مائتين وخمسين سنة، ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة، وعاش بعد
 الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفاً وأربعمائة وخمسين سنة قال الله تعالى: «فلبث فيهم ألف
 سنة إلا خمسين عاماً» (العنكبوت - ١٤) أي: فلبث فيهم داعياً.

(١) في «ب»: [أفلا].

(٢) ساقطة من «ب».

فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا زَرْنَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا زَرْنَاكَ أَتَّبَعَكَ
 إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا زَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ
 كَذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَعَ أَنْسِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ
 فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنزَلْنَا مُكْمُوها وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
 مَا لَإِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُوا رَبَّهُمْ
 وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾

﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾: والملأ هم الأشراف والرؤساء. ﴿ما تراك﴾، يانوح، ﴿إلا
 بشراً﴾، آدمياً، ﴿مثلنا وما تراك أتبعك إلا الذين هم أرادنا﴾، سفلتنا، والردل: الدون من كل شيء،
 والجمع: أرذل، ثم يجمع على أرذل، مثل: كلب وأكلب وأكالب، وقال في سورة الشعراء: «وأتبعك
 الأردلون» يعني: السفلة. وقال عكرمة: الحاكة والأساكفة، ﴿بادي الرأي﴾، قرأ أبو عمرو «باديء»
 بالهمز، أي: أول الرأي، يريدون أنهم اتبعوك في أول الرأي من غير روية وتفكير، ولو تفكروا لم يتبعوك. وقرأ
 الآخرون بغير همز، أي ظاهر الرأي من قولهم: بدا الشيء: إذا ظهر، معناه: اتبعوك ظاهراً من غير أن
 يتدبروا ويتفكروا باطناً. قال مجاهد: رأي العين، ﴿وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾.
 ﴿قال﴾، نوح، ﴿يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربِّي﴾ أي: بيان من ربِّي ﴿وأتاني رحمة﴾،
 أي: هدى ومعرفة، ﴿من عنده فعُميت عليكم﴾، أي: خفيت والتبست عليكم. وقرأ حمزة والكسائي
 وحفص: «فعُميت عليكم» بضم العين وتشديد الميم، أي: شبت ولبست عليكم. ﴿أنزلناكموها﴾،
 أي: أنزلناكم البينة والرحمة، ﴿وأنتم لها كارهون﴾، لا تريدونها. قال قتادة: لو قدر الأنبياء عليهم الصلاة
 والسلام أن يلزموا [قومهم الإيمان لألزمهم] ^(١) ولكن لم يقدروا.

قوله: ﴿ويا قوم لا أسألكم عليه مالا﴾، أي: على الوحي وتبليغ الرسالة، كناية عن غير مذكور،
 ﴿إن أجري﴾، ما ثوابي، ﴿إلا على الله وما أنا بطارِدِ الذين آمنوا﴾، هذا دليل على أنهم طلبوا منه طرد
 المؤمنين، ﴿إنهم ملأوا ربهم﴾، [أي: صاثرون إلى] ^(٢) ربهم في المعاد فيجزى من طردهم، ﴿ولكني أراكم
 قوماً تجهلون﴾.

(١) في وب: (قومهم لألزموا).

(٢) ساقط من و أ .

وَيَقَوْمٍ مِّنْ يَبْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٣﴾ قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَاثْنَانِ إِمَامَاتِنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾

﴿ويا قوم من يبصُرني من الله﴾، من يمعني من عذاب الله، ﴿إن طردتهم أفلا تذكرون﴾، تنعظون .

﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾، فآتي منها ما تطلبون، ﴿ولا أعلم الغيب﴾، فأخبركم بما تريدون وقيل: إنهم لما قالوا لئوح: إن الذين آمنوا بك إنما أتبعوك في ظاهر ما ترى منهم، قال نوح مجيباً لهم: ولا أقول لكم: عندي خزائن غيوب الله، التي يعلم منها ما يضر الناس، ولا أعلم الغيب، فأعلم ما يسترونه في نفوسهم، فسبلي قبول ما ظهر من إيمانهم، ﴿ولا أقول إِنِّي مَلَكٌ﴾، هذا جواب قولهم: «ما نراك إلا بشراً مثلنا». ﴿ولا أقول للذين تزدري أعينكم﴾، أي: تحتقره وتستصغره أعينكم، يعني: المؤمنين، وذلك أنهم قالوا: هم أرادنا، ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ أي: توفيقاً وإيماناً وأجرأ، ﴿الله أعلم بما في أنفسهم﴾، من الخير والشر مني، ﴿إني إذا لَمِنَ الظالمين﴾، لو قلت هذا .

﴿قالوا يانوحُ قد جادلنا﴾، خاصمتنا، ﴿فأكثرت جدالنا فإثنا بما تعدنا﴾، من العذاب ﴿إن كنت من الصادقين﴾ .

﴿قال إنما يأتيكم به الله إن شاء﴾، يعني: بالعذاب، ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ بفائتين .

﴿ولا ينفعكم نصحي﴾، أي نصيحتي، ﴿إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم﴾، يضلكم، ﴿هو ربكم﴾، له الحكم والأمر ﴿وإليه ترجعون﴾، فيجزيك بأعمالكم .

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَبَهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَجْحَرُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ أَمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني نوحاً عليه السلام. وقال مقاتل: يعني محمداً ﷺ. ﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي﴾، أي: إثمِي ووبالِ جُرْمِي. والإجرام: كسب الذنب. ﴿وأنا بريء مما تجحرمون﴾، لا أواخذُ بذنوبكم.

قوله تعالى: ﴿وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾، روى الضحاك عن ابن عباس: أن قوم نوح عليه السلام كانوا يضربون نوحاً حتى يسقط، فيلقونه في لَبْدٍ^(١)، ويلقونه في قعر بيت، يظنون أنه قد مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم إلى الله عز وجل.

رُوي أن شيخاً منهم جاء يتوكأ على عصا، ومعه ابنه، فقال: يا بني لا يغررك هذا الشيخ المجنون، فقال له: يا أبت أمكني من العصا، فأخذ العصا من أبيه، فضرب نوحاً حتى شجّه شجة منكراً، فأوحى الله عز وجل إليه^(٢): ﴿أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾، ﴿فلا تبتئس﴾ أي: فلا تحزن، ﴿بما كانوا يفعلون﴾، فإتي مهلكهم ومنقذك منهم فحيث دعا نوح عليهم: «فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً» (نوح - ٢٦).

وحكى محمد بن إسحاق عن عبيد بن عمير الليثي أنه بلغه^(٣). أنهم كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، حتى إذا تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء، وانتظر الجيل بعد الجيل فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي قبله حتى إن كان الآخر منهم ليقول: قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنوناً لا يقبلون منه شيئاً، فشكا إلى الله تعالى فقال: / «رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً» إلى أن قال: «رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً»، ١٧٤/ب فأوحى الله تعالى إليه:

﴿وأصنع الفلك بأعيننا﴾، قال ابن عباس بمرأى منا. وقال مقاتل: بعلمنا. وقيل: بحفظنا.

(١) اللبد: الصوف، ويقال: ماله سبد ولا لبد: لا شعر له ولا صوف. أي: ماله قليل ولا كثير.
(٢) عزاه السيوطي لإسحاق بن بشر وابن عساكر عن ابن عباس: ٤١٧/٤، وما يتفرد به ابن عساكر وأمثاله: ضعيف.
(٣) انظر: الطبري: ٣١٣-٣١٤، وهو أيضاً في التاريخ للطبري: ٩٢/١-٩٣.

وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَائِمٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي
فَإِنَّا نَسْخَرُهُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾

﴿وَوَحِينًا﴾، بأمرنا. ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾، بالطوفان، قيل: معناه لا تخاطبني في إمهال^(١) الكفار، فإني قد حكمت بإغراقهم. وقيل: لا تخاطبني في ابنك كنعان وامرأتك وأعله فإنهما هالكان مع القوم.

وفي القصة^(٢) أن جبريل أتى نوحاً عليه السلام فقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تصنع الفلك، قال: كيف أصنع ولست بنجار؟ فقال: إن ربك يقول اصنع فإنك بعيني، فأخذ القدم وجعل يصنع ولا يخطيء. وقيل: أوحى الله إليه أن يصنعها مثل جوجو^(٣) الطائر.

قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ فلما أمره الله تعالى أن يصنع الفلك أقبل نوح عليه السلام على عمل الفلك ولها عن قومه، وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيء عدة الفلك من القار وغيره، وجعل قومه يمزون به وهو في عمله ويسخرون منه، ويقولون: يانوح قد صرت نجاراً بعد النبوة؟ وأعقم الله أرحام نسائهم فلا يولد لهم ولد^(٤).

وزعم أهل التوراة^(٥): أن الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج، وأن يصنعه أزرور^(٦)، وأن يطليه بالقار^(٧) من داخله وخارجه، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعاً وعرضه خمسين ذراعاً وطوله في السماء ثلاثين ذراعاً، والذراع إلى المنكب، وأن يجعله ثلاثة أطباق سفلى ووسطى وعليا ويجعل فيه كوى، ففعله نوح كما أمره الله عز وجل.

وقال ابن عباس: اتخذ نوح السفينة في سنتين وكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعاً وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً، وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون، فحمل في البطن الأسفل الوحوش والسياب والهوام، وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام، وركب هو ومن معه في البطن

(١) في «ب»: (إهلاك).

(٢) التي رواها الطبري كما سبق.

(٣) في «ب»: (خرطوم).

(٤) من القصة السابقة عن ابن إسحاق في رواية الطبري.

(٥) زعم أهل التوراة! وزعم مطية الكذب، ونحن متبعون بتصديق ما في الكتاب الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(٦) «أزرور» من «الزور» - بفتح فسكون - وهو الصدر، و«الزور» بفتح جيم - وهو عوج الصدر، وهو أن يستدق جوشن الصدر، ويخرج الكلكل، كأنه عُصير من جانيه. انظر: حاشية الطبري: ٣١٤/١٥.

(٧) القار: الزفت، قال في القاموس: شيء أسود تظلي به الإبل والسفن، أو هو الزفت.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾

الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد .

وقال قتادة: كان بابها في عرضها .

وروي عن الحسن: كان طولها ألفاً ومائتي ذراع وعرضها ست مائة ذراع. والمعروف الأول: أن طولها ثلاثمائة ذراع .

وعن زيد بن أسلم قال: مكث نوح عليه السلام مائة سنة يغرس الأشجار ويقطعها، ومائة سنة يعمل الفلك .

وقيل: غرس الشجر أربعين سنة وجففه أربعين سنة .

وعن كعب الأحبار أن نوحاً عمل السفينة في ثلاثين سنة، وروى أنها كانت ثلاث طبقات، الطبقة السفلى للدواب والوحوش، والطبقة الوسطى فيها الإنس، والطبقة العليا فيها الطير، فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله إلى نوح أن اغمِزْ ذنبَ الفيل فغمزه فوقه منه خنزير وخنزيرة، فأقبلا على الروث، فلما وقع الفار بجوف السفينة فجعل يقرضها ويقرض جبالها، فأوحى الله تعالى إليه أن اضربْ بين عيني الأسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة، فأقبلا على الفار^(١) .

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأْ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾، كانوا يقولون: إن هذا الذي يزعم أنه نبي قد صار نجاراً، ورؤي أنهم كانوا يقولون له: يانوح ماذا تصنع؟ فيقول أصنع بيتاً يمشي على الماء، فيضحكون منه، ﴿قَالَ إِنَّ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾، إذا عاينتم عذاب الله، ﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾، فإن قيل: كيف تجوز السخرية من النبي؟ قيل: هذا على ازدواج الكلام، يعني إن تستجهلوني فإني استجهلكم إذا نزل العذاب بكم. وقيل: معناه إن تسخروا منا فسترون عاقبة سخرتكم .

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾، يبينه، ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾، يجب عليه، ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، دائم .

(١) هذه التفصيلات عن السفينة وطولها وطبقاتها وما حمل فيها، وعن المخلوقات وكيفية خلقها من بعضها... إلخ ذكرها الطبري والسيوطي أيضاً، وهي من الأسرئيليات التي اختلقها اليهود وأضرابهم على مر العصور، وكانت شائعة مشهورة في الجاهلية، فلما جاء الإسلام نشرها أهل الكتاب الذين أسلموا بين المسلمين، وهؤلاء رووها بحسن نية، ولم يزيّفوها اعتماداً على أن ظاهرها البطلان. وقد أشار ابن كثير رحمه الله إلى غرابة رواية ابن إسحاق التي سلفت عند البغوي .

انظر: الأسرئيليات والموضوعات، للشيخ محمد أبي شهبة ص (٣٠١-٣٠٥)، تفسير ابن كثير: ٤٤٥/٢-٤٤٦ .

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ
إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤﴾

﴿حتى إذا جاء أمرنا﴾ عذابنا، ﴿وفار التنور﴾، اختلفوا في التنور^(١): قال عكرمة والزهري: هو وجه الأرض، وذلك أنه قيل لنوح: إذا رأيت الماء فار على وجه الأرض فاركب السفينة. ورؤي عن علي رضي الله عنه أنه قال: فار التنور أي: طلع الفجر ونورح الصبح. وقال الحسن ومجاهد والشعبي: إنه التنور الذي يخبز فيه، وهو قول أكثر المفسرين^(٢). ورواية عطية عن ابن عباس قال الحسن: كان تنوراً من حجارة، كانت حواء تخبز فيه فصار إلى نوح عليه السلام، فقيل لنوح: إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت وأصحابك. واختلفوا في موضعه^(٣)، قال مجاهد والشعبي: كان في ناحية الكوفة، [وكان الشعبي يخلف: ما فار التنور إلا من ناحية الكوفة]^(٤). وقال: اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة. وكان التنور على يمين الداخل مما يلي باب كندة، وكان فوران الماء منه علماً لنوح عليه السلام. وقال مقاتل: كان ذلك تنور آدم، وكان بالشام بموضع يقال له: عين وردة. ورؤي عن ابن عباس: أنه كان بالهند. والفوران: الغليان.

قوله تعالى: ﴿قلنا احمِلْ فِيهَا﴾، أي في السفينة، ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾، الزوجان: كل اثنين لا يستغني أحدهما عن الآخر، يقال لكل واحد منهما زوج، يقال: زوج خف وزوج نعل، والمراد بالزوجين هاهنا: الذكر والأنثى. قرأ حفص هاهنا وفي سورة المؤمنين: ﴿مِنْ كُلِّ﴾ بالتنوين أي: من كل صنف زوجين اثنين، ذكره تأكيداً.

وفي القصة: أن نوحاً عليه الصلاة والسلام قال: ياربِّ كيف أحمل من كل زوجين اثنين؟ فحشر الله إليه السباع والطيور، فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والأنثى في يده اليسرى، فيحملها في السفينة. ﴿وَأَهْلَكَ﴾، أي: واحمل أهلك، أي: ولدك وعيالك، ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾، بالهلاک،

(١) انظر في هذا: الطبري: ٣١٨/١٥-٣٢١.

(٢) ورجح هذا الطبري فقال: «وأولى الأقوال عندنا بتأويل قوله: «التنور» قول من قال: «هو التنور الذي يخبز فيه»، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب. وكلام الله لا يُوجَّه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك، فيسلم لها. وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به لإفهامهم معنى ما خاطبهم به». الطبري: ٣٢١/١٥.

(٣) انظر: الطبري: ٣٢٠/١٥-٣٢١.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

يعني: امرأته وَاِعْلَةٌ وابنه كنعان، ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ يعني: واحمل من آمن بك، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، واختلفوا في عددهم^(١): قال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي: لم يكن في السفينة إلا ثمانية نفر: نوح، وامرأته^(٢)، وثلاثة بنين له سام وحام ويافث، ونساءهم . [وقال الأعمش: كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين له، وثلاث كنانين له]^(٣).

وقال ابن إسحاق: كانوا عشرة سوى نساءهم، نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة أناس ممن كان آمن به وأزواجهم جميعاً .

وقال مقاتل: كانوا اثنين وسبعين نفراً رجلاً وامرأةً وبنيه الثلاثة ونساءهم، فجميعهم ثمانية وسبعون، نصفهم رجال ونصفهم نساء .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان في سفينة نوح ثمانون رجلاً أحدهم جرهم .

قال مقاتل: / حمل نوح معه جسد آدم فجعله معترضاً بين الرجال والنساء وقصد نوحاً جميعاً ١٧٥ / أ

الدواب والطيور ليحملها .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أول ما حمل نوح الدرة وآخر ما حمل الحمار، فلما دخل الحمار ودخل صدره تعلق إبليس بذنبه، فلم يستقل رجلاه، فجعل نوح يقول: ويحك ادخل: فينهض فلم يَسْتَطِعْ، حتى قال نوح: ويحك ادخل وإن الشيطان معك كلمة زلت على لسانه، فلما قالها نوح نخل الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان، فقال له نوح: ما أدخلك عليّ يا عدو الله؟ قال: ألم تقل ادخل وإن كان الشيطان معك، قال: اخرج عني يا عدو الله، قال: مالك بدّ من ان تحملني معك، فكان فيما يزعمون في ظهر الفلك .

وروي عن بعضهم: أن الحية والعقرب أتيا نوحاً فقالتا: احملنا، فقال: إنكما سبب الضر والبلاء، فلا أحملكما، فقالتا له: احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحداً ذكرك فمن قرأ حين خاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين ما ضرته .

قال الحسن: لم يحمل نوح في السفينة إلا ما يلد ويبيض، فأما ما يتولد من الطين من حشرات الأرض كالبق والبعوض فلم يحمل منه شيئاً^(٤) .

(١) انظر في هذه الأقوال: الطبري: ٣٢٥-٣٢٧ وقال: «والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله: «وما آمن معه

إلا قليل»، يصفهم بأنهم كانوا قليلاً، ولم يُحَدِّدْ عددهم بمقدار، ولا خير عن رسول الله ﷺ صحيح. فلا ينبغي أن يتجاوز في ذلك حدّ الله، إذا لم يكن لبلغ عدد ذلك حدّ من كتاب الله، أو أثر عن رسول الله ﷺ .

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: «وقيل: بل امرأة نوح كانت معهم في السفينة. وهذا فيه نظر، بل الظاهر أنها هلكت، لأنها كانت

على دين قومها، فأصابها ما أصابهم، كما أصاب امرأة لوط ما أصاب قومها، والله أعلم وأحكم» التفسير: ٤٤٦/٢ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٤) هذه القصص وأمثالها، ذكرها السيوطي في الدر: ٤٢٣/٤ وما بعدها .

قال ابن عطية في المحرر الوجيز: ٢٩٥/٧ ... وهذا كله قصص لا يصح إلا لو استند، والله أعلم كيف كان». وانظر

فيما سبق ص (١٧٥) تعليق (١) .

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرِبَهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٤١ ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوْحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ٤٢ ﴿قَالَ سَاوِيَ إِلَى جِبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ ٤٣

﴿وقال اركبوا فيها﴾، أي: وقال لهم نوح اركبوا فيها أي في السفينة، ﴿بسم الله مجريها ومرساها﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: «مجرئها» بفتح الميم أي: جريها «ومرساها» [بضمها] (١)، وقرأ محمد بن محيصن «مجرئها ومرساها بفتح الميمين من جرت ورس، أي: [بسم الله] (٢) جريها ورسوها، وهما مصدران. وقرأ الآخرون: «مجرها ومرساها» بضم الميمين من أجريت وأرسيست، أي: بسم الله إجرؤها وإرساؤها [وهما أيضاً مصدران] (٣)، كقوله: «أنزلني منزلاً مباركاً» (المؤمنون - ٢٩) و«أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق» (الإسراء - ٨٠) والمراد منها: الإنزال والإدخال والإخراج. ﴿إن ربي لغفور رحيم﴾، قال الضحاك: كان نوح إذا أراد أن تجري السفينة قال: بسم الله، فجرت، وإذا أراد أن ترسو قال: بسم الله، فرست .

﴿وهي تجري بهم في موج كالجبال﴾، والموج ما ارتفع من الماء إذا اشتدت عليه الرياح، شبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه على الماء. ﴿ونادى نوح ابنه﴾، كنعان، وقال عبيد بن عمير: سام، وكان كافراً، ﴿وكان في معزل﴾، عنه لم يركب في السفينة: ﴿يأبني اركب معنا﴾، [قرأ ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب] (٤) بإظهار الباء، والآخرون يدغمونها في الميم، ﴿ولا تكن مع الكافرين﴾، فهلك .

﴿قال﴾ له ابنه ﴿ساوي﴾، سأصير وألتجىء، ﴿إلى جبل يعصمني من الماء﴾، يمنعني من الغرق، ﴿قال﴾ له نوح ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله﴾، من عذاب الله، ﴿إلا من رحم﴾، قيل: «من» في محل الرفع، أي لا مانع من عذاب الله إلا الله الراحم. وقيل: «من» في محل النصب، معناه لا معصوم إلا من رحمه الله، كقوله: «في عيشة راضية» (الحاقة - ٢١) أي: مرضية، ﴿وحوال بينهما الموج فكان﴾، فصار، ﴿من المغرقين﴾ .

(١) ساقط من: «أ» .

(٢) ساقط من: «ب» .

(٣) ساقط من «أ». وانظر في هذه القراءات وتوجيهها: الطبري ١٥/٣٢٧-٣٣٠ .

(٤) ساقط من: «أ» .

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْهِ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى
الْجُودِيِّ وَقِيلَ بَعْدَ اللَّقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾

وروي أن الماء علا رؤوس الجبال قدر أربعين ذراعاً. [وقيل: خمسة عشر ذراعاً] (١).
وروي: أنه لما كثر الماء في السكك خشيت أم لصبي عليه، وكانت تحبه حباً شديداً، فخرجت إلى الجبل
حتى بلغت ثلثه، فلما بلغها الماء ارتفعت حتى بلغت ثلثيه، فلما بلغها ذهبت حتى استوت على الجبل، فلما
بلغ الماء رقيتها رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بها الماء، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي (٢).
﴿وقيل﴾، يعني: بعدما تنهى أمر الطوفان: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي﴾، تَشْرَبِي، ﴿مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ
أَقْلِعِي﴾، أمسكي، ﴿وَوَغِيضَ الْمَاءِ﴾، نقص ونضب، يقال: غاض الماء يغيض غيضاً إذا نقص، وغاضه
الله أي أنقصه، ﴿وَوُضِيَ الْأَمْرُ﴾ فرغ من الأمر وهو هلاك القوم ﴿وَاسْتَوَتْ﴾، يعني السفينة استقرت،
﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾، وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل، ﴿وَقِيلَ بَعْدَ﴾، هلاكاً، ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.
وروي أن نوحاً عليه السلام بعث الغراب ليأتيه بخبر الأرض فوقع على جيفة فلم يرجع فبعث
الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها ولطخت رجليها بالطين، فعلم نوح أن الماء قد نضب، فقيل إنه
دعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يألف البيوت، وطوق الحمامة الحضرة التي في عنقها ودعا لها بالأمان،
فمن ثم تأمن وتألف البيوت (٣).
وروي: أن نوحاً عليه السلام ركب السفينة لعشر مضت من رجب وجزت بهم السفينة ستة أشهر،
ومرت بالبيت فطافت به سبعاً (٤) وقد رفعه الله من الغرق وبقي موضعه، وهبطوا يوم عاشوراء، فصام
نوح، وأمر جميع من معه بالصوم شكراً لله عز وجل.

(١) ساقط من: «ب».

(٢) أخرجه الحاكم: ٣٤٢/٢ و صححه وقال الذهبي إسناداه مظلم، وموسى ليس بذلك .
وقد ذكر في القصة أن الله تعالى أيس أصلاب الآباء وأعقم أرحام النساء قبل العذاب بأربعين سنة، وقيل: بسبعين سنة، ولم يكن فيهم
صبي وقت العذاب، لقوله تعالى «وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم»، فلم يوجد التكذيب من الأطفال، فحكاية أم الصبي عجيبة .
ويمكن أن يقال: يجوز أن سن بلوغهم فوق السبعين لطول أعمارهم فكان فيهم الصبيان فعمتهم العذاب .
وقد يقال إن في ذلك روايتين: الأولى أنه أيس أصلاب آبائهم وأعقم أرحام نسائهم قبل العذاب بأربعين سنة أو سبعين، ولم يكن
فيهم صبي وقت العذاب. وفي رواية لم يكن ذلك الإيثار والإعقام، فيوجد فيهم الصبيان وقت العذاب تبعاً لآبائهم المكذبين في
عذاب الدنيا، أما في عذاب الآخرة ففيه مذهبان وقولان: فعند البعض هم في الآخرة مع آبائهم المكذبين، وعند البعض هم في
الجنة، وهو الأصح والأقوى. انتهى ملقطاً من حاشية «أ» بشيء من التصرف .

(٣) انظر فيما سلف ص (١٧٧) تعليق (٤) .

(٤) قال الساجي: حدثنا الربيع، حدثنا الشافعي قال: قيل لعبد الرحمن بن زيد: حدثك أبوك عن جدك أن رسول الله ﷺ قال: إن
سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً وصلت خلف المقام ركعتين؟ قال نعم .

وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِيَّكَ وَعَدَّكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ
أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ
مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونِ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾

وقيل: ما نجا من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق كان الماء إلى حجزته، وكان سبب نجاته أن نوحاً احتاج إلى خشب ساج للسفينة فلم يمكنه نقله فحملة عوج إليه من الشام، فنجاه الله تعالى من الغرق لذلك (١).

قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾، وقد وعدتني أن تنجيني وأهلي؟ ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾، لا خلف فيه، ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾، حكمت على قوم بالنجاة وعلى قوم بالهلاك.

﴿قَالَ﴾ الله عز وجل ﴿يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، قرأ الكسائي ويعقوب: ﴿عَمِلٌ﴾ بكسر الميم وفتح اللام «غير» بنصب الراء على الفعل، أي: عمل الشرك والتكذيب. وقرأ الآخرون بفتح الميم ورفع اللام وتنوينه، «غير» برفع الراء معناه: أن سؤالك إيتاي أن أنجيه عمل غير صالح، ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ﴾، يانوح، ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

قرأ أهل الحجاز والشام «فلا تسألن» (٢) بفتح اللام وتشديد النون، ويكسرون النون غير ابن كثير فإنه يفتحها، وقرأ الآخرون بجزم اللام وكسر النون خفيفة، ويثبت أبو جعفر وأبو عمرو وورش ويعقوب الياء في الوصل.

﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونِ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

= قال الساجي: وهو منكر الحديث، وقال الطحاوي: حديثه عند أهل العلم بالحديث في النهاية من الضعف، وقال الحاكم وأبو نعيم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة. انظر: التهذيب: ١٦٢/٦، والتعليق السابق.

(١) قال العلامة ابن القيم، رحمه الله، وقد ذكر حديث عوج بن عنق مثلاً على ما قامت الشواهد الصحيحة على بطلانه: «... وليس العجب من جرأة مثل هذا الكذب على الله، إنما العجب ممن يُدخل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير وغيره، ولا يبين أمره. وهذا عندهم من ذرية نوح، وقد قال الله تعالى: «وجعلنا ذريته هم الباقين» (الصفات: ٣٧) فأخبر أن كل من بقي على وجه الأرض فهو من ذرية نوح، فلو كان لعوج - هذا - وجود لم يبق بعد نوح. المنار النيف في الصحيح والضعيف ص (٧٧)، وانظر: رسالة السيوطي بعنوان: الأوج في خبر عوج، ضمن الحاوي للفتاوى: ٥٧٣/٢-٥٧٨، البداية والنهاية لابن كثير: ١١٤/١، الأسرار المرفوعة لملا علي القاري ص (٤٢٥-٤٢٧) مع تعليق المحقق.

(٢) في «ب»: (فلا تسألني).

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنَمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يُمَسِّحُهُمِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾

واختلفوا في هذا الابن؛^(١) قال مجاهد والحسن: كان ولد حنث^(٢) من غير نوح، ولم يعلم بذلك نوح، ولذلك قال: ﴿ما ليس لك به علم﴾ وقرأ الحسن «فخانتاهما» (التحريم - ١٠).

وقال أبو جعفر الباقر: كان ابن امرأته وكان يعلمه نوح ولذلك قال «من أهلي» ولم يقل مني . وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبيرة والضحاك والأكثر^(٣): إنه كان ابن نوح عليه السلام من صلبه. وقال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط. وقوله: ﴿إنه ليس من أهلك﴾ أي: من أهل الدين^(٤) /، لأنه كان مخالفاً له في الدين، وقوله: «فخانتاهما» أي: في الدين والعمل الصالح لا في الفراش .

وقوله: ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾، يعني: أن تدعو بهلاك الكفار ثم تسأل نجاة كافر .
﴿قال﴾ نوح ﴿ربِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .

﴿قِيلَ يَنُوحُ أَهْبِطْ﴾ إنزل من السفينة، ﴿بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾، أي [بأمن وسلامة منّا]^(٥)، ﴿وَبَرَكَاتٍ﴾

(١) انظر في هذه الأقوال: الطبري: ٣٤٠-٣٤٦ .
(٢) في «أ»: (خبث). و«الحنث» (بكسر الحاء وسكون النون): الذنب والمعصية. وفي الحديث: «يكثُر فيهم أولاد الحنث» أي: أولاد الزنا. ويروى: «الحنث» (بالحاء مضمومة والياء) من «الحنث» وهو الفساد والفجور .
وفي الحديث: «إذا كثرت الحنث كان كذا وكذا...» أي: الفسق والفجور. وفي الحديث: «أنه أتى برجل مخدج سقيم، وجد مع أمه يجثب بها» أي: يزي بها ويقال: «هو ابن خبثة» لابن الزنية، ولد لغير رشدة .
انظر: تعليق الشيخ محمود شاكر على الطبري: ٣٤٠/١٥ .
(٣) وهو ما رجحه الطبري، قال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: إنه ليس من أهلك الذين وعدتكم أن أنجيهم، لأنه كان لدينك مخالفاً وبني كافرًا = وكان ابنه، لأن الله تعالى ذكره قد أخبر نبيه محمداً ﷺ أنه ابنه فقال: «ونادى نوح ابنه»، وغير جائز أن يخبر أنه «ابنه» فيكون بخلاف ما أخبر. وليس في قوله: «إنه ليس من أهلك» دلالة على أنه ليس بابنه، إذ كان قوله «ليس من أهلك» محتملاً من المعنى ما ذكرنا، ومحتملاً «إنه ليس من أهل دينك» ثم يحذف «الدين» فيقال: «إنه ليس من أهلك» كما قيل: «واسأل القرية التي كنا فيها» (يوسف - ٨٢) .
انظر: الطبري: ٣٤٦/١٥ .

(٤) في «ب»: (دينك) .

(٥) ساقط من «ب» .

تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ
 هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ
 اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا
 أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
 وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ
 قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾

عليك ﴿﴾ البركة هي: ثبوت الخير، ومنه: بרוك البعير. وقيل: البركة هاهنا هي: أن الله تعالى جعل ذريته
 همُ الباقيين إلى يوم القيامة، ﴿وعلى أمم مَّمَّنَ مَعَكَ﴾، أي: على ذرية أمم ممن كان معك في السفينة،
 يعني على قرون تجميء من بعدك، من ذرية من معك، من ولدك وهم المؤمنون، قال محمد بن كعب
 القرظي: دخل فيه كل مؤمن إلى قيام الساعة ﴿وَأُمَّم سَمَّتُهُمْ﴾، هذا ابتداء، أي: أمم سمنتمهم في
 الدنيا، ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وهم الكافرون وأهل الشقاوة .

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾، أخبار الغيب، ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ
 قَبْلِ هَذَا﴾، من قبل نزول القرآن، ﴿فَاصْبِرْ﴾، على القيام بأمر الله وتبليغ الرسالة وما تلقى من أذى
 الكفار كما صبر نوح، ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ آخر الأمر بالسعادة والنصرة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ .
 قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ أي: وأرسلنا إلى عاد، ﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾، في النسب لا في الدين، ﴿قَالَ﴾
 يا قوم اعبدوا الله، ﴿[وَحَدُوا اللَّهَ]﴾^(١) ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾، ما أنتم [في
 إشراككم]^(٢) إلا كاذبون .

﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، أي: على تبليغ الرسالة، ﴿أَجْرًا﴾، جعلاً، ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾، ما ثوابي،
 ﴿إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي﴾، خلقتني، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ .

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾، أي: آمنوا به، والإستغفار ها هنا بمعنى الإيمان، ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾، من
 عبادة غيره ومن سالف ذنوبكم، ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾، أي: يرسل المطر عليكم متتابعاً، مرة
 بعد أخرى في أوقات الحاجة، ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾، أي: شدة مع شدتكم. وذلك أن الله عز وجل

(١) ساقط من «ب» .

(٢) ساقط من «ب» .

قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ
وَأَشْهَدُوْا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ
﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

حبس عنهم القطر ثلاث سنين، وأعقم أرحام نسائهم فلم يلدن، فقال لهم هود عليه السلام: إن آمنتم أرسل الله عليكم المطر، فتزدادون مالا، ويعيد أرحام الأمهات إلى ما كانت، فيلدن فتزدادون قوة بالأموال والأولاد. وقيل: تزدادون قوة في الدين إلى قوة البدن. ﴿ولا تتولوا مجرمين﴾، أي: لا تدبروا مشركين. ﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببينة﴾، أي: ببرهان وحجة واضحة على ما تقول، ﴿وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك﴾، أي: بقولك، ﴿وما نحن لك بمؤمنين﴾، بمصدقين.

﴿إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا﴾ أي: أصابك بسوء يعني: لست تتعاطى ما نتعاطاه من مخالفتنا وسب آلهتنا إلا أن^(١) بعض آلهتنا، اعتراك، أي: أصابك بسوء بجل وجنون، وذلك أنك سببت آلهتنا فانتقموا منك بالتخييل لا نحمل أمرك إلا على هذا، ﴿قال﴾، لهم هود، ﴿إني أشهد الله﴾، على نفسي، ﴿واشهدوا﴾، يا قوم ﴿إني بريء مما تشركون﴾. ﴿من دونه﴾، يعني: الأوثان، ﴿فكيدوني جميعا﴾، فاحتالوا في مكرهم^(٢) وضرى أنتم وأوثانكم، ﴿ثم لا تنظرون﴾ [لا تؤخرون ولا تمهلون]^(٣).

﴿إني توكلت﴾ أي: اعتمدت ﴿على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها﴾ قال الضحاك: يحبها ويميتها.

قال الفراء: مالكها والقادر عليها.

وقال الفتيبي: يقهرها، لأن من أخذت بناصيته فقد قهرته.

وقيل: إنما خص الناصية بالذكر لأن العرب تستعمل ذلك إذا وصفت إنساناً بالذلة، فتقول: ناصية فلان بيد فلان، وكانوا إذا أسروا إنساناً وأرادوا إطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليعتدوا بذلك فخراً عليه، فحاطبهم الله بما يعرفون.

(١) في «ب»: (إلا لأن).

(٢) في «ب»: (مكري).

(٣) زيادة من المطبوع.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَا هُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ آيَاتُ الَّتِي نُرْسِلُ بِهَا الرُّسُلَ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادُوا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ الْعَادِ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾

﴿إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، يعني: إن ربي وإن كان قادراً عليهم فإنه لا يظلمهم ولا يعمل إلا بالإحسان والعدل، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بعصيانه. وقيل: معناه إن دين ربي إلى صراط مستقيم . وقيل (١): فيه إضمار، أي: إن ربي يحثكم ويحملكم على صراط مستقيم .

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أي: تتولوا، يعني: تعرضوا عما دعوتكم إليه، ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾، أي: إن أعرضتم يهلككم الله عز وجل ويستبدل بكم قوماً غيركم أطوع منكم، يوحدونه ويعبدونه، ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾، بتوليكم وإعراضكم، إنما تضرون أنفسكم. وقيل: لاتنقصونه شيئاً إذا أهلككم لأن وجودكم وعدمكم عنده سواء، ﴿إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾، أي: لكل شيء حافظ، يحفظني من أن تنالوني بسوء .

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، عذابنا، ﴿وَنَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، وكانوا أربعة آلاف . ﴿بِرَحْمَةٍ﴾ بنعمة ﴿مِنَّا وَنَجَّيْنَا هُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾، وهو الریح التي أهلك بها عاداً، وقيل: العذاب الغليظ: عذاب يوم القيامة، أي: كما نجيناهم في الدنيا من العذاب كذلك نجيناهم في الآخرة . ﴿وَتِلْكَ آيَاتُ﴾، رده إلى القبيلة، ﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾، يعني: هوداً وحده، ذكره بلفظ الجمع لأن من كذب رسولاً كان كمن كذب جميع الرسل، ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي: واتبع السفلة والسقاط أهل التكبر والعناد، والجبار: المتكبر، والعنيد: الذي لا يقبل الحق، يقال: عنَد الرجل يعند عنوداً إذا أبى أن يقبل الشيء وإن عرفه. قال أبو عبيدة (٢): العنيد والعائد والعنود والمعاند: المعارض لك بالخلاف .

﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ﴾، أي: أُرِدُّوْا لَعْنَةَ تَلْحَقُهُمْ وَتَنْصَرِفُ مَعَهُمْ، واللعنة: هي الإبعاد والطرْد عن الرحمة، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أي: وفي يوم القيامة أيضاً لعنوا كما لعنوا في الدنيا والآخرة، ﴿إِلَّا إِنْ

(١) ساقط من (ب) .

(٢) في (ب): (عبيد) .

﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ
 أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾
 قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي
 شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٦٢﴾﴾

عاداً كفروا ربهم ﴿٦١﴾، أي: برهم، [يقال: كفرته وكفرت به، كما] (١) يقال: شكرته وشكرت له
 ونصحته ونصحت له. ﴿الْأَبْعَادُ لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾، قيل: بعداً من رحمة الله. وقيل: هلاكاً. ولْيَبْعُدْ
 معنيان: أحدهما ضد القرب، يقال منه: بَعُدَ يَبْعُدُ بُعْدًا، [والآخر: بمعنى الهلاك، يقال: منه يَبْعُدُ يَبْعُدُ
 بُعْدًا وَبُعْدًا] (٢).

قوله تعالى: ﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾، أي: أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً في النسب [لا في
 الدين] (٣)، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وَحَدُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ (٤)، ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ
 الْأَرْضِ﴾، ابتداء خلقكم، ﴿مَنْ الْأَرْضِ﴾، وذلك أنهم من آدم عليه السلام وآدم خلق من الأرض،
 ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، أي: جعلكم عمّارها وسكّانها، قال الضحاك: أطال عمركم فيها حتى كان الواحد
 منهم يعيش ثلاثمائة سنة إلى ألف سنة، وكذلك / قوم عاد .

أ / ١٧٦

قال مجاهد: أَعْمَرَكُمْ مِنَ الْعُمَرَى، أي: جعلها لكم ما عشم. وقال قتادة: أسكنكم فيها .

﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾، من المؤمنين، ﴿مُجِيبٌ﴾ لدعائهم .

﴿قَالُوا﴾، يعني ثمود، ﴿يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾، القول، [أي: كنا نرجوا] (٥) أن
 تكون سيداً فِينَا. وقيل: كنا نرجوا أن تعود إلى ديننا، وذلك أنهم كانوا يرجون رجوعه إلى دين عشيرته،
 فلما أظهر دعاءهم إلى الله عزّ وجلّ وترك الأصنام زعموا أن رجاءهم انقطع عنه، فقالوا ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ
 مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [من قَبْلُ] (٦)، من الآلهة، ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾، موقع للريبة
 والتهمة، يقال: أربته إرابةً إذا فعلت به فعلاً يوجب له الريبة .

(١) ساقط من «ب» .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) في «ب»: (وَحَدُّوهُ) .

(٥) ساقط من «ب» .

(٦) ساقط من «ب» .

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَتْكُم مِّنهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ، فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾

﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَتْكُم مِّنهُ رَحْمَةً﴾، نبوة وحكمة، ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾، أي: من ينعني من [عذاب] (١) الله، ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾، قال ابن عباس: معناه: غير بصارة في خسارتكم.

قال الحسين (٢) بن الفضل: لم يكن صالح عليه السلام في خسارة حتى قال: «فما تزيدونني غير تخسير»، وإنما المعنى: ما تزيدونني بما تقولون إلا نسبتي إليكم إلى الخسارة. والتفسيق والتفجير في اللغة هو: النسبة إلى الفسق والفجور، وكذلك التخسير هو: النسبة إلى الخسران.

﴿وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾، نصب على الحال والقطع، وذلك أن قومه طلبوا منه أن يخرج ناقةً عُشْرَاءَ من هذه الصخرة، وأشاروا إلى صخرة، فدعا صالح عليه السلام فخرجت منها ناقة وولدت في الحال ولداً مثلها (٣)، فهذا معنى قوله: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾، من العشب والنبات فليست عليكم مؤنتها، ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾: ولا تصيبيها بعقر، ﴿فَيَأْخُذْكُمْ﴾، إن قتلتموها، ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ﴾، لهم صالح، ﴿تَمَتَّعُوا﴾، عيشوا (٤)، ﴿فِي دَارِكُمْ﴾، أي: في دياركم، ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾، ثم تهلكون، ﴿ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْذُوبٍ﴾، أي: غير كذب. روي أنه قال لهم: يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام فتصبحون في اليوم الأول ووجوهكم مُصْفَرَّةٌ، وفي اليوم الثاني مُحْمَرَّةٌ، وفي اليوم الثالث مسوَّدةٌ، فكان كما قال، وأتاهم العذاب اليوم الرابع.

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب»: (الحسن).

(٣) انظر فيما سبق، سورة الأعراف: ٢٤٩/٣-٢٥٠.

(٤) في «ب»: (تعيشوا).

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ
يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا
فِي دِيَارِهِمْ جَثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا إِن تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا
لِتَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلِّمْ فَلَا تَلِثَ
أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾، بنعمة منا، ﴿وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾، أي: من عذابه وهوانه. قرأ أبو جعفر ونافع والكسائي: «خزي يومئذ» و«عذاب يومئذ» بفتح الميم. وقرأ الباقر بالكسر. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، كفروا، ﴿الصَّيْحَةَ﴾، وذلك أن جبريل عليه السلام صاح عليهم صيحة واحدة فهلكوا جميعاً. وقيل: أتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض، فتقطعت قلوبهم في صدورهم. وإنما قال: «وأخذ» الصيحة مؤنثة، لأن الصيحة بمعنى الصباح. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِمِينَ﴾، صرعى هلكى.

﴿كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾، يقيموا ويكونوا فيها ﴿إِلَّا إِن تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا لِتَمُودَ﴾، قرأ حمزة وحفص ويعقوب: «تمود» غير منون، وكذلك في سورة الفرقان والعنكبوت والنجم، وافق أبو بكر في النجم، وقرأ الباقر بالتنونين، وقرأ الكسائي: «لتمود» بخصف الدال والتنونين، والباقر بنصب الدال، فمن جرّه فلأنه اسم مذكر، ومن لم يجره جعله إسماً للقبيلة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى﴾، أراد بالرسول الملائكة. واختلفوا في عددهم^(١)، فقال ابن عباس وعطاء: كانوا ثلاثة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل. وقال الضحاك: كانوا تسعة.

وقال مقاتل: كانوا إثني عشر ملكاً.

وقال محمد بن كعب: كان جبريل ومعه سبعة.

وقال السدي: كانوا أحد عشر ملكاً على صورة الغلمان الوداء وجوههم.

﴿بِالْبَشْرَى﴾ بالبخارة بإسحاق ويعقوب. وقيل: بإهلاك قوم لوط.

(١) انظر في هذه الأقوال: البحر المحيط: ٢٤١/٥.

فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا
 أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ
 إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

﴿قالوا سلاماً﴾، أي: سلّموا سلاماً، ﴿قال﴾ إبراهيم ﴿سلاماً﴾، أي: عليكم سلام: وقيل: هو رفع على الحكاية، كقوله تعالى: «وقولوا حطة» (البقرة ٨٥ والأعراف ١٦١)، وقرأ حمزة والكسائي «سلّم» هاهنا وفي سورة الذاريات بكسر السين بلا ألف. قيل: هو بمعنى السلام. كما يقال: جلّ وحلال، وجرم وحرام. وقيل: هو بمعنى الصلح، أي: نحن سلم أي صلح لكم غير حرب .

﴿فلما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾، والحنيذ والحنوذ: هو المشوي على الحجارة في تحذ من الأرض، وكان سميئاً يسيل دسماً، كما قال في موضع آخر: «فجاء بعجل سمين» (الذاريات — ٢٦): قال قتادة: كان عامة مال إبراهيم البقر .

﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه﴾، أي: إلى العجل، ﴿نكّرهم﴾، أنكرهم، ﴿وأوجس﴾، أضر، ﴿منهم خيفة﴾، خوفاً. قال مقاتل: وقع في قلبه، وأصل الوجوس: الدخول، كان الخوف دخل قلبه. وقال قتادة: وذلك أنهم كانوا إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يأت بخير وإنما جاء بشرّ. ﴿قالوا لا تخف﴾، يا إبراهيم [إنا رسل ربك. يعني:]^(١)، ﴿إنا﴾ ملائكة الله ﴿أرسلنا إلى قوم لوط﴾ .

﴿وامراته﴾ سارة بنت هاران بن أهور^(٢) وهي ابنة عم إبراهيم. ﴿قائمة﴾ من وراء الستر تسمع كلامهم. وقيل: كانت قائمة تخدم الرسل، وإبراهيم جالس معهم. ﴿فضحكت﴾، قال مجاهد وعكرمة: ضحكت أي: حاضت في الوقت، تقول العرب: ضحكت الأرب، أي: حاضت والأكثرون على أن المراد منه الضحك المعروف .

واختلفوا في سبب ضحكها، قيل: ضحكت لزوال الخوف عنها وعن إبراهيم حين قالوا لا تخف. وقال السدي: لما قرب إبراهيم الطعام إليهم فلم يأكلوا خاف إبراهيم وظنهم لصوصاً فقال لهم: ألا تأكلون؟ قالوا: إنا لا نأكل طعاماً إلا بثمن، قال إبراهيم: فإن له ثمناً، قالوا وما ثمنه؟ قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره، فنظر جبريل إلى ميكائيل وقال: حق لهذا أن يتخذه ربّه خليلاً. فلما رأى إبراهيم وسارة أيديهم لا تصل إليه ضحكت سارة، وقالت: يا عجباً لأضيافنا إنا نخدمهم بأنفسنا تكراً لهم وهم لا يأكلون طعامنا .

(١) زيادة من «ب» .

(٢) في «ب»: (ماخوذ) .

قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾
 قَالُوا أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ
 مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾

وقال قتادة: ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم .

وقال مقاتل والكلبي: ضحكت من خوف إبراهيم من ثلاثة [في بيته] ^(١) وهو فيما بين خدمه وحشمه .

وقيل: ضحكت سروراً بالشارة .

وقال ابن عباس وهب: ضحكت تعجباً من أن يكون لها ولد على كبر سنّها وسنّ زوجها . وعلى هذا القول تكون الآية على التقديم والتأخير، تقديره: وأمرأته قائمة فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فضحكت، وقالت: يا ويلتى ألدُّ وأنا عجوزٌ؟ .

قوله تعالى: ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق﴾، أي: من بعد إسحاق، ﴿يعقوب﴾، أراد به والدا لولد فبشرت أنها تعيش حتى / ترى ولد ولدها قرأ ابن عامر وحمة وحفص ويعقوب بنصب الباء، أي: من وراء إسحاق يعقوب. وقيل: بإضمام فعل، أي: ووهبنا له [من وراء] ^(٢) يعقوب. وقرأ الباقون بالرفع على حذف حرف الصفة. وقيل: ومن بعد إسحاق يحدث يعقوب، فلما بشرت بالولد ضحكت فصكت وجهها، أي: ضربت وجهها تعجباً .

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَا﴾، نداء ندبة ^(٣) وهي كلمة يقوها الإنسان عند رؤية ما يتعجب منه، أي: يا عجباً. والأصل يا ويلتنا. ﴿أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾، وكانت ابنة تسعين سنة في قول ابن إسحاق. وقال مجاهد: تسعاً وتسعين سنة. ﴿وهذا بعلي﴾، زوجي، سمي بذلك لأنه قيم أمرها، ﴿شيخاً﴾؛ نصب على الحال، وكان سن إبراهيم مائة وعشرين سنة في قول ابن إسحاق. وقال مجاهد: مائة سنة، وكان بين البشارة والولادة سنة، ﴿إن هذا لشيءٌ عجيبٌ﴾ .

﴿قالوا﴾، يعني الملائكة، ﴿أتعجبين من أمر الله﴾، معناه: لا تعجبين من أمر الله، فإن الله عز وجل إذا أراد شيئاً كان. ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾، أي: بيت إبراهيم عليه السلام. قيل: هذا على معنى الدعاء من الملائكة، وقيل: معنى الخير والرحمة والنعمة .

(١) ساقط من «ب» .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) في «ب»: (تعجب) .

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ مُجْدِلَاتٍ لِّمُؤْمِنِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ
 لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَّبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ
 عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءً بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ
 هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾

والبركات جمع البركة، وهي ثبوت الخير. وفيه دليل على أن الأزواج من أهل البيت .
 ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾، فالحميد: المحمود في أفعاله، والمجيد: الكريم، وأصل المجد الرفعة .
 ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾، الخوف، ﴿وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ﴾، بإسحاق ويعقوب،
 ﴿مُجَادِلَاتٍ فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾، فيه إضمار، أي: أخذ وظل يجادلنا .

قيل: معناه يكلمنا لأن إبراهيم عليه السلام لا يجادل ربه عز وجل إنما يسأله ويطلب إليه .
 وقال عامة أهل التفسير: معناه يجادل رسلنا، وكانت مجادلته أنه قال للملائكة: رأيتم لو كان في مدائن
 لوط خمسون من المؤمنين أتهلكونهم؟ قالوا: لا، قال: أو أربعون؟ قالوا: لا، قال: أو ثلاثون؟ قالوا: لا، حتى بلغ
 خمسة، [قالوا: لا] (١)، قال: رأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها؟ قالوا: لا، قال إبراهيم عليه السلام
 عند ذلك: إن فيها لوطاً. قالوا: نحن أعلم بمن فيها، لننجينه وأهله إلا أمرته كانت من الغابرين .
 ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾، قال ابن جريج: وكان في قرى قوم لوط أربعة آلاف ألف، فقالت
 الرسل عند ذلك لإبراهيم .

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾، أي: أعرض عن هذا المقال ودع عنك الجدال، ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ
 رَبِّكَ﴾، أي، عذاب ربك [وحكم ربك] (١)، ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ﴾، نازل بهم، ﴿عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾، أي:
 غير مصروف عنهم .

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾، يعني: هؤلاء الملائكة، ﴿لُوطًا﴾، على صورة غلمان مرد حسان
 الوجوه، ﴿سِئَاءَ بِهِمْ﴾، أي: حزن لوط بمجيئهم، يقال: سؤته فسيء، كما يقال: سررته ففسر. ﴿وَضَاقَ
 بِهِمْ ذَرْعًا﴾، أي: قلباً. يقال: ضاق ذرع فلان بكذا: إذا وقع في مكره لا يطيق الخروج منه، وذلك أن
 لوطاً عليه السلام لما نظر إلى حسن وجوههم وطيب روائحهم أشفق عليهم من قومه أن يقصدوهم
 بالفاحشة، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عنهم .

﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾، أي: شديد كأنه عصب به الشر والبلاء، أي: شد .

(١) ساقط من «ب» .

وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُ يهرعون إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقُومِ
هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ

رَشِيدٌ ٧٨

قال قتادة والسدي: خرجت الملائكة من عند إبراهيم عليه السلام نحو قرية لوط فأتوا لوطاً نصف
النهار، وهو في أرض له يعمل فيها .

وقيل: إنه كان يحتطب. وقد قال الله تعالى لهم: لا تهلکوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات،
فاستضافوه فانطلق بهم، فلما مشى ساعة قال لهم: ما بلغكم أمر أهل هذه القرية؟ قالوا: وما أمرهم؟
قال: أشهد بالله إنها لشرُّ قرية في الأرض عملاً. يقول ذلك أربع مرات، فدخلوا معه منزله .

وروي: أنه حمل الحطب وتبعته الملائكة فمرّ على جماعة من قومه فغمزوا فيما بينهم، فقال لوط: إن
قومي شر خلق الله، ثم مرّ على قوم آخرين، فغمزوا، فقال مثله، ثم مرّ بقوم آخرين فقال مثله، فكان
كلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة: اشهدوا، حتى أتى منزله .

وروي: أن الملائكة جاؤوا إلى بيت لوط فوجدوه في داره ولم يعلم بذلك أحد إلا أهل بيت لوط،
فخرجت امرأته فأخبرت قومها، وقالت: إن في بيت لوط رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قط^(١) .

﴿وجاءه قومه يهرعون إليه﴾، قال ابن عباس [وقتادة]^(٢): يسرعون إليه. وقال مجاهد: يهرولون، وقال
الحسن: مشي بين مشيتين. وقال شمر بن عطية: بين الهرولة [والجمز]^(٣) .

﴿ومن قبل﴾، أي: من قبل مجيئهم إلى لوط، ﴿كانوا يعملون السيئات﴾، كانوا يأتون الرجال في
أدبارهم. ﴿قال﴾، لهم لوط حين قصدوا أضيافه وظنوا أنهم غلمان، ﴿ياقوم هؤلاء بناتي هن أطهر
لكم﴾، يعني: بالتزويج، وفي^(٤) أضيافه بيناته، وكان في ذلك الوقت، تزويج المسلمة من الكافر جائزاً كما
زوج النبي ﷺ ابنته من عتبة بن أبي لهب، وأبي العاص بن الربيع قبل الوحي، وكانا كافرين^(٥) .
وقال الحسين بن الفضل: عرض بناته عليهم بشرط الإسلام .

وقال مجاهد وسعيد بن جبیر: قوله: ﴿هؤلاء بناتي﴾، أراد: نساءهم، وأضاف إلى نفسه لأن كل

(١) انظر: الطبري: ٤٠٨-٤٠٩، ٤٢٤-٤٢٥، الدر المنثور: ٤/٤٥٧ وما بعدها .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) في «ب»: (الخبب) .

(٤) هكذا في الأصل، ولعلها «وق» .

(٥) ذكره ابن هشام والطبراني والبيهقي في الدلائل انظر: الكافي الشاف ص (٨٦-٨٧) .

قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَالَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ
 أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْ
 بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ الْبَيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكْرَهُ إِنَّهُ مُمْصِيتُهَا مَا أَصَابَهُمْ
 إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

نبي أبو أمته. وفي قراءة أبي بن كعب: «النبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ» (الأحزاب — ٦) وهو أب لهم .

وقيل: ذكر ذلك على سبيل الدفع لا على التحقيق، ولم يرضوا هذا .

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ فِي ضَيْفِي﴾، [أي: خافوا الله ولا تخزون في ضيفي] (١)، أي: لا تسؤوني ولا تفضحوني في أضيافي. ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾، صالح سديد. قال عكرمة: رجل يقول لإله إلا الله. وقال ابن إسحاق: رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾، يالوط، ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ﴾، أي: لسن أزواجاً لنا فنستحقهن بالنكاح. وقيل: معناه مألنا فيهن من حاجة وشهوة. ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾، من إتيان الرجال .

﴿قَالَ﴾، لهم لوط عند ذلك: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾، أراد قوة البدن، أو القوة بالأتباع، ﴿أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، أي: انضم إلى عشيرة مانعة. وجواب «لو» مضمرة أي لقاتلناكم وحلنا بينكم وبينهم قال أبو هريرة: ما بعث الله بعده نبياً إلا في منعة من عشيرته .

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، أنبأنا أبو اليمان، أنبأنا شعيب بن أبي حمزة، أنبأنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَغْفِرُ اللَّهُ لِلْوَطِ إِنْ كَانَ لِيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ» (٢) .

قال ابن عباس وأهل التفسير: أغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار، وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب /، وهم يعالجون تسوّر الجدار، فلما رأت الملائكة ما يلقي لوط بسببهم:

﴿قَالُوا يَالْوَطُ﴾، إن ركنك لشديد، ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾، فافتح الباب ودعنا وإيأهم، ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه عز وجل في عقوبتهم، فأذن له، فقام في الصورة التي

(١) ساقط من «ب» .

(٢) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب «ولوطاً إذ قال لقومه: أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون» : ٤١٥/٦ .

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ

يكون فيها فنشر جناحه وعليه وشاح من دُرٍّ منظوم، وهو بَرَّاق الشنايا، أجلى الجبين، ورأسه حُبْكٌ^(١) مثل المرجان، كأنه الثلج بياضاً وقدماه إلى الخضرة، فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم، فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء، فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض سحرونا، وجعلوا يقولون: يالوط كما أنت حتى تصبح فسترى ما تلقى منا غداً. يُوعِدُونَهُ، فقال^(٢) لوط للملائكة: متى موعد إهلاككم؟ فقالوا: الصبح، قال: أريد أسرع من ذلك فلو أهلكتموهم الآن، فقالوا ﴿أليس الصبح بقريب﴾؟ ثم قالوا، ﴿فأسر﴾، يا لوط، ﴿بأهلك﴾ .

قرأ أهل الحجاز «فأسر وإن أسر» بوصل الألف [حيث وقع في القرآن]^(٣) من سرى يسري، وقرأ الباقون بقطع الألف من أسرى يسري، ومعناها واحد وهو المسير بالليل .

﴿يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ﴾، قال ابن عباس: بطائفة من الليل. وقال الضحاك: ببقية. وقال قتادة: بعد مضى أوله وقيل: إنه السحر الأول .

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «امراتك» برفع التاء على الاستثناء من الالتفات، أي: لا يلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتك فإنها تلتفت فتهلك، وكان لوط قد أخرجها معه، ونهى من تبعه، ممن أسرى بهم أن يلتفت، سوى^(٤) زوجته، فإنها لما سمعت هدة العذاب التفتت، وقالت: يا قوماه، فأدركها حجر فقتلها .

وقرأ الآخرون: بنصب التاء على الاستثناء من الإساءة، أي: فأسر بأهلك إلا امرأتك فلا تسر بها وخلفها مع قومها، فإن هوارها إليهم، وتصديقُه قراءة ابن مسعود «فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك ولا يلتفت منكم أحد» .

﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾، من العذاب، ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾، أي: موعد هلاكهم وقت الصبح، فقال لوط: أريد أسرع من ذلك، فقالوا ﴿أليس الصبح بقريب﴾ .

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا، ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾، وذلك أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قرى قوم لوط المؤتفكات وهي خمس مدائن، وفيها أربعمئة ألف. وقيل: أربعة آلاف ألف، فرفع المدائن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة، ونياح الكلاب، فلم يكفأ لهم إناءً ولم ينتبه نائم، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾، أي على شذاذها ومسافريها. وقيل: بعدما قلبها أمطر

(١) يعني «حبك الشعر» وهو الجعد المتكسر منه. وانظر: الطبري: ٤٣٠/١٥ مع التعليق عليه .

(٢) هكذا في المخطوط. وفي المطبوع جاء قبل قول لوط: «قالت الملائكة: لا تحف، إنا أرسلنا لإهلاككم، فقال لوط...» .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) هكذا في الأصل وفي المطبوع ولعلها: فلم يلتفت سوى زوجته - كما جاء في هامش «أ» .

مَنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ وَإِلَى
 مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا
 الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرِيدُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾

عليها، ﴿حجارةٌ من سجيل﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير: (سك وكل) فارسي معرب .
 وقال قتادة وعكرمة: السجيل الطين، دليله قوله عز وجل: «لنرسل عليهم حجارةً من طين»
 (الذاريات — ٣٣) .

قال مجاهد^(١): أولها حجر وآخرها طين .

وقال الحسن: كان أصل الحجارة طيناً فشددت .

وقال الضحاك: يعني الآجر .

وقيل: السجيل اسم السماء الدنيا^(٢) .

وقيل: هو جبال في السماء، قال الله تعالى: «وينزل من السماء من جبال فيها من برد» (النور — ٤٣) .

قوله تعالى: ﴿منضود﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: متتابع، يتبع بعضها بعضاً، مفعول من

النضد، وهو وضع الشيء بعضه فوق بعض .

﴿مُسَوِّمَةٌ﴾، من نعت الحجة، وهي نصب على الحال، ومعناها معلمة: قال ابن جريج: عليها سيما

لا تشاكل حجارة الأرض .

وقال قتادة وعكرمة: عليها خطوط حمر على هيئة الجزع .

وقال الحسن والسدي: كانت مختومة عليها أمثال الخواتيم .

وقيل: مكتوب على كل حجر اسم من رمي به .

﴿عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ﴾، يعني: تلك الحجارة، ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، أي: من مشركي مكة، ﴿بِبعِيدٍ﴾،

وقال قتادة وعكرمة: يعني ظلمي هذه الأمة، والله ما أجار الله منها ظالماً بعد .

وفي بعض الآثار: «مَا مِنْ ظَالِمٍ إِلَّا وَهُوَ بَعْرُضُ حَجَرٍ يَسْقُطُ عَلَيْهِ مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ» .

وروي: أن الحجر أتبع شذاذهم ومسافرهم أين كانوا في البلاد، ودخل رجل منهم الحرم فكان الحجر

معلقاً في السماء أربعين يوماً حتى خرج فأصابه فأهلكه .

قوله عز وجل: ﴿وإلى مَدْيَنَ﴾، أي: وأرسلنا إلى ولد مدين، ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا

(١) في «ب»: قال ابن عباس .

(٢) قاله أبو العالية وابن زيد. وهذا ضعيف، لوصفه بـ «منضود». انظر: البحر المحيط: ٢٤٩/٥ .

وَيَقَوْمٍ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۗ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ
وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرِكَ مَا يَعْبُدُ
آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾

اللَّهُ ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴿٨٥﴾، أي: لا تبخسوا، وهم كانوا يطففون مع شريكهم،
﴿إني أراكم بخير﴾، قال ابن عباس: موسرين في نعمة. وقال مجاهد: في خصب وسعة، فحذرهم زوال
النعمة، وغلاء السعر، وحلول النعمة، إن لم يتوبوا. فقال: ﴿وإني أخاف عليكم عذاب يومٍ مَحِيظٍ﴾،
يحيط بكم فيهلككم .

﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان﴾، أتموها، ﴿بالقسط﴾، بالعدل. وقيل: بتقويم لسان الميزان،
﴿ولا تبخسوا﴾، لا تنقصوا، ﴿الناسَ أشياءَهُم ولا تعتوا في الأرضِ مُفسدين﴾ .

﴿بقيتُ الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني ما أبقى الله لكم
من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن خيرٌ مما تأخذونه بالتطيف. وقال مجاهد: بقية الله: أي طاعة الله،
خير لكم إن كنتم مؤمنين بأن ما عندكم من رزق الله وعطائه. ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾، بوكيل. وقيل:
إنما قال ذلك لأنه لم يؤمر بقتالهم .

﴿قالوا يا شعيبُ أصلائك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾، من الأوثان. قال ابن عباس رضي الله
عنهما: كان شعيب عليه السلام كثير الصلاة. لذلك قالوا هذا. وقال الأعمش: يعني: أقرأتكَ. ﴿أو أن
نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ من الزيادة والنقصان .

وقيل: كان شعيب عليه السلام نهاهم عن قطع الدينار والدرهم وزعم أنه محرم عليهم، فقالوا: أو أن
نفعل في أموالنا ما نشاء من قطعها^(١) .

﴿إنك لانت الحليم الرشيد﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أرادوا: السفية الغاوي، والعرب
تصف الشيء بضده فتقول: للديغ سليم وللفلانة مفازة. [وقيل]^(٢): قالوه على وجه الاستهزاء .
وقيل: معناه الحليم الرشيد بزعمك .

وقيل: هو على الصحة أي إنك يا شعيب فينا حليم رشيد، لا يجمل بك شق عصا قومك ومخالفة
دينهم، كما قال قوم صالح عليه السلام: «قد كنت فينا مرجوًّا قبل هذا» (هود - ٦٢) .

(١) انظر: الطبري: ٤٥٠/١٥-٤٥١ .

(٢) في «ب»: (وقد) وهو أليق بالسياق .

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا تَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثَابَرُوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾

﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾، بصيرة وبيان، ﴿مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾، حلالاً. وقيل: كثيراً. وكان شعيب / عليه السلام كثير المال. وقيل: الرزق الحسن: العلم والمعرفة. ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ﴾، أي: ما أريد أن أنهأكم عن شيء ثم أرتكبه. ﴿إِنْ أُرِيدُ﴾، ما أريد فيما [أمركم به وأنهأكم عنه] (١) ﴿إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾، والتوفيق: تسهيل سبيل الخير والطاعة. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، اعتمدت، ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾، أرجع فيما ينزل بي من النوائب. وقيل: في المعاد .

١٧٧/ ب

﴿وَيَقَوْمِ لَا تَجْرِمَنَّكُمْ﴾، لا يحملتكم، ﴿شِقَاقِي﴾، خلافي ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾، أي: على فعل ما أنهأكم عنه، ﴿مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾، من الغرق، ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾، من الريح، ﴿أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾، من الصيحة، ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ﴾، وذلك أنهم كانوا [حديثي عهد بهلاك] (٢) قوم لوط . [وقيل معناه وما دار قوم لوط منكم ببعيد، وذلك أنهم كانوا جيران قوم لوط] (٣) .

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثَابَرُوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾، وللودود (٤) معنيان: أحدهما، أنه محب للمؤمنين، وقيل: هو بمعنى المودود أي محبوب المؤمنين. وجاء في الخبر: إن شعيباً عليه السلام كان خطيب الأنبياء عليهم السلام (٥) .

(١) في «ب»: (أمرتكم به إلى ما أنهأكم عنه) .

(٢) في «ب»: (جيران) .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) في «ب» (وللود...)

(٥) ذكره أبو الشيخ عن سفيان. انظر: فتح القدير للشوكاني: ٥٢٢/٢ .

قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ
لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ
وَأَتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّا نَرِي رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا
عَلَى مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
كَذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩٤﴾

﴿قَالُوا يَا شَعِيبُ مَا نَفَقَهُ﴾، ما نفهم، ﴿كثيراً مما تقول وإنا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾، وذلك أنه كان
ضريير البصر، فأرادوا ضعف البصر^(١)، ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾، عشيرتك وكان في منعة من قومه،
﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾، لَقَتَلْنَاكَ. والرجم: أبقح القتل. ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا﴾، عندنا، ﴿بِعَزِيزٍ﴾.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: مكان رهطي أميب عندكم من الله، أي: إن تركتم
قتلي لمكان رهطي فالأولى أن تحفظوني في الله. ﴿وَأَتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا﴾، أي: نبذتم أمر الله وراء
ظهوركم وتركتموه، ﴿إِنَّا نَرِي رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

﴿وَيَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ﴾، أي: على تودتكم وتمكنكم. يقال: فلان يعمل على مكانته إذا عمل
على تودة وتمكن. ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾، على تمكني، ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، أي: أنا الجاني على نفسه، والخطيء في
فعله، فذلك قوله: ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يذله ﴿وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾، قيل: «من» في محل النصب،
أي: فسوف تعلمون الكاذب. وقيل: محله رفع، تقديره: ومن هو كاذب يعلم كذبه ويدوق وبال أمره.
﴿وَارْتَقِبُوا﴾، وانتظروا العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾، منتظر.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾،
قيل: إن جبيل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم. وقيل: أتتهم صيحة من السماء
فأهلكتهم. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾، ميتين.

(١) قال ابن عطية رحمه الله: وهذا ضعيف لا تقوم عليه حجة، بضعف بصره أو بدنه، والظاهر من قولهم: «ضعيفاً» أنه ضعيف
الانتصار والقدرة، وأن رهطه الكفرة كانوا يراعون فيه.
وقال أبو روق: إن الله لم يبعث نبياً أعمى، ولأنبياء به زمانة.
انظر: المهر الوجيز: ٣٨٤/٧، البحر المحيط: ٢٥٦/٥.

كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الْأَبْعَدُ الْمَدِينِ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا
 وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ
 بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيُسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ
 ﴿٩٨﴾ وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ ۚ لَعْنَةُ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ
 الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا
 أَنْفُسَهُمْ ۚ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ
 رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا﴾ أي: كأن لم [يقيموا ولم يكونوا] ^(١) ﴿فِيهَا أَلَا بُعْدًا﴾، هلاكاً، ﴿لَمَدِينٍ كَمَا
 بَعِدَتْ﴾، هلكت ﴿ثَمُودُ﴾ .

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، حجة بينة .

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾، بسديد .

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾، يتقدمهم، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ﴾ فأدخلهم ﴿النَّارَ وَيُسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾، أي:

بئس المدخل المدخول فيه .

﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ﴾، أي: في هذه الدنيا، ﴿لَعْنَةُ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾، أي: العون

المعان . وقيل: العطاء المعطى، وذلك أنهم ترادفت عليهم اللعنتان، لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة .

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ﴾، عامر، ﴿وَحَصِيدٌ﴾، خراب . وقيل: منها قائم ببيت

الحيطان وسقطت السقوف . وحصيد أي: انمحق أثره . وقال مقاتل: قائم يرى له أثر وحصيد لا يرى له أثر،

وحصيد بمعنى محصود .

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾، بالعذاب والهلاك، ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، بالكفر والمعصية . ﴿فَمَا أَغْنَتْ

عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾، عذاب ربك، ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ

تَتْنِيبٍ﴾، أي: غير تحسير، وقيل: تدمير .

﴿وَكَذَلِكَ﴾، وهكذا، ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾، أخبرنا

عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالنعمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا

(١) في «ب»: (يكونوا فيها) .

إِن أَخَذَهُ الْيَمُّ شَدِيدًا ﴿١٠٢﴾ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ
 مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾
 يَوْمَ يَأْتِ لَاتِكَلِمَ نَفْسٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾

صدقة بن الفضل، أنبأنا أبو معاوية، أنبأنا يزيد بن أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتُهُ»، قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ (١) الآية .

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾، لَعِبْرَةٌ، ﴿لِمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾، يعني يوم القيامة، ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾، أي: يشهده أهل السماء والأرض.
 ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ﴾، أي: وما تؤخر ذلك اليوم، فلا نقيم عليكم القيامة [وقرأ يعقوب، وما يؤخره بالياء] (٢)، ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾، [معلوم] (٣) عند الله .

﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ قرىء بإثبات الياء وحذفها، ﴿لَا تَكَلِّمُ﴾، أي: لا تتكلم ﴿نَفْسٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾، أي: فمنهم من سبقت له الشقاوة ومنهم من سبقت له السعادة .

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري، أنبأنا جدي أبو سهل عبدالصمد بن عبدالرحمن البزار، أنبأنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري، أنبأنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدبري، أنبأنا عبدالرزاق، أنبأنا معمر، عن منصور، عن سعيد بن عبيدة عن أبي عبدالرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: خرجنا على جنازة فيينا نحن بالبيع إذ خرج علينا رسول الله ﷺ وبه مَحْضَرَةٌ، فجاء فجلس، ثم نكث بها الأرض ساعة، ثم قال: «ما من نفس منفوسة إلا قد كتبت مكانها من الجنة أو النار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة»، قال: فقال رجل: أفلا نتكل على كتابنا يارسول الله وندع العمل؟ قال: «لا، ولكن اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل الشقاء فيسرون لعمل أهل الشقاء، وأما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة»، قال: ثم تلا: «فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى» (٣) (الليل —

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة هود، باب «وكذلك أخذ ربك...» ٣٥٤/٨، ومسلم في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨٣): ١٩٩٧/٤-١٩٩٨. والمصنف في شرح السنة: ٣٥٨/١٤ .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) أخرجه البخاري في الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله: ٢٢٥/٣، وفي تفسير سورة «والليل إذا يغشى» وفي الأدب وفي القدر، وأخرجه مسلم في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي، برقم (٢٦٤٧): ٢٠٣٩/٤-٢٠٤٠، والمصنف في شرح السنة: ١٣٢-١٣١/١ .

فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٨﴾

قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما
الزفير: الصوت الشديد، والشهيق الصوت الضعيف. وقال الضحاك ومقاتل: الزفير أول نهيق الحمار،
والشهيق آخره إذا رده في جوفه. وقال أبو العالية: الزفير في الحلق والشهيق في الصدر.
﴿خالدين فيها﴾، لابن مقيم فيها، ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، قال الضحاك: ما دامت
سموات الجنة والنار وأرضهما وكل ما علاك وأظلك فهو سماء، وكل ما استقرت عليه قدمك فهو أرض.
قال أهل المعاني: هذا عبارة عن التأييد على عادة العرب، يقولون لا آتيك ما دامت السموات
والأرض، ولا يكون كذا ما اختلف الليل والنهار، يعنون: أبداً.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾.

اختلفوا في هذين الاستثناءين، فقال بعضهم: الاستثناء في أهل الشقاء يرجع إلى قوم من المؤمنين
يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها، ثم يخرجهم منها فيكون ذلك / استثناء من غير الجنس، لأن الذين
أخرجوا من النار سعداء استثناهم [الله من جملة الأشقياء]^(١)، وهذا كما:

أ / ١٧٨

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد بن عبدالله النعمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل،
حدثنا حفص بن عمر، حدثنا هشام، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَيُصِيبَنَّ
أَقْوَامًا سَفَعٌ مِنَ النَّارِ بِذُنُوبٍ أَصَابُوهَا، عَقُوبَةٌ، ثُمَّ يَدْخُلُهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، فَيَقَالُ لَهُمْ:
الْجَهَنَّمِيُّونَ»^(٢).

وأخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، قال: أخبرنا أحمد بن عبدالله النعمي، أخبرنا محمد بن
يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا مسدد، أخبرنا يحيى، عن الحسن بن ذكوان، أنبأنا أبو رجاء،
حدثني عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُخْرَجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ،
فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَيُسَمُّونَ الْجَهَنَّمِيِّينَ»^(٣).

وأما الاستثناء في أهل السعادة فيرجع إلى مدة لبثهم في النار قبل دخول الجنة.

(١) في «ب»: (من الأشقياء).

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق، باب صفة الجنة والنار: ٤١٦/١١، وفي التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالى: «إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ

مِنَ الْمُحْسِنِينَ»: ٤٣٤/١٣، والمصنف في شرح السنة: ١٨٣/١٥.

وسَفَعٌ مِنَ النَّارِ أَي: سواد من لفتح النار، أو علامة منها.

(٣) أخرجه البخاري في الموضوع السابق: ٤١٨/١١، والمصنف في شرح السنة: ١٨٣/١٥—١٨٤.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾^{١٠٨}

وقيل: إلا ما شاء ربك من الفريقين من تعميمهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ ما بين الموت والبعث، قبل مصيرهم إلى الجنة أو النار. يعني: هم خالدون في الجنة أو النار إلا هذا المقدار .
وقيل: إلا ما شاء ربك: سوى ما شاء ربك، [معناه خالدين فيها ما دامت السموات والأرض سنوي ما شاء ربك]^(١) من الزيادة على قدر مدة بقاء السموات والأرض، وذلك هو الخلود فيها، كما تقول: لفلان علي ألف إلا الألفين، أي: سوى الألفين اللتين تقدمتا .
وقيل: إلا بمعنى الواو، أي: وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار وهؤلاء في الجنة، كقوله: «لكلا يكون للناس عليكم حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظلموا» (البقرة - ١٥٠)، أي: ولا الذين ظلموا .
وقيل: معناه لو شاء ربك لأخرجهم منها ولكنه لا يشاء أنه يحكم لهم بالخلود .
قال الفراء: هذا الاستثناء استثناء الله ولا يفعله، كقولك: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وعزيمتك أن تضربه^(٢) .

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ .

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿سَعِدُوا﴾ بضم السين [وكسر العين]^(١)، أي: رُزقوا السعادة، وسَعِدَ وأسَعِدَ بمعنى واحد. وقرأ الآخرون بفتح السين قياساً على «سَقُوا». ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، قال الضحاك: إلا ما مكثوا في النار حتى أدخلوا الجنة. قال قتادة: الله أعلم بشيائهم. ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾، أي غير مقطوع. قال ابن زيد: أخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لأهل الجنة، فقال: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾، ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار .

(١) ساقط من «ب» .

(٢) قال الطبري رحمه الله: وأولى الأقوال في تأويل هذه الآية بالصواب، القول الذي ذكرناه عن قتادة والضحاك: من أن ذلك استثناء في أهل التوحيد من أهل الكباير، أنه يدخلهم النار خالدين فيها أبداً، إلا ما شاء من تركهم فيها أقل من ذلك، ثم يخرجهم فيدخلهم الجنة. وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصحة في ذلك: لأن الله جل ثناؤه أوعد أهل الشرك به الخلود في النار، وتظاهرت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ، فغير جائز أن يكون استثناء في أهل الشرك، وأن الأخبار قد تواترت عن رسول الله ﷺ أن الله يدخل قوماً من أهل الإيمان بذنوب أصابوها النار، ثم يخرجهم منها فيدخلهم الجنة. فغير جائز أن يكون ذلك استثناء في أهل التوحيد قبل دخولها، مع صحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بما ذكرناه = وإنما إن جعلناه استثناء في ذلك كنا قد دخلنا في قول من يقول: «لا يدخل الجنة فاسق، ولا النار مؤمن» وذلك خلاف مذهب أهل العلم، وما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ فإذا فسد هذان الوجهان، فلا قول قال به القدوة من أهل العلم إلا الثالث - أي هذا الراجع - انظر: الطبري: ٤٨٤/١٥-٤٨٥ .

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُونَ هَؤُلَاءِ مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوقِفُوهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْتَلَفَ فِيهِ
 وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ
 كَلِمًا لَيُؤْفِقُنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مثله^(٢).

ومعناه عند أهل السنة إن ثبت: أن لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان. وأما مواضع الكفار فممتلئة أبداً. ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾، في شك، ﴿مِمَّا يَعْْبُد هَؤُلَاءِ﴾، أنهم ضلال، ﴿مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ﴾، فيه إضمار، أي: كما كان يعبد، ﴿آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوقِفُوهُمْ نَصِيبُهُمْ﴾ حظهم من الجزاء. ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، التوراة، ﴿فَأَخْتَلَفَ فِيهِ﴾ فمن مصدق به ومكذب، كما فعل قومك بالقرآن، يُعْزِي نَبِيَّهُ ﷺ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ في تأخير العذاب عنهم، ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، أي: لعذبوا في الحال وفرغ من عذابهم وإهلاكهم، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾، موقع في الريبة والتهمة. ﴿وَإِنَّ كَلِمًا﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر: «وإن كلاً» ساكنة النون على تخفيف إن الثقيلة، والباقون بتشديدها، ﴿لَمَّا﴾ شددتها هنا وفي يس والطارق: ابن عامر وعاصم وحمزة، [وافق أبو جعفر هاهنا، وفي الطارق وفي الزخرف، بالتشديد عاصم وحمزة]^(٣) والباقون بالتخفيف، فمن شدد قال الأصل فيه: ﴿وَإِنَّ كَلِمًا﴾ [لمن ما، فوصلت من الجارة بما، فانقلبت النون ميماً للإدغام، فاجتمعت ثلاث ميقات فحذفت إحداهن، فبقيت لما بالتشديد، و«ما» هاهنا بمعنى: من، هو اسم لجماعة من الناس، كما قال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ (النساء - ٣)، أي: من طاب لكم، والمعنى وإن كلاً لمن جماعة ليوفيتهم]^(٣). ومن قرأ بالتخفيف قال: «ما» صلة [زيدت بين اللامين ليفصل بينهما كراهة اجتماعهما، والمعنى]^(٣): وإن كلاً ليوفيتهم.

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني: ٥٢٧/٢.

(٢) عزاه السيوطي لإسحاق بن راهوية. الدر المنثور: ٤٧٨/٤، وانظر: فتح القدير، الموضوع نفسه، وفيه رده على الزمخشري.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾
وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ
ثُمَّ لَا تَنْصُرُونَ ﴿١١٣﴾

وقيل «ما» بمعنى مَنْ، تقدير: لمن ليوفينهم، واللام في «لما» لام التأكيد [التي تدخل على خبر إن^(١)] وفي ليوفينهم لام القسم، [والقسم مضمرة^(١)] تقديره والله، ﴿ليوفينهم ربك أعمالهم﴾، أي: جزاء أعمالهم، ﴿إنه بما يعملون خير﴾ .

قوله عز وجل ﴿فاستقم كما أمرت﴾، أي: استقم على دين ربك، والعمل به، والدعاء إليه كما أمرت، ﴿ومن تاب معك﴾، أي: ومن آمن معك فليستقيموا، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ وروغان الثعلب^(٢) .

أخبرنا الإمام الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان، أخبرنا والدي إملاء، حدثنا أبو بكر محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن العلاء بن كريب، حدثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن سفيان بن عبد الله الثقيفي قال: قلت، يارسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قل آمنْتُ بالله ثم استقم»^(٣) .

﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ لا تجاوزوا أمري ولا تعصوني، وقيل: معناه ولا تغلوا فتزيدوا على ما أمرت ونهيت .
﴿إنه بما تعملون بصير﴾، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية، ولذلك قال: «شيبتي هود وأخواتها»^(٤) .
أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا عبدالسلام بن مطهر ثنا عمر بن علي، عن معن بن محمد الغفاري، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الدين يُسرّ ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»^(٥) .
قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ولا تميلوا. والركون:

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) عزاه في كنز العمال: ٤٩٥/٢ لسعيد بن منصور وابن المبارك وأحمد في الزهد وعبد بن حميد والحاكم وابن المنذر ورسته في الإيمان والصابوني في المائتين .

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، برقم (٣٨): ٦٥/١، والمصنف في شرح السنة: ٣١/١ .

(٤) سيأتي تحريجه قريباً في ختام السورة .

(٥) أخرجه البخاري في الإيمان، باب الدين يسر: ٩٣/١، والمصنف في شرح السنة: ٤٩/٤-٥٠ .

والدلجة: هي السير آخر الليل، وقيل: الليل كله .

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ ﴿١١٤﴾

هو المحبة والميل بالقلب. وقال أبو العالية: لا ترضوا بأعمالهم. قال السدي: لا تداهنا الظلمة. وعن عكرمة: لا تطيعوهم. وقيل: لا تسكنوا إلى الذين ظلموا. ﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾، فتصيبكم، ﴿النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ﴾، أي: أعوان يمنعونكم من عذابه، ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾، أي: الغداة والعشي. [يعني: صلاة الصبح والمغرب]^(١)، قال مجاهد: طرفا النهار صلاة [الصبح]^(١) والظهر والعصر. «وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ»، صلاة المغرب والعشاء.

وقال مقاتل: صلاة الفجر والظهر طرف، وصلاة العصر والمغرب طرف، وزلفاً من الليل، يعني: صلاة العشاء.

وقال الحسن: طرفا النهار. الصبح والعصر، وزلفاً من الليل: المغرب والعشاء. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: طرفا النهار الغداة والعشي، يعني صلاة الصبح والمغرب.

قوله: ﴿وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ أي: / ساعاته واحداً زلفة وقرأ أبو جعفر «زُلْفًا» بضم اللام.

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، يعني: إن الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات.

روي أنها نزلت في أبي اليسر، قال: أتتني امرأة تبتاع تمرأ فقلت لها إن في البيت تمرأ أطيب منه فدخلت معي البيت، فأهويت إليها فقبلتها، فأتيت أبا بكر رضي الله عنه فذكرت ذلك له فقال: استر على نفسك وتب، فأتيت عمر رضي الله عنه فذكرت ذلك له، فقال: استر على نفسك وتب، فلم أصبر فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «أخلفت غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا، حتى ظن أنه من أهل النار؟ فأطرق رسول الله ﷺ حتى أوحى الله إليه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾، الآية، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: ألهذا خاصة أم للناس عامة؟ قال: «بل للناس عامة»^(٢).

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه الترمذي في تفسير سورة هود، عن أبي اليسر: ٥٣٨/٨-٥٣٩، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب... وفي الباب عن

أبي أمامة ووائلة الأسقع وأنس بن مالك. وأبو اليسر: اسمه كعب بن عمرو.

وأخرجه أيضاً النسائي والبخاري وابن مردويه والطبراني والطبري.

وانظر: الدر المنثور: ٤/٤٨٢، فتح الباري: ٨/٣٥٦، الكافي الشاف ص (٨٨).

أسباب النزول للواحد ص (٣٠٦-٣١٠).

وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل أنبأنا قتيبة بن سعيد حدثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أصاب من امرأة قبله فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ﴾، قال الرجل: يارسول الله ألي هذا؟ قال: «لجميع أمتي كلهم»^(١).

وأخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنبأنا عبدالقاهر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثني أبو طاهر، وهارون بن سعيد الأيلي، قالوا: حدثنا ابن وهب، عن أبي صخر، أن عمر بن إسحاق مولى زائدة حدثه عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»^(٢).

وأخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا محمد الحسين بن أحمد المخلدي، أنبأنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، أنبأنا قتيبة، أنبأنا الليث وبكر بن مضر، عن ابن الهادي، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا. قال: فكذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا»^(٣).

قوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ﴾، أي: ذلك الذي ذكرنا. وقيل: هو إشارة إلى القرآن، ﴿ذَكَرَى﴾ عِظَةٌ ﴿لِلذَّاكِرِينَ﴾ أي لمن ذكره.

﴿وَأَصْبِرْ﴾ يا محمد على ما تلقى من الأذى. وقيل: على الصلاة، ونظيره «وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها» (طه - ١٣٢) ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، في أعمالهم.. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني المصلين.

(١) أخرجه البخاري في التفسير، سورة هود، باب «وأقم الصلاة طرفي النهار...» ٣٥٥/٨.

(٢) أخرجه مسلم في الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة... برقم (٢٣٣): ٢٠٩/١، والمصنف في شرح السنة: ١٧٧/٢.

(٣) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة: ١١/٢، ومسلم في المساجد، باب المشي إلى الصلاة تحمى به الخطايا، برقم (٦٦٧): ١/٤٦٢-٤٦٣. والمصنف في شرح السنة: ١٧٥/٢.

فَلَوْلَا كَانَتْ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي
 الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا
 مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ
 ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْتَلِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن
 رَّحِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ
 أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا، ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾، التي أهلكتناهم، ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، والآية
 للتوبيخ ﴿أُولُو بَقِيَّةٍ﴾، أي: أولو تمييز. وقيل: أولو طاعة. وقيل: أولو خير. يقال: فلان ذو بقية إذا كان
 فيه خير. معناه: فهلا كان من القرون من قبلكم من فيه خير ينهى عن الفساد في الأرض؟ [وقيل: معناه
 أولو بقية من خير. يقال: فلان على بقية من الخير إذا كان على خصلة محمودة] (١).

﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾، أي يقومون بالنهي عن الفساد، ومعناه جحد، أي: لم يكن فيهم
 أولو بقية. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، هذا استثناء منقطع معناه: لكن قليلاً، ﴿مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾، وهم أتباع الأنبياء
 كانوا ينهون عن الفساد في الأرض. ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾، والمعنى: والمترف: المتعم.
 وقال مقاتل بن حيان: تحولوا. وقال الفراء: [عودوا من النعيم واللذات وإيثار الدنيا] (١) أي: واتبع الذين
 ظلموا ما عودوا من النعيم واللذات وإيثار الدنيا على الآخرة. ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾، كافرين.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾، أي: لا يهلكهم بشركهم، ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾، فيما
 بينهم يتعاطون الإنصاف ولا يظلم بعضهم بعضاً، وإنما يهلكهم إذا تظالموا. وقيل: لا يهلكهم بظلم منه
 وهم مصلحون في أعمالهم، ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات.

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ﴾، كلهم. ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، على دين واحد. ﴿وَلَا
 يَزَالُ الَّذِينَ مُخْتَلِفِينَ﴾ على أديان شتى من بين يهودي، نصراني، ومجوسي، ومشرك.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾، معناه: لكن من رحم ربك فهداهم إلى الحق، فهم لا يختلفون، ﴿وَلِذَلِكَ
 خَلَقَهُمْ﴾، قال الحسن وعطاء: وللإختلاف خلقهم. وقال أشهب: سألت مالكا عن هذه الآية، فقال:
 خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير.

(١) ساقط من (ب).

وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنشِئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ
 وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا
 عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانظُرُوا وَإِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ
 الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

وقال أبو عبيدة: الذي اختاره قول من قال: خلق فريقاً لرحمته وفريقاً لعذابه .
 وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: وللرحمة خلقهم، وللرحمة خلقهم، يعني الذين رحمهم .
 وقال الفراء: خلق أهل الرحمة للرحمة، وأهل الاختلاف للاختلاف .
 وحاصل (١) الآية: أن أهل الباطل مختلفون، وأهل الحق متفقون، فخلق الله أهل الحق للاتفاق، وأهل
 الباطل للاختلاف .

﴿وَمَثَّ كَلِمَةٌ رَبُّكَ﴾، وتم حكم ربك، ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ .
 ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنشِئُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، معناه: وكل الذي تحتاج إليه من أنباء
 الرسل، أي: من أخبارهم وأخبار أممهم نقصها عليك لنشئت به فؤادك، لتزيدك يقيناً وتقوي قلبك، وذلك
 أن النبي ﷺ إذا سمعها كان في ذلك تقوية لقلبه على الصبر على أذى قومه .

﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾، قال الحسن وقتادة: في هذه الدنيا .

وقال غيرهما: في هذه السورة. وهذا قول الأكثرين .

خصّ هذه السورة تشريفاً، وإن كان قد جاءه الحق في جميع السور .

﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾، أي: وجاءتك موعظة، ﴿وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾، أمر تهديد ووعد، ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ .

﴿وَانظُرُوا﴾، ما يحل بنا من رحمة الله، ﴿إِنَّا مُنظِرُونَ﴾، ما يحل بكم من نقمة الله .

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علم ما غاب عن العباد فيهما، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ

كُلُّهُ﴾، في المعاد .

قرأ نافع وحفص: «يُرْجَعُ» بضم الياء وفتح الجيم: أي: يرد. وقرأ الآخرون بفتح الياء وكسر الجيم،

أي: يعود الأمر كله إليه حتى لا يكون للخلق أمر .

(١) في (ب) (ومحصل...)

﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾، وثق به، ﴿وَمَا رُبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، قرأ أهل المدينة والشام وحفص ويعقوب: «تعملون» بالتاء هاهنا وفي آخر سورة النمل. وقرأ الآخرون بالياء فيهما . قال كعب: خاتمة التوراة خاتمة سورة هود^(١) .

أخبرنا أبو محمد عبدالله بن عبد الصمد الجوزجاني، أنبأنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنبأنا أبو سعيد / الهيثم بن كليب، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء، حدثنا معاوية بن هشام، عن شيبان، عن أبي إسحاق، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يارسول الله قد شئت، فقال ﷺ: «شيتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت»^(٢) .
ويروى: «شيتني هود وأخواتها»^(٣) .

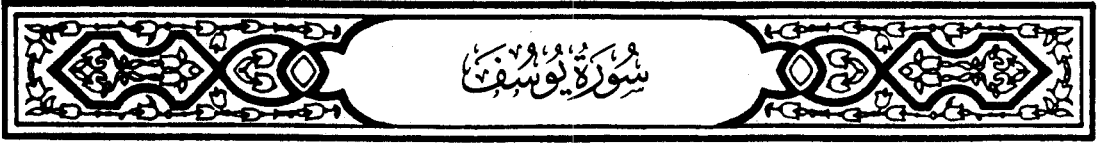
(١) أخرجه الطبري عن كعب: ٢٥٢/١١، ٥٤٥/١٥، ورجال إسناده ثقات. وقال السيوطي في الدر المنثور: ٤٩٣/٤ وأخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد، وابن الضريس في فضائل القرآن، وابن جرير، وأبو الشيخ .

(٢) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الواقعة: ١٨٤/٩، وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه»، وأخرجه في كتابه المفرد «الشمائل» ص (٤٦)، وصححه الحاكم في المستدرک: ٣٤٣/٢، والمصنف في شرح السنة: ٣٧٢/١٤. وأخرجه ابن أبي شيبة، والبخاري، والطبراني، وذكره الدارقطني في العلل، وأخرجه البيهقي عن عمر بن الخطاب. وابن سعد وابن عدي من رواية يزيد الرقاشي عن أنس .

انظر: المطالب العالية: ٣٤٢/٣، الكافي الشاف ص (٨٧)، فيض القدير للمناوي: ١٦٨/٤، مجمع الزوائد: ٣٧/٧ .
(٣) أخرجه الترمذي في «الشمائل الحمديّة» ص (٤٧) عن أبي جحيفة السؤاتي، والمصنف في شرح السنة: ٣٧٤/١٤، والطبراني عن عقبة بن عامر .

وقال البوصيري: «رواه أبو يعلى، والترمذي في الشمائل، ورواته ثقات». انظر: فيض القدير: ١٦٨/٤-١٦٩، المطالب العالية: ٣٤٢/٣ .

سُورَةُ يُوسُفَ



(سورة يوسف عليه السلام مكية^(١))

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّتِّكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾
نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ
مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾

﴿الرَّتِّكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾، أي: البين حلاله وحرامه، وحدوده وأحكامه .
قال قتادة: مبين - والله - بركته وهداه ورشده، فهذا من بان أي: ظهر .
وقال الزجاج: مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام، فهذا من أبان بمعنى أظهر .
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ يعني: الكتاب، ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، أي: أنزلناه بلغتكم، لكي تعلموا
معانيه، وتفهموا ما فيه .
﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾، أي: نقرأ عليك ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، والقاص هو الذي يتبع^(٢) الآثار
ويأتي بالخبر على وجهه .
معناه: نبين لك أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان .

(١) قال ابن عباس وقتادة: مكية، إلا ثلاث آيات من أولها، ونقل القرطبي عنهما: إلا أربع آيات .

انظر: البحر المحیط: ٢٧٧/٥، القرطبي: ١١٨/٩ .

(٢) في «ب»: يتبع .

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي

سَجِدِينَ ﴿٤﴾

وقيل: المراد منه: قصة يوسف عليه السلام خاصة، سمّاها أحسن القصص لِمَا فيها من العِبَر والحِكَمِ والثَّنَكِ والفوائد التي تصلح للذّين والدنيا، من سِيَرِ الملوك والمماليك، والعلماء، ومكر النساء، والصبر على أذى الأعداء، وحسن التجاوز عنهم بعد الالتقاء، وغير ذلك من الفوائد .
قال خالد بن معدان: سورة يوسف وسورة مريم يتفككه بهما أهل الجنة في الجنة .
وقال ابن عطاء: لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها^(١) .

قوله عز وجل: ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ «ما» المصدر، أي: بإيحاتنا إليك، ﴿هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ﴾، وقد كنت، ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾، أي: [قبل وحيناً]^(٢) ﴿لِمَنْ الْغَافِلِينَ﴾، لمن الساهين عن هذه القصة لاتعلمها .

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زماناً فقالوا: يارسول الله لو حدثتنا، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ (الزمر - ٢٣) فقالوا: يارسول الله لو قصصت علينا، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، فقالوا: يارسول الله لو ذكرتنا، فأنزل الله عزّ وجلّ^(٣): ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الحديد - ١٦) .
قوله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾، أي: واذكر إذ قال يوسف لأبيه، ويوسف اسم عبري [عُرب]^(٤)، ولذلك لا يجري [عليه الإعراب]^(٤) وقيل هو عربي .

سئل أبو الحسن الأقطع عن يوسف؟ فقال: الأسف في اللغة: الحزن، والأسيف: العبد، واجتماعا في يوسف عليه السلام فسُمّي به .

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل قال: قال عبدالله بن محمد، حدثنا عبدالصمد، عن عبدالرحمن بن عبدالله بن دينار،

(١) في «ب»: يتبع .

(٢) ساقط من «أ» .

(٣) أخرجه الطبري: ٥٥/١٥، وصححه ابن حبان ص (٤٣٢) من موارد الظمان، والحاكم: ٣٤٥/٢ ووافقه الذهبي، ومن طريقه أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص (٣١١) .

وأخرجه أيضاً: إسحاق بن راهوية، والبخاري، وأبو يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ وابن مردويه .

انظر: الدر المنثور: ٤٩٦/٤، المطالب العلية: ٣٤٣/٣ .

(٤) ساقط من «ب» .

قَالَ يَبْنِي لَأَنْقُصَ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ

عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾

عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الكَريمَ ابنَ الكَريمِ ابنَ الكَريمِ ابنَ الكَريمِ يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ» (١).

﴿يا أبت﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر ﴿يا أبت﴾ بفتح التاء في جميع القرآن على تقدير: يا أبتاه .
 وقرأ الآخرون: ﴿يا أبت﴾ بكسر التاء لأن أصله: يا أبت، والجزم يحرك إلى الكسر .
 ﴿إني رأيت أحد عشر كوكباً﴾، أي نجماً من نجوم السماء، ونصب الكواكب على التفسير .
 ﴿والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ ولم يقل رأيتها لي ساجدة، والهاء والميم والياء والنون من كنيات من يعقل، لأنه لما أخبر عنها بفعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل كقوله تعالى: ﴿يا أيها النمل اذخُلوا مساكنكم﴾ (النمل - ١٨) .

وكان النجوم في التأويل أخواته (٢)، وكانوا أحد عشر رجلاً، يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم، والشمس أبوه، والقمر أمه. قاله قتادة .

وقال السدي: القمر خالته، لأن أمه راحيل كانت قد ماتت .

وقال ابن جريج: القمر أبوه والشمس أمه لأن الشمس مؤنثة والقمر مذكر .

وكان يوسف عليه السلام ابن اثني عشرة سنة حين رأى هذه الرؤيا .

وقيل: رآها ليلة الجمعة ليلة القدر فلما قصها على أبيه ،

﴿قال يا بني لا نقصص رؤياك على إخوتك﴾، وذلك أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام وحي فعليهم يعقوب أن الأخوة إذا سمعوها حسدوه فأمره بالكتمان، ﴿فيكيدوا لك كيداً﴾، فيحتالوا في إهلاكك لأنهم يعلمون تأويلها فيحسدونك. واللام في قوله «لك» صلة، كقوله تعالى: ﴿لربهم يرهبون﴾ (الأعراف - ١٥٤). وقيل: هو مثل قولهم نصحتك ونصحت لك، وشكرتك وشكرت لك. ﴿إنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، أي: يزين لهم الشيطان، ويحملهم على الكيد، لعداوته القديمة .

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء - باب قول الله تعالى: «لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين»: ٤١٩/٦، وفي تفسير سورة يوسف، باب «ويعتق نعمته عليك»: ٣٦١/٨، وفي المناقب أيضاً: ورواه مسلم مختصراً، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٢٦/١٣ .

انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: ١٥٢/٤ .

(٢) في (ب): إخوته .

وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ ﴿٦﴾

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا عبدالرحمن بن أبي شريح، أنبأنا أبو القاسم البغوي، حدثنا علي بن الجعد، أنبأنا شعبة عن عبد ربه بن سعيد قال: سمعت أبا سلمة قال: كنت أرى الرؤيا تهمني حتى سمعت أبا قتادة يقول: كنت أرى الرؤيا فتمرضني، حتى سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «الرؤيا الصالحة من الله تعالى، [والحُلْمُ من الشَّيْطَانِ] (١)، فإذا رأى أحدكم ما يحبُّ فلا يحدث به إلا من يحبُّ، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرِّها، ومن شرِّ الشيطان ولْيَتَّقِلْ ثلاثاً، ولا يحدث به أحداً فإنها لن تضرَّ» (٢).

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا عبدالرحمن بن أبي شريح، أنبأنا أبو القاسم البغوي، حدثنا علي بن الجعد، أنبأنا شعبة عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن عدس، عن أبي رزين العقيلي قال: قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا جزءٌ من أربعين أو ستة وأربعين جزءاً من النبوة وهو على رجل طائر فإذا حدث بها وقعت»، وأحسبُهُ قال: «لا تُحدث بها إلا حبيباً أو لبيباً» (٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾، يصطفيك ربك يقوله يعقوب ليوسف، أي: كما رفع منزلتك بهذه الرؤيا، فكذلك يصطفيك ربك، ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، يريد تعبير الرؤيا، سمي تأويلاً لأنه يؤول أمره إلى ما رأى في منامه، والتأويل ما يؤول إلى عاقبة الأمر، ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾، يعني: بالنبوة، ﴿وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾، أي: على أولاده فإن أولاده كلهم كانوا أنبياء، ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ فجعلهما نبيين، ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. وقيل: المراد من إتمام النعمة على إبراهيم الخلة.

(١) ساقط من «أ».

(٢) أخرجه البخاري في التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة: ٣٧٣/١٢، ومسلم في أول كتاب الرؤيا، برقم (٢٢٦١): ١٧٧٢/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٠٦/١٢.

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب، باب الرؤيا: ٢٩٨/٧-٢٩٩، والترمذي في الرؤيا، باب ما جاء في تعبير الرؤيا: ٥٥٨-٥٥٩، وقال: «هذا حديث حسن صحيح». وابن ماجه في تعبير الرؤيا، باب «الرؤيا إذا عبرت وقعت...» برقم (٣٩١٤): ١٢٨٨/٢، وصححه الحاكم: ٣٩٠/٤، ووافقه الذهبي، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٠/٤، والمصنف في شرح السنة وقال: هذا حديث حسن: ٢١٣/١٢. وقوله «على رجل طائر» مثل، ومعناه: أنها لا تستقر قرارها مالم تعبر. وأما تحديده بها الحبيب فلأنه لا يستقبلك في تفسيرها إلا بما تحب، واللييب يحرك بحقيقتها أو بأقرب ما يعلم منها.

وقيل: إنجأؤه من النار، وعلى إسحاق إنجأؤه من الذبح^(١).

(١) هذا على القول بأن الذبيح هو إسحاق عليه السلام، والصحيح الثابت خلافه، ولذلك نضع هنا كلمة ضافية لابن القيم وشيخه ابن تيمية رحمهما الله، فيها إبطال القول بأن الذبيح هو إسحاق.

قال ابن القيم في «زاد المعاد»: (٧١/١-٧٥): «وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب، مع أنه باطل بنص كتابهم، فإن فيه: إن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره، وفي لفظ: وحيد، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده، والذي غر أصحاب هذا القول أن في التوراة التي بأيديهم: اذبح ابنك إسحاق، قال: وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم، لأنها تناقض قوله: اذبح بكرك ووحيدك، ولكن اليهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف، وأحبوا أن يكون لهم، وأن يسوقوه إليهم، ويحتازروه لأنفسهم دون العرب، ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله. وكيف يسوغ أن يُقال: إن الذبيح إسحاق، والله تعالى قد بشر أم إسحاق به وبابنه يعقوب، فقال تعالى عن الملائكة: إنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبري: (لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) (هود - ٧٠، ٧١) فمحال أن يبشرها بأنه يكون لها ولد، ثم يأمر بذبحه، ولا ريب أن يعقوب عليه السلام داخل في البشارة، فتتأول البشارة لإسحاق ويعقوب في اللفظ واحد، وهذا ظاهر الكلام وسيأق.

فإن قيل: لو كان الأمر كما ذكرتموه فكان «يعقوب» مجروراً عطفاً على إسحاق، فكانت القراءة «ومن وراء إسحاق يعقوب» أي: ويعقوب من وراء إسحاق. قيل: لا يمنع الرفع أن يكون يعقوب مبشراً به، لأن البشارة قول مخصوص، وهي أول خبر سار صادق. وقوله تعالى: «ومن وراء إسحاق يعقوب» جملة متضمنة لهذه القيود، فتكون بشارة، بل حقيقة البشارة هي الجملة الخبرية. ولما كانت البشارة قولاً، كان موضع هذه الجملة نصباً على الحكاية بالقول، كأن المعنى: وقلنا لها: من وراء إسحاق يعقوب، والقائل إذا قال: بشرت فلاناً بقدم أخيه وثقله في أثره، لم يعقل منه إلا بشارته بالأمرين جميعاً. هذا مما لا يستريب ذو فهم فيه البتة، ثم يضعف الجزأ آخر، وهو ضعف قولك: مررت بزيد ومن بعده عمرو، ولأن العاطف يقوم مقام حرف الجزأ، فلا يفصل بينه وبين المجرور، كما لا يفصل بين حرف الجار والمجرور. وبدل عليه أيضاً أن الله سبحانه لما ذكر قصة إبراهيم وابنه الذبيح في سورة (الصافات) قال: «فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم، قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين، إن هذا هو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم، وتركنا عليه في الآخرين، سلام على إبراهيم. كذلك نجزي المحسنين. إنه من عبادنا المؤمنين» (الصافات: ١٠٣-١١١) ثم قال تعالى: «وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين» (الصافات: ١١٢). فهذه بشارة من الله تعالى له شكراً على صبره على ما أمر به، وهذا ظاهر جداً في أن المبشر به غير الأول، بل هو كالتص فيه.

فإن قيل: فالبشارة الثانية وقعت على نبوته، أي: لما صبر الأب على ما أمر به، وأسلم الولد لأمر الله، جازاه الله على ذلك بأن أعطاه النبوة. قيل: البشارة وقعت على المجموع: على ذاته ووجوده، وأن يكون نبياً، ولهذا نصب «نبياً» على الحال المقدر، أي: مقدراً نبوته، فلا يمكن إخراج البشارة أن تقع على الأصل، ثم تخص بالحال التابعة الجارية بحري الفضلة، هذا محال من الكلام، بل إذا وقعت البشارة على نبوته، فوقعها على وجوده أولى وأحرى.

وأيضاً فلا ريب أن الذبيح كان بمكة، ولذلك جعلت القرابين يوم التجر بها، كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيراً لشأن إسماعيل وأمه، وإقامة لتذكر الله، ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه، ولهذا اتصل مكان الذبيح وزمانه بالبيت الحرام الذي اشترك في بنائه إبراهيم وإسماعيل، وكان التجر بمكة من تمام حج البيت الذي كان على يد إبراهيم وابنه إسماعيل زماناً ومكاناً، ولو كان الذبيح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم، لكانت القرابين والتجر بالشام، لا بمكة. وأيضاً فإن الله سبحانه سمى الذبيح حليماً. لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه. ولما ذكر إسحاق سماه عليماً، فقال تعالى: «هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً. قال سلام قوم منكرون» (الذاريات - ٢٤، ٢٥) إلى أن قال: «قالوا لا تخف وبشره بغلام عليم» (الذاريات - ٢٨) وهذا إسحاق بلا ريب، لأنه من امرأته، وهي المبشرة به، وأما إسماعيل، فمن السرية. وأيضاً فإنهما بُشرا به على الكبر والتأسي من الولد، وهذا بخلاف إسماعيل، فإنه ولد قبل ذلك. =

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ﴾ ٧

١٧٩/ب

وقيل: بإخراج يعقوب / والأسباط من صلبه .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصير أبيه وإخوته إليه أربعون سنة، وهو قول أكثر أهل التفسير .

وقال الحسن البصري: كان بينهما ثمانون سنة. فلما بلغت هذه الرؤيا إخوة يوسف حسدوه وقالوا: ما رضي أن يسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه فَبَعَوْهُ .

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾، أي: في خيره وخبر إخوته. وأسمائهم: روبييل، وهو أكبرهم، وشعمون، ولوي، ويهوذا، وزبالون، وقيل: زبلون، وآشر، وأمهم ليا بنت ليان وهي ابنة خال يعقوب عليه السلام، ووُلِدَ له من سريتين له، اسم إحداهما زلفة والأخرى يلهمة^(١) أربعة أولاد: دان، ونفتالي، وقيل: نفتولي، وجاد، وآشير. ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب عليه السلام أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين. [وقيل: وابن يامين]^(٢)، فكان بنو يعقوب عليه السلام اثني عشر رجلاً .

= وأيضاً فإن الله سبحانه أجرى العادة البشرية أن بكر الأولاد أحبُّ إلى الوالدين ممن بعده، وإبراهيم عليه السلام لما سأل ربه الولد، ووجهه له، تعلق شعبة من قلبه بمحبته، والله تعالى قد اتخذ خليلاً، والخلة منصبة يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة، وأن لا يُشارك بينه وبين غيره فيها، فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد، جاءت غير الخلة تنتزعها من قلب الخليل، فأمره بذبح المحبوب، فلما أقدم على ذبحه، وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد، تخلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة، فلم يبق في الذبح مصلحة، إذ كانت المصلحة إنما هي في العزم وتوطين النفس عليه، فقد حصل المقصود، فَنَسِيَ الأمر، وقُدي الذبيح، وصَدَّق الخليل الرؤيا، وحصل مراد الرب .

ومعلوم أن هذا الامتحان والاختبار إنما حصل عند أول مولود، ولم يكن ليحصل في المولود الآخر دون الأول، بل لم يحصل عند المولود الآخر من مزاحمة الخلة ما يقتضي الأمر بنجحه، وهذا في غاية الظهور .

وأيضاً فإن سارة امرأة الخليل عليها السلام غارت من هاجر وابنها أشد الغيرة، فإنها كانت جارية، فلما ولدت إسماعيل وأحبَّه أبوه، اشتدت غيرة «سارة»، فأمر الله سبحانه أن يُبعد عنها «هاجر» وابنها، ويسكنها في أرض مكة لتبرد عن «سارة» حرارة الغيرة، وهذا من رحمته تعالى وورافته، فكيف يأمره سبحانه بعد هذا أن يذبح ابنها، ويدع ابن الجارية بحاله، هذا مع رحمة الله لها وإبعاد الضرر عنها وجبره لها، فكيف يأمر بعد هذا بذبح ابنها دون ابن الجارية، بل حكمته البالغة اقتضت أن يأمر بعد هذا بذبح ولد السرية، فحينئذ يرق قلب السيدة عليها وعلى ولدها، وتتبدل قسوة الغيرة برحمة، ويظهر لها بركة هذه الجارية وولدها، وأن الله لا يضيع بيتاً هذه وابنها منهم، وليرى عباده جبره بعد الكسر، ولطفه بعد الشدة، وأن عاقبة صبر «هاجر» وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم إلى ذبح الولد آلت إلى ما آلت إليه، من جل آثارها ومواطىء أقدامهما مناسك لعباده المؤمنين، ومتعديت لهم إلى يوم القيامة، وهذه سنته تعالى فيمن يريد رفعه من خلقه أن يرض عليه بعد استضعافه وذله وانكساره. قال تعالى: «ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين» (القصص - ٥) وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم .

وانظر: «الاسرائيليات والموضوعات» للشيخ محمد أبو شهبه ص (٣٥٣-٣٦٣) .

(٢) في «ب» لهمة .

(٣) ساقط من «ب». وقال ابن الجوزي في زاد المسير: ١٨٣/٤: وإنما قيل له: ابن يامين، لأن أمه ماتت نفساء، ويامين بمعنى الوجع .

إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ ﴿٨﴾

﴿آيات﴾، قرأ ابن كثير ﴿آية﴾ على التوحيد، أي: عظة وعبرة، وقيل: عجب .

وقرأ الآخرون: ﴿آيات﴾ على الجمع .

﴿للسائلين﴾، وذلك أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف عليه السلام .

وقيل: سأله عن سبب انتقال ولد يعقوب من كنعان إلى مصر. فذكر لهم قصة يوسف، فوجدوها موافقة لما في التوراة [فتعجبوا منها] ^(١). فهذا معنى قوله: ﴿آيات للسائلين﴾. [أي: دلالة على نبوة رسول الله ﷺ]. وقيل: آيات للسائلين ولمن لم يسأل، كقوله: «سواء للسائلين» (فصلت - ١٠) ^(٢) .

وقيل: معناه عبرة للمعتبرين، فإنها تشتمل على حسد إخوة يوسف، وما آل إليه أمرهم في الحسد، وتشتمل على رؤياه، وما حقق الله منها، وتشتمل على صبر يوسف عليه السلام عن قضاء الشهوة، وعلى الرق وفي السجن، وما آل إليه أمره من الملك، وتشتمل على حزن يعقوب وصبره وما آل إليه أمره من الوصول إلى المراد وغير ذلك من الآيات .

﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ﴾، اللام فيه جواب القسم تقديره: والله ليوسف، ﴿وَأَخُوهُ﴾، بنيامين، ﴿أَحَبُّ﴾ إلى أيينا منا، كان يوسف وأخوه بنيامين من أم واحدة، وكان يعقوب عليه السلام شديد الحب ليوسف عليه السلام، وكان إخوته يرون منه من الميل إليه مالا يرونه مع أنفسهم فقالوا هذه المقالة ^(٣)، ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾، جماعة وكانوا عشرة .

قال الفراء: العصبة هي العشرة فما زاد .

وقيل: العصبة ما بين الواحد إلى العشرة .

وقيل: ما بين الثلاثة إلى العشرة .

وقال مجاهد: ما بين العشرة إلى خمسة عشر .

وقيل: ما بين العشرة إلى الأربعين .

وقيل: جماعة يتعصب بعضها لبعض لا واحد لها من لفظها كالتفرير والرّهط .

﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، أي خطأ بين في إثارة يوسف وأخاه علينا، وليس المراد منه الضلال

(١) في «ب»: فعجبوا منه .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) قال ابن عطية: ٤٤٠/٧: «وكان حب يعقوب ليوسف عليه السلام وبنيامين لصغرهما وموت أمهما، وهذا من «حب الصغير فطرة البشر». وقد قيل لابنة الحسن: أي بنيك أحب إليك؟ قالت: الصغير حتى يكبر، والغائب حتى يقدم، والمرضى حتى يفيق» .

أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿١﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾

عن الدين، ولو أرادوه لكفروا به، بل المراد منه: الخطأ في تدبير أمر الدنيا، يقولون: نحن أنفع له في أمر الدنيا وإصلاح أمر معاشه ورعي مواشيه، فنحن أولى بالحببة منه، فهو مخطيء في صرف محبته إليه. ﴿اقتلوا يوسف﴾، اختلفوا في قائل هذا القول؛ فقال وهب: قاله شمعون. وقال كعب: قاله دان. ﴿أو اطرحوه أرضاً﴾، أي: إلى أرض يُتعدُّ^(١) عن أبيه. وقيل: في أرض تأكله السباع.

﴿يخُلُّ لكم﴾، يخلص لكم ويصنّف لكم. ﴿وجه أبيكم﴾، عن^(٢) شغله بيوسف، ﴿وتكونوا من بعده﴾، من بعد قتل يوسف، ﴿قوماً صالحين﴾، تائبين، أي: توبوا بعدما فعلتم هذا يعف الله عنكم. وقال مقاتل: يُصلِّح أمركم فيما بينكم وبين أبيكم.

﴿قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف﴾ وهو يهوذا، وقال [قتادة]^(٣): روبيل، وكان ابن خالة يوسف، وكان أكبرهم سناً وأحسنهم رأياً فيه. والأول أصح أنه يهوذا، نهاهم عن قتله، وقال: القتل كبيرة عظيمة. ﴿والقوه في غيابة الجب﴾، قرأ أبو جعفر، ونافع: «غيابات الجب» على الجمع في الحرفين، وقرأ الباقر «غيابة الجب» على الواحد، أي: في أسفل الجب وظلمته. والغيابة: كل موضع ستر عنك الشيء وغيبه. والجب: البئر غير المطوية لأنه جب، أي: قطع ولم يطو.

﴿يلتقطه﴾: يأخذه، والالتقاط: أخذ الشيء من حيث لا يحتسبه^(٤)، ﴿بعض السيارة﴾، أي بعض المسافرين، فيذهب به إلى ناحية أخرى، فتستريحوا منه، ﴿إن كنتم فاعلين﴾، أي: إن عزمتم على فعلكم، وهم كانوا يومئذ بالغين، ولم يكونوا أنبياء بعد.

وقيل: لم يكونوا بالغين، وليس بصحيح؛ بدليل أنهم قالوا: «وتكونوا من بعده قوماً صالحين»^(٥).

(١) في «أ»: بعيد.

(٢) في «ب»: من.

(٣) في «ب»: مقاتل قاله.

(٤) في «ب»: يحس به.

(٥) قال السدي ومقاتل بن سليمان: إنهم أرادوا صلاح الحال عند أبيهم، وهذا يشبه أن يكون قصدهم في تلك الحال، ولم يكونوا حينئذ أنبياء.

وقال الجمهور: «صالحين» معناه بالتوبة، وهو الأظهر من اللفظ، وحالمهم أيضاً تعطيه، لأنهم مؤمنون بنوا على عظمة وعللوا أنفسهم بالتوبة.

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ ﴿١١﴾

«وقالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا» والصغير لا ذنب له .

وقال محمد بن إسحاق: اشتمل فعلهم على جرائم من: قطع الرحم، وعقوق الوالدين، وقلة الرأفة بالصغير، الذي لا ذنب له، والغدر بالأمانة، وترك العهد، والكذب مع أبيهم. وعفا الله عنهم ذلك كله حتى لا ييأس أحدٌ من رحمة الله .

وقال بعض [أهل العلم]^(١): إنهم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة بهم، ولو فعلوا لهلكوا أجمعين، وكل ذلك كان قبل أن أنبأهم الله تعالى^(٢) .

وسئل أبو عمرو بن العلاء: كيف قالوا «نرتع ونلعب» وهم أنبياء؟ قال: كان ذلك قبل أن نبأهم الله تعالى، فلما أجمعوا على التفريق بينه وبين والده بضرب من الخيل .

﴿قالوا﴾، ليعقوب، ﴿يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف﴾، قرأ أبو جعفر: ﴿تأمتنا﴾ بلا إشمام^(٣)، وهو رواية عن نافع، [وقرأ الباقون: ﴿تأمتنا﴾ بإشمام الضمة في النون الأولى المدغمة، وهو إشارة إلى الضمة، من غير إحماض، ليعلم أن أصله: لا تأمتنا بنونين على تفعلنا، فأدغمت النون الأولى في الثانية]^(٤)، بدؤوا بالإنكار عليه في ترك إرساله معهم كأنهم قالوا: إنك لا ترسله معنا أتخافنا عليه؟ .

﴿وإنا له لناصحون﴾، قال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير، وذلك أنهم قالوا لأبيهم: «أرسله معنا» فقال أبوهم: «إني ليحزني أن تذهبوا به» فحينئذ قالوا: ﴿مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون﴾، النصح هاهنا هو: القيام بالمصلحة، وقيل: البر والعطف، معناه: إنا عاطفون عليه، قائمون بمصلحته، نحفظه حتى نردّه إليك .

= انظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٤٤٣/٤ .

ومال الحفاظ ابن كثير إلى الرأي الأول، فقال في التفسير: (٤٧٠/٢-٤٧١): «اعلم أنه لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف، وظاهر هذا السياق يدل على خلاف ذلك. ومن الناس من يزعم أنهم أوحى إليهم بعد ذلك، وفي هذا نظر، ويحتاج مدعي ذلك إلى دليل. ولم يتكروا سوى قوله تعالى: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط)، وهذا فيه احتمال لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم: الأسباط، كما يقال للعرب: قبائل، وللعجم: شعوب، يذكر تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط بني إسرائيل فذكرهم إجمالاً لأنهم كثيرون، ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف، ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحى إليهم. والله أعلم» .

(١) في «ب»: بعضهم .

(٢) هذا على القول بأن الله نبأهم فيما بعد، وهو ما قال عنه ابن كثير: فيه نظر .

(٣) في «ب»: شمة .

(٤) ساقط من «ب» .

أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٣﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾، إلى الصحراء، ﴿يرتع ويلعب﴾، قرأ أبو عمرو، وابن عامر، بالنون فيهما وجزم العين من «نرتع»، وقرأ أهل الكوفة بالياء فيهما وجزم العين من «يرتع» يعني يوسف، وقرأ يعقوب: «نرتع» بالنون «ويلعب» بالياء .

والرتع هو الاتساع في الملاذ. يقال: رتع فلان في ماله إذا أنفقه في شهواته، يريد وتنتعم وتأكل ونشرب ونلهو وننشط .

وقرأ أهل الحجاز: ﴿يرتع﴾ بكسر العين، وهو [يفتعل] ^(١) من الرعي .

ثم ابن كثير قرأ بالنون فيهما أي: نتحارس ويحفظ بعضنا بعضاً .

وقرأ أبو جعفر ونافع بالياء إخباراً عن يوسف، أي: يرعى الماشية كما نرعى نحن .

﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ /

أ / ١٨٠

﴿قَالَ﴾ لهم يعقوب، ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾، أي: يحزني ذهابكم به، والحزن هاهنا: ألم القلب بفراق المحبوب، ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾، وذلك أن يعقوب كان رأى في المنام أن ذئباً شدَّ على يوسف، فكان يخاف من ذلك، فمن ثم قال: هذه المقالة ^(٢) .

﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾، عشرة، ﴿إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ﴾، عجزة ضعفاء .

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا﴾، أي: عزموا، ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ﴾، يلقوه، ﴿فِي غِيَابِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾،

(١) في «أ»: تفعيل .

(٢) ضمَّف ابن عطية هذا القول، لأن يعقوب لو رأى ذلك لكان وحياً، فإما أن يخرج على وجهه وذلك لم يكن، وإما أن يعرف يعقوب لمعرفته بالعبرة مثل هذا المرئي، فكان يتشكاه بعينه، اللهم إلا أن يكون قوله «أخاف أن يأكله الذئب» بمعنى أخاف أن يصيبه مثل ما رأيت من أمر الذئب، وهذا بعيد. وكذلك يقول الربيع بن ضبع الفزاري :

وَالذِّئْبُ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَزْتُ بِهِ وَخَشِيْتُ الرَّيْحَ وَالْمَطَرَ
إِنَّمَا خَصَّصَهُ لِأَنَّهُ كَانَ حَيَّوَانًا قَطْرُهُ الْعَادِي. ويحتمل أن يخصه يعقوب عليه السلام لصغر سن يوسف، أي: أخاف عليه هذا الحقيير فما فوقه. وكذلك خصه الربيع في البيت السابق لحقارته وضعفه في الحيوان .

انظر: المحرر الوجيز: ٤٥٠/٤-٤٥١، البحر المحيط: ٢٨٦/٥ .

هذه الواو زائدة^(١)، تقديره: أوحينا إليه، كقوله تعالى: «فلما أسلما وتلّه للجبين وناديناه» (الصفات - ١٠٣) أي: ناديناه، «لَتَسْتَبْتَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ»، يعني: أوحينا إلى يوسف عليه السلام لتصدقن رؤياك وتخبرن إخوتك بصنيعهم هذا وهم لا يشعرون بوحى الله وإعلامه إياهم ذلك، قاله مجاهد .

وقيل: معناه: وهم لا يشعرون يوم تخبرهم أنك يوسف، وذلك حين دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون .

وذكر وَهْبٌ وغيره: أنهم أخذوا يوسف عليه السلام بغاية الإكرام وجعلوا يحملونه، فلما برزوا إلى البرية ألقوه وجعلوا يضربونه فإذا ضربه واحد منهم استغاث بالآخر فضربه الآخر، فجعل لا يرى منهم رحيماً فضربوه حتى كادوا يقتلونه وهو يصيح يا أبتاه لو تعلم ما يصنع بابنك بنو الإماء، فلما كادوا أن يقتلوه قال لهم يهوذا: أليس قد أعطيتموني موثقاً أن لا تقتلوه، فانطلقوا به إلى الجُبِّ ليطرحوه فيه، وكان ابن اثنتي عشرة سنة - وقيل: ثمانية عشرة سنة - فجأؤا به إلى بئر على غير الطريق واسعة الأسفل ضيقة الرأس. قال مقاتل: على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام. وقال كعب: بين مدين ومصر. وقال وهب بأرض الأردن. وقال قتادة: هي بئر بيت المقدس فجعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفير البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال: يا إخوتاه رُدُّوا عَلَيَّ القميص أتوارى به في الجب، فقالوا: ادعُ الشمسَ والقمرَ والكواكبَ تواريك^(٢)، قال: إني لم أر شيئاً، فألقوه فيها .

وقيل: جعلوه في دلو وأرسلوه فيها حتى إذا بلغ نصفها القوه إرادة أن يموت فكان في البئر ماء فسقط فيه، ثم أوى إلى صخرة فيها فقام عليها .

إنهم لما ألقوه فيها جعل يبكي فنادوه فظن أن رحمةً أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فيقتلوه، فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام، وبقي فيها ثلاث ليالٍ^(٣) .

(١) هذا على رأي الكوفيين من النجاة، يزداد عندهم بعد «لما» و«حتى» - «إذا» وعلى ذلك خرجوا قوله تعالى: (فلما أسلما وتلّه للجبين، وناديناه) أي: ناديناه. قال أبو حيان: وهو قول مردود لأنه ليس في القرآن شيء زائد لغير معنى .

وقال البصريون: ليس في الآية زيادة، لأن جواب «لما» محذوف تقديره: «فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب عظمت قننتهم» وقدره بعضهم: «جعلوه فيها» قال أبو حيان: وهذا أول، إذ يدل عليه قوله: «وأجمعوا أن يجعلوه» .

انظر: المحرر الوجيز: ٤/٤٥٢، البحر المحيط: ٥/٢٨٧ .

(٢) في «ب»: تؤنسك .

(٣) قال أبو حيان في أمثال هذه الروايات عن وهب وكعب وغيرهما: «وذكر المفسرون أشياء كثيرة تتضمن كيفية القائه في غيابة الجب، ومحاورته لهم بما يلين الصخر، وهم لا يزدادون إلا قساوة. ولم يتعرض القرآن الكريم ولا الحديث الصحيح لشيء منها فيوقف عليها في كتب التفسير» .

انظر: البحر المحيط: ٥/٢٨٧ .

وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ
عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾
وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

﴿وأوحينا إليه لتبتئهم بأمرهم هذا﴾. الأكثرون على أن الله تعالى أوحى إليه بهذا وبعث إليه جبريل عليه السلام يؤنسه ويشره بالخروج، ويخبره أنه ينبتهم بما فعلوه ويجازيهم عليه وهم لا يشعرون^(١). قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثم إنهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف عليه السلام. ﴿وجاؤا أباهم عشاءً يبكون﴾، قال أهل المعاني: جاؤوا في ظلمة العشاء ليكونوا أجراً على الاعتذار بالكذب. ورؤي أن يعقوب عليه السلام سمع صياحهم وعويلهم فخرج وقال: مالكم يائتي هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا. قال: فما أصابكم وأين يوسف؟؟.

﴿قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستيق﴾، أي: نترامى ونتفضل، وقال السدي: نشد على أقدامنا. ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾، أي: عند ثيابنا وأقمشتنا. ﴿فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا﴾، بمصدق لنا، ﴿ولو كنا﴾، وإن كنا، ﴿صادقين﴾.

فإن قيل: كيف قالوا ليعقوب أنت لا تصدق الصادق؟.

قيل: معناه إنك تهمنا في هذا الأمر لأنك خفتنا في الابتداء واتهمتنا في حقه.

وقيل: معناه لا تصدقنا لأنه لا دليل لنا على صدقنا وإن كنا صادقين عند الله.

﴿وجاؤا على قميصه بدم كذب﴾، أي: بدم هو كذب، لأنه لم يكن دم يوسف. وقيل: بدم مكذوب فيه، فوضع المصدر موضع الاسم.

وفي القصة: أنهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه، فقال يعقوب عليه السلام: كيف أكله الذئب ولم يشق قميصه؟ فاتهمهم.

﴿قال بل سولت﴾ زينت، ﴿لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل﴾، معناه: فأمرني صبر جميل أو فعلي صبر جميل.

(١) قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون الوحي حينئذ إلى يوسف برسول، ويحتمل أن يكون بإلهام أو نوم، وكل ذلك قد قيل. وقال الحسن:

أعطاه الله النبوة في الجب. وهذا بعيد.

انظر: المحرر الوجيز: ٤/٤٥٣.

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا عِلْمٌ مِّنْ أَسْرِهِ بِضَعَةٌ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

وقيل: فصر جميل اختاره .

والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جزع .

﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾، أي: أستعين بالله على الصبر، على ما تكذبون .

وفي القصة: أنهم جاؤا بذئب وقالوا هذا الذي أكله فقال له يعقوب يا ذئب أنت أكلت ولدي وثمرة
فؤادي؟ فأنطقه الله عز وجل، فقال: تالله ما رأيت وجه ابنك قط .

قال: كيف وقعت بأرض كنعان؟ .

قال: جئت لصلة قرابة [فصادني هؤلاء] (١) فمكث يوسف في البئر ثلاثة أيام (٢) .

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾، وهم القوم المسافرون، سَمُوا سياراً لأنهم يسرون في الأرض، كانت رفقة من
مدین تريد مصر، فأخطأوا الطريق فنزلوا قريباً من الجب، وكان الجب في [قفر بعيد] (٣) من العمران للرعاة
والمارة، وكان ماؤه مالحاً (٤) فعذب حين ألقي يوسف عليه السلام فيه، فلما نزلوا أرسلوا رجلاً من أهل
مدین يقال له مالك بن ذعر (٥)، [لطلب الماء] (٦) فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ والوارد
الذي يتقدم الرفقة إلى الماء فبهىء الأرشية والدلاء .

﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾، أي: أرسلها في البئر، يقال: أدليت الدلو إذا أرسلتها في البئر، ودلوتها إذا

أخرجتها، فتعلق يوسف بالحبل فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون .

قال النبي ﷺ: «أعطي يوسف شطر الحُسن» (٧) .

(١) ساقط من «ب» .

(٢) هذا كله مما لم يرد فيه نص في كتاب الله ولا حديث ثابت عن رسول الله ﷺ، وهو من الأمور الغيبية، ولا يتوقف فهم الآية على شيء من هذه الروايات المأخوذة بمجملتها من الأسرثيليات حتى ولو كان لبعضها إسناد إلى بعض المفسرين من التابعين رحمهم الله .

(٣) في «أ»: في قفرة بعيداً .

(٤) في «ب»: ملحاً .

(٥) في «ب»: دُعر. بالبدال المهملة .

(٦) زيادة من «ب» .

(٧) قطعة من حديث الاسراء، أخرجه مسلم في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ برقم (١٦٢): ١٤٥/١-١٤٧ وفيه: ... فإذا أنا بيوسف ﷺ إذا هو قد أعطي شطر الحسن» .

والحديث أخرجه بلغظ المصنف: ابن أبي شيبة، وأحمد، والحاكم، والواحدي في التفسير، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٤٧٠/٣،

كشف الخفا ومزيل الإلباس: ١٦٠/١-١٦١، مجمع الزوائد: ٢٠٣/٨، المطالب العالية: ٢٧٣/٣، الدر المنثور: ٥٣١/٤ .

وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿١٠﴾

ويقال: إنه ورث ذلك الجمال من جدته سارة، وكانت قد أعطيت سدس الحسن .

قال ابن إسحاق ذهب يوسف وأمه بثلي الحسن^(١) .

فلما رآه مالك بن زعر، ﴿قال يا بُشْرَى﴾، قرأ الأكرتون هكذا بالألف وفتح الياء، بشر المستقي أصحابه يقول^(٢): أبشروا. وقرأ أهل الكوفة: يا بشرى، بغير إضافة، يريد نادى المستقي رجلاً من أصحابه اسمه بشرى. ﴿هذا غلام﴾ وروى ابن مجاهد عن أبيه: أن جدران البئر كانت تبكي على يوسف حين أخرج منها. ﴿وأسروه﴾، أخفوه، ﴿بضاعة﴾، قال مجاهد: أسره مالك بن زعر وأصحابه من التجار الذين معهم وقالوا هو بضاعة استبضعها بعض أهل الماء إلى مصر خيفة أن يطلبوا منهم فيه المشاركة .

ب/١٨٠

وقيل: أراد أن إخوة يوسف أسروا / شأن يوسف وقالوا هذا عبد لنا [أبق]^(٣) .

قال الله تعالى: ﴿والله عليهم بما يعملون﴾، فأتى يهوذا يوسف بالطعام فلم يجده في البئر، فأخبر بذلك إخوته، فطلبوه فإذا هم بمالك وأصحابه نزولاً، فأتوهم فإذا هم بيوسف، فقالوا هذا عبد آبق منا . ويقال: إنهم هددوا يوسف حتى لم يعرف حاله . وقال مثل قولهم، ثم باعوه، فذلك قوله عز وجل : ﴿وشروه﴾، أي: باعوه، ﴿بثمن بخص﴾، قال الضحاك، ومقاتل، والسدي: حرام لأن ثمن الحر حرام، وسُمي الحرام بخصاً لأنه مبخوس البركة .

وعن ابن عباس وابن مسعود: بخص أي زيف .

وقال عكرمة والشعبي: بثمان قليل .

﴿دراهم﴾، بدل من الثمن، ﴿معدودة﴾، ذكر العدد عبارة عن قلتها .

وقيل: إنما قال معدودة لأنهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان أقل من أربعين درهماً، إنما كانوا يعدونها عدداً، فإذا بلغت أوقية وزنها .

واختلفوا في عدد تلك الدراهم: قال ابن عباس وابن مسعود وقاتل: عشرون درهماً، فاقسموها

درهمين درهمين .

وقال مجاهد: اثنان وعشرون درهماً .

وقال عكرمة: أربعون درهماً^(٤) .

(١) قال الألباني: منكر باطل بهذا اللفظ، مخالفته للحديث الصحيح، ولأن في إسناده وإيه جداً. وانظر: المراجع السابقة .

(٢) في «ب»: فقال .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) قال الإمام أبو جعفر الطبري في التفسير: (١٦/١٥-١٦): «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنهم باعوه بدرهم معدودة غير موزونة، ولم يحد مبلغ ذلك بوزن ولا عدد، ولا وضع عليه دلالة في كتاب ولا خبر من الرسول صلى الله =

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ: لِمَرَأَتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَانُ يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ
وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

﴿وكانوا﴾، يعني: إخوة يوسف، ﴿فيه﴾، أي: في يوسف ﴿من الزاهدين﴾ لأنهم لم يعلموا منزلته عند الله .

وقيل: كانوا في الثمن من الزاهدين، لأنهم لم يكن قصدهم تحصيل الثمن، إنما كان قصدهم تبييد يوسف عن أبيه .

ثم انطلق مالك بن ذعر وأصحابه بيوسف، فتبعهم إخوته يقولون: استوثقوا منه لا يأبق، قال: فذهبوا به حتى قدموا مصر، وعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس .

وقيل: إظفير صاحب أمر الملك، وكان على خزائن مصر يسمى العزيز، وكان الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن شروان من العمالقة .

وقيل: إن هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه، ثم مات ويوسف حي . قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما دخلوا مصر تلقى قطفير مالك بن ذعر فابتاع منه يوسف بعشرين ديناراً وزوج نعل وثوبين أبيضين .

وقال وهب بن منبه: قدمت السيارة بيوسف مصر فدخلوا به السوق يعرضونه للبيع، فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهباً ووزنه فضة ووزنه مسكاً وحريراً، وكان وزنه أربعمئة رطل، وهو ابن ثلاث عشرة سنة فابتاعه قطفير من مالك بن ذعر بهذا الثمن، فذلك قوله تعالى :

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرَأَتِهِ﴾، واسمها: راعيل، وقيل: زليخا، ﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾، أي: منزله ومقامه، والمثوى: موضع الإقامة .

وقيل: أكرمي في المطعم والملبس والمقام .

وقال قتادة وابن جريج: منزلته .

﴿عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا﴾، أي: نبيعه بالربح إن أردنا البيع، أو يكفيننا إذا بلغ بعض أمورنا .

﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾، أي: نتبناه .

= عليه وسلم. وقد يحتمل أن يكون كان عشرين، ويحتمل أن يكون كان اثنين وعشرين، وأن يكون كان أربعين، وأقل من ذلك وأكثر. وأي ذلك كان، فإنها كانت معدودة غير موزونة، وليس في العلم يبلغ وزن ذلك فائدة تقع في دين، ولا في الجهل به دخول ضر فيه. والإيمان بظاهر التنزيل فرض. وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه .

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَآتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أفرسُ الناس ثلاثة: العزيز في يوسف، حيث قال لامرأته: أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا، وابنة شعيب عليه السلام حيث قالت لأبيها في موسى عليه السلام: يا أبتِ استأجره، وأبو بكر في عمر رضي الله عنهما حيث استخلفه^(١).

﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾، [أي: في أرض مصر]^(٢) أي: كما أنقذنا يوسف من القتل وأخرجناه من الجب، كذلك [مكنا له]^(٣) في الأرض فجعلناه على خزائنها.

﴿وولعلمه من تأويل الأحاديث﴾، أي: [مكنا له]^(٣) في الأرض لكي نعلمه من تأويل الأحاديث، وهي عبارة عن الرؤيا.

﴿والله غالب على أمره﴾، قيل الهاء في أمره كناية عن الله تعالى، يقول: إن الله غالب على أمره يفعل ما يشاء، لا يغلبه شيء ولا يردُّ حكمه رادّ.

وقيل: هي راجعة إلى يوسف عليه السلام معناه: إن الله مستول على أمر يوسف بالتدبير [والحياطة]^(٤) لا يَكِلُهُ إلى أحد حتى يبلغ منتهى علمه فيه.

﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾، ما الله به صانع.

﴿ولما بلغ أشده﴾، منتهى شبابه وشدته وقوته. قال مجاهد: ثلاثاً وثلاثين سنة.

وقال السدي: ثلاثين سنة.

وقال الضحاك: عشرين سنة.

وقال الكلبي: الأشدُّ ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة.

وسئل مالك رحمه الله عن الأشد قال: هو الحلم^(٥).

﴿آتيناها حكماً وعلماً﴾، فالحكم: النبوة، والعلم: الفقه في الدين.

(١) صححه الحاكم على شرط الشيخين وأقره الذهبي، المستدرک: ٣٤٦/٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٢٦٨/١٠): «رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح إن كان محمد بن كثير هو العبدي، وإن كان الثقفى فقد وثق على ضعف كثير فيه».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) في «ب»: مكناه.

(٤) في «ب»: والإحاطة.

(٥) قال الإمام الطبري: (٢٣/١٦) «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى يوسف لما بلغ أشده حكماً وعلماً

= والأشد: هو انتهاء قوته وشبابه = وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثماني عشرة سنة، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن عشرين

سنة، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة — ولا دلالة له في كتاب الله، ولا أثر عن رسول الله ﷺ، ولا في إجماع

الأمّة، على أي ذلك كان. وإذا لم يكن ذلك موجوداً من الوجه الذي ذكرت، فالصواب أن يقال فيه كما قال الله عز وجل، حتى

ثبت حجة بصفة ما قيل في ذلك من الوجه الذي يجب التسليم له، فيسلم لها حينئذ».

وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ
مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾

وقيل: حكماً يعني: إصابة في القول: وعلماً: بتأويل الرؤيا .
وقيل: الفرق بين الحكيم والعالم، أن العالم: هو الذي يعلم الأشياء، والحكيم: الذي يعمل بما يوجبه العلم .

﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: المؤمن. وعنه أيضاً المهتدين .
وقال الضحاك: الصابرين على النوائب كما صبر يوسف عليه السلام .
﴿ورأودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾، يعني: امرأة العزيز. والمراد: طلب الفعل، والمراد هاهنا أنها دعتة إلى نفسها ليواقعها، ﴿وغلقت الأبواب﴾، أي: أطبقتها، وكانت سبعة، ﴿وقالت هيت لك﴾، أي: هلم وأقبل .

قرأه أهل الكوفة والبصرة: (هَيْتَ لَكَ) بفتح الهاء والتاء .
وقرأ أهل المدينة والشام: (هَيْتَ) بكسر الهاء وفتح التاء .
وقرأ ابن كثير: (هَيْتُ) بفتح الهاء وضم التاء .
وقرأ السلمي وقتادة: (هَيْتُ لَكَ) بكسر الهاء وضم التاء مهموزاً، يعني: تهبأثُ لك، وأنكره أبو عمرو والكسائي، وقالوا لم يُحْك هذا عن العرب .
والأول هو المعروف عند العرب .

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أقرأني النبي ﷺ: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾^(١) .
قال أبو عبيدة^(٢) كان الكسائي يقول: هي لغة لأهل حوران رفعت إلى الحجاز معناها [إلي]^(٣) .
تعال .

وقال عكرمة: هي أيضاً بالخورانية هلم .
وقال مجاهد وغيره: هي لغة عربية وهي كلمة حث وإقبال على الشيء .
قال أبو عبيدة: إن العرب لا تشني ﴿هَيْتَ﴾ ولا تجمع ولا تؤنث، وإنما بصورة^(٤) واحدة في كل حال .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٣٤٦/٢ وصححه على شرط الشيخين .

وانظر: تفسير الطبري: ٣٠/١٦-٣١ مع تعليق الشيخ محمود شاكر .

(٢) في «ب» أبو عبيد. وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٠٥/١ .

(٣) زيادة من «ب» .

(٤) في «أ»: بصوت .

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ
وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٤﴾

﴿قال﴾ يوسف لها عند ذلك: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾، أي: أعوذ بالله وأعتصم بالله مما دعوتني إليه، ﴿إنه ربي﴾ يريد أن زوجك قطفير^(١) سيدي ﴿أحسن مثواي﴾، أي: أكرم منزلي. هذا قول أكثر المفسرين .
وقيل: الهاء راجعة إلى الله تعالى، يريد: أن الله تعالى ربي أحسن مثواي، أي: آواني، ومن بلاء الجب عافاني .

﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾، يعني: إن فعلت هذا فختته في أهله بعد ما أكرم مثواي فأنا ظالم، ولا يفلح الظالمون .

وقيل: لا يفلح الظالمون: أي لا يسعد الزناة .

﴿ولقد همّت به وهم بها﴾، والهمُّ هو: المقاربة من الفعل من غير دخول فيه. فههنا: غزمتها على المعصية والزنا .

وأما همُّه: فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: حلّ الهميان وجلس منها مجلس الخائن^(٢) .

وعن مجاهد قال: حلّ سراويله وجعل يعالج ثيابه. وهذا قول أكثر المتقدمين مثل سعيد بن جبير والحسن^(٣) .

وقال الضحاك: جرى الشيطان فيما بينهما فضرب بإحدى يديه إلى جيد يوسف وباليدين الأخرى إلى جيد المرأة حتى جمع بينهما .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: وقد أنكر قوم هذا القول، والقول ما قال متقدمو هذه الأمة، وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الأنبياء عليهم السلام من غير علم .

وقال السدي وابن إسحاق: لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عليه السلام عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه إلى نفسها، فقالت: يا يوسف ما أحسن شعرك!

قال: هو أول ما ينتثر من جسدي .

قالت: ما أحسن عينيك!

(١) في تفسير الطبري: (إطفير) .

(٢) أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ وأبو نعيم في الحلية عن ابن عباس موقوفاً .

انظر: الدر المنثور: ٥٢١/٤ . وسيأتي التعليق على هذه الروايات قريباً .

(٣) ساق السيوطي الروايات عنهم في الدر المنثور: ٥٢١/٤-٥٢٢ .

قال: هي أول ما تسيل على وجهي في قبري .

قالت: ما أحسن وجهك!

قال: هو للتراب يأكله^(١) .

وقيل: إنها قالت: إن فراش الحرير مبسوط، فقم فاقض حاجتي .

قال: إذا يذهب نصيبي من الجنة .

فلم تزل تطعمه وتدعوه إلى اللذة، وهو شاب يجد من شبق الشباب ما يجده الرجل، وهي امرأة حسناء جميلة، حتى لان لها ممماً يرى من كلفها، وهمم بها، ثم إن الله تعالى تدارك عبده ونبيه بالبرهان الذي ذكره^(٢) .

وزعم بعض المتأخرين: أن هذا لا يليق بحال الأنبياء عليهم السلام^(٣)، وقال: تم الكلام عند قوله:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾، ثم ابتداء الخير عن يوسف عليه السلام فقال: ﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾،

على التقديم والتأخير، أي: لولا أن رأى برهان ربه لهمم بها، ولكنه رأى البرهان فلم يهم .

وأنكره النحاة، وقالوا: إن العرب لا تُؤخّر (لولا) عن الفعل، فلا تقول: لقد قمت^(٤) لولا زيد، [وهو

يريد لولا زيد لَقَمْتُ]^(٥) .

وقيل: همت بيوسف أن يفترشها، وهمم بها يوسف أي: تمنى أن تكون له زوجة .

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٤/١٦ .

(٢) أخرجه الطبري في الموضع السابق .

(٣) وأبدى ابن عطية وجهاً أن هذا لم يكن في حال النبوة، فقال في «الحرر الوجيز»: (٤٧٧/٧-٤٧٨): «والذي أقول في هذه الآية: إن كون يوسف نبياً في وقت هذه النازلة: لم يصح، ولا تظاهرت به رواية. وإذا كان ذلك فهو مؤمن قد أوتي حكماً وعلماً، ويجوز عليه المهم الذي هو إرادة الشيء دون موافقته، وأن يستصحب الخاطر الرديء على ما في ذلك من الخطيئة، وإن فرضناه نبياً - في ذلك الوقت - فلا يجوز عليه - عندي - إلا المهم الذي هو الخاطر، ولا يصح عليه شيء مما ذكر من حل تكية ونحو ذلك؛ لأن العصمة مع النبوة .

وما روي من أنه قيل له: «تكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء» فأما معناه: العدة بالنبوة فيما بعد .

وللهم بالشيء مرتبتان: فالأولى: تجوز عليه مع النبوة، والثانية الكبرى: لا تقع إلا مع غير نبي، لأن استصحاب خاطر المعصية والتلذذ بها معصية في نفسها تُكْتَبُ...» .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «دقائق التفسير»: (٢٧٢/٣-٢٧٣): «المهم: اسم جنس تحته نوعان، كما قال الإمام أحمد: المهم هتان: هم خطرات، وهم إصرار. وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: إن العبد إذا همم بسيفة لم تكتب عليه، وإذا تركها لله كتبت له حسنة... ويوسف همم ما تركه لله، لذلك صرف الله عنه السوء والفحشاء لإخلاصه... وأما ما ينقل من أنه حل سراويله وجلس مجلس الرجل من المرأة، وأنه رأى صورة يعقوب عاضاً على يده، وأمثال ذلك، فكله مما لم يخبر الله به ولا رسوله، وما لم يكن كذلك فهو مأخوذ عن اليهود الذين هم من أعظم الناس كذباً على الأنبياء وقدحاً فيهم، وكل من نقله من المسلمين فعنهم نقله. لم ينقل من ذلك أحد عن نبينا صلى الله عليه وسلم حرفاً واحداً .

(٤) في «ب»: همت .

(٥) ساقطة من «ب» .

وهذا التأويل وأمثاله غير مرضية لمخالفتها أقاويل القدماء من العلماء الذين يؤخذ عنهم الدين والعلم^(١)..

وقال بعضهم: إن القدر الذي فعله يوسف عليه السلام كان من الصغائر، والصغائر تجوز على الأنبياء عليهم السلام^(٢).

(١) قال العلامة الشنقيطي في تفسيره «أضواء البيان»: تفسير القرآن بالقرآن (٣/٦٠-٦٢): «والجواب الثاني - وهو اختيار أبي حيان: أن يوسف لم يقع منه هم أصلاً، بل هو منفي عنه لوجود البرهان . وهذا الذي اختاره أبو حيان وغيره هو أجرى الأقوال على قواعد اللغة العربية، لأن الغالب في القرآن وفي كلام العرب: أن الجواب المحذوف يذكر قبله ما يدل عليه، كقوله: ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾: أي: إن كنتم مسلمين فتوكلوا عليه، فالأول: دليل الجواب المحذوف لا نفس الجواب، لأن جواب الشروط وجواب ﴿لولا﴾ لا يتقدم، ولكن يكون المذكور قبله دليلاً عليه كآية المذكورة. وكقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أي: إن كنتم صادقين فهااتوا برهانكم. وعلى هذا القول: معنى الآية، وهم بها لولا أن رأى برهان ربه، أي: لولا أن رآه هم بها. فما قبل ﴿لولا﴾ هو دليل الجواب المحذوف، كما هو الغالب في القرآن واللغة . ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾، فما قبل ﴿لولا﴾ دليل الجواب، أي: لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تُبدي به .

واعلم أن جماعة من علماء العربية أجازوا تقديم جواب ﴿لولا﴾ وتقديم الجواب في سائر الشروط: وعلى هذا القول يكون جواب ﴿لولا﴾ في قوله: ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾، هو ما قبله من قوله: ﴿وهم بها﴾. وإلى جواز التقديم المذكور ذهب الكوفيون، ومن أعلام البصريين: أبو العباس المبرد، وأبو زيد الأنصاري .

وقال الشيخ أبو حيان الأندلسي في «البحر المحيط» (٥/٢٩٤-٢٩٥) ما نصه: «طول المفسرون في تفسير هذين الهمتين، ونسب بعضهم ليوسف مالا يجوز نسبه لآحاد الفساق، والذي أختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان، كما تقول: لقد فارقت لولا أن عصمك الله، ولا تقول: إن جواب ﴿لولا﴾ متقدم عليها، وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك، بل صريح أدوات الشرط العاملة مُخْتَلَفٌ في جواز تقديم أجوبتها عليها، وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين أبو زيد الأنصاري وأبو العباس المبرد، بل تقول: إن جواب ﴿لولا﴾ محذوف لدلالة ما قبله عليه، كما تقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت، فيقدرونه: إن فعلت فأنه ظالم، ولا يدل قوله: أنت ظالم على ثبوت الظلم، بل هو مُثَبِّتٌ على تقدير وجود الفعل، وكذلك هنا التقدير: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، فكان موجد الهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان، ولكنه وجد رؤية البرهان، فانتفى الهم. وبعد أن ردَّ على الزجاج اعتراضاً لغوياً، قال: «وأما أقوال السلف - والتي ساق بعضها الإمام البغوي هنا - فنعقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك، لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضاً مع كونها قاذحة في فساق المسلمين فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة. والذي روي عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب لأنهم قدروا جواب ﴿لولا﴾ محذوفاً ولا يدل عليه دليل، لأنهم لم يقدروا: ﴿لهم بها﴾، ولا يدل كلام العرب إنَّها على أن يكون المحذوف من معنى ما قبل الشرط، لأن ما قبل الشرط دليل عليه، ولا يُحذف الشيء لغير دليل عليه .

ثم يقول أبو حيان: «وقد طهرنا كتابنا هذا - أي: تفسيره البحر المحيط - عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره، واقتصرنا على ما دلَّ عليه لسان العرب ومساق الآيات التي وردت في هذه السورة مما يدل على العصمة وبرائة يوسف عليه السلام من كل ما يشين» .

وانظر: «الاسرائيليات والموضوعات» لمحمد محمد أبو شهبة ص (٣٠٧-٣١٩)، تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: (١٢/٢٨٠-٢٨٦) .

(٢) انظر فيما سبق ص (٢١٨) هامش (٥) .

روي أن يوسف عليه السلام لما دخل على الملك حين خرج من السجن وأقربت المرأة، قال يوسف: ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ قال له جبريل: ولا حين هممت بها يا يوسف؟ فقال يوسف عند ذلك: ﴿وما أبرئ نفسي﴾ الآية^(١).

وقال الحسن البصري: إن الله تعالى لم يذكر ذنوب الأنبياء عليهم السلام في القرآن ليعيبرهم، ولكن ذكرها ليبين موضع النعمة عليهم، ولئلا ييأس أحد من رحمته^(٢).

وقيل: إنه ابتلاههم بالذنوب ليتفرد بالطهارة والعزة، ويلقاه جميع الخلق يوم القيامة على انكسار المعصية.

وقيل: ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء الرحمة وترك الإيأس من المغفرة والعتو.

وقال بعض أهل الحقائق: اللهم همَّان: همَّ ثابت، وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضى، مثل همَّ امرأة العزيز، والعبء مأخوذ به، وهمَّ عارض وهو الخطرة، وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم، مثل همَّ يوسف عليه السلام، فالعبء غير مأخوذ به مالم يتكلم أو يعمل.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد محمش الزياتي، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا عبدالرزاق، حدثنا معمر عن همام بن منبه قال: حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «قال الله عز وجل: إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها،

(١) ليس هذا من كلام يوسف عليه السلام، بل هو من كلام امرأة العزيز كما يدل القرآن على ذلك دلالة بيّنة، لا يرتاب فيها من تدبير القرآن، حيث قال تعالى: «وقال الملك اتوني به، فلما جاءه الرسول، قال: ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن، إن ربي بكيدهن عليم. قال: ما خطبكن إذ راودتُن يوسف عن نفسه؟ قلن: حاش لله ما علمنا عليه من سوء. قالت امرأة العزيز: الآن حصحص الحق، أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين، وما أبرئ نفسي، إن النفس لأئمة بالسوء إلا ما رحم ربي، إن ربي غفور رحيم».

فهذا كلام امرأة العزيز، ويوسف إذ ذاك في السجن لم يحضر بعد إلى الملك، ولا سمع كلامه ولا رآه. ولكن لما ظهرت براعته في غيبته كما قالت امرأة العزيز: «ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب» أي: لم أخنه في حال مغيبه عني وإن كنت في حال شهوده راودته. فحيث «قال الملك اتوني به أستخلصه لنفسي، فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين».

وقد قال كثير من المفسرين: إن هذا من كلام يوسف، ومنهم من لم يذكر إلا هذا القول، وهو قول في غاية الفساد، ولا دليل عليه، بل الأدلة تدل على نقيضه.

انظر: «دقائق التفسير» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٢٧٣/٣).

(٢) ويوسف عليه السلام لم يذكر الله تعالى عنه أنه ارتكب ذنباً، وهو سبحانه لا يذكر لنبي من الأنبياء ذنباً إلا ذكر استغفاره منه، ولم يذكر عن يوسف استغفاراً من تلك الكلمة، كما لم يذكر عنه استغفاراً من مقدمات الفاحشة، فلم أنه لم يفعل ذنباً في هذا ولا هذا، بل إن ما فعله كان من الحسنات المبرورة والمسامحة المشكورة.

انظر: «دقائق التفسير»: (٢٦٢/٣، ٢٨٠).

وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له، مالم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها»^(١).
 قوله عز وجل: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، اختلفوا في ذلك البرهان: قال قتادة وأكثر المفسرين:
 إنه رأى صورة يعقوب، وهو يقول له: يا يوسف تعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء!
 وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك: انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عليه
 السلام عاضاً على أصبعه^(٢).

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: مُثِّلَ له يعقوب عليه السلام فضرب بيده في
 صدره فخرجت شهوته من أنامله^(٣).

وقال السدي: نُودِيَ يا يوسف تواقعها! إنما مثلك مالم تواقعها مثل الطير في جوف السماء لا يطاق،
 ومثلك إن تواقعها مثله إذا مات ووقع على الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه، ومثلك مالم تواقعها مثل
 الثور الصعب الذي لا يطاق، ومثلك إن واقعتها مثل الثور يموت فيدخل الثمل في أصل قرنيه لا يستطيع
 أن يدفعه عن نفسه.

وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَهُمْ بِهَا﴾ قال: حلّ سراويله وقعد منها مقعد
 الرجل من امرأته، فإذا بكفّ قد بدت بينهما بلا معصم ولا عضد مكتوب عليها «وإن عليكم لحافظين
 كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون» (الانفطار - ١١)، فقام هارياً وقامت، فلما ذهب عنهما الرعب
 عادت وعاد فظهرت تلك الكف مكتوباً عليها: «ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً» (الإسراء
 - ٣٢) فقام هارياً وقامت، فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد، فظهر، ورأى تلك الكف مكتوباً
 عليها: «واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله» (البقرة - ٢٨١) فقام هارياً وقامت، فلما ذهب عنهما الرعب
 عادت وعاد، فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام: أَدْرِكْ عِبْدِي قَبْلَ أَنْ يَصِيبَ الْخَطِيئَةَ، فانحطَّ جبريل
 عليه السلام عاضاً على أصبعه، يقول: يا يوسف تعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في
 الأنبياء^(٤).

وَرُوي أَنَّهُ مَسَحَهُ بِجَنَاحِهِ فَخَرَجَتْ شَهْوَتُهُ مِنْ أَنْامِلِهِ.

(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب (يريدون أن يدلوا كلام الله): ١٩٨/٨، وفي الرقاق: باب من همّ بحسنة عن ابن عباس،
 ١٧٨/٧، ومسلم في الإيمان، باب إذا همّ العبد بحسنة كتب، وإذا هم بسيفة لم تكتب، برقم (٢٠٥): ١١٧/١، من طريق
 عبدالرزاق بسنده لصحيفة همام بن منبه، انظر: المصنف لعبدالرزاق، كتاب الجامع: ٢٨٧/١١، ومن طريقه أخرجه البهوي في
 شرح السنة: ٣٣٧/١٤، ٣٣٨.

وراجع: صحيفة همام بن منبه بتحقيق الدكتور رفعت فوزي ص (١٨٨-١٨٩).

(٢) انظر الروايات عنهم في: الدر المنثور: ٥٢١/٤-٥٢٣.

(٣) إذا خرجت منه الشهوة فإنه لا فضل له في ترك الهمّ بها، لو أنه حصل منه.

(٤) وهل نزلت هذه الآيات الكريمة على أحد قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؟

وقال محمد بن كعب القرظي: رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت حين همّ بها فرأى كتاباً في حائط البيت: «لا تقرّبوا الزنا إثمّه كان فاحشاً وساء سبيلاً» .

وروى عطية عن ابن عباس: في البرهان أنه رأى مثال الملك^(١) .

وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما: البرهان النبوة التي أودعها الله في صدره حالت بينه وبين ما يسخط الله عزّ وجلّ^(٢) .

وعن علي بن الحسين قال: كان في البيت صنم فقامت المرأة وسترت به بثوب، فقال لها يوسف: لم فعلت هذا؟ .

فقلت: استحييت منه أن يراني على المعصية .

فقال يوسف: أتستحين مما لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه؟ فأنا أحق أن أستحي من ربّي، وهرب^(٣) .

(١) انظر تخرّج هذه الروايات في: الدر المنثور: ٥٢٦/٤-٥٢٤ .

(٢) وقريب من هذا القول قول من قال: إن البرهان أنه علم ما أحلّ الله مما حرم الله، فرأى تحريم الزنا، روي عن محمد بن كعب القرظي. قال ابن قتيبة: رأى حجة الله عليه وهي البرهان .

قال ابن الجوزي: في «زاد المسير»: (٢٠٩/٤): «وهذا هو القول الصحيح وما تقدّمه فليس بشيء، وإنما هي أحاديث من أعمال القصاص، وقد أشرت إلى فسادها في كتاب «المغني في التفسير». وكيف يُظنّ بنبي الله كريم أنه يخوف ويرعب ويضطر إلى ترك هذه المعصية وهو مُصيرٌ؟! وهذا غاية القبح .

(٣) قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره: (٤٩/١٦) بعد أن ساق تلك الروايات المختلفة المضطربة: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن همّ يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه، لولا أن رأى يوسف برهان ربه، وذلك آية من الله زجرته عن ركوب ما همّ به يوسف من الفاحشة = وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب، وجائز أن تكون صورة الملك، وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنا = ولا حجة للعذر قاطعة بأيّ ذلك كان من أيّ .

والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلى عالمه .

وقال الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان»: (٦٨/٣): «وهذه الأقوال التي رأيت نسبتها إلى هؤلاء العلماء منقسمة إلى قسمين : قسم لم يثبت نقله عن نقل عنه بسند صحيح، وهذا لا إشكال في سقوطه .

وقسم ثبت عن بعض من ذكر . ومن ثبت عنه منهم شيء من ذلك، فالظاهر الغالب على الظن، المزاحم لليقين: أنه إنما تلقاه عن الإسرائيليات؛ لأنه لا مجال للرأي فيه، ولم يرفع منه قليل ولا كثير إليه صلى الله عليه وسلم .

وهذا تعلم أنه لا ينبغي التجرؤ على القول في نبي الله يوسف بأنه جلس بين رجل امرأة كافرة أجنبية، يريد أن يزني بها، اعتماداً على مثل هذه الروايات. مع أن في الروايات المذكورة ما تلوح عليه لوائح الكذب، كقصّة الكف التي خرجت له أربع مرات، وفي ثلاث منهن لا يبالي بها، لأن ذلك - على فرض صحته - فيه أكبر زاجر لعوام الفسّاق، فما ظنك بخيار الأنبياء! مع أننا قدّمنا دلالة القرآن على براءته من جهات متعددة، وأوضحنا أن الحقيقة لا تتعدى أحد أمرين :

إما أن يكون لم يقع منه همّ بها أصلاً، بناء على تعليق همه على عدم رؤية البرهان، وقد رأى البرهان .

وإما أن يكون هم الميل الطبيعي المزموم بالتقوى. والعلم عند الله تعالى .

وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَالْفَيْسِدَ هَالِدًا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ
 مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي
 وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ
 الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾

قوله عز وجل: ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ جواب لولا محذوف، تقديره: لولا أن رأى برهان ربه
 لواقع المعصية .

﴿كذلك لتصرف عنه السوء والفحشاء﴾، فالسوء: الإثم. وقيل: السوء القبيح. والفحشاء: الزنا .
 ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾، قرأ أهل المدينة والكوفة: ﴿المخلصين﴾ بفتح اللام حيث كان إذا لم
 يكن بعده ذكر الذين، زاد الكوفيون ﴿مخلصاً﴾ في سورة مريم ففتحوا .

ومعنى / ﴿المخلصين﴾ المختارين للنبوة، دليله: «إنا أخلصناهم بخالصة» (ص - ١٤٦) .

ب/١٨١

وقرأ الآخرون بكسر اللام، أي: المخلصين لله الطاعة والعبادة .
 ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾، وذلك أن يوسف لما رأى البرهان قام مبادراً إلى باب البيت هارباً، وتبعته
 المرأة لتمسك الباب حتى لا يخرج يوسف، فسبق يوسف، وأدركته المرأة، فتعلقت بقميصه من خلفه،
 فجذبه إليها حتى لا يخرج .

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ﴾ أي: فشقتة ﴿مِنْ دُبُرٍ﴾، أي: من خلف، فلما خرجا لقيا العزيز، وهو قوله:
 ﴿وَأَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾، أي: وجدا زوج المرأة قطفير عند الباب جالساً مع ابن عم
 لراعييل، فلما رآته هابته و﴿قَالَتْ﴾ سابقة بالقول لزوجها ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾، يعني:
 الزنا، ثم خافت عليه أن يقتله فقالت: ﴿إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ﴾، أي: يجبس، ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي: ضرب
 بالسياط، فلما سمع يوسف مقالها .

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾، يعني: طلبت مني الفاحشة فأبيت وفررت .
 قيل: ما كان يريد يوسف أن يذكره، فلما قالت المرأة: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً؟ ذكره، فقال:
 هي راودتني عن نفسي .

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾، وحكم حاكم، ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾، اختلفوا في ذلك الشاهد :
 فقال سعيد بن جبير، والضحاك: كان صبياً في المهد، أنطقه الله عز وجل^(١)، وهو رواية العوفي عن

(١) أخرجه عنهما: ابن جرير وأبو الشيخ وابن أبي شيبة وابن المنذر. انظر: الدر المنثور: ٥٢٦/٤ .

وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ
 قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ
 هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾

ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ. أنه قال: «تكلّم أربعة وهم صغار: ابن ماشطة ابنة فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى ابن مريم عليه السلام»^(١).
 وقيل: كان ذلك الصبي ابن خال المرأة.

وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد: لم يكن صبيّاً ولكنه كان رجلاً حكيماً ذا رأي^(٢).
 قال السدي: هو ابن عم راعيل^(٣)، فحكم فقال: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ﴾، أي: من
 قدام، ﴿فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.
 ﴿فَلَمَّا رَأَى﴾، قطفير، ﴿قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾ عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام،
 ﴿قَالَ﴾ لها ﴿إِنَّهُ﴾، أي: إن هذا الصنيع، ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، وقيل: إن هذا من قول
 الشاهد ثم أقبل قطفير على يوسف فقال:
 ﴿يُوسُفُ﴾، أي: يا يوسف، ﴿أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ أي: عن هذا الحديث، فلا تذكره لأحد حتى
 لا يشيع.

وقيل: معناه لا تكثرث له، فقد بان عذرك وبراءتك.
 ثم قال لامرأته: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾، أي: توبني إلى الله، ﴿إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾.

(١) رواه ابن جرير في التفسير عن ابن عباس: (٥٥/١٦)، والإمام أحمد في المسند مطولاً برقم (٢٨٢٢-٢٨٢٥) - طبعة الحلبي -
 ولم يرفعه، وابن حبان في صحيحه ص (٤٠) من موارد الظمان.
 وقال الهيثمي في «المجمع»: (٦٥/١): «رواه أحمد والبخاري والطبراني في الكبير والأوسط - وفيه عطاء بن السائب - وهو ثقة، ولكنه
 اختلط».

وأخرجه الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة ٤٩٧/٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وعزاه السيوطي للبيهقي في
 الدلائل، وزاد ابن حجر نسبه لابن أبي شيبه وأبي يعلى والبيهقي في الشعب انظر: «الكافي الشاف» ص (٨٩)، وصححه الشيخ
 محمود شاكر في تعليقه على الطبري، في الموضوع السابق.
 وانظر: فتح الباري لابن حجر: ٤٨٠/٦.

(٢) انظر: الدر المنثور ٥٢٦/٤.

(٣) قال الطبري في التفسير: (٥٩/٢): «والصواب من القول في ذلك، قول من قال: كان صبيّاً في المهد = للخبر الذي ذكرناه عن
 رسول الله ﷺ، أنه ذكر من تكلم في المهد، فذكر أن أحدهم صاحب يوسف».

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَدَثَمَهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۗ إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۚ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَنًا ۖ وَآتَتْ كُلَّ وَجِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّارَأَيْتَهُنَّ أَكْبَرْتَهُ ۖ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۗ ﴾

وقيل: إن هذا من قول الشاهد ليوسف ولراعييل .

وأراد بقوله: (واستغفري لذنبك)، أي سلي زوجك أن لا يعاقبك ويصفح عنك ﴿إنك كنت من الخاطئين﴾ من المذنبين، حتى راودت شاباً عن نفسه وحنيت زوجك، فلما استعصم كذبت عليه، وإنما قال: «من الخاطئين» ولم يقل: من الخاطئات، لأنه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد به الخبر عن من يفعل ذلك، تقديره: من القوم الخاطئين، كقوله تعالى: «وكأنت من القانتين» (التحريم - ١٢) بيانه قوله تعالى: «إنها كانت من قوم كافرين» (المل - ٤٣) .

قوله تعالى: ﴿وقال نسوة في المدينة﴾ الآية .

يقول: شاع أمر يوسف والمرأة في المدينة مدينة مصر. وقيل: مدينة عين الشمس، وتحدث النساء بذلك وقلن - وهن خمس نسوة: امرأة حاجب^(١) الملك، وامرأة صاحب الدواب، وامرأة الحجاز، وامرأة الساقى، وامرأة صاحب السجن، قاله مقاتل .

وقيل: هن نسوة من أشرف مصر - :

﴿امرأة العزيز ثراود قتاها﴾، أي: عبدها الكنعاني، ﴿عن نفسه﴾، أي: تطلب من عبدها الفاحشة، ﴿قد شغفها حبا﴾، أي: علقها حبا .

قال الكلبي: حجب حبه قلبها حتى لا تعقل سواه .

وقيل: أحبت حتى دخلها حبه شغاف قلبها، أي: داخل قلبها .

قال السدي: الشغاف جلدة رقيقة على القلب، يقول: دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب .
وقرأ الشعبي والأعرج^(١): ﴿شغفها﴾ بالعين غير المعجمة، معناه: ذهب الحب بها كل مذهب .
ومنه شغف الجبال وهو رؤوسها. ﴿إننا لتراه في ضلال مبين﴾، أي: خطأ ظاهر. وقيل: معناه إنها تركت ما يكون عليه أمثالها من العفاف والستر .

﴿فلما سمعت﴾، راعيل، ﴿بمكرهن﴾، بقولهن وحديثهن، قاله قتادة والسدي .

(١) في (ب): صاحب .

(٢) في (ب): الأعمش .

قال ابن إسحاق إنما قلن ذلك مكرراً بها لِتُرِيَهُنَّ يوسف، وكان يوصف لهنَّ حسنُهُ وجماله .
وقيل: إنها أفشت إلهنَّ سرّها واستكنمتهن فأفشتين ذلك، فلذلك سماه مكرراً .
﴿أَرْسَلْتُ إِلَيْهِ﴾، قال وهب: اتخذت مأدبة، ودعت أربعين امرأة، منهن هؤلاء اللاتي عيّرنها.
﴿وَأَعْتَدْتُ﴾، أي: أعدت، ﴿لَهُنَّ مَتَكاً﴾، أي: ما يتكأ عليه .

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد: متكأ أي: طعاماً، سماه متكأ لأن أهل الطعام إذا جلسوا يتكؤون على الوسائد، فسمى الطعام متكأ على الاستعارة. يقال: اتكأنا عند فلان أي: طعمنا^(١). ويقال: المتكأ ما اتكأت عليه للشرب أو الحديث أو الطعام^(٢)، ويقرأ في الشواذ مَتَكاً بسكون التاء .

واختلفوا في معناه: فقال ابن عباس: [هو الأترج. ويروى عن مجاهد مثله. وقيل^(٣) هو الأترج بالخبشة .

وقال الضحاك: هو الرباورد^(٤) .

وقال عكرمة: هو كل شيء يقطع بالسكين .

وقال أبو زيد الأنصاري: كل ما يجز بالسكين فهو عند العرب متك، والمتك والبتك بالميم والباء: القطع، فزيت [المأدبة بألوان]^(٥) الفواكه والأطعمة، ووضعت الوسائد ودعت النسوة .

﴿وَأَثَمْتُ﴾: وأعطت، ﴿كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سَكِينًا﴾، فكن يأكلن اللحم حزاً بالسكين .

﴿وَقَالَتْ﴾، ليوسف، ﴿اخْرُجْ عَلَيْنَا﴾، وذلك أنها كانت أجلسته في مجلس آخر، فخرج عليهن

يوسف .

قال عكرمة: كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم .

وروي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي إِلَى السَّمَاءِ يَوْسُفَ

كَالقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»^(٦) .

قال إسحاق بن أبي فروة: كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلاً لأ وجهه على الجدران .

(١) في «أ»: أطمعنا .

(٢) في «أ»: لشراب أو لحديث أو طعام .

(٣) ساقط من «أ» .

(٤) في «ب»: الزمورد .

(٥) في «ب»: بيتاً بأنواع .

(٦) قال ابن حجر في «الكافي الشاف» ص (٨٩): «رواه الثعلبي من رواية أبي هارون العبدي عن أبي سعيد. وأخرجه الحاكم والبيهقي في

الدلائل، وابن مردويه من هذا الوجه مطولاً، وأبو هارون العبدي ضعيف» .

قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ
مَاءَ أَمْرِهِ فَلْيَسْجَنَنَّ وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾

﴿فلما رأته أكبرته﴾، أعظمته، قال أبو العالية: هالهن أمره وبهتن. وقيل: أكبرته أي: حضن لأجله من جماله^(١). ولا يصح.

﴿وقطعن﴾، أي: حزنن بالسكاكين التي معهن، ﴿أيديهن﴾، وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج، ولم يجدن الألم لشغل قلوبهن بيوسف.

أ / ١٨٢ قال مجاهد: / فما أحسسن إلا بالدم.

وقال قتادة^(٢) أبى أيديهن حتى ألقينها.

والأصح كان قطعاً بلا إبانة.

وقال وهب: ماتت جماعة منهن^(٣).

﴿وقلن حاش لله ما هذا بشراً﴾، أي: معاذ الله أن يكون هذا بشراً. قرأ أبو عمرو: حاشى لله، بإثبات الياء في الوصل، على الأصل. وقرأ الآخرون بحذف الياء لكثرة ورودها على الألسن، واتباعاً للكتاب.

وقوله: ﴿ما هذا بشراً﴾ نصب بنزع حرف الصفة، أي: ليس هذا ببشر، ﴿إن هذا﴾، أي: ما هذا، ﴿إلا ملك﴾، من الملائكة، ﴿كريم﴾، على الله تعالى.

﴿قالت﴾، يعني: راعيل، ﴿فذلكن الذي لمتنني فيه﴾، أي: في حبه، ثم صرحت بما فعلت، فقالت: ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾، أي: فامتنع، وإنما صرحت به لأنها علمت أنه لا ملامة عليها منهن وقد أصابهن ما أصابها من رؤيته، فقلن له: أطع مولاتك. فقالت راعيل: ﴿ولئن لم يفعل ما أمره﴾، ولكن لم يطاوعني فيما دعوته إليه، ﴿ليسجنن﴾، أي: ليعاقبن بالحبس، ﴿وليكونن من الصاغرين﴾، من الأذلاء. ونون التوكيد تثقل وتخفف، والوقف على قوله: ﴿ليسجنن﴾ بالنون لأنها مشددة، وعلى قوله ﴿وليكونن﴾ بالألف لأنها مخففة، وهي شبيهة بنون الإعراب في الأسماء، كقوله: رأيت رجلاً، وإذا وقفت، قلت: رأيت رجلاً، بالألف، ومثله: «لنسفعاً بالناصية ناصية» (العلق - ١٥، ١٦). فاختار يوسف عليه السلام السجن على المعصية حين توعدته المرأة.

(١) وضعف هذا التفسير أيضاً: الطبري: ٧٦/١٦-٧٧، وابن عطية في المحرر الوجيز: ٧/٤٩٥-٤٩٦.

(٢) في (ب): مجاهد.

(٣) قال الطبري في التفسير: ٧٩/١٦: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عنهن أنهن قطعن أيديهن وهن لا يشعرن

لإعظام يوسف، وجائز أن يكون ذلك قطعاً بإبانة = وجائز أن يكون قطع حَزَّ وخذش = ولا قول في ذلك أصوب من التسليم لظاهر التنزيل».

قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٤﴾ ثُمَّ بَدَأَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتَهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾

﴿قال رب﴾، أي: يارب، ﴿السجن أحب إلي مما يدعونني إليه﴾، قيل: كان الدعاء منها خاصة، ولكنه أضاف إليهن خروجاً من التصريح إلى التعريض .
وقيل: إنهن جميعاً دعونه إلى أنفسهن .

وقرأ يعقوب وحده: السِّجْنُ بفتح السين. وقرأ العامة بكسرها .
وقيل: لو لم يقل: السجن أحب إلي لم يثبت بالسجن، والأولى بالمرء أن يسأل الله العافية .
قوله تعالى: ﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن﴾، أمل إليهن وأتابعهن، يقال: صبا فلان إلى كذا يصبو صبواً وصبواً وصبواً وإذا مال واشتاق إليه .

﴿وأكن من الجاهلين﴾، فيه دليل على أن المؤمن إذا ارتكب ذنباً يرتكبه عن جهالة .
﴿فاستجاب له﴾ أجاب له . ﴿ربه صرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم﴾، [لدعائه] (١)
العليم بمكرهن .

﴿ثم بدأهم﴾، أي: للعزيز وأصحابه في الرأي، وذلك أنهم أرادوا أن يقتصروا من أمر يوسف على الأمر بالإعراض. ثم بدأهم أن يجسوه. ﴿من بعد ما رأوا الآيات﴾، الدالة على براءة يوسف من قَدِّ القميص، وكلام الطفل، وقطع النساء أيديهن وذهاب عقولهن، ﴿ليسجننَّهُ حتى حين﴾، إلى مدة يرون فيه رأيهم .
وقال عطاء: إلى أن تنقطع مقالة (٢) الناس .

قال عكرمة: سبع سنين .

وقال الكلبي: خمس سنين .

قال السدي: وذلك أن المرأة قالت لزوجها: إن هذا العيد العبراني قد فضحني في الناس، يخبرهم أني راودته عن نفسه، فيما أن تأذن لي فأخرج فأعتذر إلى الناس، وإما أن تحبسه، فحبسه، وذكر أن الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيراً ليوسف عليه السلام من همّه بالمرأة (٣) .

(١) ساقط من «أ» .

(٢) في «ب»: قالة .

(٣) تفسير الطبري: ٩٣/١٦ .

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ
 إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾

قال ابن عباس: عثر يوسف ثلاث عثرات حين همّ بها فسجن، وحين قال «اذكرني عند ربك» فلبث في السجن بضع سنين، وحين قال للإخوة «إنكم لسارقون»، فقالوا: «إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل»^(١). قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾، وهما غلامان كانا [للريان بن الوليد بن شروان العمليق]^(٢) ملك مصر الأكبر، أحدهما: خبّازه وصاحب طعامه، والآخر: ساقيه وصاحب شرابه. غضب الملك عليهما فحبسهما .

وكان السبب فيه: أن جماعة من أهل مصر أرادوا المكر بالملك واغتياه، فضمنوا لهذين مالا، ليسما الملك في طعامه وشرابه فأجاباهم، ثم إن الساقى نكل عنه، وقبل الخباز الرشوة فسّم الطعام، فلما أحضر الطعام والشراب .

قال الساقى: لا تأكل أيها الملك فإن الطعام مسموم، وقال الخباز لا تشرب فإن الشراب مسموم . فقال الملك للساقى: اشرب فشربه فلم يضره، وقال للخباز: كل من طعامك، [فأبى فجرب]^(٣) ذلك الطعام على دابة فأكلته فهلكت، فأمر الملك بحبسهما .

وكان يوسف حين دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول إني أعبر الأحلام، فقال أحد الفتيين لصاحبه: هلمّ فلنجرب هذا العبد العبراني، فترآيا له فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئا، قال ابن مسعود ما رأيا شيئا وإنما تحالما ليجرّبا يوسف .

وقال قوم: بل كانا رأيا حقيقة، فرآهما يوسف وهما مهمومان، فسألهما عن شأنهما، فذكرا أنهما صاحبا الملك، حبسهما، وقد رأيا رؤيا غمتهما. فقال يوسف: قُصَا عَلَيَّ مَا رَأَيْتُمَا، فَقُصَا عَلَيْهِ .

﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾، وهو صاحب الشراب، ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾، أي: عنبا، سمي العنب خمرا باسم ما يؤل إليه، كما يقال: فلان يطبخ الآجر أي يطبخ اللبن للآجر. وقيل: الخمر العنب بلغة عمان، وذلك أنه قال إني رأيت كأني في بستان، فإذا بأصل حبله عليها ثلاث عناقيد من عنب فجنيتها وكان كأس الملك بيدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه .

(١) تفسير الطبري: ٩٣/١٦ .

(٢) في «ب»: للوليد بن ثوران العمليقي .

(٣) في «ب»: فإني مجرب .

قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا
 عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٧﴾

﴿وقال الآخر﴾، وهو الخباز: ﴿إني أراي أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه﴾، وذلك أنه قال: إني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان الأطعمة وسباع الطير تنهش منه. ﴿نبئنا بتأويله﴾، أخبرنا بتفسيره وتعبيره وما يؤل إليه أمر هذه الرؤيا .

﴿إنا نراك من المحسنين﴾، أي: العالمين بعبارة الرؤيا، والإحسان بمعنى العلم .

وروي أن الضحاک بن مزاحم سئل عن قوله: ﴿إنا نراك من المحسنين﴾، ما كان إحسانه؟ قال: كان إذا مرض إنسان في السجن عاده وقام عليه، وإذا ضاق [عليه المجلس] ^(١) وسع له، وإذا احتاج جمع له شيئاً، وكان مع هذا يجتهد في العبادة، ويقوم الليل كله للصلاة ^(٢) .

وقيل ^(٣): إنه لما دخل السجن وجد فيه قوماً قد اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم، فجعل يُسَلِّمهم ويقول: أبشروا واصبروا توجروا، فيقولون: بارك الله فيك يافتي ما أحسن وجهك وخلقت وحديتك، لقد بورك لنا في جوارك فمن أنت يافتي؟ قال: أنا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله إسحاق ^(٤) بن خليل الله إبراهيم، فقال له عامل السجن: يافتي والله لو استطعت لخلّيت سبيلك، ولكن سأحسن جوارك فتمكن في أي بيوت السجن شئت .

ويروي أن الفتيين لما رأيا يوسف قالوا له: لقد أحببناك حين رأيناك، فقال لهما يوسف: أنشدكما بالله أن لا تحباني، فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل علي من جبه بلاء، لقد أحببتي عمتي فدخل علي بلاء، ثم أحبني أبي فألقيت في الحب، وأحببني / امرأة العزيز فحبست. فلما قصا عليه الرؤيا كره يوسف ١٨٢/ب أن يعبر لهما ما سألاه لما علم في ذلك من المكروه على أحدهما، فأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره في إظهار المعجزة والدعاء إلى التوحيد ^(٥) .

﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه﴾، قيل: أراد به في النوم يقول لا يأتيكما طعام ترزقانه في نومكما، ﴿إلا نباتكما بتأويله﴾، في اليقظة .

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) وقول الضحاک هذا، هو الذي رجحه أبو جعفر الطبري: ١٠٠/١٦ .

(٣) رواه الطبري في التفسير: ٩٩/١٦ عن قتادة، وقال في عقبه: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب القول الذي ذكرناه عن الضحاک وقاتدة .

(٤) راجع فيما سبق التعليق (١) في ص (٢١٥) عن الذبيح .

(٥) أخرجه الطبري في التفسير: ١٠٢/١٦، وعزاه السيوطي أيضاً لابن أبي حاتم عن ابن إسحاق .

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ
 مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
 لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ
 الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾

وقيل: أراد به في اليقظة، يقول: لا يأتيكما طعام من منازلكما ترزقانه، تُطعمانه وتأكلانه
 إلا نباتكما بتأويله بقدره ولونه والوقت الذي يصل فيه إليكما .

﴿قبل أن يأتيكما﴾، قبل أن يصل إليكما، وأي طعام أكلتم ولم أكلتم ومتى أكلتم، فهذا مثل
 معجزة عيسى عليه السلام حيث قال: «وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم» (آل عمران - ٤٩)
 فقالا: هذا فعل العرافين والكهنة^(١)، فمن أين لك هذا العلم؟ فقال: ما أنا بكاهن وإنما ﴿ذَلِكَ﴾،
 العلم، ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾، وتكرار
 ﴿هُمْ﴾ على التأكيد .

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾، أظهر أنه من ولد الأنبياء ﴿مَا كَانَ لَنَا﴾، ما
 ينبغي لنا، ﴿أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، معناه: أن الله قد عصمنا من الشرك، ﴿ذَلِكَ﴾، التوحيد
 والعلم، ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾، ما بين لهم من الهدى، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
 يَشْكُرُونَ﴾، ثم دعاهما إلى الإسلام فقال:

﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ﴾، جعلهما صاحبي السجن لكونهما فيه، كما يقال لسكان الجنة: أصحاب
 الجنة، ولسكان النار: أصحاب النار، ﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾، أي: آلهة شتى، هذا من ذهب، وهذا من
 فضة، وهذا من حديد، وهذا أعلى، وهذا أوسط، وهذا أدنى، متباينون لا تضر ولا تنفع، ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ
 الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾، الذي لا ثاني له. القهار: الغالب على الكل. ثم بين عجز الأصنام فقال :

(١) العراف: هو الذي يزعم أنه يعرف الأمور الغيبية بمقدمات وأسباب قولية أو فعلية، يستدل بها على مواقعها، كالشيء يُسرق، فيعرف
 المظنون به السرقه ..

وجعله شيخ الإسلام ابن تيمية إسمًا للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم .

والكاهن: هو الذي يدعي علم الغيب، كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب. والأصل فيه: استراق الجنتي السمع
 من كلام الملائكة فيلقيه في أذن الكاهن .

وهذه صورة لادعاء علم الغيب حرّمها الإسلام، إذ لا يعلم الغيب إلا الله .

انظر بالتفصيل: عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي، تأليف عثمان جمعة ضميرية، ص (١١٧-١٢١) .

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤٥﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٦﴾

﴿ما تعبدون من دونه﴾، أي: من دون الله، وإنما ذكر بلفظ الجمع وقد ابتدأ الخطاب للثنين لأنه أراد جميع أهل السجن، وكل من هو على مثل حالهما من [أهل] ^(١) الشرك، ﴿إلا أسماء سميتوها﴾، ألهة وأرباباً خالية عن المعنى لا حقيقة لتلك الأسماء، ﴿أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾، حجة وبرهان، ﴿إن الحكم﴾، ما القضاء والأمر والنهي، ﴿إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم﴾، المستقيم، ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾، ثم فسّر رؤياهما فقال:

﴿يا صاحبي السجن أَمَا أحَدُكُمْ﴾، وهو صاحب الشراب، ﴿فيسقي ربه﴾، [يعني الملك] ^(٢) ﴿خمرًا﴾، والعناقيد الثلاثة ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يدعوه الملك بعد الثلاثة ^(٣) أيام، ويرده إلى منزلته التي كان عليها، ﴿وأما الآخر﴾، يعني: صاحب الطعام فيدعوه الملك بعد ثلاثة أيام، والسلال الثلاث الثلاثة ^(٣) أيام يبقى في السجن، ثم يخرج، ﴿فيصلب فأكل الطير من رأسه﴾.

قال ابن مسعود: لما سمعنا قول يوسف قالاً: ما رأينا شيئاً إنمّا كنا نلعب، قال يوسف: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ ^(٤)، أي: فرغ من الأمر الذي عنه تسألان، ووجب حكم الله عليكما الذي أخبرتكما به، رأيتما أو لم تريا.

﴿وقال﴾، يعني: يوسف عند ذلك، ﴿للذي ظن﴾، علم ﴿أنه ناجٍ منهما﴾، وهو الساقى، ﴿اذكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، يعني: سيدك الملك، وقل له: إن في السجن غلاماً محبوساً ظلماً طال حبسه،

(١) ساقط من «ب» .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٣) في «ب»: ثلاثة .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور: (٥٤٠/٤) لابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾، قيل: أنسى الشيطان الساقى ذكر يوسف للملك، تقديره: فأنساه الشيطان ذكره لربه .

قال ابن عباس وعليه الأكثرون: أنسى الشيطان يوسفَ ذكراً ربّه حين ابتغى الفرج، من غيره واستعان بمخلوق، وتلك غفلة عرضت ليوسف من الشيطان^(١) .

﴿فَلَبِثَ﴾، فمكث، ﴿فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾، واختلفوا في معنى البضع، فقال مجاهد: ما بين الثلاث إلى السبع .

وقال قتادة: ما بين الثلاث إلى التسع .

وقال ابن عباس: ما دون العشرة .

وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين، وكان قد لبث قبله خمس سنين فجملته اثنتا عشرة سنة .

قال وهب: أصاب أيوب البلاء سبع سنين، وتُرك يوسف في السجن سبع سنين، وعذب بمختصر فحول في السباع سبع سنين^(٢) .

قال مالك بن دينار: لما قال يوسف للساقى اذكرنى عند ربك، قيل له: يا يوسف اتخذت من دوني وكيلاً لأطيلن حبسك، فبكى يوسف، وقال: يارب أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة ولن أعود^(٣) .
وقال الحسن: دخل جبريل على يوسف في السجن، فلما رآه يوسف عرفه فقال له: يا أخا المنذرين

(١) رجح أبو حيان أن الضمير عائد على الساقى، وهو القول الأول، وهو أيضاً ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية من وجوه عديدة، فقال: «... بل الشيطان أنسى الذي نجا منهما ذكر ربه، وهذا هو الصواب، فإنه مطابق لقوله: «اذكرني عند ربك» قال تعالى: «فأنساه الشيطان ذكر ربه»، والضمير يعود إلى القريب إذا لم يكن هناك دليل على خلاف ذلك، ولأن يوسف لم ينس ذكر ربه، بل كان ذاكرةً لربه...»

ثم قال بعد وجوه عديدة: فتبين أن قوله «فأنساه الشيطان ذكر ربه» أي: أنسى الفتى ذكر ربه، أن يذكر هذا لربه، ونسي ذكر يوسف ربه، والمصدر يضاف إلى الفاعل والمفعول، ويوسف قد ذكر ربه ونسي الفتى ذكر يوسف ربه، وأنساه الشيطان أن يذكر ربه هذا الذكر الخاص، فإنه وإن كان يسقي ربه محرماً فقد لا يخطر هذا الذكر بقلبه، وأنساه الشيطان تذكير ربه، وإذكار ربه لما قال: «اذكرني» أمره بإذكار ربه فأنساه الشيطان إذكار ربه .

فإذكار ربه أن يجعله ذاكرةً فأنساه الشيطان أن يجعل ربه ذاكرةً ليوسف، والذكر هو مصدر، وهو اسم فقد يضاف من جهة كونه إسمياً، فيعمّ هذا كله، أي: أنساه الذكر المتعلق بربه، والمضاف إليه .

وبما بين أن الذي نسي ربه هو الفتى لا يوسف قوله بعد ذلك: «وقال الذي نجا منهما، واذكر بعد أمة، أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون»، وقوله: «واذكر بعد أمة» دليل على أنه نسي فاذكر .

انظر: دقائق التفسير لابن تيمية: ٢٥٩/٣-٢٦٣، وراجع البحر المحيط لأبي حيان: ٣١١/٥-٣١٢ .

(٢) قال الطبري في التفسير: (١١٥/١٦): «والصواب في البضع» من الثلاث إلى التسع، إلى العشر، ولا يكون دون الثلاث. وكذلك ما زاد على العقد إلى المائة، وما زاد على المائة فلا يكون فيه «بضع» .

(٣) أخرجه الطبري في التفسير: ١١١/١٦ .

مالي أراك بين الخاطئين؟ فقال له جبريل: ياطاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين، ويقول لك: أما استحييت مني أن استشفعت بالآدميين، فوعزتي لألبثتك في السجن بضع سنين، قال يوسف: وهو في ذلك عني راض؟ قال: نعم، قال: إذا لا أبالي .

وقال كعب: قال جبريل ليوسف إن الله تعالى يقول من خلقك؟ قال: الله، قال: فمن حببك إلى أبيك؟ قال: الله، قال: فمن نجّك من كرب البحر؟ قال: الله، قال: فمن علّمك تأويل الرؤيا؟ قال: الله، قال: فمن صرف عنك السوء والفحشاء؟ قال: الله، قال: فكيف استشفعت بآدمي مثلك؟^(١) .

فلما انقضت سبع سنين - قال الكلبي: وهذا السبع سنون الخمسة^(٢) التي كانت قبل ذلك - ودنا فرج يوسف، رأى ملك مصر الأكبر رؤياً عجيبة هالته، وذلك أنه رأى سبع بقرات سمان، خرجت من البحر، ثم خرج عقبن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال، فابتلعت العجاف السمان فدخلن في بطونهن، ولم يُر منهن شيء ولم يتبين على العجاف منها شيء، ثم رأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها، [وسبعاً أخرى]^(٣) يابسات قد استحصدت، فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها ولم يبق من خضرتها شيء، فجمع السحرة والكهنة والحازة^(٤) والمعبرين وقص عليهم رؤياه، فذلك قوله تعالى :

(١) هذه الروايات عن الحسن وهب ومالك بن دينار من الاسرائيليات، وهي بجملتها تعني أن يوسف عليه السلام لبث في السجن بضع سنين بسبب استشفاعه أو طلبه من الذي علم أنه ناج أن يذكره عند ربه، وكان الأولى أن يتوكل على الله ولا يقول اذكرني عند ربك، فلما نسي أن يتوكل على ربه جوزي بلبثه في السجن بضع سنين .

وقد رد ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فقال في «دقائق التفسير»: (٢٦١/٣): «ليس في قوله: (اذكرني عند ربك) ما يناقض التوكل، بل قد قال يوسف: (إن الحكم إلا لله) كما أن قول أبيه: (لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) لم يناقض توكله؛ بل قال: (وما أغني عنكم من الله من شيء، إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) .

وأيضاً: فيوسف قد شهد الله له أنه من عباده المخلصين، والمخلص لا يكون مخلصاً مع توكله على غير الله، فإن ذلك شرك، ويوسف لم يكن مشركاً، لا في عبادته ولا توكله، بل قد توكل على ربه في فعل نفسه بقوله: (وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين)، فكيف لا يتوكل عليه في أعمال عباده؟!

وقوله: (اذكرني عند ربك) مثل قوله لربه (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) فلما سأل الولاية للمصلحة الدينية لم يكن هذا مناقضاً للتوكل، ولا هو من سؤال الإمارة المنهي عنه. فكيف يكون قوله للفتى: (اذكرني....) مناقضاً للتوكل، وليس فيه إلا مجرد إخبار الملك به، ليعلم حاله ليتبين الحق، ويوسف كان من أثبت الناس .

ولهذا بعد أن طلب (وقال الملك اتوني به) قال: (ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن؟ إن ربي بكيدهن عليم) فيوسف يذكر ربه في هذه الحال، كما ذكره في تلك... فلم يكن في قوله له: (اذكرني...) ترك لواجب، ولا فعل محرّم، حتى يعاقبه الله على ذلك بلبثه في السجن بضع سنين. وكان القوم قد عزموا على حبسه إلى حين قبل هذا، ظلماً له، مع علمهم ببراءته من الذنب، ولبثه في السجن كان كرامة من الله في حقه ليم بذلك صبره وتقواه، فإنه بالصبر والتقوى نال ما نال .

وانظر: «الاسرائيليات والموضوعات» ص (٣٢٠-٣٢١) .

(٢) ظاهر الآيات لا يدل على أن هناك خمساً قبل ذلك، والله أعلم .

(٣) في «ب»: وسبع آخر .

(٤) في هامش «أ»: الحازة: المنجمون .

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ
 سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا
 تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ
 الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا
 الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ
 خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾

﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾، فقال لهم، ﴿يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾.

﴿قالوا أضغاث أحلام﴾ أخلاط أحلام مشتبهة، أهويل، واحدها (١) ضغث، وأصله الحزمة من أنواع الحشيش، والأحلام جمع الحلم، وهو الرؤيا، والفعل منه حلمت أحلم، بفتح اللام في الماضي وضمها في الغابر، حُلماً وحُلماً، مثقلاً ومخففاً. ﴿وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾.

﴿وقال الذي نجا﴾، من القتل، ﴿منهما﴾، من الفتيين وهو الساقى، ﴿وادكر﴾، أي: تذكر قول يوسف اذكركني عند ربك، ﴿بعد أمة﴾، بعد حين وهو سبع سنين. ﴿أنا أنبئكم بتأويله﴾، وذلك أن الغلام جثا بين يدي الملك، وقال: إن في السجن رجلاً يعبر الرؤيا، ﴿فأرسلون﴾ وفيه اختصار تقديره: فأرسلني أيها الملك إليه، فأرسله فأتى السجن / قال ابن عباس: ولم يكن السجن في المدينة.

١٨٣ / أ

فقال: ﴿يوسف﴾، يعني: يا يوسف، ﴿أيها الصديق﴾، والصديق الكثير الصدق، ﴿أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾، فإن الملك رأى هذه الرؤيا، ﴿لعلِّي أرجع إلى الناس﴾، أهل مصر، ﴿لعلهم يعلمون﴾، تأويل الرؤيا. وقيل: لعلهم يعلمون منزلتك في العلم.

فقال لهم يوسف معبراً ومعلماً: أما البقرات السمان والسنبلات الخضر: فسبع سنين مخصيب، والبقرات العجاف والسنبلات [اليابسات] (٢): فالسنون المجذبة، فذلك قوله تعالى إخباراً عن يوسف:

(١) في «ب»: واحدها.

(٢) ساقط من «أ».

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِصُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ^ط فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ^ع إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾

﴿قال تزرعون سبع سنين دأباً﴾، هذا خبر بمعنى الأمر، يعني: ازرعوا سبع سنين على عادتكم في الزراعة .

والدأب: العادة. وقيل: مجد واجتهاد .

وقرأ عاصم برواية حفص: ﴿دأباً﴾ بفتح الهمزة، وهما لغتان، يقال: دأبت في الأمر أدأب دأباً ودأباً إذا اجتهدت فيه. ﴿فما حصدتم فذروه في سنبله﴾، أمرهم بترك الحنطة في السنبل لتكون أبقى على الزمان ولا تفسد، ﴿إلا قليلاً مما تأكلون﴾، أي: مما تدرسون قليلاً للأكل، أمرهم بحفظ الأكل والأكل بقدر الحاجة .

﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد﴾. سمي السنين المجدة شداداً لشدةها على الناس، ﴿يأكلن﴾، أي: يفنين ويهلكن، ﴿ما قدمتم هن﴾، أي: يؤكل فيهن ما أعددتم^(١) هن من الطعام، أضاف الأكل إلى السنين على طريق التوسع ﴿إلا قليلاً مما تحصنون﴾ تحرزون وتدخرون للبذر .
﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس﴾، أي: يمطرون، من الغيث: وهو المطر. وقيل: ينقذون من قول العرب استغثت فلاناً فأغاثني، ﴿وفيه يعصرون﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿تعصرون﴾، بالتاء، لأن الكلام كله على الخطاب، وقرأ الآخرون بالياء رداً إلى الناس، ومعناه: يعصرون العنب خمراً والزيتون زيتاً والسمسم دهناً. وأراد به كثرة النعيم والخير. وقال أبو عبيدة: يعصرون أي ينجون من الكرب والجدب، والعصر والعصرة: المنجاة والملجأ^(٢) .

﴿وقال الملك ائتوني به﴾، وذلك أن الساقى لما رجع إلى الملك وأخبره بما أفناه^(٣) يوسف من تأويل رؤياه، وعرف الملك أن الذي قاله كائن، قال: ائتوني به .

(١) في «ب»: قدمتم .

(٢) قول أبي عبيدة هذا في كتابه «مجاز القرآن»: (٣١٣/١، ٣١٤) وقد رده الطبري في التفسير: (١٦/١٣١، ١٣٢) وقال: ...

وذلك تأويل يكفي من الشهادة على خطئه: خلافة قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين .

(٣) في «ب»: أخبره .

قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتُنِّي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ
 مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ
 لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ
 الْخَائِبِينَ ﴿٥٢﴾

﴿فلما جاءه الرسول﴾، وقال له: أجب الملك، أني أن يخرج مع الرسول حتى تظهر براءته ثم،
 ﴿قال﴾، للرسول: ﴿أزجج إلى ربك﴾، يعني: سيدك الملك، ﴿فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن
 أيديهن﴾، ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدباً واحتراماً .

قال النبي ﷺ: «لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي»^(١) .
 ﴿إن ربي بكيدهم عليم﴾، أي: إن الله بصنيعهن عالم، وإنما أراد يوسف بذكرهن بعد طول المدة
 حتى لا ينظر إليه الملك بعين التهمة، ويصير إليه بعد زوال الشك عن أمره، فرجع الرسول إلى الملك من
 عند يوسف برسالته، فدعا الملك النسوة وامرأة العزيز .

﴿قال﴾، لهن، ﴿ما خطبكن﴾، ما شأنكن وأمركن، ﴿إذ راوَدْتُنِّي يوسف عن نفسه﴾، خاطبن
 والمراد امرأة العزيز، وقيل: إن امرأة العزيز راودته عن نفسه وسائر النسوة أمرته بطاعتها فلذلك خاطبن .
 ﴿قلن حاش لله﴾ معاذ الله، ﴿ما علمنا عليه من سوء﴾، خيانة .

﴿قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق﴾ ظهر وتبين. وقيل: إن النسوة أقبلن على امرأة العزيز
 فقررنها [فأقرت]^(٢)، وقيل: خافت أن يشهدن عليها فأقرت. ﴿أنا راودته عن نفسه وإنه لمن
 الصادقين﴾، في قوله: هي راودتني عن نفسي، فلما سمع ذلك يوسف قال^(٣) :

﴿ذلك﴾ أي: ذلك الذي فعلت من ردي رسول الملك إليه، ﴿ليعلم﴾، العزيز، ﴿أني لم أخنه﴾،

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة يوسف، باب (فلما جاءه الرسول قال ارجع...): ٣٦٦/٨ .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) هذا القول عن يوسف حكاه ابن جرير وابن أبي حاتم، ولم يذكره غيره (انظر: الطبري ١٦/١٤٠، ابن كثير: ٤٨٢/٢) .
 «والأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام: أن ذلك من قول امرأة العزيز، تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي ليعلم
 زوجي أنني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع، فلماذا اعترفت ليعلم أنني
 بريئة...» (انظر: ابن كثير: ٤٨٢/٢) .

وهذا التفسير ذكره الماوردي، وانتدب لنصه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: «هذا كله من كلام امرأة العزيز، ويوسف إذ ذاك في
 السجن لم يحضر بعد إلى الملك، ولا سمع كلامه ولا رآه. ولكن ظهرت براءته في غيبته كما قالت امرأة العزيز: (ذلك ليعلم أنني لم أخنه
 بالغيب) أي: لم أخنه في حال مغيبه عني وإن كنت في حال شهوده راودته» .

انظر: دقائق التفسير: (٢٧٣/٢)، تفسير المنار: (٣٢٤-٣٢٣/١٢) .

﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ ﴿٥٤﴾

﴿أَمِينٌ﴾ ﴿٥٤﴾

في زوجته، ﴿بالغيب﴾، أي: في حال غيبته، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾، قوله ذلك ليعلم من كلام يوسف اتصل بقول امرأة العزيز: أنا راودته عن نفسه، من غير تمييز، لمعرفة السامعين^(١).
وقيل: فيه تقديم وتأخير: معناه: ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربِّي بكيدهن عليهن، ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب^(١).

قيل: لما قال يوسف هذه المقالة، قال له جبريل: ولا حين هممت بها؟ فقال يوسف عند ذلك: وما أبرئ نفسي^(٢).

قال السدي: إنما قالت له امرأة العزيز: ولا حين حللت سراويلك يا يوسف؟ فقال يوسف^(٢):
﴿وما أبرئ نفسي﴾، من الخطأ والزلل فأزكها، ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾، بالمعصية ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾، أي: إلا من رحم ربي فعصمه، ﴿مَا﴾ بمعنى من - كقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ (النساء - ٣) أي: مَنْ طاب لكم - وهم الملائكة، عصمهم الله عزَّ وجلَّ فلم يركب فيهم الشهوة.

وقيل: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ إشارة إلى حالة العصمة عند رؤية البرهان.
﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فلما تبين للملك عذر يوسف عليه السلام وعرف أمانته وعلمه:
﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾، أي: أجعله خالصاً لنفسي، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾، فيه اختصار تقديره: فجاء الرسول يوسف فقال له: أجب الملك الآن.

رُوي أنه قام ودعا لأهل السجن فقال: اللهم عطِّف عليهم قلوب الأخيار، ولا تعمِّ عليهم الأخبار، فهم أعلم الناس بالأخبار في كل بلد، فلما خرج من السجن كتب على باب السجن: هذا قبر الأحياء، وبيت الأحران، وتجربة الأصدقاء، وشماتة الأعداء. ثم اغتسل وتنظف من درن السجن وليس ثياباً حسناً وقصد الملك^(٣).

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) انظر التعليق السابق، وراجع فيما سبق ص (٢٢٨) تعليق (٢).

(٣) انظر: البحر المحيط: ٣١٩/٥. ومثل هذه الأخبار، والخبران التاليان مما لا يوقف على صحته، وساق المصنف ذلك بصيغة التبريض،

ولا يتوقف فهم الآيات على شيء منها. والله أعلم.

قال وهب: فلما وقف بباب الملك قال: حسبي ربي من دنياي، وحسبي ربي من خلقه، عزّ جأزه، وجلّ ثناؤه، ولا إله غيره. ثم دخل الدار فلما دخل على الملك قال: اللهم إني أسألك بخيرك من خيره، وأعوذ بك من شره وشر غيره. فلما نظر إليه الملك سلّم عليه يوسف بالعربية فقال: الملك ما هذا اللسان؟ قال: لسان عمي إسماعيل، ثم دعا له بالعبرانية فقال الملك: ما هذا اللسان؟ قال هذا لسان آبائي، ولم يعرف الملك هذين اللسانين .

قال وهب: وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً فكلما تكلم بلسان أجابه يوسف بذلك اللسان وزاد عليه بلسان العربية والعبرانية، فأعجب الملك [ما رأى منه] ^(١) مع حداثة سنه، وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنة، فأجلسه و، ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ﴾، [المكانة في الجاه] ^(٢)، ﴿أَمِينٌ﴾، أي: صادق .
وروي أنّ الملك قال له إني أحب أن أسمع رؤياي منك شفاهاً .

فقال يوسف: نعم أيها الملك، رأيت سبع بقرات سمان شهب غرّ حسان، كشف لك عنهنّ النيل، فطلعنّ عليك من شاطئه تشخب أخلافهنّ لبناً، فبينما أنت تنظر إليهنّ ويعجبك حُسنهنّ إذ نضبّ النيل فغار ماؤه وبدا يبسه، فخرج من حماته سبع بقراتٍ عجافٍ شعثٍ غبرٍ مُتقلّصات [البطون، ليس هنّ ضروع ولا أخلاف] ^(٣)، وهنّ أنياب وأضراس وأكف كأف الكلاب، وخراطيم كخراطيم السباع، فافترسن السمان افتراس السبع، فأكلن لحومهنّ، ومزقن جلودهنّ، وحطمن عظامهنّ، وتمششن مخهنّ، فبينما أنت تنظر وتتعجب / إذ سبع سنابل خضر وسبع آخر سود في منبت واحد [عروقهنّ في الثرى والماء، فبينما أنت تقول في نفسك أني هذا؟ خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات، والمنبت واحد وأصوهنّ في الماء] ^(٤) إذ هبّ ريحٌ فذرت الأوراق من اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهنّ النار، فاحترقنّ فصرن سوداً فهذا ما رأيت، ثم انتبهت من نومك مذعوراً .

فقال الملك: والله ما شأن هذه الرؤيا - وإن كانت عجيبة - بأعجب مما سمعتُ منك، فما ترى في

رؤياي أيها الصديق؟

فقال يوسف عليه السلام: أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة، وتجعل الطعام في الخزائن بقصبه وسنبله ليكون القصب والسنبل علفاً للدواب، وتأمّر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس، فيكفيك من الطعام الذي جمعته لأهل مصر ومن حولها، ويأتيك الخلق من النواحي للميرة فيجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك .

(١) ساقط من «أ» .

(٢) في «أ»: أي: ذو مكانة وجاه .

(٣) جاءت هذه العبارة في «ب» هكذا: (متقلّصات الضروع ليس هنّ بطون ولا أخلاف) .

(٤) ساقط من «أ» .

قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴿٥٥﴾

فقال الملك: ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفيني الشغل فيه؟
 ف ﴿قال﴾، يوسف، ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾، الخزائن: جمع خزانة، وأراد خزائن الطعام والأموال، والأرض: أرض مصر، أي: خزائن أرضك.
 وقال الربيع بن أنس: على خراج مصر ودخله.
 ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ﴾، أي: [حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحتها. وقيل: حفيظ عليهم] ^(١): كاتب وحاسب.

وقيل: حفيظ لما استودعته، عليم بما وليتني.
 وقيل: حفيظ للحساب ^(٢) عليم بالألسن أعلم لغة كل من يأتيهني.
 وقال الكلبي: حفيظ بتقديره في السنين الخصبة [في الأرض الجدبة] ^(٣) عليم بوقت الجوع حين يقع، فقال له الملك. ومن أحق به منك؟! فولاه ذلك وقال له: إنك اليوم لدينا مكين، ذو مكانة ومنزلة، أمين على الخزائن.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد الفنجوي، حدثنا مخلد بن جعفر البقرجي، حدثنا الحسن بن علوية، حدثنا إسماعيل بن عيسى، حدثنا إسحاق بن بشر، عن جوير، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته، ولكنه أخره لذلك سنة فأقام في بيته سنة مع الملك» ^(٤).

وبإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما انصرفت السنة من اليوم الذي سأل الإمارة دعاه الملك فتوجه [وقلده بسيفه] ^(٥) ووضع له سريراً من ذهب مكلل بالدر والياقوت، وضرب عليه حلة من إستبرق، وطول السرير ثلاثون ذراعاً، وعرضه عشرة أذرع، عليه ثلاثون فراشاً وستون مقرمة، ثم أمره أن يخرج، فخرج متوجاً، ولونه كالثلج، ووجهه كالقمر، يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه، فانطلق

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) في «ب»: حساب.

(٣) ساقط من «أ».

(٤) حديث موضوع. قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص (٩٠): «أخرجه الثعلبي عن ابن عباس من رواية إسحاق بن بشر، عن جوير، عن الضحاك عنه. وهذا إسناد ساقط».

قال الألباني: «ومن طريق الثعالبي رواه الواحد في تفسيره. (سلسلة الأحاديث الضعيفة) (٣٣٥/١).

(٥) في «ب»: ورداه بسيفه.

وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ أَهْلَهُ وَيُؤْتُونَ زَوْجَاتَهُنَّ وَيُؤْتُونَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُسْرًا
 مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا نُجْزِي الْأَخْرَةَ خَيْرًا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا
 يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾

حتى جلس على السرير، ودانت له الملوك، ودخل الملك بيته وفوض إليه أمر مصر، وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قاله ابن إسحاق^(١).

وقال ابن زيد: وكان لملك مصر خزائن كثيرة فسلم سلطانه كله إليه وجعل أمره وقضائه نافذاً، قالوا: ثم إن قطفير هلك في تلك الليالي فزوج الملك يوسف راعيل امرأة قطفير، فلما دخل عليها قال: أليس هذا خيراً مما كنت تريد؟ فقالت: أيها الصديق لا تلمني، فإني كنت امرأة حسنة ناعمة كما ترى في ملك ودينا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك فغلبتني نفسي فوجدها يوسف عذراء فأصابها فولدت له ولدين: أفرايم بن يوسف، وميشا بن يوسف^(٢).

واستوثق ليوسف ملك مصر، أي: اجتمع، فأقام فيهم العدل، وأحبه الرجال والنساء، فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾، يعني: أرض مصر ملكناه^(٢)، ﴿يَتَّبِعُونَ أَهْلَهُ﴾، أي: ينزل ﴿حَيْثُ يَشَاءُ﴾ ويصنع فيها ما يشاء.

قرأ ابن كثير: ﴿نَشَاءُ﴾ بالنون رداً على قوله: ﴿مَكَّنَّا﴾ وقرأ الآخرون بالياء رداً على قوله ﴿يَتَّبِعُونَ﴾. ﴿نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، أي: بنعمتنا، ﴿وَلَا نُجْزِي الْأَخْرَةَ خَيْرًا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، يعني الصابرين.

قال مجاهد وغيره: فلم يزل يوسف عليه السلام يدعو الملك إلى الإسلام ويتلطف له حتى أسلم الملك وكثير من الناس. فهذا في الدنيا.

﴿وَلَا نُجْزِي الْأَخْرَةَ﴾، ثواب الآخرة، ﴿خَيْرًا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾. فلما اطمأن يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام بأحسن التدبير، وبنى الحصون والبيوت الكثيرة، وجمع فيها الطعام للسنين المجدية، وأنفق بالمعروف حتى خلت السنون المخصبة ودخلت السنون المجدية بهول لم يعهد الناس بمثله.

(١) ساق ابن عطية هذه الرواية عن ابن إسحاق ثم قال: وروي في نحو هذا من القصص ما لا يوقف على صحته، وطول الكلام يسوقه.

انظر: المحرر الوجيز: (٨/٨).

(٢) في «أ»: مكناه.

ورُوي أنه كان قد دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار^(١)، فلما دخلت سنة القحط كان أول من أخذه الجوع هو الملك في نصف الليل فنادى يا يوسف الجوع الجوع! فقال يوسف: هذا أوان القحط .

ففي السنة الأولى من سنِّي الجذب هلك كل شيء أعدوه في السنين المخصبة، فجعل أهل مصر يتاعون من يوسف الطعام، فباعهم أول سنة بالنقود حتى لم يبق بمصر دينار ولا درهم إلا قبضة، وباعهم السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منها شيء، وباعهم السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها أجمع، وباعهم السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق في يد أحد عبد ولا أمة، وباعهم السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى عليها، وباعهم السنة السادسة بأولادهم حتى استرقهم، وباعهم السنة السابعة برقابهم [حتى استرقهم]^(٢)، ولم يبق بمصر حرّ ولا حرة إلا صار عبداً له .

فقال الناس: ما رأينا يوماً كالיום ملكاً أجلاً ولا أعظم من هذا .
ثم قال يوسف للملك: كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فما ترى في ذلك؟
فقال له الملك: الرأي رأيك ونحن لك تبع .

قال: فإني أشهد الله وأشهدك أنني أعتقت أهل مصر عن آخرهم، ورددت عليهم أملاكهم^(٣) .
ورُوي أن يوسف كان لا يشبع من طعام في تلك الأيام، فقيل له: أتجوع ويبيدك خزائن الأرض؟ .
فقال: أخاف إن شبت أن أنسى الجائع، وأمر يوسف عليه السلام طباخي الملك أن يجعلوا غداءه نصف النهار، وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائعين، فمن جعل الملوك غداءهم نصف النهار .

قال: وقصد الناس مصرَ من كل أوبٍ يمتارون الطعام فجعل يوسف لا يمكن أحداً منهم - وإن كان عظيماً - من أكثر من حمل بعير تقسيطاً بين الناس، وتزاحم الناس عليه وأصاب أرض كتعان وبلاد الشام ما أصاب الناس في سائر البلاد من القحط والشدة، ونزل بيعقوب ما نزل بالناس، فأرسل بنيه إلى مصر للميرة، وأمسك بنيامين أخا يوسف لأمه، فذلك قوله تعالى :

(١) حكى الثعلبي أن يوسف عليه السلام كان لا يشبع في تلك السنين حتى لا ينسى الجيعان، وأنه إنما كان يأكل أكلة واحدة نصف النهار. قال: فمن ثم اقتدى به الملوك في ذلك .

انظر: البداية والنهاية ٢١٩/١ .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: (٤٨٤/٢): «وما ذكره بعض المفسرين من أنه باعهم في السنة الأولى بالأموال...، الله أعلم بصحة ذلك، وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب» .

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾

﴿وجاء إخوة يوسف﴾ وكانوا عشرة، وكان منزلهم بالعرنات من أرض فلسطين، بغور الشام، وكانوا أهل بادية وإبل وشاة، فدعاهم يعقوب عليه السلام وقال: يا بني بلغني أن بمصر ملكاً صالحاً يبيع ١٨٤ / أ الطعام، فتجهزوا لتشتروا / منه الطعام، فأرسلهم فقدموا مصر، ﴿فدخلوا عليه﴾، على يوسف، ﴿فعرّفهم﴾، يوسف عليه السلام.

قال ابن عباس ومجاهد: عرفهم بأول ما نظر إليهم .

وقال الحسن: لم يعرفهم حتى تعرفوا إليه .

﴿وهم له منكرون﴾، أي: لم يعرفوه. قال ابن عباس: وكان بين أن قذفوه في البحر وبين أن دخلوا عليه أربعون سنة، فلذلك أنكروه .

وقال عطاء: إنما لم يعرفوه لأنه كان على سرير الملك وعلى رأسه تاج الملك .

وقيل: لأنه كان بزّي ملوك مصر، عليه ثياب من حرير وفي عنقه طوق من ذهب، فلما نظر إليهم يوسف وكلموه بالعبرانية، قال لهم: أخبروني من أنتم وما أمركم فإني أنكرت شأنكم؟ قالوا قوم من أرض الشام رعاة، أصابنا الجهد فجئنا نمتار .

فقال: لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادي .

قالوا: لا والله ما نحن بجواسيس، إنما نحن إخوة بنو أب واحد، وهو شيخ صديق يقال له يعقوب^(١) نبي من أنبياء الله .

قال: وكم أنتم؟ قالوا: كنا اثني عشر، فذهب أخ لنا معنا إلى البرية، فهلك فيها، وكان أحبنا إلى أئينا .

قال: فكم أنتم هاهنا؟ .

قالوا: عشرة .

قال: وأين الآخر؟

قالوا: عند أئينا، لأنه أخو الذي هلك لأمه^(٢)، فأبونا يتسلى به .

قال: فمن يعلم أن الذي تقولون حق؟

قالوا: أيها الملك إنا ببلاد لا يعرفنا أحد [من أهلها]^(٣) .

(١) في «أ»: صديق .

(٢) في «ب»: من أمه .

(٣) ساقط من «ب» .

وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالِ اتَّبُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي
 الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ
 ﴿٦٠﴾ قَالُوا سُرُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَهُمْ فِي
 رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾

فقال يوسف: فاتوني بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين، وأنا أرضى بذلك .
 قالوا: فإن أبانا يحزن على فراقه وسنراود عنه أباه .

قال: فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم، فاقترعوا بينهم، فأصابته القرعة شمعون،
 وكان أحسنهم رأياً في يوسف، فخلفوه عنده. فذلك قوله عز وجل :

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ﴾، أي: حمل لكل واحد بعبيراً بعدتهم، ﴿قَالَ اتَّبُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ
 أَبِيكُمْ﴾، يعني بنيامين، ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ﴾. أي: أتمه ولا أبخس الناس شيئاً، فأزيدكم حمل
 بغير لأجل أخيكم، وأكرم منزلتكم وأحسن إليكم، ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾، قال مجاهد: أي خير
 المضيفين. وكان قد أحسن ضيافتهم .

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾، أي: ليس لكم عندي طعام أكيه لكم ﴿وَلَا
 تَقْرَبُونِ﴾، أي: لا تقربوا داري [وبلادي] (١) بعد ذلك وهو جزم على النبي .

﴿قَالُوا سُرُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ﴾، أي: نطلبه ونسأله أن يرسله معنا، ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾، ما أمرتنا به .
 ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿لِفِتْيَانِهِ﴾ بالألف والنون، وقرأ الباقون: (٢)
 ﴿لِفِتْيَتِهِ﴾ بالتاء من غير ألف، يريد لغلما، وهما لغتان مثل الصبيان والصبية، ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَهُمْ﴾
 ثمن طعامهم وكانت دراهم .

وقال الضحاك عن ابن عباس: كانت النعال والأدم .

وقيل: كانت ثمانية جرب من سوق المقل. والأول أصح .

﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾، أوعيتهم، وهي جمع رحل، ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا﴾، انصرفوا، ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ
 يَرْجِعُونَ﴾ .

واختلفوا في السبب الذي فعله يوسف من أجله، قيل: أراد أن يريهم كرمه في رد البضاعة وتقديم

(١) ساقط من «أ» .

(٢) في «أ»: الآخرون .

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَنَعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا
 نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَيَّ
 أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿١٤﴾

الضمان في البر والإحسان، ليكون أدعى لهم إلى العود، لعلهم يعرفونها، أي: كرامتهم علينا .
 وقيل: رأى لؤماً أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته مع حاجتهم إليه، فردّه عليهم من حيث لا يعلمون
 تكرباً .

وقال الكلبي: تخوّف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى .
 وقيل: فعل ذلك لأنه علم أن ديانتهم تحملهم على ردّ البضاعة نفيّاً للغلط ولا يستحلون إمساكها .
 ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا﴾، إنا قدمنا على خير رجل، أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلاً
 من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته، فقال لهم يعقوب: إذا أتيتم ملك مصر فأقرؤوه مني السلام، وقولوا له:
 إن أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما أوليتنا، ثم قال: أين شمعون؟ قالوا: ارتنه ملك مصر، وأخبروه بالقصة،
 فقال لهم: ولم أخبرتموه؟ قالوا: إنه أخذنا وقال أنتم جواسيس - حيث كلمناه بلسان العبرانية - وقصّوا
 عليه القصة، وقالوا يا أبانا:

﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾، [قال الحسن: معناه يمنع منا الكيل] (١) إن لم تحمل أخانا معنا .
 وقيل: معناه أعطى باسم كل واحد حملاً ومنع منا الكيل لبنيامين، والمراد بالكيل: الطعام، لأنه
 يكال .

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا﴾، بنيامين، ﴿نَكْتَلُ﴾ قرأ حمزة والكسائي: (يكتل) بالياء، يعني: يكتل
 لنفسه كما نحن نكتال، [وقرأ الآخرون: (نكتل) بالنون، يعني: نكتل نحن] (٢) وهو الطعام. وقيل: نكتل
 له، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ﴾، يوسف ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، أي: كيف آمنكم عليه
 وقد فعلتم بيوسف ما فعلتم؟ ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿حَافِظًا﴾ بالألف على
 التفسير، كما يقال هو خير رجلاً، وقرأ الآخرون: (حفظاً) بغير ألف على المصدر، يعني: خيركم حفظاً،
 يقول: حفظه خير من حفظكم. ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ .

(١) ساقط من «ب» .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَأْسَآ بَأْسًا مَا نَبْغِي
هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَنَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ
كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِنِي
بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ﴾، الذي حملوه من مصر، ﴿ووجدوا بضاعتهم﴾، ثمن الطعام، ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَأْسَآ بَأْسًا مَا نَبْغِي﴾، أي: ماذا نبغي وأي شيء نطلب؟ وذلك أنهم ذكروا ليعقوب عليه السلام إحسان الملك إليهم وحثوه على إرسال بنيامين معهم، فلما فتحو المتاع ووجدوا البضاعة، ﴿هذه بضاعتنا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾، أي شيء نطلب بالكلام، فهذا هو العيان من الإحسان والإكرام، أوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن. أرادوا تطيب نفس أبيهم، ﴿ونمير أهلنا﴾، أي: نشترى لهم الطعام فنحمله إليهم. يقال: مار أهله يمير ميراً: إذا حمل إليهم الطعام من بلد [إلى بلد آخر] (١). ومثله: امتار يمتار امتياراً. ﴿ونحفظ أخانا﴾ بنيامين، أي: مما تخاف عليه. ﴿ونزداد﴾، على أحمالنا، ﴿كيل بعير﴾، أي: حمل بعير يكان لنا من أجله، لأنه كان يعطي باسم كل رجل حمل بعير، ﴿ذلك كيل يسير﴾، [أي: ما حملناه قليل لا يكفينا وأهلنا. وقيل: معناه نزداد كيل بعير ذلك كيل يسير] (٢) لا مؤنة فيه ولا مشقة.

وقال مجاهد: البعير هاهنا هو الحمار. كيل بعير، أي: حمل حمار، وهي لغة، يقال للحمار: بعير. وهم كانوا أصحاب حُمُرٍ والأول أصح أنه البعير المعروف.

﴿قال﴾ لهم يعقوب، ﴿لن أرسله معكم حتى تؤتون﴾، تعطوني ﴿موثقاً﴾، ميثاقاً وعهداً، ﴿من الله﴾، والعهد الموثق: المؤكد بالقسم. وقيل: هو المؤكد [بإشهاد الله] (٣) على نفسه ﴿لتأتني به﴾، وأدخل اللام فيه لأن معنى الكلام اليمين، ﴿إلا أن يحاط بكم﴾، قال مجاهد إلا أن تهلكوا جميعاً. وقال قتادة: إلا أن تغلبوا حتى لا تطبقوا ذلك.

وفي القصة: أن الأخوة ضاق الأمر عليهم وجهدوا أشد الجهد، فلم يجد يعقوب بداً من إرسال بنيامين معهم.

﴿فلما آتوه مَوْثِقَهُمْ﴾، / أعطوه عهدهم (٤)، ﴿قال﴾، يعني: يعقوب ﴿الله على ما نقول﴾ ١٨٤/ب

(١) ساقط من «ب» .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) في «ب»: بالشهادة .

(٤) في «ب»: عهدهم .

وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ
 مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ
 ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ
 شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

وكيل ﴿٦٧﴾، شاهد. وقيل: حافظ. قال كعب: لما قال يعقوب فإله خير حافظاً، قال الله عز وجل: وعزني لأرذن عليك كليهما بعدما توكلت علي .

﴿وقال﴾، لهم يعقوب لما أرادوا الخروج من عنده، ﴿يأبئني لا تدخلوا من بابٍ واحدٍ وادخلوا من أبوابٍ متفرقة﴾، وذلك أنه خاف عليهم العين؛ لأنهم كانوا أعطوا جمالاً وقوةً وامتداد قامية، وكانوا ولد رجل واحد، فأمرهم أن يتفرقوا في دخولهم لئلا يصابوا بالعين، فإن العين حق^(١)، وجاء في الأثر: «إن العين تُدخل الرجل القبر والجمل القدر»^(٢).

وعن إبراهيم النخعي: أنه قال ذلك لأنه كان يرجو أن يروا يوسف في التفرق. والأول أصح .
 ثم قال: ﴿وما أغني عنكم من الله من شيء﴾، معناه: إن كان الله قضى فيكم قضاءً فيصيبكم مجتمعين كنتم أو متفرقين، فإن المقدور كائن والحذر لا ينفع من القدر، ﴿إن الحكم﴾، ما الحكم، ﴿إلا لله﴾، هذا تفويض يعقوب أموره إلى الله، ﴿عليه توكلت﴾، اعتمدت، ﴿وعليه فليتوكل المتوكلون﴾ .
 ﴿ولمَّا دخلوا من حيثُ أمرهم أبوهم﴾ أي: من الأبواب المتفرقة. وقيل: كانت المدينة مدينة الفرماء ولها أربعة أبواب، فدخلوها من أبوابها، ﴿ما كان يُغني﴾، يدفع ﴿عنهم من الله من شيء﴾، صدق الله تعالى يعقوب فيما قال، ﴿إلا حاجة﴾، مراداً، ﴿في نفس يعقوب قضاها﴾، أشفق عليهم إشفاق الآباء على أبنائهم وجرى الأمر عليه، ﴿وإنه﴾، يعني: يعقوب عليه السلام، ﴿لذو علم﴾، يعني: كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل، ﴿لما علمناه﴾، أي: لتعليمنا إياه. وقيل: إنه لعامل بما علم .

(١) انظر تفصيلاً في تفسير القرطبي: ٢٢٦/٩-٢٢٨ .

(٢) حديث ضعيف أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩٠/٧) عن جابر رضي الله عنه، وابن عدي في الكامل عن أبي ذر: ٢٤٠٣/٦، وابن حبان في المجروحين: ١٠٧/٢ وقد ضعفه السخاوي في المقاصد الحسنة وقد أشار إليه الذهبي فقال: إنه منكر وحسنه الشيخ الألباني في الصحيحة ٢٥٠/٣، وانظر: كشف الخفاء: ٩٩/٢-١٠٠ .

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ إِلِيهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾

قال سفيان: من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالماً. وقيل: وإنه لذو حفظ لما علمناه .
﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾، ما يعلم يعقوب لأنهم لم يسلكوا طريق إصابة العلم. وقال ابن عباس: لا يعلم المشركون ما أهم الله أوليائه .

قوله عز وجل : ﴿ولمَّا دخلوا على يوسف﴾، قالوا هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به قد جئناك به، فقال: أحسنتم وأصبتم، وستجدون جزاء ذلك عندي، ثم أنزلهم وأكرمهم^(١)، ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة، فبقي بنيامين وحيداً، فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حياً لأجلسني معه، فقال يوسف: لقد بقي أخوكم هذا وحيداً، فأجلسه معه على مائدته، فجعل يُواكله فلما كان الليل أمر لهم [بمثل ذلك]^(٢) وقال: لينم كل أخوين منكم على مثال، فبقي بنيامين وحده، فقال يوسف: هذا ينام معي على فراشي، فنام معه، فجعل يوسف يضمه إليه ويشم ربحه حتى أصبح، وجعل روبين يقول: ما رأينا مثل هذا، فلما أصبح، قال لهم إني أرى هذا الرجل ليس معه ثاب فسأضمه إليّ فيكون منزله معي، ثم أنزلهم منزلاً وأجرى عليهم الطعام، وأنزل أخاه لأمه معه، فذلك قوله تعالى :

﴿أوى إليه أخاه﴾، أي: ضم إليه أخاه فلما خلا به قال: ما اسمك؟ قال: بنيامين، قال: وما بنيامين؟ قال: ابن المشكل، وذلك أنه لما ولد هلكت أمه. قال: وما اسم أمك؟ قال: راحيل بنت لاوى، فقال: فهل لك من ولد؟ قال: نعم عشرة بنين، [قال: فهل لك من أخ لأمك، قال: كان لي أخ فهلك، قال يوسف]^(٣): أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك، فقال بنيامين: ومن يجد أخاً مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكى يوسف عند ذلك وقام إليه وعانقه^(٤)، وقال له: ﴿قال إني أنا أخوك فلا تبتئس﴾، أي: لا تحزن، ﴿بما كانوا يعملون﴾، بشيء فعلوه بنا فيما مضى، فإن الله تعالى قد أحسن إلينا، ولا تعلمهم شيئاً مما أعلمتك، ثم أوفى يوسف لآخوته الكيل، وحمل لهم بعيراً بعيراً، ولبنيامين بعيراً باسمه، ثم أمر بسقاية الملك فجعلت في رحل بنيامين .

(١) في «ب» فأكرم مثواهم .

(٢) في «ب»: بمثل .

والمثل هي: الفرش، واحدها مثال .

(٣) ما بين القوسين من المطبوع، وهي زيادة تناسب السياق .

(٤) هذه التفصيلات في لقاء يوسف لأخيه أخرجها الطبري في التاريخ: ٣٥٢/١ ولم يقم عليها دليل، وظاهر الآيات أنه احتل بأخيه وأطلعه على شأنه. وما جرى له وعرفه أنه أخوه، وتواطأ معه أنه سيحتال على أن يقيه عنده معزراً مكرماً معظماً .

انظر: ابن كثير: ٤٨٦/٢ .

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أُخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ
 إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْنِهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ
 الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾

قال السدي: جعلت السقاية في رجل أخيه، والأخ لا يشعر .

وقال كعب: لما قال له يوسف إني أنا أخوك، قال بنيامين: أنا لا أفارقك، فقال له يوسف: قد علمت اغتنام والذي بي وإذا حبستك ازداد غمه ولا يمكنني هذا إلا بعد أن أشهرك بأمر فطيع وأنسبك إلى مالا يحمد^(١)، قال: لا أبالي، فافعل ما بدا لك، فإني لا أفارقك، قال: فإني أدسُّ صاعِي في رحلك ثم أنادي عليكم بالسرقة، ليهيأ لي ردك بعد تسريحك. قال: فافعل فذلك قوله تعالى :

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أُخِيهِ﴾، وهي المشربة التي كان الملك يشرب منها.

قال ابن عباس: كانت من زبرجد .

وقال ابن إسحاق: كانت من فضة. وقيل: من ذهب، وقال عكرمة: كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر، جعلها يوسف مكيالاً لثلاث يكال بغيرها، وكان يشرب منها .

والسقاية والصواع واحد، وجعلت في وعاء طعام بنيامين، ثم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلاً .

وقيل: حتى خرجوا من العمارة، ثم بعث خلفهم من استوقفهم وحبسهم .

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾، نادى منادٍ، ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾، وهي القافلة التي فيها الأحمال. قال مجاهد: كانت العير حميراً. وقال الفراء: كانوا أصحاب إبل. ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾، قفوا. قيل: قاله من غير أمر يوسف. وقيل: قاله بأمره، وكان هفوة منه. وقيل: قاله على تأويل أنهم سرقوا يوسف من أبيه، فلما انتهى إليهم الرسول، قال لهم: ألم نكرم ضيافتكم ونحسن منزلتكم ونوفكم كيالكم ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم؟ قالوا: بلى، وما ذاك؟ قالوا: سقاية الملك فقدناها، ولا ننتهم عليها غيركم. فذلك قوله عز وجل :

﴿قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْنِهِمْ﴾، عطفوا على المؤذن وأصحابه، ﴿مَاذَا تَفْقَدُونَ﴾، ما الذي ضل عنكم.

والفقدان: ضد الوجد .

﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾، من الطعام، ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾، كفيل،

يقوله المؤذن .

(١) في «ب»: يحمل .

قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا
فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ
كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا
مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا
أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

﴿قَالُوا﴾، يعني: إخوة يوسف، ﴿تَأَلَّه﴾ أي: والله، وخصت هذه الكلمة بأن أبدلت الواو فيها بالتاء في اليمين دون سائر أسماء الله تعالى. ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾، لسرق في أرض مصر .
فإن قيل: كيف قالوا لقد علمتم؟ ومن أين علموا ذلك؟ .

قيل: قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض، فإننا منذ قطعنا هذا الطريق لم نرأ أحداً شيئاً فاسألوا عتاً من مرزنا به، هل ضررنا أحداً .

وقيل: لأنهم ردوا البضاعة التي جعلت في رحالهم، قالوا: فلو كنا سارقين ما رددناها .
وقيل: قالوا ذلك لأنهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم، وكانوا إذا دخلوا مصر كعموا أفواه دوابهم لكيلا تتناول شيئاً من حرث الناس .
﴿وما كنا سارقين﴾ .

﴿قَالُوا﴾، يعني: المنادي وأصحابه ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾، أي: جزاء السارق، ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾، في قولكم «وما كنا سارقين» .

﴿قَالُوا﴾، [يعني: إخوة يوسف] ^(١)، ﴿جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾، أي: فالسارق جزاؤه أن يسلم السارق بسرقة إلى المسروق منه فيسترقه سنة، وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق، وكان حكم مصر أن يضرب السارق / ويفرم ضعفي قيمة المسروق، فأراد يوسف أن يجبس ١٠٧١٨٥ أ أخاه عنده، فرد الحكم إليهم ليتمكن من حبسه عنده على حكمهم .

﴿وكذلك نجزي الظالمين﴾، الفاعلين ما ليس لهم فعله من سرقة مال الغير .
فقال الرسول عند ذلك: لا بد من تفتيش أمتعتكم .

فأخذ في تفتيشها. وروي أنه ردهم إلى يوسف فأمر بتفتيش أوعيتهم بين يديه .
﴿فبدأ بأوعيتهم﴾، لإزالة التهمة، ﴿قبل وِعَاءِ أَخِيهِ﴾، فكان يفتش أوعيتهم واحداً واحداً. قال

(١) زيادة من «ب» .

قتادة: ذكر لنا أنه كان لا يفتح متاعاً ولا ينظر في وعاء إلا استغفر الله تأثماً مما قذفهم به حتى إذا لم يبق إلا رحل بنيامين، قال: ما أظن هذا أخذه، فقال لإخوته: والله لا نترك حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك ولأنفسنا، فلما فتحوا متاعه استخرجوه منه. فذلك قوله تعالى:

﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾، وإنما أنث الكناية في قوله «ثم استخرجها» والصَّوَّاعُ مذكر، بدليل قوله: «ولن جاء به حمل بعير»؛ لأنه ردّ الكناية هاهنا إلى السقاية .

وقيل: الصَّوَّاعُ يذكر ويؤنث .

فلما أخرج الصَّوَّاعُ من رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم من الحياء، وأقبلوا على بنيامين وقالوا: ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يابني راحيل؟ ما يزال لنا منكم البلاء، متى أخذت هذا الصَّوَّاعُ؟ فقال بنيامين: بل بنو راحيل لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية، ووضع هذا الصَّوَّاعُ في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم، فأخذوا بنيامين رقيقاً^(١) .

وقيل: إن ذلك الرجل أخذ برقبته وردّه إلى يوسف كما يرد^(٢) السراق .

﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾، والكيد هاهنا جزء الكيد، يعني: كما فعلوا في الابتداء بيوسف من الكيد فعلنا بهم. وقد قال يعقوب عليه السلام ليوسف: «فيكيدوا لك كيداً»، فكدنا ليوسف في أمرهم .

والكيد من الخلق: الحيلة، ومن الله تعالى التدبير بالحق .

وقيل: كدنا: ألهمنا. وقيل: دبرنا. وقيل: أردنا .

ومعناه: صنعنا ليوسف حتى ضم أخاه إلى نفسه، وحال بينه وبين إخوته .

﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ فيضمه إلى نفسه، ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾، أي: في حكمه. قاله قتادة. وقال ابن عباس: في سلطانه. ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، يعني: إن يوسف لم يكن يتمكن من حبس أخيه في حكم الملك لولا ما كدنا له بلطفنا حتى وجد السبيل إلى ذلك، وهو ما أجرى على السنة الإخوة أن جزاء السارق الاسترقاق، فحصل مراد يوسف بمشيئة الله تعالى .

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِنْ نَشَأٍ﴾، بالعلم كما رفعتنا درجة يوسف على إخوته .

وقرأ يعقوب: ﴿يَرْفَعُ﴾ و﴿يَشَاءُ﴾ بالياء فيهما [وإضافة درجات إلى ﴿مِنْ﴾ في هذه السورة. والوجه أن الفعل فيهما مسند إلى الله تعالى، وقد تقدم ذكره في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: يرفع الله درجات من يشاء. وقرأ الباقون بالنون فيهما، إلا أن الكوفيين قرؤوا: ﴿دَرَجَاتٍ﴾ بالتنوين، ومن سواهم بالإضافة، أي: نرفع به نحن، والواقع أيضاً هو الله تعالى^(٣) .

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٠/١٦، تاريخ الطبري: ٣٥٥/١ .

(٢) في «أ»: يرق .

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ
وَلَمْ يَبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾

﴿فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾. قال ابن عباس: فوق كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى. فالله تعالى فوق كل عالم .

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، يريدون أخاً له من أمه، يعني: يوسف .
واختلفوا في السرقة التي وصفوا بها يوسف عليه السلام، فقال سعيد بن جبير وقتادة: كان لجده،
أبي أمه، صنم يعبده، فأخذه سرّاً، أو كسره وألقاه في الطريق لثلا يعبد^(١) .
وقال مجاهد: إن يوسف جاءه سائل يوماً، فأخذ بيضة من البيت فناولها للسائل .
وقال سفيان بن عيينة: أخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب فأعطاهم سائلاً .
وقال وهب: كان يجلب الطعام من المائدة للفقراء^(٢) .

وذكر محمد بن إسحاق: أن يوسف كان عند عمته ابنة إسحاق، بعد موت أمه راحيل، فحضنته
عمته وأحبته حباً شديداً، فلما ترعرع وقعت محبة يعقوب عليه، فأثابها وقال: يا أختاه سلمى إليّ
يوسف، فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة. قالت: لا والله، فقال: والله ما أنا بتاركه، فقالت: دعه
عندي أياماً أنظر إليه لعل ذلك يسليني عنه، ففعل ذلك، فعمدت إلى منطقة لإسحاق كانوا يتوارثونها
بالكبير، فكانت عندها لأنها كانت أكبر ولد إسحاق، فحزمت المنطقة على يوسف تحت ثيابه وهو
صغير، ثم قالت: لقد فقدت منطقة إسحاق اكشفوا أهل البيت فكشفوا فوجدوها مع يوسف، فقالت:
والله إنه لسلم لي، فقال يعقوب: إن كان فعل ذلك فهو سلم لك^(٣)، فأمسكته حتى ماتت، فذلك
الذي قال إخوة يوسف: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾^(٤) .

﴿فَأَسْرَهَا﴾، أضمرها ﴿يوسف في نفسه ولم يبدِها لهم﴾، وإنما أتت الكناية لأنه عنى بها الكلمة،
وهي قوله: ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾، [ذكرها سرّاً في نفسه ولم يصرح بها، يريد أنتم شر مكاناً]^(٥)

(١) أخرجه عنهما ابن جرير في التفسير: ١٩٥/١٦، وانظر: الدر المنثور: ٥٦٤/٤ .

(٢) انظر: الدر المنثور: ٥٦٤/٤ .

(٣) السلم (بفتحين): انقياد المدعن المستخذي، كالأسير الذي لا يتمتع من أمره، يقال: «أخذه سلماً» إذا أسره من غير حرب، فجاء به مقادراً لا يتمتع .

انظر: تعليق محمود شاكر على الطبري: ١٩٦/١٦ .

(٤) أخرجه الطبري: ١٩٦/١٦-١٩٧، وعزاه السيوطي لابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم. (الدر المنثور: ٥٦٣/٤) .

هذا، ولم يرد نص ثابت عن النبي ﷺ في تعيين المراد بالسرقة التي وصفوه بها، والله أعلم بالذي كان .

(٥) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۗ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ ۗ إِنَّا
 إِذَا الظَّالِمُونَ ﴿٧٩﴾

أي: منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة في صنعكم بيوسف، لأنه لم يكن من يوسف سرقة حقيقية،
 وخيانتكم (١) حقيقة، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾، تقولون .

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾. وفي القصة أنهم غضبوا غضباً شديداً لهذه الحالة،
 وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا، وكان روبييل إذا غضب لم يقم لغضبه شيء، وإذا صاح ألقَت كل
 امرأة حامل سمعت صوته ولدها، وكان مع هذا إذا مسه أحد من ولد يعقوب سكن غضبه .
 وقيل: كان هذا صفة شمعون من ولد يعقوب .

وروي أنه قال لإخوته: كم عدد الأسواق بمصر؟ فقالوا عشرة، فقال: اكفوني أنتم الأسواق وأنا
 أكفيكم الملك، أو اكفوني أنتم الملك وأنا أكفيكم الأسواق، فدخلوا على يوسف فقال روبييل: لتردن
 علينا أخانا أو لأصيحن صيحة لا تبقي بمصر امرأة حامل إلا ألقَت ولدها وقامت كل شعرة في جسد
 روبييل فخرجت من ثيابه، فقال يوسف لابن له صغير: قم إلى جنب روبييل فمسه. وروي: خذ بيده
 فاتني به، فذهب الغلام فمسه فسكن غضبه. فقال روبييل: إن هاهنا لَبَزْرًا من بَزْر (٢) يعقوب، فقال
 يوسف: مَنْ يعقوب؟ .

وروي أنه غضب ثانياً فقام إليه يوسف فركضه برجله وأخذ بتلابيه، فوقع على الأرض وقال: أنتم
 معشر العبرانيين تظنون أن لا أحد أشد منكم؟

فلما صار أمرهم إلى هذا ورأوا أن لا سبيل لهم إلى تخليصه خضعوا وذلوا، وقالوا: يا أيها العزيز إن له
 أباً شيخاً كبيراً يحبه، ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾، بدلاً منه، ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، في أفعالك (٣).
 وقيل: من المحسنين إلينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة. وقيل: يعنون إن فعلت ذلك كنت
 من المحسنين .

﴿قَالَ﴾، يوسف، ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أعوذ بالله، ﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾، ولم يقل
 إلا من سرق تحرزاً من الكذب، ﴿إِنَّا إِذَا الظَّالِمُونَ﴾، إن أخذنا بريئاً بمجرم .

(١) في «ب»: جنابتكم .

(٢) البزر (بفتح فسكون): الولد، يقال: ما أكثر بزره! أي: ولده .

(٣) أخرجه الطبري مطولاً في تاريخه: ٣٥٥/١-٣٥٦، ومختصراً في التفسير: ٢٠٠/١٦ - ٢٠١، وعزاه السيوطي في الدر: ٥٦٥/٤ .

فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ
أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ
حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾

﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ﴾، أي: أيسوا من يوسف أن يجيبهم إلى ما سألوه. وقال أبو عبيدة: استيسسوا استيقنوا أن الأخ لا يُرد إليهم. ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾، أي: خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون لا يخالطهم غيرهم.

والنجي يصلح للجماعة كما قال هاهنا ويصلح للواحد كقوله: «وَقَرَّبْنَا نَجِيًّا» (مريم - ٥٢) /، وإنما جاز للواحد والجمع لأنه مصدر جعل نعتاً كالعدل والزور، ومثله النجوى يكون اسماً ومصدراً، قال الله تعالى: «وَإِذْ هُمْ نَجْوَى» (الإسراء - ٤٧)، أي: متناجون. وقال: «ما يكون من نجوى ثلاثة» (المجادلة - ٧)، وقال في المصدر «إنما النجوى من الشيطان» (المجادلة - ١٠).

﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾، يعني: في العقل والعلم لا في السن.

قال ابن عباس والكلبي: هو يهوذا وهو أعقلهم.

وقال مجاهد: هو شمعون، وكانت له الرئاسة على إخوته.

وقال قتادة والسدي والضحاك: هو روبيل، وكان أكبرهم في السن، وهو الذي نهى الإخوة عن قتل يوسف^(١).

﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوثِقًا﴾، عهداً. ﴿مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ﴾ قصرتم ﴿فِي يُوسُفَ﴾.

واختلفوا في محل ﴿مَا﴾؛ قيل: هو نصب بإيقاع العلم عليه، يعني: ألم تعلموا من قبل تفريطكم في يوسف.

(١) ذكر هذه الروايات: السيوطي في الدر المنثور: ٥٦٥/٤، والطبري في التفسير: ٢٠٦/١٦-٢٠٨، وقال مرجحاً أنه «روبييل»: «وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: عنى بقوله «قال كبيرهم» روبيل، لإجماع جميعهم على أنه كان أكبرهم سنًا. ولا تفهم العرب في المخاطبة إذا قيل لهم: «فلان كبير القوم» مطلقاً بغير وصل، إلا أحد معنيين: إما في الرياسة عليهم والسؤدد، وإما في السن. فأما في العقل؛ فإنهم إذا أرادوا ذلك وصلوه فقالوا: «هو كبيرهم في العقل». فأما إذا أطلق بغير صلته بذلك، فلا يفهم إلا ما ذكرت.

وقد قال أهل التأويل: لم يكن لشمعون = وإن كان من العلم والعقل بالمكان الذي جعله الله به = على إخوته رياسة وسؤدد، فيعلم بذلك أنه عنى بقوله: «قال كبيرهم». فإذا كان ذلك كذلك، فلم يبق إلا الوجه الآخر، وهو الكبر في السن. وقد قال الذين ذكرنا جميعاً: «روبييل كان أكبرهم سنًا» فصح بذلك القول الذي اخترناه.

أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا
وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾

[وقيل: وهو في محل الرفع على الابتداء وتم الكلام عند قوله: ﴿من الله﴾ ثم قال ﴿ومن قبل﴾ هذا تفریطكم في يوسف] (١).

وقيل: ﴿ما﴾ صلة. أي: ومن قبل هذا فرطتم في يوسف .
﴿فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ﴾، التي أنا بها وهي أرض مصر ﴿حتى يأذن لي أبي﴾، بالخروج منها
ويدعوني، ﴿أو يحكم الله لي﴾، برد أخي إلي، أو بخروجي وترك أخي .
وقيل: أو يحكم الله لي بالسيف فأقاتلهم وأسترد أخي .
﴿وهو خير الحاكمين﴾، أعدل من فصل بين الناس .
﴿ارجعوا إلى أبيكم﴾، يقوله الأخ المحتبس [بمصر] (٢) لإخوته ارجعوا إلى أبيكم، ﴿فقولوا يا أبانا إن
ابنك﴾، بنيامين، ﴿سرق﴾ .

قرأ ابن عباس والضحاك سُرِقَ بضم السين وكسر الراء وتشديدها، يعني: نُسب إلى السرقة، كما
يقال خَوَّته أي نسبته إلى الخيانة .
﴿وما شهدنا إلا بما علمنا﴾ [يعني: ما قلنا هذا إلا بما علمنا] (٣) فإننا رأينا إخراج الصاع من
متاعه .

وقيل: معناه: وما شهدنا، أي: ما كانت منا شهادة في عمرنا على شيء إلا بما علمنا، وليست هذه
شهادة منا إنما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم .
وقيل: قال لهم يعقوب عليه السلام: ما يدري هذا الرجل أن السارق يُؤخذ بسرقة إلا بقولكم،
فقالوا: وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يسترقُّ إلا بما علمنا، وكان الحكم ذلك عند الأنبياء؛ يعقوب
وبنيه .

﴿وما كنا للغيب حافظين﴾، قال مجاهد وقتادة: ما كنا نعلم إن ابنك سيسرق ويصير أمرنا إلى
هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا إليه، وإنما قلنا ونحفظ أخانا مما لنا إلى حفظه منه سبيل .
وعن ابن عباس: ما كنا لليله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين .
وقال عكرمة: وما كنا للغيب حافظين فلعلها دُست بالليل في رحله .

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) ساقط من «أ» .

(٣) ساقط من «ب» .

وَسَلَّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٤﴾ قَالَ
 بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً
 إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَابْيَضَّتْ
 عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾

﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾، أي: أهل القرية وهي مصر. قال ابن عباس: هي قرية من قرى مصر كانوا ارتحلوا منها إلى مصر. ﴿والعير التي أقبلنا فيها﴾، أي: القافلة التي كنا فيها. وكان صحبهم قوم من كتعان من جيران يعقوب .

قال ابن إسحاق: عرف الأخ المحتبس بمصر أن إخوته أهل تهمة عند أبيهم لما كانوا صنعوا في أمر يوسف، فأمرهم أن يقولوا هذا لأبيهم .
 ﴿وإنا لصادقون﴾ .

فإن قيل: كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذا بأبيه ولم يخبره بمكانه، وحبس أخاه مع علمه بشدة وجد أبيه عليه، وفيه معنى العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة؟ .

قيل: قد أكثر الناس فيه، والصحيح أنه عمل ذلك بأمر الله سبحانه وتعالى، أمره بذلك، ليزيد في بلاء يعقوب فيضاعف له الأجر ويلحقه في الدرجة بآبائه الماضين .

وقيل: إنه لم يظهر نفسه لإخوته لأنه لم يأمن أن يدبروا في أمره تدبيراً فيكتموه عن أبيه. والأول أصح.
 ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ﴾، زينت، ﴿أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾، وفيه اختصار معناه: فرجعوا إلى أبيهم وذكروا لأبيهم ما قال كبيرهم، فقال يعقوب: (بل سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً)، أي: حمل أخيكم إلى مصر لطلب نفع عاجل .

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾، يعني: يوسف، وبنيامين، وأخاهم المقيم بمصر .
 ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾، بحزني ووجدي على فقدهم، ﴿الْحَكِيمُ﴾، في تدبير خلقه .

قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾، وذلك أن يعقوب عليه السلام لما بلغه خبر بنيامين تتام حزنه وبلغ جهده، وتهدج حزنه على يوسف فأعرض عنهم، ﴿وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ﴾، يا حزننا، ﴿عَلَىٰ يَوْسُفَ﴾، والأسف أشدُّ الحزن، ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾، عُمي بصره. قال مقاتل: لم يبصر بهما ست سنين، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾، أي: مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يئثه. وقال قتادة: يردد حزنه في جوفه ولم يقل إلا خيراً. قال الحسن: كان بين خروج يوسف من حجر أبيه إلى يوم التقى معه ثمانون عاماً لا تجف عينا يعقوب وما على وجه الأرض يومئذ أكرم على الله من يعقوب .

قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُوْا تَذْكُرُ يُوْسُفَ حَتَّى تَكُوْنَ حَرَضًا أَوْ تَكُوْنَ مِنَ الْهَالِكِيْنَ
 ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

﴿قالوا﴾، يعني: أولاد يعقوب، ﴿تالله تفتؤ تذكرو يوسف﴾، أي: لا تزال تذكر يوسف، لا تفتقر من حبه، و﴿لا﴾ محذوفة من قوله ﴿تفتؤ﴾ يقال: ما فتىء يفعل كذا أي: مازال، كقول امرئ القيس:
 قُلْتُ يَمِيْنُ اللّٰهُ اُبْرَحُ قَائِمًا * وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي (١)

أي: لا أبرح .

﴿حتى تكون حرَضاً﴾، قال ابن عباس: دفناً (٢) .

وقال مجاهد: الحرَض ما دون الموت، يعني: قريباً من الموت .

وقال ابن إسحاق: فاسداً لا عقل لك .

والحرَض: الذي فسد جسمه وعقله. وقيل: ذائباً من الهم .

ومعنى الآية: حتى تكون ذنفاً الجسم مخبول العقل .

وأصل الحرَض: الفساد في الجسم والعقل من الحزن أو الهرم، أو العشق (٣)، يقال: رجل حرَضٌ وامرأة حرَضٌ، ورجلان وامرأتان حرَضٌ، ورجال ونساء كذلك، يستوي فيه الواحد والإثنان والجمع والمذكر والمؤنث، لأنه مصدر وُضع موضع الاسم (٤). ﴿أو تكون من الهالكين﴾، أي: من الميتين .

﴿قال﴾ يعقوب عليه السلام عند ذلك لما رأى غلظتهم ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾، والبثُّ: أشدُّ الحزن، سمي بذلك لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يثبته أي يظهره، قال الحسن: بثي أي: حاجتي .

ويروى أنه دخل على يعقوب جازاً له وقال: يا يعقوب مالي أراك قد تهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك؟ قال: هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف، فأوحى الله إليه: يا يعقوب

(١) البيت في ديوان امرئ القيس ص (٣٢) واستشهد به الطبري في: ٤٢٥/٤، ٢٢١/١٦، وابن قتيبة في المشكل ص (١٧٤).
 وفيها: قاعداً بدل قائماً .

(٢) في «ب»: دفناً .

(٣) ومنه قول العرجي :

إِنِّي امْرُؤٌ لَجُّ بِي حُبٌّ فَأَحْرَضَنِي • حَتَّى يَلِيْتُ، وَحَتَّى شَفَّنِي السَّقْمُ
 يعني بقوله «فأحرضني»: أذابني فتركني مُعْرَضاً .

(٤) فإذا وصف بهذا اللفظ ثني وجمع، وذكر وأنث .

وَوُحِدَ «حَرَضٌ» بِكُلِّ حَالٍ وَلَمْ يَدْخُلْ التَّأْنِيثُ؛ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ، فَإِذَا أُخْرِجَ عَلَى «فَاعِلٍ» عَلَى تَقْدِيرِ الْأَسْمَاءِ لَزِمَهُ مَا يَلْزِمُ الْأَسْمَاءَ مِنَ التَّنْيَةِ وَالْجَمْعِ وَالتَّكْثِيرِ وَالتَّأْنِيثِ .

انظر: الطبري: ٢٢٢/١٦ .

أتشكوني إلى خلقي؟ فقال: يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي، فقال: قد غفرتها لك، فكان بعد ذلك إذا سئل قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله^(١).

وروي أنه قيل له: يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك وقوس ظهرك؟

قال: أذهب بصري بكائي على يوسف، وقوس ظهري حزني على أخيه؟

فأوحى الله إليه: أتشكوني؟ فوعزني وجلالي لا أكشف ما بك حتى تدعوني.

فعند ذلك قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، فأوحى الله إليه: وعزني وجلالي لو كانا ميتين

لأخرجتهما لك، وإنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة / فقام بياضكم مسكين فلم تطعموه منها شيء،

أ/١٨٦

وإن أحب خلقي إليّ الأنبياء، ثم المساكين فاصنع طعاماً وادع إليه المساكين.

فصنع طعاماً ثم قال: من كان صائماً فليفطر الليلة عند آل يعقوب^(٢).

وروي أنه كان بعد ذلك إذا تغدى أمر من ينادي: من أراد الغداء فليأت يعقوب، وإذا أفطر أمر

من ينادي: من أراد أن يفطر فليأت يعقوب، فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين^(٣).

وعن وهب بن منبه قال: أوحى الله تعالى إلى يعقوب: أتدري لِمَ عاقبتك وحبست عنك يوسف

ثمانين سنة؟ قال: لا، يا إلهي، قال: لأنك قد شويت عناقاً وقترت على جارك، وأكلت ولم تطعمه.

وروي: أن سبب ابتلاء يعقوب أنه ذبح عجلاً بين يدي أمه وهي تخور^(٤).

وقال وهب والسدي وغيرهما: أتى جبريل يوسف عليه السلام في السجن فقال: هل تعرفني أيها

الصديق؟

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ٢٢٧/١٦-٢٢٨ عن طلحة بن مصرف اليامي موقوفاً عليه، (وفي الأصل الإيامي) والمثبت من

تهذيب التهذيب، فقد ترجم له وقال: كوفي، فاضل قارئ، من الخامسة.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک عن أنس بن مالك: ٣٤٨/٢، وقال: «هكذا في سماعي بخط يد حفص بن عمر بن الزبير. وأظن «الزبير»

وهما من الراوي، فإنه حفص بن عمر بن عبدالله بن أبي طلحة الأنصاري، ابن أخي أنس بن مالك، فإن كان كذلك فالحديث صحيح.

ثم قال: وقد أخرج الإمام أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم هذا الحديث في التفسير مرسلأ.

وساقه الهيثمي من رواية أنس ثم قال: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط عن شيخه محمد بن أحمد الباهلي البصري وهو ضعيف جداً».

انظر: مجمع الزوائد: (٤٠/٧).

وذكره ابن كثير في التفسير: (٤٨٨-٤٨٩) من رواية ابن أبي حاتم: وقال: «هذا حديث غريب فيه نكارة».

وزاد السيوطي نسبه لابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان.

انظر: الدر المنثور: ٥٧٤/٤.

(٣) انظر التعليق السابق.

(٤) انظر: زاد المسير لابن الجوزي: ٢٧٥/٤.

قال: أرى صورة طاهرة وريحاً طيبة .

قال: إني رسول رب العالمين وأنا الروح الأمين .

قال: فما أدخلك مدخل المذنبين وأنت أطيب الطيبين ورأس المقربين [وأمين رب العالمين]؟^(١)

قال: ألم تعلم يا يوسف أن الله تعالى يطهر البيوت بطهر النبيين، وأن الأرض التي يدخلونها هي أطهر الأراضين، وأن الله تعالى قد طهر بك السجن وما حوله يا طهر الطاهرين وابن الصالحين المخلصين .

قال: وكيف لي باسم الصديقين وتعديني من المخلصين الطاهرين، وقد أدخلت مدخل المذنبين

وسميت باسم الفاسقين؟

قال جبريل: لأنه لم يفتن قلبك ولم تطع سيدتك في معصية ربك لذلك سماك الله في الصديقين،

وعدك من المخلصين، وألحقك بآبائك الصالحين .

قال يوسف: هل لك علم يعقوب أيها الروح الأمين؟

قال: نعم، وهبه الله الصبر الجميل وابتلاه بالحزن عليك فهو كظيم .

قال: فكم قدر حزنه؟

قال: حزن سبعين ثكلى .

قال: فما زاد له من الأجر يا جبريل؟

قال: أجر مائة شهيد .

قال: أفتراني لاقية؟

قال: نعم، فطابت نفس يوسف، وقال: ما أبالي بما لقيت إن رأيته^(٢) .

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، يعني: أعلم من حياة يوسف مالا تعلمون .

رُوي أن ملك الموت زار يعقوب فقال له: أيها الملك الطيب ريح، الحسن صورته، هل قبضت روح

ولدي في الأرواح؟ قال: لا، فسكن يعقوب وطمع في رؤيته، وقال: وأعلم أن رؤيا يوسف صادقة وإني وأنتم

سنسجد له .

وقال السدي: لما أخبره ولده بسيرة الملك أحسّت نفس يعقوب وطمع وقال لعله يوسف، فقال:

يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ^(٣) .

(١) ساقط من «ب» .

(٢) أخرجه عنهما الطبري في التفسير: ٢٢٩/١٦-٢٣١ .

وهو يكثر من الروايات الإسرائيلية ورواية السدي ضعيفة .

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٢٥٣/٩ . ورواه الطبراني في الصغير والأوسط عن شيخه محمد بن أحمد الباهلي وهو ضعيف جداً .

انظر: مجمع الزوائد ٤٠/٧ .

يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ
لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ
مَسْنَاوَأَهْلْنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّجَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ
اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾

وروي عن عبدالله بن يزيد بن أبي فروة: أن يعقوب عليه السلام كتب كتاباً إلى يوسف عليه السلام حين حبس بنيامين: من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله^(١) بن إبراهيم خليل الله [إلى ملك مصر]^(٢) أما بعد: فإننا أهل بيت وُكِّلَ بنا البلاء؛ أما جدي إبراهيم فشددت يده ورجلاه وألقي في النار، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وأما أبي فشددت يده ورجلاه ووضع السكين على قفاه، ففداه الله، وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم، فقالوا: قد أكله الذئب، فذهبت عيناى [من البكاء عليه]^(٣)، ثم كان لي ابن وكان أخاه لأمه، وكنت أتسلى به، وإنك حبسته وزعمت أنه سرق، وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً، فإن رددته عليّ وإلا دعوت عليك دعوةً تدرك السابع من ولدك، فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتالك البكاء وعيل صبره، فأظهر نفسه على ما نذكره إن شاء الله تعالى^(٤).

قوله عز وجل: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا﴾، تخبروا واطلبوا الخير، ﴿مَنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾، والتحسس بالحاء والجيم لا يبعد أحدهما من الآخر، إلا أن التحسس بالحاء في الخير وبالجيم في الشر، والتحسس هو طلب الشيء بالحاسة. قال ابن عباس: معناه التمسوا ﴿وَلَا تَيْأَسُوا﴾، ولا تقنطوا ﴿مَنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾، أي: من رحمة الله، وقيل: من فرج الله. ﴿إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾، وفيه إضمار تقديره: فخرجوا راجعين إلى مصر حتى وصلوا إليها فدخلوا على يوسف عليه السلام. ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَاوَأَهْلْنَا الضَّرُّ﴾، أي: الشدة والجوع، ﴿وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّجَةٍ﴾، أي: قليلة رديئة كاسدة، لا تنفق في ثمن الطعام إلا بتجاوز من البائع فيها، وأصل الإجزاء: السوق والدفع. وقيل: للبضاعة مزججة لأنها غير نافقة، وإنما تجوز على دفع من أخذها.

(١) انظر التعليق رقم (١) ص (٢١٥).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) ساقط من «ب».

أخرجه الحكيم الترمذي وأبو الشيخ عن وهب بن منبه، وهو ضعيف. انظر: الدر المنثور ٥٧٩/٤.

واختلفوا فيها، فقال ابن عباس: كانت دراهم رديئة زيوفاً^(١).

وقيل: كانت نَحْلَقَ الغرائر والحيال^(٢).

وقيل: كانت من متاع الأعراب من الصوف والأقط.

وقال الكلبي ومقاتل: كانت الحبة الخضراء.

وقيل: كانت من سوق المُقل^(٣).

وقيل: كانت الأدم والنعال^(٤).

﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾، أي: أعطنا ما كنت تعطينا قَبْلَ بالثمن الجيد الوافي.

﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾، أي: تفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والردىء ولا تنقصنا. هذا قول أكثر

المفسرين.

وقال ابن جريج والضحاك: وتصدق علينا برد أحنينا إلينا^(٥).

﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي﴾، يثيب، ﴿الْمُتَصَدِّقِينَ﴾.

وقال الضحاك: لم يقولوا إن الله يجزيك؛ لأنهم لم يعلموا أنه مؤمن.

وسئل سفيان بن عيينة: هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء سوى نبينا عليه الصلاة

والسلام؟ فقال سفيان: ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾^(٦)، يريد أن

الصدقة كانت حلالاً لهم.

وروي أن الحسن سمع رجلاً يقول: اللهم تصدق علي، فقال: إن الله لا يتصدق وإنما يتصدق من

يبغي الثواب، قل: اللهم أعطني أو تفضل علي^(٧).

(١) الدراهم التي ظهر فيها غش ورداءة.

(٢) «المُحْلَق»: البالي. و«الغرائر»: جمع غرارة، وهي وعاء من خيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه، وهو أكبر من الجوالق.

انظر: المعجم الوسيط: ٦٤٨/٢.

(٣) المُقل: حَمَلُ الدوم: والدوم يشبه النخل.

(٤) قال الطبري في معنى «وجئنا ببضاعة مزجاة»: بدراهم، أو ثمن لا يجوز في ثمن الطعام إلا لمن يتجاوز فيها... واختلف أهل التأويل في

البيان عن تأويل ذلك، وإن كانت معاني بيانهم متقاربة. التفسير: ٢٣٤/١٦، ٢٣٥.

(٥) قال الطبري تعقياً على ما ذكره ابن جريج: وهذا القول وإن كان قولاً له وجه، فليس بالقول المختار... لأن «الصدقة» في متعارف

العرب إنما هي: إعطاء الرجل إذا حاجة بعض أملاكه ابتغاء ثواب الله عليه، وإن كان كل معروف صدقة. فتوجه تأويل كلام الله إلى

الأغلب من معناه في كلام من نزل القرآن بلسانه = أولى وأحرى.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٤٢/١٦. وردّه ابن عطية بحديث (نحن معاشر الأنبياء لا نحل لنا الصدقة) انظر: المحرر الوجيز: ٦٣/٨.

(٧) ومثله قال مجاهد، فقد سئل: هل يكره أن يقول الرجل في دعائه اللهم تصدَّقْ عليّ؟ فقال: نعم، إنما الصدقة لمن يبغي الثواب.

انظر: الطبري: ٢٤٣/١٦، الدر المنثور: ٥٧٧/٤.

قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٦﴾ قَالُوا آءِ نَكَ
لَأَنْتَ يُونُسُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ
وَيَصْرِفْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٧﴾

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾، اختلفوا في السبب الذي حمل يوسف على هذا القول، قال ابن إسحاق: ذكر لي أنهم لما كلموه بهذا الكلام أدركته الرقة فافرض دمه^(١)، فباح بالذي كان يكتم منهم^(٢).

وقال الكلبي: إنما قال ذلك حين حكى لإخوته أن مالك بن ذعر قال إني وجدت غلاماً في بئر من حالة كيت وكيت، فابتعته بكذا درهماً فقالوا: أيها الملك، نحن بعنا ذلك الغلام، فغاض يوسف ذلك وأمر بقتلهم فذهبوا بهم ليقتلوهم، فولى يهودا وهو يقول كان يعقوب يحزن ويبكي لفقد واحد منا حتى كَفَّ بصره، فكيف إذا أتاه قتل بنيه كلهم؟ ثم قالوا له: إن فعلت ذلك فابعث بأمعتنا إلى أبينا فإنه بمكان كذا وكذا، فذلك حين رحمهم وبكى، وقال ذلك القول^(٣).

وقيل: قاله حين قرأ كتاب أبيه إليه فلم يتالك البكاء /، فقال: هل علمتم ما فعلتم بيوسف ١٨٦/ب وأخيه إذ فرقتم بينهما، وصنعتم ما صنعتم إذ أنتم جاهلون بما يؤل إليه أمر يوسف؟ وقيل: مذنبون وعاصون. وقال الحسن: إذ أنتم شباب ومعكم جهل الشباب.

فإن قيل: كيف قال ما فعلتم بيوسف وأخيه، وما كان منهم إلى أخيه، وهم لم يسعوا في حبسه؟ قيل: قد قالوا له في الصاع ما يزال لنا بلاء، وقيل: ما رأينا منكم يابني راحيل خيراً. وقيل: لما كانا من أم واحدة كانوا يؤذونه من بعد فقد يوسف.

﴿قَالُوا أَتَيْتُكَ لِأَنْتَ يُونُسُ﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر: ﴿إِنَّكَ﴾ على الخبر، وقرأ الآخرون على الاستفهام.

قال ابن إسحاق: كان يوسف يتكلم من وراء ستر فلما قال يوسف: هل علمتم ما فعلتم، كشف عنهم الغطاء ورفع الحجاب، فعرفوه.

وقال الضحاك عن ابن عباس: لما قال هذا القول تبسم يوسف فرأوا ثناياه كاللؤلؤ المنظم فشبوه بيوسف، فقالوا استفهاماً أنك لأنت يوسف؟.

(١) ارفض الدمع وترفض: نزل وسال.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير: ٢٤٣/١٦.

(٣) رواه أبو صالح عن ابن عباس: انظر: زاد المسير لابن الجوزي: ٢٧٩/٤.

قَالُوا تَأَلَّهَ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقِمِيصِي هَذَا فَأَلْقَوْهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾

وقال عطاء عن ابن عباس: إن أخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه، وكان له في قرنه علامة وكان ليعقوب مثلها ولإسحاق مثلها ولسارة مثلها شبه الشامة، فعرفوه فقالوا: أئنك لأنت يوسف .
وقيل: قالوه على التوهم حتى، ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾^(١)، بنيامين، ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، أنعم علينا بأن جمع بيننا .

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ﴾، بأداء الفرائض واجتناب المعاصي، ﴿وَيَصْبِرْ﴾، عما حرم الله عز وجل عليه. قال ابن عباس: يتقي الزنا ويصبر عن العزوبة. وقال مجاهد: يتقي المعصية ويصبر على السجن، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

﴿قَالُوا﴾، معذرين، ﴿ثَالِثًا لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، أي: اختارك الله وفضلك علينا، ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾، أي: وما كنا في صنعنا بك إلا مخطئين مذنبين. يقال: حَطِيَءٌ حِطْءٌ إذا تعمد، وأخطأ إذا كان غير متعمد^(٢) .

﴿قَالَ﴾، يوسف وكان حليماً، ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾، لا تعيير عليكم اليوم، ولا أذكر لكم ذنبكم بعد اليوم، ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ .
فلما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن أبيه، فقال: ما فعل أبي بعدي؟ قالوا: ذهب عيناه فأعطاهم قميصه، وقال :

﴿أَذْهَبُوا بِقِمِيصِي هَذَا فَأَلْقَوْهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾، أي: يعد مبصراً. وقيل: يأتيني بصيراً لأنه كان قد دعاه .

(١) راجع في هذه الأقوال: زاد المسير: ٢٨١/٤ .

(٢) قال الراغب الأصفهاني في كتابه «المفردات في غريب القرآن» ص (١٥١): «الْحَطْءُ: العَدُولُ عَنِ الْجِهَةِ، وَذَلِكَ أَضْرَبُ : أَحَدَهَا: أَنْ يَرِيدَ غَيْرَ مَا تَحَسَّنَ لِإِرَادَتِهِ، فَيَفْعَلُهُ، وَهَذَا هُوَ الْحَطْءُ التَّامُ الْمَأْخُوذُ بِهِ الْإِنْسَانُ، يُقَالُ: حَطِيَءٌ يَحْطِءُ حِطْءًا وَحِطْءَةً، قَالَ تَعَالَى: (وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ) .

والثاني: أَنْ يَرِيدَ مَا تَحَسَّنَ فَعَلَهُ، لَكِنْ يَقَعُ مِنْهُ خِلَافٌ مَا يَرِيدُ، فَيُقَالُ: أَحْطَأُ إِحْطَاءً فَهُوَ مُحْطِءٌ . وَهَذَا قَدْ أَصَابَ فِي الْإِرَادَةِ وَأَخْطَأَ فِي الْفِعْلِ، وَهُوَ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (رَفَعَ عَنِ أُمَّتِي الْحَطْءَ وَالنَّسِيَانَ) ..
والثالث: أَنْ يَرِيدَ مَا لَا يَحْسَنُ فَعَلَهُ وَيَتَّفِقُ مِنْهُ خِلَافُهُ، فَهَذَا مَحْطِءٌ فِي الْإِرَادَةِ وَمُصِيبٌ فِي الْفِعْلِ، فَهُوَ مُذْمُومٌ بِقَصْدِهِ، وَغَيْرُ مُحَمَّدٍ عَلَى فَعْلِهِ...» .

وانظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢، ١٣٤/٦، ٢٤٥/١٦ .

وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْقِدُونِ ﴿٩٤﴾

قال الحسن: لم يعلم أنه يعود بصيراً إلا بعد أن أعلمه الله عز وجل .

وقال الضحاك: كان ذلك القميص من نسج الجنة .

وعن مجاهد قال: أمره جبريل أن يرسل إليه قميصه، وكان ذلك القميص قميص إبراهيم عليه السلام، وذلك أنه جرد من ثيابه وألقي في النار عرياناً، فأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة، فألبسه إياه فكان ذلك القميص عند إبراهيم عليه السلام، فلما مات ورثه إسحاق، فلما مات ورثه يعقوب، فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قسبة، وسدّ رأسها، وعلقها في عنقه، لما كان يخاف عليه من العين، فكان لا يفارقه. فلما ألقى في البئر عرياناً جاءه جبريل عليه السلام وعلى يوسف ذلك التعويد، فأخرج القميص منه وألبسه إياه، ففي هذا الوقت جاء جبريل عليه السلام إلى يوسف عليه السلام وقال: أرسل ذلك القميص، فإن فيه ريح الجنة لا يقع على سقيم ولا مبتلى إلا عوفي، فدفن يوسف ذلك القميص إلى إخوته وقال: ألقوه على وجه أبي يأت بصيراً، ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١) .

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾، أي خرجت من عريش مصر متوجهة إلى كنعان ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾، أي:

قال يعقوب لولد ولده، ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ .

روي أن ريح الصبا استأذنت رها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير .

قال مجاهد: أصاب يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثلاثة أيام. وحكي عن ابن عباس: من مسيرة

ثمان^(٢) ليال .

وقال الحسن: كان بينهما ثمانون فرسخاً^(٣) .

وقيل: هبت ريح فصفت القميص فاحتملت ريح القميص إلى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم أن

ليس في الأرض من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص، فلذلك قال إني لأجد ريح يوسف .

﴿لَوْلَا أَن تَفْقِدُونِ﴾، تسفهوني، وعن ابن عباس: تُجْهَلُونِي. وقال الضحاك: تهرمون فتقولون شيخ

كبير قد خرف وذهب عقله. وقيل: تضعفوني. وقال أبو عبيدة: تضللوني. وأصل الفئدة: الفساد .

(١) عتب ابن عطية على هذه الروايات، فقال: «وهذا كله يحتاج إلى سند، والظاهر: أنه قميص يوسف الذي هو منه بمنزلة قميص كل أحد، وهكذا تبين القرابة في أن وجد ريحه من بُعد، ولو كان من قمص الجنة لما كان في ذلك غرابة، ولوجده كل أحده .

انظر: المحرر الوجيز: (٧١/٨-٧٢) .

(٢) في «ب»: ثلاث .

(٣) انظر: البداية والنهاية لابن كثير: ٢١٦/١ .

قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ
فَارْتَدَّ بِصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا بَانَا
أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

﴿قَالُوا﴾، يعني: أولاد أولاده، ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾، أي: خطئك القديم من ذكر يوسف لا تنساه، والضلال هو الذهاب عن طريق الصواب، فإن عندهم أن يوسف قد مات ويرون يعقوب قد لهج بذكره .

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾، وهو المبشر عن يوسف، قال ابن مسعود: جاء البشير بين يدي العير . قال ابن عباس: هو يهوذا .

قال [السدي: قال يهوذا] (١): أنا ذهبت بالقميص ملطخاً بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب، فأنا أذهب إليه اليوم بالقميص فأخبره أن ولده حي فأفرحه كما أحزنته (٢) . قال ابن عباس: حمله يهوذا وخرج حافياً حاسراً يعدو ومعه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها حتى أتى أباه، وكانت المسافة ثمانين فرسخاً .

وقيل: البشير مالك بن زعر .

﴿أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾، يعني: ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب، ﴿فَارْتَدَّ بِصِيرًا﴾، فعاد بصيراً بعدما كان عمي وعادت إليه قوته بعد الضعف، وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن .

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، من حياة يوسف وأن الله يجمع بيننا . ورؤي أنه قال للبشير: كيف تركت يوسف؟ قال: إنه ملك مصر، فقال يعقوب: ما أصنع بالملك على أي دين تركته؟ قال: على دين الإسلام، قال: الآن تمت النعمة (٣) .

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾، مذنبين .

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾، قال أكثر المفسرين: أخطر الدعاء إلى السحر، وهو الوقت الذي

(١) ساقط من «أ» .

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٩/١٦ .

(٣) قال ابن الجوزي في زاد المسير: (٢٨٦/٤): رواه يحيى بن يمان عن سفيان . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٨٣/٤) لابن أبي حاتم

عن الحسن موقوفاً عليه .

يقول الله تعالى: «هل من داع فاستجيب له»^(١) فلما انتهى يعقوب إلى الموعد قام إلى الصلاة بالسحر، فلما فرغ منها رفع يديه إلى الله عزّ وجلّ وقال: اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لأولادي ما أتوا إلى أخيه يوسف، فأوحى الله تعالى إليه أني قد غفرتُ لك وهم أجمعين .
وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: سوف استغفرُ لكم [ربي يعني ليلة الجمعة]^(٢) .
قال وهب: كان يستغفر لهم كل^(٣) ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة .
وقال طاووس: أخر الدعاء إلى السّجّر من ليلة الجمعة فوافق ليلة عاشوراء^(٤) .
وعن الشعبي قال: سوف أستغفرُ لكم ربي، قال: أسأل يوسف إن عفا عنكم أستغفرُ لكم ربي^(٥) .
﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ .

روي أن يوسف كان / قد بعث مع البشير إلى يعقوب مائتي راحلة وجهازاً كثيراً ليأتوا بيعقوب ١٨٧ أ وأهله وأولاده، فتهياً يعقوب للخروج إلى مصر، فخرجوا وهم اثنان وسبعون من بين رجل وامرأة. وقال مسروق: كانوا ثلاثة وتسعين^(٦)، فلما دنا من مصر كلم يوسف الملك الذي فوفقه فخرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجنود وركب أهل مصر معهما يتلقون يعقوب، وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على يهوذا فنظر إلى الخيل والناس فقال: يا يهوذا هذا فرعون مصر، قال: لا هذا ابنك، فلما دنا كل واحد من صاحبه ذهب يوسف يبدأ بالسلام، فقال جبريل: لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام، فقال يعقوب: السلام عليك يا مذهب الأحران^(٧) .
وروي أنهما نزلا وتعانقا .

وقال الثوري: لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام غانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا، فقال

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة الصحيح: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» .

أخرجه البخاري في التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل: ٢٩/٣، ومسلم في صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، برقم (٧٥٨): ٥٢١/١ .

(٢) أخرج ابن جرير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً: يقول حتى تأتي ليلة الجمعة. وهو قول أخي يعقوب لنيه، التفسير: ٢٦٢/١٦ وانظر تحريجه في تعليق محمود شاكر عليه .

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: (٢١٧/١): «وهذا غريب من هذا الوجه وفي رفعه نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما» .

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٢٦٣/٩ .

(٥) المرجع السابق نفسه .

(٦) في «ب»: ثلاثة وسبعين .

(٧) غالب هذه الأخبار متلقاة عن أهل الكتاب. انظر: البداية والنهاية لابن كثير: ٢١٧/١-٢١٨ .

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ

يوسف: يا أبت بكيت حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا؟ قال: بلى يا بني ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك^(١).

فلذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ﴾، أي: ضم إليه، ﴿أبويه﴾، قال أكثر المفسرين: هو أبوه وخالته ليًا، وكانت أمه راحيل قد ماتت في نفاس بنيامين^(٢).
وقال الحسن: هو أبوه وأمه، وكانت حية^(٣).

وفي بعض التفاسير أن الله عز وجل أحيا أمه حتى جاءت مع يعقوب إلى مصر^(٤).
﴿وقال ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾، فإن قيل: فقد قال فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه فكيف قال ادخلوا مصر [إن شاء الله آمين]^(٥) بعدما أخبر أنهم دخلوها؟ وما وجه هذا الاستثناء وقد حصل الدخول؟

قيل: إن يوسف إنما قال لهم هذا القول حين تلقاهم قبل دخولهم مصر. وفي الآية تقديم وتأخير، والاستثناء يرجع إلى الاستغفار وهو من قول يعقوب لبنيه سوف أستغفر لكم ربى إن شاء الله^(٦).

(١) انظر: البحر المحيط: ٣٤٧/٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن وهب بن منبه، والطبري عن السدي.

انظر: الدر المنثور: ٥٨٧/٤-٥٨٨، الطبري: ٢٦٧/١٦.

(٣) أخرجه الطبري عن ابن إسحاق، وقال هو أولى بالصواب «لأن ذلك هو الأغلب في استعمال الناس والمتعارف بينهم في «أبوين» إلا أن يصح ما يقال من أن أم يوسف كانت قد ماتت قبل ذلك بحجة يجب التسليم لها، فيسلم لها حينئذ».

انظر: تفسير الطبري: ٢٦٧/١٦، المحرر الوجيز لابن عطية ٧٩/٨.

(٤) انظر: البحر المحيط: ٣٤٧/٥.

وقال الآلوسي: ٥٧/١٣: «والظاهر أنه لم يثبت، ولو ثبت مثله لاشتهر».

(٥) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٦) فصل الطبري ذلك فقال: «... اختلف أهل التأويل في ذلك: فقال بعضهم: إن يعقوب إنما دخل على يوسف هو وولده، وآوى يوسف أبويه إليه قبل دخول مصر. قالوا: وذلك أن يوسف تلقى أباه تكريماً له قبل أن يدخل مصر، فأواه إليه، ثم قال له ولبن معه: (ادخلوا مصر إن شاء الله آمين) بها قبل الدخول... وهو قول السدي».

وقال آخرون: بل قوله (إن شاء الله) استثناء من قول يعقوب لبنيه: (أستغفر لكم ربى). قال: وهو من المؤخر الذي معناه التقديم. قالوا: وإنما معنى الكلام: قال: أستغفر لكم ربى إن شاء الله، إنه هو الغفور الرحيم، فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه، وقال: ادخلوا مصر، ورفع أبويه.. وهو قول ابن جريج.

ثم رجح القول الأول فقال: «والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله السدي، وهو أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهلهم قبل دخولهم مصر حين تلقاهم، لأن ذلك في ظاهر التنزيل كذلك، فلا دلالة تدل على صحة ما قال ابن جريج، ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجة واضحة».

انظر: تفسير الطبري: ٢٦٤/١٦-٢٦٦.

ءَامِنِينَ ﴿١١﴾ وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ
رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ
مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ
إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٢﴾

وقيل: الاستثناء يرجع إلى الأمن من الجواز لأنهم كانوا لا يدخلون مصر قبله إلا بجواز^(١) من
ملوكهم، يقول: آمنين [من الجواز إن شاء الله تعالى^(٢)]، كما قال: «لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
آمِنِينَ» (الفتح - ٢٧) [٣].
وقيل: ﴿إِنْ﴾ هاهنا بمعنى إذ، يريد: إذ شاء الله، كقوله تعالى: «وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» (آل
عمران - ١٣٩). أي: إذ كنتم مؤمنين^(٤).
﴿وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ﴾، أي: على السرير، أجلسهما. والرفع: هو النقل إلى العلو. ﴿وَخَرُّوا
لَهُ سُجَّدًا﴾، يعني: يعقوب وخالته وإخوته.

= وقد جرد الحافظ ابن كثير رد الطبري على ابن جريج واختياره لقول السدي، ثم قال: (٤٩١/٢): «وما المانع أن يكون قال لهم -
بعد ما دخلوا عليه وآوأمهم إليه -: ادخلوا مصر، وضمته اسكنوا مصر إن شاء الله آمينين، أي: مما كنتم فيه من الجهد والقحط...». .
وهذا التفسير ذكره ابن عطية: (٧٩/٨): فقال في تفسير قوله تعالى: (ادخلوا مصر) «معناه: تمكّنوا واسكنوا واستقروا، لأنهم قد
كانوا دخلوا عليه» ثم ذكر قول السدي، وقال: (٨٠/٨): «وهذا الاستثناء هو الذي ندب إليه القرآن، أن يقوله الإنسان في جميع ما
ينفذه في المستقبل...» وذكر قول ابن جريج وقال: وفي هذا التأويل ضعف.

وانظر: تفسير القرطبي: (٢٦٣/٩).

(١) في زاد المسير: بالراء المهملة. ولعله أنسب.
(٢) قال في الكشاف: إن المشيئة تعلق بالدخول المكثف بالأمن؛ لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم، فكانه قيل: اسلموا
وأمنوا في دخولكم إن شاء الله... والتقدير: ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين، فحذف الجزاء للدلالة الكلام. ثم اعترض
بالجملة الجزائية بين الحال وذو الحال.

وقال الطبري: فكانه أشار بقوله: فكانه قيل... إلخ إلى أن في التركيب معنى الدعاء.

انظر: الكشاف للزمخشري: ٢٧٧/٢، روح المعاني للآلوسي: ٥٧/١٣.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٤) فتحصّل من ذلك أربعة أقوال لخصها ابن الجوزي في زاد المسير: (٢٨٩/٤):

أحدها: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا.

والثاني: أن الاستثناء يعود إلى الأمن، ثم فيه قولان: أحدهما، أنه لم يثق بانصراف الحوادث عنهم. والثاني: أن الناس كانوا يخافون فيما

خلا من ملوك مصر، فلا يدخلون إلا بجوارهم.

والثالث: أنه يعود إلى دخول مصر، لأنه قال هذا حين تلقّاهم.

والرابع: أن «إن» بمعنى «إذ».

وكانت تحية الناس يومئذ السجود، ولم يُرَدَّ بالسجود وضع الجباه على الأرض، وإنما هو الانحناء والتواضع^(١).

وقيل: وضعوا الجباه على الأرض وكان ذلك على طريق التحية والتعظيم، لا على طريق العبادة. وكان ذلك جائزاً في الأمم السالفة فنسخ في هذه الشريعة^(٢).

وروي عن ابن عباس أنه قال: معناه: خروا لله عز وجل سجداً بين يدي يوسف^(٣). والأول أصح^(٤).

﴿وَقَالَ﴾ يوسف عند ذلك: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾، وهو قوله: «إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين».

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ [ربي، أي^(٥): أنعم عليّ، ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾، ولم يقل من الجُبِّ مع كونه أشد بلاء من السجن، استعمالاً للكرم، لكيلا ينجل إخوته بعدما قال لهم: «لا تريب عليكم اليوم»، ولأن نعمة الله عليه في إخراجه من السجن أعظم، لأنه بعد الخروج من الجب صار إلى العبودية

(١) قال سعيد بن جبير عن قتادة عن الحسن. انظر: تفسير القرطبي: ٢٦٥/٩، زاد المسير ٢٩٠/٤.

(٢) قاله الثوري والضحاك وغيرهما، كما نقله القرطبي: ٢٦٥/٩، ونقله الطبري أيضاً عن الضحاك وسفيان الثوري. قالوا: كان السجود

تحية بينهم، وقال ابن زيد: ذلك السجود لشرفه، كما سجدت الملائكة لآدم لشرفه، ليس بسجود عبادة.

قال الطبري: وإنما عني بذلك: أن ذلك كان منهم على الخلق، لا على وجه العبادة، وما يدل على أن ذلك لم يزل من أخلاق الناس قديماً قبل الإسلام على غير وجه العبادة من بعضهم لبعض قول أعشى بني ثعلبة:

فَلَمَّا أَنَا بَعَثْنَا الْكَبْرَى سَجَدْنَا لَهُ وَرَفَعْنَا عَمَارَا

انظر: تفسير الطبري: ٢٧٠/١٦.

(٣) أخرج الطبري عن ابن عباس، قال: رفع أبويه على السرير، وسجدا له، وسجد له إخوته. وهذا يخالف ما ذكره البغوي.

قال النقاش: وهذا خطأ؛ والهاء راجعة إلى يوسف عليه السلام لقوله تعالى في أول السورة: (رأيتهم لي ساجدين)، وكان تحيتهم أن يسجد الوضيع للشريف، والصغير للكبير.

انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/١٦، تفسير القرطبي: ٢٦٤/٩.

(٤) أجمع المفسرون أن ذلك السجود - على أي وجه كان - إنما كان تحية لا عبادة؛ قال قتادة: هذه كانت تحية الملوك عندهم، وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة.

وقد لاحظ القرطبي أن هذا المنسوخ صار عادة في زمنه عند بعض الناس، فشنع عليهم قائلاً: هذا الانحناء والتكفي الذي تُسخ عنا قد صار عادة بالديار المصرية، وعند العجم، وكذلك قيام بعضهم إلى بعض؛ حتى أن أحدهم إذا لم يقم له وجد في نفسه كأنه لا يؤبه به، وأنه لا قدر له، وكذلك إذا التقوا انحنى بعضهم لبعض، عادة مستمرة، ووراثة مستقرة، لاسيما عند التقاء الأمراء والرؤساء. نكبوا عن السنن، وأعرضوا عن السنن.

وروي أنس بن مالك قال: قلنا يارسول الله! أينحنى بعضنا إلى بعض إذا التقينا؟ قال: لا، قلنا: أفيعتق بعضنا بعضاً؟ قال: لا. قلنا: أفيصافح بعضنا بعضاً؟ قال: نعم (خرجه أبو عمر بن عبد البر في التمهيد).

انظر: تفسير القرطبي: ٢٦٥/٩-٢٦٦، وراجع المحرر الوجيز: ٨٠/٨، تفسير ابن كثير: ٤٩١/٢-٤٩٢.

(٥) ساقط من (أ).

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١)

والرق، وبعد الخروج من السجن صار إلى الملك، ولأن وقوعه في البئر كان لحسد إخوته، وفي السجن مكافأة من الله تعالى لزلة كانت منه .

﴿ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ﴾، والبدو بسيط من الأرض يسكنه أهل المواشي بماشيتهم، وكانوا أهل بادية ومواشي، يقال بدأ يبدو إذا صار إلى البادية. ﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَرْغَ ﴾ أفسد، ﴿ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾، بالحسد .

﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ ﴾، أي: ذو لطف، ﴿ لِمَا يَشَاءُ ﴾، وقيل: معناه بمن (١) يشاء .

وحقيقة اللطيف: الذي (٢) يوصل الإحسان إلى غيره بالرفق ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .

قال أهل التاريخ: أقام يعقوب بمصر عند يوسف أربعاً وعشرين سنة في أغبط حال وأهناً عيش، ثم مات بمصر، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه يوسف أن يحمل جسده حتى يدفنه عند أبيه إسحاق، ففعل يوسف ذلك، ومضى به حتى دفنه بالشام، ثم انصرف إلى مصر .

قال سعيد بن جبیر: نُقِلَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَابُوتٍ مِنْ سَاجٍ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَوَافَقَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ الْعِيسَى فَدَفِنَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ، وَكَانَا وُلْدًا فِي بَطْنٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ عَمْرُهُمَا مِائَةً وَسَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً (٣) .

فلما جمع الله تعالى ليوسف شمله علم أن نعيم الدنيا لا يدوم سأل الله تعالى حُسنَ العاقبة، فقال : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ ﴾، يعني: ملك مصر، والمُلك: اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير. ﴿ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾، يعني: تعبير الرؤيا. ﴿ فَاطِرَ ﴾، أي: يفاطر، ﴿ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: خالقهما ﴿ أَنْتَ وَلِيِّ ﴾، أي: مُعِينِي وَمَتَوَلِّي أَمْرِي، ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾، يقول اقبضني إليك مسلماً، ﴿ وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾، يريد بآبائي النبيين .

قال قتادة: لم يسأل نبي من الأنبياء الموت إلا يوسف (٤) .

(١) في «ب»: لمن .

(٢) في «ب»: أنه يوصل .

(٣) هذه الأخبار متلقاة عن أهل الكتاب، وقد ذكرها المؤرخون مع أخبار غيرها، والله أعلم بصحتها، وقد أشار إلى ذلك الحافظ ابن كثير، بل إنه قال: وعند أهل الكتاب أن عمر يعقوب... إلخ .

انظر: تفسير الطبري: ٢٧٦/١٦، تاريخ الطبري: ٣٦٣-٣٦٤، البداية والنهاية لابن كثير: ٢٢٠/١، تفسير ابن كثير: ٤٩٢/٢، الدر المنثور للسيوطي: ٥٨٩/٤-٥٩٠ .

(٤) وهو مروى عن ابن عباس أيضاً: انظر الدر المنثور: ٥٩١/٤، وانظر ما كتبه ابن كثير في التفسير: ٤٩٣/٢ .

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ
 ﴿١٠٣﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

وفي القصة: لما جمع الله شمله وأوصل إليه أبويه وأهله اشتاق إلى ربه عز وجل فقال هذه المقالة .
 قال الحسن: عاش بعد هذا سنين كثيرة. وقال غيره: لما قال هذا القول لم يمض عليه أسبوع حتى
 توفي .

واختلفوا في مدة غيبة يوسف عن أبيه، فقال الكلبي: اثنتان وعشرون سنة .
 وقيل: أربعون سنة .

وقال الحسن: ألقى يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، وغاب عن أبيه ثمانين سنة، وعاش
 بعد لقاء يعقوب ثلاثاً وعشرين سنة، ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة .
 وفي التوراة مات وهو ابن مائة وعشر سنين، وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلاثة أولاد: أفرايم وميشا
 ورحمة امرأة أيوب المبتلى عليه السلام .

وقيل: عاش يوسف بعد أبيه ستين سنة. وقيل: أكثر. واختلفت الأقاويل فيه .

وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة، فدفنوه في النيل في صندوق من رخام، وذلك أنه لما مات تشاح
 الناس فيه فطلب أهل كل محلة أن يدفن في محلته رجاء بركته، حتى هموا بالقتال، فأرأوا أن يدفنوه في
 النيل حيث يتفرق الماء بمصر ليجري الماء عليه وتصل بركته إلى جميعهم .

وقال عكرمة: دفن في الجانب الأيمن / من النيل، فأحصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر،
 [فنقل إلى الجانب الأيسر فأحصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر] ^(١)، فدفنوه في وسطه وقَدَرُوا
 ذلك بسلسلة فأحصب الجانبان جميعاً إلى أن أخرجه موسى فدفنه بقرب آبائه بالشام ^(٢) .

﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرته، ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾، أي: ما كنت
 يا محمد عند أولاد يعقوب، ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾، أي: عَزَمُوا على إلقاء يوسف في الجب، ﴿وَهُمْ
 يَمْكُرُونَ﴾، بيوسف .

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾، يا محمد، ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، على إيمانهم .

وروي أن اليهود وقريشاً سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، فلما أخبرهم على موافقة التوراة لم
 يسلموا، فحزن النبي ﷺ، فقيل له: إنهم لا يؤمنون وإن حَرَصْتَ على إيمانهم ^(٣) .

(١) ساقط من «ب» .

(٢) انظر المراجع السابقة .

(٣) قال ابن الأنباري: إن قريشاً واليهود سألت رسول الله ﷺ عن قصة يوسف وإخوته، فشرحها شرحاً شافياً وهو يؤمل أن يكون ذلك =

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ
أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾

﴿وما تسألهم عليه﴾، أي: على تبليغ الرسالة والدعاء إلى الله تعالى، ﴿من أجر﴾، جُعِلَ (١)
وجزاء، ﴿إن هو﴾، ما هو يعني القرآن، ﴿إلا ذكر﴾، عِظَةٌ وتذكير، ﴿للعالمين﴾.

﴿وكأين﴾، وكَم، ﴿من آية﴾، عِبْرَةٌ ودَلَالَةٌ، ﴿في السموات والأرض يمرُّونَ عليها وهم عنها
مُعْرِضُونَ﴾، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها .

﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾، فكان من إيمانهم إذا سئَلُوا: من خلق السموات
والأرض؟ قالوا: الله، وإذا قيل لهم: من ينزل القطر؟ قالوا: الله، ثم مع ذلك يعبدون الأصنام ويشركون (٢) .

وعن ابن عباس أنه قال: إنها نزلت في تلبية المشركين من العرب كانوا يقولون في تليبتهم، لبيك اللهم
لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك (٣) .

وقال عطاء: هذا في الدعاء، وذلك أن الكفار نسوا ربَّهم في الرخاء، فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في
الدعاء (٤)، كما قال الله تعالى: ﴿وظنوا أنهم أحيطَ بهم دَعْوَا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الآية (يونس - ٢٢)
وقال تعالى: ﴿إِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾
(العنكبوت - ٦٥)، وغير ذلك من الآيات .

= سبباً لإسلامهم، فخالفوا ظنَّه، فحزن رسول الله ﷺ، فعزاه الله تعالى بهذه الآية .

انظر: زاد المسير: ٢٩٣/٤، البحر المحيط: ٣٥٠/٥ .

(١) الجُعَلُ - بالضم - ومصدره الجُعَلُ - بالفتح - وهو الأجرة على الشيء فعلاً أو قولاً .

انظر: النهاية لابن الأثير: ٢٧٦/١ أنيس الفقهاء للقنوي ص (١٦٩) .

(٢) وهو مروى عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وعطاء والشعبي وقتادة والضحاك وابن زيد .

انظر: تفسير الطبري: ٢٨٦/١٦-٢٨٨، ابن كثير: ٤٩٥/٢، الدر المنثور ٥٩٣/٤ .

(٣) ثبت ذلك في الصحيحين، وفي صحيح مسلم: (٨٤٣/٢) أنهم كانوا إذا قالوا: لبيك لا شريك لك. قال رسول الله ﷺ: ﴿ويلكم

قِدِّ قِدِّه﴾ (أي: حسبيكم لا تزيدوا على هذا) فيقولون: إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك .

هذا، ولم تذكر هذه الأحاديث أن الآيات نزلت في ذلك. فهي حكاية عن حالهم في الجاهلية وتليبتهم هذه .

وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٩٥/٢ .

(٤) انظر: البحر المحيط: ٣٥١/٥. وهذه الأقوال التي تقدمت وغيرها من الأقوال الأخرى المروية، داخلة كلها في عموم الآية الكريمة،

ولا تنافي بينها، فذلك كله كان واقعاً منهم، فالآية تحكي هذا كله .

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَتَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا

﴿١٠٨﴾ أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾، أي: عقوبة مجللة. قال مجاهد: عذاب يغشاهم، نظيره قوله تعالى: «يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِّنْ قَوْعِهِم» (العنكبوت - ٥٥). قال قتادة: وقية. وقال الضحاك: يعني الصواعق والقوارع. ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾، فجأة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، بقيامها. قال ابن عباس: تهيج الصيحة بالناس وهم في أسواقهم .

﴿قُلْ﴾، يا محمد، ﴿هَذِهِ﴾، الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها، ﴿سَبِيلِي﴾، سنتي ومنهاجي. وقال مقاتل: ديني، نظيره قوله: «أدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ» (النحل - ١٢٥) أي: إلى دينه. ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾، على يقين. والبصيرة: هي المعرفة التي تُمَيِّزُهَا بين الحق والباطل، ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، أي: ومن آمن بي وصدقني أيضاً يدعو إلى الله. هذا قول الكلبي وابن زيد، قالوا: حق على من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويذكر بالقرآن^(١).

وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ ثم استأنف: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، يقول: إني على بصيرة من ربي وكل من اتبعني .

قال ابن عباس: يعني أصحاب محمد ﷺ كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية، معدن العلم، وكثر الإيمان، وجند الرحمن .

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٣/١٦ .

والدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصدقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا؛ وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه .

وهذه الدرجات الثلاث التي هي: «الإسلام» و«الإيمان» و«الإحسان» داخله في الدين، كما قال في الحديث الصحيح: «هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم» بعد أن أجابه عن هذه الثلاث ..

فالدعوة إلى الله تكون بدعوة العبد إلى دينه، وأصل ذلك: عبادته وحده لا شريك له، كما بعث الله بذلك رسله وأنزل به كتبه.. فالرسل متفقون في الدين الجامع للأصول الاعتقادية والعملية .

والرسول ﷺ قام بهذه الدعوة إلى الله، وهي بإذنه سبحانه، لم يشرع ديناً لم يأذن به الله، وبما بين ذلك: أنه سبحانه يذكر أنه أمره بالدعوة إلى الله تارة، وتارة بالدعوة إلى سبيله، إذ قد عُلم أن الداعي الذي يدعو غيره إلى أمر لابد له فيما يدعو إليه من أمرين: أحدهما: المقصود المراد، والثاني: الوسيلة والطريق الموصول إلى المقصود، فلهذا يذكر الدعوة تارة إلى الله وتارة إلى سبيله، فإنه سبحانه هو المعنود المقصود بالدعوة .

انظر: دقائق التفسير، لابن تيمية: ٢٨٤/٣ وما بعدها .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ
اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

قال عبدالله بن مسعود: من كان مُسْتَتًا فليستنَّ بمن قد مات [فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة] (١)
أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم
اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، [فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم وتمسكوا بما
استطعتم من أخلاقهم وسيرهم] (١)، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم (٢).

قوله تعالى: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾، أي: وقل سبحان الله تنزيهاً له عما أشركوا به. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ
المشركين﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾، يا محمد، ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ لا ملائكة، ﴿نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾، قرأ حفص:
﴿نُوْحِي﴾ بالنون وكسر الحاء وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء.

﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾، يعني: من أهل الأمصار دون البوادي، لأن أهل الأمصار أعقل وأفضل وأعلم
وأحلم.

[وقال الحسن: لم يبعث الله نبياً من بدو، ولا من الجن، ولا من النساء.

وقيل: إنما لم يبعث] (٣) من أهل البادية لغلظهم وجفائهم.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، يعني: هؤلاء المشركين المكذبين، ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾،
آخر أمر، ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني: الأمم المكذبة فيعتبروا.

﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، يقول جل ذكره: هذا فعلنا بأهل ولايتنا وطاعتنا؛ أن نتجيبهم
عند نزول العذاب، وما في الدار الآخرة خيرٌ لهم، فترك ما ذكرنا اكتفاءً، لدلالة الكلام عليه.

قوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾، قيل: معناه ولدان الحال الآخرة.

وقيل: هو إضافة الشيء إلى نفسه، كقوله: «إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ» (الواقعة - ٩٥) وكقولهم: يوم

الخميس، وربيع الآخر. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، فتؤمنون.

(١) ما بين القوسين من «المسند» للإمام أحمد، وهو في المطبوع، وساقط من النسختين الخطيتين.

(٢) أثر موقوف على ابن مسعود، رواه الإمام أحمد في المسند: (٢١١/٥) بتحقيق الشيخ أحمد شاكر.

قال الهيثمي في المجمع: (١/١٧٨): «رواه أحمد والبخاري والطبراني في الكبير، ورجاله موثقون».

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا بِجِئِشِ مَنْ
نَشَأُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا بِجِئِشِ مَنْ نَشَأُ﴾، اختلف القراء في قوله: ﴿كَذَّبُوا﴾:

فقرأ أهل الكوفة وأبو جعفر: ﴿كَذَّبُوا﴾ بالتخفيف وكانت عائشة تنكر هذه القراءة^(١).
وقرأ الآخرون بالتشديد.

فمن شدد قال: معناه حتى استيسس الرسل من إيمان قومهم.

[روي عن مجاهد أنه قرأ: وقد كذبوا، بفتح الكاف والذال مخففة، ولها تأويلان: أحدهما، معناه: أن القوم المشركين ظنوا أن الرسل قد كذبوا. والثاني: معناه: أن الرسل ظنوا - أي: علموا - أن قومهم قد افتروا على الله بكفرهم من إيمان قومهم]^(٢).

وظنوا: أي أيقنوا - يعني الرسل - أن الأمم قد كذبوهم تكذيباً لا يرجى بعُد إيمانهم.
والظن بمعنى اليقين: وهذا معنى قول قتادة.

وقال بعضهم: معناه: حتى إذا استيسس الرسل من كذبهم من قومهم أن يصدقوهم، وظنوا أن من بهم من قومهم قد كذبوهم، وارتدوا عن دينهم، لشدة المحنة والبلاء عليهم واستبطاء النصر. ومن قرأ بالتخفيف قال: معناه: حتى إذا استيسس الرسل من إيمان قومهم وظنوا أي: ظن قومهم أن الرسل قد كذبتهم في وعيد العذاب.

وروي عن ابن عباس: معناه ضعف قلوب الرسل، يعني: وظنت الرسل أنهم كذبوا فيما وعدوا من النصر. وكانوا بشراً فضعضوا ويثسوا وظنوا أنهم أحلِفُوا، ثم تلا: «حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى

(١) أخرج البخاري في تفسير سورة يوسف (٣٦٧/٨) عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير، عن عائشة - رضي الله عنها -

قالت له وهو يسألها عن قول الله تعالى: (حتى إذا استيسس الرسل) قال:

قلت: أكذبوا أم كذبوا؟

قالت عائشة: كذبوا.

قلت: فقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم، فما هو بالظن.

قالت: أجل لعمرى، لقد استيقنوا بذلك.

فقلت لها: وظنوا أنهم قد كذبوا؟

قالت: معاذ الله، لم تكن الرسل تظن ذلك بربها.

قلت: فما هذه الآية؟

قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم، فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر، حتى استيسس الرسل من كذبهم

من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم، جاء نصر الله عند ذلك.

وهذه القراءة هي قراءة الجمهور، وانتصر لها الطبري في التفسير: ٣٠٩/١٦.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب». ومن المطبوع أيضا.

لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

نصرُ الله (البقرة - ٢١٤) أي: جاء الرسل نصرنا^(١).

﴿فَنَجَّيْ مَنْ نَشَاءُ﴾، [قرأ العامة بنونين، أي: نحن نجى من نشاء]^(٢). وقرأ ابن عامر وحمة وعاصم ويعقوب بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم وفتح الياء على ما لم يسم فاعله، لأنها مكتوبة في المصحف بنون واحدة، فيكون محل ﴿مَنْ﴾ رفعا، على هذه القراءة. وعلى القراءة الأولى يكون نصبا، فَنَجَّيْ مَنْ نَشَاءُ عن نزول العذاب، وهم المؤمنون المطيعون.

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾، عذابنا، ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: المشركين.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ﴾ /، أي: في خبر يوسف وإخوته، ﴿عِبْرَةً﴾ عظة، ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ﴾، يعني: القرآن، ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾، أي: يُخْتَلَقُ، ﴿وَلَكِن تَصَدِّقَ الَّذِي﴾، أي: ولكن كان تصديق الذي، ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، من التوراة والإنجيل، ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، مما يحتاج العباد إليه من الحلال والحرام والأمر والنهي، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾، بيانا ونعمة، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

(١) في توجيه القراءتين والترجيح بينهما، انظر: تفسير الطبري: ٢٩٦/١٦-٣١١، البحر المحيط: ٣٥٤/٥-٣٥٥، تفسير ابن كثير:

٤٩٨/٢-٤٩٩، دقائق التفسير لابن تيمية: ٣٠١/٣ وما بعدها.

(٢) ساقط من «أ».

سُورَةُ الرَّعْدِ

سُورَةُ الرَّعْدِ

مكية إلا قوله: ﴿ولا يزال الذين كفروا﴾، وقوله: ﴿ويقول الذين كفروا لَسْتُ مرسلًا﴾^(١)، [وهي ثلاث وأربعون آية]^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

﴿المر﴾ قال ابن عباس: معناه: أنا الله أعلم وأرى^(٣)، ﴿تلك آيات الكتاب﴾، يعني: تلك الأخبار التي قصصتها [عليك]^(٤) آيات التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة، ﴿والذي أنزل إليك﴾، يعني: وهذا القرآن الذي أنزل إليك، ﴿من ربك الحق﴾، أي: هو الحق فاعتصم به .
فيكون محل «الذي» رفعا على الابتداء، و«الحق» خبره .

(١) أخرج النحاس في «الناسخ والمنسوخ» عن ابن عباس، وسعيد بن منصور وابن المنذر عن سعيد بن جبير أن سورة الرعد مكية. وبه قال الحسن وعطاء وقتادة .

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس، وابن مردويه عن ابن الزبير: أن سورة الرعد نزلت بالمدينة. وبه قال جابر ابن زيد .

وروي عن ابن عباس أنها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة، ورواه ابن المنذر وأبو الشيخ عن قتادة .
ومكية السورة شديدة الوضوح: سواء في طبيعة موضوعها، أو طريقة أدائها، أو في جوها العام الذي لا يخطيء تنسّمه من يعيش فترة في ظلال القرآن .

انظر: الدر المنثور: ٥٩٩/٤، الاتقان: ٤٠/١-٤٤، زاد المسير: ٢٩٩/٤، في ظلال القرآن: ٢٠٣٩/١٣ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٣) انظر فيما سبق: ٥٨/١، وراجع تفسير الطبري: ٢٠٥-٢٢٤، ١٤٩/٦، ٢٩٣/١٢، ٢٩٤، ٩/١٥، ٣١٩/١٦-٣٢٠ .

طبعة دار المعارف، زاد المسير: ٣٠٠/٤ .

(٤) ساقط من «ب» .

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوُنَهَا ۗ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ ۗ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ
تُوقِنُونَ ﴿٢﴾

وقيل: محله خفض، يعني: تلك آيات الكتاب وآيات الذي أنزل إليك، ثم ابتداء: «الحق»، يعني: ذلك الحق^(١).

وقال ابن عباس: أراد بالكتاب القرآن، ومعناه: هذه آيات الكتاب، يعني القرآن، ثم قال: وهذا القرآن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قال مقاتل: نزلت في مشركي مكة حين قالوا: إن محمداً يقول من تلقاء نفسه^(٢)، فردّ قولهم ثم بين دلائل ربوبيته، فقال عزّ من قائل:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوُنَهَا﴾، يعني: السّواري، واحدها عمود، مثل: أديم وأدم، وعمد أيضاً جمعه، مثل: رسول ورسل.

ومعناه نفي العمدة أصلاً، وهو الأصح، يعني: ليس من دونها دعامة تدعمها ولا فوقها علاقة تمسكها.

قال إياس بن معاوية: السماء مقببة على الأرض مثل القبة^(٣).

وقيل: «ترونها» راجعة إلى العمدة، [معناه]^(٤): لها عمدة ولكن لا ترونها^(٥).

(١) انظر في هذا وشواهد من العربية: تفسير الطبري: ٣٢٢-٣٢١/١٦، البحر المحيط: ٣٥٩/٥، المحرر الوجيز: ١٠٩/٨-١١٠.

(٢) وقيل: المراد اليهود والنصارى. والأولى أنه عامٌ يندرج تحته هؤلاء وأولئك.

انظر: البحر المحيط: ٣٥٩/٥.

(٣) وهذا مروى أيضاً عن قتادة، ويدل عليه تصريحه تعالى في سورة الحج أنه هو الذي يمسكها أن تقع على الأرض في قوله: (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه).

فعلى هذا يكون قوله (ترونها) تأكيداً لنفي ذلك. أي: هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها. وهذا هو الأكمل في القدرة. وعلى هذا يكون الضمير في قوله «ترونها» عائد على «السّموات»، وجملة «ترونها» في موضع الحال.

انظر: تفسير الطبري: ٣٢٥/١٦، تفسير ابن كثير: ٥٠٠/٢، أضواء البيان: ٧٨-٧٧/٣، المحرر الوجيز: ١١٠/٨.

(٤) ساقط من «ب».

(٥) وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنه وعن مجاهد، والحسن، وقتادة، وغير واحد.

وقال الطبري تعقياً على هذين الرأيين: (٣٢٥/١٦): «وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله تعالى: «اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوُنَهَا» فهي مرفوعة بغير عمد نراها، كما قال ربنا - جل ثناؤه - ولا خير بغير ذلك، ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه».

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
 جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَاتِ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾

وزعم: أن عمدها جبل قاف، وهو محيط بالدنيا، والسماء عليه مثل القبة^(١).

﴿ثم استوى على العرش﴾، علا [عليه]^(٢)، ﴿وسخر الشمس والقمر﴾، ذللهما لمنافع خلقه
 فهما مقهوران، ﴿كل يجري﴾، أي: يجريان على ما يريد الله عز وجل، ﴿لأجل مسمى﴾، أي:
 إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا. [وقال ابن عباس]^(٣): أراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلهما
 يتبين إليها لا يجاوزانها، ﴿يُدبّر الأمر﴾، يقضيه وحده، ﴿يفصل الآيات﴾، يبين الدلالات، ﴿لعلكم
 بلقاء ربكم تؤقنون﴾، لكي توقنوا بوعده وتصدقوه.

﴿وهو الذي مد الأرض﴾، بسطها، ﴿وجعل فيها رواسي﴾، جبلاً ثابتة، واحدها: راسية،
 قال ابن عباس: كان أبو قبيس أول جبل وضع على الأرض^(٤)، ﴿وأنهاراً﴾، وجعل فيها أنهاراً.
 ﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾، أي: [صنفين اثنين]^(٥) أحمر وأصفر، وحلوا

(١) التعبير بكلمة «زعم» تشير إلى تضعيف هذا الرأي، لأن زعم مطية الكذب، كما تقول العرب، ولذلك، نثبت هنا كلمة

قيمة للمحافظ ابن كثير، رحمه الله، في تفسيره لسورة (ق): (٤/٢٢٢) قال:

«روي عن بعض السلف أنهم قالوا: ق جبل محيط بجميع الأرض، يقال له: جبل قاف، وكان هذا - والله أعلم - من
 خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب.

وعندي: أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما افترى في هذه الأمة
 - مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها - أحاديث عن النبي ﷺ، وما بالمعهد من قدم، فكيف بأمة بني إسرائيل،
 مع طول المدى، وقلة الحفاظ النقاد فهم، وشربهم الخمر، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه وتبديل كتب الله وآياته!
 وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» فيما قد يجوز العقل. فأما ما تحيله العقول
 ويحكم فيه بالبطلان ويقلب على الظنون كذبه: فليس من هذا القبيل. والله أعلم.

ثم قال: «وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف، من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في
 تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم، والله الحمد والمثته ثم أورد أثراً غريباً لا يصح سنده عن ابن عباس،
 أخرجه ابن أبي حاتم الرازي عن جبل قاف المحيط بالأرض وقال: «وإسناد الأثر فيه انقطاع».

هذا، وقد جمع الشيخ أحمد شاكر كلمات ابن كثير في الاسرائيليات، في عمدة التفسير: ١٤/١-١٩.

(٢) في «ب»: علمه.

(٣) في «ب»: وقيل.

(٤) نقله القرطبي عن ابن عباس وعطاء: ٢٨٠/٩.

(٥) ما بين القوسين ساقط من «ب».

وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَّتَجَوَّرَاتٌ وَجَنَّتْ مِّنْ أَعْتَابٍ وَزَرَعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ
يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

وحامضاً، ﴿يغشى الليل النهار﴾، أي: يلبس النهار بظلمة الليل، ويلبس الليل بضوء النهار، ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾، فيستدلون. والتفكر^(١): تصرف القلب في طلب معاني الأشياء. ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾، مقاربات يقرب بعضها من بعض، وهي مختلفة: هذه طيبة تنبت، وهذه سيخة لا تنبت، وهذه قليلة الريع، وهذه كثيرة الريع، ﴿وجنات﴾: بساتين، ﴿من أعتاب وزرع ونخيل صنوان﴾، رفعها كلها ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص، ويعقوب، عطفاً على الجنات، وجراها الآخرون نسقاً على الأعتاب.

والصنوان: جمع صنو، وهو النخلات يجمعهن أصل واحد.

﴿وغير صنوان﴾، هي النخلة المنفردة بأصلها.

وقال أهل التفسير^(٢): صنوان: مجتمع، وغير صنوان: متفرق. نظيره من الكلام: قنوان جمع قنو. ومنه قول النبي ﷺ في العباس: «عمّ الرجل صنو أبيه»^(٣). ولا فرق في الصنوان والقنوان بين الثنية والجمع إلا في الإعراب، وذلك أن النون في الثنية مكسورة غير منونة، وفي الجمع منونة.

﴿يسقى بماء واحد﴾، قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب ﴿يسقى﴾ بالياء أي يسقى ذلك كله بماء واحد، وقرأ الآخرون بالتاء لقوله تعالى: ﴿وجنات﴾ ولقوله تعالى من بعد «بعضها على بعض»، ولم يقل بعضه. والماء جسم رقيق مائع به حياة كل نام.

﴿ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾، في الثمر والطعم.

قرأ حمزة والكسائي ﴿ويفضل﴾ بالياء، لقوله تعالى: ﴿يُدبر الأمر يُفصل الآيات﴾ (الرعد - ٢).

وقرأ الآخرون بالنون على معنى: ونحن نفضل بعضها على بعض في الأكل، وجاء في الحديث

[في قوله]: «ونفضل بعضها على بعض في الأكل»، قال: «الفارسي، والدقل، والحلو، والحامض»^(٤).

(١) في «أ»: والفكر.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٥/١٦-٣٤٠.

(٣) قطعة من حديث أبي هريرة، أخرجه مسلم في الزكاة، باب في تقديم الزكاة ومنعها، برقم (٩٨٣): ٦٧٧-٦٧٦/٢. وانظر فيما سبق: ١٥٤/١. تفسير الطبري: ٣٣٨/١٦-٣٣٩ مع تعليق محمود شاكر.

(٤) أخرجه الترمذي في التفسير: ٥٤٤/٨ وقال: «هذا حديث حسن غريب، وقد رواه زيد ابن أبي أنيسة عن الأعمش نحو هذا.» =

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ نَأْتِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾﴾

قال مجاهد: كمثل بني آدم، صالحهم وخبثهم، وأبوهم واحد^(١).
قال الحسن: هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني آدم، يقول: كانت الأرض طينة واحدة في يد الرحمن عز وجل، فسطحها، فصارت قطعاً متجاوزة، فينزل عليها المطر^(٢) من السماء، فتخرج هذه زهرتها، وشجرها وثمرها ونباتها، وتخرج هذه سببها وملحها وخبثها^(٣)، وكل يُسقى بماء واحد، كذلك الناس خلقوا من آدم عليه السلام فينزل من السماء تذكرة فترق قلوب فتخشع، وتقسو قلوب فتلهو.

قال الحسن: والله ما جالس القرآن أحد إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان، قال الله تعالى: «وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا»^(٤) (الإسراء - ٨٢).
﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾، العجب تغير النفس برؤية المُستبعد في العادة، والخطاب لرسول الله ﷺ، ومعناه: إنك إن تعجب من إنكارهم النشأة الآخرة مع إقرارهم بابتداء الخلق [من الله عز وجل]^(٥) فعجب أمرهم.

وكان المشركون ينكرون البعث، مع إقرارهم بابتداء الخلق من الله تعالى، وقد تقرر في القلوب أن الإعادة أهون من الابتداء، فهذا موضع العجب.

= وسيف بن محمد هو أخو عمار بن محمد، وعمارٌ أثبت منه، وهو ابن أخت سفيان الثوري.
وأخرجه الطبري في التفسير: ٣٤٤/١٦، وعزاه السيوطي في الدر: ٦٠٥/٤ أيضاً للبخاري وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.
«الفارسي» - من القم - نوعٌ منه، ولعله عنى به (البرني) وهو ضرب من القم أصفرمدور، عذب الحلاوة وهو أجوده.
وقالوا: إن لفظ «البرني» فارسي معرب.

و«الدقل»: أردأ أنواع القم.

انظر: تعليق محمود شاكر على الطبري: ٣٤٣/١٦.

(١) الطبري: ٣٤٢/١٦.

(٢) في «ب»: الماء.

(٣) في «ب»: خبثها.

(٤) الطبري: ٣٤٠/١٦.

(٥) ساقط من «ب».

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾

وقيل: معناه: وإن تعجب من تكذيب المشركين واتخاذهم مالا يضر ولا ينفع آلهة يعبدونها وهم قد رأوا من قدرة الله تعالى ما ضرب لهم به الأمثال فعجب قولهم، أي: فتعجب أيضاً من قولهم: ﴿أئذا كنا تراباً﴾، بعد الموت، ﴿أئذا لنا خلق جديد﴾، أي: نعاد خلقاً جديداً كما كنا قبل الموت .

قرأ نافع والكسائي ويعقوب «أئذا» مستفهماً «إنا» بتركه، على الخير، ضده: أبو جعفر وابن عامر. وكذلك في «سبحان» في موضعين، والمؤمنون، وآلم السجدة، وقرأ الباقون بالاستفهام فيهما وفي / الصافات في موضعين هكذا إلا أن أبا جعفر يوافق نافعاً في أول الصافات فيقدم الاستفهام ويعقوب لا يستفهم الثانية «أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون» (الصافات - ٥٣) . قال الله تعالى: ﴿وأولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم﴾، يوم القيامة ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ .

ب/١٨٨

قوله عز وجل: ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة﴾، الاستعجال: طلب تعجيل الأمر قبل مجيء وقته، والسيئة هاهنا هي: العقوبة، والحسنة: العافية. وذلك أن مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلاً من العافية استهزاءً منهم يقولون: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو أئتنا بعذاب أليم» (الأنفال - ٣٢) .

﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾، أي: مضت من قبلهم في الأمم التي عصت ربها وكذبت رسلها العقوبات. والمثلات جمع المثلة بفتح الميم وضم التاء، مثل: صدقة وصدقات^(١) . ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب﴾ .

﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه﴾، أي: على محمد ﷺ ﴿آية من ربه﴾، أي: علامة وحجة على نبوته، قال الله تعالى: ﴿إنما أنت منذر﴾، مخوف، ﴿ولكل قوم هاد﴾، أي: لكل قوم نبي يدعوهم إلى الله تعالى . وقال الكلبي: داع يدعوهم إلى الحق أو إلى الضلالة .

(١) الصدقات: مهور النساء .

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدُّادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ

بِمِقْدَارٍ ۝

وقال عكرمة: الهادي محمد ﷺ، يقول: إنما أنت منذر وأنت هادٍ لكل قوم، أي: داعٍ .
وقال سعيد بن جبير: الهادي هو الله تعالى (١) .
قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾، من ذكر أو أنثى، سوي الخلق أو ناقص الخلق،
واحداً أو اثنين أو أكثر ﴿وما تغيض الأرحام﴾، أي ما تنقص ﴿وما تزداد﴾ .
قال أهل التفسير (٢): غيض الأرحام: الحيض على الحمل؛ فإذا حاضت الحامل كان نقصاناً في
الولد، لأن دم الحيض غذاء الولد في الرحم، فإذا أهرقت الدم ينقص الغذاء فينتقص الولد، وإذا لم
تحض يزداد الولد ويتم، فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم، والزيادة تمام خلقة باستمساك الدم .
وقيل: إذا حاضت ينتقص (٣) الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة (٤) أشهر ظاهراً، فإن
رأت (٥) خمسة أيام دماً وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام، فالنقصان في الغذاء، والزيادة في المدة (٦) .

(١) ساق الطبري الأقوال في التفسير ثم قال: «وقد بينت معنى «الهداية» وأنه الإمام المتبع الذي يقم القوم. فإذا كان ذلك
كذلك، فجاز أن يكون هو الله الذي يهدي خلقه، ويتبع خلقه هداً، ويأتمون بأمره ونهيه .
وجاز أن يكون نبي الله الذي تأتم به أمته .
وجاز أن يكون إماماً من الأئمة يؤتم به، ويتبع منهاجه وطريقته أصحابه .
وجاز أن يكون داعياً من الدعاة إلى خير أو شر .
وإن كان ذلك كذلك، فلا قول أولى في ذلك بالصواب من أن يقال كما قال جل ثناؤه: إن محمداً هو المنذر من أرسل
إليه بالإنذار، وأن لكل قوم هادياً يهديهم فيتبعونه ويأتمون به» .
تفسير الطبري: ٣٥٨/١٦ .

(٢) انظر في هذه الأقوال وتخريجها: الدر المنثور: ٦٠٨/٤-٦١٠، تفسير الطبري: ٣٥٩/١٦-٣٦٥ . وقرأ كتاب «خلق الإنسان
بين الطب والقرآن» للدكتور محمد علي البار، فصل دورة الأرحام ص (٦٩-٨٢) .

(٣) في «ب»: ينقص .

(٤) في «ب»: بسبعة .

(٥) في «ب»: زادت .

(٦) هذه الأقوال في تفسير الآية بناء على أن الحامل تحيض، وهو مذهب مالك والشافعي في أحد قولي. وقال عطاء والشعبي
وغيرهما: لا تحيض. وبه قال أبو حنيفة، ودليله الآية .

قال ابن عباس في تأويل الآية: إنه حيض الحبال، وكذلك روي عن عكرمة ومجاهد، وهو قول عائشة، وأنها كانت
تفتي النساء الحوامل إذا حضن أن يتركن الصلاة؛ والصحابة إذ ذاك متوافرون، ولم ينكر منهم أحد عليها، فصار كالإجماع .
وقال أبو حنيفة: لو كان الحامل تحيض، وكان ما تراه المرأة من الدم حيضاً لما صح استبراء الأمة بحيض، وهو إجماع .
وروي عن مالك في كتاب محمد ما يقتضي أنه ليس بحيض .

انظر: تفسير القرطبي: ٢٨٦/٩ . أحكام القرآن للجصاص: ٣٩٧/٤-٣٩٩، تفسير ابن عطية: ١٣٠/٨-١٣١، أحكام
القرآن لابن العربي: ١١١/٣ .

وقال الحسن: غيضاها: نقصانها من تسعة أشهر، والزيادة: زيادتها على تسعة أشهر .

وقيل النقصان: السَّقَط، والزيادة: تمام الخلق .

وأقل مدة الحمل: ستة أشهر، فقد يُولد المولود لهذه المدة ويعيش^(١) .

واختلفوا في أكثرها: فقال قوم: أكثرها ستتان، وهو قول عائشة رضي الله عنها، وبه قال أبو حنيفة رحمه الله .

وذهب جماعة إلى أن أكثرها أربع سنين، وإليه ذهب الشافعي رحمه الله، قال حماد بن سلمة. إنما سمي هَرِمَ بن حَيَّان هَرِمًا لأنه بقي في بطن أمه أربع سنين^(٢) .

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾، أي: بتقديرٍ وَحَدٍّ لا يجاوزه ولا يقصر عنه .

(١) وذلك منتزع من قوله تعالى: «وَحَمَلُهُ وَفَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» (الأحقاف - ١٥) مع قوله تعالى: «والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة» (البقرة - ٢٣٣) فبقي عن مدة الفصال من الثلاثين شهراً لمدة الحمل ستة أشهر . وكلام الأطباء يتفق مع هذا، فالطلب يقرر أن أقل الحمل الذي يمكنه العيش بعده ستة أشهر، ولذلك قال ابن القيم رحمه الله: «وأما أقل مدة الحمل: فقد تظاهرت الشريعة والطبيعة على أنها ستة أشهر» . انظر: تفسير القرطبي: ٢٨٨/٩، التبيان في إقسام القرآن لابن القيم ص (٣٣٩)، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار ص (٤٥١-٤٥٢) .

(٢) وقد أنكر بعض المالكية وابن حزم أن يكون هناك حمل أكثر من تسعة أشهر، فقال ابن حزم: «... ولا يجوز أن يكون حمل أكثر من تسعة أشهر ولا أقل من ستة أشهر... فمن ادعى أن حملاً وفصلاً يكون في أكثر من ثلاثين شهراً، فقد قال بالباطل والحال وردّ كلام الله عز وجل جهاراً» .

وبعد أن ذكر جملة أخبار وقصص تشير إلى أنه قد يكون أكثر من ستة أشهر، قال: «وكل هذه أخبار مكذوبة راجعة إلى من لا يُصدّق ولا يُعرف من هو، ولا يجوز الحكم في دين الله تعالى بمثل هذا. ومن روي عنه مثل قولنا: عمر بن الخطاب - رضي الله عنه، فهو يقول: أيما رجل طلق امرأته فحاضت حيضة أو حيضتين ثم قعدت فلتجلس تسعة أشهر حتى يستبين حملها، فإن لم يستبين حملها في تسعة أشهر فلتعتد بعد التسعة الأشهر ثلاثة أشهر عدة التي قعدت عن المحيض . فهذا عمر لا يرى الحمل أكثر من تسعة أشهر، وهو قول محمد بن عبدالله بن عبد الحكم، وأبي سليمان، وأصحابنا . قال علي ابن حزم -: إلا أن الولد قد يموت في بطن أمه فيتأدى بلا غاية حتى تلقيه متقطعاً في سنين. فإن صح هذا فإنه حمل صحيح لا تقضي عدتها إلا بوضعه كله...» .

وهذا الذي انتصر له ابن حزم هو الذي عليه الأطباء، فلا يزيد الحمل عندهم عن شهر بعد موعده، وإلا مات الجنين في بطن أمه. ويعتبرون ما زاد عن ذلك نتيجة خطأ في الحساب، وأما ما يحكى عن مولودين لسنوات بعد الحمل، أو أن الحمل عند امرأة استمر لسنوات... فهي ما يسمونه «الحمل الكاذب» وهي حالة تصيب النساء اللاتي يحثن عن الإنجاب دون أن ينجبن فينتفخ البطن بالغازات وتتوقف العادة الشهرية، وتعتقد المرأة بأنها حامل رغم تأكيد جميع الفحوصات المخبرية والطبية بأنها غير حامل. والله أعلم .

انظر في هذا كله: تفسير القرطبي: ٢٨٨/٩-٢٨٩، أحكام القرآن لابن العربي: ١١٠٩/٣، الدرر المنثور: ٦٠٩/٤. وقارن ب: المحلى لابن حزم: ٣١٦/١٠-٣١٨، خلق الإنسان بين الطب والقرآن للدكتور محمد علي البار، ص (٤٥٢-٤٥٤) .

عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ﴿١٠﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلِ
وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١١﴾ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ
بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ
حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا بِنَفْسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ
وَالِ ﴿١٢﴾

﴿عالم الغيب والشهادة الكبير﴾، الذي كل شيء دونه، ﴿المتعال﴾، المستعلي على كل شيء
بقدرته .

قوله تعالى: ﴿سواءٌ منكم من أسر القول ومن جهر به﴾، أي: يستوي في علم الله المُسرُّ
بالقول والجاهر به، ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾، أي: مستتر بظلمة الليل، ﴿وساربٌ بالنيهار﴾،
أي: ذاهب في سره ظاهر .

والسَّرْب - بفتح السين وسكون الراء -: الطريق^(١) .

قال القتيبي: سارب بالنيهار: أي متصرف في حوائجه .

قال ابن عباس [في هذه الآية]^(٢): هو صاحب رية، مستخف بالليل، فإذا خرج بالنيهار أرى
الناس أنه بريء من الإثم^(٣) .

وقيل: مستخف بالليل، أي: ظاهر، من قولهم: خفيت الشيء؛ إذا أظهرته، وأخفيت: إذا كتمته.
وسارب بالنيهار: أي متوارٍ داخل في سرب .

﴿له معقبات﴾، أي: لله تعالى ملائكة يتعاقبون فيكم بالليل والنهار، فإذا صعدت ملائكة الليل
جاء في عقبها ملائكة النهار، وإذا صعدت ملائكة النهار جاء في عقبها ملائكة الليل .

والتعقيب: العود بعد البدء، وإنما ذكر بلفظ التأنيث لأن واحدها معقب، وجمعه معقب، ثم

(١) اختلف أهل العلم بكلام العرب في «السرب»: فقال بعضهم: «هو آمن في سره»، بفتح السين . وقال بعضهم: «هو آمن في سربه» بكسر السين . انظر: الطبري: ٣٦٧/١٦ .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) الطبري: ٣٦٧/١٦ .

جمع الجمع معقبات، كما قيل: ابناوات^(١) سعد ورجالات بكر .

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ، مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ - : كَيْفَ تَرَكَتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكَتَنَاهُمْ وَهُمْ يَصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يَصَلُّونَ»^(٢) .

قوله تعالى: ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ﴾، يعني: من قدام هذا المستخفي بالليل والشارب بالنهار، ومن خلفه: من وراء ظهره، ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، يعني: بأمر الله، أي: يحفظونه بإذن الله تعالى ما لم يجيء المقدور، فإذا جاء المقدور خلوا عنه .

وقيل: يحفظونه من أمر الله: أي مما أمر الله به من الحفظ عنه .

قال مجاهد: ما من عبد إلا وله ملك موكل به، يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منهم شيء يأتيه يريد به إلا قال ورائك! إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه .

قال كعب الأحبار: لولا أن الله عز وجل وكل بكم ملائكة يذُبُّونَ عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخططكم الجن .

وقال عكرمة: الآية في الأمراء وحرسهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم^(٣) .

(١) في «ب»: اثاوات. وصححها الشيخ محمود شاكر في الطبري: سادات سعد، يقال: «سيد» و«سادة» و«سادات» .

(٢) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر: ٣٣/٢، وفي بدء الخلق، ومسلم في المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما برقم (٦٣٢): ٤٣٩/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٢٦/٢ .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: (٣٤/٢): «قال القرطبي: الواو في قوله «يتعاقبون» علامة الفاعل المذكور المجموع على لغة بلحارث وهم القائلون: أكلوني البراغيث، ومنه قول الشاعر: «بحوران يعصرن السليط أقاربه» وهي لغة فاشية، وعليها حمل الأخفش قوله تعالى: (وأَسْرُوا النجوى الذين ظلموا) قال: وقد تمسف بعض النحاة في تأويلها وردّها للبدل، وهو تكلف مستغنى عنه، فإن تلك اللغة مشهورة ولها وجه من القياس واضح...» .

(٣) ورجحه الطبري لأن قوله: (له معقبات) أقرب إلى قوله: (ومن هو مستخفي بالليل) منه إلى (عالم الغيب) فهي لقربها منه أولى بأن تكون من ذكره، وأن يكون المعنى بذلك هذا مع دلالة قول الله تعالى: (وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له) على أنهم المعنيون بذلك .

وذلك أنه - جل ثناؤه - ذكر قوماً أهل معصية له وأهل ريبة، يستخفون بالليل ويظهرون بالنهار، ويمتنعون عند أنفسهم بحرس يحرسهم، ومَتَعَوَّ تمنعهم من أهل طاعته أن يحولوا بينهم وبين ما يأتون من معصية الله. ثم أخبر أن الله - تعالى ذكره - إذا أراد بهم سوءاً لم ينفعهم حرسهم، ولا يدفع عنهم حفظهم .

وأما ابن عطية فرجح التأويل الأول، وقال: وعلى كلا التأويلين ليست الضمائر لمعتين من البشر .

انظر: تفسير الطبري: ٣٧٤/١٦، المحرر الوجيز لابن عطية ١٣٧/٨ .

وقيل: الآية في المَلَكَيْنِ القَاعِدَيْنِ عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيئات، كما قال الله تعالى: «إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد» (ق - ١٧) .

قال ابن جريج: معنى يحفظونه أي: يحفظون عليه أعماله من أمر الله، يعني: الحسنات والسيئات .

وقيل: الهاء في قوله «له»: راجعة إلى رسول الله ﷺ :

روى جويرير عن الضحاک عن ابن عباس أنه قال: له معقبات يعني لمحمد ﷺ حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله، [يعني: من شر الجن] (١) وطوارق الليل والنهار (٢) .

وقال عبدالرحمن بن زيد: نزلت هذه الآيات في عامر بن الطفيل، وأريد بن ربيعة، وكانت قصتهما على ما روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

أقبل عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة، وهما عامريان، يريدان رسول الله ﷺ، وهو جالس في المسجد في نفر من أصحابه، فدخلوا المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان أعور وكان من [أجل] (٣) الناس / .

أ/١٨٩

فقال رجل: يارسول الله، هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك، فقال: دعه فإن يرد الله به خيراً بيده . .

فأقبل حتى قام عليه، فقال: يا محمد مالي إن أسلمت؟

قال: «لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين» .

قال: تجعل لي الأمر بعدك .

قال: ليس ذلك إلي، إنما ذلك إلى الله عز وجل، يجعله حيث يشاء .

قال: فتجعلني على الوبر وأنت على المدر، قال: لا .

قال: فماذا تجعل لي؟

قال: أجعل لك أئنة الخيل تغزو عليها .

قال: أوليس ذلك إلي اليوم؟ قم معي أكلمك. فقام معه رسول الله ﷺ .

وكان [عامر] (٤) أوصى إلى أريد بن ربيعة إذا رأيتني أكلمه فذر من خلفه فاضربه بالسيف،

فجعل يخاصم رسول الله ﷺ ويراجعه فدار أريد من خلف النبي ﷺ ليضربه، فاخترط من سيفه

(١) ساقط من «ب» .

(٢) هذا التفسير جاء ضمن حديث ابن عباس الآتي في قصة أريد، انظر التعليق التالي .

(٣) في «ب»: أجل .

(٤) ساقط من «ب» .

شيراً، ثم حبسه الله تعالى عنه، فلم يقدر على سلّه، وجعل عامر يومئذ إليه، فالتفت رسول الله ﷺ، فرأى أربد وما صنع بسيفه، فقال: اللهم أكفنيهما بما شئت .

فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم صحو قاتظ فأحرقته، ووَلَّى عامر هارباً وقال: يا محمد دعوت ربك فقتل أربد والله لأملأُها عليك خيلاً جرداً وفتياناً مرداً .
فقال النبي ﷺ : يمنعك الله تعالى من ذلك، وأبناء قبيلة يريد: الأوس والخزرج .

فنزل عامر بيت امرأة سلولية، فلما أصبح ضمَّ عليه سلاحه وقد تغير لونه، فجعل يركض في الصحراء، ويقول: ابرز ياملك الموت، ويقول الشعر، ويقول اللات والعزى لئن أبصرت محمد وصاحبه يعني ملك الموت لأنفذتهما برححي، فأرسل الله إليه ملكاً فلطمه بجناحه فأرداه في التراب وخرجت على ركبتيه في الوقت غُدَّة عظيمة، فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول: غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية. ثم دعا بفرسه فركبه ثم أجراه حتى مات على ظهره فأجاب الله دعاء رسول الله ﷺ، فقتل عامر بن الطفيل بالطعن وأربد بالصاعقة، وأنزل الله عزَّ وجلَّ في هذه القصة قوله: ﴿سواء منكم من أسرَّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارَّ بالنهار له معقبات من بين يديه﴾، يعني لرسول الله ﷺ معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله (١). [يعني تلك المعقبات من أمر الله (٢)، وفيه تقديم تأخير .

وقال لهُدَيْن: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾، من العافية والنعمة، ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾،

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٩/١٦-٣٨١، تفسير القرطبي: ٢٩٦/٩، أسباب النزول للواحدي ص (٣١٤-٣١٥)، ابن كثير: ٥٠٧/٢ .

قال الميمني في مجمع الزوائد: (٤٢/٧): «رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفي إسنادهما عبدالعزیز بن عمران: ضعيف . ورواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ضعيفة .

قال الطبري: وهذا القول الذي قاله ابن زيد في تأويل هذه الآية، قول بعيد من تأويل الآية، مع خلافه أقوال مَنْ ذكرنا قوله من أهل التأويل .

وذلك أنه جعل «الماء» في قوله: «له معقبات» من ذكر رسول الله ﷺ، ولم يُجْر له في الآية التي قبلها ولا في التي قبل الأخرى ذِكْرًا، إلا أن يكون أراد أن يردها على قوله: «إنما أنت منذر ولكل قوم هاد»، «له معقبات» فإن كان ذلك، فذلك بعيد، لما بينهما من الآيات يغير ذكر الخبر عن رسول الله ﷺ .

وإذا كان ذلك كذلك، فكونها عائدة على «مَنْ» التي في قوله: «ومَنْ هو مستخف بالليل» أقرب، لأنه قبلها، والخبر بعدها عنه . فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: سواء منكم - أيها الناس - من أسرَّ القول ومن جهر به عند ربكم، ومن هو مستخف بفسقه وريته في ظلمة الليل، وسارَّ يذهب ويحيى في ضوء النهار ممتنعاً بجنده وحرسه الذين يتعقبونه من أهل طاعة الله أن يحولوا بينه وبين ما يأتي من ذلك، وأن يقيموا حدَّ الله عليه، وذلك قوله: «يحفظونه من أمر الله» .

وكذلك قال ابن عطية في المحرر الوجيز: (١٣٧/٨): «وهذه الآية وإن كانت ألفاظها تنطبق على معنى القصة، فيُضَعَّف القول أن النبي ﷺ لم يتقدم له ذكر فيعود الضمير في «له» عليه .

(٢) ساقط من «ب» .

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾
 وَيَسْبِغُ الرُّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
 مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

من الحال الجميلة فيعصوا ربهم .

﴿وإذا أراد الله بقوم سوء﴾، أي: عذاباً وهلاكاً ﴿فلا مردّ له﴾ أي: لا رادّ له ﴿وما لهم من دونه من وال﴾، أي: ملجأً يلجؤون إليه. وقيل: وإل يلي أمرهم ويمتنع العذاب عنهم .
 قوله عز وجل: ﴿هو الذي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، قيل: خوفاً من الصاعقة، طمعاً في نفع المطر .

وقيل: الخوف للمسافر، يخاف منه الأذى والمشقة والطمع للمقيم يرجو منه البركة والمنفعة .
 وقيل: الخوف من المطر في غير مكانه وإبانته، والطمع إذا كان في مكانه وإبانته، ومن البلدان ما إذا أمطروا وقحطوا وإذا لم يمطروا أخصبوا .

﴿وينشئ السحاب الثقيل﴾، بالمطر. يقال: أنشأ الله السحابة فنشأت أي: أبدأها فبدت، والسحاب جمع، واحدها سحابة، قال علي رضي الله عنه: السحاب غربال الماء .
 ﴿ويسبغ الرعد بحمده﴾، أكثر المفسرين على أن الرعد اسم ملك يسوق السحاب، والصوت المسموع منه تسييحه^(١) .

قال ابن عباس: من سمع صوت الرعد فقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير، فإن أصابته صاعقة فعليّ ديته .

وعن عبدالله بن الزبير: أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث: وقال: سبحان من يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته، ويقول: إن هذا الوعيد لأهل الأرض شديد^(٢) .
 وفي بعض الأخبار يقول الله تعالى: «لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل، ولأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أسمعهم صوت الرعد»^(٣) .

(١) انظر فيما سبق: ٦٩/١-٧٠ .

(٢) انظر: الأذكار للنووي ص (١٥٤) تفسير ابن كثير: ٥٠٦/٢ ففيها الأذكار التي تقال عند سماع صوت الرعد .

(٣) حديث ضعيف أخرجه أبو داود والطيالسي في «المسنده» ص (٣٣٧) رقم (٢٥٨٦)، والإمام أحمد في المسند: ٣٥٩/٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وصححه الحاكم في المستدرک: ٣٤٩/٢ فتعقبه الذهبي وقال: «صدقة واه»، وهو صدقة بن موسى الدقيقي، صدوق له أوهام

(تقريب) .

وقال جوير عن الضحاك عن ابن عباس: الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه إلى حيث يؤمر، وأن مجور الماء في نقرة إبهامه، وأنه يسبح الله تعالى، فإذا سبح لا يبقى مَلَكٌ في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل القطر. ﴿والملائكة من خيفته﴾، أي: تسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وخشيته .

وقيل أراد بهؤلاء الملائكة أعوان الرعد، جعل الله تعالى له أعواناً، فهم خائفون خاضعون طائعون .

قوله تعالى: ﴿ويرسل الصواعق﴾، جمع صاعقة، وهي: العذاب المهلك، ينزل من البرق فيحرق من يصيبه، ﴿فيصيبُ بها من يشاء﴾، كما أصاب أريد بن ربيعة .

وقال محمد بن علي الباقر: الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكِر .
﴿وهم يجادلون﴾، يخاصمون، ﴿في الله﴾، نزلت في شأن أريد بن ربيعة حيث قال للنبي ﷺ:
مَمَّ ربك أم من ذُرُّ أم من ياقوت أم من ذهب؟ فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته (١) .

وسئل الحسن عن قوله عز وجل: ﴿ويرسل الصواعق﴾ الآية، قال: كان رجل من طواغيت العرب بعث إليه النبي ﷺ نفرأ يدعوهم إلى الله وإلى رسوله .

فقال لهم: أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعونني إليه مَمَّ هو؟ من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس؟

فاستعظم القوم مقاتته فانصرفوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يارسول الله ما رأينا رجلاً أكفر قلباً ولا أعتى على الله منه!

فقال: ارجعوا إليه، فرجعوا إليه، فجعل لا يزيدهم على مثل مقاتته الأولى، وقال: أُجيب محمداً إلى رب لا أراه ولا أعرفه؟

فانصرفوا وقالوا: يارسول الله ما زادنا على مقاتته الأولى وأخبث .

فقال ارجعوا إليه، فرجعوا، فبينما هم عنده ينازعونه ويدعونهم، وهو يقول هذه المقالة إذ ارتفعت سحابة، فكانت فوق رؤوسهم، فرعدت وبرقت، ورمت بصاعقة، فاحترق الكافر، وهم جلوس، فجاءوا يسعون ليخبروا رسول الله ﷺ، فاستقبلهم قوم من أصحاب النبي ﷺ، فقالوا لهم: احترق صاحبكم. فقالوا: من أين علمتم فقالوا أوحى الله إلى النبي ﷺ: ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله﴾ (٢) .

= وساقه ابن الجوزي في العلل المتناهية: ٣٠٦/٢، وضعفه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح: ١٤٦١/٣ .

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٠٧/٢ .

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣١٤)، الدر المنثور للسيوطي: ٤/٦٢٥، ٦٢٦، البحر المحيط: ٣٧٥/٥، ابن كثير: =

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كِبْسِطٌ
كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي

ضَلَالٍ ١٤

﴿وهو شديد المحال﴾، قال علي رضي الله عنه: شديد الأخذ^(١).

وقال ابن عباس: شديد الحول^(٢).

وقال الحسن: شديد الحقد^(٣).

وقال مجاهد: شديد القوة^(٤).

وقال / أبو عبيدة: شديد العقوبة.

وقيل: شديد المكر.

والمِحَال والمُحَالَة: المماكرة والمغالبة.

﴿له دعوة الحق﴾، أي: لله دعوة الصديق.

قال علي رضي الله عنه: دعوة الحق التوحيد^(٥).

وقال ابن عباس: شهادة أن لا إله إلا الله^(٥).

وقيل: الدعاء بالإخلاص، والدعاء الخالص لا يكون إلا لله عز وجل^(٦).

﴿والذين يدعون من دونه﴾، أي: يعبدون الأصنام من دون الله تعالى. ﴿لا يستجيبون لهم

بشيء﴾، أي: لا يجيبونهم بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضرر، ﴿إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ

= ٥٠٧/٢، وبنحوه عن أنس، أخرجه أبو يعلى والبخاري في الأوسط. ورجال أبي يعلى رجال الصحيح غير ديلم

ابن غزوان، وهو ثقة، وفي رجال أبي يعلى والبخاري علي بن أبي شارة وهو ضعيف.

انظر: مجمع الزوائد: ٤٢/٧.

(١) أخرجه الطبري: ٣٩٦/١٦. وقال الشيخ محمود شاكر: ٣٩٢/١٦. وهذا إسناد منكر.

(٢) الطبري: ٣٩٦/١٦.

(٣) نسبه السيوطي لأبي الشيخ عن عكرمة الدر المنثور: ٦٢٧/٤. وأخرج الطبري عن عكرمة قال: ما أصاب أريد من الصاعقة.

وأخرج الطبري أيضاً عن الحسن في تفسير الآية: يعني الهلاك. قال: إذا عمل فهو شديد.

وما إخال هذا التفسير الذي ذكره المصنف يصح عن الحسن رحمه الله لأننا وجدنا خلافة في الطبري، والله سبحانه وتعالى

لا يلق وصفه بهذا. والله أعلم.

(٤) انظر الطبري: المرجع السابق.

(٥) الطبري: ٣٩٨/١٦.

(٦) وهذه المعاني كلها متقاربة وليس بينها اختلاف.

وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ
وَالْأَصَالِ ﴿١٥﴾

فاه وما هو **ببالغه**، أي: إلا كباسط كفيه ليقبض على الماء [والقابض على الماء]^(١) لا يكون في يده شيء، ولا يبلغ إلى فيه منه شيء، كذلك الذي يدعو الأصنام، وهي لا تضر ولا تنفع، لا يكون بيده شيء .

وقيل: معناه كالرجل العطشان الذي يرى الماء من بعيد، فهو يشير بكفه إلى الماء، ويدعوه بلسانه، فلا يأتيه أبداً، هذا معنى قول مجاهد .

ومثله عن علي وعطاء: كالعطشان الجالس على شفير^(٢) البئر، يمد يده إلى البئر فلا يبلغ قعر البئر إلى الماء، ولا يرتفع إليه الماء، فلا ينفعه بسط الكف إلى الماء ودعاؤه له، ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الأصنام لا ينفعهم دعاؤها، وهي لا تقدر على شيء .

وعن ابن عباس: كالعطشان إذا بسط كفيه في الماء لا ينفعه ذلك ما لم يعرف بهما الماء، ولا يبلغ الماء فاه ما دام باسطاً كفيه. وهو مثل ضربه لحية الكفار^(٣) .

﴿وما دعاء الكافرين﴾، أصنامهم، ﴿إلا في ضلال﴾، يضل عنهم إذا احتاجوا إليه، كما قال: «وضل عنهم ما كانوا يفترون» (الأنعام - ٢٤ وغيرها) .

وقال الضحاك عن ابن عباس: وما دعاء الكافرين ربهم إلا في ضلال لأن أصواتهم محجوبة عن الله تعالى .

قوله عز وجل: ﴿والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً﴾، يعني: الملائكة والمؤمنين، ﴿وكرهاً﴾، يعني: المنافقين والكافرين الذين أكرهوا على السجود بالسيف .

﴿وظلالهم﴾، يعني: ظلال الساجدين طوعاً وكرهاً تسجد لله عز وجل طوعاً .

قال مجاهد: ظل المؤمن يسجد طوعاً وهو طائع، وظل الكافر يسجد طوعاً وهو كاره .

﴿ببالغدو والأصال﴾، يعني إذا سجد بالغدو أو العشي يسجد معه ظله .

و«الأصال»: جمع «الأصل»، و«الأصل» جمع «الأصيل»، وهو ما بين العصر إلى غروب الشمس .

(١) ساقط من «أ» .

(٢) في «أ»: شفة .

(٣) قال الطبري: ٣٩٩/١٦: والعرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلاً، بالقابض على الماء. قال بعضهم: فأني وإياكم وشوقاً إليكم كقابض ماء لم تسقه أنامله وقوله: «لم تسقه» من وسقت الشيء أسقه وسقاً: إذا حملته .

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ
لأنفُسِهِمْ نفعاً ولا ضرراً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ
وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾

وقيل: ظلّهم أي: أشخاصهم، بالغدو والآصال: بالبكر والعشايا .

وقيل: سجود الظلّ تذليله لما أريد له .

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: خالقهما ومدبرهما [فسيقولون الله] (١)،
لأنهم يقرّون بأنّ الله خالقهم وخالق السموات والأرض، فإذا أجابوك فقل أنت أيضاً يا محمد: «الله» .

وروي أنه لما قال هذا للمشركين عطفوا عليه فقالوا: أجب أنت، فأمره الله عزّ وجلّ فقال:

﴿قُلِ اللَّهُ﴾ .

ثم قال الله لهم إلزاماً للحجة: ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، معناه: إنكم مع إقراركم بأنّ
الله خالق السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء فعبدتموها من دون الله، يعني: الأصنام، وهم
﴿لَا يَمْلِكُونَ لأنفسِهِمْ نفعاً ولا ضرراً﴾، فكيف يملكون لكم؟

ثم ضرب لهم مثلاً فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾، كذلك لا يستوي الكافر
والمؤمن، ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿يستوي﴾ بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء
لأنه لا حائل بين الاسم والفعل المؤنث. ﴿الظلمات والنور﴾، أي: كما لا يستوي الظلمات والنور
لا يستوي الكفر والإيمان .

﴿أَمْ جَعَلُوا﴾، أي: جعلوا، ﴿لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾، أي: اشبه ما
خلقوه بما خلقه الله تعالى فلا يدرون ما خلق الله وما خلق آلهتهم .

﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ .

ثم ضرب الله تعالى مثلين للحق والباطل، فقال عزّ وجلّ:

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا
يُوقَدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ
وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ
يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾

﴿أنزل﴾ يعني: الله عز وجل، ﴿من السماء ماء﴾، يعني المطر، ﴿فسالت﴾ من ذلك الماء، ﴿أودية بقدرها﴾، أي: في الصغر والكبر، ﴿فاحتمل السيل﴾، الذي حدث من ذلك الماء، ﴿زبدًا رابيًا﴾، الزبد: الحَبُّ الذي يظهر على وجه الماء، وكذلك على وجه القدر، «رابيًا» أي عاليًا مرتفعًا فوق الماء، فالماء الصافي الباقي هو الحق، والذاهب الزائل الذي يتعلق بالأشجار وجوانب الأودية هو الباطل .

وقيل: قوله «أنزل من السماء ماء» هذا مَثَلٌ للقرآن، والأودية مَثَلٌ للقلوب، يريد: ينزل القرآن، فتحمل منه القلوب على قدر اليقين والعقل والشك والجهل. فهذا أحد المَثَلِينَ .
والمثل الآخر: قوله عز وجل: ﴿وما يوقدون عليه في النار﴾ .
قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿يوقدون﴾ بالياء لقوله تعالى: ﴿ما ينفع الناس﴾، ولا مخاطبة هاهنا .

وقرأ الآخرون بالناء ﴿وما توقدون﴾، أي: ومن الذي توقدون عليه في النار .
والإيقاد: جعل النار تحت الشيء ليدوب .
﴿ابتغاء حلية﴾، أي لطلب زينة، وأراد الذهب والفضة؛ لأن الحلية تُطلبُ منهما، ﴿أو متاع﴾ أي: طلب متاع وهو ما ينتفع به، وذلك مثل الحديد، والنحاس، والرصاص، والصُّفْر، تذاب فيتخذ منها الأواني وغيرها مما ينتفع بها، ﴿زبدٌ مثله﴾ ..

﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل﴾، أي: إذا أذِيبَ فله أيضاً زبد مثل زبد الماء، فالباقي الصافي من هذه الجواهر مثل الحق، والزبد الذي لا ينتفع به مثل الباطل .

﴿فأما الزبد﴾، الذي علا السيل والفيلز، ﴿فيذهب جفاء﴾ أي: ضائعاً باطلاً، والجفاء ما رمى به الوادي من الزبد، والقدر إلى جنباته .

يقال: جفا الوادي وأجفأ: إذا ألقى عُشاهُ، وأجفأت القدر وجفأت: إذا غلت وألقت زبدها، فإذا سكنت لم يبق فيها شيء .

لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ
 مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ
 وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُثَسَّ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ
 هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾

معناه: إن الباطل وإن علا في وقتٍ فإنه يضمحل .

وقيل: «جُفَاءً» أي: متفرقاً. يقال: جفأت الريح الغيم إذا فرقتَه وذهبت به .

﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾، يعني: الماء والفلز من الذهب والفضة والصفرة والنحاس، ﴿فِيمَكْت

في الأرض﴾، أي: يبقى ولا يذهب .

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾، جعل الله تعالى هذا مثلاً للحق والباطل، أي: أن الباطل كالزبد

يذهبُ ويضيع، والحق كالماء والفلز يبقى في القلوب .

وقيل: هذا تسلية للمؤمنين، يعني: أن أمر المشركين كالزبد يُرى في الصورة شيئاً وليس له

حقيقة، وأمر المؤمنين كالماء المستقر في مكانه له البقاء والثبات .

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾، أجابوا، لرَّبِّهِمْ، فأطاعوه، ﴿الْحَسَنَىٰ﴾ الجنة، ﴿وَالَّذِينَ

لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾، أي: لبذلوا ذلك يوم القيامة

افتداءً من النار، ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾. قال إبراهيم النخعي: سُوءُ الْحِسَابِ: أن يحاسب الرجل

بذنبه كله لا يغفر له من شيء / ﴿وَمَا وَاهِمٌ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمُ وَيُثَسَّ الْمِهَادُ﴾، الفِراش، أي:

١٩٠/أ

يُثَسَّ ما مُهد لهم .

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنزِلَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾، فيؤمن به ويعمل بما فيه، ﴿كَمَنْ

هُوَ أَعْمَى﴾، عنه لا يعلمه ولا يعمل به .

قيل: نزلت في حمزة وأبي جهل .

وقيل: في عمار وأبي جهل (١) .

فالأول حمزة أو عمار والثاني أبو جهل، وهو الأعمى .

أي: لا يستوي من يُبصر الحق ويتبعه ومن لا يُبصره ولا يتبعه .

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ، ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. ذوو العقول .

(١) ذكر ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز: ١٦٠/٨ ثم قال: «وهي - بعد هذا - مثال في جميع العالم» .

الَّذِينَ يُوفُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ
يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾

﴿الذين يوفون بعهد الله﴾، بما أمرهم الله تعالى به وقرضه عليهم فلا يخالفونه، ﴿ولا ينقضون الميثاق﴾، وقيل: أراد العهد الذي أخذه على ذرية آدم عليه السلام حين أخرجهم من صلبه .
﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾، قيل: أراد به الإيمان بجميع الكتب والرسل ولا يفرقون بينهما .

والأكثرون على أنه أراد به (١) صلة الرجم (٢) .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبدالجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا ابن أبي شيبة، حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن أبي سلمة أن عبدالرحمن بن عوف عاد أبا الدرداء فقال - يعني عبدالرحمن -: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فيما يحكي عن ربه عز وجل: «أنا الله، وأنا الرحمن، وهي الرجم، شققت لها من اسمي اسماً، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته» (٣) .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنبأنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني، حدثني حميد ابن زنجويه، حدثنا ابن أبي أويس (٤)، قال: حدثني سليمان بن بلال عن معاوية ابن أبي مزرّد، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرجم فأخذت بحقوي الرحمن، فقال: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصيل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يارب، قال: فذلك لك»، ثم

(١) جملة «أراد به» ساقطة من «ب» .

(٢) ولم يذكر الطبري غيره، وأما ابن عطية فقال: «ووصل ما أمر الله به أن يوصل، ظاهرة في القربات، وهو مع ذلك يتناول جميع الطاعات». المهر الوجيز ١٦٠/٨ .

وعلى ذلك فيدخل في معنى الآية أيضاً الإيمان بجميع الكتب والرسل وسائر ما يجب الإيمان به .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ٥٣٦/٨، وعبدالرزاق في مصنفه: ١٧٢/١١، وأخرجه أبو داود في الزكاة، باب صلة الرحم: ٢٦٢/٢، والترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في قطيعة الرحم: ٣٣/٦، وقال: حديث صحيح. قال المنذري: وفي تصحيحه نظر فإن يحيى بن معين قال: أبو سلمة بن عبدالرحمن لم يسمع من أبيه شيئاً، وذكر غيره أن أبا سلمة وأخاه لهما سماع من أبيهما .

وصححه الحاكم في المستدرک: ١٥٧/٤-١٥٨، وابن حبان ص (٤٩٨-٤٩٩) من موارد الظمان، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٩٤/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٢/١٣. وانظر: مجمع الزوائد: ١٤٩/٨ .

(٤) في «ب»: أوس .

قال أبو هريرة: اقرؤا إن شئتم «فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم»^(١)
(محمد - ٢٢) .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنبأنا أبو منصور السمعاني، أنبأنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد
ابن زنجويه، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا كثير بن عبدالله الشكري، حدثنا الحسن بن عبدالرحمن
ابن عوف عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة تحت العرش يوم القيامة: القرآن يُحاجُّ العباد، له
ظهرٌ وبطنٌ، والأمانة، والرَّحِمُ تنادي ألا مَنْ وصلني وصله الله ومَنْ قطعني قطعَه الله»^(٢) .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنبأنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد
ابن زنجويه، حدثنا عبدالله بن صالح، حدثني الليث بن سعد، حدثني عُقَيْلٌ عن ابن شهاب أخبرني
أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يُيسَّطَ له في رزقه ويُنسأَ
له في أثره فليصل رحمه»^(٣) .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا عبدالرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد
ابن عبدالعزيز البغوي، حدثنا علي بن الجعد، حدثنا شعبة، عن عُيَيْنَةَ بن عبدالرحمن قال: سمعت
أبي يحدث عن أبي بكر عن النبي ﷺ قال: «ما مِنْ ذَنْبٍ أحرى أن يعجِّلَ الله لصاحبه العقوبةَ
في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرَّحِمِ»^(٤) .

(١) أخرجه البخاري في الأدب، باب من وصل وصله الله: ٤١٧/١٠، وفي التفسير أيضاً، وأخرجه مسلم في البر والصلة، باب
صلة الرحم وتحريم قطعها برقم (٢٥٥٤): ٤/١٩٨٠-١٩٨١ وليس فيه «فأخذت بحقوي الرحمن» وفي بعض الروايات
«بحقو الرحمن» وفي بعضها «بمحزة الرحمن»، انظر: فتح الباري ٤١٧/١٠-٤١٨ .
وأخرجه المصنف بهذا اللفظ في شرح السنة: ٢١/١٣، ثم قال:

قيل في معنى التعلق بحقو الرحمن: إنه الاستجارة والاعتصام بالله سبحانه وتعالى، يقال: عُذْتُ بحقو فلان: إذا استجرت به .
وقيل: الحقو: الإزار، وإزاره: عِزُّه، ولادت الرحم بعِزِّه من القطيعة، كما جاء في الحديث في دعاء المشتكي: «أعوذ بعزة
الله من شرِّ ما أجد» (أخرجه مالك، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه) .

(٢) أخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٢-٢٣، ونسبه السيوطي في الجامع الصغير للحكيم الترمذي في نوادره، ومحمد بن
نصر في فوائده .

قال المناوي في «فيض القدير»: ٣١٧/٣ «وفيه كثير بن عبدالله الشكري، متكلم فيه»، وقال الذهبي في «الميزان»: ٤٠٩/٣:
«كثير بن عبدالله، عن الحسن بن عبدالرحمن بن عوف، عن أبيه، وعنه عن مسلم بن إبراهيم، قال العقيلي: لا يصح إسنادُه
وذكر له هذا الحديث .

(٣) أخرجه البخاري في الأدب، باب من بسط له في الرزق لصلة الرحم: ٤١٥/١٠، ومسلم في البر والصلة، باب صلة الرحم،
برقم (٢٥٥٧): ٤/١٩٨٢، والمصنف في شرح السنة: ١٩-١٨/١٣ .

وقوله: «يُنسأُ في أثره» معناه: يؤخَّر في أجله، يقال: نسأ الله في عمرك، وأنسأ عمرك. والأثر هاهنا: آخر العمر، وسمي
الأجل أثراً؛ لأنه يتبع العمر .

(٤) أخرجه أبو داود في الأدب، باب في النبي عن البغي: ٢٢٥/٧، والترمذي في صفة القيامة، باب انظروا إلى من أسفل منكم: =

وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحى، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا أحمد بن منصور الزياىى، حدثنا عبدالرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن محمد بن جبير ابن مطعم، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قاطع» (١).

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزياىى، حدثنا أحمد بن إسحاق الصيدلانى، أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد بن نصر، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، حدثنا عمرو بن عثمان قال سمعت موسى بن طلحة يذكر عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أن أعرابياً عرض لرسول الله ﷺ في مسير له فقال: أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار، قال ﷺ: «تعبُدُ الله، لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم» (٢).

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد ابن زنجويه حدثنا أبو يعلى وأبو نعيم قالوا: حدثنا قطر، عن مُجاهد، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الواصل بالمكافء، ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رَحْمُهُ وَصَلَّهَا» (٣)، [رواه محمد بن إسماعيل عن محمد بن كثير عن سُفيان عن قطر وقال: إذا قطعت رحمه وصلها] (٤).

قوله تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾، على طاعة الله، وقال ابن عباس: على أمر الله عز وجل. وقال عطاء: على المصائب والنوائب. وقيل: عن الشهوات. وقيل: عن المعاصي.

﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾، طلب تعظيمه أن يخالفوه.

= ٢١٣/٧-٢١٤، وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجه في الزهد، باب البغي، برقم (٤٢١١): ١٤٠٨/٢، وصححه الحاكم في المستدرک: ١٦٣/٤. وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٣٨/٥، والمصنف في شرح السنة: ٢٦/١٣.

(١) أخرجه البخاري في الأدب، باب إثم القاطع: ٤١٥/١٠، ومسلم في البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطعها، برقم (٢٥٥٦): ١٩٨١/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٦/١٣.

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة، باب وجوب الزكاة: ٢٦١/١٣، ومسلم في الإيمان باب بيان الإيمان الذي يُدخِل الجنة، برقم (١٣): ٤٢/١-٤٣، والمصنف في شرح السنة: ٢١/١.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب، باب ليس الواصل بالمكافء: ٤٢٣/١٠، والمصنف في شرح السنة: ٣٠/١٣.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٦٣﴾

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾، يعني يؤدّون الزكاة .
﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾، رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يدفعون بالصلاح
من العمل السيء من العمل، وهو معنى قوله: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ» (هود - ١١٤) .
وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَاعْمَلْ بِجَنبِهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا، السِّرُّ
بِالسِّرِّ وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ» (١) .

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنبأنا محمد بن يعقوب
الكسائي، أنبأنا عبد الله بن محمود، أنبأنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة،
حدثني يزيد بن أبي حبيب، حدثنا أبو الخير، أنه سمع عقبة بن عامر رضي الله عنه يقول: قال رسول الله
ﷺ: «إِنْ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ يَعْمَلُ الْحَسَنَاتِ كَمِثْلِ رَجُلٍ كَانَتْ عَلَيْهِ دَرْعٌ ضَيْقَةٌ قَدْ خَنَقَتْهُ،
ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً، فَانْفَكَّتْ عَنْهُ حَلْقَةٌ، ثُمَّ عَمِلَ أُخْرَى فَانْفَكَّتْ أُخْرَى، حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى الْأَرْضِ» (٢) .

وقال ابن كيسان: معنى الآية: يدفعون الذنب بالتوبة .
وقيل: لا يكافون الشرّ بالشرّ، ولكن يدفعون الشرّ بالخير .
وقال القتيبي: معناه: إذا سِئَةٌ عَلَيْهِمْ حَلِمُوا، فَالْسَفَةُ: السَّيِّئَةُ، وَالْحَلْمُ: الْحَسَنَةُ .
وقال قتادة: ردوا عليهم معروفاً، نظيره قوله تعالى: «وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً»
(الفرقان - ٦٣) .

وقال الحسن: إذا حُرِّمُوا أَعْطُوا وَإِذَا ظَلِمُوا عَفَوْا وَإِذَا قُطِعُوا وَصَلُوا .

قال عبد الله بن المبارك: هذه ثمان خلال مشيرة إلى ثمانية أبواب الجنة .

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾، يعني الجنة، أي: عاقبتهم دار الثواب. ثم بيّن ذلك فقال :

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾، بساتين إقامة / ﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾

(١) أخرجه الإمام أحمد: ١٦٩/٥، قال الهيثمي في المجمع: (٨١/١٠): «رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن شهر بن عطية حدّث به عن أشياخه عن أبي ذر، ولم يسمّ أحداً .

وروى الإمام أحمد عن عطاء مرسلاً في «الزهد»: إذا عملت سيئة فأحدث عندها توبة: السرّ بالسر، والعلانية بالعلانية. قال العراقي: وفيه انقطاع . انظر: فيض القدير: ٤٠٦/١ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٤٥/٤، وعزاه الهيثمي للطبراني، وقال: «وَأَحَدُ إِسْنَادِي الطَّبْرَانِيُّ رَجَالَهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ». وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٣٩/١٤. وفيه ابن لهيعة .

وانظر: مجمع الزوائد: ٢٠١/١٠ - ٢٠٢، فيض القدير للمناوي: ٥٢٠/٢ .

سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾

والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴿٢٤﴾، قيل: من أبواب الجنة. وقيل: من أبواب القصور. ﴿سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ﴾، أي: يقولون سلام عليكم.

وقيل: يقولون: سلمكم الله من الآفات التي كنتم تخافون منها.

قال مقاتل: يدخلون عليهم في مقدار يوم وليلة من أيام الدنيا ثلاث كرات، معهم الهدايا والتحف من الله عز وجل، يقولون سلام عليكم، ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبدالله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، حدثنا عبدالله بن المبارك، عن بقية بن الوليد، حدثني أرطاة بن المنذر قال: سمعت رجلاً من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج يقول: جلسْتُ إلى أبي أمانة فقال: إن المؤمن ليكون متكماً على أريكته إذا دخل الجنة، وعنده سِمَاطَانٌ من خَدَمٍ، وعند طرف السَّمَاطَيْنِ بابٌ مَبُوبٌ^(١).

فَيُقْبَلُ مَلَكٌ من ملائكة الله يستأذن، فيقوم أقصى الخدم^(٢) إلى الباب، فإذا هو بالملك يستأذن، فيقول للذي يليه: ملك يستأذن ويقول الذي يليه للذي يليه ملك يستأذن كذلك حتى يبلغ المؤمن، فيقول: ائذنوا له، [فيقول أقربهم إلى المؤمن]^(٣): ائذنوا له، [ويقول الذي يليه للذي يليه: ائذنوا له]^(٣) كذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب، فيفتح له فيدخل، فيسلم ثم ينصرف^(٤).

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾، هذا في الكفار. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾، أي: يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض. وقيل: يقطعون الرحم^(٥)، ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي

(١) باب مَبُوبٌ: مصنوع معقود، وإن شئت قلت: قد اتخذ له بواباً يحرسه.

(٢) في الأصل: أدنى الخدم. والمثبت من الدر المنثور والطبري: فهو أليق بالسياق.

(٣) ما بين القوسين من «ب».

(٤) أخرجه ابن جرير: ٤٢٥٠-٤٢٦، وفيه بقية بن الوليد: صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، وقد صرح هنا بالتحديث. ورواه ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل بن عياش عن أرطاة بن المنذر عن أبي الحجاج يوسف الألحاني، قال: سمعت أبا أمانة، فذكر نحوه.

انظر: الدر المنثور: ٤/٦٤٠، تفسير ابن كثير: ٢/٥١٢، حاشية الشيخ محمود شاكر على الطبري في الموضع السابق.

(٥) انظر فيما سبق تفسير الآية (٢١) من السورة ص (٣١٠) مع التعليق.

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي
 الآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ
 قُلْ إِنَّا أَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبِينًا ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ
 قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

الأرض ﴿٢٦﴾، أي: يعملون بالمعاصي، ﴿أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾، يعني: النار، وقيل:
 سوء المنقلب لأن منقلب الناس دوزهم .

قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، أي: يُوسِّعُ على من يشاء ويضيِّقُ على
 من يشاء .

﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾، يعني: مشركي مكة أشيروا وبَطَرُوا، والفرح: لذة في القلب بِئِيلِ
 المشتبه، وفيه دليل على أن الفرح بالدنيا حرام .

﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إِلَّا مَتَاعٌ﴾ أي: قليل ذاهب. قال الكلبي: كمثل السكرجة
 والقصعة والقَدَحِ والقِدْرِ يتنفع بها [ثم تذهب] (١) .

﴿ويقول الذين كفروا﴾، من أهل مكة، ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من
 يشاء ويهدي إليه من أناب﴾ [أي: يهدي إليه من يشاء بالإنابة. وقيل: يرشد إلى دينه من يرجع
 إليه بقلبه] (٢) .

﴿الذين آمنوا﴾، في محل نصب، بدل من قوله: «من أناب»، ﴿وتطمئن﴾، تسكن، ﴿قلوبهم
 يذكر الله﴾، قال مقاتل: بالقرآن، والسكون يكون باليقين، والاضطراب يكون بالشك، ﴿ألا يذكر
 الله تطمئن القلوب﴾، تسكن قلوب المؤمنين ويستقر فيها اليقين .

قال ابن عباس: هذا في الخليف، يقول: إذا حلف المسلم (٣) بالله على شيء تسكن قلوب
 المؤمنين إليه (٤) .

فإن قيل: أليس قد قال الله تعالى: «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم» (الأنفال
 - ٢)، فكيف تكون الطمأنينة والوجل في حالة واحدة؟

(١) ساقط من «أ» .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) في «ب»: المؤمن .

(٤) ساقط من «ب» .

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَى

قيل: الرَّجُلُ عند ذكر الوعيد والعقاب، والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب، فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه، وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وثوابه^(١) وكرمه .

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، ابتداءً، ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ خبره .

واختلفوا في تفسير ﴿طُوبَى﴾^(٢) .

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: فَرَّخَ لهم وَقُرَّةُ عَيْنٍ .

وقال عكرمة: نِعَمَ ما لهم .

وقال قتادة: حسنى لهم .

وقال معمرٌ عن قتادة: هذه كلمة عربية، يقول الرجل للرجل: طوبى لك أي أصبت خيراً .

وقال إبراهيم: خير لهم وكرامة .

وقال الفراء: [أصله من الطيب، والواو فيه لضمة الطاء، وفيه لغتان، تقول العرب: طوباك

وطوبى لك أي لهم الطيب]^(٣) .

﴿وَحُسْنُ مَا أَتَى﴾ أي: حسن المنقلب .

قال سعيد بن جبیر عن ابن عباس: طوبى اسم الجنة بالحيشية .

قال الربيع: هو البستان بلغة الهند .

وروي عن أبي أمامة وأبي هريرة وأبي الدرداء قالوا: [طوبى شجر في الجنة تُظَلُّ الجنان كلها .

وقال عبید بن عمير]^(٤) . هي شجرة في جنة عدن أصلها في دار النبي ﷺ، وفي كل دار

وغرفة غصن منها لم يخلق الله لونها ولا زهرة إلا وفيها منها إلا السواد، ولم يخلق الله تعالى فاكهة

ولا ثمرة إلا وفيها منها. تنبع من أصلها عينان: الكافور والسلسبيل .

قال مقاتل: كل ورقة منها تُظَلُّ أمة عليها مَلَكٌ يُسَبِّحُ الله عز وجل بأنواع التسبيح^(٤) .

(١) ساقط من «أ» .

(٢) انظر في تفسير طوبى، والروايات، في: الطبري: ٤٣٤/١٦-٤٤٤، الدر المنثور: ٦٤٣-٦٤٢/٤ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٤) هذه الروايات، وغيرها من الروايات، التي تتضمن زيادات كثيرة عن الحديث الصحيح الذي سيأتي في تفسير «طوبى»،

وفيها مبالغات كثيرة، وقد ساقها الطبري، وتعقب بعضها الحافظ ابن كثير - رحمه الله - هذه الروايات من الاسرائيليات،

وحسبنا في تفسير «طوبى» الحديث الصحيح المتفق عليه الذي ساقه المصنف من رواية أبي هريرة رضي الله عنه .

وانظر: الاسرائيليات والموضوعات لأبي شعبة ص (٣٢٣-٣٢٦) .

وأشار ابن عطية في المحرر الوجيز: ١٦٨/٨ إلى تلك الروايات والمبالغات التي مقتضاها أن هذه الشجرة ليست في الجنة

وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ ما طوبى؟ قال: «شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»^(١).

وعن معاوية بن قرة عن أبيه يرفعه: «طوبى شجرة غرسها الله تعالى بيده، ونفخ فيها من رُوحه، تنبت الحلي والحلل وإن أغصانها لُتري من وراء سور الجنة»^(٢).

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أخبرنا محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبدالله بن محمود، أنبأنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، حدثنا عبدالله بن المبارك عن إسماعيل بن أبي خالد، عن زياد مولى بني مخزوم، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة [لا يقطعها]^(٣)، اقرؤوا إن شئتم: «وظل ممدود» (الواقعة - ٣٠) فبلغ ذلك^(٤) كعباً فقال: صدق والذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام والقرآن على محمد ﷺ، لو أن رجلاً ركب حقة أو جذعة ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هَرماً، إن الله تعالى غرسها بيده ونفخ فيها من رُوحه، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة، ما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة^(٥).

وبهذا الإسناد عن عبدالله بن المبارك عن معمر عن الأشعث بن عبدالله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: في الجنة شجرة يقال لها طوبى، يقول الله عز وجل لها: تفتقي لعبدي عما شاء فتنفتق له عن فرس بسرجه ولجامه وهيته كما شاء، يفتق له عن الراحلة برحلتها وزمامها

= دار إلا وفيها من أغصانها، وأنها تثمر ثياب أهل الجنة، وأن منها الخيل بسرجهما ولُجُمها... ونحو هذا مما لا يثبت سنده. (١) أخرجه الطبري: ٤٤٣/١٦-٤٤٤، والإمام أحمد في المسند: ٧١/٣، وابن حبان برقم (٢٦٢٥) ص (٦٥٢) من موارد الظمان، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ٩١/٤ مطولاً. وانظر: كنز العمال: ٤٥٧/١٤، الدر المنثور: ٦٤٤/٤. والحديث من رواية «درّاج» (أبو السَّمْح)، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، وهو إسناد ضعيف. ونقل الإمام عبدالله بن أحمد ابن حنبل عن أبيه أن دراجاً: روايته منكراً.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير: ٤٤٣/١٦، وفيه محمد بن زياد الجريري: وهو كذاب خبيث يضع الحديث. وفرات بن أبي الفرات: قال ابن معين عنه: ليس بشيء.

انظر تعليق الشيخ محمود شاكر في الموضوع السابق.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) ساقط من «ب».

(٥) عزاه السيوطي بطوله في الدر المنثور لعبد بن حميد: ٦٤٩/٤، وقد أخرج عبد بن حميد في المنتخب ص (٤٢٤) القطعة الأولى منه، وأخرجه عن أنس ص (٣٥٦).

وأخرج القطعة الأولى منه إلى قوله: (اقرؤوا إن شئتم...): البخاري في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة: ٣١٩/٦، ومسلم في الجنة باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها... برقم (٢٨٢٦): ٢١٧٥/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٠٧/١٥.

كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي
 أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
 وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿٣٠﴾

[وهيئتها] (١) كما شاء وعن الثياب (٢).

قوله عز وجل ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ﴾: كما أرسلنا الأنبياء إلى الأمم أرسلناك إلى هذه الأمة،
 ﴿قَدْ خَلَتْ﴾، مضت، ﴿مِنْ قَبْلِهَا أُمَّةٌ لِيَتْلُوا﴾، لتقرأ، ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ
 بِالرَّحْمَنِ﴾.

قال قتادة، ومقاتل، وابن جرير: الآية مبدئية نزلت في صلح الحديبية، وذلك أن سهيل بن
 عمرو لما جاء إلى النبي ﷺ واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله ﷺ / لعلي
 رضي الله عنه: اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم»، قالوا: لا نعرف الرحمن إلا صاحب الإمامة - يعنون
 مسيلمة الكذاب - اكتب كما كنت تكتب: «باسمك اللهم»، فهذا معنى قوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ
 بِالرَّحْمَنِ﴾ (٣).

والمعروف أن الآية مكية، وسبب نزولها: أن أبا جهل سمع النبي ﷺ وهو في الحجر يدعو
 يا الله يا الرحمن، فرجع إلى المشركين فقال: إن محمداً يدعو إلهين؛ يدعو الله، ويدعو إلهاً آخر يسمى
 الرحمن، ولا نعرف الرحمن إلا رحمن الإمامة فنزلت هذه الآية، ونزل قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ
 ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٤) (الإسراء - ١١٠).

وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي
 ﷺ: اسجدوا للرحمن، قالوا: وما الرحمن؟ قال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾، لهم يا محمد إن الرحمن الذي
 أنكرتم معرفته، ﴿هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، اعتمدت ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابٍ﴾، أي: توبتي ومرجعي.

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه الطبري: ٤٣٨/١٦، وفيه شهر بن حوشب، وهو ضعيف. وعزه السيوطي أيضاً: لعبدالرزاق، وابن أبي الدنيا، وابن
 المنذر، وابن أبي حاتم.

انظر: الدر المنثور: ٦٤٣/٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٤٥/١٦-٤٤٦، وزاد السيوطي نسبه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن قتادة، ولابن المنذر عن ابن جرير.
 انظر: الدر المنثور: ٦٥٠/٤، أسباب النزول للواحدي ص (٣١٥)، القرطبي: ٣١٨/٩، البحر المحيط: ٣٩٠/٥.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٣١٨/٩، ٦٤/١٣، البحر المحيط: ٣٩٠/٥.

(٥) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣١٥)، القرطبي: ٣١٨/٩، البحر المحيط: ٣٩٠/٥.

وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلَّ اللَّهُ
 الْأَمْرَ جَمِيعًا فَلَمْ يَأْتِسْ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ
 إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾، الآية. نزلت في نفر من مشركي مكة؛ منهم أبو جهل بن هشام، وعبدالله بن أبي أمية؛ جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا إلى النبي ﷺ، فاتاهم، فقال له عبدالله بن أبي أمية: إن سرّك أن نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فأذهبها عنا حتى تنفسح، فإنها أرض ضيقة لمزارعنا، واجعل لنا فيها عيوناً وأنهاراً، لنفرس فيها الأشجار ونزرع، وتتخذ البساتين، فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود عليه السلام حيث سخر له الجبال تُسبح معه، أو سخر لنا الريح فركبها إلى الشام لميرتنا وحوادثنا ونرجع في يومنا، فقد سُخرت الريح لسليمان كما زعمت، ولست بأهون على ربك من سليمان، وأحيى لنا جدك قصياً أو مَنْ شئت من آبائنا وموتانا لنسأله عن أمرك أحق ما تقول أم باطل؟ فإن عيسى كان يحيى الموتى، ولست بأهون على الله منه فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾^(١) فأذهبت عن وجه الأرض، ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾، أي: شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً ﴿أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ واختلّفوا في جواب «لو»:

فقال قوم: جوابه محذوف، اكتفى بمعرفة السامعين مراده^(٢) وتقديره: لكان هذا القرآن، كقول الشاعر: (٣)

فَأَقْسِمُ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ * سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ تَجِدْ لَكَ مَدْفَعًا
 أراد: لرددناه، وهذا معنى قول قتادة قال: لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم .
 وقال آخرون: جواب لو مقدّم. وتقدير الكلام: وهم يكفرون بالرحمن ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سِيرَتْ
 بِهِ الْجِبَالُ﴾^(٤)، كأنه قال: لو سيرت به الجبال ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ لكفروا

(١) انظر الطبري: ٤٤٩/١٦-٤٥٠، أسباب النزول للواحي ص (٣١٦)، تفسير القرطبي: ٣١٨/٩، البحر المحيط: ٣٩١/٥،

الدر المنثور: ٦٥١/٤-٦٥٣، تفسير ابن كثير: ٤١٦/٢ .

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٨/١٦-٤٤٩، البحر المحيط: ٣٩١/٥ .

(٣) هو امرؤ القيس، والبيت في ديوانه ص (١١٣). وانظر: الطبري: ٢٧٧/١٥، ٤٤٨/١٦ .

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٦/١٦-٤٤٧، البحر المحيط: ٣٩١/٥ .

بالرحمن ولم يؤمنوا، لما سبق من علمنا فيهم، كما قال: «ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا» (الأنعام - ١١١) ثم قال:

﴿بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾، أي: في هذه الأشياء إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل .

﴿أَفَلَمْ يَأْسِرُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، قال أكثر المفسرين: معناه أفلم يعلم. قال الكلبي: هي لغة النَّعَج (١).

وقيل: لغة هوازن، يدل عليه قراءة ابن عباس: «أفلم يتبين الذين آمنوا» (٢).

وأنكر الفراء أن يكون ذلك بمعنى العلم، وزعم أنه لم يسمع أحداً من العرب يقول: يئسْتُ، بمعنى: علمتُ، ولكن معنى العلم فيه مضمَر (٣).

وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ لما سمعوا هذا من المشركين طمعوا في أن يفعلَ الله ما سألوهم فيؤمنوا فنزل: ﴿أَفَلَمْ يَأْسِرُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني: الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من إيمان هؤلاء، أي لم يأسروا علماء، وكل من علم شيئاً يئس من خلافه، يقول: ألم يئسهم العلمُ: ﴿أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ .

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا﴾، من كفرهم وأعمالهم الخبيثة ﴿قَارِعَةً﴾ أي: نازلة وداهية تفرعهم من أنواع البلاء، أحياناً بالجدب، وأحياناً بالسلب، وأحياناً بالقتل والأسر .

وقال ابن عباس: أراد بالقارعة: السرايا التي كان رسول الله ﷺ يعيظهم إليهم .

﴿أَوْ تَحُلْ﴾، يعني: السرية والقارعة، ﴿قَرِيْبًا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾، وقيل: أو تحل: أي تنزل أنت يا محمد بنفسك قريباً من ديارهم، ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ﴾، قيل: يوم القيامة. وقيل: الفتح والنصر وظهور رسول الله ﷺ ودينه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْمِيْعَادَ﴾، وكان الكفار يسألون هذه الأشياء على سبيل الاستهزاء فأنزل الله تسليمةً لنبية ﷺ:

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٠/٦، ٤٥٢-٤٥٣ مع تعليق الشيخ محمود شاكر .

(٢) الطبري: ٤٥١/١٦ .

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٥١/١٦-٤٥٢ .

هذا وقد رجح الطبري القول الأول الذي قال عنه البغوي إنه قول أكثر المفسرين، فقال: (٤٥٥/١٦): «والصواب من القول في ذلك ما قاله أهل التأويل، أن تأويل ذلك: «أفلم يتبين ويعلم»، لإجماع أهل التأويل على ذلك . فتأويل الكلام إذاً: ولو أن قرآناً سوى هذا القرآن كان سيّرت به الجبال، لسيّر بهذا القرآن، أو قطعت به الأرض، لقطعت بهذا، أو كلمت به الموتى، لكلم بهذا، ولكن لم يفعل ذلك بقرآن قبل هذا القرآن فيُفعل بهذا «بل الله الأمر جميعاً» يقول: ذلك كله إليه وبيده، يهدي من يشاء إلى الإيمان فيوفقه له، ويضل من يشاء فيخذله، أفلم يتبين الذين آمنوا بالله ورسوله = إذ طمعوا في إجابتي من سأل نبيهم ما سأله من تسيير الجبال عنهم، وتقريب أرض الشام عليهم، وإحياء موتاهم = أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً إلى الإيمان به من غير إيجاد آية ولا إحداث شيء مما سألو إحداته؟ يقول تعالى ذكره: فما معنى محبتهم ذلك، مع علمهم بأن الهداية والإهلاك إليّ ويدي، أنزلت آية أو لم أنزلها، أهدي من أشاء بغير إنزال آية، وأضل من أردت مع إنزالها .

وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِي مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ
 كَانَ عِقَابِي ﴿٣٢﴾ أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا
 لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِيْظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ
 بَلِّغْ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوهُم عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن

هَادٍ ﴿٣٣﴾

﴿ولقد استهزىء برسول من قبلك﴾، كما استهزؤوا بك، ﴿فأمليت للذين كفروا﴾، أمهلتهم وأطلت لهم المدة، ومنه «المَلَوَان»، وهما: الليل والنهار، ﴿ثم أخذتهم﴾ عاقبتهم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار، ﴿فكيف كان عقابي﴾، أي: عقابي لهم .

﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾، أي: حافظها، ورازقها، وعالم بها، ومجازيها بما عملت. وجوابه محذوف، تقديره: كمن ليس بقائم بل عاجز عن نفسه .

﴿وجعلوا لله شركاء قُل سَمُّوهُمْ﴾ يثيرون أسماءهم .

وقيل: صفوهم ثم انظروا هل هي أهل لأن تُعبد؟

﴿أم تنبؤونه﴾ أي: تخبرون الله تعالى: ﴿بما لا يعلم في الأرض﴾، فإنه لا يعلم لنفسه شريكاً ولا في الأرض لها غيره، ﴿أم بظاهر﴾ يعني: أم تتعلقون بظاهر، ﴿من القول﴾، مسموع، وهو في الحقيقة باطل لا أصل له .

وقيل: بباطل من القول، قال الشاعر:

وَعَيَّرَنِي الْوَاشُونَ أَنِّي أُجِيبُهَا * وَتِلْكَ شِكَاةُ ظَاهِرٍ عَنكَ عَارِهَا

أي: زائل^(١) .

﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾، كيدهم. وقال مجاهد: شركهم وكذبهم على الله .

﴿وصدوهم عن السبيل﴾، أي: صرفوا عن الدين .

(١) قال أبو منصور في تهذيب اللغة: «الشكاة: توضع موضع العيب والذم؛ وعير رجل عبدالله بن الزبير بأمه، فقال: يابن ذات النطاقين. فتمثل عبدالله بقول الهذلي: وتلك شكاة...»

أراد: أن تميّره إياه بأن أمه كانت ذات النطاقين ليس بعار، ومعنى قوله: «ظاهر عنك عارها» أي: ناب. أراد: أن هذا ليس عاراً يُلزق به وأنه يفتخر بذلك...»

انظر: لسان العرب لابن منظور: ٤٤٠/١٤-٤٤١ .

لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابٌ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾
 ﴿٣٥﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ
 وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
 الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ
 أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِدُ ﴿٣٦﴾

قرأ أهل الكوفة ويعقوب ﴿وَصَدُّوا﴾ وفي حم المؤمن ﴿وَصَدَّ﴾ بضم الصاد فيهما، وقرأ الآخرون بالفتح لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الحج - ٢٥)، وقوله «الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله» (النحل - ٨٨ وغيرها).

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ﴾، بخذلانه إياه، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، بالقتل والأسر، ﴿وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾، أشد، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾، مانع يمنعهم من العذاب.

قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: صفة الجنة، كقوله تعالى: «ولله المثل الأعلى» (النحل - ٦٠) أي: الصفة العليا، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، أي: صفة الجنة التي وعد المتقون أن الأنهار تجري من تحتها.

وقيل: «مثل» صلة مجازها «الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار».

﴿أَكُلُهَا دَائِمٌ﴾ أي: لا ينقطع ثمرها ونعيمها، ﴿وِظِلُّهَا﴾، أي: ظلها ظليل، لا يزول، وهو رد على الجهمية حيث قالوا إن نعيم الجنة يفنى^(١).

﴿تِلْكَ عُقْبَى﴾ أي: عاقبة ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يعني: الجنة، ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: القرآن، وهم أصحاب محمد ﷺ ﴿يَفْرَحُونَ﴾

(١) قال شارح الطحاوية عند قول الطحاوي: «والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان...» قال: ص (٤٩١-٤٩٣). «فأما أبدية الجنة، وأنها لا تفنى ولا تبيد، فهذا مما يعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ أخبر به، قال تعالى: (وأما الذين سجدوا ففي الجنة خالدون فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ) أي غير مقطوع. وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأيد في عدة مواضع من القرآن، وأخبر أنهم: (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) (الدخان - ٥٦). والأدلة من السنة على أبدية الجنة ودوامها كثيرة، كقوله: «من يدخل الجنة يتعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت» (رواه مسلم)، وقوله: «ينادي مناد: يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً» (رواه مسلم).

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ
 مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ
 وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِغَايَةِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ
 كِتَابٌ ﴿٣٨﴾

بما أنزل إليك ﴿من القرآن﴾، ﴿ومن الأحزاب﴾ يعني: الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ،
 وهم اليهود والنصارى، ﴿من ينكر بعضه﴾، هذا قول مجاهد وقتادة^(١).

١٩١ / ب

وقال الآخرون: كان ذكر الرحمن قليلاً في القرآن في الابتداء فلما أسلم / عبد الله بن سلام
 وأصحابه ساءهم قلة ذكره في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة، فلما كرر الله ذكره في القرآن
 فرحوا به فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب
 من ينكر بعضه﴾^(٢)، يعني: مشركي مكة حين كتب رسول الله ﷺ في كتاب الصلح: بسم
 الله الرحمن الرحيم، قالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن الإمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، فأنزل الله
 عز وجل^(٣): ﴿وهم بذكر الرحمن هم كفرون﴾ (الأنبياء - ٣٦) ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ (الرعد
 - ٣٠).

وإنما قال «بعضه» لأنهم كانوا لا ينكرون ذكر الله وينكرون ذكر الرحمن .
 ﴿قُلْ﴾، يا محمد، ﴿إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٌ﴾، أي:

مرجعي .

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾، يقول: كما أنزلنا إليك الكتاب يا محمد، فأنكره الأحزاب،
 كذلك أنزلنا الحكم والدين عربياً. نُسِبَ إلى العرب لأنه نزل بلغتهم فكذب به الأحزاب .
 وقيل: نظم الآية: كما أنزلت الكتب على الرسل بلغاتهم، فكذلك أنزلنا عليك الكتاب حكماً
 عربياً .

﴿وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾، في الملة. وقيل: في القبلة، ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ
 اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾، يعني: من ناصر ولا حافظ .

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾، روي أن اليهود، - وقيل: إن المشركين - قالوا:

(١) انظر: الطبري: ٤٧٣/١٦، الدر المنثور: ٦٥٨/٤ .

(٢) ذكره الماوردي واختاره الزمخشري. انظر: البحر المحيط: ٣٩٦/٥، المحرر الوجيز: ١٧٩/٨ .

(٣) انظر فيما سبق تفسير الآية (٣٠) من السورة ص (٣١٨) .

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾

إنَّ هذا الرجل ليست له همة إلا في النساء فأنزل الله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾^(١)، وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون .
 ﴿وما كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، هذا جواب عبدالله بن أبي أمية. ثم قال :
 ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، يقول لكل أمر قضاءه الله كتابٌ قد كتبه فيه ووقت يقع فيه .
 وقيل: لكل آجل أجله الله كتابٌ أثبت فيه .
 وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: أي، لكل كتاب آجلٌ ومدة، أي: الكتب المنزلة لكل واحدٍ منها وقت ينزل فيه .

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو، وعاصم ويعقوب ﴿ويُثَبِّتُ﴾
 بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد .
 واختلفوا في معنى الآية :

فقال سعيد بن جبیر، وقادة: يمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله، ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه^(٢) .

وقال ابن عباس: يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق والأجل والسعادة والشقاوة^(٣) .
 وروينا عن حذيفة بن أسيد عن النبي ﷺ: «يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النَّطْفَةِ بَعْدَمَا تَسْتَقَرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ، أَوْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فيقول: يَا رَبِّ أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فيُكْتَبَانِ، فيقول: أَيُّ رَبِّ أَذْكَرٌ أَمْ أَشَقِيٌّ؟ فيُكْتَبَانِ، وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَآثَرُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ، ثم تُطَوَّى الصَّحْفُ فلا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ»^(٤) .
 وعن عمر وابن مسعود - رضي الله عنهما - أنهما قالا: يمحو السعادة والشقاوة أيضاً، ويمحو الرزق والأجل ويثبت ما يشاء .

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول: اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبت علي الشقاوة فامحني، وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب. ومثله عن ابن مسعود .

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول ص (٣١٧) عن الكلبي بدون إسناد، وانظر: تفسير القرطبي: ٣٢٧/٩، البحر المحيط: ٣٩٧/٥ .

(٢) أخرجه الطبري: ٤٠-٣٩/١٦ .

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٥/١٦-٤٨٦، وسائر الأقوال في تفسير الآية في الصفحات التالية منه، وانظر: الدر المنثور: ٦٦٥-٦٥٩/٤ .

(٤) أخرجه مسلم في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، برقم (٢٦٤٤): ٢٠٣٧/٤ .

وفي بعض الآثار: أن الرجل يكون قد بقي من عُمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه فترد إلى ثلاثة أيام، والرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيمُدُّ إلى ثلاثين سنة .
أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد ابن زنجويه، حدثنا عبدالله بن صالح، حدثني الليث بن سعد، حدثني زيادة بن محمد الأنصاري، عن محمد بن كعب القرظي، عن فضالة بن عبيد، عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله عزَّ وجلَّ في آخر ثلاث ساعات يَتَّقِينَ من الليل، فينظر في الساعة الأولى منهن في أم الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت»^(١) .

وقيل: معنى الآية: إن الحفظة يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم، فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثوابٌ ولا عقاب، مثل قوله: أكلت، شربت، دخلت، خرجت، ونحوها من كلام هو صادق فيه، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب، هذا قول الضحاك والكلبي .
وقال الكلبي: يكتب القول كله، حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب .

وقال عطية عن ابن عباس: هو الرجل يعمل بطاعة الله عزَّ وجلَّ ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذي يمحو، والذي يثبت: الرجل يعمل بطاعة الله، فيموت وهو في طاعة الله عزَّ وجلَّ فهو الذي يثبت .

وقال الحسن: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ أي من جاء أجله يذهب به ويثبت من لم يجيء أجله إلى أجله .

وعن سعيد بن جبير قال: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ من ذنوب العباد فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها .

وقال عكرمة: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ من الذنوب بالتوبة، ويثبت بدل الذنوب حسنات، كما قال الله تعالى: «فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات» (الفرقان - ٧٠). وقال السدي: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ يعني القمر ﴿ويثبت﴾ يعني الشمس، بيانه قوله تعالى: «فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة» (الإسراء - ١٢) .

وقال الربيع: هذا في الأرواح يقبضها الله تعالى عند النوم، فمن أراد موته مَحَاهُ^(٢) فأمسكه،

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ٤٨٩/١٦، وفيه زيادة بن محمد الأنصاري: منكر الحديث .
قال الميمني في المجمع: (١٠٤/١٥٥-١٥٥). «رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبراز بنحوه، وفيه زيادة بن محمد الأنصاري، وهو منكر الحديث» .

(٢) في «ب»: فجأة .

وَإِنْ مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ تُتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ
 ﴿٤٠﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ
 وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾

ومن أراد بقاءه أثبتته وردّه إلى صاحبه، بيانه قوله عز وجل: «الله يتوفى الأنفس حين موتها» الآية (الزمر - ٤٢). ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، أي: أصل الكتاب، وهو اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير.

وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: هما كتابان: كتاب سوى أم الكتاب، يمحو منه ما يشاء ويثبت، وأم الكتاب الذي لا يُغيّر منه شيء.

وعن عطاء عن ابن عباس قال: إن الله تعالى لوحاً محفوظاً مسيرة خمسمائة عام، من درة بيضاء لها دفتان من ياقوت، لله فيه كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾. وسأل ابن عباس كعباً عن أم الكتاب؟ فقال: علم الله، ما هو خالق، وما تخلقه عاملون^(١).

﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ﴾، من العذاب قبل وفاتك، ﴿أَوْ تُتَوَفَّيَنَّكَ﴾، قبل ذلك، ﴿فَأِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾، ليس عليك إلا ذلك، ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾، الجزاء يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا﴾ يعني: أهل مكة، الذين يسألون محمداً ﷺ الآيات، ﴿أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، أكثر المفسرين على أن المراد منه فتح ديار^(٢) الشرك، فإن ما زاد في ديار الإسلام فقد نقص من ديار الشرك، يقول: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ ففتحتها لمحمد أرضاً بعد أرض حوالي أرضهم، أفلا يعتبرون؟ هذا قول ابن عباس وفتادة وجماعة^(٣).

(١) ورجح الطبري من هذه الأقوال قول الحسن ومجاهد، لأن الله تعالى ذكره توعد المشركين الذين سألوا رسول الله ﷺ الآيات بالعقوبة، وعهدهم بها، وقال لهم: «وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب»، يعلمهم بذلك أن لقصائمه فيهم أجلاً مثبتاً في كتاب، هم مؤخرون إلى وقت مجيء ذلك الأجل. ثم قال لهم: فإذا جاء ذلك الأجل، يجيء الله بما شاء ممن قد دنا أجله وانقطع رزقه، أو حان هلاكه أو اتضاعه من رفعة أو هلاك مالي، فيقضي ذلك في تخلقه، فذلك مَخُوه، ويثبت ما شاء ممن بقي أجله ورزقه وأكله، فيتركه على ما هو عليه فلا يمحوه. وبهذا المعنى جاء الأثر عن رسول الله ﷺ. ثم ساق حديث أبي الدرداء الذي سبق تخريجه آنفاً.

انظر: تفسير الطبري: (٤٨٨/١٦-٤٨٩).

(٢) في «ب»: بلاد.

(٣) انظر: الطبري: ٤٩٣/١٦-٤٩٤.

وقال قوم: هو خراب / الأرض، معناه: أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ فَنَجْرِبُهَا، وَتُهْلِكُ أَهْلَهَا، ١٩٢/أ
أَفَلَا يَخَافُونَ أَن نَفْعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ^(١)؟

قال مجاهد: هو خراب الأرض وقبض أهلها^(٢).

وعن عكرمة قال: قبض الناس. وعن الشعبي مثله.

وقال عطاء وجماعة: نقصانها موت العلماء، وذهاب الفقهاء^(٣).

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثني مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤْسَاءَ جُهَالاً فَسْتَلَوْا فَافْتَنُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(٤).

وقال الحسن: قال عبدالله بن مسعود: موث العالم ثلثة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار^(٥).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: عليكم بالعلم قبل أن يُقبض وقبضه ذهاب أهلها^(٦).

وقال علي رضي الله عنه: إنما مثل الفقهاء كمثل الأكل إذا قطعت كَفَّ لم تُعَد.

وقال سليمان: لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم الآخر، فإذا هلك الأول قيل أن يتعلم الآخر هلك الناس.

وقيل لسعيد بن جبير: ما علامة هلاك الناس؟ قال: هلاك علمائهم^(٧).

(١) الطبري: ٤٩٤/١٦.

(٢) انظر: الطبري ٤٩٥/١٦.

(٣) تفسير الطبري: ٤٩٧/١٦، الدر المنثور: ٦٦٥/٤-٦٦٦، وأخرج الحاكم في المستدرک: ٣٥٠/٢ عن ابن عباس في معنى الآية قال: ذهاب علمائها وفقهائها وخيار أهلها.

(٤) أخرجه البخاري في العلم، باب كيف يقبض العلم: ١/١٩٤، ومسلم في العلم، باب رفع العلم وقبضه، برقم (٢٦٧٣): ٤/٢٠٥٨، والمصنف في شرح السنة: ٤/١.

(٥) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم ص (٢٤٠) عن الحسن.

(٦) أخرجه عبدالرزاق في المصنف: ١٠/٢٥٢، والطبراني في الكبير: ٩/١٨٩، والدارمي في مقدمة السنن: ١/٥٤، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه: ١/٤٣، والبيهقي في المدخل إلى السنن ص (٢٧٢) وقال: هذا مرسل، وروي موصولاً من طريق الشاميين. وأنظر تعليق الدكتور محمد الأعظمي في الموضوع نفسه.

(٧) قال الطبري في التفسير: (١٦/٤٩٧-٤٩٨): «أولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: «أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا»، بظهور المسلمين من أصحاب محمد ﷺ عليها وقهرهم أهلها، أفلا يعتبرون بذلك، فيخافون ظهورهم على أرضهم وقهرهم إياهم؟ وذلك أن الله تَوَعَّدَ الَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَهُ الْآيَاتِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ بِقَوْلِهِ: «وَأَمَّا نَرِيكَ =

وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ
لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

﴿والله يخكمكم لا معقب لحكمه﴾، لا راد لقضائه، ولا ناقض لحكمه، ﴿وهو سريع
الحساب﴾.

﴿وَلَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني: من قبل مشركي مكة، والمكر: إيصال المكروه إلى
الإنسان من حيث لا يشعر.

﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾، أي: عند الله جزاء مكرهم. وقيل: إن الله خالق مكرهم جميعاً، بيده
الخير والشر، وإليه النفع والضرر، فلا يضر مكر أحد أحداً إلا بإذنه.

﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ﴾، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو ﴿الكافر﴾ على
التوحيد، وقرأ الآخرون: ﴿الكفار﴾ على الجمع. ﴿لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أي: عاقبة الدار الآخرة حين
يدخلون النار، ويدخل المؤمنون الجنة.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، إني رسوله إليكم
﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، يريد: مؤمني أهل الكتاب يشهدون أيضاً على ذلك.
قال قتادة: هو عبد الله بن سلام^(١).

وأنكر الشعبي هذا وقال: السورة مكية، وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة.
وقال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ أهو عبدالله بن سلام؟ فقال:
وكيف يكون عبدالله بن سلام وهذه السورة مكية^(٢)؟

وقال الحسن ومجاهد: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ هو الله عز وجل^(٣)، يدل عليه: قراءة
عبدالله بن عباس، ﴿وَمِنْ عِنْدِهِ﴾، بكسر الميم والدال، أي: من عند الله عز وجل، وقرأ الحسن

بعض الذي نعتهم أو توفيتك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب، ثم وبخهم تعال ذكره بسوء اعتبارهم بما يعانين من
فعل الله بضرباتهم من الكفار، وهم مع ذلك يسألون الآيات فقال: «أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها» بقهر
أهلها، والغلبة عليها من أطرافها وجوانبها، وهم لا يعتبرون بما يرون من ذلك.

(١) أخرجه الطبري عن قتادة: ٥٠٣/١٦، وحكاه أيضاً عن عبدالله بن سلام نفسه، ومجاهد.

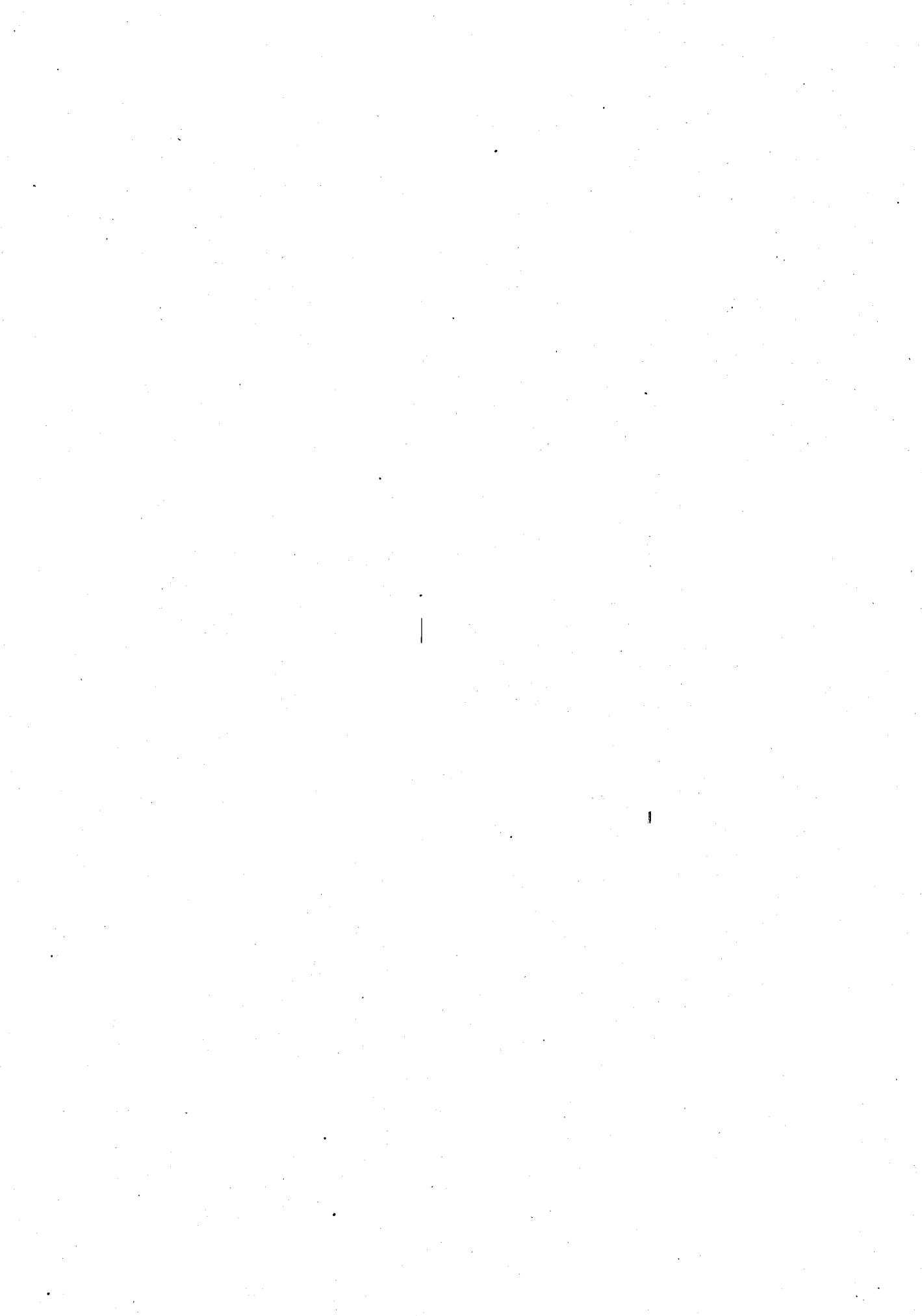
(٢) أخرجه الطبري: ٥٠٥/١٦، ٥٠٦.

(٣) انظر: الطبري: ٥٠٤/١٦، ٥٠٦.

وسعيد بن جبير ﴿وَمِنْ عِنْدِهِ﴾ بكسر الميم والذال ﴿عِلْمَ الْكِتَابِ﴾ على الفعل المجهول^(١)، دليل هذه القراءة قوله تعالى: «وعلمناه من لدنا علماً» (الكهف - ٦٥) وقوله: «الرحمن علم القرآن» (الرحمن - ٢،١) ..

(١) قال الطبري: وقد روي عن رسول الله ﷺ خير بتصحيح هذه القراءة وهذا التأويل، غير أن في إسناده نظراً. ثم ساق حديثاً منقطع الإسناد. انظر: تفسير الطبري ٥٠٦/١٦ .
وقال الهيثمي فيه: «رواه أبو يعلى، وفيه سليمان بن أرقم وهو متروك» انظر: مجمع الزوائد: ١٥٥/٧ .

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ



سُورَةُ اِبْرَاهِيْمَ

مكية [وهي إحدى وخمسون] (١) آية إلا آيتين من قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ إلى قوله: ﴿فإن مصيركم إلى النار﴾ (٢).

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الرَّكِتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ
إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ

﴿الرَّكِتَبُ﴾ أي: هذا كتاب ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾، يا محمد يعني: القرآن، ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: لتدعوهم من ظلمات الضلالة إلى نور الإيمان (٣)، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾، [بأمر ربهم] (٤).

وقيل: بعلم ربهم (٥).

- (١) ما بين القوسين ساقط من «أ».
- (٢) أخرج النحاس في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سورة إبراهيم عليه السلام نزلت بمكة سوى آيتين، وهما: «ألم تر إلى الذين...» نزلتا في قتل بدر من المشركين. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس وعن الزبير: نزلت سورة إبراهيم عليه السلام بمكة. قال ابن الجوزي: وهي مكية من غير خلاف علمناه بينهم إلا ما روي عن ابن عباس وقتادة.. انظر: الدر المنثور: ٣/٥، المهر الوجيز: ١٩٢/٨، البحر المحيط: ٤٠٣/٥، زاد المسير: ٣٤٣/٤.
- (٣) انظر: الطبري: ٥١١/١٦-٥١٢.
- (٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».
- (٥) قال أبو جعفر الطبري في التفسير: (٥١٢/١٦): «وأضاف تعالى ذكره إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم لهم بذلك، إلى نبيه ﷺ، وهو الهادي خلقه، والموفق من أحب منهم للإيمان، إذ كان منه دعاؤهم إليه، وتعريفهم ما لهم فيه وعلوهم. فبين بذلك صحة قول أهل الإثبات الذين أضافوا أفعال العباد إليهم كسباً، وإلى الله جل ثناؤه إنشاءً وتدبيراً، وفساد قول أهل القدر الذين أنكروا أن يكون لله في ذلك صنعاً».

اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ
شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾

﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ أي: إلى دينه، و«العزيز»، هو الغالب، و«الحميد»: هو المستحق
للحمد .

﴿اللَّهُ الَّذِي﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر: ﴿اللَّهُ﴾ بالرفع على الاستئناف، وخبره فيما بعده .
وقرأ الآخرون بالخفض نعتاً للعزيز الحميد^(١) .

وكان يعقوب إذا وصل خفض .

وقال أبو عمرو: الخفض على التقديم والتأخير، مجازه: إلى صراط الله العزيز الحميد^(٢)، ﴿الذي
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾^(٣) .
﴿الذين يستحبون﴾، يختارون، ﴿الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله﴾، أي:

(١) انظر: الطبري: ٥١٢/١٦-٥١٣ .

(٢) قال الطبري: (٥١٣/١٦-٥١٤): «وقد اختلف أهل العربية في تأويله إذا قرئ كذلك :

فذكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقرؤه بالخفض، ويقول: معناه: بإذن ربهم إلى صراط (الله) العزيز الحميد الذي
له ما في السموات. ويقول: هو من المؤخر الذي معناه التقديم، ويمثله بقول القائل: «مررت بالظريف عبدالله»، والكلام
الذي يوضع مكان الاسم التثنية، ثم يجعل الاسم مكان النعت، فيتبع إعرابه إعراب النعت الذي وضع موضع الاسم،
كما قال بعض الشعراء :

لو كنتُ ذا ثبَلٍ وذا شَرِبٍ • ما حَفِئْتُ شَدَاتِ الخَبِيثِ السَّدْبِ

وأما الكسائي؛ فإنه كان يقول فيما ذكر عنه؛ من خفض أراد أن يجعله كلاماً واحداً، وأتبع الخفضَ الخفضَ، وبالخفض
كان يقرأه ثم قال: «والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان؛ قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء،
معناها واحد، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب .

وقد يجوز أن يكون الذي قرأ بالرفع أراد معنى مَنْ خَفَضَ في إتياع الكلام بعضه بعضاً، ولكنه رفع لانفصاله من الآية
التي قبله، كما قال جل ثناؤه: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم» إلى آخر الآية ثم قال: «التائبون العابدون» (سورة
التوبة: ١١١-١١٢) .

(٣) قال الطبري: (٥١٤/١٦): «ومعنى قوله: «الله الذي له ما في السموات وما في الأرض»، الله الذي يملك جميع ما في السموات
وما في الأرض .

يقول لبيبة محمد ﷺ: أنزلنا إليك هذا الكتاب لتدعو عبادي إلى عبادة من هذه صفته، ويدعوا عبادة من لا يملك لهم
ولا لنفسه ضراً ولا نفعاً من الآلهة والأوثان. ثم توعد جل ثناؤه من كفر به، ولم يستجب لدعاء رسوله إلى ما دعاه إليه
من إخلاص التوحيد له، فقال: «وويل للكافرين من عذاب شديده»، يقول: الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم،
لمن جحد وحدانيته، وعبد معه غيره، من عذاب الله الشديده .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

يمنعون الناس عن قبول دين الله، ﴿ويغونها عوجاً﴾ أي: يطلبونها زيغاً وميلاً، يريد: يطلبون سبيل الله جائرين عن القصد .

وقيل: الهاء راجعة إلى الدنيا، معناه: يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق، أي: لجهة الحرام. ﴿أولئك في ضلالٍ بعيدٍ﴾ (١) .

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسانٍ قومه ليبيِّن لهم﴾، بلغتهم ليفهموا عنه .
فإن قيل: كيف هذا وقد بعث النبي ﷺ إلى كافة الخلق؟

قيل: بُعث من العرب بلسانهم، والناس تبع لهم، ثم بثَّ الرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله عزَّ وجلَّ ويترجمون لهم بألسنتهم (٢) .

﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾ أي: من الكفر إلى الإيمان بالدعوة، ﴿وذكِّرهم بأيام الله﴾، قال ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد وقتادة: بنعم الله (٣) .

(١) يعني: هؤلاء الكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة، هم في ذهابٍ عن الحق بعيدٍ، وأخذ على غير هدى، وجورٍ عن قصد السبيل .

انظر: تفسير الطبري: ٥١٥/١٦ .

(٢) أورد محمد بن أبي بكر الرازي هذا السؤال مطولاً، وأجاب عنه من وجوه :

الأول: إن نزول القرآن على النبي عليه الصلاة والسلام بلسانٍ واحد كافٍ، لأن الترجمة لأهل بقية الألسن تغني عن نزوله لجميع الألسن، ويكفي التطويل، كما جرى في القرآن العزيز .

الثاني: أن نزوله بلسان واحد أبعد عن التحريف والتبديل، وأسلم من التنازع والخلاف .

الثالث: أنه لو نزل بألسنة الناس وكان معجزاً في كل واحد منها، وكلم الرسول العربي كل أمة بلسانها كما كلم أمته التي هو منها لكان ذلك أمراً قريباً من القسر والإجاء، وبعثة الرسل لم تُبَيَّن على القسر والإجاء، بل على التمكن من الاختيار، فلما كان نزوله بلسان واحد كافياً كان أولى الألسنة قوم الرسول، لأنهم أقرب إليه وأفهم عنه .

انظر: مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل، محمد بن عبدالقادر الرازي الحنفي ص (١٥٧-١٥٨) .

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٠/١٦-٥٢٣، الدر المنثور: ٦/٥ .

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ
يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ
بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ
وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾

وقال مقاتل: بوقائع الله في الأمم السالفة. يقال: فلان عالم بأيام العرب، أي بوقائعهم، وإنما أراد بما كان في أيام الله من النعمة والحنة، فاجتزأ بذكر الأيام عنها لأنها كانت معلومة عندهم^(١).
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَابِرٍ شَكُورٍ﴾، و«الصَّابِرُ»: الكثير الصبر، و«الشكور»: الكثير الشكر، وأراد: لكل مؤمن، لأن الصبر والشكر من خصال المؤمنين.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(٢) إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم، قال الفراء: العلة الجالبة لهذه الواو أن الله تعالى أخبرهم أن آل فرعون كانوا يعذبونهم بأنواع من العذاب غير التذبيح، وبالتذبيح، وحيث طرح الواو في «يذبحون» و«يقتلون» أراد تفسير العذاب الذي كانوا يسومونهم^(٣)، ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾، يتركوهن أحياء ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾^(٤).

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾، أي: أعلم، يقال: أذَّن وتَأَذَّن بمعنى واحد، مثل أَوْعَدَ وتَوَعَّدَ، ﴿لَئِن

(١) ورد الطبري هذا القول والشاهد الذي استشهدوا به على ذلك، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز: (٢٠٣/٨): «ولفظة «الأيام» تعم المعنيين، لأن التذكير يقع بالوجهين جميعاً».

(٢) أخرج الطبري عن ابن عيينة في تفسيرها، قال: أيادي الله عندهم وأيامه.

(٣) وزاد الطبري ذلك بيانا فقال في التفسير: (٥٢٤/١٦):

«وَأَدْخَلَتِ الْوَاوُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِقَوْلِهِ: «وَيَذَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ» الْخَيْرُ عَنْ أَنَّ آلَ فِرْعَوْنَ كَانُوا يَعَذِّبُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ غَيْرِ التَّذْبِيحِ وَبِالتَّذْبِيحِ. وَأَمَّا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ جَاءَ بِغَيْرِ الْوَاوِ: «يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَذَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ» (البقرة - ٤٩) فِي مَوْضِعٍ، وَفِي مَوْضِعٍ: «يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ» (الأعراف - ١٤١)، وَلَمْ تَدْخُلِ الْوَاوُ فِي الْمَوْضِعِ الَّتِي لَمْ تَدْخُلْ فِيهَا لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِقَوْلِهِ: «يَذَّبِحُونَ» وَبِقَوْلِهِ: «يَقْتُلُونَ»: تَبْيِينَهُ صِفَاتِ الْعَذَابِ الَّتِي كَانُوا يَسُومُونَهُمْ. وَكَذَلِكَ الْعَمَلُ فِي كُلِّ جُمْلَةٍ أُرِيدَ تَفْصِيلُهَا، بِغَيْرِ الْوَاوِ تَفْصِيلُهَا، وَإِذَا أُرِيدَ الْعَطْفُ عَلَيْهَا بِغَيْرِهَا وَغَيْرِ تَفْصِيلِهَا فَبِالْوَاوِ». وراجع ما كتبه - بتفصيل أوسع - أبو جعفر بن إبراهيم بن الزبير الفَرْنَاطِيُّ فِي كِتَابِهِ «مَلَكُ التَّأْوِيلِ» تَحْقِيقَ د. مَحْمُودِ كَامِلِ أَحْمَدَ: ٥٧-٥٣/١.

(٤) يقول تعالى: فيما يصنع بكم آل فرعون من أنواع العذاب، بلاء لكم من ربكم عظيم، أي: ابتلاء واختبار لكم، من ربكم عظيم. وقد يكون «البلاء» في هذا الموضع نعمة، وقد يكون من البلاء الذي يصيب الناس من الشدائد.

انظر: تفسير الطبري: ٥٢٥/١٦.

وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ الْمَرِيَاتِ كُمْ
 نَبِؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا
 اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا
 أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٩﴾

شكرتم ﴿٨﴾ نعمتي فأنتم وأطعتم ﴿٩﴾ لأزيدنكم ﴿٨﴾ في النعمة .

وقيل: الشكر: قيد الموجود، وصيد المفقود .

وقيل: لئن شكرتم بالطاعة لأزيدنكم في الثواب .

﴿ولئن كفرتم﴾، نعمتي فجحدتموها ولم تشكروها، ﴿إن عذابي لشديد﴾ (١) .

﴿وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد﴾، أي: غني عن

خلقه، حميد محمود في أفعاله، لأنه فيها متفضل وعادل .

﴿لم يأتكم نبأ الذين﴾، خبر الذين، ﴿من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم

لا يعلمهم إلا الله﴾، يعني: من كان بعد قوم نوح وعاد / وثمود .

ب/١٩٢

وروي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية ثم قال: كذب النسأبون (٢) .

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: بين إبراهيم وبين عدنان ثلاثون قرناً لا يعلمهم

إلا الله تعالى (٣) .

وكان مالك بن أنس يكره أن ينسب الإنسان نفسه أباً أباً إلى آدم، وكذلك في حق النبي

ﷺ لأنه لا يعلم أولئك الآباء أحد إلا الله عز وجل .

(١) قال الطبري: (٥٢٨/١٦): وقوله: «ولئن كفرتم...» يقول: ولئن كفرتم، أيها القوم، نعمة الله، فجحدتموها بترك شكره عليها وخلافه في أمره ونبيه، وركوبكم معاصيه = «إن عذابي لشديد»، أعذبكم كما أعذب من كفر بي من خلقي .

(٢) أخرجه الطبري: ٥٢٩/١٦ و٥٣٠، وزاد السيوطي نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور: ٩/٥ .

(٣) وروي عن ابن عباس أنه قال: «كان بين زمن موسى وبين زمن نوح قرون ثلاثون لا يعلمهم إلا الله» .

وحكى عنه المهدي أنه قال: «كان بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون»، وقال ابن عطية بعد أن ساق هاتين الروايتين في المحرر الوجيز: ٢٠٦/٨: «وهذا الوقوف على عدتهم بعيد، ونفي العلم بها جملةً أصح، وهو لفظ القرآن» .

ونقل ابن الجوزي في زاد المسير: (٣٤٨/٢) عن ابن الأبياري، في تفسير الآية، قال: أي: لا يحصي عددهم إلا هو، على أن الله تعالى أهلك أمماً من العرب وغيرها، فانقطعت أخبارهم، وعفت آثارهم، فليس يعلمهم أحد إلا الله .

وانظر: تفسير القرطبي: ٣٤٤/٩، ٣٤٥ .

﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ
مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ
أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾

﴿جاءتهم رسالهم بالبينات﴾ بالدلالات الواضحات، ﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾، قال ابن مسعود: عضوا على أيديهم غيظاً^(١) كما قال «عضوا عليكم الأنامل من الغيظ» (آل عمران - ١١٩). قال ابن عباس: لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم^(٢). قال مجاهد وقتادة: كذبوا الرسل وردوا ما جاؤوا به^(٣)، يقال: رددت قول فلان في فيه أي كذبتة.

وقال الكلبي: يعني أن الأمم ردوا أيديهم في أفواه أنفسهم، أي: وضعوا الأيدي على الأفواه إشارة إلى الرسل إن اسكتوا.

وقال مقاتل: فردوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم بذلك^(٤). وقيل: الأيدي بمعنى النعم. معناه: ردوا ما لو قبلوا كانت أيادي ونعماً في أفواههم، أي: بأفواههم، يعني بألستهم.

﴿وقالوا﴾ يعني الأمم للرسل، ﴿إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب﴾، موجب للريبة موقع للتهمة. ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾، هذا استفهام بمعنى نفي ما اعتقدوه، ﴿فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، خالقهما^(٥)، ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، أي: ذنوبكم و«من» صلة،

(١) أخرجه عبدالرزاق، والفريراني، وأبو عبيد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وصححه الحاكم في المستدرک، قال الهيثمي: «رواه الطبراني عن شيخه عبدالله بن محمد وهو ضعيف» انظر: الدر المنثور: ١٠/٥، زاد المسير: ٣٤٨/٤، جمع الزوائد: ٤٣/٧.

(٢) انظر: زاد المسير: ٣٤٩/٤، البحر المحيط: ٤٠٨/٥.

(٣) انظر: الدر المنثور: ١٠/٥، وقد عزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة، ولأبي عبيد وابن المنذر عن مجاهد.

(٤) انظر: البحر المحيط: ٤٠٨/٥.

وقال الطبري في التفسير: (٥٣٥/١٦): «وأشبه هذه الأقوال عندي بالصواب في تأويل هذه الآية: القول الذي ذكرناه عن عبدالله بن مسعود: أنهم ردوا أيديهم في أفواههم، فعضوا عليها، غيظاً على الرسل، كما وصف الله جل وعز به إخوانهم من المناققين، فقال: (وإذا تحلوا عضواً عليكم الأنامل من الغيظ) (سورة آل عمران - ١١٩)، فهذا هو الكلام المعروف، والمعنى المفهوم من «رد اليد إلى الفم».

(٥) في «ب»: خالق السموات والأرض.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ
 وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
 ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا
 وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ
 أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾
 وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، إلى حين استيفاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب .
 ﴿قَالُوا﴾، للرسول: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلَنَا﴾، في الصورة، ولستم ملائكة وإنما، ﴿تريدون﴾،
 بقولكم، ﴿أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، حجة بينة على صحة دعواكم .
 ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، بالنبوة
 والحكمة، ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) .
 ﴿وَمَا لَنَا أَنْ لَا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ وقد عرفنا أن لا تنال شيئاً إلا بقضائه وقدره، ﴿وقد هَدَانَا
 سُبُلَنَا﴾، بين لنا الرشد، وبصّرنا طريق النجاة. ﴿ولَنَصْبِرَنَّ﴾، اللام لام القسم، مجازة: والله لَنَصْبِرَنَّ،
 ﴿على مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ .
 ﴿وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودنَّ في ملتنا﴾، يَعْنُونَ: إلا أن
 ترجعوا، أو حتى ترجعوا إلى ديننا (٢) .
 ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد هلاكهم .

(١) أي: وما كان لنا أن نأتيكم بحجة وبرهان على ما ندعوكم إليه «إلا بإذن الله»، يقول: إلا بأمر الله لنا بذلك «وعلى الله
 فليتوكل المؤمنون» يقول: وبالله فليثق به من آمن به وأطاعه، فإننا به نتق، وعليه نتوكل .

انظر: تفسير الطبري: ٥٣٨/١٦ .

(٢) قال الرازي: فإن قيل: كيف قالوا لرسولهم «أو لتعودنَّ..» والرسول لم يكونوا على ملة الكفار قط... فالجواب من وجوه:
 الأول: أن العود في كلام العرب يستعمل كثيراً بمعنى الصيرورة، يقولون: عاد فلان يكلمني، وعاد فلان مأل، وأشباه
 ذلك. ومنه قوله تعالى: «حتى عاد كالعرجون القديم» .

الثاني: أنهم خاطبوا الرسول بذلك بناء على زعمهم الفاسد واعتقادهم أن الرسل كانوا أولاً على ملل قومهم، ثم انتقلوا عنها .
 الثالث: أنهم خاطبوا كل رسول ومن آمن به، فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد .

انظر: مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل ص (١٥٩) .

وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ

صَدِيدٍ ﴿١٦﴾

﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ أي: قيامه بين يدي كما قال: «ولمن خاف مقام ربه جنتان» (الرحمن - ٤٦)، فأضاف قيام العبد إلى نفسه، كما تقول: نَدِمْتُ على ضربك أي على ضربي إياك، ﴿وَوَخَّافٍ وَعَبِيدٍ﴾ أي عقابي .

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾ أي: استنصروا. قال ابن عباس ومقاتل: يعني الأمم، وذلك أنهم قالوا: اللهم إن كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا، نظيره قوله تعالى: «وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء» (الأنفال - ٣٢) .

وقال مجاهد وقتادة: واستفتحوا يعني الرسل وذلك أنهم لما يمسوا من إيمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب، كما قال نوح عليه السلام: «رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَهْرًا» (نوح - ٢٦) وقال موسى عليه السلام: «رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ»، الآية (يونس - ٨٨) .

﴿وَوَخَّابٍ﴾، خسِر. وقيل: هلك، ﴿كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ والجَبَّار: الذي لا يرى فوقه أحداً. والجبرية: طلب العلو بما لا غاية وراءه^(١). وهذا الوصف لا يكون إلا لله عَزَّ وَجَلَّ .

وقيل: الجَبَّار: الذي يجبر الخلق على مراده، والعنيد: المعاند للحق ومجانبه. قاله مجاهد . وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - : هو المعرض عن الحق . قال مقاتل: هو المتكبر .

وقال قتادة: «العنيد»: الذي أبا أن يقول لا إله إلا الله^(٢) .

﴿مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ أي: أمامه، كقوله تعالى «وكان وراءهم ملك» (الكهف - ٧٦) أي: أمامهم^(٣) .

(١) ومن «الجبار»، تقول: هو جَبَّارٌ بَيْنَ الْجَبْرِيَّةِ، وَالْجَبْرِيَّةِ، وَالْجَبْرُوتِ، وَالْجَبْرُوتِ، وَالْجَبْرُوتِ . انظر: تفسير الطبري: ٥٤٣/١٦ .

(٢) انظر في هذه الأقوال: الدر المنثور: ١٤/٥-١٥، والطبري: ٥٤٣/١٦-٥٤٥ .

(٣) وكان بعض نحويي أهل البصرة يقول: إنما يعني بقوله: «من وراءه» أي من أمامه، لأنه وراء ما هو فيه، كما يقول لك: «وكل هذا من وراءك»، أي سيأتي عليك، وهو من وراء ما أنت فيه، لأن ما أنت فيه قد كان قبل ذلك وهو من وراءه . وكان بعض نحويي أهل الكوفة يقول: أكثر ما يجوز هذا في الأوقات، لأن الوقت يمر عليك، فيصير خلفك إذا جُرْتَه... انظر: تفسير الطبري: ٥٤٧/١٦ .

يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ
بِمِيتٍ وَمَنْ وَرَاءَهُ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾

قال أبو عبيدة: هو من الأضداد^(١).

وقال الأخفش: هو كما يقال هذا الأمر من ورائك يريد أنه سيأتيك، وأنا من وراء فلان يعني أصل إليه^(٢).

وقال مقاتل: «من ورائه جهنم» أي: بعده^(٣).

﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ أي: من ماءٍ هو صديدٌ، وهو ما يسيل من أبدان الكفار من القيح والدم^(٤).

وقال محمد بن كعب: ما يسيل من فروج الزناة، يُسْقَاهُ الكافر^(٥).

﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾: أي: يتحسأه ويشربه، لا بمرّة واحدة، بل جرعةً جرعةً، لمرارته وحرارته، ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾، و«يكاد»: صلة، أي: لا يسيفه، كقوله تعالى: «لم يكذبها» (النور - ٤٠) أي: لم يرها.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: لا يجيزه.

وقيل: معناه يكاد لا يسيفه، ويسيفه فيغلي في جوفه.

(١) انظر: الطبري: ٥٤٧/١٦، وقال الزجاج: الراء يكون بمعنى الخلف والقدام... وليس من الأضداد. انظر: زاد المسير: ٣٥٢/٤.

(٢) انظر التعليق قبل السابق.

(٣) قال ابن الأنباري: «من ورائه» أي: من بعد رأسه، فدلّ «خاب» على اليأس، فكنى عنه، وحملت «وراء» على معنى «بعد»، كما قال النابغة:

خَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً • وليس وراء الله للمرء منذهب
أراد: ليس بعد الله منذهب.

انظر: زاد المسير: ٣٥٢/٤.

(٤) انظر: الطبري ٥٤٨/١٦، الدر المنثور: ١٥/٥ وعزاه فيه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في البعث والنشور عن مجاهد.

وانظر: زاد المسير: ٣٥٣-٣٥٢/٤.

(٥) في زاد المسير: (٣٥٣/٤) عن محمد بن كعب: هو غسالة أهل النار، وذلك ما يسيل من فروج الزناة.

وقال ابن قتيبة: المعنى: يسقى الصديد مكان الماء، كأنه قال: يُجْعَلُ مَاءُهُ صَدِيدًا، ويجوز أن يكون على التشبيه، أي: يُسْقَى مَاءً كَأَنَّهُ صَدِيدٌ.

انظر: القرطبي، أو كتابي مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة، جمع بينهما: ابن مطرف الكنايني: ٢٣٦/١.

مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ
لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن صفوان بن عمرو، عن عبيد الله بن يسر، عن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ في قوله: «ويسقى من ماء صديد يتجرعه»، قال: يقرب إلى فيه فيتكرهه، فإذا أدنى منه شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه، حتى يخرج من دُبُرِهِ، يقول الله عز وجل: «وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم» (محمد - ١٥)، ويقول: «وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه»^(١) (الكهف - ٢٩).

وقوله عز وجل: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾، يعني: يجدهم الموت وألمه من كل مكان من أعضائه.

قال إبراهيم التيمي: حتى من تحت كل شعرة من جسده.

وقيل: يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه، ومن فوقه ومن تحته، وعن يمينه وعن شماله.

﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، فيستريح، قال ابن جريج: تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت، ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتنبه الحياة. نظيرها «ثم لا يموت فيها ولا يحيى» (الأعلى - ١٣).

﴿وَمِنْ وَرَائِهِ﴾، أمامه، ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾، شديد، وقيل: العذاب الغليظ الخلود في النار.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ يعني: أعمال الذين كفروا بربههم - كقوله تعالى: «ويوم

القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة» (الزمر - ٦٠) - أي: ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة، ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾، وصف اليوم بالعصف، والعصف

من صفة الريح لأن الريح تكون فيها، كما يقال: يومٌ حار ويوم بارد، لأن الحر والبرد فيه. وقيل: معناه: في يوم عاصف الريح، فحذف الريح لأنها قد ذكرت من قبل. وهذا مثل ضربه

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ٥٤٩/١٦-٥٥٠، والترمذي في أبواب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار: ٣٠٣/٧-٣٠٤، وقال: «هذا حديث غريب، هكذا قال محمد بن إسماعيل عن عبيد الله بن يسر، ولا يعرف عبيد الله بن يسر إلا في هذا الحديث».

وأخرجه الحاكم في المستدرک: ٣٥١/٢ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢٦٥/٥، والمصنف في شرح السنة: ٢٤٣/١٥-٢٤٤.

وضعفه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح: ١٥٨١/٣.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَدَنَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾

الله لأعمال الكفار، يريد: أنهم لا ينتفعون بأعمالهم التي عملوها في الدنيا لأنهم أشركوا فيها غير الله كالرماد الذي ذرته الريح لا ينتفع به، فذلك قوله تعالى:

﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾، يعني: الكفار ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾، في الدنيا، ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾، في الآخرة، / ﴿ذَلِكَ﴾ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، قرأ حمزة والكسائي «خالق السموات والأرض» وفي سورة النور «خالق كل دابة» مضافاً .

وقرأ الآخرون ﴿خلق﴾ على الماضي ﴿والأرض﴾ وكل بال نصب .
﴿بالحق﴾ أي: لم يخلقها باطلاً وإنما خلقها لأمرٍ عظيم، ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، سواكم أطوع الله منكم .

﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾، منيع شديد، يعني أن الأشياء تسهل في القدرة، لا يصعب على الله تعالى شيء وإن جلَّ وعَظُم .

قوله عز وجل: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [أي: خرجوا من قبورهم إلى الله وظهروا جميعاً] (١) ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾، يعني: الأتباع، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾، أي: تكبروا على الناس وهم القادة والرؤساء: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع، مثل: حرس وحارس، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ﴾، دافعون، ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ .

﴿قالوا﴾، يعني القادة المتبوعين: ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾، أي: لو هدانا الله لدعوناكم إلى الهدى، فلما أضلنا دعوناكم إلى الضلالة (٢)، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾، مهرب ولا منجاة .

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) في «أ»: الضلالة .

قال مقاتل: يقولون في النار: تعالوا نجزع، فيجزعون خمسمائة عام، فلا ينفعهم الجزع، ثم يقولون: تعالوا نصبر، فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم، فحينئذ يقولون: «سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص»^(١).

قال محمد بن كعب القرظي^(٢): بلغني أن أهل النار استغاثوا بالخزنة . فقال الله تعالى: «وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب» (غافر - ٤٩)، فردت الخزنة عليهم: «أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رَسَلِكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى»، فردت الخزنة عليهم: «ادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال» (غافر - ٥٠) فلما يسوسوا مما عند الخزنة نادوا «يا مالك ليقض علينا ربك» (الزخرف - ٧٧) سألوا الموت، فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ستون وثلاثمائة يوماً، واليوم كألف سنة مما تعدون، ثم لحظ إليهم بعد الثمانين إنكم ما كنون، فلما يسوسوا مما قبله قال بعضهم لبعض: إنه قد نزل بكم من البلاء ما ترون فهلموا فلنصبر، فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله فنفعهم، فأجمعوا على الصبر، فطال صبرهم ثم جزعوا فنادوا: «سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص»، أي: من منجا .

قال: فقام إبليس عند ذلك فخطبهم، فقال: «إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ» الآية، فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم فنودوا: «لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرَ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ» (غافر - ١٠) قال فنادوا الثانية: «فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون»، فرد عليهم: «ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها» الآيات (السجدة - ١٢، ١٣) فنادوا الثالثة: «ربنا أخرجنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وتتبع الرسل» (إبراهيم - ٤٤)، فرد عليهم: «أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالِ» الآيات (إبراهيم - ٤٤)، ثم نادوا الرابعة: «ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل» فرد عليهم: «ألم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير»، الآية (فاطر - ٣٧) قال: فمكث عليهم ما شاء الله، ثم ناداهم: «ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون»، فلما سمعوا ذلك قالوا: الآن يرحمنا، فقالوا عند ذلك: «ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون»، قال عند ذلك «اخسئوا فيها ولا تكلمون» (المؤمنون ١٠٥-١٠٨) فانقطع عند ذلك الرجاء والدعاء عنهم، فأقبل بعضهم على بعض ينبع بعضهم في وجوه بعض، وأطبقت عليهم النار .

(١) رواه الطبراني عن كعب بن مالك مرفوعاً، وأخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه وفيه أنس بن القاسم. قال ابن أبي حاتم: هو مجهول .

انظر: مجمع الزوائد: ٤٣/٧، الدر المنثور: ١٧/٥، الجرح والتعديل: ٢٨٨/٢ .

(٢) انظر: الدر المنثور: ١٨/٥، تفسير الطبري: ٥٦٤/١٦ .

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي وَلَوْ مَوْأَنْفُسِكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾، يعني: إبليس، ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾، أي: فرغ منه فأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

قال مقاتل: يوضع له منبر في النار، فيراه فيجتمع عليه الكفار باللائمة فيقول لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ﴾، فوفى لكم به، ﴿وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾، وقيل: يقول لهم: قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار. ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾، ولاية. وقيل: لم آتكم بحجة فيما دعوتكم إليه، ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾، هذا استثناء منقطع معناه: لكن ﴿دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي وَلَوْ مَوْأَنْفُسِكُمْ﴾، بإجابتي ومتابعتي من غير سلطان ولا برهان، ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ﴾، بمغيبكم، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي﴾، بمغيبتي.

قرأ الأعمش وحمزة ﴿بِمُصْرِحِي﴾ بكسر الياء، والآخرون بالنصب لأجل التضعيف، ومن كسر فلا لتقاء الساكنين، حرّكت إلى الكسر، لأن الياء أخت الكسرة، وأهل النحو لم يرضوه، وقيل: إنه لغة بني يربوع. والأصل ﴿بِمُصْرِحِي﴾ فذهبت النون لأجل الإضافة، وأدغمت ياء الجماعة في ياء الإضافة^(١).

﴿إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: كفرت بجعلكم إياي شريكاً في عبادته وتبرأت من ذلك.

﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾، الكافرين، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنبأنا محمد بن أحمد الحارث، أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنبأنا عبدالله بن محمود، حدثنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، حدثنا عبدالله بن المبارك، عن رشدين بن سعد، أخبرني عبدالرحمن بن زياد، عن دحّين الحجري، عن عقبه بن عامر - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة ذكر الحديث ثم قال: «يقول عيسى عليه السلام ذلكم النبي الأمي فيأتوني فيأذن الله لي أن أقوم فيثور من مجلسي من أطيب ريح شمهأ أحد، حتى

(١) انظر: البحر المحيط: ٤١٩/٥، زاد المسير: ٣٥٧/٤.

وَأَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾

آتي ربي عز وجل فيشفعني ويجعل لي نوراً من شعر رأسي إلى ظفر قدمي، ثم يقول الكفار: قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا؟ فيقولون: ما هو غير إبليس، هو الذي أضلنا، فيأتونه فيقولون له: قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا، فإنك أنت أضللتنا. فيقوم فيثور من مجلسه أثنان ربح شَمَّها أحد، ثم تعظم جهنم^(١)، ويقول عند ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ﴾، الآية^(٢).

قوله عز وجل: ﴿وَأَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾، يسلم بعضهم على بعض، وتسلم الملائكة عليهم .
وقيل: المحيي بالسلام هو الله عز وجل .

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾، ألم تعلم، والمثل: قول سائر لتشبيه شيء بشيء. ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، هي قول: لا إله إلا الله، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، وهي النخلة يريد كشجرة طيبة الثمر^(٣) .

(١) في «ب»: «يعظم لجهنم» وكذلك في الطبري. وفي الطبعة البولاقية منه «بعضم تحييمهم». قال الشيخ شاکر: وهو غير ما اتفقت عليه المخطوطة، والدر المنثور، وابن كثير،... وأنا في شك من الكلمة، وظني أنها: «يُقَطَّم لجهنم» من قولهم: «قَطَّم الشارب»: إذا ذاق الشراب فكرهه، وزوى وجهه، وقطَّب .

(٢) أخرجه الدرهمي في الرقائق، باب في الشفاعة: ٣٢٧/٢، وابن جرير الطبري في التفسير: ٥٦٢/١٦-٥٦٣ .
وعزه السيوطي لابن المبارك في الزهد، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، وابن عساکر. وقال: «أخرجوه بسند ضعيف» .

وقال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه عبدالرحمن بن زياد، وهو ضعيف، وقال الشيخ محمود شاکر: وهذا خير ضعيف، لا يقوم .
ورشدين بن سعد المصري: ضعيف متروك، عنده معاضيل ومناكير. انظر: الدر المنثور: ١٨/٥، مجمع الزوائد: ٣٧٦/١٠، انظر: الدر المنثور: ١٨/٥، مجمع الزوائد: ٣٧٦/١٠، تفسير ابن كثير: ٥٣٠/٢ .

(٣) وهذا ما رجحه الطبري في التفسير: ٥٧٣/١٦، لصحة الخبر في ذلك عن رسول الله ﷺ فيما رواه عبدالله بن عمر رضي عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنما مثل المسلم، فحدثنوني ما هي؟» فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبدالله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: فقال: «هي النخلة» .

أخرجه البخاري في العلم، باب قول المحدث حدثنا وأخبرنا: ١٤٥/١، وفي البيوع وفي التفسير وفي مواضع أخرى، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب مثل المؤمن مثل النخلة، برقم (٢٨١١): ٤/٢١٦٤-٢١٦٥، والمصنف في شرح السنة: ٣٠٧/١ .

تَوْتِي أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٥﴾

وقال ظبيان عن ابن عباس^(١): هي شجرة في الجنة^(٢).

﴿أصلها ثابت﴾، في الأرض، ﴿وَفَرَعُهَا﴾، أعلاها، ﴿في السماء﴾، كذلك أصل هذه الكلمة: راسخ في قلب المؤمن بالمعرفة والتصديق، فإذا تكلم بها عرجت، فلا تحجب حتى تنتهي إلى الله عز وجل. قال الله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ (فاطر - ١٠).

﴿تَوْتِي أَكْلَهَا﴾، تعطي ثمرها، ﴿كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ / والحين في اللغة هو الوقت . ١٩٣ / ب
وقد اختلفوا في معناه هاهنا فقال مجاهد وعكرمة: الحين هاهنا: سنة كاملة، لأن النخلة تثمر كل سنة .

وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن: ستة أشهر من وقت إطلاعها إلى صرامها. وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وقيل: أربعة أشهر من حين ظهورها إلى إدراكها .

وقال سعيد بن المسيب: شهران من حين تؤكل إلى حين الصرام .

وقال الربيع بن أنس: «كل حين»: أي: كل غدوة وعشية، لأن ثمر النخل يؤكل أبداً ليلاً ونهاراً، صيفاً وشتاءً، إما تمراً أو رطباً أو بسرّاً، كذلك عمل المؤمن يصعد أول النهار وآخره وبركة إيمانه لا تنقطع أبداً، بل تصل إليه في كل وقت^(٣).

والحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة: هي أن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء: عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عال، كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء: تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأبدان .

(١) نقله عنه الطبري: ٥٧٣/١٦، وابن الجوزي في زاد المسير: ٣٥٨/٤، وزاد قولاً ثالثاً فيها، وهو: أنها المؤمن، وأصله الثابت، أنه يعمل في الأرض، ويبلغ عمله السماء، وهذا رواه عطية عن ابن عباس أيضاً .

(٢) في «ب»: الشام .

(٣) انظر هذه الأقوال الخمسة في معنى «الحين»، وقولاً سادساً عن علي: أنه ثمانية أشهر، في: تفسير الطبري: ٥٧٥-٥٧٩، الدر المنثور: ٢٥-٢٤/٥، وزاد المسير: ٣٥٩/٤، البحر المحيط: ٤٢٢/٥ .

قال الطبري: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عنى بالحين، في هذا الموضع؛ غدوة وعشية وكل ساعة؛ لأن الله تعالى ذكره ضرب ما توتي هذه الشجرة كل حين من الأكل لعمل المؤمن وكلامه مثلاً، ولا شك أن المؤمن يُرفع له إلى الله في كل يوم صالح من العمل والقول، لا في كل سنة، أو في كل ستة أشهر، أو في كل شهرين، فإذا كان ذلك كذلك، فلا شك أن المثل لا يكون خلافاً للممثل به في المعنى، وإذا كان ذلك كذلك كان بيننا صحة ما قلنا . فإن قال قائل: فأني نخلة توتي أكلها في كل وقت أكلاً صيفاً وشتاءً؟ قيل: أما في الشتاء: فإن الطلع من أكلها، وأما في الصيف: فالبلح والبسر والرطب والتمر، وذلك كله من أكلها .

وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٦﴾

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى، أنبأنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنبأنا عبدالله بن عمر الجوهري، أخبرنا أحمد بن علي الكشميني، حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل ابن جعفر، حدثنا عبدالله بن دينار أنه سمع ابن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنما مثل المسلم فحدثوني ما هي؟ قال عبدالله: فوق الناس في شجر البوادي، ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: هي النخلة. قال عبدالله: فذكرت ذلك لعمر، فقال: لأن تكون قلت هي النخلة كان أحب إلي من كذا وكذا»^(١).

وقيل الحكمة في تشبيهها بالنخلة من بين سائر الأشجار: أن النخلة شبه^(٢) الأشجار بالإنسان من حيث إنها إذا قطع رأسها ييست، وسائر الأشجار تتشعب من جوانبها بعد قطع رؤوسها^(٣) ولأنها تشبه الإنسان في أنها لا تحمل إلا بالتلقيح ولأنها خلقت من فضل طينة آدم عليه السلام، ولذلك قال النبي ﷺ: «أكرموا عمتم» قيل: ومن عمتنا؟ قال: «النخلة»^(٤) «ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون»^(٥).

﴿ومثل كلمة خبيثة﴾. وهي الشرك، ﴿كشجرة خبيثة﴾، وهي الخنظل^(٦).

(١) متفق عليه، وسبق تخريجه قبل قليل ص (٣٤٦) تعليق (٣).

(٢) في «ب»: أشبه.

(٣) في «ب»: رأسها.

(٤) حديث ضعيف أخرجه أبو نعيم في الحلية: ١٢٣/٦، وأبو يعلى في مسنده، وابن أبي حاتم، وابن عدي في «الكامل»: ٢٤٢٤/٦ والعقيلي في «الضعفاء» وابن السني وابن مردويه معاً في الطب.

قال الميشمي: فيه مسرور بن سعيد، وهو ضعيف. وقال العقيلي: حديثه غير محفوظ.

انظر: مجمع الزوائد: ٣٩/٥، فيض القدير: ٩٥/٢، كشف الحفاء: ١٩٥/١، تمييز الطيب من الخبيث ص (٣٦)، تنزيه الشريعة المرفوعة لابن عراق: ٢٠٩/١.

وانظر في الحكمة من تشبيه الإيمان بالنخلة أيضاً: زاد المسير: ٣٥٩/٤-٣٦٠.

(٥) أي: ويمثل الله الأمثال للناس، ويشبه لهم الأشباه ليتذكروا حجة الله عليهم، فيعتبروا بها ويتعظوا، فينجزوا عما هم عليه من الكفر به إلى الإيمان.

انظر: تفسير الطبري: ٥٦٧/١٦.

(٦) قال الطبري: ٥٨٥/١٦. وقد روي عن رسول الله ﷺ بتصحيح قول من قال: هي الخنظلة، خبر فإن صح، فلا قول يجوز أن يقال غيره، وإلا فإنها شجرة بالصفة التي وصفها الله بها. ثم ساق حديثاً للترمذي والحاكم عن أنس ضعفه الشيخ محمود شاكر.

انظر: الطبري: ٥٧٠-٥٧١، ٥٨٥.

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾

وقيل: هي الثوم .

وقيل: هي الكشوث^(١)، وهي العَشَقَةُ^(٢)، ﴿أَجْنُثٌ﴾، يعني انقلعت، ﴿من فوق الأرض ما لها من قرار﴾، ثبات .

معناه: ليس لها أصل ثابت في الأرض، ولا فرع صاعد إلى السماء، كذلك الكافر لا خير فيه، ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح .

قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾، كلمة التوحيد، وهي قول: لا إله إلا الله ﴿في الحياة الدنيا﴾، يعني قبل الموت، ﴿وفي الآخرة﴾، يعني في القبر. هذا قول أكثر أهل التفسير .

وقيل: ﴿في الحياة الدنيا﴾: عند السؤال في القبر، ﴿وفي الآخرة﴾: عند البعث .
والأول أصح^(٣) .

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، أخبرني علقمة بن مرثد قال: سمعت سعد ابن عبيدة، عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾»^(٤) .

(١) في د: الكشوب .

وفي لسان العرب: ١٨١/٢: «الكشوث، والأكشوث، والكشوثي: كل ذلك نبات مجتث مقطوع الأصل. وقيل: لا أصل له، وهو أصفر يتعلق بأطراف الشوك وغيره .

وقال الجوهري هو: نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض... .

(٢) العَشَقَةُ: شجرة تخضّر ثم تدبّق وتصفّر، وهي عند المولدين: اللبّاب، وجمعها العَشَقُ .

انظر: لسان العرب ٢٥٢/١٠ .

(٣) وهو ما رجحه الطبري، حيث قال: (٦٠٢/١٦): والصواب من القول في ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ في ذلك، وهو أن معناه: «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وذلك تثبيتهم إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ» ﴿وفي الآخرة﴾ بمثل الذي ثبتهم به في الحياة الدنيا، وذلك في قبورهم حين يسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله ﷺ .

(٤) أخرجه البخاري في التفسير، سورة إبراهيم، باب «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت»: ٣٧٨/٨، والمصنف في شرح السنة:

وأخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنبأنا عبد الغافر بن محمد، أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنبأنا مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة بهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ قال: نزلت في عذاب القبر يقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد، فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ الآية (١).

وأخبرنا عبد الواحد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عياش بن الوليد، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرَعَ نَعَالِهِمْ، أَنَاهُ مَلَكَانِ، فَيُقْعِدَانَهُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ، لِمُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. فَيَقَالُ لَهُ: انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبَدَلَكُ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا» قال قتادة: وذكر لنا أنه يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ:

وأما المنافق والكافر، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمِطْرَقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ (٢).

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي، حدثنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي، أنبأنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ، حدثنا عبد الله بن سعيد، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا عنبسة ابن سعيد بن كثير، حدثني جدي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ حِسَّ التُّعَالِ إِذَا وَلَّى عَنْهُ النَّاسُ مُدْبِرِينَ، ثُمَّ يُجْلَسُ وَيُوضَعُ كَفُّهُ فِي عُنُقِهِ ثُمَّ يُسَأَلُ» (٣).
وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَنَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يَنْوَرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ: نَمْ كُنُومَةَ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوَقِّظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا أَوْ كَافِرًا قَالَ:

(١) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار برقم (٢٨٧١): ٢٢٠١/٤.

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر: ٢٣٢/٣، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض

مقعد الميت من الجنة أو النار، برقم (٢٨٧٠): ٢٢٠٠/٤-٢٢٠١، والمصنف في شرح السنة: ٤١٥/٥.

(٣) أخرجه ابن حبان، في الجنائز، باب في الميت يسمع ويسأل، ص (١٩٦) من موارد الظمان، والإمام أحمد في المسند: ٣٤٧/٢،

والمصنف في شرح السنة: ٤١٣/٥.

سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التثمي عليه فلتتم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معدباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»^(١).
 وروي عن البراء بن عازب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح المؤمن وقال: «فعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك؟ [فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد فينتهرانه ويقولان له الثانية: من ربك وما دينك ومن نبيك]^(٢) وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن فيثبته الله عز وجل، فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ، فينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٣) / .

أ/١٩٤

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنبأنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطيسفوني، أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي، أنبأنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن بسطام، أنبأنا أبو الحسن أحمد بن سيار القرشي، حدثنا إبراهيم بن موسى^(٤) الفراء أبو إسحاق حدثنا هشام ابن يوسف حدثنا عبد الله بن يحيى عن هانيء مولى عثمان قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم واسألوا الله له التثبيت، فإنه الآن يسأل»^(٥).
 وقال عمرو بن العاص في سياق الموت وهو يكي: فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فسئوا علي التراب سنأ ثم أقيموا حول قبري قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي .

قوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا يهدي الله المشركين إلى الجواب بالصواب في القبر ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾، من التوفيق والخذلان والتثبيت وترك التثبيت .

(١) أخرجه الترمذي في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر: ١٨١/٤-١٨٤، وقال: وهو حديث حسن غريب. وفي الباب عن علي، وزيد بن ثابت، وابن عباس والبراء بن عازب، وأبي أيوب، وأنس، وجابر، وعائشة، وأبي سعيد كلهم رووا عن النبي ﷺ في عذاب القبر .

وأخرجه ابن حبان في الجنائز، باب الميت يسأل ويسمع، ص (١٩٧) من موارد الظمان .
 وحسنه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح، وقال: هو على شرط مسلم: ٤٧/١ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٣) قطعة من حديث طويل أخرجه أبو داود في السنة، باب المسألة في القبر: ١٣٩/٧-١٤١، والحاكم في المستدرک: ٣٧/١، ٣٩، والإمام أحمد في المسند: ٢٩٥-٢٩٦. وصححه الألباني في تعليقه على المشكاة: ٤٨/١ .
 وأخرجه الطبري في التفسير من عدة طرق انظر: ٥٨٩/١٦-٥٩٥ .

(٤) في «ب»: ابن محمد .

(٥) أخرجه أبو داود في الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت: ٣٣٩/٤ والبيهقي في السنن الكبرى: ٥٦/٤، وحسنه النووي في الأذكار ص (١٣٧)، وصححه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح: ٤٨/١ .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ
يَصَلُّونَهَا وَيَسُّ الْقَرَارِ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ﴿٣٠﴾ قُلْ
تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣١﴾﴾

قوله عز وجل : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كَفْرًا﴾ الآية .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس [في قوله تعالى] (١) ﴿الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾، قال: هم والله كفار قريش (٢) .
وقال عمرو: هم قريش، ومحمد ﷺ نعمة الله (٣) .

﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾، قال: البوار يوم بدر، قوله ﴿بدلوا نعمة الله﴾ أي: غيروا نعمة الله عليهم في محمد ﷺ حيث ابتعته الله تعالى منهم = كفراً كفروا به فأحلوا، أي: أنزلوا، قومهم ممن تابعهم على كفرهم دار البوار الهلاك، ثم بين البوار فقال :
﴿جهنم يصلونها﴾، يدخلونها ﴿ويَسُّ الْقَرَارِ﴾، المستقر .

وعن علي كرم الله وجهه: الذين بدلوا نعمة الله كفراً: هم كفار قريش نحروا يوم بدر (٤) .
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هم الأفجران من قريش: بنو المغيرة، وبنو أمية، أما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر، وأما بنو أمية فتمتعوا إلى حين (٥) .

﴿وجعلوا لله أنداداً﴾، أمثلاً، [وليس لله تعالى ند] (٦)، ﴿ليضلوا﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء، وكذلك في الحج وسورة لقمان والزمزم: ﴿ليضل﴾ وقرأ الآخرون بضم الياء على معنى ليضلوا الناس، ﴿عن سبيله قل تمتعوا﴾، عيشوا في الدنيا، ﴿فإن مصيركم إلى النار﴾ .

(١) ساقط من «ب» .

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة إبراهيم، باب: «ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً»: ٣٧٨/٨، بلفظ: هم كفار أهل مكة . وانظر: الدر المنثور: ٤١/٥، الطبري: ٢٢٢/١٣ (طبع الحلبي) .

وسائر الإحالات الآتية إلى تفسير الطبري ستكون - إن شاء الله تعالى - إلى هذه الطبعة، حيث كنا فيما سبق - غالباً - نعوذ إلى طبعة دار المعارف بتحقيق الشيخ محمود شاكر .

(٣) عزاه السيوطي لابن جرير عن عطاء بن يسار: ٤٢/٥ .

(٤) عزاه السيوطي لابن جرير، وابن المنذر، والحاكم في «الكنى»، الدر المنثور: ٤٢/٥ .

(٥) أخرجه البخاري في «التاريخ» وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه. انظر: الدر المنثور: ٤١/٥ .

(٦) ساقط من «ب» .

قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَن لُّظْمٌ ﴿٣٤﴾

﴿قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، قال الفراء: هو جزم على الجزاء، ﴿وينفقوا﴾ مما رزقناهم سرًّا وعلانيةً من قبل أن يأتي يومٌ لا بيع فيه ولا خلالٌ، مخاللة وصدقة. [قرأ ابن كثير، وابن عمرو، ويعقوب: «لا بيع فيه ولا خلال» بالنصب فيهما على النفي العام. وقرأ الباقون: «لا بيع ولا خلال» بالرفع والتنوين] (١).

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾، ﴿وسخر لكم الأنهار﴾، ذلها لكم، تجرونها (٢) حيث شئتم.

﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾، يجريان فيما يعود إلى مصالح العباد ولا يفتران، قال ابن عباس دؤوبُهُما في طاعة الله عز وجل (٣).

﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾، يتعاقبان في الضياء والظلمة، والنقصان والزيادة.

﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾، [يعني: وآتاكم من كل شيء سألتموه] (٤) شيئاً، فحذف الشيء الثاني اكتفاءً بدلالة الكلام، على التبويض.

وقيل: هو على التكثر نحو قولك: فلان يعلم كل شيء، وآتاه كل الناس، وأنت تعني بعضهم،

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) في «ب»: تجروها.

(٣) الطبري: ٢٢٥/١٣ (طبع الحلبي).

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ
 ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ
 غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾

نظيره قوله تعالى: «فتحنا عليهم أبواب كل شيء» (الأنعام - ٤٤) .
 وقرأ الحسن ﴿من كل﴾، بالتنوين ﴿ما﴾ على النفي يعني من كل ما لم تسألوه، يعني: أعطاكم
 أشياء ما طلبتموها ولا سألتموها^(١) .
 ﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾، أي: نعم الله، ﴿لا تحصوها﴾، أي: لا تطيقوا عدّها ولا القيام
 بشكرها .

﴿إن الإنسان لظلوم كفار﴾، أي: ظالم لنفسه بالمعصية، كافر بربه عز وجل في نعمته .
 وقيل: الظلوم، الذي يشكر غير من أنعم عليه، والكافر: من يحدد منعمه .
 قوله عز وجل: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد﴾، يعني: الحرم، ﴿آمناً﴾ ذا أمن
 يؤمن فيه، ﴿واجنبي﴾، أبعدني، ﴿وإنني أن عبد الأصنام﴾، يقال: جنبت الشيء، واجنبت جنبا،
 وجنبتة تجنياً واجنبتة اجتناباً بمعنى واحد .

فإن قيل: قد كان إبراهيم عليه السلام معصوماً من عبادة الأصنام، فكيف يستقيم السؤال؟
 وقد عبد كثير من بنيه الأصنام فأين الإجابة؟
 قيل: الدعاء في حق إبراهيم عليه السلام لزيادة العظمة والتثبيت، وأما دعاؤه لبنيه: فأراد بنيه
 من صلّيه، ولم يعبد منهم أحد الصنم .
 وقيل: إن دعائه لمن كان مؤمناً من بنيه^(٢) .

﴿رب إنهم أضلن كثيراً من الناس﴾، يعني: ضل بهن كثير [من الناس]^(٣) عن طريق الهدى حتى
 عبدوهن، وهذا من المقلوب نظيره قوله تعالى: «إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه» (آل عمران - ١٧٥)،

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٢٦/١٣ .

(٢) وقال محمد بن أبي بكر الرازي قيل: «إنما سأل هذا السؤال في حالة خوف أذهله عن ذلك العلم - بالعصمة عن الكفر
 وعبادة الأصنام - لأن الأنبياء - عليهم السلام - أعلم الناس بالله، فيكونون أخوفهم منه، فيكون معذوراً بسبب ذلك .
 وقيل: إن في حكمة الله تعالى وعلمه أن لا يتلى نبياً من الأنبياء بالكفر، بشرط أن يكون متضرعاً إلى ربه طالباً منه ذلك،
 فأجرى على لسانه هذا السؤال لتحقيق شرط العصمة» .

انظر: مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل، ص (١٦٤) .

(٣) ساقط من «ب» .

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا
الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾

أي: يخوفهم^(١) بأوليائه .

وقيل: نسب الإضلال إلى الأصنام لأنهن سبب فيه، كما يقول القائل: ففتني الدنيا، نسب الفتنة إلى الدنيا لأنها سبب الفتنة^(٢) .

﴿فمن تعني فإنه مني﴾، أي: من أهل ديني، ﴿ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾، قال السدي: معناه: ومن عصاني ثم تاب .

وقال مقاتل بن حيان: ومن عصاني فيما دون الشرك .

وقيل: قال ذلك قبل أن يعلمه الله أنه لا يغفر الشرك^(٣) .

قوله عز وجل: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي﴾، أدخل «من» للتبعض، ومجاز الآية: أسكنت من ذريتي ولدًا، ﴿بوادٍ غير ذي زرع﴾، وهو مكة؛ لأن مكة وادٍ بين جبلين، ﴿عند بيتك المحرم﴾، سماه محرماً لأنه يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره .

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا عبدالرزاق، أنبأنا معمر، عن أيوب السخيتياني وكثير بن [أبي كثير بن]^(٤) المطلب بن أبي وداعة - يزيد أحدهما على الآخر - عن سعيد بن جبير [قال]^(٥): قال ابن عباس: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقاً لتعقي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم عليه السلام، وبابنها إسماعيل، وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحدٌ وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاءً فيه ماء، ثم قفل إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً،

(١) في «ب»: يخوفكم .

(٢) وانظر: مسائل الرازي وأجوبتها ص (١٦٤) .

(٣) في «ب»: أن يشرك به .

(٤) ليس في «ب» .

(٥) ساقط من «ب» .

وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيئنا / ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه، فقال: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع﴾، حتى بلغ «يشكرون». وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلَبَّط أو قال يتلَوَّى، وانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فلذلك سعى الناس بينهما».

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه - تريد نفسها - ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غوث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف.

قال ابن عباس قال النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم» أو قال: «لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً».

قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة فإن هاهنا بيت الله، يئنه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله.

وكان موضع البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك، حتى مرّت بهم رُفقة من جرهم - أو أهل بيت من جرهم - مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عائفاً، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، ولعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريئاً أو جريئاً فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حقّ لكم في الماء، قالوا: نعم.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأُنس، فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشبّ الغلام وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شبّ، فلما أدرك زوجته امرأة منهم. وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج

رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمَ مَا نُخْفِي وَمَا نَعْلُنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي
لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾

إسماعيل يطالع تركته^(١)... ذكرنا تلك القصة في سورة البقرة^(٢).

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لِيَقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ﴾، الأفعدة: جمع الفؤاد ﴿تهوي إليهم﴾، تشتاق وتحن إليهم.

قال السدي: ومعناه أمل قلوبهم إلى هذا الموضع.

قال مجاهد: لو قال أفعدة الناس لزامتكم فارس والروم والترك والهند.

وقال سعيد بن جبیر: لحجت اليهود والنصارى والمجوس، ولكنه قال: «أفعدة من الناس» وهم

المسلمون.

﴿وارزقهم من الثمرات﴾، ما رزقت سكان القرى ذوات الماء، ﴿لعلهم يشكرون﴾

﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾، من أمورنا. وقال ابن عباس ومقاتل: من الوجد بإسماعيل

وأمه حيث أسكنتهما بوادٍ غير ذي زرع. ﴿وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء﴾،

قيل: هذا صلة قول إبراهيم.

وقال الأكترون: يقول الله عز وجل: ﴿وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في

السماء﴾^(٣).

﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر﴾، أعطاني، ﴿إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع

الدعاء﴾، قال ابن عباس: وُلد إسماعيل لإبراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة، وولد إسحاق وهو

ابن مائة واثنى عشرة سنة.

وقال سعيد بن جبیر: بُشِّر إبراهيم بإسحاق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة^(٤).

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب يزفون التسلان في المشي: ٣٩٦/٦-٣٩٨.

(٢) انظر فيما سبق: ١٤٧/١-١٤٨.

(٣) في البحر المحيط: ٤٣٣/٥ جاءت العبارة أوضح فقال: وقيل «وما يخفى... الآية، من كلام الله عز وجل تصديقاً لإبراهيم عليه السلام، كقوله تعالى: «كذلك يفعلون».

(٤) انظر: المحرر الوجيز: ٢٥٦/٨.

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَنَا ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ
لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا
عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾

﴿رب اجعلني مقيم الصلاة﴾، يعني: ممن يقيم الصلاة بأركانها ويحافظ عليها، ﴿ومن ذريتي﴾،
يعني: اجعل من ذريتي من يقيمون الصلاة .

﴿ربنا وتقبل دعاء﴾، أي: عملي وعبادتي، سمي العبادة دعاءً، وجاء في الحديث: «الدعاء مخ
العبادة» (١) .

وقيل: معناه: استجب دعائي .

﴿ربنا اغفر لي ولوالدي﴾، فإن قيل: كيف استغفر لوالديه وهما غير مؤمنين؟ قيل قد قيل
إن أمه أسلمت .

وقيل: أراد: إن أسلما وتابا (٢) .

وقيل: قال ذلك قبل أن يتبين له أمر أبيه، وقد بين الله تعالى عذر خليله ﷺ في استغفاره
لأبيه في سورة التوبة (٣) .

﴿وللمؤمنين﴾، أي: اغفر للمؤمنين كلهم، ﴿يوم يقوم الحساب﴾، أي: يبدو ويظهر. وقيل:
أراد يوم يقوم الناس للحساب، فاكتفى بذكر الحساب لكونه مفهوماً .

قوله عز وجل: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾، الغفلة معنى يمنع الإنسان من
الوقوف على حقيقة الأمور، والآية لتسلية المظلوم وتهديد للظالم .

(١) حديث ضعيف أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك، في الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء: ٣١١/٨، وقال: «هذا
حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث ابن لبيعة» .

وعن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم، إن الذين يستكبرون
عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين» (سورة غافر- ٤٠) .

أخرجه أبو داود في الصلاة، باب الدعاء: ١٤١/٢، والترمذي في الدعوات نفسه: ٣١١/٩-٣١٢، وقال: «هذا حديث
حسن صحيح» وفي التفسير أيضاً، وابن ماجه في السنن، كتاب الدعاء، برقم (٢٨٢٨): ١٢٥٨/٢، وصححه ابن حبان
ص (٥٩٥) من موارد الظمان للهشيمي، والحاكم في المستدرک: ٤٩١/١، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢٧٦/٤. وذكره
المصنف البيهقي في مصابيح السنة: ١٣٨/٢ كتاب الدعوات في الحسان .

(٢) انظر: مسائل الرازي وأجوبتها، ص (١٦٦) .

(٣) انظر فيما سبق ص (١٠١) من سورة التوبة .

مُهْطِعِينَ مَقْنَعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ
يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ
وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أُولَمَّ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾

﴿إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾، أي: لا تغض من هول ما ترى في ذلك اليوم،
وقيل: ترتفع وتزول عن أماكنها .

﴿مهطعين﴾، قال قتادة: مسرعين .

قال سعيد بن جبیر: الإهطاع التسلان كعدو الذئب .

وقال مجاهد: مديني النظر .

ومعنى «الإهطاع»: أنهم لا يلتفون يمينا ولا شمالاً، ولا يعرفون مواطن أقدامهم .

﴿مقنعي رؤوسهم﴾، أي: رافعي رؤوسهم .

قال القتيبي: المقنّع: الذي يرفع رأسه ويقبل ببصره على ما بين يديه (١) .

وقال الحسن: وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء، لا ينظر أحدٌ إلى أحد .

﴿لا يرتد إليهم طرفهم﴾ أي: لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر، وهي شاخصة قد

شغلهم ما بين أيديهم .

﴿وأفئدتهم هواء﴾، أي: خالية. قال قتادة: خرجت قلوبهم عن صدورهم، فصارت في

حناجرهم، لا تخرج من أفواههم ولا تعود إلى أماكنها، فالأفئدة هواء لا شيء فيها، ومنه سُمي ما

بين السماء والأرض هواء لخلوه .

وقيل: خالية لا تعي شيئاً ولا تعقل من (٢) الخوف .

وقال الأخفش: جوفاء لا عقول لها، والعرب تسمي كل أجوف خاوٍ هواء .

وقال سعيد بن جبیر: «وأفئدتهم هواء» أي: مترددة، تمور في أجوافهم، ليس لها مكان تستقر فيه .

وحقيقة المعنى: أن القلوب زائلة عن أماكنها، والأبصار شاخصة من هول ذلك اليوم .

﴿وأنذر الناس﴾، خوفهم، ﴿يوم﴾، أي: يوم، ﴿يأتيهم العذاب﴾، وهو يوم القيامة، / ١٩٥ أ

﴿فيقول الذين ظلموا﴾، أشركوا، ﴿ربنا أخرجنا﴾، أمهلنا، ﴿إلى أجل قريب﴾، هذا سؤالهم الرد

(١) قال في غريب القرآن (١/٢٣٧) من القرطين لابن مطرف الكناني: «والمقنّع رأسه: الذي رفعه، وأقبل بظرفه على ما بين يديه. والإقناع في الصلاة هو إتمامها .

(٢) «منه للتعليل .

وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ
فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ
مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾

إلى الدنيا، أي: ارجعنا إليها، ﴿نَجِبَ دَعْوَتِكَ وَتَّبِعَ الرِّسْلَ﴾، فيجابون :
﴿أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾، حلفتُم في دار الدنيا، ﴿مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾، عنها أي:
لا تبعثون. وهو قوله تعالى: «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ بَيْتِهِ» (النحل - ٣٨) .
﴿وَسَكَنْتُمْ﴾، في الدنيا، ﴿فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، بالكفر والعصيان، قوم نوح
وعاد وثمود وغيرهم. ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾، أي: عرفتم عقوبتنا إياهم، ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ
الْأَمْثَالَ﴾، أي: بينا أن مثلكم كمثلهم .

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾، أي: جزاء مكرهم، ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ﴾، قرأ
علي وابن مسعود: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ بالبدال، وقرأ العامة بالنون .

﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾، قرأ العامة لتزول بكسر اللام الأولى ونصب الثانية .
معناه: وما كان مكرهم .

قال الحسن: إن كان مكرهم لأضعف من أن تزول منه الجبال .

وقيل: معناه إن مكرهم لا يزيل أمر محمد ﷺ الذي هو ثابت كتبوت الجبال .

وقرأ ابن جريج والكسائي: ﴿لِتَزُولَ﴾ بفتح اللام الأولى ورفع الثانية، معناه: إن مكرهم وإن
عظم حتى بلغ محلاً يزيل الجبال لم يقدروا على إزالة أمر محمد ﷺ .

وقال قتادة: معناه وإن كان شركهم لتزول منه الجبال وهو قوله تعالى: «وتخر الجبال هداً أن
دعوا للرحمن ولداً» (مريم - ١٩) .

ويحكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معنى الآية: أنها نزلت في نمrod الجبار الذي
حاج إبراهيم في ربه، وذلك أنه قال: إن كان ما يقول إبراهيم حقاً فلا أنتهي حتى أصعد السماء
فأعلم ما فيها، فعمد إلى أربعة أفرخ من النسور فربأها حتى شبت واتخذ تابوتاً، وجعل له باباً من
أعلى وباباً من أسفل، وقعد نمrod مع رجل في التابوت، ونصب خشبات في أطراف التابوت، وجعل
على رؤوسها اللحم وربط، التابوت بأرجل النسور، فطرن وصعدن طمعاً في اللحم، حتى مضى
يوم وأبعدن في الهواء، فقال نمrod لصاحبه: افتح الباب الأعلى وانظر إلى السماء هل قربناها، ففتح

فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ رَسُولَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تَبَدَّلَ
الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ۗ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾

[الباب ونظر] (١) فقال: إن السماء كهيتها ثم قال: افتح الباب الأسفل وانظر إلى الأرض كيف تراها؟ ففعل، فقال: أرى الأرض مثل اللجة والجبال مثل الدخان، فطارت النسور يوماً آخر، وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران، فقال لصاحبه: افتح البابين ففتح الأعلى فإذا السماء كهيتها، وفتح الأسفل فإذا الأرض سوداء مظلمة، فنودي: أيها الطاغية أين تريد؟

قال عكرمة: كان معه في التابوت غلام قد حمل معه القوس والنشاب فرمى بسهم فعاد إليه السهم متلطحاً بدم سمكة قذفت نفسها من بحر في الهواء - وقيل: طائر أصابه السهم - فقال: كفيت شغل إله السماء .

قال: ثم أمر نمرود صاحبه أن يصبّ الخشب وينكص اللحم، ففعل، فهبطت النسور بالتابوت، فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور، ففزعت وظنت أنه قد حدث حدث من السماء، وأن الساعة قد قامت، فكادت تزول عن أماكنها، فذلك قوله تعالى: ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ (٢) .

﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾، بالنصر لأوليائه وهلاك أعدائه، وفيه تقديم وتأخير، تقديره: ولا تحسبن الله مخلف رسله وعده، ﴿إن الله عزيز ذو انتقام﴾ .
قوله عز وجل: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ .
أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن يوسف، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا خالد بن مخلد، عن محمد بن جعفر بن أبي كثير، حدثني أبو حازم بن دينار عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بِيضَاءٍ عَفْرَاءٍ كَقَرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ» (٣) .

(١) ساقط من «ب» .

(٢) روى الطبري هذه القصة عن علي، وسعيد بن جبير: ٢٤٤/١٣-٢٤٥. وضُحِّفَ هذه القصة ابن عطية في المحرر الوجيز: ٢٦٥/٨ فقال: «وفي هذه القصة كلها ضعف من طريق المعنى، وذلك أنه غير ممكن أن تصعد الأنسر كما وصف، وبعيد أن يغرر أحد بنفسه في مثل هذا» .

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة: ٣٧٢/١١، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب في البعث والنشور، برقم (٢٧٩٠): ٢١٥٠/٤، والمصنف في شرح السنة: ١١٢/١٥ .

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن خالد - هو ابن يزيد - عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفؤ أحدكم خبزته في السفر، نُزلاً لأهل الجنة»^(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية قال: تبدل الأرض بأرض كفضة بيضاء نقيه لم يسفك فيها دم ولم تعمل عليها خطيئة^(٢).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: تبدل الأرض من فضة والسماء من ذهب^(٣).

وقال محمد بن كعب وسعيد بن جبيرة: تبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه^(٤).

وقيل: معنى التبديل جعل السموات جناناً وجعل الأرض نيراناً.

وقيل: تبديل الأرض تغييرها من هيئة إلى هيئة، وهي تسيير جبالها، وطم أنهارها، وتسوية أوديتها وقطع أشجارها، وجعلها قاعاً صافياً، وتبديل السموات: تغيير حالها بتكوير شمسها، وخسوف قمرها وانتشار نجومها، وكونها مرة كالدهان، ومرة كالمهل.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أخبرنا عبدالغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا علي بن مسهر، عن داود - وهو ابن أبي هند - عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات» فأين يكون الناس يومئذ يارسول الله؟ فقال: «على الصراط»^(٥).

(١) أخرجه البخاري في الموضوع السابق: ٣٧٢/١١، ومسلم في الموضوع نفسه، برقم (٢٧٩٢): ٢١٥١/٤، والمصنف في شرح السنة: ١١٣/١٥.

(٢) أخرجه البزار، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» مرفوعاً، وأخرجه موقوفاً: عبدالرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ في «العظمة»، والحاكم في المستدرک، والبيهقي في البعث.

قال البيهقي: «الموقوف أصح». انظر: الدر المنثور: ٥٧-٥٦/٥.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور: ٥٧/٥.

(٤) أخرجه ابن جرير عنهما، انظر: التفسير: ٢٥٢/١٣ (طبع الحلبي).

(٥) أخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، برقم (٢٧٩١): ٢١٥٠/٤. والمصنف في شرح السنة: ١٠٨-١٠٧/١٥.

وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَّابِلُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ وَتَغْشَىٰ
 وَجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۗ وَيَلْعَلُّمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ
 أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

وروى ثوبان أن حبراً من اليهود سأل رسول الله ﷺ فقال: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض
 غير الأرض؛ قال: «هم في الظلمة دون الجسر» (٥).

قوله تعالى: ﴿وبرزوا﴾، خرجوا من قبورهم، ﴿الله الواحد القهار﴾، الذي يفعل ما يشاء
 ويحكم ما يريد .

﴿وترى المجرمين يومئذٍ مقرنين﴾، مشدودين بعضهم ببعض، ﴿في الأصفاذ﴾، في القيود
 والأغلال، واحداً صَفَدًا، وكل من شدته شداً وثيقاً فقد صَفَدته .

قال أبو عبيدة: صَفَدْتُ الرجل فهو مصفود، وصفدته بالتشديد فهو مصفد .
 وقيل: يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة، بيانه قوله تعالى: «احشروا الذين ظلموا وأزواجهم»
 (الصافات - ٢٢)، يعني: قرناءهم من الشياطين .

وقيل: معناه مقرنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاذ والقيود، ومنه قيل للحبل: قَرَن .
 ﴿سراويلهم﴾، أي: قُمصُهم، واحداً سراويل . ﴿من قطران﴾ هو الذي تنهأ به الإبل .
 وقرأ عكرمة ويعقوب ﴿من قطران﴾ على كلمتين منونتين / والقطر: النحاس، والصفير المذاب،
 والآن: الذي انتهى حره، قال الله تعالى: «يطوفون بينها وبين حميم آن» (الرحمن - ٤٤) .
 ﴿وتغشى وجوههم النار﴾، أي: تعلقو .

﴿ليجزى الله كل نفس ما كسبت﴾، من خير وشر، ﴿إن الله سريع الحساب﴾ .
 ﴿هذا﴾، أي: هذا القرآن، ﴿بلاغ﴾، أي: تبليغ وعظة، ﴿للناس ولينذروا﴾، وليخوفوا، ﴿به﴾
 وليعلموا أنما هو إله واحد، أي: ليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى: ﴿وليذَّكَّرَ أُولُو
 الْأَلْبَابِ﴾، أي: ليتعظ أُولُو العقول .

(١) قطعة من حديث طويل، أخرجه مسلم في الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة، وأن الولد مخلوق من مائهما، برقم
 (٣١٥): ٢٥٢/١ .



سُورَةُ الْحَجِّرات

سُورَةُ الْحَجَرِ

مكية (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّتِّكَ ءَايَاتِ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رَبِّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا
مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾

﴿الر﴾ قيل: معناه: أنا الله أرى (٢)، ﴿تلك آيات الكتاب﴾، أي: هذه آيات الكتاب،
﴿وقرآن﴾ أي: وآيات قرآن، ﴿مبين﴾، أي: بين (٣) الحلال من الحرام والحق من الباطل .
فإن قيل: لِمَ ذكر الكتاب ثم قال ﴿وقرآن مبين﴾ وكلاهما واحد؟
قلنا: قد قيل كل واحد يفيد فائدة أخرى، فإن الكتاب: ما يكتب، والقرآن: ما يجمع بعضه
إلى بعض .

وقيل: المراد بالكتاب: التوراة والإنجيل، وبالقرآن هذا الكتاب .

﴿ربما﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وعاصم بتخفيف الباء والباقون بتشديدها، وهما لغتان، ورُبُّ
للتقليل وكم للكثير، ورُبُّ تدخل على الاسم، ورُبَمَا على الفعل، يقال: رُبُّ رجل جاءني، ورُبَمَا
جاءني رجل، وأدخل ما هاهنا للفعل بعدها. ﴿يُوَدُّ﴾، يتمنى، ﴿الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ .
واختلفوا في الحال التي يتمنى الكافر فيها الإسلام .
قال الضحاك: حالة المعاينة (٤) .

(١) مكية بالاتفاق، وهو مروى عن ابن عباس وابن الزبير. انظر: الدر المنثور: ٦١/٥ .

(٢) انظر فيما سبق: ٥٨/١-٥٩ .

(٣) في «ب»: بين .

(٤) وفيه نظر، إذ لا يقين للكافر حينئذ بحال المسلمين. انظر: المحرر الوجيز: ٢٧٩/٨ .

ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

وقيل: يوم القيامة .

والمشهور أنه^(١) حين يخرج الله المؤمنين من النار .

وروي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا اجتمع أهل النار في النار، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة: ألسنم مسلمين؟ قالوا بلى، قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وأنتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فيغضب الله تعالى لهم [بفضل رحمته]^(٢)، فيأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها، فحينئذ يؤدّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين^(٣) .

فإن قيل: كيف قال «ربما» وهي للتقليل وهذا التمني يكثر من الكفار؟

قلنا: قد تذكر «ربما» للتكثير، أو أراد: أن شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة إنما يخاطر ذلك

بإلهم أحياناً .

﴿ذَرَّهُمْ﴾، يا محمد، يعني: الذين كفروا، ﴿يَأْكُلُوا﴾ في الدنيا، ﴿وَيَتَمَتَّعُوا﴾، من لذاتهم^(٤) ﴿وَيُلْهِمُ﴾، يشغلهم، ﴿الْأَمَلُ﴾، عن الأخذ بحظهم من الإيمان والطاعة، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، إذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا، وهذا تهديد ووعيد .

وقال بعض أهل العلم: «ذرههم» تهديد، وقوله: «فسوف يعلمون» تهديد آخر، فتمتى^(٥) يهنأ

العيش بين تهديدين .

والآية نسختها آية القتال^(٦) .

(١) في «ب»: وهو المشهور، أنه .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير: ٢/١٤ (طبع الحلبي) وابن أبي عاصم في «السنة»: ٤٠٥/١-٤٠٦، والحاكم في «المستدرک»: ٤٤٢/٢، وقال: صحيح ولم يخرجاه .

قال الهيثمي في «المجمع»: (٤٥/٧): «رواه الطبراني، وفيه خالد بن نافع الأشعري، قال أبو داود: متروك. قال الذهبي: هذا تجاوز في الحدّ، فقد حدث عنه أحمد بن حنبل وغيره - وبقيّة رجاله ثقات» .

وعزاه في «كنز العمال»: (٥٤١/١٤) أيضاً لابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث والنشور». وانظر: تفسير ابن كثير: ٥٤٧/٢ .

وصححه الألباني في «ظلال الجنة في تخرّج السنة»: ٤٠٦/١ .

(٤) في «ب»: في لذاتها .

(٥) في «أ»: فكيف .

(٦) ذكر هذا كثير من المفسرين، انظر: الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة ص (٥٨)، المحرر الوجيز: ٢٨١/٨ =

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَسْخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾

﴿وما أهلكتنا من قرية﴾، أي: من أهل قرية، ﴿إلا ولها كتاب معلوم﴾، أي: أجل مضروب لا يتقدم عليه، ولا يأتيهم العذاب حتى يبلغوه، ولا يتأخر عنهم .

﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ «من» صلة، ﴿وما يستأخرون﴾، أي: الموت لا يتقدم ولا يتأخر، وقيل: العذاب المضروب .

﴿وقالوا﴾ يعني: مشركي مكة، ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾، أي: القرآن، وأرادوا به محمداً ﷺ، ﴿إنك مجنون﴾، وذكروا تنزيل الذكر على سبيل^(١) الاستهزاء .

﴿لو ما تأتينا بالملائكة﴾، هلا ﴿تأتينا بالملائكة﴾، شاهدين لك بالصدق على ما تقول، ﴿إن كنت من الصادقين﴾، إنك نبي^(٢) .

﴿ما نزل الملائكة﴾، قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر بنونين «الملائكة» نصب، وقرأ أبو بكر بالياء وضمها وفتح الزاي «الملائكة» رفع وقرأ الباقون بالياء وفتحها^(٣) وفتح الزاي «الملائكة» رفع. ﴿إلا بالحق﴾ أي: بالعذاب ولو نزلت يعني الملائكة لعجلوا بالعذاب، ﴿وما كانوا إذا منظرين﴾ أي: مؤخرين، وقد كان الكفار يطلبون إنزال الملائكة عياناً فأجابهم الله تعالى بهذا. ومعناه: إنهم لو نزلوا عياناً لزال عن الكفار الإمهال وعذبوا في الحال .

﴿إننا نحن نزلنا الذكر﴾، يعني القرآن، ﴿وإننا له لحافظون﴾، أي: نحفظ القرآن من الشياطين أن

= زاد المسير: ٣٨٢/٤ .

هذا، وقد أُلحنا في موضع سابق من هذا التفسير إلى أن بعض العلماء توسعوا كثيراً في الحكم على كثير من آيات الصبر والمسالمة والإعراض عن المشركين وتهديدهم بالعذاب = بالنسخ، وجعلوا آية القتال أو آية السيف ناسخة لأكثر من مائة آية في القرآن الكريم. وفي هذا غلو في القول بالنسخ، وخروج به عن مفهومه الصحيح .

انظر: علوم القرآن، لأستاذنا الدكتور عدنان محمد زرزور ص (٢١٠-٢١٢) وقرأ الفصل بكامله عن «الناسخ والمنسوخ» .

(١) في «ب»: طريق .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) في «ب»: وضمها .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴿٤﴾ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿٥﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ ﴿٦﴾

يزيدوا فيه، أو ينقصوا منه، أو يبدلوا، قال الله تعالى: «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» (فصلت - ٤٢) والباطل: هو إبليس، لا يقدر أن يزيد فيه ما ليس منه ولا أن ينقص منه ما هو منه .
وقيل الهاء في «له» راجعة إلى محمد ﷺ أي: إنا لحمد لحافظون ممن أراحه بسوء كما قال جل ذكره: «والله يعصمك من الناس» (المائدة - ٦٧) .

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾، أي: رسلاً، ﴿فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ﴾، أي: في [الأمم والقرون الماضية]^(١) .

والشيعية: هم القوم المجتمعون^(٢) المتفقة كلمتهم .

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، كما فعلوا بك، ذكره^(٣) تسلياً للنبي ﷺ .
﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾، أي: كما سلطنا الكفر والتكذيب والاستهزاء بالرسول^(٣) في قلوب شيع الأولين، كذلك [نسلكه: ندخله]^(٣)، ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾، يعني: مشركي مكة قومك. وفيه ردٌ على القدرية^(٤) .

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، يعني: لا يؤمنون بمحمد ﷺ وبالقرآن، ﴿وَقَدْ خَلَتْ﴾، مضت، ﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾، أي: وقائع الله تعالى بالإهلاك فيمن كذب الرسل من الأمم الخالية، يخوف أهل مكة .
﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾، يعني: على الذين يقولون لو ما تأتينا بالملائكة، ﴿بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ﴾ أي: فضلت الملائكة يعرجون فيها، وهم يرونها عياناً، هذا قول الأكثرين .

(١) في «ب»: أمم الأولين الماضية .

(٢) في «أ»: المجتمعمة .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) القدرية هم الذين ينكرون القدر، فيقولون: لا قدر والأمر أنف، ويزعمون أن كل عبد خالق لفعله، فالأمور يستأنف العلم بها، وتستأنف - بالتالي - إرادتها، وكأنهم بهذا ينفون الإرادة الأزلية والعلم الأزلي ليخرجوا فعل الإنسان عن نطاق قدرة الخلاق العليم .

انظر: الوصية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، بتحقيقنا، ص (٥٧) تعليق (٥) .

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ
بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ ﴿١٦﴾

وقال الحسن: معناه فظل هؤلاء الكفار يرجون فيها أي: يصعدون .
والأول أصح (١) .

﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾، سُدَّتْ، ﴿أَبْصَارُنَا﴾، قاله ابن عباس (٢) .

وقال الحسن: سحرت .

وقال قتادة: أخذت (٣) .

وقال الكلبي: عميت (٤) .

وقرأ ابن كثير ﴿سُكِّرَتْ﴾ بالتخفيف، أي: حُبِسَتْ ومُنِعَتْ النظر كما يسكر النهر لحبس الماء .

﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾، أي: عمل فينا السحر فسحرنا محمد - ﷺ - .

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾، والبروج: هي النجوم الكبار، مأخوذة

من الظهور، يقال: تبرجت المرأة أي: ظهرت .

وأراد بها: المنازل التي تنزلها الشمس، والقمر، والكواكب السيارة، وهي اثنا عشر برجاً:

الْحَمَلُ، وَالثَّوْرُ، وَالْحُوزَاءُ، وَالسَّرَطَانُ، وَالْأَسَدُ، وَالسَّنْبُلَةُ، وَالْمِيزَانُ، وَالْعَقْرَبُ، وَالْقَوْسُ، وَالْجَدْيُ،

وَالدَّلُو، وَالْحَوْتُ (٥) .

وقال عطية: هي قصور في السماء عليها الحرس (٦) .

(١) وهو مروى عن ابن عباس، وابن جريج، وقاتدة، والضحاك، وإليه ذهب الطبري. واعتمد ابن كثير قول الحسن، وهو ما قاله ابن عطية كذلك .

انظر: تفسير الطبري: ١٠/١٤-١١ (طبع الحلبي)، تفسير ابن كثير: ٥٤٨/٢، المحرر الوجيز: ٢٨٨/٨، زاد المسير: ٣٨٦/٤ .

(٢) وهو قول مجاهد والضحاك. انظر: تفسير الطبري: ١٢/١٤ .

(٣) وهما قولان متقاربان، وأخرجهما الطبري عن ابن عباس وقاتدة أيضاً .

(٤) أخرجه الطبري: ١٣/١٤ .

وقد رجح الطبري قول من قال إن معنى ذلك: «أخذت أبصارنا وسحرت، فلا تبصر الشيء على ما هو به، وذهب حدُّ

إبصارها، وانطفأ نوره، كما يقال للشيء الحار إذا ذهب فورته وسكن حدُّ حرِّه: قد سكر يسكر .

(٥) وهو قول ابن عباس وأبي عبيدة وآخرين .

انظر: زاد المسير: ٣٨٧/٤، الدر المنثور: ٦٩/٤ .

(٦) كان في المطبوع «ابن عطية، وكذلك في البحر المحيط، وليس هذا الكلام لابن عطية، وإنما هو: «عطية» كما في زاد المسير،

وهو مروى أيضاً عن ابن عباس. وقال ابن قتيبة: يقال هي اثنا عشر برجاً، وأصل البرج: القصر والحسن .

انظر: زاد المسير: ٣٨٧/٤، مشكل القرآن لابن قتيبة: (٢٣٨/١) من القرطين لابن مطرف، الدر المنثور: ٦٩/٤ .

وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ وَشِهَابٌ

مُبِينٌ ﴿١٨﴾

﴿وزيادها﴾، أي: السماء بالشمس والقمر والنجوم ﴿لِلنَّاطِرِينَ﴾ .

﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾، مرجوم. وقيل: ملعون .

قال ابن عباس: كانت الشياطين لا يجيبون عن السموات وكانوا يدخلونها، ويأتون بأخبارها فيلقون على الكهنة، فلما ولد عيسى عليه السلام / منعوا من ثلاث سموات، فلما ولد محمد ﷺ منعوا من السموات أجمع، فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلا رُمي بشهاب، فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لإبليس، فقال^(١): لقد حدث في الأرض حدث، قال: فبعثهم فوجدوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن، فقالوا: هذا والله ما حدث^(٢) .

أ/١٩٦

﴿إلا من استرق السمع﴾، لكن من استرق السمع، ﴿فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾، والشهاب: الشعلة

من النار .

وذلك أن الشياطين يركب بعضهم بعضاً إلى السماء الدنيا، ويسترقون السمع من الملائكة، فيرمون بالكواكب فلا تخطيء أبداً، فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حيث يشاء الله، ومنهم من تخبله فيصير غولاً يضل الناس في البوادي^(٣) .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو، قال: سمعت عكرمة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: إن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها

(١) في «ب»: فقالوا .

(٢) نقله عنه أبو حيان في البحر المحيط: ٤٤٩/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٨٩/٤، كلاهما دون قوله: فما منهم من أحد... إلخ وانظر: تفسير القرطبي: ١٢/١٠، الدر المنثور: ٣٠٣/٨ .

(٣) اختلف في الشهاب، هل يقتل أم لا؟ .

فقال ابن عباس: الشهاب يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل .

وقال الحسن وطائفة: يقتل. فعلى هذا القول في قتلهم بالشهب قبل إلقاء السمع إلى الجن قولان :

أحدهما - أنهم يقتلون قبل إلقاءهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم؛ فعلى هذا لا تصل أخبار السماء إلى غير الأنبياء، ولذلك انقطعت الكهانة .

والثاني : أنهم يقتلون بعد إلقاءهم ما استرقوه إلى غيرهم من الجن، ولذلك ما يعودون إلى استراقه، ولو لم يصل لانقطع الاستراق وانقطع الإحراق. ذكره الماوردي .

قال القرطبي: والقول الأول أصح .

انظر: تفسير القرطبي: (١١/١٠) .

خُضْعَانًا^(١) لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العليُّ الكبير، فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض - ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع أحدهم الكلمة فيلقبها إلى من تحته، ثم يلقبها الآخر إلى من تحته، حتى يلقبها على لسان الساحر أو الكاهن، وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقبها، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذبُ معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا، فيصدِّقُ بتلك الكلمة التي سمعت من السماء^(٢).

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن أبي مريم، حدثنا الليث، حدثنا ابن جعفر، عن محمد بن عبدالرحمن، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «إنَّ الملائكة تنزل في العنَّان، وهو السحاب، فتذكر الأمر الذي قُضِيَ في السماء فتسترقُّ الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهَّان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم»^(٣).

واعلم أن هذا لم يكن ظاهراً قبل مبعث النبي ﷺ، ولم يذكره شاعر من العرب قبل زمان النبي ﷺ، وإنما ظهر في بدء أمره وكان ذلك أساساً لنبوته عليه السلام^(٤).

وقال يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق: إن أول من فزع للرمي بالنجوم هذا الحي من ثقيف وإنهم جاؤوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج، وكان أهدي^(٥) العرب، فقالوا له: ألم تر ما حدث في السماء من القذف بالنجوم؟ قال: بلى، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يُهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معاشهم هي التي يرمى بها فهي - والله - طي الدنيا وهلاك الخلق الذي فيها، وإن كانت

(١) «خضعاناً» بفتحين، من الخضوع. وفي رواية بضم أوله وسكون ثانية، وهو مصدر بمعنى: خاضعين.

انظر: فتح الباري: ٥٣٨/٨.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، باب: «حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق، وهو العلي الكبير»: ٥٣٧/٨، وفي باب «إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين»: ٣٨٠/٨.

(٣) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة: ٣٠٤/٦، وفي مواضع أخرى.

(٤) قال ابن عطية في «الحرر الوجيز»: (٢٩٢/٨): «وفي الأحاديث ما يدل على أن الرجم كان في الجاهلية، ولكنه اشتد في وقت الإسلام، وحفظ السماء حفظاً تاماً».

وقال الزُّجاج: لم يكن إلا بعد النبي ﷺ، بدليل أن الشعراء لم يشبهوا به في السرعة إلا بعد الإسلام. وذكر الزهري عن أبي رجاء العطاردي: كنا لا نرى الرجم بالنجوم قبل الإسلام.

وانظر تفصيلاً أوسع في القرطبي: ١٢/١٠، ١٣-١٢/١٩، ٦٧-٦٦/١٥.

(٥) في «ب»: أدهى.

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾
وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾

نجوماً غيرها وهي والله ثابتة على حالها فهذا الأمر أرادته الله تعالى بهذا الخلق^(١).
قال معمر قلت للزهري: أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم، قلت: أفرأيت قوله تعالى:
«وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ» الآية. (الجن - ٦)؟ قال: غَلَّظْتُ وَشَدَّدْتُ أَمْرَهَا حِينَ بَعَثَ النَّبِيَّ
ﷺ^(٢).

وقال ابن قتيبة: إن الرجم كان قبل مبعثه - ﷺ - ولكن لم يكن [مثله]^(٣) في شدة الحراسة
بعد مبعثه^(٤).

وقيل: إن النجم ينقض فيرمي الشياطين ثم يعود إلى مكانه، والله أعلم.
قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾، بسطانها على وجه الماء، يقال: إنها مسيرة خمسمائة سنة في
مثلها دحيت من تحت الكعبة^(٥)، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ﴾، جبلاً ثوابت، وقد كانت الأرض تميد إلى
أن أرساها الله بالجبال، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾، أي: في الأرض، ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾، مقدر معلوم.
وقيل: يعني في الجبال، وهي جواهر من الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها، حتى
الزرنينخ والكحل كل ذلك يوزن وزناً.
وقال ابن زيد: هي الأشياء التي توزن وزناً^(٦).

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ﴾، جمع معيشة، قيل: أراد بها المطاعم والمشارب والملابس [وهي
ما]^(٧) يعيش به آدمي^(٨) في الدنيا، ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾، أي: جعلنا فيها من لستم له برازقين
من الدواب والأنعام، أي: جعلناها لكم وكفيناكم رزقها و«من» في الآية بمعنى «ما» كقوله تعالى:
«فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين» (النور - ٤٥).

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١٢/١٠.

(٢) رواه عبدالرزاق عن معمر. انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ص (٤٢٩) تحقيق السيد صقر.

(٣) استدركتها من «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة واضطربت العبارة في المطبوع اضطراباً كثيراً، وفيها زيادات، ليست في
«تأويل المشكل»، ولا في النسخ الخطية.

(٤) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ص (٤٣٠).

(٥) انظر: البحر المحيط: ٤٥٠/٥. وذكر المصنف ذلك بصيغة التمريض، ولا دليل ثابت عن المعصوم ﷺ في ذلك.

(٦) والمعنى الأول أعم وأحسن. انظر: المحرر الوجيز: ٢٩٣/٨.

(٧) في «أ»: وقيل.

(٨) في «ب»: المرء.

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿١١﴾ وَأَرْسَلْنَا
الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿١٢﴾

وقيل: «من» في موضعها؛ لأنه أراد المالك مع الدواب .

وقيل: «من» في محل خفض عطفاً على الكاف والميم في «لكم» .

«وإن من شيء» [أي: وما من شيء] ^(١)، «إلا عندنا خزائنه»، أي مفاتيح خزائنه .

وقيل: أراد به المطر .

«وما نزله إلا بقدر معلوم»، لكل أرض حدٌ مقدر، ويقال: لا تنزل من السماء قطرة إلا

ومعها ملك يسوقها حيث يريد الله عز وجل ويشاء . .

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده قال: في العرش مثال جميع ما خلق الله في البر والبحر،

وهو تأويل قوله تعالى: «وإن من شيء إلا عندنا خزائنه» ^(٢) .

«وأرسلنا الرياح لواقح» أي: حوامل، لأنها تحمل الماء إلى السحاب، وهو جمع لاقحة، يقال:

ناقة لاقحة إذا حملت الولد .

قال ابن مسعود: يرسل الله الريح فتحمل الماء فيمر به السحاب، فيدثر كما تدر اللقحة ثم

تمطر ^(٣) .

وقال أبو عبيدة: أراد باللواقح الملاقح واحدها ملقحة، لأنها تلتح الأشجار .

قال عبيد بن عمير: يبعث الله الريح المبشرة فتقم الأرض قمماً، ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب،

ثم يبعث الله المؤلفة السحاب بعضه إلى بعض فتجعله ركاماً، ثم يبعث اللواقح فتلتح الشجر ^(٤) .

وقال أبو بكر بن عياش: لا تقطر قطرة من السحاب إلا بعد أن تعمل الرياح الأربع فيه،

فالسبب تهيجه، والشمال تجمعهم، والجنوب تدره، والدبور تفرقه .

وفي الخبر أن: اللقح رياح الجنوب .

(١) ساقط من «أ» .

(٢) نقله القرطبي في التفسير: ١٥/١٠ .

(٣) أخرجه ابن جرير: ٢٠/١٤، والبيهقي في السنن: ٣/٣٦٤، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والخراطي في «مكارم الأخلاق». انظر: الدر المنثور: ٧٢/٥ .

قال الميمني في «مجمع الزوائد»: (٤٥/٧): «رواه الطبراني، وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف» .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري: ٢١/١٤، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في العظمة .

انظر: الدر المنثور: ٧٣/٥ .

وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾

وفي [بعض] الآثار: ما هبت ريح الجنوب إلا وبعث عيناً غدقة^(١).
وأما الريح العقيم: فإنها تأتي بالعذاب ولا تلقح.

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، حدثنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا من لا أتهم بحديثه، حدثنا العلاء بن راشد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ما هبت ريح قط إلا جثا النبي ﷺ على ركبتيه، وقال: اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً، اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً. قال ابن عباس: في كتاب الله عز وجل: «إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً» (القمر - ١٩) «إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم» (الذاريات - ٤١)، وقال: «وأرسلنا الرياح لواقح» (الحجر - ٢٢)، وقال: «أن يرسل الرياح مبشرات»^(٢) (الروم - ٤٦)

قوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾، أي: جعلنا المطر لكم سقياً، يقال: أسقى فلان فلاناً: إذا جعل له سقياً، وسقاه: إذا أعطاه ما يشرب. وتقول العرب: سقيت الرجل ماءً ولبناً إذا كان لسقيه^(٣) / فإذا جعلوا له ماء لشرب أرضه ودوابه تقول: أسقيته.

ب / ١٩٦

﴿وما أنتم له بخازنين﴾، يعني المطر في خزائنا لا في خزائنكم. وقال سفيان: بمانعين.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾، بأن نميت جميع الخلائق، فلا يبقى حي سوانا.

والوارث من صفات الله عز وجل. قيل: الباقي بعد فناء الخلق.

وقيل: معناه إن مصير الخلق إليه^(٤).

(١) أخرج البيهقي في السنن: ٣/٣٦٣ عن عبدالله مرفوعاً: «ما عام بأمطر من عام، ولا هبت جنوب إلا سال وادي». وقال: كذا روي مرفوعاً، والصحيح أنه موقوف.

(٢) أخرجه الشافعي في المسند: ١/٧٥، وفيه العلاء بن راشد وهو مجهول، ورواه الطبراني، ومسدد، وأبو يعلى، والبيهقي في «الدعوات الكبير».

قال الهيثمي: وفيه حسين بن قيس الملقب بمنش، وهو متروك. وقال البوصيري: رواه مسدد وأبو يعلى بسند ضعيف لضعف حسين بن قيس.

انظر: مجمع الزوائد: ١٠/١٣٦، المطالب العالية: ٣/٢٣٨، مشكاة المصابيح: ١/٤٨١.

(٣) في «ب»: لشفته.

(٤) قال البيهقي في «الأسماء والصفات»: (١/٤١): «الوارث: ومعناه الباقي بعد ذهاب غيره. وربنا جل ثناؤه بهذه الصفة؛ لأنه يبقى بعد ذهاب الملاك الذين أمتعهم في هذه الدنيا بما آتاهم، لأن وجودهم ووجود الأملاك كان به، ووجوده ليس بغيره. وهذا الاسم مما يؤثر عن رسول الله ﷺ في خير الأسماء».

وانظر: «المنهاج في شعب الإيمان» للحلي: ١/١٨٩.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ ٢٤

﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾، قال ابن عباس: أراد بالمستقدمين الأموات والمستأخرين الأحياء .

قال الشعبي: الأولين والآخريين .

وقال عكرمة: المستقدمون^(١) من خلق الله والمستأخريين^(١) من لم يخلق الله .

قال مجاهد: المستقدمون القرون الأولى والمستأخرون أمة محمد ﷺ .

وقال الحسن: المستقدمون في الطاعة والخير، والمستأخرون المبطلون عنها^(٢) .

وقيل: المستقدمون في الصفوف في الصلاة والمستأخرون فيها. وذلك أن النساء كن يخرجن إلى صلاة الجماعة فيقفن خلف الرجال، فربما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتأخر إلى آخر صفوف الرجال، ومن النساء من كانت في قلبها ريبة فتتقدم إلى أول صفوف النساء لتقرب من الرجال. فنزلت هذه الآية^(٣) .

وقال النبي ﷺ: «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها»^(٤) .

وقال الأوزاعي: أراد المصلين في أول الوقت والمؤخرين إلى آخره .

وقال مقاتل: أراد بالمستقدمين والمستأخرين في صف القتال .

وقال ابن عيينة: أراد من يسلم ومن لا يسلم^(٥) .

(١) في «ب»: المستقدمين، المستأخرين. في سائر المواضع في تفسير الآية .

(٢) انظر في هذه الأقوال ونسبتها لأصحابها: تفسير الطبري: ٢٣/١٤-٢٦، البحر المحيط: ٥/٤٥١، زاد المسير: ٤/٣٩٦-٣٩٧، الدر المنثور: ٥/٧٣-٧٦ .

(٣) أورد السيوطي جملة آثار في ذلك منها ما أخرجه الطيالسي، وسعيد بن منصور، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في السنن من طريق أبي الجوزاء عن ابن عباس، قال: كانت امرأة تصلي خلف رسول الله.. فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لثلا يراها، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطيه، فأنزل الله «ولقد علمنا المستقدمين منكم والمستأخرين» .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله عن هذا الأثر: «حديث غريب جداً...» وقال أيضاً: «وهذا الحديث فيه نكارة شديدة... والظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط، ليس فيه لابن عباس ذكر، وقد قال الترمذي: هذا أشبه أن يكون أصح» . وقال ابن عطية: ما تقدم وما تأخر من الآية يضعف هذه التأويلات لأنها تذهب لإصالح المعنى .

انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٥٥٠-٥٥١، الدر المنثور: ٥/٧٣، المحرر الوجيز: ٨/٣٠٣، الكافي الشاف لابن حجر ص ٩٣ .

(٤) أخرجه مسلم في الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها، برقم (٤٤٠٠): ١/٣٢٦، والمصنف في شرح السنة: ٣/٣٧١ .

(٥) قال الطبري: (٢٦/١٤): «وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصحة، قول من قال: معنى ذلك: ولقد علمنا الأموات منكم =

وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٤٦﴾

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾، على ما علم منهم .

وقيل: يميت الكل، ثم يحشرهم، الأولين والآخرين .

أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن، أخبرنا أبو سعيد الصيرفي، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من مات على شيء بعثه الله عليه»^(١) .

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾، يعني: آدم عليه السلام، سمي إنساناً لظهوره وإدراك البصر إياه. وقيل: من النسيان لأنه عهد إليه فنسي. ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾، وهو الطين اليابس الذي إذا نقرته سمعت له صلصلة، أي: صوتاً .

قال ابن عباس: هو الطين الحر، الذي نضب عنه الماء تشقق، فإذا حرك تققعق .

وقال مجاهد: هو الطين المتين. واختاره الكسائي، وقال: هو من صَلَّ اللحم وأَصَلَّ، إذا تَنَّن^(٢) .

﴿مِنْ حَمَإٍ﴾، والحما: الطين الأسود، ﴿مَسْنُونٍ﴾ أي: متغير. قال مجاهد وقادة: هو المتين المتغير .

= يابني آدم فتقدم موته، ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم، ممن هو حي، ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعد، للدلالة ما قبله من الكلام وما بعده على أن ذلك كذلك .

وجائز أن تكون الآية نزلت في شأن المتقدمين في الصف لشأن النساء والمستأخرين فيه لذلك، ثم يكون الله عز وجل عم بالمعنى المراد منه جميع الخلق، فقال جل ثناؤه لهم: قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم، وما كانوا يعملون، ومن هو حي منكم، ومن هو حادث بعدكم أيها الناس، وأعمال جميعكم خيرها وشرها، وأحصينا جميع ذلك، ونحن نحشر جميعهم، فنجازي كلأ بأعماله، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشرأ، فيكون ذلك تهديداً ووعيداً للمستأخرين في الصفوف لشأن النساء، ولكل من تعدى حسد الله، وعمل بغير ما أذن له به، ووعداً لمن تقدم في الصفوف لسبب النساء، وسارع إلى محبة الله ورضوانه في أفعاله كلها .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٣١٣/٤ عن جابر رضي الله عنه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٣١٣/٣ عن جابر، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه: ٢٩/١، والمصنف في شرح السنة: ٤٠١/١٤ .

وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٢٨٣): ٥١٠/١، وانظر: كنز العمال: ٦٨١/١٥ .

وأخرج مسلم من طريق جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ ويقول: «يبعث كل عبد على ما مات عليه»، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، برقم (٢٨٧٨): ٢٢٠٦/٤ .

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٣٠٣/٨-٣٠٥، البحر المحيط: ٤٥٣/٥ .

وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ تَارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾

وقال أبو عبيدة: هو المصبوب. تقول العرب: سنت الماء أي صببته .
قال ابن عباس: هو التراب المبتل المتن، جعل صلصالاً كالفضار (١) .
وفي بعض الآثار: إن الله عز وجل خمر طينة آدم وتركه حتى صار متغيراً أسود، ثم خلق منه آدم عليه السلام (٢) .

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾، قال ابن عباس: هو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر .

وقال قتادة: هو إبليس خلق قبل آدم .

ويقال: الجانّ: أبو الجن، وإبليس أبو الشياطين .

وفي الجن مسلمون وكافرون، ويحيون ويموتون، وأما الشياطين؛ فليس منهم مسلمون، ويموتون

إذا مات إبليس .

وذكر وهب: إن من الجن من يولد لهم ويأكلون ويشربون [بمنزلة الآدميين] (٣)، ومن الجن

من هم بمنزلة الريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون .

﴿مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾، والسموم زيج حارة تدخل مسام الإنسان فتقتله. ويقال: السّموم بالنهار

والحرور بالليل .

وعن الكلبي عن أبي صالح: السموم نار لا دخان لها، والصواعق تكون منها وهي نار بين

السماء وبين الحجاب، فإذا أحدث الله أمراً خرقت الحجاب فهوت إلى ما أمرت، فالهدة التي تسمعون

في خرق ذلك الحجاب .

وقيل: نار السّموم لب النار .

وقيل: من نار السموم أي: من نار جهنم .

وعن الضحاك عن ابن عباس قال: كان إبليس من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من

نار السّموم (٤)، وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، فأما الملائكة فإنهم خلقوا

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٣٠٥/٨-٣٠٦، زاد المسير: ٣٩٧/٤-٣٩٨ .

(٢) أخرج نحواً من هذا مطولاً: ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً عليه، وما انفرد به ابن عساكر فهو ضعيف غالباً .

انظر: الدر المنثور: ٧٧/٥ .

(٣) ساقط من «أ» .

(٤) انظر: فيما سبق، تفسير سورة البقرة: ٨٠/١-٨١ .

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ، وَنَفَخْتَ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾

من النور^(١).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا﴾، أي: سأخلق بشراً، ﴿مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ﴾، عدلت صورته، وأتممت خلقه، ﴿وَنَفَخْتَ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾، فصار بشراً حياً، والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان، وأضافه إلى نفسه تشريفاً، ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، سجدوا تحية لا سجود عبادة.

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ﴾، الذين أمروا بالسجود، ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.

فإن قيل: لِمَ قال ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ وقد حصل المقصود بقوله فسجد الملائكة؟ قلنا: زعم الخليل وسيبويه أنه ذكر ذلك تأكيداً.

وذكر الميرد: أن قوله ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ﴾ كان من المحتمل أنه سجد بعضهم فذكر «كلهم» ليزول هذا الإشكال، ثم كان [يحتمل أنهم سجدوا]^(٢) في أوقات مختلفة فزال ذلك الإشكال بقوله «أجمعون»^(٣). وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه: إن الله عز وجل قال لجماعة من الملائكة: اسجدوا لآدم فلم يفعلوا فأرسل الله عليهم ناراً فأحرقتهم، ثم قال لجماعة أخرى: اسجدوا لآدم فسجدوا^(٤).

(١) أخرج الإمام مسلم في صحيحه: (٢٢٩٤/٤) عن عائشة رضي الله عنها قلت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق آدم مما وصف لكم».

(٢) في «ب»: من المحتمل أن يسجدوا.

(٣) جاء هذا الجواب أوضح في «مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل» ص (١٦٧-١٦٨)، قال: «قال سيبويه والخليل: هو تأكيد بعد تأكيد، فيفيد زيادة تمكين المعنى وتقديره في الذهن، فلا يكون تحصيل الحاصل، بل تكون نسبة «أجمعون» كنسبة «كلهم» إلى أصل الجملة».

وقال الميرد: قوله تعالى: «أجمعون» يدل على اجتماعهم في زمان السجود، و«كلهم» يدل على وجود السجود من الكل، فكانه قال: فسجد الملائكة كلهم معاً في زمان واحد. واختار ابن الأنباري هذا القول. واختار الزجاج وأكثر الأئمة قول سيبويه، وقالوا: لو كان الأمر كما زعم الميرد لكان «أجمعون» حالاً، لوجود حدّ الحال فيه، وليس بحال؛ لأنه مرفوع، ولأنه معرفة كسائر ألفاظ التوكيد».

(٤) أخرجه الطبري في التفسير: ٣١/١٤. وقال ابن كثير: (٥٥١/٢): وفي ثبوت هذا عنه نظر، والظاهر أنه اسرائيلي ووصفه بأنه أثر غريب عجيب.

إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنِ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا بَلِيسَ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ
السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ
﴿٣٣﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ
الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي
الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾

﴿إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ .

﴿قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين﴾ .

﴿قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من حمأ مسنون﴾، أراد: أنا [أفضل] ^(١) منه لأنه طينتي،

وأنا نارتي، والنار تأكل الطين .

﴿قال فأخرج منها﴾ أي: من الجنة ﴿فإنك رجيم﴾، طريد .

﴿وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾، قيل: إن أهل السموات يلعنون إبليس كما يلعنه أهل

الأرض، فهو ملعون في السماء والأرض .

﴿قال رب فأنظرنى إلى يوم يعثون﴾، أراد الخبيث أن لا يموت .

﴿قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾، أي: الوقت الذي يموت فيه الخلائق، وهو

النفخة الأولى .

ويقال: إن مدة موت إبليس أربعون سنة وهي ما بين النفختين .

ويقال: لم تكن إجابة الله تعالى إياه في الإمهال إكراماً له، بل كانت زيادة في بلائه وشقائه .

﴿قال رب بما أغويتى﴾، أضللتني . وقيل: خيبتني من رحمتك، ﴿لأزينن لهم في الأرض﴾،

حُب الدنيا ومعاصيك، ﴿ولأغوينهم﴾، أي: لأضلتهم، ﴿أجمعين﴾ .

﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾، المؤمنين الذي أخلصوا لك الطاعة والتوحيد، ومن فتح اللام،

أي: من أخلصته بتوحيديك واصطفيته .

(١) في (ب): خير .

قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ
 اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ
 بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾

﴿قال﴾، الله تعالى، ﴿هذا صراطٌ عليّ مستقيم﴾، قال الحسن: معناه صراط إلى مستقيم .
 وقال مجاهد: الحق يرجع إلى الله تعالى، وعليه طريقه، ولا يعوج عليه شيء .
 وقال الأخفش: يعني: عليّ الدلالة على الصراط المستقيم .
 قال الكسائي: هذا على التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه: طريقك عليّ، أي: لا
 تفلت مني، كما قال عزّ وجلّ: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ (الفجر - ١٤) .
 وقيل: معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية .
 وقرأ ابن سيرين، وقتادة، ويعقوب: عليّ، من العلوّ أي: رفيع، وعبر بعضهم عنه: رفيع أن
 يُنال، مستقيم أن يُمال .

﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ /، أي: قوة .

قال أهل المعاني: يعني على قلوبهم .

وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقال: معناه ليس لك عليهم سلطان تلقيم في ذنب
 يضيق عنه عفوي، وهؤلاء ثنية الله الذين هدامهم واجتباهم. ﴿إلا من اتبعك من الغاوين﴾ .

﴿وإن جهنّم لموعدهم أجمعين﴾، يعني موعد إبليس ومن تبعه .

﴿لها سبعة أبواب﴾، أطباق .

قال علي رضي الله عنه: تدرون كيف أبواب النار؟ هكذا، ووضع [شعبة] إحدى يديه على
 الأخرى^(١)، أي: سبعة أبواب بعضها فوق بعض وإن الله وضع الجنان على العرض ووضع النيران
 بعضها فوق بعض .

قال ابن جريج: النار سبع دركات: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم
 الجحيم، ثم الهاوية .

﴿لكل بابٍ منهم جزءٌ مقسوم﴾، أي: لكل دركة قومٌ يسكنونها .

وقال الضحاك: في الدركة الأولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار، يعدّون بقدر ذنوبهم ثم

(١) أخرجه الطبري: ٣٥/١٤، ومنه زدنا كلمة «شعبة» وهو الراوي الذي حكى الإشارة بيديه .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾ نَبِيِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾

يخرجون، وفي الثانية النصارى، وفي الثالثة اليهود، وفي الرابعة الصابئون، وفي الخامسة المجوس، وفي السادسة أهل الشرك، وفي السابعة المنافقون، فذلك قوله تعالى: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» (النساء - ١٤٥).

وروي عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سئل السيف على أمتي أو قال على أمة محمد» (١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾، أي: في بساتين وأنهار. ﴿ادْخُلُوهَا﴾ أي: يقال لهم ادخلوا الجنة، ﴿بِسَلَامٍ﴾، أي: بسلامة ﴿آمِنِينَ﴾، من الموت والخروج والآفات.

﴿وَنَزَعْنَا﴾، أخرجنا، ﴿مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾، هو الشحنة والعداوة والحقد والحسد، ﴿إِخْوَانًا﴾، نصب على الحال، ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ جمع سرير ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾، يقابل بعضهم بعضاً، لا ينظر أحد منهم إلى قفا صاحبه.

وفي بعض الأخبار: إن المؤمن في الجنة إذا ودَّ أن يلقي أخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما إلى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ﴾، لا يصيبهم، ﴿فِيهَا نَصَبٌ﴾، أي: تعب، ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾، هذه أنصأ آية في القرآن على الخلود.

قوله تعالى: ﴿نَبِيِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، قال ابن عباس: يعني لمن تاب منهم. وروي أن النبي ﷺ خرج يوماً على نفر من أصحابه وهم يضحكون، فقال: «أتضحكون وبين أيديكم النار»، فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية، وقال: «يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادي من رحمتي» (٢).

(١) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الحجر: ٥٥١/٨-٥٥٢، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول، والإمام أحمد في المسند: ٩٤/٢.

وعزاه السيوطي للبخاري في «التاريخ»، ولابن مردويه. انظر: الدر المنثور: ٨١/٥. (٢) أخرجه الطبري عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: ٣٩/١٤، وعزاه السيوطي لابن مردويه، الدر المنثور: ٨٦/٥، وذكره =

وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٣﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِئُونَ ﴿٥٥﴾ قَالُوا لَا نَوْجَلُ إِنَّا نَبْشُرُكَ بِعِلْمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبْشُرُونَ ﴿٥٧﴾

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ قال قتادة: بلغنا أن نبي الله ﷺ قال: «لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام، ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه»^(١).

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا يعقوب بن عبدالرحمن، عن عمرو بن أبي عمرو، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْأَسْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: عن أضيافه. والضيف: اسم يقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، وهم الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى ليبشروا إبراهيم عليه السلام بالولد، ويهلكوا قوم لوط.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ﴾، إبراهيم: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِئُونَ﴾، خائفون لأنهم لم يأكلوا طعامه. ﴿قَالُوا لَا نَوْجَلُ﴾ لا تخف، ﴿إِنَّا نَبْشُرُكَ بِعِلْمٍ عَلِيمٍ﴾، أي: غلام في صِغَرِهِ، عليم في كِبَرِهِ، يعني: إسحاق، فتعجب إبراهيم عليه السلام من كِبَرِهِ وكِبَرِ امْرَأَتِهِ.

﴿قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي﴾ أي: بالولد ﴿عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾، أي: على حال الكبر، قاله على طريق التعجب، ﴿فِيمَ تَبْشُرُونَ﴾، فبأي شيء تبشرون؟ قرأ نافع بكسر النون وتخفيفها أي: تبشرون، وقرأ ابن كثير بتشديد النون أي: تبشروني، أدغمت نون الجمع في نون الإضافة، وقرأ الآخرون بفتح النون وتخفيفها.

= الواحد في «أسباب النزول» ص (٣٢٠)، والقرطبي في التفسير: ٣٤/١٠، وأبو حيان في البحر: ٤٥٧/٥.

وروي نحوه دون ذكر نزول جبريل، الطبراني عن عبدالله بن الزبير، وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف. انظر: مجمع الزوائد: ٤٦/٧.

(١) رواه الطبري عن قتادة بلاغاً: ٣٩/١٤، وزاد السيوطي نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

انظر: الدر المنثور: ٨٦/٥.

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق، باب الرجاء مع الخوف: ٣٠١/١١، والمصنف في شرح السنة: ٣٧٨/٢٤.

قَالُوا بَشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٦٠﴾

﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ أي بالصدق، ﴿فلا تكن من القانطين﴾ .
 ﴿قال ومن يقنط﴾، قرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب: بكسر النون، والآخرون بفتحها، وهما لغتان: قَنَطَ يَقْنِطُ، وَقِنَطَ يَقْنِطُ^(١)، أي: من يئس، ﴿من رحمة ربه إلا الضالون﴾، أي: الخاسرون، والقنوط من رحمة الله كبيرة كالأمن من مكره^(٢) .
 ﴿قال﴾ إبراهيم لهم: ﴿فما خطبكم﴾، ما شأنكم، ﴿أيها المرسلون﴾؟
 ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾، مشركين .
 ﴿إلا آل لوط﴾، أتباعه وأهل دينه، ﴿إنا لمنجؤهم أجمعين﴾، خفف الجيم حمزة والكسائي، وشدده الباقون .

﴿إلا امرأته﴾، أي: امرأة لوط، ﴿قدَرنا﴾، قضينا، ﴿إنها لمن الغايرين﴾، الباقين في العذاب،

(١) رد أبو عبيدة القراءة بكسر النون، فقال ابن عطية في المحرر الوجيز: ٣٢٧/٨، وليس كما قال، لأنهم لا يُجمعون إلا على قوي في اللغة مروى عندهم، وهي قراءة فصيحة .

(٢) روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن الكباثر؟ فقال: «الشرك بالله، واليأس من رُوح الله، والأمن من مكر الله» .

أخرج عبد الرزاق في «المصنف»: (٤٦٠/١٠) عن ابن مسعود قال: «أكبر الكباثر الشرك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رُوح الله، وعزاه الهيثمي للطبراني وقال: «إسناده صحيح»؛ مجمع الزوائد: (١٠٤/١) .
 وقال الطحاوي: «الأمن والإيأس يتقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل الإسلام»، فيجب أن يكون العبد خائفاً راجياً، فإن الخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط . والرجاء المحمود: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راجح لثوابه، أو رجل أذنب ذنباً، ثم تاب منه إلى الله، فهو راجح لمغفرته .

أما إذا كان الرجل متديماً في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب . وقد مدح الله تعالى أهل الخوف والرجاء بقوله: «أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آثَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ، وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ» (الزمر - ٩) وقال: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً» (السجدة - ١٦) فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمتناً، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً . وكل أحد إذا خفته، هربت منه، إلا الله تعالى، فإنه إذا خفته هربت إليه، فالخائف هارب من ربه إلى ربه...» .

انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفى ص (٣٥٧-٣٥٨) .

فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قومٌ مُنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِبْ أَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَهُمْ هُوَ لَا مَقْطوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾

والاستثناء من النفي إثبات، ومن الإثبات نفي، فاستثنى امرأة لوط من الناجين فكانت ملحقة بالهالكين .

قرأ أبو بكر «قدرنا» هاهنا وفي سورة النمل بتخفيف الدال. والباقون بتشديدها .

﴿فلما جاء آل لوط المرسلون﴾ .

﴿قال﴾، لوط لهم، ﴿إنكم قوم منكرون﴾ أي: أنا لا أعرفكم .

﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾، أي: يشكون أنه نازل بهم، وهو العذاب، لأنه

كان يوعدهم بالعذاب ولا يصدقونه .

﴿وأأتيناك بالحق﴾، باليقين. وقيل: بالعذاب، ﴿وإننا لصادقون﴾ .

﴿فأسرِبْ بأهلك بقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ أي: سير خلفهم، ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾،

حتى لا يرتاعوا من العذاب إذا نزل بقومهم .

وقيل جعل الله ذلك علامة لمن ينجو من آل لوط .

﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾، قال ابن عباس: يعني الشام. وقال مقاتل: يعني زُغَرٌ^(١). وقيل:

الأردن .

﴿وقضينا إليه ذلك الأمر﴾، أي: فرغنا إلى آل لوط من ذلك الأمر، أي: أحكمنا الأمر الذي

أمرنا في قوم لوط، وأخبرناه: ﴿أن دابر هؤلاء﴾، يدل عليه قراءة عبدالله: وقلنا له إن دابر هؤلاء،

يعني: أصلهم، ﴿مقطوع﴾، مستأصل، ﴿مُصْبِحِينَ﴾، إذا دخلوا في الصبح .

(١) في «ب»: «زُغَر» - بالعين المهملة الساكنة، أوله مفتوح - موضع بالحجاز، قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان»

(١٤٢/٣-١٤٣): «زُغَر»: بالعين المعجمة، بوزن زُغَر - قرية بمشارف الشام وإيها عنى أبو داود الإيادي حيث قال :

ككتابَةِ الزُّغَرِيِّ غَشًا . هَا مِنْ الزُّغَبِ الدُّلَامِصُ

وقيل: «زُغَر» اسم بنت لوط، عليه السلام، نزلت بهذه القرية فسميت باسمها؛ وقال حاتم الطائي :

سقى الله ربَّ النَّاسِ سَحًا وَدِيمَةً . جنُوبَ السَّرَاةِ مِنْ مَآبِ إِلَى زُغَرِ

وجاء ذكر «زُغَر» في حديث الجساسة، الذي أخرجه مسلم في الفتن برقم (٢٩٤٢): ٤/٢٢٦١-٢٢٦٤ .

وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَأَنْقُوا
 اللَّهُ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ
 كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾

﴿وجاء أهل المدينة﴾، يعني سدوم، ﴿يستبشرون﴾، بأضياف لوط، أي: يبشر بعضهم بعضاً،
 طمعاً في ركوب الفاحشة منهم .

﴿قال﴾، لوط لقومه، ﴿إن هؤلاء ضيفي﴾، وحق على الرجل إكرام ضيفه، ﴿فلا تفضحون﴾

فيهم .

﴿وانقوا الله ولا تخزون﴾، ولا تخجلون .

﴿قالوا أولم ننهك عن العالمين﴾، أي: ألم ننهك عن أن تضيف أحداً من العالمين .

وقيل: ألم ننهك أن تدخل الغرباء المدينة، فإننا نركب منهم الفاحشة .

﴿قال هؤلاء بناتي﴾ أزوجهن إياكم إن أسلمتم^(١)، فأتوا الحلال ودعوا الحرام، ﴿إن كنتم

فاعلين﴾، ما أمركم به .

وقيل: أراد بالبنات نساء قومه لأن النبي كالوالد لأُمَّته .

قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ﴾، يا محمد أي وحياتك، ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾، حيرتهم وضلالتهم،

﴿يَعْمَهُونَ﴾، يترددون .

قال قتادة: يلعبون .

روي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما خلق الله نفساً أكرم عليه من

محمد ﷺ، وما أقسم الله تعالى بحياة أحد إلا بحياته^(٢) .

(١) قال ابن عطية بعد أن ذكر الخلاف في تأويل قوله «بناتي»:.. ويلزم من هذا التأويل أن يكون في شرعه جواز زواج الكافر
 للمؤمنة، وقد ورد أن المؤمنات به قليل جداً .

وقال: ويحتمل أن يريد عليه السلام بقوله: «هؤلاء بناتي» بنات صلبه، ويكون ذلك على طريق المجاز، وهو لا يحقق في إباحة
 بناته، وهذا كما تقول لإنسان تراه يريد قتل آخر: اقتلني ولا تقتله، فإنما ذلك على جهة التشنيع عليه، والاستئزال من جهة
 ما، واستدعاء الحياء منه، وهذا كله من مبالغة القول الذي لا يدخله معنى الكذب، بل الغرض منه مفهوم، وعليه قول
 النبي ﷺ: «لَوْ كَمْفَحَصَ قَطَاةٌ...» إلى غير هذا من الأمثلة .

انظر: المحرر الوجيز: ٣٣٧/٨-٣٣٨ .

(٢) أخرجه الطبري في التفسير: ٤٤/١٤، والحارث بن أبي أسامة في مسنده، وأبو يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه،
 وأبو نعيم، والبيهقي في «الدلائل». وسكت عليه البوصيري .

انظر: الدر المنثور: ٨٩/٥، المطالب العالية لابن حجر: ٣٤٧/٣ .

فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِبَسْبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾

ب/١٩٧

/ ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ﴾، أي: حين أضاءت الشمس، فكان ابتداء العذاب حين أصبحوا، وتماه حين أشرقوا .

﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، قال ابن عباس: للناظرين .

وقال مجاهد: للمتفرسين .

وقال قتادة: للمعتبرين .

وقال مقاتل: للمتفكرين^(١) .

﴿وَإِنَّهَا﴾ يعني: قري قوم لوط، ﴿لِبَسْبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾، أي: بطريق واضح .

وقال مجاهد: بطريق معلم^(٢)، ليس يخفى ولا زائل .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) .

﴿وَإِنْ كَانَ﴾، وقد كان ﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾، الغيضة، ﴿لَظَالِمِينَ﴾، لكافرين، واللام للتأكيد،

وهم قوم شعيب عليه السلام، كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف، وكان عامة شجرهم الدَّوم، وهو المقل^(٤) .

(١) وهذه المعاني كلها متقاربة، فالله تعالى يقول: إن في الذي فعلنا بقوم لوط من إهلاكهم، وأحللنا بهم من العذاب لعلامات ودلالات للمتفرسين المعتبرين بعلامات الله وغيره على عواقب أمور أهل معاصيه والكفر به، وإنما يعني - تعالى ذكره - بذلك قوم نبي الله ﷺ من قريش، يقول: فلقومك يا محمد في قوم لوط، وما حل بهم من عذاب الله حين كذبوا رسولهم، وتمادوا في غيهم وضلالهم، معتبر .

انظر: تفسير الطبري: ٤٥/١٤ .

(٢) في «ب»: معلوم .

(٣) «يقول تعالى ذكره: إن في صنعنا بقوم لوط ما صنعنا بهم، لعلامة ودلالة بيّنة لمن آمن بالله، على انتقامه من أهل الكفر به، وإنقاذه من عذابه، إذا نزل بقوم، أهل الإيمان به منهم» .

انظر: تفسير الطبري: ٤٧/١٤ .

(٤) في «المعجم الوسيط»: (٣٠٥/١): «الدَّوم»: شجر عظام، من الفصيلة النخيلية، يكثر في صعيد مصر، وفي بلاد العرب، وثمرته في غلظ التفاحة ذات قشر صلب أحمر، وله نواة ضخمة ذات لب أسفنجي .

وفيه أيضاً: (٨٨١/٢): «المقل»: حنّ الدَّوم، وهو يشبه النخل .

فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ
 ﴿٨٠﴾ وَءَايَاتِنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا
 ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾

﴿فانتقمنا منهم﴾، بالعذاب، وذلك^(١) أن الله سلط عليهم الحرَّ سبعة أيام فبعث الله سحابة فالتجؤوا إليها يلتمسون الروح، فبعث الله عليهم منها ناراً فأحرقتهم، فذلك قوله تعالى: «فأخذهم عذاب يوم الظلة» (الشعراء - ١٨٩).

﴿وإنهما﴾ يعني مدينتي قوم لوط وأصحاب الأيكة ﴿لبيّامٍ مبين﴾، بطريق واضح مستبين .
 قوله تعالى: ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر﴾، وهي مدينة ثمود قوم صالح، وهي بين المدينة والشام، ﴿المرسلين﴾، أراد صالحاً وحده^(٢).

﴿وآياتناهم آياتنا﴾، يعني: الناقة وولدها والبئر، فالآيات في الناقة؛ خروجها من الصخرة، وكبرها، وقرب ولادها، وغزارة لبنها، ﴿فكانوا عنها معرضين﴾.

﴿وكانوا ينحِتون من الجبال بيوتاً آمين﴾، من الخراب ووقوع الجبل عليهم .

﴿فأخذتهم الصيحة﴾، يعني: صيحة العذاب، ﴿مصبحين﴾، أي: داخلين في وقت الصبح .

﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾، من الشرك والأعمال الخبيثة .

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا محمد ابن يعقوب الكسائي، حدثنا عبد الله بن محمود، أنبأنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله بن المبارك عن معمر، عن الزهري، أخبرنا سالم بن عبد الله، عن أبيه، عن النبي ﷺ أنه لما مر بالحجر قال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم»،

(١) في «أ»: روي .

(٢) وإنما ذكر بلفظ الجمع لأن من كذب بنبي واحد أو كفر، فقد كفر بسائر الأنبياء فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض، فمن ردّ نبوته لحسد أو عصبية أو هووى... يتبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء، وتصديقه له، ليس إيماناً شرعياً .

وانظر تفصيلاً أوسع لهذا في «مجلة البحوث الإسلامية» العدد (١٦) بعنوان «إن الدين عند الله الإسلام» كتبه: عثمان جمعة ضميرية .

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمٌ فَاصِّحٌ
 الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي
 وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾

قال: وتفتع بردائه وهو على الرُّحْل (١).

وقال عبدالرزاق عن معمر: «ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى اجتاز الوادي» (٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ﴾، يعني: القيامة ﴿لَأَيُّمٌ﴾، يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ﴿فَاصِّحَ الصَّفْحِ الْجَمِيلِ﴾، فأعرض عنهم واعف عفواً حسناً. نسختها آية القتال (٣).

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [بخلقه] (٤).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾، قال عمر وعلي: هي فاتحة الكتاب. وهو قول

قتادة وعطاء والحسن وسعيد بن جبير.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا آدم، حدثنا ابن أبي ذئب حدثنا سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم» (٥).

وعن ابن مسعود قال في السبع المثاني: هي فاتحة الكتاب، والقرآن العظيم: هو سائر القرآن (٦).
 واختلفوا في أن الفاتحة لم تسمت مثاني؟

قال ابن عباس والحسن وقتادة: لأنها تُتلى في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة (٧).

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قول الله تعالى: «وَأُولَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا» ٣٧٨/٦-٣٧٩، ومسلم في الزهد، باب «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم» برقم (٢٩٨٠): ٢٢٨٦/٤. والمصنف في شرح السنة: ٣٦١/١٤.

(٢) المصنف لعبد الرزاق: ٤١٥/١، والبيهقي في السنن: ٤٥١/٢.

(٣) انظر فيما سبق، تفسير الآية (٣) من السورة: ص ٧٨ تعليق (٦).

(٤) ساقط من «أ».

(٥) أخرجه البخاري في تفسير سورة الحجر، باب «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم»: ٣٨١/٨ وانظر: فتح الباري: الموضوع نفسه.

(٦) أخرجه الطبري في التفسير: ٥٥/١٤، وزاد السيوطي نسبته لابن الضريس، وابن المنذر، وابن مردويه.

انظر: الدر المنثور: ٩٤/٥، زاد المسير: ٤١٣/٤.

(٧) انظر: الطبري: ٥٥-٥٤/١٤، الدر المنثور: ٩٥-٩٦/٥، زاد المسير: ٤١٣-٤١٤، ففيها تفصيل هذه الأقوال ونسبتها لأصحابها. وراجع فيما سبق: ٤٩/١.

وقيل: لأنها مقسومة بين الله وبين العبد نصفين، نصفها ثناء ونصفها دعاء، كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال يقول الله عز وجل: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين»^(١).

قال الحسين^(٢) بن الفضل: سميت مثنائي لأنها نزلت مرتين: مرة بمكة، ومرة بالمدينة، كل مرة معها سبعون ألف ملك .

وقال مجاهد: سميت مثنائي لأن الله تعالى استثنائها وادخرها لهذه الأمة فما أعطاهم غيرهم .

وقال أبو زيد البلخي: [سميت مثنائي]^(٣) لأنها تُثني أهل الشر عن الفسق، من قول العرب:

ثنيت عناني .

وقيل: لأن أولها ثناء .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: إن السبع المثنائي هي السبع الطوال، أولها سورة البقرة، وآخرها الأنفال مع التوبة. وقال بعضهم: سورة يونس بدل الأنفال .

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، [أنا أبو إسحاق الثعلبي، حدثنا أبو محمد الحسن

ابن أحمد المخلدي]^(٤) أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد وعبدالله بن محمد بن مسلم قالوا:

أبنا هلال بن العلاء، حدثنا حجاج بن محمد عن أيوب بن عتبة، عن يحيى بن كثير، عن شداد

ابن عبدالله، عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى

أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني المئين مكان الإنجيل وأعطاني مكان الزبور المثنائي،

وفضلني ربي بالمفصل»^(٥).

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوتي النبي ﷺ السبع الطوال،

وأعطي موسى ستاً فلما ألقى الألواح رفع ثنتان وبقي أربع^(٦).

(١) وتماه: «... ولعبي ما سألت، فإذا قال العبد: (الحمد لله رب العالمين) قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: (الرحمن

الرحيم) قال الله تعالى: أثنى علي عبدي. وإذا قال: (مالك يوم الدين)، قال: مجدي عبدي، فإذا قال: (إياك نعبد وإياك

نستعين) قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سألت، فإذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير

المغضوب عليهم ولا الضالين)، قال: هذا لعبي ولعبي ما سألت .

أخرجه مسلم في الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة... برقم (٣٩٥): ٢٩٦/١، والمصنف في شرح السنة:

٤٧/٣، وانظر فيما سبق: ٥٧/١ .

(٢) في «ب»: الحسن .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٥) تقدم تخريجه فيما سبق: ٤١/١، تعليق (٣) .

(٦) انظر فيما سبق تعليقا على الروايات عن القاء موسى للألواح ٢٨٨/٣ تعليق (١) .

لَا تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

قال ابن عباس: وإنما سميت السبع الطوال مثاني لأن الفرائض والحدود والأمثال والخبر والعبر ثبتت فيها .

وقال طاووس: القرآن كله مثاني قال الله تعالى: «الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي» (الزمر - ٢٣). وسمي القرآن مثاني لأن الأنبياء والقصص ثبتت فيه .

وعلى هذا القول: المراد بالسبع: سبعة أسباع القرآن، فيكون تقديره على هذا: وهي القرآن العظيم. وقيل: الواو مقحمة، مجازة: ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم^(١) .

قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ﴾، يا محمد، ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾، أصنافاً، ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: من الكفار متمنياً لها. نهى الله تعالى رسوله ﷺ عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة أهلها [عليها]^(٢) .
﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، أي: لا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد ابن العنزّي، حدثنا عيسى بن نصر، أنبأنا عبدالله بن المبارك، أخبرنا جهم بن أوس، قال: سمعت عبدالله بن أبي مریم - ومرّ به عبدالله بن رستم في موكبه، فقال لابن أبي مریم: إني لاشتبهى مجالستك وحدثك، فلما مضى قال ابن مریم - سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا تغبطن فاجراً بنعمته، فإنك لا تدري ما هو لاقٍ بعد موته، إن له عند الله قاتلاً لا يموت» فبلغ ذلك وهب بن منبه فأرسل إليه وهب أبا داود الأعور، قال: يا أبا فلان ما قاتلاً لا يموت؟ قال ابن أبي مریم: النار^(٣) .

أخبرنا أبو منصور محمد بن عبدالملك المظفري السرخسي، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد ابن الفضل الفقيه، حدثنا أبو الحسن بن إسحاق، حدثنا إبراهيم بن عبدالله العبسي، أخبرنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «انظروا

(١) تقدم فيما سبق أنه ليس في القرآن شيء من الحروف مقحم .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) رواه البخاري في «التاريخ»، والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي، قال الميثمي: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات. ورواه

المصنف في شرح السنة: ٢٩٤/١٤-٢٩٥ .

وضعه الألباني في تعليقه على المشكاة .

انظر: فيض القدير للمناوي: ٤١٣/٦، مجمع الزوائد: ٣٥٥/١٠، مشكاة المصابيح: ١٤٤٥/٣ .

وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾
الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾

إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم^(١).

وقيل: هذه الآية متصلة بما قبلها لما من الله تعالى عليه بالقرآن ناه عن الرغبة في الدنيا .
رُوي أن سفيان بن عيينة / - رحمه الله - تأول قول النبي ﷺ «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»^(٢) أي: لم يستغن بالقرآن. فتأول هذه الآية^(٣).

قوله تعالى: ﴿واخفض جناحك﴾، لئن جناحك ﴿للمؤمنين﴾، وارفق بهم، والجناحان لابن آدم جانباه .

﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ .

﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ قال الفراء: مجازه: أنذرکم عذاباً كعذاب المقتسمين. حكى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: هم اليهود والنصارى .
﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾، جزؤوه فجعلوه أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. وقال مجاهد: هم اليهود والنصارى قسموا كتابهم ففرقوه وبدلوه^(٤).

(١) أخرجه مسلم في الزهد والرفائق، برقم (٢٩٦٣): ٢٢٧٥/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٩٣/١٤ .
(٢) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: «وأسرأ قولكم أو اجهروا به»: ٥٠١/٣ وفي مواضع أخرى .
(٣) أخرج البخاري في فضائل القرآن، باب «من لم يتغن بالقرآن»: (٦٨/٩) عن أبي هريرة مرفوعاً: ما أذن الله لشيء ما أذن لني أن يتغن بالقرآن»، قال سفيان: تفسيره يستغني به .
قال في فتح الباري (٦٩/٩) ويمكن أن يستأنس بما أخرجه أبو داود، وابن الضريس، وصححه أبو عوانة عن ابن أبي مليكة عن عبيد الله بن نبيك قال: «لقيني سعد بن أبي وقاص وأنا في السوق فقال: ثَجَّار كَسْبَةٌ سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس منا من لم يتغن بالقرآن». وقد ارتضى أبو عبيد تفسير يتغنني يستغني - وقال: إنه جائز في كلام العرب، وأنشد الأعشى: وكنت امرءاً زمناً بالعراق .
خفيف المناخ طويل التغني
أي: كثير الاستغناء. وقال المغيرة بن حبياء:

كلانا غني عن أخيه حياته . ونحن إذا متنا أشد تغانيا

قال: فعل هذا يكون المعنى: من لم يستغن بالقرآن عن الإكثار من الدنيا، فليس منا، أي: على طريقتنا. وأيد ابن كثير تفسير سفيان بن عيينة للحديث فقال: وهو تفسير صحيح، ولكن ليس هو المقصود من الحديث. انظر: ابن كثير: ٥٥٨/٢ .
ورد الشافعي رحمه الله تفسير ابن عيينة بأنه لو كان معناه على الاستغناء، لكان «يتغاني»، وتحسين الصوت هو يتغني . انظر شرح السنة للبيهقي: ٤٨٧/٤، وراجع حكم التغني بالقرآن واختلاف العلماء فيه وفي معناه في: فتح الباري: ٦٩/٩-٧٢، تفسير القرطبي: ١١/١ وما بعدها، التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص (٨٧-٩٠) .

(٤) في «أ»: بددوه .

فَوْرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

وقيل: «المقتسمون» قوم اقتسموا القرآن. فقال بعضهم: سحر. وقال بعضهم: شعر. وقال بعضهم: كذب، وقال بعضهم: أساطير الأولين .

وقيل: الاقتسام هو أنهم فرقوا القول في رسول الله ﷺ فقالوا: ساحر كاهن شاعر .
وقال مقاتل: كانوا ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم، فاققسموا عقاب^(١) مكة وطرقها، وقعدوا على أنقابها يقولون لمن جاء من الحجاج: لا تغتروا بهذا الرجل الخارج الذي يدعي النبوة منا. وتقول طائفة منهم: إنه مجنون، وطائفة: إنه كاهن، وطائفة: إنه شاعر، والوليد قاعد على باب المسجد نصبوه حكماً فإذا سئل عنه قال: صدق^(٢) أولئك [يعني]^(٣) المقتسمين^(٤) .

وقوله: ﴿عَضِينَ﴾ قيل: هو جمع عضو مأخوذ من قولهم عضيت الشيء تعضية، إذا فرقت. ومعناه: أنهم جعلوا القرآن أعضاء، فقال بعضهم: سحر. وقال بعضهم: كهانة. وقال بعضهم: أساطير الأولين .
وقيل: هو جمع عضة. يقال: عضة وعضين مثل برة وبرين وعزة وعزين، وأصلها: عضة ذهبهاؤها الأصلية، كما نقصوا من الشفة وأصلها شفة، بدليل: أنك تقول في التصغير شفية، والمراد بالعضة الكذب والبهتان .

وقيل: المراد بالعضين العضة، وهو السحر، يريد: أنهم سَمُوا القرآن سحراً^(٥) .
﴿فَوْرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، يوم القيامة .

﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا، قال محمد بن إسماعيل قال عدّة من أهل العلم: عن قوله «لا إله إلا الله»^(٦) .

فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: «فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان» (الرحمن - ٣٩) .

قال ابن عباس: لا يسألهم هل عملتم، لأنه أعلم بهم منهم، ولكن يقول: لم عملتم كذا وكذا؟ واعتمده قطرب فقال: السؤال ضربان، سؤال استعلام، وسؤال توبيخ، فقوله تعالى: «فيومئذ لا يسأل

(١) عقاب: جمع عقبة، والعقبة هي الرق الصّعب من الجبال .

(٢) في «ب»: سئل .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) انظر هذه الأقوال وتخرجها في الطبري: ٦٤-٦١/١٤، الدر المنثور: ٩٨/٥، زاد المسير: ٤١٧/٤-٤١٨، فتح الباري: ٣٨٢/٨ .

(٥) انظر: زاد المسير: ٤١٨-٤١٩، الطبري: ٦٤-٦٦ .

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٧/١٤ .

﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُوْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ١٤﴾ ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ١٥﴾

عن ذنبه إنس ولا جان» (الرحمن - ٣٩)، يعني: استعلاماً. وقوله: «لنساءلتهم أجمعين» يعني توييحاً وتقريباً.

وقال عكرمة عن ابن عباس في الآيتين: إن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف يسألون في بعض المواقف، ولا يسألون في بعضها. نظيره قوله تعالى: «هذا يوم لا ينطقون» (المرسلات - ٣٥)، وقال في آية أخرى: «ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون»^(١) (الزمر - ٣١).
قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُوْمَرُ﴾، قال ابن عباس: أظهره. ويورى عنه: أمضه.
وقال الضحاك: أعلم.

وقال الأخفش: أفرق، أي: افرق بالقرآن بين الحق والباطل.
وقال سيويه: اقض بما تؤمر، وأصل الصّدع: الفصل، والفرق: أمر النبي ﷺ في هذه الآية بإظهار الدعوة.

وروي عن عبدالله بن عبيدة قال كان مستخفياً حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه^(٢).

﴿وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، نسختها آية القتال^(٣).

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: فاصدع بأمر الله، ولا تخف أحداً غير الله عز وجل، فإن الله كافيك من عاداك كما كافاك المستهزين، وهم خمسة نفر من رؤساء قريش: الوليد بن المغيرة المخزومي - وكان رأسهم - والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن عبدالمطلب ابن الحارث بن أسد بن عبدالعزيز بن زمة، وكان رسول الله ﷺ قد دعا عليه فقال: اللهم أعم بصره وأتكله بولده، والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، والحارث بن قيس ابن الطلالة فأتى جبريل محمداً ﷺ، والمستهزؤون يطوفون بالبيت، فقام جبريل وقام النبي ﷺ إلى جنبه، فمر به الوليد بن المغيرة، فقال جبريل: يا محمد كيف تجد هذا فقال بمس عبد الله، فقال: قد كُفيتَه، وأوماً إلى ساق الوليد، فمر برجل من خزاعة نبأ له وعليه برد يمان، وهو يجر إزاره، فتعلقت شظية من ثبل بإزاره فمنعه الكبر أن يطاطىء رأسه^(٤)، فبنزعها، وجعلت تضرب ساقه، فخدشته، فمرض منها فمات.

(١) انظر: مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل، ص (١٤٠-١٤١) و(١٦٩)، زاد المسير: ٤/٤١٩-٤٢٠.

(٢) انظر: زاد المسير: ٤/٤٢٠.

(٣) انظر فيما سبق التعليق (٦) في تفسير سورة الحجر، الآية (٣) ص (٣٦٨).

(٤) في «ب»: يطامن.

الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

ومرّ به العاص بن وائل فقال جبريل: كيف تجد هذا يا محمد؟ قال: بمس عبد الله، فأشار جبريل إلى أخصر رجله، وقال: قد كفيته، فخرج على راحلته ومعه ابنان له يتنزّه فنزل شعباً من تلك الشعاب فوطيء على شبرقة فدخلت منها شوكة في أخصر رجله، فقال: لدغت لدغت، فطلبوا فلم يجدوا شيئاً، وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير، فمات مكانه .

ومرّ به الأسود بن المطلب، فقال جبريل: كيف تجد هذا؟ قال عبد سوء، فأشار بيده إلى عينه، وقال: قد كفيته، فعمي .

قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عيناه، فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك .

وفي رواية الكلبي: أتاه جبريل وهو قاعد في أصل شجرة ومعه غلام له فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك، فاستغاث بغلامه، فقال غلامه: لا أرى أحداً يصنع بك شيئاً غير نفسك، حتى مات، وهو يقول قتلني رب محمد .

ومرّ به الأسود بن عبد يغوث، فقال جبريل: كيف تجد هذا يا محمد؟ قال: بمس عبد الله على أنه ابن خالي. فقال: قد كفيته، وأشار إلى بطنه فاستسقى [بطنه] (١) فمات حيناً .

وفي رواية للكلبي أنه خرج من أهله فأصابه السموم فاسودّ حتى عاد حبشياً، فأتى أهله فلم يعرفوه، وأغلقوا دونه الباب حتى مات، وهو يقول: قتلني رب محمد .

ومرّ به الحارث بن قيس فقال جبريل: كيف تجد هذا يا محمد؟ فقال: عبد سوء فأوماً إلى رأسه وقال: قد كفيته فامتخط قيحاً فقتله .

وقال ابن عباس: إنه أكل حوتاً مالحاً فأصابه العطش فلم يزل يشرب عليه من الماء حتى أنقذ بطنه فمات (٢)، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾، بك وبالقرآن ﴿الَّذِي يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ .

وقيل: [استهزأؤهم] (٣) واقتسامهم: هو أن الله عزّ وجلّ لما أنزل في القرآن سورة البقرة،

(١) ساقط من «أ» .

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٢-٦٩/١٤، زاد المسير: ٤٢٣-٤٢١/٤، الدر المنثور: ١٠٠-١٠٢/٥، المحرر الوجيز: ٣٥٩-٣٦١،

البحر المحيط: ٤٦٩/٥-٤٧٠، سيرة ابن هشام: ٤٠٨/١-٤٠٩ .

(٣) ساقط من «ب» .

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ
 ﴿١٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾

وسورة النحل، وسورة التمل، وسورة العنكبوت، كانوا يجتمعون ويقولون استهزاء: هذا في (١) سورة البقرة، ويقول هذا في (١) سورة النحل، ويقول هذا في (١) سورة العنكبوت (٢)، فأنزل الله تعالى : ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك﴾، قال ابن عباس: فصل بأمر ربك ﴿وكن من الساجدين﴾ /، من المصلين (٣) المتواضعين .

ب/١٩٨

وقال الضحاك: «فسبح بحمد ربك»: قل سبحان الله وبحمده «وكن من الساجدين» المصلين . وروي أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة (٤) .

﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾، أي الموت الموقن به، وهذا معنى ما ذكر في سورة مريم: «وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا» .

أخبرنا المطهر بن علي الفارسي، أخبرنا محمد بن إبراهيم الصالحى، أخبرنا عبدالله بن محمد بن جعفر أبو الشيخ الحافظ، حدثنا أمية بن محمد الصواف البصري، حدثنا محمد بن يحيى الأزدي، حدثنا أبي والهيثم بن خارجة قالوا: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن شرحبيل بن مسلم، عن أبي مسلم الخولاني عن جبير بن نفير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أوحى إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى إلي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» (٥) .

(١) في «ب»: إلى. وفي البحر المحيط: فمن قائل: البعوض لي، من قائل: التمل لي، وقائل العنكبوت لي، استهزاء .

(٢) انظر: البحر المحيط: ٤٦٨/٥ .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل: ٩٤/٢ عن حذيفة، بلفظ: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى» قال المنذري: وذكر بعضهم أنه روي مرسلًا .

وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٣٨٨/٥، والبيهقي في الدلائل في قصة الخندق مطولاً، انظر: الكافي الشاف ص (٧)، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد: ٢٧٤/٦ .

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٥٥/٤، وضعفه الألباني في تعليقه على المشكاة: ٤١٦/١ .

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية: ١٣١/٢ مرسلًا، ورواه السهمي موصولاً في تاريخ جرجان ص (٣٤٢) عن ابن مسعود. وعزاه السيوطي في الدر المنثور: (١٠٥/٥) لسعيد بن منصور، وابن المنذر، والحاكم في «التاريخ»، وابن مردويه، والديلمي في «الفردوس»، وابن عدي في الكامل: ١٨٩٧/٥ .

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٣٧/١٤، وفيه شرحبيل بن مسلم، وضعفه ابن معين. انظر: الجرح والتعديل: ٣٤٠/٤ .

وروي عن عمر رضي الله عنه قال: نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه أهاب كبش قد تنطق به، فقال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى هذا الذي قد نور الله قلبه لقد رأيت بين أبويه يغذيانه»^(١) بأطيب الطعام والشراب، ولقد رأيت عليه حلّة شراها، أو شريت له، بمائتي درهم، فدعاه حبُّ الله ورسوله إلى ما ترونه»^(١). والله أعلم.

(١) في «ب»: يغذوانه .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية: ١٠٨/١، وانظر: المغني عن حمل الأسفار للعراقي ٢٨٧/٤ .

نفس البغوي

«معالم التنزيل»

للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي
(المتوفى - ٥١٦هـ)

المجلد الخامس

حقيقته وخرجه أحاديثه

محمد عبد الله النمر | عثمان بن محمد بن عبد الله | سليمان بن مسعود الخزاز

دار طيبة للنشر والتوزيع

الرياض - شارع عسير - ص. ب. : ٧١١٢

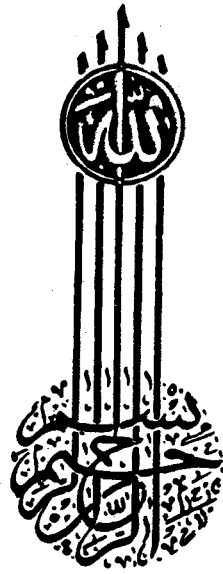
تلفون : ٤٣٥٤٩٣٧ / ٤٣٥٩٧٤٠

مؤلفه: السيدة الأستاذة الدكتورة

الاعاد

نفس البغوي

«معالم التنزيل»



سُورَةُ النَّجْمِ

سُورَةُ النَّحْلِ

مكية، [مائة وثمان وعشرون آية]^(١) إلا قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾ ، إلى آخر السورة^(٢) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾

﴿أتى﴾ أي: جاء ودنا وقرب، ﴿أمر الله﴾، قال ابن عرفة: تقول العرب: أتاك الأمر وهو متوقع بعد، أي: أتى أمر الله وعداً فلا تستعجلوه وقوعاً .
﴿أمر الله﴾ قال الكلبي وغيره: المراد منه القيامة .

قال ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: «اقتربت الساعة» (القمر - ١) قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن، فلما لم ينزل شي [قالوا]: ما نرى شيئاً فنزل قوله: «اقترب للناس حسابهم» (الأنبياء - ١)، فأشفقوا، فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما نخوفنا به^(١) فأنزل الله تعالى: ﴿أتى أمر الله﴾ فوثب

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٢) روى مجاهد، وعطية، وابن أبي طلحة عن ابن عباس: أنها مكية كلها، وهو مروى عن الحسن وعكرمة وعطاء .
وقال ابن عباس في رواية: مكية إلا «وإن عاقبتم...» الآية (١٢٦) فنزلت بعد قتل حمزة . وقال في رواية أخرى: هي مكية إلا ثلاث آيات نزلن بالمدينة، وهي قوله تعالى: «ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً» إلى قوله «يعملون» (الآيات ٩٥-٩٧) .
وقال الشعبي: مكية إلا: «وإن عاقبتم» إلى آخر الآيات (١٢٦-١٢٨) .
وقال قتادة: مكية إلا خمس آيات .
وقال مقاتل: مكية إلا سبع آيات .
وقال جابر بن زيد: أنزل من أول النحل أربعون آية بمكة، وبقيتها بالمدينة .
وعن علي بن زيد قال: كان يقال لسورة النحل: سورة النعم، لكثرة تعداد النعم فيها .
انظر: زاد المسير: ٤/٤٢٥-٤٢٦، الدر المنثور: ١٠٧/٥ .

يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾

النبي ﷺ، ورفع الناس رؤوسهم وظنوا أنها قد أتت حقيقة فنزلت ﴿فلا تستعجلوه﴾ فاطمأنوا^(١).

والاستعجال: طلب الشيء قبل حينه .

ولما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بأصبعيه، وإن كادت لتسبقني»^(٢).

قال ابن عباس: كان بعث النبي ﷺ من أشراط الساعة ولما مرَّ جبريل عليه السلام بأهل السموات مبعوثاً إلى محمد ﷺ قالوا: الله أكبر قامت الساعة .

وقال قوم: المراد بالأمر هاهنا: عقوبة المكذبين والعذاب بالسيف، وذلك أن النضر بن الحارث قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، فاستعجل العذاب، فنزلت هذه الآية^(٣). وقتل النضر يوم بدر صبياً .

﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾، معناه تعظم بالأوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون .
﴿ينزل الملائكة﴾، قرأ العامة بضم الياء وكسر الزاي، ﴿والملائكة﴾ نصب. وقرأ يعقوب بالثاء وفتحها وفتح الزاي و﴿والملائكة﴾ رفع، ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾ بالوحي، سماه روحاً لأنه يُحيي به القلوب والحق .

قال عطاء: بالنبوة .

وقال قتادة: بالرحمة .

قال أبو عبيدة: «بالروح» يعني مع الروح، وهو جبريل . ﴿من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا﴾، أعلموا: ﴿أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ .

وقيل: معناه مروهم بقول «لا إله إلا الله» منذرين مخوفين بالقرآن إن لم يقولوا .

(١) أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ص (٣٢١) بدون إسناد، ومعناه أخرجه الطبري: ٧٥/١٤، وانظر: الدر المنثور: ١٠٨/٥، القرطبي: ٦٦/١٠ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند»: ٥٠/٢، قال ابن حجر في «الفتح»: ٣٤٨/١١: «أخرجه أحمد والطبري وسنده حسن» . وأصل الحديث في البخاري، كتاب الرقاق: ٣٤٧/١١، وفي مسلم في كتاب الفتن: ٢٢٦٨/٤ . وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٩٨/١٥ .

(٣) أسباب النزول للواحدي ص (٣٢١) .

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ
 مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأُنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ
 وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ
 تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا لِيُقِضَ الْأَنْفُسُ
 إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾

وقوله: «فاتقون» أي: فخافون .

﴿خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون﴾، أي: ارتفع عما يشركون .

﴿خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾، جِدَلٌ بِالْبَاطِلِ، ﴿مبين﴾ .

نزلت في أبي بن خلف الجمحي، وكان ينكر البعث جاء بعظم رميم فقال: أتقول إن الله تعالى يجيي هذا بعد ما قد رمم؟ كما قال جل ذكره «وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه» (يس - ٧٧)، نزلت فيه أيضاً^(١) .

والصحيح أن الآية عامة، وفيها بيان القدرة وكشف قبيح ما فعلوه، من جحد نعم الله مع ظهورها عليهم^(٢) .

قوله تعالى: ﴿والأنعام خلقها﴾، يعني الإبل والبقر والغنم، ﴿لكم فيها دِفْءٌ﴾ يعني: من أوبارها وأشعارها وأصوافها ملابس ولحفاً تستدفنون بها، ﴿ومنافع﴾، بالنسل والدر والركوب والحمل وغيرها، ﴿ومنها تأكلون﴾، يعني لحومها .

﴿ولكم فيها جمال﴾، زينة، ﴿حين تريحون﴾، أي: حين تردونها بالعشي من مراعيها إلى مباركها التي تأوى إليها، ﴿وحين تسرحون﴾، أي: تخرجونها بالغداة من مراعيها إلى مسارحها، وقدم الرواح لأن المنافع تؤخذ منها بعد الرواح، ومالكها يكون أعجب بها إذا راحت .

﴿وتحمل أثقالكم﴾، أحمالكم، ﴿إلى بلد﴾، آخر غير بلدكم. قال عكرمة: البلد مكة، ﴿لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾، أي: بالمشقة والجهد. والشق: النصف أيضاً أي: لم تكونوا بالغيه

(١) أسباب النزول للواحد ص (٣٢٢)، القرطبي: ٦٧/١٠، زاد المسير: ٤٢٨/٤ .

(٢) وهذا ما رجحه الطبري حيث قال: «عنى بالإنسان: جميع الناس، أخرج بلفظ الواحد، وهو في معنى الجميع، وإليه مال ابن عطية في تفسيره. ويدخل سبب النزول المذكور في معنى الآية وتبقى هي أعم .

انظر: الطبري: ٧٨/١٤، المحرر الوجيز: ٣٧٠/٨ .

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

إلا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها .

وقرأ أبو جعفر ﴿بِشَقِّ﴾ بفتح الشين، وهما لغتان، مثل: رَطَلٌ ورِطَلٌ .

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْوَفٌ رَحِيمٌ﴾، بخلقه حيث جعل لهم هذه المنافع .

﴿وَالْخَيْلَ﴾، يعني: وخلق الخيل، وهي اسم جنس لا واحد له من لفظه كالإبل والنساء،

﴿وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾، يعني وجعلها زينة لكم مع المنافع التي فيها .

واحتج بهذه الآية من حَرَمَ لحوم الخيل، وهو قول ابن عباس، وتلا هذه الآية، فقال: هذه

للركوب [وإليه ذهب] ^(١) الحَكَمُ، ومالك، وأبو حنيفة .

وذهب جماعة إلى إباحة لحوم الخيل، وهو قول الحسن، وشریح، وعطاء، وسعيد بن جبیر،

وبه قال الشافعي، وأحمد، وإسحاق ^(٢) .

ومن أباحها قال: ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحریم بل المراد منه تعريف الله عباده

نعمه وتبیههم على كمال قدرته وحكمته، واحتجوا بما:

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا

محمد بن إسماعيل، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد عن عمرو - هو ابن دينار -

عن محمد بن علي، عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى النبي ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخص

في لحوم الخيل» ^(٣) .

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي، أخبرنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي، أخبرنا

أبو أحمد عبدالله بن عدي الحافظ، حدثنا الحسن بن الفرج، حدثنا عمرو بن خالد، حدثنا عبدالله

ابن عبدالكريم، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر: أنهم كانوا يأكلون لحوم الخيل على عهد رسول الله ﷺ ^(٤) .

(١) في «ب»: وهو قول .

(٢) انظر بالتفصيل: أحكام القرآن للجصاص: ٢/٥، أحكام القرآن لابن العربي: ٣/١١٤٤-١١٤٧، أحكام القرآن للهراس

الطبري: ١٧٠/٤، تفسير القرطبي: ٧٩-٧٦/١٠ .

(٣) أخرجه البخاري في الصيد والذبائح، باب لحوم الخيل: ٦٤٨/٩، ومسلم في الصيد والذبائح، باب في أكل لحوم الخيل،

برقم (١٩٤١): ١٥٤١/٣ . وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٥٤/١١ .

(٤) أخرجه أبو داود في الأطعمة، باب في أكل لحوم الخيل: ٣٠٨/٥، والترمذي في الأطعمة، باب ما جاء في لحوم الخيل:

٥٠٥/٥، والنسائي في الصيد والذبائح، باب الإذن في أكل لحوم الخيل: ٢٠٢/٧، وابن ماجه في الذبائح، باب لحوم البغال،

برقم (٣١٩١): ١٠٦٤/٢، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٣٢٢/٢، والحاكم في المستدرک: ٢٣٥/٤، والإمام أحمد في

المستند: ٣٥٦/٣ . والمصنف في شرح السنة: ٢٥٦/١١ .

وأصل الحديث في الصحيحين، وانظر: نصب الراية: ١٩٧/٤، تلخيص الحبير: ١٥٠/٤ .

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ هُوَ الَّذِي
 أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٤﴾

ونهى عن لحوم البغال والحمير؛ روي عن المقدم بن معدي كرب عن خالد بن الوليد أن رسول الله ﷺ نهي عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير^(١) وإسناده ضعيف .

﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾، قيل: يعني ما أعد الله في الجنة لأهلها، وفي النار لأهلها، مما لم تره عين ولم تسمعه أذن ولا خطر على قلب بشر .

وقال قتادة يعني: السوس في النبات والدود في الفواكه .

قوله تعالى: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ يعني: بيان طريق الهدى من الضلالة. وقيل: بيان الحق بالآيات والبراهين / والقصد: الصراط المستقيم .

أ/١٩٩

﴿ومنها جائر﴾ يعني: ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوج، فالقصد من السبيل: دين الإسلام، والجائر منها: اليهودية، والنصرانية، وسائر ملل الكفر .

قال جابر بن عبد الله: «قصد السبيل»: بيان الشرائع والفرائض .

وقال عبد الله بن المبارك، وسهل بن عبد الله: «قصد السبيل» السنة، «ومنها جائر» الأهواء والبدع، دليله قوله تعالى: «وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل» (الأنعام - ١٥٣) .

﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾، نظيره قوله تعالى: «ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها» (السجدة

- ١٣) .

قوله عز وجل: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب﴾، تشرّبونه، ﴿ومنه شجر﴾، أي: من ذلك الماء شرب أشجاركم، وحياة نباتكم، ﴿وفيه﴾ يعني: في الشجر، ﴿تسِيمون﴾، ترعون مواشيكم .

(١) أخرجه أبو داود في الأطعمة، باب في أكل لحوم الخيل: ٣٠٨/٥، وقال: «وهذا منسوخ، وقد أكل الخيل جماعة من أصحاب النبي ﷺ: ابن الزبير، وفضالة بن عبيد، وأنس بن مالك، وأسماء بنت أبي بكر، وسويد بن غفلة، رضي الله عنهم، وكانت قريش في عهد النبي ﷺ تذبجها». قال المنذري: والحديث ضعيف، وانظر أيضاً: ٣١٦/٥-٣١٧، كما وضعه المصنف كما تراه . وأخرجه أيضاً: النسائي في الصيد والذبائح، باب تحريم أكل لحوم الخيل: ٢٠٢/٧، وابن ماجه في الموضوع السابق: ١٠٦٦/٢، والدارقطني في الصيد والذبائح: ٢٨٧/٤، والإمام أحمد في المسند .

ونقل السندي في تعليقه على النسائي اتفاق العلماء على تضعيف الحديث، وقال بعضهم إنه منسوخ .

وانظر: تلخيص الحبير: ١٥٠/٤-١٥١، نصب الراية: ١٩٦/٤ .

يُنَبِّئُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّكَ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأْتُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

﴿يُنَبِّئُ لَكُمْ بِهِ﴾ أي: يُنَبِّئُ اللهُ لَكُمْ بِهِ، يعني بالماء الذي أنزل، وقرأ أبو بكر عن عاصم ﴿نُبِّئْتُ﴾ بالنون. ﴿الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون.

﴿وسخر لكم﴾، [ذلل لكم] ^(١)، ﴿الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات﴾، مذلات، ﴿بأمره﴾ أي: بإذنه، وقرأ حفص ^(٢) ﴿والنجوم مسخرات﴾ بالرفع على الابتداء. ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾.

﴿وما ذرأتم﴾، خلق، ﴿لكم﴾، لأجلكم، أي: وسخر ما خلق لأجلكم، ﴿في الأرض﴾، من الدواب والأشجار والثمار وغيرها، ﴿مختلفاً﴾، نصب على الحال، ﴿ألوانه﴾. ﴿إن في ذلك لآية لقوم يذكرون﴾، يعتبرون.

﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾ يعني: السمك، ﴿وتستخرجوا منه حبلية تلبسونها﴾ يعني: اللؤلؤ والمرجان، ﴿وترى الفلك مواخر فيه﴾، جوارى.

قال قتادة: مقبله ومدبرة، وهو أنك ترى سفينتين إحداهما تقبل والأخرى تدبر، تجريان بريح واحدة.

وقال الحسن: «مواخر» أي: مملوءة.

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب»: جمفر.

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا أَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾
وَعَلَّمَتْ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾

وقال الفراء والأخفش: شواق تشق الماء بجناحها .

قال مجاهد: تمخر السفن الرياح .

وأصل المخر: الرفع والشق، وفي الحديث: «إذا أراد أحدكم البول فليستمخر الريح»^(١) أي: لينظر

من أين مجراها وهبوبها، فليستديرها حتى لا يردّ عليه البول .

وقال أبو عبيدة: صوائخ، والمخر: صوت هبوب الريح عند شدتها .

﴿ولتبتغوا من فضله﴾ يعني: التجارة، ﴿ولعلكم تشكرون﴾، إذا رأيتم صنع الله فيما سخر لكم .

﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾ أي: [لكل تميد بكم]^(٢) أي: تتحرك وتميل .

والميد: هو الاضطراب والتكفؤ، ومنه قيل للدوار الذي يعترى راكب البحر: ميّد .

قال وهب: لما خلق الله الأرض جعلت تمر قفالت الملائكة: إن هذه غير مقرّة أحداً على ظهرها

فأصبحت وقد أرسيت بالجبال فلم تدرّ الملائكة ممّ خلقت الجبال .

﴿وأنهاراً وسبلاً﴾ أي: وجعل فيها أنهاراً وطرقاً مختلفة، ﴿لعلكم تهتدون﴾، إلى ما تريدون

فلا تضلون .

﴿وعلامات﴾، يعني: معالم الطرق. قال بعضهم: هاهنا تم الكلام ثم ابتداء، ﴿وبالنجم هم

يهتدون﴾ .

قال محمد بن كعب، والكلبي: أراد بالعلامات الجبال، فالجبال علامات النهار، والنجوم علامات

الليل .

وقال مجاهد: أراد بالكلّ النجوم، منها ما يكون علامات ومنها ما يهتدون به .

قال السدي: أراد بالنجم، الثريا، وبنات نعش، والفرقدين، والجدي، يهتدى بها إلى الطرق

والقبلة .

(١) أخرجه ابن حبان في المحروحين: (١٠٨/٣) بلفظ: «إذا أراد أحدكم الخلاء فلا يستدير الريح» وذكره الزمخشري في الفائق:

(٣/٣٥٠) عن سراقه بن مالك قال لقومه: إذا أتى أحدكم الغائط فليكرم قبلة الله.. واستمخروا الريح، وذكره ابن الأثير

في النهاية: (٣٠٥/٤) بنحوه، وأشار الزيلعي إليه في نصب الراية: (١٠٣/٢) وعزاه للطبري في «تهذيب الآثار»، وروى

الدارقطني في السنن: ٥٧/١ بلفظ «.. ولا يستقبل الريح» وقال: لم يروه غير مبشر بن عبيد، وهو متروك الحديث .

قال ابن الأثير: والمخر في الأصل: الشق، يقال: مخرت السفينة الماء: إذا شقته بصدورها وجرت .

واستمخروا الريح أي: اجعلوا ظهوركم إلى الريح عند البول؛ لأنه إذا ولاها ظهره أخذت عن يمينه ويساره، فكانه قد شقها .

(٢) زيادة من «ب» .

أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُمْ وَمَا تَعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرِ أَحْيَاءٍ ۗ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ ۗ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾

وقال قتادة: إنما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء: لتكون زينة للسماء، ومعالم للطرق، ورجوماً للشياطين، فمن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به (١).

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾، يعني: الله تعالى، ﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾، يعني: الأصنام، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لتقصيركم في شكر نعمه، ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم حيث وسع عليكم النعم، ولم يقطعها عنكم بالتقصير والمعاصي.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُمْ وَمَا تَعْلِنُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام، وقرأ عاصم ويعقوب ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء. ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

﴿أَمْوَاتٌ﴾ أي: الأصنام ﴿غَيْرِ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، يعني: الأصنام ﴿أَيَّانَ﴾ متى (٢).

﴿يُبْعَثُونَ﴾، والقرآن يدل على أن الأصنام تُبْعَثُ وتُجْعَلُ فيها الحياة فتتبرأ من عابديها.

وقيل: ما يدري الكفار عبدة الأصنام متى يبعثون.

قوله تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾، جاحدة، ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾، متعظمون.

(١) أخرجه البخاري تعليقاً في بدء الخلق، باب في النجوم: ٢٩٥/٦، ووصله الطبري في التفسير: ٩٢-٩١/١٤، وأخرجه عبدالرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وزاد في آخره: «وإن ناساً جهلة بأمر الله، قد أخذوا في هذه النجوم كهانة: مَنْ غرس بنجم كذا كان كذا، ومن سافر بنجم كذا كان كذا، ولعمري ما من النجوم نجم إلا ويولد به الطويل والقصير، والأحمر والأبيض، والحسن والدميم. وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر شيء من الغيب». انظر: فتح الباري: ٢٩٥/٦، تفسير ابن كثير: ٣٩٧/٤.

وراجع حكم التنجيم وتفصيل القول فيه: تفسير القرطبي: ١/١١، ٢٨/١٩-٢٩، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٣٦٥-٣٧٠، عالم الغيب والشهادة تأليف عثمان جمعة ضميرية ص (١٢٨-١٣١).

(٢) ساقط من «ب».

لَا جَرَمَ أَتَى اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَعْلَنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾
 وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ
 كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءَ مَا
 يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾

﴿لَا جَرَمَ﴾، حقاً ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَعْلَنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ .

أخبرنا أبو سعيد بكر بن محمد بن محمد بن محمي البسطامي، أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن ابن إبراهيم بن سختويه، أخبرنا أبو الفضل سفيان بن محمد الجوهري، حدثنا علي بن الحسن بن أبي عيسى الهلالي، حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا شعبة، عن أبان بن تغلب، عن فضيل الفقيمي، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة بن قيس، عن عبدالله عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان»، فقال رجل: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً؟ قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»^(١).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾، يعني: لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة، وهم مشركو مكة الذين اقتسموا عقابها^(٢)، إذا سأل الحاج: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، أحاديثهم وأباطيلهم .
 ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾، ذنوب أنفسهم، ﴿كَامِلَةً﴾، وإنما ذكر الكمال لأن البلياء التي تلحقهم في الدنيا وما يفعلون من الحسنات لا تكفر عنهم شيئاً، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، بغير حجة فيصدونهم عن الإيمان، ﴿أَلِيسَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾، يحملون .

أبناً أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرق، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أخبرنا عبدالله بن عمر الجوهري، أخبرنا أحمد بن علي الكشميني، حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل ابن جعفر، عن العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»^(٣).

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب تحريم الكبر وويلته، برقم (٩١): ٩٣/١، والمصنف في شرح السنة: ١٦٥/١٣ .

(٢) جمع عقبة، وانظر فيما سبق، سورة الحجر، الآية (٩): ص ٣٦٩ .

(٣) أخرجه مسلم في العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، برقم (٢٦٧٤): ٢٠٦٠/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٣٢/١ .

قَدَّمَكِرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ
السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ
الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾، وهو نمروذ بن كنعان، بنى الصرح ببابل ليصعد إلى السماء .

قال ابن عباس ووهب: كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع .
وقال كعب ومقاتل: كان طوله فرسخين، فهبَّت ریح^(١) وألقت رأسه في البحر، وخرّ عليهم
الباقى وهم تحته، ولما سقط الصرح تبلبلت ألسن الناس من الفزع يومئذ فتكلموا بثلاثة وسبعين
لساناً فلذلك سميت بابل، وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية^(٢)، فذلك قوله تعالى:

﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ أي: قصد تخريب بنيانهم / من أصولها، ﴿فخرّ عليهم السقف﴾
يعنى أعلى البيوت ﴿من فوقهم﴾، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾، من مأمهم .
﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾، يهينهم بالعذاب، ﴿ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاققون فيهم﴾،

ب/١٩٩

تخالفون المؤمنين فيهم، ما لهم لا يحضرونكم فيدفعون عنكم العذاب؟
وكسر نافع النون من «تشاققون» على الإضافة، والآخرين بفتحها .
﴿قال الذين أوتوا العلم﴾، [وهم المؤمنون]^(٣)، ﴿إن الخزي الهوان، ﴿اليوم والسوء﴾،
أي: العذاب، ﴿على الكافرين﴾ .

﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾، يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه، قرأ حمزة ﴿يتوفاهم﴾ بالياء
وكذا ما بعده، ﴿ظالمي أنفسهم﴾، بالكفر، ونصب على الحال أي: في حال كفرهم، ﴿فألقوا

(١) ساقط من «أ» .

(٢) ليس في هذه التفصيلات عن الصرح وطوله... وتبلبل الألسنة... إلخ نص ثابت عن المعصوم، عليه السلام، يصار إليه، وهذا
وأمثاله متلقى من الاسرائيليات، والله أعلم .

(٣) ساقط من «أ» .

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ
 لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ
 الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تُوَفَّوهُمْ الْمَلَائِكَةُ
 طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾

السَّلَامُ ﴿٣٢﴾ أي: استسلموا وانقادوا وقالوا: ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾، شرك، فقال لهم الملائكة: ﴿بلى
 إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾. قال عكرمة: عنى بذلك من قتل من الكفار بيد.
 ﴿فادخلوا﴾ أي: قال لهم ادخلوا ﴿أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مَثْوَى المتكبرين﴾، عن
 الإيمان .

﴿وقيل للذين اتقوا﴾ وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي
 ﷺ فإذا جاء سأل الذين قعدوا على الطرق عنه، فيقولون: ساحر، كاهن، شاعر، كذاب، مجنون،
 ولو لم تلقه خيرٌ لك، فيقول السائل: أنا شر وافدٍ إن رجعت إلى قومي دون أن أدخل مكة فألقاه،
 فيدخل مكة فيرى أصحاب النبي ﷺ فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث. فذلك قوله:

﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم؟ قالوا خيراً﴾ يعني: أنزل خيراً^(١).

ثم ابتداءً فقال: ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾، كرامة من الله .

قال ابن عباس: هي تضعيف الأجر إلى العشر .

وقال الضحاك: هي النصر والفتح .

وقال مجاهد: هي الرزق الحسن .

﴿ولدار الآخرة﴾، أي ودار الحال الآخرة، ﴿خيرٌ ولنعم دارُ المتقين﴾، قال الحسن: هي

الدنيا؛ لأن أهل التقوى يتزودون فيها للآخرة. وقال أكثر المفسرين: هي الجنة، ثم فسرها فقال:

﴿جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين﴾ .

﴿الذين توفاهم الملائكة طيبين﴾، مؤمنين طاهرين من الشرك .

قال مجاهد: زاكية أفعالهم وأقوالهم .

(١) انظر: زاد المسير: ٤٤٢/٤-٤٤٣ .

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾

وقيل: معناه: إن وفاتهم تقع طيبة سهلة. ﴿يقولون﴾ يعني: الملائكة لهم، ﴿سلام عليكم﴾، وقيل: يبلغونهم سلام الله، ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾. قوله عز وجل: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾، لقبض أرواحهم، ﴿أو يأتي أمر ربك﴾، يعني: يوم القيامة، وقيل: العذاب. ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾، أي: كفروا، ﴿وما ظلمهم الله﴾ بتعذيبه إياهم، ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾. ﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾، عقوبات كفرهم وأعمالهم الخبيثة، ﴿وحواق بهم﴾، [نزل بهم] (١)، ﴿ما كانوا به يستهزؤون﴾.

﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء﴾، يعني: البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، فلولا أن الله رضىها لغير ذلك وهدانا إلى غيرها، ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسول إلا البلاغ المبين﴾، أي: ليس إليهم الهداية إنما إليهم التبليغ.

﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا﴾ أي: كما بعثنا فيكم، ﴿أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾، وهو كل معبود من دون الله، ﴿فمنهم من هدى الله﴾، أي: هداه الله إلى دينه، ﴿ومنهم من حقت

(١) ساقط من «ب».

٣٧ **﴿**إِنْ تَحَرَّصَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ **﴾**
 وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدَّ عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ **﴿** ٣٨ **﴾** لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ **﴿** ٣٩ **﴾** إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ
 لَهُ كُنْ فَيَكُونُ **﴿** ٤٠ **﴾**

عليه الضلالة ﴿ أي: وجبت بالقضاء السابق حتى مات على كفره، ﴿ فسيروا في الأرض فانظروا
 كيف كان عاقبة المكذبين ﴾، أي: مآل أمرهم، وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك .
 ﴿ إِنَّ تَحَرَّصَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ ﴾، يا محمد، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ﴾، قرأ أهل الكوفة
 ﴿ يَهْدِي ﴾ بفتح الياء وكسر الدال أي: لا يهدي الله من أضله. وقيل: معناه لا يهدي من أضله الله .
 وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الدال يعني من أضله الله فلا هادي له كما قال: «ومن يُضِلِّ
 اللَّهُ فلا هادي له» (الأعراف - ١٨٦) .

﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ أي: مانعين من العذاب .
 قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾، وهم منكرو البعث، قال
 الله تعالى رَدًّا عَلَيْهِمْ: ﴿ بَلَىٰ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .
 ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ ﴾ أي: ليظهر لهم الحق فيما يختلفون فيه ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴾ .

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾، يقول الله تعالى: إذا أردنا أن نبعث
 الموتى فلا تعب علينا في إحيائهم، ولا في شيء مما يحدث، إنما نقول له: كن، فيكون .
 أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزياتي، أخبرنا
 أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا عبدالرزاق، أنبأنا معمر،
 عن همام بن منبه، حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: كذَّبني عبدي، ولم يكن
 ذلك له، وشتَمَني عبدي ولم يكن ذلك له، فأما تكذِّبُهُ إِيَّايَ، أن يقول: لن يعيدنا كما بدأنا، وأما
 شتمُهُ إِيَّايَ، أن يقول: اتخذ الله ولداً، وأنا الصَّمَدُ، لم ألد، ولم يكن لي كفواً أحد» (١) .

(١) أخرجه البخاري في التفسير، سورة البقرة، باب «وقالوا: اتخذنا الله ولداً سبحانه» ١٦٨/٨ .

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لِنُبُوَّتِهِمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ
 الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾
 وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ
 لَاتَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿والذين هاجروا في الله من بعدما ظلموا﴾، عذبوا وأوذوا في الله .
 نزلت في بلال، وصُهيب، وخبَّاب، وعمَّار، وعابس، وجبر، وأبي جندل بن سهيل، أخذهم
 المشركون بمكة فعذبوهم (١) .

وقال قتادة: هم أصحاب النبي ﷺ، ظلمهم أهل مكة، وأخرجوهم من ديارهم حتى لحق
 طائفة منهم بالحبيشة، ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة، وجعل لهم أنصاراً من
 المؤمنين (٢) .

﴿لنُبُوَّتِهِمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، وهو أنه أنزلهم المدينة .

روي عن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى الرجل [من المهاجرين] (٣) عطاء يقول: خُذْ بَارِكِ
 اللَّهُ لَكَ فِيهِ، هذا ما وعدك الله في الدنيا، وما ادَّخَرَ لَكَ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلَ، ثم تلا هذه الآية (٤) .
 وقيل: معناه لنحسن إليهم في الدنيا .

وقيل: الحسنة في الدنيا التوفيق والهداية .

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾، وقوله: «لو كانوا يعلمون»، ينصرف إلى المشركين
 لأن المؤمنين كانوا يعلمونه .

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، في الله على ما نابه (٥)، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾، نزلت في مشركي مكة حيث أنكروا نبوة
 محمد ﷺ، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فهلاً بعث إلينا ملكاً (٦)؟

(١) انظر: أسباب النزول للواحد ص (٣٢٢)، زاد المسير: ٤٤٨/٤ وفيه «عائش» بدلاً من «عابس»، ولم أجد «عائش» ترجمة .

وقارن بالحرر الوجيز: ٤٢١/٨ .

(٢) انظر: الدر المنثور: ١٣١/٥، الطبري: ١٠٧/١٤ .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) انظر: البحر المحيط: ٤٩٣/٥، الحرر الوجيز: ٤٢٢/٨ .

(٥) في «ب»: فاتهم .

(٦) انظر: أسباب النزول للواحد ص (٣٢٣)، الطبري: ١٠٩/١٤، الدر المنثور: ١٣٢-١٣٣ .

بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَنْفَكُرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَّرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ
أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ
بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾

﴿فاستلوا أهل الذكر﴾، يعني مؤمني أهل الكتاب، ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ .

﴿بالبينات والزُّبُرِ﴾، واختلفوا في الجالب للباء في قوله ﴿بالبينات﴾ قيل: هي راجعة إلى قوله:

﴿وما أرسلنا﴾، وإلا بمعنى غير، مجازه: وما أرسلنا من قبلك بالبينات / والزبر غير رجال يُوحى إليهم ولم نبعث ملائكة .

وقيل: تأويله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً يُوحى إليهم [أرسلناهم] ^(١) بالبينات والزبر .

﴿وأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، أراد بالذکر الوحي، وكان النبي ﷺ

مبيناً للوحي، وبيان الكتاب يطلب من السنة، ﴿ولعلمهم يتفكرون﴾ .

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَّرُوا﴾، عملوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾، من قبل، يعني: عمرو بن كنعان وغيره من

الكفار، ﴿أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ .

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾، بالعذاب، ﴿فِي تَقْلِبِهِمْ﴾، تصرفهم في الأسفار. وقال ابن عباس: في اختلافهم.

وقال ابن جريج: في إقبالهم وإدبارهم، ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾، بسابقين الله .

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾، والتخوف: التنقص، أي: ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء

بعد الشيء حتى يهلك جميعهم، يقال: تخوفه الدهر وتخونه: إذا نقصه وأخذ ماله وحشمه .

ويقال: هذا لغة بني هذيل .

وقال الضحاك والكلبي: من الخوف، أي: يعذب طائفة فيتخوف الآخرون أن يصيبهم مثل

ما أصابهم .

﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، حين لم يعجل بالعقوبة .

(١) ساقط من «ب» .

أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوْا ظِلَّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ
وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ
وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾

قوله عز وجل: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ - قرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب، وكذلك في سورة العنكبوت، والآخرون بالياء، خبراً عن الذين مكروا السيئات - إلى ما خلق الله من شيء من جسم قائم، له ظل، ﴿يَنْفِيوْا﴾، قرأ أبو عمرو، ويعقوب بالتاء والآخرون بالياء. ﴿ظلاله﴾، أي: تميل وتدور من جانب إلى جانب، فهي في أول النهار على حال، ثم تنقلص، ثم تعود في آخر النهار إلى حال أخرى سجداً لله، فميلانها ودورانها: سجودها لله عز وجل. ويقال للظل بالعشي: فيء؛ لأنه فاء، أي: رجع من المغرب إلى المشرق، فالفيء الرجوع. والسجود الميل. يقال: سجدت النخلة إذا مالت.

قوله عز وجل: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ﴾، قال قتادة والضحاك: أما اليمين: فأول النهار، والشمال: آخر النهار، تسجد الظلال لله.

وقال الكلبي: الظل قبل طلوع الشمس عن يمينك وعن شمالك وقدامك وخلفك، وكذلك إذا غابت، فإذا طلعت كان من قدامك، وإذا ارتفعت كان عن يمينك، ثم بعده كان خلفك، فإذا كان قبل أن تغرب الشمس كان عن يسارك، فهذا تفيؤه، وتقلبه، وهو سجوده.

وقال مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله.

وقيل: المراد من الظلال: سجود الأشخاص.

فإن قيل لِمَ وحَّد اليمين وجمع الشمائِل؟

قيل: من شأن العرب في اجتماع العلامتين الاكتفاء بواحدة، كقوله تعالى: «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم» (البقرة - ٧)، وقوله: «يخرجهم من الظلمات إلى النور» (البقرة - ٢٥٧).

وقيل: اليمين يرجع إلى قوله: «ما خلق الله». ولفظ «ما» واحد، والشمائِل: يرجع إلى المعنى.

﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾، صاغرون.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، إنما أخبر بما لغلبة مالا يعقل على من يعقل في العدد، والحكم للأغلب كتغليب المذكر على المؤنث، ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾، أراد من كل حيوان يدب. ويقال: السجود: الطاعة، والأشياء كلها مطيعة لله عز وجل من حيوان وجماد، قال الله تعالى: «قالنا أتينا طائعين» (فصلت - ١١).

يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ
 اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ
 وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾

وقيل: سجود الأشياء تدلُّها وتسخرها لما أريدت له وسُخِّرت له .
 وقيل: سجود الجمادات ومالا يعقل: ظهور أثر الصنع فيه، على معنى أنه يدعو الغافلين إلى
 السجود عند التأمل والتدبر فيه، قال الله تعالى: «سُتْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ» (فصلت - ٥٣) .
 ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾، خصَّ الملائكة بالذكر مع كونهم من جملة ما في السموات والأرض تشریفاً
 ورفعاً لشأنهم .

وقيل: لخروجهم من الموصوفين بالدبيب إذ لهم أجنحة يطيرون بها .
 وقيل؛ أراد: والله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة، وتسجد الملائكة .
 ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ .

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾، كقوله: «وهو القاهر فوق عباده» (الأنعام - ١٨) .

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ .

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا محمد بن سمعان، حدثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم
 الشعرائي، حدثنا محمد بن يحيى الذهلي، حدثنا عبيد الله بن موسى العبسي، حدثنا إسرائيل، عن
 إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن مورك، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا
 تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَبْطَأَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا فِيهَا مَوْضِعٌ،
 أَرْبَعُ أَصَابِعٍ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ يُمَجِّدُ اللَّهَ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحَكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً وَمَا تَلَذَّذْتُمْ
 بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشَاتِ، وَلَصَعَدْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ»، قال أبو ذر: «يَالَيْتَنِي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ» .
 رواه أبو عيسى عن أحمد بن منيع، عن أبي أحمد الزبير، عن إسرائيل وقال: «إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ
 جِبْهَتَهُ سَاجِداً لِلَّهِ» (١) .

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ، إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونِ﴾ .

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ﴾، الطاعة والإخلاص ﴿وَاصِبًا﴾، دائماً ثابتاً .

(١) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في فضل البكاء من خشية الله: ٦٠١/٦، وقال: «هذا حديث حسن غريب»،
 وابن ماجه في الزهد، باب الحزن والبكاء: ١٤٠٢/٢، وصححه الحاكم في المستدرک: ٥١٠/٢، وأخرجه الإمام أحمد في
 المسند: ١٧٣/٥ . وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٦٩/١٤ - ٣٧٠ .

وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ
 الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا
 فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتَسْتَأْذِنَنَّ عَمَّا
 كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ
 أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾

معناه: ليس من أحد يدان له ويطاع إلا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلاك، غير الله عز وجل، فإن الطاعة تدوم له ولا تنقطع .

﴿أفغير الله تقون﴾، أي: تخافون، استفهام على طريق الإنكار .

قوله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾، أي: وما يكن بكم من نعمة فمن الله، ﴿ثم إذا مسكم الضر﴾، القحط والمرض، ﴿فإليه تجأرون﴾، تضرعون وتصيحون بالدعاء والاستغاثة .

﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون﴾ .

﴿ليكفروا﴾، ليجحدوا، [وهذه اللام تُسمى لام العاقبة، أي: حاصل أمرهم هو كفرهم] (١) ﴿بما آتيناهم﴾ أعطيناهم من النعماء وكشف الضراء والبلاء، ﴿فتمتعوا﴾، أي: عيشوا في الدنيا المدة التي ضربتها لكم، ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة أمركم. هذا وعيد لهم .

﴿ويجعلون لما لا يعلمون﴾، له حقاً، أي: الأصنام، ﴿نصيباً مما رزقناهم﴾، من الأموال، وهو ما جعلوا للأوثان من حروثهم وأنعامهم، فقالوا: هذا لله بزعمهم، وهذا لشركائنا .

ثم رجع من الخبر إلى الخطاب فقال: ﴿تالله لَتَسْتَأْذِنَنَّ﴾، يوم القيامة، ﴿عما كنتم تفترون﴾، في الدنيا .

﴿ويجعلون لله البنات﴾، وهم خزاعة وكنانة، قالوا: الملائكة بنات الله تعالى: ﴿سبحانه وهم ما يشتهون﴾، أي: ويجعلون لأنفسهم البنين الذين يشتهونهم، فتكون «ما» في محل النصب، ويجوز أن تكون على الابتداء فتكون «ما» في محل الرفع .

﴿وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً﴾، متغيراً من الغم والكراهية، ﴿وهو كظيم﴾، وهو ممتلئ حزنًا وغيظًا، فهو يكظمه أي: يمسكه ولا يظهره .

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

يَنُورِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءٍ مَا بُشِّرَبِهِ^٤ أَيَمْسِكُمْ عَلَى هُونٍ أَمْرِيْدُسُهُ فِي التُّرَابِ الْآسَاءِ
مَا يَحْكُمُونَ^٥ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^٦

﴿يتورى﴾ أي: يخفي، ﴿من القوم من سوء ما بُشِّرَ بِهِ﴾، من الحزن والعار، ثم يتفكر: ﴿أيمسكه﴾، ذكر الكناية رداً على «ما» ﴿على هون﴾ أي: هوان، ﴿أم يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ / أي: ٢٠٠/ب يخفيه منه، فيثده .

وذلك: أن مضر وخزاعة وتميماً كانوا يدفنون البنات أحياء، خوفاً من الفقر عليهم، وطمع غير الأكفاء فيهن، وكان الرجل من العرب إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحيها: ألبسها جبّة من صوف أو شعر، وتركها ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإذا أراد أن يقتلها: تركها حتى إذا صارت سداسية، قال لأمها: زينها حتى أذهب بها إلى أمهاتها، وقد حفر لها بئراً في الصحراء، فإذا بلغ بها البئر قال لها: انظري إلى هذه البئر، فيدفعها من خلفها في البئر، ثم يهيل على رأسها التراب حتى يستوي البئر بالأرض، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿أيمسكه على هونٍ أم يدسه في التراب﴾ .

وكان صعصعة عمّ الفرزدق إذا أحسّ بشيء من ذلك وجّه إلى والد البنت إبلاً يحياها بذلك، فقال الفرزدق يفتخر به^(١) .

وَعَمِّي الَّذِي مَنَعَ الرَّائِدَاتِ * فَأَحْيَا الرَّئِيْدَ فَلَمْ تُؤَادِ

﴿الآساء ما يحكمون﴾، بئس ما يقضون لله البنات ولأنفسهم البنين، نظيره: «ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى» (النجم - ٢٢)، وقيل: بئس حكمهم وأد البنات .

﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة﴾، يعني: لهؤلاء الذين يصفون لله البنات ولأنفسهم بنين ﴿مثل السوء﴾، صفة السوء من الاحتياج إلى الولد، وكرهية الإناث، وقتلهن خوف الفقر، ﴿ولله المثل الأعلى﴾، الصفة العليا، وهي التوحيد وأنه لا إله إلا هو .

وقيل: جميع صفات الجلال والكمال، من العلم، والقدرة، والبقاء، وغيرها من الصفات .

قال ابن عباس: «مثل السوء»: النار، و«المثل الأعلى»: شهادة أن لا إله إلا الله .

﴿وهو العزيز الحكيم﴾ .

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١١٧/١٠ .

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكُوا عَلَيْهِمْ مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿١١﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لِأَجْرِمَ أَنَّ لَهُمْ
النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿١٢﴾

﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم﴾، فيعاجلهم بالعقوبة على كفرهم وعصيانهم، ﴿وما ترك عليها﴾، أي: على الأرض، كناية عن غير مذكور، ﴿من دابة﴾ .
قال قتادة في الآية: قد فعل الله ذلك في زمن نوح، فأهلك من على الأرض، إلا من كان في سفينة نوح عليه السلام^(١).
روي أن أبا هريرة سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه، فقال: بئس ما قلت إن الحبارى تموت في وكرها بظلم الظالم^(٢).
وقال ابن مسعود: إن الجعل لتعذب في جحرها بذنوب ابن آدم^(٣).
وقيل: معنى الآية: لو يؤاخذ الله آباء الظالمين بظلمهم انقطع النسل، ولم توجد الأبناء، فلم يبق في الأرض أحد .

﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل﴾، يمهلهم بحلمه إلى أجل، ﴿مسمى﴾، إلى منتهى آجالهم وانقطاع أعمارهم. ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ .
قوله عز وجل: ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾، لأنفسهم يعني البنات، ﴿وتصف﴾، أي: تقول، ﴿ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى﴾، يعني البنين، محل «إن» نصب بدل عن الكذب .
قال يمان: يعني بـ «الحسنى»: الجنة في المعاد، إن كان محمد صادقاً في البعث .
﴿لا جرم﴾ حقاً. قال ابن عباس: بلى، ﴿أن لهم النار﴾، في الآخرة، ﴿وأنهم مفراطون﴾،
قرأ نافع بكسر الراء أي: مسرفون .

وقرأ أبو جعفر بتشديد الراء وكسرها أي: مضيعون أمر الله .
وقرأ الآخرون بفتح الراء وتخفيفها أي: منسيون في النار، قاله ابن عباس .

(١) أخرجه عبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر (الدر المنثور: ١٤٠/٥) .

(٢) أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، والبيهقي في «الشعب» (الدر المنثور: ١٤٠/٥) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في «الشعب». انظر: الدر المنثور: ١٤٠/٥ .

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ
 الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي
 اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا
 بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِن لَّكُمْ فِي
 الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُؤْتُوا مِنَّمَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لِّبَنَاءِ خَالٍ صَاسًا يَغَا
 لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾

وقال سعيد بن جبير: مبعدون.

وقال مقاتل: متروكون.

قال قتادة: معجلون إلى النار.

قال الفراء: مقدمون إلى النار، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «أنا قرطكم على الحوض»^(١) أي: متقدمكم.

﴿تالله لقد أرسلنا إلى أممٍ من قبلك﴾ كما أرسلنا إلى هذه الأمة، ﴿فزَيْن لهم الشيطانُ أَعْمَلَهُمْ﴾، الخبيثة، ﴿فهو وليهم﴾، ناصرهم، ﴿اليوم﴾، وقرينهم، سَمَاءَ ولياً لهم، لطاعتهم إِيَّاهُ، ﴿ولهم عذاب أليم﴾، في الآخرة.

﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾، من الدين والأحكام، ﴿وهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، أي: ما أنزلنا عليك الكتاب إلا بياناً وهدى ورحمة، فالهدى والرحمة عطف على قوله «لتبين».

﴿والله أنزل من السماء ماء﴾، يعني: المطر: ﴿فأحيا به الأرض﴾، بالنبات، ﴿بعد موتها﴾، يبوستها، ﴿إن في ذلك لآية لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، سمع القلوب لا سمع الآذان.

﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾، لعظة، ﴿تستفيكم﴾، بفتح النون هاهنا وفي المؤمنين، قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب والباقون بضمها وهما لغتان. ﴿مما في بطونه﴾، قال الفراء: رد الكناية إلى التَّعْمِ، والتَّعْمُ والأنعامُ واحد.

ولفظ التَّعْمُ مذكر، قال أبو عبيدة، والأخفش: التَّعْمُ يذكر ويؤنث، فمن أنث فلمعنى الجمع،

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب الحوض وقول الله: «إنا أعطيناك الكوفة»: ٤٦٣/١١، ومسلم في الطهارة،

باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، برقم (٢٤٩): ٢١٨/١.

وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾

ومن ذكّر فلحکم اللفظ .

قال الكسائي: رده إلى ما يعني في بطون ما ذكرنا .

وقال المؤرّج: الكناية مردودة إلى البعض والجزء، كأنه قال: نسقيكم مما في بطونه اللبن، إذ ليس لكلها لبن، واللبن فيه مضمر .

﴿من بين قرث﴾، وهو ما في الكرش من الثقل، فإذا خرج منه لا يُسمى فرثاً، ﴿ودم لبناً خالصاً﴾، من الدم والقرث ليس عليه لون دم ولا رائحة قرث .
﴿سائغاً للشاربين﴾، هنيئاً يجري على السهولة في الحلق .
وقيل: إنه لم يغصّ أحدٌ باللبن قط .

قال ابن عباس: إذا أكلت الدابة العلف واستقرّ في كرشها وطختته فكان أسفله فرثاً، وأوسطه اللبن، وأعلىه الدم، والكبد مسلّطة عليها، تقسمها بتقدير الله تعالى، فيجري الدم في العروق، واللبن في الضرع، ويبقى الفرث كما هو^(١) .

﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب﴾، يعني: ولكم أيضاً عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والأعناب، ﴿تتخذون منه﴾ والكناية في ﴿منه﴾ عائدة إلى (ما) محذوفة أي: ما تتخذون منه، ﴿سكراً ورزقاً حسناً﴾ .

قال قوم: «السكّر»: الخمر، و«الرزق الحسن»: الخُلّ، والزبيب، والتمر والرُبّ، قالوا: وهذا قبل تحريم الخمر. وإلى هذا ذهب ابن مسعود، وابن عمر، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد .

وقال الشعبي: «السكّر»: ما شربت، و«الرزق الحسن»: ما أكلت^(٢) .

وروى العوفي عن ابن عباس: أن «السكّر» هو الخُلّ، بلغة الحبشة^(٣) .

وقال بعضهم: «السكّر» النبيذ المُسكر، وهو نقيع التمر والزبيب إذا اشتدّ، والمطبوخ من العصير، وهو قول الضحاك والنخعي^(٤) .

ومن يبيح شرب النبيذ ومن حرّمه يقول: المراد من الآية: الإخبار لا الإحلال .

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١٠/١٢٤-١٢٥، زاد المسير: ٤/٤٦٤ .

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١٠/١٢٨، زاد المسير: ٤/٤٦٤، الدر المنثور: ٥/١٤٢، أحكام القرآن للجصاص: ٥/٤ .

(٣) المراجع السابقة .

(٤) انظر: القرطبي: ١٠/١٢٨، أحكام القرآن للجصاص: ٥/٤ .

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

وأولى الأقاويل أن قوله: ﴿تتخذون منه سكراً﴾ منسوخ، روي عن ابن عباس قال: «السُّكْرُ» [ما حرم] (١) من ثمرها، و«الرزق الحسن»: ما أحل .
وقال أبو عبيدة: «السُّكْرُ»: الطُّعْمُ، يقال هذا سَكْرٌ لك أي: طُعْمٌ (٢) .
﴿إن في ذلك لآية لِّقَوْمٍ يعقلون﴾ .
﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾، أي: ألهمها وقذف في أنفسها، ففهمته، والنحل: زنابير العسل، واحدها نحلة .

﴿أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يعرشون﴾، بينون، وقد جرت العادة أن أهلها بينون لها الأماكن، فهي تأوي إليها، قال ابن زيد: هي الكروم .

﴿ثم كلي من كل الثمرات﴾ /، ليس معنى الكل العموم، وهو كقوله تعالى: «وأوتيت من كل شيء» (النمل - ٢٣) .

﴿فاسلكي سبل ربك ذللاً﴾ . قيل: هي نعت الطرق، يقول: هي مذلة للنحل سهلة المسالك . قال مجاهد: لا يتوعر عليها مكان سلكته .

وقال آخرون: الذلل نعت النحل، أي: مطيعة منقادة بالتسخير . يقال: إن أربابها ينقلونها من مكان إلى مكان ولها يعسوب إذا وقف ووقت وإذا سار سارت .

﴿يخرج من بطونها شراب﴾، يعني: العسل ﴿مختلف ألوانه﴾، أبيض وأحمر وأصفر . ﴿فيه شفاء للناس﴾، أي: في العسل . وقال مجاهد: أي في القرآن، والأول أولى .

أبناؤنا إسماعيل بن عبد القاهر، حدثنا عبد الغافر بن محمد، حدثنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن مثنى، أخبرنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أبي المتوكل، عن أبي سعيد الخدري قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ

(١) ساقط من «ب» .

(٢) انظر: زاد المسير: ٢٦٤/٤ .

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال رسول الله ﷺ: أسقه عسلاً، فسقاه ثم جاء فقال: إني سقيته فلم يزدُه إلا استطلاقاً، فقال النبي ﷺ له ثلاث مرات، ثم جاء الرابعة فقال: أسقه عسلاً، قال: قد سقيته فلم يزدَه إلا استطلاقاً فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك»، فسقاه فبرأ^(١).

قال عبدالله بن مسعود: العسلُ شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور^(٢).

وروي عنه أنه قال: عليكم بالشفاء بين القرآن والعسل^(٣).

﴿إِن فِي ذَلِكَ لآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، فيعتبرون.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُوَفِّقُكُمْ﴾، صبياناً أو شباناً أو كهولاً، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ﴾،

أردئه، قال مقاتل: يعني الهرم.

قال قتادة: أُرْدِلَ العُمرُ تسعون سنة.

روي عن علي قال: أُرْدِلَ العُمرُ خمس وسبعون سنة. وقيل: ثمانون سنة.

﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾، لكيلا يعقل بعد عقله الأول شيئاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

أبناؤنا عبدالواحد المليحي، حدثنا أحمد بن عبدالله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد

ابن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، [حدثنا موسى بن إسماعيل]^(٤)، حدثنا هارون بن موسى،

حدثنا أبو عبدالله الأعور، عن شعيب، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «أعوذ

بك من البخل، والكسل، وأردل العُمر، وعذاب القبر، وفتنة الدجال، وفتنة الحيا والممات»^(٥).

(١) أخرجه البخاري في الطب، باب الدواء بالعسل، وقول الله تعالى: «فيه شفاء للناس»: ١٣٩/١٠، ومسلم في السلام، باب

التداوي بسقي العسل، برقم (٢٢١٧): ١٧٣٦-١٧٣٧، واللفظ له، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٤٧/١٢.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة، وابن جرير. انظر: الدر المنثور: ١٤٤/٥.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، موقفاً على ابن مسعود

رضي الله عنه وأخرجه ابن ماجه، وابن مردويه، والحاكم - وصححه - والبيهقي في «شعب الإيمان» مرفوعاً من رواية ابن

مسعود. انظر: الدر المنثور: ١٤٤/٥.

(٤) ساقط من «ب».

(٥) أخرجه البخاري في تفسير سورة النحل، باب «ومنكم من يرد إلى أُرْدَلِ العُمر»: ٣٨٧/٨-٣٨٨، ومسلم في الذكر والدعاء،

باب التعوذ من العجز والكسل وغيره، برقم (٢٧٠٦): ٢٠٨٠/٤.

وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرِزْقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ أَفِي الْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾، بسط على واحد، وضيق على الآخر، وقلل وكثر .
 ﴿فما الذين فضلوا برأدي رزقهم على ما ملكت أيماهم﴾، من العبيد، ﴿فهم فيه سواء﴾، أي: حتى يستووا هم وعبيدهم في ذلك. يقول الله تعالى: لا يرضون أن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقهم سواء، وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني. يلزم به الحججة على المشركين . قال قتادة: هذا مثل ضربه الله عز وجل، فهل منكم أحد يشركه مملوكه في زوجته وفرادشه وماله ؟ أفتعدلون بالله خلقه وعباده؟؟

﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾، بالإشراك به، وقرأ أبو بكر بالثاء لقوله «والله فضل بعضكم على بعض في الرزق»، والآخرون بالياء لقوله: «فهم فيه سواء» .
 قوله تعالى: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾، يعني: النساء، خلق من آدم زوجته حواء . وقيل: «من أنفسكم» أي: من جنسكم أزواجاً .
 ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾، قال ابن مسعود، والنخعي: الحفدة أختان الرجل على بناته .

وعن ابن مسعود أيضاً: أنهم الأصهار، فيكون معنى الآية على هذا القول: وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات، تزوجونهم فيحصل بسببهم الأختان والأصهار .
 وقال عكرمة، والحسن، والضحاك: هم الخدم .
 قال مجاهد: هم الأعوان، من أعانك فقد حفدك .
 وقال عطاء: هم ولد ولد الرجل، الذين يعينونه ويخدمونه .
 وقال قتادة: مهنة يمتنونكم ويخدمونكم من أولادكم^(١) .
 قال الكلبي ومقاتل: «البنين»: الصغار، و«الحفدة»: كبار الأولاد الذين يعينونه على عمله .
 وروى مجاهد، وسعيد بن جبير عن ابن عباس: أنهم ولد الولد .

(١) في وب: الأولاد .

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا
وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضُرُّوهُ بِاللَّهِ الْأَمْثَالُ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

وروي العوفي عنه: أنهم بنو امرأة الرجل ليسوا منه^(١).

﴿ورزقكم من الطيبات﴾، من النعم والحلال، ﴿أفبالباطل﴾، يعني الأصنام، ﴿يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾؟ يعني التوحيد والإسلام.

وقيل: «الباطل»: الشيطان، أمرهم بتحريم البحيرة، والسائبة، و«بنعمة الله» أي: بما أحل الله لهم «يكفرون»: يجحدون تحليله.

﴿ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقاً من السموات﴾، يعني المطر، ﴿والأرض﴾، يعني النبات، ﴿شيئاً﴾، قال الأخفش: هو بدل من الرزق، مغناه: أنهم لا يملكون من أمر الرزق شيئاً، قليلاً ولا كثيراً.

وقال الفراء: نصب «شيئاً» بوقوع الرزق عليه، أي: لا يرزق شيئاً، ﴿ولا يستطيعون﴾، ولا يقدرّون على شيء، يذكر عجز الأصنام عن إيصال نفع أو دفع ضرر.

﴿فلا تضربوا الله الأمثال﴾، يعني: الأشباه. فتشبهونه بخلقه، وتجعلون له شريكاً، فإنه واحد لا مثل له، ﴿إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾، خطأ ما تضربون من الأمثال. ثم ضرب مثلاً للكافرين والمؤمنين^(٢)، فقال جل ذكره:

(١) بعد أن ساق الطبري - رحمه الله - الروايات في تفسير الآية قال: (١٤٦/١٤٧-١٤٤): «والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى أخبر عباده معرفهم نعمه عليهم، فيما جعل لهم من الأزواج والبنين، فقال تعالى: «والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة»، فأعلمهم أنه جعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة. والحفدة في كلام العرب: جمع حافد... والحافد في كلامهم: هو المتخفف في الخدمة والعمل. والخفد: خفة العمل. وإذا كان معنى الحفدة ما ذكرنا من أنهم المسرعون في خدمة الرجل، المتخففون فيها، وكان الله - تعالى ذكره - أخبرنا أن مما أنعم به علينا أن جعل لنا حفدة تحفد لنا، وكان أولادنا وأزواجنا الذين يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا، وأختاننا الذين هم أزواج بناتنا، من أزواجنا وخدمتنا من ممالكنا، إذا كانوا يحفدوننا، فيستحقون اسم حفدة. ولم يكن الله تعالى دلاً بظاهر تنزيله، ولا على لسان رسوله ﷺ، ولا بحجة عقل، على أنه عني بذلك نوعاً من الحفدة، دون نوع منهم، وكان قد أنعم بكل ذلك علينا = لم يكن لنا أن نوجه ذلك إلى خاص من الحفدة دون عام، إلا ما اجتمعت الأمة عليه أنه غير داخل فيهم.

وإذا كان ذلك كذلك؛ فلكل الأقوال - التي ذكرنا عن ذكرنا - وجه في الصحة، ومخرج في التأويل. وإن كان أولى بالصواب من القول ما اخترنا، لما بينا من الدليل.

(٢) في «ب»: للمؤمن والكافر.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِثْرًا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء﴾، هذا مثل الكافر، رزقه الله مالا، فلم يقدم فيه خيراً، ﴿ومن رزقناه مئراً رزقاً حسناً فهو ينفق منه سرّاً وجهراً﴾، هذا مثل المؤمن، أعطاه الله مالا، فعمل فيه بطاعة الله، وأنفقه في رضاء الله، سرّاً وجهراً، فأثابه الله عليه الجنة^(١). ﴿هل يستويون﴾، ولم يقل يستويان لكان «من» وهو اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع، وكذلك قوله «لا يستطيعون» بالجمع لأجل ما .

معناه: هل يستوي هذا الفقير البخيل والغني السخي؟ كذلك لا يستوي الكافر العاصي والمؤمن المطيع. وروى ابن جريج عن عطاء في قوله تعالى: ﴿عبداً مملوكاً﴾، أي: أبو جهل بن هشام ﴿ومن رزقناه مئراً رزقاً حسناً﴾ أبو بكر الصديق رضي الله عنه^(٢). ثم قال :

﴿الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾، يقول ليس الأمر كما تقولون، ما للأوثان عندهم من يد ولا معروف فتحمد عليه، إنما الحمد الكامل لله عز وجل، لأنه المنعم والخالق والرازق، ولكن أكثر الكفار لا يعلمون. ثم ضرب مثلاً للأصنام فقال :

﴿وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه﴾، كَلٌّ: ثقل ووبال «على مولاه» ابن عمه، وأهل ولايته، ﴿أينما يوجهه﴾، يرسله، ﴿لا يأت بخير﴾، لأنه لا يفهم ما يقال له، ولا يفهم عنه، هذا مثل الأصنام، لا تسمع، ولا تنطق، ولا تعقل، ﴿وهو كَلٌّ على مولاه﴾ عابده، يحتاج إلى أن يحمله ويضعه ويخدمه .

﴿هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل﴾، يعني: الله تعالى قادر، متكلم، يأمر بالتوحيد، ﴿وهو على صراط مستقيم﴾، [قال الكلبي: يعني يدلکم على صراط مستقيم .

(١) وهذا التأويل رجحه الطبري: ١٤٨/١٤٩-١٤٩.

(٢) انظر: زاد المسير: ٤٧٢/٤.

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ
 إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ
 شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

وقيل: هو رسول الله ﷺ يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم^(١).

وقيل: كلا المثليين للمؤمن والكافر، يرويه عطية عن ابن عباس .

وقال عطاء: الأبيكم: أبي بن خلف، ومن يأمر بالعدل: حمزة، وعثمان بن عفان، وعثمان بن مظعون / .

وقال مقاتل: نزلت في هاشم بن عمرو بن الحارث بن ربيعة القرشي، وكان قليل الخير يعادي

رسول الله ﷺ .

وقيل: نزلت في عثمان بن عفان ومولاه، كان عثمان ينفق عليه، وكان مولاه يكره الإسلام^(٢).

﴿والله غيب السموات والأرض، وما أمر الساعة﴾، في قرب كونها، ﴿إلا كلمح البصر﴾،

إذا قال له: «كن» فيكون، ﴿أو هو أقرب﴾، بل هو أقرب، ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾، نزلت

في الكفار الذين يستعجلون القيامة استهزاء .

قوله عز وجل: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم﴾، قرأ الكسائي «بطون إمهاتكم» بكسر

الهمزة، وقرأ حمزة بكسر الميم والهمزة، والباقون بضم الهمزة وفتح الميم، ﴿لا تعلمون شيئاً﴾، تم الكلام،

ثم ابتداء فقال جل وعلا: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾، لأن الله تعالى جعل هذه الأشياء

لهم قبل الخروج من بطون الأمهات، وإنما أعطاهم العلم بعد الخروج، ﴿لعلكم تشكرون﴾، نعمة الله .

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري: ١٤/١٥٠-١٥١، الدر المنثور: ٥/١٥١-١٥٢، زاد المسير: ٤/٤٧٣، البحر المحيط:

٥١٩/٥-٥٢٠، أسباب النزول للواحدي ص (٣٢٣) .

قال الطبري - رحمه الله -: «وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه والآلهة التي تُعبد من دونه، فقال تعالى ذكره: «وضرب

الله مثلاً رجلين، أحدهما أبكم لا يقدر على شيء» يعني بذلك الصنم أنه لا يسمع شيئاً، ولا ينطق، لأنه إما خشب منحوت،

وإما نحاسٌ مصنوع لا يقدر على نفع لمن خدمه، ولا دفع ضرر عنه، «وهو كلُّ على مولاه»، يقول: وهو عيال على ابن

عمه وحلفائه وأهل ولايته، فكذلك الصنم كلُّ على من يعبده، يحتاج أن يحمله، ويضعه ويخدمه كالأبكم من الناس الذي

لا يقدر على شيء فهو كلُّ على بني أعمامه.. هل يستوي هذا الأبكم الكلُّ على مولاه الذي لا يأتي بخير حيث توجه

ومن هو ناطق متكلم يأمر بالحق، ويدعو إليه، وهو الله الواحد القهار، الذي يدعو عباده إلى توحيدهِ وطاعته، يقول: لا

يستوي هو - تعالى ذكره - والصنم الذي صفته ما وصف. وقوله: «وهو على صراط مستقيم» يقول: وهو مع أمره بالعدل،

على طريق من الحق في دعائه إلى العدل، وأمره به مستقيم، لا يَفُوجُ عن الحق ولا يزول عنه .

انظر: تفسير الطبري: ١٤/١٥٠ .

الْمَيْرَ وَإِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ
 جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا
 وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَاوَمْتَعًا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ
 ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ
 وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْبَرْدَ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

﴿ألم يروا﴾، قرأ ابن عامر، وحزرة، ويعقوب: بالتاء، والباقون بالياء لقوله: «ويعبدون»^(١).
 ﴿إلى الطير مسخرات﴾، مذلات، ﴿في جو السماء﴾ وهو الهواء بين السماء والأرض. عن كعب
 الأحبار أن الطير ترتفع اثني عشر ميلاً، ولا يرتفع فوق هذا، وفوق الجو السكاك، وفوق السكاك
 السماء ﴿ما يمسكهن﴾ في الهواء ﴿إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾.
 ﴿والله جعل لكم من بيوتكم﴾ [التي هي من الحجر والمدن]^(٢) ﴿سكناً﴾ أي: مسكناً
 تسكنونه، ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً﴾، يعني الخيام، والقباب، والأخبية، والفساطيط
 من الأنطاع والأدم^(٣)، ﴿تستخفونها﴾ أي: يخف عليكم حملها، ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾، رحلتكم في
 سفركم، قرأ ابن عامر، وأهل الكوفة، ساكنة العين، والآخرون بفتحها، وهو أجزل اللغتين، ﴿ويوم
 إقامتكم﴾، في بلدكم لا تثقل عليكم في الحالين .

﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها﴾، يعني: أصواف الضأن، وأوبار الإبل، وأشعار المعز،
 والكنائيات راجعة إلى الأنعام، ﴿أثناً﴾، قال ابن عباس: مالأً. قال مجاهد: متاعاً .
 قال القتيبي: «الأثان»: المال أجمع، من الإبل والغنم والعبيد، والمتاع .
 وقال غيره: هو متاع البيت من الفرش والأكسية .
 ﴿ومتاعاً﴾، بلاغاً ينتفعون بها، ﴿إلى حين﴾ يعني الموت. وقيل: إلى حين تبلى .
 ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالاً﴾ تستظلون بها من شدة الحر، وهي ظلال الأبنية والأشجار،

(١) في الآية الثانية والسبعين من السورة: «ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقاً...» الآية .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) في هامش «أ»: فائدة: لو قال: من الجلود، كان أحسن من قوله من الأنطاع والأدم .

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ تُمْرِينَكُمْ بِرُؤسِهِمْ
وَأَكْثَرَهُمُ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾

﴿وجعل لكم من الجبال أكنانا﴾، يعني: الأسراب، والغيران، واحدها كَنٌّ ﴿وجعل لكم سرايل﴾ قمصاً من الكتان والقز، والقطن، والصوف، ﴿تقيكم﴾، تمنعكم، ﴿الحر﴾، قال أهل المعاني: أراد الحرّ والبرد فاكتمى بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه. ﴿وسرايل: تقيكم بأسكم﴾، يعني: الدروع، والبأس: الحرب، يعني: تقيكم في بأسكم السلاح أن يصيبكم .

﴿وكذلك يُتِمُّ نعمته عليكم لعلكم تُسلمون﴾، تُخلصون له الطاعة .

قال عطاء الخراساني: إنما أنزل القرآن على قدر معرفتهم، فقال: وجعل لكم من الجبال أكنانا، وما جعل [لهم] ^(١) من السهول أكثر وأعظم، ولكنهم كانوا أصحاب جبال كما قال: «ومن أصفافها وأوبارها وأشعارها» لأنهم كانوا أصحاب وِبرٍ، وشعر، وكما قال: «ويُنزَلُ من السماء من جبال فيها من برد» (النور - ٤٣) وما أنزل من الثلج أكثر، ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج. وقال: «تقيكم الحرّ» وما تقي من البرد أكثر، ولكنهم كانوا أصحاب حرّ .

﴿فإن تولوا﴾، فإن أعرضوا فلا يلحقك في ذلك عتَبٌ ولا سِمةٌ تقصير، ﴿فإنما عليك البلاغ المبين﴾ .

﴿يعرفون نعمة الله﴾، قال السدي يعني: محمداً ﷺ، ﴿ثم ينكرونها﴾، يكذبون به .

وقال قوم: هي الإسلام .

وقال مجاهد، وقتادة: يعني ما عدَّ لهم من النعم في هذه السورة، يعرفون أنها من الله، ثم إذا قيل لهم: تصدقوا وامثلوا أمر الله فيها، ينكرونها فيقولون: ورثناها من آبائنا .

وقال الكلبي: هو أنه لما ذكر لهم هذه النعم قالوا: نعم، هذه كلها من الله، ولكنها بشفاعة آلهتنا .

وقال عوف بن عبد الله: هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا، ولولا فلان لما كان كذا ^(٢) .

﴿وأكثرهم الكافرون﴾، الجاحدون .

(١) ساقط من (ب) .

(٢) قال الطبري: (١٥٨/١٤): «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: عنى بالنعمة التي ذكرها

في قوله «يعرفون نعمة الله النعمة عليهم بإرسال محمد ﷺ إليهم داعياً إلى ما بعثه بدعائهم إليه، وذلك أن هذه الآية بين آيتين كلتاها خبرٌ عن رسول الله ﷺ وعمّا بعث به، فأولى ما بينهما أن يكون في معنى ما قبله وما بعده، إذ لم يكن معنى يدل على انصرافه عما قبله وعمّا بعده...» .

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يَخَفُّ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَكَاءَ هُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَالْقَوَا إِلَى اللَّهِ يُومِئِدُ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾

قوله عز وجل: ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً﴾، يعني رسولاً ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾، في الاعتذار، وقيل: في الكلام أصلاً، ﴿ولا هم يستعتبون﴾، يسترضون، يعني: لا يكلفون أن يرضوا ربهم، لأن الآخرة ليست بدار تكليف، ولا يرجعون إلى الدنيا فيتوبون. وحقيقة المعنى في الاستعتاب: أنه التعرض لطلب الرضا، وهذا الباب منسب في الآخرة على الكفار.

﴿وإذا رأى الذين ظلموا﴾، كفروا، ﴿العذاب﴾، يعني جهنم، ﴿فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون﴾.

﴿وإذا رأى الذين أشركوا﴾، يوم القيامة، ﴿شركاءهم﴾، أوثانهم، ﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك﴾، أرباباً وعبدهم، ﴿فألقوا﴾، يعني الأوثان، ﴿إليهم القول﴾، أي: قالوا لهم، ﴿إنكم لكاذبون﴾، في تسميتنا آلهة ما دعوناكم إلى عبادتنا.

﴿وألقوا﴾، يعني المشركين ﴿إلى الله يومئذ السلم﴾، استسلموا وانقادوا لحكمه فيهم، ولم تُغن عنهم آلهتهم شيئاً، ﴿وَضَلَّ﴾، وزال، ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾، من أنها تشفع لهم.

﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾، منعوا الناس عن طريق الحق ﴿زدناهم عذاباً فوق العذاب﴾، قال عبدالله: عقارب لها أنياب أمثال النخل الطوال.

وقال سعيد بن جبیر: حیات أمثال البُحْت^(١)، وعقارب أمثال البغال، تلسع إحداهن اللسعة يجد صاحبها حمماً أربعين خريفاً.

وقال ابن عباس ومقاتل: يعني خمسة أنهار من صُفْرِ مذاب كالنار تسيل من تحت العرش، يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار.

(١) البُحْت: هي الإبل الخراسانية، وهي جمال طوال الأعناق، واحدها: بختي.

وَيَوْمَ نَبِّئُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَيَّ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾

وقيل: إنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير، فيبادرون من شدة الزمهرير إلى النار مستغيثين بها .

وقيل: يضاعف لهم العذاب^(١). ﴿بما كانوا يفسدون﴾، في الدنيا بالكفر وصدّ الناس عن الإيمان .

﴿ويوم نبئ في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم﴾، يعني نبيها من أنفسهم، لأن الأنبياء كانت تبعث إلى الأمم منها .

﴿وجئنا بك﴾، يا محمد، ﴿شهيداً على هؤلاء﴾، الذين بُعثت إليهم .

﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً﴾، بياناً، ﴿لكل شيء﴾، يحتاج إليه من الأمر والنهي، والحلال والحرام، والحدود والأحكام، ﴿وهدي﴾، من الضلالة، ﴿ورحمة وبشرى﴾، بشارة ﴿للمسلمين﴾ .

قوله عز وجل: ﴿إن الله يأمر بالعدل﴾، بالإنصاف، ﴿والإحسان﴾، إلى الناس .

وعن ابن عباس: «العدل»: التوحيد، و«الإحسان»: أداء الفرائض .

وعنه: «الإحسان»: الإخلاص في التوحيد، وذلك معنى قول النبي ﷺ: «الإحسان أن تعبد

الله كأنك تراه»^(٢) .

وقال مقاتل: «العدل»: التوحيد، و«الإحسان»: العفو عن الناس .

﴿وإيتاء ذِي الْقُرْبَىٰ﴾، صلة الرحم .

﴿وينهى عن الفحشاء﴾ / ما قُبِحَ من القول والفعل. وقال ابن عباس: الزنا، ﴿والمنكر﴾،

ملا يُعرف في شريعة ولا سنة، ﴿والبغي﴾، الكبر والظلم .

أ/٢٠٢

(١) انظر هذه الأقوال في: الدر المنثور: ١٥٧/٥-١٥٨، زاد المسير: ٤٨٢/٤. وقد اعتمد الطبري: (١٦٠/١٤-١٦١) القول الأول . وانظر: تفسير ابن كثير: ٥٨٢/٢ .

(٢) قطعة من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سؤال جبريل عليه السلام - عن الإسلام والإيمان، والإحسان، أخرجه البخاري في الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان: ١١٤/١، ومسلم في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، برقم (٨): ٣٦-٣٧، والمصنف في شرح السنة: ٩-٨/١ .

وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ
 اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ
 غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ
 أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ
 تَخَالِفُونَ ﴿٩٢﴾

وقال ابن عيينة: «العدل» استواء السر والعلانية، و«الإحسان» أن تكون سريرته أحسن من
 علانيته، و«الفحشاء والمنكر» أن تكون علانيته أحسن من سريرته .

﴿يعظّم لعلكم تذكرون﴾، تتعظون .

قال ابن مسعود: أجمع آية في القرآن هذه الآية (١) .

وقال أيوب عن عكرمة: إن النبي ﷺ قرأ على الوليد: ﴿إن الله يأمر بالعدل﴾ إلى آخر الآية
 فقال له: يا ابن أخي أعد فأعاد عليه، فقال: إن له والله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر
 وإن أسفله لمغدق، وما هو بقول البشر (٢) .

قوله تعالى: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾، والعهد هاهنا هو: اليمين .

قال الشعبي: العهد يمين وكفارته كفارة يمين، ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾، تشديدها،
 فتحثوا فيها، ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾، شهيداً بالوفاء .

﴿إن الله يعلم ما تفعلون﴾، واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية وإن كان حكمها عاماً؟ .

قيل: نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ، أمرهم الله بالوفاء بها (٣) .

وقال مجاهد وقتادة: نزلت في حلف أهل الجاهلية (٤) . ثم ضرب الله مثلاً لنقض العهد فقال:

﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة﴾، أي: من بعد غزله وإحكامه .

قال الكلبي، ومقاتل: هي امرأة خرقاء حقاء من قريش، يقال لها «ريطة بنت عمرو بن سعد

(١) انظر: الدر المنثور: ١٦٠/٥، ففيه جملة آثار في ذلك .

(٢) انظر: سيرة ابن هشام: ٢٧٠/١ .

(٣) أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم عن مزينة بن جابر .

(٤) انظر: الدر المنثور: ١٦١/٥، زاد المسير: ٤٨٤/٤ .

(٤) المرجع السابق نفسه .

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ
وَلَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ
بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾

ابن كعب بن زيد مائة بن تميم وتلقب بجعر، وكانت بها وسوسة، وكانت اتخذت مغزلاً بقدر ذراع وصنارة مثل الأصبغ، وفلكة عظيمة، على قدرها، وكانت تغزل الغزل من الصوف والشعر والوبر، وتأمّر جواربها بذلك، فكن يغزلن من الغداة إلى نصف النهار، فإذا انتصف النهار أمرتهن بنقض جميع ما غزلن فهذا كان دأبها^(١).

ومعناه: أنها لم تكف عن العمل، ولا حين عملت كفت عن النقض، فكذلك أنتم إذا نقضتم العهد، لا كففتم عن العهد، ولا حين عاهدتم وفيتم به.

﴿أُنكاثاً﴾، يعني أنقاضاً واحداً «نكث» وهو ما نقض بعد الفتل، غزلاً كان أو حَبْلاً .
﴿تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم﴾، أي: دخلاً وخيانة وخديعة، و«الدخل» ما يدخل في الشيء للفساد .
وقيل: «الدخل» و«الدغل»: أن يظهر الوفاء ويبطن النقض .

﴿أن تكون﴾ أي: لأن تكون، ﴿أمة هي أرى﴾، أي: أكثر وأعلى، ﴿من أمة﴾ قال مجاهد: وذلك أنهم كانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا قوماً أكثر منهم وأعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الأكثر، فمعناه: طلبتم العز بنقض العهد، بأن كانت أمة أكثر من أمة. فنهاهم الله عن ذلك .
﴿إنما ييلوكم الله به﴾، يخبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بالعهد، ﴿وليسئن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ في الدنيا .

﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾، على ملة واحدة، وهي الإسلام، ﴿ولكن يضل من يشاء﴾، بخذلانه إياهم، عدلاً منه، ﴿ويهدي من يشاء﴾، بتوفيقه إياهم، فضلاً منه، ﴿ولتستلن عما كنتم تعملون﴾، يوم القيامة .

﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً﴾، خديعة وفساداً، ﴿بينكم﴾، فتغرون بها الناس، فيسكنون إلى أيمانكم، ويأمنون، ثم تنقضونها، ﴿فتزل قدم بعد ثبوتها﴾، فهلكوا بعد ما كنتم آمنين، والعرب تقول

(١) انظر: البحر المحيط: ٥٣١/٥ .

وقال قتادة ومجاهد: ذلك ضرب مثل لمن نقض عهده بعد توكيده، لا على امرأة معينة وهذا أرجح وأظهر، سواء كان بمكة امرأة تنقض غزلاً أم لا .

انظر: تفسير ابن كثير: ٥٨٥/٢، المحرر الوجيز: ٥٠٠/٨ .

وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

لكل مبتلى بعد عافية، أو ساقط في ورطة بعد سلامة: زلت قدمه، ﴿وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله﴾، قيل: معناه: سهّلت طريق نقض العهد على الناس بنقضكم العهد، ﴿ولكم عذاب عظيم﴾.

﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً﴾، يعني لا تنقضوا عهدكم، تطلبون بنقضها عَرَضاً قليلاً من الدنيا، ولكن أوفوا بها. ﴿إنما عند الله هو﴾، من الثواب لكم على الوفاء، ﴿خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ [ففضل ما بين العوضين، ثم بين ذلك] ^(١). فقال:

﴿ما عندكم ينفد﴾، أي: الدنيا وما فيها يفنى، ﴿وما عند الله باق﴾. ﴿ولنجزيَنَّهُ﴾، ﴿قرأ أبو جعفر وابن كثير وعاصم بالنون والباقون بالياء﴾ ^(٢) ﴿الذين صبروا﴾، على الوفاء في السراء والضراء، ﴿أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾. أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى، أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني، أخبرنا عبدالله بن عمر الجوهري، حدثنا أحمد بن علي الكشميهني، حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، عن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب دنياه أضرت بأخوته، ومن أحب أخوته أضرت بدنيته، فأثروا ما يبقى على ما يفنى» ^(٣). قوله تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحييته حياةً طيبة﴾، قال سعيد ابن جبير وعطاء: هي الرزق الحلال.

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٣٠٨/٤، وصححه على شرط الشيخين، فتعقبه الذهبي بأن فيه انقطاعاً.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤١٢، ١٧٥/٤، والبيهقي في السنن: ٣٧٠/٣، وعزاه صاحب المشكاة له في «شعب الإيمان».

قال الهيثمي: «رواه أحمد والبخاري، ورجالهم ثقات».

انظر: مجمع الزوائد: ٢٤٩/١٠، مشكاة المصابيح رقم (٥١٧٩)، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني: ٤٩١/١.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٣٩/١٤.

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٨﴾

قال الحسن: هي القناعة .
 وقال مقاتل بن حيان: يعني العيش في الطاعة .
 قال أبو بكر الوراق: هي حلاوة الطاعة .
 وقال مجاهد وقتادة: هي الجنة. ورواه عوف عن الحسن. وقال: لا تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة^(١) .

﴿ولنجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ .
 قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾، أي: أردت قراءة القرآن ﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾، كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ (المائدة - ٦) .
 والاستعاذة سنة عند قراءة القرآن^(٢) .
 وأكثر العلماء على أن الاستعاذة قبل القراءة^(٣) .
 وقال أبو هريرة: بعدها^(٤) .

- (١) بعد أن ساق الطبري الروايات في تفسير الآية قال:
 «وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: فلنجزيته حياة طيبة بالقناعة، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تبعه، ولم يعظم فيها نصبه، ولم يتكدر فيها عيشه باتباعه بقية ما فاته منها وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها . وأما القول الذي روي عن ابن عباس: أنه الرزق الحلال، فهو محتمل أن يكون معناه الذي قلنا في ذلك، من أنه تعالى يقنعه في الدنيا بالذي يرزقه من الحلال، وإن قل، فلا تدعوه نفسه إلى الكثير منه من غير حله، لا أنه يرزقه الكثير من الحلال. وذلك أن أكثر العاملين لله تعالى بما يرضاه من الأعمال لم نرهم رزقوا الرزق الكثير من الحلال في الدنيا، ووجدنا ضيق العيش عليهم أغلب من السعة» .
 انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/١٤ .
- (٢) قال الطبري: (١٧٣/١٤): «وليس قوله «فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم» بالأمر اللازم، وإنما هو إعلام وندب، وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن من قرأ القرآن، ولم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم، قبل قراءته أو بعدها، أنه لم يضيع فرضاً واجباً» .
 وقال ابن الجوزي في زاد المسير: (٤٩٠/٤): «والاستعاذة عند القراءة سنة في الصلاة وغيرها» .
 قال ابن عطية: (٥٠٧/٨): «وحكى النقاش عن عطاء: أن التعمد واجب» .
 وانظر: تفسير ابن كثير: ١٥٠/١، ٥٨٧/٢، المجموع للنووي: ٢٨٤/٣، والتهيان في آداب حملة القرآن للنووي ص (٦٤-٦٥) .
- (٣) انظر: تفسير الطبري: ١٧٣/١٤، القرطبي: ١٧٥-١٧٤/١٠، المحرر الوجيز: ٥٠٧/٨، أحكام القرآن لابن العربي: ١١٧٥/٣ .
- (٤) نقل النووي في المجموع: (٢٨٤/٣) ذلك عن أبي هريرة، وابن سيرين، والنخعي، وأن أبا هريرة كان يتعوذ بعد فراغ الفاتحة، لظاهر الآية .
 والصحيح هو القول الأول - قبل القراءة - للأحاديث الدالة على تقدمها على التلاوة. وانظر: تفسير ابن كثير: ١٣/١-١٥، ٥٨٧/٢، أحكام القرآن لابن العربي: ١١٧٥/٣ .

إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا
 سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً
 مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ لَّ أَكْثَرُهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

ولفظه: أن يقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» .

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم
 البغوي، حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة، سمعت عاصماً عن ابن جبير بن
 مطعم، عن أبيه أنه رأى النبي ﷺ يصلي، قال: فكبر، فقال: الله أكبر كبيراً، ثلاث مرات، [والحمد
 لله كثيراً، ثلاث مرات، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، ثلاث مرات] (١) اللهم إني أعوذ بك من
 الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه، ونفثه .

قال عمرو: ونفخه: الكبر، ونفثه: الشعر وهمزه: الموت، والموتة الجنون، والاستعاذة بالله هي
 الاعتصام به (٢) .

﴿إنه ليس له سلطان﴾، حجة وولاية، ﴿على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾، قال سفيان:
 ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يُغفر .

﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه﴾، يطيعونه ويدخلون في ولايته، ﴿والذين هم به مشركون﴾،
 أي: بالله مشركون. وقيل: الكناية راجعة إلى الشيطان، ومجازه الذين هم من أجله مشركون بالله .
 ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾، يعني وإذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكماً آخر، ﴿والله
 أعلم بما ينزل﴾، أعلم بما هو أصلح لخلقهم فيما يغير ويبدل من أحكامه، ﴿قالوا إنما أنت
 مفتر﴾، مُخْتَلِقٌ، وذلك أن المشركين قالوا: إن محمداً يسخر بأصحابه، يأمرهم اليوم بأمر، وينهاهم
 عنه غداً، / ما هو إلا مفتر، يتقوله من تلقاء نفسه (٣) .

قال الله تعالى: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾، حقيقة القرآن، وبيان الناسخ من المنسوخ .

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب ما يستفتح به في الصلاة من الدعاء: ٣٧٢/١، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب الاستعاذة

في الصلاة: ٢٦٥/١، وصححه ابن حبان ص (١٢٣) من موارد الظمان، والحاكم: ٢٣٥/١، وأخرجه الإمام أحمد في المسند:

٨٠/٤، والمصنف في شرح السنة: ٤٣/٣ .

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٢٥) .

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى
وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ
الَّذِي يُدْعَوْنَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾

﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾، يعني القرآن، ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾، جبريل، ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾، بالصدق، ﴿لِيُثَبِّتَ
الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: ليثبت قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً و يقيناً، ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ .
﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾، آدمي، وما هو من عند الله، واختلفوا في هذا
البشر: قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يعلم قيناً بمكة، اسمه «بَلْعَامُ»، وكان نصرانياً، أعجمي
اللسان، فكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج، فكانوا يقولون إنما يعلمه
«بَلْعَامُ» (١) .

وقال عكرمة: كان النبي ﷺ يُقْرَى غلاماً لبني المغيرة يقال له: «يعيش» (٢)، وكان يقرأ
الكتب، فقالت قريش: إنما يعلمه «يعيش» (٣) .

وقال الفراء: قال المشركون إنما يتعلم من عايش مملوك كان لحويطب بن عبدالعزى، وكان
قد أسلم وحسن إسلامه، وكان أعجم اللسان (٤) .

وقال ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة إلى غلام رومي
نصراني، عبد لبعض بني الحضرمي، يقال له «جبر»، وكان يقرأ الكتب (٥) .

وقال عبد الله بن مسلم الحضرمي كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لأحدهما يسار، ويكنى
«أبا فكهة»، ويقال للآخر «جبر»، وكانا يصنعان السيوف بمكة، وكانا يقرآن التوراة والإنجيل، فرمى
مهما النبي ﷺ، وهما يقرآن، فيقف ويستمع .

قال الضحاك: وكان النبي ﷺ إذا آذاه الكفار يقعد إليهما ويستروح بكلامهما، فقال
المشركون: إنما يتعلم محمد منهما، فنزلت هذه الآية (٦) .

(١) أخرجه ابن جرير: ١٧٧/١٤، وزاد السيوطي نسبه لابن أبي حاتم وابن مردويه بسند ضعيف .

الدر المنثور: ١٦٧/٥، زاد المسير: ٤٩٢/٤ .

(٢) في الدر المنثور: «مقيس» ولعله تصحيف .

(٣) أخرجه ابن جرير عن عكرمة: ١٧٨/١٤، وانظر: زاد المسير: ٤٩٢/٤ .

(٤) وقاله أيضاً الزجاج، انظر: زاد المسير: ٤٩٣/٤ .

(٥) أخرجه الطبري: ١٧٨/١٤ .

(٦) أخرجه الطبري: ١٧٨/١٤، والواحد في أسباب النزول ص (٣٢٦)، وانظر: زاد المسير: ٤٩٣/٤ .

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا
 يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ
 ﴿١٠٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ
 وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾

قال الله تعالى تكذيباً لهم: ﴿لسان الذي يلحدون إليه﴾، أي يميلون ويشيرون إليه،
 ﴿أعجمي﴾، «الأعجمي» الذي لا يفصح وإن كان ينزل بالبادية، والعجمي منسوب إلى العجم،
 وإن كان فصيحاً، والأعرابي البدوي، والعربي منسوب إلى العرب، وإن لم يكن فصيحاً، ﴿وهذا
 لسان عربي مبين﴾، فصيح وأراد باللسان القرآن، والعرب تقول: اللغة لسان، وروي أن الرجل
 الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه .

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾، لا يرشدهم الله، ﴿ولهم عذاب أليم﴾،
 ثم أخبر الله تعالى أن الكفار هم المفترون .

فقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، لا محمد ﷺ .
 فإن قيل: قد قال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فما معنى قوله «وأولئك هم
 الكاذبون»؟

قيل: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ﴾: إخبار عن فعلهم، و«هم الكاذبون» نعت لازم لهم، كقول الرجل
 لغيره: كذبت وأنت كاذب، أي: كذبت في هذا القول، ومن عادتك الكذب .
 أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو حفص عمر بن أحمد الجوهري،
 أخبرنا جدي أبو بكر محمد بن عمر بن حفص، حدثنا أبو بكر محمد بن الفرج الأزرق، حدثنا
 سعيد بن عبد الحميد بن جعفر، حدثنا يعلى بن الأشدق، عن عبد الله بن جراد قال قلت: يارسول
 الله المؤمن يزني؟ قال: قد يكون ذلك، قال قلت: المؤمن يسرق؟ قال: قد يكون ذلك، قلت: المؤمن
 يكذب؟ قال: لا. قال الله: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾^(١) .

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ .

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في عمار، وذلك أن المشركين أخذوه، وأباه ياسراً، وأمّه
 سمية، وصهبياً، وبلاًاً، وخباباً، وسالماً، فعذبوهم، فأما سمية: فإنها ربطت بين بعيرين ووُجِئ قُبَلُهَا

(١) أخرجه الخرائطي في مساويء الأخلاق، وابن عساكر في تاريخه. انظر: الدر المنثور: ١٦٨/٥ .

بحربة فقتلت، وقتل زوجها ياسر، وهما أول قتيلين قُتلا في الإسلام، وأما عمار: فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً^(١).

قال قتادة: أخذ بنو المغيرة عماراً وغطوه في بئر ميمون، وقالوا له: اكفر بمحمد، فتابعهم^(٢) على ذلك، وقلبه كاره، فأخبر رسول الله ﷺ بأن عماراً كفر فقال: كلا، إن عماراً ملىء إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان^(٣) بلحمه ودمه، فأق عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقال رسول الله ﷺ: ما وراءك؟ قال: شرُّ يارسول الله، نلتُ منك وذكرت آهتهم^(٤)، قال: كيف وجدت قلبك، قال مطمئناً بالإيمان، فجعل النبي ﷺ، يمسح عينيه وقال: إن عادوا لك فعُد لهم بما قلت، فنزلت هذه الآية^(٥).

قال مجاهد: نزلت في ناسٍ من أهل مكة، آمنوا فكتب إليهم بعض أصحاب رسول الله ﷺ: أن هاجروا، فإننا لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا، فخرجوا يريدون المدينة، فأدركتهم قريش في الطريق فكفروا كارهين^(٦).

وقال مقاتل: نزلت في جبر، مولى عامر بن الحضرمي، أكرهه سيده على الكفر فكفر مكرهاً^(٧). ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾، ثم أسلم مولى جبر، وحسن إسلامه، وهاجر جبر مع سيده، ﴿وَلَكِنْ مِنْ شَرِّهِ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ أي: فتح صدره للكفر بالقبول واختاره، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وأجمع العلماء على: أن من أكره على كلمة الكفر، يجوز له أن يقول بلسانه، وإذا قال بلسانه غير معتقد لا يكون كفراً، وإن أبى أن يقول حتى يقتل كان أفضل^(٨). واختلف أهل العلم في طلاق المكره. فذهب أكثرهم إلى أنه لا يقع^(٩).

(١) انظر: أسباب النزول للواحي ص (٣٢٦)، تفسير الطبري: ١٨١/١٤، المستدرک: ٣٥٧/٢، الدر المنثور: ١٦٩/٥-١٧٠.

(٢) في «ب»: فبايعهم.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) ساقط من «ب».

(٥) أخرجه الطبري: ١٨١/١٤، وعبد بن حميد، وابن جرير، والحاكم. انظر: الدر المنثور: ١٧٢/٥، القرطبي: ١٨١/١٠، المستدرک: ٣٥٧/٢.

(٦) أخرجه ابن جرير، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور: ١٧١/٥.

(٧) انظر: زاد المسير: ٤٩٥-٤٩٦.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٨٢/١٤، القرطبي: ١٨١/١٠، ١٨٨-١٩٠، أحكام القرآن للجصاص: ١٣/٤-١٤، أحكام القرآن

لابن العربي: ١١٧٧/٣-١١٧٩، زاد المسير: ٤٩٦/٤، تفسير ابن كثير: ٥٨٩/٢.

(٩) قال الشافعي، ومالك، وأحمد: لا يقع طلاق المكره، وهو مروى عن عمر، وعلي، وابن عباس. وذكره ابن المنذر عن ابن الزبير، وابن عمر، وابن عباس، وعطاء، وطاوس، والحسن، وشريح، والقاسم، وسالم، والأوزاعي، وإسحاق وأبي ثور.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٨﴾ لَا جَزْمَ لَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فِتْنَاوَاكُمْ جَهْدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنَ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾، لا يرشدهم .
 ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وأولئك هم الغافلون﴾، عمّا يراد بهم .
 ﴿لا جزم لهم في الآخرة هم الخاسرون﴾، أي المغبونون .
 ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾، عذبوا ومنعوا من الإسلام، فتنهم المشركون،
 ﴿ثم جاهدوا وصبروا﴾ على الإيمان والهجرة والجهاد، ﴿إن ربك من بعدها﴾، من بعد تلك الفتنة
 والغفلة ﴿لغفور رحيم﴾ .

نزلت في عياش بن أبي ربيعة، أخي أبي جهل من الرضاة، وفي أبي جندل بن سهيل بن عمرو،
 والوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام وعبدالله بن أسيد الثقفي، فتنهم المشركون فأعطوهم
 بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم، ثم إنهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا^(١) .
 وقال الحسن وعكرمة: نزلت في عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وكان يكتب للنبي ﷺ فاستزله
 الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر النبي ﷺ بقتله يوم فتح مكة، فاستجاره له عثمان، وكان أخاه لأمه
 من الرضاة، فأجاره رسول الله ﷺ، ثم إنه أسلم وحسن إسلامه، فأنزل الله هذه الآية^(٢) .

= وأجازه أبو حنيفة، فقال: طلاق المكره يلزم، لأنه لم يعلم فيه أكثر من الرضا، وليس وجوده بشرط في الطلاق. وهذا
 مروى عن الشعبي، والنخعي وأبي قلابة، والزهري، وقتادة .

انظر بالتفصيل: تفسير القرطبي: ١٨٤/١٠، زاد المسير: ٤٩٧/٤، أحكام القرآن للجصاص: ١٥-١٤/٤، أحكام القرآن
 لابن العربي: ١١٨١/٣ .

(١) انظر: تفسير الخازن: ٩٧/٤ .

وهناك أقوال أخرى تجمع على عياش بن ربيعة بين من نزلت الآية فيه، وذكر بعضهم عمراً رضي الله عنه، ورده ابن عطية .
 وانظر: الطبري: ١٨٤/١٤، الدر المنثور: ١٧٢/٥-١٧٣، المحرر الوجيز: ٥٢٤/٨-٥٢٥، زاد المسير: ٤٩٧/٤-٤٩٨، أسباب
 النزول ص (٢٣٧)، روح المعاني للآلوسي: ٢٤٠/١٤، البحر المحيط: ٥٤٠/٥ .

(٢) أخرجه الطبري عنهما: ١٨٤/١٤-١٨٥، وأخرج ابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس مثله. الدر المنثور: ١٧٢/٥ .
 وانظر: البحر المحيط: ٥٤١/٥، زاد المسير: ٤٩٨/٤ .

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا

وقرأ ابن عامر ﴿فتوا﴾ بفتح الفاء والتاء، وردّه إلى من أسلم من المشركين فتنوا المسلمين .
﴿يوم تأتي كل نفس تجادل﴾، تخاصم وتحتج، ﴿عن نفسها﴾، بما أسلفت من خير وشر، مشتغلاً بها لا تتفرغ إلى غيرها، ﴿وتؤفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون﴾ .
روي أن عمر بن الخطاب قال / لكعب الأحبار: خوِّفنا، قال: يا أمير المؤمنين، والذي نفسي بيده، لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبياً لأنت عليك ساعات وأنت لا تهلك إلا نفسك، وإن لجحهم زفرة لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل منتخب، إلا وقع جاثياً على ركبتيه، حتى إبراهيم خليل الرحمن، يقول: يارب لا أسألك إلا نفسي، وإن تصديق ذلك: الذي أنزل الله عليكم «يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها»^(١) .

وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال: ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة، حتى تخاصم الروح الجسد، فتقول الروح: يا رب، لم يكن لي يد أبطش بها، ولا رجل أمشي بها، ولا عين أبصر بها. ويقول الجسد: خلقتني كالخشب ليست لي يد أبطش بها، ولا رجل أمشي بها، ولا عين أبصر بها، فجاء هذا كشعاع النور، فبه نطق لساني، وأبصرت عيني، ومشت رجلي. فيضرب الله لهما مثلاً: أعمى ومقعد، دخلا حائطاً فيه ثمار، فالأعمى لا يبصر الثمر، والمقعد لا يناله، فحمل الأعمى المقعد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب^(٢) .

قوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة﴾، يعني: مكة، كانت آمنة، لا يهاج أهلها ولا يُغار عليها، ﴿مطمئنة﴾، قارة بأهلها، لا يحتاجون إلى الانتقال للانتجاع كما يحتاج إليه سائر العرب، ﴿يأتيها رزقها رعداً من كل مكان﴾، يُحمل إليها من البر والبحر نظيره: «يُجبي إليه ثمرات

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: (١٧٣/٥) لابن المبارك، وابن أبي شيبة، وأحمد في «الزهده»، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن كعب الأحبار .

وانظر: زاد المسير: ٤/٤٩٩، روح المعاني: ١٤/٢٤٠-٢٤١ .

(٢) قال الآلوسي: (٢٤١/١٤): «والظاهر هو عدم صحة هذا الخبر عن الحبر - ابن عباس - وهو أجل من أن يحمل المجادلة في الآية على ما ذكر. والحق أنه ليس فيه إلا الدلالة على عدم الاهتمام .

وقال ابن عطية: (٥٢٥/٨)، وظاهر الآية: أن كل نفس تجادل، مؤمنة كانت أو كافرة، فإذا جادل الكفار بكذبهم وجحدهم الكفر شهدت عليهم الجوارح والرسول وغير ذلك بحسب الطوائف، فحيث لا ينطقون «ولا يؤذن لهم فيعتدون» (المرسلات - ٣٦) فتجتمع آيات القرآن باختلاف المواطن.

وقالت فرقة: قول كل أحد من الأنبياء وغيرهم: نفسي، نفسي، وهذا ليس بمجادل ولا احتجاج، وإنما هو مجرد رغبة .

رِزْقَهَا رَعْدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ
وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا
وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِعَيْتِهِ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ
الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزْيِرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۗ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ
وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ
هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾

كُلُّ شَيْءٍ» (القصص - ٥٧). ﴿فكفرت بأنعم الله﴾، جمع النعمة، وقيل: جمع نعماء مثل بأساء وأبؤس، ﴿فأذاقها الله لباس الجوع﴾، ابتلاهم الله بالجوع سبع سنين، وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله ﷺ حتى جهدوا فأكلوا العظام المحرقة، والجيف، والكلاب الميتة، والعهن، وهو الوبر يعالج بالدم، حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع، ثم إن رؤساء مكة كلموا رسول الله ﷺ وقالوا: هذا عاديت الرجال، فما بال النساء والصبيان؟ فأذن رسول الله ﷺ للناس بحمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون. وذكر اللباس لأن ما أصابهم من الهزال والشحوب وتغير ظاهرهم عما كانوا عليه من قبل كاللباس لهم، ﴿والخوف﴾، يعني: بعوث النبي ﷺ وسراياه التي كانت تطيف بهم. ﴿بما كانوا يصنعون﴾.

﴿ولقد جاءهم رسول منهم﴾، محمد ﷺ، ﴿فكذبوه﴾، فأخذهم العذاب وهم ظالمون. ﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون﴾^(١). ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ فإن الله غفور رحيم﴾^(٢). قوله تعالى: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب﴾، أي: لا تقولوا لوصف ألسنتكم، أو

(١) انظر فيما سبق، تفسير الآية (١٧٢) من سورة البقرة: ١٨٢/١-١٨٣.

(٢) انظر فيما سبق، تفسير الآية (١٧٣) من سورة البقرة: ١٨٢/١-١٨٤.

مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ
 قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ آتَى
 رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ
 رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾

لأجل وصفكم الكذب، أي: أنكم تُحلّون وتُحرّمون لأجل الكذب لا لغيره، ﴿هذا حلال وهذا حرام﴾، يعني البحيرة والسائبة، ﴿لتفتروا على الله الكذب﴾، فتقولون إن الله أمرنا بهذا، ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾، لا ينجون من عذاب الله.

﴿متاع قليل﴾، يعني: الذي هم فيه متاع قليل، أو لهم متاع قليل في الدنيا. ﴿ولهم عذاب أليم﴾، في الآخرة.

﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل﴾، يعني في سورة الأنعام، وهو قوله تعالى:

«وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر» (الأنعام - ١٤٦) الآية (١).

﴿وما ظلمناهم﴾ بتحريم ذلك عليهم، ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ فحرمنا عليهم بيغيهم.

﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾ معنى الإصلاح:

الاستقامة على التوبة، ﴿إن ربك من بعدها﴾، أي: من بعد الجهالة، ﴿لغفور رحيم﴾.

قوله تعالى: ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ قال ابن مسعود: الأمة، معلّم الخير، أي: كان معلماً للخير،

يأتى به أهل الدنيا، وقد اجتمع فيه من الخصال الحميدة ما يجتمع في أمة.

قال مجاهد: كان مؤمناً (٢) وحده والناس كلهم كفار.

قال قتادة: ليس من أهل دين إلا يتولونه ويرضونه.

﴿قانتاً لله﴾، مطيعاً له، وقيل: قائماً بأوامر الله تعالى، ﴿حنيفاً﴾ مسلماً مستقيماً على دين

الإسلام. وقيل: مخلصاً. ﴿ولم يك من المشركين﴾.

(١) انظر تفسير الآية (١٤٦) من سورة الأنعام: ١٩٩/٣.

(٢) في «ب»: أمة.

شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ أَحْبَبْنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١٣﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّمَا جَعَلُ السَّبْتِ عَلَى الَّذِينَ ائْتَلَفُوا فِيهِ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٦﴾

﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ، أَحْبَبْنَاهُ﴾، اختاره، ﴿وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، أي: إلى دين الحق .
﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، يعني الرسالة والخلة. وقيل: لسان الصدق والثناء الحسن .
وقال مقاتل بن حيان: يعني الصلوات في قول هذه الأمة: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد،
كما صليت على إبراهيم .
وقيل: أولاداً أبراراً على الكبر .
وقيل: القبول العام في جميع الأمم .
﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾، مع آباءه الصالحين في الجنة. وفي الآية تقديم وتأخير، مجازة:
وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ حَسَنَةً، وإنه لمن الصالحين .
﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، يا محمد، ﴿أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾، حاجاً مسلماً،^(١) ﴿وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .
وقال أهل الأصول: كان النبي ﷺ مأموراً بشريعة إبراهيم إلا ما نسخ في شريعته، وما لم ينسخ
صار شرعاً له^(٢) .
قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَعَلُ السَّبْتِ عَلَى الَّذِينَ ائْتَلَفُوا فِيهِ﴾ قيل: معناه إنما جعل السبت لعنة
على الذين ائتلفوا فيه أي: خالفوا فيه .
وقيل: معناه ما فرض الله عليهم تعظيم السبت وتحريمه إلا على الذين ائتلفوا فيه أي: خالفوا فيه
فقال قوم: هو أعظم الأيام، لأن الله تعالى فرغ من خلق الأشياء يوم الجمعة، ثم سبت يوم السبت .
وقال قوم: بل أعظم الأيام يوم الأحد، لأن الله تعالى ابتداء فيه خلق الأشياء، فاخترتوا تعظيم
غير ما فرض الله عليهم، وقد افترض الله عليهم تعظيم يوم الجمعة .

(١) وقال الطبري: مُسْلِماً على الدين الذي كان عليه إبراهيم، بريئاً من الأوثان والأنداد التي يعبدها قومك، كما كان إبراهيم تبرأ منها .
تفسير الطبري: ١٩٣/١٤ .

(٢) انظر بالتفصيل: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم: ٧٢٢/٥ وما بعدها، تفسير القرطبي: ١٩٨/١٠ .

أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
 إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾

قال الكلبي: أمرهم موسى عليه السلام بالجمعة، فقال: تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوماً، فاعبدوه يوم الجمعة، ولا تعملوا فيه لصنعتكم، وستة أيام لصناعتكم، فأبوا وقالوا: لا نريد إلا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق يوم السبت، فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه، ثم جاءهم عيسى عليه السلام بيوم الجمعة، فقالوا: لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا - يعنون اليهود - فاتخذوا الأحد، فأعطى الله الجمعة هذه الأمة، فقبلوها وبُورِكَ لهم فيها .

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن حمش الزيادي، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا أحمد بن يوسف السلمي، أنبأنا عبدالرزاق، أنبأنا معمر بن همام بن منبه قال: حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله ﷺ / قال: «نحن الآخرُونَ السابقون يوم القيامة، يئد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلَفوا فيه، فهدانا الله له، فهم لنا فيه تَبِعٌ، فاليهود غداً، والنصارى بعد غد»^(١) .

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَعَلَ السَّبْتَ عَلَى الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ﴾. [قال قتادة: الذين اختلفوا فيه هم]^(٢) اليهود، استحلَّه بعضهم، وحرَّمه بعضهم .

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ .

﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾، بالقرآن، ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾، يعني مواظب القرآن .

وقيل: الموعظة الحسنة هي الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب .

وقيل: هو القول اللين الرقيق من غير غلظة ولا تعنيف .

﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وخاصمهم وناظرهم بالخصومة التي هي أحسن، أي: أعرض

عن أذاهم، ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء إلى الحق، نسختها آية القتال^(٣) .

(١) أخرجه البخاري في الجمعة، باب فرض الجمعة: ٣٥٤/٢، ومسلم في باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، برقم (٨٥٥): ٥٨٦/٢. والمصنف في شرح السنة: ٢٠٠/٤ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٣) هذه الآية الكريمة نزلت بمكة المكرمة في وقت الأمر بمهادنة المشركين، وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين، دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة. فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين .

وقد قيل: إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورجي إيمانه بها دون قتال فهي محكمة، والله أعلم .
 تفسير القرطبي: ٢٠٠/١٠، وأصل الكلام لابن عطية في المحرر الوجيز: ٥٤٦/٨، وانظر فيما سبق تفسير الآية (٣) من سورة الحجر: ٣٦٨/٤ تعليق (٦) و ٣٧٣/٣ تعليق (٢) .

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٣٦﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ .

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾، هذه الآيات نزلت بالمدينة في شهداء أحد^(١)، وذلك أن المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد، من تقيير البطون، والمثلة السيئة - حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين إلا مُثِّلَ به غير حنظلة بن الراهب، فإن أباه أبا عامر الراهب كان مع أبي سفيان، فتركوا حنظلة لذلك - فقال المسلمون حين رأوا ذلك: لكن أظهرنا الله عليهم لنزيذنا على صنيعهم، ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها أحد من العرب بأحد، فوقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة بن عبدالمطلب، وقد جدعوا أنفه وأذنه، وقطعوا مذاكيره، وبقروا بطنه، وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطبتها لتأكلها فلم تلبث في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: أما إنها لو أكلته لم تدخل النار أبداً، حمزة أكرم على الله تعالى من أن يُدخِلَ شيئاً من جسده النار، فلما نظر رسول الله ﷺ إلى عمه حمزة، ونظر إلى شيء لم ينظر إلى شيء قط كان أوجع لقلبه منه، فقال النبي ﷺ: «رحمة الله عليك فإنك ما علمت ما كنت إلا فاعلاً للخيرات، وصولاً للرحم، ولولا حزن من بعدك عليك لسرتني أن أدعك حتى تحشر من أفواج شتى، أما والله لئن أظفرتني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا﴾ الآية. ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾، أي: ولئن عفوتم هو خير للعافين فقال النبي ﷺ: بل نصبر، وأمسك عما أراد وكفر عن يمينه^(٢).

(١) قال ابن عطية: (٥٤٦/٤): أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة، رضي الله عنه، في يوم أحد. ووقع ذلك في صحيح البخاري، وفي كتب السير، وذهب النحاس إلى أنها مكية . وانظر: تفسير القرطبي: ٢٠١/١٠ .

(٢) هذه الرواية ساقها الواحدي في أسباب النزول ص (٣٢٩-٣٣٠) عن المفسرين ولم يذكر لها إسناداً، وكذلك فعل الخازن في تفسيره: (١٣١/٤)، وفي هذا السياق ما هو صحيح ومنه ما هو ضعيف؛ وإليك بعض الروايات في ذلك: عن أبي بن كعب قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة، فماتوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لتربس عليهم. قال: فلما كان يوم فتح مكة فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾، فقال رجل: لا قريش بعد اليوم. فقال رسول الله ﷺ: كفوا عن القوم إلا أربعة .

أخرجه الترمذي في التفسير: ٥٥٩/٨-٥٦٠ وقال: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه ابن حبان، كما في موارد الظمان ص (٤١١)، وصححه الحاكم في المستدرک: ٣٥٩/٢ و٤٤٦، وواقفه الذهبي، والطبراني في الكبير: ١٥٧/٣، وعبدالله بن الإمام أحمد في زوائد المسند: ١٣٥/٥، وعزه السيوطي للنسائي، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل .

وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ
 ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

قال ابن عباس والضحاك: كان هذا قبل نزول براءة حين أمر النبي ﷺ بقتال من قاتله ومنع من الابتداء بالقتال، فلما أعز الله الإسلام وأهله نزلت براءة، وأمروا بالجهاد نسخت هذه الآية^(١). وقال التَّخَعِّي، والثورِيُّ، ومجاهد، وابن سيرين: الآية محكمة نزلت في من ظلم بظلامته، فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال الظالم منه، أمر بالجزاء والعفو، ومنع من الاعتداء^(٢). ثم قال لنبية ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، أي: بمعونة الله وتوفيقه، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، في إعراضهم عنك، ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾، أي: فيما فعلوا من الأفاعيل. قرأ ابن كثير هاهنا وفي النمل ﴿ضَيْقٍ﴾ بكسر الضاد وقرأ الآخرون بفتح الضاد، قال أهل الكوفة: هما لغتان مثل رطل ورطل.

وقال أبو عمرو: «الضَيْقُ» بالفتح: الغم، وبالكسر: الشدة. وقال أبو عبيد: «الضَيْقُ» بالكسر في قلة المعاش وفي المساكن، فأما ما كان في القلب والصدر فإنه بالفتح.

وقال ابن قتيبة: الضيق تخفيف ضيق مثل هيئن وهيئن، ولين ولين، فعلى هذا هو صفة، كأنه قال: ولا تكن في أمر ضيق من مكرهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، المناهي، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ بالعون والنصرة.

وأشار الحافظ ابن حجر إلى هذه الرواية وقال في الفتح (٣٧٢/٧): «وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً». وروى البزار والطبراني بإسناد فيه ضعف عن أبي هريرة أن النبي ﷺ لما رأى حمزة قد مَثَّلَ به قال: رحمة الله عليك.. - كما جاء في سياق المصنف - انظر: فتح الباري: ٣٧١/٧، وراجع: طبقات ابن سعد: ١٢/٣-١٣، سيرة ابن هشام: ٩١/٢، ٩٥-٩٦، إمتاع الأسماع للمقريزي ص (١٥٣)، أسباب النزول للواحدي ص (٣٢٩-٣٣١) وفيه سياق الروايات كلها، وكذلك الدر المنثور: ١٧٨/٥-١٧٩، تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٢.

(١) أخرجه الطبري عن ابن عباس: ١٩٦/١٤، وانظر: الدر المنثور: ١٨٠/٥، زاد المسير: ٥٠٨/٤.

(٢) الطبري: ١٩٧/١٤، القرطبي: ٢٠١/١٠، المحرر الوجيز: ٥٤٨/٨، زاد المسير: ٥٠٨/٤.

قال الطبري - رحمه الله - «والصواب من القول في ذلك: إن الله تعالى ذكره أمر من عوقب من المؤمنين بعقوبة أن يعاقب من عاقبه بمثل الذي عوقب به، إن اختار عقوبته، وأعلمه أن الصبر على ترك عقوبته، على ما كان منه إليه خير وعزم على نبيه ﷺ أن يصبر، وذلك أن ذلك هو ظاهر التنزيل، والتأويلات - التي ذكرناها عن ذكرها عنه - محتملتها الآية كلها، فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن في الآية دلالة على أي ذلك عنى بها من خير ولا عقل كان الواجب علينا الحكم بها.. وأن يقال: هي آية محكمة أمر الله - تعالى ذكره - عباده أن لا يتجاوزوا فيما وجب لهم قَبْلَ غيرهم من حق مال أو نفس، الحق الذي جعله الله لهم إلى غيره، وأنها غير منسوخة، إذ كان لا دلالة على نسخها، وأن للقول بأنها محكمة وجهاً صحيحاً مفهوماً».

سُورَةُ الْاِسْرَاءِ



سُورَةُ الْاِسْرَاءِ

مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا
الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَّا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ سبحان الله: تنزيه الله تعالى من كل سوء، ووصفه بالبراءة من كل نقص على طريق المبالغة، ويكون «سبحان» بمعنى التعجب، «أسرى بعبده» أي: سيره، وكذلك سرى به، والعبد هو: محمد ﷺ .

﴿من المسجد الحرام﴾، قيل: كان الإسراء من مسجد مكة، روى قتادة عن أنس عن مالك ابن صعصعة أن رسول الله ﷺ قال: «بيننا أنا في المسجد الحرام في الحجر بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق»^(٢)، فذكر حديث المعراج .

وقال قوم: عرج به من دار أم هانئ بنت أبي طالب^(٣)، ومعنى قوله: ﴿من المسجد الحرام﴾

(١) هي مكية في قول الجماعة، وهو مروى عن ابن عباس رضي الله، فيما أخرجه عنه: النحاس، وابن مردويه، قال: «نزلت سورة بني إسرائيل بمكة» .

وقال بعضهم: فيها مدني، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً، حيث قال: هي مكية إلا ثمان آيات .

انظر: الدر المنثور: ١٨١/٥، زاد المسير: ٣/٥ .

(٢) وهو مروى في الصحيحين وغيرهما، وسيأتي تفريجه قريباً .

(٣) أخرجه ابن إسحاق في السيرة قال: حدثني محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح باذان، عن أم هانئ بنت أبي طالب .

انظر سيرة ابن هشام: ٤٠٢/١-٤٠٣، والطبري في التفسير: ٢/١٥ .

قال الحافظ ابن كثير: (٢٣/٣): الكلبي متروك بمرة ساقط .

وقال الهشمي في مجمع الزوائد: (٧٦/١): «رواه الطبراني في الكبير، وفيه عبدالأعلى بن أبي المساور، متروك كذاب» .

أي: من الحرم^(١).

قال مقاتل: كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة. ويقال: كان في رجب. وقيل: كان في شهر رمضان^(٢).

﴿إلى المسجد الأقصى﴾، يعني: بيت المقدس، وسُمي أقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار. وقيل: لبعده من المسجد الحرام.

﴿الذي باركنا حوله﴾، بالأنهار والأشجار والثمار. وقال مجاهد: سماه مباركاً لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي، ومنه يحشر الناس يوم القيامة.

﴿لنريه من آياتنا﴾، من عجائب قدرتنا، وقد رأى هناك الأنبياء والآيات الكبرى.

﴿إنه هو السميع البصير﴾، ذكر «السميع» لينبئ على أنه الهيب لدعائه، وذكر «البصير» لينبئ على أنه الحافظ له في ظلمة الليل.

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: ما فقد جسد النبي ﷺ، ولكن الله أسرى بروحه^(٣).

والأكثرون على أنه أسرى بجسده في اليقظة، وتواترت الأخبار الصحيحة على ذلك^(٤).

(١) انظر: زاد المسير: ٤/٥-٥، تفسير الطبري: ٢/١٥.

(٢) انظر الروايات في زمن الإسراء، في: الدر المنثور: ٢٠٩/٥-٢١١، إمتاع الأسماع للمقريزي: ٢٩/١، فتح الباري: ٢٠٣/٧، تفسير القرطبي: ٢١٠/١٠.

(٣) أخرجه ابن إسحاق في السيرة: ٣٩٩/١-٤٠٠، والطبري: ١٦/١٥ عن عائشة ومعاوية. وانظر: إمتاع الأسماع ٣٠/١، الروض الأثف للسهيلي: ٢٤٣/١-٢٤٤، تفسير ابن كثير: ٢٤/٣، الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٢٤٥/١-٢٤٦.

وقد تعقب الطبري رحمه الله هذا الرأي وردّه ردّاً شديداً فقال: (١٦/١٥-١٧): «والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعبد محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما أخبر الله عباده، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، أن الله حمله على البراق حين أتاه به، وصل هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل، فأراه ما أراه من الآيات».

ولا معنى لقول من قال: أسرى بروحه دون جسده، لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلاً على نبوته، ولا حجة على رسالته، ولا كان الدين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك، وكانوا يدفعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن منكراً عندهم، ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل! وبعد، فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبد، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائزاً لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره...».

وانظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض: ٢٥٢/١-٢٥٦.

وجمع الحافظ ابن كثير رحمه الله روايات أحاديث الإسراء في أول تفسير السورة: ٣/٣-٢٤ وقال: «وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث، صحيحها وحسنها وضمينها، يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ﷺ من =

أخبرنا أبو عمر عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبدالله النعمي، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن يوسف، حدثنا أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا هُدْبَةُ بن خالد، حدثنا همام بن يحيى، حدثنا قتادة (ح) (١) قال البخاري: وقال لي خليفة العصفري: حدثنا يزيد ابن زريع، حدثنا سعيد وهشام. قالوا: حدثنا قتادة (ح) عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ، حدثهم عن ليلة أسري به، (ح) قال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن يونس عن ابن شهاب عن أنس قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: (ح)، وأخبرنا أبو سعيد إسماعيل بن عبدالقاهر، أخبرنا أبو الحسن عبدالغافر بن محمد / [الفارسي أنبأنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد] (٢) بن سفيان، حدثنا أبو الحسين مسلم بن الحجاج، حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت البناني عن أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ قال - [دخل حديث بعضهم في بعض] (٣) - قال أبو ذر: إن رسول الله ﷺ قال: (٤) «فُرِّجَ عَنِّي سَقْفُ بَيْتِي، وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جَبْرِيلُ فَفَرَّجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْتَلِئَةٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ» .

وقال مالك بن صعصعة: إن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال: «بينما أنا في الحطيم،

= مكة إلى بيت المقدس، وأنه مرة واحدة، وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه، أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه؛ فإن الخطأ جائز على مَنْ عدا الأنبياء عليهم السلام، وَمَنْ جعل من الناس - كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة، فأثبت اسراءات متعددة فقد أبعد وأغرب، وهرب إلى غير مهرب ولم يتحصل على مطلب. وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه السلام أسري به مرة. من مكة إلى بيت المقدس فقط، ومرة من مكة إلى السماء فقط، ومرة إلى بيت المقدس، ومنه إلى السماء، وفرح بهذا المسلك وأنه قد ظفر بشيء يخلص به من الإشكالات، وهذا بعيد جداً، ولم ينقل هذا عن أحد من السلف، ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبي ﷺ به أمته، ولنقله الناس على التعدد والتكرار .

(١) إذا كان للحديث إسنادان أو أكثر، فإن المحدثين يكتبون عند الانتقال من إسناد إلى إسناد آخر ما صورته (ح)، وهي حاء مفردة مهملة، إشارة إلى التحويل من سند إلى سند آخر... وبعضهم يقول إذا وصل إليها (الحديث)... ومنهم من يقول إذا انتهى إليها في القراءة: (حا) ويمر .

وقال الحافظ عبدالقادر الزهاوي: إنها حاء من حائل، أي: تحول بين الإسنادين، قال: ولا يلفظ بشيء عند الانتهاء إليها في القراءة، وأنكر كونها من «الحديث» وغير ذلك .

واختار ابن الصلاح أن يقول القارئ عند الانتهاء إليها: (حا) ويمر، فإنه أحوط الوجوه وأعد لها .

انظر: علوم الحديث لابن الصلاح ص (٢٠٣-٢٠٤) بتحقيق الشيخ الدكتور نور الدين عتر .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٣) إذا روى الراوي الحديث عن شيخين فأكثر، وبين ألفاظهم تباين، فإن ركب السياق من الجميع - كما فعل المصنف هنا -

- وساق الحديث بتمامه فإن هذا سائق، فإن الأئمة تلقوه بالقبول. وقد بين المصنف ما في كل رواية من زيادة أو نقص .

انظر: الباعث الحثيث لابن كثير: ص (١٢٣-١٢٤)، فتح الباري لابن حجر: ٤٥٧/٨-٤٥٦ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

وربما قال في الحجر^(١)، بين النائم واليقظان»، وذكر بين رجلين^(٢)، «فأتيت بطسنتٍ من ذهب مملوءة حكمة وإيماناً فشقُّ من التَّحْر إلى مَرَأقِ البطن^(٣)، واستخرج قلبي فغسل ثم حُشِي، ثم أُعيد^(٤)». وقال سعيد وهشام: ثم غَسِلَ البطنُ بماء زمزم ثم ملئ إيماناً وحكمةً، ثم أُوتيتُ بالبراق، وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طَرَفِهِ، فركبته فانطلقت مع جبريل حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي تُربط بها الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، قيل من هذا؟ قال: جبريل: قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتَّح، فلما خلصتُ، فإذا فيها آدم، فقال لي: هذا أبوك آدم، فسلم عليه، فسلمتُ عليه، فردَّ السلام، ثم قال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح.

وفي حديث أبي ذر: عَلَوْنَا السماء الدنيا، فإذا رجلٌ قاعدٌ عن يمينه أسودَةٌ وعن يساره أسودَةٌ، إذا نظر قِبَلَ يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَلَ شماله بكى، فقال: مرحباً بالنبي الصالح، والابن الصالح. قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسود التي عن يمينه وشماله نَسَمُ بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسود التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَلَ شماله بكى. ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتَّح، فلما خلصت، إذا

(١) هو شك من قتادة. والمراد بالحطيم هنا: الحجر. انظر: فتح الباري: ٢٠٤/٧.

(٢) قال ابن حجر في الموضوع السابق: ووقع في بدء الخلق من صحيح البخاري بلفظ «وذكر بين الرجلين» وهو مختصر، وقد أوضحته رواية مسلم من طريق سعيد عن قتادة بلفظ: «إذ سمعت قائلاً يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين، فأتيت، فانطلق بي». والمراد بالرجلين حمزة وجعفر، وكان النبي ﷺ نائماً بينهما.

(٣) «مَرَأقِ البطن»: بفتح الميم وتخفيف الراء وتشديد القاف، هو: ما أسفل من البطن ورقٌّ من جلده، وأصله مراقق، وسميت بذلك لأنها موضع رقة الجلد. انظر: فتح الباري: ٣٠٨/٦.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (٣٠٤/٧-٣٠٥): «وقد استنكر بعضهم وقوع شقِّ الصدر ليلة الإسراء وقال: إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد.

ولا إنكار في ذلك، فقد تواردت الروايات به، وثبت شقُّ الصدر أيضاً عند البعثة، كما أخرجه أبو نعيم في «الدلائل»، ولكل منهما حكمة؛ فالأول وقع فيه من الزيادة - كما عند مسلم من حديث أنس - «فأخرج علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك»، وكان هذا في زمن الطفولية، فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان.

ثم وقع شقُّ الصدر عند البعث زيادة في إكرامه، ليتلقى ما يوحي إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير ثم وقع شقُّ الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليأهب للمناجاة. ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتنعق المبالغة في الإسباغ بمحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه ﷺ.

قارن ب: الشفا للقاضي عياض: ٢٥٤/١-٢٥٥.

بيحيى وعيسى، عليهما السلام، وهما ابنا خالة، قال: هذا يحيى وعيسى، فسلم عليهما، فسلمت فرداً، ثم قالاً: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت، فإذا يوسف، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه فرداً علي، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح، والنبى الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت فإذا إدريس، قال هذا إدريس فسلم عليه، فسلمت عليه، فردت ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا هارون، قال: هذا هارون فسلم عليه، فسلمت عليه فردت ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح، والنبى الصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه فردت ثم قال: مرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح، فلما جاوزت بكى قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكى لأن غلاماً بُعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي^(١) .

ثم صعد بي إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك إبراهيم، فسلمت عليه، فسلمت عليه فردت السلام، ثم قال: مرحباً بالنبى الصالح، والابن الصالح، فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل؟ فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم .

(١) قال العلماء: لم يكن بكاء موسى حسداً، معاذ الله، فإن الحسد في ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين، فكيف بمن اصطفاه الله تعالى، بل كان أسفاً على ما فاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بنسب ما وقع من أمته من كثرة مخالفة المقتضية لتقيص أجورهم المستلزم لتقيص أجره، لأن لكل نبي مثل أجر كل من اتبعه، ولهذا كان من اتبعه من أمته في العدد دون من اتبع نبينا محمداً ﷺ، مع طول مدتهم بالنسبة لهذه الأمة .

انظر: فتح الباري: ٢١١/٧ شرح السنة: ٣٤٢/١٣ .

وقال ثابت عن أنس: فإذا أنا بإبراهيم مسند ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا نبيها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، في أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ فقال: أما الباطنان، فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات .

وأوحى إلي ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يارب خفف على أمتي، فحط عني خمسا، فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمسا، قال: إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف .

قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، هي خمس وهي خمسون، لا يتبدل القول لدي، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة .

قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . فقلت: سألت ربي حتى استحييت ولكني أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت نادى مناد: أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي، ثم أذخلت الجنة فإذا فيها جناзд اللؤلؤ^(١)، وإذا ترابها المسك / قال ابن شهاب: فأخبرني ابن حزم^(٢) أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري، كانا يقولان: قال النبي ﷺ: ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى فيه صريف الأقدام^(٣) . قال ابن حزم وأنس: قال النبي ﷺ: ففرض الله على أمتي خمسين صلاة^(٤) .

٢٠٤ ب

(١) قباب اللؤلؤ. والجنازد جمع جُنَيْدَة، وهي القَبِيَّة. (شرح السنة: ٣٤٧/١٣) .

(٢) هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ورواه عن أبي حبة الأنصاري منقطعة، لأنه استشهد بأحد قبل مولد أبي بكر بدمر. فتح الباري: ٤٦٢/١ .

(٣) أي: ما يكتبه الملائكة من أفضية الله عز وجل، وما ينسخونه من اللوح المحفوظ. (شرح السنة: ٣٤٨/١٣) .

(٤) هذا الحديث برواياته وطرقه التي ساقها المصنف، أخرجه البخاري في الصلاة باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء: ٤٥٨-٤٥٩، وفي بدء الخلق، باب ذكر الملائكة: ٣٠٢/٦-٣٠٣، وفي مناقب الأنصار، باب المعراج: ٢٠١/٧-٢٠٢ . وفي مواضع أخرى .

وأخرجه مسلم في الإيمان، باب الإسراء برقم (١٦٢-١٦٤): ١٤٥/١-١٥١، والمصنف في شرح السنة: ٣٣٦/١٣-٣٤١،

٣٤٣-٣٤٤، ٣٤٧ .

وروى مَعْمَرٌ عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ : أتى بالبراق ليلة أسري به مُلَجَمًا مُسْرَجًا، فَاسْتَصَعَبَ عليه، فقال جبريل : أبحمدٍ تفعل هذا؟ فما ركبك أحدٌ أكرم على الله منه، فإرفض عرقاً^(١) .

وقال ابن بريده عن أبيه قال: قال النبي ﷺ : لما انتهينا إلى بيت المقدس قال جبريل بأصبعه، فخرق بها الحجر وشدبها البراق^(٢) .

أنبأنا عبدالواحد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثني محمود، أنبأنا عبدالرزاق، أنبأنا معمر عن الزهري، أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «ليلة أسري بي لقيت موسى، قال: فَتَعَتُهُ، فإذا هو رجل - حسبته قال: مُضْطَرَبٌ - رَجُلُ الرَّأْسِ كأنه من رجال شَنْوَةَ». قال: ولقيت عيسى، فنعته النبي ﷺ فقال : «رَبْعَةٌ، أَحْمَرٌ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسٍ، يَعْنِي: الْحَمَامُ، وَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدَهُ بِهِ، قَالَ: وَأُتَيْتُ بِإِنَاءَيْنِ: أَحَدُهُمَا لَبَنٌ، وَالْآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيُّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبْنَ فَشَرِبْتَهُ، فَقِيلَ لِي: هَدَيْتَ الْفِطْرَةَ [أَوْ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ]^(٣)، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ»^(٤) .

أنبأنا عبدالواحد المليحي، حدثنا أحمد بن عبدالله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله : «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس»، قال : هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس. قال : والشجرة الملعونة في القرآن قال: هي شجرة الزقوم^(٥) .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله، حدثني سليمان، عن شريك بن عبدالله قال: سمعت

(١) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الإسراء: ٥٦٤/٨، وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالرزاق، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٦٤/٣، والطبري: ١٥/١٥، وزاد السيوطي نسبه لابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي. انظر: الدر المنثور: ٢١٠/٥ .

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير: ٥٦٥/٨، وقال: هذا حديث غريب، وأخرجه ابن حبان ص (٣٩) من موارد الظمان. وأخرجه البزار في مسنده وقال: «لا نعلم رواه عن الزبير بن جنادة إلا أبو نميلة، ولا نعلم هذا الحديث إلا عن بريده». انظر: تفسير ابن كثير: ١١/٤ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٤) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واذكر في الكتاب مريم...) ٤٧٦/٦، وفي مواضع أخرى. ومسلم في الإيمان، باب الإسراء برقم (١٦٨): ١٥٤/١، والمصنف في شرح السنة: ٣٥٢/١٣ .

(٥) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب المعراج: ٢٠٣/٧، وفي التفسير، وفي القدر، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٤٨/١٣ .

أنس بن مالك يقول : ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر، قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال: أوسطهم هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه، وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه ووضعوه عند بئر زمزم، فشقق جبريل ما بين نحره إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده. وساق حديث المعراج بقصته. فقال: فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطرذان، قال: هذا النيل والفرات، عنصرهما واحد، ثم مضى به في السماء الثانية، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده فإذا هو مسك أذفر، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبا لك ربك. وساق الحديث، وقال: ثم عُرج بي إلى السماء السابعة، وقال: قال موسى: رب لم أظن أن ترفع علي أحداً، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إليه فيما يوحى إليه الله خمسين صلاة كل يوم وليلة، وقال: فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس، فقال: يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا عنه وتركوه، فأمتك أضعف قلباً وأجساداً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً، فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة، فقال: يارب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا، فقال الجبار: يا محمد، قال: لبيك وسعديك، قال: إنه لا يبدل القول لدي، كما فرضت عليك في أم الكتاب، فكل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب، وهي خمس عليك، فقال موسى: ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: «قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه»، قال: فاهبط بسم الله، فاستيقظ وهو في المسجد الحرام.

وروى مسلم هذا الحديث مختصراً عن هارون بن سعيد الإيلي، عن ابن وهب، عن سليمان ابن بلال^(١).

قال شيخنا الإمام رضي الله عنه: قد قال بعض أهل الحديث ما وجدنا لمحمد بن إسماعيل ولمسلم في كتابيهما شيئاً لا يحتمل مخرجاً إلا هذا، وأحال الأمر فيه إلى شريك بن عبد الله، وذلك أنه ذكر فيه أن ذلك قبل أن يوحى إليه، واتفق أهل العلم على أن المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثنتي عشرة سنة قبل الهجرة بسنة.

(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب ما جاء في قوله عز وجل: (وكلّم الله موسى تكليماً): ١٣/٤٧٧-٤٧٩، ومسلم في الإيمان، باب الإسراء، برقم (١٦٢): ١/١٤٨.

وفيه أيضاً: «أن الجبار دنا فتدلى». وذكرت عائشة أن الذي دنا فتدلى جبريل عليه السلام^(١).

قال شيخنا الإمام رضي الله عنه: وهذا الاعتراض عندي لا يصح، لأن هذا كان رؤيا في النوم، أراه الله عز وجل قبل الوحي، بدليل آخر الحديث: قال فاستيقظ وهو في المسجد الحرام، ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي قبل الهجرة بسنة تحقياً لرؤياه من قبل، كما أنه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة، ثم كان تحقيقه سنة ثمان ونزل قوله عز وجل^(٢): «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق» (الفتح - ٢٧).

وروي أنه لما رجع رسول الله ﷺ ليلة أسري به وكان بذى طوى قال: يا جبريل إن قومي لا يصدقوني، قال: يصدقك أبو بكر وهو الصديق^(٣).

قال ابن عباس، وعائشة، رضي الله عنهم، عن رسول الله ﷺ: لما كانت ليلة أسري بي فأصبحت بمكة فضقت بأمرى وعرفت أن الناس مكذبني، فروي أنه عليه الصلاة والسلام قعد معتزلاً حزيناً، فمر به أبو جهل فجلس إليه فقال له كالمستهزىء: هل استفدت من شيء؟ قال: نعم إني أسري بي الليلة قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين ظهرائنا، قال: نعم، فلم ير أبو جهل أنه ينكر، مخافة أن يجحده الحديث، قال: أتحدث قومك ما حدثتني؟ قال: نعم، قال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا، قال: فانفضت إليه المجالس فجاؤوا حتى جلسوا إليهما، قال: فحدث قومك ما حدثتني قال: نعم إني أسري بي الليلة، قالوا إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرائنا؟ قال: نعم، قال: فمن بين مصفوق، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً، وارتد ناس ممن كان آمن به وصدقه، وسعى رجل من المشركين إلى أبي بكر فقال: هل لك في صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس، قال: أوقد قال ذلك؟ قال: نعم، / ٢٠٥ أ
قال: لكن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: وتصدقه أنه ذهب إلى بيت المقدس في ليلة وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبو بكر الصديق.

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق: ٣١٣/٦، ومسلم في الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: (ولقد رآه نزلة أخرى): ١٦٠/١-١٦١.

(٢) انظر ما قيل في ذلك كله بالتفصيل: أعلام الحديث للخطابي: ٤/١٢٥٤-١٢٥٧، فتح الباري: ١٣/٤٧٩-٤٨٧.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى»: ١/٢١٥، والطبراني في «الأوسط»، وسعيد بن منصور، وابن مردويه، عن أبي هريرة انظر: الدر المنثور: ٥/٢٢١-٢٢٢.

قال: وفي القوم من قد أتى المسجد الأقصى، فقالوا: هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ قال: نعم، قال: فذهبت أنعتُ وأنعتُ، فما زلت أنعت حتى التيس عليّ [بعض النعت]، قال: فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل فنعتُ المسجد، وأنا أنظر إليه، فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب، ثم قالوا: يا محمد أخبرنا عن غيرنا هي أهمُّ إلينا، فهل لقيت منها شيئاً؟ قال: نعم مررت على عمير بنى فلان، وهي بالرُّوحاء، وقد أضلوا بعيراً لهم، وهم في طلبه، وفي رحالهم قدح من ماء فعمطشت فأخذته فشربته، ثم وضعته كما كان فسلوهم هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا إليه؟ قالوا: هذه آية، قال: ومررت بعير بنى فلان، وفلان وفلان راكبان قعوداً لما بذى طُوًى، فنفر بعيرهما مني فرمى بفلان، فانكسرت يده، فسلوهما عن ذلك، قالوا: وهذه آية. قالوا: فأخبرنا عن غيرنا نحن؟ قال: مررت بها بالتنعيم، قالوا: فما عدُّتها وأحاملها وهيبتها ومن فيها؟ فقال: نعم، هيبتها كذا وكذا، وفيها فلان وفلان، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطنان، تطلع عليكم عند طلوع الشمس، قالوا وهذه آية. ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون: والله لقد قصر محمد شيئاً ويئنه حتى أتوا كُدَيْ، فجلسوا عليه فجعلوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه، إذ قال قائل منهم: والله هذه الشمس قد طلعت، وقال آخر: وهذه والله الإبل قد طلعت، يقدمها بعير أورق، فيها فلان وفلان، كما قال لهم، فلم يؤمنوا، «وقالوا: إن هذا إلا سحر مبين»^(١).

أبناؤنا إسماعيل بن عبد القاهر، أبناؤنا عبد الغافر بن محمد، أبناؤنا محمد بن عيسى الجلودي، أبناؤنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثني زهير بن حرب، حدثنا حجر بن المثنى، أبناؤنا عبدالعزيز - وهو ابن أبي سلمة - عن عبد الله بن الفضل، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر، وقريشٌ تسألني عن مسراي، فسألتنني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربتُ كرباً ما كربت مثله قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، ولقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضربت جعداً كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى قائم يصلي، أقرب الناس به شياً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلي، أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه - فجاءت الصلاة فأمتتهم، فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه. فالتفتُ إليه فبدأني بالسلام»^(٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٣٠٩/١، والبخاري، وابن أبي شيبة، والنسائي، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الدلائل» والضياء في «المختارة»، وابن عساکر، بسند صحيح.

انظر: مجمع الزوائد: ٦٤-٦٥، الدر المنثور: ٢٢٢/٥، وتفسير ابن كثير: ١٦٦-١٧.

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، برقم (١٧٢): ١٥٦-١٥٧. وانظر: شرح السنة: ٣٥٣/١٣.

وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي
وَكِيلاً ﴿١﴾ ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٢﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى
بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَن لَّا﴾، بآن لآ،
﴿تتخذوا من دوني وكيلًا﴾، ربأ وكفيلًا .

قال أبو عمرو «لا يتخذوا» بالياء، لأنه خير عنهم، والآخرون: بالتاء، يعني: قلنا لهم لا تتخذوا .
﴿ذرية من حملنا﴾، قال مجاهد: هذا نداء، يعني: يا ذرية من حملنا، ﴿مع نوح﴾، في السفينة
فأنجيناهم من الطوفان، ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾، كان نوح عليه السلام إذا أكل طعاماً أو شرب
شرباً أو لبس ثوباً قال: الحمد لله، فسُمي عبداً شكوراً^(١)، أي: كثير الشكر .

قوله عز وجل: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ الآيات .

روى سفيان بن سعيد الثوري عن منصور بن المعتمر عن ربي بن حراش عن حذيفة قال:
قال رسول الله ﷺ^(٢): «إن بني إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا الأنبياء بعث الله عليهم ملك فارس

(١) أخرجه ابن جرير: ١٩/١٥ عن سلمان، ومجاهد، وقتادة وغيرهما، وصححه الحاكم على شرط الشيخين: ٣٦٠/٢ وذكر
السيوطي جملة أخبار في ذلك، انظر: الدر المنثور: ٢٣٦/٥-٢٣٧، وأخرج الإمام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن
أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها .
وفي البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ - في حديث الشفاعة - قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة... - وفيه -
فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سمك الله عبداً شكوراً، فاشفع لنا إلى ربك»
وذكر الحديث بكامله .

(٢) أخرجه الطبري، انظر: التفسير: ٤٣-٢٢/١٥، تاريخ الطبري: ٥٣٢/١-٥٥٧، الدر المنثور: ٢٤٣/٥-٢٤٤ .
وهذه الروايات الكثيرة التي ساقها المصنف رحمه الله في هؤلاء المسلمين على بني إسرائيل، من الإسرائيليات والموضوعات،
وفيها من المعجائب والغرائب والمبالغات مالا يصدق، وفيها ما يحمل الصدق أيضاً، وقد نقل ابن جرير كثيراً منها عن ابن
إسحاق، وواضح أن ابن إسحاق يذكر صراحة اسم أهل الكتاب، وأنهم يقولون كذا... أو عندهم كذا... ونحن في غنية
عن هذه الروايات جميعها .

ونضع هنا كلمة قيمة للحافظ ابن كثير - رحمه الله - تعقياً على هذه الروايات، قال: «وقد اختلف المفسرون من السلف
والخلف في هؤلاء المسلمين عليهم: من هم ؟ .

فمن ابن عباس وقتادة: أنه «جالوت» وجنوده.. وعن سعيد بن جبیر: أنه ملك الموصل «سنجاريب» وجنوده. وعنه أيضاً:
أنه «بختنصر» ملك بابل. وقد ذكر ابن أبي حاتم له قصة عجيبة في كيفية تربيته من حال إلى حال إلى أن ملك البلاد... .
ثم قال ابن كثير: «وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثاً أسنده عن حذيفة مرفوعاً مطولاً - وهو الحديث الذي ساقه
البغوي هنا - وهو حديث موضوع لا محالة، لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث. والمعجب كل المعجب، =

«بختنصر»، وكان الله ملكه سبعمائة سنة، فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس، فحاصرها وفتحها، وقتل على دم يحيى بن زكريا عليه السلام سبعين ألفاً، ثم سبى أهلها [والأنباء] (١)، وسلب حلي بيت المقدس، واستخرج منها سبعين ألفاً ومائة ألف عملة من حلي، قلت: يا رسول الله كان بيت المقدس عظيماً؟ قال: أجل بناه سليمان بن داود من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد، وكان عمده ذهباً، أعطاه الله ذلك، وسحر له الشياطين، يأتونه بهذه الأشياء في طرفة عين، فسار بها بختنصر حتى نزل بابل فأقام بنو إسرائيل في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس وأبناء المجوس، فهم الأنبياء، ثم إن الله رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس يقال له «كورش»، وكان مؤمناً، أن يسير إليهم ليستنقذ بقايا بني إسرائيل، فسار كورش لبني إسرائيل وأخذ حلي بيت المقدس حتى ردها إليه، فأقام بنو إسرائيل بها مطيعين لله تعالى مائة سنة، ثم إنهم عادوا في المعاصي فسلب الله عليهم ملكاً يقال له «أنطيانوس» فغزا بني إسرائيل حتى أتاهم بيت المقدس، فسبى أهلها وأحرق بيت المقدس، وقال لهم: يا بني إسرائيل إن عدتم في المعاصي عدنا عليكم ثانياً [بالسبي] (٢)، فعادوا، فسلب الله عليهم ملك رومية يقال له «فاقس بن أستيانوس»، فغزاهم في البر والبحر فسباهم وسبى حلي بيت المقدس وأحرق بيت المقدس، قال رسول الله ﷺ فهذا من صفة حلي بيت المقدس، ويرده المهدي إلى بيت المقدس، وهو ألف وسبعمائة سفينة يرمي بها على يافا حتى تنقل إلى بيت المقدس، وبها يجمع الله الأولين والآخرين.

= كيف راج عليه مع جلالة قدره وإمامته! وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزني - رحمه الله - بأنه موضوع مكنوب، وكذب ذلك على حاشية الكتاب.

ثم قال مشيراً إلى سائر الروايات الأخرى: «وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية، ولم أر تطويل الكتاب بذكرها؛ لأن منها ما هو موضوع، ومن وضع بعض زنادقتهم، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحاً، ونحن في غنية عنها، والله الحمد. وفيما قصر الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله، ولم يحوجنا الله ولا رسوله إليهم. وقد أخبر الله عنهم: أنهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوهم فاستباح بيضتهم، وسلك خلال بيوتهم، وأذلهم وقهرهم جزاءً وفاقاً، وما ركب بظلام للعبيد، فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقاً من الأنبياء والعلماء.

وقد روى ابن جرير بسنده عن سعيد بن المسيب يقول: ظهر بختنصر على الشام فخرّب بيت المقدس وقتلهم، ثم أتى دمشق فوجد بها دماً يظلي على كبا، فسأهم ما هذا الدم.. فقتل على ذلك الدم سبعين ألفاً من المسلمين وغيرهم فسكن، وهذا صحيح إلى سعيد بن المسيب، وهذا هو المشهور، وأنه قتل أشرافهم وعلماءهم حتى إنه لم يبق من يفظ التوراة، وأخذ معه منهم خلقاً كثيراً أسرى من أبناء الأنبياء وغيرهم. وجرت أمور وكوائن يطول ذكرها، ولو وجدنا ما هو صحيح أو ما يقاربه لجاز كتابته وروايته، والله أعلم.

وانظر أيضاً: الاسرائيليات والموضوعات للشيخ محمد أبو شهبه ص (٣٢٧-٣٣٤).

(١) ساقط من «ب».

(٢) زيادة في «ب».

قال محمد بن إسحاق: كانت بنو إسرائيل فيهم الأحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزاً عنهم محسناً إليهم، وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم كما أخبر على لسان موسى عليه السلام، أن ملكاً منهم كان يدعى «صديقة»^(١) وكان الله تعالى إذا ملَّك الملك عليهم بعث معه نبياً يسدُّه ويرشده، لا ينزل عليهم الكتب، إنما يؤمرون باتباع التوراة والأحكام التي فيها .

فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه «شعيا» بن أصفيا»، وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام، و«شعيا» هو الذي بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام، فقال: أبشري أورشليم، الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير، فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الأحداث وشعيا معه، بعث الله عليهم «سنجاريب»^(٢) ملك بابل، معه ستائة ألف راية، فأقبل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس، والملك مريض، في ساقه قرحة، فجاء النبي شعيا وقال له: يا ملك بني إسرائيل إن سنجاريب ملك بابل قد نزل بك، هو وجنوده بستائة ألف راية، وقد هاجم الناس وفرقوا، فكبر ذلك على الملك، فقال: يانبي الله هل أتاك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنجاريب وجنوده؟ .

فقال: لم يأتي وحى، فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعيا النبي أن ائت ملك بني إسرائيل فمره أن يوصي وصيته ويستخلف - على ملكه من يشاء من أهل بيته - فأتى شعيا ملك بني إسرائيل «صديقة» فقال له: إن ربك قد أوحى إلي أن أمرك أن توصي وصيتك، وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك، فإنك ميت، فلما قال ذلك شعيا لصديقه أقبل على القبلة فصلَّى ودعا وبكى، فقال وهو يبكي وتضرع إلى الله بقلب مخلص: اللهم رب الأرباب، وإله الآلهة، يا قدوس المتقدس يا رحمن، يا رحيم، يا رؤوف، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، اذكرني بعملتي وفعلي وحسن قضائي على بني إسرائيل، وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني، سرِّي وعلايتي لك وأنت الرحمن. فاستجاب له وكان عبداً صالحاً، فأوحى الله تعالى إلى شعيا أن يخبر صديقه أن ربه قد استجاب له ورحمه، وأخر له أجله خمس عشرة سنة، وأنجاه من عدوه سنجاريب، فأتاه شعيا فأخبره بذلك، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجد وانقطع عنه الحزن، وخرّ ساجداً، وقال: يا إلهي وإله آبائي، لك سجدتُ وسبَّحتُ، وكبرتُ، وعظمتُ، أنت الذي تعطي الملك لمن تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء وتذل من تشاء، عالم الغيب والشهادة، أنت الأول والآخر، والظاهر والباطن، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين، وأنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي .

(١) في الأصل بالهاء، وفي الطبري بالتاء المربوطة .

(٢) في تاريخ الطبري «سنجاريب» بالحاء المهملة .

فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيب أن قل للملك صديقه / فيأمر عبداً من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى، يصبح وقد برأ، ففعل وشفي .
وقال الملك لشعيب: سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدونا هذا .
قال الله لشعيب: قل له: إني قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم، وإنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه .

فلما أصبحوا جاء صارخ فصرخ على باب المدينة، يأمرك بني إسرائيل إن الله قد كفاك عدوك، فاخرج فإن سنجاريب ومن معه قد هلكوا، فلما خرج الملك التمس سنجاريب فلم يوجد في الموتى، فبعث الملك في طلبه فأدركه الطلب في مغارة وخمسة نفر من كتابه أحدهم يختصر فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم إلى ملك بني إسرائيل، فلما رآهم خرّ ساجداً من حين طلعت الشمس إلى العصر، ثم قال لسنجاريب: كيف ترى فعل ربنا بكم؟ ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون؟ .
فقال سنجاريب له: قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم ورحمته التي يرحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشداً، ولم يُلقني في الشقوة إلا [ذلة في الدنيا وعذاب في الآخرة]، فلو سمعت أو عقلت ما غزوتكم .

فقال صديقه: الحمد لله رب العالمين الذي كفاناكم بما شاء، وإن ربنا لم يُيقك ومن معك لكرامتك على ربك، ولكنه إنما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذاباً في الآخرة، ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتندروا من بعدكم، ولولا ذلك لقتلكم ولذمكم ولذم من معك أهون على الله من دم قراد، لو قتلت .

ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه فقذف في رقابهم الجوامع فطاف بهم سبعين يوماً حول بيت المقدس وإيليا، وكان يرزقهم كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم، فقال سنجاريب لملك بني إسرائيل: القتل خير مما تفعل بنا. فأمر بهم الملك إلى سجن القتل، فأوحى الله إلى شعيب عليه السلام: أن قل لملك بني إسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم، وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم، فبلغ شعيب الملك ذلك ففعل [الملك صديقه] ما أمر به .

فخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده، فقال له كهانه وسحرته: يأمرك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبهم ووحى الله إلى نبهم فلم تطعنا، وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم، وكان أمر سنجاريب تخويفاً لهم ثم كفاهم الله، تذكرة وعبرة .

ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين، ثم مات واستخلف بختنصر، ابن ابنه، على ما كان عليه جده يعمل عمله، فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بني إسرائيل صديقه، فمرج أمر

بني إسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضاً، ونبههم شعياً معهم ولا يقبلون منه، فلما فعلوا ذلك قال الله لشعياً قم في قومك أوحى على لسانك، فلما قام النبي شعياً أنطق الله لسانه بالوحي، فقال: يا أسماء اسمعي ويا أرض أنصتي فإن الله يريد أن يقص شأن بني إسرائيل الذين رباهم بنعمته، واصطنعهم لنفسه، وخصهم بكرامته، وفضلهم على عباده، وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها، فأوى شاردتها، وجمع ضالّتها، وجبر كسرهما، وداوى مريضها، وأسنن مهزولها، وحفظ سمينها، فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها، فقتل بعضها بعضاً، حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر إليه آخر كسير، فويل لهذه الأمة الخاطئة الذين لا يدرون أني جاءهم الخير أن البعير مما يذكر وطنه فينتابه وأن الحمار مما يذكر الأري الذي شبع عليه فيراجعه، وأن الثور مما يذكر المرج الذي سمن فيه فينتابه، وأن هؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الخير وهم أولوا الأبواب والعقول، ليسوا ببقر ولا حمير وأني ضارب لهم مثلاً فليسمعوه، قل لهم: كيف ترون في أرض كانت خواءً زماناً، خراباً، مواتاً، لا عمران فيها، وكان لها ربٌ حكيم قوي، فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه وهو قوي، أو أن يقال ضيع وهو حكيم، فأحاط عليها جداراً، وشيّد فيها قصوراً، وأنبط نهرأ، وصنف فيها غراساً من الزيتون والرمان والنخيل والأعنان وألوان الثمار كلها، وولى ذلك واستحفظه ذا رأي وهمة حفيظاً قوياً أميناً، فلما أطلعت جاء طلعتها خروباً؟

قالوا بئست الأرض هذه فترى أن يهدم جدارها وقصرها ويدفن نهرها ويقبض قيمها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت أول مرة خراباً مواتاً لا عمران فيها، قال الله: قال لهم: فإن الجدار ديني، وإن القصر شريعتي، وإن النهر كتابي، وإن القيم نبيي، وإن الغراس هم، وإن الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة، وأني قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم، وإنه مثل ضربته لهم، يتقربون إلي بذبح البقر والغنم، وليس ينالني اللحم ولا آكله، ويدعون أن يتقربوا إلي بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التي حرمتها فأيديهم مخصوبة منها وثيابهم متزملة بدمائها، يشيدون لي البيوت مساجد، ويظهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها، ويزوقون إلي المساجد، ويزينونها، ويخربون عقولهم وأحلامهم ويفسدونها فأني حاجة لي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها؟ وأي حاجة لي إلى تزويق المساجد ولست أدخلها؟ إنما أمرت برفعها لأذكر وأسبح فيها .

يقولون: صمنا فلم يرفع صيامنا [وصلينا فلم تنور صلاتنا]^(١) وتصدقنا فلم يُزك صدقتنا، ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئب في كل ذلك لا يستجاب لنا .
قال الله: فاسألهم ما الذي يمنعني أن أستجب لهم؟ ألسنت أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب

(١) ساقط من (ب) .

المجيبين وأرحم الراحمين؟ فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام؟ أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يحاربنني ويحادني وينتهك محارمي؟ أم كيف تزكى عندي صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم؟ إنما أجر عليها أهلها المغضوبين؟ أم كيف أستجيب دعاءهم وإنما هو قول بألستهم، والفعل من ذلك بعيد، إنما أستجيب للداعي اللين، وإنما أسمع قول المستعفف المسكين، وإن من علامة رضاي رضا المساكين .

يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي: إنها أقاويل منقولة، وأحاديث متوارثة، وتأليف مما يؤلف السحرة والكهنة، وزعموا أنهم لو شاؤوا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا، ولو شاؤوا أن يطلعوا / على علم الغيب بما يوحي إليهم الشياطين اطلعوا، وإني قد قضيت يوم خلقت السماء والأرض قضاءً أثبتته وحثمته على نفسي، وجعلت دونه أجلاً مؤجلاً لا بدّ أنه واقع، فإن صدقوا فيما يتحلون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه؟ أو في أي زمان يكون؟ وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤون، فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أمضيت فإني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وإن كانوا يقدرون على أن يقولوا ما يشاؤون فليقولوا مثل الحكمة التي بها أدير أمر ذلك القضاء إن كانوا صادقين، وإني قد قضيت يوم خلقت السماء والأرض أن أجعل النبوة في الأجراء، وأن أجعل الملك في الرعاء، والعز في الأذلاء، والقوة في الضعفاء، والغنى في الفقراء، والعلم في الجهالة، والحكمة في الأمين فسلهم متى هذا ومن القائم به، ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون، فإني باعث لذلك نبياً أميناً ليس بفظ ولا غليظ، ولا صحاب في الأسواق، ولا متزين بالفحش، ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل، وأهب له كل خلق كريم، أجعل السكينة لياسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة معقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته، [والحق شريعته] (١) والهدى [والقرآن] إمامه، والإسلام ملته وأحمد اسمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة، وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة، وأغني به بعد العيلة، وأجمع به بعد الفرقة، وأولف به بين قلوب مختلفة، وأهواء متشتة وأمم متفرقة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، توحيداً لي وإيماناً وإخلاصاً لي يصلون قياماً وقعوداً وركعاً وسجوداً، ويقاثلون في سبيلي صفوفاً وزحوفاً، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضواني أهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والمدحة والتمجيد في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومناقبهم ومشاوهم، يكبرون ويهللون ويقدمون على رؤوس الأشراف ويظهرون لي الوجوه والأطراف يعقدون لي الثياب على الأنصاف، قربانهم دماؤهم، وأناجيلهم في صدورهم، رهبان بالليل ليوث بالنهار، ذلك فضلي أوتيته من أشياء وأنا ذو الفضل العظيم .

(١) ساقط من «ب» .

فلما فرغ شعياء من مقاتله عَدَوْا عليه ليقتلوه فهرب منهم، فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها، فأدركه الشيطان، فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إيَّاهَا، فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها، واستخلف الله على بني إسرائيل بعد ذلك رجلاً منهم يقال له ناشية بن أموص، وبعث لهم أرمياء بن حلقيا نبياً، وكان من سبط هارون بن عمران .

وذكر ابن إسحاق أنه الخَضِرُ واسمه أرمياء، سمي الخَضِرُ لأنه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تهتز خضراء .

فبعث الله أرمياء إلى ذلك الملك ليسدده ويرشده ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم، فأوحى الله إلى أرمياء أن ائت قومك من بني إسرائيل فاقصص عليهم ما أمرك به وذكرهم نعمتي وعرفهم بأحداثهم، فقال أرمياء: يارب إني ضعيف إن لم تقوِّني، عاجز إن لم تبلغني، مخذول إن لم تنصرني، قال الله تعالى: أو لم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتي، وأن القلوب والألسنة بيدي أقلبها كيف شئت، إني معك ولن يصل إليك شيء معي، فقام أرمياء فيهم ولم يدر ما يقول فألمه الله عزَّ وجلَّ في الوقت خطبة بليغة، بيَّن فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية، وقال في آخرها عن الله تعالى: وإني حلفت بعزتي لأقيضنَّ لهم فتنه يتحير فيها الحليم ولأسلطن عليهم جباراً قاسياً ألبسه الهيبة، وأنزح من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم، ثم أوحى الله إلى أرمياء: إني مهلك بني إسرائيل بيافت، ويافت من أهل بابل - على ما ذكرنا في سورة البقرة - فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستائة ألف راية، ودخل بيت المقدس بجنوده ووطىء الشام، وقتل بني إسرائيل حتى أفنأهم، وخرّب بيت المقدس، وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً ثم يقذفه في بيت المقدس، ففعلوا ذلك حتى ملئوه، ثم أمرهم أن يجمعوا مَنْ في بلدان بيت المقدس كلهم، فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني إسرائيل، فاختر منهم سبعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده، وأراد أن يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه: أيها الملك لك غنائمنا كلها، واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل، فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمان، وقرق من بقي من بني إسرائيل ثلاث فرق، فثلثاً أقر بالشام، وثلثاً سبي، وثلثاً قُتل، وذهب بناشئة بيت المقدس وبالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزل الله ببني إسرائيل بظلمهم، فذلك قوله تعالى: «فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد» يعني: بختنصر وأصحابه .

ثم إن يختصر أقام في سلطانه ما شاء الله ثم رأى رؤيا أعجبتة، إذ رأى شيئاً أصابه فأنساه الله الذي رأى، فدعا دانيال وحنانيا وعزازيا وميشائيل، وكانوا من ذراري الأنبياء وسألهم عنها قالوا أخبرنا بها نخبرك بتأويلها، قال: ما أذكرها ولكن لم تخبروني بها وتأويلها لأنزعن أكتافكم، فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا إليه، فأعلمهم بالذي سألهم عنه، فجأوه وقالوا: رأيت تمثالاً قدماه وساقاه من فخر، وركبته وفخذه من نحاس، وبطنه من فضة، وصدرة من ذهب، ورأسه وعنقه من حديد، قال: صدقتم، قالوا: فيينا أنت تنظر إليه وقد أعجبك أرسل الله تعالى صخرة من السماء فدقته فهي التي أنستكها، قال: صدقتم، قال: فما تأويلها؟ قالوا تأويلها أنك رأيت ملك الملوك، فبعضهم كان ألين ملكاً وبعضهم كان أحسن ملكاً وبعضهم كان أشد ملكاً، الفخار أضعفه، ثم فوقه النحاس أشد منه، ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل، والذهب أحسن من الفضة وأفضل، ثم الحديد ملكك فهو أشد وأعز مما كان قبله، والصخرة التي رأيت أرسل الله من السماء فدقته نبي يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع ويصير الأمر إليه .

ثم إن أهل بابل قالوا / ليختصر: رأيت هؤلاء الغلمان من بني إسرائيل الذين كنا سألناك أن تعطيناهم ففعلت، فإننا قد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا، لقد رأينا نساءنا انصرفت عنا وجوههن إليهم فأخرجهم من بين أظهرنا أو اقتلهم، قال شأنكم بهم، فمن أحب منكم أن يقتل من كان في يده فليفعل .

٢٠٦/ب

فلما قربوهم للقتل بكوا إلى الله تعالى وقالوا: يارب أصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعد الله أن يجيبهم، فقتلوا إلا من استبقى يختصر منهم دانيال وحنانيا وعزازيا وميشائيل .

ثم لما أراد الله هلاك يختصر انبعث فقال لمن في يده من بني إسرائيل: رأيتم هذا البيت الذي خربته والناس الذين قتلتم منهم؟ وما هذا البيت؟ قالوا: هذا بيت الله، وهؤلاء أهله، كانوا من ذراري الأنبياء، فظلموا وتعدوا فسُلطت عليهم بذنوبهم، وكان ربهم، رب السموات والأرض ورب الخلق كلهم، يكرمهم ويعزهم، فلما فعلوا ما فعلوا أهلهم الله وسلط عليهم غيرهم، فاستكبر وظن أنه بجبروته فعل ذلك ببني إسرائيل. قال: فأخبروني كيف لي أن أطلع إلى السماء العليا فأقتل من فيها وأتخذها ملكاً لي فإنني قد فرغت من الأرض، قالوا: ما يقدر عليها أحد من الخلاق، قال: لتفعلن أو لأقتلنكم عن آخركم، فبكوا وتضرعوا إلى الله تعالى فبعث الله عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخرة حتى عضت بأم دماغه، فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أم دماغه، فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه ليري الله العباد قدرته، ونجى الله من بقي من بني إسرائيل في يديه، فردوهم إلى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه .

ويزعمون: أن الله تعالى أوحى أولئك الذين قتلوا فاحقوا بهم، ثم إنهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله تعالى وكانت التوراة قد احترقت، وكان عزيز من السببا الذين كانوا ببابل فرجع إلى الشام يبكي عليها ليله ونهاره، وقد خرج من الناس، فهو كذلك إذ أقبل إليه رجل فقال يا عزيز ما يبكيك؟ قال أبكي على كتاب الله وعهده الذي كان بين أظهرنا، الذي لا يُصْلِح دنيانا وآخرتنا غيره، قال: أفتحب أن يرد إليك؟ ارجع فصم وتطهر، وطهر ثيابك، ثم موعدك هذا المكان غداً، فرجع عزيز فصام وتطهر وطهر ثيابه، ثم عمد إلى المكان الذي وعده فجلس فيه، فأتاه ذلك الرجل بإناء فيه ماء، وكان ملكاً بعثه الله إليه فسقاه من ذلك الإناء، فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل فوضع لهم التوراة فأحبوه حتى لم يحبوا حبه شيئاً قط، ثم قبضه الله وجعلت بنو إسرائيل بعد ذلك يحدثون الأحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل، ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى، وكانوا من بيت آل داود، فمات زكريا، وقيل قتل زكريا، فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم، وقتلوا يحيى، بعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خردوش، فسار إليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر رأساً من رؤوس جنوده يدعى بيورزاذان صاحب القتل، فقال: إني قد كنت حلفت بإلهي لئن أنا ظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري، إلا أني لا أجد أحداً أقتله، فأمره أن يقتلهم حتى بلغ ذلك منهم بيورزاذان، ودخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يُقرّبون فيها قربانهم فوجد فيها دمياً يغلي فسأهم، فقال: يا بني إسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي؟ أخبروني خبره، قالوا: هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي، ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان فيقبل منا إلا هذا، فقال: ما صدقتموني، فقالوا: لو كان كأول زماننا لتقبل منا، ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يقبل منا، فذبح منهم بيورزاذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين زوجاً من رؤوسهم، فلم يهدأ، فأمر فأتي بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ، فأمر بسبعة آلاف من شبيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد، فلما رأى بيورزاذان الدم لا يهدأ قال لهم: يا بني إسرائيل ويلكم اصدقوني، واصبروا على أمر ربكم، فقد طال ما ملكتم في الأرض تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافع نار أنثى ولا ذكر إلا قتلته، فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوا الخبر، فقالوا: إن هذا الدم دم نبي كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فلو أنا أطعناه فيها لكان أروشد لنا وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه، فقتلناه فهذا دمه، فقال لهم بيورزاذان: ما كان اسمه؟ قالوا: يحيى بن زكريا، قال الآن صدقتموني، لمثل هذا انتقم ربكم منكم. فلما رأى بيورزاذان أنهم صدقوه حرّ ساجداً وقال لمن حوله: أغلقوا أبواب المدينة، وأخرجوا من كان هاهنا من جيش خردوش، وخلا في بني إسرائيل، ثم قال: يا يحيى بن

زكريا قد علم ربّي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهداً بإذن ربك قبل أن لا أبقى من قومك أحداً، فهدأ الدم بإذن الله، ورفع بيورزاذان عنهم القتل، وقال آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل وأيقنت أنه لا رب غيره، وقال لبني إسرائيل: إن خردوش أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره، وإني لست أستطيع [أن أعصيه]^(١)، قالوا له: افعل ما أمرت به، فأمرهم فحفروا خندقاً، وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر، وأمر بالقتل الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم، فلم يظن خردوش إلا أن ما في الخندق من بني إسرائيل، فلما بلغ الدم عسكره أرسل إلى بيورزاذان أن ارفع عنهم القتل. ثم انصرف إلى بابل، وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد [أن يفنيهم]^(٢)، وهي الواقعة الأخيرة التي أنزل الله ببني إسرائيل، وذلك قوله: ﴿لَتَفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَجِينَ﴾، فكانت الواقعة الأولى بمختصر وجنوده، [والأخرى خردوش وجنوده]، وكانت أعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك راية، وانتقل الملك بالشام ونواحيها إلى الروم اليونانية إلا / أن بقايا من بني إسرائيل كثروا، وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك، وكانوا في نعمة إلى أن بدلوا وأحدثوا الأحداث فسلط الله عليهم ططيوس بن اسبيانوس الرومي، فأحرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة فليسوا في أمة إلا وعليهم الصغار والجزية، وبقي بيت المقدس خراباً إلى أيام عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بأمره .

٢٠٧ / أ

وقال قتادة: بعث الله عليهم جالوت في الأولى فسبى وقتل وخرّب ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ يعني في زمان داود، فإذا جاء وعد الآخرة بعث الله عليهم بمختصر فسبى وخرّب، ثم قال: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ فعاد الله عليهم بالرحمة ثم عاد القوم بشرّاً ما بحضرتهم، فبعث الله عليهم ما شاء من نعمته وعقوبته، ثم بعث الله عليهم العرب كما قال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾، فهم في العذاب إلى يوم القيامة .

وذكر السدي بإسناده: أن رجلاً من بني إسرائيل رأى في النوم أن خراب بيت المقدس على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل، يدعى بمختصر، وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم، فأقبل ليسأل عنه حتى نزل على أمه وهو محتطب، فجاء وعلى رأسه حزمة حطب، فألقاها ثم قعد، فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم، فقال: اشتر بهذا طعاماً وشراباً، فاشترى بدرهم لحماً، وبدرهم خبزاً، وبدرهم خمرًا، فأكلوا وشربوا. وفعل في اليوم الثاني كذلك وفي اليوم الثالث كذلك، ثم قال: إني أحب

(١) ساقط من «ب» .

(٢) ساقط من «ب» .

أن تكتب لي أماناً إن أنت ملكت يوماً من الدهر، [فقال: تسخر مني؟ فقال: إني لا أسخر منك، ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي بدأ، فكتب له أماناً، وقال: أرأيت⁽¹⁾] إن جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك، قال: ترفع صحيفتك على قصبة فأعرفك، فكتب له وأعطاه، ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ويُدني مجلسه وأنه هوي ابنة امرأته، وقال ابن عباس: ابنة أخته، فسأل يحيى بن زكريا عن تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى بن زكريا، وعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثياباً رفاقاً حمراً، وطبختها وألبستها الحلبي، وأرسلتها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه، فإن أرادها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته، فإذا أعطاها سألت رأس يحيى بن زكريا أن يؤتى به في طست، ففعلت، فلما أرادها قالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك، قال: ما تسأليني؟ قالت: رأس يحيى بن زكريا في هذا الطست، فقال: ويحك سليني غير هذا، فقالت: ما أريد إلا هذا، فلما أبت عليه بعث فأتي برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم، ويقول: لا تحمل لك، فلما أصبح إذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقى عليه فرق الدم يعني صعد الدم يغلي، ويلقي عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يغلي، فبعث صحابين ملك بابل جيشاً إليهم وأمر عليهم بختنصر، فسار بختنصر وأصحابه حتى بلغوا ذلك المكان تحصنوا منه في مدائنهم، فلما اشتد عليهم المقام أراد الرجوع فخرجت إليه عجوز من عجائز بني إسرائيل، فقالت: تريد أن ترجع قبل فتح المدينة؟ قال: نعم، قد طال مقامي وجاع أصحابي، قالت: أرأيت إن فتحت لك المدينة تعطيني ما أسألك فتقتل من أمرتك بقتله وتكف إذا أمرتك أن تكف؟ قال: نعم، قالت: إذا أصبحت تقسم جندك أربعة أرباع، ثم أقم على كل زاوية ربعاً، ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء فنادوا: إنا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا، فإنها سوف تتساقط، ففعلوا فتساقطت المدينة ودخلوا من جوانبها، فقالت: كف يدك وانطلقت به إلى دم يحيى بن زكريا وقالت: اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفاً حتى سكن، فلما سكن قالت: كف يدك، فإن الله لم يرض إذا قتل نبي حتى يقتل من قتله ومن رضي بقتله، وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته، فخرّب بيت المقدس وطرح فيه الجيف، وأعانه على خرابه الروم من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا، وذهب معه بوجوه بني إسرائيل وذهب بدانيال وقوم من أولاد الأنبياء وذهب معه برأس جالوت، فلما قدم بابل وجد صحابين قد مات فملك مكانه، وكان أكرم الناس عنده دانيال وأصحابه، فحسداهم الجوس ووشوا بهم إليه وقالوا: إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك ولا يأكلون ذبيحتك، فسألهم فقالوا: أجل إن لنا رباً نعبد، ولسنا نأكل من

(1) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

ذبيحتكم، فأمر الملك بخدِّه فخذ لهم فألقوا فيه وهم ستة، وألقى معهم بسبع ضارٍ لياكلهم، فذهبوا ثم راحوا فوجدوهم جلوساً والسبع مفترش ذراعيه معهم لم يخذش منهم أحداً، ووجدوا معهم رجلاً سابعاً، فقال: ما هذا السابع إنما كانوا ستة فخرج السابع وكان ملكاً فلطمه لطمه فصار في الوحوش، ومسخه الله سبع سنين .

وذكر وهب: أن الله مسخ بختنصر نسرأ في الطير ثم مسخه ثوراً في الدواب، ثم مسخه أسداً في الوحوش، فكان مسخه سبع سنين، وقلبه في ذلك قلب إنسان، ثم ردَّ الله إليه ملكه فأمن، فسئل وهب أكان مؤمناً؟ فقال: وجدت أهل الكتاب اختلفوا فيه فمنهم من قال مات مؤمناً ومنهم من قال أحرقت بيت المقدس وكتبه وقتل الأنبياء، فغضب الله عليه فلم يقبل توبته .

وقال السدي: ثم إن بختنصر لما رجع إلى صورته بعد المسخ وردَّ الله إليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسداهم الجوس، وقالوا لبختنصر: إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عاراً فجعل لهم طعاماً وشراباً فأكلوا وشربوا، وقال للبواب: انظر أول من يخرج ليبول فاضربه بالطبرزين، فإن قال أنا بختنصر، فقل: كذبت، بختنصر أمرني، فكان أول من قام للبول بختنصر فلما رآه البواب شدَّ عليه، فقال: ويحك أنا بختنصر، فقال: كذبت، بختنصر أمرني، فضربه فقتله، هذا ما ذكره في المبتدأ، إلا أن رواية من روى أن بختنصر غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا غلط عند أهل السير، بل هم مجتمعون على أن بختنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم شعيا في عهد أرمياء، ومن وقت أرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا أربع مائة وإحدى وستون سنة، وذلك أنهم كانوا يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس إلى حين عمارته في عهد كيرش بن أخشورش بن أصيهيد بيايل من قبيل يهمن بن اسفنديار [سبعين سنة، ثم من بعد عمارته إلى ظهور الاسكندر على بيت المقدس ثمان وثمانون سنة، ثم من بعد مملكته^(١)] إلى مولد يحيى بن زكريا ثلاثمائة وستون سنة .

٢٠٧/ب

والصحيح من ذلك ما ذكر محمد بن إسحاق .

قوله عز وجل: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ أي: أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتب أنهم سيفسدون .

والقضاء على وجوه: يكون أمراً، كقوله: ﴿وقضى ربك﴾ (الإسراء - ٢٣) .

ويكون حكماً، كقوله: ﴿إن ربك يقضي بينهم﴾ (يونس - ٩٣، والنحل - ٧٨) .

ويكون خلقاً كقوله: ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ (فصلت - ٢) .

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِهِمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ
الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَهُمْ
أَحْسَنُمْ لَأَنفُسِكُمْ وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَعْوَأُوا جُوهَكُمْ
وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتِيرًا ﴿٧﴾

وقال ابن عباس وقتادة: يعني وقضينا عليهم، و«إلى» بمعنى «على»، والمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ .

﴿تَفْسُدُنَّ﴾، لام القسم، مجازة: والله لتفسدن، ﴿في الأرض مرتين﴾، بالمعاصي، والمراد بالأرض: أرض الشام وبيت المقدس، ﴿وَتَعْلُنَّ﴾، ولتستكبرن، ولتظلمن الناس، ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ .
﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِهِمَا﴾، يعني: أولى المرتين .

قال قتادة: إفسادهم في المرة الأولى ما خالفوا من أحكام التوراة، وركبوا المحارم .
وقال ابن إسحاق: إفسادهم في المرة الأولى قتل شعيا بين الشجرة وارتكابهم المعاصي .
﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾، قال قتادة: يعني جالوت الخزري وجنوده، وهو الذي قتله داود .
وقال سعيد بن جبير: يعني سنجاريب من أهل نينوي .
وقال ابن إسحاق: يختصر البابلي وأصحابه . وهو الأظهر .

﴿أُولَىٰ بَأْسٍ﴾، ذوي بطش، ﴿شَدِيدٍ﴾، في الحرب، ﴿فَجَاسُوا﴾، أي: فطافوا وداروا،
﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾، وسطها يطلبونكم ويقتلونكم، والجوس طلب الشيء بالاستقصاء . قال الفراء:
جاسوا قتلوكم بين بيوتكم .

﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾، قضاء كائناً لا خلف فيه .

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ﴾، يعني: الرجعة والدولة، ﴿عَلَيْهِمْ وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ
أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾، عدداً، أي: من ينفر معهم وعاد البلد أحسن مما كان .

﴿إِن أَحْسَنَهُمْ أَحْسَنُمْ لَأَنفُسِكُمْ﴾، أي: لها ثوابها، ﴿وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾، أي: فعليها، كقوله
تعالى: ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ﴾ (الواقعة - ٩١) أي: عليك . وقيل: فلها الجزاء والعقاب .

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عَلَيْنَا جِئْنَاكُمْ لِّلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾
 إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
 يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ
 عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾

﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أي: المرة الآخرة من إفسادكم، وذلك قصدهم قتل عيسى عليه السلام حين رفع، وقتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام، فسلط الله عليهم الفرس والروم، خردوش وطيطوس حتى قتلوهم وسبوهم ونفوههم عن ديارهم، فذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا وَجوهَكُمْ﴾، أي: تمزن وجوهكم، وسوء الوجه بإدخال الغم والحزن.

قرأ الكسائي [ويعقوب] (١). ﴿لنساء﴾ بالنون وفتح الهمزة على التعظيم، كقوله: ﴿وقضينا﴾ و﴿بعثنا﴾ وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر بالياء [وفتح] (٢) الهمزة [على التوحيد] (٣)، أي: ليسوء الله وجوهكم، وقيل: ليسوء الوعد وجوهكم.

وقرأ الباقون بالياء وضم الهمزة على الجمع، أي ليسوء العباد أولو البأس الشديد وجوهكم. ﴿وليدخلوا المسجد﴾، يعني: بيت المقدس ونواحيه، ﴿كما دخلوه أول مرة وليتبرأ﴾، وليهلكوا، ﴿ما غلوا﴾ أي: ما غلبوا عليه من بلادكم ﴿تتبرأ﴾.

﴿عسى ربكم﴾، يابني إسرائيل، ﴿أن يرحمكم﴾، بعد انتقامه منكم، فبرّد الدولة إليكم، ﴿وإن عدتم عدنا﴾، أي: إن عدتم إلى المعصية عدنا إلى العقوبة. قال قتادة: فعادوا فبعث الله عليهم محمداً ﷺ فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون.

﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾، سجنًا ومحبسًا من الحصر وهو الحبس.

قال الحسن: حصيراً أي: فراشاً. وذهب إلى الحصر الذي ييسط ويفرش.

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾، أي: إلى الطريقة التي هي أصوب. وقيل: الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا إله إلا الله، ﴿ويبشّر﴾، يعني: القرآن، ﴿المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم﴾، بأن لهم، ﴿أجراً كبيراً﴾، وهو الجنة.

﴿وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾، وهو النار.

(١) ساقط من «أ». .

(٢) في «أ» وضم....

(٣) ساقط من «أ» .

وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١٨﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَن فَمَحُونًا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا
مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَانُهُ
تَفْصِيلًا ﴿١٩﴾

وقوله تعالى : ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ﴾، حذف الواو لفظاً لاستقبال اللام الساكنة كقوله: «سندع الزبانية» (العلق - ١٨)، وحذف في الخط أيضاً وهي غير محذوفة في المعنى. ومعناه: ويدعو الإنسان على ماله وولده ونفسه، ﴿بِالشَّرِّ﴾، فيقول عند الغضب: اللهم العنه وأهلكه ونحوهما، ﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾، أي: كدعائه ربه [بالخير] (١) أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك، ولكن الله لا يستجيب بفضله ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه. قال جماعة من أهل التفسير، وقال ابن عباس: ضَجْرًا، لا صبر له على السراء والضراء. قوله عز وجل : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ﴾، أي: علامتين دالَّتَيْنِ على وجودنا ووحدانيتنا وقدرتنا، ﴿فَمَحُونًا آيَةَ اللَّيْلِ﴾، قال ابن عباس: جعل الله نور الشمس سبعين جزءاً، ونور القمر كذلك، فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءاً فجعلها مع نور الشمس (٢). وحكى أن الله تعالى أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور.

وسأل ابن الكوَّاء علياً عن السواد الذي في القمر؟ قال: هو أثر المحو (٣).
﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾، منيرة مضيئة، يعني يبصر بها. قال الكسائي: تقول العرب أبصر النهار إذا أضاء بحيث يبصر بها، ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾، أي: لو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار، ولم يَدْرِ الصائم متى يفطر، ولم يَدْرِ وقت الحج ولا وقت حلول الآجال ولا وقت السكون والراحة. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَانُهُ تَفْصِيلًا﴾.

(١) ساقط من الآية.

(٢) عزاه السيوطي لعبد بن حميد، وابن المنذر.

انظر: الدر المنثور: ٢٤٨/٥.

(٣) قال ابن كثير: (٢٨/٣): رواه ابن جرير من طرق متعددة جيدة.

وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا
 ﴿١٣﴾ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَن أَهْتَدَىٰ فَأَتَمَّا يَهْتَدَىٰ
 لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَأَتَمَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَلَا نَزْرُورَ وَإِزْرَارٌ ۖ وَزُرَّ أُخْرَىٰ ۖ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ
 نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾

قوله عز وجل : ﴿وكل إنسان أئزمناه طائره في عنقه﴾، قال ابن عباس: عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان .

وقال الكلبي ومقاتل: خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسبه به .
 وقال الحسن: يمنه وشؤمه .

وعن مجاهد: ما من مولود إلا في عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد .

وقال أهل المعاني : أراد بالطائر ما قضى الله عليه أنه عامله وما هو صائر إليه من سعادة أو شقاوة سمي / «طائراً» على عادة العرب فيما كانت تتفاعل وتشاءم به من سوانخ الطير وبوارحها .
 وقال أبو عبيدة والقتبي : أراد بالطائر حظه من الخير والشر، من قولهم: طار سهم فلان بكذا، وخص العنق من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق وغيرهما مما يزين أو يشين، فجرى على كلام العرب بتشبيه الأشياء اللازمة إلى الأعناق .

﴿ونؤخرج له﴾، يقول الله تعالى: ونحن نخرج له، ﴿يوم القيامة كتاباً﴾، وقرأ الحسن ومجاهد ويعقوب: ﴿ويؤخرج له﴾ بفتح الياء وضم الراء، معناه: ويخرج له الطائر يوم القيامة كتاباً .
 وقرأ أبو جعفر ﴿ويؤخرج﴾ بالياء وضمها وفتح الراء .

﴿يلقاه﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر ﴿يلقاه﴾ بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف، يعني: يلقي الإنسان ذلك الكتاب، أي: يؤتاه. وقرأ الباقون بفتح الياء خفيفة أي يراه ﴿منشوراً﴾، وفي الآثار: إن الله تعالى يأمر الملك بطي الصحيفة إذا تم عمر العبد فلا تنشر إلى يوم القيامة .

﴿اقرأ كتابك﴾، أي: يقال له: اقرأ كتابك، قوله تعالى: ﴿كفى بنفسك عليك حسيباً﴾، محاسباً. قال الحسن: لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك. قال قتادة: سيقراً يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا .

﴿من اهتدى فأتما يهتدي لنفسه﴾، لها ثوابه، ﴿ومن ضل فأتما يضل عليها﴾، لأن عليها عقابه .
 ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾، أي: لا تحمل حاملة حمل أخرى من الآثام، أي: لا يؤخذ أحد بذنب أحد. ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾، إقامة للحجة وقطعاً للعذر، وفيه دليل على أن ما وجب وجب بالسمع لا بالعقل .

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا
تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾، قرأ مجاهد: ﴿أمرنا﴾ بالتشديد أي: سلطنا شرارها فعصوا، وقرأ الحسن وقتادة ويعقوب ﴿أمرنا﴾ بالمد، أي: أكثرنا .

وقرأ الباقون مقصوراً مخفياً، أي: أمرناهم بالطاعة فعصوا، ويحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء، ويحتمل أن تكون بمعنى أكثرنا، يقال: أمرهم الله أي كثّرهم الله. وفي الحديث: «خير المال مهرة مأمورة»^(١) أي كثيرة النسل^(٢). ويقال: منه أمر القوم يأمرون أمراً إذا كثروا، وليس من الأمر بمعنى الفعل، فإن الله لا يأمر بالفحشاء .

واختار أبو عبيدة قراءة العامة وقال: لأن المعاني الثلاثة تجتمع فيها يعني الأمر والإمارة والكثرة .

﴿مُتْرَفِيهَا﴾ منعيتها وأغنياءها ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾، وجب عليها العذاب، ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾، أي: خربناها وأهلكنا من فيها .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يحيى بن بكر، حدثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة حدثته عن أم حبيبة بنت أبي سفيان، عن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ دخل عليها فرعاً وهو يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرّ قد اقترب، ففتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها» قالت زينب فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث»^(٣) .

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات: ٥٦/٧ (طبعة التحرير بمصر)، والإمام أحمد في المسند: ٤٦٨/٣، والبيهقي في السنن: ٦٤/١٠، والمصنف في شرح السنة: ٣٨٧/١٠ .

قال ابن حجر في الكافي الشاف ص (٩٨): «رواه عبد بن حميد، وإسحاق، وابن أبي شيبه، والحرث، والطبراني، وأبو عبيد، من رواية مسلم بن بديل عن إياس بن زهير، عن سويد بن هبيرة عن النبي ﷺ» .
وقال الميمني: (٢٥٨/٥): «رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد ثقات» .

(٢) قاله أبو عبيد القاسم بن سلام - رحمه الله - في كتابه «الغريب» .

انظر: ابن كثير ٣/٣، البيهقي: ٦٤/١٠ .

(٣) أخرجه البخاري في الفتن، باب يأجوج ومأجوج: ١٠٦/١٣، ومسلم في الفتن وأشراف الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج برقم (٢٨٨٠): ٢٢٠٧/٤، والمصنف في شرح السنة: ٣٩٧/١٤ .

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾
 مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ
 يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ
 فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدِّهُتُوْلَاءَ ۗ وَهَتُوْلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ
 وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾

قوله : ﴿وكم أهلكتنا من القرون﴾ أي: المكذبة، ﴿من بعد نوح﴾، يُخَوِّفُ كِفَارِ مَكَّةَ،
 ﴿وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾، قال عبدالله بن أبي أوفى: القُرْنُ مائة وعشرون سنة،
 فبعث رسول الله ﷺ في أول قرن، وكان في آخره يزيد بن معاوية .

وقيل: مائة سنة. وروى عن محمد بن القاسم عن عبدالله بن بسر المازني أن رسول الله ﷺ
 وضع يده على رأسه وقال: «سيعيش هذا الغلام قرناً»^(١) قال محمد بن القاسم فما زلنا نعدُّ له حتى
 تم له مائة سنة، ثم مات .

قال الكلبي: ثمانون سنة. وقيل: أربعون سنة .

﴿من كان يريد العاجلة﴾، يعني الدنيا، أي: الدار العاجلة، ﴿عجلنا له فيها ما نشاء﴾، من
 البسط والتقتير، ﴿لمن نريد﴾، أن نفعل به ذلك أو إهلاكه، ﴿ثم جعلنا له﴾ في الآخرة، ﴿جهنم
 يصلها﴾، يدخل نارها، ﴿مذموماً مدحوراً﴾، مطروداً مبعداً .

﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾، عمل عملها، ﴿وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم
 مشكوراً﴾، مقبولاً .

﴿كلاً نمدُّ هؤلاء وهؤلاء﴾، أي: نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة، ﴿من
 عطاء ربك﴾، أي: يرزقهما جميعاً ثم يختلف بهما الحال في المال، ﴿وما كان عطاء ربك﴾، رزق
 ربك، ﴿محظوراً﴾، ممنوعاً عن عباده، فالمراد من العطاء: العطاء في الدنيا وإلا فلا حظ للكفار في
 الآخرة .

(١) أخرجه ابن جرير: ٥٨/١٥، وذكره البخاري في التاريخ الصغير ص (٣٩) وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة كما في التهذيب:

أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾
لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا
إِلَّا آيَاتِهِ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا
تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾

﴿انظر﴾، يا محمد، ﴿كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾، في الرزق والعمل [الصالح] ^(١) يعني: طالب العاجلة وطالب الآخرة، ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾.
﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾، الخطاب مع النبي ﷺ والمراد غيره.
وقيل: معناه لا تجعل أيها الإنسان [مع الله إلهاً آخر] ^(٢)، ﴿فتقعد مذموماً مخذولاً﴾، مذموماً من غير حمد، مخذولاً من غير نصر.

قوله عز وجل: ﴿وقضى ربك﴾، وأمر ربك، قاله ابن عباس وقتادة والحسن.
قال الربيع بن أنس: وأوجب ربك.
قال مجاهد: وأوصى ربك.

وحكي عن الضحاک بن مزاحم أنه قرأها ووصى ربك. وقال: إنهم ألقوا الواو بالصاد فصارت قافاً ^(٣).

﴿ألا تعبدوا إلا آياته وبالوالدين إحساناً﴾، أي: وأمر بالوالدين إحساناً برأيهما وعطفاً عليهما.
﴿إما يبلغن عندك الكبر﴾، قرأ حمزة والكسائي بالألف على التثنية فعلى هذا قوله: ﴿أحدهما أو كلاهما﴾، كلام مستأنف، كقوله تعالى: ﴿ثم عموا وصموا كثيراً منهم﴾ (المائدة - ٧١) وقوله: ﴿أسروا النجوى الذين ظلموا﴾ (الأنبياء - ٣)، وقوله: ﴿الذين ظلموا﴾ ابتداءً وقرأ الباقون ﴿يلغن﴾ على التوحيد.

(١) ساقط من «أ».

(٢) ساقط من «أ».

(٣) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢٢/٥): وهذا خلاف ما انعقد عليه الإجماع، فلا يلتفت إليه، والخبر رواه أحمد بن منيع عن ابن عباس بسند ضعيف لضعف فرات بن السائب، ورواه الطبري في التفسير: (٦٣/١٥) عن الضحاک، وفي سنده: أبو إسحاق الكوفي، وهو عبدالله بن ميسرة الحارثي؛ ضعفه ابن معين، وأحمد بن حنبل، والنسائي والدارقطني... وهشم الراوي عن أبي إسحاق هذا - وإن كان ثقة - موصوف بالتدليس وقد عنعن في هذا الخبر.

انظر: المطالب العالية ٣/٣٤٨، زاد المسير، الموضع السابق، تعليق (١).

وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي
صَغِيرًا ﴿٢٤﴾

﴿فلا تقل لهما أف﴾، فيه ثلاث لغات، قرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: بفتح الفاء، وقرأ أبو جعفر، ونافع، وحفص بالكسر والتنوين والباقون بكسر الفاء غير منون، ومعناها واحد وهي كلمة كراهية .

قال أبو عبيدة: أصل التف والأف الوسخ على الأصابع إذا فتلتها .

وقيل: «الأف»: ما يكون في المغاين من الوسخ، و«التف»: ما يكون في الأصابع .

وقيل: «الأف»: وسخ الأذن و«التف» وسخ الأظفار .

وقيل: «الأف»: وسخ الظفر، و«التف»: ما رفعته بيدك من الأرض من شيء حقير .

﴿ولا تنهرهما﴾، ولا تزجرهما .

﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾، حسناً جميلاً لئناً، قال ابن المسيب: كقول العبد المذنب للسيد الفظ .

وقال مجاهد: لا تسميها، ولا تكنيها، وقل: يا أبتاه، [يا أماه] ^(١) .

وقال مجاهد في هذه الآية أيضاً: إذا بلغا عندك من الكبر ما يبولان فلا تتقدرهما، ولا تقل

لهما أف حين تيمط عنهما الخلاء والبول كما كانا يميطنانه عنك صغيراً .

﴿وأخفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾، أي: أزلْ جانبك لهما واخضع. قال عروة / بن الزبير: لئن

لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحبَّاه ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾، من الشفقة، ﴿وقلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي

صَغِيرًا﴾، أراد: إذا كانا مسلمين .

قال ابن عباس: هذا منسوخ بقوله: «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين»

(التوبة - ١٣) .

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد

ابن أحمد بن عبد الجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن

يزيد عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن - يعني السلمي - عن أبي الدرداء قال: قال رسول

الله ﷺ: «الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ إن شئت أو ضيِّع» ^(٢) .

(١) ساقط من «ب» .

(٢) أخرجه الترمذي في البر والصلة، باب الفضل في رضا الوالدين: ٢٤/٦-٢٥، وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجه في الأدب، باب بر الوالدين: ١٢٠٨/٢، وصححه ابن حبان، برقم (٢٠٢٣) ص (٤٩٦) من موارد الظمان، والحاكم في المستدرک: ١٩٧/٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٤٠/٨)، والطحاوي =

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي الزرادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن إدريس الجرجاني، أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين الماليني، أخبرنا حسن بن سفيان، حدثنا يحيى بن حبيب بن عدي، حدثنا خالد بن الحارث، عن شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن أبيه عن عبدالله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «رضا الله في رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد»^(١).

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحى، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الصفار، حدثنا أبو جعفر محمد بن غالب بن تتمام الضبي، حدثنا عبدالله بن مسلمة، حدثنا عبدالعزيز بن مسلم عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة مئان، ولا عاق، ولا مُدْمِنٌ خمر»^(٢).

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو محمد عبدالله بن يوسف بن محمد ابن باموية الأصفهاني، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن زياد البصري، أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا ربيع بن عُلَيَّة، عن عبدالرحمن بن إسحاق، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عَنْده فَلََمْ يَصِلْ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَتَى عَلَيْهِ شَهْرُ رَمَضَانَ فَلَمْ يُفْقِرْ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ أَبْوَاهُ الْكَبِيرَ فَلَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ»^(٣).

- = في مشكل الآثار: (١٥٨/٢)، والإمام أحمد في المسند: ١٩٦/٥، ٤٤٥/٦، ٤٤٨، والمصنف في شرح السنة: ١٠/١٣. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٩١٤): ٦١٨-٦١٩.
- (١) أخرجه الترمذي في البر، باب الفضل في رضا الوالدين: ٢٥/٦ مرفوعاً وموقوفاً وقال: وهذا - الموقوف - أصح. وأخرجه ابن حبان برقم (٢٠٢٦) ص (٤٩٦) من موارد الظمان، وصححه الحاكم: ١٥٢/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٢/١٣. وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٥١٦): ٢٩/٢-٣١، ومجمع الزوائد: ١٣٦/٨، الكافي الشاف ص (٩٨)، كشف الخفاء: ٥٢٠/١.
- (٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤٤، ٢٨/٣ عن أبي سعيد الخدري، والمصنف في شرح السنة: ١٧/١٣، وفيه: يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف، وللحديث شواهد كثيرة عن عبدالله بن عمرو وأبي هريرة وأنس. انظر: سنن النسائي، كتاب الأشربة، باب الرواية في المدمنين في الخمر: ٣١٨/٨، وسنن الدارمي في الأشربة، باب مدمن الخمر: ١١٢/٢، وابن حبان ص (٤٩٨) من موارد الظمان، والمصنف لابن أبي شيبة: ٥٤٤/٨، والمسند للإمام أحمد: ٢٢٦/٣، ومشكل الآثار للطحاوي ٣٩٥/١، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٢٨٥/٢-٢٩١، وانظر: الدر المنثور: ٢٦٦/٥.
- (٣) أخرجه الترمذي في الدعوات، باب قول النبي ﷺ: رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ: ٥٣٠/٩-٥٣١، وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه». والمصنف في شرح السنة: ١٩٨/٣. وأخرج الحاكم القطعة الأولى منه، في المستدرک: ٥٤٩/١، وأخرج مسلم الثانية منه في البر والصلة، برقم (٢٥٥١): ١٩٧٨/٤، وله شاهد عن كعب بن عجرة، أخرجه الحاكم في المستدرک: ١٥٣/٤ وقال: «صحيح الإسناد» وواقفه الذهبي.
- وانظر: ارواء الغليل: ٣٦/١، مشكاة المصابيح: ٢٩٢/١، الترغيب والترهيب: ٥٠٦/٢ - ٥٠٨، الكافي الشاف ص (١٣٧)، فتح الباري: ١٦٨/١١، جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، لابن القيم ص (٣٤-٣٥).

رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾

﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾، من برّ الوالدين وعقوقهما، ﴿إن تكونوا صالحين﴾، أبراراً مطيعين بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغير ذلك، ﴿فإنه كان للأوابين﴾، بعد المعصية ﴿غفوراً﴾ .

قال سعيد بن جبیر في هذه الآية: هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير فإنه لا يؤاخذ به .

قال سعيد بن المسيب: «الأواب»: الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب .

قال سعيد بن جبیر: الرجّاع إلى الخير .

وعن ابن عباس قال: هو الرجّاع إلى الله فيما يحزبه وينوبه .

وعن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: هُمُ المسبّحون، دليله قوله: «يا جبال أوبي معه» (سبأ - ١٠) . قال قتادة: هم المصلون .

قال عوف^(١) العقيلي: هم الذين يصلون صلاة الضحى .

أخبرنا أبو الحسن طاهر بن الحسين الرّوقي^(٢) الطوسي، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب، أخبرنا أبو النضر محمد بن محمد بن يوسف، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع عن هشام صاحب الدستوائي، عن قتادة، عن القاسم بن عوف، عن زيد بن أرقم قال: خرج رسول الله ﷺ على أهل قباء وهم يصلون صلاة الضحى، فقال: «صلاة الأوابين. إذا رمضت الفصال من الضحى»^(٣) .

وقال محمد بن المنكدر: «الأواب»: الذي يصلي بين المغرب والعشاء .

وروي عن ابن عباس أنه قال: إن الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء، وهي صلاة الأوابين^(٤) .

(١) في (ب): عون .

(٢) في (ب): الدورقي. والصواب ما أثبتناه .

(٣) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب صلاة الأوابين حين ترمض الفصال، برقم (٧٤٨): ٥١٦/١، والمصنف في شرح السنة: ١٤٥/٤، وابن أبي شيبة في المصنف: ٢٦٤/٢ .

(٤) راجع هذه الأقوال وغيرها في الطبري: ٧١-٦٨/١٥، زاد المسير: ٢٦/٥-٢٧. ورجح الطبري قول من قال: «الأواب»: هو التائب من الذنب، الراجع من معصية الله إلى طاعته، وما يكرهه إلى ما يرضاه؛ لأن الأواب إنما هو «فعل» من قول القائل: آب فلان من كذا، إما من سفره إلى منزله، أو من حاله إلى حال، كما قال عبيد بن الأبرص:

وكـلُّ ذِي غَيِّبَةٍ يُؤُوبٌ وَغَيِّبُ المَوْتِ لا يـؤُوبُ

فهو يؤوب أوباً، وهو رجل آتب من سفره، وآواب من ذنوبه .

وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ
كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تَعْرِضُ عَنْهُمْ أْبْتِغَاءَ
رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾

قوله تعالى : ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾، يعني صلة الرحم، وأراد به: قرابة الإنسان، وعليه
الأكثر.

عن علي بن الحسين: أراد به قرابة الرسول ﷺ (١).

﴿والمسكين وابن السبيل، ولا تبذّر تبذيراً﴾، أي: لا تنفق مالك في المعصية.

وقال مجاهد: لو أنفق الإنسان ماله كله في الحق ما كان تبذيراً، ولو أنفق مئداً في باطل كان
تبذيراً.

وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال: إنفاق المال في غير حقه.

قال شعبة: كنت أمشي مع أبي إسحاق في طريق الكوفة، فأتى على باب دار بني بخصّ وآجر،

فقال: هذا التبذير.

وفي قول عبدالله: إنفاق المال من غير حقه (٢).

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾، أي: أولياءهم، والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم
هو أخوهم. ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾، جحوداً لنعمه.

﴿وَإِمَّا تَعْرِضُ عَنْهُمْ﴾، نزلت في مهجع، وبلال، وصهيب، وسالم، وخبّاب، كانوا يسألون

النبي ﷺ في الأحيان ما يحتاجون إليه، ولا يجد، فيعرض عنهم حياة منهم ويمسك عن القول،

فنزل ﴿وَإِمَّا تَعْرِضُ عَنْهُمْ﴾ (٣)، وإن تعرض عن هؤلاء الذين أمرت أن تؤتيتهم، ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن

رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾، انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك، ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ لئناً، وهي العدة،

أي: عذمهم وعداً جميلاً. وقيل: القول الميسور أن تقول: يرزقنا الله وإياك.

(١) وأولى التأويلين بالصواب تأويل من تأوّل ذلك أنها بمعنى وصية الله عباده بصلة قرابات أنفسهم وأرحامهم من قبل آباءهم
وأمهاتهم، وذلك أن الله عزّ وجلّ عقّب ذلك عقيباً حقه عباده على برّ الآباء والأمهات، فالواجب أن يكون ذلك حصناً
على صلة أنسابهم دون أنساب غيرهم التي لم يجر لها ذكر.

انظر: تفسير الطبري: ٧٢/١٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٤-٧٢/١٥، الدر المنثور: ٢٧٤-٢٧٥، زاد المسير: ٢٨-٢٧/٥.

(٣) زاد المسير: ٢٩/٥، البحر المحيط: ٣٠/٦، وفي نزولها أقوال أخرى في المصدرين نفسيهما.

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا
 مَّحْسُورًا ﴿٤٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا
 بَصِيرًا ﴿٥٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ مَّن نَّزَرْتُمْ لَهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ
 خِطَاءً كَبِيرًا ﴿٥١﴾

﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾، قال جابر: أتى صبي فقال: يا رسول الله إن أمي تستكسيك ذرعاً، ولم يكن لرسول الله ﷺ إلا قميصه، فقال للصبي: من ساعة إلى ساعة يظهر، فعُد وقتاً آخر، فعاد إلى أمه فقالت: قل له: إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك، فدخل رسول الله ﷺ داره فنزع قميصه فأعطاه إياه، وقعد عرياناً، فأذن بلال بالصلاة، فانتظروه فلم يخرج، فشغل قلوب أصحابه، فدخل عليه بعضهم فرآه عرياناً، فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾^(١) يعني: ولا تمسك يدك عن النفقة في الحق كالمغلولة يده لا يقدر على مداها.

﴿ولا تبسطها﴾، بالعطاء، ﴿كُلَّ الْبَسْطِ﴾، فتعطي جميع ما عندك، ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾، يلومك [سائلوك]^(٢) بالإسك إذا لم تعطهم. و«الملوم»: الذي أتى بما يلوم نفسه، أو يلومه غيره، ﴿محسوراً﴾ منقطعاً بك، لا شيء عندك تنفقه. يقال: حسرتة بالمسألة إذا ألحفت عليه، ودأبة حسيرة إذا كانت كالة رازحة.

قال قتادة: «محسوراً» نادماً على ما فرط منك.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ﴾، يوسع ﴿الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، أي: يقتر ويضيق، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾.

قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾، فقر، ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يمدون بناتهم خشية الفاقة فنها عنه، وأخبروا أن رزقهم ورزق أولادهم على الله تعالى، ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر ﴿خطئاً﴾ بفتح الخاء والطاء مقصوراً. وقرأ ابن كثير بكسر الخاء ممدوداً وقرأ الآخرون / بكسر الخاء وجزم الطاء، ومعنى الكل واحد، أي: إثماً كبيراً.

٢٠٩ / أ

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٣٣٢-٣٣٣)، وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» ص (٩٩): «لم أجده». وإذا صدرت هذه العبارة من أحد الحفاظ كابن حجر وغيره كانت كافية في الحكم على الحديث بالوضع. انظر: تزيه الشريعة لابن عراق: ٨-٧/١، وتفصيل أوسع في مقدمة التحقيق لكتاب «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» لملا علي القاري ص (٢٥-٢٧).

(٢) ساقط من «أ».

وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ
فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾

﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾ .

﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾، وحققها ما روينا أن النبي ﷺ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إيمانه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفس فيقتل بها»^(١).

﴿ومن قُتلَ مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً﴾، أي: قوة وولاية على القاتل بالقتل، قاله مجاهد . وقال الضحاك: سلطانه هو أنه يتخير، فإن شاء استقاد منه، وإن شاء أخذ الدية، وإن شاء عفا .

﴿فلا يُسرف في القتل﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿فلا تسرف﴾ بالتاء يخاطب ولي القتيل، وقرأ الآخرون: بالياء على الغائب أي: لا يسرف الولي في القتل .

واختلفوا في هذا الإسراف الذي منع منه، فقال ابن عباس، وأكثر المفسرين: معناه لا يقتل غير القاتل، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا قُتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتلوا أشرف منه . وقال سعيد بن جبیر: إذا كان القاتل واحداً فلا يقتل جماعة بدل واحد، وكان أهل الجاهلية إذا كان المقتول شريفاً لا يرضون بقتل القاتل [وحده]^(٢) حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه . وقال قتادة: معناه لا يمثل بالقاتل^(٣) .

﴿إنه كان منصوراً﴾، فالهاء راجعة إلى المقتول في قوله: ﴿ومن قُتلَ مظلوماً﴾ يعني: إن المقتول

منصور في الدنيا بإيجاب القود على قاتله، وفي الآخرة بتكفير خطاياهم وإيجاب النار لقاتله، هذا قول مجاهد .

وقال قتادة: الهاء راجعة إلى ولي المقتول، معناه: إنه منصور على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية .

(١) أخرجه أبو داود في الديات، باب الإمام يأمر بالعفو في الدم: ٣٠١/٦، عن أبي أمامة، والترمذي في الفتن، باب ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: ٣٧٣/٣، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في الخلود، باب لا يحل دم امرئ مسلم إلا في ثلاث برقم (٢٥٣٣): ٨٤٧/٢، والمصنف في شرح السنة: ١٤٨/١٠. وأخرج الشيخان عن ابن مسعود نحوه .

(٢) زيادة من «ب» .

(٣) وهذه الأوجه في تأويل الآية غير خارجة عن الصواب وكلها تدرج في معنى الآية وفي النهي عن الإسراف في القتل. والله أعلم.

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ
 الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَسْتَقِيمَ
 ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
 وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾

وقيل في قوله: ﴿فلا يسرف في القتل﴾ إنه أراد به القاتل المعتدي، يقول: لا يتعدى بالقتل
 بغير الحق، فإنه إن فعل ذلك فوئى المقتول منصور من قبلي عليه باستيفاء القصاص منه .
 ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وأوفوا بالعهد﴾، بالإتيان
 بما أمر الله به والالتفاء عما نهى الله عنه. وقيل: أراد بالعهد ما يلتزمه الإنسان على نفسه .
 ﴿إن العهد كان مسئولاً﴾، قال السدي: كان مطلوباً. وقيل: العهد يسأل عن صاحب العهد،
 فيقال: فيم نقضت، كالمثوذة تسأل فيم قتلت ؟ .

﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسط﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿بالقسط﴾
 بكسر القاف والباقون بضمه، وهما لغتان وهو الميزان صغر أو كبر أي: بميزان العدل. وقال الحسن:
 هو القبان. قال مجاهد: هو رومي. وقال غيره: هو عربي مأخوذ من القسط وهو العدل، أي: زنوا
 بالعدل. ﴿المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾، أي: عاقبة .
 ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾، قال قتادة: لا تقل: رأيت، ولم تره، وسمعت، ولم تسمعه،
 وعلمت ولم تعلمه.

وقال مجاهد: لا ترم أحداً بما ليس لك به علم .
 قال القتيبي: لا تتبعه بالحدس والظن. وهو في اللغة اتباع الأثر، يقال: قفوت فلاناً أقفوه وقفيته
 وأقفيته إذا اتبعت أثره، وبه سميت القافية لتبعم الآثار .
 قال القتيبي: هو مأخوذ من القفا كأنه يقفو الأمور، أي: يكون في إقفاها يتبعها ويتعرفها^(١) .
 وحقيقة المعنى: لا تتكلم [أبها الإنسان]^(٢) بالحدس والظن .
 ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾، قيل: معناه يسأل المرء عن سمعه
 وبصره وفؤاده .

(١) انظر: القرطبي لابن مطرف الكناي، فقد تصرف المصنف بعبارة ابن قتيبة: ٢٥٦/١ .

(٢) ساقط من (أ) .

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٢٧﴾

وقيل: يسأل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء .
وقوله: ﴿كل أولئك﴾ أي: كل هذه الجوارح والأعضاء. وعلى القول الأول يرجع «أولئك» [لئ] (١) أربابها .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن الحسين، أخبرنا أبو علي حامد ابن محمد الرِّفَاء، حدثنا أبو الحسن علي بن عبدالعزيز، أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا سعد بن أوس العبسي، حدثني بلال بن يحيى العبسي أن شتير بن شكل أخبره عن أبيه شكل بن حميد قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا نبي الله علمني تعويداً أتعوذ به، فأخذ بيدي ثم قال: «قل: اللهم إني أعوذ بك من شرِّ سمعي، وشرِّ بصري، وشرِّ لساني، وشرِّ قلبي، وشرِّ مني» قال: فحفظتها، قال سعد: المنى ماؤه (٢) .

﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾، أي بطراً وكبراً وخيلاء، وهو تفسير المشي، فلذلك أخرجه على المصدر، ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ أي: لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها، ﴿ولن تبلغ الجبال طولاً﴾ أي: لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك. معناه: أن الإنسان لا ينال بكبره وبطره شيئاً، كمن يريد خرق الأرض ومطاوله الجبال لا يحصل على شيء .

وقيل: ذكر ذلك لأن من مشى مختلاً يمشي مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه، فقيل له: إنك لن تنقب الأرض إن مشيت على عقبيك، ولن تبلغ الجبال طولاً إن مشيت على صدور قدميك .

أخبرنا أبو محمد عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أخبرنا الهيثم بن كليب، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا أبي، عن المسعودي، عن عثمان بن مسلم بن هُرْمُز، عن نافع بن جبير بن مطعم، عن علي قال: كان رسول الله ﷺ إذا مشى يتكفأ تكفوفاً، كأنما ينحط من صبب (٣) .

(١) في «أ»: على .

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب في الاستعاذة: ١٦٠/٢، والترمذي في الدعوات: ٤٦٤/٩-٤٦٥، وقال: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وأخرجه النسائي في الاستعاذة، باب الاستعاذة من شر البصر: ٢٦٠/٨، وصححه الحاكم: ٥٣٣/١، ووافقه الذهبي. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٦٨/٥-١٦٩ .

(٣) أخرجه الترمذي في المناقب، باب من صفاته ﷺ الجسمية: ١١٦/١-١١٧، وفي كتابه «الشمائل المحمدية» ص (٨٦،٨٥) =

كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٢٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ
الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٢٩﴾

أخبرنا أبو محمد الجرجاني، أخبرنا أبو القاسم الخزاعي، أخبرنا الهيثم بن كليب، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي يونس، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له، إنا لنُجهد أنفسنا وإنه لغير مُكثَرٍ»^(١).

﴿كل ذلك كان سيئُهُ عند ربك مكروهاً﴾، قرأ ابن عامر وأهل الكوفة: برفع الهمزة وضم الهاء، على الإضافة، ومعناه: كل الذي ذكرنا من قوله: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ ﴿كان سيئُهُ﴾ أي: سيء ما عددنا عليك عند ربك مكروهاً؛ لأنه قد عدّ أموراً حسنة كقوله: ﴿وآت ذا القربى حقَّهُ﴾ ﴿واخفض لهما جناح الذل﴾ وغير ذلك.

وقرأ الآخرون: ﴿سيئة﴾ منصوبة منونة يعني: كل الذي ذكرنا من قوله: ﴿ولا تقتلوا أولادكم﴾ إلى هذا / الموضع سيئة لا حسنة فيه، إذ الكل يرجع إلى المنهي عنه دون غيره، ولم يقل مكروهة لأن فيه تقدماً وتأخيراً، وتقديره: كل ذلك كان مكروهاً سيئةً. [وقوله ﴿مكروهاً﴾ على التكرير، لا على الصفة، مجازه: كل ذلك كان سيئةً وكان مكروهاً]^(٢)، أو يرجع إلى المعنى دون اللفظ، لأن السيئة الذنب وهو مذكر.

﴿ذلك﴾، الذي ذكرنا، ﴿مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾. وكل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو حكمه.

﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾، خاطب النبي ﷺ في هذه الآيات والمراد منه الأمة، ﴿فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً﴾، مطروداً مبعداً من كل خير.

= بهامش شرح الباجوري، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٩٦/١، والمصنف في شرح السنة: ٣١٩/١٢. وهو حديث صحيح.
(١) أخرجه الترمذي في المناقب، باب في صفة النبي ﷺ: ١٠/١٣١-١٣٢، وقال: «هذا حديث غريب» وأخرجه في الشرائع ص (٨٥)، وصححه ابن حبان ص (٥٢١-٥٢٢) من موارد الظمان، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات»: ٣٨٠/١. وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

أَفَأَصْفَكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَقَائِلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا
 ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ أَنْ لِيَذَّكُرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ
 إِلَهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بُغْوًا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ
 عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ
 وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا لَيْسَ بِمِجْدَاهِ وَلَكِنْ لَا تَنْفَعُهُمْ تَسْبِيحُهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا
 غَفُورًا ﴿٤٤﴾

قوله عز وجل : ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ﴾، أي: اختاركم فجعل لكم الصفة ولنفسه ما ليس بصفة،
 يعني: اختاركم، ﴿بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا﴾ لأنهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله، ﴿إِنَّكُمْ
 لَقَائِلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾، يخاطب مشركي مكة .

قوله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾، يعني: [ما ذكر من] (١) العبر، والحكم،
 والأمثال، والأحكام، والحجج، والإعلام، والتشديد للتكثير والتكرير، ﴿لِيَذَّكُرُوا﴾ أي: ليتذكروا
 ويتعظوا، وقرأ حمزة والكسائي بإسكان الذال وضم الكاف وكذلك في الفرقان. ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾،
 تصريفنا وتذكيرنا، ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾، ذهاباً وتباعداً عن الحق .

﴿قُلْ﴾، يا محمد لهؤلاء المشركين، ﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ إِلَهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾، قرأ حفص وابن كثير
 ﴿يَقُولُونَ﴾ بالياء وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿إِذَا لَا بُغْوًا﴾، لطلبوا يعني الآلهة ﴿إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ
 سَبِيلًا﴾، بالمبالغة والقهر ليزيلوا ملكه، كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض .

وقيل: معناه لطلبوا إلى ذي العرش سبيلاً بالتقرب إليه .

قال قتادة: لعرفوا الله وفضله وابتغوا ما يقربهم إليه .

والأول أصح. ثم نزه نفسه، فقال عز من قائل :

﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿تَقُولُونَ﴾ بالتاء والآخرون بالياء،
 ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ .

﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾، قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص،

ويعقوب: ﴿تَسْبِيحٌ﴾ بالتاء وقرأ الآخرون بالياء للحائل بين الفعل والتأنيث .

(١) ساقط من (ب) .

﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾، روي عن ابن عباس أنه قال: وإن من شيء حي إلا يسبح بحمده .

وقال قتادة: يعني الحيوانات والناميات .

وقال عكرمة: الشجرة تسبح، والأسطوانة لا تسبح .

وعن المقدم بن معد يكرب قال: إن التراب يسبح ما لم يتل، فإذا ابتل ترك التسبيح، وإن الخرزة تسبح ما لم تُرْفَع من موضعها، فإذا رفعت تركت التسبيح، وإن الورقة لتسبح ما دامت على الشجرة فإذا سقطت تركت التسبيح، وإن الثوب ليسبح ما دام جديداً فإذا وسخ ترك التسبيح، وإن الماء يسبح ما دام جارياً فإذا ركد ترك التسبيح، وإن الوحش والطيور تسبح إذا صاحت فإذا سكنت تركت التسبيح .

وقال إبراهيم النخعي: وإن من شيء جمادٍ وحْيٍ إلا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف .

وقال مجاهد: كل الأشياء تسبح لله، حياً كان أو ميتاً أو جماداً، وتسبيحها سبحان الله وبحمده . أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن المثني، أخبرنا أبو أحمد الزبير، أخبرنا إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله قال: كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فقال: «اطلبوا فضلة من ماء، فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك، والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل»^(١) .

وقال بعض أهل المعاني: تسبح السموات والأرض والجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء ما دلت بلطيف تركيبها وعجيب هيئتها على خالقها، فيصير ذلك بمنزلة التسبيح منها . والأول هو المنقول عن السلف^(٢) .

واعلم أن الله تعالى عالماً في الجمادات لا يقف عليه غيره، فينبغي أن يوكل علمه إليه .
﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾، أي لا تعلمون تسبيح ما عدا من يسبح بلغاتكم وألسنتكم،
﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ .

(١) أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: ٥٨٧/٦، والمصنف في شرح السنة: ٢٩٠/١٣ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٣/٣-٤٤، زاد المسير: ٤٠-٣٩/٥، ولشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - رسالة في «قنوت الأشياء كلها لله تعالى» مطبوعة في مجموعة الرسائل والمسائل .

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوَّاعًا عَلَىٰ أذْبَانِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾، يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به .
قال قتادة: هو الأكنة، والمستور بمعنى الساتر كقوله: «إنه كان وعده مآثياً» (مريم - ٦١) مفعول بمعنى الفاعل .

وقيل: مستور عن أعين الناس فلا يرونه .

وفسره بعضهم بالحجاب عن الأعين الظاهرة، كما روي عن سعيد بن جبیر أنه لما نزلت: «تبت يدا أبي لهب» جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر، والنبي ﷺ مع أبي بكر، فلم تره، فقالت لأبي بكر: أين صاحبك لقد بلغني أنه هجاني؟ فقال: والله ما ينطق بالشعر، ولا يقوله، فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ رأسه، فقال أبو بكر: ما رأيتك يارسول الله، قال: لا، لم يزل ملكٌ بيني وبينها يسترني^(١) .

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، أغطية، ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾، كراهية أن يفقهوه. وقيل: لئلا يفقهوه، ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾، ثقلاً لئلا يسمعه. ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾، يعني إذا قلت: لا إله إلا الله في القرآن وأنت تتلوه، ﴿وَلَوَّاعًا عَلَىٰ أذْبَانِهِمْ نُفُورًا﴾، جمع «نافر»، مثل: قاعد، وقعود، وجالس، وجلوس، أي نافرين .

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾، قيل: «به» صلة، أي: يطلبون سماعه، ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾، وأنت تقرأ القرآن، ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾، يتناجون في أمرك. وقيل: ذوو نجوى، فبعضهم يقول: هذا مجنون، وبعضهم يقول: كاهن، وبعضهم يقول: ساحر، وبعضهم يقول: شاعر. ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾، يعني: الوليد بن المغيرة وأصحابه، ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾، مطبوعاً. [وقال مجاهد^(٢)]:

(١) أخرجه أبو يعلى وابن أبي حاتم. وانظر: تفسير ابن كثير ٤٤/٣، ٤٤/٤، ٥٦٥-٥٦٦، مجمع الزوائد: ١٤٤/٧ .

(٢) في «أ»: (وقيل) .

أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا آءِذَا
 كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَوَلَمْ نَكُنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً
 أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ
 الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ
 يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾

مخدوعاً. وقيل: مصروفاً عن الحق. يقال: ما سحرك عن كذا أي ما صرفك؟
 وقال أبو عبيدة: أي رجلاً له سحر، والسحر: الرثة، أي: إنه بشر مثلكم معلل بالطعام والشراب
 يأكل ويشرب. قال الشاعر:

أَرَانَا مُوضِعِينَ لِحْتَمٍ غَيْبٍ وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ (١)

أي: نغذى ونعلل.

﴿انظر﴾، يا محمد، ﴿كيف ضربوا لك / الأمثال﴾، الأشباه، قالوا: شاعر وساحر وكاهن
 ومجنون، ﴿فضلوا﴾، فحاروا وحادوا، ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ أي: وصولاً إلى طريق الحق.
 ﴿وقالوا أنذا كنا عظاماً﴾ بعد الموت، ﴿ورفاتاً﴾ قال مجاهد: تراباً. وقيل: حطاماً. و«الرفات»:
 كل ما تكسر وبلى من كل شيء، كالفتات والحطام.

﴿أتنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾.

﴿قل﴾ لهم يا محمد: ﴿كونوا حجارة أو حديداً﴾، في الشدة والقوة، وليس هذا بأمر لازم
 بل هو أمر تعجيز، أي: استشعروا في قلوبكم أنكم حجارة أو حديد في القوة.
 ﴿أو خلقاً مما يكبر في صدوركم﴾، قيل: السماء والأرض [والجبال] (٢).
 وقال مجاهد وعكرمة (٣) وأكثر المفسرين: إنه الموت، فإنه ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر
 من الموت، أي: لو كنتم الموت بعينه لأميتكم ولأبعثكم.

﴿فسيقولون: من يعيدنا﴾، من يعثنا بعد الموت؟ ﴿قل: الذي فطركم﴾، خلقكم، ﴿أول
 مرة﴾، ومن قدر على الإنشاء قدر على الإعادة، ﴿فسيغضون إليك رؤوسهم﴾، أي: يحركونها

(١) البيت لامرئ القيس. وانظر: الطبري: ٩٦/١٥، لسان العرب، مادة (سحر): ٤/٣٤٩.

(٢) ساقط من «أ».

(٣) في «ب»: فتادة.

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ، وَتُظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي
 يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِن الشَّيْطَانُ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا
 مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأْ يَرْحَمَكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
 عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾

إذا قلت لهم ذلك مستهزئين بها، ﴿ويقولون متى هو﴾؟ أي: البعث والقيامة، ﴿قل عسى أن يكون
 قريباً﴾ أي: هو قريب، لأن عسى من الله واجب، نظيره قوله تعالى: ﴿وما يُدريك لعل الساعة
 تكون قريباً﴾ (الأحزاب - ٦٣).

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ من قبوركم إلى موقف القيامة، ﴿فتستجيبون بحمده﴾، قال ابن عباس: بأمره.
 وقال قتادة: بطاعته. وقيل: مقرين بأنه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد. وقيل:
 هذا خطاب مع المؤمنين فإنهم يبعثون حامدين. ﴿وتظنون إن لبثتم﴾، في الدنيا وفي القبور، ﴿إلا
 قليلاً﴾، لأن الإنسان لو مكث أوفياً من السنين في الدنيا وفي القبر عد ذلك قليلاً في مدة القيامة
 والخلود. قال قتادة: يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة.

قوله تعالى: ﴿وقل لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، قال الكلبي: كان المشركون يؤذون
 المسلمين فشكوا إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وقل لِعِبَادِي﴾ المؤمنين ﴿يقولوا﴾ للكافرين
 ﴿التي هي أحسن﴾ ولا يكافؤوهم بسفهمهم. قال الحسن: يقول له: يهديك الله. وكان هذا قبل
 الإذن في الجهاد والقتال^(١).

وقيل: نزلت في عمر بن الخطاب شتمه بعض الكفار فأمره الله بالعفو^(٢).
 وقيل: أمر الله المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا التي هي أحسن أي: الخلة التي هي أحسن.
 وقيل: «الأحسن» كلمة الإخلاص لا إله إلا الله.
 ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾، أي: يفسد ويلقي العداوة بينهم، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ
 عَدُوًّا مُّبِينًا﴾، ظاهر العداوة.
 ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأْ يَرْحَمَكُمْ﴾، يوفقكم فتؤمنوا، ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾، يمتك
 على الشرك فتعذبوا، قاله ابن جريج.

(١) إشارة إلى أنها نسخت بآية القتال أو السيف، وقد سبق في أكثر من موضع إلى أن بعض العلماء أسرفوا في نسخ كثير
 من الآيات بآية السيف، والحق أنه لا نسخ في هذا كله.

(٢) انظر: أسباب النزول للواحد ص (٣٣٣).

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ
 وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ ۗ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ
 الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ
 الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۗ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ
 مُحَذَّرًا ﴿٥٧﴾

وقال الكلبي: إن يشأ يرحمكم فينجيكم من أهل مكة، وإن يشأ يعذبكم فيسلطهم عليكم .
 ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلاً﴾ حفيظاً وكفيلاً. قيل: نسخها آية القتال .
 ﴿وربُّك أعلم بمن في السموات والأرض﴾، أي: ربك العالم بمن في السموات والأرض
 فجعلهم مختلفين في صورهم وأخلاقهم وأحوالهم وملهم .
 ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾، قيل جعل أهل السموات والأرض مختلفين كما فضل
 بعض النبيين على بعض .

قال قتادة في هذه الآية: اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وكلم موسى تكليماً، وقال لعيسى: كن
 فيكون^(١)، وآتى سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبوراً كما قال: ﴿وآتينا داود
 زبوراً﴾، والزبور: كتاب علمه الله داود، يشتمل على مائة وخمسين سورة، كلها دعاء وتمجيد وثناء
 على الله عز وجل، وليس فيها حرام ولا حلال ولا فرائض ولا حدود .

معناه: إنكم لم تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون فضل النبي ﷺ وإعطاءه القرآن؟ وهذا
 خطاب مع من يقر بتفضيل الأنبياء عليهم السلام من أهل الكتاب وغيرهم .

قوله عز وجل: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾، وذلك أن المشركين أصابهم قحط شديد
 حتى أكلوا الكلاب^(٢) والجيف، فاستغاثوا بالنبي ﷺ ليدعو لهم، قال الله تعالى: ﴿قل﴾
 للمشركين ﴿ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ أنها آلهة ﴿فلا يملكون كشف الضر﴾، القحط والجوع،
 ﴿عنكم ولا تحويلاً﴾، إلى غيركم، أو تحويل الحال من العسر إلى اليسر .

﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾، يعني الذين يدعونهم المشركون آلهة
 يعبدونهم .

(١) في (ب): فكان .

(٢) في (ب): الميتة .

وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا
كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

قال ابن عباس، ومجاهد: وهم عيسى، وأمه، وعزير، والملائكة، والشمس، والقمر، والنجوم، «يتنغون» أي يطلبون إلى ربهم «الوسيلة» أي القربة. وقيل: الوسيلة الدرجة العليا، أي: يتضرعون إلى الله في طلب الدرجة العليا.

وقيل: الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله تعالى.

وقوله: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾، معناه: ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به. وقال الزجاج: أيهم أقرب يتنغي الوسيلة إلى الله تعالى ويتقرب إليه بالعمل الصالح، ﴿وَيُرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾، جنته، ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾، أي يطلب منه الخذر.

وقال عبدالله بن مسعود: نزلت الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نقرأ من الجن فأسلم الجنيون ولم يعلم الإنس الذين كانوا يعبدونهم بإسلامهم، فتمسكوا بعبادتهم فغيرهم الله وأنزل هذه الآية (١).

وقرأ ابن مسعود ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ بالياء.

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ وما من قرية، ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، أي: مخربوها ومهلكوها أهلها، ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾، بأنواع العذاب إذا كفروا وعصوا. وقال مقاتل وغيره: مهلكوها في حق المؤمنين بالإماتة، ومعذبوها في حق الكفار بأنواع العذاب. قال عبدالله بن مسعود: إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله في هلاكها (٢).

﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾، في اللوح المحفوظ، ﴿مَسْطُورًا﴾، مكتوباً.

قال عبادة بن الصامت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب، فقال ما أكتب؟ قال القدر، وما كان وما هو كائن إلى الأبد» (٣).

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب «أولئك الذين يدعون يتنغون إلى ربهم الوسيلة»: ٣٩٨/٨، الدر المنثور: ٣٠٥/٥.

(٢) أخرجه الطبري: ١٠٧/١٥.

(٣) أخرجه أبو داود في السنة، باب في القدر: ٦٩/٧، والترمذي في القدر، باب ما جاء في الرضا بالقضاء: ٣٦٨-٣٦٩، وقال: «هذا حديث غريب»، وفي تفسير سورة «ن»: ٢٣٣/٩، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، وأخرجه الإمام أحمد في «المسند»: ٣١٧/٥، والطيالسي في مسنده، ص (٧٩) وفيه عند الطيالسي: عبدالواحد بن سليم، وهو ضعيف. وله طرق يتقوى بها، وصححه الألباني في تعليقه على المشكاة: ٣٤/١.

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ^٤ وَعَٰئِنَّا مُودِ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً
فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا^٥ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ^٤
وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ^٤
وَتَخَوَّفَهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا^٦

قوله عز وجل : ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾، قال ابن عباس: سأل أهل مكة [رسول الله ﷺ] (١) أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن يتخى الجبال عنهم فيزرعوا، فأوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ: إن شئت أن أستأني بهم فعلت، وإن شئت أن أوتيهم ما سألوا / فلعت، فإن لم يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكت من كان قبلهم [من الأمم] (٢) فقال النبي ﷺ: لا بل تستأني بهم، فأنزل الله عز وجل (٣) :

﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ التي سألتها كفار قومك ﴿إلا أن كذب بها الأولون﴾ فأهلكناهم، فإن لم يؤمن قومك بعد إرسال الآيات أهلكتهم، لأن من ستنتا في الأمم إذا سألوا الآيات، ثم لم يؤمنوا بعد إتيانها، أن نهلكهم ولا نعلمهم، وقد حكمنا بإمهال هذه الأمة في العذاب، فقال جل ذكره : ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾ (القمر - ٤٦)، ثم قال : ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾، مضيئة بينة، ﴿فظلموا بها﴾، أي: جحدوا بها أنها من عند الله كما قال: ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ (الأعراف - ٩)، أي: يجحدون. وقيل: ظلموا أنفسهم بتكذيبها يريد فعاجلناهم بالعقوبة .

﴿وما نرسل بالآيات﴾ أي: العبر والدلالات، ﴿إلا تخويفاً﴾، للعباد ليؤمنوا . قال قتادة: إن الله تعالى يُخَوِّفُ النَّاسَ (٤) بما شاء من آياته لعلهم يرجعون . قوله عز وجل : ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾، أي: هم في قبضته، لا يقدر على الخروج من مشيئته، فهو حافظك ومانعك منهم، فلا تهبهم وامض لما أمرك به من تبليغ الرسالة،

(١) ساقط من «أ» .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢٥٨/١، والحاكم في المستدرک: ٣٦٢/٢، والطبري: ١٥/١٥٨، والواحدي في أسباب النزول ص (٣٣٣-٣٣٤)، وزاد السيوطي نسبه للنسائي، والبيهقي في «الدلائل» والضياء في «المختارة»، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح .

انظر: الدر المنثور: ٣٠٦/٥-٣٠٧، مجمع الزوائد: ٥٠/٧، ابن كثير: ٤٨/٣ .

(٤) في «ب»: العباد .

كما قال: «والله يعصمك من الناس» (المائدة - ٦٧) .

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾، فالأكثر على أن المراد منه ما رأى النبي ﷺ [ليلة المعراج من العجائب والآيات .

قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ^(١)، وهو قول سعيد بن جبير، والحسن، ومسروق، وقتادة، ومجاهد، وعكرمة، وابن جريج والأكثرين^(٢). والعرب تقول: رأيت بعيني رؤية ورؤيا، فلما ذكرها رسول الله ﷺ للناس أنكر بعضهم ذلك، وكذبوا فكان فتنة للناس .
وقال قوم: [أسري بروحه دون بدنه]^(٣) .

وقال بعضهم: كان له معراجان: معراج رؤية بالعين، ومعراج رؤيا بالقلب .
وقال قوم^(٤). أراد بهذه الرؤيا ما رأى ﷺ عام الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه، فجعل السير إلى مكة قبل الأجل فصده المشركون، فرجع إلى المدينة، وكان رجوعه في ذلك العام بعد ما أخبر أنه يدخلها فتنة لبعضهم، حتى دخلها في العام المقبل، فأنزل الله تعالى: «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق» (الفتح - ٢٧)^(٥) .

﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾، يعني شجرة الزقوم، مجازه: والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن، والعرب تقول لكل طعام كريه: طعام ملعون. وقيل: [معناه الملعون]^(٦) أكلها، ونصب الشجرة عطفاً على الرؤيا، أي: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة إلا فتنة للناس، فكانت الفتنة في الرؤيا ما ذكرنا .

والفتنة في الشجرة الملعونة من وجهين؛ أحدهما: أن أبا جهل قال: إن ابن أبي كبشة يوعدكم بنار تحرق الحجارة، ثم يزعم أنه ينبت فيها شجرة، وتعلمون أن النار تحرق الشجرة .
والثاني أن عبدالله بن الزبيري قال: إن محمداً يخوفنا. بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر، وقال أبو جهل: يا جارية تعالي فزقمينا فأتت بالتمر والزبد، فقال: يا قوم [تزقموا]^(٧) فإن هذا ما يخوفكم به محمد، فوصفها الله تعالى في الصافات^(٨) .

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) أخرجه البخاري عن ابن عباس، في تفسير سورة الإسراء: ٣٩٨/٨ .

(٣) راجع فيما سبق، من تفسير السورة: ص ٥٨ تعليق (٣) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٥) انظر هذه الأقوال في تأويل الرؤيا في الدر المنثور: ٣٠٩/٥-٣١٠، زاد المسير: ٥٤-٥٣/٥ .

(٦) ساقط من «أ» .

(٧) ساقط من «ب» .

(٨) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٣٤)، الدر المنثور: ٣١٠/٥-٣١١، زاد المسير: ٥٥/٥ .

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ
 طِينًا ﴿١١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
 لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ
 جَزَاؤُهُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿١٣﴾ وَأَسْتَفْزِزُ مَنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بَصُوتِكَ وَأَجْلِبُّ عَلَيْهِمْ
 بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا عِدَّهُمُ الشَّيْطَانُ
 إِلَّا غُرُورًا ﴿١٤﴾

وقيل: الشجرة الملعونة هي: التي تلتوي على الشجر فتجففه، يعني الكشوث^(١).

﴿وَنُحُوفِهِمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾، التخويف، ﴿إِلَّا طِينًا كَبِيرًا﴾ أي: تمرداً وعتواً عظيماً.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ أي:

خلقته من طين أنا جئت به، وذلك ما زوي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن الله تعالى بعث إبليس حتى أخذ كفاً من تراب الأرض من عذبا وملحها، فخلق منه آدم، فمن خلقه من العذب فهو سعيد، وإن كان ابن كافرين، ومن خلقه من الملح فهو شقي وإن كان ابن نبين^(٢).

﴿قَالَ﴾، يعني إبليس: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أي أخبرني، والكاف لتأكيد المخاطبة، ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ

عَلَيَّ﴾ أي: فضلته علي: ﴿لَئِنِ أَخَّرْتَنِي﴾ أمهلني ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾ أي:

لأستأصلتهم بالإضلال، يقال احتنك الجراد الزرع إذا أكله كله. وقيل: هو من قول العرب حنك

الدابة يحنكها: إذا شد في حنكها الأسفل حبلاً يقودها، أي: لأقودنهم كيف شئت. وقيل: لأستولين

عليهم بالإغواء، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، يعني المعصومين الذين استثناهم الله عز وجل في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي

ليس لك عليهم سلطان﴾ (الحجر - ٤٢).

﴿قَالَ﴾ الله: ﴿أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُهُمْ﴾ أي: جزاؤك وجزاء أتباعك،

﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾، وافرأ مكملأ، يقال: وفرته أوفره وافرأ.

وقوله: ﴿وَأَسْتَفْزِزُ﴾، واستخفف واستجهذ، ﴿مَنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ﴾، أي: من ذرية آدم،

(١) ذكره ابن الجوزي: (٥٦/٥) عن ابن عباس أيضاً. وانظر فيما سبق تفسير الآية (٢٦) من سورة إبراهيم: ٢٤٨/٤

تعلق (٦).

(٢) أخرجه الطبري: ١١٦/١٥ عن ابن عباس موقوفاً.

﴿بصوتك﴾، قال ابن عباس وقتادة: بدعائك إلى معصية الله. وكل داع إلى معصية الله [فهو من جند إبليس].

قال الأزهري: معناه ادعهم دعاء تستفزهم به إلى جانبك، أي: تستخفهم^(١).
وقال مجاهد: بالغناء والمزامير^(٢).

﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾، قيل: اجمع عليهم مكابذك وخييلك، ويقال: «أَجْلَبُوا»، و«جَلَبُوا»، إذا صاحوا، يقول: صرخ بخييلك ورجلك وحثهم عليه بالإغواء.

قال مقاتل: استعن عليهم بركاب جندك ومشاتهم، والخييل: الركبان، والرَّجِل: المشاة.

قال أهل التفسير: كل راكب وماشى في معاصي الله فهو من جند إبليس.

وقال مجاهد وقتادة: إن له خيلاً ورجلاً من الجن والإنس، وهو كل من يقاتل في المعصية، والرَّجِل، والرَّجَالَة والرَّجَالَة واحد، يقال: رَجِلَ وَرَجِلَ، مثل: تاجر وثجر، ورَاكِب وَرَكِبَ، وقرأ حفص ورجلك بكسر الجيم وهما لغتان.

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، فالشاركة في الأموال: كل ما أصيب من حرام، أو أنفق

في حرام، هذا قول مجاهد والحسن وسعيد بن جبير.

وقال عطاء: هو الربا وقال قتادة هو ما كان المشركون يحرمونه من الأنعام كالبحيرة والسائبة

والوصيلة والحام.

وقال الضحاك: هو ما كانوا يذبحونه لأهنتهم^(٣).

وأما الشركة في الأولاد: روي عن ابن عباس: أنها المؤودة.

وقال مجاهد والضحاك: هم أولاد الزنا.

وقال الحسن، وقتادة: هو أنهم هودوا أولادهم، ونصروهم ومجسؤهم.

وعن ابن عباس رواية أخرى: هو تسميتهم الأولاد عبدالحارث وعبد شمس، وعبدالعزى،

وعبدالدار، ونحوها^(٤).

أ/٢١١

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، أن يقال: إن الله تعالى قال لإبليس: واستفز من ذرية آدم من استطعت أن تستفز بصوتك، ولم يخصص من ذلك صوتاً دون صوت، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وإلى طاعته، وخلافاً للدعاء إلى طاعة الله، فهو داخل في معنى صوته الذي قال الله تبارك اسمه له: «واستفز من استطعت منهم بصوتك».

الطبري: ١١٨/١٥.

(٣) فكل ما أطيع الشيطان فيه من مال وعصي الله فيه، كإتفاق المال في حرام أو اكتسابه من حرام، أو ذبح للآلهة، أو تسييب، أو بخر للشيطان وغير ذلك مما كان معصياً به أو فيه = فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس، فلا وجه لخصوص بعض دون بعض.

(٤) كل هذه الأوجه في الآية داخل في معناها دون تخصيص لوجه من الوجوه.

وروي عن جعفر بن محمد أن الشيطان يقعد على ذكر الرجل فإذا لم يقل: «بسم الله» أصاب معه امرأته، وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل .

وروي في بعض الأخبار: إن فيكم مغرّبين، قيل: وما المغرّبون؟ قال: الذي يشارك فيهم الجن^(١) .

وروي أن رجلاً قال لابن عباس: إن امرأتي استيقظت وفي فرجها شعلة من نار؟ قال: ذلك من وطء الجن .

وفي الآثار: أن إبليس لما أخرج إلى الأرض، قال: يارب أخرجتني من الجنة لأجل آدم، فسَلَطَني عليه وعلى ذريته، قال: أنت مسلط، فقال: لا أستطيعه إلا بك فردني، قال: استفزز من استطعت منهم بصوتك، الآية، فقال آدم: يارب سلطت إبليس علي وعلى ذريتي وإني لا أستطيعه إلا بك، قال: لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظونه، قال: زدني، قال: الحسنه بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها، قال: زدني، قال: التوبة معروضة ما دام الروح في الجسد، فقال: زدني، قال: «ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم» الآية^(٢) (الزمر - ٥٣) .

وفي الخبر: أن إبليس قال: يارب بعثت أنبياء وأنزلت كتباً فما قراءتي؟ قال: الشعر، قال: فما كتابي؟ قال الوشم، قال: ومن رسلي؟ قال: الكهنة، قال: وأين مسكني؟ قال: الحمامات، قال: وأين مجلسي؟ قال: الأسواق، قال: أي شيء مطعمي؟ قال: ما لم يُذكر عليه اسمي، قال: ما شرابه؟ قال: كل مسكر، قال: وما حبابي؟ قال: النساء، قال: وما أذاني؟ قال: المزامر^(٣) .
قوله عز وجل: ﴿وَعِدْهُمْ﴾، أي: منّهم الجميل في طاعتك. وقيل: قل لهم: لا جنة ولا نار ولا بعث .

﴿وما يعدّهم الشيطان إلا غروراً﴾، والغرور تزوين الباطل بما يظن أنه حق .
فإن قيل: كيف ذكر الله هذه الأشياء وهو يقول: «إن الله لا يأمر بالفحشاء» (الأعراف - ٢٨)؟
قيل: هذا على طريق التهديد، كقوله تعالى: «اعملوا ما شئتم» (فصلت - ٤٠)، وكقول القائل:
افعل ما شئت فستري^(٤) .

(١) ضعيف، أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» عن عائشة رضي الله عنها. انظر: كنز العمال: ٣٥٤/١٦، تفسير

القرطبي: ٢٨٩/١٠ .

(٢) عزاه السيوطي للبيهقي في «الشعب»، وابن عساکر، بنحوه عن ثابت قال: بلغنا أن إبليس.. انظر: الدر المنثور: ٣١٣/٥ .

(٣) أخرجه ابن الجوزي في ذم الهوى ص (١٥٥) من طريق الطبراني في المعجم الكبير، وهو منكر، تفرد به يحيى بن صالح، وثبت منه: «وطعامك ما لم يذكر اسم الله عليه».. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٦٧/٤ .

(٤) انظر: زاد المسير: ٥٩/٥ .

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي
 يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾
 وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ
 الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَن يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ
 حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَاكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ
 فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا
 بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

قوله : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ، وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾، أي حافظاً مَنْ يوكل الأمر إليه .

قوله عز وجل : ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ﴾ أي: يسوق ويُجري لكم الفلك، ﴿في البحر لتبتغوا من فضله﴾، لتطلبوا من رزقه، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ .

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾، الشدة وخوف الغرق، ﴿في البحر ضلَّ﴾، أي: بطل وسقط، ﴿من تدعون﴾، من الآلهة، ﴿إِلَّا إِلَٰهًا﴾، إلا الله فلم تجدوا مغيثاً غيره وسواه، ﴿فَلَمَّا نَجَّكُمْ﴾، أجاب دعاءكم وأنجاكم من هول البحر وأخرجكم، ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾، عن الإيمان والإخلاص والطاعة، كُفراً منكم لِنِعْمِهِ، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ .

﴿أَفَأَمِنْتُمْ﴾، بعد ذلك، ﴿أَن يُخْسِفَ بِكُمْ﴾، يغور بكم، ﴿جَانِبَ الْبَرِّ﴾، ناحية البر وهي الأرض، ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾، أي: يمطر عليكم حجارة من السماء كما أمطر على قوم لوط. وقال أبو عبيدة والقتيبي: الحاصب الريح التي ترمي بالحصباء، وهي الحصا الصغار، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾، قال قتادة: مانعاً .

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾، يعني في البحر، ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ مرة، ﴿أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾، قال ابن عباس: أي: عاصفاً وهي الريح الشديدة .

وقال أبو عبيدة: هي الريح التي تقصف كل شيء، أي تدقه وتحطمه .

وقال القتيبي: هي التي تقصف الشجر، أي تكسره .

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

﴿فَيُفَرِّقُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَعْبُدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾، ناصراً ولا ناثراً، و«تَبِيعًا» بمعنى تابع، أي تابعاً مطالباً بالثأر. وقيل: من يتبعنا بالإنكار.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو «أن نخسف، ونرسل، ونعيدكم، فنرسل، فنفرقكم»، بالنون فيهن، لقوله «علينا». وقرأ الآخرون بالياء لقوله: «إلا إياه»، وقرأ أبو جعفر ويعقوب: ﴿فنفركم﴾ بالتاء يعني الريح. قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، روي عن ابن عباس أنه قال: هو أنهم يأكلون بالأيدي، وغير الآدمي يأكل بفيه من الأرض. وروي عنه أنه قال: بالعقل.

وقال الضحاك: بالنطق. وقال عطاء: بتعديل القامة وامتدادها، والدواب منكبة على وجوهها. وقيل: بحسن الصورة. وقيل: الرجال باللحى، والنساء بالذوائب. وقيل: بأن سخر لهم سائر الأشياء. وقيل: بأن منهم خير أمة أخرجت للناس^(١).

﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، أي: حملناهم في البر على الدواب وفي البحر على السفن. ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، يعني: لذيق المطاعم والمشارب. قال مقاتل: السمن، والزبد، والتمر، والخلوى، وجعل رزق غيرهم مالا يخفى.

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾، وظاهر الآية أنه فضلهم على كثير ممن خلقهم لا على الكل.

وقال قوم: فضلوا على جميع الخلق إلا على الملائكة. وقال الكلبي: فضلوا على الخلائق كلهم إلا على طائفة من الملائكة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومَلَك الموت، وأشباههم.

وفي تفضيل الملائكة على البشر اختلاف، فقال قوم: فضلوا على جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم، وقد يوضع الأكثر موضع الكل كما قال تعالى: «هل أنبئكم على من تنزل الشياطين» إلى قوله تعالى: «وأكثرهم كاذبون» (الشعراء - ٢٢١-٢٢٢). أي: كلهم.

(١) انظر: زاد المسير: ٦٣/٥، تفسير القرطبي: ٢٩٤/١٠، ورجح القرطبي أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يُعرف الله، ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمة وتصديق رسله، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب، فمثال الشرع: الشمس، ومثال العقل: العين. فإذا فحمت وكانت سليمة رأيت الشمس وأدرت تفاصيل الأشياء، وما تقدم من الأقوال بعضه أقوى من بعض، وقد جعل الله في بعض الحيوان خصلاً يفضل بها ابن آدم أيضاً، كجري الفرس وسمعه وبصاره، وقوة الفيل، وشجاعة الأسد، وكرم الديك، وإنما التكرم والتفضيل بالعقل كما بيناه. والله أعلم.

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ رِيْمِيْنِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَأُونَ
كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيْلًا ﴿٧١﴾

وفي الحديث عن جابر يرفعه قال: «لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة: يارب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون، فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة، فقال تعالى: لا أجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له: كن فكان»^(١).

والأولى أن يقال: عوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة، وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة. قال الله تعالى: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية» (البينة - ٧). وروي عن أبي هريرة أنه قال: «المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده»^(٢).

قوله عز وجل: «يوم ندعو كل أناس بإمامهم»، قال مجاهد، وقتادة: بنبيهم. وقال: أبو صالح والضحاك: بكتابهم الذي أنزل عليهم.

وقال الحسن وأبو العالية: بأعمالهم.

وقال قتادة أيضاً: بكتابهم الذي فيه أعمالهم، بدليل سياق الآية.

«فمن أوتي كتابه يمينه»، ويسمى الكتاب إماماً كما قال عز وجل: «وكل شيء أحصيناه

في إمام مبين» (يس - ١٢).

وعن سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما: بإمام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا إلى ضلالة أو هدى، قال الله تعالى: «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا» (الأنبياء - ٧٣)، وقال: «وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار» (القصص - ٤١).

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص (١٠٠): «أخرجه الطبراني في «الأوسط» من طريق محمد بن ماهان، حدثنا طلحة بن زيد، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ قال: فكان قال: لم يروه عن صفوان إلا طلحة وأبو غسان، تفرد به طلحة محمد بن ماهان. وعن أبي غسان حجاج الأعور، أخرج طريق حجاج في «المعجم الكبير» ورجاله ثقات. وله شاهد عند عبدالرزاق في تفسيره عن معمر عن زيد بن أسلم قال... موقوفاً عليه. وقال الدارقطني في «العلل»: روى عبدالمجيد بن أبي داود عن معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عمر، فذكر نحوه، قال: ورواه شريح بن يونس عن عبدالمجيد موقوفاً. وهو أصح. وله شاهد آخر عند الطبراني في «مسند الشاميين» والبيهقي في «الأسماء والصفات» من رواية عبد ربه بن صالح عن عروة بن رويح أنه سمعه يحدث عن جابر... وذكره الخطيب في «مشكاة المصابيح»: ١٥٩٧/٣، وعزه للدبلي في «مسند الفردوس» والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» من رواية حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة موقوفاً، وأخرجه ابن ماجه من هذه الطريق موقوفاً: ١٣٠١/٢، وأبو المهزم ضعيف.

انظر: الكافي الشاف ص (١٠٠).

وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾

وقيل: بمعبودهم. وعن سعيد بن المسيب قال: كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر . وقال محمد بن كعب: ﴿بإمامهم﴾، قيل: يعني بأمهاتهم، وفيه ثلاثة أوجه من الحكمة أحدها: لأجل عيسى عليه السلام، والثاني: لشرف الحسن والحسين، والثالث: لئلا يفتضح أولاد الزنا^(١) .
﴿فمن أوتي كتابه / يمينه فأولئك يُقرؤون كتابهم ولا يُظلمون فيللاً﴾ أي: لا ينقص من حقهم قدر فتيل^(٢) .

ب/٢١١

﴿ومن كان في هذه أعمى﴾، اختلفوا في هذه الإشارة، فقال قوم: هي راجعة إلى النعم التي عدّها الله تعالى في هذه الآيات من قوله: ﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك﴾ إلى قوله ﴿تفضيلاً﴾ يقول: ومن كان منكم في هذه النعم التي قد عاين أعمى، ﴿فهو في﴾، أمر، ﴿الآخرة﴾، التي لم يعاين ولم ير، ﴿أعمى وأضل سبيلاً﴾، يروى هذا عن ابن عباس^(٣) .
وقال الآخرون: هي راجعة إلى الدنيا، يقول: من كان في هذه أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق، فهو في الآخرة أعمى، أي: أشد أعمى، وأضل سبيلاً، أي: أخطأ طريقاً^(٤) .
وقيل: من كان في هذه الدنيا أعمى عن الاعتبار، فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار .
وقال الحسن: من كان في هذه الدنيا ضالاً كافراً، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته^(٥) .

(١) انظر هذه الأقوال، وأقوالاً أخرى، في: تفسير القرطبي: ٢٩٦/١٠-٢٩٧، الطبري: ١٥/١٢٦-١٢٧، زاد المسير: ٦٤/٥-٦٥، الدر المنثور: ٣١٦/٥-٣١٧ .

وقال الطبري: وأولى الأقوال عندنا بالصواب قول من قال: معنى ذلك: يوم ندعو كل أناس بإمامهم الذي كانوا يقتدون به، ويأتون به في الدنيا؛ لأن الأغلب من استعمال العرب «الإمام» فيما اتهم واقتدى به. وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر أولى، ما لم تثبت حجة بخلافه يجب التسليم لها .
(٢) «الفتيل» المقتول، وسمي ما يكون في شق الثوة فتيلاً لكونه على هيئة المفعول، وهو ما تقتله بين أصابعك من خيط أو وسخ، ويضرب به المثل في الشيء الحقير. وناقاة فتلأ الذراعين: مُحْكَمَةٌ .

انظر: مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني ص (٣٧١) .

(٣) أخرجه الفريابي وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور: ٣١٧/٥ .

(٤) الدر المنثور: ٣١٧/٥ .

(٥) ورجح الطبري قول من قال: معنى ذلك: ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتديرها وتصريف ما فيها، فهو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها، وفيما هو كائن فيها أعمى وأضل سبيلاً، يقول: وأضل طريقاً منه في أمر الدنيا التي قد عاينها ورآها.. لأن الله تعالى لم يخصص في قوله: «ومن كان في هذه أعمى» عمى الكافر به عن بعض حججه عليه فيها دون بعض، فيوجه ذلك إلى عماء عن نعمه بما أنعم به عليه من تكريمه بني آدم... .
انظر: تفسير الطبري: ١٥/١٢٨-١٢٩ .

وَأِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ
خَلِيلًا

وأمال بعض القراء هذين الحرفين، وفتحهما بعضهم، وكان أبو عمرو يكسر الأول ويفتح الثاني، فهو في الآخرة أشد عمى؛ لقوله: «وأضل سبيلاً». قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الآية، اختلفوا في سبب نزولها:

قال سعيد بن جبیر: كان النبي ﷺ يستلم الحجر الأسود فمنعته قريش، وقالوا: [لا تلم] (١) حتى تلم بأهتنا وتمسها، فحدث نفسه: ما علي أن أفعل ذلك، والله تعالى يعلم أني لها كاره، بعد أن يدعوني حتى أستلم الحجر الأسود (٢). وقيل: طلبوا منه أن يمس آهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه بذلك، فأنزل الله هذه الآية (٣).

قال ابن عباس: قدم وفد ثقيف على النبي ﷺ فقالوا: نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال، قال: وما هن؟ قالوا: أن لا ننحني - أي في الصلاة - ولا نكسر أصنامنا بأيدينا، وأن نمتنع باللات سنة من غير أن نعبدها. فقال النبي ﷺ: «لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود، وأما أن تكسروا أصنامكم بأيديكم فذاك لكم، وأما الطاغية - يعني اللات والعزى - فإني غير ممتعكم بها»، فقالوا: يا رسول الله إنا نحب أن نسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا، فإن خشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا، فقل: الله أمرني بذلك؟ فسكت رسول الله ﷺ، فطمع القوم في سكوتهم أن يعطيهم ذلك، فأنزل الله عز وجل هذه الآية (٤): ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ ليصرفونك عن الذي أوحينا إليك ﴿لِتَفْتَرِيَ﴾، لتختلق، ﴿عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا﴾، لو فعلت ما دَعَوَكَ إليه ﴿لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا﴾ أي: والوك وصانوك.

- (١) في «ب»: لا ندعك.
- (٢) أخرجه الطبري: ١٣٠/١٥، وابن أبي حاتم. (الدر المنثور: ٣١٨/١٥)، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٣٣٥)، وانظر: القرطبي: ٢٩٩/١٠. قال ابن الجوزي في «زاد المسير»: (٦٧/٥-٦٨): وهذا باطل، لا يجوز أن يُظن برسول الله ﷺ، ولا ما ذكر عن عطية من أنه هم أن يُظنهم سنة، وكل ذلك محال في حقه وفي حق الصحابة أنهم رَوَوْا ذلك.
- (٣) عزاه السيوطي لابن أبي حاتم وابن إسحاق وابن مردويه، عن ابن عباس، وعن جابر من طريق الكلبي. وهو ضعيف. انظر: الدر المنثور ٣١٨/٥، وراجع التعليق السابق.
- (٤) قال الحافظ ابن حجر في «الكاشي الشاف» ص (١٠٠): «لم أجده، وذكره الثعلبي عن ابن عباس من غير سنده وذكره الواحدي أيضاً في أسباب النزول ص (٣٣٥). وهذه الروايات كلها أعرض عنها الحافظ ابن كثير رحمه الله ولم يذكرها في تفسيره».

وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدِ كَدَّتْ تَرَكْنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ
 الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كَادُوا
 لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا
 قَلِيلًا ﴿٧٦﴾

﴿ولولا أن ثبتناك﴾، على الحق بعصمتنا، ﴿لقد كدت تركن﴾ أي: تميل، ﴿إليهم شيئاً قليلاً﴾
 أي: قريباً من الفعل .

فإن قيل: كان النبي ﷺ معصوماً، فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه وما طلبوه كفرة؟ .
 قيل: كان ذلك بخاطر قلب، ولم يكن عزمًا وقد غفر^(١) الله عز وجل عن حديث النفس .
 قال قتادة: كان النبي ﷺ يقول بعد ذلك: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين»^(٢) .
 والجواب الصحيح هو: أن الله تعالى قال: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد تركزن إليهم شيئاً
 قليلاً﴾ وقد ثبتته الله، ولم يركن، وهذا مثل قوله تعالى: «ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم
 الشيطان إلا قليلاً» (النساء - ٨٣)، [وقد تفضل فلم يتبعوا]^(٣) .

﴿إذا لأذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات﴾، أي: لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف عذاب
 الحياة، و ضعف عذاب الممات، يعني: أضعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة .

وقيل: «الضعف»: هو العذاب، سمي ضعفاً لتضاعف الألم فيه .
 ﴿ثم لا تجد لك علينا نصيراً﴾، أي: ناصرًا يمنعك من عذابنا .

قوله تعالى: ﴿وإن كادوا لiestفروزونك من الأرض ليخرجوك منها﴾، اختلفوا في معنى الآية،
 فقال بعضهم: هذه الآية مدنية. قال الكلبي: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة
 حسداً منهم، فأتوه وقالوا: يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء فإن أرض الأنبياء الشام،
 [وهي الأرض المقدسة، وكان بها إبراهيم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإن كنت نبياً مثلهم فأت
 الشام]^(٤)، وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافتك الروم، وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله،

(١) في «ب»: عفا .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص (١٠١): «لم أجده، وذكره الثعلبي عن قتادة مرسلًا». وقد تقدم أن هذه
 العبارة كافية في الحكم عليه بالوضع. وعدم اعتداد المصنف رحمه الله بالجواب وترجيحه غيره يدل على ضعفه عنده. وقارن
 بالطبري: ١٣١/١٥ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٤) ساقط من «أ» .

سُنَّةٌ مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

فمسكرو النبي ﷺ على ثلاثة أميال من المدينة. وفي رواية: إلى ذي الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويخرج، فأنزل الله هذه الآية و«الأرض» هاهنا هي المدينة^(١).

وقال مجاهد وقتادة: «الأرض» أرض مكة. والآية مكية، هم المشركون أن يُخرجوه منها، فكفهم الله عنه حتى أمره بالهجرة، فخرج بنفسه. وهذا أليق بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية^(٢).

وقيل: هم الكفار كلهم، أرادوا أن يستفروه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه، فمنع الله عز وجل رسوله ﷺ ولم ينالوا منه ما أملوا. والاستفزاز هو: الإزعاج بسرعة.

﴿وإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ﴾ أي: بعدك، وقرأ ابن عامر وحمة والكسائي وحفص ويعقوب ﴿خِلافَكَ﴾ اعتباراً بقوله تعالى: «فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله» (التوبة - ٨١)، ومعناها واحد^(٣). ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لا يلبثون بعدك إلا قليلاً حتى يهلكوا، فعلى هذا القول الأول: مدة حياتهم، وعلى الثاني: ما بين خروج النبي ﷺ إلى المدينة إلى أن قتلوا بيد.

قوله عز وجل: ﴿سُنَّةٌ مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ أي: كسنتنا، فانصب بحذف الكاف. وسنة الله في الرسل إذا كذبتهم الأمم أن لا يعذبهم ما دام نبهم بين أظهرهم، فإذا خرج نبهم من بين أظهرهم عذبهم.

﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾، أي تبديلاً.

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص (١٠١): «لم أجده. وذكره السهيلي في «الروض الأنف» عن عبدالمجيد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن غنم...»
وقال الحافظ ابن كثير: (٥٤/٣): قيل نزلت في اليهود إذ أشاروا على رسول الله ﷺ بسكنى الشام بلاد الأنبياء وترك سكنى المدينة.

وهذا القول ضعيف، لأن هذه الآية مكية، وسكنى المدينة بعد ذلك. وقيل: إنها نزلت بتبوك، وفي صحته نظر.
وروى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبدالجبار العطاردي، عن يونس بن بكير عن عبدالحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن غنم... - وساق القصة - ثم قال: «وفي هذا الإسناد نظر، والأظهر أن هذا ليس بصحيح فإن النبي ﷺ لم يغز تبوك عن قول اليهود، وإنما غزاها امتثالاً لقوله تعالى: «ها أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار»... وانظر: تفسير القرطبي: ٣٠١/١٠، أسباب النزول للواحد ص (٣٣٦). هذا، وقد رجح المصنف - رحمه الله - الرواية الآتية على هذه الرواية.

(٢) وهو ما رجحه الطبري في تفسيره: ١٣٣/١٥، والقرطبي: ٣٠١/١٠، وانظر: أسباب النزول للواحد ص (٣٣٦).

(٣) أي معنى: «خلافك» و«خلفك» وباللانية قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، عن عاصم. وسياق المصنف يوحي أن في الأصل سقطاً، وليس كذلك، لأن المثلث في النسخة الخطية القراءة الثانية «خلفك».

وانظر: زاد المسير: ٧٠/٥.

أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ
مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾

قوله: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾، اختلفوا في الدلوك: روي عن عبدالله بن مسعود أنه قال: الدلوك هو الغروب. وهو قول إبراهيم النخعي، ومقاتل بن حيان، والضحاك، والسدي. وقال ابن عباس: وابن عمر، وجابر: هو زوال الشمس، وهو قول عطاء، وقتادة، ومجاهد، والحسن، وأكثر التابعين.

ومعنى اللفظ يجمعهما لأن أصل الدلوك الميل، والشمس تميل إذا زالت وإذا غربت. والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به، ولأننا إذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها؛ «فدلوك الشمس»: يتناول صلاة الظهر والعصر، و«إلى غسق الليل»: يتناول المغرب والعشاء، و«قرآن الفجر»: هو صلاة الصبح^(١).

قوله عز وجل: ﴿إلى غسق الليل﴾، أي: ظهور ظلمته، وقال ابن عباس: بدؤ الليل. وقال قتادة: وقت صلاة المغرب. وقال مجاهد: غروب الشمس.

﴿وقرآن الفجر﴾، يعني: صلاة الفجر، سُمِّي صلاة الفجر قرآناً لأنها لا تجوز إلا بقرآن، وانتصاب القرآن من وجهين؛ أحدهما: أنه عطف على الصلاة، أي: وأقم قرآن الفجر، قاله الفراء، وقال أهل البصرة: على الإغراء أي وعلى قرآن الفجر.

﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾، أي: يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، أنبأنا شعيب عن الزهري، أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبدالرحمن أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تَفْضُلُ صَلَاةِ الْجَمِيعِ عَلَى صَلَاةِ أَحَدِكُمْ وَحَدَهُ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ جِزَاءً، وَتَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ»، ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾^(٢).

(١) انظر تفصيل ذلك في: تفسير القرطبي: ٣٠٣/١٠-٣٠٧، زاد المسير ٧٢/٥-٧٤، أحكام القرآن للجصاص: ٣١/٥-٣٢، أحكام القرآن لابن العربي: ١٢١٩/٣ وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري في الأذان، باب فضل صلاة الفجر في جماعة: ١٣٧/٢.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به﴾ أي: قم بعد نومك، والتهجد لا يكون إلا بعد النوم، يقال: تهجد إذا قام بعدما نام، وهجد إذا نام. والمراد من الآية: قيام الليل للصلاة.

وكانت صلاة الليل / فريضة على النبي ﷺ في الابتداء، وعلى الأمة، لقوله تعالى: «يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً» (المزمل - ١)، ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخاً في حق الأمة بالصلوات الخمس، وبقي الاستحباب: قال الله تعالى: «فاقرؤوا ما تيسر منه» (المزمل - ٢٠)، وبقي الوجوب في حق النبي ﷺ^(١).

وروي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «ثلاث هنّ عليّ فريضة، وهنّ سنة لكم: الوتر [والسواك]^(٢) وقيام الليل»^(٣).

قوله عزّ وجلّ: ﴿نافلة لك﴾ أي: زيادة لك، يريد: فضيلة زائدة، على سائر الفرائض، فرضها الله عليك.

وذهب قوم إلى أن الوجوب صار منسوخاً في حقه كما في حق الأمة، فصارت نافلة، وهو قول مجاهد وقتادة، لأن الله تعالى قال: «نافلة لك» ولم يقل عليك^(٤).

فإن قيل: فما معنى التخصيص وهي زيادة في حق كافة المسلمين كما في حقه ﷺ؟ قيل: التخصيص من حيث إن نوافل العباد كفارة لذنوبهم، والنبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكانت نوافله لا تعمل في كفارة الذنوب فتبقى له زيادة في رفع الدرجات.

(١) قال القرطبي: (٣٠٨/١٠-٣٠٩) وفي هذا بُعِدَ لوجهين:

أحدهما: تسمية الفرض بالنفل، وذلك مجاز لا حقيقة.

الثاني: قوله ﷺ: «خمس صلوات فرضهن الله على العباد» وقوله تعالى - في حديث المراح - «هنّ خمس وهنّ خمسون، لا يبدل القول لدي»، وهذا نص، فكيف يقال افترض عليه صلاة زائدة على الخمس؟ هذا مالا يصح، وإن كان قد روي عنه عليه الصلاة والسلام: «ثلاث عليّ فريضة...».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، وفيه موسى بن عبدالرحمن الصنعائي، وهو كذاب انظر: مجمع الزوائد: ٢٦٤/٨.

وعن ابن عباس أخرجه: الإمام أحمد في المسند: ٢٣١/١، والبيهقي في السنن: ٤٦٨/٢، والحاكم في المستدرک: ٣٠٠/١ قال الذهبي: ما تكلم الحاكم عليه، وهو غريب منكر، ويحیی ضعفه النسائي والدارقطني.

وقال الهيثمي: أخرجه أحمد واليزار بأسانيد، والطبراني في الكبير والأوسط، وفي أسانيد جابر الجعفي وهو ضعيف، وأبو جناب الكلبي مدلس.

وانظر: نصب الرأية ١١٥/٢، تلخيص الحبير: ١١٨/٣، فيض القدير: ٣٠٩/٣، مجمع الزوائد: ٢٦٤/٨.

(٤) راجع: زاد المسير: ٧٥/٥-٧٦، القرطبي: ٣٠٨/١٠-٣٠٩، أحكام القرآن للجصاص: ٣٣-٣٢/٥.

أخبرنا أبو محمد عبدالله بن عبد الصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا قتيبة وبشر بن معاذ قالوا: حدثنا أبو عوانة عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: قام النبي ﷺ حتى انتفخت قدماه، فقيل له: أنتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»^(١).

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم ابن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك، عن عبدالله بن أبي بكر عن أبيه عن عبدالله ابن قيس بن مخزومة أنه أخبره عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: لأرْمُقَنَّ صلاة رسول الله ﷺ: الليلة^(٢)، فتوسَّدْتُ عتبه أو فسطاطه، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم صلى ركعتين طويلتين، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما، [ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما]، ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة^(٤).

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه أخبره أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ قالت: ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان، ولا في غيره، على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً. قالت عائشة فقلت: يارسول الله أتنام قبل أن توتر؟ فقال: «يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي»^(٥).

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني، أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق، أخبرنا يونس بن هارون بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس، وابن أبي ذئب، وعمر بن الحارث، أن ابن شهاب أخبرهم عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ «يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب «ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك»: ٥٨٤/٨، وفي التهجد، باب قيام النبي ﷺ الليل: ١٤/٣، ومسلم في صفات المنافقين، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، برقم (٢٨١٩): ٢١٧١/٤، والمصنف في شرح السنة: ٤٤/٤، ورواية الترمذي في «الشمائل المحمدية» ص (١٥٩).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٤) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم (٧٦٥): ٥٣١/١-٥٣٢، والمصنف في شرح السنة ١٩/٤.

(٥) أخرجه البخاري في التهجد، باب قيام النبي ﷺ في رمضان وغيره: ٣٣/٣، ومسلم في صلاة المسافرين، باب صلاة الليل، برقم (٧٣٨) ٥٠٩/١، والمصنف في شرح السنة: ٥٠٤/٤.

عشرة ركعة، يسلم من كل ركعتين، ثم يوتر بواحدة، فيسجد السجدة قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه، فإذا سكت المؤذن من أذان الفجر، وتبين له الفجر، قام فركع ركعتين خفيفتين، ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة فيخرج. وبعضهم يزيد على بعض (١).

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحى، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسى، أخبرنا عبدالرحمن بن منيب، أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا حميد الطويل، عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال: ما كنا نشاء أن نرى رسول الله ﷺ من الليل مصلياً إلا رأيناه، ولا نشاء أن نراه نائماً إلا رأيناه، وقال: كان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيئاً، ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيئاً (٢).

قوله عز وجل: ﴿عسى أن يعثلك ربك مقاماً محموداً﴾ عسى من الله تعالى واجب، لأنه لا يدع أن يعطي عباده أو يفعل بهم ما أطمعهم فيه .

والمقام المحمود هو: مقام الشفاعة لأتمه لأنه يحمد فيه الأولون والآخرون:

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، أخبرنا عبدالله بن يزيد المقرئ، أخبرنا حياة عن كعب عن علقمة عن عبدالرحمن بن جبير عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول: ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبيد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة» (٣).

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا علي بن عباس، حدثنا سعيد بن أبي حمزة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة» (٤).

(١) أخرجه مسلم في الموضوع السابق برقم (٧٣٦): ٥٠٨/١، والمصنف في شرح السنة: ٧/٤.

(٢) أخرجه البخاري في التهجد، باب قيام النبي ﷺ من نومه: ٢٢/٣، وفي مواضع أخرى، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٧/٤.

(٣) أخرجه مسلم في الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن، برقم (٣٨٤): ٢٨٨/١-٢٨٩، والمصنف في شرح السنة: ٢٧٤/٢.

(٤) أخرجه البخاري في الأذان، باب الدعاء عند النداء: ٩٤/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٨٤/٢.

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبدالله الصالحي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الجبيري، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي، أخبرنا عبدالرحيم^(١) بن منيب، أخبرنا يعلى عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي دعوة مستجابة، وإنّي اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، وهي نائلة منكم - إن شاء الله - من مات لا يشرك بالله شيئاً»^(٢).

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل قال: وقال حجاج بن منهل، حدثنا همام بن يحيى، حدثنا قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: «يُخْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَهْتَمُوا بِذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيَرْيَحُنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنْكَ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، أَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يَرْيَحُنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَ وَيَذَكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ وَأَكَلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَقَدْ نَهَى عَنْهَا، وَلَكِنْ اتَّبَعُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيِّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ».

فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَ، وَيَذَكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، سُؤَالَ رَبِّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَكِنْ اتَّبَعُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، قَالَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَ وَيَذَكُرُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ كَذَبْنَاهُ، وَلَكِنْ اتَّبَعُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا .

قال: فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكَ، وَيَذَكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ بِقَتْلِ النَّفْسِ^(٣)، وَلَكِنْ اتَّبَعُوا عِيسَى، عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ .

فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَ / وَلَكِنْ اتَّبَعُوا مُحَمَّدًا عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ .

قال: فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ^(٤) فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ وَقَعْتَ سَاجِدًا قَبَدَعْنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعْنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَقُلْ تُسْمِعُ وَأَشْفَعُ تُشْفَعُ، وَسَلْ تَعْطَى، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِنِشَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يَعْلَمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأُخْرَجُ، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ .

(١) في «أ»: عبدالرحمن. والمثبت من «ب» ومن «شرح السنة» .

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، برقم (١٩٩): ١/١٨٩، والمصنف في شرح السنة: ٦/٥ .

(٣) في «ب»: قتله القبطي .

(٤) قال الخطابي في «أعلام الحديث»: (٤/١٢٥٧): «وقوله: (في داره) يومه مكاناً، كاللفظة الأولى في القصة المتقدمة، وهي قوله: «وهو مكانه». ومعنى قوله: «فأستأذن على ربِّي في داره فيؤذن لي عليه» أي: في داره التي دورها لأوليائه وهي الجنة، كقوله عز وجل: «والله يدعو إلى دار السلام» (يونس - ٢٥)، وكما يقال: بيت الله وحرم الله، يريدون بيت الله الذي جعله مثابة للناس، والحرم الذي جعله آمناً لهم...» .

وانظر: فتح الباري ١٣/٤٢٨، وعمدة القاري: ١٣٢/٢٤ .

قال قتادة: وسمعت أيضاً يقول: فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأستأذن على ربي في داره، فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع رأسك يا محمد، وقل تُسمع، واشفع تُشفع، وسل تعطه، قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة، [ثم أعود الثالثة فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع رأسك يا محمد، وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه، قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة] (١).

قال قتادة: وقد سمعته أيضاً يقول: «فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن» - أي وجب عليه الخلود - قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿عسى أن يعثبك ربك مقاماً محموداً﴾ [قال: «وهذا المقام المحمود»] (٢) الذي وعده نبيكم ﷺ (٣).

وبهذا الإسناد قال: حدثنا [محمد بن إسماعيل حدثنا] (٤) سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا معبد بن هلال الغزي قال: ذهبنا إلى أنس بن مالك فذكر حديث الشفاعة، بمعناه، قال: «فأستأذن على ربي فيؤذن لي، ويلهمني محمداً أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع [وسل تعطه]» (٥) واشفع تشفع، فأقول: يارب أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنتلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخرج له ساجداً وذكر مثله، فيقال: انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من الإيمان. فأنتلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرج له ساجداً، وذكر مثله، ثم يقال: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان، فأنتلق فأفعل، فلما خرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثنا بالحديث إلى هذا الموضع، فقال: هيه، فقلنا: لم يزدنا على هذا، فقال: لقد حدثني وهو [يومئذ جميع] (٦) منذ عشرين سنة كما حدثكم، ثم قال: ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرج له ساجداً فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول ياربي أتأذن فيمن قال لا إله إلا الله؟ فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله» (٧).

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد، باب «وجوه يومئذ ناضرة...» ٤٢٢/١٣.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٤) في «ب»: مجتمع جميعه.

(٥) أخرجه البخاري في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء: ٤٧٣/١٣، ومسلم في الإيمان، باب أدنى

أهل الجنة منزلة فيها، برقم (١٩٣): ١٨٣/١-١٨٤.

وروي عن عبدالله بن عمر قال: «إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فيبينا هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد ﷺ [فيشفع ليقضى بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً، يحمده أهل الجمع كلهم]»^(١).

وأخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو محمد عبدالله بن يوسف بن محمد^(٢) بن ماموية، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا محمد بن حموية، حدثنا سعيد ابن سليمان، حدثنا منصور بن أبي الأسود، حدثنا الليث، عن الربيع بن أنس، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولهم خروجاً [إذا بُعثوا]^(٣)، وأنا قائلهم إذا وقّدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا شفيعهم إذا حُسبوا [وأنا مبشرهم إذا أُيسوا]^(٣) الكرامة، والمفاتيح يومئذ بيدي، ولواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي، يطوف علي ألف خادم كأنهم يبيض مكنون، أو لؤلؤ منشور»^(٤).

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أخبرنا عبدالغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثني الحكم بن موسى، حدثنا معقل ابن زياد عن الأوزاعي، حدثني أبو عمار، حدثني عبدالله بن فروخ، حدثني أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مُشفع»^(٥).

والأخبار في الشفاعة كثيرة، وأول من أنكرها عمرو بن عبيد، وهو مبتدع باتفاق أهل السنة^(٦).

(١) أخرجه البخاري تعليقاً في الزكاة، باب من سأل الناس تكثيراً: ٣٣٨/٣، ورواه موصولاً: الطبري في التفسير: ١٤٦/١٥، والبيزار، والطبراني في الأوسط، وابن منده في الإيمان: ٨٣٣/٣، وقال: «هذا إسناد ثابت على رسم البخاري» . وانظر: فتح الباري: ٣٣٩/٣، الدر المنثور: ٣٢٥/٥ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٤) أخرجه الترمذي في المناقب، باب ما جاء في فضل النبي ﷺ: ٧٩/١٠، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وفي بعض النسخ: «غريب»، وأخرجه الدارمي في المقدمة، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل: ٢٦/١-٢٧، والمصنف في شرح السنة: ٢٠٣/١٣، وقال: «هذا حديث غريب» وفيه الليث بن أبي سليم وهو ضعيف. وانظر: مشكاة المصابيح: ١٦٠/٣ .

(٥) أخرجه مسلم في الفضائل: باب تفضيل نبينا محمد ﷺ على جميع الخلائق، برقم (٢٢٧٨): ١٧٨٢/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٠٣/١٣-٢٠٤ .

(٦) انظر احتجاج الخوارج على نفي الشفاعة لأهل الذنوب، وشبهتهم، والرد عليهم في: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ١١٦/١، ١٤٦-١٤٩، القرطبي: ٣١٠/١٠ .

وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِيْ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا

نَّصِيْرًا ﴿٨٠﴾

وروي عن يزيد بن صهيب الفقير قال: كنت قد شغفني رأيي من رأيي^(١) الخوارج، وكنت رجلاً شاباً فخرجنا في عصاية، نريد أن نحج، فمررنا على المدينة، فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم عن رسول الله ﷺ، وذكر الجهنميين، فقلت له: يا صاحب رسول الله ما هذا الذي يحدثون والله عز وجل يقول: «إنك من تدخل النار فقد أخزيت» (آل عمران - ١٩٢) و«كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها» (السجدة - ٢٠)؟ فقال لي: يافتي تقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: هل سمعت بمقام محمد المحمود الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار، [ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه]^(٢)، وأن قوماً يخرجون من النار بعد ما يكونون فيها، قال: فرجعنا وقلنا أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ؟^(٣)

وروي عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل اتخذ إبراهيم خليلاً، وإن صاحبكم حبيب^(٤) الله وأكرم الخلق على الله»، ثم قرأ: ﴿عسى أن يعطك ربك مقاماً محموداً﴾^(٥) [قال: يقعد على العرش]^(٦).

[وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿عسى أن يعطك ربك مقاماً محموداً﴾، قال: يجلسه على العرش]^(٧).

وعن عبد الله بن سلام قال: يقعده على الكرسي^(٨).

قوله عز وجل: ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق﴾، والمراد من

(١) زيادة من «ب» .

(٢) ساقط من «أ» .

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلاً، برقم (١٩١): ١٧٩/١ .

(٤) في «ب»: خليل .

(٥) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٥٥/٨): «في الصحيح منه: «وإن صاحبكم خليل الله» فقط في أثناء حديث - رواه الطبراني - وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف» .

(٦) ساقط من «ب» .

(٧) ما بين القوسين ساقط من «ب». والخبر عن مجاهد أخرجه الطبري: ١٤٥/١٥ .

(٨) قال الطبري: إن القول الأول في تفسير المقام المحمود بالشفاعة هو أولى بالصواب، فقد صح به الخبر عن رسول الله ﷺ . وإن كان هذا هو الصحيح فإن ما قاله مجاهد غير مدفوع، لا من جهة خبر ولا نظر، وذلك لأنه لا خبر عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه، ولا عن التابعين بإحالة ذلك .

انظر: تفسير الطبري: ١٤٥/١٥-١٤٧، تفسير القرطبي: ٣١١/١٠-٣١٢ .

وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

المدخل والمخرج: الإدخال والإخراج، واختلف أهل التفسير فيه :
فقال ابن عباس والحسن وقتادة: «أدخلني مدخل صدق»: المدينة. «وأخرجني مخرج صدق»: مكة، نزلت حين أمر النبي ﷺ بالهجرة (١).

وقال الضحاك: «وأخرجني مخرج صدق»: من مكة آمناً من المشركين، «وأدخلني مدخل صدق»: مكة ظاهراً عليها بالفتح .

وقال مجاهد: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق الجنة، وأخرجني من الدنيا، وقد قمت بما وجب علي من حقها، مخرج صدق .

وعن الحسن أنه قال: «أدخلني مدخل صدق»: الجنة، «وأخرجني مخرج صدق»: من مكة .
وقيل أدخلني في طاعتك، وأخرجني من المناهي، وقيل: معناه أدخلني حيث ما أدخلتني بالصدق، وأخرجني بالصدق، أي: لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه، فإن ذا الوجهين لا يكون آمناً ووجيهاً عند الله .

ووصف الإدخال والإخراج بالصدق لما يؤول إليه الخروج والدخول من النصر والعز ودولة الدين، كما وصف القدم بالصدق فقال: «أن لهم قدم صدق عند ربهم» (يونس - ٢) .

﴿واجعل لي من لَدُنْكَ سلطاناً نصيراً﴾، قال مجاهد: حجة بينة. وقال الحسن: ملكاً قوياً تنصرتني به على من ناوأني (٢) وعزاً ظاهراً أقيم به دينك. فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما فيجعله له .

قال قتادة: علم نبي الله ﷺ أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان [نصير] (٣)، فسأل سلطاناً نصيراً: كتاب الله، وحدوده، وإقامة دينه .

قوله عز وجل: ﴿وقل جاء الحق﴾، يعني القرآن، ﴿وزهق الباطل﴾، أي: ذهب الشيطان، قال قتادة، وقال السدي: «الحق»: الإسلام، و«الباطل»: الشرك. وقيل: «الحق»: عبادة الله، و«الباطل»: عبادة الأصنام .

﴿إن الباطل كان زهوقاً﴾ ذاهباً، يقال: زهقت نفسه أي خرجت .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا

(١) أخرجه أحمد والترمذي عن ابن عباس. انظر: ابن كثير: ٥٩/٣، وهو ما رجحه الطبري في التفسير: (١٥٠/١٥) .

(٢) في «أ»: عاداني .

(٣) ساقط من «أ» .

وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ
 إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٤﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۗ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ
 يَئُوسًا ﴿٨٥﴾

محمد بن إسماعيل، حدثنا صدقة بن الفضل، حدثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد عن أبي
 معمر عن عبد الله، قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصْبٍ،
 فجعل يطعنها بعُودٍ [في يده] (١) ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل»، «جاء الحق وما يبدى الباطل
 وما يعيد» (٢).

/ قوله عز وجل: ﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، قيل: «من» ليس
 للتبعيض، ومعناه: ونزل من القرآن ما كله شفاء، أي: بيان من الضلالة والجهالة، يتبين به المختلف،
 ويتضح به المشكل، ويستشفى به من الشبهة، ويهتدى به من الحيرة، فهو شفاء القلوب بزوال الجهل
 عنها ورحمة للمؤمنين .

﴿ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾، لأن الظالم لا ينتفع به، والمؤمن من ينتفع به فيكون رحمة له .
 وقيل: زيادة الخسارة للظالم من حيث أن كل آية تنزل يتجدد منهم تكذيب ويزداد لهم خسارة .
 قال قتادة: لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، قضى الله الذي قضى
 شفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً .

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ﴾، عن ذكرنا ودعائنا، ﴿وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾، أي
 تباعد عنا بنفسه، أي ترك التقرب إلى الله بالدعاء. وقال عطاء: تعظم وتكبر، ويكسر النون والهمزة
 حمزة والكسائي، ويفتح النون ويكسر الهمزة أبو بكر، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر «وناء» مثل جاء
 قيل: هو بمعنى نأى، وقيل: ناء من النوء وهو النهوض والقيام .

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾، الشدة والضرر، ﴿كَانَ يَؤُوسًا﴾، أي آيساً قنوطاً. وقيل: معناه أنه يتضرع
 ويدعو عند الضرر والشدة، فإذا تأخرت الإجابة يئس ولا ينبغي للمؤمن أن يئس من الإجابة، وإن
 تأخرت فیدع الدعاء .

(١) ساقط من «أ» .

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، باب: «وقل جاء الحق وزهق الباطل...»: ٤٠٠/٨ .

قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ۚ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ
عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾، قال ابن عباس: على ناحيته .
قال الحسن وقتادة^(١): على نيته .

وقال مقاتل: على خليفته .

قال الفراء على طريقته التي جبل عليها .

وقال القتيبي: على طبيعته وجبلته .

وقيل: على السبيل الذي اختاره لنفسه، وهو من الشكل، يقال: لست على شكلي ولا شاكلي،
وكلها متقاربة، تقول العرب: طريق ذو شواكل إذا تشعبت منه الطرق. ومجاز الآية: كل يعمل
على ما يشبهه، كما يقال في المثل: كل امرئ يشبه فعله .

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ أوضح طريقاً .

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾، الآية .

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف،
حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قيس بن حفص، حدثنا عبدالواحد - يعني ابن زياد - حدثنا الأعمش
عن إبراهيم، عن علقمة عن عبدالله قال: بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في حَرْتِ^(٢) المدينة، وهو
يتوكأ على عَسِينِيبِ^(٣) معه، فمرّ بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال
بعضهم: لا تسألوه، لا يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم لنسأله، فقام رجل منهم فقال:
يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت، فقلت: إنه يُوحَى إليه، فقامت، فلما انجلى عنه الوحي، قال:
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٤) قال الأعمش:
هكذا في قراءتنا .

(١) ساقط من «أ» .

(٢) موضع الزرع .

(٣) جريدة النخل .

(٤) أخرجه البخاري في التفسير، سورة الإسراء، باب ويسألونك عن الروح: ٤٠١/٨، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم،
باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح.. برقم (٢٧٩٤): ٢١٥٢/٤ .

وروي عن ابن عباس أنه قال: إن قريشاً قد اجتمعوا وقالوا: إن محمداً نشأ فينا بالأمانة والصدق وما اتهمناه بكذب، وقد ادعى ما ادعى، فابعثوا نفرأ إلى اليهود بالمدينة وأسألوهم عنه فإنهم أهل كتاب فبعثوا جماعة إليهم، فقالت اليهود: سلوه عن ثلاثة أشياء، فإن أجاب عن كلها أو لم يجب عن شيء منها، فليس بنبي، وإن أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحدة فهو نبي، فسلوه عن فتية فقدوا في الزمن الأول، ما كان من أمرهم؟ فإنه كان لهم حديث عجيب، وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها ما خبره؟ وعن الروح؟ فسأله، فقال النبي ﷺ: أخبركم بما سألتكم غداً ولم يقل إن شاء الله، فلبث الوحي - قال مجاهد: اثني عشرة ليلة، وقيل: خمسة عشر يوماً وقال عكرمة: أربعين يوماً - وأهل مكة يقولون: وعدنا محمد غداً وقد أصبحنا لا نخبرنا بشيء، حتى حزن النبي ﷺ من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة، ثم (١) نزل جبريل بقوله: «ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله»، ونزلت قصة الفتية (٢) «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا»، ونزل فيمن بلغ الشرق والغرب «ويستلونك عن ذي القرنين»، ونزل في الروح «ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي» (٣).

واختلفوا في الروح الذي وقع السؤال عنه، فروي عن ابن عباس: أنه جبريل، وهو قول الحسن وقتادة .

وروي عن علي أنه قال: هو ملك له سبعون ألف وجه، لكل وجه سبعون ألف لسان، يسبح الله تعالى بكلها .

وقال مجاهد: خلّق على صور بني آدم، لهم أيدي وأرجل ورؤوس، وليسوا بملائكة، ولا ناس، يأكلون الطعام .

وقال سعيد بن جبير: لم يخلق الله تعالى خلقاً أعظم من الروح غير العرش، لو شاء أن يتلع السموات السبع والأرضين السبع ومن فيها بلقمة واحدة لفعل، صورة خلقه على صورة خلق الملائكة وصورة وجهه على صورة آدميين، يقوم يوم القيامة عن يمين العرش وهو أقرب الخلق إلى الله عز وجل اليوم عند الحجب السبعين، وأقرب إلى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لأهل التوحيد، ولولا أن بينه وبين الملائكة ستراً من نور لاحترق أهل السموات من نوره .
وقيل: الروح هو القرآن .

(١) في «ب»: إذ .

(٢) في «ب»: ونزل في الفتية .

(٣) أخرجه ابن إسحاق، والطبري، وابن المنذر، وأبو نعيم، والبيهقي، كلاهما في الدلائل .

انظر: الدر المنثور: ٣٥٧/٥، ابن كثير: ٧٢/٣، أسباب النزول ص (٣٣٨) .

وَلَيْنَ شِئْنَا لَنذَهِبَنَّا بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَايِنًا وَكَيْلًا ﴿٨٦﴾

وقيل: المراد منه عيسى عليه السلام، فإنه روح الله وكلمته، ومعناه: أنه ليس كما يقول اليهود ولا كما يقوله النصارى .

وقال قوم: هو الروح المركب في الخلق الذي يحيا به الإنسان، وهو الأصح .
وتكلم فيه قوم فقال بعضهم: هو الدم، ألا ترى أن الحيوان إذا مات لا يفوت منه شيء إلا الدم؟ .

وقال قوم: هو نَفْسُ الحيوان، بدليل أنه يموت باحتباس النفس .

وقال قوم: هو عَرَضُ .

وقال قوم: هو جسم لطيف .

وقال بعضهم: الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلو والبقاء، ألا ترى أنه إذا كان موجوداً يكون الإنسان موصوفاً بجميع هذه الصفات^(١)، فإذا خرج ذهب الكل^(٢)؟

وأولى الأقاويل: أن يوكل علمه إلى الله عز وجل، وهو قول أهل السنة. قال عبدالله بن بريدة: إن الله لم يُطْلَعِ على الروح مَلَكًا مَقْرَبًا، ولا نبياً مرسلًا .

وقوله عز وجل: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ قيل: من علم ربي .

﴿وَمَا أَوْتِيمُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: في جنب علم الله^(٣). قيل: هذا خطاب للرسول

ﷺ .

وقيل: خطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير .

وقيل: كان النبي ﷺ يعلم معنى الروح؛ ولكن لم يخبر به أحداً لأن ترك إخباره به كان عِلْمًا لِنَبَوْتِهِ .

والأول أصح؛ لأن الله عز وجل استأثر بعلمه .

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنَّا لَنذَهِبَنَّا بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، يعني القرآن. معناه: إنا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك، لو شئنا لنذهبنا بالذي أوحينا إليك، يعني: القرآن، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَايِنًا وَكَيْلًا﴾، أي: من يتوكل برد القرآن إليك .

(١) في «أ»: الأوصاف .

(٢) انظر هذه الأقوال في: زاد المسير: ٨٢/٥، الطبري: ١٥٦/١٥-١٥٧، ابن كثير: ٦٢/٣ .

(٣) انظر: زاد المسير: ٨٣/٥ .

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ
وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾

﴿إلا رحمة من ربك﴾، هذا استثناء منقطع معناه: لكن^(١) لا نشاء ذلك رحمة من ربك .
﴿إن فضله كان عليك كبيراً﴾، فإن قيل: كيف يذهب القرآن وهو كلام الله عز وجل؟
قيل: المراد منه: مخوّه من المصاحف وإذهاب ما في الصدور .

وقال عبدالله بن مسعود: اقرؤوا القرآن قبل أن يرفع، فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع. قيل:
هذه المصاحف ترفع، فكيف بما في صدور الناس؟ قال يسري عليه ليلاً فيرفع ما في صدورهم،
فيصبحون لا يحفظون شيئاً ولا يجدون في المصاحف شيئاً، ثم يفيضون في الشعر^(٢) .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل،
له دويي حول العرش كدوي النحل، فيقول الرب مالك وهو أعلم؟ فيقول: يارب أئلى ولا يُعمل
بي^(٣) .

/ قوله جلّ وعلا: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله﴾، لا يقدرّون على ذلك، ﴿ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾، عوناً ومظاهراً .
نزلت حين قال الكفار: لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله تعالى^(٤) .
فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب، وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة
لا يشبه كلام الخلق، لأنه غير مخلوق، ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله .

(١) ساقط من (أ) .

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، وأخرج نحوه أيضاً موقوفاً الطبراني بسند صحيح .

انظر: الدر المنثور: ٣٣٤/٥، فتح الباري: ١٦/١٣ .

قال ابن الجوزي في «زاد المسيرة»: (٨٤/٥): «رد أبو سليمان الدمشقي صحة هذا الحديث بقوله عليه الصلاة والسلام:
«إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً...» (متفق عليه) .
ثم قال: وحديث ابن مسعود مروى من طرق حسان، فيحتمل أن يكون النبي ﷺ أراد بالعلم ما سوى القرآن، فإن
العلم ما يزال ينقرض حتى يكون رفع القرآن آخر الأمر .

(٣) عزاه في كنز العمال: (٢٠٣٣/٤) للدبلي في مسند الفردوس. وأشار السيوطي إلى أن العزو إليه مؤذن بالضعف .

(٤) انظر: البحر المحيط: ٧٨/٥ .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾
 وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾، من كل وجه من العبر والأحكام والوعد والوعيد وغيرها، ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾، جحوداً^(١).
 قوله عز وجل : ﴿وقالوا لن نؤمن لك﴾، لن نصدقك، ﴿حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب ﴿تفجر﴾ بفتح التاء وضم الجيم مخففاً، لأن ينبوع واحد، وقرأ الباقون بالتحديد من التفجير، واتفقوا على تحديد قوله: ﴿تفجر الأنهار خلالها تفجيراً﴾، لأن الأنهار جمع، والتحديد يدل على الكثير، ولقوله «تفجيراً» من بعد .

وروى عكرمة عن ابن عباس: أن عتبة وشيبة ابني ربيعة، وأبا سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث، وأبا البختري بن هشام، والأسود بن عبدالمطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام، وعبدالله بن أبي أمية، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، ونبهياً ومنبهاً ابني الحجاج، اجتمعوا ومن اجتمع معهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تُعذروا فيه، فبعثوا إليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بدء، وكان عليهم حريصاً، يجب رشدهم حتى جلس إليهم، فقالوا: يا محمد إنا بعثنا إليك لنعذر فيك وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفّهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح إلا وقد جنته فيما بينك وبيننا، فإن كنت جنت بهذا الحديث تطلب به مالاً جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تطلب الشرف سوّدناك علينا، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الأمر الذي بك رئيّ تراه قد غلب عليك، لا تستطيع رده، بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه، أو نعذر فيك، وكانوا يسمّون التابع من الجن: الرئيّ .

فقال رسول الله ﷺ : ما بي ما تقولون، ما جنتكم بما جنتكم به لطلب أموالكم ولا الشرف عليكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم .

(١) ساقط من «أ» .

أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خَلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿١١﴾

فقالوا: يا محمد إن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد أضيقت منا بلاداً ولا أشد منا عيشاً، فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال، فقد ضيقت علينا، ويسط لنا بلادنا ويفجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضي من آبائنا، وليكن منهم قصي بن كلاب، فإنه كان شيخاً صدوقاً، فنسألك عما تقول: أحق هو أم باطل؟ فإن صدقك صدقناك .

فقال رسول الله ﷺ: ما بهذا بعثت، فقد بلغتكم ما أرسلت به، فإن تقبلوه مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه أصبر لأمر الله .

قالوا: فإن لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث لنا ملكاً يصدقك، واسأله أن يجعل لك جناتاً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك، فإنك تقوم بالأسواق وتلمس المعاش كما نلتمسه .

فقال: ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً .

قالوا: فأسقط السماء كما زعمت، إن ربك لو شاء فعل .

فقال: ذلك إلى الله إن شاء فعل ذلك بكم فعله .

وقال قائل منهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً .

فلما قالوا ذلك، قام رسول الله ﷺ وقام معه عبدالله بن أبي أمية، وهو ابن عمته عاتكة بنت عبدالمطلب، فقال: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا عليك فلم تقبله منهم، ثم سألك لأنفسهم أموراً يعرفون بها منزلتك من الله تعالى فلم تفعل، ثم سألك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب، فلم تفعل، فوالله لا أؤمن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ترقى فيها وأنا أنظر حتى تأتيا وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول، وإيم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك، فانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً لما رأى من مبادعتهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض﴾^(١) يعني: أرض مكة ﴿بنبوعاً﴾ أي: عيوناً .

﴿أو تكون لك جنة﴾، بستان ﴿من نخيل وعنب تفجر الأنهار خلالها تفجيراً﴾، تشقيقاً .

(١) انظر: سورة ابن هشام: ١/٢٩٥-٢٩٧، تفسير الطبري: ١٥/١٦٤-١٦٦، أسباب النزول للواحدي ص (٣٣٨-٣٤٠)،

تفسير ابن كثير: ٣/٦٣-٦٤ .

أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِلِلِّهِ وَأَمَلَيْكَ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾
 أَوْ يَكُونُ لَكَ يَبْتُ مِّنْ زُحْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ
 حَتَّى تُنزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا
 رَسُولًا ﴿٩٣﴾

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾، قرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح السين، أي: قطعاً، وهي جمع «كسفة»، وهي: القطعة والجانب، مثل: كِسْرَةٌ وكِسْرٌ. وقرأ الآخرون بسكون السين على التوحيد، وجمعه أكساف وكسوف، أي: تسقطها طبقاً [واحداً] ^(١)، وقيل: أراد جانبها علينا. وقيل: معناه أيضاً القطع، وهي جمع التكسير مثل سدره وسدر في الشعراء وسبأ ﴿كِسْفًا﴾ بالفتح، حفص، وفي الروم ساكنة أبو جعفر، وابن عامر.

﴿أَوْ تَأْتِي بِلِلِّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا﴾، قال ابن عباس: كفيلاً، أي: يكفلون بما تقول. وقال الضحاک: ضامناً. وقال مجاهد: هو جمع القبيلة، أي: بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة. [وقال قتادة: عياناً أي: تراهم القابلة] ^(٢) أي: معانية. [وقال الفراء: هو من قول العرب لقيت فلاناً قبيلًا، وقبيلًا أي: معانية] ^(٣).

﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ يَبْتُ مِّنْ زُحْرُفٍ﴾ أي: من ذهب، وأصله الزينة، ﴿أَوْ تَرْقَى﴾، تصعد، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، هذا قول عبد الله بن أبي أمية، ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾، لصعودك، ﴿حَتَّى تُنزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ﴾، أمرنا فيه باتباعك، ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾، وقرأ ابن كثير وابن عامر ﴿قَالَ﴾ يعني عمداً، وقرأ الآخرون على الأمر، أي: قل يا محمد، ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾، أمره بتنزيهه وتمجيده، على معنى أنه لو أراد أن ينزل ما طلبوا لفعل، ولكن الله لا ينزل الآيات على ما يقترحه البشر، وما أنا إلا بشر وليس ما سألتم في طوق البشر.

واعلم أن الله تعالى قد أعطى النبي ﷺ من الآيات والمعجزات ما يعني عن هذا كله، مثل: القرآن، وانشقاق القمر، وتفجير العيون من بين الأصابع وما أشبهها، والقوم عامتهم كانوا متعنتين لم يكن قصدهم طلب ^(٤) الدليل ليؤمنوا، فردّ الله عليهم سؤالهم.

(١) ساقط من «أ».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) ساقط من «أ».

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾
 قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ
 السَّمَاءِ مَلَكَاتٍ رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ
 كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ
 لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ، وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيَائًا وَكَمَا وَصَلْنَا
 مَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾

قوله عز وجل : ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا﴾، جهلاً منهم،
 ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾، أراد: أن الكفار كانوا يقولون لن تؤمن لك لأنك بشر، وهلا بعث
 الله إلينا ملكاً؟ فأجابهم الله تعالى :

﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين﴾، مستوطنين مقيمين، ﴿لنزلنا عليهم من
 السماء ملكاً رسولاً﴾، من جنسهم؛ لأن القلب إلى الجنس أميل منه إلى غير الجنس .
 ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾، أي رسول الله إليكم^(١)، ﴿إنه كان عباده خبيراً
 بصيراً﴾ .

/ قوله عز وجل : ﴿ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه﴾،
 يهدونهم، ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم﴾ .

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحى، أخبرنا الحسن بن شجاع الصوفي المعروف بابن الموصلي،
 أنبأنا أبو بكر بن الهيثم، حدثنا جعفر بن محمد الصائغ، حدثنا حسين بن محمد، حدثنا سفيان عن
 قتادة عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال النبي
 ﷺ : ﴿إن الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه﴾^(٢) .

وجاء في الحديث: ﴿إنهم يتقون بوجوههم كلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ﴾^(٣) . ﴿عمياً وبكماً ووصماً﴾ .

(١) في «ب»: أي رسوله إليكم .

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة الفرقان، باب «الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم»: ٤٩٢/٨، ومسلم في المناقن،
 باب يحشر الكافر على وجهه، برقم (٢٨٠٦): ٢١٦١/٤ .

(٣) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الإسراء: ٥٧٩/٨، وقال: «هذا حديث حسن»، وأحمد في المسند: ٣٦٣، ٣٥٤/٢، والطبري
 في التفسير، والبيهقي، وابن مردويه. انظر: الدر المنثور: ٣٤١/٥ .

ذَلِكَ جَزَاءُ هُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَّتًا آءِنَّا
 لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ
 إِلَّا كُفُورًا ﴿٢٠﴾

فإن قيل: كيف وصفهم بأنهم عمي وبكم وصم. وقد قال: «ورأى الجرمون النار» (الكهف - ٥٣)، وقال: «ودعوا هنالك ثبوراً» (الفرقان - ١٣)، وقال: «سمعوا لها تغيظاً وزفيراً» (الفرقان - ١٢)، أثبت الرؤية والكلام والسمع؟ .

قيل: يحشرون على ما وصفهم الله ثم تعاد إليهم هذه الأشياء .
 وجواب آخر، قال ابن عباس: عمياً لا يرون ما يسرهم، بكماً، لا ينطقون بحجة، صماً لا يسمعون شيئاً يسرهم .

وقال الحسن: هذا حين يساقون إلى الموقف إلى أن يدخلوا النار .
 وقال مقاتل: هذا حين يقال لهم: «اخسؤوا فيها ولا تكلمون» (المؤمنون - ١٠٨)، فيصيرون بأجمعهم عمياً وبكماً وصماً، لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون. ﴿مأواهم جهنم كلما خبت﴾، قال ابن عباس: كلما سكنت، أي: سكن لهيها. وقال مجاهد: طففت وقال قتادة: ضعفت وقيل: هو الهدوء من غير أن يوجد نقصان في ألم الكفار، لأن الله تعالى قال: «لا يُفتر عنهم» (الزخرف - ٧٥)، وقيل: «كلما خبت» أي: أرادت أن تخبو، ﴿زدناهم سعيراً﴾، أي: وقوداً .
 وقيل: المراد من قوله: ﴿كلما خبت﴾ أي: نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا فيها إلى ما كانوا عليه، وزيد في تسعير النار لتحرقهم .

﴿ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أتنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾، فأجابهم الله تعالى فقال :

﴿أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض﴾، في عظمتها وشدتها، ﴿قادر على أن يخلق مثلهم﴾، في صغرهم وضعفهم. نظيره قوله تعالى: «لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس» (غافر - ٥٧) .

﴿وجعل لهم أجلاً﴾ أي: وقتاً لعذابهم، ﴿لا ريب فيه﴾، أنه يأتيهم، قيل: هو الموت، وقيل: هو يوم القيامة، ﴿فأبى الظالمون إلا كفوراً﴾، أي: جحوداً وعناداً .

قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ
 قَتُورًا ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ
 فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١١﴾

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ أي: نعمة ربي. وقيل: رزق ربي، ﴿إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ﴾
 لبخلم وحبستم، ﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾، أي: خشية الفاقة، قاله قتادة .
 وقيل: خشية النفاذ، يقال: أنفق الرجل أي أملك وذهب ماله ونفق الشيء، أي: ذهب .
 وقيل: لأمسكتم عن الإنفاق خشية الفقر .
 ﴿وَوَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾، أي: بخيلاً ممسكاً عن الإنفاق .
 قوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾، أي: دلالات واضحات، فهي الآيات
 التسع .

قال ابن عباس والضحاك: هي العصا، واليد البيضاء، والعقدة التي كانت بلسانه فحلها، وقلق
 البحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم .
 وقال عكرمة وقاتدة ومجاهد وعطاء: هي الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم،
 والعصا، واليد، والسنون، ونقص الثمرات .
 وذكر محمد بن كعب القرظي: الشمس، والبحر بدل السنين، ونقص من الثمرات، قال: فكان
 الرجل منهم مع أهله في فراشه وقد صَارَا حجْرَيْنِ، والمرأة منهم قائمة تحبز وقد صارت حجراً .
 وقال بعضهم: هن آيات الكتاب^(١) .

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي،
 أخبرني الحسن بن محمد الثقفى، أخبرنا هارون بن محمد بن هارون العطار، أنبأنا يوسف بن عبدالله
 ابن ماهان، حدثنا الوليد الطيالسي، حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة، عن عبدالله بن مسلمة، عن
 صفوان بن عسال المرادي، أن يهودياً قال لصاحبه: تعال حتى نسأل هذا النبي، فقال الآخر: لا
 تقل نبي، فإنه لو سمع صارت له أربعة أعين، فأتياه فسألاه عن هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى
 تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ فقال: لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا
 تزنوا، ولا تأكلوا الربا، ولا تسحرُوا، ولا تمشوا بالبريء إلى سلطان ليقته، ولا تسرفوا، ولا تقذفوا

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٥/١٧١-١٧٣، زاد المسير: ٥/٩٢-٩٣، الدر المنثور: ٥/٣٤٣-٣٤٤، تفسير ابن كثير: ٣/٦٧-٦٨.

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ
يَفْرَعُونَ مُشْبُورًا ﴿١٤﴾

المحصنة، ولا تفروا من الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لاتعدوا في السبت، فقبلاً يده، وقالوا: نشهد أنك نبي، قال: فما يمنعكم أن تتبعوني؟ قالوا: إن داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبي، وأنا نخاف إن تبعناك أن يقتلنا اليهود^(١).

﴿فاسأل﴾، يا محمد، ﴿بني إسرائيل إذ جاءهم﴾، موسى، يجوز أن يكون الخطاب معه والمراد غيره، ويجوز أن يكون خاطبه عليه السلام وأمره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم. ﴿فقال له فرعون إني لأظنك ياموسى مسحوراً﴾، أي: مطبوعاً مسحوراً، قاله الكلبي.

وقال ابن عباس: مخدوعاً.

وقيل: مصروفاً عن الحق.

وقال الفراء، وأبو عبيدة: ساحراً، فوضع المفعول موضع الفاعل.

وقال محمد بن جرير: معطى علم السحر، فهذه العجائب التي تفعلها من سحر^(٢).

﴿قال﴾، موسى، ﴿لقد علمت﴾، قرأ العامة بفتح التاء خطاباً لفرعون، وقرأ الكسائي بضم التاء، ويروى ذلك عن علي، وقال: لم يعلم الخبيث أن موسى على الحق، ولو علم لآمن، ولكن موسى هو الذي علم^(٣)، قال ابن عباس: علمه فرعون ولكنه عاند، قال الله تعالى: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً» (الثلث - ١٤).

وهذه القراءة، وهي نصب التاء، أصح في المعنى، وعليه أكثر القراء، لأن موسى لا يحتج عليه بعلم نفسه، ولا يثبت عن علي رفع التاء، لأنه زوي عن رجل من مراد عن علي، وذلك أن الرجل مجهول، ولم يتمسك بها أحد من القراء غير الكسائي^(٤).

(١) أخرجه الترمذي في التفسير؛ سورة الإسراء: ٥٨٠/٨، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائي في تحريم اليمين، باب

السحر: ١١١/٧-١١٢، والإمام أحمد في المسند: ٢٣٩/٤-٢٤٠، والطبري في التفسير: ١٧٢/١٥، وأخرجه ابن ماجه مختصراً عن صفوان بن عسال؛ أن قوماً من اليهود قبلوا يد النبي ﷺ ورجليه.

قال الحافظ ابن كثير: (٦٨/٣): «وهو حديث مشكل، وعبدالله بن سلمة في حفظه شيء، وقد تكلموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بال عشر الكلمات، فإنها وصايا في التوراة، لا تعلق لها بقيام الحجاة على فرعون والله أعلم».

(٢) تفسير الطبري: ١٧٤/١٥.

(٣) قال الطبري: «غير أن القراءة التي عليها قراء الأمصار خلافها، وغير جائز عندنا خلاف الحجاة فيما جاءت به من القراءة

مجتمعة عليه». التفسير: ١٧٤/١٥.

(٤) وكذلك قال ابن الجوزي في «زاد المسيرة»: (٩٤/٥): «والقراءة الأولى - بفتح التاء - أصح لاختيار الجمهور، ولأنه قد =

فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٤﴾ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَهُ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾ وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٦﴾

﴿ما أنزل هؤلاء﴾، هذه الآيات التسع، ﴿إلا رب السموات والأرض بصائر﴾، جمع بصيرة أي يبصر بها .

﴿وإني لأظنك يافرعون مشوراً﴾، قال ابن عباس: ملعوناً. وقال مجاهد: هالكاً. وقال قتادة: مهلكاً. وقال الفراء: أي مصروفاً ممنوعاً عن الخير. يقال: ما تبرك عن هذا الأمر أي ما منعك وصرفك عنه (١).

﴿فأراد أن يستفزهم﴾، أي: أراد فرعون أن يستفز موسى وبني إسرائيل، أي: يخرجهم، ﴿من الأرض﴾، يعني أرض مصر، ﴿فأغرقناه ومن معه جميعاً﴾، ونجينا موسى وقومه .

﴿وقلنا من بعده﴾، أي من بعد ملك فرعون، ﴿لبني إسرائيل: اسكنوا الأرض﴾، يعني أرض مصر والشام، ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾، يعني يوم القيامة، ﴿جئنا بكم لفيفاً﴾ أي: جميعاً إلى موقف القيامة. واللفيف: الجمع الكثير: إذا كانوا مختلفين من كل نوع، يقال: لفت الجيوش إذا اختلطوا، وجمعت القيامة كذلك، فهم المؤمن والكافر، والبر والفاجر .

وقال الكلبي: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾: يعني مجيء عيسى من السماء «جئنا بكم لفيفاً» أي: التزاع (٢) من كل قوم، من هاهنا ومن هاهنا لقوا جميعاً .

قوله عز وجل: ﴿وبالحق أنزلناه وبحق نزل﴾، يعني القرآن، ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً للمطيعين، ونذيراً﴾، للعاصين .

﴿وقرآناً فرقناه﴾، قيل: معناه: أنزلناه نجوماً، لم ينزل مرة واحدة، بدليل قراءة ابن عباس: ﴿وقرآناً فرقناه﴾ بالتشديد، وقراءة العامة بالتخفيف، أي: فصلناه. وقيل: بيناه. وقال الحسن: معناه فرقنا به بين الحق والباطل. ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ أي: على تودة وترتيل (٣) وترسل في

= أبان موسى من المعجزات ما أوجب علم فرعون بصدقه، فلم يرد إلا بالتملل والمدافعة، فكانه قال: لقد علمت بالدليل والحجة «ما أنزل هؤلاء» يعني الآيات .

(١) انظر: زاد المسير: ٩٤/٥ - ٩٥ .

(٢) في «أ»: البراع .

(٣) ساقط من «ب» .

قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ
سَجْدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ
يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٩﴾

ثلاث وعشرين سنة، ﴿وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ .

﴿قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾، هذا على طريق الوعيد والتهديد، ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾، قيل: هم مؤمنو أهل الكتاب، وهم الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله ﷺ، ثم أسلموا بعد مبعثه، مثل: زيد بن عمر بن نفيل، / وسلمان الفارسي، وأبي ذر وغيرهم (١) .

﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، يعني: القرآن (٢) ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ أي: يسقطون على الأذقان، قال ابن عباس: أراد بها الوجوه، ﴿سَجْدًا﴾ .

٢١٤/ب

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾، أي: كائناً واقعاً .

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾، أي: يقعون على الوجوه يبكون، البكاء مستحب عند قراءة القرآن (٣)، ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾، نزول القرآن، ﴿خُشُوعًا﴾، خضوعاً لربهم. نظيره قوله تعالى: ﴿إِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا بُكْيًا﴾ (مريم - ٥٨) .

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحى، أخبرنا أبو عمرو بن بكر بن محمد المزني، حدثنا أبو بكر محمد بن عبدالله الجنيد، حدثنا الحسن بن الفضل البجلي، أخبرنا عاصم، عن علي بن عاصم، حدثنا المسعودي، هو عبدالرحمن بن عبدالله، عن محمد بن عبدالرحمن مولى أبي طلحة (٤) عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «لَا يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَعُودَ

(١) انظر: الطبري: ١٨١/١٥، زاد المسير: ٩٧/٥ .

(٢) وذلك لأن سياق الكلام عن القرآن الكريم، ولم يجر لغيره من الكتب ذكر فيصرف الكلام إليه، وهذا يراد من قال المراد به: ما أنزل إلى أهل الكتاب من عند الله .

راجع: الطبري: ١٨١/١٥، زاد المسير: ٩٧/٥ .

(٣) وقد وردت فيه أحاديث وآثار عن السلف كثيرة. فمن ذلك عن النبي ﷺ «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَبَاكُوا» (رواه ابن ماجه برقم (٤١٩٦) في الزهد وإسناده ضعيف) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صلى بالجماعة الصبح فقرأ سورة يوسف فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته، وفي رواية: أنه كان في صلاة العشاء، فيدل على تكريره منه .

وعن أبي رجاء قال: رأيت ابن عباس وتحت عينيه مثل الشراك البالي (هو السير الرقيق الذي يكون في النعل على ظهر القدم) من الدموع. انظر: التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص (٦٨-٦٩)، وراجع القرطبي: ٣٤٢/١٠ .

(٤) في «ب»: مولى طلحة. وفي شرح السنة: مولى آل طلحة .

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ
وَلَا تَخَافَتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١﴾

اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غَبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مَنْخَرِي مُسْلِمٍ أَدْبَاهُ (١).

أخبرنا أبو القاسم بن عبدالكريم بن هوازن القشيري، أخبرنا أبو القاسم عبدالحالق بن علي بن عبدالحالق المؤذن، أخبرنا أحمد بن بكر بن محمد بن حمدان، حدثنا محمد بن يونس الكندي، أنبأنا عبد الله بن محمد الباهلي، حدثنا أبو حبيب العنوي، حدثنا بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى ثَلَاثِ أَعْيُنٍ: عَيْنُ بَكْتٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنُ سَهْرَتٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَيْنُ غَضَّتٍ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ» (٢).

قوله عز وجل: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾، قال ابن عباس: سجد رسول الله ﷺ بمكة ذات ليلة فجعل يبكي ويقول في سجوده: يا الله يارحمن، فقال أبو جهل: إن محمداً يهانا عن آهتنا وهو يدعو إلهين! فأنزل الله تعالى هذه الآية (٣). ومعناه: أنهما اسمان لواحد.

﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾، «ما» صلة، معناه: أيًّا ما تدعو من هذين الاسمين ومن جميع أسمائه، ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافَتْ بِهَا﴾، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، حدثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافَتْ بِهَا﴾ قال: نزلت ورسول الله ﷺ مخفٍ بمكة، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم:

(١) أخرجه الترمذي في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله: ٢٦٠/٥-٢٦١، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأخرجه النسائي في الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله: ١٢/٦، وصححه الحاكم: ٢٦٠/٤، وابن حبان برقم (١٥٩٨) ص (٣٨٥) من موارد الظمان. والإمام أحمد في المسند: ٥٠٥/٢، والمصنف في شرح السنة: ٣٦٤/١٤.

(٢) أخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٦٥/١٤، وفيه الكندي، وهو ضعيف، وفي الباب عن أبي ربحانة، أخرجه الحاكم: ٨٣/٢، وقال الهيثمي في المجمع: (٢٨٧/٥): رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد ثقات، وروى النسائي طرفاً منه، ورواه أبو نعيم في الحلية: ٢٠٦/٥، وابن أبي شيبة في المصنف: ٣٥٠/٥.

(٣) أخرجه الطبري في التفسير: ١٨٢/١٥، وانظر: أسباب النزول للواحد ص (٣٤١)، الدر المنثور: ٣٤٨/٥، القرطبي:

﴿وابتغ بين ذلك سيلاً﴾^(١).

وهذا الإسناد عن محمد بن إسماعيل قال: حدثنا مسدد عن هشيم عن أبي بشر بإسناده مثله، وزاد: ﴿وابتغ بين ذلك سيلاً﴾. أسمعهم، ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن^(٢). وقال قوم: الآية في الدعاء، وهو قول عائشة، رضي الله عنها، والنخعي، ومجاهد، ومكحول: أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا طلق بن غنم، حدثنا زائدة عن هشام عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها في قوله: «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها» قالت: أنزل ذلك في الدعاء^(٣). وقال عبدالله بن شداد: كان أعراب من بني تميم إذا سلم النبي ﷺ قالوا: اللهم ارزقنا مالا وولداً، فيجهرون بذلك، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾^(٤) أي: لا ترفع صوتك بقراءتك أو بدعائك ولا تخافت بها^(٥).

والخافته: خفض الصوت والسكوت «وابتغ بين ذلك سيلاً» أي: بين الجهر والإخفاء. أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الخزاعي، أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا يحيى ابن إسحاق، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبدالله بن أبي رباح الأنصاري، عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: «مررت بك وأنت تقرأ وأنت تخفض من صوتك، فقال: إني أسمع من ناجيت، فقال: ارفع قليلاً، وقال لعمر: مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع صوتك، فقال: إني^(٦) أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان، فقال اخفض قليلاً^(٧).

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة الإسراء، باب «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها»: ٤٠٤/٨-٤٠٥، ومسلم في الصلاة، باب التوسط في الصلاة الجهرية... برقم (٤٤٦): ٣٢٩/١.

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: «أنزله يعلمه الملائكة يشهدون»: ٤٦٣/١٣.

(٣) أخرجه البخاري في التفسير، الموضع السابق: ٤٠٥/٨.

(٤) أخرجه الطبري في التفسير: ١٨٤/١٥، وزاد السيوطي نسبه لابن أبي شيبة، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور: ٣٥١/٥.

(٥) ورجح الطبري القول الأول الذي قاله ابن عباس، لأن ذلك أصح الأسانيد التي روي عن صحابي فيه قول مخرجاً، وأشبه الأقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن قوله: «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها» عقيب قوله: «قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن..» وعقيب تقرير الكفار بكفرهم بالقرآن، وذلك يُغدهم منه ومن الإيمان = فإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى وأشبه بقوله: «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها»: أن يكون من سبب ما هو في سياقه من الكلام، نالم يأتي بمعنى يوجب صرفه عنه، أو يكون على انصرافه عنه دليل يُعلم به الانصراف عما هو في سياقه. تفسير الطبري: ١٨٨/١٥.

(٦) ساقط من «ب».

(٧) أخرجه أبو داود في التطوع، باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل: ٩٦/٢، والترمذي في المواقيت، باب ما جاء في القراءة في الليل: ٥٢٦/٢ وقال: حديث غريب. وإنما أسنده يحيى بن إسحاق عن حماد بن سلمة، وأكثر الناس إنما رويوا هذا الحديث عن ثابت عن عبدالله بن رباح، مرسلًا: قال المنذري: «ويحيى بن إسحاق هذا هو البجلي السليجيني، وقد احتج به مسلم في صحيحه»، وصحح الألباني إسناده في تعليقه على المشكاة: ٣٨٠/١، لأن الذي أسنده ثقة.

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِيلِ
وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ۝

﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا﴾، أمر الله نبيه ﷺ بأن يحمد على وحدانيته، ومعنى الحمد لله هو: الثناء عليه بما هو أهله .

قال الحسين بن الفضل: يعني: الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولداً .

﴿ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل﴾، قال مجاهد: لم يذل فيحتاج إلى

ولي يتعزز به .

﴿وكبيره تكبيراً﴾، أي: وعظمه عن أن يكون له شريك أو ولي .

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا الإمام أبو الطيب سهل [بن محمد بن سليمان، حدثنا أبو العباس الأصب، حدثنا محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا نضر بن حماد أبو الحارث الوراق، حدثنا شعبة] (١) عن حبيب بن أبي ثابت قال: سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السر والعلانية» (٢) .

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعمي، أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أخبرنا أبو الحسن بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي، أنبأنا عبدالرزاق، حدثنا معمر عن قتادة أن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله رأس الشكر، ما شكر الله عبداً لا يحمد» (٣) .

أخبرنا أبو الفضل بن زياد بن محمد الحنفي، أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن أحمد الأنصاري،

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١٩/١٢، وفي المعجم الصغير ١٠٣/١، وصححه الحاكم: ٥٠٢/١، وأخرجه أبو نعيم في الحلية: ٦٩/٥، وعزاه في المشكاة للبيهقي في الشعب ٧١٤/٢ .

قال الهيثمي في المجمع (٩٥/١٠): رواه الطبراني في الثلاثة بأسانيد، وفي أحدها قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وغيرهما، وضعفه يحيى القطان وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح، ورواه البزار بنحوه وإسناده حسن .

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٩/٥، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٩٤-٩٣/٢ .

(٣) أخرجه عبدالرزاق في المصنف: ٤٢٤/١٠، والبيهقي في الجامع لشعب الإيمان كما في المشكاة: ٧١٤/٢، والمصنف في شرح السنة: ٥٠/٥ .

ورواه الخطابي في غريب الحديث، والديلمي في الفردوس بسند رجاله ثقات، وهو منقطع بين قتادة وابن عمرو .

انظر: فيض القدير للمناوي: ٤١٨/٣ .

أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن ضاعد، حدثنا يحيى بن خالد بن أيوب الخزومي، حدثنا موسى ابن إبراهيم بن كثير بن بشر الخزامي الأنصاري، عن طلحة بن خراش، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «إن أفضل الدعاء الحمد لله، وأفضل الذكر لا إله إلا الله»^(١).

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم عبد الله ابن محمد بن عبدالعزيز البغوي، حدثنا علي بن الجعد، حدثنا زهير، حدثنا منصور عن هلال بن بشار، عن الربيع بن عميلة عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، لا يضررك بأيهن بدأت»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة: ٣٢٥/٩، وقال: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص (٨٤٠-٨٤١)، وابن ماجه في الأدب، باب فضل الحامدين، برقم (٣٨٠٠) ١٢٤٩/٢، وصححه ابن حبان ص (٥٧٨) من موارد الظمان، والحاكم في المستدرک: ٥٠٣/١ ووافقه الذهبي، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٩/٥، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٤٨٤/٣.

(٢) أخرجه مسلم في الآداب، باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة برقم (٢١٣٧): ١٦٨٥/٣. والمصنف في شرح السنة: ٩/٥.

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

سُورَةُ الْكَهْفِ

٢/٢١٥

مائة وعشر آيات / وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۚ

﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾، أثنى الله^(١) على نفسه بإنعامه على خلقه، وخصَّ رسوله ﷺ بالذكر، لأن إنزال القرآن عليه كان نعمة عليه على الخصوص، وعلى سائر الناس على العموم. ﴿ولم يجعل له عوجاً﴾.

﴿قيماً﴾، فيه تقديم وتأخير، معناه: أنزل على عبده الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً، «قيماً» أي: مستقيماً. قال ابن عباس: عدلاً. وقال الفراء: قيماً على الكتب كلها أي: مصداقاً لها ناسخاً لشرائعها. وقال قتادة: ليس على التقديم والتأخير، بل معناه: أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، ولكن جعله قيماً ولم يكن مختلف على ما قال الله تعالى: «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» (النساء - ٨٢).

وقيل: معناه لم يجعله مخلوقاً. وروي عن ابن عباس في قوله: «قرآناً عربياً غير ذي عوج» (الزمر - ٢٨) أي: غير مخلوق.

﴿لينذر بأساً شديداً﴾، أي: لينذر بأساً شديداً، ﴿من لدنه﴾، أي: من عنده، ﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً﴾، أي الجنة.

(١) ساقط من (ب).

مَكِّيِّينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ
 مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾
 فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا
 جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ
 مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ
 آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾

﴿ما كين فيه أبدا﴾ أي: مقيمين فيه .

﴿ويُنذِرَ الذين قالوا اتخذ الله ولدا﴾ .

﴿ما لهم به من علم ولا لآبائهم﴾، أي: قالوه عن جهل لا عن علم، ﴿كَبُرَتْ﴾، أي: عظمت،

﴿كَلِمَةً﴾، نصب على التمييز، يقال تقديره: كبرت الكلمة كلمة. وقيل: من كلمة، فحذف «من»
 فانصب، ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: تظهر من أفواههم، ﴿إِنْ يَقُولُونَ﴾، ما يقولون، ﴿إِلَّا
 كَذِبًا﴾ .

﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم﴾، من بعدهم، ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾، أي: القرآن،

﴿أَسَفًا﴾، أي حزناً وقيل غضباً .

﴿إِنَّا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾، فإن قيل: أي: زينة في الحيات والعقارب والشياطين؟ .

قيل: فيها زينة على معنى أنها تدل على وحدانية الله تعالى .

وقال مجاهد: أراد به الرجال خاصة، وهم زينة الأرض. وقيل: أراد بهم العلماء والصلحاء. وقيل:

الزينة بالنبات والأشجار والأنهار، كما قال: «حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت» (يونس - ٢٤) .

﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾، لنختبرهم، ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، أي: أصلىح عملاً. وقيل: أيهم أترك للدنيا .

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ ما عليها صعيداً جرُزاً﴾، فالصعيد وجه الأرض. وقيل: هو التراب، «جرُزاً»

يابساً أملس لا ينبت شيئاً. يقال: جرزت الأرض إذا أكل نباتها .

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾، يعني: أظننت

يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً، أي: هم عجب من آياتنا .

وقيل: معناه إنهم ليسوا بأعجب من آياتنا، فإن ما تخلقت من السموات والأرض وما فيهن

من العجائب أعجب منهم .

إِذْ أَوْىءِ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا

رَشْدًا ﴿١﴾

و«الكهف»: هو الغار في الجبل. واختلفوا في «الرقم»: قال سعيد بن جبير: هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصصهم^(١) - وهذا أظهر الأقاويل - ثم وضعه على باب الكهف، وكان اللوح من رصاص، وقيل: من حجارة، فعلى هذا يكون الرقم بمعنى المرقوم، أي: المكتوب، والرقم: الكتابة.

وحكي عن ابن عباس أنه اسم للوادي الذي فيه أصحاب الكهف، وعلى هذا هو من رقمة الوادي، وهو جانبه.

وقال كعب الأحبار: هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف.

وقيل: اسم للجبل الذي فيه الكهف. ثم ذكر الله قصة أصحاب الكهف، فقال:

﴿إِذْ أَوْىءِ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾، أي صاروا إليه، واختلفوا في سبب مصيرهم إلى الكهف^(٢):

- (١) زيادة من «ب» .
- (٢) ذكر هذه الروايات التي ساقها المصنف: الطبري في التفسير: ٢٠٠/١٥-٢٠٥، والسيوطي في الدر المنثور: ٣٦٣/٥-٣٧٠، ٣٧٣، والقرطبي: ٣٥٨/١٠، والخازن: ١٦٠/٤-١٦٥.
- وهذه الروايات بهذا التفصيل فيما يتعلق بمخرج الفتية وأسمائهم واسم كلهم.. إلخ يجملتها متلقاة عن أهل الكتاب الذين أسلموا، وحمله عنهم بعض الصحابة والتابعين وحكوه عنهم لغرابته والمعجب منه. ونضع هنا كلمات لبعض العلماء المحققين والمفسرين حيال هذه الروايات تغنيانا عن التعليق على التفسير في مواضع كثيرة:
- قال الحافظ ابن كثير في التفسير: (٧٦-٧٩): «... ولم يجبرنا الله تعالى بمكان هذا الكهف، ولا في أي البلاد من الأرض، إذ لا فائدة لنا فيه، ولا قصد شرعي، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالاً.. والله أعلم بأي بلاد الله هو، ولو كان فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه.. فأعلمنا تعالى بصفته ولم يعلمنا بمكانه».
- وبعد أن عرض لبعض الأقوال عن كلب أصحاب الكهف ولونه قال: «واختلفوا في لونه على أقوال لا حاصل لها، ولا طائل تحتها، ولا دليل عليها، ولا حاجة إليها، بل هي مما ينهى عنه؛ فإن مستندها رجم بالغيب».
- وقال أسماء الفتية: «... وفي تسميتهم بهذه الأسماء واسم كلهم نظر في صحته، والله أعلم، فإن غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب، وقد قال تعالى: «فلا تمار فيهم إلا مرأاً ظاهراً أي: سهلاً هيناً، فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة».
- وقال في البداية والنهاية: (١١٥/٢): «... وقد ذكر كثير من القصاص والمفسرين لهذا الكلب نبأً وخبراً طويلاً، أكثره متلقى من الإسرائيليات، وكثير منها كذب، ومما لا فائدة فيه، كاختلافهم في اسمه ولونه».
- وقال الأستاذ سيد قطب في كتابه «في ظلال القرآن»: (٢٢٦٠-٢٢٦١): «تجيء قصة أصحاب الكهف، فتعرض نموذجاً للإيمان في النفوس المؤمنة، كيف تطمئن به، وتؤثره على زينة الأرض ومتاعها، وتلجأ به إلى الكهف حين يعز عليها أن تعيش به مع الناس. وكيف يرضى الله هذه النفوس المؤمنة ويقبها الفتنة، ويشملها بالرحمة».
- وفي القصة روايات شتى، وأقاويل كثيرة، فقد وردت في بعض الكتب القديمة وفي الأساطير بصور شتى. ونحن نقف فيها عند ما جاء في القرآن، فهو المصدر الوحيد المستيقن، ونطرح سائر الروايات والأساطير التي اندست في التفسير بلا سند =

فقال محمد بن إسحاق بن يسار: مرج أهل الإنجيل، وعظمت فيهم الخطايا، وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت، وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله وتوحيده، فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروح يقال له «دقيانوس» عبد الأصنام وذبح للطواغيت، وقتل من خالفه، وكان ينزل قرى الروم، ولا يترك في قرية نزلاً واحداً إلا فتنة حتى يعبد الأصنام ويذبح للطواغيت أو قتله، حتى نزل مدينة أصحاب الكهف، وهي «أفسوس»، فلما نزلها كبر على أهل الإيمان، فاستخفوا منه، وهربوا في كل وجه، وكان «دقيانوس» حين قدمها أمر أن يتبع أهل الإيمان فيجمعوا له، واتخذ شرطاً من الكفار من أهلها، يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم فيخرجونهم إلى «دقيانوس» فيخبرهم بين القتل وبين عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، فمنهم من يرغب في الحياة، ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل، فلما رأى ذلك أهل الشدة في الإيمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل، فيقتلون ويقطعون ثم يربط ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة، فلما رأى ذلك الفتية حزناً شديداً، فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء، وكانوا من أشرف الروم، وكانوا ثمانية نفر، بكوا وتضرعوا إلى الله وجعلوا يقولون: ربنا رب السموات والأرض، لن ندعو من دونه إلهاً، لقد قلنا إذاً شططاً إن عبدنا غيره، اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة، وارفع عنهم هذا البلاء حتى يعلنوا عبادتك، فبينما هم على مثل ذلك، وقد دخلوا في مصلى لهم أدركهم الشرط فوجدوهم وهم سجود على وجوههم، سيكون ويتضرعون إلى الله، فقالوا لهم: ما خلّفكم عن أمر الملك؟ انطلقوا إليه، ثم خرجوا فرفعوا أمرهم إلى «دقيانوس»، فقالوا: تجمع الناس للذبح لأهلك وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يستهزؤون بك ويعصون أمرك! فلما سمع بذلك بعث إليهم، فأتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب، فقال لهم: ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الأرض وتجعلوا أنفسكم أسوة لسادات من أهل مدينتكم؟ اختاروا: إما أن تذبحوا لآلهتنا، وإما أن أقتلكم. فقال مكسلينا، وهو أكبرهم: إن لنا إلهاً ملأ السموات والأرض عظمة، لن ندعو من دونه إلهاً أبداً، له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصاً أبداً، إياه نعبد وإياه نسأل النجاة والخير، فأما الطواغيت فلن نعبد أبداً، فاصنع بنا ما بدا لك، وقال أصحاب مكسلينا لدقيانوس مثل ما قال

= صحيح، وبخاصة أن القرآن الكريم قد نهي عن استفتاء غير القرآن فيها، وعن المراء فيها والمجدل رجماً بالغيب .
وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في «أضواء البيان»: (٢٠/٤): «واعلم أن قصة أصحاب الكهف وأسماءهم، وفي أي محل من الأرض كانوا، كل ذلك لم يثبت فيه عن النبي ﷺ شيء زائد على ما في القرآن، وللمفسرين في ذلك أخبار كثيرة إسرائيلية أعرضنا عن ذكرها لعدم الثقة بها» .

وراجع: الاسرائيليات والموضوعات للشيخ محمد أبو شهبة ص (٢٣٥-٢٣٧) .

مكسلينا، فلما قالوا ذلك أمر فنزع عنهم لبوساً كان عليهم من لبوس عظمائهم ثم قال: سأفرغ لكم فأنجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة، وما يعني أن أعجل ذلك لكم إلا أني أراكم شباناً حديثاً أسنانكم، فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلاً تذكرون فيه وتراجعون عقولكم، ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم، ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده .

وانطلق دقيانوس إلى مدينة سوى مدينتهم قريباً منهم لبعض أموره، فلما رأى الفتية خروجه بادروا قدومه، وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكرهم [وأن يعذبهم] ^(١) فآتمروا بينهم أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها، ويتزودوا بما بقي، ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له بخلوس، فيمكثون فيه ويعبدون الله حتى إذا جاء دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما شاء، فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم إلى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها، ثم انطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف، فلبثوا فيه . قال كعب الأحبار: مروا بكلب فتبعهم فظردوه ففعل ذلك مراراً فقال لهم الكلب: يا قوم ما تريدون مني؟ لا تخشون جانبي، أنا أحب أحب الله، فناموا حتى أحرسكم .

وقال ابن عباس: هربوا ليلاً من دقيانوس، وكانوا سبعة فمروا براعٍ معه كلب فتبعهم على دينهم، وتبعه كلبه، فخرجوا من البلد إلى الكهف وهو قريب من البلد .

قال ابن إسحاق: فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد ابتغاء وجه الله، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يقال له: تلميذا فكان يتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرّاً، وكان من أحملهم وأجلدهم، وكان إذا دخل المدينة يضع ثياباً كانت عليه حسناً ويأخذ ثياباً كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها، ثم يأخذ ورقة فينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاماً وشراباً، ويتجسس لهم الخبر هل ذكر هو وأصحابه بشيء، ثم يرجع إلى أصحابه فلبثوا بذلك ما لبثوا /، ٢١٥ ب/ ثم قدم دقيانوس المدينة فأمر عظماء أهلها فذبحوا للطواغيت، ففزع من ذلك أهل الإيمان، وكان تلميذا بالمدينة يشتري لأصحابه طعامهم فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل، وأخبرهم أن الجبار قد دخل المدينة، وأنهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة، ففزعوا ووقعوا سجوداً يدعون الله ويتضرعون إليه ويتعوذون من الفتنة، ثم إن تلميذا قال لهم: يا أخوتاه ارفعوا رؤوسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم، فرفعوا رؤوسهم وأعينهم تفيض من الدمع، فطعموا، وذلك غروب الشمس، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضاً، فبينما هم على ذلك إذ ضرب الله على آذانهم النوم في الكهف، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابه ما أصابهم، وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤوسهم .

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

فلما كان من الغد فقدهم دقيانوس فاتمسهم فلم يجدهم، فقال لبعضهم: لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا، لقد كانوا ظنوا أن بي غضباً عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمري، ما كنت لأحمل عليهم إن هم تابوا وعبدوا آلهتي، فقال عظماء المدينة: ما أنت بحقيق أن ترحم قوماً فجرة مردة عصاة قد كنت أجلت لهم أجلاً ولو شاؤوا لرجعوا في ذلك الأجل، ولكنهم لم يتوبوا، فلما قالوا ذلك غضب غضباً شديداً، ثم أرسل إلى آبائهم فأتى بهم فسألهم عنهم، فقال: أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني، [ووعدهم بالقتل]^(١)، فقالوا له: أما نحن فلم نَعْصِكَ، فليمت تقتلنا بقوم مردة قد ذهبوا بأموالنا، فأهلكوها في أسواق المدينة، ثم انطلقوا وارتقوا إلى جبل يدعى بخلوس؟ فلما قالوا له ذلك خلّى سبيلهم، وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية، فألقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم وأراد الله أن يكرمهم ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم، وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم، وقال: دعوهم كما هم في الكهف يموتون جوعاً وعطشاً ويكون كهفهم الذي اختاروا قبراً لهم، وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم، وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم، وكلهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيم ما غشيم، يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال .

ثم إن رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتبان إيمانها اسم أحدهما «يندروس» واسم الآخر «روناس»، ائتمرا أن يكتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسمائهم وخبرهم في لوح^(٢) من رصاص ويجعلهما في تابوت من نحاس، ويجعل التابوت في البنيان، وقالوا: لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة، فيعلم من فتح عنهم حين يقرأ هذا الكتاب [خبرهم]^(٣)، ففعلوا وبنوا عليه فبقي «دقيانوس» ما بقي، ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك .

وقال عبيد بن عمير: كان أصحاب الكهف فتياناً مطوقين مسورين ذوي ذوائب، وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي عظيم^(٤) وموكب وأخرجوا معهم آهتهم التي يعبدونها، وقد قذف الله في قلوب الفتية الإيمان، وكان أحدهم وزير الملك، فأمنوا وأخفى كل واحد منهم إيمانه فقالوا في أنفسهم: نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم، لا يصيبنا عقاب بجرمهم، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة، فجلس فيه، ثم خرج آخر فرآه جالساً وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك، ثم خرج الآخر فاجتمعوا إلى مكان، فقال بعضهم لبعض: ما جمعكم؟ وكل واحد يكتم صاحبه إيمانه مخافةً على نفسه، ثم قالوا: ليخرج كل فتى فيخلو

(١) ساقط من «ب» .

(٢) في «ب»: لوحين .

(٣)؛ (٤) ساقط من «ب» .

بصاحبه^(١) ثم يفشي كل واحد سره إلى صاحبه، ففعلوا فإذا هم جميعاً على الإيمان، وإذا كهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض: فأوروا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته، فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً، وفقدهم قومهم فطلبوهم فعسى الله عليهم آثارهم وكهفهم، فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح: فلان وفلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في شهر كذا في سنة كذا في مملكة فلان بن فلان ووضعوا اللوح^(٢) في خزانة الملك، وقالوا: ليكونن لهذا شأن ومات ذلك الملك، وجاء قرن بعد قرن .

وقال وهب بن منبه: جاء حواري عيسى عليه السلام إلى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقبل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها أحد إلا سجد له فكره أن يدخلها، فأتى حماماً قريباً من المدينة فكان يؤاجر نفسه من الحمامي، ويعمل فيه ورأى صاحب الحمامه في حمامه البركة وعلقه فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبير السماء والأرض وخبر الآخرة حتى آمنوا وصدقوه، وكان شرط على صاحب الحمام أن الليل لي لا يحول بيني وبينه ولا بين الصلاة أحد، وكان على ذلك حتى أتى ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام فغيره الحواري، وقال: أنت ابن الملك وتدخل مع هذه؟ فاستحيا وذهب فرجع مرة أخرى، فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت إلى ذلك حتى دخلا معاً فماتا في الحمام، وأتى الملك فقيل له: قتل صاحب الحمام ابنك فالتمس فلم يقدر عليه وهرب^(٣)، فقال: من كان يصحبه؟ فسئما الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم على مثل إيمانهم فانطلق معهم ومعه كلب حتى آواهم الليل إلى الكهف فدخلوه^(٤)، وقالوا: [نلبث هاهنا إلى الليل]^(٥) ثم نصح إن شاء الله تعالى، فترون رأيكم فضرب الله على آذانهم، فخرج الملك في أصحابه يبتغونهم حتى وجدوهم، فدخلوا الكهف، فلما أراد رجل منهم دخوله أرعب فلم يطق أحد أن يدخله، فقال قائل منهم: أليس لو قدرت عليهم قتلتهم؟ قال: بلى، قال: فأبى عليهم باب الكهف [واتركهم فيه يموتون جوعاً وعطشاً. ففعل .

قال وهب: فعبر زمان بعد زمان^(٦) بعدما سد عليهم باب الكهف، ثم إن راعياً أدركه المطر عند الكهف فقال لو فتحت هذا الكهف وأدخلت غنمي فيه من المطر لكان حسناً، فلم يزل يعالجه حتى فتح ورد الله عليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا .

(١) (٢) زيادة من «ب» .

(٣) (٤) ساقط من «أ» .

(٥) في «ب»: نبيت هنا الليلة .

(٦) ساقط من «أ» .

وقال محمد بن إسحاق: ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له: «بيدروس»، فلما ملك بقي في ملكه ثمانياً وستين سنة فتحزب الناس في ملكه فكانوا أحزاباً، منهم من يؤمن بالله، ويعلم أن الساعة حق، ومنهم من يكذب بها، فكبر ذلك على الملك الصالح فبكى وتضرع إلى الله وحزن حزناً شديداً لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق، ويقولون لا حياة إلا حياة الدنيا، وإنما تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد، فجعل «بيدروس» يرسل إلى من يظن فيه خيراً وأنهم أئمة في الخلق، فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة الحواريين، فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته وأغلقه عليه، ولبس مسحاً وجعل تحته رماداً فجلس عليه، فدأب ليله ونهاره زماناً يتضرع إلى الله تعالى ويبكي، ويقول: أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث إليهم آية تبين لهم [بطلان ما هم عليه]^(١)، ثم إن الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد أراد أن يظهر الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، ويستجيب لعبده الصالح بيدروس ويتم نعمته عليه، وأن يجمع من كان تبدد من المؤمنين فألقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي فيه الكهف، وكان اسم ذلك الرجل «أولياس» أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة لغنمه فاستأجر غلامين فجعل^(٢) ينزعان تلك الحجارة ويبنيان تلك الحظيرة، حتى نزعا ما على فم الكهف وفتحا باب الكهف وحجبه الله عن الناس بالرعب، فلما فتحا باب الكهف أذن الله ذو القدرة والسلطان محيي الموتي للفتية أن يجلسوا بين ظهراي الكهف، فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض، فكأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون فيها إذا أصبحوا من ليلتهم، ثم قاموا إلى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا ألوانهم شيء ينكرونه كهيتهم حين رقدوا، وهم يرون أن دقيانوس في طلبهم فلما قضاوا صلاتهم قالوا ليمليخا صاحب نفقاتهم: أنبئنا ما الذي قال الناس في شأننا عشية أمس عند هذا الجبار؟ وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون، وقد تخيل إليهم أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون، حتى يتساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض: كم لبثتم نياماً؟ قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم، ثم قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم، وكل ذلك في أنفسهم يسير، فقال لهم يميلخا: التمسثم في المدينة فلم توجدوا، وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم، فتذبحون للطواغيت أو يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل، فقال لهم مكسلمينا: يا اخوتاه اعملوا أنكم ملاقو الله فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدو الله. ثم قالوا ليمليخا: انطلق إلى المدينة فتسمع ما يقال علينا بها، وما الذي يذكر عند دقيانوس، وتلطّف ولا تشعرن بك أحداً، وابتع لنا طعاماً

(١) « (٢) ساقط من «أ» .

فأثنتا به، وزدنا على الطعام الذي جئنا به، فقد أصبحنا جوعاً، ففعل يملیخا كما كانيفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي يتنكر فيها وأخذ ورقاً [من نفقتهم التي كانت معهم والتي ضربت بطابع دقيانوس، فكانت كخفاف الربيع، فانطلق يملیخا خارجاً]^(١) فلما مرَّ بباب الكهف رأى الحجاره منزوعة / ٢١٦ أ / عن باب الكهف فعجب منها ثم مرَّ ولم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفياً فصدَّ عن الطريق تخوفاً أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس وأهله قد هلکوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة، فلما أتى يملیخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان إذا كان الإيمان ظاهراً فيها، فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها مستخفياً وجعل ينظر يميناً وشمالاً، ثم ترك ذلك الباب فتحول إلى باب آخر من أبوابها فرأى مثل ذلك فجعل يخيل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرف، ورأى ناساً كثيراً محدثين لم يكن يراهم قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل إليه أنه حيران، ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول: يا ليت شعري ما هذا؟ أما عيشة أمس كان المسلمون يخفون^(٢) هذه العلامة ويستخفون بها، وأما اليوم فإنها ظاهرة، لعلِّي نائم؟ ثم يرى أنه ليس بنائم، فأخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين ظهري سوقها فيسمع ناساً يحلفون باسم عيسى ابن مريم فزاده فرحاً ورأى أنه حيران، فقام مسنداً ظهره إلى جدار من جدر المدينة، يقول في نفسه: والله ما أدري ما هذا أما عيشة أمس فليس على ظهر الأرض إنسان يذكر عيسى ابن مريم إلا قتل، وأما الغداة فاسمعهم وكل إنسان يذكر اسم عيسى ولا يخاف أحداً، ثم قال في نفسه: لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف، والله ما أعرف مدينة قرب مدينتنا، فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له: ما اسم هذه المدينة يا فتى؟ قال: اسمها «أفسوس»، فقال في نفسه: لعل بي مسأاً أو أمراً أذهب عقلي، والله يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزى فيها أو يصيبني شرٌّ فأهلك ثم إنه أفاق فقال: والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بي لكان أيسر^(٣) بي، فدنا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التي كانت معه فأعطاهم رجلاً منهم، فقال: بعني بهذه الورق طعاماً فأخذها الرجل فنظر إلى ضرب الورق ونقشها فعجب منها ثم طرحها إلى رجل من أصحابه فنظر إليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل يتعجبون منها، ثم جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض: إن هذا أصاب كثرأ خبيثاً في الأرض منذ زمان ودهر طويل فلما رآهم يملیخا يتشاورون من أجله فرق فرحاً شديداً، وجعل يرتعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه، وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقيانوس، وجعل

(١) ساقط من «ب» .

(٢) في «ب» : يخفون .

(٣) في «ب» : أكيس .

أناس آخرون يأتونه فيتعرفونه [فلا يعرفونه]^(١)، فقال لهم وهو شديد الفَرْق منهم: افضلوا عليّ قد أخذتم وربي، فأمسكوها وأما طعامكم فلا حاجة لي به، فقالوا له: من أنت يا فتى، وما شأنك؟ والله لقد وجدت كنزاً من كنوز الأولين، وأنت تريد أن تخفيه عنا^(٢)، فانطلق معنا وأرنا وشاركنا فيه. نُحِفْ عليك ما وجدت، فإنك إن لم تفعل نأت بك إلى السلطان فنسلمك إليه فيقتلك، فلما سمع قولهم قال في نفسه^(٣): قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه، فقالوا: يا فتى إنك والله لا تستطيع أن تكتم ما وجدت، فجعل يملixa لا يدري ما يقول لهم وما يرجع إليهم، وفرق حتى ما [وجد ما]^(٤) يخبر إليهم شيئاً، فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطرحوه في عنقه، ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة [صغيرهم وكبيرهم]^(٥) حتى سمع به من فيها [فسألوه: ما الخبر؟]^(٦)، فقيل: هذا رجل عنده كنز، فاجتمع إليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم فجعلوا ينظرون إليه، ويقولون: والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة، وما رأيناها فيها قط وما نعرفه قط، فجعل يملixa لا يدري ما يقول لهم، فلما اجتمع إليه أهل المدينة فرق فسكت فلم يتكلم، وكان مستيقناً أن أباه وإخوته بالمدينة، وأن حسبه ونسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها وأنهم سيأتونه إذا سمعوا به فبينا هو قائم كالخيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم إذ اختطفوه وانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها، وهما رجلان صالحان اسم أحدهما «أريوس» واسم الآخر «طنطوس»^(٧)، فلما انطلق به إليهما ظن يملixa أنه ينطلق به إلى دقيانوس الجبار، فجعل يلتفت يميناً وشمالاً، وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون، وجعل يملixa يبكي ثم رفع رأسه إلى السماء فقال في نفسه^(٨): اللهم إله السماء وإله الأرض أفرغ اليوم عليّ صبراً وأولج معي روحاً منك تؤيدني به عند هذا الجبار، وجعل يبكي ويقول في نفسه: فرق بيني وبين إخوتي ياليتهم يعلمون ما لقيت ولو أنهم يعلمون فيأتوني فنقوم جميعاً بين يدي هذا الجبار، فإننا كنا تواقنا لنكوننَّ معاً، لا نكفر بالله ولا نشرك به شيئاً، فرق بيني وبينهم فلن يروني ولن أراهم أبداً، وكنا تواقنا أن لا نفترق في حياة ولا موت أبداً، يحدث به نفسه يملixa، فيما أخبر أصحابه حين رجع إليهم، حتى انتهى إلى الرجلين الصالحين «أريوس» و«طنطوس»^(٧) فلما رأى يملixa أنه لا يذهب به إلى دقيانوس

(١) (٢) ساقط من «أ» .

(٣) (٤) ساقط من «أ» .

(٥) ساقط من «ب» .

(٦) ساقط من «أ» .

(٧) في «أ»: أسطوس .

(٨) ساقط من «أ» .

أفاق وذهب^(١) عنه البكاء، فأخذ أريوس [وطنطوس]^(٢) الورق فنظرا إليها وعجبا منها، ثم قال له أحدهما: أين الكنز الذي وجدت يا فتى؟ فقال يملیخا: ما وجدت كنزاً ولكن هذا ورق آباي ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدري ما شأني وما أقول لكم، فقال أحدهما: فمن أنت؟ فقال يملیخا: أما أنا فكنت أرى أي من أهل هذه المدينة، فقالوا: ومن أبوك ومن يعرفك فيها؛ فأنبأهم باسم أبيه، فلم يجدوا أحداً يعرفه ولا أباه، فقال له أحدهما: أنت رجل كذاب لا تبتئنا بالحق، فلم يدر يملیخا ما يقول لهم، غير أنه نكس رأسه [وأطرق بصره]^(٣) إلى الأرض، فقال بعض من حوله: هذا رجل مجنون، وقال بعضهم: ليس بمجنون ولكنه يحقق نفسه عمداً لكي ينفلت منكم، فقال له أحدهما ونظر إليه نظراً شديداً: أتظن أنا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك ونقش هذا الورق وضربها أكثر من ثلاثمائة سنة، وإنما أنت غلام شاب أتظن أنك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شمت كما ترى، وحولك سراة أهل المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا، وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار، وإني لأظنني سأمرك بك فتعذب عذاباً شديداً، ثم أوثقتك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته. فلما قال ذلك قال لهم يملیخا: أنبئوني عن شيء أسألكم عنه فإن فعلتم صدقتكم عما عندي، قالوا: سل لا نكتمك شيئاً، قال لهم: ما فعل الملك دقيانوس؟ قالوا: لا نعرف اليوم على وجه الأرض ملكاً يسمى دقيانوس، ولم يكن إلا ملك هلك منذ زمان ودهر طويل وهلكت بعده قرون كثيرة، فقال يملیخا: إني إذا لحيران وما يصدقني أحد من الناس بما أقول، لقد كنا فتية [على دين واحد وهو الإسلام]^(٤) وإن الملك أكرهنا على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فنمنا، فلما انتبهنا خرجت لأشتري لهم طعاماً وأتجسس الأخبار فإذا أنا كما ترون، فانطلقوا معي إلى الكهف الذي في جبل بنجلوس أريكم أصحابي، فلما سمع أريوس ما يقول يملیخا، قال: يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم على يدي هذا الفتى، فانطلقوا بنا معه يرينا أصحابه، فانطلق معه أريوس وأسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم، ولما رأى الفتية أصحاب الكهف يملیخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي به ظنوا أنه قد أخذ فذهب به إلى ملكهم دقيانوس، فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه إذ سمعوا الأصوات وجلب الخيل مصعدة نحوهم، فظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس بعث إليهم ليؤتي لهم، فقاموا إلى الصلاة وسلّم بعضهم على بعض، وأوصى بعضهم بعضاً، وقالوا: انطلقوا بنا نأت أخاننا يملیخا فإنه الآن بين يدي الجبار ينتظر متى نأتيه، فبينما هم يقولون ذلك

(١) في «أه» وسكن .

(٢) في «أه» أسطيوس .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) ساقط من «أه» .

وهم جلوس بين ظهري الكهف لم يروا إلا أريوس وأصحابه وقوفاً على باب الكهف. وسبقهم يميلخا فدخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه، ثم سألوه عن شأنه فأخبرهم، وقص عليهم النبأ كله، فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياماً بأمر الله ذلك الزمان كله بأمر الله، وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبعث، وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، ثم دخل على أثر يميلخا أريوس فرأى تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجلاً من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم^(١)، فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوباً فيهما: أن مكسلميانيا، ومخسلميانيا، ويميلخا، ومرطونس، وكشطونس، ويرونس، وديموس، وبطيوس، وحالوش كانوا فتية هربوا من مهلكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف، فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وإنما كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم فلما قرؤوه وعجبوا، وحمدوا الله الذي أراهم آية البعث فيهم، ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسيبته ثم دخلوا على الفتية إلى الكهف فوجدوهم جلوساً بين طهراينهم مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم، فخر أريوس وأصحابه سجوداً، وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته، ثم كلم بعضهم بعضاً وأنبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس [من إكراههم على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت وإخفاء إيمانهم عنه وهربهم إلى الكهف]^(٢)، ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا بريداً إلى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل إلينا لعلك تنظر إلى آية من آيات الله جعلها الله في ملكك، وجعلها آية للعالمين لتكون لهم نوراً وضياءً وتصديقاً للبعث، فاعجل إلى فتية بعثهم الله عز وجل، وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلاثمائة سنة، فلما أتى الملك الخبر رجع إليه عقله وذهب همه فقال: أحمدك الله رب السموات والأرض، وأعبدك، وأسبح لك، تطولت علي ورحمتني فلم تطفئ النور الذي كنت جعلته لآبائي للعبد الصالح اسطنطينوس الملك، فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا إليه وساروا معه حتى أتوا مدينة أفسوس، فتلقاهم أهل المدينة وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف، فلما رأى الفتية بيدروس فرحوا به وخرّوا سُجداً على وجوههم، وقام بيدروس فاعتنقهم وبكى، وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه، ثم قال الفتية لبيدروس: نستودعك الله [إيمانك وخواتيم أعمالك]^(٣) والسلام عليك ورحمة الله، حفظك الله وحفظ ملكك، ونعيزك بالله من شرّ الإنس والجن. فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفى الله تعالى أنفسهم، وقام الملك إليهم فجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوه في المنام، فقالوا له :

٢١٦/ب

(١) ساقط من «أ» .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٣) ساقط من «ب» .

فَضْرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ لَعَلَّ أُمَّةَ
الْحَزِينِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾

إننا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكننا خلقنا من تراب وإلى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه، فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم فأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً يصل في وجعل لهم عيداً عظيماً وأمر أن يؤتى كل سنة .

وقيل: إن يملixa لما حمل إلى الملك الصالح قال له الملك: من أنت قال: أنا رجل من أهل هذه المدينة، وذكر أنه خرج أمس أو منذ أيام، وذكر منزله وأقواماً لم يعرفهم أحد، وكان الملك قد سمع أن فتية فقدوا في الزمن الأول وأن أسماءهم مكتوبة على اللوح بالخزانة، فدعا باللوح وقد نظر في أسمائهم فإذا هو من أولئك القوم، وذكر أسماء الآخرين فقال يملixa هم أصحابي، فلما سمع الملك ذلك ركب ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال يملixa: دعوني حتى أدخل على أصحابي فأبشروهم فإنهم إن رأوكم معي أُرعبتموهم، فدخل فبشروهم، فقبض الله أرواحهم وأعمى عليهم أثرهم فلم يهتدوا إليهم، وذلك قوله عز وجل :

﴿إِذْ أَوْى الْفَتِيَّةَ إِلَى الْكَهْفِ﴾ أي: صاروا إلى الكهف، يقال: أوى فلان إلى موضع كذا، أي: اتخذ منزلاً إلى الكهف، وهو غار في جبل بنجلوس واسم الكهف: «خيرم»^(١) .
﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ . ومعنى الرحمة: الهداية في الدين. وقيل: الرزق، ﴿وَهِيَ لَنَا﴾، يسر لنا، ﴿مِنْ أَمْرِنَا وَرَشْدًا﴾، أي: ما يلتبس من رضاك وما فيه رشدنا، وقال ابن عباس: رشداً أي: مخرجاً من الغار في سلامة .

﴿فَضْرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾، أي: أغمناهم وألقينا عليهم النوم. وقيل: معناه منعنا نفوذ الأصوات إلى مسامعهم، فإن النائم إذا سمع الصوت يتبته، ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾، أي: أغمناهم سنين معدودة وذكر العدد على سبيل التأكيد. وقيل: ذكره يدل على الكثرة فإن القليل لا يعد في العادة .
﴿ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ﴾، يعني من نومهم، ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي: علم المشاهدة، ﴿أُمَّةَ الْحَزِينِ﴾، أي الطائفتين، ﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ . وذلك أن أهل القرية تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف. واختلفوا في قوله: «أحصى لما لبثوا» أحفظ لما مكثوا في كهفهم نيماً أمداً، أي: غاية. وقال مجاهد: عدداً، ونصبه على التفسير .

(١) راجع فيما سبق ص (١٤٥) تعليق (٢) من نفس السورة .

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾
 وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوا مِنْ
 دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً
 لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾
 وَإِذْ اعْتَرَزْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ فَأَوَّاؤَ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ
 رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾

﴿نحن نقص عليك﴾ [نقرأ عليك] (١) ﴿نبأهم﴾، خبر أصحاب الكهف. ﴿بالحق﴾، بالصدق
 ﴿إنهم فتية﴾، شبان، ﴿آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾، إيماناً وبصيرة .

﴿وربطنا﴾، شددنا، ﴿على قلوبهم﴾، بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الإيمان حتى صبروا على
 هجران دار قومهم، ومفارقة ما كانوا فيه من العز وخصب العيش وقرؤا بدينهم إلى الكهف، ﴿إذ
 قاموا﴾، بين يدي دقيانوس حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم، ﴿فقالوا ربنا رب السموات والأرض
 لن ندعو من دونه إلهاً﴾، قالوا ذلك لأن قومهم كانوا يعبدون الأوثان، ﴿لقد قلنا إذا شططاً﴾،
 يعني: إن دعونا غير الله لقد قلنا إذا شططاً، قال ابن عباس: جوراً. وقال قتادة: كذباً. وأصل الشطط
 والإشطاط مجاوزة القدر والإفراط .

﴿هؤلاء قومنا﴾، يعني: أهل بلدهم، ﴿اتخذوا من دونه﴾، أي: من دون الله، ﴿آلهة﴾، يعني:
 الأصنام يعبدونها، ﴿لولا﴾، أي: هلا، ﴿يأتون عليهم﴾، أي: على عبادتهم، ﴿بسلطان بين﴾، بحجة
 واضحة [تبين وتوضح أن الأصنام لا تستحق العبادة من دون الله] (٢)، ﴿فمن أظلم ممن افترى
 على الله كذباً﴾، وزعم أن له شريكاً وولداً .

ثم قال بعضهم لبعض : ﴿وإذ اعتزلتموهم﴾، يعني قومهم (٣)، ﴿وما يعبدون إلا الله﴾، قرأ
 ابن مسعود «وما تعبدون من دون الله»، وأما القراءة المعروفة فمعناها: أنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون

(١) ساقط من «أ» .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) في «ب»: قومكم .

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْسِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلْتُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾﴾

معه الأوثان، يقولون^(١): وإذا اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون إلا الله فإنكم لم تعتزلوا عبادته ﴿فأولوا إلى الكهف﴾، فالجأوا إليه، ﴿ينشر لكم﴾، يسط لكم، ﴿ربكم من رحمته ويبيء لكم﴾، يسهل لكم، ﴿من أمركم مرفقاً﴾ أي: ما يعود إليه يسركم ورفقكم. قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر «مرفقاً» بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأ الآخرون بكسر الميم وفتح الفاء، ومعناها واحد، وهو ما يرتفق به الإنسان . قوله تعالى: ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب: «تزور» بسكون الزاي وتشديد الراء على وزن تُحَمَّرُ، وقرأ أهل الكوفة: بفتح الزاي خفيفة وألف بعدها، وقرأ الآخرون بتشديد الزاي /، وكلها بمعنى واحد، أي: تميل وتعدل، ﴿عن كهفهم ذات اليمين﴾ أي: جانب اليمين، ﴿وإذا غربت تقرضهم﴾، أي: تتركهم وتعدل عنهم، ﴿ذات الشمال﴾، أصل القرض القطع، ﴿وهم في فجوة منه﴾ أي: متسع من الكهف وجمعها فجوات، قال ابن قتيبة: كان كهفهم مستقبل بنات نعش، لا تقع فيه الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب ولا فيما بين ذلك، قال: اختار الله لهم مضجعاً^(٢) في مقناة لا تدخل عليهم الشمس فتؤذيهم بحرّها وتغير ألوانهم، وهم في متسع يناهم برد الريح ونسيمها، ويدفع عنهم كرب الغار وغمومه .

وقال بعضهم^(٣): هذا القول خطأ وهو أن الكهف كان مستقبل بنات نعش فكانت الشمس لا تقع عليهم، ولكن الله صرف الشمس عنهم بقدرته وحال بينها وبينهم، ألا ترى أنه قال: ﴿ذلك من آيات الله﴾، من عجائب صنع الله ودلالات قدرته التي يعتبر بها، ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضل الله، أي: من يضلله الله ولم يرشده، ﴿فلن تجد له ولياً﴾، معيناً، ﴿مرشداً﴾ . قوله تعالى: ﴿وتحسبهم أيقاظاً﴾ أي: متنبهين جمع يَقِظُ، وَيَقُظُ، ﴿وهم رُقُود﴾، نيام، جمع

(١) في «ب»: يقول .

(٢) في «ب»: مضجعاً .

(٣) انظر: زاد المسير: ١١٧/٥ - ١١٨ .

راقد مثل قاعد وقعود، وإنما اشتبه حالهم لأنهم كانوا مفتَّحي الأعين^(١) يتنفسون ولا يتكلمون .
﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾، مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر. قال ابن عباس: كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب إلى جانب لئلا تأكل الأرض لحومهم. وقيل كان يوم عاشوراء يوم تقلبهم. وقال أبو هريرة: كان لهم في كل سنة تقلبان .

﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾، أكثر أهل التفسير على أنه كان من جنس الكلاب .
وروي عن ابن جريج: أنه كان أسداً وسمى الأسد كلباً، فإن النبي ﷺ دعا على عتبة بن أبي لهب فقال: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» فافترسه أسد^(٢) .
والأول أصح^(٣) .

قال ابن عباس: كان كلباً أغر. ويُروى عنه: فوق القلطي^(٤) ودون الكردي، [والقلطي: كلب صيني]^(٥) .

وقال مقاتل: كان أصفر. وقال القرظي: كان شدة^(٦) صفوته تضرب إلى الحمرة. وقال الكلبي: لونه كالخلنج. وقيل: لون الحجر .

قال ابن عباس: كان اسمه قظمير. وعن علي: اسمه ريان. وقال الأوزاعي: بتور. وقال السدي: تور. وقال كعب: صهيلة^(٧) .

قال خالد بن معدان: ليس في الجنة شيء من الدواب سوى كلب أصحاب الكهف وحمار بلعام .
قوله ﴿بالوصيد﴾ قال مجاهد والضحاك: «الوصيد»: فناء الكهف. وقال عطاء: «الوصيد» عتبة الباب. وقال السدي: «الوصيد» الباب، وهو رواية عكرمة عن ابن عباس .
فإن قيل: لم يكن للكهف باب ولا عتبة ؟

قيل: معناه موضع الباب والعتبة، كان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم .
قال السدي: كان أصحاب الكهف إذا انقلبوا انقلب الكلب معهم، وإذا انقلبوا إلى اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى وورقدها عليها، وإذا انقلبوا إلى الشمال كسر أذنه اليسر وورقدها عليها .

(١) في «ب»: مفتحة أعينهم .

(٢) صححه الحاكم في المستدرک: ٥٣٩/٢ وواقفه الذهبي، وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ٣٩/٤ وعزاه أيضاً للبيهقي في الدلائل. انظر: الكافي الشاف ص (١٦٠) .

(٣) في «ب»: المعروف .

(٤) في الدر المنثور: القبطي، والقَلْطِيُّ: القصر من الناس والسنانير والكلاب .

(٥) ساقط من «ب» .

(٦) ساقط من «ب» .

(٧) انظر: التعليق (٢) ص (١٤٥) من السورة .

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ
هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ
وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾

﴿لو اطلعت عليهم﴾، يا محمد، ﴿لوليت منهم فراراً﴾، لما ألبسهم الله من الهية حتى لا يصل
إليهم أحد، حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقفهم الله تعالى من رقدتهم، ﴿ولمليت منهم رعباً﴾، خوفاً،
قرأ أهل الحجاز بتشديد اللام والآخرين بتخفيفها .

واختلفوا في أن الرعب كان لماذا^(١): قيل من وحشة المكان .

وقال الكلبي: لأن أعينهم كانت^(٢) مفتحة، كالستيقظ الذي يريد أن يتكلم، وهم نيام .

وقيل: لكثرة شعورهم، وطول أظفارهم، ولتقلبهم من غير حس ولا إشعار .

وقيل: إن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد .

وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف
الذي فيه أصحاب الكهف، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم. فقال ابن عباس
رضي الله عنهم: لقد منع ذلك من هو خير منك، فقال: ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً﴾
فبعث معاوية ناساً فقال: اذهبوا فانظروا، فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم^(٣) .
قوله تعالى: ﴿وكذلك بعثناهم﴾، أي: كما أماناهم في الكهف وحفظنا أجسادهم من البلى على
طول الزمان، فكذلك^(٤) بعثناهم من النوم التي تشبه الموت، ﴿ليتساءلوا بينهم﴾، ليسأل بعضهم
بعضاً، واللام فيه لام العاقبة، لأنهم لم يبعثوا للسؤال .

﴿قال قائل منهم﴾: وهو رئيسهم مكسلبينا، ﴿كم لبثتم﴾ في نومكم؟ وذلك أنهم استنكروا
طول نومهم. ويقال: إنهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك .

﴿قالوا لبثنا يوماً﴾، وذلك أنهم دخلوا الكهف غدوة فقالوا فانتبهوا [حين انتبهوا]^(٥) عشية،

(١) في «ب»: ماذا .

(٢) زيادة من «ب» .

(٣) ذكره التعليق: انظر تفسير القرطبي: ٣٨٩/١٠ .

(٤) ساقط من «أ» .

(٥) ساقط من «أ» .

إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا
إِذَا أَبَدْنَا ﴿١٠﴾ وَكَذَلِكَ نُعَذِّبُهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ
لَأَرْيَبَ فِيهَا إِذِ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ
بِهِمْ قَالِ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَيَّ أَمْرَهُمْ لَنْتَّخِذَكَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿١١﴾

فقالوا: لبنا يوماً، ثم نظروا وقد بقيت من الشمس بقية، فقالوا: ﴿أو بعض يوم﴾، فلما نظروا
إلى طول شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم .

﴿قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾، وقيل: إن رئيسهم مكسلبينا لما سمع الاختلاف بينهم قال: دعوا
الاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم، ﴿فابعثوا أحداً بورقكم هذه﴾، يعني يملخا .
قرأ أبو عمرو، وحمة، وأبو بكر: بورقكم ساكنة الراء والباقون بكسرهما، ومعناها واحد،
وهي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة .

﴿إلى المدينة﴾، قيل: هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أفسوس فسموها في الإسلام
طرسوس .

﴿فلينظر أيها أزكى طعاماً﴾ أي: أحل طعاماً حتى لا يكون من غضب أو سبب حرام، وقيل:
أمروه أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا يكون من ذبيحة من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون
إيمانهم. وقال الضحاك: أطيب طعاماً. وقال مقاتل بن حيان: أجود طعاماً. وقال عكرمة أكثر، وأصل
الزكاة الزيادة. وقيل: أرخص طعاماً .

﴿فليأتكم برزقي منه﴾، أي: قوت وطعام تأكلونه، ﴿وليتلطف﴾، وليرفق في الطريق وفي
المدينة وليكن في ستر وكتان /، ﴿ولا يشعروا﴾، ولا يعلمن، ﴿بكم أحداً﴾، من الناس .

﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾، أي: يعلموا بمكانكم، ﴿يرجموكم﴾ قال ابن جريج: يشتمونكم
ويؤذونكم بالقول. وقيل: يقتلوكم، وقيل: كان من عاداتهم القتل بالحجارة وهو أحبث القتل. وقيل
يضربوكم، ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ أي: إلى الكفر، ﴿ولن تفلحوا إذا أبدا﴾، إن عدم إليه .
قوله عز وجل: ﴿وكذلك أعذبنا﴾ أي: أطلعنا، ﴿عليهم﴾، يقال: عذبْتُ على الشيء: إذا
اطلعت عليه، وأعذبْتُ غيره، أي: أطلعته، ﴿ليعلموا أن وعد الله حق﴾، يعني قوم (١) بيدروس
الذين أنكروا البعث، ﴿وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾، قال ابن عباس:

(١) في «ب»: اصحاب .

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ
 رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ
 مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ فَلَا تَمَارِفِهِمْ إِلَّا مَرَاءَ ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ
 أَحَدًا ﴿٢٢﴾

يتنازعون في البيان، فقال: المسلمون: نبي عليهم مسجداً يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا، وقال
 المشركون: نبي عليهم (١) نبياً لأنهم من أهل نسبنا .

وقال عكرمة: تنازعوا في البعث، فقال المسلمون: البعث للأجساد والأرواح معاً، وقال قوم:
 للأرواح دون الأجساد، فبعثهم الله تعالى وأراهم أن البعث للأجساد والأرواح .
 وقيل: تنازعوا في مدة لبثهم. وقيل: في عددهم .

﴿فقالوا ابنوا عليهم نبياً رأيتهم أعلم بهم، قال الذين غلبوا على أمرهم﴾، بيدروس الملك
 وأصحابه، ﴿لَتتخذن عليهم مسجداً﴾ .

﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم﴾، روي أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى أهل نجران
 كانوا عند النبي ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقال السيد - وكان يعقوبياً - : كانوا ثلاثة
 رابعهم كلبهم، وقال العاقب - وكان نستورياً - : كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال المسلمون:
 كانوا سبعة ثامنهم كلبهم، فحقق الله قول المسلمين بعد ما حكى قول النصارى، فقال: ﴿سيقولون
 ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب﴾ (٢)، أي: ظناً وخذساً من غير
 يقين، ولم يقل هذا في حق السبعة، فقال: ﴿ويقولون﴾ يعني: المسلمين، ﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾ .
 اختلفوا في الواو في قوله: ﴿وثامنهم﴾ قيل: تركها وذكرها سواء .

وقيل: هي واو الحكم والتحقيق، كأنه حكى اختلافهم، وتم الكلام عند قوله ويقولون سبعة،
 ثم حقق هذا القول بقوله ﴿وثامنهم كلبهم﴾ والثامن لا يكون إلا بعد السابع .

وقيل: هذه واو الثانية، وذلك أن العرب تعد فتقول واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة
 وثمانية، لأن العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة، نظيره قوله تعالى (٣): «التائبون

(١) ساقط من «أ» .

(٢) انظر: زاد المسير: ١٢٤/٥، القرطبي: ٣٨٢/١٠ .

(٣) انظر: زاد المسير: ١٢٥/٥، القرطبي: ٣٨٢-٣٨٢/١٠ .

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا
نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

العابدون الحامدون» إلى قوله: «والناهون عن المنكر» (التوبة - ١١٢)، وقال في أزواج النبي ﷺ
«عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكّن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات
سائحات ثيبات وأبكاراً» (التحریم - ٥) .

﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾، أي: بعددهم ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، أي: إلا قليل من الناس. قال
ابن عباس: أنا من القليل، كانوا سبعة .

وقال محمد بن إسحاق: كانوا ثمانية. قرأ: ﴿وَوَثَّامَهُمْ كَلْبَهُمْ﴾ أي: حافظهم، والصحيح هو
الأول .

وروي عن ابن عباس أنه قال: هم مكسلمينا، ومليخا، ومرطونس، وبينونس، وسارينونس،
وذو نوانس، وكشفيطنونس، وهو الراعي، والكلب قطمير^(١) .

﴿فَلَا تَمَارَ فِيهِمْ﴾، أي: لا تجادل ولا تقل في عددهم وشأنهم، ﴿إِلَّا مَرَاءَ ظَاهِرًا﴾، إلا بظاهر
ما قصصنا عليك، يقول: حسبك ما قصصت عليك، فلا تزد عليه، وقِفْ عنده، ﴿وَلَا تُسْتَفْتِ
فِيهِمْ مِنْهُمْ﴾، من أهل الكتاب، ﴿أَحَدًا﴾ أي: لا ترجع إلى قولهم بعد أن أخبرناك .

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ . إلا أن يشاء الله، يعني: إذا عزمت على أن
تفعل غداً شيئاً تقل: أفعل غداً، حتى تقول إن شاء الله، وذلك أن أهل مكة سألوه عن الروح
وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين، فقال: أخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله، فلبث الوحي
أياماً ثم نزلت هذه الآية^(٢) .

﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾، قال ابن عباس ومجاهد والحسن: معناه إذا نسيت الاستثناء ثم
ذكرت فاستثنى .

وجوّز ابن عباس الاستثناء المنقطع، وإن كان إلى سنة. وجوّزه الحسن ما دام في المجلس، وجوزه
بعضهم إذا قرب الزمان، فإن بَعُدَ فلا يصح. ولم [يجوّز باستثناء]^(٣) جماعة حتى يكون متصلاً
بالكلام^(٤) .

(١) انظر فيما سبق ص (١٤٥) تعليق (٢) .

(٢) انظر: الدر المنثور: ٣٣٧/٥، زاد المسير: ١٢٧/٥، تفسير ابن كثير: ٧٢/٣-٧٣ .

(٣) في «ب»: بجوّزه .

(٤) قال الطبري في التفسير: (٢٢٩/٥-٢٣٠) : «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: وادكر ربك إذا تركت =

وقال عكرمة: معنى الآية: واذكر ربك إذا غضبت^(١).

وقال وهب: مكتوب في الإنجيل: ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين أغضب .

وقال الضحاك والسدي: هذا في الصلاة .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنبأنا الحسن بن أحمد المخلدي، حدثنا أبو العباس السراج، حدثنا قتيبة، حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس قال: قال النبي ﷺ: «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها»^(٢).

ذكره، لأن أحد معاني النسيان في كلام العرب: التَّرك .

فإن قال قائل: أفجائز للرجل أن يستثني في يمينه، إذ كان معنى الكلام ما ذكرت بعد مدة من حال حلفه؟ قيل: بل الصواب أن يستثني ولو بعد حنثه في يمينه، فيقول: إن شاء الله ليخرج بقبيله ذلك مما ألزمه الله في ذلك بهذه الآية، فيسقط عنه الحرج بتركه ما أمره بقبيله من ذلك، فأما الكفارة فلا تسقط عنه بحال، إلا أن يكون استنائه موصولاً بيمينه .

ثم وجه رأي ابن عباس رضي الله عنهما، ورأي من قال بأن له الاستثناء ما دام في مجلسه، فقال: «إن معناه في ذلك نحو معناها في أن ذلك له، ولو بعد عشر سنين، وأنه استنائه وقيله إن شاء الله بعد حين من حال حلفه، يسقط عنه الحرج الذي لو لم يقبله كان لازماً له؛ فأما الكفارة: فله لازمة بالحنث بكل حال، إلا أن يكون استنائه موصولاً بالحلف، وذلك: أنا لا نعلم قائلًا ممن قال: له الثَّنيَا بعد حين يزعم أن ذلك يضع عنه الكفارة إذا حنث، ففي ذلك أوضح الدليل على صحة ما قلنا في ذلك...» وهذا ما رجحه ابن كثير أيضاً: ٨٠/٣ .

وقال الجصاص في «أحكام القرآن»: (٤١/٥-٤٢): «هذا الضرب من الاستثناء يدخل لرفع حكم الكلام حتى يكون وجوده وعدمه سواء، وذلك لأن الله تعالى ندبه الاستثناء بمشقة الله تعالى لتلا يصير كاذباً بالحلف، فدل على أن حكمه ما وصفنا. ويدل عليه أيضاً قوله عز وجل حاكياً عن موسى عليه السلام: «ستجدني إن شاء الله صابراً» فلم يصبر ولم يك كاذباً؛ لوجود الاستثناء في كلامه، فدل على أن معناه ما وصفنا من دخوله في الكلام لرفع حكمه، فوجب أن لا يختلف حكمه في دخوله على اليمين أو على إيقاع الطلاق أو على العتاق...» .

ثم رجح أن الاستثناء لا يصح ولا يكون له هذا الأثر الذي وصفه إلا بأن يكون متصلًا باليمين - وهي نقطة الاتفاق مع تأويل الطبري - وهو قول إبراهيم وعطاء والشعبي، «لأن الاستثناء بمنزلة الشرط، لا يصلح ولا يثبت حكمه إلا موصولاً بالكلام من غير فصل، مثل قوله: أنت طالق إن دخلت الدار. فلو قال: أنت طالق، ثم قال: إن دخلت الدار بعدما سكت، لم يوجب ذلك تعلق الطلاق بالدخول، ولو جاز هذا لجاز أن يقول لامرأته أنت طالق ثلاثاً. ثم يقول بعد سنة: إن شاء الله، فيبطل الطلاق، ولا تحتاج إلى زوج ثانٍ في إباحتها للزوج الأول، وفي تحريم الله تعالى إياها عليه بالطلاق الثلاث إلا بعد زوج دلالة على بطلان الاستثناء بعد السكوت...» .

وانظر قصة احتجاج أبي حنيفة لذلك على المنصور في: أضواء البيان للشنقيطي: ٧٩/٤. وراجع القرطبي: ٣٨٦/١٠. فقد رجح أن الآية ليست في اليمين بشيء وإنما هي استفتاح كلام، على الأصح .

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص: ٤٢/٥. ونقل الطبري (٢٢٩/١٥) عن عكرمة أيضاً: اذكر ربك إذا عصيت (بالعين والصاد المهملتين) .

(٢) أخرجه البخاري في المواقيت، باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكر: ٧٠/٢، ومسلم في المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة، واستحباب تعجيل قضائها، برقم (٥٩٧): ٢٤١/٢. والمصنف في شرح السنة: ٢٤١/٢ .

وَلِبَثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةِ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا ٢٥

﴿وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً﴾، أي: يشتني على طريق هو أقرب إليه وأرشداً^(١).

وقيل: أمر الله نبيه أن يذكره إذا نسي شيئاً، ويسأله أن يهديه لما هو خير له من ذكر ما نسيه^(٢).

ويقال: هو أن القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله عز وجل أن يخبرهم أن الله سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف، وقد فعل، حيث آتاه من علم الغيب المرسلين ما كان أوضح لهم في الحججة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف^(٣).

وقال بعضهم: هذا شيء أمر أن يقوله مع قوله «إن شاء الله» إذا ذكر الاستثناء بعد النسيان، وإذا نسي الإنسان «إن شاء الله» فتوبته من ذلك أن يقول: «عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً»^(٤).

قوله عز وجل: ﴿ولبثوا في كهفهم﴾، يعني: أصحاب الكهف. قال بعضهم: هذا خبر عن أهل الكتاب أنهم قالوا ذلك. ولو كان خبراً من عند الله عز وجل عن قدر لبثهم لم يكن لقوله «قل الله أعلم بما لبثوا» وجه، وهذا قول قتادة. ويدل عليه قراءة ابن مسعود: «وقالوا لبثوا في كهفهم» ثم رد الله تعالى عليهم فقال: «قل الله أعلم بما لبثوا»^(٥).

وقال الآخرون: هذا إخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف وهو الأصح. [وأما قوله: «قل الله أعلم بما لبثوا» فمعناه: أن الأمر من مدة لبثهم]^(٦) كما ذكرنا، فإن نازعوك فيها فأجبتهم، وقل: الله أعلم بما لبثوا، أي: هو أعلم منكم، وقد أخبرنا بمدة لبثهم.

(١) وهذا ما اعتمده ابن كثير، ولم يذكر غيره.

(٢) انظر: البحر المحيط: ١١٦/٦.

(٣) انظر: زاد المسير: ١٢٩/٥، البحر المحيط: ١١٦/٦.

(٤) وهذا ما اعتمده الطبري: ٢٣٠/١٥.

(٥) وفي هذا الذي قاله قتادة نظر، فإن الذي بأيدي أهل الكتاب: أنهم لبثوا ثلاثمائة سنة، من غير تسع، يعنون بالشمسية. ولو كان الله تعالى قد حكى قولهم لما قال: «وأزادوا تسعاً». والظاهر من الآية إنما هو إخبار من الله، لا حكاية عنهم - كما في القول الآتي الذي رجحه المصنف - وهو اختيار الطبري رحمه الله.

ورواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعة، ثم هي شاذة بالنسبة إلى قراءة الجمهور، فلا يحتج بها. والله أعلم.

تفسير ابن كثير: ٨٠/٣-٨١، وانظر: الطبري: ٢٣١/١٥-٢٣٢.

(٦) ما بين القوسين ساقط من «أ».

قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ
مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٦٦﴾

وقيل: إن أهل الكتاب قالوا: إن هذه المدة من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلاثمائة وتسع سنين، فردّ الله عليهم وقال: «قل الله أعلم بما لبثوا» يعني: بعد قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلمه إلا الله / .

قوله تعالى: ﴿ثَلَاث مِائَةَ سَنِينَ﴾ قرأ حمزة والكسائي «ثلاثمائة» بلا تنوين، وقرأ الآخرون بالتنوين .

فإن قيل: لِمَ قال ثلاثمائة سنين [ولم يقل سنة؟] (١) .

قيل: نزل قوله: «ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة»، فقالوا: أياماً أو شهوراً أو سنين؟ فنزلت «سنين» . قال الفراء: ومن العرب من يضع سنين في موضع سنة .

وقيل: معناه ولبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائة .

﴿وازدادوا تسعاً﴾، قال الكلبي (٢): قالت نصارى نجران أما ثلاثمائة فقد عرفنا، وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت .

﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ روي عن علي أنه قال: عند أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاثمائة شمسية، والله تعالى ذكر ثلاثمائة قمرية، والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة ثلاث سنين، فيكون في ثلاثمائة تسع سنين، فلذلك قال: «وازدادوا تسعاً» .

﴿له غيب السموات والأرض﴾، فالغيب ما يغيب عن إدراك، والله عزّ وجلّ لا يغيب عن إدراكه شيء .

﴿أبصر به وأسمع﴾ أي: ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه لكل مسموع! أي: لا يغيب عن سمعه وبصره شيء .

﴿ما لهم﴾ أي: ما لأهل السموات والأرض، ﴿من دونه﴾ أي من دون الله، ﴿من ولى﴾ ناصر، ﴿ولا يشرك في حكمه أحداً﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب: ﴿ولا تشرك﴾ بالتاء على المخاطبة والنهي، وقرأ الآخرون بالياء، أي: لا يشرك الله في حكمه أحداً. وقيل: «الحكم» هنا علم الغيب، أي: لا يشرك في علم غيبه أحداً .

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) الكلبي، هو محمد بن السائب، ضعيف. وانظر: زاد المسير: ١٣١/٥ .

وَأْتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ
 مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
 وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ
 عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

قوله عز وجل: ﴿وأتل﴾ أي: واقرأ يا محمد، ﴿ما أوحى إليك من كتاب ربك﴾، يعني القرآن،
 واتبع ما فيه، ﴿لا مبدل لكلماته﴾، قال الكلبي: لا مغير للقرآن. وقيل: لا مغير لما أوعد بكلماته
 أهل معاصيه، ﴿ولن تجد﴾، أنت، ﴿من دونه﴾، إن لم تتبع القرآن، ﴿ملتحداً﴾، قال ابن عباس
 رضي الله عنهما: حرزاً. وقال الحسن: مدخلاً. وقال مجاهد: ملجأ. وقيل: مغللاً. وقيل: مهرباً.
 وأصله من الميل .

قوله عز وجل: ﴿واصبر نفسك﴾ الآية، نزلت في عيينة بن حصن الفزاري أتى النبي ﷺ
 قبل أن يسلم، وعنده جماعة من الفقراء، فيهم سلمان وعليه شملة قد عرق فيها، ويده خوصة يشقها
 ثم ينسجها، فقال عيينة للنبي ﷺ: أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها، فإن أسلمنا
 أسلم الناس، وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فنحهم عنك حتى نتبعك، أو اجعل لنا مجلساً ولهم
 مجلساً، فأنزل الله عز وجل: ﴿واصبر نفسك﴾^(١)، أي: احبس يا محمد نفسك ﴿مع الذين يدعون
 ربهم بالغداة والعشي﴾، طرفي النهار، ﴿يريدون وجهه﴾، أي: يريدون الله، لا يريدون به عرضاً
 من الدنيا .

قال قتادة: نزلت في أصحاب الصفة، وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ،
 لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع، يصلون صلاة وينتظرون أخرى، فلما نزلت هذه
 الآية قال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم»^(٢) .

﴿ولا تغد﴾ أي: لا تصرف ولا تتجاوز، ﴿عينك عنهم﴾، إلى غيرهم، ﴿تريد زينة الحياة
 الدنيا﴾، أي: طلب مجالسة الأغنياء والأشراف وصحبة أهل الدنيا .
 ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾، أي: جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا، يعني: عيينة ابن

(١) انظر: الدر المنثور: ٣٨٠/٥-٣٨٢، الطبري: ٢٣٤/١٥-٢٣٦، أسباب النزول للواحدي ص (٣٤٤-٣٤٥)، زاد المسير:
 ١٣٢/٥ .

(٢) انظر: الدر المنثور: ٣٨٠/٥، أسباب النزول ص (٣٤٥)، ابن كثير: ٨٢/٣ .

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا
أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ
الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

حصن. وقيل: أمية بن خلف، ﴿واتبع هواه﴾، أي مراده في طلب الشهوات، ﴿وكان أمره قُرطاً﴾، قال قتادة ومجاهد: ضياعاً. وقيل: معناه ضيع عمره^(١) وعطل أيامه. وقيل: ندماً. وقال مقاتل ابن حيان: سرفاً. وقال الفراء: متروكاً. وقيل باطلاً. وقيل: مخالفاً للحق. وقال الأخفش: مجاوزاً للحد^(٢). قيل: معنى التجاوز في الحد، هو قول عيينة: إن أسلمنا أسلم الناس، وهذا إفراط عظيم. ﴿وقل الحق من ربكم﴾، أي: ما ذكر من الإيمان والقرآن، معناه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا: أيها الناس [قد جاءكم من ربكم الحق]^(٣) وإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهدى والضلال، ليس إلي من ذلك شيء.

﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾، هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله: «اعلموا ما شئتم» (فصلت - ٤: ٤).

وقيل معنى الآية: وقل الحق من ربكم، ولست بطارد المؤمنين لهواكم، فإن شئتم فأمنوا وإن شئتم فاكفروا، فإن كفرتم فقد أعد لكم ربكم ناراً أحاط بكم سرادقها، وإن آمنتم فلکم ما وصف الله عز وجل لأهل طاعته^(٥).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية: من شاء الله له الإيمان آمن، ومن شاء له الكفر، كفر^(٦)، وهو قوله: «وما تشاؤون إلا أن يشاء الله» (الإنسان - ٣٠).

﴿إنا أعتدنا﴾: أعددنا، وهيئنا، من الإعداد^(٧)، وهو العدة، ﴿للظالمين﴾ للكافرين، ﴿ناراً أحاط بهم سرادقها﴾ «السرادق»: الحجرة التي تطيف^(٨) بالفساطيط.

(١) في «ب»: أمره.

(٢) انظر: زاد المسير: ١٣٣/٥.

(٣) في «ب»: الحق من ربكم.

(٤) قاله الزجاج: انظر: زاد المسير: ١٣٤/٥، ابن كثير: ٨٢/٣.

(٥) وهو ما اعتمده الطبري: ٢٣٧/١٥.

(٦) أخرجه الطبري عن ابن عباس: ٢٣٧/١٥-٢٣٨.

(٧) في «ب»: العباد.

(٨) في «ب»: تحيط.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنبأنا محمد ابن يعقوب الكسائي، أنبأنا عبدالله بن محمود، أنبأنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، أنبأنا عبدالله بن المبارك، عن رشدين بن سعد، حدثني عمرو بن الحارث، عن دراج بن أبي السمح، عن أبي الهيثم بن عبدالله، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «سرادق النار أربعة جُدُرٌ كثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة» (١).

قال ابن عباس: هو حائط من نار .

وقال الكلبي: هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالخطيرة .

وقيل: هو دخان يحيط بالكفار وهو الذي ذكره الله تعالى: «انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب»

(المرسلات - ٣٠) .

﴿وإن يستغيثوا﴾، من شدة العطش، ﴿يغاثوا بماءٍ كالمهل﴾ .

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنبأنا عبدالله بن محمود، أنبأنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، حدثنا عبدالله بن المبارك عن رشدين / بن سعد، حدثنا عمرو بن الحارث، عن دراج بن أبي السمح، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿بماء كالمهل﴾ قال كعكر الزيت، فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه» (٢).

ب/٢١٨

وقال ابن عباس: هو ماء غليظ مثل دُرْدِيّ الزيت .

وقال مجاهد: هو القيح والدم .

وسئل ابن مسعود عن: «المهل» فدعا بذهب وفضة فأوقد عليهما النار حتى ذابا، ثم قال: هذا

أشبه شيء بالمهل (٣).

﴿يشوي الوجوه﴾، ينضج الوجوه من حره .

﴿بئس الشراب وساءت النار﴾، «مرتفقاً»، قال ابن عباس: منزلاً. وقال مجاهد: مجتمعاً.

وقال عطاء: مقراً. وقال القتيبي: مجلساً. وأصل «المرتفق»: المتكأ (٤).

(١) أخرجه الترمذي في أبواب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار: ٣٠٦/٧، وقال: «هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين، وفي رشدين بن سعد مقال»، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢٩/٣، والحاكم: ٦٠١/٤، والطبري: ٢٣٩/١٥، والمصنف في شرح السنة: ٢٤٥/١٥ .

وإسناده ضعيف لضعف رشدين، ودراج ضعيف .

(٢) أخرجه الترمذي في الموضوع السابق: ٣٠٥/٧-٣٠٦، وأحمد: ٧٠-٧١، والحاكم: ٦٠٤/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٤٥/١٥، بنفس الإسناد، وهو ضعيف .

(٣) انظر هذه الأقوال في: زاد المسير: ١٣٥/٥ .

(٤) انظر زاد المسير: ١٣٦/٥ .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾
 أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
 مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى
 الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ * وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا
 جَنَّةَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَقْتُهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾، فإن
 قيل: أين جواب قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؟
 قيل: جوابه قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي﴾، وأما قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ فكلام
 معترض (١).

وقيل: فيه إضمار، معناه: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإننا لا نضيع أجرهم بل نجازيهم،
 ثم ذكر الجزاء فقال (٢).

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾، أي: إقامة، يقال: عَدَنَ فلان بالمكان إذا أقام به، سُمِّيَتْ
 عَدْنًا لخلود المؤمنين فيها، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾، قال
 سعيد بن جبير: يحلى كل واحد منهم ثلاث أساور، واحد من ذهب، وواحد من فضة، وواحد
 من لؤلؤ وياقوت، ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ﴾، وهو مارق من الديباج، ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾،
 وهو ما غلظ منه، ومعنى الغلظ في ثياب الجنة: إحكامه. وعن أبي عمران الجوني قال: السندس
 هو الديباج المنسوج بالذهب، ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا﴾، في الجنان، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾، وهي السرر في
 الجبال، واحدها أريكة، ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾، أي نعم الجزاء، ﴿وَحَسُنَتْ﴾، الجنان ﴿مُرْتَفَقًا﴾ أي:
 مجلساً ومقرأ.

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ الآية، قيل: نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم، أحدهما
 مؤمن، وهو أبو سلمة عبدالله بن عبد الأسد بن عبد ياليل (٣) [وكان زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ]

(١) زاد المسير: ١٣٧/٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: البحر المحيط: ١٢٤/٦.

والآخر كافر وهو الأسود بن عبد الأسد بن عبد ياليل^(١).

وقيل: هذا مثل لعينة بن حصن وأصحابه مع سلمان، وأصحابه، شبههما برجلين من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس، وقال مقاتل: يملحها، والآخر كافر واسمه قطروس، وقال وهب: قطفير، وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة «الصفات»، وكانت قصتهما، على ما حكى عبدالله بن المبارك عن معمر عن عطاء الخراساني قال: كان رجلان شريكين لهما ثمانية آلاف دينار، وقيل: كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتهما، فعمد أحدهما فاشتري أرضاً بألف دينار، فقال صاحبه: اللهم إن فلاناً قد اشترى أرضاً بألف دينار، فإني أشتري منك أرضاً في الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار، ثم إن صاحبه بنى داراً بألف دينار، فقال هذا: اللهم إن فلاناً بنى داراً بألف دينار، فإني أشتري منك داراً في الجنة بألف دينار، فتصدق بذلك ثم تزوج صاحبه امرأة فأنفق عليها ألف دينار، فقال هذا المؤمن: اللهم إني أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار، ثم اشترى صاحبه خدماً ومتاعاً بألف دينار، فقال هذا: اللهم إني أشتري منك متاعاً وخدماً في الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار، ثم أصابته حاجة شديدة، فقال: لو أتيت صاحبي لعله ينالني منه معروف، فجلس على طريقه حتى مرَّ به في حشمه، فقام إليه فنظر إليه الآخر فعرفه، فقال: فلان؟ قال: نعم، فقال: ما شأنك؟ قال: أصابتنى حاجة بعدك فأتيتك لتصيبي بخير، فقال: ما فعل مالك وقد اقتسمنا مالاً واحداً^(٢) وأخذت شطره؟ فقصَّ عليه قصته، فقال: وإنك لمن المصدقين بهذا^(٣)؟ اذهب فلا أعطيك شيئاً، فطرده فقضى لهما أن توفيا، فنزل فيهما: «فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم إني كان لي قرين» (الصفات - ٥٠، ٥١).

وروي أنه لما أتاه أخذ بيده وجعل يطوف به ويريه أموال نفسه، فنزل فيهما^(٤).

﴿واضرب لهم مثلاً رجلين﴾ اذكر لهم خبر رجلين، ﴿جعلنا لأحدهما جنتين﴾، بستانين، ﴿من أعناب وحفناهما بنخل﴾، أي: أطفناهما من جوانبهما بنخل، والحفان: الجانب، وجمعه أحنفة، يقال: حفَّ به القوم، أي: طافوا بجوانبه، ﴿وجعلنا بينهما زرعاً﴾، أي: جعلنا حول الأعناب النخيل، ووسط الأعناب الزرع.

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) ساقط من «أ».

(٣) ساقط من «ب».

(٤) انظر: زاد المسير: ١٣٨-١٣٩، البحر المحيط: ١٢٤/٦، تفسير القرطبي: ٤٠٠-٣٩٩/١٠. والقصة من رواية الكلبي، وهو ضعيف.

كَلَّمَا الْجِنِّينِ ءَأَنْتَ أَكُلْهَا وَلَمْ تَظَلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ
ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ
وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً
وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾

وقيل: «بينهما» أي بين الجنتين زرعاً، يعني: لم يكن بين الجنتين موضع خراب .

﴿كَلَّمَا الْجِنِّينِ آتَى﴾، أي أعطى كل واحد من الجنتين، ﴿أَكُلْهَا﴾، ثمرها تاماً، ﴿وَلَمْ تَظَلِمِ﴾
لم تنقص، ﴿مِنْهُ شَيْئًا﴾، قرأ العامة بالتشديد، وقرأ يعقوب بتخفيف الجيم، ﴿خِلْفَهُمَا نَهْرًا﴾
يعني: شققنا وأخرجنا وسطهما نهراً .

﴿وَكَانَ لَهُ﴾، لصاحب البستان، ﴿ثَمْرٌ﴾ قرأ عاصم وأبو جعفر ويعقوب: ﴿ثَمْرٌ﴾ بفتح الراء
والميم، وكذلك: «بشمره»، وقرأ أبو عمرو: بضم الراء ساكنة الميم، وقرأ الآخرون بضمهما .
فمن قرأ بالفتح هو جمع ثَمْرَة، وهو ما تخرجه الشجرة من الثمار المأكولة .
ومن قرأ بالضم فهي الأموال الكثيرة المثمرة من كل صنف، جمع ثمار. وقال مجاهد: ذهب
وفضة. وقيل: جميع الثمرات .

قال الأزهري: «الثَمْرَة» تجمع على «ثَمْر»، ويجمع «الثَمْر» على «ثَمَار»، ثم تجمع «الثَمَار» على
«ثَمْر»^(١) .

﴿فَقَالَ﴾، يعني صاحب البستان، ﴿لِصَاحِبِهِ﴾، المؤمن، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾، يخاطبه ويجاوبه:
﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ أي: عشيرة ورهطاً. وقال قتادة: خدماً وحشماً. وقال مقاتل:
ولداً، تصديقه قوله تعالى: «إن ترين أنا أقل منك مَالاً وولداً» (الكهف - ٣٩) .

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾، يعني الكافر، أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به فيها ويريه أثمارها، ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ
لِنَفْسِهِ﴾، بكفره، ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ﴾، تهلك، ﴿هَذِهِ أَبَدًا﴾، قال أهل المعاني: راقه حُسْنُهَا
وَعَرَّتْهُ زَهْرَتُهَا، فتوهم أنها لا تفتنى أبداً، وأنكر البعث .

فقال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾، كائنة، ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾،
قرأ أهل الحجاز والشام هكذا على الثنية، يعني من الجنتين، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الآخرون
﴿مِنْهَا﴾ أي: من الجنة التي دخلها، ﴿مُنْقَلَبًا﴾ أي: مرجعاً .

(١) انظر لسان العرب: ١٠٧/٤ مادة «ثمر» .

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ
 سَوَّاهُ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ
 جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾
 فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ
 صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾

إن قيل: كيف قال: «ولئن رددت إلى ربي»، وهو منكر البعث؟

قيل: معناه: ولئن رددت إلى ربي - على ما تزعم أنت - يعطيني هنالك خيراً منها، فإنه لم يعطيني هذه الجنة في الدنيا إلا ليعطيني في الآخرة أفضل منها .

﴿قال له صاحبه﴾، المسلم، ﴿وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾، أي خلق أصلك من تراب، ﴿ثم﴾، خلقك، ﴿من نطفة ثم سواك رجلاً﴾ أي: عدلك بشراً / سويّاً ذكراً .
 ﴿لكننا هو الله ربِّي﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب: «لكننا» بالألف في الوصل، وقرأ الباقون بلا ألف، واتفقوا على إثبات الألف في الوقف، وأصله: «لكن أنا»، فحذفت الهمزة طلباً للتخفيف، لكثرة استعمالها، ثم أدغمت إحدى النونين في الأخرى، قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير، مجازه: لكن الله هو ربي، ﴿ولا أشرك بربي أحداً﴾ .

﴿ولولا إذ دخلت جنتك﴾، أي: هلا إذ دخلت جنتك، ﴿قلت ما شاء الله﴾ أي: الأمر ما شاء الله. وقيل: جوابه مضمّر، أي: ما شاء الله كان، وقوله: ﴿لا قوة إلا بالله﴾، أي: لا أقدر على حفظ مالي أو دفع شيء عنه إلا [بإذن الله] (١) .

وروي عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان إذا رأى من ماله شيئاً يعجبه أو دخل حائطاً من حيطانه. قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله (٢) .

ثم قال: ﴿إن ترني أنا أقل منك مالا وولداً﴾ و«أنا» عماد، ولذلك نصب أقل (٣)، معناه: إن ترني أقل منك مالا وولداً فتكبرت وتعظمت علي .

﴿فعسى ربي﴾، فلعل ربي، ﴿أن يؤتيني﴾، يعطيني في الآخرة، ﴿خيراً من جنتك ويرسل

(١) في «ب»: بالله .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «شعب الإيمان». انظر: الدر المنثور: ٣٩١/٥ .

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٩/١٥، زاد المسير: ١٤٥/٥ .

أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِشْمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ
 كَفِيَّهُ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾
 وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ
 هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

عليها، أي على جنتك، ﴿حُسْبَانًا﴾، قال قتادة: عذاباً. وقال ابن عباس رضي الله عنه: ناراً. وقال
 القتيبي: مرامي^(١). ﴿من السماء﴾، وهي مثل صاعقة أو شيء يهلكها، واحدها: «حسانية»،
 ﴿فصبح صعيداً زلقاً﴾، أي أرضاً جرداء ملساء لا نبات فيها. وقيل: تزلق فيها الأقدام. وقال مجاهد:
 رملاً هائلاً.

﴿أو يصبح مأوها غوراً﴾، أي: غائراً، منقطعاً ذاهباً، لا تناله الأيدي، ولا الدلاء، و«الغور»:
 مصدرٌ وُضِعَ موضع الاسم، مثل: زور وعدل، ﴿فلن تستطيع له طلباً﴾، يعني: إن طلبته لم تجده.
 ﴿وأحيط بشمره﴾، أي: أحاط العذاب بشمر جنته، وذلك أن الله تعالى أرسل عليها ناراً فأهلكتها
 وغار مأوها، ﴿فأصبح﴾، صاحبها الكافر، ﴿يقلب كفيه﴾، أي: يصفق بيده على الأخرى، ويقلب
 كفيه ظهراً لبطن، تأسفاً وتلهفاً، ﴿على ما أنفق فيها وهي خاوية﴾، أي ساقطة، ﴿على عروشها﴾،
 سقوفها، ﴿ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً﴾.

قال الله تعالى: ﴿ولم تكن له فئة﴾، جماعة، ﴿ينصرونه من دون الله﴾، يمنعونه من عذاب
 الله، ﴿وما كان منتصراً﴾، ممتنعاً منتقماً، أي: لا يقدر على الانتصار لنفسه. وقيل: لا يقدر على
 ردِّ ما ذهب عنه.

﴿هنالك الولاية لله الحق﴾، يعني: في القيامة، قرأ حمزة والكسائي ﴿الولاية﴾ بكسر الواو،
 يعني السلطان، وقرأ الآخرون بفتح الواو، من: الموالات والنصر، كقوله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾
 (البقرة - ٢٥٧)، قال القتيبي: يريد أنهم يؤثرونه يومئذ ويتبرؤون مما كانوا يعبدون.
 وقيل: بالفتح: الربوبية، وبالكسر: الإمارة.

﴿الحق﴾ برفع القاف: أبو عمرو والكسائي على نعت الولاية، وتصديقه قراءة أبي: ﴿هنالك
 الولاية الحق لله﴾، وقرأ الآخرون بالجر على صفة الله كقوله تعالى: ﴿ثم رُدُّوا إلى الله مولاهم الحق﴾
 (الأنعام - ٦٢).

(١) في «ب»: مراملًا.

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ
 الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ
 وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ
 أَمْلاً ﴿٤٦﴾

﴿هو خير ثواباً﴾، أفضل جزاء لأهل طاعته لو كان غيره يثيب، ﴿وخير عقاباً﴾، أي: عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره، فهو خير إثابة، «وعاقبة»: طاعة، قرأ حمزة وعاصم ﴿عقبا﴾ ساكنة القاف، وقرأ الآخرون بضمها .

قوله تعالى: ﴿واضرب لهم﴾، يا محمد، أي: لقومك ﴿مثل الحياة الدنيا كما﴾ أنزلناه من السماء، يعني: المطر، ﴿فاختلط به نبات الأرض﴾، خرج منه كل لون وزهرة، ﴿فأصبح﴾، عن قريب، ﴿هشيماً﴾، يابساً. قال ابن عباس وقال الضحاك: كسيراً. والهشيم: ما يبس وتفتت من النباتات فأصبح هشيماً، ﴿تذروه الرياح﴾، قال ابن عباس: تثيره^(١) الرياح. وقال أبو عبيدة: تفرقه. وقال القتيبي تنسفه، ﴿وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾، قادراً .

﴿المال والبنون﴾، التي يفتخر بها عتبه وأصحابه الأغنياء، ﴿زينة الحياة الدنيا﴾، ليست من زاد الآخرة .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: المال والبنون حُرث الدنيا، والأعمال الصالحة حُرث الآخرة، وقد يجمعها الله لأقوام .

﴿والباقيات الصالحات﴾، اختلفوا فيها، فقال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد: هي قول سبحانه الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر. وقد روينا أن النبي ﷺ قال: «أفضل الكلام أربع كلمات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»^(٢) .

أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي، أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسن الحريري، أخبرنا أبو جعفر عبد الله بن إسماعيل الهاشمي، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي، حدثنا أبو معاوية، عن

(١) في «ب»: تديره .

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً في الأيمان والنذور: ٥٦٦/١١، ووصله النسائي من طريق ضرار بن مرة عن أبي صالح عن أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعاً بلفظه، وأخرجه مسلم من حديث سمرة بن جندب: ١٦٧٥/٣ بلفظ: «أحب» بدل: أفضل. وأخرجه ابن حبان من هذا الطريق بلفظ: «أفضل» ولحديث أبي هريرة طرق أخرى أخرجهما النسائي، وصححها ابن حبان . انظر: فتح الباري: ٥٦٧/١١ .

وَيَوْمَ نُسِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ

أَحَدًا ٤٧

الأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»^(١).
 أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أنبأنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبد الجبار، أنبأنا حميد بن زنجويه، حدثنا عثمان عن أبي صالح، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات»، قيل: وما هن يا رسول الله؟ [قال: «الملة» قيل: وما هي يا رسول الله؟]^(٢) قال: «التكبير، والتهليل، والتسبيح، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(٣).
 وقال سعيد بن جبير، ومسروق، وإبراهيم: «الباقيات الصالحات» هي: الصلوات الخمس. ويروى هذا عن ابن عباس^(٤).

وعنه رواية أخرى: أنها الأعمال الصالحة^(٥) وهو قول قتادة.
 قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾، أي جزاء، المراد ﴿وَأَخَيْرٌ أَمْلًا﴾، أي ما يأمله الإنسان.
 قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نُسِّرُ الْجِبَالَ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: «نُسِّرُ» بالتاء وفتح الياء (الجبال) رفع، دليله: قوله تعالى: «وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ» (التكوير - ٣).
 وقرأ الآخرون بالنون وكسر الياء، «الجبال» نصب، وتسيرُ الجبال: نقلها من مكان إلى مكان.

﴿وترى الأرض بارزة﴾، أي: ظاهرة، ليس عليها شجر، ولا جبل، ولا نبات، كما قال: «فيذرها قاعاً صَفْصَفًا لا ترى فيها عِوَجًا ولا أَمْتًا» (طه - ١٠٧).

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم (٢٦٩٥): ٢٠٧٢/٤. والمصنف في شرح السنة: ٦٠/٥.

(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٧٥/٣، وابن حبان ص (٥٧٩) من موارد الظمان، والحاكم: ٥١٢/١ وقال: «هذا أصح إسناد المصيرين فلم يخرجاه». قال الهيثمي في المجمع: (٨٧/١٠): «رواه أحمد وأبو يعلى... وإسنادهما حسن». وعزاه المنذري في الترغيب والترهيب: (٤٣١/٢) لأحمد وأبي يعلى والنسائي وابن حبان والحاكم ونقل تصحيحه له.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٦٤/٥-٦٥. وفيه دراج عن أبي الهيثم. وهو ضعيف لكن للحديث شواهد.

(٤) انظر: الدر المنثور: ٣٩٩/٥، زاد المسير: ١٤٩/٥.

(٥) الدر المنثور: ٣٩٩/٥.

وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۚ

قال عطاء: هو بُرُوز ما في باطنها من الموتى وغيرهم، فترى باطن الأرض ظاهراً .
﴿وَحْشَرْنَا هُمْ﴾، جميعاً إلى الموقف والحساب، ﴿فَلَمْ يُغَادِرْ مِنْهُمْ﴾، أي: نترك منهم، ﴿أَحَدًا﴾ .
﴿وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾، أي صفّاً صفّاً فوجاً فوجاً، لا أنهم صف واحد. وقيل: قياماً،
ثم يقال لهم، يعني الكفار: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، يعني أحياء، وقيل: فرادى كما
ذكر في سورة الأنعام^(١). وقيل: غرلاً .

﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَن لَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾، يوم القيامة، يقوله لمنكري البعث .
أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد
ابن إسماعيل، حدثنا معلى بن أسد، حدثنا وهب عن ابن طاووس، عن أبي هريرة رضي / الله عنه ٢١٩ ب/
عن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ، رَاغِبِينَ وَرَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ
عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَتَحْشَرُ بِقَيْتِهِمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيثُ
مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتَمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا»^(٢) .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد
ابن إسماعيل، حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سفيان بن المغيرة بن النعمان، حدثني سعيد بن جبير،
عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حِفَاةَ عِرَاءٍ غُرْلًا»، ثم قرأ، «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ
نَعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ» (الأنبياء - ١٠٤)، وأول من يُكْسَى يوم القيامة إبراهيم، وإن
ناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول أصحابي أصحابي، فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين
على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: «وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ» إلى
قوله: «العزير الحكيم»^(٣) (المائدة ١١٧-١١٨) .

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، [أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي]^(٤) أخبرنا أبو القاسم جعفر

- (١) انظر تفسير الآية (٩٤) من سورة الأنعام: /
(٢) أخرجه البخاري في الرقاق، باب الحشر: ٣٧٧/١١، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، برقم (٢٨٦١): ٢١٩٥/٤،
والمصنف في شرح السنة: ١٢٤/١٥-١٢٥ .
(٣) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قول الله تعالى: «واتخذ الله إبراهيم خليلاً»: ٣٨٦/٦، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها،
باب فناء الدنيا وبيان يوم الحشر، برقم (٢٦٨٠): ٢١٩٤/٤-٢١٩٥، والمصنف في شرح السنة: ١٢٣/١٥ .
(٤) ساقط من «أ» .

وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوبِلْنَا
 مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا
 حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

ابن محمد بن المغلس، ببغداد، حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني، أنبأنا أبو خالد الأحمر، عن حاتم بن أبي صغير، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: قلت يارسول الله كيف يحشر الناس يوم القيامة؟ قال: «عُرَاةٌ حَفَاةٌ»، قالت: قلت والنساء؟ قال: «والنساء» قالت: قلت يارسول الله نستحي، قال: «يا عائشة الأمر أشد من ذلك أن يَهُمَّهُمْ أن ينظر بعضهم إلى بعض»^(١).

قوله عز وجل: ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ﴾، يعني: كتب [أعمال العباد]^(٢) توضع في أيدي الناس، في أيانهم وشمائلهم، وقيل: معناه توضع بين يدي الله تعالى. ﴿فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾، خائفين، ﴿مِمَّا فِيهِ﴾، من الأعمال السيئة، ﴿وَيَقُولُونَ﴾، إذا رأوها، ﴿يَا وَيْلَتَا﴾، ياهلاكنا، و«الويل» و«الويلة»: الهلكة، وكل من وقع في هلكة دعا بالويل، ومعنى النداء تنبيه المخاطبين، ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾، من ذنوبنا. قال ابن عباس: «الصغيرة»: التبسم، و«الكبيرة»: القهقهة. وقال سعيد بن جبير: «الصغيرة»: اللطم، واللمس، والقبلة، و«الكبيرة»: الزنا. ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾، عدّها^(٣)، قال السدي: كتبها وأثبتها. قال مقاتل بن حيان: حفظها.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنبأنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطيسفوني، أنبأنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي، أنبأنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو بن بسطام، أنبأنا أبو الحسن أحمد بن يسار القرشي، حدثنا يوسف بن عدي المصري، حدثنا أبو ضمرة أنس بن عياض، عن أبي حازم قال: لا أعلمه إلا عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَمَحْقَرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مَحْقَرَاتِ الذُّنُوبِ مَثَلُ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَاِدٍ فَجَاءَ هَذَا بَعُودٍ، وَجَاءَ هَذَا بَعُودٍ، فَانْضَجُوا خُبَزَتَهُمْ، وَإِنَّ مَحْقَرَاتِ الذُّنُوبِ لَمُوبِقَاتٌ»^(٤).

(١) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر، برقم (٢٨٥٩): ١٥/١٢٤.

(٢) في «ب»: أعمالهم.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند: ٣٣١/٥، ورجاله رجال الصحيح، ورواه الطبراني في الثلاثة من طريقين، ورجال أحدهما رجال

الصحيح غير عبد الوهاب بن عبد الحكم وهو ثقة. انظر: مجمع الزوائد: ١٠/١٩٠.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٩٩/١٤.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ
عَنْ أَمْرِي ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ
لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾

قوله تعالى : ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾، مكتوباً مثبتاً في كتابهم، ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾، أي لا ينقص ثواب أحد عمل خيراً .
وقال الضحاك: لا يؤخذ أحداً بجرم لم يعمله .

وقال عبدالله بن قيس: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما العرضتان: فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة: فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فأخذ يمينه، وأخذ بشماله» ورفعه بعضهم عن أبي موسى^(١) .

قوله عز وجل : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾، يقول: واذكر يا محمد إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، ﴿فسجدوا إلا إبليس كان من الجن﴾، قال ابن عباس: كان من حي من الملائكة يقال لهم الجن، خلقتوا من نار السموم^(٢) . وقال الحسن: كان من الجن ولم يكن من الملائكة، فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس^(٣)، ﴿فسق﴾، أي خرج، ﴿عن أمر ربه﴾، عن طاعة ربه، ﴿أفتتخذونه﴾، يعني يابني آدم ﴿وذريته أولياء من دوني، وهم لكم عدو﴾، أي أعداء .

(١) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في العرض: ١١١/٧ عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً، وقال: «ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة [فهو منقطع] وقد رواه بعضهم عن علي بن علي، وهو الرفاعي عن الحسن عن أبي موسى عن النبي ﷺ» .

ومن هذا الوجه رواه ابن ماجه في الزهد، برقم (٤٢٧٧): ١٤٣٠/٢، قال في الزوائد: «إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع...» والإمام أحمد في المسند: ٤١٤/٤ .

وأخرجه البيهقي في «البعث» بسند حسن عن عبدالله بن مسعود موقوفاً .
انظر: فتح الباري: ٤٠٣/١١ .

(٢) أخرجه الطبري: ٥٠٢/١ (دار المعارف) .

(٣) أخرجه الطبري: ٥٠٦/١ وقال ابن كثير: (٨٩/٣) هذا إسناد صحيح عن الحسن . هذا، وقد رجح الطبري رحمه الله الرأي الأول، وكأنه رجح غير الراجح كما فعل المصنف في: ٨٢/١ (من هذه الطبعة) .

وظاهر القرآن أن إبليس كان من الجن، وأنه خلق من نار، وإذا أطلقت كلمة الجن فإنها تنصرف إلى الجن المهودين، وليس إلى قبيل من الملائكة اسمهم «الجن»، وإن كان غير مستنكر أن يخلق الله خلقاً من الملائكة يقال لهم «الجن» من نار السموم، ولكن لم يقدّم الدليل على صحة ذلك... ولذلك بعد أن عرض الحافظ ابن كثير الروايات في ذلك قال: (٩٠/٣): «وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف، إشارة إلى الروايات عن ابن عباس أن إبليس من الملائكة الذين خلقتوا من نار واسمهم الجن - وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما قد يقطع بكذب مخالفته للحق =

روى مجالد عن الشعبي قال: إني لقاعد يوماً إذ أقبل رجل فقال: أخبرني هل لإبليس زوجة؟ قلت: إن ذلك العرس ما شهدته، ثم ذكرت قوله تعالى: ﴿أَفْتَتَخُونَهُ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾، فعلمت أنه لا تكون الذرية إلا من الزوجة، فقلت: نعم .

وقال قتادة: يتوالدون كما يتوالد بنو آدم .

وقيل: إنه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتتفلق البيضة عن جماعة من الشياطين .

قال مجاهد: من ذرية إبليس: «لاقيس» و«ولهان»، وهما صاحبا الطهارة والصلاة، و«المهفاف» و«مُرة» وبه يكنى، و«زَلْتَبُور» وهو صاحب [الأسواق، يزين اللغو والحلف الكاذبة ومدح السلع، و«ثبر» وهو صاحب المصائب] ^(١) يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب، و«الأعور» وهو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجز المرأة، و«مطوس» وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس، لا يجدون لها أصلاً، و«داسم» وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله بصره من المتاع ما لم يرفع أو يحتبس موضعه، وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه ^(٢) . قال الأعمش: ربما دخلت البيت ولم أذكر اسم الله ولم أسلم، فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم، ثم أذكر اسم الله فأقول: داسم داسم ^(٣) .

وروي عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: «إن للوضوء شيطاناً يقال له الوهان. فاتقوا وسواس الماء» ^(٤) .

الذي بأيدينا، وفي القرآن غنية عن كل ما عدها من الأخبار المتقدمة لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان. وقد وضع فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء والسادة والأتقياء والبررة، والنجباء من الجهابذة النقاد، والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث وحرروه، وبينوا صحيحه من حسنه من ضعفه من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه، وعرفوا الوضعيين والكذابين والمجهولين، وغير ذلك من أصناف الرجال. كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي، خاتم الرسل، وسيد البشر ﷺ، أن ينسب إليه كذب، أو يحدث عنه بما ليس منه، فرضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم .

- (١) ما بين القوسين ساقط من «أ» .
- (٢) أخرج ذلك عن مجاهد، الطبري: ٢٦٢/١٥، وذكرها ابن الجوزي: ١٥٤/٥ وغيره، وفي هجاء بعض الأسماء خلاف لم نشر إليه، إذ لا فائدة في ذلك، وكل هذه الروايات لا يصح لها إسناد إلى المعصوم فنحن في غنية عنها. والله أعلم .
- (٣) الطبري: ٢٦٢/١٥، أي يقول في نفسه إن «داسم» هو الذي بصره بالمتاع .
- (٤) أخرجه الترمذي في الطهارة، باب كراهية الإسراف في الماء: ١٨٨/١-١٨٩، وابن ماجه في الطهارة، باب ما جاء في القصد: في الوضوء: ١٤٦/١، وأحمد في المسند: ١٣٦/٥، والمصنف في شرح السنة: ٥٣/٢ .

وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن الحسن من قوله، ولا يصح في هذا الباب عن النبي ﷺ شيء. وخارجة ليس بالقوي عند أصحابنا، وضعفه ابن المبارك .

﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُخَذَلُونَ ﴾

الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنبأنا عبد الغافر بن محمد، أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنبأنا مسلم بن الحجاج، حدثنا يحيى بن خلف الباهلي، أنبأنا عبد الأعلى، عن سعيد الجريري، عن أبي العلاء؛ أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي، يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أَحَسَّسْتَهُ فتعوذ بالله منه، وَانْفُلْ عن يسارك ثلاثاً» قال: ففعلت ذلك فأذهب الله عني (١).

وأخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنبأنا عبد الغافر بن محمد، حدثنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنبأنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو كريب محمد بن علاء، أنبأنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت». قال الأعمش أراه قال: فَيَلْتَرِمُهُ (٢).

قوله تعالى: ﴿بئس للظالمين بدلاً﴾، قال قتادة: بئس ما استبدلوا طاعة إبليس وذريته بعبادة

٣٣٠

﴿ما أشهدتهم﴾، ما أحضرتهم، وقرأ أبو جعفر «ما أشهدناهم» بالنون والألف على التعظيم، أي: أحضرتناهم، يعني إبليس وذريته. وقيل: الكفار. وقال الكلبي: يعني الملائكة، ﴿خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾، يقول: ما أشهدتهم خلقاً فأستعين بهم على خلقها وأشاورهم فيها، ﴿وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾، أي: الشياطين الذين يضلون الناس عضداً، أي: أنصاراً وأعواناً.

٢٢٠/أ

= وقال الذهبي في «ميزان الاعتدال»: (٦٢٥/١): خارجه بن مصعب: وهما أحمد، وقال ابن معين: ليس بثقة، كذاب... انفراد بخبر «إن للوضوء شيطاناً يقال له الوهان».

(١) أخرجه مسلم في السلام، باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة، برقم (٢٢٠٣): ١٧٢٨-١٧٢٩.

(٢) أخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه، برقم (٢٨١٣): ٢١٦٧/٤، والمصنف

في شرح السنة: ٤١٠/١٤.

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا
 بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَاءَ الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاعِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا
 مَصْرَفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ
 أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾

قوله عز وجل : ﴿ويوم يقول﴾ قرأ حمزة بالنون والآخرين بالياء، أي: يقول الله لهم يوم
 القيامة: ﴿نادوا شركائي﴾، يعني الأوثان ﴿الذين زعمتم﴾، أنهم شركائي، ﴿فدعوههم﴾، فاستغاثوا
 بهم، ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾، أي لم يجيبوهم ولم ينصروهم، ﴿وجعلنا بينهم﴾، يعني: بين الأوثان
 وعبدها. وقيل: بين أهل الهدى وأهل الضلالة، ﴿موبقاً﴾ مهلكاً، قاله عطاء والضحاك. وقال ابن
 عباس: هو وادٍ في النار. وقال مجاهد: واد في جهنم .

وقال عكرمة: هو نهر في النار، يسيل ناراً، على حافته حيات مثل البغال الذمهم .
 قال ابن الأعرابي: وكل حاجز بين شيئين فهو موبق، وأصله الهلاك يقال: أوبقه، أي: أهلكه .
 قال الفراء: وجعلنا توصلهم في الدنيا مهلكاً لهم في الآخرة، والبين على هذا القول التوصل
 كقوله تعالى: «لقد تقطع بينكم» (الأنعام - ٩٤). على قراءة من قرأ بالرفع^(١) .

﴿ورأى المجرمون النار﴾، أي: المشركون، ﴿فظنوا﴾، أيقنوا، ﴿أنهم مواععوها﴾، داخلوها
 وواقعون فيها، ﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾، معدلاً، لأنها أحاطت بهم من كل جانب .
 قوله عز وجل : ﴿ولقد صرّفنا﴾، بيّنا، ﴿في هذا القرآن للناس من كل مثل﴾، أي ليتذكروا
 ويتعظوا، ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾، خصومة في الباطل .

قال ابن عباس: أراد النضر بن الحارث وجداله في القرآن .
 قال الكلبي: أراد به أبي بن خلف الجمحي^(٢) .

وقيل: المراد من الآية الكفار، لقوله تعالى: «ويجادل الدين كفروا بالباطل» (الكهف - ٥٦) .
 وقيل: هي على العموم، وهذا أصح .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف،
 أنبأنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أنبأنا علي بن الحسين، أن

(١) انظر في هذه الأقوال: زاد المسير: ١٥٨/٥-١٥٩ .

(٢) زاد المسير: ١٥٩/٥ .

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمْ سُنَّةٌ
 الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا الْمُبَشِّرِينَ
 وَمُنذِرِينَ وَمَجِدِلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا
 آيَاتِي وَمَا أَنْذَرُوا هُزُوعًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ
 مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ
 تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾

الحسين بن علي أخبره: أن علياً أخبره أن رسول الله ﷺ طرده وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلة، فقال: «الآن تُصَلِّيَانِ؟ فقلت: يا رسول الله إن أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً، ثم سمعته وهو مولٌ يضرب فخذة وهو يقول: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾^(١).

قوله عز وجل: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى﴾، القرآن، والإسلام، والبيان من الله عز وجل، وقيل: إنه الرسول ﷺ. ﴿ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولى﴾، يعني: سنتنا في إهلاكهم إن لم يؤمنوا.

وقيل: إلا طلب أن تأتيهم سنة الأولين من معاناة العذاب، كما قالوا: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» (الأنفال - ٣٢).
 ﴿أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾، قال ابن عباس: أي: عياناً من المقابلة. وقال مجاهد: فجأة، وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة: ﴿قبلاً﴾ بضم القاف والياء، جمع قبيل أي: أصناف العذاب نوعاً نوعاً.
 ﴿وما ترسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾، ومجادلتهم قولهم: «أبعث الله بشراً رسولاً» (الإسراء - ٩٤). «ولولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» (الزخرف - ٣١)، وما أشبهه، ﴿ليُدْحِضُوا﴾، ليطلوا، ﴿به الحق﴾، وأصل الدحض الزلق يريد ليزيلوا به الحق، ﴿واتخذوا آياتي وما أنذروا هُزُوعًا﴾، فيه إضمار يعني وما أنذروا به وهو القرآن، هُزُوعاً أي استهزاء.

﴿ومن أظلم ممن ذُكِّرَ﴾، وعظ، ﴿بآيات ربه فأعرض عنها﴾، تولى عنها وتركها ولم يؤمن

(١) أخرجه البخاري في التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب: ١٠/٣.

وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾

بها، ﴿ونسي ما قدمت يداه﴾، أي: ما عمل من المعاصي من قبل، ﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة﴾، أغشية، ﴿أن يفقهوه﴾، أي: يفهموه يريد لئلا يفهموه، ﴿وفي آذانهم وقراً﴾، أي صمماً وثقلاً، ﴿وإن نذعهم﴾، يا محمد ﴿إلى الهدى﴾، إلى الدين، ﴿فلن يبتدوا إذا أبدأ﴾، وهذا في أقوام علم الله منهم أنهم لا يؤمنون .

﴿وربُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾، ذو النعمة ﴿لو يُؤَاخِذُهُمْ﴾، يعاقب الكفار، ﴿بما كسبوا﴾، من الذنوب ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾، في الدنيا، ﴿بل لهم موعد﴾، يعني البعث والحساب^(١)، ﴿لن يجدوا من دونه موئلاً﴾، ملجأ .

﴿وتلك القرى أهلكناهم﴾، يعني: قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم، ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾، كفروا، ﴿وجعلنا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾، أي: أجلاً، قرأ أبو بكر ﴿لِمَهْلِكِهِمْ﴾ بفتح الميم واللام، [وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام، وكذلك في التمل «مهلك» أي لوقت هلاكهم]^(٢)، وقرأ الآخرون بضم الميم وفتح اللام أي: لإهلاكهم .

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾، عامة أهل العلم قالوا: إنه موسى بن عمران. وقال بعضهم: هو موسى بن ميثا من أولاد يوسف، والأول أصح . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن دينار، أخبرني سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بنى إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدو الله^(٣)، حدثنا أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

(١) في «ب»: النشور .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) قال الحافظ ابن حجر نقلاً عن ابن التين: «لم يرد ابن عباس إخراج نوف عن ولاية الله، ولكن قلوب العلماء تنفر إذا سمعت غير الحق، فيطلقون أمثال هذا الكلام لقصد الزجر والتحذير منه، وحقيقته غير مرادة» . ثم قال ابن حجر: «ويجوز أن يكون ابن عباس ائمه نَوْفًا في صحة إسلامه، فلماذا لم يقل في حق الحر بن قيس هذه المقالة مع توارد ما عليه». فتح الباري: (٢١٩/١) .

«إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين، هو أعلم منك، قال موسى: يارب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكنتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم. فأخذ حوتاً فجعله في مكنتل ثم انطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكنتل فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق^(١)، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليتهما حتى إذا كان من الغد، قال موسى لفتاه: آتنا غدائنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً، قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به^(٢)، وقال له فتاه: رأيت إذ أويانا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجباً، قال: فكان للحوت سرباً ولموسى وفتاه عجباً، وقال موسى: ذلك ما كنا نبغ. قال: رجعا يقصان آثارهما حتى اتبها إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب، فسلم عليه موسى، فقال الخضر عليه السلام: وأنتي بأرضك السلام، فقال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً، قال: إنك لن تستطيع معي صبراً يا موسى، إني على علم من علم الله علمي لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمك الله، لا أعلمه، فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً، فقال له الخضر: فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً، فانطلقا يمسيان على ساحل البحر، فمرت سفينة فكلّموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول، فلما ركبا في السفينة لم يضح إلا والخضر قد قلع^(٣) لوحاً من ألواح السفينة بالقُدوم، فقال له موسى: قد حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟ لقد جئت شيئاً إمرأاً، قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً، قال: وقال رسول الله ﷺ: «كانت الأولى من موسى نسياناً [والوسطى شرطاً والثالثة عمداً]»^(٤)، قال: وجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرَةً فقال له الخضر: ما [نقص]^(٥) علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمسيان على الساحل إذ أبصر الخضر

ب/٢٢٠

(١) الطاق: عقد البناء، وما عقد أعلاه من البناء وبقي تحته خالياً، أو هي: الكوة .

(٢) في «ب»: أمره الله به .

(٣) في «ب»: خرق .

(٤) ساقطة من نسخة «أ» .

(٥) ساقط من «أ» .

غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله^(١)، فقال له موسى: أقتلت نفساً زكية بغير نفس؟ لقد جئت شيئاً نكرأ، قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: وهذه أشد من الأولى، قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني، قد بلغت من لدنّي عذراً، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض، فأقامه، قال: كان مائلاً، فقال الخضر بيده فأقامه، فقال موسى: قوم أتيناكم فلم يطعمونا، ولم يضيفونا، لو شئت لاتخذت عليه أجراً، قال: «هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً» فقال رسول الله ﷺ: «وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبْرًا حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ خَيْرِهِمَا»^(٢).

قال سعيد بن جبیر: فكان ابن عباس يقرأ: «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة^(٣) غصباً»، وكان يقرأ: «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين»^(٤).

وعن سعيد بن جبیر في رواية أخرى عن ابن عباس عن أبي بن كعب، قال رسول الله ﷺ: «[قام موسى]^(٥) رسول الله فذكر الناس يوماً حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب ولّى فأدركه رجل فقال: أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك؟ قال لا - فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إلى الله - قيل: بلى [عبدنا الخضر]^(٦) قال: أي رب وأين؟ قال: بمجمع البحرين، [قال: رب اجعل لي علماً أعلم بك منه]^(٧) قال: خذ حوتاً ميتاً حيث ينفخ فيه الروح، وفي رواية قيل له: تزود حوتاً مالحاً فإنه حيث تفقد الحوت، فأخذ حوتاً فجعله في مكنل»^(٨).

رجعنا إلى التفسير؛ قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾، يوشع بن نون، ﴿لَا أَبْرَحُ﴾، أي لا أزال أسير^(٩) ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾، قال قتادة: بحر فارس وبحر^(٩) الروح، مما يلي المشرق. وقال محمد بن كعب: طنجة. وقال أبي بن كعب: أفريقية^(١٠).

- (١) ساقط من «ب».
- (٢) أخرجه البخاري في العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم، في كل العلم إلى الله: ٢١٧/١-٢١٨، ومسلم في الفضائل، باب فضائل الخضر: ١٨٤٧/٤-١٨٥٠.
- (٣) ساقط من «ب».
- (٤) صحيح مسلم: ١٨٥٠/٤.
- (٥) ساقط من «أ».
- (٦) زيادة من «أ» وليست في الصحيح.
- (٧) ما بين القوسين من صحيح البخاري.
- (٨) أخرج هذه الرواية البخاري في تفسير سورة الكهف، باب «فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما...»: ٤١١/٨-٤١٢.
- (٩) ليست في «أ».
- (١٠) انظر: زاد المسير: ١٦٤/٥، قال الحافظ في الفتح: ٤١٠/٨، والسند إلى أبي بن كعب، ضعيف، وهذا اختلاف شديد.

فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخِذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿١٦﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا
 قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا غَدَاءٌ نَأْتِيهِمْ لَقِينًا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١٧﴾

﴿أو أمضي حُقْبًا﴾، وإن كان حُقْبًا أي دهرًا طويلًا وزمانًا، وجمعه أحقاب، والحُقْب: جمع الحَقْب. قال عبدالله بن عمر: والحقب ثمانون سنة، فحملًا خبزاً وسمكة مألحة حتى انتهيا إلى الصخرة التي عند مجمع البحرين ليلاً وعندها عين تسمى ماء الحياة لا يصيب ذلك الماء شيئاً إلا حي، فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده^(١) اضطربت في المكتل وعاشت ودخلت البحر.

فذلك قوله تعالى: ﴿فلما بلغا﴾، يعني موسى وفتاه، ﴿مجمع بينهما﴾ أي: بين البحرين، ﴿نسيًا﴾، تركا، ﴿حوتهما﴾، وإنما كان الحوت مع يوشع، وهو الذي نسيه، وأضاف النسيان إليهما لأنهما جميعاً تزوداه لسفرهما، كما يقال: خرج القوم إلى موضع كذا، وحملوا من الزاد كذا، وإنما حملة واحد منهم.

﴿فاتخذ﴾، أي الحوت، ﴿سبيله في البحر سرَبًا﴾، أي مسلكاً. [وروي عن أبي ابن كعب عن رسول الله ﷺ: «انجاب الماء عن مسلك»^(٢)] الحوت فصار كوة لم يلتئم، فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فإذا هو بالخضر^(٣).

قال ابن عباس: جعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا ييس حتى صار صخرة^(٤). وقال الكلبي: توضع يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المالح في المكتل من ذلك الماء فعاش ثم وثب في ذلك الماء فجعل يضرب بذنبه فلا يضرب بذنبه شيئاً من الماء وهو ذاهب إلا ييس.

وقد روينا أنهما لما انتهيا إلى الصخرة، وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت فخرج وسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرَبًا فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ موسى نسي صاحبه أن يخبره فانطلقا حتى إذا كان من الغد^(٥).

قوله تعالى: ﴿فلما جاوزا﴾، يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين، ﴿قال﴾، موسى، ﴿لفتاه آتنا غداءنا﴾، أي طعامنا، والغداء ما يعد للأكل غدوة، والعشاء ما يعد للأكل عشية، ﴿لقد لقينا

(١) ساقط من «ب».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) انظر: الدر المنثور: ٤٢٣/٥، ابن كثير: ٩٣/٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٩٣/٣.

(٥) انظر: البخاري ٤٢٣/٨.

قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ
أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾

من سفرنا هذا نصباً، أي: تعباً وشدة، وذلك أنه ألقى على موسى الجوع بعد مجاوزة الصخرة، ليتذكر الحوت ويرجع إلى مطلبه .

﴿قال﴾ له فتاه وتذكر ﴿أرأيت إذ أويينا إلى الصخرة﴾، وهي صخرة كانت بالموضع الموعود، قال معقل بن زياد: هي الصخرة التي دون نهر الزيت، ﴿فإني نسيت الحوت﴾، أي تركته وفقدته، وذلك أن يوشع حين رأى ذلك من الحوت قام ليدرك موسى فيخبره، فنسي أن يخبره، فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد .

قيل في الآية إضمار، معناه: نسيت أن أذكر لك أمر الحوت، ثم قال :

﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره﴾، أي: وما أنسانيه أن أذكر لك أمر الحوت إلا الشيطان، وقرأ حفص: ﴿أنسانيه﴾، وفي الفتح: «عليه الله» بضم الهاء .
وقيل معناه أنسانيه لثلا أذكره .

﴿واتخذ سبيله في البحر عجباً﴾، قيل: هذا من قول يوشع، ويقول: طفر الحوت إلى البحر، فاتخذ فيه مسلكاً، فعجبت من ذلك عجباً .

وروينا في الخبر: كان للحوت سرباً ولموسى وفتاه عجباً^(١) .

وقيل: هذا من قول موسى لما قال له يوشع واتخذ سبيله في البحر، قال له موسى: عجباً، كأنه قال: أعجب عجباً .

قال ابن زيد: أي شيء أعجب من حوت يؤكل منه جهراً^(٢)، ثم صار حياً بعدما أكل بعضه؟ .

﴿قال﴾، موسى، ﴿ذلك ما كنا نبع﴾، أي نطلب، ﴿فارتدّا على آثارهما قصصاً﴾ أي: رجعا يقصان الأثر الذي جاء منه، أي: يتبعانه، فوجدا عبداً من عبادنا، قيل: كان ملكاً من الملائكة،

(١) في رواية البخاري: «... فوجدا في البحر كالطاق ممر الحوت، فكان لفتاه عجباً، وللحوت سرباً» كتاب التفسير؛ باب «قال أرأيت إذ أويينا إلى الصخرة»: ٤٢٣/٨ .

(٢) في «ب»: دهرأ .

فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾

أ/٢٢١

والصحيح الذي جاء في التواريخ، وثبت عن النبي ﷺ / أنه الخضر^(١)، واسمه بلياً بن مَلَكَانَ^(٢)، قيل: كان من نسل بني إسرائيل. وقيل: كان من أبناء الملوك الذين تزهّدوا في الدنيا. والخضر لقب له سمي بذلك لما:

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمش الزياتي، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا أحمد بن يوسف السلميّ، حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال، حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا سُمِّيَ خَضِرًا لِأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فُرُورٍ بِيضَاءَ فَإِذَا هِيَ تَهْتَرُ تَحْتَهُ خَضِرَاءُ»^(٣). قال مجاهد: سمي خضراً لأنه إذا صلى اخضر ما حوله.

وروي: أن موسى رأى الخضر مسجياً بثوب فسلم عليه فقال الخضر: وأنتي بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً^(٤).

وفي رواية أخرى لقيه مسجياً بثوب مستلقياً على قفاه بعض الثوب تحت رأسه وبعضه تحت رجله. وفي رواية لقيه وهو يصلي. ويروى لقيه على طنفسة خضراء على كبد البحر، فذلك قوله تعالى:

﴿فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة﴾، أي نعمة، ﴿من عندنا وعلمناه من لدنا علماً﴾، أي علم الباطن إلهاماً، ولم يكن الخضر نبياً عند أكثر أهل العلم^(٥).

(١) تقدم ذلك في الأحاديث السابقة، وانظر: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليه

السلام: ٤٣١/٦-٤٣٣، وهو بفتح الحاء وكسر الضاد، ويجوز إسكان الضاد مع كسر الحاء وفتحها.

(٢) انظر: المعارف لابن قتيبة ص ٤٢، تهذيب الأسماء واللغات للنووي: ١/١٧٦، فتح الباري: ٦/٤٣٣.

(٣) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى: ٦/٤٣٣.

(٤) تقدم تخرج هذه الرواية والتي تليها.

(٥) بين أهل العلم خلاف في شأن الخضر، هل هو بني أم لا؟ وفي كونه باقياً إلى الآن ثم إلى يوم القيامة، ومال ابن الصلاح

إلى بقاءه، وذكروا في ذلك حكايات وآثاراً عن السلف وغيرهم، وجاء في ذكره في بعض الأحاديث - أي بقاؤه حياً

- ولا يصح شيء من ذلك، وأشهرها حديث التعزية، وإسناده ضعيف، ورجح آخرون من المُخَدِّثِينَ خلاف ذلك، وبأنه

لم ينقل أنه جاء إلى رسول الله ﷺ ولا حضر عنده، ولا قاتل معه، ولو كان حياً لكان من أتباع النبي ﷺ وأصحابه،

لأنه عليه السلام كان مبعوثاً إلى جميع الثقلين: الجن والإنس، وقد قال: «لو كان موسى وعيسى حين لما وسعهما إلا اتباعي»،

وأخير قبل موته بقليل: أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض إلى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف إلى غير ذلك من الدلائل.

انظر: تفسير ابن كثير: ٣/١٠٠-١٠١، تفسير القرطبي: ١١/٤١-٤٤، المنار المنيف لابن القيم ص (٦٧-٧٦) مع تعليق

المحقق، فتح الباري: ٦/٤٣٤-٤٣٦، الزهر النضر في نبأ الخضر، للحافظ ابن حجر العسقلاني، وهي رسالة منشورة في

مجموعة الرسائل المنيرية: ٢/١٩٥-٢٣٤، تهذيب الأسماء واللغات، للنووي: ١/١٧٧-١٧٧.

قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنِّي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ
تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي
إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ
حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا
لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾

فلما ﴿قال له موسى هل أتبعك﴾ يقول: جئتك لأتبعك وأصحبك، ﴿على أن تعلمن مما علمت﴾
رشدًا، قرأ أبو عمرو ويعقوب: ﴿رشدًا﴾ بفتح الراء والشين، وقرأ الآخرون: بضم الراء وسكون
الشين، أي صواباً. وقيل: علماً ترشدني به .

وفي بعض الأخبار أنه لما قال له موسى هذا قال له الخضر: كفى بالتوراة علماً وبيني إسرائيل
شغلاً، فقال له موسى: إن الله أمرني بهذا فحيثما:

﴿قال﴾، الخضر، ﴿إنك لن تستطيع معي صبراً﴾، وإنما قال ذلك لأنه علم أنه يرى أموراً
منكرة، ولا يجوز للأنبياء أن يصبروا على المنكرات، ثم بين عذره في ترك الصبر، فقال:
﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خُبراً﴾، أي علماً .

﴿قال﴾، موسى، ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً﴾، إنما استثنى لأنه لم يثق من نفسه بالصبر
﴿ولا أعصي لك أمراً﴾، أي: لا أخالفك فيما تأمر .

﴿قال فإن اتبعتني﴾، فإن صحبتني، ولم يقل: اتبعني، ولكن جعل الاختيار إليه إلا أنه شرط
عليه شرطاً فقال: ﴿فلا تسألني﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون،
والآخرون بسكون اللام وتخفيف النون، ﴿عن شيء﴾ أعمله مما تنكره ولا تعترض عليه، ﴿حتى
أحدث لك منه ذكراً﴾، حتى أبتدىء لك بذكره فأبين لك شأنه .

﴿فانطلقا﴾، يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانهما، فوجدا سفينة فركباها، فقال أهل
السفينة: هؤلاء لصوص، وأمروهما بالخروج، فقال صاحب السفينة: ما هم بلصوص، ولكني أرى
وجوه الأنبياء .

وروينا عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ: «مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا

قَالَ الْمَاقِلُ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تَأْخُذْ بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ، قَالَ أَقْنَلْتِ نَفْسًا زَكِيَّةً
بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾

الْحَضِرَ، فحملوهم بغير نول، فلما لججوا البحر أخذ الخضر فأساً فخرق لوحاً من السفينة^(١)،
فذلك قوله تعالى :

﴿حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال﴾، له موسى، ﴿أخرقتها لتغرق أهلها﴾، قرأ حمزة
والكسائي: «لِيَغْرَقَ» بالياء وفتحها وفتح الراء، ﴿أهلها﴾ بالرفع على اللزوم، وقرأ الآخرون: بالثاء
ورفعها وكسر الراء ﴿أهلها﴾ بالنصب على أن الفعل للخضر .

﴿لقد جئت شيئاً إمرأ﴾ أي: منكرأ، والإمر في كلام العرب الداهية، وأصله: كل شيء
شديد كثير^(٢)، يقال: أمر القوم: إذا كثروا، واشتد أمرهم .
وقال القتيبي ﴿إمرأ﴾ أي: عجباً .

وروي أن الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء. وروي أن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه
فحشى به الخرق. وروي أن الخضر أخذ قدحاً من الزجاج ووقع به خرق السفينة .
﴿قال﴾، العالم، وهو الخضر، ﴿ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ .

﴿قال﴾، موسى، ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾، قال ابن عباس: إنه لم ينس، ولكنه من معاريف
الكلام، فكأنه نسي شيئاً آخر^(٣). وقيل: معناه بما تركت من عهدك، والنسيان: الترك. وقال أبي
ابن كعب عن النبي ﷺ: «كانت الأولى من موسى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة عمداً»^(٤).
﴿ولا ترهقني﴾، ولا تغشني، ﴿من أمري عسراً﴾، وقيل: لا تكلفني مشقة، يقال: أرهقته عسراً،
أي: كلفته ذلك، يقول: لا تضيق علي أمري، وعاملني باليسر، ولا تعاملني بالعسر .

﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله﴾، في القصة أنهما خرجا من البحر يمشان، فمراً بغلمان
يلعبون، فأخذ الخضر غلاماً ظريفاً وضيء الوجه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين .
قال السدي: كان أحسنهم وجهاً، كان وجهه يتوقد حسناً .

(١) تقدم تخريجه، وهو في البخاري، كتاب العلم: ٢١٨/١ .

(٢) في «ب»: كبير .

(٣) انظر: البحر المحيط: ١٥٠/٦، القرطبي: ٢٢/١١ .

(٤) تقدم تخريجها ضمن رواية كعب في الصحيحين، وانظر البخاري: ٣٢٦/٥، مسلم: ١٨٤٧/٤-١٨٥٠ .

وروينا أنه أخذ برأسه فاقتلعه بيده. وروى عبدالرزاق هذا الخبر، وأشار بأصابعه الثلاث الإبهام والسبابة والوسطى، وقلع رأسه .

وروي أنه رضع رأسه بالحجارة .

وقيل: ضرب رأسه بالجدار فقتله^(١) .

قال ابن عباس: كان غلاماً لم يبلغ الحنث، وهو قول الأكثرين، قال ابن عباس: لم يكن نبي الله يقول: أقتلت نفساً زكية إلا وهو صبي لم يبلغ .

وقال الحسن: كان رجلاً. وقال شعيب الجبائي: كان اسمه حيسور .

وقال الكلبي: كان فتى يقطع ويأخذ المتاع ويلجأ إلى أبيه^(٢) .

وقال الضحاك: كان غلاماً يعمل بالفساد وتأذى منه أبواه^(٣) .

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، أنبأنا عبد الله بن مسلمة بن معتب، حدثنا معمر بن سليمان، عن أبيه، عن رقية بن مصقلة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله الخضر طُبع كافرًا، ولو عاش لأرهب أبويه طغياناً وكفرًا»^(٤) .

﴿قال﴾، موسى، ﴿أقتلت نفساً زكية﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو جعفر وأبو عمرو: «زاكية» بالألف، وقرأ الآخرون: «زكية»، قال الكسائي والفراء: معناهما واحد، مثل: القاسية والقسيّة، وقال أبو عمرو بن العلاء: «الزاكية»: التي لم تذنّب قط، و«الزكية»: التي أذنبت ثم تابت .

﴿بغير نفس﴾، أي: لم تقتل نفساً [بشيء]^(٥) ووجب به عليها القتل .

﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾، أي: منكراً. قال قتادة: النكر أعظم من الإمر، لأنه حقيقة الهلاك،

وفي خرق السفينة كان خوف الهلاك .

وقيل: الإمر: أعظم، لأنه كان فيه تفريق جمع كثير .

(١) في البخاري أنه ذبح بالسكين، وفي الصحيحين والترمذي أن الخضر أخذ برأسه فاقتلعه بيده فقتله، وفي لفظ أنه أخذ حجراً ف ضرب به رأسه. قال القرطبي: (٢١/١١) «ولا اختلاف بين هذه الأحوال، فإنه يحتمل أن يكون دفعه أولاً بالحجر، ثم أضجمه فذبحه، ثم اقتلع رأسه، والله أعلم بما كان من ذلك، وحسبك بما جاء في الصحيح» .

(٢) قال أبو حيان في البحر المحيط: (١٥٠/١) واختلف في اسم هذا الغلام واسم أبيه واسم أمه، ولم يرد شيء من ذلك في الحديث .

(٣) انظر البحر المحيط: ١٥٠/٦ .

(٤) أخرجه مسلم في القدر، باب معنى: «كل مولود يولد على الفطرة» برقم (٢٦٦١): ٤/٢٠٥٠ .

(٥) زيادة من «ب» .

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ٧٥ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا
فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿ ٧٦ ﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْبَأَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا
أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ
لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿ ٧٧ ﴾

قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر هاهنا: ﴿نكراً﴾ وفي سورة الطلاق بضم الكاف،
والآخرون بسكونها .

٢٢١/ب

﴿قال﴾، يعني الخضر: ﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾، قيل: زاد «لك» لأنه
نقض العهد مرتين. وفي القصة أن يوشع كان يقول لموسى: يانبي / الله اذكر العهد الذي أنت عليه .
﴿قال﴾، موسى، ﴿إن سألتك عن شيء بعدها﴾، بعد هذه المرة، ﴿فلا تصاحبني﴾، وفارقني،
وقرأ يعقوب: ﴿فلا تصاحبني﴾ بغير ألف من الصحبة .

﴿قد بلغت من لدني عُذراً﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وأبو بكر ﴿من لدني﴾ خفيفة النون، وقرأ
الآخرون، بتشديدها، قال ابن عباس: أي قد أعذرت فيما بيني وبينك .

وقيل: حذرتني أي لا أستطيع معك صبراً. وقيل: اتضح لك العذر في مفارقتي .
أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنبأنا عبد الغافر بن محمد، أنبأنا محمد بن عيسى، حدثنا إبراهيم
بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن عبد الله القيسي، حدثنا المعتمر بن
سليمان، عن أبيه عن رقية، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب
قال: قال رسول الله ﷺ: «رحمة الله علينا وعلى موسى»، وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه،
«لولا أنه عجل لرأى العجب، ولكنه أخذته من صاحبه دمامة»^(١)، قال: ﴿إن سألتك عن شيء
بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عُذراً﴾ فلو صبر لرأى العجب»^(٢) .

قوله عز وجل: ﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية﴾، قال ابن عباس: يعني: «أنطاكية». وقال
ابن سيرين: هي «الأبله» وهي أبعد الأرض من السماء. وقيل: «برقة». وعن أبي هريرة: بلدة
بالأندلس^(٣) ﴿استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما﴾ .

(١) أي: حياء وإشفاق، من الذم واللوم .

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، برقم (١٧٢/٢٣٨٠): ١٨٥١/٤ .

(٣) أقوال مضطربة، بحسب اختلاف المفسرين في أي ناحية من الأرض كانت القصة، والله أعلم بحقيقة ذلك .

انظر: البحر المحيط ١٥١/٦، القرطبي: ٢٤/١١ .

قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾

قال أبي بن كعب عن النبي ﷺ: «حتى إذا أتيا أهل قرية لتأماً فطافا في المجالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما» (١).

وروي أنهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما، واستضافوهم فلم يضيفوهما.

قال قتادة: شر القرى التي لا تضيف الضيف.

وروي عن أبي هريرة قال: أطعمتها امرأة من أهل بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما.

فدعا لنسائهم ولعن رجالهم.

قوله تعالى: ﴿فوجدنا فيها جدارا يريد أن ينقض﴾، أي ينسقط، وهذا من مجاز كلام العرب،

لأن الجدار لا إرادة له، وإنما معناه: قَرَبَ ودنا من السقوط، كما تقول العرب: داري تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها.

﴿فأقامه﴾، أي سواه. وروي عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ فقال الخضر بيده فأقامه (٢).

وقال سعيد بن جبير: مسح الجدار بيده فاستقام. وروي عن ابن عباس: هدمه ثم قعد بينه. وقال السدي: بل طيناً وجعل بيني الحائط.

﴿قال﴾، موسى، ﴿لو شئت لا اتخذت عليه أجراً﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب:

«لَتَّخَذْتَ» بتخفيف التاء وكسر الحاء، وقرأ الآخرون: «لَتَّخَذْتَ» بتشديد التاء وفتح الحاء، وهما لغتان: مثل اتبع وتبع ﴿عليه﴾ يعني على إصلاح الجدار، ﴿أجراً﴾ يعني جعلاً، معناه: إنك قد علمت أننا جياع، وأن أهل القرية لم يطعمونا، فلو أخذت على عملك أجراً.

﴿قال﴾، الخضر: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾، يعني هذا وقت فراق بيني وبينك. وقيل: هذا

الإنكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا. وقال الزجاج: معناه هذا فراق بيننا أي فراق اتصالنا وكرر «بين» تأكيداً.

﴿سأنبئك﴾، أي سوف أخبرك ﴿بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾، وفي بعض التفاسير أن

موسى أخذ بثوبه، فقال: أخبرني بمعنى ما عملت قبل أن تفارقني، فقال:

(١) قطعة من الحديث السابق.

(٢) أي: أشار بيده فأقامه، وهذا تعبير عن الفعل بالقول، وهو شائع، وهذا قطعة من حديث أبي السابق عند مسلم. وبهذا يرجح هذا القول على الأقوال الأخرى.

وانظر: الطبري: ٢٩٠/١٥ - ٢٩١.

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ
مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٦﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ
يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٧٧﴾

﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾، قال كعب: كانت لعشرة إخوة خمسة زَمْتِي^(١)، وخمسة يعملون في البحر. وفيه دليل على أن المسكين وإن كان يملك شيئاً فلا يزول عنه اسم المسكنة إذا لم يقيم ما يملكه بكفايته، ﴿يعملون في البحر﴾ أي: يؤاجرون ويكتسبون بها، ﴿فأردت أن أعيبها﴾، أ جعلها ذات عيب .

﴿وكان وراءهم﴾، أي أمامهم، ﴿ملك﴾، كقوله: «من ورائه جهنم» (إبراهيم - ١٦) .
وقيل: «وراءهم» خلفهم، وكان رجوعهم في طريقهم عليه، والأول أصح، يدل عليه قراءة ابن عباس «وكان أمامهم ملك»^(٢) .

﴿يأخذ كل سفينة غصباً﴾، أي: كل سفينة صالحة غصباً، وكان ابن عباس يقرأ كذلك، فخرقها وعيها الخضر حتى لا يأخذها الملك الغاصب، وكان اسمه الجلندي وكان كافراً .
قال محمد بن إسحاق: اسمه «متوله بن جلندي الأزدي» .

وقال شعيب الجبائي: اسمه «هُدُدُ بْنُ بُدَدٍ»^(٣) .
وروي أن الخضر اعتذر إلى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب، ولم يكونوا يعلمون بخبره، وقال: أردت إذا هي مرت به أن يدعها لعيها^(٤)، فإذا جاوزه أصلحوها فانتفعوا بها، قيل: سئوها بقارورة. وقيل: بالقار .

قوله عز وجل: ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا﴾، أي فعلمنا، [وفي قراءة ابن عباس: «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين فخشينا» أي: فعلمنا]^(٥)، ﴿أن يرهقهما﴾، يرهقهما، وقال الكلبي: يكلفهما، ﴿طغياناً وكفراً﴾، قال سعيد بن جبير: فخشينا أن يحملها حبه على أن يتابعه على دينه .

(١) أي مصابون بمرض مزمن، يقال: (زَمِنَ) الشخص (زَمْتًا) و(زَمَانَةً) فهو (زَمِينٌ) من باب تَعِبَ، وهو مرض يدوم زماناً طويلاً. والقوم (زَمْتِي) مثل مرضي .

(٢) انظر: الطبري ١/١٦-٢، زاد المسير: ١٧٨/٥ .

(٣) انظر: البخاري؛ تفسير سورة الكهف: ٤٢١/٨ .

(٤) انظر: البخاري، الموضع السابق .

(٥) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

فَارَدْنَا أَنْ يَبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا نَزَّوْنَا لَهُمَا وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ
لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ
رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي
ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

﴿فأردنا أن يبدلهما﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو: بالتشديد هاهنا وفي سورة «التحريم» و«القلم»، وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهما لغتان، وفرق بعضهم فقال: «التبديل»: تغيير الشيء، أو تغيير حاله وعين الشيء قائم، و«الإبدال»: رفع الشيء ووضع شيء آخر مكانه، ﴿رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾، أي صلاحاً وتقوى، ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾، قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: بضم الحاء، والباقون بجزمها، أي: عطفاً من الرحمة. وقيل: هو من الرِّحْم والقراية، قال قتادة: أي أوصل للرحم وأبر بوالديه^(١).

قال الكلبي: أبدلهما الله جارية فتزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبياً، فهدى الله على يديه أمة من الأمم.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: أبدلهما الله جارية ولدت سبعين نبياً^(٢).
وقال ابن جريج: أبدلهما بغلام مسلم^(٣).

قال مطرف: فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل. ولو بقي لكان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله تعالى، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب.
قوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾، وكان اسمهما أصرم وصريم، ﴿وَوَكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾، اختلفوا في ذلك الكنز: روي عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «كان ذهباً وفضة»^(٤).

(١) قال الطبري: (٤/١٦) «ولا وجه للرحم في هذا الموضوع، لأن المقتول كان الذي أبدل الله منه والديه ولداً لأبوي المقتول، فقرايتهما من والديه، وقريتهما منه في الرحم سواء».
(٢) قال ابن عطية: وهذا بعيد، ولا تعرف كثرة الأنبياء إلا في بني إسرائيل، ولم تكن هذه المرأة منهم. (البحر المحيط: ١٥٥/٦).
(٣) انظر هذه الأقوال في الطبري: ٣/١٦-٤، زاد المسير: ١٨٠/٥، وقد مال الطبري إلى أن المقصود بالآية أن الله تعالى أبدلهما بالغلام جارية.
(٤) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الكهف: ٦٠٠/٨، والحاكم في المستدرک ٣٦٩/٢، وأخرجه البخاري في تاريخه، والطبراني (تحفة الأحوذى: ٦٠١/٨). ويزيد بن يوسف الصنعاني ضعيف، قال الذهبي: «متروك» وإن كان حديثه أشبه بمعنى الكنز.

وقال عكرمة: كان مالاً^(١).

وعن سعيد بن جبير: كان الكنز صحفاً فيها علم^(٢).

وعن ابن عباس: أنه قال كان لوحاً من ذهب مكتوباً فيه: «عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح! عجباً لمن أيقن بالحساب كيف يغفل! عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب! عجباً لمن أيقن بالقدر كيف ينصب! عجباً لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها! لا إله إلا الله محمد رسول الله». وفي الجانب الآخر مكتوب: «أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، خلقت الخير والشر، فطوبى / لمن خلقت له للخير وأجرته على يديه والويل لمن خلقت له للشر وأجرته على يديه»^(٣) وهذا قول أكثر المفسرين^(٤). وروي أيضاً ذلك مرفوعاً.

أ/٢٢٢

قال الزجاج: الكنز إذا أطلق ينصرف إلى كنز المال، ويجوز عند التقييد أن يقال عنده كنز علم، وهذا اللوح كان جامعاً لهما.

«وكان أبوهما صالحاً»، قيل: كان اسمه «كاسح» وكان من الأتقياء. قال ابن عباس: حُفظا بصلاح أبيهما.

وقيل: كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء^(٥).

قال محمد بن المنكدر: إن الله يحفظ بصلاح العبد ولده [وولد ولده]^(٦)، وعترته وعشيرته وأهل دويرات حوله، فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم.

قال سعيد بن المسيب: إني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي.

قوله عز وجل: «فأراد ربك أن يبلغا أشدهما»، أي: يبلغا ويعقلا. وقيل: أن يدركا شدتهما وقوتهما. وقيل: ثمان عشرة سنة.

«ويستخرجا» حيثئذ «كنزهما رحمة»، نعم، «من ربك».

(١) أخرجه عنه الطبري: ٦/١٦، وهو بمعنى حديث أبي الدرداء.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: ٣٦٩/٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٦-٥/١٦، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٠٠/٣.

(٤) وهذا يتنافى مع ظاهر الآية الكريمة ومع إطلاق لفظ الكنز الذي ذكره المصنف أيضاً عن الزجاج عند الإطلاق، ولعل الراجع هو القول الأول، وإن كان الحديث فيه ضعيفاً لكنه يتسق مع ظاهر الآية وإطلاق اللفظ، وسائر الأخبار ليست مرفوعة، ولذلك قال الطبري رحمه الله: (٦/١٦).

«وأولى التأويلين في ذلك بالصواب القول الذي قال به عكرمة، لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال، وأن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز، فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتزويل، ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك...».

(٥) انظر في هذين القولين: زاد المسير: ١٨٢/٥.

(٦) ساقط من «ب».

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

﴿وما فعلته عن أمري﴾، أي باختياري ورأيي، بل فعلته بأمر الله وإلهامه، ﴿ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾، أي لم تطق عليه صبراً، و«استطاع» و«استطاع» بمعنى واحد .
روي أن موسى لما أراد أن يفارقه قال له: أوصني، قال: لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به .

واختلفوا في أن الخضر حي أم ميت^(١)؟ قيل: إن الخضر وإلياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم^(٢). وكان سبب حياته فيما يحكى أنه شرب من عين الحياة، وذلك أن ذا القرنين دخل الظلمات لطلب عين الحياة. وكان الخضر على مقدمته، فوقع الخضر على العين فنزل واغتسل وتوضأ^(٣) وشرب وصلى شكراً لله عزّ وجلّ، وأخطأ ذو القرنين الطريق فعاد^(٤).

وذهب آخرون إلى أنه ميت لقوله تعالى: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ (الأنبياء - ٣٤) . وقال النبي ﷺ بعدما صلى العشاء ليلة: «أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِنْهُ يَوْمٌ حَيٌّ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ»^(٥). ولو كان الخضر حياً لكان لا يعيش بعده . قوله عزّ وجلّ: ﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً﴾، خبراً، واختلفوا في نبوته: فقال بعضهم: كان نبياً^(٦).

[وقال أبو الطفيل: سئل علي رضي الله عنه عن ذي القرنين أكان نبياً^(٧) أم ملكاً؟ قال: لم يكن نبياً ولا ملكاً، ولكن كان عبداً أحبّ الله وأحبه الله، ناصح الله فناصره الله^(٨) .

(١) انظر فيما سبق التعليق على الآية (٦٥) من السورة .

(٢) خير ضعيف. انظر: الزهر النضر لابن حجر: ٢٠١/٢ (مجموعة الرسائل المنبرية) .

(٣) زيادة من «ب» .

(٤) المرجع السابق: ٢٠٠/٢-٢٠١، وانظر: ابن كثير: ١٠١/٣ وأشار إلى ضعف القصة من رواية الطبري بنحوه، القرطبي: ٤١/١١ وقال عن هذه الروايات كلها لا تقوم على ساق .

(٥) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء: ٧٣/٢-٧٤، ومسلم في فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: «لَا تَأْتِي مِائَةَ سَنَةٍ وَعَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ مَنفُوسَةٌ» برقم (٢٥٣٧): ١٩٦٥/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٩٢/٢-١٩٣ .

وانظر: الزهر النضر لابن حجر: ٢٠٥/٢-٢٠٧ (مجموعة الرسائل المنبرية) قال ابن عمر رضي الله عنهما - في الرواية نفسها: «فوهل الناس من مقالة رسول الله ﷺ تلك، فيما يتحدثون من هذه الأحاديث، عن مائة سنة، وإنما قال رسول الله ﷺ: لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد، يريد بذلك: أن ينخرم ذلك القرن» أي: ينقطع وينقضي .

(٦) قاله عبدالله بن عمرو، والضحاك بن مزاحم. انظر: زاد المسير: ١٨٤/٥، البداية والنهاية: ١٠٣/٢ .

(٧) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٨) انظر: الطبري: ٨/١٦ .

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَايَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ ٨٤

وروي أن عمر رضي الله عنه سمع رجلاً يقول لآخر: ياذا القرنين فقال: تسميتهم بأسماء النبيين فلم ترضوا حتى تسميتهم بأسماء الملائكة^(١).

والأكثر على أنه كان ملكاً عادلاً صالحاً^(٢).

واختلفوا في سبب تسميته بـ «ذي القرنين»: قال الزهري: لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها.

وقيل: لأنه ملك الروم وفارس.

وقيل: لأنه دخل النور والظلمة.

وقيل لأنه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس.

وقيل: لأنه كانت له ذؤابتان حسنتان.

وقيل: لأنه كان له قرنان تواريهما العمامة.

وروي أبو الطفيل عن علي أنه [قال: سمي «ذا القرنين» لأنه]^(٣) أمر قومه بتقوى الله، فضربوه على قرنيه الأيمن فمات فبعثه الله، ثم أمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنيه الأيسر فمات، فأحياه الله^(٤).

واختلفوا في اسمه؛ قيل: اسمه «مرزبان بن مرزبة اليوناني» من ولد يونان بن يافث بن نوح. وقيل علي: اسمه «الاسكندر بن فيلفوس بن ياملوس^(٥) الرومي»^(٦).

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ﴾، أوطأنا، والتمكين: تمهيد الأسباب. قال علي: سخر له السحاب فحمله عليها، ومد له في الأسباب، وبسط له النور، فكان الليل والنهار عليه سواء، فهذا معنى تمكينه في الأرض، وهو أنه سهل عليه السير فيها وذلل له طرقها.

﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: أعطيناه من كل شيء يحتاج إليه الخلق.

(١) ذكره السهيلي عن عمر رضي الله عنه، وقال الحافظ ابن كثير: إنه غريب، البداية والنهاية: ١٠٣/٢، وذكر مثله القرطبي عن علي رضي الله عنه: ٤٦/١١.

(٢) وهو مروى عن ابن عباس، ورجحه أيضاً الحافظ ابن كثير، ورواه الطبري عن علي رضي الله عنه.

(٣) زيادة من نسخة «ب».

(٤) انظر هذه الأقوال وأقوالاً أخرى في تسميته: الطبري: ٩٨/١٦، زاد المسير: ١٨٣/٥-١٨٤، الدر المنثور: ٤٣٦/٥ وما بعدها، تفسير القرطبي: ٤٧/١١-٤٨، تفسير ابن كثير: ١٠٢/٣، البداية والنهاية: ١٠٣/٢.

(٥) «ب»: الاسكندر بن قبليس بن فيلوس الرومي.

(٦) انظرها مع أقوال أخرى في: زاد المسير ١٨٣/٥، البداية والنهاية: ١٠٤/٢-١٠٥.

هذا، وليس على هذه الأقوال، ولا على سابقتها، خير صحيح عن المعصوم عليه السلام.

فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ
عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذُو الْقُرَيْنِ إِمَّا أَنْ تَعْذِّبَ وَإِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حَسَنًا ﴿٨٦﴾

وقيل: من كل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الأعداء .
﴿سبباً﴾، أي: علماً يتسبب به إلى كل ما يريد، ويسير به في أقطار الأرض، والسبب: ما
يوصل به الشيء إلى الشيء .

وقال الحسن: بلاغاً إلى حيث أراد.. وقيل: قربنا إليه أقطار الأرض (١) .
﴿فاتبع سبباً﴾، أي: سلك وسار، قرأ أهل الحجاز، والبصرة: «فاتبع» و«ثم اتبع» موصولاً
مشدداً، وقرأ الآخرون بقطع الألف وجزم التاء؛ وقيل: معناهما واحد .
والصحيح: الفرق بينهما، فمن قطع الألف فمعناه: أدرك ولحق، ومن قرأ بالتشديد فمعناه:
سار، يقال: ما زلت أتبعه حتى أتبعته، أي: ما زلت أسير خلفه حتى لحقته .
وقوله: «سبباً» أي: طريقاً. وقال ابن عباس: منزلاً .

﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾، قرأ أبو جعفر، وأبو عامر،
وحمزة، والكسائي، وأبو بكر: ﴿حامية﴾ بالألف غير مهموزة، أي: حارة، وقرأ الآخرون: ﴿حمئة﴾
مهموزاً بغير الألف، أي: ذات حمأة، وهي الطينة السوداء .
وسأل معاوية كعباً: كيف تجد في التوراة أن تغرب الشمس؟ قال: نجد في التوراة أنها تغرب
في ماء وطين .

قال القتيبي: يجوز أن يكون معنى قوله: ﴿في عين حمئة﴾ أي: عندها عين حمئة، أو في رأي العين .
﴿ووجد عندها قوماً﴾، أي: عند العين أمة، قال ابن جريج: مدينة لها اثنا عشر ألف باب،
لولا ضجيج أهلها لسمعت وجية الشمس حين تجب (٢) .
﴿قلنا يا ذا القرنين﴾، يستدل بهذا من زعم أنه كان نبياً؛ فإن الله تعالى خاطبه، والأصح: أنه
لم يكن نبياً، والمراد منه: الإلهام (٣) .

(١) قال الحافظ ابن كثير: (١٠٢/٣): «... وهكذا ذو القرنين، يسر الله له الأسباب، أي: الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم
والرساتيق والبلاد والأرض، وكسر الأعداء، وكبت ملوك الأرض، وإذلال أهل الشرك، قد أوتي من كل شيء مما يحتاج
إلى مثله سبباً، والله أعلم» .

(٢) في «ب»: تغيب. وانظر: تفسير ابن كثير: ١٠٢/٣ وقد أشار إلى أنها من الاسرائيليات .

(٣) انظر: زاد المسير: ١٨٩/٥ .

قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ
 ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنِيِّ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا
 ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجدهَا تَطَّلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا
 سِتْرًا ﴿٩٠﴾

﴿إمّا أن تعذب﴾، يعني: إمّا أن تقتلهم إن لم يدخلوا في الإسلام، ﴿وإمّا أن تتخذ فيهم
 حُسْنًا﴾، يعني: تعفو وتصفح وقيل: تأسروهم فتعلمهم الهدى^(١). خيرَه اللهُ بين الأمرين .

﴿قال أمّا من ظلم﴾ أي: كفر، ﴿فسوف نعدّبه﴾، أي: نقتله، ﴿ثم يُردُّ إلى ربّه﴾، في الآخرة
 ﴿فيعذّبه عذاباً نُكْرًا﴾ أي: منكرًا، يعني: بالنار، والنار أنكر من^(٢) القتل .

﴿وأمّا من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسني﴾، قرأ حمزة، والكسائي وحفص، ويعقوب:
 ﴿جزاء﴾ منصوباً منوناً أي: فله الحسنى ﴿جزاء﴾ نصب على المصدر [وهو مصدر وقع موقع
 الحال، أي: فله الحسنى مجزياً بها]^(٣) .

وقرأ الآخرون: بالرفع على الإضافة، فالحسنى: الجنة أضاف الجزاء إليها، كما قال: «الدار الآخرة
 خير» (يوسف - ٩)، والدار هي الآخرة .

وقيل: المراد بـ «الحسنى» على هذه القراءة: الأعمال الصالحة. أي له جزاء الأعمال الصالحة .
 ﴿وسنقول له من أمرنا يُسرًا﴾، أي: نلين له القول، ونعامله باليسر من أمرنا. وقال مجاهد:
 «يسرًا» أي: معروفًا .

﴿ثم اتبع سبباً﴾، أي: سلك طرقاً ومنازل .

﴿حتى إذا بلغ / مَطْلِعَ الشمس﴾، أي موضع طلوعها، ﴿وجدتها تَطَّلُعُ على قومٍ لم نجعل
 لهم من دونها سِتْرًا﴾، قال قتادة، والحسن: لم يكن بينهم وبين الشمس ستر، وذلك أنهم كانوا
 في مكان لا يستقر عليه بناء، فكانوا يكونون في أسرابٍ لهم، حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا
 إلى معاشهم وحروثهم .

ب/٢٢٢

(١) المرجع السابق .

(٢) ساقط من «أ» .

(٣) ساقط من «ب» .

كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ
وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ الْقَرْنَيْنِ
إِنَّا يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
سَدًّا ﴿٩٤﴾

وقال الحسن: كانوا إذا طلعت الشمس يدخلون الماء، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا يتراعون^(١) كالبهائم .

وقال الكلبي: هم قوم عراة، يفترش أحدهم إحدى أذنيه، ويلتحف بالأخرى^(٢) .
قوله عز وجل: ﴿كذلك﴾، قيل: معناه كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها، والصحيح
أن معناه: كما حكم في القوم الذين هم عند مغرب الشمس كذلك حكم في الذين هم عند مطلع
الشمس، ﴿وقد أحطنا بما لدينه خبيراً﴾، يعني: بما عنده ومعه^(٣) من الجند، والعدة، والآلات
«خبيراً» أي: علماً .

﴿ثم أتبع سبباً﴾ .

﴿حتى إذا بلغ بين السدّين﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو، وحفص: ﴿السدين﴾ و ﴿سدأ﴾
هاهنا بفتح السين، وافق حمزة والكسائي في «سدأ»، [وقرأ الباقون: بضم السين، وفي يس «سدأ»
بالفتح حمزة والكسائي، وحفص^(٤)] وقرأ الباقون بالضم، منهم من قال: هما لغتان، معناهما واحد.
وقال عكرمة: ما كان من صنعة بني آدم فهو السد بالفتح، وما كان من صنع الله فهو سد^(٥)
بالضم، وقاله أبو عمرو. وقيل: «السد»: بالفتح مصدر، وبالضم اسم، وهما هاهنا: جبلان، سدّ
ذو القرنين ما بينهما، حاجزاً بين يأجوج ومأجوج ومن ورائهم. ﴿وجد من دونهما قوما﴾ يعني:
أمام السدّين. ﴿لا يكادون يفقهون قولاً﴾، قرأ حمزة، والكسائي: «يُفْقَهُونَ» بضم الياء وكسر القاف
على معنى لا يفقهون غيرهم قولاً، وقرأ الآخرون: بفتح الياء والقاف، أي لا يفقهون كلام غيرهم،
قال ابن عباس: لا يفقهون كلام أحد، ولا يفهم الناس كلامهم .

﴿قالوا يا إذا القرنين﴾ فإن قيل: كيف قالوا ذلك وهم لا يفقهون ؟ .

(١) في «ب»: فتراعوا .

(٢) ليس على هذه الأقوال دليل ثابت، وهي قضية غيبية تحتاج إلى نصر عن المعصوم .

(٣) ساقط من «أ» .

(٤)، (٥) زيادة من «ب» .

قيل: كَلَّمْ عنهم مترجم، دليله: قراءة ابن مسعود: لا يكادون يفقهون قولاً قال الذين من دونهم ياذا القرنين .

﴿إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾، قرأها عاصم بمهزتين [وكذلك في الأنبياء، «فتحت يأجوج ومأجوج»^(١)، والآخرون بغير همز [في السورتين]^(٢)، وهما لغتان، أصلهما من أجيح النار، وهو ضوؤها وشررها، شَبَّهوا به لكثرتهم وشدتهم .

وقيل: بالهمزة من شدة^(٣) أجيح النار، وبترك الهمز اسمان أعجميان، مثل: هاروت وماروت، وهم من أولاد يافث بن نوح .

قال الضحاك: هم جيل من الترك. قال السدي: الترك سرية من يأجوج ومأجوج، خرجت فضرب ذو القرنين السد، فبقيت خارجه، فجميع الترك منهم. وعن قتادة: أنهم اثنان وعشرون قبيلة، بنى ذو القرنين السد^(٤) على إحدى وعشرين قبيلة فبقيت قبيلة واحدة فهم الترك، سموا الترك لأنهم تركوا خارجين .

قال أهل التواريخ: أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث، فسام أبو العرب والعجم والروم، وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة، ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة، ويأجوج ومأجوج، قال ابن عباس في رواية عطاء: هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء. روي عن حذيفة مرفوعاً: إن يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف أمة، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه، كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم، يسرون إلى خراب الدنيا. وقيل^(٥): هم ثلاثة أصناف صنفت منهم أمثال الأرز، شجر بالشام، طوله عشرون ومائة ذراع في السماء، وصنف منهم عرضه وطوله سواء، عشرون ومائة ذراع، وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفتش أحدهم [إحدى أذنيه]^(٦) ويلتحف الأخرى، لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشارق وبحيرة طبرية^(٧) .

وعن علي أنه قال: منهم من طوله شبر، ومنهم من هو^(٨) مفرط في الطول .

(١) ساقط من «ب» .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) زيادة من «ب» .

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٥) يبدو أن في الرواية سقطاً، فقد جاء في الدر المنثور: (٤٥٧/٥): قيل: يارسول الله صنفهم لنا. قال: هم ثلاثة أصناف... .

(٦) في «ب»: أذنه .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور: (٤٥٧/٥) لابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عدي، وابن عساكر، وابن النجار .

(٨) في «ب»: طوله .

وقال كعب: هم نادرة في ولد آدم وذلك أن آدم احتلم ذات يوم وامترجت نطفته بالتراب، فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم يتصلون بنا من جهة الأب دون الأم^(١).

وذكر وهب بن منبه: أن ذا القرنين كان رجلاً من الروم ابن عجوز، فلما بلغ كان عبداً صالحاً. قال الله له: إني باعثك إلى أمم مختلفة ألسنتهم، منهم أمتان بينهما طول الأرض: إحداهما عند مغرب الشمس، يقال لها ناسك، والأخرى عند مطلعها، يقال لها منسك، وأمتان بينهما عرض الأرض، إحداهما: في القطر الأيمن، يقال لها: هاويل، والأخرى في قطر الأرض الأيسر يقال لها: تاويل، وأم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج، فقال ذو القرنين: بأي قوة أكبرهم؟ وبأي جمع أكثرهم؟ وبأي لسان أناطقهم؟ قال الله عز وجل: إني سأطوقك وأبسط لك لسانك، وأشد عضدك فلا يهولتك شيء، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء، وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما من جنودك، يهديك النور من أمامك وتحوطك الظلمة من ورائك، فانطلق، حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعاً وعدداً لا يحصيه إلا الله، فكابرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد، فدعاهم إلى الله وعبادته، فمنهم من آمن، ومنهم من صد عنه، فعمد إلى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته، فجنّد من أهل المغرب جنداً عظيماً فانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل فعمل فيهم كعمله في ناسك، ثم مضى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس، فعمل فيها وجنّد منها جنوداً كعمله في الأمتين، ثم أخذ ناحية الأرض اليسرى فأتى تاويل فعمل فيها كعمله فيما قبلها، ثم عمد إلى الأمم التي في وسط الأرض، فلما دنا مما يلي منقطع الترك نحو المشرق، قالت له أمة صالحه من الإنس: ياذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقاً أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش، [لهم أنياب وأضراس]^(٢) كالسباع، يأكلون الحيات والعقارب، وكل ذي روح، خلق في الأرض وليس يزداد خلق كزيادتهم، ولا شك أنهم سيملؤون الأرض ويظهرون عليها ويفسدون فيها، فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً، قال ما مكنتي فيه ربي خير، قال: أعدوا إلي الصخور والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم، فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربع منا، لهم مخالب كالأظفار في أيدينا وأنياب وأضراس كالسباع، ولهم هذب من الشعر في

(١) قال الحافظ ابن كثير: (٣/١٠٤-١٠٥): وقد حكى النووي رحمه الله، في «شرح مسلم» عن بعض الناس أن يأجوج ومأجوج خلقوا من مني خرج من آدم فاختلط بالتراب، فخلقوا من ذلك.

فعل هذا يكونون مخلوقين من آدم، وليسوا من آدم وحواء، وهذا قول غريب جداً. ثم لا دليل عليه، لا من عقل ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب، لما عندهم من الأحاديث المقتعلة، والله أعلم.

(٢) زيادة من «ب».

قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾

أجسادهم ما يواريهم ويتقون به من الحر والبرد، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفترش إحداهما ويلتحف بالأخرى يصيف في إحداهما ويشتو في / الأخرى، يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا، فلما عاين ذلك ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين، فقاس ما بينهما، فحفر له الأساس حتى بلغ الماء وجعل حشوه الصخر وطينه النحاس، يذاب فيصب عليه، فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض (١).

أ / ٢٢٣

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنِ يَا جُورٍ وَمَأْجُوجٍ مُّفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، قال الكلبي: فسادهم أنهم كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا شيئاً (٢) يابساً إلا احتملوا، وأدخلوه أرضهم، وقد لقوا منهم أذى شديداً وقتلاً .
وقيل: فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس .

وقيل: معناه أنهم سيفسدون في الأرض عند خروجهم (٣) .

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿خَرَجًا﴾ بالألف، وقرأ الآخرون ﴿خَرْجًا﴾ بغير ألف، وهما لغتان بمعنى واحد، أي جُعلاً وأجرًا من أموالنا .

وقال أبو عمرو: «الخرج»: ما تبرعت به، و«الخراج»: ما لزمك أداؤه. وقيل: «الخراج»: على الأرض، و«الخرج»: على الرقاب. يقال: أَدَّ خَرْجَ رَأْسِكَ وخراج مدينتك .

﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾، أي حاجزاً، فلا يصلون إلينا .

﴿قَالَ﴾، لهم ذو القرنين: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ﴾، قرأ ابن كثير ﴿مَكَّنِّي﴾ بنونين ظاهرين، وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة على الإدغام، أي: ما قَوَّاني عليه، ﴿رَبِّي خَيْرٌ﴾، من جعلكم، ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾، معناه: إني لا أريد المال، بل أعينوني بأبدانكم وقوتكم، ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾، أي: سداً، قالوا وما تلك القوة؟ قال: فَعَلَّةٌ وَصُنَّاعٌ يحسنون البناء والعمل، والآلة. قالوا وما تلك الآلة؟ قال:

(١) أخرجه الطبري عن وهب بن منبه: ٢١/١٦-١٧، وعقب عليه الحافظ ابن كثير في التفسير: (١٠٥/٣) فقال: ذكر ابن جرير هنا أثراً غريباً طويلاً عجيباً في سير ذي القرنين وبنائه السد، وكيفية ما جرى له، وفيه طول وغرابة ونكارة، في أشكالهم وصفاتهم، وطولهم، وقصر بعضهم، وأذانهم، وروى ابن أبي حاتم في ذلك عن أبيه أحاديث غريبة، لا تصح أسانيدنا والله أعلم.

(٢) ساقط من «أ» .

(٣) وهو ما رجحه الطبري: ٢٢/١٦ .

ءَاتُونِي زَبْرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا
 قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا
 لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي
 حَقًّا ﴿٩٨﴾

﴿آتوني﴾: أعطوني، وقرأ أبو بكر: ﴿اتوني﴾ أي جيتوني، ﴿زبر الحديد﴾، أي قطع الحديد،
 واحدهما زبرة، فأتوه بها وبالخطب، وجعل بعضها على بعض، فلم يزل يجعل الحديد على الخطب
 والخطب على الحديد، ﴿حتى إذا ساوى بين الصدفين﴾، قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو،
 ويعقوب: بضم الصاد والdal، وجزم أبو بكر الدال، وقرأ الآخرون بفتحها، وهما الجبلان، ساوى:
 أي: سوى بين طرفي الجبلين .

﴿قال انفخوا﴾، وفي القصة: أنه جعل الفحم والخطب في خلال زبر الحديد، ثم قال: انفخوا،
 يعني: في النار .

﴿حتى إذا جعله ناراً﴾، أي صار الحديد ناراً، ﴿قال آتوني﴾، قرأ حمزة وأبو بكر وصلأ،
 وقرأ الآخرون بقطع الألف. ﴿أفرغ عليه قطراً﴾، أي: [آتوني قطراً أفرغ عليه، و«الإفراغ»: الصب،
 و«القطر»: هو النحاس المذاب، فجعلت النار تأكل الخطب، ويصير النحاس^(١) مكان الخطب حتى
 لزم الحديد النحاس .

قال قتادة: هو كالبرد المحبر، طريقة سوداء وطريقة حمراء. وفي القصة: أن عرضه كان خمسين
 ذراعاً وارتفاعه مائتي ذراع وطوله فرسخ .

﴿فما استطاعوا أن يظهروه﴾، أن يعلوه من فوقه لطوله وملاسته، ﴿وما استطاعوا له نقباً﴾،
 من أسفله، لشدته وصلابته. وقرأ حمزة: ﴿فما استطاعوا﴾ بتشديد الطاء أدغم تاء الافتعال في الطاء .
 ﴿قال﴾، يعني ذا القرنين، ﴿هذا﴾، أي السد، ﴿رحمة﴾، أي: نعمة، ﴿من ربي فإذا جاء
 وعد ربي﴾، قيل: القيامة. وقيل: وقت خروجهم. ﴿جعله دكاً﴾، قرأ أهل الكوفة ﴿دكاً﴾ بالمد
 والهمز، أي: أرضاً ملساء، وقرأ الآخرون بلا مد، أي: جعله مذكوكاً مستويًا مع وجه الأرض،
 ﴿وكان وعد ربي حقاً﴾، وروى قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة يرفعه: «أن يأجوج ومأجوج
 يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

فيعيده الله كما كان، حتى إذا بلغت مدتهم حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، واستثنى فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه فيخرجون على الناس، فيتبعون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فيرجع فيها كهيئة الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليها نَعْفًا في أَقْفَائِهِمْ^(١) فيهلكون، وإن دواب الأرض لتسمن وتَشْكُرُ^(٢) من لحومهم شكراً^(٣).

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنبأنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن مهران الرازي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، عن يحيى بن جابر الطائي، عن عبدالرحمن ابن جُبَيْر بن نُفَيْر، عن أبيه جبیر بن نفير، عن النُّوَّاس بن سَمْعَانَ قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فحَفَضَ فيه ورفَع حتى ظنَّاه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يارسول الله ذكرت الدجال ذات غداة فحَفَضَتْ فيه ورفَعَتْ، حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «غَيْرُ الدَّجَالِ أَخوفني عليكم؟ إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئٍ حجيحٌ نفسه، والله خليفتي على كلِّ مسلم، إنه شاب قَطَطٌ^(٤) عينه اليمنى^(٥) طافية، كأني أشبهه بعبد العزَّى بن قَطَن، فَمَنْ أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج نَحْلَةً بين الشام والعراق، فعاث يمينا وعاث شمالاً، يا عباد الله! فاثبتوا» قلنا: يارسول الله فما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً يوماً كسنة، ويوم كشهرا، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يارسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، أَقْدَرُوا له

(١) «النَّعْفُ»: بفتح النون والغين المعجمة؛ دود يكون في أنوف الإبل والغنم، مفرده: «نَعْفَةٌ». و«الأقفاء»: جمع «قفا»، وهو وراء العنق.

(٢) يقال: شكرت الناقة - من باب سَمِعَ - إذا امتلأ ضرعها باللبن، وشكرت الدابة: إذا سمت.

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير: ٥٩٧/٨-٥٩٩، وقال: «هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه...» وابن ماجه في الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم... برقم (٤٠٨٠): ١٣٦٤-١٣٦٥، وابن حبان ص (٤٧٠) من موارد الظمان، وصححه الحاكم على شرط الشيخين: ٤/٤٨٨، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٥١٠/٢.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: (١٠٦/٣): «إسناده جيد قوي، ولكن متنه في رفعه نكارة، لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقيه لإحكام بنائه وصلابته وشدته، ولكن هذا قد روي عن كعب الأحماس: أنهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل، فيقولون: غداً نفتحها، فيأتون من الغد، وقد عاد كما كان... مرتين ويلهمون أن يقولوا: إن شاء الله، فيصبحون وهو كما فارقه، فيفتحونه، وهذا متجه، ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب، فإنه كان كثيراً ما كان يجالسه ويحدثه، فحدثت به أبو هريرة، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع، فرفعه. والله أعلم.»

(٤) «قَطَطٌ»: شديد جمود الشعر، مباحد للجعودة المحبوبة.

(٥) ساقط من «ب».

قَدَرَهُ، قلنا: يارسول الله وما إسرعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنوا به ويستجيبيوا له، فيأمر السماء فتمطر الأرض، فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت دُرَى وأسبغه ضروعاً وأمدّه خواصر^(١)، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، قال: فينصرف عنهم، فيصبحون محلين^(٢) ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فيتبعه كنوزها كيغاسيب النحل^(٣)، ثم يدعو رجلاً ممتلاً شاباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض^(٤)، ثم يدعو فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك، فيبينا هو كذلك إذ بعث الله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي باب دمشق، بين مهرورتين^(٥)، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُد فيقتله، ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فيبينا هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت / عبداً لي لا يدان^(٦) بأحد بقاتهم فحرز عبادي إلى الطور^(٦)، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرة ماء، ويخصر نبي الله وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النعف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم^(٧) وتنتهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت^(٨)،

(١) «تروح»: ترجع آخر النهار. و«السارحة»: هي الماشية التي تسرح، أي: تذهب أول النهار إلى المرعى، والذرى: الأعالي والأسنة، جمع ذروة، بالضم وبالكسر. و«أسبغه ضروعاً»: أطوله، لكثرة اللبن، وكذا «أمدّه خواصر»، لكثرة امتلائها من الشبع.

(٢) أي: أصابهم المخل، وهو الجذب والقحط.

(٣) هي ذكور النحل، أو: جماعة النحل، لا ذكورها خاصة، لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب، وهو أميرها.

(٤) «الجزلة» - بالفتح، ويحكى بالكسر - القطعة. ومعنى «رمية الغرض»: أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رمية. هذا هو الظاهر المشهور، وقيل غير ذلك.

(٥) «مهرورتين» - بالدال المهملة، وروي بالمعجمة - ومعناه: لابس مهرورتين، أي: ثوبين مصبوغين بوزن ثم بزعفران. وقيل: هما شقتان، والشقة: نصف الملاعة.

(٦) «يدان»: تنبيه يد، معناه: لا قدرة ولا طاقة. «فحرز»: أي ضمهم، واجعله لهم جزراً، يقال: أحرزت الشيء أحرزه إحرزاً، إذا حفظته وضممته إليك، وصننه عن الأخذ.

(٧) «زهمهم»: أي: دسهمهم.

(٨) «البخت»: قال ابن منظور في «لسان العرب»: البخت والبختية، دخيل في العربية، أعجمي معرب. وهي: الإبل الحراسانية، تنتج من عربية وفالج، وهي جمال طوال الأعناق.

فتملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يَكُنُّ^(١) منه بيتٌ مدرٍ ولا وبرٌ فيغسل الأرض، حتى يتركها كالزَّلْفَةِ^(٢). ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، ورُدِّي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرُّمَّانة، ويستظلُّون بِقُحْفِهَا، ويُبَارِكُ في الرُّسْلِ حتى أن اللُّقْحَةَ^(٣) من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللُّقْحَةُ من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللُّقْحَةُ من الغنم لتكفي الفخذ من النَّاسِ، فبينما هم كذلك إذ بعث الله رجلاً طيِّباً، فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويقبض شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارِجُونَ تَهَارِجَ الحُمُرِ^(٤)، فعليهم تقوم الساعة^(٥).

وبهذا الإسناد حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا علي بن حجر السعدي، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، والوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بهذا الإسناد نحو ما ذكرنا وزاد بعد قوله: - لقد كان بهذه مرة ماء -: ثم يسرون حتى ينتهوا إلى جبل الحُمُرِ^(٦) وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا مَنْ في الأرض هَلُمَّ فلنقتل مَنْ في السماء، فيرمون بُشَابِهِمْ^(٧) إلى السماء، فيرُدُّ الله عليهم نُشَابِهِمْ مَخضُوبَةً دماً^(٨).

وقال وهب: إنهم كانوا يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه، ثم يأكلون الخشب والشجر، ومن ظفروا به من الناس، ولا يقدر أن يأتوا مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، أنبأنا أحمد، أنبأنا أبي، أنبأنا إبراهيم عن الحجاج بن حجاج، عن قتادة عن عبد الله ابن أبي عتبة، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «ليحجنَّ البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج»^(٩).

وفي القصة: أن ذا القرنين دخل الظلمة فلما رجع توفي بشهر زور. وذكر بعضهم: أن عمره كان نيفاً وثلاثين سنة.

- (١) أي: لا يمنع نزول الماء.
- (٢) وروي بلفظ: «الزَّلْفَةُ» ولفظ: «الزُّلْفَةُ» وكلها صحيحة، قيل معناها: كالمرأة، وقيل: كمصانع الماء، لأن الماء يستنقع فيها حتى تصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء. وقيل: كالإجانة الخضراء. وقيل: كالروضة.
- (٣) «الرسل» هو اللبن، و«اللُّقْحَةُ» - بالكسر وبالفتح - القرية العهد بالولادة.
- (٤) أي يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس، كما يفعل الحمير، ولا يكثرنون لذلك، و«الهُرَج» - بإسكان الراء - الجماع.
- (٥) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ذكر الدجال وصفة ما معه، برقم (٢١٣٧): ٢٢٥٠/٤ - ٢٢٥٥.
- (٦) في «أ»: (أحمر)، وفي «ب»: (الحمير) بالمهمل، والثبت من صحيح مسلم. و«الحمير» هو الشجر الملتف الذي يستتر من فيه. وقد فسره في الحديث بأنه جبل بيت المقدس، لكثرة شجره.
- (٧) أي: سهامهم، والواحدة: «نشابة».
- (٨) أخرجه مسلم في الموضع السابق: ٢٢٥٥/٤.
- (٩) أخرجه البخاري في الحج، باب قول الله تعالى: «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس»: ٤٥٤/٣، والمصنف في شرح

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَهُمْ جَمَاعًا ﴿١١﴾ وَعَرَضْنَا
 جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٢﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا
 لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٣﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي
 أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٤﴾﴾

قوله عز وجل ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾، قيل: هذا عند فتح السد، يقول: تركنا يأجوج ومأجوج يموج، أي: يدخل، بعضهم في بعض، كموج الماء، ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم .

وقيل: هذا عند قيام الساعة، يدخل الخلق بعضهم في بعض، ويختلط إنسيهم بجنسيهم حيارى. ﴿ونفخ في الصور﴾، لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة، ﴿فجمعناهم جمعاً﴾، في صعيد واحد .

﴿وعرضنا﴾، أبرزنا، ﴿جهنم يومئذ للكافرين عرضاً﴾، حتى يشاهدوها عياناً .
 ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء﴾، أي: غشاء، و«الغطاء»: ما يغطي به الشيء ويستره، ﴿عن ذكري﴾، يعني: عن الإيمان والقرآن، وعن الهدى والبيان. وقيل: عن رؤية الدلائل .
 ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾، أي: سمع القبول والإيمان، لغلبة الشقاوة عليهم .
 وقيل: لا يعقلون وقيل: كانوا لا يستطيعون، أي: لا يقدر أن يسمعوا من رسول الله ﷺ ما يتلوه عليهم لشدة عداوتهم له، كقول الرجل: لا أستطيع أن أسمع من فلان شيئاً، لعداوته .
 قوله عز وجل: ﴿أفحسب﴾، أفظن، ﴿الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾، أرباباً، يريد بالعباد: عيسى، والملائكة، كلا بل هم لهم أعداء ويتبرؤون منهم .
 قال ابن عباس: يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله. وقال مقاتل: الأصنام سموها (١) عباداً، كما قال: «إن الذين تدعون من دون الله عبادةً أمثالكم» (الأعراف - ١٩٤) وجواب هذا الاستفهام محذوف .

قال ابن عباس: يريد إني لأغضب لنفسي، يقول: أفظن الذين كفروا أن يتخذوا غيري أولياء وإني لا أغضب لنفسي ولا أعاقبهم .

(١) في «ب»: سميت .

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾

وقيل: أظنوا أنهم ينفعمهم أن يتخذوا عبادي^(١) من ذوي أولياء .

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾، أي: منزلاً، قال ابن عباس: هي مشواهم. وقيل: النزول ما يبها للضيف، يريد^(٢): هي معدة لهم عندنا كالنزل للضيف .
قوله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾، يعني: الذين أتبعوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلاً ونوالاً، فنالوا هلاكاً وواراً، كمن يشتري سلعة يرجو عليها ربحاً فخرس وخاب سعيه .

واختلفوا فيهم: قال ابن عباس، وسعد بن أبي وقاص: هم اليهود والنصارى. وقيل: هم الرهبان ﴿الذين﴾ حبسوا أنفسهم في الصوامع. وقال علي بن أبي طالب: هم أهل حروراء^(٣). ﴿ضَلَّ سَعِيَهُمْ﴾، بطل عملهم واجتهادهم، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، أي عملاً . ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ﴾، بطلت، ﴿أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾، أي لا نجعل لهم خطراً وقدرًا، تقول العرب: «ما لفلان عندي وزن» أي: قدر، لخستته .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، عن محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن عبدالله، حدثنا سعيد بن مریم، أنبأنا المغيرة عن أبي الزناد،

(١) ساقط من «أ» .

(٢) ساقط من «أ» .

(٣) ومعنى هذا عن علي رضي الله عنه: أن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم، لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء، بل هي أعم من هذا، فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى وقبل وجود الخوارج بالكلية، وإنما هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية، بحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول، وهو مخطيء وعمله مردود، كما قال تعالى: «وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصل ناراً حامية»، وقال تعالى: «وقدمنا إلى ما عملوا فنجعلناه هباءً منثوراً» انظر: تفسير ابن كثير: ١٠٨/٣ .

وهو ما قاله الطبري أيضاً حيث رجح أنه عني بها كل عامل عملاً بحسبه فيه مصيباً، وأنه لله بفعله ذلك مطيع مرضي، وهو بفعله ذلك لله مسخط، وعن طريق أهل الإيمان به جائر، كالراهبة والشمامسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد في ضلالتهم، وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كفر، من أهل أي دين كانوا .

انظر: تفسير الطبري: ٣٤/١٦ .

ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٨﴾

عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لَيَأْتِي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يَزُنُّ عند الله جناح بعوضة»، وقال اقرؤوا إن شئتم: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾^(١). قال أبو سعيد الخدري: يأتي أناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تامة، فإذا وزنوها لم تزن شيئاً، فذلك قوله تعالى: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾. ذلك الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وخسة أقدارهم، ثم ابتداء فقال: ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾، يعني القرآن، ﴿وَرُسُلِي هُزُوًا﴾، أي سخرية ومهزوءاً بهم. قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾، روينا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»^(٢). قال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر^(٣).

وقال قتادة: «الفردوس»: ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها^(٤).

قال كعب: «الفردوس»: هو البستان الذي فيه الأعناب^(٥).

وقال مجاهد: هو البستان بالرومية.

وقال عكرمة: هي الجنة بلسان الحبش^(٦).

قال الزجاج: هو بالرومية منقول إلى / لفظ العربية.

وقال الضحاك: هي الجنة الملتفة الأشجار.

وقيل: هي الروضة المستحسنة.

أ/٢٢٤

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب «أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه...»: ٤٢٦/٨، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب صفة القيامة والجنة والنار، برقم (٢٧٨٥): ٢١٤٧/٤.

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري في التوحيد، باب «وكان عرشه على الماء، وهو ربُّ العرش العظيم»: ٤٠٤/١٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٦/١٦.

(٤) الطبري: ٣٦/١٦، ورواه أيضاً مرفوعاً عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب: ٣٨/١٦.

(٥) المرجع السابق ٣٦/١٦.

(٦) انظر: الطبري ٣٦/١٦، وساق جملة أحاديث تؤيد أن المعنى بالآية: إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وأقروا بتوحيد الله وما

أنزل من كتبه، وعملوا بطاعته، كانت لهم بساين الفردوس، والفردوس معظم الجنة. انظر: ٣٨-٣٧/١٦.

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

وقيل: هي التي تنبت ضرورياً من النبات، وجمعه فرايس .

﴿نُزُلًا﴾، قيل أي: منزلاً. وقيل: ما يهب للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلاً، ومعنى «كانت لهم» أي: في علم الله قبل أن يُخلقوا .

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ﴾، لا يطلبون، ﴿عَنْهَا حِوَلًا﴾، أي تحولاً إلى غيرها. قال ابن عباس: لا يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار إذا توافقه إلى دار أخرى .

قوله عز وجل: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾، قال ابن عباس: قالت اليهود [يا محمد] (١) نزعنا أنا قد أوتينا الحكمة، وفي كتابك ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، ثم تقول: وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً؟ فأنزل الله هذه الآية (٢) .

وقيل: لما نزلت: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً»، قالت اليهود: أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء، فأنزل الله تعالى (٣) : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ سُمِّي المِداد مِدَاداً لِإِمْدَادِ الْكَاتِبِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الزِّيَادَةِ وَمَجِيءُ الشَّيْءِ بَعْدَ الشَّيْءِ .

قال مجاهد: لو كان البحر مداداً للقلم والقلم يكتب، ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾، أي ماؤه، ﴿قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿يَنْفَدُ﴾ بالياء لتقدم الفعل، والباقون بالتاء، ﴿كَلِمَاتِ رَبِّي﴾، أي علمه وحكمه، ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾، معناه: لو كان الخلاق يكتبون، والبحر يمدُّهم لنفد البحر ولم تنفد كلمات ربِّي (٤)، ولو جئنا بمثل ماء البحر في كثيره مدداً أو زيادة، [و«مدداً» منصوب على التمييز] (٥) نظيره قوله تعالى: «ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله» (لقمان - ٢٧) .

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾، قال ابن عباس

(١) ساقط من «ب» .

(٢) انظر: أسباب النزول للواحي ص (٣٤٦)، تفسير القرطبي: ٦٨/١١، البحر المحيط: ١٦٨/٦، تفسير الخازن: ١٩٢/٤ .

(٣) انظر: زاد المسير: ٢٠١/٥ .

(٤) في «ب»: الله .

(٥) ساقط من «ب» .

عَلَّمَ اللَّهُ رَسُولَهُ التَّوَاضِعَ لِئَلَّا يَزْهَوْا عَلَى خَلْقِهِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَقْرَأَ فَيَقُولُ: إِنِّي آدَمِيٌّ مِثْلَكُمْ، إِلَّا أَنِّي تُخَصِّصْتُ بِالْوَحْيِ وَأَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهِ، يُوْحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ. ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾، أَي يَخَافُ الْمَصِيرَ إِلَيْهِ. وَقِيلَ: يَأْمَلُ رُؤْيَا رَبِّهِ، فَالرَّجَاءُ يَكُونُ بِمَعْنَى الْخَوْفِ وَالْأَمَلِ جَمِيعاً، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَا كُلُّ مَا تَرْجُو مِنَ الْخَيْرِ كَأَنَّ
وَلَا كُلُّ مَا تَرْجُو مِنَ الشَّرِّ وَاقِعٌ

فجمع بين المعنيين .

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، أَي: لَا يُرَائِيْ بِعَمَلِهِ .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، أنبأنا أبو نعيم، أخبرنا سفيان عن سلمة، هو ابن كهيل، قال: سمعت جندباً يقول: قال النبي ﷺ: «مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِيْ يُرَائِيْ اللَّهُ بِهِ»^(١) .
وروينا عن النبي ﷺ أنه قال: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: يارسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء»^(٢) .

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أنبأنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، حدثنا أبي، حدثنا شعيب قال: حدثنا الليث عن أبي الهاد، عن عمرو، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِيْ فَأَنَا مِنْهُ بِرِيءٌ، هُوَ لِلَّذِيْ عَمَلَهُ»^(٣) .

(١) أخرجه البخاري في الرقاق، باب الرياء والسمعة: ٣٣٥/١١-٣٣٦، ومسلم في البر والصلة، باب إذا أئني على الصالح فهي بشرى لا تضره، برقم (٢٦٤٢): ٢٠٣٤/٤-٢٠٣٥، والمصنف في شرح السنة: ٣٢٣/١٤ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد: ٤٢٨/٥، ٤٢٩. والمصنف في شرح السنة: ٣٢٤/١٤، قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» وقال المنذري: «إسناده جيد» ورواه ابن أبي الدنيا، والبيهقي في الزهد، وغيره. ومحمود بن لبيد رأى النبي ﷺ، ولم يصح له منه سماع فيما أرى، وقد خرج أبو بكر بن خزيمة حديث محمود المتقدم في «صحيحه» مع أنه لا يخرج فيه شيئاً من المراسيل. وذكر ابن أبي حاتم أن البخاري قال: له صحبة. قال: وقال أبي: لا يعرف له صحبة. ورجع ابن عبد البر أن له صحبة. وقد رواه الطبراني بإسناد جيد عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج، وقيل: إن حديث محمود هو الصواب دون ذكر رافع فيه. والله أعلم. انظر: الترغيب والترهيب: ٦٩/١، مجمع الزوائد: ١٠٢/١، وقارن به: النهج السديد في تخریج أحاديث تيسير العزيز الحميد ص (٤٦) .

(٣) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، برقم (٢٩٨٥): ٢٢٨٩/٤ بلفظ: «... تركته وشركه»، ورواه ابن ماجه في الزهد، باب الرياء والسمعة، برقم (٤٢٠٢): ١٤٠٥/٢، وقال في الزوائد: «إسناده صحيح» . وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٢٥/١٤، وانظر: الترغيب والترهيب: ٦٩/١ وراجع تفسير ابن كثير: ١٠٩/٣-١١١ فقد ساق جملة أحاديث في الرياء .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا حفص بن عمر، حدثنا همام عن قتادة، حدثنا سالم بن أبي الجعد الغطفاني، عن معدان بن أبي طلحة، عن أبي الدرداء يرويه عن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من فتنة الدجال»^(١).
وأخبرنا عبد الواحد المليحي، أنبأنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا أبو الأسود، حدثنا ابن لهيعة عن زياد عن سهل - هو ابن معاذ - عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «من قرأ أول سورة الكهف وأخرها كانت له نوراً من قدميه إلى رأسه»^(٢)، ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء»^(٣)(٥).

(١) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، برقم (٨٠٩): ٥٥٥/١. والمصنف في شرح السنة: ٤٦٩/٤.

(٢) في «أ»: «من قرئه إلى قدميه».

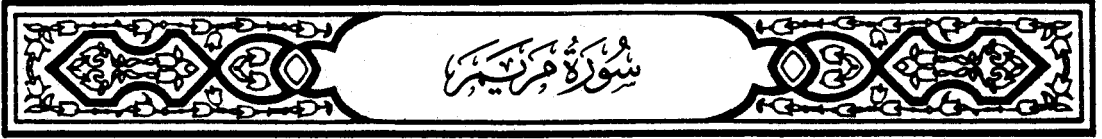
(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤٣٩/٣، قال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني، وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف وقد يحسن حديثه». انظر: مجمع الزوائد: ٥٢/٧.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٦٩/١٤-٤٧٠.

(٥) في آخر نسخة مكتبة الحرم المكي: «تم النصف الأول من تفسير البغوي بحمد الله وعونه، وافق الفراغ منه بقدس الشريف، في مدرسة الصلاحية - عمرها الله تعالى - يوم الثالث عشر من شوال من شهور سنة خمس وعشرين وثمانمائة هجرية. كاتبه العبد الفقير إلى الله الغني: سليمان بن أحمد بن أحمد بن سليمان الحدادي القرشي حامداً لله تعالى ومصلياً على نبيه محمد وآله وأصحابه وأزواجه. يتلوه النصف الثاني؛ أول سورة مريم - غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين. آمين». ثم يلي هذا سطر فيه تملك النسخة لراجي عفو ربه وغفرانه: محمد بن محمد الحريري عفا الله عنه.

سُورَةُ مَكِّيَّةٍ





مكية، وهي ثمان وتسعون آية^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَيْعَصَ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا

قوله عز وجل: ﴿كَهَيْعَصَ﴾ قرأ أبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء، وضده ابن عامر، وحمزة، وبكسرهما: الكسائي وأبو بكر، والباقون بفتحهما .

ويظهر الدال عند الذال من «صاد ذكر» ابن كثير، ونافع، وعاصم [ويعقوب]^(٢)، والباقون بالإدغام^(٣) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو اسم من أسماء الله تعالى .
وقال قتادة: هو اسم من أسماء القرآن .

وقيل: اسم للسورة. وقيل: هو قَسَمَ أقسم الله به .

ويروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﴿كَهَيْعَصَ﴾ قال: الكاف من كريم وكبير، والهاء من هادٍ، والياء من رحيم، والعين من عليم، وعظيم، والصاد من صادق .

(١) سورة مريم مكية بالإجماع، فقد أخرج النحاس وابن مردويه عن ابن الزبير قال: نزلت سورة مريم بمكة .
وأخرج ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها قالت: نزلت سورة مريم بمكة. وأخرج الإمام أحمد، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل» عن أم سلمة: أن النجاشي قال لجعفر بن أبي طالب: هل معك مما جاء به - يعني رسول الله ﷺ - من الله شيء؟ قال: نعم، فقرأ عليه صديراً من «كهيعص» فبكى النجاشي حتى أخضل لحته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلى عليهم. ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليُخرج من مشكاة واحدة .
انظر: «الدر المنثور»: ٤٧٦/٥، «تفسير القرطبي»: ٧٣-٧٢/١١ .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي: ٢٠٤/٥-٢٠٥ «البحر المحيط»: ١٧٢/٦ .

إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا ﴿٦﴾

وقال الكلبي: معناه: كافٍ لخلقته، هادٍ لعباده، يده فوق أيديهم، عالم بيريته، صادق في وعده^(١).

﴿ذَكَرٌ﴾، رفع بالمضمر، أي: هذا الذي نتلوه عليك ذكر ﴿رَحْمَةٍ رَبِّكَ﴾، [وفيه تقديم وتأخير]^(٢) معناه: ذكر ربك، ﴿عَبْدَهُ زَكْرِيَّا﴾، برحمته.

﴿إِذْ نَادَى﴾، دعا، ﴿رَبَّهُ﴾، في محرابه، ﴿نِدَاءً خَفِيًّا﴾، دعا سراً من قومه في جوف الليل. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾، ضَعُفَ وَرَقَّ، ﴿الْعَظْمُ مِنِّي﴾، من الكِبَر. قال قتادة: اشتكى سقوط الأضراس، ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ﴾، أي: ابيض شعر الرأس، ﴿شَيْبًا﴾، شمطاً، ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾، يقول: عودتني الإجابة فيما مضى ولم تخيبي. وقيل: معناه لما دعوتني إلى الإيمان آمنت ولم أشق بترك الإيمان^(٣).

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾، و«الموالي»: بنو العم. قال مجاهد: العصبية. وقال أبو صالح: الكلالة. وقال الكلبي: الورثة^(٤). ﴿مَنْ وَرَائِي﴾ أي: من بعد موتي.

قرأ ابن كثير: ﴿مَنْ وَرَائِي﴾ بفتح الياء، والآخرون بإسكانها. ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾، لا تلد، ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾، أعطني من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ ابناً. ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾، قرأ أبو عمرو، والكسائي: يجزم الثاء فيهما، على جواب الدعاء، وقرأ الآخرون بالرفع على الحال والصفة، أي: ولياً وارثاً. واختلفوا في هذا الإرث؛ قال الحسن: معناه يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة والحبورة.

(١) انظر هذه الأقوال في: «الطبري» ١٦/٤١-٤٥، «الدر المنثور» ٥/٤٧٧-٤٧٨، «زاد المسير» ٥/٢٠٥-٢٠٦. وتقدم الكلام على الحروف المقطعة في فواتح السور فيما سبق: ١/٥٨-٥٩، وراجع «تفسير الطبري»: ١/٢٢٤-٢٢٥، «تفسير الواحدي» ١/٢٥-٢٦.

(٢) ساقط من «أ».

(٣) اعتمد الطبري القول الأول ولم يذكر غيره، وهو ما ذكره عامة المفسرين.

(٤) هذه المعاني متقاربة، فالورثة هم العصبية، وبنو العم من الورثة، والكل من الأقارب.

يَذَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾

وقيل: أراد ميران النبوة والعلم .

وقيل: أراد إرث الحبورة، لأن زكريا كان رأس الأحبار^(١) .

قال الزجاج: والأولى أن يحمل على ميراث غير المال لأنه يبعد أن يشفق زكريا وهو نبي من الأنبياء أن يرثه بنو عمه ماله .

والمعنى: إنه خاف تضييع بني عمه دين الله وتغيير أحكامه على ما كان شاهده من بني إسرائيل من تبديل الدين وقتل الأنبياء، فسأل ربه ولياً^(٢) صالحاً يأمنه على أمته، ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع الدين. وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٣) .

﴿واجعله ربّ رضيعاً﴾، أي برّاً تقياً مرضياً .

قوله عزّ وجلّ: ﴿يا زكريا إنا نبشرك﴾، وفيه اختصار، معناه: فاستجاب الله دعاءه، فقال:

يا زكريا إنا نبشرك، ﴿بغلام﴾، بولد ذكر^(٤)، ﴿اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً﴾، قال قتادة والكلبي: لم يُسم أحد قبله يحيى^(٥) .

(١) انظر هذه الأقوال في: «تفسير الطبري»: ٤٧/١٦-٤٨، «زاد المسير»: ٢٠٧/٥-٢٠٨، «الدر المنثور»: ٤٨٠/٥ .

(٢) في «ب»: ولداً .

(٣) وهذا الذي مال إليه المصنف - رحمه الله - هو ما رجحه ابن كثير وأيده من وجوه، فقال: (١١٢/٣):

«وجه خوفه أنه خشي أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفاً سيئاً، فسأل الله ولداً يكون نبياً من بعده، ليسوسهم بنبوته ما يوحى إليه، فأجيب في ذلك، لا أنه خشي من وراثتهم له ماله، فإن النبي أعظم منزلة، وأجل قدراً من أن يشفق على ماله إلى ما هذا حدّه، وأن يأنف من وراثة عصبته له، ويسأل أن يكون له ولد ليحوز ميراثه دونهم. هذا وجه . والوجه الثاني: أنه لم يذكر أنه كان ذا مال، بل كان نجاراً يأكل من كسب يديه. ومثل هذا لا يجمع مالا، ولا سيما الأنبياء، فإنهم كانوا أزهّد شيء في الدنيا .

والوجه الثالث: أنه قد ثبت في «الصحيحين» من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركناه صدقة» وفي رواية عند الترمذي بإسناد صحيح: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» وعلى هذا فتعين حمل قوله: (فهب لي من لدنك ولياً يرثني) على ميراث النبوة، ولهذا قال: (ويرث من آل يعقوب)، كقوله: (وورث سليمان داود) أي في النبوة، إذ لو كان في المال لما خصّه من بين إخوته بذلك، ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة، إذ من المعلوم المستقر في جميع الشرائع والملل: أن الولد يرث أباه. فلولا أنها وراثة خاصة لما أخير بها .

وكل هذا يقرره ويثبت ما صحّ في الحديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»، ما تركناه فهو صدقة .

ثم ساق - ابن كثير - بعض الآثار والروايات فيها ما يدل على أن الوراثة وراثة مال، وقال عنها: «وهذه مراسلات لا تعارض الصحاح» والله أعلم. وانظر: «مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل» ص (٢٠٩) .

(٤) زيادة من «ب» .

(٥) رجح الطبري هذا التأويل في «التفسير»: ٥٠/١٦ . فإن اعترض معترض فقال: ما وجه الميذحة باسم لم يُسم به أحد

قبله، ونرى كثيراً من الأسماء لم يسبق إليها؟ .

قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَعَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ
 الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ
 قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ
 النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾

وقال سعيد بن جبير وعطاء: لم نجعل له شيئاً ومثلاً، كما قال الله تعالى: «هل تعلم له سمياً»،
 أي مثلاً .

والمعنى: أنه لم يكن له مثل، لأنه لم يعص ولم يهجم بمعصية قط .
 وقيل: لم يكن له مثل في أمر النساء، لأنه كان سيداً وحسوراً .
 وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أي لم تلد العواقر مثله ولدأ .
 وقيل: لم يرد الله به اجتماع الفضائل كلها ليحيى، إنما أراد بعضها، لأن الخليل والكليم كانا
 قبله، وهما أفضل منه .

﴿قال رب أنى﴾، من أين، ﴿يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً﴾ أي: وامرأتي عاقراً^(١).
 ﴿وقد بلغت من الكبر عتياً﴾، أي: ييساً، قال قتادة: يريد نحو العظم، يقال: عتأ الشيخ يعتو
 عتياً وعسياً: إذا انتهى سنه وكبر، وشيخ عات وعاس: إذا صار إلى حالة اليبس والجفاف .
 وقرأ حمزة والكسائي: عتياً وبكياً وصلياً وجثياً بكسر أوائلهن، والباقون برفعها، وهما لغتان .
 ﴿قال كذلك قال ربك هو علي هين﴾، يسير، ﴿وقد خلقتك﴾، قرأ حمزة والكسائي
 ﴿خلقتك﴾ بالنون والألف على التعظيم، ﴿من قبل﴾، أي من قبل يحيى، ﴿ولم تك شيئاً﴾ .
 ﴿قال رب اجعل لي آية﴾، دلالة على حمل امرأتي، ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ
 سويًّا﴾، أي: صحيحاً سليماً من غير ما بأس ولا خرس .
 قال مجاهد: أي لا يمنعك من الكلام مرض .

= فالجواب: أن وجه الفضيلة أن الله تعالى تولى تسميته، ولم يكل ذلك إلى أبيه، فسماه باسم لم يُسبق إليه .

انظر: «زاد المسير»: ٢١٠/٥-٢١١ .

(١) وعلى هذا ف «كانت»: تأكيد للكلام، كقوله تعالى: (كنتم خير أمة) (آل عمران - ١١٠) أي: أنتم خير أمة .

وقيل معنى الآية: أنها كانت منذ كانت عاقراً، لم يحدث ذلك بها. ذكر هذين القولين ابن الأنباري واختار الأول منهما.

انظر: «زاد المسير»: ٢١١/٥ .

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾
يَايْحَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا
وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾

وقيل: ثلاث ليال سويّاً أي متتابعات، والأول أصح^(١).

وفي القصة: أنه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس فإذا أراد ذكر الله تعالى انطلق لسانه^(٢).
قوله عز وجل: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾، وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه
أن يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون، إذ خرج عليهم زكريا متغيّراً لونه فأنكروه، وقالوا: مالك
يا زكريا؟ ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ فأوماً إليهم، قال مجاهد: كتب لهم في الأرض، ﴿أَنْ سَبِّحُوا﴾، أي: صلّوا
لله^(٣)، ﴿بُكْرَةً﴾، غدوة، ﴿وَعَشِيًّا﴾، ومعناه: أنه كان يخرج على قومه بكرةً وعشيّاً فيأمرهم
بالصلاة، فلما كان وقت حمل امرأته ومنع الكلام حتى^(٤) خرج إليهم فأمرهم بالصلاة إشارة .
قوله عز وجل: ﴿يَا يَحْيَى﴾، قيل: فيه حذف معناه: ووهبنا له يحيى وقلنا له: يا يحيى، ﴿خُذِ
الْكِتَابَ﴾، يعني التوراة، ﴿بِقُوَّةٍ﴾، بجد، ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: النبوة،
﴿صَبِيًّا﴾، وهو ابن ثلاث سنين .

وقيل: أراد بالحكم فهم الكتاب^(٥)، فقرأ التوراة وهو صغير .

وعن بعض السلف: من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتي الحكم صبيّاً^(٦) .

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾، رحمة من عندنا، قال الخطيب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه :
تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكُ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا^(٧)

- (١) وهو أيضاً ما رجحه الطبري: ٥٢/١٦. وحكى القول الثاني عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية العوفي . وانظر: «تفسير ابن كثير»: ١١٣/٣ .
- (٢) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: حبس لسانه فكان لا يستطيع أن يكلم أحداً، وهو في ذلك يسبح ويقرأ التوراة، فإذا أراد كلام الناس لم يستطيع أن يكلمهم . انظر: «الدر المنثور»: ٤٨٣/٥، «البحر المحيط»: ١٧٦/٦ وراجع فيما سبق: ٣٦/٢ .
- (٣) ساقط من «أ» .
- (٤) ساقط من «ب» .
- (٥) وهو الراجح عند الطبري وغيره من العلماء .
- (٦) أخرجه ابن مردويه والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عباس مرفوعاً. وأخرجه ابن أبي حاتم والديلمي موقوفاً على ابن عباس أيضاً انظر: «الدر المنثور»: ٤٨٥/٥، «كشف الخفاء للمجلوني»: ٨٦/٢، «كنز العمال برقم (٢٤٥٢)» .
- (٧) انظر: «ديوان الخطيب» ص (٢٢٢)، «تفسير الطبري»: ٥٧/١٦، «البحر المحيط»: ١٧٧/٦ .

وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
 وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا
 شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾

أي: ترخم .

﴿وزكاة﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني بالزكاة الطاعة والإخلاص .

وقال قتادة رضي الله عنه: هي العمل الصالح، وهو قول الضحاك .

ومعنى الآية: وآتيناه رحمة من عندنا وتحنناً على العباد، ليدعوهم إلى طاعة ربهم ويعمل عملاً صالحاً في إخلاص .

وقال الكلبي: يعني صدقة تصدق الله بها على أبويه .

﴿وكان تقياً﴾، مسلماً ومخلصاً مطيعاً، وكان من تقواه أنه لم يعمل خطيئة ولا هم بها^(١) .

﴿وبراً بالديه﴾، أي باراً لطيفاً بهما محسناً إليهما. ﴿ولم يكن جباراً عصياً﴾، و«الجبار»:

التكبر، وقيل: «الجبار»: الذي يضرب ويقتل على الغضب، و«العصبي»: العاصي .

﴿وسلامٌ عليه﴾، أي: سلامة له، ﴿يومٌ وُلِدَ ويومٌ يموتُ ويومٌ يُبعثُ حياً﴾، قال سفيان بن عيينة:

أوحش / ما يكون الإنسان في هذه الأحوال: يوم ولد فيخرج مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم ير مثله. فخص يحيى بالسلامة في هذه المواطن^(٢) .

قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ﴾، في القرآن، ﴿مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ﴾، تنحّت واعتزلت،

﴿من أهلها﴾، من قومها، ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾، أي: مكاناً في الدار مما يلي المشرق، وكان يوماً شاتياً

شديد البرد، فجلست في مشرقة تظلي رأسها .

وقيل: كانت طهرت من الحيض، فذهبت لتغتسل .

(١) أخرج الطبري في التفسير: ٥٨/١٦، وأحمد في «الزهدة» وعبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة

قال: كان سعيد بن المسيب يقول: قال النبي ﷺ: «ما من أحد يلقى الله يوم القيامة إلا ذا ذنب، إلا يحيى بن زكريا». وقال الحسن: قال النبي ﷺ: «ما أذنب يحيى بن زكريا قط ولا هم بامرأة» .

وكلاهما مرسل: انظر: «الدر المنثور»: ٤٨٦/٥-٤٨٧، «تفسير ابن كثير»: ١١٤/٣-١١٥، فقد ساق هذه الروايات وغيرها وأشار إلى ضعفها .

(٢) ب/٦ بداية الصفحة الأولى في المجلد الثاني لمخطوط الظاهرية .

(٣) أخرجه الطبري عن سفيان بن عيينة: ٥٨/١٦-٥٩ .

فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾

قال الحسن: ومن ثم اتخذت النصارى المشرق قبلة^(١).

﴿فَاتَّخَذَتْ﴾، فضربت، ﴿من دونهم حجاباً﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سترًا.

وقيل: جلست وراء جدار. وقال مقاتل: وراء جبل.

وقال عكرمة: إن مريم كانت تكون في المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها، حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد، فبينما هي تغتسل من الحيض قد تجردت، إذ عرض لها جبريل في صورة شابٍّ أمرد، وضيء الوجه، جعد الشعر، سوي الخلق، فذلك قوله:

﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾، يعني: جبريل عليه السلام، ﴿فتمثل لها بشراً سوياً﴾، وقيل: المراد من الروح عيسى عليه السلام، جاء في صورة بشر فحملت به. والأول أصح. فلما رأت مريم جبريل يقصد نحوها نادته من بعيد، ف: ﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾ مؤمناً مطيعاً. فإن قيل: إنما يستعاذ من الفاجر، فكيف قالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً؟ قيل: هذا كقول القائل: إن كنت مؤمناً فلا تظلمني. أي: ينبغي أن يكون إيمانك مانعاً من الظلم، كذلك هاهنا.

معناه: ينبغي أن تكون تقواك مانعاً لك من الفجور^(٢).

﴿قال﴾، لها جبريل: ﴿إنما أنا رسول ربك لأهب لك﴾، قرأ نافع وأهل البصرة: «ليهب

لك» بالياء، أي: ليهب لك ربك، وقرأ الآخرون: «لأهب لك» أسند الفعل إلى الرسول، وإن كانت الهبة من الله تعالى، لأنه أرسل به.

﴿غلاماً زكياً﴾، ولدًا صالحاً طاهراً من الذنوب.

﴿قالت﴾، مريم: ﴿أئني﴾، من أين، ﴿يكون لي غلامٌ ولم يمسسني بشرٌ﴾، لم يقربني زوج،

﴿ولم أك بغياً﴾، فاجرة؟ تريد أن الولد يكون من نكاح أو سفاح، ولم يكن هنا واحد منهما.

(١) انظر في هذه الأقوال وغيرها: الطبري ٥٩/١٦-٦٠، «الدر المنثور»: ٤٩٤/٥، «زاد المسير»: ٢١٦/٦-٢١٧.

(٢) انظر بتفصيل أوسع: «مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب أي التنزيل» ص (٢١٠-٢١١).

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا
وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾

﴿قال﴾، جبريل: ﴿كذلك﴾، قيل: معناه كما قلت يا مريم ولكن، ﴿قال ربك﴾. وقيل هكذا قال ربك، ﴿هو عليَّ هين﴾، أي: خلق ولد بلا أب، ﴿ولنجعله آية﴾، علامة، ﴿للناس﴾، ودلالة على قدرتنا، ﴿ورحمة منا﴾، ونعمة لمن تبعه على دينه، ﴿وكان﴾ ذلك، ﴿أمرًا مقضيًا﴾، محكوماً مفروغاً عنه لا يُردُّ ولا يبدل .
قوله عز وجل : ﴿فحملته﴾، قيل: إن جبريل رفع درعها فنفخ في جيبه^(١) فحملت حين لبست .

وقيل: مدَّ جيب درعها بأصبعه ثم نفخ في الجيب .

وقيل: نفخ في كم قميصها. وقيل: في فيها .

وقيل: نفخ جبريل عليه السلام نفخاً من بعيد فوصل الريح إليها فحملت بعيسى في الحال^(٢)، ﴿فانتبذت به﴾، أي تنحَّت بالحمل وانفردت، ﴿مكاناً قصياً﴾، بعيداً من أهلها .
قال ابن عباس رضي الله عنهما: أقصى الوادي، وهو وادي بيت لحم، فراراً من قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج .

واختلفوا في مدة حملها ووقت وضعها؛ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الحمل والولادة في ساعة واحدة .

وقيل: كان مدة حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء .

(١) في «ب»: جيبها .

(٢) قال الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان»: (٢٤١/٤) .

أشار الله تعالى إلى كيفية حمل مريم: أنه نفخ فيها، فوصل النفخ إلى فرجها، فوقع الحمل بسبب ذلك، كما قال: «ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا» (سورة التحريم - ١٢) وقال: «والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا» (سورة الأنبياء - ٩١) .

والذي عليه الجمهور من العلماء: أن المراد بذلك النفخ نفخ جبريل فيها بإذن الله فحملت، كما تدل لذلك قراءة الجمهور في قوله تعالى: «إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً»، ولا ينافي ذلك إسناداً الله جلَّ وعلا النفخ المذكور لنفسه في قوله: «فنفخنا»، لأن جبريل إنما أوقعه بإذنه وأمره ومشيتته، وهو تعالى الذي خلق الحمل من ذلك النفخ، فجبريل لا قدرة له على أن يخلق الحمل من ذلك النفخ، ومن أجل كونه بإذنه ومشيتته وأمره تعالى، ولا يمكن أن يقع النفخ المذكور ولا وجود الحمل منه إلا منه إلا بمشيئته جلَّ وعلا - أسنده إلى نفسه .

وقول من قال: إن فرجها الذي نفخ فيه الملك هو جيب درعها ظاهر السقوط. بل النفخ الواقع في جيب الدرغ وصل إلى الفرج المعروف فوق الحمل .

فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ﴿٤٣﴾

وقيل: كان مدة حملها ثمانية أشهر، وكان ذلك آية أخرى لأنه لا يعيش ولد يولد لثمانية أشهر، وولد عيسى لهذه المدة وعاش .

وقيل: ولدت لسته أشهر .

وقال مقاتل بن سليمان: حملته مريم في ساعة، وصوّر في ساعة، ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها، وهي بنت عشر سنين^(١)، وكانت قد حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى^(٢).

﴿فَأَجَاءَهَا﴾، أي ألبأها وجاء بها، ﴿الْمَخَاضُ﴾، وهو وجع الولادة، ﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ وكانت نخلة يابسة في الصحراء، في شدة الشتاء، لم يكن لها سعف .

وقيل: التجأت إليها لتستند إليها وتمسك بها على وجع الولادة، ﴿قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾، تمت الموت استحياءً من الناس وخوف الفضيحة، ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا﴾، قرأ حمزة وحفص ﴿نَسِيًّا﴾ بفتح النون، [والباقون بكسرها]^(٣)، وهما لغتان، مثل: الوثر والوثر، والجسر والجسر، وهو الشيء المنسي، و«النسي» في اللغة: كل ما ألقى ونُسي ولم يذكر لحقارته .

﴿مَنَسِيًّا﴾، أي: متروكاً قال قتادة: شيء لا يعرف ولا يذكر. قال عكرمة والضحاك ومجاهد: جيفة ملقاة. وقيل: تعني لم أخلق .

(١) ساقط من «أ» .

(٢) أوصل بعض المفسرين الأقوال في مدة حملها إلى سبعة أقوال، والظاهر من الآية المتبادر من التعقيب بحرف الفاء هو قول ابن عباس رضي الله عنه حيث قال: لم يكن إلا أن حملت فوضعت. واستغربه ابن كثير رحمه الله لأن الفاء وإن كانت للتعقيب، لكن تعقيب كل شيء بحسبه .

ثم رجح رأي الجمهور فقال: فالله شهر الظاهر، والله على كل شيء قدير، أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن، وإن كان منشؤه خارقاً للعادة. والسياق لا يذكر كيف حملته ولا كم حملته، هل كان حملاً عادياً كما تحمل النساء، وتكون النفخة قد بعثت الحياة والنشاط في البويضة، فإذا هي علقه فمضغة فعظام ثم تكسى العظام باللحم ويستكمل الجنين أيامه الممهودة؟ . إن هذا جائز، فبويضة المرأة تبدأ بعد التلقيح في النشاط والنمو حتى تستكمل تسعة أشهر قمرية، والنفخة تكون قد أدت دور التلقيح فسارت البويضة سيرتها الطبيعية .

كما أنه من الجائز في مثل هذه الحالة الخاصة أن لا تسير البويضة بعد النفخة سيرة عادية، فتختصر المراحل اختصاراً، ويعقبها تكوّن الجنين ونموه واكتماله في فترة وجيزة.. وليس في النص ما يدل على إحدى الحالتين، فلا نجري طويلاً وراء تحقيق القضية التي لا سند لنا فيها. والله أعلم .

انظر: «زاد المسير»: ٢١٩/٥، «ابن كثير»: ١١٧/٣، «في ظلال القرآن» ٢٣٠٦/٤-٢٣٠٧، طبعة دار الشروق، «أضواء البيان»: ٢٤٤/٤ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾

﴿فناداها من تحتها﴾، قرأ أبو جعفر، ونافع، وحمزة، والكسائي، وحفص: ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ بكسر الميم والتاء، يعني جبريل عليه السلام، وكانت مريم على أكمة، وجبريل وراء الأكمة تحتها فناداها .
 وقرأ الآخرون بفتح الميم والتاء، وأراد جبريل عليه السلام أيضاً، ناداها من سفح الجبل .
 وقيل: هو عيسى لما خرج من بطن أمه ناداها: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾، وهو قول مجاهد والحسن^(١) .
 والأول قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، والسدي، وقتادة، والضحاك، وجماعة: أن المنادي كان جبريل لما سمع كلامها وعرف جزعها ناداها أَلَّا تَحْزَنِي .

﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾، و«السري» : النهر الصغير .
 وقيل: تحتك أي جعله الله تحت أمرك إن أمرته أن يجري جرى، وإن أمرته بالإمساك أمسك .
 قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ضرب جبريل عليه السلام - ويقال: ضرب عيسى عليه الصلاة والسلام - برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب وجرى^(٢) .
 وقيل: كان هناك نهر يابس أجرى الله سبحانه وتعالى فيه الماء وحييت النخلة اليابسة، فأورقت وأثمرت وأرطبت .

وقال الحسن: «تحتك سرياً» يعني: عيسى، وكان والله عبداً سرياً، يعني: ربيعاً^(٣) .

(١) واختار هذا التفسير ابن زيد وابن جرير الطبري في التفسير: (٦٨/١٦) وذلك أنه من كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل، فردّه على الذي هو أولى من رده على الذي هو أبعد منه، ألا ترى في سياق قوله: «فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً» يعني به: فحملت عيسى فانتبذت به، ثم قيل: «فناداها» نسقاً على ذلك من ذكر عيسى والخبر عنه، ولعلّية أخرى، وهي قوله: «فأشارت إليه» ولم تشير إليه إن شاء الله إلا وقد علمت أنه ناطق في حاله تلك، وللذي كانت قد عرفت ووثقت به منه بمخاطبته إياها بقوله لها: «أَنْ لَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا» وما أخبر الله عنه أنه قال لها: أشيري للقوم إليه، ولو كان ذلك قولاً من جبرائيل، لكان خليقاً أن يكون في ظاهر الخبر، مبيناً أن عيسى سينطق، ويحتج عنها للقوم، وأمر منه لها بأن تشير إليه للقوم إذا سألوها عن حالها وحاله .

(٢) انظر: «تفسير الخازن»: ١٩٧/٤ .

(٣) ورجح الطبري: (٧١/١٦) القول الأول فقال: «وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قيل من قال: عني به الجدول، وذلك أنه أعلمها ما قد أعطاه الله من الماء الذي جعله عندها، وقال لها: «وهزي إليك بمجدع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكلي» من هذا الرطب، «واشربي» من هذا الماء «وقري عيناً» بولدك. و«السري» معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير» .

وقد رويت أحاديث مرفوعة في ذلك لا يصح منها شيء، وإن كان هو الأقرب إلى الصواب من قول من قال أن المراد بالسري «عيسى» عليه السلام، وإن كان من معاني «السري»: الرفيع مكانة .

انظر: «الكافي الشاف» ص (١٠٥-١٠٦)، «تفسير ابن كثير»: ١١٨/٣، «مجمع الزوائد»: ٥٤٧-٥٥٠، «أضواء البيان» للشنقيطي: ٢٤٨-٢٤٩ .

وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكَلِمَةَ وَأَشْرِي
 وَقَرِي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ
 أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنسِيًّا ﴿٢٦﴾

﴿وهزيت إليك﴾، يعني قيل لمريم: حرّكي ﴿بجذع النخلة﴾، تقول العرب: هزّه وهزّه به، كما يقول: حرّ رأسه وحرّ برأسه، وأمّددّ الحبل وأمّددّ به، ﴿تساقط عليك﴾، القراءة المعروفة بفتح التاء والقاف وتشديد السين، أي: تتساقط، فأدغمت إحدى التاءين في السين أي: تسقط عليك النخلة رطباً، وخفف حمزة السين وحذف التاء التي أدغمها غيره .
 وقرأ حفص بضم التاء وكسر القاف خفيف على وزن تُفَاعِلُ . وتساقط بمعنى أسقط، والتأنيث لأجل النخلة .

وقرأ يعقوب: «يساقط» بالياء مشددة ردّة إلى الجذع .

﴿رطباً جنياً﴾، مجنياً . وقيل: الجنى هو الذي بلغ الغاية، وجاء أوان اجتنائه . قال الربيع بن خثيم: ما للنفساء عندي خير من الرطب، ولا للمريض خير من العسل^(١) .
 قوله سبحانه وتعالى: ﴿فكلمة وأشربي﴾، أي: فكلمة يامرهم من الرطب، وأشربي من ماء^(٢) النهر، ﴿وقري عيناً﴾، أي: طيبي نفساً . وقيل: قري عينك بولدك عيسى . يقال: أقر الله عينك / أي: صادف فؤادك ما يرضيك، فتقر عينك من النظر إلى غيره . وقيل: أقر الله عينه: يعني أنامها، يقال: قرّ يقرّ إذا سكن .

وقيل: إن العين إذا بكت من السرور فالدمع بارد، وإذا بكت من الحزن فالدمع يكون حاراً، فمن هذا قيل: أقرّ الله عينه وأسخن الله عينه .

﴿فأما ترين من البشر أحداً﴾، أي: تري، فدخل عليه نون التأكيد فكسرت الياء لالتقاء الساكنين .

معناه: فأما ترين من البشر أحداً فيسألك عن ولدك ﴿فقولي إني نذرت للرحمن صوماً﴾، أي: صمتاً، وكذلك كان يقرأ ابن مسعود رضي الله عنه .
 والصوم في اللغة الإمساك عن الطعام والشراب^(٣) والكلام^(٤) .

(١) أخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، انظر: «الدر المنثور»: ٥٠٥/٥ .

(٢) (٣) ساقط من «أ» .

(٤) انظر: «لسان العرب»: ٣٥٠/١٢-٣٥١ .

فَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَأْتُكَ
هَؤُلَاءِ مَا كَانَ آبَاؤُكَ أَكْرَامًا وَسَوْءٌ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾

قال السدي: كان في بني إسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام، كما يصوم عن الطعام، فلا يتكلم حتى يمسي .

وقيل: إن الله تعالى أمرها أن تقول هذا إشارة .

وقيل: أمرها أن تقول هذا القدر نطقاً، ثم تمسك عن الكلام بعده .

﴿فلن أكلم اليوم إنسيا﴾، يقال: كانت تكلم الملائكة، ولا تكلم الإنس .

﴿فأتت به قومها تحمله﴾، قيل: إنها ولدته، ثم حملته في الحال إلى قومها .

وقال الكلبي: حمل يوسف النجار مريم وابنها عيسى [عليهما السلام] ^(١) إلى غار، ومكثت

أربعين يوماً حتى طهرت من نفاسها ^(٢)، ثم حملته مريم عليها السلام إلى قومها. فكلمها عيسى عليه

السلام في الطريق فقال: يا أمه أبشري فأني عبد الله ومسيحه، فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي

بكوا وحزنوا، وكانوا أهل بيت صالحين ^(٣)، ﴿قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا﴾، عظيماً منكراً،

قال أبو عبيدة: كل أمر فائق من عجب أو عمل فهو فرّي .

قال النبي ﷺ في عمر: «فلم أر عبقرياً يفري فريه» ^(٤) أي: يعمل عمله .

﴿يا أخت هارون﴾، يريد ياشبيرة هارون، قال قتادة وغيره: كان هارون رجلاً صالحاً عابداً

في بني إسرائيل. روي أنه اتبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً كلهم يسمى «هارون» من بني إسرائيل

سوى سائر الناس، [شبهوها به على] ^(٥) معنى إنا ظننا أنك مثله في الصلاح. وليس المراد منه الأخوة

في النسب، كما قال الله تعالى: «إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين» (الإسراء: ٢٧) أي أشباههم .

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى، أخبرنا

إبراهيم بن محمد بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير،

(١) ساقط من «أ» .

(٢) عزاه السيوطي في الدر: (٥٠٦/٥) لسعيد بن منصور وابن عساكر عن ابن عباس، دون أن يذكر يوسف النجار. وتقدم أن الكلبي ضعيف .

(٣) انظر: «البحر المحيط»: ١٨٧/٦ .

(٤) أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: ٦٢٩/٦-٦٣٠، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل عمر رضي الله عنه، برقم (٢٣٩٣): ١٨٦٢/٤ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٤٩﴾

حدثنا ابن إدريس عن أبيه، عن سماك بن حرب، عن علقمة بن وائل، عن المغيرة بن شعبة قال: لما قدمت نجران سألوني، فقالوا: إنكم تقرؤون: ﴿يا أخت هارون﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا! فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم» (١).

وقال الكلبي: كان هارون أختا مريم من أبيها، وكان أمثال رجل في بني إسرائيل .
وقال السدي: إنما عنوا به هارون أختا موسى، لأنها كانت من نسله، كما يقال للتيمي: يا أختا

تيم .

وقيل: كان هارون رجلاً (٢) فاسقاً في بني إسرائيل عظيم الفسق فشبها به (٣) .
﴿ما كان أبوك﴾، عمران، ﴿أمراً سوء﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: زانياً، ﴿وما كانت أمك﴾، حنة، ﴿بغياً﴾، أي زانية، فمن أين لك هذا الولد؟ .

﴿فأشارت﴾، مريم، ﴿إليه﴾، أي إلى عيسى عليه السلام: أن كلموه .
قال ابن مسعود رضي الله عنه: لما لم يكن لها حجة أشارت إليه، ليكون كلامه حجة لها (٤) .
وفي القصة: لما أشارت إليه غضب القوم، وقالوا مع ما فعلت تسخرين بنا؟ (٥) .

﴿قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً﴾ أي: من هو في المهد، وهو حجرها .
وقيل: هو المهد بعينه، و«كان» بمعنى: هو . وقال أبو عبيدة: «كان» صلة، أي: كيف نكلم صبياً في المهد . وقد يجيء «كان» حشواً في الكلام لا معنى له كقوله «هل كنت إلا بشراً رسولاً» (الإسراء: ٩٣) أي: هل أنا؟ (٦) ؟

قال السدي: فلما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم .
وقيل: لما أشارت إليه ترك الثدي واتكأ على يساره، وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه :

(١) أخرجه مسلم في الآداب، باب النبي عن التكني بأبي القاسم، برقم (٢١٣٥): ١٦٨٥/٣، والمصنف في شرح السنة: ٣٢٨/١٢ .

(٢) ساقط من «أ» .

(٣) انظر في هذه الأقوال: «تفسير الطبري»: ٧٧-٧٨، «الدر المنثور»: ٥٠٧/٥-٥٠٨، «زاد المسير»: ٢٢٧/٥ .
قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك ما جاء به الخير عن رسول الله ﷺ الذي ذكرناه، وأنها نسبت إلى رجل من قومها» .

(٤) انظر «تفسير الخازن»: ١٩٨/٤ .

(٥) انظر «البحر المحيط»: ١٨٧/٦ .

(٦) انظر في هذا كله: «تفسير الطبري»: ٧٩/١٦، «البحر المحيط»: ١٨٧/٦، «زاد المسير»: ٢٢٨/٥ .

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا
 كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ
 يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ
 أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

﴿قال إني عبد الله﴾، وقال وهب: أتاه زكريا عند مناظرتها اليهود، فقال لعيسى: انطق بحجتك
 إن كنت أمرت بها، فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوماً - وقال مقاتل: بل
 هو يوم ولد -: إني عبد الله، أقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل أول ما تكلم لئلا يتخذ إلهاً^(١)،
 ﴿أتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾، قيل: معناه سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبياً .
 وقيل: هذا إخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ، كما قيل للنبي ﷺ: متى كنت نبياً؟ قال:
 «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد»^(٢) .

وقال الأكترون أوتي الإنجيل وهو صغير طفل، وكان يعقل عقل الرجال .
 وعن الحسن: أنه قال: ألهم التوراة وهو في بطن أمه^(٣) .
 ﴿وجعلني مباركاً أينما كنت﴾، أي نفاعاً حيث ما توجهت. وقال مجاهد: معلماً للخير. وقال
 عطاء: أَدْعُو إِلَى اللَّهِ وإلى توحيده وعبادته. وقيل: مباركاً على من تبغني .
 ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة﴾، أي: أمرني بهما .
 فإن قيل: لم يكن لعيسى مال. فكيف يؤمر بالزكاة؟
 قيل: معناه بالزكاة لو كان لي مال وقيل: بالاستكثار من الخير .
 ﴿ما دمت حياً﴾ .

﴿وبراً بوالدتي﴾ أي وجعلني برأ بوالدتي، ﴿ولم يجعلني جباراً شقياً﴾، أي عاصياً لربه. قيل:
 «الشقي» الذي يذنب ولا يتوب .
 ﴿والسلام عليّ يوم ولدت﴾، أي: السلامة عند الولادة من طعن الشيطان. ﴿ويوم أموت﴾،

(١) انظر: «زاد المسير»: ٢٢٨/٥، «البحر المحيط»: ١٨٧/٦ .

(٢) صححه الحاكم في «المستدرک»: ٦٠٩/٢، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٣٧٩/٥، والبخاري في تاريخه: ٣٧٤/٧ .

(٣) والصواب في ذلك أنه سبحانه وتعالى عبّر في الآية بالفعل الماضي عن المستقبل تنزيلاً لتحقيق وقوعه منزلة الوقوع بالفعل،

ولهذا نظائر كثيرة في القرآن، فيكون التأويل الأول هو الراجح وما عداه فهو ضعيف .

انظر: «أضواء البيان»: ٢٧٣/٤-٢٧٤ .

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ
يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ
اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾

أي عند الموت من الشرك، ﴿ويوم أبعث حياً﴾، من الأهل. ولما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم، ثم سكت عيسى عليه السلام، فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان . ﴿ذلك عيسى ابن مريم﴾، [قال الزجاج: أي ذلك الذي قال إني عبد الله عيسى ابن مريم] (١)، ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب: ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ بنصب اللام وهو نصب على المصدر، أي: قَالَ قَوْلَ الْحَقِّ، ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يَخْتَلِفُونَ، فقائل يقول: هو ابن الله، وقائل يقول: هو الله، وقائل يقول: هو ساحر كاذب .

وقرأ الآخرون برفع اللام، يعني: هو قَوْلُ الْحَقِّ، أي هذا الكلام هو قَوْلُ الْحَقِّ، أضاف القول إلى الحق، كما قال: «حق اليقين»، و«وعد الصدق» .

وقيل: هو نعت لعيسى ابن مريم، يعني ذلك عيسى ابن مريم كلمة الله والحق هو الله ﴿الذي فيه يمترون﴾ يشكون، ويختلفون، ويقولون غير الحق. ثم نفى عن نفسه الولد، فقال: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾، أي ما كان من صفته اتخاذ الولد. وقيل: اللام منقولة أي ما كان الله ليتخذ من ولد، ﴿سبحانه إذا قضى أمراً﴾، إذا أراد أن يحدث أمراً، ﴿فإنما يقول له كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو: ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ بفتح الألف، يرجع إلى قوله: ﴿وَأوصائي بالصلاة والزكاة﴾ وبأن الله ربي وربكم، وقرأ أهل الشام والكوفة ويعقوب بكسر الألف على الاستئناف / ﴿فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ .

﴿فأختلف الأحزاب من بينهم﴾، يعني: النصارى، سُموا أحزاباً لأنهم تحزبوا ثلاث فرق في أمر عيسى: النسطورية، والملكانية، واليعقوبية. ﴿فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾، يعني يوم القيامة .

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذِرْهُمْ
يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفلةٍ وَهُمْ لَا يُوْمِنُونَ ﴿٣٩﴾

﴿أسمع بهم وأبصر﴾، أي ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم (١) السمع والبصر! أخبر أنهم يسمعون ويصرون في الآخرة ما لم يسمعوا ولم يبصروا في الدنيا . قال الكلبي: لا أحد يوم القيامة أسمع منهم ولا أبصر حين (٢) يقول الله تعالى لعيسى: «أأنت قلت للناس» الآية (مريم - ١١٦). ﴿يوم يأتونا لكن الظالمون اليوم في ضلالٍ مبين﴾، أي: في خطأ بين .

قوله عز وجل: ﴿وأندرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر﴾، فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وذبح الموت .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عمرو بن حفص بن غياث، أخبرنا أبي أنبأنا الأعمش، أخبرنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيفة كبشر أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة فيشرفون (٣) وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار فيشرفون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت» ثم قرأ: ﴿وأندرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ (٤) .

ورواه أبو عيسى عن أحمد بن منيع، عن النضر بن إسماعيل، عن الأعمش بهذا الإسناد، وزاد: «فلولا أن الله تعالى قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحاً، ولولا أن الله تعالى قضى لأهل النار الحياة والبقاء لماتوا ترحاً» (٥) .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا معاذ بن أسد، أخبرنا عبد الله، أخبرنا عمر بن محمد بن زيد عن

(١) في «ب»: لا ينفع .

(٢) ساقط من «أ» .

(٣) في «ب»: فيشرفون .

(٤) أخرجه البخاري في التفسير، باب «وأندرهم يوم الحسرة»: ٤٢٨/٨، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون.. برقم (٢٨٤٩): ٤/٢١٨٨، والمصنف في شرح السنة: ١٥/١٩٨ .

(٥) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب سورة مريم: ٦٠٢/٨-٦٠٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح .

إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤﴾ **وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾**

أبيه أنه حدثه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا صار أهل الجنة إلى (١) الجنة، وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار. ثم يذبح ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم (٢) .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو العيمان، أخبرنا شعيب، أخبرنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحد إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة » (٣) .

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا الحسين بن الحسن، أخبرنا ابن المبارك، أخبرنا يحيى بن عبيد الله (٤) قال: سمعت أبي قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: « ما من أحد يموت إلا ندم »، قالوا: فما ندمه يا رسول الله؟ قال: « إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع » (٥) .

قوله عز وجل: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾، أي: عما يفعل بهم في الآخرة، ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، لا يصدقون. قوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: نمت سكان الأرض ونهلكهم جميعاً، ويبقى الربُّ وحده فيرثهم، ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾، فنجزهم بأعمالهم .

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ «الصدِّيق»: الكثير الصدق القائم عليه. وقيل: من صدَّق الله في وحدانيته، وصدَّق أنبياءه ورسله، وصدَّق بالبعث،

(١) ساقط من «أ» .

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق، باب صفة الجنة والنار: ٤١٥/١١ ومسلم في الجنة، الموضع السابق: ٢١٨٩/٤. والمصنف في شرح السنة: ١٩٩/٥ .

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق، باب صفة الجنة والنار: ٤١٨/١١، والمصنف في شرح السنة: ٢٠٠/١٥ .

(٤) في «أ» عبد الله . والذي أثبتناه ما جاء في شرح السنة، وكذلك أبو الحسن عبد الحميد بن محمد الداودي هكذا جاء في المخطوط والذي أثبتناه في شرح السنة.

(٥) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في ذهاب البصر: ٨٤/٧، وقال: « هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه، ويحیی بن عبيد الله قد تكلم فيه شعبة » .

قال ابن حجر في «التقريب» ص (٥٩٤): « متروك، وأفضح الحاكم فرماه بالوضع » .

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١١٧/١٥ - ١١٨ .

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۗ ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ
 إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۗ ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ
 لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۗ ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ
 يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۗ ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ
 ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لِمَ لَمْ تَتَنَّهُ لَازِجْمَنَّاكَ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا ۗ ﴿٤٦﴾

وقام (١) بالأوامر فعمل بها، فهو الصديق. و«النبي»: العالِي في الرتبة بإرسال الله تعالى إياه.

﴿إِذْ قَالَ﴾، إبراهيم، ﴿لِأَبِيهِ﴾، آزر وهو يعبد الأصنام، ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾،
 صوتاً، ﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾، شيئاً، ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ﴾، أي لا يكفيك، ﴿شَيْئًا﴾.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ﴾، بالله والمعرفة، ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي﴾، على ديني،
 ﴿أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾، مستقيماً.

﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾، لا تطعه فيما يزِين لك من الكفر والشرك، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ
 لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾: عاصياً، «كان» بمعنى الحال، أي: هو كذلك.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ﴾، أي أعلم، ﴿أَنْ يَمَسَّكَ﴾، يصيبك، ﴿عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ أي:
 إن أقمت على الكفر، ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾، قريناً في النار.

﴿قَالَ﴾ أبوه مجيئاً له: ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آهْتِي يَا إِبْرَاهِيمُ. لَنْ لَمْ تَتَنَّهُ﴾، لئن لم تسكت
 وترجع عن عيبك آهتنا وشتمك إياها، ﴿لَازِجْمَنَّاكَ﴾، قال الكلبي، ومقاتل، والضحاك:
 لأشتمنك، ولأبعدنك عني بالقول القبيح (٢).

قال ابن عباس لأضربنك. وقال عكرمة: لأقتلنك بالحجارة.

﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾، قال الكلبي: اجنبي طويلاً. وقال مجاهد وعكرمة: حيناً.

وقال سعيد بن جبير: دهرأ وأصل «الحين»: المكث، ومنه يقال: فمكثت حيناً، «والمَلَوَان»:

الليل والنهار.

(١) ساقط من «أ».

(٢) وهو ما مال إليه الطبري، ولم يذكر غيره. ٩٠/١٦ - ٩١.

قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلْكُمْ
وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا
﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴿٤٩﴾

وقال قتادة وعطاء: سالماً. وقال ابن عباس: اعتزلي سالماً لا تصيبك مني معرة، يقال: فلان ملي بأمر كذا: إذا كان كافياً^(١).

﴿ قال ﴾ إبراهيم ﴿ سلام عليك ﴾، أي: سلمت مني لا أصيبك بمكروه، وذلك أنه لم يؤمر بقتاله على كفره.

وقيل: هذا سلام هجران ومفارقة. وقيل: سلام برٌ ولطيف، وهو جواب الحليم للسفيه. قال الله تعالى: « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » (الفرقان: ٦٣).

قوله تعالى: ﴿ سأستغفرُ لك ربِّي ﴾، قيل: إنه لما أعياه أمره ووعدته أن يراجع الله فيه، فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له. معناه: سأسأل الله تعالى لك توبة تنال بها المغفرة.

﴿إنه كان بي حفيًّا﴾، برّاً لطيفاً. قال الكلبي: عالماً يستجيب لي إذا دعوته. قال مجاهد: عودني الإجابة لدعائي.

﴿ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ﴾، أي: أعتزل ما تعبدون من دون الله: قال مقاتل: كان اعتزاله إياهم أنه فارقهم من « كوئي » فهاجر منها إلى الأرض المقدسة، ﴿ وأدعو ربِّي ﴾، أي: أعبدُ ربِّي، ﴿ عسى أن لا أكون بدعاء ربِّي شقيًّا ﴾، أي: عسى أن لا أشقى بدعائه وعبادته، كما تشقون أنتم بعبادة الأصنام.

وقيل: عسى أن يجيبني إذا دعوته ولا يجيبني.

﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ﴾، فذهب مهاجراً، ﴿ وهبنا له ﴾ بعد الهجرة ﴿ إسحاق ويعقوب ﴾ آنسنا وحشته [من فراقهم]^(٢)، وأقررنا عينه، بأولادٍ كرام على

(١) ساق الطبري هذه الأقوال، ثم قال: (٩٢/١٦): « وأولى القولين بتأويل الآية عندي قول من قال: معنى ذلك: واهجرني سوياً، سليماناً من عقوبتي، لأنه عقيب قوله: ﴿ لئن لم تنته لأرجمك ﴾ وذلك وعيد منه له إن لم ينته عن ذكر آلهته بالسوء أن يرجمه بالقول السيء، والذي هو أولى بأن يتبع ذلك التقدم إليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة، فأما الأمر بطول هجره فلا وجه له. »

(٢) ساقط من « ب ».

جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾
وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَذِيرًا مِّن جَانِبِ
الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾

الله عز وجل، ﴿وَكَلَّمَ جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ يعني: إسحاق ويعقوب .

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ قال الكلبي: المال والولد، وهو قول الأكثرين، قالوا: ما بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق. وقيل: الكتاب والنبوة .

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ / لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾، يعني ثناءً حسناً رفيعاً في كل أهل الأديان، فكلهم يتولونهم، ويشنون عليهم .

أ/٨

قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾، غير مُرَاءٍ، أخلص العبادة والطاعة لله عز وجل^(١). وقرأ أهل الكوفة ﴿مُخْلَصًا﴾ بفتح اللام أي: مختاراً اختاره الله عز وجل. وقيل: أخلصه الله من الدنس. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ .

﴿وَنَادَيْنَاهُ مِّن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾، يعني: يمين موسى^(٢)، والطور: جبل بين مصر ومدين. ويقال: اسمه «الزبير» وذلك حين أقبل من مدین ورأى النار نودي «أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» (القصص: ٣٠) .

﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾، أي: مناجياً، فالنجي المناجي، كما يقال: جليس ونديم .

قال ابن عباس: معناه: قربه فكلمه، ومعنى التقريب: إسماعه كلامه .

(١) هذا التفسير لقراءة ﴿مُخْلَصًا﴾ بكسر اللام. ثم قال المصنف «وَقَرَأَ أَهْلَ الْكُوفَةِ.. بفتح اللام..» فكان الأصل أنه قدم القراءة بكسر اللام وفسر الآية عليها أولاً .

(٢) نقل ابن الجوزي في «زاد المسير»: (٢٣٩/٥) عن ابن الأنباري قال: «إنما خاطب الله العرب بما يستعملون في لغتهم، ومن كلامهم: عن يمين القبلة وشمالها، يعنون: مما لي يمين المستقبل لها وشماله، فقلوا الوصف إلى ذلك اتساعاً عند انكشاف المعنى، لأن الوادي لا يد له فيكون له يمين .

وقال المفسرون: جاء النداء عن يمين موسى، فلهذا قال: ﴿الْأَيْمَنِ﴾، ولم يُرَدَّ به يمين الجبل .

وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ
 كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ
 وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا
 نَبِيًّا ﴿٥٦﴾

وقيل: رفعه على الحجب حتى سمع صرير القلم (١).

﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾، وذلك حين دعا موسى فقال: «واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي»، (طه: ٢٩-٣٠)، فأجاب الله دعاءه وأرسل هارون، ولذلك سماه هبة له (٢).

قوله عز وجل: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل﴾، وهو إسماعيل بن إبراهيم جد النبي ﷺ
 ﴿إنه كان صادق الوعد﴾، قال مجاهد: لم يعد شيئاً إلا وفى به .

وقال مقاتل: وعد رجلاً أن يقيم مكانه حتى يرجع إليه الرجل، فأقام إسماعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع إليه الرجل .

وقال الكلبي: انتظره حتى حال عليه الحول (٣).

﴿وكان رسولاً﴾، إلى جرحهم، ﴿نبياً﴾، مخبراً عن الله عز وجل .

﴿وكان يأمر أهله﴾ أي: قومه. وقيل: أهله وجميع أمته، ﴿بالصلاة والزكاة﴾، قال ابن عباس: يريد التي افترضها الله تعالى عليهم، وهي الخيفية التي افترضت علينا، ﴿وكان عند ربه مرضياً﴾، قائماً بطاعته. قيل: رضيه الله عز وجل لنبوته ورسالته .

قوله عز وجل: ﴿واذكر في الكتاب إدريس﴾، وهو جد أبي نوح، واسمه «أخنوخ»، سمي إدريس لكثرة درسه الكتب. وكان خياطاً وهو أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب، ولبس الخيط، وكانوا من قبله يلبسون الجلود، وأول من اتخذ السلاح، وقاتل الكفار، وأول من نظر في علم

(١) انظر: «تفسير القرطبي»: ٩٤/١٦ - ٩٥ - ٩٥، «تفسير ابن كثير»: ١٢٥/٣ - ١٢٦ .

(٢) قال الطبري: (٩٥/١٦) يقول: ووهبنا لموسى رحمة منا أخاه هارون ﴿نبياً﴾، يقول: أيدناه نبوته وأعتاه بها .

وعن ابن عباس قال: كان هارون أكبر من موسى، ولكن أراد: وهب له نبوته .

(٣) انظر: الطبري: ٩٦/١٦، ابن كثير: ١٢٦/٣، ففيهما جملة آثار. وقال ابن جرير: لم يعد ربه عدة إلا أنجزها. يعني ما التزم عبادة

بندر قط إلا قام بها ووفأها حقها .

وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾

النجوم^(١) والحساب، ﴿إنه كان صديقاً نبياً﴾ .

﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾، قيل: يعني الجنة. وقيل: هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا .

وقيل: هو أنه رفع إلى السماء الرابعة^(٢) .

روى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ أنه رأى إدريس في السماء الرابعة ليلة المعراج^(٣) .

وكان سبب رفع إدريس [إلى السماء]^(٤) على ما قاله كعب وغيره: أنه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس، فقال: يارب أنا مشيت يوماً، فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد! اللهم خفف عنه من ثقلها وحرّها^(٥)، فلما أصبح المَلَك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف. فقال^(٦): يارب ما الذي قضيت فيه؟ فقال: إن عبدي إدريس سألتني أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبتة، فقال: رب اجعل بيني وبينه نُحْلَةً، فأذن له حتى أتى إدريس، فكان يسأله إدريس، فقال له: إني أخبرت أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند مَلَك الموت، فاشفع لي إليه ليؤخر أجلي، فأزاد شكراً وعبادة، فقال الملك: لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها، وأنا مكلمة فرفعه إلى السماء ووضعها عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت فقال لي حاجة إليك؛ صديق لي من بني آدم تشفع بي إليك لتؤخر أجله، قال: ليس ذلك إلي ولكن إن أحببت أعلمته أجله، فيقدم لنفسه، قال: نعم، فنظر في ديوانه فقال: إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبداً، قال: وكيف؟ قال: لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس، قال فإني أتيتك وتركته هناك، قال: فانطلق فلا أراك تجده إلا وقد مات، فوالله ما بقي من أجل إدريس شيء، فرجع الملك فوجده ميتاً^(٧) .

(١) زيادة من « ب » .

(٢) ساقط من « أ » .

(٣) قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري: ٢٠١/٧ - ٢٠٢، ومسلم: ١٤٩/١ - ١٥١. وقد تقدم تخريجه في سورة الإسراء: .

(٤) ما بين المعكوفين ساقط من « أ » .

(٥) يعني به الملك الموكل بالشمس .

(٦) أي: المَلَك الموكل بها .

(٧) ساق هذه الرواية القرطبي في التفسير: ١١٨/١١، وابن الجوزي في « زاد المسير »: (٢٤٣/٥) وقال: وهذا المعنى مروى عن

ابن عباس وكعب في آخرين .

وعقب ابن كثير على هذه الروايات وأمثالها بأن فيها غرابة ونكارة، وهي من أخبار كعب الأخبار من الإسرائيليات .

انظر: تفسير ابن كثير: ١٢٧/٣ .

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ

واختلفوا في أنه حي في السماء أم ميت؟ فقال قوم: هو ميت، وقال قوم: هو حي^(١)، وقالوا: أربعة من الأنبياء في الأحياء اثنان في الأرض: الخضر وإلياس، واثنان في السماء: إدريس وعيسى . وقال وهب: كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن ربه عز وجل في زيارته، فأذن له فأتاه في صورة بني آدم، وكان إدريس يصوم الدهر، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه، ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس، فقال له الليلة الثالث: إني أريد أن أعلم من أنت؟ فقال: أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك، قال: فلي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: تقبض روحي، فأوحى الله إليه أن أقبض روحه، فقبض روحه وردها الله إليه بعد ساعة، قال ملك الموت: ما في سؤالك من قبض الروح؟ قال لأذوق كرب الموت وغمته فأكون أشد استعداداً له، ثم قال إدريس له: إن لي إليك حاجة أخرى، قال: وما هي؟ قال: ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار، فأذن الله في رفعه، فلما قرب من النار قال لي حاجة أخرى، قال: وما تريد؟ قال: تسأل مالكا حتى فأوحى الله إليه أن أقبض روحه، فقبض روحه وردها الله إليه بعد ساعة، قال له ملك الموت: ما في ففتحت أبوابها، فأدخله الجنة، ثم قال ملك الموت: أخرج لتعود إلى مقرك، فتعلق بشجرة وقال: لا أخرج منها، فبعث الله ملكاً حكماً بينهما، فقال له الملك: مالك لا تخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال: « كل نفس ذائقة الموت » (آل عمران: ١٨٥)، وقد ذقته، وقال: « وإن منكم إلا واردها » (مريم: ٧١)، وقد وردتها، وقال: « وما هم منها بمخرجين » (الحجر: ٤٨)، فلست أخرج، فأوحى الله إلى ملك الموت بإذني دخل الجنة وبأمري لا يخرج، فهو حي هناك، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴾^(٢).

﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ﴾، يعني: إدريس ونوحاً، ﴿ ومن حملنا مع نوح ﴾، أي ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة، يريد إبراهيم؛ لأنه ولد من سام بن نوح، ﴿ ومن ذرية إبراهيم ﴾، يريد إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب .

(١) القول الأول هو الذي يتفق مع الروايات، والثاني مروى عن مجاهد قال: إدريس رفع ولم يميت، كما رفع عيسى. فإن أراد: أنه لم يميت إلى الآن ففي هذا نظر، وإن أراد أنه رفع حياً إلى السماء ثم قبض هناك، فلا ينافي ما تقدم عن كعب الأحبار، والله أعلم . انظر: « البداية والنهاية » لابن كثير: ١٠٠/١ .

(٢) أنظر: « الدر المنثور »: ٥١٩/٥ - ٥٢٣، « زاد المسير »: ٢٤١/٥ - ٢٤٢ . وهذا الخبر من الإسراييليات وقد أشار إلى ذلك ابن كثير رحمه الله .

خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾

قوله: ﴿ وإسرائيل ﴾، أي ومن ذرية إسرائيل، وهم موسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، .

قوله: ﴿ ومن هدينا واجتينا ﴾، هؤلاء كانوا ممن أرشدنا واصطفينا، ﴿ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾، «سُجَّدًا»: جمع ساجد، «وبُكِيًّا»: جمع باك، أخبر الله أن الأنبياء كانوا إذا سمعوا بآيات الله سجدوا وبكوا .

قوله عز وجل: ﴿ فخلف من بعدهم / خلف ﴾، أي: من بعد النبيين المذكورين تحلف، وهم قوم سوء، «والخلف» - بالفتح - الصالح، وبالجزم الطالح^(١) .

قال السدي: أراد بهم اليهود ومن لحق بهم .

وقال مجاهد وقتادة: هم في هذه الأمة^(٢) .

(١) وهو قول ابن الأعرابي، واستشدوا له بقول لبيد :
ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْثَانِهِمْ وَبَقِيَتْ فِي خَلْفِ كَجِلْدِ الْأَجْرِبِ
ومنه قيل للردى من الكلام: تحلف. ومنه المثل السائر: «سكت ألفاً ونطق تحلفاً». فخلف في الظم بالإسكان، وتحلف بالفتح في المدح، هذا هو المستعمل المشهور. قال عليه السلام: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله». (رواه البيهقي، وقال الإمام أحمد: لا بأس به) .

وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر، قال حسان بن ثابت:

لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَتَحَلَّفْنَا لِأَوْلَانَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَابِعٌ

وقال آخر:

إِنَّا وَجَدْنَا تَحَلَّفًا بِمَسِّ الْخَلْفِ أَغْلَقَ عَنَّا بَابَهُ ثُمَّ حَلَفَ
لَا يُدْخِلُ التَّوَابُ إِلَّا مَنْ عَرَفَ عِيدًا إِذَا مَا نَاءَ بِالْجَمَلِ وَقَفَ

انظر: «تفسير القرطبي»: ٣١٠/٧ - ٣١١، وراجع فيما سبق، تفسير سورة الأعراف، الآية (١٦٩) .

(٢) انظر: «تفسير القرطبي»: ١٢٢/١١، «زاد المسير»: ٢٤٥/٥، وساق السيوطي جملة روايات في ذلك: ٥٢٦/٥ .
وكونهم من أمة محمد عليه السلام ليس بوجيه - عند الشيخ الشنقيطي - لأن قوله تعالى: ﴿ فخلف من بعدهم ﴾ صيغة تدل على الوقوع في الزمن الماضي، ولا يمكن صرفها إلى المستقبل إلا بدليل يجب الرجوع إليه كما ترى، والظاهر أنهم اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار الذين خلفوا أنبيائهم وصالحهم قبل نزول الآية، فأضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات. وعلى كل حال فالعبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات يدخلون في الظم والوعيد المذكور في هذه الآية، واتباع الشهوات المذكور في الآية عام في اتباع كل مشتهى يشغل عن ذكر الله وعن الصلاة .
انظر: «أضواء البيان» ٣٠٨/٤ .

﴿ أضعوا الصلاة ﴾، تركوا الصلاة المفروضة^(١).

وقال ابن مسعود وإبراهيم: أتخروها عن وقتها.

وقال سعيد بن المسيب: هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتي العصر، ولا العصر حتى تغرب الشمس^(٢).

﴿ واتبعوا الشهوات ﴾، أي: المعاصي، وشرب الخمر، يعني آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله. وقال مجاهد: هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزو بعضهم على بعض في الأسواق والأزقة.

﴿ فسوف يلقون غيًّا ﴾، قال وهب: « الغيُّ » نهر في جهنم، بعيد قعره، خبيث طعمه.

وقال ابن عباس: « الغي » وادٍ في جهنم، وإن أودية^(٣) جهنم لتستعيد من حره، أعد للزاني المصّر عليه، ولشارب الخمر المدمن عليها، ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه، ولأهل العقوق، ولشاهد الزور^(٤).

وقال عطاء: « الغيُّ »: وادٍ في جهنم يسيل قيحاً ودماً.

وقال كعب: هو وادٍ في جهنم أبعدها قعرأ، وأشدّها حرأ، في بئر تسمى « الهيم »، كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فيسعر بها جهنم^(٥).

أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا محمد بن أحمد الحارثي، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، وأخبرنا عبد الله بن المبارك عن هشيم بن بشير، أخبرنا زكريا بن أبي مريم الخراعي قال: سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: « إن ما بين شفير جهنم إلى قعرها مسيرة سبعين خريفاً من حَجَرٍ يهوي، أو قال صَخْرَةً تهوي عظيمها كعشر عشروات عظام سمان، فقال له مولى لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد: هل تحت ذلك شيء يابأ أمامة؟

(١) وهو مروى عن محمد بن كعب القرظي واختاره الزجاج.

انظر: الطبري: ٩٨/١٦، زاد المسير: ٢٤٥/٥، الدر المنثور: ٥٢٦/٥.

(٢) وهو مروى عن القاسم بن مخيمرة، وعمر بن عبد العزيز والنخعي ومجاهد.

هذا، وكل ما روي عن السلف - رحمهم الله - في تأويل الآية داخل في معناها، لأن تأخيرها عن وقتها، وعدم إقامتها في الجماعة، والإخلال بشروطها، وجحد وجوبها، وتعطيل المساجد منها - وهذه كلها أقوال في تفسير الآية - كل ذلك إضاعة لها، وإن كانت أنواع الإضاعة تتفاوت.

انظر: « تفسير القرطبي »: ١٢٢/١١ - ١٢٥، « أضواء البيان »: ٣٠٨/٤.

(٣) ساقط من « أ ».

(٤) انظر: القرطبي: ١٢٥/١١.

(٥) انظر القرطبي: نفسه.

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا ﴿٦٢﴾

قال: نعم غي وآثام» (١).

وقال الضحاك: غياً وخسراناً. وقيل: هلاكاً. وقيل: عذاباً (٢).

وقوله: ﴿فسوف يلقون غياً﴾ ليس معناه يرون فقط، بل معناه الاجتماع والملازمة (٣) مع الرؤية.

﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظلمون شيئاً﴾.

﴿جناتٍ عدنٍ التي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾، ولم يروها، ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾،

يعني: آتياً، مفعول بمعنى فاعل.

وقيل: لم يقل آتياً لأن كل ما أتاك فقد أتيت، والعرب لا تفرق بين قول القائل: أتت عليّ

خمسون سنة وبين قوله: أتيت على خمسين سنة، ويقول: وصل إليّ الخير ووصلت إلى الخير.

وقال ابن جرير: «وعده» أي: موعده، وهو الجنة، «مأتياً» يأتيه أولياؤه [أهل

الجنة] (٤)، وأهل طاعته (٥).

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾، في الجنة ﴿لغوا﴾، باطلاً وفحشاً وفضولاً من الكلام.

وقال مقاتل: هو اليمين الكاذبة.

﴿إِلَّا سَلَامًا﴾، استثناءً من غير جنسه، يعني: بل يسمعون فيها سلاماً. أي: قولاً يسلمون

منه، «والسلام» اسم جامع للخير، لأنه يتضمن السلامة.

(١) أخرجه نحوه عن أبي أمامة مرفوعاً: الطبري في التفسير: ١٠٠/١٦، وزاد السيوطي نسبتاً لابن مردويه، والبيهقي في «البعث» والطبراني.

قال الهيثمي في «المجمع»: (٣٨٩/١٠): «وفيه ضعفاء، وقد وثقهم ابن حبان وقال يخطفون».

وقال ابن كثير: (١٢٩/٣): «هذا حديث غريب ورفعه منكر».

(٢) قال الطبري: (١٠/١٦): «وكل هذه الأقوال متقاربات المعاني وذلك أن من ورد البحرين اللتين ذكرهما النبي ﷺ، والوادي

الذي ذكره ابن مسعود في جهنم، فدخل ذلك، فقد لاقى خسراناً وشرّاً، حسبه به شرّاً!»

(٣) في «ب» الملازمة. (٤) زيادة من «ب» وليست في الطبري.

(٥) عبارة الطبري في التفسير: (١٠١/١٦): ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾، ووعده في هذا الموضع: موعده، وهو الجنة ﴿مأتياً﴾

يأتيه أولياؤه وأهل طاعته الذين يدخلهموها الله.

وقال بعض نحوي الكوفة: خرج الخبر على أن الوعد هو المأتي ومعناه: أنه هو الذي يأتي. ولم يقل: وكان وعده آتياً، لأن كل

مأتاك فأتت تأتية، وقال: ألا ترى أنك تقول: أتيت على خمسين سنة وأتت على خمسون سنة، وكل ذلك صواب..»

تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ

معناه: إن أهل الجنة لا يسمعون ما يؤثمهم، وإنما يسمعون ما يسلمهم .

وقيل: هو تسليم بعضهم على بعض، وتسليم الملائكة عليهم .

وقيل: هو تسليم الله عليهم .

﴿ ولهم رزقهم فيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾، قال أهل التفسير: ليس في الجنة ليل يعرف به البكرة

والعشي، بل هم في نور أبداً، ولكنهم يأتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار .

وقيل: إنهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب، ووقت الليل بإرخاء الحجب .

وقيل: المراد منه رفاهية العيش، وسعة الرزق من غير تضيق .

وكان الحسن البصري يقول: كانت^(١) العرب لا تعرف من العيش أفضل من الرزق بالبكرة

والعشي، فوصف الله عز وجل جنته بذلك^(٢) .

﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ أي: نعطي وننزل. وقيل: يورث عباده المؤمنين

المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا، ﴿ مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾، أي: المتقين من عباده .

قوله عز وجل: ﴿ وما ننزل إلا بأمر ربك ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن

عبد الله النعمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا خلاد بن يحيى، أخبرنا

عمر بن ذر قال: سمعت أبي يحدث عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ

قال: « يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا » فنزلت: ﴿ وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا

وما خلفنا ﴾ الآية: قال: كان هذا الجواب لمحمد ﷺ^(٣) .

وقال عكرمة، والضحاك، وقتادة، ومقاتل، والكلبي: احتبس جبريل عن النبي ﷺ حين سأله

قومه عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، فقال: أخبركم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، حتى شقَّ

على النبي ﷺ، ثم نزل بعد أيام، فقال له رسول الله ﷺ: « أبطأت عليّ حتى ساء ظني واشتقت

إليك »، فقال له جبريل: إني كنت أشوق، ولكنني عبد مأمور، إذا بُعثت نزلت، وإذا حُبست

(١) ساقط من « ب » .

(٢) انظر هذه الأقوال وجملة آثار في ذلك، في: « الدر المنثور »: ٥٢٨/٥ - ٥٢٩، « تفسير ابن كثير »: ١٢٠/٣ - ١٢١ .

(٣) أخرجه البخاري في تفسير سورة مريم، باب ﴿ وما ننزل إلا بأمر ربك ﴾ ٤٢٨/٨ - ٤٢٩، وفي التوحيد، باب ﴿ ولقد

سبقتم كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾: ٤٤٠/١٣، والمصنف في شرح السنة: ٣٢٥/١٣ .

مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَبُّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

احتبست، فأنزل الله: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ وأنزل: «الضحى والليل إذا سجى ما ودّعك ربك وما قلى» (١).

﴿له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك﴾، أي: له علم ما بين أيدينا. واختلفوا فيه: فقال سعيد بن جبير، وقتادة، ومقاتل: ﴿ما بين أيدينا﴾: من أمر الآخرة والثواب والعقاب، ﴿وما خلفنا﴾: ما مضى من الدنيا. ﴿وما بين ذلك﴾: ما يكون من هذا الوقت إلى قيام الساعة (٢).
وقيل: ﴿ما بين أيدينا﴾: ما بقي من الدنيا، ﴿وما خلفنا﴾: ما مضى منها، ﴿وما بين ذلك﴾: أي: ما بين النفختين، وبينهما أربعون سنة.

وقيل: ما بين أيدينا ﴿ما بقي من الدنيا﴾، ﴿وما خلفنا﴾: ما مضى منها، ﴿وما بين ذلك﴾: مدة حياتنا.

وقيل: ﴿ما بين أيدينا﴾: بعد أن نموت، ﴿وما خلفنا﴾: قبل أن نخلق، ﴿وما بين ذلك﴾: مدة الحياة (٣).

وقيل: ﴿ما بين أيدينا﴾: الأرض إذا أردنا النزول إليها، ﴿وما خلفنا﴾: السماء إذا نزلنا منها، ﴿وما بين ذلك﴾: الهواء، يريد: أن ذلك كله لله عزّ وجلّ، فلا نقدر على شيء إلا بأمره.
﴿وما كان ربك نسيًّا﴾، أي: ناسياً، يقول: ما نسيتك ربك، أي: ما تركك، والناسي التارك.
﴿ربّ السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته﴾، أي: اصبر على أمره ونهيه، ﴿هل تعلم له سميًّا﴾، قال ابن عباس رضى الله عنهما: مثلاً (٤).

وقال الكلبي: هل تعلم أحداً يُسمى «الله» غيره (٥)؟

(١) أخرجه الطبري: ١٠٣/١٦ - ١٠٤، وابن إسحاق: ٣٠٠/١ - ٣٠١ (سيرة ابن هشام)، وعزه ابن حجر في الكافي الشاف

ص (١٠٧) لأبي نعيم في الدلائل، وقال: وذكره الثعلبي عن عكرمة والضحاك.

وانظر: الدر المنثور: ٥٣٠/٥، تفسير القرطبي: ١٢٨/١١، أسباب النزول للواحدي ص (٣٤٨).

(٢) انظر: الدر المنثور: ٥٣١/٥.

(٣) انظر: زاد المسير: ٢٥٠/٥.

(٤) انظر: الطبري: ١٠٦/١٦، الدر المنثور: ٥٣١/٥.

(٥) انظر: زاد المسير: ٢٥١/٥.

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ
 أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ
 لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ حِثًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ

قوله عز وجل: ﴿ويقول لإنسان﴾، يعني: أي بن خلف الجمحي، كان منكراً للبعث^(١)،
 قال: ﴿أثدا ما مِتُّ لسوف أُخْرَجُ حَيًّا﴾ قاله استهزاءً وتكديماً للبعث .

قال الله عز وجل: ﴿أَوْ لَا يَذْكُرُ﴾، أي: يتذكر ويتفكر^(٢)، وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم،
 ويعقوب ﴿يَذْكُرُ﴾ خفيف، ﴿الإنسان﴾، يعني: أي بن خلف ﴿أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ
 شَيْئًا﴾، أي: لا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الإعادة، ثم أقسم بنفسه، فقال:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ لنجمعنهم في المعاد، يعني: المشركين المنكرين للبعث،
 ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾، مع الشياطين، وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة، ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ
 حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾، قيل في جهنم، / ﴿حِثًّا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه: جماعات، جمع جثوة .

٩/أ

وقال الحسن والضحاك: جمع «جاث»، أي: جاثن على الركب .

قال السدي: قائمين على الركب لضيق المكان .

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ﴾، لنخرجن، ﴿مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾، أي: من كل أمة وأهل دين من الكفار.
 ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾، عتواً، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني جرأة. وقال مجاهد:
 فجوراً، يريد: الأعتى فالأعتى .

وقال الكلبي: قائدهم ورأسهم في الشر يريد أنه يقدم في إدخال من هو أكبر جرماً وأشد كفراً.
 في بعض الآثار: أنهم يحشرون جميعاً حول جهنم مسلسلين مغلولين، ثم يقدم الأكفر فالأكفر .
 ورفع ﴿أَيُّهُمْ﴾ على معنى: الذي يقال لهم: أيهم أشد على الرحمن عتياً .

(١) انظر: أسباب النزول للواحي ص (٣٤٨)، والقرطبي: ١١/١٣١، وقال المهدي: نزلت في الوليد بن المغيرة وأصحابه، وهو قول ابن عباس، وعن ابن جريج أنها نزلت في العاص بن وائل .

انظر: الدر المنثور: ٥/٥٣٢، القرطبي: ١١/١٣١ .

(٢) هذا تفسير لقراءة ﴿يَذْكُرُ﴾ بالتشديد بدليل ما بعده، وكان المصنف رحمه الله يرجح أو يقدم هذه القراءة، ثم فسّر الآية على القراءة بالتخفيف فيما بعد .

عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿١٧﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ
إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿١٨﴾

وقيل: على الاستئناف ثم لنزعهن [يعمل في موضع « من كل شيعة »] (١).

﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾، أي: أحق بدخول النار، يقال: صلي يصلي صليًّا، مثل: لقي يلقى لقيًّا، وصلى يصلي صليًّا مثل مضى يمضي مضياً، إذا دخل النار وقاسى حرَّها .

قوله عز وجل: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾، وما منكم إلا واردها، وقيل: القسم فيه مضمر، أي: والله ما منكم من أحد إلا واردها، والورود هو موافاة المكان .

واختلفوا في معنى الورد هاهنا، وفيما تنصرف إليه الكناية في قوله: ﴿ واردها ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول الأكثرين؛ معنى الورد هاهنا هو الدخول، والكناية راجعة إلى النار، وقالوا: النار يدخلها البر والفاجر، ثم ينجي الله المتقين (٢)، فيخرجهم منها .

والدليل على أن الورد هو الدخول: قول الله عز وجل حكاية عن فرعون: « يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ » (هود: ٩٨) .

وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق مازى ابن عباس رضي الله عنهما في الورد، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الدخول. وقال نافع: ليس الورد الدخول، فتلا عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: « إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ » (الأنبياء: ٩٨) أدخلها هؤلاء أم لا؟ ثم قال: يانافع أما والله أنت وأنا سنردُّها، وأنا أرجو أن يخرجني الله وما أرى الله عز وجل أن يخرجك منها بتكذيبك (٣) .

وقال قوم: ليس المراد من الورد الدخول، وقالوا: النار لا يدخلها مؤمن أبداً، لقوله تعالى: « إِنْ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَىٰ أُولَٰئِكَ مِنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا » (الأنبياء: ١٠١ - ١٠٢)، وقالوا: كل من دخلها لا يخرج منها. والمراد من قوله: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾، الحضور والرؤية،

(١) جاءت العبارة في « ب » هكذا: تعمل، ثم لنزعهن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عيناً، في موضع من كل شيعة .

(٢) في « ب » الذين اتقوا .

(٣) أخرجه الطبري: ١١١/١٦، وهنّاد في الزهد: ٢٣١/١، والمروزي في زوائد الزهد ص (٤٩٩)، والبيهقي في البعث وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد وابن المنذر، وسنده حسن .

وانظر: الدر المنثور: ٥٣٥/٥، ابن كثير: ١٣٣/٣ .

ثُمَّ نَجَّيْنَا الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَدَرُوا الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِّيًّا ﴿٧٢﴾

لا الدخول كما قال الله تعالى: « ولما وَرَدَ ماءَ مَدِينٍ » (القصص: ٢٣) أراد به الحضور^(١).

وقال عكرمة: الآية في الكفار فإنهم يدخلونها ولا يخرجون منها^(٢).

وروي عن ابن مسعود رضى الله عنه، أنه قال: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ يعني: القيامة^(٣)، والكناية راجعة إليها.

والأول أصح. وعليه أهل السنة، أنهم جميعاً يدخلون النار ثم يخرج الله عز وجل منها أهل الإيمان، بدليل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نَجَّيْنَا الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾، أي اتقوا الشرك، وهم المؤمنون. والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه^(٤).

وقرأ الكسائي، ويعقوب: ﴿ ثُمَّ نَجَّيْنَا ﴾ بالتخفيف. والآخرون: بالتشديد.

والدليل على هذا: ما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسى، أخبرنا عبد الرحيم بن منيب، أخبرنا سفيان، عن الزهرى، عن

(١) وهو قول عبيد بن عمير. انظر: زاد المسير: ٢٥٦/٥.

(٢) انظر: الطبري: ١١١/١٦، وهو مروى أيضاً عن ابن عباس.

(٣) اختلفت الرواية عن ابن مسعود رضى الله عنه في الآية فنقل عنه هذا، ونقل أنه فسرها بدخول النار، وفسرها ثالثة بالمرور على الصراط.

انظر: الطبري: ١١١/١٦، فتح القدير للشوكاني: ٣٤٦/٣، تفسير الخازن: ٢٠٧/٤.

(٤) اختلف المفسرون في تفسير الورد ورجوع الضمير، على ما رأيت، وهذا الذي رجحه المصنف رحمه الله وقال: إنه مذهب أهل السنة، رده أبو حيان والطبري وغيرهما.

وأصول الأقوال في ذلك:

١ - أن الخطاب للكافرين، وعلى هذا فهم الذين يدخلون النار.

٢ - الخطاب عام في حق المؤمنين والكافرين واختلفوا في تفسير الورد على أقوال خمسة: أحدها: الدخول، الثاني: المرور عليها، الثالث: الحضور، الرابع: أن ورود المسلمين عليها هو مرورهم على الصراط، وورود المشركين: دخولهم النار، والخامس: أن ورود المؤمنين إليها: ما يصيبهم من الحمى في الدنيا.

انظر: زاد المسير: (٢٥٧-٢٥٤/٥).

وأرجح هذه الأقوال: ما ذهب إليه الطبري رحمه الله، حيث قال: (١١٢/١٦): «يردُّها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار، وورودها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم فجاج مسلم ومكذب فيها... ثم ساق الأحاديث...

وهو أيضاً ما رجحه صاحب شرح العقيدة الطحاوية، فقال: ص (٤٧٨) « والأظهر الأقوى: أنه المرور على الصراط ».

وانظر: تفسير ابن كثير: ١٣٢/٣ - ١٣٤، البحر المحيط: ٢٠٩/٦ - ٢١٠.

سعيد، بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يموت لمسلمٍ ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلَّه القسم »^(١).

وأراد بالقسم قوله: ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لِلْآرَادِهَا ﴾ .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا مسلم بن إبراهيم، أخبرنا هشام، أخبرنا قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خمر، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خمر، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خمر »^(٢)، وقال أبان عن قتادة: « من إيمان » مكان « خمر » .

أخبرنا أبو المظفر محمد بن إسماعيل بن علي الشجاعى، أخبرنا أبو نصر النعمان بن محمد بن محمود الجرجاني، أخبرنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري، أخبرنا محمد بن عبد الوهاب، أخبرنا محمد بن الفضل أبو النعمان، أخبرنا سلام بن مسكين، أخبرنا أبو الظلال عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ: « أن رجلاً في النار ينادي ألف سنة يا حنان يا منان، فيقول الله عز وجل لجبريل: اذهب فائتني بعبدى هذا، قال: فذهب جبريل فوجد أهل النار منكبين يبيكون، قال: فرجع فأخبر ربه عز وجل، قال اذهب فإنه في موضع كذا وكذا، قال: فجاء به، قال: يا عبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ قال: يارب شرّ مكان وشرّ مقيل، قال: ردوا عبدي، قال: ما كنت أرجو أن تعيدني إليها إذ أخرجتني منها، قال الله تعالى للملائكة: دعوا عبدي »^(٣).

وأما قوله عز وجل: « لا يسمعون حسيها » (الأنبياء: ١٠٢) قيل: إن الله عز وجل أخير عن وقت كونهم في الجنة أنهم لا يسمعون حسيها، فيجوز أن يكونوا قد سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة، لأنه لم يقل: لم يسمعوا حسيها. ويجوز أن لا يسمعوا حسيها عند دخولهم إياها، لأن الله عز وجل يجعلها علمهم برداً وسلاماً .

(١) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ ٥٤١/١١، ومسلم في البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحسبه برقم (٢٦٣٢): ٢٠٢٨/٤، والمصنف في شرح السنة: ٤٥١/٥ .

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان، باب زيادة الإيمان وتقضه: ١٠٣/١، ومسلم في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم (١٩٣): ١٨٢/١، والمصنف في شرح السنة: ١٩١/١٥ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢٣٠/٣، والمصنف في شرح السنة: ١٩٣/١٥ - ١٩٤ . وفيه أبو الظلال، واسمه: هلال القسَمَلِي البصري، ضعفه ابن معين وأبو داود والنسائي. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات (التهذيب: ٧٥/١١ - ٧٦) .

وقال خالد بن معدان: يقول أهل الجنة ألم يعددنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال: بلى، ولكنكم مررتم بها، وهي خامدة^(١).

وفي الحديث: تقول النار للمؤمن: «جُزْ يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبي»^(٢).

وروي عن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال: مَنْ حُمَّ من المسلمين فقد وردها^(٣).

وفي الخبر: «الحمى كبر من جهنم، وهي حظُّ المؤمن من النار»^(٤).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا محمد بن المنثي، أخبرنا يحيى، عن هشام، أخبرني أبي عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء»^(٥).

﴿كان على ربك حتماً مقضياً﴾، أي: كان ورودكم جهنم حتماً لازماً، ﴿مقضياً﴾: قضاه الله عليكم.

﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾، أي اتقوا الشرك، وقرأ الكسائي ﴿ننجي﴾ بالتخفيف، والباقون بالتشديد، ﴿ونذر الظالمين فيها جثياً﴾، جميعاً. وقيل: جاثين على الركب، وفيه دليل على أن الكل دخلوها ثم أخرج الله منها المتقين، وترك فيها الظالمين، وهم المشركون.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري، أخبرني سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي

(١) رواه ابن إسحاق، وأبو عبيد في «الغريب»، وابن المبارك في الزهد عن خالد بن معدان.

انظر: الكافي الشاف ص (١٠٧).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية: ٣٢٩/٩، والخطيب في تاريخ بغداد: ١٩٤/٥، ٢٣٣/٩، والطبراني في الكبير، وابن عدي في الكامل

والحكيم الترمذي في نوادر الأصول.

وفي سننه: سليم بن منصور بن عمار، وهو ضعيف.

انظر: مجمع الزوائد: ٣٦٠/١٠، كشف الخفاء: ٣٧٣/١ - ٣٧٤.

(٣) رواه الطبري: ١١١/١٦.

(٤) أخرجه الإمام أحمد: ٢٥٢/٥، والطحاوي في مشكل الآثار: ٦٨/٣، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة»:

٤٣٧/٤ - ٤٣٨.

وانظر: الكافي الشاف ص (١٠٧).

(٥) أخرجه البخاري في الطب، باب الحمى من فيح جهنم: ١٧٤/١٠، ومسلم في السلام، باب لكل داء دواء، برقم (٢٢١٠):

١٧٣٢/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٥٣/١٢.

أن أبا هريرة أخبرهما أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: « هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ » قالوا: لا يارسول الله، قال: « فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ » قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك، يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتهم الله عز وجل فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيدعوهم، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز^(١) من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كالليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمتها إلا الله، تحطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوق بعمله، ومنهم من يجرذل ثم ينجو، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله، فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود، فيخرجون من النار قد آمتحشوا^(٢)، فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حَمِيل السيل^(٣)، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويقي رجل بين الجنة والنار، وهو آخر أهل النار دخولاً الجنة، مقبل بوجهه قِبَل النار، فيقول: يارب اصرف وجهي عن النار، قد قَشَبَنِي رِيحَهَا وَأَحْرَقَنِي ذُكَاؤُهَا^(٤)، فيقول: هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا، وعزتك. فيعطي الله ما شاء من عهد وميثاق، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أُقبل به على الجنة رأى بهجتها، سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: يارب قدمني عند باب الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى: أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت، فيقول: يارب لا أكون أشقى خلقك، فيقول: فما عسيت إن أعطيت ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غير ذلك، فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا بلغ بابها ورأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور، فسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول يارب أدخلني الجنة، فيقول الله تعالى: ويحك يا ابن آدم ما أغدرك، أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت؟ فيقول: يارب لا تجعلني أشقى خلقك، فيضحك الله منه، ثم يأذن له في دخول الجنة، فيقول: تمنّ، فيتمنى حتى إذ انقطع

ب/٩

(١) ساقط من « أ » .

(٢) احترقوا .

(٣) « الحبة » هي بزر البقول والعشب تنبت في البراري وجوانب السيول، وجمعها « حب » و« حميل السيل »: ما جاء به السيل من الطين أو غشاء .

(٤) « قشبي ريحها، وأحرقني ذكاؤها » معناها: سئني وآذاني وأهلكني لها وشدة وهجها .

أمنيته، قال الله تعالى: **تَمَنَّ كَذَا وَكَذَا، أَقْبَلُ يُذَكِّرُهُ رَبَّهُ، حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأُمَانِي، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ.** قال أبو سعيد لأبي هريرة: إن رسول الله ﷺ قال: « قال الله تعالى لك ذلك وعشرة أمثاله » قال أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله ﷺ إلا قوله: لك ذلك ومثله معه. قال أبو سعيد إني سمعته يقول: « ذلك لك وعشرة أمثاله »^(١).

ورواه محمد بن إسماعيل عن محمود بن غيلان، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عطاء بن يزيد، عن أبي هريرة بمعناه، وقال: **فِيَأْتِيهِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ** فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه^(٢).

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحنفي، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي، أخبرنا محمد بن حماد، أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: « **يُعَذِّبُ أَنَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا جُمَمًا، ثُمَّ تَدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ، قَالَ: فَيُخْرُونَ فَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَمِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْمَاءِ فَيَنْبِتُونَ كَمَا تَنْبِتُ الْقَنْاءُ فِي حِمَالَةِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ** »^(٣).

أخبرنا أبو محمد بن عبد الصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزازي، أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب، أخبرنا أبو عيسى الترمذي، أخبرنا هناد بن السري، أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم عن عبيدة السلماني، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « **إِنِّي لَأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفًا** فيقال له: انطلق فادخل الجنة، قال فيذهب ليدخل الجنة فيجد الناس قد أخذوا المنازل، فيرجع فيقول: يارب قد أخذ الناس المنازل، فيقال: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم فيقال له: **تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى،** فيقال له: فإن لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا، قال فيقول: **أَتَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟** قال: فقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه^(٤).

(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَجْهَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ... ﴾ ٤١٩/١٣ - ٤٢٠، ومسلم في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم (١٨٢): ١٦٣/١ - ١٦٧، والمصنف في شرح السنة: ١٧٣/١٥.

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق، باب الصراط جسر جهنم: ٤٤٤/١١ - ٤٤٥.

(٣) أخرجه الترمذي في صفة جهنم، باب ما جاء أن للنار نفسين وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد: ٤٣٢٤/٧ - ٣٢٥، وقال: « هذا حديث حسن صحيح »، والإمام أحمد: ٧٧/٣، والمصنف في شرح السنة: ١٩١/١٥ - ١٩٢.

(٤) رواية الترمذي هذه، أخرجه في صفة جهنم، باب ما جاء أن للنار نفسين: ٢٢١/٧ - ٢٢٣، وقال: « هذا حديث حسن صحيح »، والحديث أخرجه أيضاً: البخاري في الرقاق، باب صفة الجنة والنار: ٤١٨/١١ - ٤١٩، والمصنف في شرح السنة: ١٨٨/١٥ - ١٨٩.

وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا آيَاتُ
الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٢﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسى، أخبرنا محمد بن حماد، أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرًا والحديبية»، قال: قلت يارسول الله أليس قد قال تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾؟ قال: أفلم تسمعيه يقول: ﴿ثم نجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾ (١).

قوله عز وجل: ﴿وإذا تلى عليهم آياتنا بينات﴾، واضحات، ﴿قال الذين كفروا﴾، يعني: النصر بن الحارث وذويه من قريش، ﴿للذين آمنوا﴾، يعني فقراء (٢) أصحاب النبي ﷺ، وكانت فيهم قشافة، وفي عيشهم خشونة، وفي ثيابهم رثاءة، وكان المشركون يرجلون شعورهم، ويدهنون رؤوسهم ويلبسون حرير ثيابهم، فقالوا للمؤمنين: ﴿أي الفريقين خير مقاماً﴾، منزلاً ومسكناً، [وهو موضع الإقامة].

وقرأ ابن كثير: ﴿مقاماً﴾ بضم الميم أي إقامة [٣].

﴿وأحسن ندياً﴾، أي مجلساً، ومثله النادي، فأجابهم الله تعالى فقال:

﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً﴾، أي متاعاً وأموالاً. وقال مقاتل: لباساً وثياباً، ﴿ورءياً﴾، قرأ أكثر القراء بالهمز، أي: منظرًا، من «الرؤية»، وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ونافع غير ورش: «ورياً» مشدداً بغير همز، وله تفسيران: أحدهما هو الأول، بطرح الهمز، والثاني: من الرى، الذي هو ضد العطش، ومعناه: الارتواء من النعمة، فإن المتنعم يظهر فيه ارتواء النعمة، والفقير يظهر عليه ذبول الفقر.

(١) أخرجه ابن ماجة في الزهد، باب ذكر البعث: ١٤٣١/٢، والإمام أحمد في المسند: ٢٨٥/٦، وهناد في الزهد: ٣٢٨/١، وابن جرير في التفسير: ١١٢/١٦، وابن أبي عاصم في السنة: ٤١٤/٢، وأخرجه من طريق أخرى الإمام مسلم في فضائل الصحابة بنحوه؛ برقم (٢٤٩٦): ١٩٤٢/٤، والإمام أحمد في المسند: ٤٢٠/٦، وأخرجها المصنف في شرح السنة: ١٩٣/١٤.

(٢) في «أ» نقرأ من.

(٣) ساقط من «أ».

أَحْسَنُ أَثْثَاوَرِيَا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا
رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا
وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَيْتُ الصَّلِيحُ
خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ
لَأُوتِيَّتْ مَا لَمْ يُلَدْ أَ لَآؤُودًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾، هذا أمر بمعنى الخبر، معناه: يدعه في طغيانه وممهله في كفره، ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ﴾، وهو الأسر والقتل في الدنيا، ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾، يعني: القيامة، فيدخلون النار، ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾، عند ذلك ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، منزلاً، ﴿وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾، أقل ناصراً أهم أم المؤمنون؟ لأنهم في النار، والمؤمنون في الجنة وهذا ردُّ علمهم في قوله ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

قول عز وجل: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾، أي إيماناً وإيقاناً على يقينهم /،
﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾، الأذكار والأعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها، ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا
وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ عاقبة ومرجعاً.

قوله عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَّتْ مَا لَمْ يُلَدْ أَ لَآؤُودًا﴾، أخبرنا عبد الواحد
المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا
عمرو بن حفص، أخبرنا أبي، أخبرنا الأعمش بن مسلم، عن مسروق، حدثنا حباب قال: كنت قيناً،
فعملت للعاص بن وائل، فاجتمع مالي عنده فأتيته أتقاضاه، فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر
بمحمد، فقلت: أما والله حتى تموت ثم تُبعث فلا، قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال: فإنه
سيكون لي ثم مال وولد فأقضيك، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَّتْ
مَا لَمْ يُلَدْ أَ لَآؤُودًا﴾ (١).

قوله عز وجل: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾، قال ابن عباس: أنظر في اللوح المحفوظ؟ وقال مجاهد: أعلم
علم الغيب حتى يعلم أي الجنة هو أم لا؟

(١) أخرجه البخاري في التفسير، سورة مريم، باب ﴿كَلَّا سَنَكْتَبُ مَا يَقُولُ وَغَدَّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾: ٤٣٠/٨ - ٤٣١.
وانظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٤٩).

كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ

﴿ أم اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾، يعني قال لا إله إلا الله. وقال قتادة: يعني عملاً صالحاً قدمه. وقال الكلبي: أعهد إليه أن يدخل الجنة؟ .

﴿ كلا ﴾، ردٌ عليه، يعني: لم يفعل ذلك، ﴿ سنكتب ﴾، سنحفظ عليه، ﴿ ما يقول ﴾، [فنجازيه به في الآخرة. وقيل: نأمر به الملائكة حتى يكتبوا ما يقول] (١). ﴿ ونمد له من العذاب ممدًا ﴾، أي: نزيده عذاباً فوق العذاب. وقيل: نطيل مدة عذابه .

﴿ ونرثه ما يقول ﴾، أي ما عنده من المال والولد بإهلاكنا إياه وإبطال ملكه وقوله ما يقول، لأنه زعم أن له مالاً وولداً « في الآخرة » (٢)، أي: لا نعطيه ونعطي غيره، فيكون الإرث راجعاً إلى ماتحت القول لا إلى نفس القول .

وقيل: معنى قوله: ﴿ ونرثه ما يقول ﴾ أي: نحفظ ما يقول حتى نجازيه به .

﴿ ويأتينا فرداً ﴾، يوم القيامة بلا مال ولا ولد .

قوله عز وجل: ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً ﴾ يعني: مشركي قريش اتخذوا الأصنام آلهة يعبدونها، ﴿ ليكونوا لهم عزاً ﴾، أي منعة، حتى يكونوا لهم شفعاء يمنعونهم من العذاب .

﴿ كلا ﴾، أي ليس الأمر كما زعموا، ﴿ سيكفرون بعبادتهم ﴾، أي تجحد الأصنام والآلهة التي كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤون منهم، كما أخبر الله تعالى « تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون » (القصص: ٦٣) .

﴿ ويكونون عليهم ضدًا ﴾، أي أعداء لهم، وكانوا أولياءهم في الدنيا .

وقيل: أعواناً عليهم يكذبونهم ويلعنونهم .

قوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾، أي سلطناهم عليهم، وذلك حين قال لإبليس: « واستفز من استطعت منهم بصوتك »، الآية (الإسراء: ٦٤)، ﴿ توزهم أزاً ﴾،

(١) ساقط من «أ» .

(٢) ساقط من «أ» .

عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ
 نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴿٨٦﴾
 لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾

ترزعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية، « والأزّ » « والهزّ »: التحريك، أي: تحركهم وتحشهم على المعاصي .

﴿ فلا تعجل عليهم ﴾، أي لا تعجل بطلب عقوبتهم، ﴿ إنما نعدّ لهم عدّاً ﴾، قال الكلبي: يعني الليالي والأيام والشهور والأعوام .

وقيل: الأنفاس التي يتنفسون بها في الدنيا إلى الأجل الذي أجل لعذابهم .

قوله عزّ وجلّ: ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾ أي: اذكر لهم يا محمد اليوم الذي يجمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته إلى الرحمن، إلى جنته وفداً، أي: جماعات، جمع « وافد»، مثل: راكب وركب، وصاحب وصحب .

وقال ابن عباس: ركبناً. وقال أبو هريرة: على الإبل .

وقال علي بن أبي طالب: ما يحشرون والله على أرجلهم، ولكن على نوق، رحالها الذهب، ونجائب سرجها يواقيت، إن همّوا بها سارت، وإن همّوا بها طارت^(١) .

﴿ ونسوق المجرمين ﴾، الكافرين، ﴿ إلى جهنم ورداً ﴾، أي مشاة. وقيل: عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش. « والوردُ » جماعة يردون الماء، ولا يرد أحد الماء إلا بعد عطش .

﴿ لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾، يعني لا إله إلا الله .

وقيل: معناه لا يشفع الشافعون إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهداً، يعني: المؤمنين، كقوله:

« لا يشفعون إلا لمن ارتضى » (الأنبياء: ٢٨) .

(١) قال الحافظ ابن حجر في « الكافي الشاف » ص (١٠٨): « رواه ابن أبي شيبة، وعبد الله بن أحمد في زيادات المسند، والطبري وابن أبي حاتم من رواية عبد الرحمن بن إسحاق بن النعمان بن سعد بن علي، نحوه. وأخرجه ابن أبي داود في كتاب البعث من هذا الوجه مرفوعاً. ورواه ابن عدي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، مرفوعاً أيضاً » . وانظر: « تفسير ابن كثير »: ١٣٨/٣ - ١٣٩، فقيه جملة روايات في ذلك .

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿١٨﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ
يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿١٩﴾

وقيل: لا يشفع إلا من شهد أن لا إله إلا الله، أي لا يشفع إلا المؤمن (١).

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا﴾، يعني اليهود والنصارى، ومن زعم أن الملائكة بنات الله.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿وُلْدًا﴾ بضم الواو وسكون اللام، هاهنا وفي الزخرف وسورة نوح، ووافق ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب في سورة نوح، والباقون بفتح الواو واللام. وهما لغتان مثل: العَرَب، والعُرب، والعَجَم، والعُجم.

﴿لقد جئتم شيئا إدا﴾، قال ابن عباس منكرًا. وقال قتادة ومجاهد: عظيمًا. وقال مقاتل: لقد قلم قولاً عظيماً. «والإد» في كلام العرب: أعظم الدواهي (٢).

﴿تكاذ السموات﴾، قرأ نافع ﴿يكاد﴾ بالياء هاهنا وفي حمعسق لتقدم الفعل، وقرأ الباقون بالتاء لتأنيث السموات، ﴿يتفطرن منه﴾، هاهنا وفي «حمعسق» بالنون من الانفطار، أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب وافق ابن عامر. وحمزة هاهنا لقوله تعالى: «إذا السماء انفطرت» (الانفطار: ١) و«السماء منفطر» (المزمل: ١٨)، وقرأ الباقون بالتاء من التفطر ومعناها واحد، يقال: انفطر الشيء وتفطر أي تشقق.

﴿وتنشق الأرض وتخرُّ الجبال هدا﴾، أي: تنكسر كسراً.

وقيل: ﴿تنشق الأرض﴾ أي: تنخسف بهم، «والانفطار» في السماء: أن تسقط عليهم، ﴿وتخرُّ الجبال هدا﴾ أي تنطبق عليهم.

(١) وهذه الأوجه كلها حق، وكل واحد منها يشهد له آيات كريمة وأحاديث شريفة، فالجرمون لا يملكون الشفاعة، أي: لا يستحقون أن يشفع عنهم شافع يخلصهم مما هم فيه من الهول والعذاب، وبالأحرى أن الجرمين لا يشفعون في غيرهم، لأنهم إذا كانوا لا يستحقون أن يشفع عنهم فكفرهم فشفاعتهم في غيرهم ممنوعة من باب أولى.

وكذلك: لا يملك الشفاعة إلا المؤمنون الذين اتغنوا عند الله تعالى عهداً بشهادة التوحيد وبالعامل الصالح - وما في معنى هذا - فإنهم يشفع بعضهم في بعض كما قال تعالى: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً﴾. وقد بين في مواضع أخر أن المعبودات التي يعبدونها من دون الله لا تملك الشفاعة، وأن من شهد بالحق يملكها بإذن الله له في ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿ولا يملك الذين يدعون من دون الله الشفاعة إلا من شهد الحق﴾.

انظر: «أضواء البيان»: ٤/٤٩٤ - ٤٩٥، وراجع: ابن كثير: ٣/١٣٩، القرطبي: ١١/١٥٤.

(٢) والعرب تقول لكل أمر عظيم: «إد»، و«إمر». وفي «الإد» ثلاث لغات: «إد» بكسر الألف، و«إد» بفتح الألف، و«أد» بفتح الألف ومدّها.

انظر: تفسير الطبري: ١٦/١٢٩.

أَنْ دَعَوْا الرَّحْمَنَ وَلَدًا ﴿١١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿١٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا
 ﴿١٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿١٥﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿١٦﴾

﴿أَنْ دَعَوْا﴾ أي من أجل أن جعلوا ﴿لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾، قال ابن عباس وكعب: فرزت
 السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين، وكادت أن تزول، وغضبت الملائكة،
 واستعرت جهنم حين قالوا: اتخذ الله ولداً^(١).

ثم نفى الله عن نفسه الولد فقال: .

﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾، أي ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به .

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ﴾، أي إلا آتية يوم القيامة، ﴿عَبْدًا﴾
 ذليلاً خاضعاً يعني: أن الخلق كلهم عبده .

﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾، أي: عدّ أنفاسهم وأيامهم وآثارهم، فلا يخفى عليه شيء .

﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾، وحيداً ليس معه من الدنيا شيء .

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ أي: محبة.

قال مجاهد: يحبهم الله ويحببهم إلى عباده المؤمنين . .

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداوودي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن
 الصلت، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن
 سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إذا أحب الله العبد قال
 لجبرائيل: قد أحببت فلاناً فأحبته، فيحبه جبرائيل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله عز وجل قد أحب
 فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض العبد . »

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٦/١٣٠، فقد روى أثراً مطولاً عن ابن عباس وآخر عن كعب، وقد جمع بينهما المصنف هنا باختصار .

فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَنُهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿١٧﴾ وَكَمْ
 أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿١٨﴾

قال مالك: لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك (١).

قال هرم بن حيان: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله عز وجل إلا أقبل الله بقلوب أهل الإيمان إليه حتى يرزقه مودتهم (٢).

قوله عز وجل: ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ أي سهلنا القرآن بلسانك يا محمد، ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾، يعني المؤمنين، ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ شداداً في الخصومة، جمع «الألد».

وقال الحسن: صماً عن الحق (٣).

قال مجاهد /: «الألد»: الظالم الذي لا يستقيم (٤).

١٠/ب

قال أبو عبيدة: «الألد» الذي لا يقبل الحق، ويدعي الباطل.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ﴾ هل ترى، وقيل هل تجد، ﴿مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ أي صوتاً، «والركز»: الصوت الخفي (٥). قال الحسن: بادوا جميعاً، فلم يبق منهم عين ولا أثر (٦).

* * *

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الشعر، باب المتحابين في الله: ٩٥٣/٢، والبخاري في الأدب، باب اليمقة (الحجة) من الله:

٤٦١/١٠، ومسلم في البر والصلة والأدب، باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده، برقم (٢٦٣٧): ٢٠٣٠/٤، والمصنف في

شرح السنة: ٥٥/١٣. وانظر فتح الباري: ٤٦٢/١٠ - ٤٦٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٣٣/١٦.

(٣) أخرجه الطبري: ١٣٤/١٦.

(٤) الطبري: ١٣٣/١٦ - ١٣٤.

(٥) كما قال الشاعر ليبيد بن ربيعة العامري:

فَتَوَجَّسَتْ ذِكْرَ الْأُنَيْسِ فَرَاغَهَا عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ، وَالْأُنَيْسُ سَقَامُهَا

انظر: تفسير الطبري: ١٣٥/١٦.

(٦) أخرجه عبد بن حميد بنحوه: انظر: الدر المنثور: ٥٤٧/٥.

سُورَةُ طٰهٍ

1912



مكية (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي (٢)، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرّياني، أخبرنا حميد بن زنجوية، أخبرنا ابن أبي أويس، حدثني أبي عن أبي بكر الهزلي، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي ذكرت فيها البقرة من تحت العرش، وأعطيت المُفَصَّلُ نافلة» (٣).

﴿طه﴾، قرأ أبو عمرو بفتح الطاء وكسر الهاء، ويكسرهما حمزة والكسائي وأبو بكر، والباقون بفتحهما.

(١) مكية كلها في قول الجميع، فقد أخرج النحاس وابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة طه بمكة. وأخرجه أيضاً ابن مردويه عن ابن الزبير.

انظر: الدر المنثور: ٥٤٨/٥، زاد المسير: ٢٦٨/٥، تفسير القرطبي: ١٦٣/١١.

(٢) جاء هذا الحديث في نسخة «ب» عقب الآية الأولى.

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: ٥٤٨/٥ لابن مردويه، وفيه أبو بكر الهذلي، قال عنه ابن حجر: أخباري متروك الحديث. وأخرجه مطولاً عن معقل بن يسار: البيهقي في السنن: ٩/١٠، والحاكم في المستدرک: ٥٦١/١، و٥٦٨، و٢٥٩/٢، وابن السني

في عمل اليوم والليلة ص: (٣٢٢).

وفيه عبيد الله بن أبي حميد وهو متروك.

وانظر: فيض القدير للمناوي: ٥٦٤/١.

- قيل: هو قَسَمٌ^(١). وقيل: اسم من أسماء الله تعالى^(٢).
- وقال مجاهد، والحسن، وعطاء، والضحاك: معناه يا رجل.
- وقال قتادة: هو يا رجل بالسريانية.
- وقال الكلبي: هو يا إنسان بلغة عك^(٣).
- وقال مقاتل بن حيان: معناه طأ الأرضَ بقدميك، يريد: في التهجد^(٤).
- وقال محمد بن كعب القرظي: أقسم الله عزَّ وجلَّ بِطُولِهِ وَهُدَايَتِهِ^(٥).
- قال سعيد بن جبیر: الطاء افتتاح اسمه الطاهر، والهاء افتتاح اسمه هادٍ^(٦).
- وقال الكلبي: لما نزل على رسول الله ﷺ الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه، وكان يصلي الليل كله، فأنزل الله هذه الآية^(٧)، وأمره أن يخفف على
-
- (١) رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .
انظر: زاد المسير: ٢٠٥/٥، ٢٧٠.
- (٢) الطبري ٣٦/١٦، البحر المحيط: ٢٢٤/٦، زاد المسير: ٢٧٠/٥.
- (٣) انظر: الطبري: ١٣٥/١٦ - ١٣٦، زاد المسير: ٢٧٠/٥، البحر المحيط: ٢٢٤/٦.
- وهذا القول رجحه الطبري لأنها كلمة معروفة في قبيلة عك، وأن معناها فهم: يا رجل. وأنشدت لثمم بن ثويرة:
فَتَنَّفْتُ بَطَّةً فِي الْقِتَالِ فَلَمْ يُجِبْ فَحَجَفْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُوَاتِلًا
نقله عنه أيضاً: ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٧٠/٥.
- (٤) وروى عن عبد بن حميد في تفسيره، عن الربيع بن أنس قال: كان النبي ﷺ إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى، فأنزل الله تعالى: ﴿طه﴾ يعني: طأ الأرض بقدميك يا محمد.
- وروى ابن مردويه من طريق قيس بن الربيع عن علي: لما نزل «يا أيها المزمل» قام الليل كله حتى ورمت قدماه، فجعل يرفع رجلاً ويضع الأخرى فهبط عليه جبريل فقال: طه طأ الأرض بقدميك يا محمد.
- وأخرجه البزار من وجه آخر عن علي رضي الله عنه.
- وأخرجه البهقي في الشعب من وجه آخر عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما.
- انظر: الكافي الشاف لابن حجر ص (١٠٨)، ابن كثير: ١٤٢/٣.
- (٥) وهذا القول قريب المعنى من قول ابن عباس الذي رواه علي بن أبي طلحة .
انظر: زاد المسير: ٢٧٠/٥.
- (٦) وأخرج البزار عن علي نحوه: قال الهيثمي: ٥٦/٧: « وفيه يزيد بن بلال، وقال البخاري: فيه نظر، وكيسان أبو عمرو: وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين. وبقيه رجاله رجال الصحيح ».
- (٧) انظر: زاد المسير: ٢٦٩/٥ - ٢٧٠. وقارن بأضواء البيان: ٤٠٠/٤ فقد ضعف هذا القول. وتقدم أن الطبري رجح أن المراد بها: يارجل ولم يعهد هذا النداء في الكتاب الكريم، ولذلك رجح أبو حيان في البحر المحيط: (٢٢٤/٦) « أن ﴿طه﴾ من الحروف المقطعة نحو ﴿يس﴾ و﴿الر﴾ وما أشبهها ».
- وقال الشيخ الشنقيطي في « أضواء البيان »: (٣٩٩/٤): وأظهر الأقوال فيه أنه من الحروف المقطعة في أوائل السور، ويدل =

إِلَّا نَذْكُرَكَ لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾
 الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
 وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾

نفسه فقال: ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ .

وقيل: لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن يا محمد إلا لشقائك، فنزلت ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾^(١) أي لتتعنى وتتعب، وأصل الشقاء في اللغة العناء .

﴿ إلا تذكرة لمن يخشى ﴾، [أي لكن أنزلناه عظة لمن يخشى. وقيل: تقديره ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى]^(٢) .

﴿ تنزيلاً ﴾، بدل من قوله « تذكرة » ﴿ مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ ﴾ أي: من الله الذي خلق الأرض، ﴿ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴾، يعني: العالية الرفيعة، وهي جمع العليا كقوله: كبرى وكُبرى، وصغرى وصُغرى .

﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ .

﴿ له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما ﴾، يعني الهواء، ﴿ وما تحت الثرى ﴾، والثرى هو: التراب الندي. قال الضحاك: يعني ما وراء الثرى من شيء .

وقال ابن عباس: إن الأرضين على ظهر النون، والنون على بحر، ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش، والبحر على صخرة خضراء، خضرة السماء منها، وهي الصخرة التي ذكر الله في قصة لقمان «فتكن في صخرة» والصخرة على قرن ثور، والثور على الثرى، وما تحت الثرى لا يعلمه إلا الله عز وجل، وذلك الثور فاتح فاه فإذا جعل الله عز وجل البحار مجراً واحداً سالت في جوف ذلك الثور، فإذا وقعت في جوفه يبست^(٣) .

= لذلك أن الطاء والهاء المذكورتين في فاتحة هذه السورة جاءتا في مواضع أخر لا نزاع فيها في أنهما من الحروف المقطعة. أما الطاء ففي فاتحة الشعراء « طسم » وفاتحة المل « طس » وفاتحة القصص. وأما الهاء ففي فاتحة مريم في قوله تعالى: « كهيعص »... وخير ما يفسر به القرآن القرآن .

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٦/١٣٧، أسباب النزول للواحي ص (٣٥١) - القرطبي: ١١/١٦٧ .

(٢) ساقط من « ب » .

(٣) ذكر هذه الرواية القرطبي: ١١/١٦٩ - ١٧٠. وهذه الرواية من الإسرائيليات التي لا يعول عليها في تفسير كتاب الله تعالى، =

وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾

﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ ﴾، [أي: تعلن به] (١)، ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾، قال الحسن: « السِّرَّ »: ما أسرَّ الرجل إلى غيره، « وأخفى » من ذلك: ما أسرَّ في نفسه .

وعن ابن عباس، وسعيد بن جبير: « السِّرَّ » ما تُسِرُّ في نفسك « وأخفى » من السر: ما يليق به الله عزَّ وجلَّ في قلبك من بُعْدٍ، ولا تعلم أنك ستحدِّث به نفسك، لأنك تعلم ما تُسرُّ به اليوم ولا تعلم ما تُسرُّ به غداً، والله يعلم ما أسررت اليوم وما تُسرُّ به غداً .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: « السِّرَّ »: ما أسرَّ ابن آدم في نفسه، « وأخفى » ما أخفى عليه مما هو فاعله قبل أن يعلمه .

وقال مجاهد: « السِّرَّ » العمل الذي تسرون من الناس، « وأخفى »: الوسوسة .

وقيل: « السِّرُّ »: هو العزيمة [« وأخفى »: ما يختر على القلب ولم يعزم عليه .

وقال زيد بن أسلم: « يعلم السر » (٢) « وأخفى »: أي يعلم أسرار العباد، وأخفى سره من عباده، فلا يعلمه أحد (٣) .

ثم وحَّد نفسه، فقال: .

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ .

قوله عز وجل: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾، أي: قد أتاك، استفهام بمعنى التقرير .

= ولو صحت نسبتها لابن عباس رضى الله عنهما، لأن صحة نسبتها إليه لا تفي صحتها في واقع الأمر لأنها مطلقة من الإسرائيليات .

وانظر ما كتبه الحافظ ابن كثير رحمه الله في التفسير: ٤٠١/٤ - ٤٠٢ .

(١ - ٢) ساقط من «أ» .

(٣) انظر هذه الأقوال في: الطبري: ١٣٩/١٦ - ١٤١، زاد المسير: ٢٧١/٥ .

قال الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: معناه يعلم السر وأخفى من السر، لأن ذلك هو الظاهر من الكلام، ولو كان معنى ذلك ما تأوله ابن زيد لكان الكلام: وأخفى الله سره، لأن أخفى فعل واقع متعد؛ إذ كان بمعنى « فعل » - على ما تأوله ابن زيد - وفي انفراد « أخفى » من مفعوله - والذي يعمل فيه لو كان بمعنى فعل - الدليل الواضح على أنه بمعنى « أفعل »، وأن تأويل الكلام: فإنه يعلم السر وأخفى منه، فإذا كان ذلك تأويله فالصواب من القول في معنى أخفى من السر، أن يقال: هو ما علم الله مما أخفى عن العباد ولم يعلموه، مما هو كائن ولما يكن، لأن ما ظهر وكان فغير سر، وأن ما لم يكن وهو غير كائن، فلا شيء، وأن لم يكن وهو كائن: فهو أخفى من السر، لأن ذلك لا يعلمه إلا الله ثم من أعلمه ذلك من عباده .

إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارَ الْعَلِيِّ ؕ إِنِّي كَرِهْتُ مِمَّنْهَا بَقْبَسٍ أَوْ أَجْدٍ
عَلَىٰ النَّارِ هُدًى ۖ فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ يَمْوَسَىٰ ۖ ﴿١١﴾

﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا﴾، وذلك أن موسى استأذن شعبياً في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأخته، فأذن له فخرج بأهله وماله، وكان أيام الشتاء، وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام، وامراته في سقمها، لا تدري أليلاً أم نهاراً. فسار في البرية غير عارف بطريقها، فألجأ المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد، وأخذ امرأته الطلث، فقدم زنده فلم يُوره .

وقيل: إن موسى كان رجلاً غيوراً فكان يصحب الرفقة بالليل ويفارقهم بالنهار، لئلا ترى امرأته، فأخطأ مرة الطريق في ليلة مظلمة شاتية، لما أراد الله عزّ وجلّ من كرامته، فجعل يقدح الزند فلا يوري، فأبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور، ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾^(١)، أقيموا، قرأ حمزة بضم الهاء هاهنا وفي القصص، ﴿إِنِّي آنَسْتُ﴾ أي: أبصرت، ﴿نَارًا، لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبْسٍ﴾، شعلة من نار، والقبس قطعة من النار تأخذها في طرف عمود من معظم النار، ﴿أَوْ أَجْدٌ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى﴾، أي: أجد عند النار من يدلني على الطريق .

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾، رأى شجرة خضراء من أسفلها [إلى أعلاها، أطافت بها نار بيضاء تنقد كأضواء ما يكون، فلا ضوء النار يغيّر]^(٢) خضرة الشجرة، ولا خضرة الشجرة تغيّر ضوء النار .

قال ابن مسعود: كانت الشجرة سَمْرَةَ خضراء .

وقال قتادة، ومقاتل، والكلبي: كانت من العوسج .

وقال وهب: كانت من العليق .

وقيل: كانت شجرة العناب، رُوي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٣) .

قال أهل التفسير: لم يكن الذي رآه موسى ناراً بل كان نوراً، ذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه ناراً .

وقال أكثر المفسرين: إنه نور الرب عزّ وجلّ، وهو قول ابن عباس، وعكرمة، وغيرهما .

(١) انظر: الطبري: ١٤٢/١٦ - ١٤٣، القرطبي: ١٧١/١١، البحر المحيط: ٢٣٠/٦ .

(٢) ساقط من «أ» .

(٣) انظر: الطبري: ١٤٣/١٦، البحر المحيط: ٢٣٠/٦، القرطبي: ١٧١/١١ .

وهذه الأقوال في الشجرة مما لم يرد نص عن النبي ﷺ في تعيينها، وقد أعرض الحافظ ابن كثير عنها فلم يذكر شيئاً منها في تفسير الآية .

إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

وقال سعيد بن جبير: هي النار بعينها، وهي إحدى حجب الله تعالى، يدل عليه: ما روينا عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «حجابُ النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» (١).

وفي القصة أن موسى أخذ شيئاً من الحشيش اليابس وقصد الشجرة وكان كلما دنا نأث منه النار، وإذا نأى دنت، فوقف متحيراً، وسمع تسييح الملائكة، وألقيت عليه السكينة (٢).

﴿نودي ياموسى إني أنا ربك﴾، قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، «أني» بفتح الألف، على معنى: نودي بأني. وقرأ الآخرون بكسر الألف، أي: نودي، فقيل: إني أنا ربك.

قال وهب نودي من الشجرة، فقيل: ياموسى، فأجاب سريعاً ما يدري من دعاه، فقال: إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت؟ / قال: أنا فوقك ومعك، وأمامك وخلفك، وأقرب إليك من نفسك، فعلم أن ذلك لا ينبغي إلا لله، فأيقن به (٣).

قوله عز وجل: ﴿فأخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾، وكان السبب فيه ما روى عن ابن مسعود مرفوعاً في قوله: ﴿فأخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾، قال: كانتا من جلد حمار ميت. ويروى غير مدبوغ (٤).

وقال عكرمة ومجاهد: أمر بخلع النعلين ليباشر بقدمه تراب الأرض المقدسة، فينالها بركتها لأنها قدّست مرتين، فخلعهما موسى وألقاهما من وراء الوادي (٥).

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام.. برقم (١٧٩): ١/١٦١ - ١٦٢.

(٢) انظر: البحر المحيط: ٢٣٠/٦.

(٣) عزاه السيوطي: ٥٥٤/٥ - ٥٥٥ للإمام أحمد في الزهد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الترمذي في اللباس، باب ما جاء في لبس الصوف: ٤١٠/٥ وقال: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حميد الأعرج، وحميد هو ابن علي الأعرج، منكر الحديث».

ورواه الحاكم في المستدرک: ٣٧٩/٢ وصححه على شرط البخاري، فتعقبه الذهبي بقوله: «بل ليس على شرط البخاري، وإنما غرّه أن في الإسناد حميد بن قيس كذا وهو خطأ إنما هو حميد الأعرج الكوفي ابن علي، أو ابن عمار، أحد المتروكين، فظنه المكّي الصادق».

(٥) قال الطبري مرجحاً: «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: أمر الله - تعالى ذكره - بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي، إذ كان وادياً مقدساً، وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار، ولا لنجاستهما، ولا خبر بذلك عن يلزم بقوله الحجة. وإن في قوله: ﴿إنك بالوادي المقدس﴾ بعبقه دليلاً واضحاً على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا».

انظر: الطبري: ١٤٤/١٦. وانظر المعنى نفسه عند أبي حيان: ٢٣١/١٦.

وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ
الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا

﴿ إنك بالواد المقدس ﴾، أي المطهر، ﴿ طوى ﴾، وطوى اسم الوادي، وقرأ أهل الكوفة
والشام: ﴿ طوى ﴾ بالتونين هاهنا وفي سورة النازعات، وقرأ الآخرون بلا تنوين لأنه معدول عن
« طاو » فلما كان معدولاً عن وجهه كان مصروفاً عن إعرابه، مثل عُمرَ، وُرُقِرَ، وقال الضحاك:
﴿ طوى ﴾: وادٍ مستدير عميق مثل الطوي في استدارته .

﴿ وأنا اخترتك ﴾، اصطفتك برسالاتي، قرأ حمزة: ﴿ وأنا ﴾ مشددة النون، « اخترناك »
على التعظيم. ﴿ فاستمع لما يوحى ﴾، إليك: .

﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ﴾، ولا تعبد غيري، ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾، قال
مجاهد: أقم الصلاة لتذكرني فيها، وقال مجاهد: إذا تركت الصلاة ثم ذكرتها، فأقمها .

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحين أخبرنا أبو عمرو بكر بن محمد المزني، أخبرنا أبو بكر بن محمد
ابن عبد الله الحفيد، أخبرنا الحسين بن الفضل البجلي، أخبرنا عفان، أخبرنا قتادة عن أنس قال: قال
النبي ﷺ: « من نسي صلاةً فليصلها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك »^(١)، ثم قال: سمعته يقول
بعد ذلك: ﴿ أقم الصلاة لذكري ﴾ .

﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها ﴾، قيل معناه إن الساعة آتية أخفيها. ﴿ وأكاد ﴾ صلة. وأكثر
المفسرين قالوا: معناه: أكاد أخفيها من نفسي، وكذلك في مصحف أبي بن كعب، وعبد الله بن
مسعود: أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق .

وفي بعض القراءات: فكيف أظهرها لكم. وذكر ذلك على عادة العرب إذا بالغوا في كتمان
الشيء يقولون: كتمت سرُّك من نفسي، أي: أخفيته غاية الإخفاء، والله عز اسمه لا يخفي عليه شيء .

= ونقل الحافظ ابن كثير: (١٤٤/٣) عن سعيد بن جبيرة أنه - عليه السلام - أمر بخلع نعليه كما يؤمر الرجل أن يخلع نعليه إذا أراد
أن يدخل الكعبة .

وأهدى الشيخ الشنقيطي: (٢٩٢/٤) حكمة أخرى فقال: وأظهر الأقوال - والله تعالى أعلم -: أن الله أمره بخلع نعليه من
قدميه ليعلمه التواضع لربه حين ناداه، فإن نداء الله لعبده أمر عظيم يستوجب من العبد كمال التواضع والخشوع. والله تعالى
أعلم .

(١) أخرجه البخاري في المواقيت، باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكر... ٧٠/٢ ومسلم في المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة
واستحباب تعجيل قضائها برقم (٦٨٤) ٤٧٧/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٤١/٢ .

تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾ وَمَا
تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا
عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى ﴿١٨﴾

وقال الأخفش: أكاد: أي أريد، ومعنى الآية: أن الساعة آتية أريد أخفيها .

والمعنى في إخفائها التهويل والتخويف، لأنهم إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذرٍ منها كل وقت .

وقرأ الحسن بفتح الألف أي أظهرها، يقال: خفيت الشيء: إذا أظهرته، وأخفيت: إذا سترته .

قوله تعالى: ﴿ تُعْجِزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾، أي بما تعمل من خير وشر .

﴿ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا ﴾، فلا يصرفك عن الإيمان بالساعة، ﴿ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾، مراده خالف أمر الله ﴿ فَتَرْدَى ﴾، أي: فتهلك .

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾، سؤال تقرير، والحكمة في هذا السؤال: تنبيهه وتوقيفه على أنها عصا حتى إذا قلبها حياة علم أنه معجزة عظيمة. وهذا على عادة العرب، يقول الرجل لغيره: هل تعرف هذا؟ وهو لا يشك أنه يعرفه، ويريد أن ينضم إقراره بلسانه إلى معرفته بقلبه .
﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾، قيل: وكانت لها شعبتان، وفي أسفلها سنان، ولها محجن. قال مقاتل: اسمها نبعة .

﴿ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ﴾: أعتمد عليها إذا مشيت وإذا أعيتت وعند الوثبة، ﴿ وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي ﴾، أضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم .

وقرأ عكرمة ﴿ وَأَهْسُ ﴾ بالسین غير المعجمة، أي: أزجرُ بها الغنم، و«الهِسُّ»: زجر الغنم .

﴿ وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى ﴾، حاجات ومنافع أخرى، جمع «مأربة» بفتح الراء وضمها، ولم يقل: ﴿ أُخْرَى ﴾ لرؤوس الآي. وأراد بالمآرب: ما يستعمل فيه العصا في السفر، وكان يحمل بها الزاد ويشدُّ بها الحبل^(١) فيستقي الماء من البئر، ويقتل بها الحيات، ويحارب بها السباع، ويستظلُّ بها إذا قعد

(١) في «ب» الدلو .

قَالَ أَلْقَهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾

وغير ذلك .

وروى عن ابن عباس: أن موسى كان يحمل عليها زاده وسقاه، فجعلت متماشية وتحذته، وكان يضرب بها الأرض فيخرج ما يأكل يومه، ويركزها فيخرج الماء، فإذا رفعها ذهب الماء، وإذا اشتبهى ثمرة ركزها فنفصنت غصن الشجرة وأورقت وأثمرت، وإذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتها كالدلو حتى يستقي، وكانت تضيء بالليل بمنزلة السراج، وإذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه^(١) .

﴿ قال ﴾، الله تعالى: ﴿ أَلْقَهَا ياموسى ﴾ ، انبدها، قال وهب: ظن موسى أنه يقول ارفضها .

﴿ فَأَلْقَاهَا ﴾، على وجه الرفض^(٢) ثم حانت منه نظرة، ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ ﴾، صفراء من أعظم ما يكون من الحيات، ﴿ تَسْعَى ﴾، تمشي بسرعة على بطنها وقال في موضع آخر: « كأنها جان » (التمل - ١٠) وهى الحية الصغيرة الخفيفة الجسم، وقال في موضع: « ثعبان »، وهو أكبر ما يكون من الحيات .

فأما الحية: فإنها تجمع الصغير والكبير والذكر والأنثى. وقيل: « الجان »: عبارة عن ابتداء حالها، فإنها كانت حية على قدر العصا، ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعباناً، « والثعبان »: عبارة عن انتهاء حالها .

وقيل: إنها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان .

قال محمد بن إسحاق: نظر موسى فإذا العصا حية من أعظم ما يكون من الحيات صارت شعبتها شدقين لها، والمحجنُ عنقاً وعرفاً، تهتز كالنيازك، وعيناها تتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخليفة من الإبل، فتلقمها وتقصف الشجرة العظيمة بأنيابها، ويسمع لأسنانها صريف عظيم. فلما عاين ذلك موسى ولَّى مُدْبِرًا وهرب، ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه، ثم نُودى: أن يا موسى أقبل وارجع حيث كنت، فرجع وهو شديد الخوف^(٣) .

(١) قال الحافظ ابن كثير: (١٤٦/٣): « وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أجهت، فقيل: كانت تضيء له بالليل، وتحرس له الغنم إذا نام، ويفرسها فصير شجرة تظله، وغير ذلك من الأقوال الخارقة للعادة .

والظاهر: أنها لم تكن كذلك، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه السلام صيرورتها ثعباناً، فما كان يفر منها هارباً. ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية .

(٢) في « ب »: الأرض .

(٣) انظر التعليق السابق .

قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى
 جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى
 ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾

﴿ قال خذها ﴾، بيمينك، ﴿ ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى ﴾، هيبتها الأولى، أي: نردّها
 عصاً كما كانت، وكان على موسى مدرعة من صوف قد خلّها بعيّان، فلما قال الله تعالى: خذها، لفّ
 طرف المدرعة على يده، فأمره الله تعالى أن يكشف يده فكشف .

وذكر بعضهم: أنّه لمّا لفّ كم المدرعة على يده قال له ملك: أ رأيت لو أذن الله بما تحاذره أكانت
 المدرعة تغني عنك. شيئاً؟ قال: لا، ولكني ضعيف، ومن ضعيف تخلفت، فكشف عن يده ثم وضعها
 في فم الحية فإذا هي عصا كما كانت، ويده في شعبتها في الموضع الذي كان يضعها إذا توكأ^(١) .

قال المفسرون: أراد الله عزّ وجلّ أن يُري موسى ما أعطاه من الآية التي لا يقدر عليها مخلوق لئلا

ب/١١ / يفزع منها إذا ألقاها عند فرعون .

وقوله: ﴿ سيرتها الأولى ﴾ نصب بحذف « إلى »، يريد: إلى سيرتها الأولى .

قوله تعالى: ﴿ واضمم يدك إلى جناحك ﴾ أي: إبطك، قال مجاهد: تحت عضدك، وجناح
 الإنسان عضده إلى أصل إبطه. ﴿ تخرج بيضاء ﴾، نيرة مشرقة، ﴿ من غير سوء ﴾، من غير عيب
 والسوء هاهنا بمعنى البرص. قال ابن عباس: كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس
 والقمر، ﴿ آية أخرى ﴾، أي: دلالة أخرى على صدقك سوى العصا .

﴿ لنريك من آياتنا الكبرى ﴾، ولم يقل الكبير لرؤوس الآي. وقيل: فيه إضمار، معناه: لنريك
 من آياتنا الكبرى، دليله قول ابن عباس: كانت يد موسى أكبر آياته .

قال تعالى: ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾، أي: جاوز الحدّ في العصيان والتمرد، فادعه إلى عبادتي.

﴿ قال ﴾، موسى: ﴿ ربّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾، وسعّه للحقّ، قال ابن عباس: يريد حتى
 لا أخاف غيرك، وذلك أن موسى كان يخاف فرعون خوفاً شديداً لشدة شوكته وكثرة جنوده، وكان
 يضيق صدره بما كلّف من مقاومة فرعون وحده، فسأل الله أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحداً
 لا يقدر على مضرتّه إلا بإذن الله، وإذا علم ذلك لم يخف فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده .

(١) انظر التعليق السابق .

وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٤٦﴾ وَأَخْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٤٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٤٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا
مِّنْ أَهْلِي ﴿٤٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٥٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ﴿٥١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٥٢﴾

﴿ ويسر لي أمري ﴾، أي: سهّل عليّ ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون .

﴿ وأخلل عقدة من لساني ﴾، وذلك أن موسى كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره، فلطم فرعون لطمه وأخذ بلحيته، فقال فرعون لآسية امرأته: إن هذا عدوي وأراد أن يقتله، فقالت آسية: إنه صبي لا يعقل ولا يميز. وفي رواية أن أم موسى لما فطمته ردّته، فنشأ موسى في حجر فرعون وامرأته آسية يريانه، واتخذه ولدًا، فبينما هو يلعب يوماً بين يدي فرعون ويده قضيب يلعب به إذ رفع القضيب فضرب به رأس فرعون، فغضب فرعون وتطير بضربه، حتى همّ بقتله، فقالت آسية: أيها الملك إنه صغير لا يعقل فجزّبه إن شئت، وجاءت بطشتين: في أحدهما الجمر، وفي الآخر الجواهر، فوضعتهما بين يدي موسى فأراد أن يأخذ الجوهر، فأخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار فأخذ جمره فوضعها في فمه فاحترق لسانه وصارت عليه عقدة^(١) .

﴿ يفقهوا قولي ﴾، يقول: أخلل العقدة كي يفقهوا كلامي .

﴿ واجعل لي وزيراً ﴾، مُعيّناً وظهيراً، ﴿ من أهلي ﴾ والوزير من يوازرك ويعينك ويتحمل عنك بعض ثقل عملك، ثم يبيّن من هو فقال :

﴿ هارون أخي ﴾، وكان هارون أكبر من موسى بأربع سنين، وكان أفصح منه لساناً وأجمل وأوسم، وأبيض اللون، وكان موسى آدم أقتى جعداً .

﴿ أشدّ به أزري ﴾، قوّ به ظهري .

﴿ وأشركه في أمري ﴾، أي: في النبوة وتبليغ الرسالة، وقرأ ابن عامر ﴿ أشدّد ﴾ بفتح الألف ﴿ وأشركه ﴾ بضمها على الجواب، حكاية عن موسى، أي: أفعل ذلك، وقرأ الآخرون على الدعاء .

(١) جزء من حديث « الفتن » عن ابن عباس موقوفاً عليه، رواه الطبري في التفسير: ١٦٤/١٦ - ١٦٧، وعزاه الهيثمي لأبي يعلى، وقال: « رجاله رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد، والقاسم بن أبي أيوب وهما ثقتان » .
وقال ابن كثير: « رواه النسائي في السنن الكبرى، وأخرجه أبو جعفر ابن جرير، وابن أبي حاتم في تفسيرهما، كلهم من حديث يزيد بن هارون، وهو موقوف من كلام ابن عباس، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه، وكأنه تلقاه ابن عباس رضى الله عنهما مما أبيع نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره. والله أعلم، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني يقول ذلك أيضاً » .
انظر: مجمع الزوائد: ٦٦٧/٧، وتفسير ابن كثير: ١٥٤/٣ .

كِي نَسَبَحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذَرَكُ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ
سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ
﴿٣٨﴾ أَنْ اقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي
وَعَدُوٌّ لَكَ، وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾

والمسألة، عطفاً على ما تقدم من قوله: ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ .

﴿ كِي نَسَبَحَكَ كَثِيرًا ﴾، قال الكلبي: نصلي لك كثيراً .

﴿ وَنَذَرَكُ كَثِيرًا ﴾، نحمدك ونثني عليك بما أوليتنا من نعمك .

﴿ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾، خبيراً عليماً .

﴿ قَالَ ﴾، الله تعالى: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ ﴾، أعطيت، ﴿ سُؤْلَكَ ﴾، جميع ما سألته،

﴿ يَامُوسَى ﴾ .

﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ ﴾، أنعمنا عليك، ﴿ مَرَّةً أُخْرَى ﴾، يعني قبل هذه المرة وهي:

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ ﴾، وحي إلهام، ﴿ مَا يُوحَىٰ ﴾، ما يلهم. ثم فسر ذلك الإلهام وعدد

نعمه عليه :

﴿ أَنْ اقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ ﴾: أي: ألهمناها أن اجعليه في التابوت، ﴿ فاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾، يعني

نهر النيل، ﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾، يعني شاطئ النهر، لفظه أمرٌ ومعناه خبر، مجازة: حتى يلقيه

اليم بالساحل: ﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَكَ ﴾، يعني فرعون. فاتخذت تابوتاً وجعلت فيه قطناً مخلوجاً

ووضعت فيه موسى، وقُيرت رأسه وخصاصه - يعني شقوقه - ثم ألقته في النيل، وكان يشرع منه

نهر كبير في دار فرعون، فبينما فرعون جالس على رأس البركة مع امرأته آسية إذا بتابوت يجيء به

الماء، فأمر الغلمان والجواري بإخراجه، فأخرجوه وفتحوا رأسه فإذا صبي من أصبح الناس وجهاً،

فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتالك، فذلك قوله تعالى: .

﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي ﴾، قال ابن عباس: أحبه وحببه إلى خلقه. قال عكرمة: ما رآه أحد

إلا أحبه. قال قتادة: ملاحظة كانت في عيني موسى، ما رآه أحد إلا عشقه. .

﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾، يعني لثرتي بمرآي ومنظرٍ مني، قرأ أبو جعفر ﴿ وَلِتُصْنَعَ ﴾ .

إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَاقُولِ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ
تَقْرَأَ عَلَيْهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ
فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾

بالجزم ﴿إذ تمشي أختك﴾، واسمها مريم، متعرفةً خيره، ﴿فقول: هل أدلكم على من يكفله﴾؟
أي: على امرأة ترضعه وتضمه إليها؛ وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة، فلما قالت ذلك لهم أخته
قالوا: نعم، فجاءت بالأم فقيل ثديها، فذلك قوله تعالى:

﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقْرَأَ عَلَيْهَا﴾، بلقائك، ﴿ولا تحزن﴾، أي: لأن يذهب عنها

الحزن .

﴿وقتل نفساً﴾، قال ابن عباس رضى الله عنهما: كان قتل قبطياً كافراً. قال كعب الأحبار:
كان إذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة، ﴿فنجيناك من الغم﴾، أي من غم القتل وكربه، ﴿وفتنك﴾
فُتُوناً، قال ابن عباس رضى الله عنه: اختبرناك اختباراً. وقال الضحاك ومقاتل: ابتليناك ابتلاءً. وقال
مجاهد: أخلصناك إخلاصاً .

وعن ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: أن الفتون وقوعه في محنة بعد محنة خلّصه الله منها، أولها
أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح الأطفال، ثم إلقاءه في البحر في التابوت، ثم منعه الرضاع
إلا من ثدي أمه، ثم أخذه بلحية فرعون حتى همّ بقتله، ثم تناوله الجمرة بدل الدرّة، ثم قتله القبطي،
 وخروجه إلى مدين خائفاً. فكان ابن عباس يقص القصة على سعيد بن جبير، فعلى هذا معنى:
﴿فتناك﴾ خلصناك من تلك المحن، كما يفتن الذهب بالنار فيخلص من كل خبث فيه^(١)،
«والفتون»: مصدر .

﴿فلبثت﴾، فمكثت، أي: فخرجت من مصر فلبثت، ﴿سنتين في أهل مدين﴾، يعني ترعى
الأغنام عشر سنين، ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر، هرب إليها موسى .
وقال وهب: لبث عند شعيب عليه السلام ثمانياً وعشرين سنة، عشر سنين منها مهر ابنته
«صفيرا» بنت شعيب، وثمان عشرة سنة أقام عنده حتى ولد له .

﴿ثم جئت على قدر يا موسى﴾، قال مقاتل: على موعد ولم يكن هذا الموعد مع موسى وإنما

(١) انظر التعليق السابق .

﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ٤١ ﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نِنْيَا فِي ذِكْرِي ٤٢
 ﴿ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ٤٣ ﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ٤٤

كان موعداً في تقدير الله، قال محمد بن كعب: جئت على القدر الذي قدرت أنك تجيء .

وقال عبد الرحمن بن كيسان: على رأس أربعين سنة، وهو القدر الذي يوحى فيه إلى الأنبياء، وهذا معنى قول أكثر المفسرين، أي على الموعد الذي وعده الله وقدره أنه يوحى إليه بالرسالة، وهو أربعون سنة .

قوله عز وجل: ﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾، أي اخترتك واصطفيتك لوحى ورسالتى، يعنى لتتصرف على إرادتى/ومحبتى؛ وذلك أن قيامه بأداء الرسالة [تصرف على] ^(١) إرادة الله ومحبتة .

قال الزجاج: اخترتك لأمرى وجعلتك القائم بحجتى والمخاطب بينى وبين خلقتى، كأنى الذى أقمتم ^(٢) بك عليهم الحجة وخاطبتهم .

﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي ﴾، بدلا لئى، وقال ابن عباس: يعنى الآيات التسع التى بعث بها موسى ﴿ وَلَا نِنْيَا ﴾ لا تضعفا، وقال السدى: لا تفترا. وقال محمد بن كعب: لا تقصرا، ﴿ فِي ذِكْرِي ﴾ .

﴿ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾، قرأ أبو عمرو، وأهل الحجاز: «لنفسى اذهب»، «وذكري اذهب»، و«إن قومى اتخذوا» (الفرقان - ٣٠)، «من بعدى اسمه» (الصف - ٦) بفتح الياء فهن، ووافقهم أبو بكر: «من بعدى اسمه»، وقرأ الباقون بإسكانها .

﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا ﴾، يقول: دارياه وارقا معه، قال ابن عباس رضى الله عنهما: لا تعنفا فى قولكما .

وقال السدى وعكرمة: كنياه فقولا ياأبا العباس، وقيل: ياأبا الوليد .

وقال مقاتل: يعنى القول اللين: «هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى» (النازعات - ١٨، ١٩) .

وقيل: أمر باللطافة فى القول لما له من حق التربية .

(١) فى «ب» تصرفه إلى .

(٢) فى «ب» احتججت .

قَالَ رَبِّ إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٤٥﴾

وقال السدي: القول اللين: أن موسى أتاه ووعدته على قبول الإيمان شاباً لا بهرم، وملكاً لا ينزع منه إلا بالموت، وتبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته، وإذا مات دخل الجنة، فأعجبه ذلك وكان لا يقطع أمراً دون هامان، وكان غائباً فلما قدم أخبره بالذي دعاه إليه موسى، وقال أردت أن أقبل منه، فقال له هامان: كنت أرى أن لك عقلاً ورأياً، أنت رب، تريد أن تكون مربوباً؟ وأنت تُعَبِّدُ تريد أن تُعَبِّدَ؟ فقلبه عن رأيه (١).

وكان هارون يومئذ بمصر، فأمر الله موسى أن يأتي هارون وأوحى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى، فتلقاه إلى مرحلة، وأخبره بما أوحى إليه (٢).

﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾، أي: يتعظ ويخاف فيسلم.

فإن قيل: كيف قال: ﴿لعله يتذكر﴾ وقد سبق علمه أنه لا يتذكر ولا يسلم؟

قيل: معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع، وقضاء الله وراء أمركما.

وقال الحسين بن الفضل: هو ينصرف إلى غير فرعون، مجازه: لعله يتذكر متذكراً، ويخشى خاشاً إذا رأى برِّي والطاقي يَمُنُّ خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية.

وقال أبو بكر محمد بن عمر الوراق: ﴿لعل﴾ من الله واجب (٣)، ولقد تذكر فرعون وخشى حين لم تنفعه الذكرى والخشية، وذلك حين أجمه الغرق، قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المسلمين.

وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ هذه الآية: ﴿فقولا له قولاً لينا﴾ فبكي يحيى، وقال: إلهي هذا رفقك (٤) بمن يقول أنا الإله، فكيف رفقك (٤) بمن يقول أنت الإله؟ (٥).

- (١) انظر في هذه الأقوال ونسبتها: الطبري: ١٦٩/١٦، الدر المنثور: ٥٨٠/٥، زاد المسر: ٢٨٧/٥ - ٢٨٨.
- (٢) وأقرب هذه الأقوال في تفسير القول اللين؛ أن الله تعالى أمرهما أن يقولوا كلاماً لطيفاً سهلاً رقيقاً، ليس فيه ما يغضب وينفر. وقد بين الله جل وعلا المراد بالقول اللين في هذه الآية بقوله: ﴿إذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فصخشى﴾. وهذا غاية لين الكلام ولطافته ورقته. وهو قول مقاتل، كما تقدم.
- انظر: تفسير ابن كثير ١٥٤/٣، أضواء البيان: ٤١٣/٥.
- (٣) انظر: زاد المسر: ٢٨٩/٥.
- (٤) تفسير القرطبي: ٢٠١/١١. وانظر: الاتقان للسيوطي: ٢٧٥/٢ - ٢٧٦ فيه معاني حرف «لعل» في القرآن الكريم.
- (٥) في «ب»: برك.
- (٥) تفسير القرطبي: ٢٠١/١١.

قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾ فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ
فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا
أَتَّبِعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ
فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

﴿ قال ﴾، يعني موسى وهارون: ﴿ ربنا إنما نخاف أن يفرض علينا ﴾، قال ابن عباس رضي الله
عنهما: يعجل علينا بالقتل والعقوبة، يقال: فرط عليه فلان إذا عجل بمكروه، وفرط منه أمر أي بدر
وسبق، ﴿ أو أن يطغى ﴾، أي يجاوز الحد في الإساءة إلينا .

﴿ قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى ﴾، قال ابن عباس: أسمع دعاء كما فأجيبه، وأرى ما يراد
بكما فأمنعه، لست بغافل عنكما، فلا تتها .

﴿ فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾، أرسلنا إليك، ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾، أي: خل
عنهم وأطلقهم عن أعمالك، ﴿ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ ﴾، لا تتعبهم في العمل. وكان فرعون يستعملهم في
الأعمال الشاقة، ﴿ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ﴾، قال فرعون: وما هي؟ فأخرج يده، لها شعاع
كشعاع الشمس، ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴾، ليس المراد منه التحية، إنما معناه سلّم من
عذاب الله من أسلم .

﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾، إنما يعذب الله من كذب بما جئنا به
وأعرض عنه .

﴿ قال فمن ربكما يا موسى ﴾ من إلهكما الذي أرسلكما؟ .

﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾، قال الحسن وقتادة: أعطى كل شيء
صلاحه، وهداه لما يصلحه .

وقال مجاهد: أعطى كل شيء صورته، لم يجعل خلق الإنسان كخلق البهائم، ولا خلق البهائم
كخلق الإنسان، ثم هداه إلى منفعته من المطعم والمشرب والمنكح .

وقال الضحاك: « أعطى كل شيء خلقه: يعني اليد للبطش، والرجل للمشي، واللسان للنطق،
والعين للنظر، والأذن للسمع .

قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي
وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ

وقال سعيد بن جبیر: ﴿أعطى كل شيء خلقه﴾: يعني زوج، للإنسان المرأة، وللبعير الناقة، وللحمار الأتان، وللفرس الرمكة. ﴿ثم هدى﴾: أي: ألهمه كيف يأتي الذكر الأنثى (١).

﴿قال﴾ فرعون: ﴿فما بال القرون الأولى﴾، ومعنى «البال»: الحال، أي: ما حال القرون الماضية والأمم الخالية، مثل قوم نوح وعاد وثمود فيما تدعونني إليها (٢)، فإنها كانت تعبد الأوثان وتنكر البعث؟ .

﴿قال﴾ موسى: ﴿علمها عند ربِّي﴾، أي: أعمالهم محفوظة عند الله مجازي بها .

وقيل: إنما ردَّ موسى علم ذلك إلى الله لأنه لم يعلم ذلك، فإن التوراة أنزلت بعد هلاك فرعون وقومه .

﴿في كتاب﴾ يعني: في اللوح المحفوظ، ﴿لا يضلُّ ربِّي﴾، أي: لا يخطئ. وقيل: لا يضلُّ (٣) عنه شيء ولا يغيب عن شيء، ﴿ولا ينسى﴾، [أي: لا يخطئ] (٤) ما كان من أمرهم حتى يجازيهم بأعمالهم. وقيل: لا ينسى أي: لا يترك، فينتقم من الكافر ويجازي المؤمن .

﴿الذي جعل لكم الأرض مهدياً﴾، قرأ أهل الكوفة: ﴿مهدياً﴾ هاهنا، وفي الزخرف، فيكون مصدرأ، أي: فرشاً، وقرأ الآخرون: ﴿مهاداً﴾، كقوله تعالى: «ألم نجعل الأرض مهاداً» (النبا: ١٦)، أي: فرشاً وهو اسم لما يفرش، كالبساط: اسمٌ لما يبسط .

(١) انظر هذه الأقوال في: الطبري: ١٧١/١٦ - ١٧٢، الدر المنثور: ٥٨١/٥ - ٥٨٢. وقد اختار الطبري أن المعنى: ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه في الصورة والهيئة، كالذكور من بني آدم، أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجاً، وكذلك من البهائم أعطاهم نظير خلقها، وفي صورتها وهيئتها من الإناث أزواجاً، فلم يعط الإنسان خلاف خلقه، فيزوجه بالإناث من البهائم، ولا البهائم بالإناث من الجن، ثم هداهم للمأتى الذي منه النسل وإنما كيف يأتيه، ولسائر منافع من المطاعم والمشارب وغير ذلك... لأنه سبحانه لا يعطى المعطى لنفسه، بل إنما يعطي ما هو غيره، لأن العطيّة تقتضي المُعْطَى والعطيّة والمُعْطَى، ولا تكون العطيّة هي المُعْطَى، وإذا لم تكن هي هو، وكانت غيره، وكانت صورة كل خلق بعض أجزائه، كان معلوماً أنه إذا قيل: أعطى الإنسان صورته إنما يعني أنه أعطى بعض المعاني التي به مع غيره دُعي إنساناً .

وإن كان هذا الذي اختاره الطبري رحمه الله لا ينفي إرادة بعض المعاني الأخرى التي تدل عليها الآية كما في قول الضحاك. والله أعلم .

(٢) في «ب»: تدعواني إليه .

(٣) في «ب»: لا يغيب .

(٤) ساقط من «أ» .

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿٥٤﴾ ﴿مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا
 نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ ﴿٥٥﴾

﴿وسلك لكم فيها سبلاً﴾ [السلك: إدخال الشيء في الشيء، والمعنى: أَدْخَلَ في الأرض
 لأجلكم طرقاً تسلكونها] (١). قال ابن عباس: سهّل لكم فيها طرقاً تسلكونها .
 ﴿ وأنزل من السماء ماءً ﴾، يعني: المطر .

ثم الإخبار عن موسى، ثم أخبر الله عن نفسه بقوله: ﴿ فأخرجنا به ﴾، بذلك الماء
 ﴿ أزواجاً ﴾، أصنافاً، ﴿ من نباتٍ شتى ﴾، مختلف الألوان والطعوم والمنافع من بين أبيض وأحمر
 وأخضر وأصفر، فكل صنف منها زوج، فمنها للناس ومنها للدواب .

﴿ كلوا وازرعوا ﴾ [أي وارتعوا] (٢)، ﴿ أنعامكم ﴾، تقول العرب: رعيت الغنم فَرَعْتِ،
 أي: أسيموا أنعامكم ترعى .

﴿ إن في ذلك ﴾، الذي ذكرته، ﴿ لآياتٍ لأولي النهى ﴾، لذوي العقول، واحدها:
 « نُهْيَةٌ » سميت نهيّة لأنها تنهى صاحبها عن القبائح والمعاصي .

قال الضحاك: ﴿ لأولي النهى ﴾: الذين ينتهون عما حُرِّم عليهم .
 قال قتادة: لذوي الورع .

﴿ منها ﴾ أي من الأرض، ﴿ خلقناكم ﴾، يعني أبابكم آدم .

وقال / عطاء الخرساني (٣): إن المَلَك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره على
 النطفة فيخلق الله من التراب ومن النطفة (٤)، فذلك قوله تعالى: ﴿ منها خلقناكم، وفيها نعيدكم ﴾، أي:

١٢/ب

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٢) ساقط من «أ» .

(٣) أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور: ٥٨٤/٥ .

قال الشيخ الشنقيطي في «أضوء البيان»: (٥٢٤/٥) وهذا القول خلاف التحقيق، لأن القرآن يدل على أن مرحلة النطفة بعد مرحلة التراب بمهلة؛ فهي غير مقارنة لها، بدليل الترتيب بينهما بـ «ثم» في قوله تعالى: «يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة»

(٤) قال الطبري: (١٧٥/١٦): من الأرض خلقناكم أيها الناس، فأنشأناكم أجساماً ناطقة، وفي الأرض نعيدكم بعد مماتكم فنصيركم تراباً، كما كنتم قبل إنشائنا لكم، بشراً سوياً .

وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا
بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا
لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ
يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾

عند الموت والدفن، ﴿ ومنها نُخرجكم تارةً أخرى ﴾، يوم البعث .

قوله عز وجل: ﴿ ولقد أريناه ﴾، يعني فرعون، ﴿ آياتنا كلها ﴾، يعني: الآيات التسع التي أعطها الله موسى، ﴿ فكذب ﴾، بها وزعم أنها سحر، ﴿ وأبى ﴾، أن يُسلم .

﴿ قال ﴾، يعني فرعون ﴿ اجئنا لتُخرجنا من أرضنا ﴾، يعني: مصر، ﴿ بسحرك ﴾ يا موسى، أي: تريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتُخرجنا منها .

﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ﴾، أي: فاضرب بيننا أجلاً وميقاتاً، ﴿ لا نخلفه ﴾، [قرأ أبو جعفر ﴿ لا نخلفه ﴾ بجزم، لا نجازه]^(١)، ﴿ نحن ولا أنت مكاناً سُوًى ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم وحزمة ويعقوب: ﴿ سُوًى ﴾ بضم السين، وقرأ الآخرون بكسرها، وهما لغتان مثل: عُذَى وَعُدَى وَطُوًى وَطَوَى .

قال مقاتل وقتادة: مكاناً عدلاً بيننا وبينك .

وعن ابن عباس: نصفاً، ومعناه: تستوي مسافة الفريقين إليه .

قال مجاهد: منصفاً. وقال الكلبي: يعني سوى هذا المكان .

﴿ قال موعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ﴾، قال مجاهد، وقتادة، ومقاتل، والسدي: كان يوم عيد لهم، يتزينون فيه، ويجتمعون في كل سنة. وقيل: هو يوم النوروز .

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: يوم عاشوراء^(٢) .

﴿ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾، أي: وقت الضحوة نهاراً جهاراً، ليكون أبعد من الريبة .

(١) ما بين القوسين ساقط من الآية .

(٢) انظر هذه الأقوال في: الطبري: ١٦/١٧٧، الدر المنثور: ٥٨٤/٥ - ٥٨٥ .

فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴿٦١﴾ فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُم
بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ

﴿ فتولى فرعون فجمع كيده ﴾، مكره وحيلته وسحرته، ﴿ ثم أتى ﴾، الميعاد .

﴿ قال لهم موسى ﴾، يعني: للسحرة الذين جمعهم فرعون، وكانوا اثنين وسبعين ساحراً، مع كل واحد منهم جبل وعصا .

وقيل: كانوا أربعمائة. وقال كعب: كانوا اثني عشر ألفاً. وقيل أكثر من ذلك .

﴿ ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحيتكم بعذاب ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص:

﴿ فيسحيتكم ﴾ بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتح الياء والحاء وهما لغتان^(١). قال مقاتل والكلبي: فهلككم. وقال قتادة: فيستأصلكم، ﴿ وقد خاب من افترى ﴾ .

﴿ فتنازعوا أمرهم بينهم ﴾، أي: تناظروا وتشاوروا، يعني السحرة في أمر موسى سراً من فرعون .

قال الكلبي: قالوا سراً: إن غلبنا موسى اتبعناه .

وقال محمد بن إسحاق: لما قال لهم موسى: لا تفتروا على الله كذباً، قال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر .

﴿ وأسروا النجوى ﴾، أي المناجاة، يكون مصدراً واسماً، ثم ﴿ قالوا ﴾، وأسر بعضهم إلى

بعض يتناجون: ﴿ إن هذان لساحران ﴾، يعني موسى وهارون .

قرأ ابن كثير وحفص: ﴿ إن ﴾ بتخفيف النون، ﴿ هذان ﴾ أي ما هذان إلا ساحران، كقوله:

« إن نظنك لمن الكاذبين » (الشعراء: ١٨٦)، أي ما نظنك إلا من الكاذبين، ويُشَدُّ ابن كثير النون من ﴿ هذان ﴾ .

وقرأ أبو عمرو ﴿ إن ﴾ بتشديد النون ﴿ هذين ﴾ بالياء على الأصل .

وقرأ الآخرون: ﴿ إن ﴾ بتشديد النون، ﴿ هذان ﴾ بالألف، واختلفوا فيه:

(١) وعلى الأول من « أسحت » رابعياً، والثانية من « سحت » ثلاثياً .

فروى هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أنه خطأ من الكاتب^(١).
وقال قوم: هذه لغة الحارث بن كعب، وخثعم، وكنانة، فإنهم يجعلون الاثنين في الرفع والنصب
والخفض بالألف، يقولون: أتاني الزيدان [ورأيت الزيدان]^(٢) ومررت بالزيدان، [فلا يتركون]^(٣)
ألف التثنية في شيء منها^(٤)، وكذلك يجعلون كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ألفاً، كما في التثنية، يقولون:
كسرت يداه وركبت علاه، يعني يديه وعليه. وقال شاعرهم^(٥):

تزود مني بين أذناه ضربة دعته إلى هابي التراب عقيم

يريد بين أذنيه .

وقال آخر^(٦):

إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا قَدْ بَلَغَا فِي الْمَجْدِ غَايَتَاهَا

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في « مجموع الفتاوى »: ٢٥٢/١٥ - ٢٥٦: « وهذا الكلام ممتنع لوجوه: »
منها: تعدد المصاحف واجتماع جماعة على كل مصحف، ثم وصول كل مصحف إلى بلد كبير فيه كثير من الصحابة والتابعين
يقرؤون القرآن، ويعتبرون ذلك بحفظهم، والإنسان إذا نسخ مصحفاً غلط في بعضه عرف غلظه بمخالفة حفظة القرآن وسائر
المصاحف، فلو قدر أنه كتب كتاب مصحفاً ثم نسخ سائر الناس منه من غير اعتبار للأول والثاني أمكن وقوع الغلط في هذا،
وهنا كل مصحف إنما كتبه جماعة، ووقف عليه خلق عظيم ممن يحصل التواتر بأقل منهم، ولو قُدِّرَ أن الصحيفة كان فيها لحن
فقد كتب منها جماعة لا يكتبون إلا بلسان قريش، ولم يكن لحناً، فامتنعوا أن يكتبوه بلسان قريش، فكيف يتفقون كلهم على أن
يكتبوا: « إن هذان » وهم يعلمون أن ذلك لحن لا يجوز في شيء من لغاتهم، كما زعم بعضهم...! »
وأيضاً: فإن القراء إنما قرأوا بما سمعوه من غيرهم، والمسلمون كانوا يقرؤون سورة ﴿ طه ﴾ على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر،
وعمر، وعثمان، وعلي، وهي من أول ما نزل من القرآن، وهي مكية باتفاق الناس.. فالصحابة لابد أن قد قرؤوا هذا الحرف،
ومن الممتنع أن يكونوا كلهم قرؤوه بالياء كأبي عمرو، فإنه لو كان كذلك لم يقرأها أحد إلا بالياء، فعلم أنهم أو غالبهم كانوا
يقرؤونها بالألف كما قرأها الجمهور... فهذا مما يعلم به قطعاً أن عامة الصحابة إنما قرؤوها بالألف كما قرأ الجمهور، وكما هو
مكتوب... » .

وانظر فيما سبق تعليقا: ٣٠٩/٢ - ٣١٠ - والمراجع المشار إليها هناك، وراجع: زاد المسير: ٢٥١/٥ - ٢٥٢ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من « ب » .

(٣) ساقط من: « أ » .

(٤) وهذه اللغة وافقتها لغة قريش .

وانظر بالتفصيل والشواهد الشعرية في: تفسير الطبري: ١٨٠/١٦ - ١٨١، والبحر المحيط: ٢٥٥/٦، زاد المسير لابن الجوزي:

٢٩٨/٥، التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ٨٩٥/٢، شرح الكافية الشافية لابن مالك الطائي: ١٨٨/١ - ١٩٠ .

(٥) تفسير القرطبي: ٢١٧/١١ .

(٦) ينسب هذا الرجز إلى أبي النجم العجلي (الفضل بن قدامة) كما ينسب إلى رؤبة بن المعجاج، وأنشده أبو زيد في « نواذر
اللغة » .

عن المفضل الضبي قال: أنشدني أبو الغول لبعض أهل اليمن...

انظر: شرح الكافية الشافية، لابن مالك: ١٨٤/١ مع التعليق .

مَنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ٦٣

وقيل: تقدير الآية: إنه هذان، فحذف الهاء^(١).

وذهب جماعة إلى أن حرف «أن» هاهنا، بمعنى نعم، أي نعم هذان^(٢). روى أن أعرابياً سأل ابن الزبير شيئاً فحرمه، فقال: لعن الله ناقة حملتني إليك، فقال ابن الزبير: إن وصاحبها، أي نعم.

وقال الشاعر^(٣):

بَكَرْتُ عَلِيَّ عَوَازِلِي يَلْجِحِيْنِي وَالْوَمُهْنَةَ
وَيَقْلَنَ شَيْبُ قَدِ عَلَا كَ وَقَدْ كَبَّرْتُ فَقَلْتُ إِنَّهُ

أي: نعم.

﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾، مصر^(٤)، ﴿بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمْ الْمُثَلَّى﴾، قال ابن عباس: يعني بسراة قومكم وأشرافكم، يقال: هؤلاء طريقة قومهم أي أشرافهم^(٥)، و﴿المثلى﴾ تأنيث «الأمثل»، وهو الأفضل، حدث الشعبي عن علي، قال: يَصْرِفَانِ وجوه الناس إليها^(٦).

قال قتادة: طريقتهم المثلَّى يومئذ بنو إسرائيل كانوا أكثر القوم عدداً وأموالاً، فقال عدو الله: يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهم^(٧).

وقيل: ﴿بطريقتهم المثلَّى﴾: أي بسنتكم ودينكم الذي أنتم عليه^(٨)، و﴿المثلى﴾: نعت الطريقة، تقول العرب: فلان على الطريقة المثلَّى، يعني: على الهدى المستقيم.

(١) انظر: التبيان في إعراب القرآن، للمكبري: ٨٩٥/٢، البحر المحيط، ٢٥٥/٦.

(٢) قال أبو حيان: (٢٥٥/٦): ثبت ذلك في اللغة، فتحمل الآية عليه، و﴿هذان لساحران﴾ مبتدأ وخبر. وانظر زاد المسير: ٣٩٩/٥.

(٣) هو عبد الله بن قيس الرقيات. انظر: القرطبي: ٢١٨/١١.

(٤) ساقط من «ب».

(٥) الطبري: ١٨٣/١٦.

(٦) الطبري: ١٨٣/١٦.

(٧) الطبري: ١٨٢/١٦.

(٨) رواه الطبري عن ابن زيد: (١٨٣/١٦)، وقال: وإن كان له وجه يحتمل الكلام، فإن تأويل أهل التأويل خلافه، فلا أستحجز لذلك القول به.

فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوَصَفُوا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾ قَالَ أُوَيْمُوسَى
 إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعَصِيُّهُمْ
 يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾

﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ﴾، قرأ أبو عمرو: ﴿ فَأَجْمِعُوا ﴾ بوصل الألف وفتح الميم، من الجمع، أي لا تدعوا شيئاً من كيدكم إلا جثتم به، بدليل قوله: «فجمع كيدة»، وقرأ الآخرون بقطع الألف وكسر الميم. فقد قيل: معناه الجمع أيضاً، تقول العرب: أجمعت الشيء وجمعتُه بمعنى واحد .
 والصحيح أن معناه العزم والإحكام، أي: أعزموا كلكم على كيدته مجتمعين له، ولا تختلفوا فيختل أمركم .

﴿ ثُمَّ اتُّوَصَفُوا ﴾ أي جميعاً، قاله مقاتل والكلبي، وقال قوم: أي مصطفين مجتمعين ليكون أشد لهيبتكم، وقال أبو عبيدة: الصف الجمع، ويسمى المصلّى صفّاً. معناه: ثم اتتوا المكان الموعود .
 ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴾، أي: فاز من غلب .

﴿ قَالُوا ﴾، يعني السحرة، ﴿ يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى ﴾، عصاك، ﴿ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴾ عصاه .

﴿ قَالَ ﴾، موسى: ﴿ بَلْ أَلْقُوا ﴾، أنتم أولاً، ﴿ فَإِذَا حِجَابُهُمْ ﴾، وفيه إضمار، أي فآلقوا فإذا حجابهم ﴿ وَعَصِيُّهُمْ ﴾، جمع العصا، ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب «تخيّل» بالتاء رداً إلى الحبال والعصي، وقرأ الآخرون بالياء ردوه إلى الكيد والسحر، ﴿ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾، .
 وفي القصة أنهم لما آلقوا الحبال والعصي أخذوا أعين الناس، فرأى موسى والقوم كأن الأرض امتلأت حيّات، وكانت قد أخذت ميلاً من كل جانب ورأوا أنها تسعى^(١).

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾، أي وجد، وقيل: أضمر في نفسه خوفاً، واختلفوا في خوفه: قيل: خوف طبع البشرية، وذلك أنه ظن أنها تقصده .

وقال مقاتل: خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر فيشكوا في أمره فلا يتبعوه .

(١) ذكره الطبري: عن وهب بن منبه: ١٨٦/١٦ .

قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجْدًا قَالُوا أَمْ نَابِرُ رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ أَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَّ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قُطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا أَصْلَابِنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْيَتِيمَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾

﴿ قلنا ﴾، لموسى: ﴿ لا تخف إنا أنت الأعلى ﴾، أي الغالب، يعني: لك الغلبة والظفر .
 ﴿ وألقى ما في يمينك ﴾، يعني العصا، ﴿ تلقف ﴾، تلتقم، وتبتلع، ﴿ ما صنعوا ﴾، قرأ ابن عامر « تلقف » برفع الفاء هاهنا، وقرأ الآخرون بالجزم على جواب الأمر، ﴿ إنما صنعوا ﴾، إن الذي صنعوا، ﴿ كيد ساحر ﴾، أي حيلة سحر، هكذا قرأ حمزة والكسائي: بكسر السين بلا ألف^(١)، وقرأ الآخرون: « ساحر » لأن إضافة الكيد / إلى الفاعل أولى من إضافته إلى الفعل، وإن كان ذلك لا يمتنع في العربية، ﴿ ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾، من الأرض، قال ابن عباس: لا يسعد حيث كان. وقيل: معناه حيث احتال .

١٣/أ

﴿ فألقى السحرة سجداً قالوا آمنا برّب هارون وموسى . قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم ﴾، لرئيسكم ومعلمكم، ﴿ الذي علمكم السحر فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلف ولا أصلبناكم في جدوع النخل ﴾^(٢)، أي: على جدوع النخل، ﴿ ولتعلمن أيّنا أشدّ عذاباً ﴾؛ أنا على إيمانكم به، أو ربّ موسى على ترك الإيمان به؟ ﴿ وأبقى ﴾، أي: أدوم .
 ﴿ قالوا ﴾، يعني السحرة: ﴿ لن نُؤتِيَكَ ﴾، لن نختارك، ﴿ على ما جاءنا من اليتيمات ﴾،

(١) وهذا إشارة إلى أن المصنف رحمه الله فسّر الآية أولاً على قراءة ﴿ كيد ساحر ﴾ بدليل ما بعده .

(٢) كما قال الشاعر (سويد بن أبي كاهل الهشكري):

مُمّ صَلَبُوا الْعَيْدِيَّ فِي جُدُوعِ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَسَتْ شَيْئَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا

يعني: على جذع نخلة .

وإنما قيل: ﴿ في جدوع ﴾ لأن المصلوب على الخشبة يرفع في طولها، ثم يصير عليها، فيقال: صُلب عليها .

انظر تفسير الطبري: ١٨٨/١٦ .

إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ
وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾

يعني الدلالات، قال مقاتل: يعني اليد البيضاء^(١)، والعصا .

وقيل: كان استدلالهم أنهم قالوا لو كان هذا سحراً فأين حبالنا وعصينا .

وقيل: ﴿ من البنات ﴾ يعني من التبيين والعلم .

حكى عن القاسم بن أبي بزة أنه قال: إنهم لما ألقوا سُجُوداً ما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار، ورأوا ثواب أهلها، ورأوا منازلهم في الجنة، فعند ذلك قالوا: لن نؤثرك على ما جاءنا من البنات، ﴿ والذي فطرنا ﴾، أي: لن نؤثرك على الله الذي فطرنا، وقيل: هو قسم، ﴿ فاقض ما أنت قاض ﴾، أي: فاصنع ما أنت صانع، ﴿ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ﴾، أي: أمرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب .

﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ﴾، فإنه قيل: كيف قالوا هذا، وقد جاؤوا مختارين يملفون بعزة فرعون أن لهم الغلبة؟ .

قيل: روي عن الحسن أنه قال: كان فرعون يُكره قوماً على تعلم السحر لكيلا يذهب أصله، وقد كان أكرههم في الابتداء .

وقال مقاتل: كانت السحرة اثنين وسبعين، اثنان من القبط وسبعون من بني إسرائيل، كان فرعون أكره الذين هم من بني إسرائيل على تعلم السحر، فذلك قولهم: ﴿ وما أكرهتنا عليه من السحر ﴾ .

وقال عبد العزيز بن أبان: قالت السحرة لفرعون: أرنا موسى إذا نام، فأراهم موسى نائماً وعصاه تحرسه، فقالوا لفرعون إن هذا ليس بساحر، إن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى عليهم إلا أن يعملوا، فذلك قوله تعالى: ﴿ وما أكرهتنا عليه من السحر ﴾ .

﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾، قال محمد بن إسحاق: خير منك ثواباً، وأبقى عقاباً .

وقال محمد بن كعب: خير منك ثواباً^(٢) إن أُطِيعَ، وأبقى منك عذاباً إن عُصِيَ، وهذا جواب لقوله: « ولتعلمن أننا أشد عذاباً وأبقى » .

(١) ساقط من « ب » .

(٢) ساقط من « أ » .

إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ
 مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى
 أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا مَخْشَى ﴿٧٧﴾

﴿ إنه من يأت ربّه مجرمًا ﴾، قيل: هذا ابتداء كلام من الله تعالى. وقيل: من تمام قول السحرة
 ﴿ مجرمًا ﴾ أي: مشركًا، يعني: مات على الشرك، ﴿ فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا ﴾، فيستريح،
 ﴿ ولا يحيى ﴾، حياة يتنفع بها .

﴿ ومن يأتيه ﴾، قرأ أبو عمرو ساكنة الهاء ويختلسها أبو جعفر، وقالون، ويعقوب، وقرأ
 الآخرون بالإشباع، ﴿ مؤمنًا ﴾، مات على الإيمان، ﴿ قد عمل الصالحات، فأولئك لهم الدرجات
 العلى ﴾، الرفيعة، و﴿ العلى ﴾: جمع، و« العليا » تأنيث الأعلى .

﴿ جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها، وذلك جزاء من تزكى ﴾، أي: تطهر من
 الذنوب. وقال الكلبي: أعطى زكاة نفسه وقال لا إله إلا الله .

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد السمسار، أخبرنا
 أبو أحمد حمزة بن محمد بن عباس الدهقان، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي، أخبرنا أبو معاوية،
 عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أهل الدرجات العلى
 ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدرى في أفق من آفاق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم
 وأنعمًا » (١) .

قوله عز وجل: ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي ﴾، أي: سير بهم ليلاً من أرض مصر،
 ﴿ فاصرب لهم طريقاً في البحر ﴾، أي اجعل لهم طريقاً في البحر بالضرب بالعصا، ﴿ يبساً ﴾، يابساً
 ليس فيه ماء ولا طين، وذلك أن الله أيسس لهم الطريق في البحر، ﴿ لا تخاف دركاً ﴾، قرأ حمزة

(١) أخرجه أبو داود في الحروف: ٨/٦، والترمذي في المناقب، مناقب أبي بكر رضى الله عنه: ١٤١/١٠، ١٤٢، وقال: « هذا
 حديث حسن »، ابن ماجة في المقدمة، باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ برقم (٩٦) ٣٧/١، والإمام أحمد في المسند:
 ٢٧/٣، وأشار إليه الدارمي في الرقاق، باب في غرف الجنة: ٣٣٦/٢. والمصنف في شرح السنة: ٩٩/١٤، وفي عطية العوفى،
 وقد تابعه أبو الوداك عند الإمام أحمد: ٢٦/٣ .

فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ
وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ
الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾

« لا تخف » بالجزم على النهي، والباقون بالألف والرفع على النفي، لقوله تعالى: ﴿ ولا تخشى ﴾، قيل: لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يفرقك البحر أمامك .
﴿ فَأَتْبَعَهُمْ ﴾، فلحقهم، ﴿ فرعونُ بجنوده ﴾، وقيل: معناه أمر فرعون جنوده أن يتبعوا موسى
وقومه، والباء فيه زائدة وكان هو فيهم، ﴿ فغشيتهم ﴾، أصابهم، ﴿ من اليمِّ ما غشيتهم ﴾، وهو
الغرق. [وقيل: غشيتهم علاهم وسترهم بعض ماء اليم لا كله]^(١) .

وقيل: غشيتهم من اليم ما غشيتهم قوم موسى ففرقوا هم، ونجا موسى وقومه .

﴿ وأضلَّ فرعونُ قومه وما هدى ﴾، أي: ما أرشدهم، وهذا تكذيب لفرعون في قوله:
« وما أهديتكم إلا سبيل الرشاد » (غافر: ٢٩) .

قوله عز وجل: ﴿ يابني إسرائيل قد أنجيناك من عدوك ﴾، فرعون، ﴿ وواعدناك جانب
الطور الأيمن ونزلنا عليك المن والسلوى ﴾ .

﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾، قرأ حمزة والكسائي: «أنجيتكم»، و«واعدتكم»، و«رزقناكم»
بالتاء على التوحيد، وقرأ الآخرون بالنون والألف على التعظيم، ولم يختلفوا في ﴿ونزلنا﴾ لأنه
مكتوب بالألف .

﴿ ولا تطغوا فيه ﴾، قال ابن عباس: لا تظلموا^(٢) . قال الكلبي: لا تكفروا النعمة فتكونوا
طاغين .

وقيل: لا تنفقوا في معصيتي .

(١) زيادة من « ب » .

(٢) لم يذكر الطبري غير هذا القول، وأعرض عن سائر الأقوال التي لا يساعد عليها السياق .

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ وَمَا أَعْجَلَكَ
عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَتْرَبِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى
﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾

وقيل: لا تدخروا، ثم ادخروا فتدود، ﴿فِيحُلُّ﴾، قرأ الأعمش، والكسائي: ﴿فِيحُلُّ﴾ بضم
الحاء «ومن يَحُلُّ» بضم اللام، أي: ينزل، وقرأ الآخرون بكسرها أي: يجب، ﴿عليكم
غضبي، ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾، هلك وتردَّى في النار .

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾، قال ابن عباس: تاب من الشرك، ﴿وَأَمَنَ﴾، ووَحَّدَ اللهُ وَصَدَّقَهُ،
﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، أدى الفرائض، ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾، قال عطاء بن عباس: علم أن ذلك توفيق
من الله .

وقال قتادة وسفيان الثوري: يعني لزم الإسلام حتى مات عليه .

قال الشعبي، ومقاتل، والكلبي: علم أن لذلك ثواباً .

وقال زيد بن أسلم: تعلم العلم ليهتدي به كيف يعمل .

قال الضحاک: استقام. وقال سعيد بن جبیر: أقام على السنة والجماعة^(١) .

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ﴾، أي: وما حملك على العجلة، ﴿عَنْ قَوْمِكَ﴾، وذلك أن موسى اختار من
قومه سبعين رجلاً حتى يذهبوا معه إلى الطور، ليأخذوا التوراة، فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم
شوقاً إلى ربه عز وجل، وخلف السبعين، وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل، فقال الله تعالى له:
﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ .

﴿قَالَ﴾، مجيباً لربه تعالى: ﴿هُم أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَتْرَبِي﴾، أي: هم بالقرب مني يأتون من بعدي،
﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾، لتزداد رضىاً .

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾، أي: ابتلينا الذين خلفتهم مع هارون، وكانوا ستمائة
ألف، فافتنوا بالعجل غير اثني عشر ألفاً ﴿مِنْ بَعْدِكَ﴾ أي: من بعد انطلاقتك إلى الجبل،

(١) ذكر الطبري هذه الأقوال في التفسير: ١٦/١٩٤ - ١٩٥ واختار أن معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾: يقول: ثم لزم ذلك
فاستقام ولم يضيع شيئاً منه، من أجل أن الاهتداء هو الاستقامة على هدى، ولا معنى للاستقامة عليه إلا وقد جمعه الإيمان
والعمل الصالح والتوبة، فمن فعل ذلك وثبت عليه، فلا شك في اهتدائه .

فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا
 حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ
 رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا
 أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

﴿ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾، أي: دعاهم وصرّفهم إلى / عبادة العجل وأضافه إلى السامري لأنهم / ١٣ ب
 ضلوا بسببه .

﴿ فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ﴾، حزينا. ﴿ قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا
 حسنا ﴾، صدقا أنه يعطيكم التوراة، ﴿ أظال عليكم العهد ﴾، مدة مفارقتي إياكم، ﴿ أم أردتم أن
 يحل عليكم غضب من ربكم ﴾، أي: أردتم أن تفعلوا فعلا يجب عليكم به الغضب من ربكم،
 ﴿ فأخلفتم مواعيدي ﴾ .

﴿ قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ﴾، قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم: ﴿ بملكنا ﴾ بفتح الميم،
 وقرأ حمزة والكسائي بضمها، وقرأ الآخرون بكسرها، أي: ونحن نملك أمرنا. وقيل: باختيارنا، ومن
 قرأ بالضم فمعناه بقدرتنا وسلطاننا، وذلك أن المرء إذا وقع في البلية والفتنة لم يملك نفسه .

﴿ ولكننا حملنا ﴾، قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، ويعقوب: «حَمَلْنَا» بفتح
 الحاء، وتخفيف الميم. وقرأ الآخرون بضم الحاء وتشديد الميم، أي: جعلونا نحملها وكلفنا حملها،
 ﴿ أوزارا من زينة القوم ﴾، من حلي قوم فرعون، سماها أوزارا لأنهم أخذوها على وجه العارية فلم
 يردوها. وذلك أن بني إسرائيل كانوا قد استعاروا حليا من القبط، وكان ذلك معهم حين خرجوا
 من مصر .

وقيل: إن الله تعالى لما أغرق فرعون نبد البحر حلهم فأخذوها، وكانت غنيمة، ولم تكن الغنيمة
 حلالا لهم في ذلك الزمان، فسامها أوزارا لذلك .

﴿ فقدناها ﴾، قيل: إن السامري قال لهم احفروا حفيرة فآلقوها فيها حتى يرجع موسى .
 قال السدي^(١): قال لهم هارون إن تلك غنيمة لا تحل، فاحفروا حفيرة فآلقوها فيها حتى يرجع

(١) ساقط من «أ» .

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ
 ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ
 قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَتَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي
 وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾

موسى، فيرى رأيه فيها، ففعلوا^(١). قوله: ﴿فقدفناها﴾ أي: طرحناها في الحفرة. ﴿فكذلك ألقى السامري﴾، ما معه من الحلي فيها، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما: أوقد هارون ناراً وقال: اقدفوا فيها ما معكم، فألقوه فيها، ثم ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبيل^(٢). قال قتادة: كان قد أخذ قبضة من ذلك التراب في عمامته.

﴿فأخرج له عجلًا جسدًا له خورٌ فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى﴾، أي: تركه موسى هاهنا، وذهب يطلبه. وقيل: أخطأ الطريق وضل^(٣).

قال الله تعالى: ﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً﴾، أي: لا يرون أن العجل لا يكلمهم ولا يجيبهم إذا دعوه، ﴿ولا يملك لهم ضرًّا ولا نفعاً﴾، وقيل: إن هارون مرّ على السامري وهو يصوغ العجل فقال له: ما هذا؟ قال: أصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي، فقال هارون: اللهم أعطه ما سألك على ما في نفسه، فألقى التراب في فم العجل وقال كن عجلًا يخور فكان كذلك بدعوة هارون^(٤).
 والحقيقة أن ذلك كان فتنة ابتلى الله بها بني إسرائيل.

﴿ولقد قال لهم هارون من قبل﴾، من قبل رجوع موسى، ﴿يا قوم إنما فُتِنْتُمْ بِهِ﴾، ابتليتُم بالعجل، ﴿وإن ربكم الرحمن فاتَّبِعُونِي﴾، على ديني في عبادة الله، ﴿وأطيعوا أمري﴾، في ترك عبادة العجل.

﴿قالوا لن نبرح﴾، أي لن نزال، ﴿عليه﴾، على عبادته، ﴿عاكفين﴾، مقيمين، ﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾، فاعتزلهم هارون في اثني عشر ألفاً من الذين لم يعبدوا العجل، فلما رجع موسى

(١) انظر: الطبري: ٢٠٠/١٦.

(٢) انظر: الطبري: ٢٠١/١٦.

(٣) انظر: الطبري: ٢٠١/١٦.

(٤) انظر فيما سبق تخرّيج حديث «الفتون»: وراجع تفسير ابن كثير: ١٦٣/٣.

قَالَ يَهْرُونَ مَانَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٣﴾ أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾
 قَالَ يَبْنَومٌ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ
 بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا
 وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾

وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل، قال للسبعين الذين معه: هذا صوت الفتنة، فلما رأى هارون أخذ شعر رأسه يمينه ولحيته بشماله .

﴿ قال ياهارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ﴾، أشركوا ﴿ ألا تتبعني ﴾، أي: أن تتبعني و﴿ لا ﴾ صلة أي تتبع أمري ووصيتي، يعني: هلا قاتلتهم وقد علمت أني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم .

وقيل: « أن لا تتبعني » أي: ما منعك من اللحق بي وإخباري بضلاتهم، فتكون مفارقتك إياهم زجراً لهم عما أتوه، ﴿ أفعصيت أمري ﴾، أي خالفت أمري .

﴿ قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ﴾، أي بشعر رأسي وكان قد أخذ ذوائبه، ﴿ إني خشيت ﴾، لو أنكرت عليهم لصاروا حزينين يقتل بعضهم بعضاً، ﴿ أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ﴾، أي خشيت إن فارقتهم واتبعتك صاروا أحزاباً يتقاتلون، فتقول أنت فرقت بين بني إسرائيل^(١)، ﴿ ولم ترقب قولي ﴾، ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي، وأصلح أي ارفق بهم^(٢) ثم أقبل موسى على السامري ﴿ قال فما خطبك ﴾ ما أمرك وشأنك؟ وما الذي حملك على ما صنعت؟ ﴿ ياسامري ﴾ .

﴿ قال بصرت بما لم يبصروا به ﴾، رأيت ما لم يروا وعرفت ما لم يعرفوا .

(١) ذكر الطبري في التفسير: (٢٠٤/١٦) أقوالاً أخر زيادة على ما ذكر المصنف ورجح ما نسبه إلى ابن عباس -رضي الله عنهما-: أن موسى عدل أخاه هارون على تركه اتباع أمره بمن اتبعه من أهل الإيمان، فقال له هارون: إني خشيت أن تقول: فرقت بين جماعتهم، فتركت بعضهم وراءك، وجئت ببعضهم . وانظر زاد المسير: ٣١٦/٥ .

(٢) انظر: الطبري: ٢٠٤/١٦، الدر المنثور: ٥٩٦/٦ .

قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسٌ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ

قرأ حمزة والكسائي: ﴿ ما لم تبصروا ﴾ بالتاء على الخطاب، وقرأ الآخرون بالياء على الخبر .
﴿ فقبضت قبضةً من أثر الرسول ﴾، أي من تراب أثر فرس جبريل، ﴿ فنبذتها ﴾، أي ألقيتها
في فم العجل .

وقال بعضهم: إنما خار لهذا لأن التراب كان مأخوذاً من تحت حافر فرس جبريل .
فإن قيل: كيف عرفه ورأى جبريل من بين سائر الناس؟ .

قيل: لأن أمه لما ولدته في السنة التي يقتل فيها البنون وضعته في الكهف حذراً عليه، فبعث الله
جبريل ليريه لما قضى على يديه من الفتنة^(١) .

﴿ وكذلك سولت ﴾، أي زينت^(٢)، ﴿ لي نفسي ﴾ .

﴿ قال فاذهب فإن لك في الحياة ﴾، أي: مادمت حياً، ﴿ أن تقول لا مساس ﴾، أي: لا تخالط
أحداً، ولا يخالطك أحد، وأمر موسى بني إسرائيل أن لا يخالطوه، ولا يقربوه .

قال ابن عباس: لا مساس لك ولولدك، و« المساس » من المماسمة، معناه: لا يمس بعضنا بعضاً،
فصار السامري يهيم في البرية مع الوحوش والسباع، لا يمس أحد ولا يمس أحد، عاقبه الله بذلك،
وكان إذا لقي أحداً يقول: « لا مساس »، أي: لا تقربني ولا تمسني .

وقيل: كان إذا مس أحداً أو مسه أحد جُماً جميعاً حتى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك، وإذا مس
أحد من غيرهم أحداً منهم جُماً جميعاً في الوقت^(٣) .

﴿ وإن لك ﴾، ياسامري، ﴿ موعداً ﴾ لعذابك، ﴿ لن نخلفه ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو
ويعقوب: ﴿ لن نخلفه ﴾ بكسر اللام أي لن تغيب عنه، ولا مذهب لك عنه، بل توافيه يوم القيامة،
وقرأ الآخرون بفتح اللام أي لن تكذبه ولن يخلفك الله، ومعناه: أن الله تعالى يكافئك على فعلك

(١) روى الطبري: ٢٠٤/١٦ - ٢٠٥ عن ابن جريج قال: لما قتل فرعون الولدان قالت أم السامري: لو نجيتني عني حتى لا أراه، ولا
أدري قتله، فجعلته في غار، فأثنى جبريل، فجعل كف نفسه في فيه، فجعل يرضعه العسل واللين، فلم يزل يختلف إليه حتى
عرفه، فمن ثم معرفته إياه حين قال: ﴿ فقبضت قبضةً من أثر الرسول ﴾ .

وانظر القرطبي: ٢٣٩/١١ - ٢٤٠ .

(٢) ساقط من « أ » .

(٣) انظر: القرطبي: ٢٤١/١١، زاد المسير: ٣١٩/٥ .

تُخَلِّفُهُ^ط، وَانظُرْ إِلَىٰ إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ^ط ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ^ط فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلْهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ

ولا تفوته (١).

﴿ وانظر إلى إلهك ﴾، بزعمك، ﴿ الذي ظلت عليه عاكفاً ﴾، أي ظلت ودمت عليه مقيماً تبعده، والعرب تقول: ظلت أفعل كذا بمعنى ظلتت، ومست بمعنى مسست، .

﴿ لنحرقنه ﴾، بالنار، قرأ أبو جعفر بالتخفيف من الإحراق، ﴿ ثم لننسفته ﴾، لنذرينه، ﴿ في اليم ﴾، في البحر، ﴿ نسفاً ﴾، روي أن موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم، لأنه كان قد صار لحماً ودماً (٢)، ثم حرقه بالنار، ثم ذراه في اليم، قرأ ابن محيصن: «لنحرقنه» بفتح النون وضم الراء لنيردنه بالمبرد، ومنه قيل للمبرد المحرق. وقال السدي: أخذ موسى العجل فذبحه ثم حرقه بالمبرد، ثم ذراه في اليم .

﴿ إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً ﴾، وسع علمه كل شيء .
﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق ﴾، من الأمور، ﴿ وقد آتيناك من لدنا ذكراً ﴾، يعني القرآن .

﴿ من أعرض عنه ﴾، أي: عن القرآن، فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه، ﴿ فإنه يحمل يوم القيامة ويزراً ﴾، حملاً ثقيلاً من الإثم .

﴿ خالدين فيه ﴾، مقيمين في عذاب الوزر، ﴿ وساء / له يوم القيامة حملاً ﴾، أي بشس ١٤/أ ما حملوا على أنفسهم من الإثم كفرة بالقرآن .

(١) ذكر الطبري: القولين: ٢٠٦/١٦ - ٢٠٧ وقال: والقول عندي أنهم قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، لأنه لا شك أن الله موف وعده لخلقه بمجرهم لموقف الحساب، وأن الخلق موافون ذلك اليوم، فلا الله مخلفهم ذلك، ولا هم مخلفوه بالتخلف عنه، فبأيتها قرأ القاريء فمصيب الصواب في ذلك .

(٢) انظر: الدر المنثور ٥٩٧/٥، القرطبي: ٢٤٢/١١ - ٢٤٣ .

يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَمَلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾
 يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
 أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾، قرأ أبو عمرو ﴿ تَنْفُخُ ﴾ بالنون وفتحها وضم الفاء لقوله: ﴿ ونحشر ﴾، وقرأ الآخرون بالياء وضمها وفتح الفاء على غير تسمية الفاعل، ﴿ ونحشر المجرمين ﴾، المشركين، ﴿ يومئذٍ زُرْقًا ﴾، والزرقة: هي الخضرة: في سواد العين، فيحشرون زرق العيون سود الوجوه. وقيل: ﴿ زُرْقًا ﴾^(١): أي عمياً. وقيل: عطاشاً.

﴿ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ ﴾، أي يتشاورون بينهم ويتكلمون خفية، ﴿ إِنْ لَبِثْتُمْ ﴾، أي ما مكثتم في الدنيا، ﴿ إِلَّا عَشْرًا ﴾، أي عشر ليال. وقيل: في القبور. وقيل: بين النفختين، وهو أربعون سنة؛ لأن العذاب يرفع عنهم بين النفختين. استقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا^(٢).

قال الله تعالى: ﴿ نحن أعلم بما يقولون ﴾، أي يتسأرون^(٣) بينهم، ﴿ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾، أوفاهم عقلاً وأعد لهم قولاً، ﴿ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾، قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة. وقيل: نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم.

قوله عز وجل: ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾، قال ابن عباس: سأل رجل من ثقيف رسول الله ﷺ فقال: كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فأنزل الله هذه الآية^(٤).

والنسف هو القلع، أي: يقلعها من أصلها ويجعلها هباء منثوراً.

﴿ فيدورها ﴾، أي: فيدع أماكن الجبال من الأرض، ﴿ قَاعًا صَفْصَفًا ﴾، أي: أرضاً ملساء مستوية لا نبات فيها، و« القاع »: ما انبسط من الأرض، و« الصفصف »: الأملس.

(١) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس، أن رجلاً أتاه فقال: رأيت قوله: ﴿ ونحشر المجرمين يومئذٍ زُرْقًا ﴾ وأخرى عمياً؟ قال: إن يوم القيامة فيه حالات: يكونون في حال زُرْقًا وفي حال عمياً. الدر المنثور: ٥٩٨/٥.

وانظر: تفسير الطبري: ٢١٠/١٦.

(٢) ذكر هذه الأقوال صاحب زاد المسير: ٣٢١/٥.

وذكر ابن جرير أنه اللبث في الدنيا، الطبري ٢١١/١٦.

(٣) في « ب » يتشاورون.

(٤) انظر: روح المعاني: ٢٦١/١٦.

نَسْفًا ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٧﴾
يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَعِوَجَ لَهُ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ
إِلَّا هَمْسًا ﴿١٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٩﴾

﴿ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴾، قال مجاهد: انخفاضاً وارتفاعاً .

وقال الحسن: « العِوَجُ »: ما انخفض من الأرض، و« الأمتُ »: ما نشز من الروابي، أي: لا ترى وادياً ولا رابية .

قال قتادة: لا ترى فيها صدعاً ولا أكمة (١) .

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾، أي صوت الداعي الذي يدعوهم إلى موقف القيامة، وهو إسرافيل، وذلك أنه يضع الصور في فيه، ويقول: أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا إلى عرض الرحمن (٢) .

﴿ لا عِوَجَ لَهُ ﴾، أي: لدعائه، وهو من المقلوب، أي: لا عوج لهم عن دعاء الداعي، لا يزيغون عنه يميناً وشمالاً، ولا يقدرّون عليه بل يتبعونه سراعاً .

﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ﴾، أي: سكنت وذلت وخضعت، ووصف الأصوات بالخشوع والمراد أهلها، ﴿ فلا تسمع إلا همساً ﴾، يعني صوت وطء الأقدام إلى المحشر، و« الهمس »: الصوت الخفي كصوت أخفاف الإبل في المشي. وقال مجاهد: هو تخافت الكلام وخفض الصوت .

وروى سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: تحريك الشفاه من غير نطق (٣) .

﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ ﴾، يعني: لا تنفع الشفاعة أحداً من الناس، ﴿ إلا من أذن له الرحمن ﴾،

(١) ساق الطبري الأقوال في معنى ﴿ عوجاً ولا أمتاً ﴾، وقال: (٢١٣/١٦): « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بالعوج: الميل، وذلك أن ذلك هو المعروف من كلام العرب. فإن قال قائل: وهل في الأرض اليوم من عوج؟ فيقال: لا ترى فيها يومئذ عوجاً. قيل: إن معنى ذلك: ليس فيها أودية وموانع تمنع الناظر أو السائر فيها عن الأخذ على الاستقامة كما يحتاج اليوم من الأخذ في بعض سبلها إلى الأخذ يميناً، وأحياناً شمالاً، لما فيها من الجبال والأودية والبحار. وأما الأمت فإنه عند العرب: الانثناء والضعف. مسموع منهم، فالواجب إذا كان ذلك معنى «الأمت» عندهم أن يكون أصوب الأقوال في تأويله: ولا ارتفاع ولا انخفاض.»

(٢) انظر: روح المعاني ٢٦٤/١٦، أضواء البيان: ٥١٦/٤ .

(٣) انظر تفصيلاً في نسبة هذه الأقوال: ابن كثير ١٦٦/٣ - ١٦٧، والطبري: ٢١٤/١٦ - ٢١٥، زاد المسير: ٢٦٤/١٦، والبحر

المحيط: ٢٨٠/٦ .

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ۚ عِلْمًا ۝ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ
لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۝

يعني إلا من أذن له أن يشفع، ﴿ ورضي له قولاً ﴾، يعني: ورضي قوله، قال ابن عباس، يعني: قال لا إله إلا الله^(١)، وهذا يدل على أنه لا يشفع غير المؤمن .

﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾، الكناية راجعة إلى الذين يتبعون الداعي، أي يعلم الله ﴿ ما بين أيديهم ﴾ ما قدموا ﴿ وما خلفهم ﴾ ما خلفوا من أمر الدنيا .

وقيل: ﴿ ما بين أيديهم ﴾ من الآخرة ﴿ وما خلفهم ﴾ من الأعمال .

﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾، قيل: الكناية ترجع إلى « ما » أي: هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، وهم لا يعلمونه. وقيل: الكناية راجعة إلى الله لأن عباده لا يحيطون به علماً .

﴿ وعنت الوجوه للحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾، ذلت^(٢) وخضعت، ومنه قيل للأسير: عان. وقال طلق بن حبيب: هو السجود على الجبهة للحَيِّ الْقَيُّومِ، ﴿ وقد خاب من حَمَلَ ظُلْمًا ﴾، قال ابن عباس: خسر من أشرك بالله، والظلم هو الشرك .

﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمنٌ فَلَا يَخَافُ ﴾، قرأ ابن كثير ﴿ فلا يخف ﴾ مجزوماً على النهي جواباً لقوله تعالى: ﴿ ومن يعمل ﴾، وقرأ الآخرون ﴿ فلا يخاف ﴾ مرفوعاً على الخبر، ﴿ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾، قال ابن عباس: لا يخاف أن يزداد عليه في سيئاته، لا ينقص من حسناته .

وقال الحسن: لا ينقص من ثواب حسناته ولا يحمل عليه ذنب مسيء^(٣) .

وقال الضحاك: لا يؤخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل حسنة عملها^(٤)، وأصل الهضم: النقص والكسر، ومنه هضم الطعام .

(١) انظر: روح المعاني: ٢٦٥/١٦، البحر المحيط: ٢٨٠/٦ .

(٢) زيادة من « ب » .

(٣) ذكر القولين ابن جرير ٢١٨/١٦، وأخرج السيوطي قول ابن عباس عن ابن المنذر وابن أبي حاتم، الدر المنثور: ٦٠١/٥ .

(٤) انظر: زاد المسير: ٣٢٤/٥ .

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ
لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ
قَبْلِ فَنسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾

﴿ وكذلك ﴾، أي كما بينا في هذه السورة، ﴿ أنزلناه ﴾، يعني أنزلنا هذا الكتاب، ﴿ قرآنا
عربيا ﴾ يعني: بلسان العرب، ﴿ وصرّفنا فيه من الوعيد ﴾، أي صرّفنا القول فيه بذكر الوعيد،
﴿ لعلهم يتقون ﴾، أي يجتنبون الشرك، ﴿ أو يُحدِّث لهم ذكرا ﴾، أي يجدد لهم القرآن عبرة
وعظة فيعتبروا ويتعظوا بذكر عقاب الله للأمم الخالية .

﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾، جلّ الله عن إلهاد الملحدين وعمّا يقوله المشركون، ﴿ ولا تعجل
بالقرآن ﴾، أراد النبي ﷺ، كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادر فيقرأ معه، قبل أن يفرغ جبريل
مما يريد من التلاوة، وخافة الانفلات والنسيان، فهاه الله عن ذلك^(١)، وقال: ﴿ ولا تعجل
بالقرآن ﴾ أي لا تعجل بقراءته ﴿ من قبل أن يقضى إليك وحيه ﴾، أي من قبل أن يفرغ جبريل
من الإبلاغ، نظيره قوله تعالى: « لا تحرك به لسانك لتعجل به » (سورة القيامة: ١٦) وقرأ يعقوب:
﴿ نقضي ﴾ بالنون وفتحها وكسر الضاد، وفتح الياء: ﴿ وحيه ﴾ بالنصب .

قال مجاهد وقناة: معناه لا تُقرئه أصحابك، ولا تُملِّه عليهم حتى يتبين لك معانيه^(٢) .

﴿ وقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾، يعني بالقرآن ومعانيه. وقيل: علماً إلى ما علمت .

وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم رب زدني علماً وإيماناً و يقيناً^(٣) .

قول تعالى: ﴿ ولقد عاهدنا إلى آدم من قبل ﴾، يعني: أمرناه وأوحينا إليه أن لا يأكل من
الشجرة من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدك وتركوا الإيمان بي، وهم الذين ذكرهم الله في قوله تعالى:
« لعلهم يتقون »، ﴿ فنسى ﴾ فترك الأمر، والمعنى أنهم نقضوا العهد، فإن آدم أيضاً عاهدنا إليه
فنسى، ﴿ ولم نجد له عزماً ﴾، قال الحسن لم نجد له صبراً عما نُهي عنه. وقال عطية العوفي: حفظاً

(١) انظر: الدر المنثور ٦٠٢/٥، وقاله صاحب أضواء البيان ٥١٩/٤ .

(٢) انظر: زاد المسير ٣٢٦/٥ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور لسعيد بن منصور وعبد بن حميد عن ابن مسعود ٦٠٥/٥ .

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾
فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾

لما أمر به .

وقال ابن قتبية: رأياً معزوماً حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له .
« العزم » في اللغة: هو توطين النفس على الفعل .

قال أبو أمامة الباهلي: لو وزن حلم آدم بحلم جميع ولده لرجح حلمه^(١)، وقد قال الله: « ولم نجد له عزماً » .

فإن قيل: أتقولون إن آدم كان ناسياً لأمر الله حين أكل من الشجرة؟

قيل: يجوز أن يكون نسي أمره، ولم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعاً عن الإنسان، بل كان مؤاخذاً به، وإنما رفع عتاً^(٢) .

وقيل: نسي عقوبة الله وظن أنه نهي تنزيهاً .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾، أن يسجد .

﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾، حواء، ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾،

يعني: تتعب وتنصب، ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك. قال السدي: يعني الحرث والزرع والحصيد والطحن والخيز .

وعن سعيد / بن جبير: قال أهبط إلى آدم ثور أحمر، فكان يحرث عليه، ويمسح العرق عن جبينه، فذلك [شقاؤه^(٣)] .

ولم يقل: « فتشقى » رجوعاً به إلى آدم، لأن تعبه أكثر فإن الرجل^(٤) هو الساعي على زوجته .

(١) ذكر بعض هذه الأقوال الطبري: (٢٢١/١٦ - ٢٢٢) وقال: « وأصل العزم اعتقاد القلب على الشيء يقال منه: عزم فلان على كذا: إذا اعتقد عليه ونواه، ومن اعتقاد القلب: حفظ الشيء، ومنه الصبر على الشيء، لأنه لا يجزع جازع إلا من خور قلبه وضعفه. فإذا كان ذلك كذلك، فلا معنى لذلك أبلغ مما بينه الله تبارك وتعالى، وهو قوله: ﴿ ولم نجد له عزماً ﴾ فيكون تأويله: ولم نجد له عزماً قلب على الوفاء لله بهده، ولا على حفظ ما عهد إليه .

(٢) انظر تفصيلاً لهذا في أضواء البيان ٥٢٠/٤ - ٥٢٢ .

(٣) انظر: زاد المسير ٣٢٨/٥ .

(٤) ساقط من «أ» .

إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾
فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءٌ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا

وقيل: لأجل رؤوس الآي .

﴿ إِنَّ لَكَ أَنْ لَا تَجُوعَ فِيهَا ﴾، أي في الجنة ﴿ وَلَا تَعْرَى ﴾ .

﴿ وَأَنَّكَ ﴾، قرأ نافع وأبو بكر بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون بالفتح نسقاً على قوله: ﴿ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا ﴾ ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ ﴾، لا تعطش، ﴿ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴾، يعني: لا تبرز للشمس فيؤذيك حرها. وقال عكرمة: لا تصيبك الشمس وأذاها^(١)، لأنه ليس في الجنة شمس، وأهلها في ظل ممدود .

﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾، يعني على شجرة إن أكلت منها بقيت مخلداً، ﴿ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾، لا يبيد ولا يفنى .

﴿ فَأَكَلَا ﴾، يعني آدم وحواء عليهما السلام، ﴿ مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءٌ ﴾ وطفقاً يَخْصِفَانِ عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه ﴿، بِأَكْلِ الشَّجَرَةِ ﴾ ﴿ فَغَوَى ﴾، يعني فعل ما لم يكن له فعله. وقيل: أخطأ طريق الجنة^(٢) وضلَّ حيث طلب الخلد بأكل ما نهي عن أكله، فخاب ولم ينل مراده . قال ابن الأعرابي: أي فسد عليه عيشه، وصار من العزُّ إلى الذل، ومن الراحة إلى التعب .

قال ابن قتيبة: يجوز أن يقال عصى آدم، ولا يجوز أن يقال: آدم عاص؛ لأنه إنما يقال عاص لمن اعتاد فعل المعصية، كالرجل يخيظ ثوبه يقال: خاط ثوبه، ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك ويعتاده^(٣) .

حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي، أخبرنا أبو معاذ الشاه بن عبد الرحمن المزني، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري ببغداد، أخبرنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي، أخبرنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، عن طاوس سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: « احتج آدم وموسى: فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال آدم: ياموسى اصطفاك

(١) عزاه السيوطي لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة: ٦٠٥/٥ .

(٢) في ب « الحق » .

(٣) انظر: زاد المسير ٣٢٩/٥ - ٣٣٠، القرطبي: ٢٥٥/١١ - ٢٥٧ .

مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْنَبْهُ رَبُّهُ فَقَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى
 ﴿١٢٢﴾ قَالَ أَهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي
 هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي
 فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾

الله بكلامه وخط لك التوراة بيده، أفتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى ﴿١﴾.

ورواه عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة وزاد: « قال آدم ياموسى بكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً، قال آدم: فهل وجدت فيها: وعصى آدم ربّه فغوى؟ قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى ﴿١﴾ .

﴿ ثم اجباه ربّه ﴾، اختاره واصطفاه، ﴿ فتاب عليه ﴾، بالعمو، ﴿ وهدى ﴾، هداه إلى التوبة حين قال: ربنا ظلمنا أنفسنا .

﴿ قال أهبطاً منها جميعاً بعضكم لبعض عدوٌ، فإمّا يأتيتكم مني هدى فمن أتبع هداي ﴾، يعني الكتاب والرسول، ﴿ فلا يضل ولا يشقى ﴾، روى سعيد بن جبر عن ابن عباس قال: من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله في الدنيا من الضلالة، ووقاه الله يوم القيامة سوء الحساب، وذلك بأن الله يقول: ﴿ فمن أتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ ﴿٢﴾ .

وقال الشعبي عن ابن عباس: أجاز الله تعالى تابع القرآن من أن يضل في الدنيا ويشقى في الآخرة، وقرأ هذه الآية ﴿٣﴾ .

﴿ ومن أعرض عن ذكري ﴾، يعني: القرآن، فلم يؤمن به ولم يتبعه، ﴿ فإن له معيشة

(١) أخرجه البخاري في القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله: ٥٠٥/١١، ومسلم في القدر، باب حجاج آدم موسى عليهما السلام برقم (٢٦٥٢): ٤٠٤٢/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٢٤/١ .

(٢) أخرجه الطبري: ٢٥٥/١٦، وعزاه السيوطي في الدر: (٦٠٧/٥) لابن أبي شيبة والطبراني وأبي نعم في الحلية وابن مردويه عن ابن عباس.

(٣) عزاه السيوطي في الدر: (٦٠٧/٥) للفرهاني وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس .

قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَد كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ كَيْفَ آيَتُنَا فَنَسِينَهَا
وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۗ وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾

ضنكاً ﴿﴾، ضيقاً، روى عن ابن مسعود، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري أنهم قالوا: هو عذاب
القبر. قال أبو سعيد: يضغط حتى تختلف أضلعه (١).

وفي بعض المسانيد مرفوعاً: «يلتئم عليه القبر حتى تختلف أضلعه فلا يزال يعذب حتى يبعث» (٢).

وقال الحسن: هو الزقوم والضريع والغسلين في النار.

وقال عكرمة: هو الحرام. وقال الضحاك: هو الكسب الخبيث.

وعن ابن عباس قال: الشقاء. وروى عنه أنه قال: كل مال أعطى العبد قل أم كثر فلم يتق فيه
فلا خير فيه، وهو الضنك في المعيشة، وإن أقواماً عرضوا عن الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا
مكثرين، فكانت معيشتهم ضنكاً، وذلك أنهم يرون أن الله ليس بمخلف عليهم فاشتدت عليهم
معايشهم من سوء ظنهم بالله.

قال سعيد بن جبیر: يسلبه القناعة حتى لا يشبع (٣).

﴿ ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾، قال ابن عباس: أعمى البصر. وقال مجاهد أعمى عن الحجة.

﴿ قال رب لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ﴾، بالعين أو بصيراً بالحجة.

﴿ قال كذلك ﴾، أي كما ﴿ أمتك آياتنا فنسيتها ﴾، فتركها وأعرضت عنها، ﴿ وكذلك

اليوم ننسى ﴾. تترك في النار. قال قتادة: نُسُوا من الخير ولم يُنْسُوا من العذاب.

﴿ وكذلك ﴾، أي وكما جزينا من أعرض عن القرآن كذلك ﴿ نجزي من أسرف ﴾، أشرك،

(١) أخرجه الطبري: ٢٢٧/١٦ - ٢٢٨، وانظر الدر المنثور ٦٠٧/٥ - ٦٠٩.

(٢) قطعة من حديث أبي هريرة المطول في سؤال الميت في قبره، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ٣٨٣/٣، والطبري: ٢١٥/١٣،
٢٢٧/١٦ - ٢٢٨، وصححه ابن حبان ص (١٩٧ - ١٩٨) من موارد الظمان، والحاكم في المستدرک: ٣٧٩/١، وهناد في
الزهد: ٤٢٠/١ - ٤٢٢، ٤٤٢، ورواه مختصراً: الإمام أحمد في المسند: ٣٦٤/٢. وله متابعات وشواهد، انظرها في التعليق على
الزهد لهناد: ٤٢١/١ - ٤٢٣.

(٣) انظر في هذه الأقوال ونسبتها: الطبري: ٢٢٥/١٦ - ٢٢٨، الدر المنثور: ٦٠٧/٥ - ٦٠٩، زاد المسير: ٣٣٠/٥ - ٣٣٢.

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى
 ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا
 وَمِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾

﴿ ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد ﴾، مما يعذبهم به في الدنيا والقبر، ﴿ وأبقي ﴾،
 وأدوم .

﴿ أفلم يهد لهم ﴾، يبين لهم القرآن، يعني: كفار مكة، ﴿ كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون
 في مساجدكم ﴾، ديارهم ومنازلهم إذا سافروا. والخطاب لقريش كانوا يسافرون إلى الشام فيرون ديار
 المهلكين من أصحاب الحجر وثمود وقريات لوط .

﴿ إن في ذلك لآيات لأولي النهى ﴾، لذوي العقول .

﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى ﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديره:
 ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى، والكلمة الحكم بتأخير العذاب عنهم، أي
 ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان لزاماً، أي لكان العذاب لازماً
 لهم كما لزم القرون الماضية الكافرة .

﴿ فاصبر على ما يقولون ﴾، نسختها آية القتال^(١)، «وسبح بحمد ربك»، أي صل بأمر
 ربك. وقيل: صل لله بالحمد له والثناء عليه، ﴿ قبل طلوع الشمس ﴾، يعني صلاة الصبح،
 ﴿ وقبل غروبها ﴾، صلاة العصر، ﴿ ومن آناء الليل ﴾، ساعاتها واحداً إلى، ﴿ فسبح ﴾، يعني
 صلاة المغرب والعشاء. قال ابن عباس: يريد أول الليل، ﴿ وأطراف النهار ﴾، يعني صلاة الظهر،
 وسمى وقت الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال، وهو طرف النصف الأول انتهاء وطرف
 النصف الآخر ابتداء .

وقيل: المراد من آناء الليل صلاة العشاء، ومن أطراف النهار صلاة الظهر والمغرب، لأن الظهر في

(١) انظر فيما سبق: ٣٢/٣ تعليق (١) .

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ
وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣﴾

آخر الطرف الأول من النهار، وفي أول الطرف الآخر، فهو في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس، وعند ذلك يصلي المغرب .

﴿ لعلك ترضى ﴾، أي ترضى / ثوابه في المعاد، وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم / ١٥ أ / « تَرْضَى » بضم التاء أي تعطى ثوابه. وقيل: ﴿ تَرْضَى ﴾ أي يرضاك الله تعالى، كما قال: « وكان عند ربه مرضياً » (مريم: ٥٥) وقيل: معنى الآية لعلك ترضى بالشفاعة، كما قال: « وسوف يعطيك ربك فترضى » (الضحى: ٥) .

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الخطيب الحميدي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني إمامنا، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله السعدي، أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: « إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا »، ثم قرأ ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾ (١) .

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾، قال أبو رافع: نزل برسول الله ﷺ ضيف فبعثني إلى يهودي فقال لي: « قل له إن رسول الله يقول لك بعني كذا وكذا من الدقيق وأسلفني إلى هلال رجب » فأتيته فقلت له ذلك فقال: والله لا أبيعك ولا أسلفه إلا برهن، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: « والله لئن باعني وأسلفني لقضيتته وإني لأمين في السماء وأمين في الأرض، اذهب بدرعي الحديد إليه » فنزلت هذه الآية: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ (٢)، لا تنظر، ﴿ إلى ما متعنا به ﴾، أعطينا، ﴿ أزواجاً ﴾، أصنافاً، ﴿ منهم زهرة الحياة الدنيا ﴾، أي زينتها وبهجتها، وقرأ يعقوب زهرة بفتح الهاء وقرأ العامة بجزمها، ﴿ لنفتنهم فيه ﴾، أي لنجعل ذلك فتنة لهم بأن أزيد لهم النعمة فيزيدوا كفراً وطغياناً، ﴿ وريزق ربك ﴾، في المعاد، يعني: الجنة، ﴿ خيرٌ وأبقى ﴾، قال أبي بن كعب: من لم يتعزَّ

(١) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر: ٣٣/٢، ومسلم في المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما برقم: (٦٣٣): ٤٣٩/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٢٤/٢ .

(٢) أخرجه إسحاق وابن أبي شيبة وأبو يعلى والبخاري والطبري والطيبراني وفيه موسى بن عبيدة الزبيري وهو متروك، الكافي الشافعي ص (١٠٩) والواحد في أسباب النزول: ص (٣٥٢)، وانظر القرطبي: ٢٦٣/١١ فقد أيد بطلان هذه الرواية .

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ
 لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ؎ أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ
 الْأُولَى ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ

بعزة الله تقطعت نفسه حسرات، ومن يتبع بصره فيما في أيد الناس بطل حزنه، ومن ظن أن نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل علمه وحضر عذابه .

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ ﴾، أي قومك. وقيل: من كان على دينك، كقوله تعالى: « وكان يأمر أهله بالصلاة » (مریم: ٥٥)، ﴿ واصطبر عليها ﴾، أي اصبر على الصلاة، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر .

﴿ لا نسألك رزقاً ﴾، لا نكلفك أن ترزق أحداً من خلقنا، ولا أن ترزق نفسك وإنما نكلفك عملاً ﴿ نحن نرزقك والعاقبة ﴾، الخاتمة الجميلة المحمودة، ﴿ للتقوى ﴾، أي لأهل التقوى. قال ابن عباس: الذين صدقوك واتبعوك واتبعوك واتفقوني .

وفي بعض المسانيد أن النبي ﷺ: « كان إذا أصاب أهله ضرٌّ أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (١) .

قوله تعالى: ﴿ وقالوا ﴾، يعني المشركين، ﴿ لولا يأتينا بآية من ربه ﴾، أي الآية المقترحة فإنه كان قد أتاهم بآيات كثيرة، ﴿ أولم تأتتهم بيينة ﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة وحفص عن عاصم: ﴿ تأتتهم ﴾ لتأنيث البينة، وقرأ الآخرون بالياء لتقدم الفعل، ولأن البينة هي البيان فرداً إلى المعنى، ﴿ بيينة ما في الصحف الأولى ﴾، أي بيان ما فيها، وهو القرآن أقوى دلالة وأوضح آية .

وقيل: أولم يأتهم بيان ما في الصحف الأولى: التوراة، والإنجيل، وغيرها من أنباء الأمم أنهم اقترحوا الآيات، فلما أتتهم ولم يؤمنوا بها، كيف عجلنا لهم العذاب والملاك، فما يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك .

﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله ﴾، من قبل إرسال الرسول وإنزال القرآن، ﴿ لقالوا ربنا

(١) رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات، مجمع الزوائد: ٦٧/٧ .

إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُحْزَى ﴿١١٤﴾ قُلْ كُلُّ
مُتْرِبٍ مِمَّا فَرَّبُوا فَلْيَسْتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١١٥﴾

لولا ﴿﴾، هلا ﴿﴾ أرسلت إلينا رسولا ﴿﴾، يدعوننا، أي: لقالوا يوم القيامة، ﴿﴾ فتتبع آياتك من قبل أن
تذلل ونحزى ﴿﴾، بالعذاب، والذل، والهوان، والحزى، والافتضاح .

﴿﴾ قل كل متربص ﴿﴾، منتظر دوائر الزمان، وذلك أن المشركين قالوا نتربص بمحمد حوادث
الدهر، فإذا مات تخلصنا، قال الله تعالى: ﴿﴾ فتربصوا ﴿﴾، فانتظروا، ﴿﴾ فستعلمون ﴿﴾، إذا جاء أمر
الله وقامت القيامة، ﴿﴾ من أصحاب الصراط السوي ﴿﴾، المستقيم، ﴿﴾ ومن اهتدى ﴿﴾، من الضلالة
نحن أم أنتم؟ .

* * *

سُورَةُ الْاِنْبِيَاءِ

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

مَكِّيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ
مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى

﴿ اقترب للناس ﴾، قيل اللام بمعنى من، أي اقترب من الناس حسابهم، أي وقت محاسبة الله
إياهم على أعمالهم، يعني يوم القيامة، نزلت في منكري البعث، ﴿ وهم في غفلة معرضون ﴾، عن
التأهب له .

﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾، يعني ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن
يذكرهم ويعظهم به .

قال مقاتل: يحدث الله الأمر [بعد الأمر] (١). وقيل: الذكر المحدث ما قاله النبي ﷺ وبينه من
السُّنَنِ والمواعظ سوى ما القرآن، وأضافه إلى الربِّ عزَّ وجلَّ لأنه قال بأمر الرب، ﴿ إلا استمعوه
وهم يلعبون ﴾، أي استمعوه لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون .

﴿ لاهية ﴾، ساهية غافلة، ﴿ قلوبهم ﴾، معرضة عن ذكر الله، وقوله ﴿ لاهية ﴾، نعتٌ تقدَّم
الاسم، ومن حق النعت أن يتبع الاسم في الإعراب، وإذا تقدَّم النعتُ الاسمُ فله حالتان: فصلٌ

(١) زيادة من (ب) .

الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْلَ هَذَا الْبَشَرِ مِثْلَكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٧﴾
 قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨﴾ بَلْ قَالُوا
 أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ أَفْتَرْنَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ
 ﴿٩﴾ مَا آمَنَّا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

ووصل، فحالته في الفصل النصب كقوله تعالى: (خشعاً أبصارهم) (القمر: ٧)، (ودانية عليهم
 ظلالتها) (الإنسان: ١١)، و﴿ لاهية قلوبهم ﴾، وفي الوصل حالة ما قبله من الإعراب كقوله،
 (أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) (النساء: ٧٥)؛ ﴿ وأسروا النجوى الذين ظلموا ﴾، أي
 أشركوا، قوله: ﴿ وأسروا ﴾ فعل تقدم الجمع وكان حقه وأسر، قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير،
 أراد: والذين ظلموا أسروا النجوى .

وقيل: محل «الذين» رفع على الابتداء، معناه: وأسروا النجوى، ثم قال: وهم الذين ظلموا .

وقيل: رفع على البدل من الضمير في أسروا. قال المبرد: هذا كقولك إن الذين في الدار انطلقوا
 بنو عبد الله، على البدل مما في انطلقوا ثم بين سرهم الذي تناجوا به فقال: ﴿ هل هذا إلا بشر
 مثلكم ﴾، أنكروا إرسال البشر وطلبوا إرسال الملائكة .

﴿ أفأتأتون السحر ﴾، أي تحضرون السحر وتقبلونه، ﴿ وأنتم تبصرون ﴾، تعلمون أنه سحر .

﴿ قل ﴾، لهم يا محمد، ﴿ ربي يعلم القول في السماء والأرض ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص:
 « قال ربي »، على الخبر عن محمد ﷺ، ﴿ يعلم القول في السماء والأرض ﴾ أي لا يخفى عليه
 شيء، ﴿ وهو السميع ﴾، لأقوالهم، ﴿ العليم ﴾، بأفعالهم .

﴿ بل قالوا أضغاث أحلام ﴾، أباطيلها [وأقاويلها]^(١) وأهاويلها رأها في النوم، ﴿ بل افتراء ﴾،
 اختلقه، ﴿ بل هو شاعر ﴾، يعني أن المشركين اقتسموا القول / فيه وفيما يقوله، قال بعضهم: أضغاث
 أحلام، وقال بعضهم: بل هو قرية، وقال بعضهم: بل محمد شاعر وما جاءكم به شعر. ﴿ فليأتنا ﴾
 محمد ﴿ بآية ﴾، إن كان صادقاً ﴿ كما أرسل الأولون ﴾، من الرسل بالآيات .

قال الله تعالى مجيئاً لهم: ﴿ ما آمننا قبلهم ﴾، قبل مشركي مكة، ﴿ من قرية ﴾، أي من أهل

(١) زيادة من (ب) .

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا آيَا كُلُّونَ الطَّعَامِ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

قرية أتتهم الآيات، ﴿أهلكناها﴾، أهلكناهم بالكذب، ﴿أفهم يؤمنون﴾؟، إن جاءتهم آية، معناه: أن أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفئو من هؤلاء؟ .

قوله عز وجل: ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم﴾، هذا جواب لقولهم: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ يعني: إنا لم نرسل الملائكة إلى الأولين إنما أرسلنا رجالاً نوحى إليهم، ﴿فاستلوا أهل الذكر﴾، يعني: أهل التوراة والإنجيل، يريد علماء أهل الكتاب، فإنهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشرًا، وإن أنكروا نبوة محمد ﷺ، وأمر المشركين بمسألتهم لأنهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي ﷺ أقرب منهم إلى تصديق من آمن به. وقال ابن زيد: أراد بالذكر القرآن^(١) أراد: فسألوا المؤمنين العاملين من أهل القرآن، ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ .

﴿وما جعلناهم﴾، أي الرسل، ﴿جسدًا﴾، ولم يقل أجسادًا لأنه اسم الجنس، ﴿لا يأكلون طعامًا﴾، هذا ردّ لقولهم (ما لهذا الرسول يأكل الطعام) (الفرقان: ٧)، يقول لم نجعل الرسل ملائكة بل جعلناهم بشرًا يأكلون الطعام، ﴿وما كانوا خالدين﴾، في الدنيا .

﴿ثم صدقناهم الوعد﴾، الذي وعدناهم بإهلاك أعدائهم، ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾، أي أنجيناهم المؤمنين الذين صدقوهم، ﴿وأهلكنا المسرفين﴾، أي المشركين المكذبين، وكلّ مشرك مسرف على نفسه .

﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً﴾، يا معشر قريش، ﴿فيه ذكركم﴾، أي شرفكم، كما قال: (ولأنه لذكر لك ولقومك) (الزخرف: ٤٤)، وهو شرف لمن آمن به .

قال مجاهد: فيه حديثكم. وقال الحسن: فيه ذكركم أي ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم، أنلا تعقلون﴾ .

(١) انظر: الطبري: ٥/١٧ .

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا
 أَحْسَوْا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ
 وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ
 دَعْوَتُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾، أهلكننا، والقَصَم: الكسر، ﴿من قرية كانت ظالمة﴾، أي كافرة، يعني أهلها،
 ﴿وأنشأنا بعدها﴾، أي: أحدثنا بعد هلاك أهلها، ﴿قوماً آخرين﴾.

﴿فلما أحسوا بأسنا﴾، أي [رأوا] ^(١) عذابنا بحاسة البصر، ﴿إذا هم منها يركضون﴾، أي
 يسرعون هارين.

﴿لا تركضوا﴾، أي قيل لهم لا تركضوا لا تهربوا، ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾، أي
 نعيمتم به، ﴿ومساكنكم لعلكم تسألون﴾، قال ابن عباس: عن قتل نبيكم. وقال قتادة: من دنياكم
 شيئاً، نزلت هذه الآية في أهل حصورا، وهي قرية باليمن وكان أهلها العرب، فبعث الله إليهم نبياً
 يدعوهم إلى الله فكذبوه وقتلوه، فسلط الله عليهم بختنصر، حتى قتلهم وسباهم ^(٢)، فلما استمر فيهم
 القتل ندموا وهربوا وانهموا، فقالت الملائكة لهم استهزاء: لا تركضوا وارجعوا إلى مساكنكم
 وأموالكم لعلكم تسألون.

قال قتادة: لعلكم تسألون شيئاً من دنياكم، فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم، فإنكم أهل ثروة
 ونعمة، يقولون ذلك استهزاء بهم، فاتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف، ونادى مناد من جو السماء:
 يا ثارات الأنبياء، فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم.

﴿قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾.

﴿فما زالت تلك دعواهم﴾، أي تلك الكلمة وهي قولهم يا ويلنا، دعاؤهم يدعون بها
 ويرددونها.

﴿حتى جعلناها حصيداً﴾، بالسيوف كما يحصد الزرع، ﴿خامدين﴾ ميتين.

قوله عز وجل: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعين﴾، أي عبثاً وباطلاً.

(١) زيادة من (ب).

(٢) انظر: الطبري: ٩/١٧.

﴿ وَمَا يَنْهَى الْعَبِيبَ ﴾ ١٦ ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ هَوَاً لَأَتَّخِذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾
 ﴿ ١٧ ﴾ - بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ
 ﴿ ١٨ ﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
 وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿ ١٩ ﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿ ٢٠ ﴾

﴿ لو أردنا أن نتخذ هواً ﴾، اختلفوا في اللهو، قال ابن عباس في رواية عطاء: اللهو المرأة، وهو قول الحسن وقتادة، وقال في رواية الكلبي: اللهو الولد، وهو قول السدي، وهو في المرأة أظهر لأن الوطاء يسمى هواً في اللغة، والمرأة محل الوطاء ﴿ لا نتخذناه من لدنا ﴾، أي من عندنا من الحور العين لا من عندكم من أهل الأرض. وقيل: معناه لو كان جائزاً ذلك في صفته لم يتخذه بحيث يظهر لهم ويستتر ذلك حتى لا يطلعوا عليه .

وتأول الآية أن النصارى لما قالوا في المسيح وأمه ما قالوا ردّ الله عليهم بهذا وقال: ﴿ لا نتخذناه من لدنا ﴾ لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده، لا عند غيره ﴿ إن كنا فاعلين ﴾، قال قتادة ومقاتل وابن جريج: ﴿ إن ﴾ للنفي، أي: ما كنا فاعلين. وقيل: ﴿ إن كنا فاعلين ﴾ للشرط أي إن كنا ممن يفعل ذلك لا نتخذناه من لدنا، ولكننا لم نفعله لأنه لا يليق بالربوبية .

﴿ بل ﴾، أي دع ذلك الذي قالوا فإنه كذب وباطل، ﴿ نقذف ﴾، نرمي ونسلط، ﴿ بالحق ﴾، بالإيمان، ﴿ على الباطل ﴾، على الكفر، وقيل: الحق قول الله، أنه لا ولد له، والباطل قولهم اتخذ الله ولداً، ﴿ فيدمغه ﴾، فيهلكه، وأصل الدمغ: شجّ الرأس حتى يبلغ الدماغ، ﴿ فإذا هو زاهق ﴾، ذاهب، والمعنى: أنا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يضمحل ويذهب، ثم أوعدهم على كذبهم فقال: ﴿ ولكم الويل ﴾، يا معشر الكفار، ﴿ مما تصفون ﴾، الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد. وقال مجاهد: مما تكذبون .

﴿ وله من في السموات والأرض ﴾، عبيداً وملكاً، ﴿ ومن عنده ﴾، يعني الملائكة، ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ﴾، لا يأنفون عن عبادته ولا يتعظمون عنها، ﴿ ولا يستحسرون ﴾، لا يعيون، يقال: حسير واستحسر إذا تبع وأعيا. وقال السدي: لا يتعظمون^(١) عن العبادة .

﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾، لا يضعفون ولا يسأمون، قال كعب الأحبار: التسيح

(١) في «ب» لا ينقطعون .

أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ لَفَسَدَتَا
فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ
اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

لهم كالتفسر لبني آدم .

﴿ أم اتخذوا آلهة ﴾ استفهام بمعنى الجحد، أي لم يتخذوا، ﴿ من الأرض ﴾، يعني الأصنام
من الخشب والحجارة، وهما من الأرض، ﴿ هم ينشرون ﴾، يُحيون الأموات، ولا يستحق الإلهية
إلا مَنْ يقدر على الإحياء والإيجاد من العدم والإنعام بأبلغ وجوه النعم .

﴿ لو كان فيهما ﴾، أي في السماء والأرض، ﴿ آلهة إلا الله ﴾، أي غير الله ﴿ لفسدتا ﴾،
لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع من الآلهة لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على
النظام، ثم نزه نفسه فقال: ﴿ فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾، أي عما يصفه به المشركون
من الشريك والولد .

﴿ لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾، ويحكم على خلقه لأنه الرب ﴿ وهم يُسْئَلُونَ ﴾ أي الخلق يسئلون،
عن أفعالهم وأعمالهم^(١) لأنهم عبيد /

أ/١٦

﴿ أم اتخذوا من دونه آلهة ﴾، استفهام إنكار وتوبيخ، ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾، أي حجتكم
على ذلك، ثم قال مستأنفاً، ﴿ هذا ﴾، يعني القرآن. ﴿ ذكر من معي ﴾، فيه خبر من معي على
ديني ومن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية. ﴿ وذكر ﴾،
خبر، ﴿ من قبلي ﴾، من الأمم السالفة ما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة. وعن ابن
عباس في رواية عطاء: ذكر من معي: القرآن، وذكر من قبلي: التوراة والإنجيل، ومعناه: راجعوا
القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها أن الله اتخذ ولداً، ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون
الحق فهم معرضون ﴾ .

(١) في «ب»: وأقوالهم .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾
 وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ
 بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ
 إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ
 دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم نوحى إليه بالنون وكسر الحاء على التعظيم، لقوله ﴿ وما أرسلنا ﴾، وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهول، ﴿ أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾، وحدثون .

قوله عز وجل: ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴾، نزلت في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله، ﴿ سبحانه ﴾، نزه نفسه عما قالوا، ﴿ بل عبادة ﴾، أي هم عباد، يعني الملائكة، ﴿ مكرمون ﴾ .

﴿ لا يسبقونه بالقول ﴾، لا يتقدمونه بالقول ولا يتكلمون إلا بما يأمرهم به، ﴿ وهم بأمره يعملون ﴾، معناه أنهم لا يخالفونه قولاً ولا عملاً .

﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾، أي ما عملوا وما هم عاملون. وقيل: ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾، قال ابن عباس: أي لمن قال لا إله إلا الله، وقال مجاهد: أي لمن رضى عنه^(١)، ﴿ وهم من خشيته مشفقون ﴾، خائفون لا يأمنون مكره .

﴿ ومن يقل منهم إني إله من دونه ﴾، قال قتادة: عنى به إبليس حيث دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعة نفسه، فإن أحداً من الملائكة لم يقل إني إله من دون الله ﴿ فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ﴾، الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعها .

(١) ذكر القولين الطبري: ١٦/١٧ - ١٧ .

أَوْلَمَ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ
الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ

﴿أولم ير الذين كفروا﴾ قرأ ابن كثير ﴿ألم ير﴾ [بغير واو] (١)، وكذلك هو في مصاحفهم، معناه: ألم يعلم الذين كفروا، ﴿أن السموات والأرض كانتا رتقاً﴾ قال ابن عباس رضی الله عنهما وعطاء وقتادة: كانتا شيئاً واحداً ملتزقتين ﴿ففتقناهما﴾، فصلنا بينهما بالهواء، والرتق في اللغة: السد، والفتق: الشق .

قال كعب: خلق الله السموات والأرض بعضها على بعض، ثم خلق ريحاً فوسطها (٢) ففتحتها بها .

قال مجاهد والسدي: كانت السموات مرتقة طبقة واحدة ففتقتها فجعلها سبع سماوات، وكذلك الأرض كانتا مرتقة طبقة واحدة فجعلها سبع أرضين .

قال عكرمة وعطية: كانت السماء رتقاً لا تمطر والأرض رتقاً لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات. وإنما قال: ﴿رتقاً﴾ على التوحيد وهو من نعت السموات والأرض لأنه مصدر وضع موضع الإسم، مثل الزور والصوم ونحوهما .

﴿وجعلنا﴾، [وخلقنا] (٣) ﴿من الماء كل شيء حي﴾، أي: وأحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء حي أي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر، يعني أنه سبب حياة كل شيء والمفسرون يقولون: [يعني] (٤) أن كل شيء حي فهو مخلوق من الماء. كقوله تعالى: (والله خلق كل دابة من ماء) (النور: ٤٥)، قال أبو العالية: يعني النطفة، فإن قيل: قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء؟ قيل: هذا على وجه التكثير، يعني أن أكثر الأحياء في الأرض مخلوقة من الماء أو بقاؤه بالماء، ﴿أفلا يؤمنون﴾ .

﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾، جبلاً ثوابت، ﴿أن تميد بهم﴾، [يعني كي لا تميد بهم] (٥)، ﴿وجعلنا فيها﴾، في الرواسي: ﴿فجاجاً﴾، طرقاً ومسالك، والفتح: الطريق الواسع

(١) زيادة من «ب» .

(٢) في «ب» بوسطها .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) زيادة من «ب» .

(٥) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا
وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي
فَلَكَ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

بين الجبلين، أي جعلنا بين الجبال طرقاً حتى يهتدوا إلى مقاصدهم، ﴿سُبُلًا﴾، تفسير للفيجاج،
﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ .

﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾، من أن تسقط، دليله قوله تعالى: (ويمسك السماء أن تقع
على الأرض إلا بإذنه) (الحج: ٦٥)، وقيل: محفوظاً من الشياطين بالشهب، دليله قوله تعالى:
(وحفظناها من كل شيطان رجيم) (الحجر: ١٧)، ﴿وهم﴾، يعني الكفار، ﴿عن آياتها﴾،
ما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وغيرها، ﴿معروضون﴾، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون
بها .

﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾، يجرون ويسيرون
بسرعة كالسباح في الماء، وإنما قال: ﴿يسبحون﴾، ولم يقل يسبح على ما يقال لما لا يعقل، لأنه
ذكر عنها فعل العقلاء من الجري والسبح، فذكر على ما يعقل .

والفلك: مدار النجوم الذي يضمها، والفلك في كلام العرب: كل شيء مستدير، وجمعه أفلاك،
ومنه فلك المغزل .

وقال الحسن: الفلك طاحونة كهيفة فلكة المغزل: يريد أن الذي يجري فيه النجوم مستدير
كاستدارة الطاحونة .

وقال بعضهم: الفلك السماء الذي فيه ذلك الكوكب، فكل كوكب يجري في السماء الذي
قدر فيه، وهو معنى قول قتادة .

وقال الكلبي^(١): الفلك استدارة السماء .

وقال آخرون: الفلك موج مكفوف دون السماء يجري فيه الشمس والقمر والنجوم^(٢) .

(١) في «ب» الضحاك .

(٢) ذكر بعض هذه الأقوال وغيرها الطبري: ٢٣/١٧، ثم قال:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: كما قال الله عز وجل (كل في فلك يسبحون) وجائز أن يكون ذلك الفلك =

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ
 الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُمْ بِالْأَشْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَارَأَكَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ
 بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي

قوله عز وجل: ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾، دوام البقاء في الدنيا، ﴿ أفان مت فهم الخالدون ﴾، أي أفهم الخالدون إن مت؟ نزلت هذه الآية حين قالوا لترص بمحمد ريب المنون (١).

﴿ كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم ﴾، نختبركم ﴿ بالشر والخير ﴾، بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، وقيل: بما تحبون وما تكرهون، ﴿ فتنة ﴾، ابتلاءً لننظر كيف شكرتم فيما تحبون، وصبركم فيما تكرهون، ﴿ وإلينا ترجعون ﴾.

﴿ وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك ﴾، [ما يتخذونك] (٢)، ﴿ إلا هزوا ﴾، [سخرياً] (٣)، قال السدي: نزلت في أبي جهل مر به النبي ﷺ فضحك، وقال: هذا نبي بني عبد مناف (٣)، ﴿ أهذا الدين ﴾، أي يقول بعضهم لبعض أهذا الذي، ﴿ يذكر آهتكم ﴾، أي يعيبها، يقال: فلان يذكر فلاناً أي يعيبه، وفلان يذكر الله أي يُعظّمه ويُجلّه، ﴿ وهم بذكر الرحمن هم كافرون ﴾، وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا مسيلمته، ﴿ وهم ﴾ الثانية صلة.

قوله عز وجل: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾، اختلفوا فيه، فقال قوم: معناه أن بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع، كما قال: (وكان الإنسان عجولاً) (الإسراء: ١١).

١٦/ب

= كما قال مجاهد كحديدة الرحي، وكما ذكر عن الحسن كطاحونة الرحي، وجائز أن يكون موجاً مكفوفاً، وأن يكون قطب السماء، وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر، فجمعه أفلاك، وقد ذكرت قول الراجز:

بأث ثناجي الفلك الدوارا

وإن كان كل ما دار في كلامها، ولم يكن في كتاب الله، ولا في خير عن رسول الله ﷺ، ولا عن يقطع بقوله العذر، دليل يدل على أي ذلك هو من أي كان الواجب أن تقول فيه ما قاله، ونسكت عما لا علم لنا به. فإذا كان الصواب في ذلك من القول عندنا ما ذكرنا، فتأويل الكلام: والشمس والقمر، كل ذلك في دائر يسبحون.

(١) ذكره صاحب زاد المسير: ٣٥٠/٥.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٣٠/٥ لابن أبي حاتم.

فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٢٩﴾

قال سعيد بن جبير والسدي: لما دخلت الروح في رأس آدم وعينه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخلت جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عجلًا إلى ثمار الجنة، فوقع فقيل: «خلق الإنسان من عجل»، والمراد بالإنسان آدم وأورث أولاده العجلة، والعرب تقول للذي يكثُر في الشيء: خلقت منه، كما تقول العرب: خلقت في لعب، وخلقت في غضب، يراد المبالغة في وصفه بذلك، يدل على هذا قوله تعالى: «وكان الإنسان عجولاً».

وقال قوم: معناه خُلق الإنسان يعني آدم من تعجيل في خلق الله إياه، لأن خلقه كان بعد [خلق] (١) كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة، فأسرع في خلقه قبل مغيب الشمس. قال مجاهد: فلما أحيا الروح رأسه قال يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس. وقيل: بسرعة وتعجيل على غير ترتيب خلق سائر الآدميين من النطفة والعلقة والمضغة وغيرها (٢). وقال قوم: من عَجَلٍ، أي: من طين، قال الشاعر:

والتَّبَعُ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ مُنْبَتَةٌ وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ (٣)

﴿سَأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾، [نزل هذا في المشركين] (٤) كانوا يستعجلون العذاب ويقولون: أمطر علينا حجارة من السماء، وقيل: نزلت في النضر بن الحارث (٥)، فقال تعالى: ﴿سَأريكم آياتي﴾ أي مواعيدي فلا تستعجلون، أي فلا تطلبوا العذاب من قبل وقته، فأراهم يوم بدر، وقيل: كانوا يستعجلون القيامة.

﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾، فقال تعالى: ﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون﴾، لا يدفعون ﴿عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم﴾، قيل: ولا عن ظهورهم الشياطين،

(١) زيادة من «ب».

(٢) أورد هذه الأقوال الطبري: ٢٦/١٧ - ٢٧ ثم قال: والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا الذين ذكرناه عن قال معناه: خُلق الإنسان من عجل في خلقه: أي على عجل وسرعة في ذلك، وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه بُودر بخلق مغيب الشمس في آخر ساعة من نهار يوم الجمعة، وفي ذلك الوقت نفخ فيه الروح.

وإنما قلنا أولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب، للدلالة قوله تعالى: (سَأريكم آياتي فلا تستعجلون) على ذلك. وأن أبا كريب حدثنا قال: حدثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجمعة لساعة يقللها، قال: لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا آتاه الله إياه» فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أي ساعة هي، هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة، قال الله: (خلق الإنسان من عَجَلٍ سَأريكم آياتي فلا تستعجلون).

(٣) البيت لبعض الجُمُوريين، والعَجَلُ بلغتهم: الطين.

(٤) في «ب»: (هذا في جواب قول المشركين).

(٥) ذكر القول صاحب زاد المسير: ٣٥١/٥.

بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾
 وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِك فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
 ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ
 مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
 أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ وءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ
 عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾

﴿ ولا هم يُنصرون ﴾، يُمنعون من العذاب، وجواب لو في قوله: ﴿ لو يعلم الذين ﴾ محذوف
 معناه: ولو علموا لَمَا أقاموا على كفرهم، ولَمَا استعجلوا، ولا قالوا: متى هذا الوعد؟ .

﴿ بل تأتيتهم ﴾، يعني الساعة ﴿ بغتة ﴾، فجأة، ﴿ فتبتهتهم ﴾، أي تُحيرهم، يقال: فلان مبهوت
 أي متحير، ﴿ فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ﴾، يهلون .

﴿ ولقد استهزيتهم برسول من قبلك فحاق ﴾، نزل، ﴿ بالذين سخروا منهم ما كانوا به
 يستهزؤون ﴾، أي جزاء استهزائهم .

﴿ قل من يكلؤكم ﴾، يحفظكم، ﴿ بالليل والنهار من الرحمن ﴾، إن أنزل بكم عذابه، وقال
 ابن عباس: من يمنعكم من عذاب الرحمن، ﴿ بل هم عن ذكر ربهم ﴾، عن القرآن ومواعظ الله،
 ﴿ معرضون ﴾ .

﴿ أم لهم ﴾، أم: صلة فيه، وفي أمثاله ﴿ آلهة تمنعهم من دوننا ﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديره:
 أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم، ثم وصف الآلهة بالضعف، فقال تعالى: ﴿ لا يستطيعون نصر
 أنفسهم ﴾، منع أنفسهم، فكيف ينصرون عابديهم، ﴿ ولا هم منا يُصحبون ﴾، قال ابن عباس:
 يمنعون. وقال عطية: عنه يُجارون، تقول العرب: أنا لك جار وصاحب من فلان، أي مُجبر منه.
 وقال مجاهد: ينصرون. وقال قتادة: ولا يصحبون من الله بخير .

﴿ بل منعنا هؤلاء ﴾، الكفار، ﴿ وآباءهم ﴾، في الدنيا أي أهلناهم. وقيل: أعطيناهم النعمة،
 ﴿ حتى طال عليهم العُمر ﴾، أي امتد بهم الزمان فاغثروا .

﴿ أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ﴾، يعني ما نقص من أطراف المشركين ونزيد

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِنْ
مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ
الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ

في أطراف المؤمنين، يريد ظهور النبي ﷺ وفتح ديار الشرك أرضاً فأرضاً، ﴿ أفهم الغالبون ﴾،
أم نحن .

﴿ قل إنما أُنذِرُكُمْ بالوحي ﴾، أي أخوفكم بالقرآن، ﴿ ولا يسمع الصم الدعاء ﴾، قرأ ابن
عامر بالتاء وضمها وكسر الميم، « الصم » نصب، جعل الخطاب للنبي ﷺ، وقرأ الآخرون بالياء
وفتحها وفتح الميم، « الصم » رفع، ﴿ إذا ما يُنذرون ﴾، يُخوفون .

﴿ ولئن مستهم ﴾، أصابهم ﴿ نفحة ﴾، قال ابن عباس رضى الله عنهما طرّف. وقيل: قليل.
قال ابن جرير: نصيب، من قولهم نفح فلان لفلان من ماله أي أعطاه حظاً منه. وقيل: ضربة من
قولهم نفحت الدابة برجلها أي ضربت، ﴿ من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين ﴾،
أي بإهلاكنا. إنا كنا مشركين، دعوا على أنفسهم بالويل بعدما أقرؤا بالشرك .

﴿ ونضع الموازين القسط ﴾، أي ذوات القسط، والقسط: العدل، ﴿ ليوم القيامة فلا تظلم
نفس شيئاً ﴾، لا ينقص من ثواب حسناته ولا يزداد على سيئاته، وفي الأخبار: إن الميزان له لسان
وكفتان^(١) .

روى أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب،
فغشي عليه، ثم أفاق فقال: يا إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات؟ فقال: يا داود إني [إذا]^(٢)
رضيت على عبدي ملأتها بتمر^(٣) .

﴿ وإن كان مثقال حبة من خردل ﴾، قرأ أهل المدينة ﴿ مثقال ﴾ برفع اللام هاهنا وفي سورة

(١) أخرج اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١١٧٣/٦ عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: ذكر الميزان عند الحسن
قال: له لسان وكفتان .

ويدل على ذلك أحاديث كثيرة: وانظر: شرح الطحاوية صفحة: (٤٨٠ - ٤٨٤)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني: ١٨٤/٢

- ١٨٦ -

(٢) ساقط من (أ) .

(٣) ذكره القرطبي في التذكرة، انظر: لوامع الأنوار البهية: ١٨٤/٢ .

مَنْ خَرَدَلٍ أَيْتِنَابِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ
 الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ
 السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ
 آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾

لقمان، أي وإن وقع مثقال حبة، ونصبها الآخرون على معنى: وإن كان ذلك الشيء مثقال حبة
 أي زنة حبة من خردل، ﴿أتينا بها﴾ أحضرناها لنجازي بها .

﴿وكفى بنا حاسبين﴾، قال السدي: مُحْصِينَ، وَالْحَسْبُ معناه: العَدَّة، وقال ابن عباس رضي
 الله عنهما: عالِمِينَ حَافِظِينَ، لَأَنَّ مِنْ حَسْبٍ شَيْئاً عِلْمُهُ وَحِفْظُهُ .

قوله عز وجل: ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾، يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل،
 وهو التوراة. وقال ابن زيد: الفرقان النصر على الأعداء، كما قال الله تعالى: (وما أنزلنا على عبدنا
 يوم الفرقان ﴿ الأنفال: ٤١)، يعني يوم بدر، لأنه قال ﴿وضياء﴾، أدخل الواو فيه أي آتينا
 موسى النصر والضياء وهو التوراة .

ومن قال: المراد بالفرقان التوراة، قال: الواو في قوله: ﴿وضياء﴾، زائدة مقحمة، معناه: آتيناه
 التوراة ضياء، وقيل: هو صفة أخرى للتوراة، ﴿وذكراً﴾، تذكيراً، ﴿للمتقين﴾ .

﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾، أي يخافونه ولم يروه، ﴿وهم من الساعة مشفقون﴾،
 خائفون .

﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾، يعني القرآن وهو ذكر لمن يذكر به، مبارك يتبرك به ويطلب منه
 الخير، ﴿أفأنتم﴾، يا أهل مكة، ﴿له منكرون﴾، جاحدون^(١)، وهذا استفهام توبيخ وتعيير .

قوله عز وجل: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رُشده﴾، قال القرطبي: أي صلاحة، ﴿من قبل﴾، أي
 من قبل موسى وهارون، وقال المفسرون: رُشده، أي هداه / من قبل أي من قبل البلوغ، وهو
 حين خرج من السرب وهو صغير، يريد هديناه صغيراً كما قال تعالى ليحيى عليه السلام: (وآتيناه
 الحكم صبياً ﴿ مريم: ١٢)، ﴿وكنّا به عالِمِينَ﴾، أنه أهل للهداية والنبوة .

أ/١٧

(١) ساقط من (ب) .

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلَ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

﴿ إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل ﴾، أي الصور، يعني الأصنام ﴿ التي أنتم لها عاكفون ﴾، أي على عبادتها مقيمون .

﴿ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾، فاعتدنا بهم .

﴿ قال ﴾ إبراهيم، ﴿ لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴾، خطأ بين عبادتكم إياها .

﴿ قالوا أجيئنا بالحق أم أنت من اللاعبين ﴾، يعنون أجاذ أنت فيما تقول أم [أنت من اللاعبين؟]^(١) .

﴿ قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن ﴾، خلقهن، ﴿ وأنا على ذلكم من الشاهدين ﴾، أي على أنه الإله الذي لا يستحق العبادة غيره. وقيل: من الشاهدين على أنه خالق السموات والأرض .

﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم ﴾، لأمكرن بها، ﴿ بعد أن تولوا مدبرين ﴾، أي بعد أن تدبروا منطلقين إلى عيدكم .

قال مجاهد وقادة: إنما قال إبراهيم هذا سراً من قومه ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد فأفشاه عليه، وقال: إنا سمعنا فتى يذكرهم يُقال له إبراهيم .

قال السدي: كان لهم في كل سنة مجمع وعيد وكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها، ثم عادوا إلى منازلهم، فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم له: يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا، فخرج معهم إبراهيم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه، وقال إني

(١) في (ب) لاعب .

فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كِبْرَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا
بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ وَابِرْهِيمَ ﴿٦٠﴾
قَالُوا فَاتُوبُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾

سقيم، يقول أشتكى رجلي فلما مضوا نادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس، ﴿ وتالله لأكيدن
أصنامكم ﴾ فسمعوها منه، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة وهنّ في بهو عظيم مستقبل باب البهو
صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه، والأصنام بعضها إلى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه إلى باب
البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاماً فوضعه بين يدي الآلهة، وقالوا: إذا رجعنا وقد برّكت الآلهة في
طعامنا أكلنا، فلما نظر إليهم إبراهيم وإلى ما بين أيديهم من الطعام، قال لهم: على طريق الاستهزاء
ألا تأكلون؟، فلما لم تجبه قال: ما لكم لا تنطقون؟. فراغ عليهم ضرباً باليمين، وجعل يكسرهن
في يده حتى إذا لم يبق إلا الصنم الأكبر علق الفأس في عنقه ثم خرج^(١)، فذلك قوله عز وجل .

﴿ فجعلهم جُوداً ﴾، قرأ الكسائي ﴿ جذاذاً ﴾ بكسر الجيم أي كسراً وقطعاً جمع جنيد، وهو
الهشيم مثل خفيف وخفاف، وقرأ الآخرون بضمه، مثل الحطام والرفات، ﴿ إلا كبيراً لهم ﴾، فإنه
لم يكسره ووضع الفأس على عنقه، وقيل ربطه بيده وكانت اثنين وسبعين صنماً بعضها من ذهب
وبعضها من فضة وبعضها من حديد ورساوص وشبّة وخشب وحجر، وكان الصنم الكبير من الذهب
مكلاً بالجواهر في عينيه ياقوتان تتقدان. قوله تعالى: ﴿ لعلهم إليه يرجعون ﴾، قيل: معناه لعلهم
يرجعون إلى دينه وإلى ما يدعوهم إليه إذا علموا ضعف الآلهة وعجزها، وقيل: لعلهم إليه يرجعون
فيسألونه، فلما رجع القوم من عيدهم إلى بيت آلهتهم ورأوا أصنامهم جُوداً .

﴿ قالوا من فعل هذا بالهتنا إنه لمن الظالمين ﴾، أي من المجرمين .

﴿ قالوا ﴾ يعني الذين سمعوا قول إبراهيم: (وتالله لأكيدن أصنامكم ﴾، ﴿ سمعنا فتى
يذكرهم ﴾، يعيهم ويسبهم، ﴿ يقال له إبراهيم ﴾، هو الذي نظن صنع هذا، فبلغ ذلك نمرد
الجبار وأشرف قومه .

﴿ قالوا فاتوا به على أعين الناس ﴾، قال نمرد: يقول جيئوا به ظاهراً برأى من الناس، ﴿ لعلهم
يشهدون ﴾، عليه أنه الذي فعله، كرهوا أن يأخذوه بغير بينة، قال الحسن وقتادة والسدي، وقال

(١) أخرجه الطبري: ٣٨/١٧، وانظر الدر المنثور: ٦٣٦/٥ - ٦٣٧ .

قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا إِلَهَ تِبْرَاهِيمَ ﴿٦٦﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا
فَسئَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٧﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ

محمد ابن إسحاق ﴿لعلهم يشهدون﴾ أي يحضرون عقابه وما يصنع به فلما أتوا به، ﴿قالوا﴾،
له ﴿أنت فعلت هذا بأهتنا يا إبراهيم﴾؟ .

﴿قال﴾، إبراهيم، ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾، غضب من أن تعبدوا معه هذه الصغار وهو
أكبر منها فكسرهن، وأراد بذلك إبراهيم إقامة الحجة عليهم، فذلك قوله: ﴿فسئلوهم إن كانوا
ينطقون﴾، حتى يخبروا من فعل ذلك بهم .

قال القتيبي: معناه بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون على سبيل الشرط، فجعل النطق شرطاً للفعل،
أي إن قدروا على النطق قدروا على الفعل، فأراهم عجزهم عن النطق، وفي [ضمنه] (١) أنا
فعلت، .

وروي عن الكسائي أنه كان يقف عند قوله ﴿بل فعله﴾ ويقول: معناه [فعله] (٢) من فعله،
والأول أصح لما روي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات،
اثنتان منهن في ذات الله، قوله: (إني سقيم) (الصفات: ٨٩)، وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم﴾،
وقوله لسارة (هذه أختي) (٣). وقيل في قوله: ﴿إني سقيم﴾ أي سأسقم، وقيل: سقم القلب
أي مغتم بضلالتك، وقوله لسارة: هذه أختي أي في الدين، وهذه التأويلات لنفي الكذب عن
إبراهيم، والأولى هو الأول للحديث فيه، ويجوز أن يكون الله عز وجل أذن له في ذلك لقصد
الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم، كما أذن ليوسف حتى (٤) أمر مناديه فقال لإخوته: (أيتها
العير إنكم لسارقون) (يوسف: ٧٠). ولم يكونوا سرقوا .

﴿فرجعوا إلى أنفسهم﴾، أي تفكروا بقلوبهم، ورجعوا إلى عقولهم، ﴿فقالوا﴾، ما نراه
إلى كما قال: ﴿إنكم أنتم الظالمون﴾، يعني بعبادتكم من لا يتكلم. وقيل: أنتم الظالمون هذا الرجل
في سؤالكم إياه وهذه آهتكم حاضرة فاسئلوها .

(١) في «ب» ضميره .

(٢) زيادة من «ب» .

(٣) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وانخذ الله إبراهيم خليلاً) ٦/٣٨٨، ومسلم في الفضائل، باب من فضائل
إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، برقم (٢٣٧١) ٤/١٨٤ .

(٤) في «ب» حين .

الظالمون ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾
 قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ
 لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا
 آلَ الْهَتَكُم إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾

﴿ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾، قال أهل التفسير: أجرى الله الحق على لسانهم في القول الأول، ثم أدركتهم الشقاوة، فهو معنى قوله: ﴿ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ أي ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم، يقال نكس المريض إذا رجع إلى حاله الأول، وقالوا: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾، فكيف نسألهم؟ فلما اتجهت الحجة لإبراهيم عليه السلام، ﴿ قَالَ ﴾، لهم، ﴿ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا ﴾، إن عبدتموه، ﴿ وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾، إن تركتم عبادته .
 ﴿ أَفِ لَكُمْ ﴾ أي تباً وقذراً لكم، ﴿ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾، أي أليس لكم عقل تعرفون هذا، فلما لزمتمهم الحجة وعجزوا عن الجواب .

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا / آلَهُتَكُم إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾، أي: إن كنتم ناصرين لها.

ب/١٧

قال ابن عمر رضی الله عنهما: إن الذي قال هذا رجل من الأكراد^(١). وقيل: اسمه «هيزن» فحسب الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة^(٢).

وقيل: قاله نمروذ، فلما أجمع نمروذ وقومه على إحراق إبراهيم عليه السلام، حبسوه في بيت، وبنوا له بنياناً كالحظيرة^(٣).

وقيل: بنوا أتوناً بقرية يقال لها «كوثى»^(٤) ثم جمعوا له صلاب الحطب من أصناف الخشب مدة حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عافاني الله لأجمعن حطباً لإبراهيم، وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب لئن أصابته لتحطبني في نار إبراهيم، وكان الرجل يُوصي بشراء الحطب وإلقائه فيه، وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها، فتلقيه فيه احتساباً^(٥) في دينها .

(١) أخرجه الطبري: ٤٣/١٧، وانظر: الدر المنثور: ٦٣٩/٥ .

(٢) أخرجه الطبري: ٤٣/١٧، وانظر تفسير ابن كثير: ١٨٥/٣ .

(٣) أخرجه الطبري: ٤٣/١٧، وانظر: البحر المحيط: ٣٢٨/٦ .

(٤) بضم أوله، وبالثاء المثناة، وهي بالعراق، ولد فيها إبراهيم عليه السلام .

(٥) انظر الطبري: ٤٤/١٧، الدر المنثور: ٦٤١/٥ .

قال ابن إسحاق كانوا يجمعون الحطب شهراً فلما جمعوا ما أرادوا أشعلوا في كل ناحية من الحطب فاشتعلت النار واشتدت حتى أن كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها، فأوقدوا عليها سبعة أيام .

روي أنهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها فجاء إبليس فعلمهم عمل المنجنيق فعملوا، ثم عمدوا إلى إبراهيم فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم وضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً^(١)، فصاحت السماء والأرض ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة، أي ربنا إبراهيم خليلك يُلقى في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فأذن لنا في نصرته، فقال الله عز وجل: إنه خليلي ليس لي خليل غيره، وأنا إلهه وليس له إله غيري، فإن استغاث بشيء منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك، وإن لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه، فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن المياه فقال: إن أردت أحدث النار^(٢)، وأتاه خازن الرياح فقال: إن شئت طيرت النار في الهواء، فقال إبراهيم: لا حاجة لي إليكم حسبي الله ونعم الوكيل^(٣) .

وروي عن أبي بن كعب أن إبراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك^(٤)، ثم رموا به في المنجنيق إلى النار، واستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم لك حاجة؟ فقال أما إليك فلا^(٥)، قال جبريل: فاسأل ربك، فقال إبراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي^(٦) .

قال كعب الأحبار: جعل كل شيء يطفئ عنه النار إلا الوزغ فإنه كان ينفخ في النار^(٧) .
أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبيد الله بن موسى وابن سلام عنه أخبرنا ابن جريج عن عبد الحميد بن جبيرة عن سعيد بن المسيب عن أم شريك أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ، وقال: كان

(١) انظر البحر المحيط: ٣٢٨/٦ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٤٠/٥ للإمام أحمد في الزهد ولعبد ابن حميد .

(٣) انظر البحر المحيط: ٣٢٨/٦ وقد عزاه لابن عباس، والدر المنثور: ٦٤١/٥، وعند البخاري: ٢٢٩/٨ بلفظ: (كان آخر

قول إبراهيم حين ألقى في النار: حسبي الله ونعم الوكيل) .

(٤) أخرجه الطبري: ٤٥/١٧ .

(٥) أخرجه الطبري: ٤٥/١٧، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٨٥/٣ .

(٦) ذكره ابن عراق في: «تنزيه الشريعة» ٢٥٠/١ بلفظ: (علمه بحالي يعني عن سؤالي) حكاية عن الخليل عليه السلام، وقال:

قال ابن تيمية: موضوع .

(٧) انظر القرطبي: ٣٠٤/١١ .

قُلْنَا يَا كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾

عن أم شريك أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ، وقال كان: «ينفخ النار على إبراهيم»^(١). قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، قال ابن عباس: لو لم يقل سلاماً لمات إبراهيم من بردها، ومن المعروف في الآثار أنه لم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفت، فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم، ولو لم يقل وسلاماً على إبراهيم بقيت ذات برد أبداً^(٢). قال السدي: فأخذت الملائكة بضبعي إبراهيم فأقعده على الأرض، فإذا عين ماء عذب وورد أحمر وورجس^(٣). قال كعب: ما أحرقت النار في إبراهيم إلا وثاقه^(٤)، قالوا: وكان إبراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام^(٥). قال المنهال بن عمرو: قال إبراهيم ما كنت أياماً قط أنعم مني من الأيام التي كنت فيها في النار^(٦).

قال ابن يسار: وبعث الله عز وجل ملك الظل في صورة إبراهيم فقعده فيها إلى جنب إبراهيم يؤنسه، قالوا وبعث الله جبريل بمقيص من حرير الجنة وطفنسة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه^(٧)، وقال جبريل: يا إبراهيم إن ربك يقول: أما علمت أن النار لا تضر أحبائي. ثم نظر نمرود وأشرف على إبراهيم من صرح له فرآه جالساً في روضة والملك قاعد إلى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب، فناداه: يا إبراهيم كبير إهلك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين ما أرى، يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم، قال: هل تخشى إن أقمت فيها أن تضرك؟ قال: لا، قال: فقم فاخرج منها، فقام إبراهيم يمشي فيها حتى خرج منها، فلما خرج إليه قال له: يا إبراهيم من الرجل الذي رأيته معك في صورتك قاعداً إلى جنبك؟ قال: ذلك ملك الظل أرسله

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء باب قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) ٣٨٩/٦، ومسلم في باب السلام، باب استحباب قتل الوزغ، برقم (٢٢٣٧) ١٧٥٧/٤ .
(٢) ذكر هذه الأقوال صاحب أضواء البيان: ٥٨٩/٤ .
(٣) انظر: زاد المسير: ٣٦٧/٥ .
(٤) أخرجه الطبري: ٤٤/١٧ .
(٥) انظر: زاد المسير: ٣٦٧/٥، القرطبي: ٣٠٤/١١ .
(٦) أخرجه الطبري: ٤٤/١٧ وابن كثير في التفسير: ١٨٥/٤ .
(٧) انظر زاد المسير: ٣٦٧/٥ .

وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾

إلّٰي ربّي ليؤنسني فيها، فقال نمروود: يا إبراهيم إني مقرب إلى إلهك قرباناً لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين آييت إلا عبادته وتوحيده إني ذابح له أربعة آلاف بقرة، فقال له إبراهيم: إذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه إلى ديني، فقال: لا أستطيع ترك ملكي. ولكن سوف أذبحها له فذبحها له نمروود ثم كف عن إبراهيم، ومنعه الله منه^(١). قال شعيب الجبائي: ألقي إبراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة^(٢).

قوله عز وجل: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾، قيل: معناه أنهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم.

وقيل: معناه إن الله عزّ وجلّ أرسل على نمروود وعلى قومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم، ودخلت واحدة في دماغه فأهلكته.

قوله عز وجل: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾، من نمروود وقومه من أرض العراق، ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾، يعني الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار، ومنها بعث أكثر الأنبياء. وقال أبي بن كعب: سماها مباركة لأنه ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي هي بيت المقدس.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة، أن عمر بن الخطاب قال لكعب: ألا تتحول إلى المدينة فيها مهاجرٌ رسول الله ﷺ وقبره، فقال كعب: إني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين أن الشام كنزُ الله من أرضه، وبها كنزه من عباده^(٣).

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز، أخبرنا محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق الديري، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة، عن شهر بن حوشب عن عبد / الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ

(١) ذكره صاحب زاد المسير: ٣٦٧/٥ - ٣٦٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٥/١٧.

(٣) عزاه المتقي في كنز العمال: ١٤٣/١٤ لابن عساكر.

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ

يقول: «إنها ستكون هجرة بعد هجرة، فخير الناس إلى مهاجر إبراهيم»^(١).

وقال محمد بن إسحاق: استجاب لإبراهيم رجال قومه حين رأوا ما صنع الله به من جعل النار عليه برداً وسلاماً على خوف من نمروذ وملتهم وآمن به لوط، وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ، وهاران هو أخو إبراهيم وكان لهما أخ ثالث يقال له ناخور بن تارخ، وآمنت به أيضاً سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الأكبر، عم إبراهيم فخرج من كوثى من أرض العراق مهاجراً إلى ربه، ومعه لوط وسارة، كما قال الله تعالى: (فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي) (العنكبوت: ٢٦)، فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه، حتى نزل حرّان فمكث بها ما شاء الله، ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر، ثم خرج من مصر إلى الشام، فنزل السبع^(٢) من أرض فلسطين، وهي برية الشام، ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة، وأقرب، فبعثه الله نبياً فذلك قوله تعالى: ﴿وَنَجِّنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة﴾، قال مجاهد وعطاط: معنى النافلة العطية وهما جميعاً من عطاء الله نافلة يعني عطاء، قال الحسن والضحاك: فضلاً. وعن ابن عباس وأبي بن كعب وأبي زيد وقتادة رضي الله عنهم: النافلة هو يعقوب لأن الله عز وجل أعطاه إسحاق بدعائه حيث قال: (هب لي من الصالحين) (الصفوات: ١٠٠)، وزاد يعقوب [ولد الولد]^(٤)، والنافلة الزيادة، ﴿وكلاً جعلنا صالحين﴾، يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

﴿وجعلناهم أئمة﴾، يُقتدى بهم في الخير، ﴿يهدون بأمرنا﴾، يدعون الناس إلى ديننا،

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب في سكنى الشام ٣٥٣/٣-٣٥٤، والحاكم: ٤٨٦-٤٨٧، وأحمد: ١٩٩/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٠٩/١٤ وشهر بن حوشب تكلم فيه غير واحد.

(٢) قال ياقوت: والسبع - بسكون الباء: ناحية في فلسطين، بين بيت المقدس والكرك، فيه سبع آبار، سمي الموضع بذلك، وكان ملكاً لعمر بن العاص أقام به لما اعتزل الناس، قال: وأكثر الناس يروي هذا بفتح الباء.

(٣) وأخرجه الطبري عن ابن إسحاق: ٤٧/١٧ مع أقوال أخر، ثم قال مرجحاً أن هجرة إبراهيم كانت من العراق إلى الشام: وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام، وبها كان مقامه أيام حياته، وإن كان قد كان قدم مكة، وبنى بها البيت، وأسكنها لإسماعيل ابنه مع أمه هاجر، غير أنه لم يُقيم بها، ولم يتخذها وطناً لنفسه، ولا لوط، والله إنما أخبر عن إبراهيم ولوط أنهما أنجياهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين.

(٤) في «ب» ولداً لولده.

وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ طَاءَ آيُنُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي
كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا
إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ
وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ
فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾

﴿ وأوحينا إليهم فعل الخيرات ﴾، العمل بالشرائع، ﴿ وإقام الصلاة ﴾، يعني: المحافظة عليها،
﴿ وإيتاء الزكاة ﴾، إعطاءها^(١)، ﴿ وكانوا لنا عابدين ﴾، موحدين .

﴿ ولوطاً آتيناه ﴾، أي: وآتينا لوطاً، وقيل: واذكر لوطاً آتيناه، ﴿ حكماً ﴾، يعني: الفصل بين
الخصوم بالحق، ﴿ وعلماً ﴾، ﴿ ونجينا من القرية التي كانت تعمل الخبائث ﴾، يعني: سدوماً وكان
أهلها يأتون الذكران في أدبارهم ويتضارطون في أُنديتهم مع أشياء أخرى، كانوا يعملون من المنكرات،
﴿ إنهم كانوا قوم سوء فاسقين ﴾ .

﴿ وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين ﴾ .

﴿ ونوحاً إذ نادى ﴾، دعا، ﴿ من قبل ﴾، أي من قبل إبراهيم ولوط، ﴿ فاستجبنا له فنجيناه
وأهله من الكرب العظيم ﴾، قال ابن عباس: من الغرق وتكذيب قومه. وقيل: لأنه كان أطول
الأنبياء عمراً وأشدهم بلاء، والكرب: أشد الغم^(٢) .

﴿ ونصرناه ﴾، منعه، ﴿ من القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾، أن يصلوا إليه بسوء. وقال أبو
عبيدة: أي على القوم، ﴿ إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين ﴾ .

قوله عز وجل: ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان إذ يحكمان في الحرث ﴾، اختلفوا في الحرث، قال ابن مسعود
وابن عباس رضي الله عنهم وأكثر المفسرين: كان الحرث كرمًا قد تدلت عناقيدُه. وقال قتادة: كان
زرعاً، ﴿ إذ نفست فيه غنم القوم ﴾، أي رعته ليلاً فأفسدته، والنفس: الرعي بالليل والهمل بالنهار

(١) زيادة من «ب» .

(٢) ساقط من «ب» .

وهما الرعي بلا راع، ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾، أي: كان ذلك بعلمنا ومرأى منا لا يخفى علينا علمه. قال الفراء: جمع اثنين، فقال لحكمهم وهو يريد داود وسليمان لأن الإثنين جمع وهو مثل قوله: (فإن كان له إخوة فلأمه السدس) (النساء: ١١)، وهو يريد أخوين .

قال ابن عباس وقتادة والزهري: وذلك أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم، فقال صاب الزرع: إن هذا انفلتت غنمه ليلاً ووقعت في حرثي فأفسدته فلم يبق منه شيء، فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث، فخرجا فمرا على سليمان فقال: كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان: لو وليت أمرهما لقضيت بغير هذا .

وروى أنه قال غير هذا أرفق بالفريقين، فأخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضي؟ ويروى أنه قال بحق النبوة والأبوة إلا أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين، قال: ادفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدها ونسلها وصوفها ومنافعها ويذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه، فإذا صار الحرث كهيبته يوم أكل دُفع إلى أهله، وأخذ صاحب الغنم غنمه، فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك^(١) .

وقيل: إن سليمان يوم حكم كان ابن إحدى عشر سنة، وأما حكم الإسلام [في هذه المسألة]^(٢) أن ما أفسدت الماشية المرسله بالنهار من مال الغير فلا ضمان على ربهها، وما أفسدت بالليل ضمنه ربهها لأن في عرف الناس أن أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار، والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل إلى المراح .

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن ابن شهاب، عن حرام بن سعد بن محبصة أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطاً فأفسدت فقضى رسول الله ﷺ أن على أهل الحوائط حفظها بالنهار وأن ما أفسدت المواشي بالليل ضمانه على أهلها، وذهب أصحاب الرأي إلى أن المالك إذا لم يكن معها فلا ضمان عليه فيما أتلفت ماشيته ليلاً كان أو نهاراً^(٣) .

(١) أخرج هاتين الروايتين الطبري: ٥١/١٧-٥٤، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٨٧/٣ .

(٢) زيادة من «ب» .

(٣) أخرجه أبو داود في البيوع، باب: المواشي تفسد زرع قوم: ٢٠٢/٥، وعزاه المنذري للنسائي في الكبرى، وابن ماجه في الأحكام، باب: الحكم فيما أفسدت المواشي برقم (٢٣٣٣) ٧٨١/٢، ورواه الإمام مالك في الموطأ مرسلًا: ٧٤٧/٢-٧٤٨ =

فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ

قوله عز وجل: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾، أي علمناه القضية وأهملناها سليمان، ﴿وَكُلًّا﴾، يعني داود وسليمان، ﴿آتَيْنَاهَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصَوَابِهِ وأثنى على هذا باجتهاده^(١). واختلف العلماء في أن حكم داود كان بالاجتهاد أم بالنص، وكذلك حكم سليمان .

فقال بعضهم: فعلاً بالاجتهاد. وقالوا يجوز الاجتهاد للأنبياء ليدرکوا ثواب المجتهدين إلا أن داود أخطأ وأصاب سليمان. وقالوا: يجوز الخطأ على الأنبياء إلا أنهم لا يقرون عليه، فأما العلماء فلمهم الاجتهاد في الحوادث إذا لم يجدوا فيها نص كتاب أو سنة، وإذا أخطأوا فلا إثم عليهم^(٢)، [فإنه موضوع عنهم]^(٣)، لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد / الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع بن سليمان، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد العزيز بن محمد، عن يزيد بن عبد الله بن الهادي، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن بشر

ب/١٨

= وأحمد: ٢٩٥/٤، وعبد الرزاق ٨٢/١٠، والبيهقي ٣٤١/٨-٣٤٢.

قال ابن عبد البر في التمهيد: ٨١/١١-٨٢، هكذا رواه جميع رواة الموطأ - فيما علمت - مرسلًا، وكذلك رواه أصحاب ابن شهاب عن ابن شهاب مرسلًا إلا أن ابن عيينة رواه عن الزهري عن سعيد بن المسيب وحرام بن سعد بن محبصة... ثم قال: هذا الحديث وإن كان مرسلًا فهو حديث مشهور أرسله الأئمة وحدث به الثقات واستعمله فقهاء الحجاز وتلقوه بالقبول، وجرى في المدينة به العمل، وقد زعم الشافعي أنه تتبع مراسيل سعيد بن المسيب فألفاها صحاحًا وأكثر الفقهاء يحتجون بها .

وقال ابن الترمذاني في المعجم النقي: ٣٤٢/٨ اضطرب إسناد هذا الحديث اضطراباً شديداً، واختلف فيه على الزهري على سبعة أوجه ذكرها ابن القطان .

(١) انظر: القرطبي: ٣٠٩/١١ .

(٢) انظر تفصيلاً في تفسير القرطبي: ٣٠٨-٣١٠، وأضواء البيان ٥٩٦/٤-٥٩٧ وقد رجح الشيخ الشنقيطي - رحمه الله - أن حكمهما - داود وسليمان عليهما السلام - كان باجتهاد لا بوحى، إذ يقول: وفي الآية قرينتان على أن حكمهما كان باجتهاد لا بوحى، وأن سليمان أصاب فاستحق الثناء باجتهاده وإصابته، وأن داود لم يصب فاستحق الثناء باجتهاده ولم يستوجب لوماً ولا ذماً بعدم إصابته، كما أثنى على سليمان بالإصابة في قوله: (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ)، وأثنى عليهما في قوله: (وَكُلًّا آتَيْنَاهَا حُكْمًا وَعِلْمًا) فدل قوله: (إذ يحكمان) على أنهما حكما فيها معاً، كل منهما بحكم مخالف لحكم الآخر، ولو كان وحياً لما ساغ الخلاف، ثم قال: (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ) فدل ذلك على أنه لم يفهمها داود، ولو كان حكمه فيها بوحى لكان مفهوماً إياها كما ترى. فقوله: (إذ يحكمان) مع قوله: (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ) قرينة على أن الحكم لم يكن بوحى بل باجتهاد، وأصاب فيه سليمان دون داود بتفهم الله إياه ذلك .

والقرينة الثانية: هي أن قوله تعالى: (فَفَهَّمْنَاهَا) الآية يدل على أنه فهمه إياها من نصوص ما كان عندهم من الشرع، لأنه أنزل عليه فيها وحياً جديداً ناسخاً، لأنه قوله تعالى: (فَفَهَّمْنَاهَا) أليق بالأول من الثاني كما ترى .

(٣) زيادة من «ب» .

وَالطَّيْرُ وَكُنَّ فَاعِلِينَ ﴿٧٦﴾

ابن سعيد، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر»^(١).

وقال قوم: إن داود وسليمان حكما بالوحي، وكان حكم سليمان ناسخاً لحكم داود، وهذا القائل يقول: لا يجوز للأنبياء الحكم بالاجتهاد لأنهم مستغنون عن الاجتهاد بالوحي، وقالوا: لا يجوز الخطأ على الأنبياء^(٢)، واحتج من ذهب إلى أن كل مجتهد مصيب بظاهر الآية وبالخبر حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطأ، وهو قول أصحاب الرأي، وذهب جماعة إلى أنه ليس كل مجتهد مصيباً بل إذا اختلف اجتهاد مجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه، ولو كان كل واحد مصيباً لم يكن للتقسيم معنى، وقوله عليه السلام: «إذا اجتهد فأخطأ فله أجر»، لم يُردَّ به أنه يُؤجر على الخطأ بل يُؤجر على اجتهاده في طلب الحق لأن اجتهاده عبادة، والإثم في الخطأ عنه موضوع إذا لم يأل جهده^(٣).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرنا أبو الزناد، عن عبد الرحمن الأعرج أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ قال: «كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان وأخبرتا فقال: اتتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنا فقضى به للصغرى»^(٤).

قوله عز وجل: ﴿ وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾، أي وسخرنا الجبال والطيور يسبحن مع داود إذا سبح، قال ابن عباس: كان يفهم تسييح الحجر والشجر. قال وهب: كانت الجبال تجاوبه بالتسييح وكذلك الطير. وقال قتادة: يسبحن أي يصلين معه إذا صلى. وقيل: كان داود إذا فتر يُسمعه الله تسييح الجبال والطيور لينشط في التسييح ويشتاق إليه. ﴿ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾،

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ: ٣١٨/١٣ ومسلم في الأفضية، باب: أجر

الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ برقم (١٧١٦) ١٣٤٢/٣ والمصنف في شرح السنة: ١١٥/١٠.

(٢) انظر القرطبي: ٣١٠-٣٠٨/١١.

(٣) انظر القرطبي: ٣١١/١١.

(٤) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب: قول الله تعالى: (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب) ٤٥٨/٦ ومسلم في الأفضية،

باب: بيان اختلاف المجتهدين برقم (١٧٢٠) ١٣٤٣/٣.

وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحِصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾
 وَاسْلَيْمَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾

يعني: ما ذكر من التفهيم وإيتاء الحكم والتسخير .

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾، والمراد باللبوس هنا الدروع لأنها تلبس، وهو في اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل في الأسلحة كلها، وهو بمعنى اللبوس كالجلوس والركوب، قال قتادة: أول من صنع الدروع وسردها وحلقها داود وكانت من قبل صفائح، والدرع يجمع الخفة والحصانة، ﴿ لِنُحِصِنَكُمْ ﴾، لتحركم وتمنعكم، ﴿ مِنْ بَأْسِكُمْ ﴾، أي حرب عدوكم، قال السدي: من وقع السلاح فيكم، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب: ﴿ لِنُحِصِنَكُمْ ﴾ بالتاء، يعني الصنعة، وقرأ أبو بكر عن عاصم بالنون لقوله: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ ﴾، وقرأ الآخرون بالياء، جعلوا الفعل لللبوس، وقيل: ليحصنكم الله عز وجل، ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾، يقول لداود وأهل بيته. وقيل: يقول لأهل مكة فهل أنتم شاكرون نعمي بطاعة الرسول .

قوله عز وجل: ﴿ ولسليمان الريح عاصفة ﴾، أي وسخرنا لسليمان الريح، وهي هواء متحرك، وهو جسم لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه، ويظهر للحسن بحركته، والريح يذكر ويؤنث، عاصفة شديدة الهبوب، فإن قيل: قد قال في موضع آخر تجري بأمره رخاء والرخاء اللين؟ قيل: كانت الريح تحت أمره إن أراد أن تشتد اشتدت، وإن أراد أن تلين لآنت، ﴿ تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها ﴾، يعني الشام، وذلك أنها كانت تجري لسليمان وأصحابه حيث شاء سليمان، ثم تعود إلى منزله بالشام، ﴿ وكنا بكل شيء ﴾، علمناه، ﴿ عالمين ﴾، بصحة التدبير فيه علمنا أن ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعو إلى الخضوع لربه عز وجل .

قال وهب بن منبه: كان سليمان عليه السلام إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والإنس حتى يجلس على سريرته، وكان امرأ غزاة قل ما يقعد عن الغزو، ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله، كان فيما يزعمون إذا أراد الغزو أمر بمعسكره فضرب بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب، فإذا حمل معه ما يريد أمر العاصفة من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتلمته حتى إذا استقلت به أمر الرخاء فمر به شهراً في روحته وشهراً في غدوته إلى حيث أراد، وكانت تمر بمعسكره الريح الرخاء وبالمرزعة

فما تحركها، ولا تثير تراباً ولا تؤذي طائراً. قال وهب: ذكر لي أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه [كتبه]^(١) بعض صحابة سليمان إما من الجن وإما من الإنس نحن نزلناه وما بنيناه منياً وجدناه، غدونا من اصطخر فقلناه ونحن راثعون منه إن شاء الله فباتون بالشام^(٢).

قال مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في إبريسم، وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه، وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة، يقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، وحوهم الناس، وحول الناس الجن والشياطين، وتظله الطير بأجنحتها لا تقع عليه الشمس، وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومن الرواح إلى الصباح^(٣).

وعن سعيد بن جبير قال: كان يوضع لسليمان ستائة ألف كرسي فيجلس الإنس فيما يليه ثم يليهم الجن ثم تظلمهم الطير ثم تحملهم الريح^(٤).

وقال الحسن: لما شغلت الخيل نبي الله سليمان عليه السلام حتى فاتته صلاة العصر غضب الله عز وجل فعقر الخيل فأبدله الله مكانها خيراً منها، وأسرع الريح تجري بأمره كيف يشاء، فكان يغدو من إيلياء فيقبل باصطخر، ثم يروح / منها فيكون رواحها بكابل^(٥).

أ/١٩

وقال ابن زيد: كان له مركب من خشب وكان فيه ألف ركن في كل ركن ألف بيت يركب معه فيه الجن والإنس، تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب، وإذا ارتفع أتت الريح الرخاء فسارت به وبهم، يقبل عند قوم بينه وبينهم شهر ويمسي عند قوم بينه وبينهم شهر، لا يدري القوم إلا وقد أظلمهم معه الجيوش^(٦).

[وروي أن سليمان سار من أرض العراق غادياً فقال بمدينة مرو، وصلى العصر بمدينة بلخ، تحمله وجنوده الريح، وتظلمهم الطير، ثم سار من مدينة بلخ متخللاً بلاد الترك، ثم جاءهم إلى بلاد الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك، ثم عطف يمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى على أرض القندهار، وخرج منها إلى أرض مكران وكرمان، ثم جاوزها حتى أتى أرض

(١) ساقط من «أ» .

(٢) أخرجه الطبري: ٥٦-٥٥/١٧ .

(٣) انظر: البحر المحيط: ٣٣٣/٦ .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره: ١٨٨/٣ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٧٧/٦ لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذور وابن أبي حاتم .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٥١/٥ لابن أبي حاتم .

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغْوِصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٨٣﴾

فارس فنزلها أياماً وغدا منها فقال بكسكرك ثم راح إلى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر، وكان أمر الشياطين قبل شخوصه من الشام إلى العراق، فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الأبيض والأصفر، وفي ذلك يقول النابغة:

ألا سليمان إذ قال للمليك له قم في البرية فاحدثها عن الفند
وجيش الجن أني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد^(١)

قوله عز وجل: ﴿ومن الشياطين﴾، أي وسخرنا له من الشياطين، ﴿من يغوصون له﴾، أي يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر، ﴿ويعملون عملاً دون ذلك﴾، أي دون الغوص، وهو ما ذكر الله عز وجل: (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل) (سبأ: ١٣) الآية. ﴿وكنا لهم حافظين﴾، حتى لا يخرجوا من أمره. وقال الزجاج: معناه حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا. وفي القصة أن سليمان كان إذا بعث شيطانا مع إنسان ليعمل له عملاً، قال له: إذا فرغ من عمله قبل الليل أشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل، وكان من عادة الشياطين أنهم إذا فرغوا من العمل ولم يشتغلوا بعمل آخر خربوا ما عملوا وأفسدوه.

قوله عز وجل: ﴿وأيوب إذ نادى ربه﴾، أي دعا ربه، قال وهب بن منبه: كان أيوب عليه السلام رجلاً من الروم وهو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيس بن إسحق بن إبراهيم، وكانت أمه من أولاد لوط بن هاران، وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا، وكانت له البنية من أرض الشام، كلها سهلها وجبلها، وكان له فيها من أصناف المال كله، من البقر والإبل والغنم والخيل والحمر ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة، وكان له خمسمائة فدان، يتبعها خمسمائة عبد، لكل عبد امرأة وولد ومال، ويحمل آلة كل فدان أتان لكل أتان ولد من اثنين وثلاثة أربعة وخمسة، وفوق ذلك، وكان الله عز وجل أعطاه أهلاً وولداً من رجال ونساء، وكان براً تقياً رحيماً بالمساكين، يطعم المساكين ويكفل الأرملة والأيتام، ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل، وكان شاكراً لأنعم الله مؤدياً لحق الله، قد امتنع من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من العرة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا، وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا

(١) زيادة من (ب).

به وصدقوه رجل من أهل اليمن يقال له اليقن، ورجلان من أهل بلدة يقال لأحدهما يلدد والآخر صافر وكانوا كهولاً، وكان إبليس لا يحجب عن شيء من السموات، وكان يقف فيهن حيث ما أراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن أربع سموات، فلما بعث محمد ﷺ حجب من الثلاث الباقية، فسمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب، وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه، فأدركه البغي والحسد، فصعد سريعاً حتى وقف من السماء موقفاً كان يقفه، فقال إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك، ولو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عمّا هو عليه من شكرك وعبادتك، ولخرج من طاعتك، قال الله تعالى: انطلق فقد سلطتك على ماله فانقضّ عدو الله إبليس حتى وقع إلى الأرض، ثم جمع عفاريت الجن ومردة الشياطين، وقال لهم: ماذا عندكم من القوة؟ فإني قد سلطتُ على مال أيوب، وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال، فقال عفريت من الشياطين أعطيتُ من القوة ما إذا شئت تحولتُ إعصاراً من نار وأحرقتُ كلَّ شيءٍ آتى عليه، قال له إبليس: فأتِ الإبل ورعاءها، فأتى الإبل حين وضعت رؤوسها وثبتت في مراعيها، فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصارٌ من نار لا يدنو منها أحد إلا احترق فأحرق الإبل ورعاءها، حتى أتى على آخرها، ثم جاء عدو الله إبليس في صورة قبيحة على قعود إلى أيوب فوجده قائماً يصلي، فقال: يا أيوب أقبلتُ ناراً حتى غشيتُ إبلك فأحرقتها ومن فيها غيري، فقال أيوب: الحمد لله الذي هو أعطاها وهو أخذها، وقديماً ما وطنت مالي ونفسي على الفناء، فقال إبليس: فإن ربك أرسل عليها ناراً من السماء فاحترقت فتركت الناس مهوتين يتعجبون منها، منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئاً وما كان إلا في غرور، ومنهم من يقول لو كان إله أيوب يقدر على أن يصنع شيئاً لمنع [وليه] (١)، ومنهم من يقول: بل هو الذي فعل ليشتت به عدوه ويفجع صديقه .

قال أيوب: الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني، عُرياناً خرجت من بطن أمي، وعُرياناً أعود في التراب، وعُرياناً أحشر إلى الله، ليس لك أن تفرح حين أعارك وتجزع حين قبض عاريته منك، الله أولى بك وبما أعطاك، ولو علم الله فيك أيها العبد خيراً لنقل روحك مع تلك الأرواح وصرت شهيداً، ولكنه علم منك شراً فأحرك، فرجع إبليس إلى أصحابه [خائباً] (٢) خاسئاً ذليلاً فقال لهم: ماذا عندكم من القوة؟ فإني لم أكلم قلبه، قال عفريت: عندي من القوة ما شئت صحتُ صيحة لا يسمعها ذو روح إلا خرجت مهجةً نفسه، قال إبليس فأت الغنم ورعاتها، فانطلق حتى توسطها

(١) في «ب» عن وليه أيوب .

(٢) زيادة من «ب» .

ثم صاح صيحة فتجثمت أمواتاً عن آخرها ومات رعاؤها، ثم جاء إبليسُ متمثلاً بقهرمان الرعاة إلى أيوب وهو يصلي، فقال له مثل القول الأول، فردّ عليه أيوب مثل الرد الأول ثم رجع إبليس إلى أصحابه فقال: ماذا عندكم من القوة فإني لم أكلم قلب أيوب، فقال عفريت عندي من القوة ما إذا شئت تحولت ريحاً عاصفاً تنسف كل شيء تأتي عليه، قال فأت القدايين والحراث فانطلق ولم يشعروا حتى هبت ريح عاصف، فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن، ثم جاء إبليس متمثلاً بقهرمان الحراث إلى أيوب وهو قائم يصلي، فقال له مثل القول الأول، فردّ عليه أيوب مثل رده الأول كلما انتهى إليه هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه، ورضي منه بالقضاء، ووطن نفسه بالصبر على البلاء، حتى لم يبق له مال .

فلما رأى إبليس أنه قد أفني ماله صعد [إلى السماء] (١) فقال إلهي إن أيوب يرى / أنك ما متعته بولده فأنت معطيه المال فهل مسلطي على ولده، فإنها المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال، قال الله تعالى: انطلق فقد سلطتك على ولده، فانقض عدو الله حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده، ثم جعل يناطح جدره بعضها ببعض ويرمهم بالخشب والجنادل، حتى إذا مثل بهم كل مثله رفع القصر فقلبه فصاروا منكسين، وانطلق إلى أيوب متمثلاً بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مخدوش الوجه يسيل دمه ودماغه فأخبره، وقال: لو رأيت بنيك كيف عذبوا وقلبوا فكانوا منكسين على رؤوسهم تسيل دماؤهم ودماغهم، ولو رأيت كيف شقّت بطونهم وتناثرت أعضاؤهم لقطع قلبك، فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق أيوب فبكي وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه، وقال: ليت أُمِّي لم تلدني، فاغتم إبليس ذلك فصعد سريعاً بالذي كان من جزع أيوب مسروراً به، ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر واستغفر، وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته إلى الله وهو أعلم، فوقف إبليس ذليلاً فقال: يا إلهي إنما هوّن على أيوب المال والولد أنه يرى منك أنك ما متعته بنفسه فأنت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على جسده؟ فقال الله عزّ وجلّ: انطلق فقد سلطتك على جسده، ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه، وكان الله عزّ وجلّ أعلم به لم يسلطه عليه إلا رحمة له ليُعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم، ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب، فانقض عدو الله سريعاً فوجد أيوب ساجداً فعجل قبل أن يرفع رأسه فأتاه من قبل وجوهه فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها [جميع] (٢) جسده، فخرج من قرنه إلى قدمه تآليل مثل آليات

(١) ساقط من «أ» .

(٢) زيادة من «ب» .

الغنم فوقعت فيه حكة فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها، ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة، فلم يزل يحكها حتى نغل لحمه، وتقطع وتغير وأنتن، وأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة، وجعلوا له عريشاً، فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته، وهي رحمة بنت أفرايم بن يوسف بن يعقوب كانت تختلف إليه بما يصلحه وتلزمه، فلما رأى الثلاثة من أصحابه وهم: يقن ويلدد وصافر ما ابتلاه الله به اتموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه، فلما طال به البلاء انطلقوا إليه فبكتوه ولاموه وقالوا له: تب إلى الله من الذنب الذي عوقبت به، قال: وحضره معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه، فقال لهم: إنكم تكلمتم أيها الكهول، وكنتم أحق بالكلام مني لأسنانكم، ولكن قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم، ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم، ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم، وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذم أفضل من الذي وصفتم، فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم، ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم؟ ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وخيرته من خلقه وصفوته من أهل الأرض إلى يومكم هذا، ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله من أمره على أنه قد سخط عليه شيئاً من أمره منذ آتاه الله ما آتاه إلى يومكم هذا، ولا على أنه نزع منه شيئاً من الكرامة التي أكرمه بها، ولا أن أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا، فإن كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضع في أنفسكم فقد علمتم أن الله يبتلي المؤمنين والصدقيين والشهداء والصالحين، وليس بلاؤه لأولئك بدليل على سخطه عليهم ولا هوانه لهم، ولكنها كرامة وخيرة لهم، ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة إلا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم أن [يعذل] (١) أخاه عند البلاء، ولا يُعيّره بالمصيبة، ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين، ولكنه يرحمه ويكي معه، ويستغفر له، ويحزن لحزنه، ويدله على مرشد أمره، وليس بحليم ولا رشيد من جهل هذا، فالله الله أيها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله، وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم، ويكسر قلوبكم، ألم تعلموا أن الله عبداً أسكتهم خشيته من غير عي ولا بكم، وأنهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الألباء العالمون بالله، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم، واقشعرت جلودهم، وانكسرت قلوبهم، وطاشت عقولهم إعظماً وإجلالاً لله عز وجل، فإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله عز وجل بالأعمال الزاكية يعدون أنفسهم مع الظالمين والخطائين، وإنهم لأبرار براء، ومع المقصرين والمفرطين، وأنهم لأكياس أقوياء، فقال أيوب: إن الله عز وجل يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير، فمتي نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان، وليست تكون الحكمة من قبل السن والشيبة

(١) في «ب» يعزل .

ولا طول التجربة، وإذا جعل الله العبد حكيماً في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله سبحانه عليه نور الكرامة، ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه مستغيثاً به متضرعاً إليه، فقال ربّ لأي شيء خلقتني ليتني إذ كرهتني لم تخلقني يا ليتني قد عرفت الذنب الذي أذنبت، والعمل الذي عملت، فصرفت وجهك الكريم عني، لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي الكرام، فالموت كان أجمل بي ألم أكن للغريب داراً، وللمسكين قراراً، ولليتيم ولياً، وللأرملة قيماً، إلهي أنا عبدك إن أحسنت فالمن لك، وإن أسأت فيبدك عقوبتي، جعلتني عَرَضاً، وللفتنة نصباً، وقد وقع عليّ بلاء لو سلطته على جبل ضعف عن حمله، فكيف يحمله ضعفي وإن قضاءك هو الذي أذلني، وإن سلطانك هو الذي أسقمني وأنحل جسمي، ولو أن ربي نزع الهية التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي بما كان ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي، ولكنه ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمع، لا نظر إلى فرحني، ولا دنا مني ولا أدناني فأدلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم / عن نفسي^(١)، فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب أليم، ثم نودي يا أيوب إن الله عزّ وجلّ يقول: ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريباً قم فأدّل بعذرک، وتكلم ببراءتك، وخاصم عن نفسك، واشدد إزرک، وقم مقام جبار يخاصم جباراً إن استطعت، فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار مثلي، لقد متك نفسك يا أيوب أمراً ما تبلغ بمثل قوتك، أين أنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها، هل كنت معي تمد بأطرافها؟ هل علمت بأي مقدار قدرتها أم على أي شيء وضعت أكنافها؟ أبطاعتك حمل الماء الأرض أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاءً؟ أين كنت مني يوم رفعت السماء

(١) أخرجه الطبري: ٦٥/١٧-٦٨ دون أن يعلق بشيء على ما في الرواية من الإسرائيليات كما قال صاحب أضواء البيان: ٤/٦٨١، ومنها ما ذكره جماعة من المفسرين: أن الله سلط الشيطان على ماله وأهله ابتلاءً لأيوب، فأهلك الشيطان ماله وولده، ثم سلطه على بدنه ابتلاءً له فنفخ في جسده نفخة اشتعل منها، فصار في جسده ثآليل، فحكها بأظفاره حتى دُميت، ثم بالفخار حتى تساقط لحمه، وعصم الله قلبه ولسانه (وغالب ذلك من الإسرائيليات) انتهى .

وقال الدكتور محمد أبو شهبه في كتابه (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٣٩١-٣٩٢) بعد أن ساق عدة روايات في ابتلاء أيوب عليه السلام: والمحققون من العلماء على أن نسبة هذا إلى العصر - صلى الله عليه وسلم - إما من عمل بعض الوضعيين الذين يركبون الأسانيد للمتون، أو من غلط بعض الرواة، وأن ذلك من إسرائيلييات بني إسرائيل واقتراهم على الأنبياء... ثم قال: وقد ذلك كتاب الله الصادق، على لسان نبيه محمد الصادق على أن الله - تبارك وتعالى - ابتلى نبيه: أيوب - عليه السلام - في جسده، وأهله، وماله وأنه صبر حتى صار مضرب الأمثال في ذلك... والذي يجب أن نعتقه أنه ابتلي، ولكن بلاءه لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب، من أنه أصيب بالجذام وأن جسده أصبح قرحة، وأنه ألقى على كفاة بني إسرائيل، يرعى في جسده الدود، وتعبت به دواب بني إسرائيل، أو أنه أصيب بمرض الجدري، وأيوب - عليه صلوات الله وسلامه - أكرم على الله من أن يقلب على مزبلة، وأن يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته، ويفرزهم منه، وأي فائدة تحصل من الرسالة وهو على هذه الحال المزرية التي لا يرضاها الله لأنبيائه ورسله .

سقفاً في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها؟ هل تبلغ من حكمتك أن تجري نورها أو تسيّر نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها؟ أين أنت مني يوم نبتت الأنهار وسكرت البحار، أسلطانك حبس أمواج البحار على حدودها؟ أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شواخ الجبال؟ هل تدري على أي شيء أرسيتها؟ وبأي مثقال وزنتها؟ أم هل لك من ذراع تطبيق حملها؟ أم هل تدري من أين الماء الذي أنزلت من السماء؟ أم هل تدري من أي شيء أنشئ السحاب؟ أم هل تدري أين خزائن الثلج؟ أم أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار [وخزانة النهار بالليل] (١)؟ وأين خزانة الريح؟ وبأي لغة تتكلم الأشجار؟ ومن جعل العقول في أجواف الرجال؟ ومن شق الأسماع والأبصار؟ ومن ذلت الملائكة للملكة وقهر الجبارين بجيروته؟ وقسم الأرزاق بحكمته؟ في كلام كثير من آثار قدرته ذكرها لأيوب، فقال أيوب: صغر شأني وكلّ لساني وعقلي ورائي وضعفت قوتي عن هذا الأمر الذي تعرض لي يا إلهي، قد علمت أن كل الذي ذكرت صنع يديك وتدير حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت عملت، لا يعجزك شيء ولا يخفى عليك خافية إذ لقيني البلاء، يا إلهي فتكلمت ولم أملك لساني وكان البلاء هو الذي أنطقني، فليت الأرض انشقت لي فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء يسخط ربي، وليتني مت بغمي في أشد بلائي قبل ذلك، إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني، وسكت حين سكت لترحمي، كلمة زلت مني فلن أعود، قد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني، وألصقت بالتراب خدي، أعوذ بك اليوم منك واستجيرك من جهد البلاء فأجرني، وأستغيث بك من عقابك فأغثنني، وأستعين بك على أمري فأعني، وأتوكل عليك فاكفني، وأعتصم بك فاعصمني، وأستغفرك فاغفر لي، فلن أعود لشيء تكرهه مني، قال الله تعالى: يا أيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية، وتكون عبرة لأهل البلاء وعزاء للصابرين، فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وقرب عن أصحابك قرباناً فاستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك، فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فأذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء، ثم خرج فجلس فأقبلت امرأته تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت كالوالهة متلدة (٢)، ثم قالت: يا عبد الله هل لك علم بالرجل الميتلى الذي كان هاهنا؟ قال لها: هل تعرفينه إذا رأيته؟ قالت: نعم ومالي لا أعرفه، فتبسم وقال: أنا هو فعرفته بضحك فاعتنقته. قال ابن عباس: فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقت من عناقه حتى مرّ

(١) زيادة من «ب» .

(٢) متلدة: متلفنة ميمناً وشمالاً .

بهما كل مال لهما وولد^(١)، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾،
واختلفوا في وقت ندائه والسبب الذي قال لأجله: أني مسني الضر، وفي مدة بلائه .

روى ابن شهاب عن أنس يرفعه أن أيوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة^(٢) .

وقال وهب: لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين لم يزد يوماً^(٣) .

وقال كعب: كان أيوب في بلائه سبع سنين وسبعة أشهر وسبع أيام .

وقال الحسن : مكث أيوب مطروحاً على كناسة في مزبلة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرات تختلف
فيه الدواب لا يقربه أحد غير رحمة صبرت معه بصدق وتأتيه بطعام وتحمد الله معه إذا حمد، وأيوب
على ذلك لا يفتر عن ذكر الله والصبر على ابتلائه^(٤)، فصرخ إبليس صرخة جمع فيها جنوده من
أقطار الأرض، فلما اجتمعوا إليه قالوا: ما حزنك؟ قال أعياني هذا العبد الذي لم أدع له مالاً ولا ولداً
فلم يزد إلا صبراً، ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا يقربه إلا امرأته، فاستعنت
بكم لتعينوني عليه، فقالوا له أين مكرك الذي أهلكت به من مضي؟ قال: بطل ذلك كله في أيوب
فأشيروا عليّ قالوا نشير عليك، من أين أتيت آدم حين أخرجه من الجنة؟ قال من قبل امرأته قالوا
فشأنك بأيوب من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصمها وليس أحد يقربه غيرها، قال: أصبتم، فانطلق
حتى أتى امرأته وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل فقال: أين بعلك يا أمة الله؟ قالت هو ذاك
يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده، فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس إليها وذكرها
ما كانت فيه من النعم والمال، وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وأن ذلك لا ينقطع
عنهم أبداً، قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم أن قد جزعت فأتاها بسخلة وقال ليذبح هذه
لي أيوب ويبرأ، فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك، أين المال، أين الولد، أين الصديق،
أين لونك الحسن، أين جسمك [الحسن]^(٥)، اذبح هذه السخلة واسترح، قال أيوب أتاك عدو الله
فنفض فيك ويلك أرأيت ما تبكين / عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه؟ قالت الله،
قال فكم متعنا به؟ قالت ثمانين سنة، قال فمنذ كم ابتلانا؟ قالت منذ سبع سنين وأشهر، قال ويلك

(١) أخرجه الطبري: ٦٨/١٧-٦٩ .

(٢) أخرجه الحاكم: ٥٨١/٢ إلا أنه ذكر مدة البلاء خمس عشرة سنة، وابن حبان في موارد الظمان ص ٥١١، وعزاه السيوطي:
٦٥٩/٥ لابن أبي الدنيا وأبي يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم، وذكره ابن كثير ١٨٩/٣ من رواية ابن أبي حاتم عن أنس
ابن مالك وقال: رفع هذا الحديث غريب جداً .

(٣) أخرجه الطبري: ٦٦/١٧ .

(٤) أخرجه الطبري: ٦٩/١٧ .

(٥) في وب، الصحيح .

ما أنصفت ألا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة، والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة أمرتيني أن أذبح لغير الله طعامك وشرابك الذي أتيتني به علي حرام [أو حرام علي] (١) أن أذوق شيئاً مما تأتيني به بعد إذ قلت لي هذا، فاغز بي عني، فلا أراك فطردها فذهبت، فلما نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق (٢) خرّ ساجداً وقال: رب ﴿إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾، فقيل له: ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين فاعتسل منها فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر إلا سقط وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان، ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج فقام صحيحاً وكُسي حُلَّة، قال: فجعل يلتفت فلا يرى شيئاً مما كان له من أهل ومال إلا وقد أضعفه الله حتى والله ذكر لنا أن الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جراداً من ذهب فجعل يضمه بيده، فأوحى الله إليه يا أيوب ألم أغنك؟ قال: بلى ولكنها بركتك فمن يشيع منها، قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف، ثم إن امرأته قالت أرأيتك إن كان طردني إلى من أكله؟ أدعه يموت جوعاً ويضيع فتأكله السباع لأرجعنّ إليه فلا كناسة ترى ولا تلك الحالة التي كانت، وإذا الأمور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعين أيوب، وهابت صاحب الحلة أن تأتبه فتسأله عنه، فدعاها أيوب فقال: ما تريد يا أمة الله؟ فبكت وقالت: أردت ذلك المبتلي الذي كان منبوذاً على الكناسة لا أدري أضع أم ما فعل، فقال أيوب: ما كان منك فبكت، وقالت: بعلي، قال: فهل تعرفينه إذا رأيتيه؟ فقالت: وهل يخفى على أحد رآه؟ ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه، ثم قالت: أما أنه أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحاً، قال فإني أنا أيوب الذي أمرتني أن أذبح لإبليس، وإني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله سبحانه فردّ علي ما ترين (٣).

وقال وهب: لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب أيوب إبليس ولم يستطع منه شيئاً اعترض امرأته في هيئة ليست كههيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس [من] (٤) مراكب الناس له عظم وبهاء وكال، فقال لها: أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلي؟ قالت: نعم، قال فهل تعرفيني؟ قالت: لا قال: أنا إله الأرض، وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لأنه عبد إله السماء وتركتني فأغضبني، ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان لكما من مال وولد، فإنه عندي ثم أراها إياهم ببطن الوادي الذي لقيها فيه، قال وهب: وقد سمعت

(١) زيادة من «ب» .

(٢) أخرجه الطبري: ٧١-٧٠/١٧ .

(٣) أخرجه الطبري: ٧٢-٧١/١٧ .

(٤) في «ب» في صورة .

أنه إنما قال لها لو أن صاحبك أكل طعاماً ولم يسم الله عليه لعوفي مما به من البلاء^(١)، والله أعلم. وفي بعض الكتب: إن إبليس قال لها: اسجدي لي سجدة حتى أرد عليك المال والأولاد وأعاني زوجك، فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها [وما أراها]^(٢) قال لقد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك، ثم أقسم [إن عافاه الله]^(٣) ليضربنّها مائة جلدة، وقال عند ذلك: مسني الضر من طمع إبليس في سجود حرمتي له، ودعائه إياها وإيائي إلى الكفر، ثم إن الله عزّ وجلّ رحم [رحمة]^(٤) امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء، وخفف عليها وأراد أن يبرّ يمين أيوب، فأمره أن يأخذ ضغثاً يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة كما قال الله تعالى: «وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث» (ص: ٤٤)، وروى أن إبليس اتخذ تابوتاً وجعل فيه أدوية وقعد على طريق امرأته يداوي الناس فمرت به امرأة أيوب فقالت [يا شيخ]^(٤) إن ليس مريضاً أفتداويه؟ قال نعم [والله]^(٤) لا أريد شيئاً إلا أن يقول إذا شفيتها أنت شفيتني، فذكرت ذلك لأيوب فقال: هو إبليس قد خدعك، وحلف إن شفاه الله أن يضربها مائة جلدة .

وقال وهب وغيره: كانت امرأة أيوب تعمل للناس وتجيئه بقوته، فلما طال عليه البلاء وسئماها الناس فلم يستعملها أحد التمسّت له يوماً من الأيام ما تطعمه فما وجدت شيئاً فجزت قرناً من رأسها، فباعته برغيف فأنته به، فقال لها: أين قرنك؟ فأخبرته^(٥) فحينئذ قال: ﴿ مسني الضر ﴾ . وقال قوم: إنما قال ذلك حين قصدت الدود إلى قلبه ولسانه فخشي أن يفتر عن الذكر والفكر .

وقال حبيب بن أبي ثابت: لم يدعُ الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء أحدها: قدم عليه صديقان حين بلغهما خبره فجاءا إليه ولم يبق له إلا عيناه ورأيا أمراً عظيماً فقالا: لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا. والثاني: أن امرأته طلبت طعاماً فلم تجد ما تطعمه فباعت ذؤابتها وحملت إليه طعاماً. والثالث: قول إبليس إني أداويه على أن يقول أنت شفيتني .

وقيل: إن إبليس وسوس إليه أن امرأتك زنت فقطعت ذؤابتها فحينئذ عيل صبره، فدعا وحلف ليضربنّها مائة جلدة. وقيل: معناه مسني الضر من شماتة الأعداء. حتى روى أنه قيل له [بعدهما

(١) أخرجه الطبري: ٦٦/١٧-٦٧ .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) في «ب» إن كان الله عافاه .

(٤) زيادة من «ب» .

(٥) ذكره الطبري: ٦٦/١٧ عن وهب بن منبه .

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً

عُوفِي^(١) ما كان أشد عليك في بلائك قال: شماتة الأعداء. وقيل: قال ذلك حين وقعت دودة من فخذها فردها إلى موضعها .

وقال كلي: قد جعلني الله طعامك فعضته عضه زاد ألمها على جميع ما قاسى من عض الديدان. فإن قيل: إن الله سماه صابراً وقد أظهر الشكوى والجزع، بقوله: ﴿أَيُّ مَسْنِي الضَّرِّ﴾، و(مسنى الشيطان بنصب) (ص: ٤١)، قيل: ليس هذا شكاية إنما هو دعاء بدليل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾، على أن الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلق فأما الشكوى إلى الله عز وجل فلا يكون جزعاً ولا تركٌ صبر كما قال يعقوب: (إنما / أشكو بشي وحزني إلى الله) (يوسف: ٨٦). قال سفيان بن عيينة: وكذلك من أظهر الشكوى إلى الناس وهو راض بقضاء الله لا يكون ذلك جزعاً كما روي أن جبريل دخل على النبي ﷺ في مرضه فقال: كيف تجحدك؟ قال: «أجدني مغموماً وأجدني مكروباً»^(٢).

وقال لعائشة حين قالت وأرأساه، «بل أنا وأرأساه»^(٣).

قوله عز وجل: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ﴾، وذلك أنه قال اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين [ماء]^(١)، فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره، ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يضرب برجله الأرض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد، فأمره فشرب منها فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح ما يكون من الرجال وأجملهم .

﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾، واختلفوا في ذلك، فقال ابن مسعود وقتادة، وابن عباس، والحسين، وأكثر المفسرين: رد الله عز وجل إليه أهله وأولاده بأعيانهم أحياءهم الله له وأعطاه مثلهم معهم، وهو ظاهر القرآن^(٤).

قال الحسن: آتاه الله المثل من نسل ماله الذي رده الله [إليه وأهله]^(٥)، يدل عليه ما روى

(١) ساقط من «ب» .

(٢) قطعة من حديث طويل أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: ١٣٩/٣، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣٥/٩ «فيه عبد الله ابن ميمون القداح ، وهو ذاهب الحديث».

(٣) أخرجه البخاري في المرضي، باب: ما رخص للمريض أن يقول: أي وجع، أو وأرأساه...: ١٠/١٢٣ .

(٤) أخرج الطبري هذه الأقوال: ٧٣-٧٢/١٧ .

(٥) ساقط من «ب» .

مَنْ عِنْدَنَا وَذَكَرَى لِلْعَبِيدِ ﴿٨٤﴾

الضحاك وابن عباس أن الله عزّ وجلّ ردّ إلى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكراً^(١).
قال وهب كان له سبع بنات وثلاثة بنين .

وقال ابن يسار: كان له سبع بنين وسبع بنات .

وروى عن أنس يرفعه: أنه كان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله عزّ وجلّ سحابتين فأفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض^(٢) .

وروى أن الله تعالى بعث إليه ملكاً وقال: إن ربك يقرئك السلام بصبرك فأخرج إلى أندرك، فخرج إليه فأرسل الله عليه جراداً من ذهب فطارت واحدة فاتبعها وردها إلى أندره، فقال له الملك: أما يكفيك ما في أندرك؟ فقال هذه بركة من بركات ربي ولا أشبع من بركته^(٣) .

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمش الزيايدي، أخبرنا محمد بن الحسين القطان، أخبرنا أحمد بن يوسف السلمي، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن هام بن منبه، قال: أخبرنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا أيوب يغتسل عرياناً خرّ عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحنّ في ثوبه، فناداه ربه [يا أيوب]^(٤) ألم أكن أغنيك عما ترى؟ قال: بلى يارب وعزتك، ولكن لا غنى بي عن بركتك^(٥). وقال قوم: أتى الله أيوب في الدنيا مثل أهله الذين هلكوا فأما الذين هلكوا فإنهم لم يُردوا عليه في الدنيا^(٦). قال عكرمة: قيل لأيوب: إن أهلك لك في الآخرة فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا وإن شئت كانوا لك في الآخرة، وآتينك مثلهم في الدنيا فقال يكونون لي في الآخرة، وأوتى مثلهم في الدنيا^(٧)، فعلى هذا يكون معنى الآية: وآتيناه أهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وأراد بالأهل الأولاد، ﴿رحمة من عندنا﴾، أي نعمة من عندنا، ﴿وذكرى للعابدين﴾، أي: عظة وعبرة لهم .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٦٠/٥ لابن مردويه وابن عساكر من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس .

(٢) أخرجه الحاكم: ٥٨١/٢-٥٨٢ وصححه على شرط الشيخين .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٦٠/٥ لابن مردويه وابن عساكر من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس .

(٤) زيادة من «ب» .

(٥) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب: قول الله تعالى: (وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر...)، ٤٢٠/٦، والمصنف في شرح

السنة: ٧/٨ .

(٦) ذكره الطبري: ٧٢/١٧ .

(٧) أخرجه الطبري: ٧٢/١٧ .

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾، يعني ابن إبراهيم، ﴿وَإِدْرِيسَ﴾، وهو أخنوخ، ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ كل من الصابرين، على أمر الله، واختلفوا في ذا الكفل.

قال عطاء: إن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أوحى الله إليه أني أريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني إسرائيل فمن تكفل لك أنه يصلي بالليل لا يفتر، ويصوم بالنهار ولا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه ففعل ذلك، فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا فتكفل، ووفى به فشكر الله له ونبأه فسمي ذا الكفل^(١).

وقال مجاهد: لما كبر اليسع قال: [لو]^(٢) أني أستخلف رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل، قال: فجمع الناس فقال: من يتقبل مني بثلاث أستخلفه: يصوم النهار ويقوم الليل، ولا يغضب، فقام رجل تزدرية العين، فقال: أنا فردّه ذلك اليوم، وقال مثلها اليوم الآخر فسكت الناس، وقام ذلك الرجل فقال: أنا، فاستخلفه فأتاه إبليس في صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة، وكان لا ينام بالليل [والنهار]^(٢) إلا تلك النومه فدق الباب، فقال: من هذا؟ قال: شيخ كبير مظلوم، فقام ففتح الباب فقال: إن بيني وبين قومي خصومة، وإنهم ظلموني، وفعّلوا وفعّلوا فجعل يطول حتى حضر الراح، وذهب القائلة، فقال: إذا رحنت فائتني [فإني]^(٢) أخذ ححك، فانطلق وراح، فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره، فقام يتنغيه فلما كان الغد جلس يقضي بين الناس وينظره فلا يراه، فلما رجع إلى القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدق الباب، فقال: من هذا؟ فقال: الشيخ المظلوم ففتح [له الباب]^(٣) فقال: ألم أقل لك إذا قعدت فائتني؟ فقال: إنهم أحببت قوم إذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك ححك وإذا قمت جحدوني، قال: فانطلق فإذا رحنت فائتني، ففانتته القائلة وراح فجعل ينظر فلا يراه فشق عليه النعاس، فقال لبعض أهله: لا تدعن أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام فإنه قد شق عليّ النوم، فلما كان تلك الساعة جاء فلم يأذن له الرجل، فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها، فإذا هو في البيت يدق الباب من داخل، فاستيقظ فقال: يا فلان ألم أمرك، فقال: أما من قبلي فلم تؤت فانظر من أين أتيت، فقام إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه، وإذا الرجل معه في البيت، فقال: أتمام والخصوم يبابك؟ فعرفه فقال: أعدو

(١) انظر زاد المسير: ٣٧٩/٥-٣٨٠.

(٢) ساقط من «أ».

(٣) ساقط من «ب».

وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ

الله؟ قال: نعم أعيبتني ففعلت ما ترى لأغضبك فعصمك الله، فسمي ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفى به^(١).

وقيل: إن إبليس جاءه وقال: إن لي غريماً يطلني فأحب أن تقوم معي وتستوفي حقي منه، فانطلق معه حتى إذا كان في السوق خلاه وذهب. وروى: أنه اعتذر إليه. وقال: إن صاحبي هرب.

وقيل: إن ذا الكفل رجل كفل أن يصلي كل ليلة مائة ركعة/ إلى أن يقبضه الله فوفى به. ٢١/ب

واختلفوا في أنه كان نبياً، فقال بعضهم: كان نبياً^(٢). وقيل: هو إلياس. وقيل: زكريا. وقال أبو موسى: لكم يكن نبياً ولكن كان عبداً صالحاً^(٣).

﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾، يعني ما أنعم الله عليهم من النبوة وصيرهم إليه في الجنة من الثواب، ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَذَا النُّونِ﴾، أي: اذكر صاحب الحوت وهو يونس بن متى، ﴿إِذ ذَّهَبَ مَغَاضِباً﴾، اختلفوا في معناه:

فقال الضحاك: مغاضباً لقومه، وهو رواية العوفي وغيره عن ابن عباس، قال: كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصفاً وبقي سبطاً ونصف، فأوحى الله إلى شعيب النبي أن سر إلى حزقيا الملك، وقل له حتى يوجه نبياً قوياً فأني ألقى [الرعب]^(٤) في قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بني إسرائيل، فقال له الملك فمن ترى، وكان في مملكته خمسة من الأنبياء، فقال يونس: إنه قوي أمين فدعا الملك يونس فأمره أن يخرج، فقال له يونس: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا، قال: فهل سماني لك؟ قال: لا، قال: فهانئنا غيري أنبياء أقوياء، فألحوا

(١) أخرجه الطبري: ٧٤/١٧.

(٢) قال ابن كثير: ١٩١/٣ (... وأما ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي، وقال آخرون: إما كان رجلاً صالحاً وكان ملكاً عادلاً وحكماً مقسطاً، وتوقف ابن جرير في ذلك فأنه أعلم).

وقال ابن جرير: ٧٣/١٧ (... وبذي الكفل: رجلاً تكفل من بعض الناس، إما من نبي وإما من ملك من صالحى الملوك يعمل من الأعمال، فقام به من بعده، فأثنى الله عليه حسن وفاته بما تكفل به، وجعله من المعدودين في عبادته، مع حمد صبره على طاعة الله، وبالذي قلنا في أمره جاءت الأخبار عن سلف العلماء).

(٣) أخرجه الطبري: ٧٥/١٧.

(٤) ساقط من «أ».

عليه فخرج من بينهم مغاضباً للنبي وللملك، ولقومه فأتى بحر الروم فركبه^(١).

وقال عروة بن الزبير وسعيد بن جبير وجماعة: ذهب عن قومه مغاضباً لربه إذ كشف عن قومه العذاب بعدما أوعدهم، وكره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما أوعدهم، واستحيا منهم، ولم يعلم السبب الذي به رفع العذاب، وكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده، وأنه يسمى كذاباً لا كراهية لحكم الله تعالى^(٢).

وفي بعض الأخبار أنه كان من عادة قومه أن يقتلوا من جبروا عليه الكذب فخشي أن يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد، فغضب، والمغاضبة هاهنا كالمفاعلة التي تكون من واحد، كالمسافرة والمعاقبة، فمعنى قوله مغاضباً أي غضبان.

وقال الحسن: إنما غاضب ربه عز وجل من أجل أنه أمره بالمسير إلى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم إليه، فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخص إلىهم، فقبل له إن الأمر أسرع من ذلك حتى سأل أن ينظر إلى أن يأخذ نعلأ يلبسها فلم ينظر^(٣)، وكان في خلقه ضيق [فذهب مغاضباً]^(٤).

وعن ابن عباس، قال: أتى جبريل يونس فقال: انطلق إلى أهل نينوى فأنذرهم، قال: أتمس دابة قال: الأمر أعجل من ذلك، فغضب فانطلق إلى السفينة.

وقال وهب بن منبه: إن يونس بن متى كان عبداً صالحاً وكان في خلقه ضيق، فلما حمل عليه أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع^(٥) تحت الحمل الثقيل فقذفها من يده، وخرج هارباً منها، فلذلك أخرجه الله من أولي العزم من الرسل وقال لنبيه [محمد ﷺ]^(٤): (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) (الأحقاف: ٣٥)، وقال: (ولا تكن كصاحب الحوت)^(٦) (القلم: ٤٨).

(١) انظر زاد المسير: ٣٨١/٥٠.

(٢) سبق تخريجه (سورة يونس).

(٣) انظر الطبري: ٧٧/١٧.

(٤) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٥) ولد الناقة أول ما يُحمل عليه.

(٦) أخرج القولين الطبري: ٧٧/١٧-٧٨ ثم قال:

(وليس في واحد من هذين القولين من وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه شيء إلا وهو دون ما وصفه بما وصفه الذين قالوا: ذهب مغاضباً لقومه، لأن ذهابه عن قومه مغاضباً لهم، وقد أمره الله تعالى بالمقام بين أظهرهم، ليلفهم رسالته، ويحذرهم بأسه وعقوبته على تركهم الإيمان به والعمل بطاعته لاشك أن فيه ما فيه، ولولا أنه قد كان صلى الله عليه وسلم أتى ما قاله الذين وصفوه بإتيان الخطيئة، لم يكن الله تعالى ذكره ليعاقبه العقوبة التي ذكرها في كتابه، ويصفه بالصفة التي وصفه بها، فيقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: (ولا تكن كصاحب الحوت إذا نادى وهو مكظوم) ويقول: (فالتقمه الحوت وهو مليم، فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون).

مُغَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾

قوله عز وجل: ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾، أي لن نقضي بالعقوبة، قاله مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي، وهو رواية العوفي عن ابن عباس يقال: قَدَّرَ اللهُ الشَّيْءَ تَقْدِيرًا وَقَدَّرَ يَقْدُرُ قَدْرًا بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: (نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ) (الواقعة: ٦٠) فِي قِرَاءَةٍ مِنْ قَرَأَهَا بِالتَّخْفِيفِ، دَلِيلٌ هَذَا التَّأْوِيلَ قِرَاءَةَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَالزَّهْرِيِّ: ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدُرَ عَلَيْهِ ﴾، بِالتَّشْدِيدِ، وَقَالَ عَطَاءٌ وَكَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ: مَعْنَاهُ فَظَنَّ أَنَّ لَنْ نَضِيقَ عَلَيْهِ الْحَبْسَ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (اللَّهُ يَسِطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) (الزَّعْد: ٢٦)، أَيْ يَضِيقُ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: هُوَ اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ: أَفْظَنَ أَنَّهُ يُعْجِزُ رَبَّهُ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ. وَقَرَأَ يَعْقُوبُ يَقْدِرُ [بِضْمِ الْيَاءِ] ^(١) عَلَى الْمَجْهُولِ خَفِيفٌ .

وعن الحسن قال: بلغني أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضباً لربه واستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه، وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان، فقفذه في بطن الحوت فمكث فيه أربعين من بين يوم وليلة ^(٢). وقال عطاء: سبعة أيام [وقيل: ثلاثة أيام] ^(٣). وقيل: إن الحوت ذهب به مسيرة ستة آلاف سنة. وقيل: بلغ به تخوم الأرض السابعة فتأب إلى ربه تعالى في بطن الحوت، وراجع نفسه فقال: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، حين عصيتك وما صنعت من شيء فلن أعبد غيرك فأخرجه الله من بطن الحوت برحمته، والتأويلات المتقدمة أولى بحال الأنبياء أنه ذهب مغاضباً لقومه أو للملك، ﴿ فنادى في الظلمات ﴾، أي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت، ﴿ أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ .

وروي عن أبي هريرة مرفوعاً: أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تحدش له لحماً ولا تكسر له عظماً، فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه في البحر، فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حساً فقال في نفسه ما هذا؟ فأوحى الله إليه: أن هذا تسبيح دواب البحر، قال: فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه، فقالوا: يا ربنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة، وفي رواية صوتاً معروفاً من مكان مجهول، فقال: ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت، فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟ قال: نعم فشفعوا له، عند ذلك

(١) زيادة من «ب» .

(٢) أخرجه الطبري: ٧٩/١٧ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَجَّعْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُثَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾

فَأمر الحوت فقذفه في الساحل^(١)، كما قال الله تعالى: (فنبذناه بالعماء وهو سقيم) (الصفافات: ١٤٥).

فذلك قوله عز وجل: ﴿فاستجبنا له﴾، يعني: أجبناه، ﴿ونحنياه من الغم﴾، من تلك الظلمات، ﴿وكذلك نجى المؤمنين﴾، من كل كرب إذا دعونا واستغاثوا بنا، قرأ ابن عامر وعاصم برواية أبي بكر: ﴿نُجِّي﴾ بنون واحدة وتشديد الجيم وتسكين الياء لأنها مكتوبة في المصحف بنون واحدة، واختلف النجاة في هذه القراءة، فذهب أكثرهم إلى أنها لحن لأنه لو كان على ما لم يسم فاعله لم تسكن الياء ورفع المؤمنون، ومنهم من صوبها، وذكر الفراء أن لها وجهاً آخر وهو إضمار المصدر، أي نجا النجاء المؤمنين، ونصب المؤمنين كقولك: ضرب الضرب زيداً، ثم تقول ضرب زيداً بالنصب على إضمار المصدر، وسكن الياء في ﴿نجي﴾ كما يسكنون في بقي ونحوها، قال القتيبي: من قرأ بنون واحدة والتشديد فإنما أراد نجي من التنجية إلا أنه أدغم وحذف نوناً طلباً للرخفة ولم يرضه النحويون لبعده مخرج النون من الجيم، والإدغام يكون عند قرب المخرج، وقراءة العامة ﴿ننجي﴾ بنونين من الإنجاء، وإنما كتبت بنون واحدة لأن النون الثانية كانت ساكنة والساكن غير ظاهر على اللسان فحذفت كما فعلوا في إلا حذفوا النون من إن لخفائها^(٢)، واختلفوا في أن رسالة يونس متى كانت؟ فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: كانت بعد أن أخرجه الله من بطن الحوت، بدليل أن الله عز وجل ذكره في سورة الصفافات، (فنبذناه بالعماء) (الصفافات: ١٤٥)، ثم ذكر بعده: (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) (الصفافات: ١٤٧)، وقال الآخرون: إنها كانت من قبل بدليل قوله تعالى: (وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون) (الصفافات: ١٣٩-١٤٠).

قوله عز وجل: ﴿وزكريا إذ نادى ربه﴾، دعا ربه، ﴿رب لا تدري فرداً﴾، وحيداً لا ولد لي وارزقي وارثاً، ﴿وأنت خير الوارثين﴾، ثناء على الله بأنه الباقي بعد فناء الخلق وأنه أفضل من بقي حياً.

(١) أخرجه الطبري: ٨١/١٧، وقال الهيثمي في المجمع: ٩٨/٧ رواه البزار عن بعض أصحابه ولم يسمه، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات. وانظر تفسير ابن كثير: ١٩٣/٣، البداية والنهاية: ٢٣٤/١.

(٢) ذكر هذه الوجوه في القراءات الطبري: ٨٢/١٧ ثم قال: (والصواب من القراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار، من قراءته بنونين، وتخفيف الجيم لإجماع الحجة من القراء عليها، وتحطفتها خلافة).

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا، وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿١٠﴾
 وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا فَفَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿١٢﴾

﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى ﴾، ولدأ ﴿ وأصلحنا له زوجه ﴾، أي جعلناها ولوداً بعد ما كانت عقيماً، قاله أكثر المفسرين، وقال بعضهم: كانت سيئة الخلق فأصلحها له. بأن رزقها حسن الخلق. ﴿ إنهم ﴾، يعني الأنبياء الذين سماهم في هذه السورة، ﴿ كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ﴾، طمعاً، ﴿ ورهباً ﴾، خوفاً، رغباً في رحمة الله، ورهباً من عذاب الله، ﴿ وكانوا لنا خاشعين ﴾، أي متواضعين، قال قتادة: ذللاً لأمر الله. قال مجاهد: الخشوع هو الخوف اللازم في القلب .

﴿ والتي أحصت فرجها ﴾، حفظت من الحرام، وأراد مريم بنت عمران، ﴿ فنفخنا فيها من روحنا ﴾، أي أمرنا جبرائيل حتى نفخ في جيب درعها، وأحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها، وأضاف الروح إليه تشریفاً لعيسى عليه السلام، ﴿ وجعلناها وابناً آية للعالمين ﴾، أي دلالة على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب، ولم يقل آيتين وهما آيتان لأن معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية ولأن الآية كانت فيهما واحدة، وهي أنها أتت به من غير فعل .

قوله عز وجل: ﴿ إن هذه أمتكم ﴾، أي ملتكم ودينكم، ﴿ أمة واحدة ﴾، أي ديناً واحداً وهو الإسلام، فأبطل ما سوى الإسلام من الأديان، وأصل الأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة واحدة لاجتماع أهلها على مقصد واحد، ونصب أمة على القطع. ﴿ وأنا ربكم فاعبدون ﴾ .

﴿ وتقطعوا أمرهم بينهم ﴾، أي اختلفوا في الدين فصاروا فرقاً وأحزاباً، قال الكلبي: [فرقوا دينهم بينهم] ^(١) يلعب بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض، والتقطع هاهنا بمعنى التقطيع، ﴿ كلنا إلينا راجعون ﴾، فنجزيم بأعمالهم .

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ إِلْتِنَازٍ لِّجَعُونَ ﴿١١٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ
 الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ ۖ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ ﴿١١٤﴾
 وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١١٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ
 وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿١١٦﴾

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ ﴾، لا يُجحد ولا يبطل سعيه بل
 يُشكر ويُثاب عليه، ﴿ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ ﴾، لعمله حافظون، وقيل: معنى الشكر من الله المجازاة .
 ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: ﴿ وَحَرْمٌ ﴾، بكسر الحاء بلا ألف، وقرأ
 الباقر بالألف ﴿ حرام ﴾ وهما لغتان مثل حلّ وحلال .

قال ابن عباس: معنى الآية وحرام على قرية أي أهل قرية، ﴿ أَهْلَكْنَاهَا ﴾، أن يرجعوا بعد الهلاك،
 فعلی هذا تكون ﴿ لا ﴾ صلة، وقال آخرون: الحرام بمعنى الواجب، فعلی هذا تكون ﴿ لا ﴾ ثابتاً
 معناه واجب على أهل قرية أهلكتناهم ﴿ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾، إلى الدنيا .

وقال الزجاج: معناه وحرام على أهل قرية أهلكتناهم أي حكمنا بهلاكهم أن تتقبل أعمالهم لأنهم
 لا يرجعون أي لا يتوبون، والدليل على هذا المعنى أنه قال في الآية التي قبلها: (فمن يعمل من الصالحات
 وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) أي يتقبل عمله، ثم ذكر هذه الآية عقبيه وبين أن الكافر لا يتقبل عمله .

قوله عز وجل: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ ﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب: ﴿ فُتِحَتْ ﴾ بالتشديد
 على التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف، ﴿ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾، يريد فتح السدّ عن يَأْجُوجِ
 وَمَأْجُوجِ، ﴿ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ ﴾، أي نشز وتل، والحذب المكان المرتفع، ﴿ يَنْسِلُونَ ﴾،
 يسرعون النزول من الآكام والتلال كنسلان الذئب، وهو سرعة مشيه، واختلفوا في هذه الكناية،
 فقال قوم: عنى بهم يَأْجُوجِ وَمَأْجُوجِ بدليل ما روينا عن النّوّاس بن سَمْعَانَ عن رسول الله ﷺ
 أنه قال: «ويبعث الله يَأْجُوجِ وَمَأْجُوجِ وهم من كل حدب ينسلون»^(١) وقال قوم: أراد جميع الخلق
 يعني أنهم يخرجون من قبورهم، ويدل عليه قراءة مجاهد وهم من كل جدث بالجيم والثاء كما قال:
 (فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) (يونس: ٥١) .

(١) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال برقم (٢١٣٧) ٤/٢٢٥٠-٢٢٥٥ .

وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيَّائِنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلَّ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٧﴾

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني، أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أخبرنا مسلم بن حجاج، أخبرنا أبو خيثمة زهير ابن حرب، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن فرات القزاز، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمغرب وخسف بالشرق وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»^(١).

قوله عز وجل: ﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾، يعني القيامة، قال الفراء وجماعة: الواو في قوله واقترب [مقحمة فمعناه حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب]^(٢) الوعد الحق، كما قال الله تعالى: (فلما أسلما وتله للجبين وناديناه) (الصفوات: ١٠٣) أي ناديناه، والدليل عليه ما روي عن حذيفة قال: لو أن رجلاً اقتنى فلواً بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة^(٣). وقال قوم: لا يجوز طرح الواو، وجعلوا جواب حتى إذا فتحت في قوله ياويلنا، فيكون مجاز الآية. حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق، قالوا: ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا. قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وفي قوله «هي» ثلاثة أوجه: .

أحدها: أنها كناية عن الإبصار. ثم أظهر الإبصار بياناً، معناه فإذا / الأبصار شاخصة أبصار الذين كفروا .

والثاني: أن «هي» تكون عماداً كقوله: (فإنها لا تعمي الأبصار) (الحج: ٤٦) .

والثالث: أن يكون تمام الكلام عند قوله: «هي»، على معنى فإذا هي بارزة يعني من قربها كأنها حاضرة، ثم ابتداء: ﴿شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، على تقديم الخبر على الابتداء، مجازها أبصار الذين كفروا شاخصة. قال الكلبي: شخصت أبصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهوله، يقولون، ﴿يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا﴾، اليوم، ﴿بل كنا ظالمين﴾، بوضعنا

(١) أخرجه مسلم في الفتن، باب الآيات التي تكون قبل الساعة برقم (٢٩٠١) / ٤ / ٢٢٥، والمصنف في شرح السنة: ٤٥/١٥ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٣) أخرجه الطبري: ٩٢/١٧ .

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٨﴾
 لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ
 فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ

العبادة في غير موضعها .

﴿إِنَّكُمْ﴾ أيها المشركون ﴿وما تعبدون من دون الله﴾، يعني الأصنام، ﴿حصب جهنم﴾، أي وقودها. وقال مجاهد وقتادة: حطبها، والحصب في لغة أهل اليمن: الحطب. وقال عكرمة: هو الحطب بلغة الحبشة. قال الضحاك: يعني يرمون بهم في النار كما يرمي بالحصاء. وأصل الحصب الرمي، قال الله عز وجل: (أرسلنا عليهم حاصباً) (القمر: ٣٤) أي ريحاً ترميهم بحجارة، وقرأ علي ابن أبي طالب: حطب جهنم، ﴿أنتم لها واردون﴾، أي فيها داخلون .

﴿لو كان هؤلاء﴾، يعني الأصنام، ﴿آلهة﴾ على الحقيقة، ﴿ما وردوها﴾، أي ما دخل عابدها النار، ﴿وكل فيها خالدون﴾، يعني العابد والمعبودين .

﴿لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون﴾، قال ابن مسعود: في هذه الآية إذا بقى في النار من يخلد فيها جعلوا في تواييت من نار، ثم جعلت تلك التواييت في تواييت أخرى [ثم تلك التواييت في تواييت أخرى] (١) عليها مسامير من نار، فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره، ثم استثنى فقال: . .

﴿إن الذين سبقتم لهم منا الحسنَى﴾ ، قال بعض أهل العلم: إن هاهنا بمعنى: إلا الذين سبقتم لهم منا الحسنَى، يعني السعادة والعدّة الجميلة بالجنة، ﴿أولئك عنها مبعدون﴾، قيل: الآية عامة في كل من سبقتم لهم من الله السعادة. وقال أكثر المفسرين: عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع وعبادة من يعبده كاره، وذلك أن رسول الله ﷺ دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثمانمائة وستون صنماً فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ثم تلا عليه: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾، الآيات الثلاثة، ثم قام فأقبل عبد الله بن الزبيري السهمي فأخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله ﷺ فقال عبد الله: أما والله لو وجدته لخصمته، فدعوا رسول الله ﷺ فقال له ابن الزبيري: أنت قلت:

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ
 أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ

«إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم؟ قال: نعم، قال: أليست اليهود تعبد عزيزاً والنصارى تعبد المسيح، وبنو مليح يعبدون الملائكة؟ فقال النبي ﷺ: بل هم يعبدون الشياطين فأنزل الله عز وجل: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنی﴾^(١)، يعني عزيزاً والمسيح والملائكة، ﴿أولئك عنها مبعدون﴾، وأنزل في ابن الزبيري: (ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون) (الزخرف: ٥٨)، وزعم جماعة أن المراد من الآية الأصنام، لأن الله تعالى قال: ﴿وما تعبدون من دون الله﴾، ولو أراد به الملائكة والناس لقال ومن تعبدون من دون الله^(٢).

﴿لا يسمعون حسيسها﴾، يعني صوتها وحركة تلهبها إذا نزلوا منازلهم في الجنة، والحسن والحسيس: الصوت الخفي: ﴿وهم فيما اشتت أنفسهم خالدون﴾، مقيمون كما قال: (وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين) (الزخرف: ٧١).

﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾، قال ابن عباس: الفزع الأكبر: النفخة الأخيرة بدليل قوله عز وجل: (ويوم يُنفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض) (الجم: ٨٧)، قال الحسن: حتى يؤمر بالعبد إلى النار. وقال ابن جريج: حين يذبح الموت ويُنَادِي يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. وقال سعيد بن جبیر والضحاك: هو أن تطبق عليهم جهنم وذلك بعد أن يُخرج الله منها من يريد أن يخرجها^(٣). ﴿وتتلقاهم الملائكة﴾، أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنئونهم، ويقولون: ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾.

(١) قال ابن حجر في الكافي الشاف: ص (١١١) ذكره الثعلبي ثم البغوي بغير إسناد، ولم أجده هكذا إلا ملفقاً، فأما صدره ففي الطبراني الصغير من حديث ابن عباس... وأما قوله: وكانت صنائيد قريش، فقصه أخرى ذكرها ابن إسحاق في المغازي والطبري من طريق ابن عباس، وروى ابن مردويه والواحدي عن ابن عباس قال: لما نزلت (إنكم وما تعبدون من دون الله) شق ذلك على قريش... فذكر نحوه.

انظر الطبري: ٩٧/١٧، أسباب النزول للواحدي: ص ٣٥٣-٣٥٤، مجمع الزوائد: ٦٩-٦٨/٧.

(٢) قال ابن حجر في الكافي الشاف: ص ١١١-١١٢ اشتهر في السنة كثير من علماء العجم وفي كتبهم أن النبي ﷺ قال: ما أجهلك بلغة قومك، فإني قلت: (وما تعبدون) وهي لما لا يعقل، ولم أقل ومن تعبدون أ.هـ. وهو شيء لا أصل له ولا يوجد لا مستنداً ولا غير مستند.

(٣) أخرج هذه الأقوال الطبري: ٩٨/١٧-٩٩، ثم رجح قائلاً:
 وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: ذلك عند النفخة الآخرة، وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفزع الأكبر، وأمن منه، فهو مما بعده أحرى أن لا يفزع، وأن من أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفزع مما بعده.

هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ
 لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾
 وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾

﴿يوم نطوي السماء﴾، قرأ أبو جعفر: ﴿نطوي﴾ بالتاء وضمها وفتح الواو، ﴿والسما﴾،
 رفع على المجهول، وقرأ العامة بالنون وفتحها وكسر الواو، ﴿والسما﴾ نصب، ﴿كطي السجل
 للكتب﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم للكتب على الجمع، وقرأ الآخرون للكتاب على
 الواحد، واختلفوا في السجل، فقال السدي: السجل ملك يكتب أعمال العباد، واللام زائدة، أي
 كطي السجل الكتب كقوله (ردف لكم) (الهمل: ٧٢)، اللام فيه زائدة، وقال ابن عباس ومجاهد
 والأكثر: السجل الصحيفة للكتب أي لأجل ما كتب معناه كطي الصحيفة على مكتوبها، والسجل
 اسم مشتق من المساجلة وهي المكاتبة، والطي هو الدرج الذي هو ضد النشر، ﴿كما بدأنا أول
 خلق نعيده﴾، أي كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلاً كذلك نعيدهم يوم القيامة، نظيره
 قوله تعالى: (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة) (الأنعام: ٩٤)، وروي عن ابن عباس عن
 النبي ﷺ قال: «إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً»، ثم قرأ: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾^(١)،
 ﴿وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾، يعني الإعادة والبعث .

قوله عز وجل: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر﴾، قال سعيد بن جبير ومجاهد: الزبور
 جميع الكتب المنزلة، والذكر أم الكتاب الذي عنده، والمعنى من بعد ما كتب ذكره في اللوح
 المحفوظ .

وقال ابن عباس والضحاك: الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة .

وقال الشعبي: الزبور كتاب داود، [والذكر التوراة. وقيل: الزبور زبور داود]^(٢) والذكر
 القرآن، وبعد بمعنى قبل، كقوله تعالى: (وكان وراءهم ملك) (الكهف: ٧٩): أي أمامهم / ،
 (والأرض بعد ذلك دحاها) (النازعات: ٣٠) قبله، ﴿أن الأرض﴾، يعني أرض الجنة، ﴿يرثها
 عبادي الصالحون﴾، قال مجاهد: يعني أمة محمد ﷺ دليله قوله تعالى: (وقالوا الحمد لله الذي

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) ٣٨٦/٦، ومسلم في الجنة وصفة نعمها، باب
 فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة برقم (٢٨٦٠) ٢١٩٤/٤ والمصنف في شرح السنة: ١٢٢/١٥-١٢٣ .

(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

إِنَّ فِي هَذَا بَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
 ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ
 ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِن أَدْرِي أَقْرَبُ أَم بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾

صدقنا وعده وأورثنا الأرض (الزمر: ٧٤)، وقال ابن عباس: أراد أن أراضى الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله بإظهار الدين وإعزاز المسلمين. وقيل: أراد بالأرض الأرض المقدسة.

﴿إن في هذا﴾، أي في هذا القرآن، ﴿لبلاغاً﴾، وصولاً إلى البغية، أي من اتبع القرآن وعمل به وصل إلى ما يرجوه من الثواب. وقيل: بلاغاً أي كفاية. يقال في هذا الشيء بلاغ وبلغه أي كفاية، والقرآن زاد الجنة كبلاغ المسافر، ﴿لقوم عابدين﴾، أي المؤمنين الذين يعبدون الله، وقال ابن عباس: عالمين. وقال كعب الأحبار: هم أمة محمد ﷺ أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان.

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، قال ابن زيد: يعني رحمة للمؤمنين خاصة فهو رحمة لهم. [وقال ابن عباس: هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له] (١) في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنهم ورفع المسخ والخسف والاستئصال عنهم، وقد قال النبي ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة» (٢).

﴿قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾، أي أسلموا.

﴿فإن تولوا فقل آذنتكم﴾، أي أعلمتكم بالحرب وأن لا صلح بيننا، ﴿على سواء﴾، أي إنذار بين يستوي في علمه لا استيذاناً به دونكم لتأهبوا لما يُراد بكم، أي آذنتكم على وجه نستوي نحن وأنتم في العلم به، وقيل: لتستووا في الإيمان، ﴿وإن أدري﴾، أي وما أعلم. ﴿أقرب أم بعيد ما توعدون﴾، يعني القيامة.

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٢) أخرجه الدارمي عن أبي صالح مرسلًا، في المقدمة، باب كيف كان أول شأن النبي ﷺ ٩/١ ووصله الحاكم ٣٥/١ وصححه على شرط الشيخين، وقال: «فقد احتجا جميعاً بمالك بن سعيد، والتفرد من الثقات مقبول» وواقفه الذهبي، ورواه البيهقي في شعب الإيمان: ٥٧٧/٣ مرسلًا من طريق الأعمش عن أبي صالح مرفوعاً. ثم قال: رواه زياد بن يحيى الحساني عن مالك بن سعيد عن الأعمش موصولاً بذكر أبي هريرة فيه، ثم ساقه بإسناده، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ٥٠٤/١١، وابن سعد في الطبقات: ١٩٢/١-١٩٣ من طريق وكيع مرسلًا، وقال الهيثمي في المجمع: ٢٥٧/٨ رواه البزار والطبراني في الصغير ورجال البزار رجال الصحيح، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٨٠٣/١-٨٠٥.

إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ
 فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ
 مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

﴿ إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون ﴾ .

﴿ وإن أدري لعله ﴾، أي لعل تأخير العذاب عنكم كناية عن غير مذكور، ﴿ فتنة ﴾، اختبار،
 ﴿ لكم ﴾، ليرى كيف صنعكم وهو أعلم، ﴿ ومانع إلى حين ﴾، أي تمتعون إلى انقضاء
 آجالكم .

﴿ قال رب احكم بالحق ﴾ قرأ حفص عن عاصم: ﴿ قال رب احكم ﴾، والآخرون: ﴿ قل
 رب احكم ﴾ افضل بيني وبين من كذبنى بالحق، فإن قيل كيف قال احكم بالحق والله لا يحكم
 إلا بالحق؟ قيل: الحق هاهنا بمعنى العذاب كأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر، نظيره قوله
 تعالى: (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) (الأعراف: ٨٩)، وقال أهل المعاني: معناه رب احكم
 بحكمك الحق فحذف الحكم وأقيم الحق مقامه، والله تعالى يحكم بالحق طلب أو لم يطلب، ومعنى
 الطلب ظهور الرغبة من الطالب في حكمه الحق، ﴿ وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ﴾،
 من الكذب والباطل .

* * *

سُورَةُ الْجُحُودِ

سُورَةُ الْحَجِّ

مكيّة غير آيات من قوله عز وجل ﴿هذان خصمان﴾ إلى قوله ﴿وهودوا إلى صراط الحميد﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كُمُ إِتْ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا
تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾، أي: احذروا عقابه بطاعته، ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾،
والزلزلة والزّلزال شدة الحركة على الحال الهائلة، واختلفوا في هذه الزلزلة :

فقال علقمة والشعبي: هي من أسراط الساعة. [وقيل: قيام الساعة] (١).

وقال الحسن والسدي: هذه الزلزلة تكون يوم القيامة .

وقال ابن عباس: زلزلة الساعة قيامها فتكون معها .

﴿يوم ترونها﴾، يعني الساعة، وقيل: الزلزلة، ﴿تذهل﴾ قال ابن عباس: تشغل، وقيل: تنسى،
يقال: ذهلت عن كذا أي تركته واشتغلت بغيره. ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾، أي: كل امرأة
معها ولد ترضعه، يقال: امرأة مرضع، بلا هاء، إذا أريد به الصفة، مثل حائض وحامل، فإذا أرادوا
الفاعل أدخلوا الهاء. ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾، أي: تسقط ولدها من هول ذلك اليوم .

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢٠﴾

قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام^(١)، وهذا يدل على أن هذه الزلزلة تكون في الدنيا لأن بعد البعث لا يكون حمل .

ومن قال: تكون في القيامة، قال هذا على وجه تعظيم الأمر لا على حقيقته، كقولهم: أصابنا أمر يشيب فيه الوليد، يريد شدته .

﴿وترى الناس سُكَارَىٰ وما هم بسُكَارَىٰ﴾، قرأ حمزة والكسائي: «سكرى وما هم بسكرى» بلا ألف وهما لغتان في جمع السكران، مثل كسلى وكسالى .

قال الحسن: معناه: وترى الناس سكارى من الخوف، وما هم بسكارى من الشراب .
وقيل: معناه: وترى الناس كأنهم سكارى، ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ .

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمش الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي العبسي، أخبرنا وكيع عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم قم فابعثْ بَعَثَ النار، قال فيقول: لبيك وسعديك والخير كله في يديك، يا رب وما بعث النار؟ قال فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: فحينئذ يشيب المولود، وتضع كل ذات حمل حملها وترى [الناس]^(٢) سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، قال: فيقولون: وأينا ذلك الواحد؟ فقال رسول الله ﷺ: «تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج ومنكم واحد»، فقال الناس: الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: «والله إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، والله إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، والله إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، قال فكبر الناس، فقال رسول الله ﷺ: ما أنتم يومئذ في الناس إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، أو الشعرة السوداء في الثور الأبيض»^(٣) .

وروي عن عمران بن حصين، وأبي سعيد الخدري، وغيرهما: أن هاتين الآيتين نزلتا في

(١) أخرجه الطبري: ١١٤/١٧ .

(٢) ساقط من (أ) .

(٣) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب: قول الله تعالى (يسألونك عن ذي القرنين) ٣٨٢/٦، ومسلم في الإيمان، باب: قوله (يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين برقم (٢٢٢) ٢٠١/١-٢٠٢ والمصنف في شرح السنة: ١٤٠-١٣٩/١٥ .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴿٣﴾ كِتَابٌ

غزوة / بني المصطلق ليلاً فنأدى [منادي] (١) رسول الله ﷺ فحُثُوا المطي حتى كانوا حول رسول الله ﷺ، فقراها عليهم فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة، فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب، ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا قدراً، والناس ما بين باكٍ أو جالس حزين متفكر، فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون أي يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذلك يوم يقول الله عز وجل لآدم قم فابعث بعث النار من ولدك، فيقول آدم: من كل كم؟ فيقول الله عز وجل: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد في الجنة، قال: فكبر ذلك على المسلمين وبكوا وقالوا: فمن ينجو إذا يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: أبشروا وسددوا وقاربوا فإن معكم خليقتين ما كانتا في قوم إلا كثرته: يأجوج ومأجوج، ثم قال: إني لأرجو [أن تكونوا] (١) ثلث أهل الجنة، فكبروا وحمدوا الله، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبروا وحمدوا الله، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة، وإن أهل الجنة مائة وعشرون صفاءً، ثمانون منها أمتي، وما المسلمون في الكفار إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة، بل كالشعرة السوداء في الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود. ثم قال: ويدخل من أمتي سبعون ألفاً الجنة بغير حساب، فقال عمر: سبعون ألفاً؟ قال: نعم ومع كل واحد سبعون ألفاً، فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: أنت منهم، فقام رجل من الأنصار فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله ﷺ: سبقك بها عكاشة (٢).

قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، نزلت في النضر بن الحارث (٣)، كان كثير الجدل، وكان يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وكان ينكر البعث وإحياء من صار تراباً.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ أي: يتبع في جداله في الله بغير علم، ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾، والمريد: المتمرد المستمر في الشر.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾، قُضِيَ عَلَى الشَّيْطَانِ، ﴿أَنَّهُ مِنْ تَوَلَّاهُ﴾، اتبعه ﴿فَأَنَّهُ﴾، يعني الشيطان،

(١) ساقط من الآية.

(٢) أخرجه الترمذي: ١٢/٩-١٣ حتى قوله: في ذراع الدابة، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والإمام أحمد ٤/٤٣٥ حتى قوله: أو الرقمة في ذراع الدابة، والحاكم: ٢/٣٨٥، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وعزه ابن حجر في الكافي الشاف ص ١١٢ للثعلبي والبيهقي، ثم قال: وأما آخره فلم أره.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٨/٦ لابن أبي حاتم.

عَلَيْهِ أَنَّهُ، مَنْ تَوَلَّاهُ فَاتَّهُ، يُضِلُّهُ، وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ
 إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
 مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ

﴿يُضِلُّهُ﴾، أي: يضل من تولاها، ﴿ويهديه إلى عذاب السعير﴾، ثم ألزم الحجة على منكري البعث فقال:

﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب﴾، في شك، ﴿من البعث فإننا خلقناكم﴾ يعني: أباكم آدم الذي
 هو أصل النسل، ﴿من تراب ثم من نطفة﴾ يعني: ذريته، والنطفة هي المنى، وأصلها الماء القليل
 وجمعها نطاف، ﴿ثم من علقه﴾، وهي الدم الغليظ المتجمد، وجمعها علق، وذلك أن النطفة تصير
 دماً غليظاً ثم تصير لحماً، ﴿ثم من مضغ﴾، وهي لحمه قليلة قدر ما يمضغ، ﴿مخلقة وغير مخلقة﴾.

قال ابن عباس وقتادة: «مخلقة» أي تامة الخلق، «وغير مخلقة» غير تامة أي ناقصة الخلق.

وقال مجاهد: مصورة وغير مصورة، يعني السقط.

وقيل: «المخلقة» الولد الذي تأتي به المرأة لوقته، «وغير المخلقة» السقط.

روي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها ملك
 بكفه وقال: أي رب مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلقة، قذفها الرحم دماً ولم تكن نسمة،
 وإن قال: مخلقة، قال الملك: أي رب أذكر أم أنثى، أشقي أم سعيد؟ ما الأجل ما العمل ما الرزق
 وبأي أرض تموت؟ فيقال له: اذهب إلى أم الكتاب فإنك تجد فيها كل ذلك، فيذهب فيجدها في
 أم الكتاب فينسخها، فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفته^(١).

﴿لنبيِّن لكم﴾، كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف أطوار خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق
 على قدرته على الإعادة.

وقيل: لنبيِّن لكم ما تأتون وما تذكرون وما تحتاجون إليه في العبادة.

﴿ونُقِرُّ في الأرحام ما نشاء﴾، فلا تمجه ولا تسقطه، ﴿إلى أجل مسمى﴾، وقت خروجها من
 الرحم تامة الخلق والمدة. ﴿ثم نُخْرِجُكُمْ﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طفلاً﴾ أي: صغاراً، ولم يقل:

(١) أخرجه الترمذي في «نوار الأصول» وابن أبي حاتم.

انظر: الدر المنثور: ٩/٦.

مُسَمًّى ثُمَّ نَحْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ
 مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ
 هَامِدَةً فَاِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ
 ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ
 آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ
 بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾

أطفالاً، لأن العرب تذكر الجمع باسم الواحد. وقيل: تشبيهاً بالمصدر مثل عدل وزور. ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ يعني: الكمال والقوة.

﴿ومنكم من يتوفى﴾، من قبل بلوغ الكبر، ﴿ومنكم من يُردُّ إلى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾، أي: الهرم والخرف، ﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾، أي: يبلغ من السن ما يتغير عقله فلا يعقل شيئاً. ثم ذكر دليلاً آخر على البعث فقال: ﴿وترى الأرض هامدة﴾، أي: يابسة لا نبات فيها، ﴿فاذا أنزلنا عليها الماء﴾، المطر، ﴿اهتزت﴾، تحركت بالنبات وذلك أن الأرض ترتفع بالنبات فذلك تحركها، ﴿وربت﴾، أي: ارتفعت وزادت، وقيل: فيه تقديم وتأخير معناه: ربت واهتزت وربما نباتها، فحذف المضاف، والاهتزاز في النبات أظهر، يقال: اهتز النبات أي: طال وإنما أتت لذكر الأرض. وقرأ أبو جعفر: ﴿وربات﴾ بالهمزة، وكذلك في حم السجدة، أي: ارتفعت وعلت. ﴿وأنبتت من كل زوج بهيج﴾، أي: صنف حسن يهيج به من رآه، أي: يُسرُّ، فهذا دليل آخر على البعث.

﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾، أي: لتعلموا أن الله هو الحق، ﴿وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير﴾.

﴿وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾.

﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾، يعني النضر بن الحارث، ﴿ولا هدى﴾، بيان ﴿ولا كتاب منير﴾.

ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ

﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾، أي: متبخرًا لتكبره. وقال مجاهد، وقتادة: لاوي عنقه. قال عطية، وابن زيد: معرضاً عما يدعى إليه تكبراً. وقال ابن جريج: يعرض عن الحق تكبراً. والعطف: الجانب، وعطفًا الرجل: جانباه عن يمين وشمال وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان أي يلويه ويميله عند الإعراض عن الشيء، نظيره قوله تعالى: (وإذا تلى عليه آياتنا ولَّى مستكبراً) (لقمان: ٧)، وقال تعالى: (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم) (المنافقون: ٥). ﴿ليضل عن / سبيل الله﴾، عن دين الله، ﴿له في الدنيا خزي﴾، عذاب وهوان، وهو القتل بيد، فقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط يوم بدر صبراً. ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾.

ويقال له: ﴿ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾، فيعذبهم بغير ذنب وهو جل ذكره على أي وجه شاء تصرف في عبده، فحكمه عدل وهو غير ظالم.

قوله عز وجل: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾، الآية نزلت في قوم من الأعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم إذا قدم المدينة فصحَّ بها جسمه وتنجت بها فرسه مهراً حسناً وولدت امرأته غلاماً وكثر ماله، قال: هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيراً واطمأن إليه، وإن أصابه مرض وولدت امرأته جارية وأجهضت رماكه^(١) وقُل ماله، قال: ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا شراً فينقلب عن دينه، وذلك الفتنة^(٢) فأنزل الله عز وجل:

﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾، أكثر المفسرين قالوا: على شك وأصله من حَرَف الشيء وهو طرفه، نحو حرف الجبل والحائط الذي كالقائم عليه غير مستقر، فقيل للشاك في الدين إنه يعبد الله على حرف لأنه على طرف وجانب من الدين لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وأصله كالقائم على حرف الجبل مضطرب غير مستقر، يعرض أن يقع في أحد جانبي الطرف لضعف قيامه، ولو عبدوا الله في الشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف، قال الحسن: هو المنافق

(١) الأئمة من البراهين.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٣٥٥ عن المفسرين، وأخرجه الطبري: ١٧/١٢٢-١٢٣، وأخرج البخاري نحوه في

التفسير: ٤٤٢/٨ عن ابن عباس.

خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا مَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِيُبَسِّسَ الْمَوْلَىٰ وَلِيُبَسِّسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾

يعبده بلسانه دون قلبه ﴿فإن أصابه خير﴾، صحة في جسمه، وسعة في معيشته، ﴿اطمأن به﴾، أي: رضي به وسكن إليه، ﴿وإن أصابته فتنة﴾، بلاء في جسده، وضيق في معيسته، ﴿انقلب على وجهه﴾، ارتد ورجع على عقبه إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر، ﴿خسر الدنيا﴾، يعني هذا الشاك خسر الدنيا بفوات ما كان يؤمل، ﴿والآخرة﴾، بذهاب الدين والخلود في النار. قرأ يعقوب ﴿خاسر﴾ بالألف ﴿والآخرة﴾ جر. ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾، الظاهر .

﴿يدعو من دون الله ما لا يضره﴾، إن عصاه ولم يعبده، ﴿وما لا ينفعه﴾، إن أطاعه وعبده، ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾، عن الحق والرشد .

﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾، هذه الآية من مشكلات القرآن وفيها أسئلة: .

أولها قالوا: قد قال الله في الآية الأولى «يدعو من دون الله ما لا يضره»، وقال هاهنا: «لمن ضره أقرب»، فكيف التوفيق بينهما؟

قيل قوله في الآية الأولى «يدعو من دون الله ما لا يضره» أي: لا يضره ترك عبادته، وقوله: «لمن ضره أقرب» أي: ضر عبادته .

فإن قيل: قد قال: «لمن ضره أقرب من نفعه» ولا نفع في عبادة الصنم أصلاً؟ .

قيل: هذا على عادة العرب، فإنهم يقولون لما لا يكون أصلاً: بعيداً، كقوله تعالى: (ذلك رجع بعيد) (ق: ٣) أي: لا رجع أصلاً، فلما كان نفع الصنم بعيداً، على معنى: أنه لا نفع فيه أصلاً، قيل: ضره أقرب، لأنه كائن .

السؤال الثالث: قوله ﴿لمن ضره أقرب﴾ ما وجه هذه اللام؟ اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هي صلة، مجازها: يدعو من ضره أقرب^(١)، وكذلك قرأها ابن مسعود. وقيل: «لمن ضره» أي إلى الذي ضره أقرب من نفعه. وقيل: «يدعو» بمعنى يقول: والخبر محذوف، أي يقول: لمن ضره أقرب من نفعه هو إله .

(١) انظر مسائل الرازي وأجوبتها ص ٢٧٢ .

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي
 الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ
 مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

وقيل: معناه يدعو لمن ضره أقرب من نفعه يدعو، فحذف يدعو الأخيرة اجتزاء بالأولى،
 ولو قلت: يضرب لمن خيره أكثر من شره يضرب، ثم يحذف الأخير جاز .

وقيل: على التوكيد، معناه: يدعو والله لَمَنْ ضره أقرب من نفعه .

وقيل: «يدعو من» صلة قوله: «ذلك هو الضلال البعيد» يقول: ذلك هو الضلال البعيد يدعو،
 ثم استأنف فقال: «لمن ضره أقرب من نفعه» فيكون «من» في محل رفع بالابتداء وخبره: «لبس
 المولى»، أي الناصر. وقيل: المعبود. «ولبس العشير»، أي: الصاحب والمخالط، يعني: الوثن، والعرب
 تسمى الزوج عشيراً لأجل المخالطة .

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ .

﴿من كان يظن أن لن ينصره الله﴾، يعني نبيه محمداً ﷺ ﴿في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب﴾،
 بجبل ﴿إلى السماء﴾ أراد بالسماء سقف البيت على قول الأكثرين، أي: ليشد حبلاً في سقف بيته
 فليختنق به حتى يموت، ﴿ثم ليقطع﴾ الجبل بعد الاختناق. وقيل: «ثم ليقطع» أي يمد الجبل حتى
 ينقطع فيموت مختنقاً، ﴿فلينظر هل يذهبن كيده﴾، صنيعه وحياته، ﴿ما يغيظ﴾ «ما» بمعنى المصدر،
 أي: هل يذهبن كيده وحيثه غيظه، معناه: فليختنق غيظاً حتى يموت. وليس هذا على سبيل الحتم
 أي: أن يفعله لأنه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق والموت، ولكنه كما يقال للحاسد: إن لم
 تُرض هذا فاختنق ومث غيظاً .

وقال ابن زيد: المراد من السماء السماء المعروفة .

ومعنى الآية: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكيد في أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله،
 فإن أصله من السماء، فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع عن النبي ﷺ الوحي الذي يأتيه فلينظر
 هل يقدر على إذهاب غيظه بهذا الفعل .

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَن يُرِيدُ ﴿٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ
يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ

وروي أن هذه الآية نزلت في قوم من أسد وغطفان، دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام وكان
بينهم وبين اليهود حلف، وقالوا: لا يمكننا أن نُسلم لأننا نخاف أن لا يتصرَّ محمدٌ ولا يظهر أمره
فينقطع الحلف بيننا وبين اليهود، فلا يميرونا ولا يؤووننا فنزلت هذه الآية (١).

وقال مجاهد: «النصر» بمعنى الرزق / والهاء راجعة إلى ﴿من﴾ ومعناه: من كان يظن أن لن
يرزقه الله في الدنيا والآخرة. نزلت فيمن أساء الظن بالله عز وجل وخاف ألا يرزقه الله، «فليمدد
بسبب إلى السماء»، أي: إلى سماء البيت، فلينظر هل يذهب فعله ذلك ما يغيظ، وهو خيفة أن لا يرزق.
وقد يأتي النصر بمعنى الرزق، تقول العرب: من ينصرني نصره الله. أي: من يعطني أعطاه الله،
قال أبو عبيدة: تقول العرب: أرض منصور، أي: ممطورة .

قرأ أبو عمرو، ونافع، وابن عامر، ويعقوب: «ثم ليقطع» «ثم ليقضوا» بكسر اللام، والباقون يجزمها
لأن الكل لام الأمر، زاد ابن عامر (وليوفوا نذورهم وليطوفوا) (الحج: ٢٩) بكسر اللام فيهما،
ومن كسر في: «ثم ليقطع» وفي «ثم ليقضوا» فرق بأن ثم مفصول من الكلام، والواو كأنها من
نفس الكلمة كالفاء في قوله: «فلينظر» .

﴿وكذلك﴾ أي: مثل ذلك، يعني: ما تقدم من آيات القرآن، ﴿أنزلناه﴾، يعني: القرآن ﴿آيات
بينات وأن الله يهدي من يريد﴾ .

﴿إن الذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا﴾، يعني: عبدة الأوثان، ﴿إن
الله يفصل بينهم﴾، يحكم بينهم، ﴿يوم القيامة، إن الله على كل شيء شهيد﴾ .
﴿ألم تر﴾، ألم تعلم، وقيل: ﴿ألم تر﴾ [تقرأ] (٢) بقلبك ﴿أن الله يسجد له من في السموات ومن

(١) ذكره الطبري: ١٢٨/١٧ بدون سند .

(٢) زيادة من «ب» .

وَالشَّجَرُ وَالذَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يهِن
 اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٧٨﴾ هَذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا
 فِي رَبِّهِمْ فَأَلْدَيْنَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمْ

في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ﴿٧٨﴾، قال مجاهد: سجودها تحول
 ظلها. وقال أبو العالية: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجداً حين يغيب ثم لا
 ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعها. وقيل: سجودها بمعنى الطاعة
 فإنه ما من جماد إلا وهو مطيع لله خاشع له مسبح له كما أخبر الله تعالى عن السموات والأرض
 (قلنا أتينا طائعين) (فصلت: ١١)، وقال في وصف الحجارة (وإن منها لما يهبط من خشية الله)
 (البقرة: ٧٤)، وقال تعالى: (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) (الإسراء:
 ٤٤)، وهذا مذهب حسن موافق لقول أهل السنة.

قوله: ﴿وَكثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾، أي: من هذه الأشياء كلها تسبح الله عز وجل «وكثير من الناس»،
 يعني المسلمين. ﴿وَكثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾، وهم الكفار لكفرهم وتركهم السجود وهم مع
 كفرهم تسجد ظلهم لله عز وجل. والواو في قوله: ﴿وَكثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾، واو الاستئناف.
 ﴿وَمَن يهِنَ اللَّهُ﴾ أي: يهين الله ﴿فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ أي: من ينزله الله فلا يكرمه أحد، ﴿إِن
 اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، أي: يكرم ويهين فالسعادة والشقاوة بإرادته ومشيئته.

قوله عز وجل: ﴿هَذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ أي: جادلوا في دينه وأمره، والخصم اسم
 شبيه بالمصدر، فلذلك قال: ﴿اخْتَصَمُوا﴾ بلفظ الجمع كقوله: (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا
 المحراب) (ص: ٢١)، واختلفوا في هذين الخصمين:

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا
 محمد بن إسماعيل، أخبرنا يعقوب بن إبراهيم، أخبرنا هشيم، أخبرنا أبو هاشم، عن أبي مجلز، عن
 قيس بن عباد قال: سمعت أبا ذر يقسم قسماً أن هذه الآية: ﴿هَذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾
 نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة، وشيبة ابني أبي ربيعة،
 والوليد بن عتبة^(١).

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب قتل أبي جهل: ٢٩٧/٧، ومسلم في التفسير، باب: في قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا

في ربهم) برقم: (٣٠٣٣) ٢٣٢٣/٤.

وأخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا حجاج بن منهال، حدثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعتُ أبي قال أخبرنا أبو مجلز، عن قيس بن عباد، عن علي بن أبي طالب قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال قيس: وفيهم نزلت: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علي وحمزة، وعبيدة، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة^(١).

قال محمد بن إسحاق خرج - يعني يوم بدر - عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة: عوذ ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفراء، وعبد الله بن رواحة فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار، فقالوا حين انتسبوا: أكفاء كرام، ثم نادى مناديه: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ: قم يا عبيدة ابن الحارث ويا حمزة بن عبد المطلب ويا علي بن أبي طالب، فلما دَتَوْا قالوا مَنْ أنتم؟ فذكروا وقالوا: نعم أكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد بن عتبة، فأما حمزة فلم يُمهَل أن قتل شيبة، وعلي الوليد، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما [أُثِبَتْ]^(٢) صاحبه، ففكر حمزة وعلي بأسياهما على عتبة فذفقا عليه واحتملا عبيدة إلى أصحابه، وقد قُطعت رجله ومخها يسيل، فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله ﷺ قال: ألسْتُ شهيداً يا رسول الله؟ قال: «بلى»، فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حياً لعلمَ أنا أحقُّ بما قال منه^(٣) حيث يقول:

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال ابن عباس وقتادة: نزلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب: نحن أولى بالله وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحقُّ بالله آمنا بنبينا محمد ﷺ ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم به حسداً، فهذه خصومتهم في ربهم^(٤).

وقال مجاهد وعطاء بن أبي رباح والكلبي: هم المؤمنون والكافرون كلهم من أي ملة كانوا^(٥).

وقال بعضهم: جعل الأديان ستة في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا) (المائدة: ٦٩) الآية، فجعل خمسة للنار وواحد للجنة، فقوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ ينصرف

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب قتل أبي جهل: ٢٩٦/٧.

(٢) في «ب» أنخن.

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام مع الروض الأنف: ٦٧/٢-٦٨.

(٤) أخرجه الطبري: ١٣٢/١٧ عن ابن عباس.

(٥) انظر الطبري: ١٣٢/١٧.

الْحَمِيمُ ﴿١١﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿١٢﴾

١/٢٥

إليهم فالؤمنون / خصمهم وسائر الخمسة خصمهم .

وقال عكرمة: هما الجنة والنار اختصمتا كما، أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أخبرنا أبو طاهر الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد حسين القطان، أخبرنا أحمد بن يوسف السلمي، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام بن منبه، قال: حدثنا أبو هريرة: قال: قال رسول الله ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ: أُوْثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلَنِي إِلَّا ضَعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغَرَّتُهُمْ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَسَاءَ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أَعْدَبُ بِكَ مَنْ أَسَاءَ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ فِيهَا رِجْلَهُ فَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ، فَهَنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيَزُورِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلَمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْشِئُ لَهَا خَلْقًا»^(١). ثم بين الله عز وجل ما للخصمين فقال:

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾، قال سعيد بن جبیر: ثياب من نحاس مذاب، وليس من الآنية شيء إذا حمي أشد حرامنه وسُمي باسم الثياب لأنها تحيط بهم كإحاطة الثياب. وقال بعضهم: يلبس أهل النار مُقَطَّعَاتٍ مِنَ النَّارِ، ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾، الحميم: هو الماء الحار الذي انتهت حرارته .

﴿يُصْهَرُ بِهِ﴾ أي: يذاب بالحميم، ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾، يقال: صهرت الإلية والشحم بالنار إذا أذبتما أصهرها صهرًا، معناه يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم حتى يسقط ما في بطونهم من الشحوم والأحشاء، ﴿وَالْجُلُودُ﴾ أي: يشوي حرها جلودهم فتساق .

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن زيد، عن أبي السمع، عن أبي حنيفة واسمه عبد الرحمن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ فَيَنْفُذُ الْجَمِجِمَةَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ فَيَسْلُتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ»^(٢) .

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب (وتقول هل من مزيد) ٥٩٥/٨، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٤٦) ٢١٨٦/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٥٧-٢٥٦/١٥ .

(٢) أخرجه الترمذي في صفة أهل جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ٣٠٢/٧-٣٠٣، وقال: هذا حديث غريب صحيح، والإمام أحمد: ٣٧٤/٢، والحاكم في المستدرک: ٣٨٧/٢، والطبري: ١٣٣/١٧-١٣٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٤٤/١٥، وقد ضعف الألباني إسناده في تعليقه على المشكاة: ١٥٨١/٣ .

وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا
 وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ
 وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿ولههم مقامع من حديد﴾، سيات من حديد واحدها: مقمعة، قال الليث: المقمعة شبه الجز من الحديد، من قولهم: قمعت رأسه، إذا ضربته ضرباً عنيفاً، وفي الخبر: «لو وضع مقمعة من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الأرض»^(١).

﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم﴾، أي: كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفاسهم ﴿أعيدوا فيها﴾، أي: رُدُّوا إليها بالمقامع. وفي التفسير: إن جهنم لتجيش بهم فتلقهم إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع من الحديد فيهون فيها سبعين خريفاً. ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾، أي: تقول لهم الملائكة: ذوقوا عذاب الحريق، أي: المُحْرِق، مثل الألم والوجيع.

قال الزجاج: هؤلاء أحد الخصمين. وقال في الآخر، وهم المؤمنون :

﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾، جمع سوار، ﴿ولؤلؤاً﴾، قرأ أهل المدينة وعاصم «ولؤلؤاً» هاهنا وفي سورة الملائكة بالنصب وافق يعقوب هاهنا على معنى ويحلون لؤلؤاً، ولأنها مكتوبة في المصاحف بالألف، وقرأ الآخرون بالخفض عطفاً على قوله: «من ذهب»، ويترك الهمزة الأولى في كل القرآن أبو جعفر وأبو بكر، واختلفوا في وجه إثبات الألف، فيه، فقال أبو عمرو: أثبتوها كما أثبتوا في: قالوا وكانوا، وقال الكسائي: أثبتوها للهمزة، لأن الهمزة حرف من الحروف ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ أي: يلبسون في الجنة ثياب الإبريسم وهو الذي حرم لبسه في الدنيا على الرجال.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم البغوي، أخبرنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة، عن قتادة، عن داود السراج، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ

(١) أخرجه الحاكم: ٦٠٠/٤ من رواية دراج، عن أبي الهيثم، والإمام أحمد: ٢٩/٣ قال الميثمي في الجمع ٣٨٨/١٠ رواه أحمد وأبو يعلى، وفيه ضعفاء وثقوا، وانظر الكافي الشاف ص (١١٢)، الترغيب والترهيب: ٤٧٤/٤.

وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ
فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِ يُظَلَمِ نُذُوقُهُ مِن عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾

قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه الله إياه في الآخرة، فإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو» (١).

قوله عز وجل: ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، قال ابن عباس: هو شهادة أن لا إله إلا الله. وقال ابن زيد: لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله [وسبحان الله] (٢). وقال السدي: أي القرآن. وقيل: هو قول أهل الجنة: «الحمد لله الذي صدقنا وعده». (الزمر: ٧٤) ﴿وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾، إلى دين الله وهو الإسلام، «والحميد» هو الله المحمود في أفعاله.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، عطف المستقبل على الماضي، لأن المراد من لفظ المستقبل الماضي، كما قال تعالى في موضع آخر: (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) (النساء: ١٦٧)، معناه: إن الذين كفروا فيما تقدم، ويصدون عن سبيل الله في الحال، أي: وهم يصدون. ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، أي: ويصدون عن المسجد الحرام. ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾، قبلة لصلاتهم ومنسكاً ومُتَعَبِداً كما قال: (وُضِعَ لِلنَّاسِ) (آل عمران: ٩٦). ﴿سَوَاءً﴾، قرأ حفص عن عاصم ويعقوب: «سواء» نصباً بإيقاع الجعل عليه لأن الجعل يتعدى إلى مفعولين. وقيل: معناه مستوياً فيه، ﴿الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وما بعده خبر، وتمام الكلام عند قوله ﴿لِلنَّاسِ﴾، وأراد بالعاكف: المقيم فيه، والبادي: الطاريء المتتاب إليه من غيره.

ب/٢٥

واختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: «سواء العاكف فيه والباد» أي: في تعظيم حرمة وقضاء النسك فيه. وإليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة، وقالوا: المراد منه نفس المسجد الحرام. ومعنى التسوية: هو التسوية في تعظيم الكعبة في فضل الصلاة في المسجد الحرام والطواف بالبيت.

(١) أخرجه الحاكم: ١٩١/٤ وصححه ووافقه الذهبي، وأبو داود الطيالسي ص (٢٩٤) وأخرجه أيضاً عن عمر رضي الله عنه ص (١٠)، وأخرجه الشيخان عن أنس بن مالك بلفظ: (من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة): البخاري في اللباس، باب: لبس الحرير للرجال: ٢٨٤/١٠، ومسلم في اللباس، باب تحريم الذهب والحرير على الرجال وإباحته للنساء، برقم (٢٠٧٣) ١٦٤٥/٣، والمصنف في شرح السنة: ٣١-٣٠/١٢.

(٢) زيادة من «ب».

وقال آخرون: المراد منه جميع الحرم، ومعنى التسوية: أن المقيم والبادي سواء في النزول به، ليس أحدهما أحق بالمنزل يكون فيه من الآخر، غير أنه لا يزعم فيه أحد إذا كان قد سبق إلى منزل، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقادة وابن زيد، قالوا: هما سواء في [البيوت] ^(١) والمنازل .

وقال عبد الرحمن بن سابط: كان الحجاج إذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحق بمنزله منهم. وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس أن يغلقوا أبوابهم في الموسم، وعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها، وعلى القول الأول - وهو الأقرب إلى الصواب - يجوز، لأن الله تعالى قال: (الذين أخرجوا من ديارهم) (الحج: ٤٠)، وقال النبي ﷺ يوم فتح مكة: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» ^(٢)، فنسب الدار إليه نسب ملك، واشترى عمر داراً للسجن بمكة بأربعة آلاف درهم، فدل على جواز بيعها. وهذا قول طاووس وعمر بن دينار، وبه قال الشافعي .

قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَلَمٍ﴾ أي: في المسجد الحرام بالحاد بظلم وهو الميل إلى الظلم، الباء في قوله «بالحاد» زائدة كقوله: (تبت بالدهن) (المؤمنون: ٢٠)، ومعناه من يرد فيه إلحاداً بظلم، قال الأعشى: «ضمنت برزق عيالنا أرمأحنا»، أي: رزق عيالنا. وأنكر المبرد أن تكون الباء زائدة وقال: معنى الآية من تكن إرادته فيه بأن يلحد بظلم .

واختلفوا في هذا الإلحاد، فقال مجاهد وقادة: هو الشرك وعبادة غير الله .

وقال قوم: هو كل شيء كان منهيًا عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم .

وقال عطاء: هو دخول الحرم غير محرم، أو ارتكاب شيء من محظورات الحرم، من قتل صيد، أو قطع شجر .

وقال ابن عباس: هو أن تقتل فيه من لا يقتلك، أو تظلم فيه من لا يظلمك، وهذا معنى قول الضحاك .

وعن مجاهد أنه قال: تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات .

وقال حبيب بن أبي ثابت: هو احتكار الطعام بمكة .

وقال عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَلَمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾، قال: لو أن رجلاً هم بخطيئة لم تكتب عليه، ما لم يعملها، ولو أن رجلاً هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن

(١) في «ب» السوق .

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم في الجهاد والسير، باب: فتح مكة برقم (١٧٨٠) ٣/١٤٠٥-١٤٠٧ .

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ
لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ

أيين، أو بيلد آخر أذاقه الله من عذاب أليم. وقال السدي: إلا أن يتوب .

وروي عن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الآخر، فسئل عن ذلك فقال: كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله، وبلى والله^(١) .

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾، أي: وطأنا. قال ابن عباس: جعلنا. وقيل: بينا قال الزجاج: جعلنا مكان البيت [مبوءاً لإبراهيم] .

وقال مقاتل بن حيان: هيأنا. وإنما ذكرنا مكان البيت^(٢) لأن الكعبة رفعت إلى السماء زمان الطوفان، ثم لما أمر الله تعالى إبراهيم ببناء البيت لم يدر أين يبني فبعث الله ريحاً خجوجاً فكُنُتْ له ما حول البيت على الأساس^(٣) .

وقال الكلبي: بعث الله سحابةً بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم يا إبراهيم ابن علي قدرني فبني عليه^(٤) . قوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ أي: عهدنا إلى إبراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئاً، ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾، يعني: الذين يطوفون بالبيت، ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ أي: المقيمين، ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، أي: المصلين .

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ﴾ أي: أعلم وناد في الناس، ﴿بِالْحَجِّ﴾، فقال إبراهيم وما يبلغ صوتي؟ فقال: عليك الأذان وعليّ البلاغ، فقام إبراهيم على المقام فارتفع المقام حتى صار كأطول الجبال فأدخل أصبعيه في أذنيه، وأقبل بوجهه يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً وقال: يا أيها الناس ألا إن ربكم قد بنى بيتاً وكتب عليكم الحج إلى البيت فأجيئوا ربكم، فأجابه كل من كان يحج من أصلاب الآباء وأرحام

(١) ذكر هذه الأقوال الطبري: ١٣٨/١٧-١٤٢، ثم قال: وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب: القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس من أنه معني بالظلم في هذا الموضع، كل معصية لله، وذلك أن الله عم بقوله: (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم)، ولم يُخصَّص به ظلم دون ظلم في خير ولا عقل، فهو على عمومته .

(٢) ما بين القوسين ساقط من الآية .

(٣) انظر الطبري: ١٤٣/١٧ .

(٤) انظر الدر المنثور: ٣٠/٦ .

يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا
مَنْفَعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ
الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾

الأمهات: ليك اللهم ليك^(١)، قال ابن عباس: فأول من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجاً .
وروي أن إبراهيم صعد أبا قبيس ونادى^(٢). وقال ابن عباس عنى بالناس في هذه الآية أهل
القبلة، وزعم الحسن أن قوله: «وأذن في الناس بالحج» كلام مستأنف وإن المأمور بهذا التأذين محمد
ﷺ أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع .

وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا»^(٣).
قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾، مشاة على أرجلهم جمع راجل، مثل قائم وقيام وصائم وصيام،
﴿وعلى كل ضامر﴾، أي: ركبناً على كل ضامر، والضامر: البعير المهزول. ﴿يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
عَمِيقٍ﴾ أي: من كل طريق بعيد، وإنما جمع «يأتين» لمكان كل وإرادة النوق .

﴿ليشهدوا﴾، ليحضروا، ﴿منافع لهم﴾، قال سعيد بن المسيب، ومحمد بن علي الباقر: العفو
والمغفرة. وقال سعيد بن جبیر: التجارة، وهي رواية ابن زيد عن ابن عباس، قال: الأسواق. وقال
مجاهد: التجارة وما يرضى الله به من أمر الدنيا والآخرة^(٤). ﴿ويذكروا اسم الله في أيام
معلومات﴾، يعني عشر ذي الحجة في قول أكثر المفسرين. قيل لها «معلومات» للحرص على علمها
بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها. ويروى عن علي / رضي الله عنه: أنها يوم النحر وثلاثة
أيام بعده، وفي رواية عطاء عن ابن عباس أنها يوم عرفة والنحر وأيام التشريق. وقال مقاتل: المعلومات
أيام التشريق^(٥). ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾، يعني: الهدايا، والضحايا، تكون من النعم،

(١) انظر الطبري: ١٤٤/١٧ . .

(٢) عزاه السيوطي: ٣٥/٦ لابن أبي حاتم عن ابن عباس . .

(٣) أخرجه مسلم في الحج، باب: فرض الحج مرة في العمر برقم: (١٣٣٧) ٩٧٥/٢ والمصنف في شرح السنة: ٣/٧ .

(٤) ذكر هذه الأقوال الطبري: ١٤٦/١٧-١٤٧ ثم قال مرجحاً: وأولئى الأقوال بالصواب قول من قال: عنى بذلك: ليشهدوا
منافع لهم من العمل الذي يرضى الله والتجارة، وذلك أن الله عم لهم منافع جميع ما يشهد له الموسم، ويأتي له مكة أيام
الموسم من منافع الدنيا والآخرة، ولم يخصص من ذلك شيء من منافعهم بخبر ولا عقل، فذلك على العموم في المنافع التي
وصفت .

(٥) سبق تخرج هذه الأقوال في المجلد الأول صفحة (٢٣٤) هامش (١) .

ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢١﴾

وهي الإبل والبقر والغنم .

واختار الزجاج أن الأيام المعلومات: يوم النحر وأيام التشريق، لأن الذكر على بهيمة الأنعام يدل على التسمية على نحرها، ونحر الهدايا يكون في هذه الأيام. ﴿فكُلُوا مِنْهَا﴾ أمر بإباحة وليس بواجب، وإنما قال ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئاً، واتفق العلماء على أن الهدى إذا كان تطوعاً يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لهما:

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني، أخبرنا علي بن حجر، أخبرنا إسماعيل ابن جعفر، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله قال في قصة حجة الوداع: وقدم علي بيدن من اليمن وساق رسول الله ﷺ مائة بدنة فنحر منها رسول الله ﷺ ثلاثاً وستين بدنة بيده ونحر علي ما بقي، ثم أمر النبي ﷺ أن تؤخذ بضعة من كل بدنة فتجعل في قدر، فأكلا من لحمها وحسبها من مرقها^(١).

واختلفوا في الهدى الواجب بالشرع هل يجوز للمهدي أن يأكل منه شيئاً؟ مثل دم التمتع والقرآن والدم الواجب بإفساد الحج وفواته وجزاء الصيد؟

فذهب قوم إلى أنه لا يجوز أن يأكل منه شيئاً، وبه قال الشافعي، وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر، وقال ابن عمر: لا يأكل من جزاء الصيد والنذر، ويأكل مما سوى ذلك، وبه قال أحمد وإسحاق، وقال مالك: يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والمنذور، وعند أصحاب الرأي يأكل من دم التمتع والقرآن ولا يأكل من واجب سواهما .

قوله عز وجل: ﴿وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾، يعني: الزَّيْمَنَ الْفَقِيرَ الَّذِي لَا شَيْءَ لَهُ وَ«الْبَائِسَ» الَّذِي اشْتَدَّ بُؤْسُهُ، وَالبُؤْسُ شِدَّةُ الْفَقْرِ .

﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾، التفت: الوسخ والقذارة من طول الشعر والأظافر والشعث، تقول العرب لمن تستقذره: ما أتفتك: أي: ما أوسخك. والحاج أشعث أغبر، لم يخلق شعره ولم يقلم ظفوره، ففضاء التفت: إزالة هذه الأشياء ليقضوا تفثهم، أي: ليزيلوا أدرانهم، والمراد منه الخروج عن الإحرام بالخلق، وقص الشارب، وبتف الإبط، والاستحداد، وقلم الأظفار، وليس الثياب. قال ابن عمر

(١) قطعة من حديث جابر، أخرجه مسلم برقم (١٢١٨): ٨٩٣/٢، والمصنف في شرح السنة: ١٥٠/٧ .

وابن عباس: «قضاء التفث»: مناسك الحج كلها. وقال مجاهد: هو مناسك الحج، وأخذ الشارب، وبتف الإبط، وحلق العانة، وقلم الأظافر. وقيل: التفث هاهنا رمي الجمار. قال الزجاج: لا تعرف التفث ومعناه إلا من القرآن .

قوله تعالى: ﴿وَلْيُؤْفُوا نَذْرَهُمْ﴾، قال مجاهد: أراد نذر الحج والهدي وما ينذر الإنسان من شيء يكون في الحج أي: ليطمئنها بقضائها. وقيل: المراد منه الوفاء بما نذر على ظاهره. وقيل: أراد به الخروج. عما وجب عليه نذر أو لم ينذر. والعرب تقول لكل من خرج عن الواجب عليه ووفى بنذره. وقرأ عاصم برواية أبي بكر «وَلْيُؤْفُوا» بنصب الواو وتشديد الفاء .

﴿وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾، أراد به الطواف الواجب عليه وهو طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق .

والطواف ثلاثة: طواف القدوم، وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبعاً يرمل ثلاثاً من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه ويمشي أربعاً، وهذا الطواف سنة لا شيء على من تركه .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أحمد هو أبو عيسى، أخبرنا ابن وهب، أخبرنا عمرو بن الحارث، عن محمد بن عبد الرحمن ابن نوفل القرشي أنه سأل عروة بن الزبير فقال: قد حج النبي ﷺ فأخبرتني عائشة أنه أول شيء بدأ به حين قدم أنه توضعاً ثم طاف بالبيت ثم لم يكن عمرة، ثم حج أبو بكر فكان أول شيء بدأ به الطواف بالبيت ثم لم يكن عمرة، ثم عمر مثل ذلك، ثم حج عثمان فرأيته أول شيء بدأ به الطواف بالبيت^(١) .

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا أنس بن عياض، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدم يسعى ثلاثة أطواف ويمشي أربعاً، ثم يصلي سجدتين، ثم يطوف بين الصفا والمروة سبعاً^(٢) .

والطواف الثاني: هو طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق، وهو واجب لا يحصل التحلل من الإحرام ما لم يأت به .

(١) أخرجه البخاري في الحج، باب: الطواف على وضوء: ٤٩٦/٣، ومسلم في الحج، باب: ما يلزم من طاف بالبيت وسعى برقم: (١٢٣٥) ٩٠٦/٢-٩٠٧، والمصنف في شرح السنة: ١٠١/٧-١٠٢ .

(٢) أخرجه البخاري في الحج، باب: من طاف بالبيت إذا قدم مكة: ٤٧٧/٣، ومسلم في الحج، باب: استحباب الرمل في الطواف والعمرة برقم: (١٢٦١) ٩٢٠/٢، والمصنف في شرح السنة: ١٠٤/٧. والشافعي في المسند: ٣٤٧/١ .

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَجَلْتُ لَكُمْ

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، أخبرنا الأعمش، أخبرنا إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: حاضت صفية ليلة النفر فقالت: ما أراني إلا حابستكم قال النبي ﷺ «عقري حلقى أطافت يوم النحر؟ قيل: نعم، قال: فانفري»^(١)، ثبت بهذا أن من لم يطف يوم النحر طواف الإفاضة لا يجوز له أن ينفر .

والطواف الثالث: هو طواف الوداع لا رخصة فيه لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر أن يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعاً، فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائض يجوز لها ترك طواف الوداع .

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز أحمد الخلال، / أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان، عن سليمان الأحول، عن طاووس عن ابن عباس، قال: أمر الناس أن يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت إلا أنه رُخصَ للمرأة الحائض^(٢) .

والرَّمْلُ مختص بطواف القدوم، ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع .

قوله: ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ اختلفوا في معنى «العتيق»: قال ابن عباس، وابن الزبير ومجاهد وقتادة: سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه، فلم يظهر عليه جبار قط. قال سفيان بن عيينة: سمي عتيقاً لأنه لم يملك قط، وقال الحسن وابن زيد: سُمي به لأنه قديم وهو أول بيت وضع للناس، يقال: دينار عتيق أي قديم، وقيل: سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من الغرق، فإنه رُفع أيام الطوفان^(٣) .

﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك، يعني ما ذكر من أعمال الحج، ﴿وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَاتِ اللَّهِ﴾، أي

(١) أخرجه البخاري في الحج، باب: الإدلاج من المحصب: ٥٩٥/٣، والمصنف في شرح السنة: ٢٢٤/٧ .

(٢) أخرجه البخاري في الحج، باب: طواف الوداع ٥٨٥/٣، ومسلم في الحج، باب: وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض برقم (١٣٢٨)، والمصنف في شرح السنة: ٢٣٢/٧. والشافعي في المسند: ٣٦٤/١ .

(٣) ذكر هذه الأقوال الطبري: ١٥١/١٧-١٥٢ ثم قال: ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها عن ذكرناها عنه في قوله: (البيت العتيق) وجه صحيح، غير أن الذي قاله ابن زيد أغلب معانيه عليه في الظاهر، غير أن الذي روي عن ابن الزبير أولى بالصحة، إن كان ما حدثني به محمد بن سهل البخاري - قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: أخبرني الليث، عن عبد الرحمن ابن خالد بن مسافر، عن الزهري، عن محمد بن عروة، عن عبد الله بن الزبير، قال: قال: رسول الله ﷺ: «إنما سمي البيت العتيق لأن الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه قط - صحيحاً» .

الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا
 قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
 السَّمَاءِ فَتَخَفَطَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾

معاصي الله وما نهى عنه، وتعظيمها ترك ملاستها. قال الليث: حرمت الله ما لا يحل انتهاكها. وقال الزجاج: الحرمة ما وجب القيام به وحرمة التفريط فيه، وذهب قوم إلى أن معنى الحرمت هاهنا: المناسك، بدلالة ما يتصل بها من الآيات. وقال ابن زيد: الحرمت هاهنا: البيت الحرام، والبلد الحرام والشهر الحرام، والمسجد الحرام، والإحرام^(١). ﴿فهو خير له عند ربه﴾، أي: تعظيم الحرمت، خير له عند الله في الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿وأحلث لكم الأنعام﴾، أن تأكلوها إذا ذبحتموها وهي الإبل والبقر والغنم، ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾، تحريمه، وهو قوله في سورة المائدة: (حرمت عليكم الميتة والدم) (المائدة: ٣)، الآية، ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ أي: عبادتها، يقول: كونوا على جانب منها فإنها رجس، أي: سبب الرجس، وهو العذاب، والرجس: بمعنى الرجز. وقال الزجاج: (من) هاهنا للتجنيس أي: اجتنبوا الأوثان التي هي رجس، ﴿واجتنبوا قول الزور﴾، يعني: الكذب والبهتان. وقال ابن مسعود: شهادة الزور، وروي أن النبي ﷺ قام خطيباً فقال: يا أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله، ثم قرأ هذه الآية^(٢). وقيل: هو قول المشركين في تلييتهم: لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك.

﴿حنفاء لله﴾، مخلصين له، ﴿غير مشركين به﴾، قال قتادة: كانوا في الشرك يحجون، ويحرمون البنات والأمهات والأخوات، وكانوا يُسمون حنفاء، فنزلت: ﴿حنفاء لله غير مشركين به﴾ أي: حجاجاً لله مسلمين موحدين، يعني: من أشرك لا يكون حنيفاً.

﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر﴾، أي: سقط، ﴿من السماء﴾، إلى الأرض، ﴿فتخطفه الطير﴾، أي: تستلبه الطير وتذهب به، والخطف والاختطاف: تناول الشيء بسرعة. وقرأ أهل المدينة: فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء، أي: يتخطفه، ﴿أو تهوي به الريح﴾، أي: تميل به، ﴿في مكان سحيق﴾،

(١) انظر الطبري: ١٥٣/١٧.

(٢) أخرجه أبو داود في الأقضية، باب في شهاة الزور: ٢١٧/٥، والترمذي في الشهادات ٥٨٥/٦، وقال: (هذا حديث إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد - يعني حديث خريم بن فاتك - وقد اختلفوا في رواية هذا الحديث عن سفيان بن زياد =

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ

أي: أن بعيد، معناه: بُعد من أشرك من الحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير، أو هَوَتْ به الريح، فلا يصل إليه بحال. وقيل: شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع بحيث تُسقطه الريح، فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه وإما بسقوطه إلى المكان السحيق، وقال الحسن: شبه أعمال الكفار بهذه الحال في أنها تذهب وتبطل فلا يقدرُونَ على شيء منها .

﴿ذَلِكَ﴾، يعني: الذي ذكرت من اجتناب الرجس وقول الزور، ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، قال ابن عباس «شعائر الله» البُدن والهدي، وأصلها من الإشعار، وهو إعلامها ليعرف أنها هدي، وتعظيمها: استسمانها واستحسانها. وقيل «شعائر الله» أعلام دينه، «فإنها من تقوى القلوب»، أي: فإن تعظيمها من تقوى القلوب .

﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ أي: في البُدن قبل تسميتها للهدي، ﴿مَنَافِعُ﴾، في درها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، وهو أن يسميها ويوجبها هدياً، فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها، هذا قول مجاهد، وقول قتادة والضحاك، ورواه مقسم عن ابن عباس .

وقيل: معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدياً بأن تركيبها وتشربوا ألبانها عند الحاجة «إلى أجل مسمى»، يعني: إلى أن تنحروها، وهو قول عطاء بن أبي رباح .

واختلف أهل العلم في ركوب الهدي :

فقال قوم: يجوز له ركوبها والحمل عليها غير مضرٌ بها، وهو قول مالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، لما أخبر أبو الحسن السرخسي، أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة فقال له: «اركبها، فقال يا رسول الله إنها بدنة، فقال: اركبها ويحك، في الثانية أو الثالثة»، وكذلك قال له: «اشرب لبنها بعدما فضل عن ربي ولدها»^(١) .

وقال أصحاب الرأي: لا يركبها .

= ولا تعرف لأمين بن حريم سماعاً من النبي ﷺ. وابن ماجه في الأحكام، باب: شهادة الزور رقم (٢٣٧٢)، ٧٩٤/٢، والإمام أحمد: ١٧٨/٤ .

(١) أخرجه البخاري في الحج، باب: ركوب البدن ٥٣٦/٣، ومسلم في الحج، باب: جواز ركوب البدنة المهذبة لمن احتاج إليها، برقم (١٣٢٢) ٩٦٠/٢ والمصنف في شرح السنة: ١٩٥/٧ .

مُسَمَّى ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا
 اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا

وقال قوم: لا يركبها إلا أن يضطر إليه .

وقال بعضهم: أراد بالشعائر: المناسك ومشاهد مكة. «لكم فيها منافع» بالتجارة والأسواق «إلى
 أجل مسمى» وهو الخروج من مكة .

وقيل: «لكم فيها منافع» بالأجر والثواب في قضاء المناسك. «إلى أجل مسمى»، أي: إلى انقضاء
 أيام الحج .

﴿ثُمَّ مَحَلُّهَا﴾ أي: منحراها، ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: منحراها عند البيت العتيق، يريد أرض
 الحرم كلها، كما قال: (فلا يقربوا المسجد الحرام) (التوبة: ٢٨) أي: الحرم كله .

وروي عن جابر في قصة حجة الوداع أن رسول الله ﷺ قال: «نحرث هاهنا ومنى كلها ٢٧/أ
 منحرفاً فنحروا في رحالكم»^(١) .

ومن قال: «الشعائر» المناسك، قال: معنى قوله «ثم محلها إلى البيت العتيق» أي: محل الناس من
 إحرامهم إلى البيت العتيق، أي: أن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر .

قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾، أي: جماعة مؤمنة سلفت قبلكم، ﴿جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾، قرأ حمزة
 والكسائي بكسر السين هاهنا وفي آخر السورة، على معنى الاسم مثل المجلس والمطلع، أي: مذبحاً
 وهو موضع القربان، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر، مثل المدخل والمخرج، أي: إراقة الدماء
 وذبح القرابين، ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، [عند نحرها وذبحها، وسماها
 بهيمة]^(٢) لأنها لا تتكلم، وقال: «بهيمة الأنعام» وقيدها بالنعم، لأن من البهائم ما ليس من الأنعام
 كالخيل والبغال والحمير، لا يجوز دخولها^(٣) في القرابين .

﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾، أي: سموا على الذبائح اسم الله وحده، فإن إلهكم إله واحد،

(١) أخرجه مسلم في الحج، باب: ما جاء أن عرفه كلها موقف، برقم (١٢١٨) ٨٩٣/٢، والمصنف في شرح السنة: ١٥٠/٧ .

(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

(٣) في «ب» ذبحها .

وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا
 أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ
 مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَأذِكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِجَتْ

﴿فله أسلموا﴾، انقادوا وأطيعوا، ﴿وبشِّرِ الخبتين﴾، قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين. وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله عز وجل، «والخبث» المكان المظلم من الأرض. وقال الأخفش: الخاشعين. وقال النخعي: المخلصين. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمرو بن أوس: هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.

﴿الذين إذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾، من البلاء والمصائب، ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾، أي: المقيمين للصلاة في أوقاتها، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، يتصدقون.

قوله عز وجل: ﴿وَالْبَدَنَ﴾، جمع بَدَنَةٍ سميت بدنة لعظمها وضخامتها، يريد: الإبل والعظام الصحاح الأجسام، يقال بَدَنَ الرجل بَدَنًا وبدانة إذا ضخم، فأما إذا أَسَنُ واسترخى يقال بَدَنَ تَبْدِينًا. قال عطاء والسدي: البدن: الإبل والبقر أما الغنم فلا تسمى بدنة. ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، من أعلام دينه، سُميت شعائر لأنها تُشعر، وهو أن تُطعن بحديدة في سنامها فيعلم أنها هدي، ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾، النفع في الدنيا والأجر في العقبى، ﴿فَأذِكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾، عند نحرها، ﴿صَوَافٍ﴾، أي: قياماً على ثلاث قوائم قد صفت رجلها وإحدى يديها، ويدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبد الله بن مسلمة، أخبرنا يزيد بن زريع، عن يونس، عن زياد بن جبير قال: رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بَدَنَةً ينحرها، قال: ابعتها قياماً مقيدة سنة محمد ﷺ (١).

وقال مجاهد: الصواف إذا عقلت رجلها اليسرى وقامت على ثلاث قوائم.

وقرأ ابن مسعود: «صوافن» وهي أن تعقل منها يد وتنحر على ثلاث، وهو مثل صواف. وقرأ أبي والحسن ومجاهد: «صوافي» بالياء أي: صافية خالصة لله لا شريك له فيها.

﴿فَإِذَا وَجِجَتْ جُنُوبُهَا﴾، أي: سقطت بعد النحر فوقعت جنوبها على الأرض. وأصل الوجوب:

(١) أخرجه البخاري في الحج، باب: نحر الإبل مقيدة: ٥٥٣/٣، ومسلم في الحج، باب: نحر البدن قياماً مقيدة، برقم (١٣٢٠)

٩٥٦/٢، والمصنف في شرح السنة: ١٩٨/٧.

﴿جُنُوبَهَا فُكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
 ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النَّقِيُّ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا

الوقوف. يقال: وجبت الشمس إذا سقطت للمغيب، ﴿فكُلُوا مِنْهَا﴾، أمر بإباحة، ﴿وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾، اختلفوا في معناها: .

فقال عكرمة وإبراهيم وقتادة: «القانع» الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يُعطى ولا يسأل، و«المعتر» الذي يسأل .

وروى العوفي عن ابن عباس: «القانع» الذي لا يتعرض ولا يسأل، و«المعتر» الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل، فعلى هذين التأويلين يكون «القانع»: من القناعة، يقال: قنع قناعة إذا رضي بما قُسم له .

وقال سعيد بن جبير والحسن والكلبي: «القانع»: الذي يسأل، و«المعتر»: الذي يتعرض ولا يسأل، فيكون «القانع» من قنع يقنع قنوعاً إذا سأل .

وقرأ الحسن: «والمعترى» وهو مثل المعتر، يقال: عره واعتره وعراه واعتراه إذا أتاه يطلب معروفه، إما سؤالاً أو تعرضاً .

وقال ابن زيد: «القانع»: المسكين، و«المعتر»: الذي ليس بمسكين، ولا يكون له ذبيحة يجيء إلى القوم فيتعرض لهم لأجل لحمهم^(١) .

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ما وصفنا من نحرها قياماً، ﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾، نعمة منا لتتمكنوا من نحرها، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، لكي تشكروا إنعام الله عليكم .

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا نَحَرُوا البدن لطخوا الكعبة

(١) ذكر هذه الأقوال وغيرها الطبري: ١٦٧/١٧-١٧٠-١٦٧. ثم قال: (وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: عنى بالقانع: السائل، لأنه لو كان المعنى بالقانع في هذا الموضع: المكتفى بما عنده، والمستغنى به لقليل: وأطعموا القانع والسائل، ولم يقل: وأطعموا القانع والمعتر، وفي إتيان ذلك قوله: والمعتر، الدليل الواضح على أن القانع معني به السائل من قولهم: قنع فلان إلى فلان، بمعنى سأله وخضع إليه، فهو يقنع قنوعاً، ومنه قول لبيد:

وأعطاني المولى على حين فقره إذا قال أبصر تخلتي وقنوعي

وأما القانع الذي هو بمعنى المكتفى، فإنه من قنعت، بكسر النون، أقنع قناعة، وقنوعاً وقنعاناً، وأما المعتر: فإنه الذي يأتيك معتراً بك لتعطيه وتطمعه) .

لَكُمْ لِتَكْبَرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَنَّاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴿إِنِ اللَّهُ يَدْفِعُ
عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ ﴿٢٨﴾ أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ
ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

بدمائها قربة إلى الله، فأنزل الله هذه الآية: «لن ينال الله لحومها ولا دماؤها» قرأ يعقوب «تتال وتتاله» بالتاء فيهما، وقرأ العامة بالياء. قال مقاتل: لن يُرفع إلى الله لحومها ولا دماؤها، «ولكن يناله التقوى منكم»، ولكن تُرفع إليه منكم الأعمال الصالحة والتقوى، والإخلاص ما أريد به وجه الله، «كذلك سخرها لكم»، يعني: البدن، «لتكبروا الله على ما هداكم»، أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه، وهو أن يقول: الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا وأولانا، «وبشِّر المحسنين»، قال ابن عباس: الموحدون.

قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا»، قرأ ابن كثير وأهل البصرة: «يدفع»، وقرأ الآخرون: «يدافع» بالألف، يريد: يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم عن المؤمنين. «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ»، أي: خوان في أمانة الله كفور لنعمته، قال ابن عباس: خانوا الله فجعلوا معه شريكاً وكفروا نعمه. قال الزجاج: من تقرب إلى الأصنام بذبيحته وذكر عليها اسم غير الله فهو خوان كفور.

قوله عز وجل: «أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا»، / قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم: «أذن» بضم الألف والباقون بفتحها، أي: أذن الله، «للذين يُقَاتَلُونَ»، قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص «يقاتلون» بفتح التاء يعني المؤمنين الذين يقاتلهم المشركون، وقرأ الآخرون بكسر التاء يعني الذين أذن لهم بالجهاد «يقاتلون» المشركين.

٢٧/ب

قال المفسرون: كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فلا يزالون محزونين من بين مضروب ومشجوج، ويشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ، فيقول لهم: اصبروا فإنني لم أؤمر بالقتال، حتى هاجر رسول الله ﷺ، فأمر الله عز وجل هذه الآية^(١)، وهي أول آية أذن الله فيها بالقتال، فنزلت هذه الآية بالمدينة.

وقال مجاهد: نزلت هذه الآية في قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة، فكانوا

(١) قال ابن حجر في الكافي الشاف ص (١١٣): لم أجده هكذا. وعزه الواحدي في الوسيط للمفسرين، قلت - ابن حجر - : هو منتزع من أحاديث، أقربها ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق بكر بن معروف عن مقاتل بن حيان قوله (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) وذلك أن مشركي أهل مكة كانوا يؤذون المسلمين بمكة، فاستأذنا النبي ﷺ في قتالهم بمكة، فنهام النبي ﷺ عن ذلك، فلما خرج النبي ﷺ إلى المدينة أنزل الله عليه: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا). انظر أسباب النزول للواحدي ص (٣٧٥).

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَّيْتُمْ صَوَامِعَ وَبِيَعٍ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدٍ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ
كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ
مَكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ
وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ﴿٤١﴾

يُمنعون فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة^(١)، ﴿بأنهم ظلموا﴾، أي: بسبب ما ظلموا، واعتدوا عليهم بالإيذاء، ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ .

﴿الذين أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، بدل «عن الذين» الأولى ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾، أي: لم يخرجوا من ديارهم إلا لقولهم ربنا الله وحده .

﴿ولولا دفع الناس بعضهم ببعض﴾، بالجهاد وإقامة الحدود، ﴿لَهَدَّيْتُمْ﴾، قرأ أهل الحجاز بتخفيف الدال، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير، فالتخفيف يكون للقليل والكثير، والتشديد يختص بالكثير، ﴿صَوَامِعُ﴾، قال مجاهد والضحاك: يعني: صوامع الرهبان. وقال قتادة: صوامع الصابئين، ﴿وبيع﴾، بيع النصارى جمع «بيعة» وهي كنيسة النصارى، ﴿وصلوات﴾، يعني كنائس اليهود، ويسمونها بالعبرانية صلواتا، ﴿ومساجد يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾، يعني مساجد المسلمين من أمة محمد ﷺ .

ومعنى الآية: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلاتهم، لهدم في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى البيع والصوامع، وفي زمن محمد ﷺ المساجد .

وقال ابن زيد: أراد بالصلوات صلوات أهل الإسلام، فإنها تنقطع إذا دخل العدو عليهم .

﴿ولينصرنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾، أي: ينصر دينه ونبيه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ .

﴿الذين إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، قال الزجاج: هذا من صفة ناصريه، ومعنى «مكانهم في الأرض»: نصرناهم على عدوهم حتى

(١) عزاه السيوطي: ٥٧/٦ لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل .

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ
 لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ
 فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا
 خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَثْرِ مَعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾

يتمكنوا من البلاد. قال قتادة: هم أصحاب محمد ﷺ، وقال الحسن: هم هذه الأمة ﴿الله عاقبة
 الأمور﴾، أي: آخر أمور الخلق ومصيرهم إليه، يعني: يبطل كل ملك سوى ملكه، فتصير الأمور
 إليه بلا منازع ولا مدع .

قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾، يعزّي نبيه ﷺ، ﴿فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد
 وثمود﴾ .

﴿وقوم إبراهيم وقوم لوط﴾ .

﴿وأصحاب مدين وكذب موسى، فأملت للكافرين﴾، أي: أهلتهم وأخرت عقوبتهم، ﴿ثم
 أخذتهم﴾، [عاقبتهم] ^(١)، ﴿فكيف كان نكير﴾، أي: إنكاره، أي: كيف أنكرت عليهم ما فعلوا
 من التكذيب بالعذاب والهلاك، يخوف به من يخالف النبي ﷺ ويكذبه .

﴿فكأين﴾، فكم ﴿من قرية أهلكتها﴾، بالتاء ^(٢)، هكذا قرأ أهل البصرة ويعقوب، وقرأ
 الآخرون: ﴿أهلكتها﴾ بالنون والألف على التعظيم، ﴿وهي ظالمة﴾، أي: وأهلها ظالمون، ﴿فهي
 خاوية﴾ ساقطة ﴿على عروشها﴾، على سقفها، ﴿ويثر معطلة﴾: [أي: وكم من بئر معطلة] ^(٣)
 متروكة مخلاة عن أهلها ﴿وقصر مشيد﴾، قال قتادة والضحاك ومقاتل: رفيع طويل، من قولهم
 شاد بناءه إذا رفعه. وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء: مجصص، من الشيد، وهو الجص. وقيل:
 إن البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن، أما القصر فعلى قلة جبل، والبئر في سفحه، ولكل واحد منهما
 قوم كانوا في نعمة فكفروا فأهلكهم الله، وبقي البئر والقصر خاليين .

وروى أبو روق عن الضحاك: أن هذه البئر كانت بمضرموت في بلدة يقال لها حاضوراء، وذلك

(١) زيادة من «ب» .

(٢) أي: أهلكتها .

(٣) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ
بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا
تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾

أن أربعة آلاف نفر من آمن بصالح، نجوا من العذاب، أتوا حضرموت ومعهم صالح فلما حضره مات صالح، فسمي حضرموت، لأن صالحاً لما حضر مات فبنوا حضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلاً فأقاموا دهرأ وتناسلوا حتى كثروا، ثم إنهم عبدوا الأصنام وكفروا فأرسل الله إليهم نبياً يقال له حنظلة بن صفوان، كان حملاً فيهم، فقتلوه في السوق فأهلكهم الله، وعطلت برهم وخربت قصورهم (١).

﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾، يعني: كفار مكة، فينظروا إلى مصارع المكذبين من الأمم الخالية، ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها﴾، يعني: ما يذكر لهم من أخبار القرون الماضية فيعتبرون بها، ﴿فإنها﴾، الهاء عماد، ﴿لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور﴾، ذكر «التي في الصدور» تأكيداً كقوله: (يطير بجناحيه) (الأنعام: ٣٨) معناه أن العمي الضار هو عمي القلب، فأما عمي البصر فليس بضرار في أمر الدين، قال قتادة: البصر الظاهر: بُلغة ومتعة، وبصر القلب: هو البصر النافع.

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾، نزلت في الضر بن الحارث حيث قال: إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء (٢). ﴿ولن يخلف الله وعده﴾، فأنجز ذلك يوم / بدر. ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾، قرأ ابن كثير وحزمة والكسائي: «يعدون» بالياء هاهنا لقوله: ﴿يستعجلونك﴾، وقرأ الباقر: بالتاء لأنه أعم، لأنه خطاب للمستعجلين والمؤمنين، واتفقوا في تنزيل «السجدة» أنه بالتاء.

قال ابن عباس: يعني يوماً من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض .
وقال مجاهد وعكرمة: يوماً من أيام الآخرة، والدليل عليه ما روي عن أبي سعيد الخدري

(١) انظر: البحر المحيط: ٣٧٧/٦ .

(٢) سبق تخريجه سورة الأنفال عند الآية (٣٢) .

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتَهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم، وذلك مقدار خمسمائة سنة»^(١).

قال ابن زيد: «وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون» هذه أيام الآخرة. وقوله: «كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون» يوم القيامة. والمعنى على هذا: أنهم يستعجلون بالعذاب، وإن يوماً من أيام عذابهم في الآخرة ألف سنة.

وقيل: معناه وإن يوماً من أيام العذاب الذي استعجلوه في الثقل والاستطالة والشدة كألف سنة مما تعدون، فكيف تستعجلونه؟ هذا كما يقال: أيام الهموم طوال، وأيام السرور قصار.

وقيل: معناه إن يوماً عنده وألف سنة في الإمهال سواء، لأنه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير، فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء.

﴿وَكأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا﴾، أي أمهلتها، ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتَهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، الرزق الكريم الذي لا ينقطع أبداً.

وقيل: هو الجنة.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾، أي عملوا في إبطال آياتنا، ﴿مُعْجِزِينَ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «معجزين» بالتشديد هاهنا وفي سورة سبأ أي: مبطّين الناس عن الإيمان، وقرأ الآخرون: «معجزين» بالألف أي معاندين مشاقين. وقال قتادة: معناه ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا بزعمهم أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار، ومعنى يعجزوننا، أي: يفوتوننا فلا نقدر عليهم. وهذا كقوله تعالى: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا) (العنكبوت: ٤)، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾، وقيل: «معجزين» مغالبين، يريد كل واحد أن يُظهر عجز صاحبه.

(١) أخرجه أبو داود في العلم، باب في القصص: ٢٥٥/٥-٢٥٦، قال المنذري في إسناده المعلق بن زياد، وفيه مقال، ثم ساق شاهداً من حديث أبي هريرة أخرجه الترمذي وابن ماجه. والإمام أحمد: ٦٣/٣، والمصنف في شرح السنة: ١٩١/١٤-١٩٢.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ

قوله عز وجل: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾، الآية. قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما من المفسرين: لما رأى رسول الله ﷺ تولي قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباحثهم عما جاءهم به من الله تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على إيمانهم، فكان يوماً في مجلس قريش فأنزل الله تعالى سورة «النجم» فقرأها رسول الله ﷺ حتى بلغ قوله: (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) ألقى الشيطان على لسانه بما كان يحدث به نفسه ويتمناه: «تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهم لثرتجي»، فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله ﷺ في قراءته، فقرأ السورة كلها وسجد في آخر السورة فسجد المسلمون بسجوده، وسجد جميع من في المسجد من المشركين، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص، فإنهما أخذتا حفنة من البطحاء ورفعاهما إلى جبهتهما وسجدا عليها، لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود. وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، وقالوا: قد عرفنا أن الله يحيى ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، فإذا جعل لها نصيباً فنحن معه، فلما أمسى رسول الله ﷺ أتاه جبريل فقال: يا محمد ماذا صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله عز وجل! فحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً كثيراً فأنزل الله هذه الآية يعزيه، وكان به رحيماً، وسمع بذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب النبي ﷺ وبلغهم سجود قريش. وقيل: أسلمت قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم إلى عشائرتهم، وقالوا: هم أحب إلينا حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن الذي كانوا يتحدثون به من إسلام أهل مكة كان باطلاً فلم يدخل أحد إلا بجوار أو مستخفياً، فلما نزلت هذه الآية قالت قريش: ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك. وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ قد وقعا في فم كل مشرك فازدادوا شراً إلى ما كانوا عليه، وشدة على من أسلم.

قال الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول﴾ وهو الذي يأتيه جبريل بالوحي عياناً، ﴿ولا نبي﴾، وهو الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً، وكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، ﴿إلا إذا تمنى﴾، قال بعضهم: أي: أحب شيئاً واشتاهه وحدث به نفسه ما لم يؤمر به. «ألقى الشيطان في أمنيته» أي مراده.

وعن ابن عباس قال: إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ووجد إليه سبيلاً، وما من نبي إلا تمنى

أن يؤمن به قومه ولم يتمن ذلك نبي إلا ألقى الشيطان عليه ما يرضى به قومه، فينسخ الله ما يلقي الشيطان .

٢٨/ب وأكثر المفسرين / قالوا: معنى قوله: (تمنى) أي: تلا وقرأ كتاب الله تعالى. «ألقى الشيطان في أميته» أي: في تلاوته، قال الشاعر في عثمان حين قتل:

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ وَأَجْرَهَا لَأَقَى حِمَامَ الْمَقَادِرِ

واختلفوا في أنه كان يقرأ في الصلاة أو في غير الصلاة؟ فقال قوم: كان يقرأ في الصلاة. وقال قوم: كان يقرأ في غير الصلاة. فإن قيل كيف يجوز الغلط في التلاوة على النبي ﷺ وكان معصوماً من الغلط في أصل الدين، وقال جل ذكره في القرآن: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) (فصلت: ٤٢) يعني إبليس؟

قيل: قد اختلف الناس في الجواب عنه، فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ لم يقرأ، ولكن الشيطان ذكر ذلك بين قراءته، فظن المشركون أن الرسول قرأه .

وقال قتادة: أغفى النبي ﷺ إغفاءةً فجرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان ولم يكن له خبر . والأكثرون قالوا: جرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان على سبيل السهو والنسيان ولم يلبث أن نبه الله عليه .

وقيل: إن شيطاناً يقال له أبيض عمل هذا العمل، وكان ذلك فتنة ومحنة من الله تعالى يمتحن عباده بما يشاء^(١) .

(١) إن هذه القصة والمعروفة بقصة الغرانيق قد ذكرها أكثر المفسرين دون تعليق فقد ذكرها الطبري ١٨٦/١٧-١٩٠ وابن كثير في تفسيره ٢٣٠/٣-٢٣١ ثم قال: (وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة بنحو من هذا كلها مرسلات ومنقطعات والله أعلم). والذي يتبع طرق هذه القصة يجد أن جميع طرقها مرسله أو منقطعة أو معلقة أو فيها جهالة فالطرق مهما كرت وكانت ضعيفة لا تزيد الرواية إلا ضعفاً. فإن قاعدة تقوية الحديث بكثرة الطرق لا تقبل على إطلاقها وهذا ما حققه الحافظ أبو عمرو ابن الصلاح في مقدمته وغيره من علماء الحديث المحققين .

لقد وقف على هذه القصة غير واحد من العلماء المحققين وبينوا زيف وبطلان هذه الروايات التي أوردها بعض المفسرين . فقد ذكر الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني في تفسيره: ٤٦٢/٣ عند قوله تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أميته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم» فقال: «ولم يصح شيء من هذا، ولا ثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه قال تعالى: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) وقوله: (وما ينطق عن الهوى) وقوله: (ولو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم). قال البزار: هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل. وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم أن رواة هذه القصة مطعون فيهم .

فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾
 لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ
 الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ
 رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ

﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾ أي: يُطله ويذهب، ﴿ثم يحكم الله آياته﴾، فيثبتها، ﴿والله
 عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض﴾ أي: محنة وبلية، شك ونفاق،
 ﴿والقاسية﴾، يعني الجافية، ﴿قلوبهم﴾، عن قبول الحق وهم المشركون، وذلك أنهم افتتنوا لما سمعوا
 ذلك، ثم نُسَخَ ورفع فازدادوا عُتْوًا، وظنوا أن محمداً يقول من تلقاء نفسه ثم يندم فيبطل، ﴿وإن
 الظالمين﴾، المشركين ﴿لفي شقاق بعيد﴾ أي: في خلاف شديد .

﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾، التوحيد والقرآن. وقال السدي: التصديق بنسخ الله تعالى،
 ﴿أنه﴾، يعني: أن الذي أحكم الله من آيات القرآن هو ﴿الحق من ربك فيؤمنوا به﴾، أي: يعتقدوا

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة. وصنف في ذلك كتاباً.
 وللقاضي عياض في كتاب الشفاء ٧٥٠/٢ كلام حول نقض هذه القصة فيقول: (فاعلم أكرمك الله أن لنا في الكلام على
 مشكل هذا الحديث مأخذين:

المأخذ الأول: يكفيك أن هذا الحديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به
 وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، والتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم .

المأخذ الثاني: فهو مبني على تسليم الحديث لو صح، وقد أعادنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد أجاب على ذلك
 أئمة المسلمين بأجوبة منها الفث والسمن ١١٥/١١٥.

ثم سرد أحاديث بين زيفها ورد العلماء عليها .

ويقول الإمام القرطبي في تفسيره ٨٤/١٢ عند قوله تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول...» بعد أن سرد بعض الروايات
 «ومما يدل على ضعفه أيضاً وتوهينه من الكتاب قوله تعالى: (وإن كادوا ليفتنوك) الآيتين؛ فإنهما تردان الخبر الذي رووه،
 لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفترى، وأنه لولا أن بُتِّه لكان يركن إليهم .

فمضمون هذا ومفهومه أن الله تعالى عصمه في أن يفترى وثبته حتى لم يركن إليهم قليلاً فكيف كثيراً) أ.ن .

إن هذه الأقاويل يجب تنزيه رسول الله ﷺ منها وقد ثبت بطلان هذه القصة سنداً ومتناً .

ولمن أراد مزيد إطلاع فليتنظر بحثاً قيماً للأستاذ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. (نصب المجانيق لنسف قصة الغرائيق) فقد
 سرد جميع الروايات وبين ضعفها وسرد أقوال المحدثين والعلماء المحققين في رد هذه القصة .

انظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، صفحة ٤٤٠-٤٥٢ لمحمد بن محمد أبو شهبه. روح المعاني للألموسي
 ١٧٥/١٧-١٨٤. الشفاء للقاضي عياض ٧٥٠/٢ وما بعده. فتح القدير ٤٦١/٣. تفسير القرطبي ٧٩/١٢ وما بعدها.

في ظلال القرآن ٦١١/٥ .

مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً
 أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
 بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لِرِزْقَتِهِمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ

أنه من الله، ﴿فَنَحَبْتُ لَهُ قُلُوبِهِمْ﴾، أي: فتسكن إليه قلوبهم، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ هَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، أي: طريق قويم هو الإسلام .

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾، أي: في شك مما ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ يقولون: ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها. وقال ابن جريج: «منه» أي من القرآن. وقيل: من الدين، وهو الصراط المستقيم. ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾، يعني: القيامة. وقيل: الموت، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾، قال الضحاك وعكرمة: عذاب يوم لا ليلة له، وهو يوم القيامة .

والأكثر على أن اليوم العقيم يوم بدر، لأنه ذكر الساعة من قبل وهو يوم القيامة. وسُمي يوم بدر عقيماً لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير، كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، سحاب ولا مطر، [والعقم في اللغة: المنع، يقال: رجل عقيم إذا مُنِعَ من الولد] (١). وقيل: لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه. وقال ابن جريج: لأنهم لم يُنظروا فيه إلى الليل حتى قتلوا قبل المساء .

﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ﴾، يعني يوم القيامة، ﴿اللَّهُ﴾، وحده من غير منازع، ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾، ثم بين الحكم، فقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ .

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه، ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾، وهم كذلك، قرأ ابن عامر «قتلوا» بالتشديد ﴿لِرِزْقَتِهِمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾، والرزق الحسن الذي لا ينقطع أبداً هو رزق الجنة، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، قيل: هو قوله: (بل أحياء عند ربهم يُرزقون) (آل عمران: ١٦٩) .

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

الرَّزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخُلْتَهُمْ مُدْخَلَ بَيْتِ كَثُوبٍ مِّنْ دُونِهِمْ لِيَأْخُذُوا فِي الْكِبْرِيَاءِ وَالْعِظْمَاءِ ﴿٥٩﴾ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٦٠﴾
 ﴿٦١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ
 اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ
 الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

﴿لِيَدْخُلْتَهُمْ مُدْخَلَ بَيْتِ كَثُوبٍ مِّنْ دُونِهِمْ﴾، لأن لهم فيه ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، ﴿وإن الله لعليم﴾، بنياتهم، ﴿حليم﴾، عنهم .

﴿ذلك﴾، أي: الأمر ذلك الذي قصصنا عليكم، ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾، جازى الظالم بمثل ما ظلمه. قال الحسن: يعني قاتل المشركين كما قاتلوه، ﴿ثم بُغِيَ عَلَيْهِ﴾، أي: ظلم بإخراجه من منزله يعني: ما أتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى أحوجوهم إلى مفارقة أوطانهم، نزلت في قوم من المشركين أتوا قوماً من المسلمين لليتين بقينا من المحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيم عليهم، وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم^(١)، قال الله تعالى: ﴿لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾، والعقاب الأول بمعنى الجزاء، ﴿إن الله لعفوٌ غفور﴾، عفا عن مساويء المؤمنين وغفر لهم ذنوبهم .

﴿ذلك﴾ أي: ذلك النصر ﴿بأن الله﴾، القادر على ما يشاء، فمن قدرته أنه: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ .

﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون﴾، قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي وحفص: بالياء، وقرأ الآخرون: بالتاء، يعني المشركين، ﴿من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي﴾، العالي على كل شيء، ﴿الكبير﴾، العظيم الذي كل شيء دونه .

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرة﴾، بالنبات، ﴿إن الله لطيف﴾، بأرزاق عباده واستخراج النبات من الأرض، ﴿خبير﴾، بما في قلوب العباد واستخراج النبات من الأرض، إذا تأخر المطر عنهم .

(١) ذكره الطبري: ١٩٥/١٧ بغير سند، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٧١/٦ لابن أبي حاتم .

فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
 الْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ
 وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ
 اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ
 إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ

﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾، عبيداً ومُلُكاً، ﴿وإن الله هو الغني﴾، عن عباده،
 ﴿الحميد﴾، في أفعاله .

﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك﴾ أي: وسخر لكم الفلك، ﴿تجري في البحر
 بأمره﴾ / ، وقيل: «ما في الأرض»: الدوابُّ تركب في البر، و«الفلك» تركب في البحر، ﴿ويمسك
 السماء أن تقع على الأرض﴾ يعني: لكيلا تسقط على الأرض، ﴿إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ .
 ﴿وهو الذي أحياكم﴾، أي: أنشأكم ولم تكونوا شيئاً، ﴿ثم يميتكم﴾، عند انقضاء آجالكم،
 ﴿ثم يحييكم﴾، يوم البعث للثواب والعقاب، ﴿إن الإنسان لكفور﴾، نعم الله .

قوله عز وجل: ﴿لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه﴾، قال ابن عباس: يعني شريعة هم عاملون
 بها. وروى عنه أنه قال: عيداً. قال قتادة ومجاهد: موضع قربان يذبحون فيه. وقيل: موضع عبادة.
 وقيل: مألفاً يألفونه .

والمنسك في كلام العرب: الموضع المعتاد لعمل خير أو شر، ومنه «مناسك الحج» لتردد الناس
 إلى أماكن أعمال الحج .

﴿فلا ينازعنك في الأمر﴾، يعني في أمر الذبائح. نزلت في بُدَيْل بن ورقاء، وبشر بن سفيان،
 ويزيد بن حنيس قالوا لأصحاب النبي ﷺ: مالكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون مما
 قتله الله (١) .

قال الزجاج: معنى قوله ﴿فلا ينازعنك﴾ أي: لا تنازعهم أنت، كما يقال: لا يخاصمك فلان،

(١) انظر: القرطبي: ٩٣/١٢ .

فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ
 أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ
 اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٦٩﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ
 وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧٠﴾ وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ
 كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ تَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلِ
 أَفَأَنْتُمْ بُشْرٌ مِّن ذَلِكُمُ النَّارِ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُبْسِ الْمَصِيرُ ﴿٧١﴾

أي: لا تخصمه، وهذا جائز فيما يكون بين الإثنين، ولا يجوز: لا يضربك فلان، وأنت تريد:
 لا تضربه، وذلك أن المنازعة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين، فإذا ترك أحدهما فلا مخاصمة هناك .

﴿واذع إلى ربك﴾، إلى الإيمان بربك، ﴿إنتك لعل هدى مستقيم﴾ .

﴿وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون﴾ .

﴿الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون﴾، فتعرفون حيثذا الحق من الباطل.
 والاختلاف: ذهاب كل واحد من الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر .

﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك﴾، كله، ﴿في كتاب﴾، يعني اللوح
 المحفوظ، ﴿إن ذلك﴾ يعني: علمه لجميع ذلك، ﴿على الله يسير﴾ .

﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً﴾، حجة، ﴿وما ليس لهم به علم﴾، يعني أنهم فعلوا
 ما فعلوا عن جهل لا عن علم، ﴿وما للظالمين﴾، للمشركين، ﴿من نصير﴾، مانع يمنعهم من عذاب الله.

﴿وإذا تلى عليهم آياتنا بينات﴾، يعني: القرآن، ﴿تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر﴾، يعني
 الإنكار يتبين ذلك في وجوههم من الكراهية والعبوس، ﴿يكادون يسطون﴾، أي: يقعون ويسطون
 إليهم أيديهم بالسوء. وقيل: يبطشون، ﴿بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾، أي: بمحمد وأصحابه من شدة
 الغيظ. يقال: سطا عليه وسطا به، إذا تناوله بالبطش والعنف، وأصل السطو: القهر .

﴿قل﴾، يا محمد، ﴿أفأنبتكم بشر من ذلكم﴾، أي: بشر لكم وأكره إليكم من هذا القرآن

يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ

الذي تستمعون، ﴿النار﴾ أي: هي النار، ﴿وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرَ﴾ .

﴿يا أيها الناس ضرب مثل﴾، معنى ضرب: جعل، كقولهم: ضرب السلطان البعث على الناس، وضرب الجزية على أهل الذمة، أي جعل ذلك عليهم. ومعنى الآية: جعل لي شبهة، وشبهه بي الأوثان، أي: جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدها ومعنى ﴿فاستمعوا له﴾، أي: فاستمعوا حالها وصفتها. ثم بين ذلك فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يعني: الأصنام، قرأ يعقوب بالياء والباقون بالتاء ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾، واحداً في صغره وقتله لأنها لا تقدر عليه. والذباب: واحد وجمعه القليل: أذبة، والكثير: ذبان، مثل غراب وأغربة، وغربان، ﴿ولو اجتمعوا له﴾، أي: لخلقه، ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾، قال ابن عباس: كانوا يطلون الأصنام بالزعران، فإذا جفَّ جاء الذباب فاستلب منه.

وقال السدي: كانوا يضعون الطعام بين يدي الأصنام فتقع الذباب عليه فيأكل منه .

وقال ابن زيد: كانوا يحلون الأصنام باليواقيت والآليء وأنواع الجواهر، ويطيبونها بألوان الطيب فربما تسقط منها واحدة فيأخذها طائر أو ذباب فلا تقدر الآلهة على استردادها، فذلك قوله: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ أي: وإن يسلب الذباب الأصنام شيئاً مما عليها لا يقدر أن يستنقذوه منه، ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾، قال ابن عباس: «الطالب»: الذباب يطلب ما يسلب من الطيب من الصنم، و«المطلوب»: الصنم يطلب الذباب منه السلب. وقيل: على العكس: «الطالب»: الصنم و«المطلوب»: الذباب. وقال الضحاك: «الطالب»: العابد و«المطلوب»: المعبود .

﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، ما عظّموه حقَّ عظمتِهِ وما عرفوه حقَّ معرفتِهِ، ولا وصفوه حقَّ صفتِهِ إنَّ أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا يتصف منه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ .

﴿الله يصطفي﴾، يعني يختار ﴿من الملائكة رسلاً﴾، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وغيرهم، ﴿ومن الناس﴾، أي: يختار من الناس رسلاً مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ

إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ
الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ
وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾

وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، نزلت حين قال المشركون: «أنزل عليه الذكر من بيننا»، فأخبر
أن الاختيار إليه، يختار من يشاء من خلقه^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، أي: سميع لقولهم، بصير بمن يختاره لرسالته.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، قال ابن عباس: ما قدموا، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، ما خلفوا. وقال الحسن: «ما بين
أيديهم»: ما عملوا «وما خلفهم» ما هم به عاملون من بعد. وقيل: «ما بين أيديهم»: ملائكة وكتبه ورسله
قبل أن خلقهم، «وما خلفهم» أي: يعلم ما هو كائن بعد فنائهم. ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾، أي: صلوا، لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع
والسجود، ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾، وحُدوده، ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾، قال ابن عباس / : صلة الرحم ومكارم
الأخلاق، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة. واختلف أهل العلم في سجود التلاوة
عند قراءة هذه الآية: .

فذهب قوم إلى أنه يسجد عندها، وهو قول عمر، وعلي، وابن عمر، وابن مسعود، وابن عباس،
وبه قال ابن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق. واحتجوا بما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي،
أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، أخبرنا أبو
عيسى الترمذي، أخبرنا قتيبة، أخبرنا ابن لهيعة، عن مشرح بن عاهان، عن عقبه بن عامر قال: قلت
يا رسول الله فضلت سورة الحج بأن فيها سجدتين؟ قال: «نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما»^(٢).

(١) انظر: القرطبي: ٩٨/١٢ .

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب: تفريع أبواب السجود، وكم سجدة في القرآن ١١٧/٢، والترمذي في الصلاة، باب:
ما جاء في السجدة في الحج ١٧٨/٣-١٧٩ وقال: (هذا حديث ليس إسناده بالقوي) ونقل المنذري قول الترمذي هذا
وقال: (وفي إسناده عبد الله بن لهيعة ومشرح بن هاعان، ولا يحتج بحديثهما). وأخرجه الإمام أحمد: ١٥١/١، والدارقطني:
٤٠٨/١، الحاكم: ٣٩٠/٢ وقال: هذا حديث لم نكتبه مسنداً إلا من هذا الوجه، وعبد الله بن لهيعة أحد الأئمة إنما نتم
عليه اختلاطه في آخر عمره، وقد صحت الرواية فيه من قول عمر بن الخطاب...

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٠٤/٣ .

وانظر: نصب الراية للزيلعي: ١٧٩/٢ .

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ

وذهب قوم إلى أنه لا يسجد هاهنا، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي .

وعدة سجود القرآن أربعة عشر عند أكثر أهل العلم، منها ثلاث في المفصل .

وذهب قوم إلى أنه ليس في المفصل سجود. روي ذلك عن أبي بن كعب، وابن عباس، وبه قال مالك. وقد صح عن أبي هريرة قال: سجدنا مع رسول الله ﷺ في «اقرأ» وإذا السماء انشقت»^(١)، وأبو هريرة من متأخري الإسلام .

واختلفوا في سجود صاد، فذهب الشافعي: إلى أنه سجود شكر ليس من عزائم السجود، ويروى ذلك عن ابن عباس^(٢)، وذهب قوم إلى أنه يسجد فيها، روي ذلك عن عمر، وبه قال سفيان الثوري، وابن المبارك، وأصحاب الرأي، وأحمد، وإسحاق، فعند ابن المبارك، وإسحاق، وأحمد، وجماعة: سجود القرآن خمس عشرة سجدة، فعدوا سجدي الحج وسجدة ص، وروي عن عمرو ابن العاص أن النبي ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن^(٣) .

قوله عز وجل: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾، قيل: جاهدوا في سبيل الله أعداء الله «حقَّ جهاده» هو استفراغ الطاقة فيه، قاله ابن عباس: وعنه أيضاً أنه قال: لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد، كما قال تعالى: (بجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) (المائدة: ٥٤) .

قال الضحاك ومقاتل: اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته .

وقال مقاتل بن سليمان: نسخها قوله^(٤): (فاتقوا الله ما استطعتم) (التغابن: ١٦)، وقال أكثر المفسرين: «حق الجهاد»: أن تكون نيته خالصة صادقة لله عز وجل. وقال السدي: هو أن يطاع فلا يعصى .

وقال عبد الله بن المبارك: هو مجاهدة النفس والهوى، وهو الجهاد الأكبر، وهو حق الجهاد. وقد روي أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك قال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد

(١) أخرجه مسلم في المساجد، باب: سجود التلاوة برقم: (٥٧٨) ٤٠٦/١، والمصنف في شرح السنة: ٣٠١/٣ .

(٢) أخرجه البخاري في سجود القرآن، باب سجدة ص: ٥٥٢/٢، والمصنف في شرح السنة: ٣٠٦/٣ .

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب: تفريع أبواب السجود: ١١٧/٢، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب: عدد سجود القرآن: ٣٣٥/١ برقم: (١٠٥٧)، والحاكم، ٢٢٣/١ وقال: هذا حديث رواه مصريون قد احتج الشيخان بأكثرهم وليس في عدد

سجود القرآن أتم منه ولم يخرجاه .

(٤) انظر فيما سبق: ٢/٣ تغليق (١) .

مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمُّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ

الأكبر»^(١)، وأراد بالجهاد الأصغر الجهاد مع الكفار، وبالجهاد الأكبر الجهاد مع النفس .

﴿هو اجتباكم﴾ أي: اختاركم لدينه، ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾، ضيق، معناه: أن المؤمن لا يتلوى بشيء من الذنوب إلا جعل الله له منه مخرجاً، بعضها بالتوبة، وبعضها برد المظالم والقصاص، وبعضها بأنواع الكفارات، فليس في دين الإسلام ذنب لا يجد العبد سبيلاً إلى الخلاص من العقاب فيه .

وقيل: من ضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج إذا التبس ذلك عليكم، وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا .

وقال مقاتل: يعني الرخص عند الضرورات، كقصر الصلاة في السفر، والتميم، وأكل الميتة عند الضرورة، والإفطار بالسفر والمرض، والصلاة قاعداً عند العجز. وهو قول الكلبي .

وروي عن ابن عباس أنه قال: الحرج ما كان على بني إسرائيل من الأصار التي كانت عليهم، وضعها الله عن هذه الأمة^(٢) .

﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾، أي كلمة أبيكم، نصب بنزع حرف الصفة. وقيل: نصب على الإغراء، أي أتبعوا ملة أبيكم إبراهيم، [وإنما أمرنا باتباع ملة إبراهيم]^(٣) لأنها داخلية في ملة محمد ﷺ .

فإن قيل: فما وجه قوله: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ وليس كل المسلمين يرجع نسبهم إلى إبراهيم؟ .

قيل: خاطب به العرب وهم كانوا من نسل إبراهيم. وقيل: خاطب به جميع المسلمين، وإبراهيم أب لهم، على معنى وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب، وهو كقوله تعالى: (وأزواجه

(١) قال ابن حجر في الكافي الشاف ص ١١٤: «ذكره الثعلبي بغير سند، وأخرجه البيهقي في «الزهد» من حديث جابر، قال: قدم على رسول الله ﷺ قوم غزاة، فقال: قدمت بغير مقدم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قيل: وما الجهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد هواه» قال: فيه ضعف قلت - ابن حجر - هو من رواية عيسى بن إبراهيم عن يحيى بن يعلى عن ليث بن أبي سليم، والثلاثة ضعفاء، وأورده النسائي في «الكنى» من قول إبراهيم بن أبي عبلة، أحد التابعين من أهل الشام. ورواه الخطيب البغدادي في التاريخ: ٤٩٣/١٣، ونسبه العراقي في تخریج أحاديث الإحياء: ٧/٣ للبيهقي، وقال: هنا إسناد فيه ضعف . انظر كشف الخفاء: ٥١١/١، ضعيف الجامع الصغير: ١١٨/١٤، الأسرار المرفوعة في الأحاديث المرفوعة للقاري ص ٢١١-٢١٢ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧٨/٦ لابن أبي حاتم بلفظ: (الإصر الذي كان على بني إسرائيل وضع عنكم) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

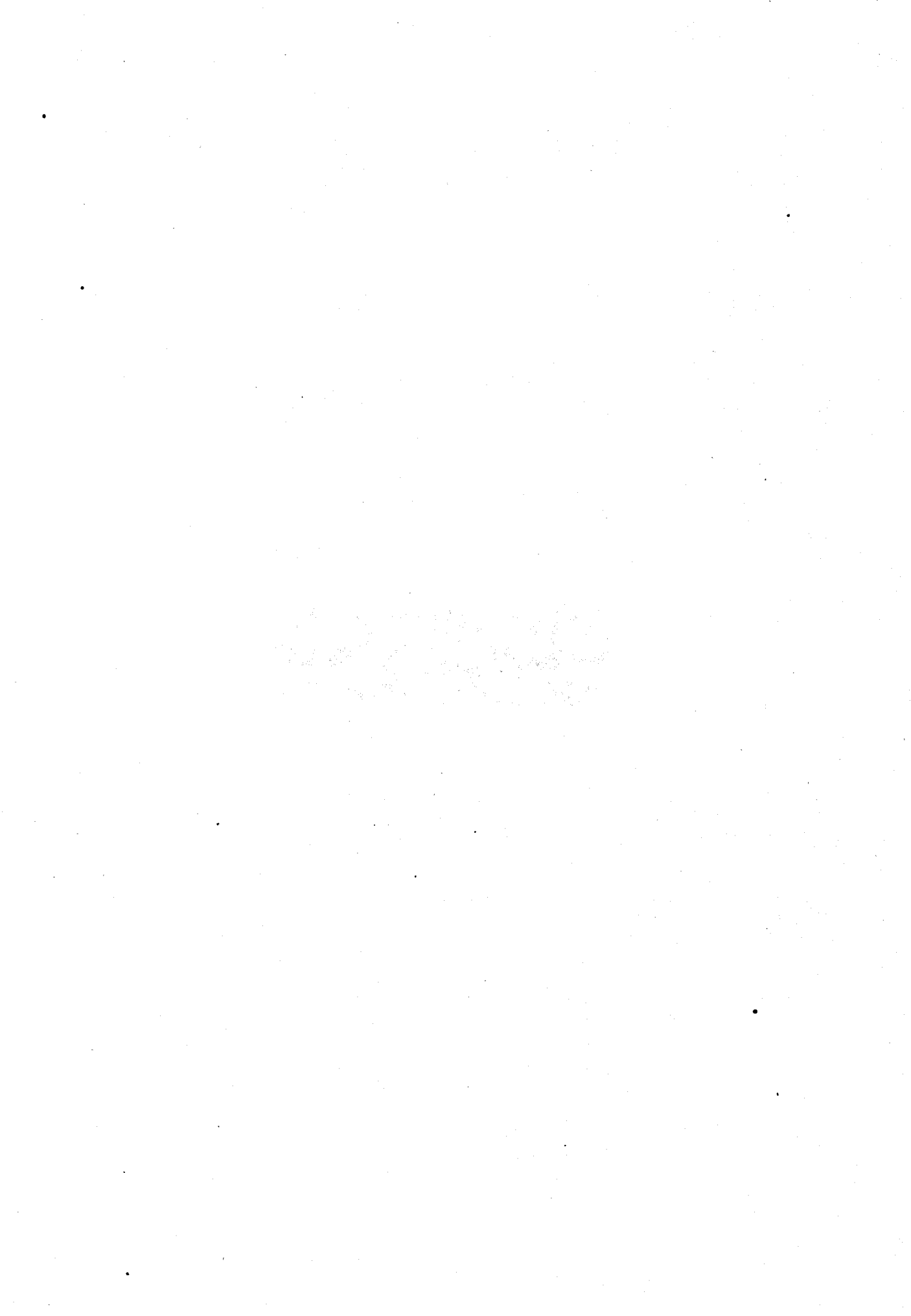
أمهاتهم) (الأحزاب: ٦)، وقال النبي ﷺ: «إنما أنا لكم مثل الوالد [لولده]»^(١)،^(٢).

﴿هو سماكم﴾، يعني أن الله تعالى سماكم ﴿المسلمين من قبل﴾، يعني من قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة. ﴿وفي هذا﴾ أي: في هذا الكتاب، هذا قول أكثر المفسرين. وقال ابن زيد: «هو» يرجع إلى إبراهيم أي أن إبراهيم سماكم المسلمين في أيامه، من قبل هذا الوقت، وفي هذا الوقت، وهو قوله: (ربنا واجلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) (البقرة: ١٢٧)، ﴿ليكون الرسول شهِيداً عليكم﴾، يوم القيامة أن قد بلغكم، ﴿وتكونوا﴾، أنتم، ﴿شهداء على الناس﴾، أن رسلهم قد بلغتهم، ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله﴾ أي: ثقوا بالله وتوكلوا عليه. قال الحسن: تمسكوا بدين الله. وروي عن ابن عباس قال: سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يكره^(٣). وقيل: معناه ادعوه ليثبتكم على دينه. وقيل: الاعتصام بالله هو التمسك بالكتاب والسنة، ﴿هو مولاكم﴾، [وليكم]^(٤) وناصركم وحافظكم، ﴿فنعمة المولى ونعم النصير﴾، الناصر لكم.

* * *

- (١) زيادة من «ب» .
 (٢) قطعة من حديث أخرجه أبو داود في الطهارة، باب: كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة: ١٨/١ بلفظ: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد»، والنسائي في الطهارة، باب: النهي عن الاستطابة بالروث: ٣٨/١، وابن ماجه في الطهارة، باب: الاستنجاء بالحجارة والنهي عن الروثة والرمة: ١١٤/١ برقم (٣١٣)، والدارمي ١٧٢/١-١٧٣، وصححه ابن حبان برقم (١٢٨) ص (٦٢)، وابن خزيمة: ٤٤/١ والشافعي: ٢٨/١، والمصنف في شرح السنة: ١/٣٥٦ وقيل هذا حديث صحيح.
 (٣) انظر زاد المسير ٤٥٧/٥ .
 (٤) ساقط من «ب» .

سُورَةُ الْمُؤْمِنِينَ



سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

مكية (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحى، أخبرنا أحمد بن الحسين الحيرى، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسى، أخبرنا محمد بن حماد، أخبرنا عبد / الرزاق، أخبرنا يونس بن سليمان، أملى عليّ يونس صاحب أيلة، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عبد الرحمن بن عبد القارىء قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: كان إذا نزل على النبي ﷺ الوحي يُسمع عند وجهه دويّ كدويّ النحل، فمكثنا ساعة - وفي رواية: فنزل عليه يوماً فمكثنا ساعة - فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: « اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تُهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وارض عنا، ثم قال: لقد أنزل عليّ عشر آياتٍ من أقامهنّ دخل الجنة »، ثم قرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى عشر آيات . ورواه أحمد بن حنبل، وعلي بن المدينى، وجماعة عن عبدالرزاق، وقالوا: «وأعطنا ولا تحرمنا وأرضينا وارضى عنا» (٢) .

قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، «قد» حرف تأكيد، وقال المحققون: «قد» تقرب الماضي من

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة المؤمنين بمكة. وأخرج عبدالرزاق، والشافعي، وسعيد بن منصور، وابن سعد، وابن أبي شيبة، وأحمد، والبخاري في «تاريخه» ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، وابن خزيمة، والطحاوي، وابن حبان، والبيهقي في «سننه»، عن عبدالله بن ثابت قال: «صلّى النبي ﷺ بمكة الصبح، فاستفتح سورة المؤمنين، حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون، أو ذكر عيسى، أخذته سعدة، فركع». انظر: الدر المنثور: ٨٢/٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير، باب: ومن سورة المؤمنين: ١٦/٩-١٧، والإمام أحمد: ٣٤/١، وصححه الحاكم وواقفه الذهبي: ٥٣٥/١، والمصنف في شرح السنة: ١٧٧/٥ وقال: «هذا حديث حسن، ويونس صاحب أيلة: هو يونس بن يزيد الأيلي صاحب الزهري» .

الحال، يدل على أن الفلاح قد حصل لهم، وأنهم عليه في الحال، وهو أبلغ من تجريد ذكر الفعل، «والفلاح»: النجاة والبقاء، قال ابن عباس: قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة .
 ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾، اختلفوا في معنى الخشوع، فقال ابن عباس: مخبتون أذلاء .
 وقال الحسن وقتادة: خائفون . وقال مقاتل: متواضعون . وقال مجاهد: هو غص البصر وخفض الصوت .
 والخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن، والخشوع في القلب والبدن والبصر والصوت، قال الله عز وجل: «وخشعت الأصوات للرحمن» (طه - ١٠٨) .

وعن علي رضي الله عنه: هو أن لا يلتفت يمينا ولا شمالاً . وقال سعيد بن جبير: هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على يساره، ولا يلتفت من الخشوع لله عز وجل .
 أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، حدثنا مسدد، أخبرنا أبو الأحوص، أخبرنا أشعث بن سليم، عن أبيه، عن مسروق، عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»^(١) .

وأخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو الحسن القاسم بن بكر الطيالسي ببغداد، أخبرنا أبو أمية محمد بن إبراهيم الطرسوسي، أخبرنا عبد الغفار بن عبيد الله، أخبرنا صالح بن أبي الأخضر، عن الزهري، عن أبي الأحوص، عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «لا يزال الله مقبلاً على العبد ما كان في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت أعرض عنه»^(٢) .
 وقال عمرو بن دينار: هو السكون وحسن الهيئة . وقال ابن سيرين وغيره: هو أن لا ترفع بصرك عن موضع سجودك .

وقال أبو هريرة: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزل: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ رموا بأبصارهم إلى مواضع السجود .

(١) أخرجه البخاري في الأذان، باب: الالتفات في الصلاة: ٢٣٤/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٥١/٣ .
 (٢) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب: الالتفات في الصلاة: ٤٢٩/١، والنسائي في السهو، باب: التشديد في الالتفات في الصلاة: ٨/٣، وابن خزيمة في صحيحه: ٢٤٤/١، والإمام أحمد: ١٧٢/٥، والحاكم: ٢٣٦/١، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأبو الأحوص هذا مولى بني الليث تابعي من أهل المدينة، وثقه الزهري وروى عنه، وجرى بينه وبين سعد ابن إبراهيم مناظرة في معناه». والمصنف في شرح السنة: ٢٥٢/٣ وقال: «صالح بن أبي الأخضر، ضعيف يروي عن الزهري». وروى هذا الحديث عبدالله بن المبارك وغيره عن يونس عن الزهري قال المنذري: «وأبو الأحوص - هذا - لا يعرف له اسم، وهو مولى بني ليث، وقيل: مولى بني غفار، ولم يرو عنه غير الزهري. قال يحيى بن معين: ليس هو بشيء، وقال أبو أحمد الكرايسي: ليس بالتين عندهم». مختصر سنن أبي داود: ٤٢٩/١ وقال النووي في «الخلاصة»: هو فيه جهالة، لكن الحديث لم يضعفه أبو داود فهو حسن عنده. انظر: نصب الراية: ٨٩/٢ .

وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا علي بن عبد الله، أخبرنا يحيى بن سعيد، أخبرنا ابن أبي عروبة، أخبرنا قتادة أن أنس ابن مالك حدثهم قال: قال النبي ﷺ: «ما بأل أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم»، فاشتدَّ قوله في ذلك حتى قال: «لَيَنْتَهَنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَتَخَطْفَنَّ أَبْصَارَهُمْ»^(١).

وقال عطاء: هو أن لا تعبت بشيء من جسدك في الصلاة. ورُوي أن النبي ﷺ أبصر رجلاً يعبتُ بلحيته في الصلاة فقال: «لو خشع قلبُ هذا لخشعت جوارحه»^(٢).

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، أخبرنا أبو العباس المحبوبي، أخبرنا أبو عيسى الترمذي، أخبرنا سعيد، عن عبد الرحمن الخزومي، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن أبي الأحوص، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ قال: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسه الحصى فإنَّ الرحمةَ تواجهه»^(٣).

وقيل: الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة، والإعراض عما سواها، والتدبير فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر.

قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: عن الشرك، وقال الحسن: عن المعاصي. وقال الزجاج: عن كل باطل وهو وما لا يحل من القول والفعل. وقيل: هو معارضة الكفار بالثتم والسب: قال الله تعالى: «وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا» (الفرقان - ٧٢)، أي: إذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾، أي: للزكاة الواجبة مؤدّون، فعبر عن التأدية بالفعل لأنه فعل. وقيل: الزكاة هاهنا هو العمل الصالح، أي: والذين هم للعمل الصالح فاعلون.

(١) أخرجه البخاري في السهو، باب: رفع البصر إلى السماء في الصلاة: ٢٣٣/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٥٨/٣.

(٢) قال المناوي في «الفتح السماوي» (٨٥٤/٢): أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول بسند ضعيف من حديث أبي هريرة، وفيه سليمان بن عمرو وهو أبو داود النخعي أحد من اتهم بوضع الحديث. وانظر: إرواء الغليل: ٩٢/٢-٩٣، سلسلة الأحاديث الضعيفة: ١٤٣/١-١٤٤.

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب: مسح الحصى في الصلاة: ٤٤٣/١، والترمذي في الصلاة، باب: ما جاء في كراهية مسح الحصى في الصلاة: ٣٨٢/٢، والنسائي في السهو، باب: النهي عن مسح الحصى في الصلاة: ٦/٣، وابن ماجه في الإقامة، باب: مسح الحصى برقم: (١٠٢٧) ٣٢٨/١، وابن حبان في المواقيت، باب: فيما ينهى عنه في الصلاة ص ١٣١ من موارد الظمان، والإمام أحمد: ١٥٠/٥، والمصنف في شرح السنة: ١٥٨/٣.

وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ
هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾
أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾

﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾، الفرج: اسم يجمع سواة الرجل والمرأة، وحفظ الفرج: التعفف عن الحرام .

﴿إلا على أزواجهم﴾، أي: من أزواجهم، و«على» بمعنى «من». ﴿أو ما ملكت أيماهم﴾، (ما) في محل الخفض، يعني أو مما ملكت أيماهم، والآية في الرجال خاصة بدليل قوله: «أو ما ملكت أيماهم» والمرأة لا يجوز أن تستمتع بفرج مملوكها. ﴿فإنهم غير ملومين﴾، يعني يحفظ فرجه إلا من امرأته أو أمته فإنه لا يلام على ذلك، وإنما لا يلام فيهما إذا كان على وجه أذن فيه الشرع دون الإتيان في غير المأتي، وفي حال الحيض والنفاس، فإنه محظور وهو على فعله ملوم .

﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾، أي: التمس وطلب سوى الأزواج والولائد المملوكة، ﴿فأولئك هم العادون﴾، الظالمون المتجاوزون من الحلال إلى الحرام /، وفيه دليل على أن الاستمناء باليد حرام، وهو قول أكثر العلماء. قال ابن جريج: سألت عطاء عنه فقال: مكروه، سمعت أن قوماً يحشرون وأيديهم حُبالي فأظن أنهم هؤلاء. وعن سعيد بن جبير قال: عذب الله أمة كانوا يعيشون بمذاكيرهم .

ب/٣٠

﴿والذين هم لأماناتهم﴾، قرأ ابن كثير «لأمانتهم» على التوحيد هاهنا وفي سورة المعارج، لقوله تعالى: ﴿وعهدهم﴾ والباقون بالجمع، كقوله عز وجل: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها» (النساء - ٥٧)، ﴿وعهدهم راعون﴾، حافظون، أي: يحفظون ما ائتمنوا عليه، والعقود التي عاقدوا الناس عليها، يقومون بالوفاء بها، والأمانات تختلف فتكون بين الله تعالى وبين العبد كالصلاة والصيام والعبادات التي أوجبها الله عليه، وتكون بين العبيد كالدائع والصنائع فعلى العبد الوفاء بجميعها .

﴿والذين هم على صلواتهم﴾، قرأ حمزة والكسائي «صلاتهم» على التوحيد، والآخرون صلواتهم على الجمع. ﴿يحافظون﴾، أي: يداومون على حفظها ويراعون أوقاتها، كرر ذكر الصلاة ليبين أن المحافظة عليها واجبة كما أن الخشوع فيها واجب .

﴿أولئك﴾، أهل هذه الصفة، ﴿هم الوارثون﴾، يرثون منازل أهل النار من الجنة .

الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ
مِّن طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾

رُوي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا وله منزلان منزلٌ في الجنة ومنزلٌ في النار، فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله»^(١) وذلك قوله تعالى: ﴿أولئك هم الوارثون﴾.

وقال مجاهد: لكل واحد منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما المؤمن فيبني منزله الذي له في الجنة ويهدم منزله الذي له في النار، وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة ويبني الذي في النار. وقال بعضهم: معنى الوراثة هو أنه يؤول أمرهم إلى الجنة وينالونها، كما يؤول أمر الميراث إلى الوارث. قوله تعالى: ﴿الذين يرثون الفردوس﴾، وهو أعلى الجنة قد ذكرناه في سورة الكهف^(٢)، ﴿هم فيها خالدون﴾، لا يموتون ولا يُخرجون، وجاء في الحديث: «أن الله تعالى خلق ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده، ثم قال: وعزتي لا يدخلها مُدْمِنٌ خمير، ولا ديوث»^(٣).

قوله عز وجل: ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾، يعني: ولد آدم، و«الإنسان» اسم الجنس، يقع على الواحد والجمع، ﴿من سلالة﴾، روي عن ابن عباس أنه قال: السلالة صفوة الماء. وقال مجاهد: من بني آدم. وقال عكرمة: هو يسيل من الظهر، والعرب تسمي النطفة سلالةً، والولد سليلاً وسلالةً، لأنهما مسلولان منه.

قوله: ﴿من طين﴾، يعني: طين آدم. والسلالة تولدت من طين خلق آدم منه. قال الكلبي: من نطفة سلت من طين، والطين آدم عليه السلام، وقيل المراد من الإنسان هو آدم. وقوله: ﴿من سلالة﴾ أي: سل من كل تربة.

﴿ثم جعلناه نطفة﴾، يعني الذي هو الإنسان جعلناه نطفة، ﴿في قرارٍ مكين﴾، حريز، وهو الرِّجْمُ مَكْنٌ [أي قد هيء] ^(٤) لاستقرارها فيه إلى بلوغ أمدها.

(١) أخرجه ابن ماجه في الزهد، باب: صفة الجنة: ١٤٥٣/٢ برقم (٤٣٤١) وقال: في الروايد، هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

(٢) راجع فيما سبق، تفسير سورة الكهف.

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات: ٤٧/٢ مرسلًا وأشار إلى تضعيفه بقوله: «هذا مرسل، وفيه إن ثبت دلالة على أن الكتب هاهنا بمعنى الخلق»، وعزاه في الكنز أيضاً (١٣١/٦) للخرائطي في مساوىء الأخلاق وللدهليمي في الفردوس.

(٤) ساقط من «أ».

ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا
فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ
إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر «عظماً»، ﴿فكسونا العظام﴾ على التوحيد فيهما، وقرأ الآخرون بالجمع لأن الإنسان ذو عظام كثيرة. وقيل: بين كل خلقين أربعون يوماً. ﴿فكسونا العظام لحماً﴾، أي ألبسنا، ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾، اختلف المفسرون فيه، فقال ابن عباس: ومجاهد، والشعبي، وعكرمة، والضحاك، وأبو العالية: هو نفخ الروح فيه^(١). وقال قتادة: نبات الأسنان والشعر. وروى ابن جريج عن مجاهد: أنه استواء الشباب. وعن الحسن قال: ذكراً أو أنثى. وروى العوفي عن ابن عباس: أن ذلك تصريف أحواله بعد الولادة من الاستهلال إلى الارتضاع، إلى القعود إلى القيام، إلى المشي إلى الفطام، إلى أن يأكل ويشرب، إلى أن يبلغ الحلم، ويتقلب في البلاد إلى ما بعدها.

﴿فتبارك الله﴾، أي: استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال. ﴿أحسن الخالقين﴾، المصورين والمقدرين. و«الخلق» في اللغة: التقدير. وقال مجاهد: يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين، يقال: رجل خالق أي: صانع.

وقال ابن جريج: إنما جمع الخالقين لأن عيسى كان يخلق كما قال: «إني أخلق لكم من الطين» (آل عمران - ٤٩) فأخبر الله عن نفسه بأنه أحسن الخالقين^(٢).

﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون﴾، والميت - بالتشديد - والمات الذي لم يميت بعد وسيموت، والميت - بالتخفيف - : من مات، ولذلك لم يجز التخفيف هاهنا، كقوله: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» (الزمر - ٣٠).

﴿ثم إنكم يوم القيامة تُبعثون﴾.

(١) وهو ما رجحه الطبري في التفسير: (١١/١٨) وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحول خلقاً آخر إنساناً، وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفها الله أنه كان بها من نطفة وعلقه ومضغة وعظم، وبنفخ الروح فيه يتحول عن تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية، كما تحول أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي تُخلق منها إنساناً، وخلقاً آخر غير الطين الذي تُخلق منه.

(٢) أخرج الطبري هذين القولين، ورجح قول مجاهد؛ لأن العرب تسمي كل صانع خالقاً، ومنه قول زهير: ولائْتُ تَفْصِرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدُ - ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْصِرِي

انظر: تفسير الطبري: ١١/١٨، زاد المسير: ٤٦٣/٥-٤٦٤.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِمْ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾

﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾، أي: سبع سموات، سميت طرائق لتطارقها، وهو أن بعضها فوق بعض، يقال: طارقت النعل إذا جعلت بعضه فوق بعض. وقيل: سميت طرائق لأنها طرائق الملائكة. ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾، أي كنا لهم حافظين من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم كما قال الله تعالى: ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾ (الحج - ٦٥).

وقيل: ما تركناهم سدى بغير أمر ونهي.

وقيل: وما كنا عن الخلق غافلين إذ بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب.

﴿وأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾، يعلمه الله. قال مقاتل: بقدر ما يكفيهم للمعيشة، ﴿فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ﴾، يريد ما يبقى في الغدران والمستنقعات، ينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر. وقيل: فأسكناه في الأرض ثم أخرجنا منها يتابع، فماء الأرض كله من السماء، ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ﴾، حتى تهلوكوا عطشاً وتهلك مواشيكم وتخرب أراضيكم. وفي الخبر: «أن الله عز وجل أنزل أربعة أنهار من الجنة: سيحان، وجيحان، ودجلة، والفرات» (١).

أ/٣١

وروى مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار: جيحون، وسيحون، ودجلة، والفرات، والنيل، أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة، من أسفل درجة من درجاتها، على جناحي جبريل، استودعها الله الجبال، وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس، فذلك قوله عز وجل: «وأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ»، فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل فرفع من الأرض القرآن، والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت، ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه، وهذه الأنهار الخمسة، فيرفع كل ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خير الدين والدنيا» (٢).

وروى هذا الحديث الإمام الحسن بن يوسف، عن عثمان بن سعيد بالإجازة، عن سعيد بن سابق الإسكندراني، عن مسلمة بن علي، عن مقاتل بن حيان (٣).

(١) عزاه السيوطي في الدر: ٩٥/٦ لابن أبي الدنيا عن ابن عطاء.

(٢) عزاه السيوطي في الدر: ٩٥/٦ لابن مردويه والخطيب بسند ضعيف وانظر: البحر المحيط: ٤٠٠/٦.

(٣) مسلمة بن علي الخشني متروك. انظر التقريب لابن حجر.

فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١١﴾
 وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلَّالِ كَلِينٍ ﴿١٢﴾

قوله تعالى : ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾، أي: بالماء، ﴿جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾، في الجنات، ﴿فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، شتاءً وصيفاً، وخصَّ النخيل والأعناب بالذكر لأنها أكثر فواكه العرب .

﴿وشجرة﴾، أي: وأنشأنا لكم شجرة ﴿تخرج من طور سيناء﴾، وهي الزيتون، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو «سيناء» بكسر السين. وقرأ الآخرون بفتحها. واختلفوا في معناه وفي «سينين» في قوله تعالى: «وطور سينين» (التين - ٢) قال مجاهد: معناه البركة، أي: من جبل مبارك. وقال قتادة: معناه الحسن، أي: من الجبل الحسن. وقال الضحاك: هو بالنبطية، ومعناه الحسن. وقال عكرمة: هو بالحبيشية. وقال الكلبي: معناه الشجر، أي: جبل ذو شجر. وقيل: هو بالسريانية الملتفة بالأشجار. وقال مقاتل: كل جبل فيه أشجار مشمرة فهو سينا، وسينين بلغة النبط. وقيل: هو فيعال من السناء وهو الارتفاع. قال ابن زيد: هو الجبل الذي تُودي منه موسى بين مصر وأيلة. وقال مجاهد: سينا اسم حجارة بعينها أضيف الجبل إليها لوجودها عنده. وقال عكرمة: هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل (١).

﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة ويعقوب «تَنْبُتُ» بضم التاء وكسر الباء، وقرأ الآخرون بفتح التاء وضم الباء، فمن قرأ بفتح التاء فمعناه تنبت تثمر الدهن وهو الزيتون. وقيل: تنبت ومعها الدهن، ومن قرأ بضم التاء، اختلفوا فيه فمنهم من قال: الباء زائدة، معناه: تنبت الدهن، كما يقال: أخذت ثوبه وأخذت بثوبه، ومنهم من قال: نبت وأنبت لغتان بمعنى واحد، كما قال زهير :

رَأَيْتُ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِينًا لَهُمْ حَتَّى إِذَا أُتِبَتِ الْبَقْلُ (٢)

أي: نبت، ﴿وَصَبِغٍ لِلَّالِ كَلِينٍ﴾، الصبغ والصباغ: الإدام الذي يلون الخبز إذا غمس فيه وينصبغ، والإدام كل ما يؤكل مع الخبز، سواء ينصبغ به الخبز أو لا ينصبغ. قال مقاتل: جعل

(١) ذكر هذه الأقوال الطبري: ١٣/١٨-١٤ وقال مرجحاً: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن سينا اسم أضيف إليه الطور يعرف به، كما قيل جبلا طي»، فأضيفا إلى طي، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال: معناه: جبل مبارك، أو كما قال: من قال: معناه حسن، لكان الطور منوناً، وكان قوله سيناء، من نعته، على أن سيناء بمعنى: مبارك وحسن، غير معروف في كلام العرب، فيجعل ذلك من نعت الجبل، ولكن القول في ذلك إن شاء الله، كما قال ابن عباس من أنه جبل عرف بذلك، وأنه الجبل الذي نودي منه موسى ﷺ، وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سيناء: معنى مبارك .

(٢) انظر: «شرح ديوان زهير» ص (١١١)، «تفسير الطبري» ١٤/١٨، «لسان العرب» لابن منظور، مادة (نبت) .

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لَتُسْقِيَكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفِضَ عَلَيْكُمْ وَوَسَاءَ اللَّهِ أَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٢٦﴾

الله في هذه الشجرة أدمًا ودُهْنًا، فالأدم: الزيتون، والدهن: الزيت، وقال: نُحِصَّ الطور بالزيتون لأن أول الزيتون نبت بها. ويقال: أن الزيتون أول شجرة نبت في الدنيا بعد الطوفان .

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾، أي: آية تعتبرون بها، ﴿تُسْقِيَكُمْ﴾، قرأ نافع بالنون [وفتحها] ^(١)، وقرأ أبو جعفر ها هنا بالتاء وفتحها، ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾، ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون ﴿﴾ .

﴿وعليها وعلى الفلك تُحْمَلُونَ﴾، أي: على الإبل في البر، وعلى الفلك في البحر .

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله﴾، وحُدوده، ﴿مالكم من إله غيرهُ﴾، معبود سواه، ﴿أفلا تتقون﴾، أفلا تخافون عقوبته إذا عبدتم غيره .

﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشرٌ مثلكم يريد أن يفضّل عليكم﴾، أي: يتشرف بأن يكون له الفضل عليكم فيصير متبوعاً وأنتم له تبع، ﴿ولو شاء الله﴾، أن لا يعبد سواه، ﴿لأنزل ملائكة﴾، يعني بإبلاغ الوحي. ﴿ما سمعنا بهذا﴾، الذي يدعوننا إليه نوح ﴿في آبائنا الأولين﴾، وقيل: ﴿ما سمعنا بهذا﴾ أي: بإرسال بشر رسولاً .

﴿إن هو إلا رجل به جنة﴾، أي: جنون، ﴿فتربصوا به حتى حين﴾، أي: إلى أن يموت فتستريحوا منه .

﴿قال رب انصُرني بما كذبون﴾، أي: أعني بإهلاكهم لتكذيبهم إياي .

(١) ساقط من «ب» .

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ
فَأَسْلَفَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ
وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ
عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا
مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ
﴿٤٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٤١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤٢﴾

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْأَلْكَ فِيهَا﴾،
أدخل فيها، يقال سلكته في كذا وأسلكته فيه، ﴿من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه
القول منهم﴾، أي من سبق عليه الحكم بالهلاك .

﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾ .

﴿فإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾، اعتدلت ﴿أنت ومن معك على الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، أي: الكافرين، ﴿وقل رب أنزلني مُنْزَلًا مُبَارَكًا﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم «منزلاً»
بفتح الميم وكسر الزاي، أي يريد موضع النزول، قيل: هو السفينة بعد الركوب، وقيل: هو الأرض
بعد النزول، ويحتمل أنه أراد في السفينة، ويحتمل بعد الخروج، وقرأ الباقون «منزلاً» بضم الميم وفتح
الزاي، أي إنزالاً، فالبركة في السفينة النجاة، وفي النزول بعد الخروج كثرة النسل من أولاده الثلاثة،
﴿وأنت خير المنزّلين﴾ .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، أي الذي ذكرت من أمر نوح والسفينة وإهلاك أعداء الله، ﴿لآياتٍ﴾،
لدلالات على قدرته، ﴿وإن كنا لمبتلين﴾، وقد كنا. وقيل: وما كنا إلا مبتلين أي: مختبرين إياهم
بإرسال نوح ووعظه وتذكيره / لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم .

ب/٣١

﴿ثم أنشأنا من بعدهم﴾، من بعد إهلاكهم، ﴿قرناً آخرين﴾ .

﴿فأرسلنا فيهم رسولاً منهم﴾، يعني: هوداً وقومه. وقيل: صالحاً وقومه. والأول أظهر، ﴿أن
اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ .

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاعِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾
 وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشْرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا
 وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
 الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
 وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٣٩﴾

﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلىقاء الآخرة﴾، أي المصير إلى الآخرة،
 ﴿وأترفناهم﴾، نَعَّمْنَاهُمْ وَوَسَّعْنَا عَلَيْهِمْ، ﴿في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشرٌ مثلكم يأكل مما تأكلون
 منه ويشرب مما تشربون﴾، أي: مما تشربون منه .

﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاصرون﴾، لمغبونون .
 ﴿أيعدكم أنكم إذا متُّم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مُخْرَجُونَ﴾، من قبوركم أحياءً وأعاد «أنكم»
 لما طال الكلام، ومعنى الكلام: أيعدكم أنكم إذا متُّم وكنتم تراباً وعظاماً مخرجون؟ وكذلك هو في
 قراءة عبد الله، نظيره في القرآن: «ألم يعلموا أنه من يحادِدِ اللهَ ورسولَه فأن له نار جهنم خالداً فيها»
 (التوبة - ٦٣) .

﴿هيهات هيهات لِمَا تُوعَدُونَ﴾، قال ابن عباس: هي كلمة بعد، أي: بعيد ما توعدون، قرأ
 أبو جعفر «هيهات هيهات» بكسر التاء، وقرأ نصر بن عاصم بالضم، وكلها لغات صحيحة فمن
 نصب جعله مثل أين وكيف، ومن رفع جعله مثل منذ وقط وحيث، ومن كسر جعله مثل أمس
 وهؤلاء، ووقف عليها أكثر القراء بالتاء، ويروى عن الكسائي الوقف عليها بالهاء .

﴿إن هي﴾، يعنون الدنيا، ﴿إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾، قيل فيه تقديم وتأخير، أي: نحيا
 ونموت لأنهم كانوا ينكرون البعث بعد الموت. وقيل: يموت الآباء ويحيا الأبناء. وقيل: يموت قوم
 ويحيا قوم. ﴿وما نحن بمبعوثين﴾، بمنشئين بعد الموت .

﴿إن هو﴾، يعنون الرسول، ﴿إلا رجل افتري على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين﴾، بمصدقين
 بالبعث بعد الموت .

﴿قال رب انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾. ﴿قال عما قليل﴾، أي: عن قليل، و«ما» صلة،

قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً
فَبَعْدَ اللَّقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ
مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَرَاكُلًا مَا جَاءَ
أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدَ الْقَوْمِ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

﴿لَيُصْبِحُنَّ﴾، ليصيرن، ﴿نادمين﴾، على كفرهم وتكذيبهم .

﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ﴾، يعني صيحة العذاب، ﴿بالحق﴾، قيل: أراد بالصيحة الهلاك. وقيل:
صاح بهم جبريل صيحة فتصدعت قلوبهم، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾، وهو ما يجمله السيل من حشيش
وعيدان شجر، معناه: صيرناهم هلكى فيسوا ييس الغناء من نبات الأرض، ﴿فَبَعْدَ الْقَوْمِ
الظالمين﴾ .

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾، أي: أقواماً آخرين .

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا﴾، أي: ما تسبق أمة أجلها أي: وقت هلاكها، ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾،
وما يتأخرون عن وقت هلاكهم .

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَرَاكُلًا﴾، أي: مترادفين يتبع بعضهم بعضاً غير متواصلين، لأن بين كل نبيين
زماناً طويلاً، وهي فعلى من المواترة، قال الأصمعي: يقال واترت الخبر أي أثبتت بعضه بعضاً، وبين
الخبرين [هنية] ^(١) .

واختلف القراء فيه، فقرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: بالتثوين، ويقفون بالألف، ولا
يميله أبو عمرو، وفي الوقف فيها كالألف في قولهم: رأيت زيدا، وقرأ الباقون بلا تثوين، والوقف
عندهم يكون بالياء، ويميله حمزة والكسائي، وهو مثل قولهم: غضبى وسكرى، وهو اسم جمع مثل
شتى، وعلى القراءتين التاء الأولى بدل من الواو، وأصله: «وترى» من المواترة والتواتر، فجعلت الواو
تاء، مثل: التقوى والتكلان .

﴿كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾، بالهالك، أي: أهلكتنا بعضهم في
إثر بعض، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾، أي: سَمَرًا وقصصاً، يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم، وهي

(١) في (ب) مهلة .

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عٰلِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عٰبِدُونَ
﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ
﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

جمع أحداثوته. وقيل: جمع حديث. قال الأخفش: إنما هو في الشر، وأما في الخير فلا يقال جعلتهم
أحاديث وأحداثوته، إنما يقال صار فلان حديثاً، ﴿فبعداً لقوم لا يؤمنون﴾ .
﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين﴾، أي بحجة بينة من اليد والعصا.
وغيرهما .

﴿إلى فرعون وملئيه فاستكبروا﴾، تعظّموا عن الإيمان، ﴿وكانوا قوماً عالين﴾، متكبرين قاهرين
غيرهم بالظلم .

﴿فقالوا﴾، يعني فرعون وقومه، ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا﴾، يعني: موسى وهارون، ﴿وقومهمما
لنا عابدون﴾، مطيعون متذللون، والعرب تسمي كل من دان للملك: عابداً له .
﴿فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾، بالغرق .

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾، التوراة، ﴿لعلهم يهتدون﴾، أي لكي يهتدي به قومه .
﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾، دلالة على قدرتنا، ولم يقل آيتين، قيل: معناه شأنهما آية.
وقيل: معناه جعلنا كل واحد منهما آية، كقوله تعالى: «كلنا الجنة آتت أكلها» (الكهف - ٣٣).
﴿وآويناها إلى ربوة﴾، الربوة المكان المرتفع من الأرض، واختلفت الأقوال فيها، فقال عبدالله بن
سلام: هي دمشق، وهو قول سعيد بن المسيب ومقاتل، وقال الضحاك: غوطة دمشق. وقال
أبو هريرة: هي الرملة. وقال عطاء عن ابن عباس: هي بيت المقدس، وهو قول قتادة وكعب. وقال
كعب: هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً. وقال ابن زيد: هي مضر. وقال السدي:
أرض فلسطين^(١). ﴿ذات قرار﴾ أي: مستوية منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها. ﴿ومعين﴾،
فالعين الماء الجاري الظاهر الذي تراه العيون، مفعول من عانه يعينه إذا أدركه البصر .

(١) ذكر هذه الأقوال الطبري: ٢٧-٢٥/١٨ ثم قال مرجحاً: «وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك: أنها مكان مرتفع ذو استواء،
وماء ظاهر، وليس كذلك صفة الرملة، لأن الرملة لا ماء بها معين، والله تعالى ذكره وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار
ومعين» .

يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوَامِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ
هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا
كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَاتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا
نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾

قوله عز وجل : ﴿يا أيها الرسل﴾ قال الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي وجماعة: أراد به محمداً ﷺ وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة. وقال بعضهم: أراد به عيسى. وقيل: أراد به جميع الرسل عليهم السلام، ﴿كلوا من الطيبات﴾، أي الحلالات، ﴿واعملوا صالحاً﴾، الصلاح هو الاستقامة على ما توجبه الشريعة، ﴿إني بما تعملون عليم﴾.

﴿وإن هذه﴾ قرأ أهل الكوفة: «وإن» بكسر الألف على الابتداء، وقرأ الباقون بفتح الألف، وخفف ابن عامر النون وجعل «إن» صلة، مجازة: وهذه «أمتكم»، وقرأ الباقون بتشديد النون على / معنى وبأن هذا، تقديره: بأن هذه أمتكم، أي ملتكم وشريعتكم التي أنتم عليها، «أمة واحدة»، أي ملة واحدة وهي الإسلام، ﴿وأنا ربكم فاتقون﴾، أي: اتقوني لهذا.

أ/٣٢

وقيل: معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين من قبلكم، فأمركم واحد، ﴿وأنا ربكم فاتقون﴾ فاحذرون. وقيل: هو نصب بإضمار فعل، أي: اعلموا أن هذه أمتكم، أي ملتكم، أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون.

﴿فتقطعوا أمرهم﴾، دينهم، ﴿بينهم﴾، أي: تفرقوا فصاروا فرقا، يهوداً ونصارى ومجوساً، ﴿زُبُرًا﴾، أي: فرقا وقطعا مختلفة، واحدها زبور وهو الفرقة والطائفة، ومثله الزبرة وجمعها زُبر، ومنه: «زُبر الحديث» (الكهف - ٩٦). أي: صاروا فرقا كزبر الحديد. وقرأ بعض أهل الشام «زبرا» بفتح الباء، قال قتادة ومجاهد «زبرا» أي: كتبا، يعني دان كل فريق بكتاب غير الكتاب الذي دان به الآخرون. وقيل: جعلوا كتبهم قطعاً مختلفة، آمنوا ببعض، وكفروا ببعض، وحرفوا البعض، ﴿كل حزب بما لديهم﴾، بما عندهم من الدين، ﴿فرحون﴾، معجبون ومسرورون.

﴿فذرهم في غمرتهم﴾، قال ابن عباس: في كفرهم وضلالتهم، وقيل: عمايتهم، وقيل: غفلتهم ﴿حتى حين﴾، إلى أن يموتوا.

﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مالٍ وبنين﴾، ما نعطيهم ونجعله مدداً لهم من المال والبنين في

الدنيا.

نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾
وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ
مَاءَ آتَاوًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾

﴿نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾، أي: نعجل لهم في الخيرات، ونقدمها ثواباً لأعمالهم لمرضاتنا عنهم،
﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، أن ذلك استدراج لهم. ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾، أي: خائفون، والإشفاق: الخوف، والمعنى أن
المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه، قال الحسن البصري: المؤمن من جمع إحساناً
وخشية، والمنافق من جمع إساءة وأمناً^(١).

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾، يُصَدِّقُونَ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوًا﴾، أي: يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات، وروي عن عائشة
أنها كانت تقرأ «والذين يأتون ما آتوا»^(٢) أي: يعملون ما عملوا من أعمال البر، ﴿وَقُلُوبُهُمْ
وَجِلَةٌ﴾، أن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وأن أعمالهم لا تقبل منهم، ﴿أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾،
لأنهم يوقنون أنهم يرجعون إلى الله عز وجل. قال الحسن: عملوا لله بالطاعات [واجتهدوا فيها]^(٣)،
وخافوا أن ترد عليهم.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا محمد
ابن حامد، حدثنا محمد بن الجهم، أخبرنا عبد الله بن عمرو، أخبرنا وكيع عن مالك بن مغول، عن
عبد الرحمن بن سعيد بن وهب، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يارسول الله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ
مَا آتَاوًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنه
الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يُقبل منه»^(٤).

(١) أخرجه الطبري: ٣٢/١٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٣/١٨.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٤) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة المؤمنون: ١٩/٩-٢٠-١٩/٩ والإمام أحمد: ٢٠٦، ١٥٩/٦، والحاكم: ٣٩٤-٣٩٣/٢.

وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والطبري: ٣٤/١٨.

وانظر: الدر المنثور: ١٠٥/٦، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٢٥٥/١-٢٥٦.

أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكْلَفْ نَفْسًا وَلَا وُسْعَهَا
 وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلٌ
 مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذِاهُمْ
 يَجْتَرُونَ ﴿٦٤﴾

قوله عزّ وجلّ : ﴿أولئك يُسارعون في الخيرات﴾، يبادرون إلى الأعمال الصالحات، ﴿وهم لها سابقون﴾، أي: إليها سابقون، كقوله تعالى: ﴿لما نهوا﴾ أي: إلى ما نهوا، ولما قالوا ونحوها، وقال ابن عباس في معنى هذه الآية: سبقت لهم من الله السعادة. وقال الكلبي: سبقوا الأمم إلى الخيرات .
 قوله : ﴿ولا تكلف نفساً إلا وُسْعَهَا﴾، أي: طاقتها، فمن لم يستطع القيام فليصل قاعداً، ومن لم يستطع الصوم فليفطر، ﴿ولدينا كتابٌ ينطق بالحق﴾، وهو اللوح المحفوظ، «ينطق بالحق» يبين بالصدق، ومعنى الآية: لا يكلف الله نفساً إلا وسعها إلا ما أطاقت من العمل، وقد أثبتنا عمله في اللوح المحفوظ، فهو ينطق به ويبيّنه. وقيل: هو كتب أعمال العباد التي تكتبها الحفظة، ﴿وهم لا يظلمون﴾، ولا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم، ثم ذكر الكفار، فقال :
 ﴿بل قلوبهم في غمْرَةٍ﴾، أي: في غفلة وجهالة، ﴿من هذا﴾، أي: من القرآن، ﴿وهم أعمال من دون ذلك﴾، أي: للكفار أعمال خبيثة من المعاصي والخطايا محكومة عليهم من دون ذلك، يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله تعالى في قوله ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾، ﴿هم لها عاملون﴾، لا بد لهم من أن يعملوها، فيدخلوا بها النار، لما سبق لهم من الشقاوة. هذا قول أكثر المفسرين. وقال قتادة: هذا ينصرف إلى المسلمين، وأن لهم أعمالاً سوى ما عملوا من الخيرات هم لها عاملون، والأول أظهر .

﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم﴾، أي: أخذنا أغنياءهم ورؤساءهم، ﴿بالعذاب﴾، قال ابن عباس: هو السيف يوم بدر. وقال الضحاك: يعني الجوع حين دعا عليهم رسول الله ﷺ، فقال : «اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»^(١)، فابتلاهم الله عزّ وجلّ بالقحط حتى أكلوا الكلاب والجيف. ﴿إذا هم يجأرون﴾ يضحجون ويجزعون ويستغيثون، وأصل الجأر: رفع الصوت بالتضرع .

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الدعوات، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة: ١١/١٩٣-١٩٤، ومسلم في المساجد، باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة، برقم (٦٧٥) ٤٦٦/١-٤٦٧ .

لَا تَجْتَرُوا أَيُّومًا إِنَّكُمْ مِمَّا لَتُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ فَكَانَتْ آيَاتِي تُتلى عَلَيْكُمْ
فَكَنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنكصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ
﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَذَّبُوا الْقَوْلَ إِذْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ
فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾

﴿لا تجأروا اليوم﴾، أي لا تضجوا، ﴿إنكم مما لا تنصرون﴾، لا تمنعون منا ولا ينفعكم
تضرعكم .

﴿قد كانت آياتي تُتلى عليكم﴾، يعني القرآن، ﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ ترجعون
القهقري تأخرون عن الإيمان .

﴿مستكبرين به﴾، اختلفوا في هذه الكناية، فأظهر الأقاويل أنها تعود إلى البيت الحرام كناية
عن غير مذكور، أي: مستكبرين متعظمين بالبيت الحرام، وتعظمهم به أنهم كانوا يقولون نحن أهل
حرم الله وجيران بيته، فلا يظهر علينا أحد، ولا نخاف أحداً، فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف،
هذا قول ابن عباس ومجاهد، وجماعة، وقيل: «مستكبرين به» أي: بالقرآن فلم يؤمنوا به. والأول
أظهر، المراد منه الحرم، ﴿سامراً﴾، نصب على الحال، أي أنهم يسمرون بالليل في مجالسهم حول
البيت، ووحد سامراً وهو بمعنى السمار لأنه وضع موضع الوقت، أراد تهجرون ليلاً. وقيل: وُحِدَ
سامراً، ومعناه الجمع /، كقوله: «ثم نخرجكم طفلاً» (الحج - ٥)، ﴿تهجرون﴾، قرأ نافع
ب/٣٢ تهجرون بضم التاء وكسر الجيم من الإهجار وهو الإفحاش في القول، أي: تفحشون وتقولون
الحناء، وذكر أنهم كانوا يسيون النبي ﷺ وأصحابه، وقرأ الآخرون: «تهجرون» بفتح التاء وضم
الجيم، أي: تعرضون عن النبي ﷺ وعن الإيمان والقرآن، وترفضونها. وقيل: هو من الهجر وهو
القول القبيح، يقال هجر يهجر هجراً إذا قال غير الحق. وقيل: تهزؤون وتقولون مالا تعلمون، من
قولهم: هجر الرجل في منامه، إذا هذى .

﴿أفلم يذَّبوا﴾، أي: يتدبروا، ﴿القول﴾، يعني: ما جاءهم من القول وهو القرآن، فيعرفوا
ما فيه من الدلالات على صدق محمد ﷺ، ﴿أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾، فأنكروا،
يريد إنا قد بعثنا من قبلهم رسلاً إلى قومهم كذلك بعثنا محمداً ﷺ إليهم. وقيل: «أم» بمعنى بل،
يعني: جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين فلذلك أنكروا .

﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾، محمداً ﷺ، ﴿فهم له منكرون﴾، قال ابن عباس: أليس قد عرفوا
محمداً ﷺ صغيراً وكبيراً، وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود. وهذا على سبيل التوبيخ

أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ
 أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ
 فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رِبْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ
 الرِّزْقَيْنِ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
 عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ ﴿٧٤﴾

لهم على الإعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والأمانة .

﴿أم يقولون به جِنَّةٌ﴾، جنون، وليس كذلك، ﴿بل جاءهم بالحق﴾، يعني بالصدق والقول
 الذي لا تخفى صحته وحسنه على عاقل، ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾ .

﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾، قال ابن جريج ومقاتل والسدي وجماعة: «الحق» هو الله، أي:
 لو اتبع الله مرادهم فيما يفعل، وقيل: لو اتبع مرادهم، فسمى لنفسه شريكاً وولداً كما يقولون:
 ﴿لفسدت السموات والأرض﴾، وقال الفراء والزجاج: والمراد بالحق القرآن أي: لو نزل القرآن
 بما يحبون من جعل الشريك والولد على ما يعتقدونه ﴿لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾،
 وهو كقوله تعالى: «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» (الأنبياء - ٢٢) .

﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾، بما يذكرهم، قال ابن عباس: أي: بما فيه فخْرهم وشرفهم، يعني
 القرآن، فهو كقوله تعالى: «لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم» (الأنبياء - ١٠)، أي: شرفكم، وإياه
 لذكر لك ولقومك» (الزخرف - ٤٤)، أي: شرف لك ولقومك. ﴿فهم عن ذكرهم﴾، يعني
 عن شرفهم، ﴿معرضون﴾ .

﴿أم تسألهم﴾، على ما جئتهم به، ﴿خَرْجاً﴾، أجراً وجُعلاً، ﴿فخرج ريبك خير﴾، أي: ما
 يعطيك الله من رزقه وثوابه خير، ﴿وهو خير الرازقين﴾، قرأ حمزة والكسائي: «خارجاً» ﴿فخرج﴾
 كلاهما بالألف، وقرأ ابن عامر كلاهما بغير ألف، وقرأ الآخرون: «خرجاً» بغير ألف ﴿فخرج﴾
 بالألف .

﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾، وهو الإسلام .

﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط﴾، أي: عن دين الحق، ﴿لنكفون﴾، لعادلون

مائلون .

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُوفِ فِي طَغْيِنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾
 وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم
 بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَاهُمْ فِيهِ مَبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
 وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ
 تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿ولو رحمتهم وكشفنا ما بهم من ضرر﴾، قحط وجدوبة ﴿للجوف﴾، تماذوا، ﴿في طغيانهم يعمهون﴾، ولم ينزعوا عنه .

﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾، وذلك أن النبي ﷺ دعا على قريش أن يجعل عليهم سنين كسني يوسف، فأصابهم القحط، فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ وقال أنشدك الله والرحم، ألسنت ترغم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ فقال: بلى، فقال: قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فادع الله أن يكشف عنا هذا القحط، فدعا فكشفت عنهم، فأنزل الله هذه الآية (١) : ﴿فما استكانوا لربهم﴾، أي: ما خضعوا وما ذلوا لربهم، وأصله طلب السكون، ﴿وما يضرعون﴾، أي: لم يضرعوا إلى ربهم بل مضوا على تمردهم .

﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذابٍ شديد﴾، قال ابن عباس: يعني القتل يوم بدر، وهو قول مجاهد، وقيل: هو الموت. وقيل: هو قيام الساعة، ﴿إذا هم فيه مبلسون﴾، آيسون من كل خير . ﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع﴾، أي: أنشأ لكم الأسماع ﴿والأبصار والأفئدة﴾، لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا، ﴿قليلاً ما تشكرون﴾، أي: لم تشكروا هذه النعم .

﴿وهو الذي ذرأكم﴾، خلقكم، ﴿في الأرض وإليه تحشرون﴾، تبعثون . ﴿وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾، أي: تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان، قال الفراء: جعلهما مختلفين، يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض، ﴿أفلا تعقلون﴾، ما ترون من صنعه فتعتبرون .

(١) انظر الطبري: ٤٥/١٨، أسباب النزول للواحي ص ٣٦٢-٣٦٣، الدر المنثور: ١١١/٦، الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل بن هادي ص ١٠٠ .

بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأُولُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْقُوتُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ
يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾

﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾، أي: كذبوا كما كذب الأولون .
﴿قالوا أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾، لمحشورون، قالوا ذلك على طريق الإنكار
والتعجب .
﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا﴾، الوعد، ﴿من قبل﴾، أي: وعد آباءنا قوم ذكروا أنهم رسل
الله فلم تر له حقيقة، ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾، أكاذيب الأولين .
﴿قل﴾، يا محمد مجيباً لهم، يعني أهل مكة، ﴿لمن الأرض ومن فيها﴾، من الخلق، ﴿إن كنتم
تعلمون﴾، خالقها ومالكها .
﴿سيقولون لله﴾، ولا بد لهم من ذلك لأنهم يقرون أنها مخلوقة. ﴿قل﴾ لهم إذا أقروا بذلك:
﴿أفلا تذكرون﴾، فتعلمون أن من قدر على خلق الأرض ومن فيها ابتداءً يقدر على إحيائهم بعد
الموت .

﴿قل من ربُّ السموات السبع وربُّ العرش العظيم﴾ .

﴿سيقولون لله﴾، قرأ العامة « لله » ومثله ما بعده، فجعلوا الجواب على المعنى، كقول القائل
للرجل: من مولاك؟ فيقول: لفلان، أي أنا لفلان وهو مولاي. وقرأ أهل البصرة فيما « الله »
وكذلك هو في مصحف أهل البصرة، وفي سائر المصاحف، مكتوب بالألف كالأول، ﴿قل أفلا
تتقون﴾، تحذرون .

﴿قل من بيده ملكوت كل شيء﴾، الملكوت الملك، والتاء فيه للمبالغة، ﴿وهو يُجِيرُ﴾، أي:
يؤمن من يشاء ﴿ولا يُجار عليه﴾، أي: لا يؤمن من أخافه الله، أو يمنع هو من السوء من يشاء،
ولا يمنع منه من أراده بسوء، ﴿إن كنتم تعلمون﴾، قيل: معناه أجيوا إن كنتم تعلمون .

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلُوبٌ فَأَنى تُسْحَرُونَ ﴿٨١﴾ بَلْ أَيْتَنَّهُمْ بِالْحَقِّ وَانَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٠﴾
 مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ
 عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٨١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا
 يُشْرِكُونَ ﴿٨٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئِنى مَا يُوْعَدُونَ ﴿٨٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنى فِى
 الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٨٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِى هى
 أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٨٦﴾

﴿سيقولون لله قلوب﴾ أي: تخدعون وتصرفون عن توحيد وطاعته، والمعنى:

كيف يُخَيَّلُ لكم الحقُّ باطلاً ؟

﴿بل أيتناهم بالحق﴾ بالصدق ﴿وانهم لكاذبون﴾ فيما يدعون من الشريك والولد . / ٣٣/أ

﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله﴾، أي: من شريك، ﴿إذا لذهب كل إله بما

خلق﴾، أي: تفرّد بما خلقه فلم يرص أن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره، ومنع الإله الآخر عن الاستيلاء على ما خلق. ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾، أي: طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم، ثم نزه نفسه فقال: ﴿سبحان الله عما يصفون﴾ .

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ قرأ أهل المدينة والكوفة غير حفص: ﴿عالم﴾ برفع الميم على الابتداء،

وقرأ الآخرون بجرها على نعت الله في سبحان الله، ﴿فعلى عما يشركون﴾، أي: تعظّم عما يشركون، ومعناه أنه أعظم من أن يوصف بهذا الوصف .

قوله : ﴿قل رب إمّا تُرِيئِنى﴾، أي: إن أريتني، ﴿ما يوعدون﴾، أي: ما أوعدتهم من العذاب .

﴿رب﴾، أي: يارب، ﴿فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾، أي: لا تهلكني بهلاكهم .

﴿وانا على أن تُريك ما نعدهم﴾، من العذاب لهم، ﴿لقادرون﴾ .

﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾، أي: ادفع بالخلّة التي هي أحسن، هي الصفح والإعراض والصبر،

﴿السيئة﴾، يعني أذاهم، أمرهم بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة، نسخها آية السيف^(١) ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾، يكذبون ويقولون من الشرك .

(١) تقدم في أكثر من موضع أن العلماء توسعوا في نسخ كثير من آيات الصبر والمسألة والحسنى بآية السيف، والحق أنه لا

نسخ في هذا انظر فيما سبق: ٣٣-٣٢/٣ .

وَقُلْ رَبِّ اعْوِذْ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾
 حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ
 كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَاذْنُفِخْ فِي
 الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾

﴿وقل رب أعوذ بك﴾، أي: أمتنع وأعتصم بك، ﴿من همزات الشياطين﴾، قال ابن عباس: نزعاتهم. وقال الحسن: وساوسهم. وقال مجاهد: نفخهم ونفثهم. وقال أهل المعاني: دفعهم بالإغواء إلى المعاصي، وأصل الهمز شدة الدفع.

﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾، في شيء من أموري، وإنما ذكر الحضور لأن الشيطان إذا حضره يوسوسه. ثم أخبر أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة الموت، فقال:

﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني﴾، ولم يقل ارجعني، وهو يسأل الله وحده الرجعة، على عادة العرب فإنهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم، كما أخبر الله تعالى عن نفسه فقال: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر - ٩)، ومثله كثير في القرآن. وقيل: هذا الخطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه ابتداء بخطاب الله لأنهم استغاثوا بالله أولاً ثم رجعوا إلى مسألة الملائكة الرجوع إلى الدنيا.

قوله تعالى: ﴿لعلني أعمل صالحاً فيما تركت﴾، أي: ضيعت أن أقول لا إله إلا الله. وقيل: أعمل بطاعة الله. قال قتادة: ما تمنى أن يرجع إلى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فرحم الله امرأً عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب، ﴿كلا﴾، كلمة ردع وزجر، أي: لا يرجع إليها، ﴿إنها﴾ يعني: سؤاله الرجعة، ﴿كلمة هو قائلها﴾، [ولا ينالها] ^(١)، ﴿ومن ورائهم برزخ﴾، أي أمامهم وبين أيديهم حاجز، ﴿إلى يوم يبعثون﴾، والبرزخ الحاجز بين الشيئين، واختلفوا في معناه هاهنا، فقال مجاهد: حجاب بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا. وقال قتادة: بقية الدنيا. وقال الضحاك: البرزخ ما بين الموت إلى البعث. وقيل: هو القبر، وهم فيه إلى يوم يبعثون.

﴿فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم﴾، اختلفوا في هذه النفخة، فروى سعيد بن جبير

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢)

عن ابن عباس: أنها النفخة الأولى «ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض» (الزمر - ٦٨)، ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾، «ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون» (الزمر - ٦٨)، «وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون» (الصفات - ٢٧).

وعن ابن مسعود: أنها النفخة الثانية، قال: يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فيُنصبُ على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادي منادٍ: هذا فلان ابن فلان، فمن كان له قبله حق فليأت إلى حقه، ويفرح المرء أن [يكون له] (١) الحق على والده وولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه، ثم قرأ ابن مسعود «فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون» (٢).

وفي رواية عطاء عن ابن عباس: أنها الثانية فلا أنساب بينهم أي: لا يتفاحرون بالأنساب يومئذ كما كانوا يتفاحرون في الدنيا، ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا: مَنْ أنت ومن أي قبيلة أنت؟ ولم يرد أن الأنساب تنقطع.

فإن قيل: أليس قد جاء في الحديث: «كل سب ونسب ينقطع إلا نسبي وسبي» (٣).
قيل: معناه لا يبقى (٤) يوم القيامة سب ولا نسب إلا نسبه وسببه، وهو الإيمان والقرآن.
فإن قيل: قد قال هاهنا ﴿ولا يتساءلون﴾ وقال في موضع آخر: «وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون» (الصفات - ٢٧)؟

الجواب: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن للقيامة أحوالاً ومواطن، ففي موطن يشتد عليهم الخوف، فيشغلهم عظم الأمر عن التساؤل فلا يتساءلون، وفي موطن يفيقون إفاقةً فيتساءلون (٥).

﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

- (١) في «ب» قد وجب .
- (٢) أخرج الروائين الطبري: ٥٤/١٨ .
- (٣) قطعة من حديث أخرجه الحاكم في المستدرک: ١٤٢/٣ عن عمر رضي الله عنه وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: منقطع، والطبراني: ٣٧/٣، قال الهيثمي: ٢٧٢/٤: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، والبيهقي: ١١٤/٧، وذكره ابن حجر في المطالب العالية: ١٧٧/٤ ونسبه لابن أبي عمر، وقال البوصيري: رواه ثقات، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ١١٧/٦ للبخاري والبيهقي، وانظر: تفسير ابن كثير: ٢٥٧/٣ .
- (٤) في «ب» لا ينفع .
- (٥) انظر مسائل الرازي وأجوبتها ص ٢٣٨ .

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾
 تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا
 تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا
 أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾

﴿ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون﴾ .

﴿تلفح وجوههم النار﴾ . أي: تسفع، وقيل: تحرق، ﴿وهم فيها كالحون﴾، عابسون .

أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا محمد بن أحمد الحارثي، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن يزيد، عن أبي السمع، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: ﴿وهم فيها كالحون، قال: تشويه النار، فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرتة﴾^(١)، وبهذا الإسناد عن عبد الله بن المبارك عن حاجب بن عمر عن الحكم ابن الأعرج قال: قال أبو هريرة: «يعظم الكافر في النار مسيرة سبع ليال، فيصير ضرسه مثل أحد، وشفاهم عند سرهم، سود زرق خسر مقبوحون»^(٢) .

ب/٣٣

قوله عز وجل: ﴿ألم تكن آياتي تُتلىٰ عليكم﴾، يعني القرآن، تخوفون بها، ﴿فكنتم بها

تكذبون﴾ .

﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾، قرأ حمزة والكسائي: «شقوتنا» بالالف وفتح الشين، وهما

لغتان أي: غلبت علينا شقوتنا التي كتبت علينا فلم نهتد. ﴿وكننا قوماً ضالين﴾، عن الهدى .

﴿ربنا أخرجنا منها﴾، أي: من النار، ﴿فإن غدنا﴾، لما تكره ﴿فإن ظالمون﴾ .

﴿قال اخسأوا﴾، أبعلوا، ﴿فيها﴾، كما يقال للكلب إذا طرد: اخسأ، ﴿ولا تكلمون﴾، في

رفع العذاب، فإني لا أرفعه عنكم، فعند ذلك أيس المساكين^(٣) من الفرج، قال الحسن: هو آخر

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة المؤمنون: ٢٠/٩، وقال: «هذا حديث حسن غريب صحيح»، والإمام أحمد: ٨٨/٣، والحاكم: ٣٩٥/٢ وصححه ووافقه الذهبي، وعزاه ابن حجر في الكافي الشاف صفحة (١١٦) للبيهقي في الشعب من رواية أبي السمع عن الهيثم بن أبي سعيد، وعزاه السيوطي أيضاً: ١١٨/٦ لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية .

وانظر: الترغيب والترهيب: ٤٨٦/٤، تفسير ابن كثير: ٢٥٨/٣ .

(٢) انظر: كنز العمال: ٥٢٩/١٤-٥٣٠ .

(٣) في «ب» المشركون .

إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٦٦﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١٦٧﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١٦٨﴾

كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعدها إلا الشهيق والزفير، ويصير لهم عواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون، روي عن عبدالله بن عمرو: أن أهل جهنم يدعون مالكا خازن النار أربعين عاماً: (١) «يامالك ليقتض علينا ربك» (الزخرف - ٧٧) فلا يجيبهم، ثم يقول: «إنكم ماكنون» (الزخرف - ٧٧)، ثم ينادون ربهم: ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾، فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم: ﴿اخشسوا فيها ولا تكلمون﴾، فلا ينبس القوم بعد ذلك بكلمة إن كان إلا الزفير والشهيق.

وقال القرطبي: إذا قيل لهم: «اخشسوا فيها ولا تكلمون» انقطع رجاؤهم، وأقبل بعضهم ينيح في وجه بعض، وأطبقت عليهم.

﴿إنه﴾ الهاء في «إنه» عماد وتسمى أيضاً المجهولة، ﴿كان فريق من عبادي﴾، وهم المؤمنون ﴿يقولون ربنا آمنة فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين﴾.

﴿فاتخذتموهم سخرياً﴾، قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي: «سُخْرِيًّا» بضم السين هاهنا وفي سورة ص، وقرأ الباقون بكسرهما، واتفقوا على الضم في سورة الزخرف. قال الخليل: هما لغتان مثل قولهم: بحر لُجبي، ولجبي بضم اللام وكسرهما، مثل كوكب دُرِي ودِرِي، قال الفراء والكسائي: الكسر بمعنى الاستهزاء بالقول، والضم بمعنى التسخير والاستعباد بالفعل، واتفقوا في سورة الزخرف بأنه بمعنى التسخير، ﴿حتى أنسواكم﴾ أي: أنسواكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم وتسخيرهم، ﴿ذكرى﴾، وكنتم منهم تضحكون ﴿نظيره: ﴿إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون﴾ (المطففين - ٢٩) قال مقاتل: نزلت في بلال وعمار وخباب وصهيب وسلمان والفقراء من الصحابة، كان كفار قريش يستهزؤون بهم (٢).

﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾، على أذاكم واستهزائكم في الدنيا، ﴿أنهم هم الفائزون﴾، قرأ حمزة والكسائي «أنهم» بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون بفتحها، فيكون في موضع المفعول الثاني إني جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز بالجنة.

(١) أخرجه الحاشم: ٣٩٥/٢ وصححه ووافقه الذهبي، لكن بلفظ «يوماً» بدل عام.

(٢) انظر البحر المحيط: ٤٢٣/٦.

قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعَادِينَ ﴿١١٤﴾ قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾

﴿قال كم لبثتم﴾، قرأ حمزة والكسائي: «قل كم لبثتم» على الأمر. ومعنى الآية: قولوا أيها الكافرون، فأخرج الكلام مخرج الواحد، والمراد منه الجماعة، إذ كان معناه مفهوماً، ويجوز أن يكون الخطاب لكل واحد منهم، أي قل أيها الكافرون، وقرأ ابن كثير: قل كم، على الأمر، وقال «أن» على الخبر، لأن الثانية جواب، وقرأ الآخرون: «قال» فيهما جميعاً، أي: قال الله عز وجل للكفار يوم البعث: كم لبثتم؟ ﴿في الأرض﴾، أي: في الدنيا وفي القبور ﴿عدد سنين﴾ .

﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾، نسوا مدة لبثهم في الدنيا لعظم ما هم بصدد من العذاب، ﴿فاستل العادين﴾، الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحسونها عليهم .

﴿قال إن لبثتم﴾ أي: ما لبثتم في الدنيا، ﴿إلا قليلاً﴾، سماه قليلاً لأن الواحد وإن طال مكثه في الدنيا فإنه يكون قليلاً في جنب ما يلبث في الآخرة، لأن لبثه في الدنيا وفي القبر متناه، ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾، قدر لبثكم في الدنيا .

قوله عز وجل: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾، لعباً وباطلاً لا لحكمة، وهو نصب على الحال، أي: عابثين. وقيل: للبعث، أي: لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب، وهو مثل قوله: «أيحسب الإنسان أن يترك سدى» (القيامة - ٣٦)، وإنما خلقتكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل، و﴿أنكم إلينا لا ترجعون﴾، أي: أفحسبتم أنكم إلينا لا ترجعون في الآخرة للجزاء، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب لا «ترجعون» بفتح التاء وكسر الجيم .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبد الجبار الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا بشر بن عمر، أخبرنا عبدالله بن لهيعة، أخبرنا عبدالله بن هبيرة، عن حنش، أن رجلاً مصاباً مرَّ به على ابن مسعود فرقاه في أذنيه: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ حتى ختم السورة فبرأ، فقال رسول الله ﷺ: «بماذا رقيت في أذنيه؟» فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال» (١) .

(١) عزاه السيوطي في الدر: (١٢٢/٦) للحكيم الترمذي، وأبي يعلى، وابن أبي حاتم، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص

(٢٩٨)، وأبي نعيم في الحلية ٧/١، وابن مردويه .

وفي إسناده: سلام بن رزين، لا يعرف وحديثه باطل. وذكره الذهبي في الميزان: (١٧٥/٢) وقال: قال العقيلي: حدثنا عبدالله ابن أحمد بن حنبل قال... وساق الحديث: قال أبي: هذا موضوع، هذا حديث الكذابين .

فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ
 اللَّهُ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ
 ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

ثم نزه الله نفسه عما يصفه به المشركون، فقال جل ذكره : ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾، يعني السرير الحسن. وقيل: المرتفع .
 ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهُ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾، أي: لا حجة له به ولا بينة، لأنه لا حجة
 في دعوى الشرك، ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ﴾، جزاؤه، ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾، يجازيه بعمله، كما قال تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ
 عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (الغاشية - ٢٦)، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾، لا يسعد من جحد وكذب .
 ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ .